00051332

Digitized with financial assistance from the
Government of Maharashtra
on 23 March, 2016

00051332

فهرست ما في النصف الأول من كتاب المستطرف في كل فن مستظرف من الأبواب والفصول المعرف جميعها في ديباجة الكتاب وهي أربعة وثمانون بابا منها في هذا النصف اثنان وأربعون كما هو موضوع بهذه الفهرست المجعولة للاستدلال على أي باب من الأبواب أو فصل من الفصول في أي صحيفة من صحائف هذا النصف

صحيفة

٥ الباب الأول في مباني الإسلام وفيه خمسة فصول
٥ الفصل الأول في الإخلاص لله تعالى والثناء عليه
٦ الفصل الثاني في الصلاة وفضلها
٧ الفصل الثالث في الزكاة وفضلها الخ
٩ الفصل الرابع في الصوم وفضله
١٠ الفصل الخامس في الحج وفضله
١١ الباب الثاني في العقل والذكاء والحمق وذمه وغير ذلك
١٤ الباب الثالث في القرآن وفضله الخ
١٦ الباب الرابع في العلم والأدب وفضل العالم والمتعلم
٢١ الباب الخامس في الآداب والحكم وما أشبه ذلك
٢٣ الباب السادس في الأمثال السائرة وفيه خمسة فصول
٢٣ الفصل الأول فيما جاء من ذلك في القرآن العظيم وأحاديث النبي الكريم
٢٤ الفصل الثاني في أمثال العرب
٢٥ الفصل الثالث في أمثال العامة والمولدين
٢٥ الفصل الرابع في الأمثال من الشعر المنظوم مرتبة على حروف المعجم
٢٩ الفصل الخامس في الأمثال السائرة بين الرجال والنساء مرتبة الخ
٣٤ الباب السابع في البيان والبلاغة والفصاحة الخ وفيه ثلاثة فصول
٣٤ الفصل الأول في البيان والبلاغة
٣٥ الفصل الثاني في الفصاحة
٣٩ الفصل الثالث في ذكر الفصحاء من الرجال
٤٥ ذكر فصحاء النساء وحكاياتهن
٤٩ الباب الثامن في الأجوبة المسكتة الخ
٥١ الباب التاسع في ذكر الخطب والخطباء والشعر الخ
٥١ فصل في ذكر الشعر والشعراء وسرقاتهم
٥٥ الباب العاشر في التوكل على الله تعالى الخ وفيه ثلاثة فصول

صحيفة

٥٥ الفصل الاول في التوكل على الله
٥٨ الفصل الثاني في القناعة والرضا بما قسم الله تعالى
٦٠ الفصل الثالث في ذم الحرص والطمع وطول الامل
٦١ الباب الحادي عشر في المشورة والنصيحة والتجارب والنظر في العواقب
٦٥ الباب الثاني عشر في الوصايا الحسنة والمواعظ المستحسنة وما أشبه ذلك
٦٨ الباب الثالث عشر في الصمت وصون اللسان الخ وفيه ثلاثة فصول
٦٨ الفصل الاول في الصمت الخ
٦٩ الفصل الثاني في تحريم الغيبة
٧٠ الفصل الثالث في تحريم السعاية بالنميمة
٧٣ الباب الرابع عشر في الملك والسلطان وطاعة ولاة أمور الاسلام الخ
٧٤ الباب الخامس عشر فيما يجب على من صحب السلطان الخ
٧٦ الباب السادس عشر في ذكر الوزراء وصفاتهم وأحوالهم وما أشبه ذلك
٧٧ الباب السابع عشر في ذكر الحجاب والولاية وما فيها من الغرر والخطر
٨٠ الباب الثامن عشر فيما جاء في القضاء الخ وفيه ثلاثة فصول
٨٠ الفصل الأول فيما جاء في القضاء وذكر القضاة وأحوالهم الخ
٨٢ الفصل الثاني في الرشوة والهدية على الحكم وما جاء في الديون
٨٣ الفصل الثالث في ذكر القصاص والمتصوفة وما جاء في الرياء ونحو ذلك
٨٣ الباب التاسع عشر في العدل والاحسان والانصاف وغير ذلك
٨٦ الباب العشرون في الظلم الخ
٨٩ الباب الحادي والعشرون في بيان الشروط التي تؤخذ على الوزراء وفيه فصلان

صحيفه

٨٩ الفصل الأول في سيرة السلطان في استجباء الخراج الخ
٩١ الفصل الثاني في أحكام أهل الذمة
٩٣ الباب الثاني والعشرون في اصطناع المعروف وإغاثة الملهوف الخ
٩٣ الباب الثالث والعشرون في محاسن الاخلاق ومساويها
٩٨ الباب الرابع والعشرون في حسن المعاشرة والمودة والاخوة الخ
١٠٣ الباب الخامس والعشرون في الشفقة على خلق الله تعالى الخ وفيه فصلان
١٠٣ الفصل الأول في الشفقة على خلق الله تعالى والرحمة بهم
١٠٤ الفصل الثاني في الشفاعة الخ
١٠٥ الباب السادس والعشرون في الحياء والتواضع الخ وفيه فصلان
١٠٥ الفصل الأول في الحياء
١٠٥ الفصل الثاني في التواضع الخ
١٠٥ الباب السابع والعشرون في العجب والكبر والخيلاء وما أشبه ذلك
١٠٦ الباب الثامن والعشرون في الفخر والمفاخرة والتفاضل والتفاوت
١١٠ الباب التاسع والعشرون في الشرف والسودد وعلو الهمة
١١٢ الباب الثلاثون في الخير والصلاح الخ
١١٩ الباب الحادي والثلاثون في مناقب الصالحين وكرامات الأولياء
١٢٦ الباب الثاني والثلاثون في ذكر الأشرار والفجار الخ

صحيفه

١٢٨ الباب الثالث والثلاثون في الجود الخ
١٣٩ الباب الرابع والثلاثون في البخل الخ
١٤٣ الباب الخامس والثلاثون في الطعام وآدابه والضيافة الخ
١٥٣ الباب السادس والثلاثون في العفو والحلم والصفح الخ
١٦٠ الباب السابع والثلاثون في الوفاء بالوعد وحفظ العهود ورعاية الذمم
١٦٧ الباب الثامن والثلاثون في كتمان السر وتحصينه وذم افشائه
١٦٨ الباب التاسع والثلاثون في الغدر والخيانة الخ وفيه أربعة فصول
١٦٨ الفصل الأول في الغدر والخيانة
١٧٠ الفصل الثاني في السرقة والسراق
١٧١ الفصل الثالث فيما جاء في العداوة والبغضاء
١٧٢ الفصل الرابع في الحسد
١٧٣ الباب الأربعون في الشجاعة وثمرتها والحروب وتدبيرها الخ وفيه فصلان
١٧٣ الفصل الأول في فضل الجهاد الخ
١٧٣ الفصل الثاني في الشجاعة الخ
١٧٨ الباب الحادي والاربعون في ذكر أسماء الشجعان وذكر الابطال الخ
١٨٤ الباب الثاني والاربعون في المدح والثناء وشكر النعمة والمكافآت وفيه ثلاثة فصول
١٨٤ الفصل الأول في المدح والثناء
١٩٢ الفصل الثاني في شكر النعمة
١٩٤ الفصل الثالث في المكافآت

تمت

﴿فهرست كتاب ثمرات الأوراق الموشى به هامش كتاب المستطرف﴾

صحيفه

٢ خطبة الكتاب

٢ حكاية أبي عثمان المازني وسؤال بعض أهل الذمة له قراءة كتاب سيبويه

٣ سؤال حامد بن العباس لعلي بن عيسى في ديوان الوزارة

٣ حكاية أخرى تضارعها

٥ وفود عروة بن أذينة على هشام بن عبد الملك في جماعة من الشعراء

٥ حكاية هدبة بن خالد في حضوره مائدة المأمون

٦ لطائف تتعلق بزيادة وعمرو

٩ ترجمة المعتزلة

١١ سؤال الرشيد لجعفر عن جواريه

١٢ حكاية تتعلق ببعض المغنين المطربين

١٢ نوادر تتعلق بعبد الله بن المعتز وأمثاله في بلوغهم الكمال وغزارة الفضل مع خمولهم وسقوط حظهم

١٧ نكتة أدبية

٢٠ لطيفة تتعلق بقاضي القضاة شمس الدين بن خلكان

٢٠ لطيفة أخرى تناسبها

٢٢ حكاية مجير الدين الخياط الدمشقي

٢٣ حكاية أبي حنيفة رضي الله عنه مع جاره الاسكاف بالكوفة

٢٤ لطيفة أحمد بن المعدل مع أخيه الخ

٢٤ نوادر تتعلق بالاقتباس والتورية

٣٥ حكاية الهيثم بن عدي ومعاشاته للامام أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه

٣٦ غريبة يحيى بن اسحق الطبيب وحذقه في صنعة الطب

٣٧ نادرة لطيفة تتعلق بالمنصور بن أبي عامر الاندلسي

٣٨ عيادة الشيخ شهاب الدين لقاضي القضاة بن خلكان وما جرى بينهما

٣٨ نكتة لطيفة تتعلق بالشيخ شهاب الدين السهروردي

٣٩ الاجوبة الهاشمية وبلاغتها ونادرة تتعلق بذلك

صحيفه

٤٢ غريبة اسحق النديم عن أبيه ابراهيم وما يضارعها

٤٥ لطائف أبي بكر بن قريعة قاضي السندية وغيرها وكان من عجائب الدنيا في سرعة البديهة بالاجوبة

٤٦ نادرة لطيفة تتعلق بأبي جعفر المنصور العباسي

٤٧ نادرة منقولة من خط قاضي القضاة ابن خلكان تتعلق بابن الدقاق البلنسي

٤٩ لطيفة تتعلق ببثينة وعزة حين دخلتا على عبد الملك بن مروان

٥٢ وفود الشعراء على أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه لما استخلف

٥٤ من لطائف الظرف ما حدث ابراهيم بن المهدي عن جعفر

٥٦ حكاية أبي معشر المنجم مع بعض الملوك

٥٧ نادرة عن ابن خلكان تتعلق بفطن المتطببين

٥٨ نادرة لطيفة تتعلق بالامام الجنيد

٥٩ لطيفة لابي محمد الوزير المهلبي

٦٠ حكاية حماد الراوية مع هشام بن عبد الملك

٦٤ حديث أبي الحسن بن مقلة عن خالد الكاتب

٦٤ نادرة دخول أبي دلامة على المهدي

٦٥ حكاية هشام بن عبد الملك مع طاوس اليماني

٦٦ نادرة الشعبي مع ملك الروم لما أرسله اليه عبد الملك بن مروان

٦٧ نادرة بديعة غريبة منقولة عن سديد الملك

٦٨ حكاية الصابي عن رجل اتصلت عطلته وانقطعت مادته فزور كتابا الخ

٦٩ حكاية الجاحظ مع الواثق

٧٢ نادرة لطيفة تتعلق بأبي المسك كافور الاخشيدي

٧٤ ورود أبي نصر الفارابي على سيف الدولة بن حمدان

٧٥ ورود راشد الدين سنان على نور الدين الشهيد وهو جواب في أعلى طبقات الفصاحة والبلاغة

٨٠ نادرة غريبة تتعلق بفيلسوف الاسلام يعقوب ابن اسحق الكندي

٨٢ نادرة لطيفة تتضمن المثل السائر في قولهم عن

صحيفه	
	الحاث رجع بخفي حنين
٨٤	قصة زكي الدين مع الملك المظفر
٨٦	المنقول عن القاسم المكنى بابي دلف وجمعه بين طرفي الكرم والشجاعة
٨٨	غضب المأمون على العكوك من أجل مدحه أبا دلف وقتله اياه
٨٨	حديث النضر بن شميل وسمره مع المأمون
٨٨	رسالة أنشأها القاضي الفاضل و رسالة نظيرتها للمؤلف
٩٧	نادرة لطيفة تتعلق بابي سفيان حين رجوعه من عند ابنه معاوية لما زاره في الشام
٩٧	استنجاز المواعيد
٩٧	لطيف الاستمناح
٩٩	نادرة لطيفة تتعلق بابي جعفر المنصور مع أزهر السمان المحدث
١٠٠	أجواد الجاهلية الذين انتهى اليهم الجود
١٠١	حكايات تتعلق بجود عبيد الله بن العباس رضي الله تعالى عنهما
١٠٢	حكايات تتعلق بجود عبد الله بن جعفر
١٠٥	وفود أروى بنت الحرث على معاوية رضي الله عنه وحلمه عليها
١٠٧	حكاية ابن الزبير لما تزوج امرأة من فزارة
١٠٩	حكاية تتعلق بمعاوية بن أبي سفيان و رد الاحنف عليه
١١٠	حكاية تتعلق بالمنصور العباسي الخ
١١٤	حكاية رجل قدم الى بغداد وأودع عقدا عند رجل يدعي الصلاح
١١٥	سرد حكايات تتعلق بالاذكياء
١١٥	من لطائف هزليات الاذكياء أن الرشيد خرج متنزها الخ

صحيفه	
١٢٣	من الجد المفحم جواب الامام علي رضي الله تعالى عنه لليهودي
١٢٢	من المنقول عن أذكياء الاطباء
١٢٤	من المنقول عن أذكياء المتطفلين
١٢٥	من المنقول عن أذكياء المتلصصين
١٢٧	من المنقول عن أذكياء الصبيان
١٢٧	من المنقول عن أذكياء النساء
١٢٨	نبذة لطيفة من كتاب الحمقى الخ
١٣٤	ذكر جماعة من العقلاء صدر عنهم أفعال الحمقى وأصروا على ذلك
١٤١	غريبة منقولة من سلوان المطاع تتعلق بالوليد بن يزيد
١٤٧	حكاية تتعلق بسابور بن هرمز الخ
١٦٠	قصة أرينب بنت اسحق زوج عبد الله بن سلام
١٦٥	غريبة تتعلق برجل من بلاد الصعيد
١٦٨	لطيفة ابراهيم بن المهدي لما ادعى الخلافة بالري
١٧٥	حكاية خزيمة بن بشر مع عكرمة الفياض
١٧٩	حكاية الخيزران امرأة المهدي مع مزنة بنت مروان الاموي
١٨٢	نادرة تتعلق بعشرة قدرموا بالزندقة فحملوا الى المأمون فتبعهم أحد الطفيلية
١٨٥	غريبة تتعلق بفتى من ذوي النعم قعد به زمانه فاراد أن يبيع الخ
١٨٥	رجوع الحجاج الى عبد الملك بن مروان لما قتل عبد الله بن الزبير
١٨٦	حكاية الاسكندر مع ملك الصين
١٨٩	رحلة الامام الشافعي الى الامام مالك ثم الى أبي يوسف ومحمد بن الحسن رضي الله عن الجميع

﴿ تمت ﴾

سيبي برقع والضفدعة زماره بعد مشيك في الحلاق ابستي الصافي بعيد على الحزينه تستعمل الزينه

﴿حرف التاء﴾

تابت القحبه يوم وليله قالت ما بقي في البلد حكام تضاربت المجنونه والحمقا حسبته الرعنه من حقا تضارب وتتعري وتصيح يا قلة رجالي تأخذوا أبو او تكابروا ترتانه و بيبانه ومفاتيح الخزانه تباهت القرعه بشعر بنت أختها تخلوني والا استحل بجارنا قالت اذا كان ذا في قلبك خذيه بلا استحلال تتغمي بالحرج ولا تخلي الغنج تقعد عيوشه في دارتها امالا احد حاجة في زيارتها

﴿حرف الثاء﴾

ثوب سيدي ثوب حبيبي ثوب ستي ثوب قحبه

﴿حرف الجيم﴾

جاره بجاره والعداوة خساره جاني عذولي ورثالي ماهي محبه الا شماتة لي جاريه وزبديه على باذنجانه مقليه جاتنا العدوه كحلها قطران لا غيره وقلبها فرحان جاب ثيابه يغسلهم بلا صابونه معهم

﴿حرف الحاء المهملة﴾

حوله وتتنقب بنغ حزاني ماعندهم دقيق اشتر والهم نخل رقيق حزاني ماعندهم خبزا شتر والهم بعشره ملوخيه حزينه وواعيه حبله ومرضعه وعلى كتفها أربعه وطلعت الجبل تجيب دو الحبل حوله ونصرانيه لا مليحه ولا أصل طيب حزينه مالها ملوك ستة زنبور ها خوشكادم حزينه مالها مالنا اكثرت لها بواب حزينه مالها كاملية طلبت لها خف وشعريه

﴿حرف الخاء المعجمة﴾

خطبوها تعززت وكان زمان البوار خلت زوجها مكروب وراحت تشوف المصلوب خذي قطيفه وا كتمي سري قالت ما يطاوعني قلبي خلت ما يعنيها واتبعت حك رجليها

﴿حرف الدال المهملة﴾

دري زوجك بحبتك تمي نهارك مع ليلتك دق من أسفل ولا تطلع ما أنت على القلب

﴿حرف الذال المعجمة﴾

ذكرت العجوز اطلالها

﴿حرف الراء﴾

رقصتي ما أحسنتي كان تعادلك أجمل رعنا يضحكوا بها وهي تضحك تساعدهم رأوا جاموسه منقبه بحصير قالوا ما الذا الشكل الوضيع الا دا القماش الرفيع راحت تبيع ربعه غابت جمعه راحت رجال الميه وبقيت رجال الخيبه راحت رجال اللحم والقلقاس وبقيت رجال الخبز بالفسقاس رأوا خنفسه على مكنسه قالوا ما الذي الصيغة الا دا الجمار الازعر

﴿حرف الزاي﴾

زمر بالزميره تبان لك العاقلة من المجنينه زوجي ما حكم على قام لي عشيقي بشمعة زوجوا بنت نشادري لسر باقي قالوا قليلات الخرا تتدحرج لبعضها

﴿حرف السين المهملة﴾

سودا وتتنقب بسباخ سودا منتقبه قفل على خزانه سالوها عن أبيها قالت جدي شعيب

﴿حرف الشين المعجمة﴾

شدي قرطاسك من عند موسه قالوا داشي ما فرحتي به وأنتي عروسه شامته ومعزيه

﴿حرف الصاد المهملة﴾

صارت القحبه واعظه صارت القوبقة شاعره

﴿حرف الضاد المعجمة﴾

ضحك ابن سنه أغمي على أمه قالت ما أخف دمه

﴿حرف الطاء المهملة﴾

طلعت نرجم زلت تتوحم

﴿حرف الظاء المعجمة﴾

ظريفه وعفيفه ولها نفس شريفه

﴿حرف العين المهملة﴾

عميا تحفف مجنونه وتقول حواجبك سود مقرونه عاقله وجابت طفله وجاتها خطار واشتروا لها قلقاس ذكر وحطب أخضر في نار مطر وقالوا لها اطبخي على قدر لحمه تقع الصلحه عجوزه وجابت غلام اذا جنت لا تلام عجوزه وخرفانه ذي داهيه كانه

﴿حرف الغين المعجمة﴾

غيرك يقوم مقامك عليش قلبي أعذبه

﴿حرف الفاء﴾

المنازي عليه في جماعة من أهل الأدب ببغداد وأبو العلاء لا يعرف منهم أحدا فانشد كل واحد ما حضره من شعره حتى جاءت نوبة المنازي فانشد

لقد عرض الحمام لنا بسجع
اذا أصغى له ركب تلاحى
شجى قلب الخلي فقيل غنى
وبرح بالشجي فقيل ناحا
وكم للشوق في أحشاء صب
اذا اندملت أجدلها جراحا
ضعيف الصبر عنك وان تقاوى
وسكران الفؤاد وان تصاحى
بذاك بنو الهوى سكرى صحاة
كاحداق المها مرضى صحاحا

فقال أبو العلاء ومن بالعراق عطفا على قوله من بالشام انتهى (نادرة) مشى البيدق البزيدي مع شاب موسوم بالجمال فقال له شمس الدين ابن المنجم الشاعر أراك يا بيدق تفرزنت حول هذه النفس فقال واذا كان فقال أخشى عليك من ذلك الرخ لا يقطعك من الحاشية ويرميك عن الفرس ويقطع عليك الرقعة ولو كان في كفك الفيل (ومثله في الظرف) ان بعض الأجناد كان كثير اللعب بالشطرنج وكان الجندي خليعا ظريفا فاعطاه الأمير في بعض الأيام فرسا وقال له لا تفرط فيها فقال نعم وبعد ذلك التقاه الأمير وهو لابس جوخة فقال ويلك أين الفرس فقال يا خوندضربني الشتاء شاه مات فتسترت بالفرس (ويعجبني قول الشيخ بدر الدين بن الصاحب)

تأمل ترا الشطرنج كالدهر دولة
نهارا وليلا ثم بؤسا وأنعما
محركها باق وتفنى جميعها
وبعد الفنا تحيا وتبعث أعظما

(قلت) ويشبه هذا قول الفاضل وقد أخرج له السلطان الملك الناصر صلاح الدين من القصر من يعاني الخيال أعني خيال الظل

فرحت حزينه خر بت مدينه ﴿حرف القاف﴾
قالوا اللغانى تز وقوا قلبوا عصايبهم تعبه ما كنست بيتها كنست المسجد قالوادى تجبه تطاب الثواب

﴿حرف الكاف﴾

كل من تبعت هواها صارت سراو ياها رداها كبرتى يابرقوقه و بقى للدبوقه كانوا مغانى صاروا ملاهى لاراحت ولاجات كماهى كلى قلبه وباقى هنيه كأنها من الباسيطه قماش على جريده كأنها حزمة فجل أصفر وعرقها أخضر كأنها من عمايم اليهود صفرا طويلة رفيعة كأنها من بيت الوالى ما يحدث فيها سوى الحاشيه كأنها ضمة جعيدى مخلوعه ولا تأخذشى

﴿حرف اللام﴾

لو كان ينقش الا السمان بارت المواشط من زمان للساعة ما حبلت جابت المرسين لولا المعاير ما كانت الحراير

﴿حرف الميم﴾

ماشطه وتمشط بنتها من افتكرنا بيا مسيا ما نسينا

﴿حرف النون﴾

نوايه تسند الجرة قال وتسند الزير الكبير

﴿حرف الهاء﴾

هش ياد بانا أنا حبلى من مولانا

﴿(حرف الواو)﴾

و جه لا يرى بالذهب يشترى

﴿حرف اللام ألف﴾

لا أننى مليحة ولا تغنى بايش تدلى

﴿حرف الياء﴾

يعيش المدلل بلا مكال يا غزالة الاقفار أين كنتى بالنهار يا ماتحت النقاب والشعرية من كل بلية يا من ملنا ما كان حالنا الساعه مالنا فى العشرة سنه

﴿الباب السابع فى البيان والبلاغة والفصاحة وذكر الفصحاء من الرجال والنساء وفيه فصول﴾

﴿الفصل الأول فى البيان والبلاغة﴾ أما البيان فقد قال الله تعالى الرحمن علم القرآن خلق الانسان علمه البيان وقال صلى الله عليه وسلم ان من البيان لسحرا قال ابن المعتز البيان ترجمان القلوب وصيقل العقول * وأما حده فقد قال الجاحظ البيان اسم جامع لكل ما كشف لك عن المعنى * وأما البلاغة فانها من حيث اللغة هى أن يقال بلغت المكان اذا أشرفت عليه وان لم تدخله قال الله تعالى فاذا بلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف وقال بعض المفسرين فى قوله تعالى أم لكم أيمان علينا بالغة أى وثيقة كأنها قد بلغت النهاية وقال اليونانى البلاغة وضوح الدلالة وانتهاز الفرصة وحسن الاشارة وقال الهندى البلاغة تصحيح الأقسام واختيار الكلام وقال الكندى يجب للبليغ أن يكون قليل اللفظ كثير المعانى وقيل ان معاوية سأل عمرو ابن العاص من أبلغ الناس فقال أقلهم لفظا وأسهلهم معنى وأحسنهم بديهة ولو لم يكن فى ذلك الفخر الكامل لما خص به سيد العرب والعجم صلى الله عليه وسلم وافتخر به حيث يقول نصرت بالرعب وأوتيت جوامع الكلم وذلك انه كان عليه الصلاة والسلام يتلفظ باللفظ اليسير الدال على المعانى الكثيرة * وقيل ثلاثة تدل على عقول أصحابها الرسول على عقل المرسل والهدية على عقل المهدى والكتاب على عقل الكاتب * وقال أبو عبد الله وزير المهدى البلاغة ما فهمته العامة ورضيت به الخاصة وقال البحترى خير الكلام ما قل و جل ودل ولم يمل * وقالوا البلاغة ميدان لا يقطع الا بسوابق الأذهان ولا يسلك الا ببصائر البيان وقال الشاعر

لك البلاغة ميدان نشأت به * وكلنا بقصور عنك نعترف
مهد لى العذر فى نظم بعثت به * من عنده الدر لا يهدى له الصدف

(وروى) أن ليلى الأخيلية مدحت الحجاج فقال يا غلام اذهب الى فلان فقل له يقطع لسانها قال فطلب حجاما فقالت ثكلتك أمك انما أمرك أن تقطع لسانى بالصلة فلولا تبصرها بانحاء الكلام ومذاهب العرب والتوسعة فى اللفظ ومعانى الخطاب لتم عليها جهل هذا الرجل * وقال الثعالبى البليغ من يحول الكلام على حسب الأمانى ويخيط الالفاظ على قدر المعانى والكلام البليغ ما كان لفظه فحلا ومعناه بكرا وقال الامام فخر الدين الرازى رحمة الله تعالى عليه فى حد البلاغة انها بلوغ الرجل بعبارته كنه ما فى قلبه مع الاحتراز عن الايجاز المخل والتطويل الممل ولهذه الأصول شعب وفصول لا يحتمل كشفها هذا المجموع ويحصل الغرض بهذا القدر وبالله التوفيق الى أقوم طريق

ليفرجه عليه فقام الفاضل عند الشروع فى عمله فقال له الناصر ان كان حراما فما نحضره وكان حديث العهد بخدمته قبل أن يلى السلطنة فما أراد أن يكدر عليه فقعد الى آخره فلما انقضى ذلك قال له الملك الناصر كيف رأيت ذلك قال رأيت موعظة عظيمة رأيت دولا تمضى ودولا تأتى ولما طوى الازار اذا المحرك واحد فأخرج ببلاغته هذا الجد فى هذا الهزل انتهى (وللشيخ بدر الدين الصاحب مضمنا فى الشطرنج)

أميل لشطرنج أهل النهى
وأسلوه من ناقل الباطل
وكم رمت تهذيب لعابها
وتأبى الطباع على الناقل

(ويعجبنى قول الشيخ عز الدين الموصلى) حيث قال

بنى الشطرنج ينادى وقد
أمات نفس اللعب من عكسه
ما تفعل الأفعال فى جاهل
ما يفعل الجاهل فى نفسه

(وقال الشيخ جمال الدين بن نباتة)

أفديه لاعب شطرنج قد اجتمعت * فى شكله من معانى الحسن أشتات
عيناه منصوبة للقلب غالبة * والخد فيه لقتل النفس شامات

(نادرة لطيفة)

حكى ان السراج الوراق جهز غلاما له يوما ليبتاع له زيتا طيبا يأكل به لفتا فأحضره وقلبه على اللفت فوجده زيتا حارا فأنكر على الغلام ذلك وأخذه وجاء الى البياع وقال له لم تفعل مثل هذا فقال له والله يا سيدى مالى ذنب لانه قال اعطنى زيت السراج انتهى (ومثله) ما حكاه الصاحب فخر الدين بن مكانس عن صاحبه سراج الدين القوصى انه كان حصل له طلوع فى جسده فتردد اليه المزين وصنع له فتائل على العادة قال فقلت له يوما كيف الحال يا سراج

* الفصل الثاني في الفصاحة * قال الامام فخر الدين الرازي رحمه الله تعالى عليه اعلم أن الفصاحة خلوص الكلام من التعقيد وأصلها من قولهم أفصح اللبن اذا أخذت عنه الرغوة وأكثر البلغاء لا يكادون يفرقون بين البلاغة والفصاحة بل يستعملونهما استعمال الشيئين المترادفين على معنى واحد في تسوية الحكم بينهما ويزعم بعضهم أن البلاغة في المعاني والفصاحة في الالفاظ ويستدل بقولهم معنى بليغ ولفظ فصيح * وقال يحيى بن خالد ما رأيت رجلا قط الا هبته حتى يتكلم فان كان فصيحا عظم في صدري وان قصر سقط من عيني * وقد اختلف الناس في الفصاحة فمنهم من قال انها راجعة الى الالفاظ دون المعاني ومنهم من قال انها لا تخص الالفاظ وحدها واحتج من خص الفصاحة بالالفاظ بأن قال نرى الناس يقولون هذا اللفظ فصيح وهذه الالفاظ فصيحة ولا نرى قائلا يقول هذا معنى فصيح فدل على أن الفصاحة من صفات الالفاظ دون المعاني وان قلنا انها تشمل اللفظ والمعنى لزم من ذلك تسمية المعنى بالفصيح وذلك غير مألوف في كلام الناس والذي أراه في ذلك أن الفصيح هو اللفظ الحسن المألوف في الاستعمال بشرط أن يكون معناه المفهوم صحيحا حسنا * ومن المستحسن في الالفاظ تباعد مخارج الحروف فاذا كانت بعيدة المخارج جاءت الحروف متمكنة في مواضعها غير قلقة ولا مكدودة والمعيب من ذلك كقول القائل

لو كنت كنت كتمت الحب كنت كما * كنا وكنت ولكن ذاك لم يكن

وكقول بعضهم أيضا

ولا الضعف حتى يبلغ الضعف ضعفه * ولا ضعف ضعف الضعف بل مثله ألف

وكقول الآخر

وقبر حرب بمكان قفر * وليس قرب قبر حرب قبر

قيل ان هذا البيت لا يمكن انشاده في الغالب عشر مرات متوالية الا ويغلط المنشد فيه لان القرب في المخارج يحدث ثقلا في النطق به وقيل من عرف بفصاحة اللسان لحظته العيون بالوقار * وبالفصاحة والبيان استولى يوسف الصديق عليه الصلاة والسلام على مصر وملك زمام الامور وأطلعه ملكها على الخفي من أمره والمستور قال الشاعر

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده * ولم يبق الا صورة اللحم والدم

وسمع النبي صلى الله عليه وسلم من عمه العباس كلاما فصيحا فقال بارك الله لك يا عم في جمالك أي فصاحتك (وعرضت) على المتوكل جارية شاعرة فقال أبو العيناء يستجيزها أحمد الله كثيرا * فقالت * حيث أنشأك ضريرا * فقال يا أمير المؤمنين قد أحسنت في اساءتها فاشترها * وقال فيلسوف كما ان الآنية تمتحن باطنانها فيعرف صحيحها من مكسورها فكذلك الانسان يعرف حاله من منطقه * وقال المبرد قلت للمجنون أجزني هذا البيت

أرى اليوم يوما قد تكاثف غيمه * وأبرقه فاليوم لا شك ماطر

فقال

وقد حجبت فيه السحائب شمسه * كما حجبت وردا لخدود المحاجر

وقال عبد الملك لرجل حدثني فقال يا أمير المؤمنين افتتح فان الحديث يفتح بعضه بعضا * وقال الهيثم بن صالح لابنه يا بني اذا أقللت من الكلام أكثرت من الصواب قال يا أبت فان أنا أكثرت وأكثرت يعني كلاما وصوابا قال يا بني ما رأيت موعوظا أحق بأن يكون واعظا منك * وقال الشعبي كنت أحدث عبد الملك بن مروان وهو يأكل فيحبس اللقمة فيقول أجزها أصلحك الله فان الحديث من وراء ذلك فيقول والله لحديثك أحب الي منها * وقال ابن عيينة الصمت منام العلم والنطق يقظته ولا منام الا بيقظة ولا يقظة الا بمنام قال ابن المبارك

وهذا اللسان بريد الفؤاد * يدل الرجال على عقله

ومر رجل بأبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه ومعه ثوب فقال له أبو بكر رضي الله عنه أتبيعه فقال لا رحمك الله فقال أبو بكر لو تستقيمون لقومت ألسنتكم هلا قلت لا ورحمك الله (ومنه) ما حكي ان المأمون سأل يحيى بن أكثم عن شيء فقال لا وأيد الله أمير المؤمنين فقال المأمون ما أظرف هذه الواو وأحسن موقعها * وكان الصاحب يقول هذه الواو أحسن من واوات الاصداغ ويقال اللسان سبع صغير الجرم عظيم الجرم وقال بعضهم شعرا

عجمان يقصر عن بحور بيانه * عجزا ويغرق منه تحت عباب
وكذا الذي قس ناطق بعكاظه * يعيا لديه بحجة وجواب

الدين فقال كيف حال سراج فيه سبع فقاتل (ورأيت له في ديوانه يداعب سراج الدين المذكور بقوله)

يا ذا السراج اشتري ايرى فانت به
أولى وذلك للامر الذي وجبا
سكندري وتدعى بالسراج وذا
مثل المنار اذا ما قام وانتصبا

* نادرة لطيفة *

اجتمع محدث ونصراني في سفينة فصب النصراني من ركوة كانت معه في مشربة وشرب وصب وعرض على المحدث فتناولها من غير فكر ولا مبالاة فقال النصراني جعلت فداك هذا خمر فقال من أين علمت أنها خمر قال اشتراها غلامي من خمار يهودي وحلف أنها خمر عتيق فشربها بالعجلة وقال للنصراني أنت أحمق نحن أصحاب الحديث نروي عن الصحابة والتابعين أفتصدق نصرانيا عن غلامه عن يهودي والله ما شربتها الا لضعف الاسناد * نادرة لطيفة * نظر طفيلي الى قوم ذاهبين فلم يشك انهم في دعوة ذاهبون الى وليمة فقام وتبعهم فاذا هم شعراء قد قصدوا السلطان بمدائح لهم فلما أنشد كل واحد شعره وأخذ جائزته لم يبق الا الطفيلي وهو جالس ساكت فقال له أنشد شعرك فقال لست بشاعر قيل فمن أنت قال من الغاوين الذين قال الله تعالى في حقهم والشعراء يتبعهم الغاوون فضحك السلطان وأمر له بجائزة الشعراء (وحكى) الهيثم بن عدي قال ماشيت الامام أبا حنيفة رضي الله تعالى عنه في نفر من أصحابه الى عيادة مريض من أهل الكوفة وكان المريض بخيلا وتواصينا على أن نعرض بالغداء فلما دخلنا وقضينا حق العيادة قال بعضنا آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا قال فتمطى

(وقيل) انه حج مع ابن المنكدر شابان فكانا اذا رأيا امرأة جميلة قالا قد أبرقنا وهما يظنان ان ابن المنكدر لا يفطن فرأيا قبيحة فيها امرأة فقالا بارقة وكانت قبيحة فقال ابن المنكدر بل صاعقة * وكان أصحاب أبي على الثقفي اذا رأوا امرأة جميلة يقولون حجة فعرضت لهم قبيحة فقالوا داحضة وكتب ابراهيم بن المهدي اياك والتتبع لوحشي الكلام طمعا في نيل البلاغة فان ذلك العناء الاكبر وعليك بما سهل مع تجنبك لالفاظ السفل ويقال القول على حسب همة القائل يقع والسيف بقدر عضد الضارب يقطع وقال الاحنف سمعت كلام أبي بكر حتى مضى وكلام عمر حتى مضى وكلام عثمان حتى مضى وكلام على حتى مضى رضى الله تعالى عنهم ولا والله ما رأيت فيهم أبلغ من عائشة وقال معاوية رضى الله تعالى عنه ما رأيت أبلغ من عائشة رضى الله تعالى عنها ما أغلقت بابا فأرادت فتحه الا فتحته ولا فتحت بابا فأرادت اغلاقه الا أغلقته (ومن غريب الكنايات الواردة على سبيل الرمز وهو من الذكاء والفصاحة ما حكى أن رجلا كان أسيرا في بني بكر بن وائل وعزموا على غزو قومه فسألهم في رسول يرسله الى قومه فقالوا لا ترسله الا بحضرتنا لئلا تنذرهم وتحذرهم فجاؤا بعبد أسود فقال له أتعقل ما أقوله لك قال نعم انى لعاقل فأشار بيده الى الليل فقال ما هذا قال الليل قال ما أراك الا عاقلا ثم ملأ كفيه من الرمل وقال كم هذا قال لا أدرى وانه لكثير فقال أيما أكثر النجوم أم النيران قال كل كثير فقال أبلغ قومى التحية وقل لهم يكرموا فلانا يعنى أسيرا كان فى أيديهم من بنى بكر بن وائل فان قومه الى مكرمون وقل لهم ان العرفج قد دنا وشكت النساء وأمرهم أن يعروا ناقتى الحمراء فقد أطالوا ركوبها وأن يركبوا جملى الاصهب بامارة ما أكلت معكم حيسا واسألوا عن خبرى أخى الحرث فلما أدى العبد الرسالة اليهم قالوا لقد جن الاعور والله ما نعرف له ناقة حمراء ولا جملا أصهب ثم دعوا بأخيه الحرث فقصوا عليه القصة فقال قد أنذركم أما قوله قد دنا العرفج يريد أن الرجال قد استلأموا ولبسوا السلاح وأما قوله شكت النساء أى أخذت الشكاء للسفر وأما قوله أعروا ناقتى الحمراء أى ارتحلوا عن الدهناء واركبوا الجمل الاصهب أى الجبل وأما قوله أكلت معكم حيسا أى ان اخلاطا من الناس قد عزموا على غزوكم لان الحيس يجمع التمر والسمن والاقط فامتثلوا أمره وعرفوا لحن الكلام وعملوا به فنجوا * وأسرت طيئ غلاما من العرب فقدم أبوه ليفديه فاشتطوا عليه فقال أبوه والذى جعل الفرقدين يمسيان ويصبحان على جبل طيئ ما عندى غير ما بذلته ثم انصرف وقال لقد أعطيته كلاما ان كان فيه خير فهمه فكأنه قال له الزم الفرقدين يعنى فى هروبك على جبل طيئ ففهم الابن ما أراده أبوه وفعل ذلك فنجى * وكانت علية بنت المهدى تهوى غلاما خادما اسمه طل فحلف الرشيد ان لا تكلمه ولا تذكره فى شعرها فاطلع الرشيد يوما عليها وهى تقرأ فى آخر سورة البقرة فان لم يصبها وابل فالذى نهى عنه أمير المؤمنين ومن ذلك قولهم تركت فلانا يأمر وينهى وهو على شرف الموت أى يأمر بالوصية وينهى عن النوح ويقال ما رأت فلانا أى ما ضربته فى رئته ولا كلمته أى ما جرحته فان الكلوم الجراح وما رأيت ربيعا فالربيع حظ الارض من الماء والربيع النهر وما رأيت كافرا ولا فاسقا فالكافر السحاب والفاسق الذى تجرد من ثيابه وما رأيت فلانا راكعا ولا ساجدا ولا مصليا فالراكع العاثر الذى كبا لوجهه والساجد المدمن النظر والمصلى الذى يجيء بعد السابق وما أخذت لفلان دجاجة ولا فروجا فالدجاجة الكبة من الغزل والفروجة الدراعة وما أخذت لفلان بقرة ولا ثورا فالبقرة العيال الكثيرة يقال جاء فلان يسوق بقره أى عياله والثور القطعة الكبيرة من الاقط (وحكى) أن معاوية رضى الله تعالى عنه بينما هو جالس فى بعض مجالسه وعنده وجوه الناس فيهم الاحنف بن قيس اذ دخل رجل من أهل الشام فقام خطيبا وكان آخر كلامه ان لعن عليا رضى الله تعالى عنه ولعن لاعنه فقال الاحنف يا أمير المؤمنين ان هذا القائل لو يعلم أن رضاك فى لعن المرسلين للعنهم فاتق الله يا أمير المؤمنين ودع عنك عليا رضى الله تعالى عنه فلقد لقى ربه وأفرد فى قبره وخلا بعمله وكان والله المبرور سيفه الطاهر ثوبه العظيمة مصيبته فقال معاوية يا أحنف لقد تكلمت بما تكلمت وايم الله لتصعدن على المنبر فتلعنه طوعا أو كرها فقال له الاحنف يا أمير المؤمنين ان تعفنى فهو خير لك وان تجبرنى على ذلك فوالله لا تجرى شفتاى به أبدا فقال قم فاصعد قال أما والله لانصفنك فى القول والفعل قال وما أنت قائل ان أنصفتنى قال أصعد المنبر فأحمد الله وأثنى عليه وأصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ثم أقول أيها الناس ان أمير المؤمنين معاوية أمرنى ان ألعن عليا ألا وان معاوية

المريض وقال ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج فغمز أبو حنيفة أصحابه وقال قوموا فما لكم هنا من فرج انتهى * (ومن غرائب المنقول) أن يحيى بن اسحق كان طبيبا حاذقا صانعا بيده وكان فى صدر دولة عبد الرحمن الناصر لدين الله واستوزره نقل عنه من حذقه انه أتى اليه بدوى على حمار وهو يصيح على باب داره أدركونى وكلموا الوزير بخبرى فلما دخل عليه قال ما بالك قال ورم باحليلى منعنى النوم منذ أيام وأنا فى الموت فقال له اكشف عنه فاذا هو وارم فقال لرجل جاء معه أحضر لى حجرا أملس فطلبه فوجده فقال له ضع عليه الاحليل فلما تمكن احليل الرجل على الحجر جمع الوزير يده وضرب الاحليل ضربة غشى على الرجل منها ثم اندفع الصديد يجرى فلما انقطع جريان الصديد فتح الرجل عينيه ثم بال فى أثر ذلك فقال له اذهب فقد برأت علتك وأنت رجل عابث واقعت بهيمة فى دبرها فصادفت شعيرة من علفها ولجت فى عين الاحليل فورم لها وقد خرجت فى الصديد فقال له الرجل قد فعلت ذلك وهذا يدل على الحذق المفرط (ومثله) ان ابن جميع الاسرائيلى كان من الاطباء المشهورين والعلماء المذكورين خدم سلطان مصر صلاح الدين يوسف بن أيوب وحظى فى أيامه وكان رفيع المنزلة نافذ الامر * ومما نقل عنه فى حذقه أنه كان جالسا فى دكان وقد مرت عليه جنازة فلما نظر اليها صاح يا أهل الميت ان صاحبكم لم يمت ولا يحل أن تدفنوه حيا فقال بعضهم لبعض هذا الذى يقوله لا يضرنا ويتعين أن نمتحنه فان كان حيا فهو المراد

وعليا اقتتلا فاختلفا فادعى كل واحد منهما انه مبغي عليه وعلى فئته فاذا دعوت فأمنوا رحمكم الله ثم أقول اللهم العن أنت وملائكتك وأنبياؤك وجميع خلقك الباغي منهما على صاحبه والعن الفئة الباغية اللهم العنهم لعنا كثيرا أمنوا رحمكم الله يا معاوية لا أزيد على هذا ولا أنقص حرفا ولو كان فيه ذهاب روحي فقال معاوية اذا نعفيك يا أبا بحر * وقال معاوية لعقيل بن أبي طالب ان عليا قد قطعك وأنا وصلتك ولا يرضيني منك الا أن تلعنه على المنبر قال أفعل فصعد المنبر ثم قال بعد أن حمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم أيها الناس ان معاوية بن أبي سفيان قد أمرني ان ألعن علي بن أبي طالب فالعنوه فعليه لعنة الله ثم نزل فقال له معاوية انك لم تبين من لعنت منهما بينه فقال والله لا زدت حرفا ولا نقصت حرفا والكلام الى نية المتكلم ودخلت امرأة على هرون الرشيد وعنده جماعة من وجوه أصحابه فقالت يا أمير المؤمنين أقر الله عينك وفرحك بما آتاك وأتم سعدك لقد حكمت فقسطت فقال لها من تكونين أيتها المرأة فقالت من آل برمك ممن قتلت رجالهم وأخذت أموالهم وسلبت نوالهم فقال أما الرجال فقد مضى فيهم أمر الله ونفذ فيهم قدره وأما المال فمردود اليك ثم التفت الى الحاضرين من أصحابه فقال أتدرون ما قالت هذه المرأة فقالوا ما نراها قالت الا خيرا قال ما أظنكم فهمتم ذلك أما قولها أقر الله عينك أي أسكنها عن الحركة واذا اسكنت العين عن الحركة عميت وأما قولها وفرحك بما آتاك فأخذته من قوله تعالى حتى اذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة وأما قولها وأتم الله سعدك فأخذته من قول الشاعر

اذا تم أمر بدا نقصه * ترقب زوالا اذا قيل تم

وأما قولها لقد حكمت فقسطت فأخذته من قوله تعالى وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا فتعجبوا من ذلك (وحكى) أن بعضهم دخل على عدو من النصارى فقال له أطال الله بقاءك وأقر عينك وجعل يومي قبل يومك والله انه ليسرني ما يسرك فأحسن اليه وأجازه على دعائه وأمر له بصلة وكان ذلك دعاء عليه لان معنى قوله أطال الله بقاءك حصول منفعة المسلمين به في أداء الجزية وأما قوله وأقر عينك فمعناها اسكن الله حركتها أي أعماها وأما قوله وجعل يومي قبل يومك أي جعل الله يومي الذي أدخل فيه الجنة قبل يومك الذي تدخل فيه النار وأما قوله انه ليسرني ما يسرك فان العافية تسره كما تسر الآخرة فانظر الى الاشتراك وفائدته ولولا الاشتراك ما تهيأ التستر مراد ولا سلم له في التخلص قياد وكان حماد الراوية لا يقرأ القرآن فكلفه بعض الخلفاء القراءة في المصحف فصحف في نيف وعشرين موضعا من جملتها قوله تعالى وأوحى ربك الى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون بالغين المعجمة والسين المهملة وقوله ما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه بالباء الموحدة ليكون لهم عدوا وحزنا بالباء الموحدة وما يجحد بآياتنا الا كل ختار بالجيم والباء الموحدة هم أحسن أثاثا ورئيا بالزاي وترك الهمزة عذابي أصيب به من أشاء بالسين المهملة صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة بالنون والعين المهملة سلام عليكم لا نبتغي باسقاط التاء بل الذين كفروا في عزة وشقاق بالغين المعجمة والراء المهملة قرن الشقاق بالغرة وهذا لا يقع الا من الاذكياء (وحكى) أن المأمون ولى عاملا على بلاد وكان يعرف منه الجور في حكمه فارسل اليه رجلا من أرباب دولته ليمتحنه فلما قدم عليه أظهر له أنه قدم في تجارة لنفسه ولم يعلمه أن أمير المؤمنين عنده علم منه فأكرم نزله وأحسن اليه وسأله أن يكتب كتابا الى أمير المؤمنين المأمون يشكر سيرته عنده ليزداد فيه أمير المؤمنين رغبة فكتب كتابا فيه بعد الثناء على أمير المؤمنين أما بعد فقد قدمنا على فلان فوجدناه آخذا بالعزم عاملا بالحزم قد عدل بين رعيته وساوى في أقضيته أغنى القاصد وأرضى الوارد وأنزلهم منه منازل الاولاد وأذهب ما بينهم من الضغائن والاحقاد وعمر منهم المساجد الدائرة وأفرغهم من عمل الدنيا وشغلهم بعمل الآخرة وهم مع ذلك داعون لأمير المؤمنين يريدون النظر الى وجهه والسلام فكان معنى قوله آخذا بالعزم أي اذا عزم على ظلم أو جور فعله في الحال وقوله قد عدل بين رعيته وساوى في أقضيته أي أخذ كل ما معهم حتى ساوى بين الغني والفقير وقوله عمر منهم المساجد الدائرة وأفرغهم من عمل الدنيا وشغلهم بعمل الآخرة يعني أن الكل صار وا فقراء لا يملكون شيأ من الدنيا ومعنى قوله يريدون النظر الى وجه أمير المؤمنين أي ليشكوا حالهم وما نزل بهم فلما جاء الكتاب الى المأمون عزله عنهم لوقته وولى عليهم غيره (ومن ذلك ما حكي) أن القاضي الفاضل كان له صديق خصيص به وكان صديقه هذا قريبا من الملك الناصر صلاح الدين وكان فيه فضيلة تامة فوقع بينه وبين الملك أمر فغضب عليه

وان لم يكن حيا فما يتغير علينا شيء فاستدعوا اليهم وقالوا بين لنا ما قلت فأمرهم بالعود الى البيت وأن ينزعوا أكفانه فلما فرغوا من ذلك أدخله الحمام وسكب عليه الماء الحار وأحمى بدنه ونطله فظهر فيه أدنى حس وتحرك حركة خفيفة فقال أبشروا بعافيته ثم تمم علاجه الى أن أفاق وصاح فكان ذلك مبدأ اشتهاره بشدة الحذق والعلم ثم انه سئل بعد ذلك ومن أين علمت أن في ذلك الميت بقية روح وهو في الاكفان محمول فقال نظرت الى قدميه فوجدتهما قائمتين وأقدام الموتى منبسطة فحدست أنه حي وكان حدسي صائبا *(نادرة لطيفة)* قيل ان المنصور ابن أبي عامر الاندلسي كان اذا قصد غزاة عقد لواءه بجامع قرطبة ولم يسر الى الغزاة الا من الجامع فاتفق انه في بعض حركاته للغزاة توجه الى الجامع لعقد اللواء فاجتمع عنده القضاة والعلماء وأرباب الدولة فرفع حامل اللواء اللواء فصادف ثريا من قناديل الجامع فانكسرت على اللواء وتبدد عليه الزيت فتطير الحاضرون من ذلك وتغير وجه المنصور فقال رجل أبشر يا أمير المؤمنين بغزاة هينة وغنيمة سارة فقد بلغت أعلامك الثريا وسقاها الله من شجرة مباركة فاستحسن المنصور ذلك واستبشر به وكانت الغزوة من أبرك الغزوات (ومثل هذا) لما خرج المنصور العباسي الى قتال أبي يزيد الخارجي في جماعة من الاولياء وواجها الحصن سقط الرمح من يده فأخذه بعض الاولياء فمسحه وقال

فألقت عصاها واستقر بها النوى * كما قر عينا بالاياب المسافر

قال فضحك المنصور وقال لم لا قلت فألقى موسى عصاه فقال يا أمير المؤمنين العبد تكلم بما عنده من

وهم بقتله فتسحب الى بلاد التتر وتوصل الى ان صار وزيرا عندهم وصار يعرف التتر كيف يتوصل الى الملك الناصر بما يؤذيه فلما بلغه ذلك نفر منه وقال للفاضل اكتب اليه كتابا عرفه فيه انني أرضى عليه واستعطفه غاية الاستعطاف الى أن يحضر فاذا احضر قتلته واسترحت منه فتحير الفاضل بين الاثنين صديقه يعز عليه والملك لا يمكنه مخالفته فكتب اليه كتابا واستعطفه غاية الاستعطاف ووعده بكل خير من الملك فلما انتهى الكتاب ختمه بالحمدلة والصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم وكتب ان شاء الله تعالى كما جرت به العادة في الكتب فشدد ان ثم أوقف الملك على الكتاب قبل ختمه فقرأه في غاية الكمال وما فهم ان وكان قصد الفاضل ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فلما وصل الكتاب الى الرجل فهمه وكتب جوابه بانه سيحضر عاجلا فلما أراد أن ينهي الكتاب ويكتب ان شاء الله تعالى مد النون وجعل في آخرها ألفا وأراد بذلك انا لن ندخلها أبدا ما داموا فيها فلما وصل الكتاب الى الفاضل فهم الاشارة ثم أوقف الملك على الجواب بخطه ففرح بذلك (وحكى) أن بعض الملوك طلع يوما الى أعلى قصره يتفرج فلاحت منه التفاتة فرأى امرأة على سطح دار الى جانب قصره لم ير الراؤن أحسن منها فالتفت الى بعض جواريه فقال لها لمن هذه فقالت يا مولاي هذه زوجة غلامك فيروز قال فنزل الملك وقد خامره حبها وشغف بها فاستدعى بفيروز وقال له يا فيروز قال لبيك يا مولاي قال خذ هذا الكتاب وامض به الى البلد الفلانية وائتني بالجواب فأخذ فيروز الجواب وتوجه الى منزله فوضع الكتاب تحت رأسه وجهز أمره وبات ليلته فلما أصبح ودع أهله وسار طالبا لحاجة الملك ولم يعلم بما قد دبره الملك وأما الملك فانه لما توجه فيروز قام مسرعا وتوجه مختفيا الى دار فيروز فقرع الباب قرعا خفيفا فقالت امرأة فيروز من بالباب قال أنا الملك سيد زوجك ففتحت له فدخل وجلس فقالت له أرى مولانا اليوم عندنا فقال زائرا فقالت أعوذ بالله من هذه الزيارة وما أظن فيها خيرا فقال لها ويحك انني أنا الملك سيد زوجك وما أظنك عرفتيني فقالت بل عرفتك يا مولاي ولقد علمت انك الملك ولكن سبقتك الأوائل في قولهم

سأترك ماءكم من غير ورد * وذاك لكثرة الوراد فيه
اذا سقط الذباب على طعام * رفعت يدي ونفسي تشتهيه
وتجتنب الأسود ورود ماء * اذا كان الكلاب ولغن فيه
ويرتجع الكريم خميص بطن * ولا يرضى مساهمة السفيه

وما أحسن يا مولاي قول الشاعر

قل للذي شفه الغرام بنا * وصاحب الغدر غير مصحوب
والله لا قال قائل أبدا * قد أكل الليث فضلة الذيب

ثم قالت أيها الملك تأتي الى موضع شرب كلبك تشرب منه قال فاستحيا الملك من كلامها وخرج وتركها فنسي نعله في الدار هذا ما كان من الملك * وأما ما كان من فيروز فانه لما خرج وسار تفقد الكتاب فلم يجده معه في رأسه فتذكر أنه نسيه تحت فراشه فرجع الى داره فوافق وصوله عقب خروج الملك من داره فوجد نعل الملك في الدار فطاش عقله وعلم أن الملك لم يرسله في هذه السفرة الا لأمر يفعله فسكت ولم يبد كلاما وأخذ الكتاب وسار الى حاجة الملك فقضاها ثم عاد اليه فأنعم عليه بمائة دينار فمضى فيروز الى السوق واشترى ما يليق بالنساء وهيأ هدية حسنة وأتى الى زوجته فسلم عليها وقال لها قومي الى زيارة بيت أبيك قالت وما ذاك قال ان الملك أنعم علينا وأريد أن تظهري لأهلك ذلك قالت حبا وكرامة ثم قامت من ساعتها وتوجهت الى بيت أبيها ففرحوا بها وبما جاءت به معها فأقامت عند أهلها مدة شهر فلم يذكرها زوجها ولا ألم بها فأتى اليه أخوها وقال له يا فيروز اما ان تخبرنا بسبب غضبك واما أن تحاكمنا الى الملك فقال ان شئتم الحكم فافعلوا فما تركت لها على حقا فطلبوه الى الحكم فأتى معهم وكان القاضي اذ ذاك عند الملك جالسا الى جانبه فقال أخو الصبية أيد الله مولانا قاضي القضاة اني أجرت هذا الغلام بستانا سالم الحيطان ببئر ماء معين عامرة وأشجار مثمرة فأكل ثمره وهدم حيطانه وأخرب بئره فالتفت القاضي الى فيروز وقال له ما تقول يا غلام فقال فيروز أيها القاضي قد تسلمت هذا البستان وسلمته اليه أحسن ما كان فقال القاضي هل سلم اليك البستان كما كان قال نعم ولكن أريد منه السبب لرده قال القاضي ما قولك قال والله يا مولاي ما رددت البستان كراهة فيه وانما جئت يوما من الأيام فوجدت فيه أثر الأسد فخفت أن يغتالني فحرمت دخول البستان اكراما للأسد قال وكان الملك متكئا فاستوى جالسا وقال يا فيروز ارجع الى بستانك آمنا مطمئنا فوالله ان الأسد دخل البستان ولم يؤثر فيه أثرا ولا التمس منه ورقا ولا ثمرا ولا

اشارات المتأدبين وتكلم أمير المؤمنين بما أنزل على النبي من كلام رب العالمين فكان الأمر على ما ذكره وأخذ الماصن وحصل الظفر بأبي يزيد (حكى) ان الشيخ شهاب الدين بن محمود قال عدت قاضي القضاة شمس الدين بن خلكان في دمشق بالمدرسة النجيبية سنة احدى وثمانين وستمائة فأنشدني لبعض أهل الأدب في نقيب الأشراف بالمدائن رثاء خلب قلبي وهو يقول

قد قلت للرجل المولى غسله
هلا أطاع وكنت من نصحائه
جنبه ماءك ثم غسله بما
اذرت عيون المجد عند بكائه
وأزل أناويه الحنوط ونحها
عنه وحنطه بطيب ثنائه
ومر الملائكة الكرام بنقله
شرفا ألست تراهم بازائه
لا توه أعناق الرجال بحمله
يكفي الذي حملوه من نعمائه

قال الشيخ شهاب الدين فوقع في نفسي انه أحق الناس بهذا الرثاء وانه نعى نفسه فمات في ذلك الأسبوع برد الله مضجعه * نكتة لطيفة * قيل انه لما رجع الشيخ شهاب الدين السهروردي رحمه الله من الشام الى بغداد وجلس على عادته أخذ يقلل أحوال الناس ويهضم جانب الرجال ويقول انه ما بقي من يجاري وقد خلت الدنيا وأنشد

ما في الصحاب أخو وجد نطارحه
حديث نجد ولا خل نجاريه

فصاح من أطراف المجلس رجل عليه قباء وكلوتة فقال يا شيخ كم تنتقص بالقوم والله ان فيهم من لم يرض أن يجاريك وقصاراك أن تفهم ما يقول هلا قلت

ما في الصحاب وقد سارت حمولهم
الا محب له في الركب محبوب
كأنما يوسف في كل راحلة

شيأ ولم يلبث فيه غير لحظة يسيرة وخرج من غير بأس ووالله ما رأيت مثل بستانك ولا أشد احترازا من حيطانه على شجره قال فرجع فيروز الى داره وورد زوجته ولم يعلم القاضي ولا غيره بشيء من ذلك والله أعلم * وهذا كله مما يأتي به الانسان من غرائب الكنايات الواردة على سبيل الرمز ومنه ما يجده المتستر في أمره من الراحة في كتمان حاله مع لزوم الصدق ورضا الخصم بما وافق مراده لأن في المعاريض مندوحة عن الكذب كما روى في غزوة بدر ان النبي صلى الله عليه وسلم كان سائرا بأصحابه يقصد بدرا فلقيهم رجل من العرب فقال ممن القوم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم من ماء فأخذ ذلك الرجل يفكر ويقول من ماء من ماء يرددها لينظر أي العرب يقال لهم ماء فسار النبي صلى الله عليه وسلم بأصحابه لوجهته وكان قصده أن يكتم أمره وقد صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله فان الله عز وجل قال فلينظر الانسان مم خلق خلق من ماء دافق وكما روى عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال للكافر الذي سأله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقت ذهابهما الى الغار هو رجل يهديني السبيل وقد صدق فيما قال رضي الله عنه فقد هداه وهدانا السبيل ولا سبيل أوضح ولا أقوم من الاسلام وكما حكى عن الامام الشافعي رضي الله عنه أنه لما سأله بعض المعتزلة بحضرة الرشيد ما تقول في القرآن فقال الشافعي اياي تعني قال نعم قال مخلوق فرضي خصمه منه بذلك ولم يرد الشافعي الا نفسه وكما حكى عن ابن الجوزي رحمه الله تعالى أنه سئل وهو على المنبر وتحته جماعة من مماليك الخليفة وخاصته وهم فريقان قوم سنية وقوم شيعية فقيل له من أفضل الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر أم علي رضي الله عنهما فقال أفضلهما بعده من كانت ابنته تحته فارضى الفريقين ولم يرد الا أبا بكر رضي الله عنه لان الضمير في ابنته يعود الى أبي بكر رضي الله عنه وهي عائشة رضي الله عنها وكانت تحت رسول الله صلى الله عليه وسلم والشيعة ظنوا أن الضمير في ابنته يعود الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي فاطمة رضي الله عنها وكانت تحت علي رضي الله عنه فهذه منه جيدة حسنة وكلمة بانت بحفون الفريقين منها وسنة والله أعلم

﴿الفصل الثالث في ذكر الفصحاء من الرجال﴾ دخل الحسن بن الفضل على بعض الخلفاء وعنده كثير من أهل العلم فأحب الحسن أن يتكلم فزجره وقال يا صبي تتكلم في هذا المقام فقال يا أمير المؤمنين ان كنت صبيا فلست بأصغر من هدهد سليمان ولا أنت بأكبر من سليمان عليه السلام حين قال أحطت بما لم تحط به وقال ألم تر أن الله فهم الحكم سليمان ولو كان الامر بالكبر لكان داود أولى (ولما) أفضت الخلافة الى عمر بن عبد العزيز أتته الوفود فاذا فيهم وفد الحجاز فنظر الى صبي صغير السن وقد أراد أن يتكلم فقال ليتكلم من هو أسن منك فانه أحق بالكلام منك فقال الصبي يا أمير المؤمنين لو كان القول كما تقول لكان في مجلسك هذا من هو أحق به منك قال صدقت فتكلم فقال يا أمير المؤمنين انا قدمنا عليك من بلد نحمد الله الذي من علينا بك ما قدمنا عليك رغبة منا ولا رهبة منك أما عدم الرغبة فقد أمنا بك في منازلنا وأما عدم الرهبة فقد أمنا جورك بعدلك فنحن وفد الشكر والسلام فقال له عمر رضي الله عنه عظني يا غلام فقال يا أمير المؤمنين ان أناسا غرهم حلم الله وثناء الناس عليهم فلا تكن ممن يغره حلم الله وثناء الناس عليه فتزل قدمك وتكون من الذين قال الله فيهم ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون فنظر عمر في سن الغلام فاذا له اثنتا عشرة سنة فأنشدهم عمر رضي الله عنه

تعلم فليس المرء يولد عالما * وليس أخو علم كمن هو جاهل
فان كبير القوم لا علم عنده * صغير اذا التفت عليه المحافل

﴿وحكى﴾ ان البادية قحطت في أيام هشام فقدمت عليه العرب فهابوا أن يكلموه وكان فيهم درواس بن حبيب وهو ابن ست عشرة سنة له ذؤابة وعليه شملتان فوقعت عليه عين هشام فقال لحاجبه ما شاء أحد أن يدخل علي الا دخل حتى الصبيان فوثب درواس حتى وقف بين يديه مطرقا فقال يا أمير المؤمنين ان للكلام نشرا وطيا وانه لا يعرف ما في طيه الا بنشره فان أذن لي أمير المؤمنين أن أنشره نشرته فأعجبه كلامه وقال أنشره لله درك فقال يا أمير المؤمنين انه أصابتنا سنون ثلاث سنة أذابت الشحم وسنة أكلت اللحم وسنة دقت العظم وفي أيديكم فضول مال فان كانت لله ففرقوها على عباده وان كانت لهم فعلام تحبسونها عنهم وان كانت لكم فتصدقوا بها عليهم فان الله يجزي المتصدقين فقال هشام ما ترك الغلام لنا في واحدة من الثلاث عذرا فأمر للبوادي بمائة ألف دينار وله بمائة ألف درهم ثم قال له ألك حاجة قال ما لي حاجة في خاصة نفسي دون

والحى في كل بيت منه يعقوبا

فصاح السهروردي ونزل عن الكرسي وطلب الشاب فلم يجده ﴿حكى﴾ عن ابن المطرزي الشاعر أنه مر وفي رجله نعل بالية بالشريف الرضي فأمر باحضاره وقال أنشدني أبياتك التي تقول فيها

اذا لم تبلغني اليك ركائبي * فلا وردت ماء ولا رعت العشبا

فأنشده اياها فلما انتهى الى هذا البيت أشار الى نعله البالية وقال هذه كانت ركائبك فأطرق ابن المطرزي ساعة ثم قال لما عادت هبات مولانا الشريف الى مثل قوله

وخذ النوم من جفوني فاني * قد خلعت الكرى على العشاق

عادت ركائبي الى مثل ما ترى لانك خلعت ما لا تملك على من لا يقبل فخجل الشريف وقابله بما يليق من الاكرام ﴿قلت﴾ وأما الأجوبة الهاشمية وبلاغتها فهي في المحل الارفع ﴿فمن ذلك﴾ أنه اجتمع عند معاوية عمرو بن العاص والوليد بن عقبة وعتبة بن أبي سفيان والمغيرة ابن شعبة فقالوا يا أمير المؤمنين ابعث لنا الى الحسن بن علي فقال لهم فيم فقالوا كي نوبخه ونعرفه ان أباه قتل عثمان فقال لهم انكم لا تنتصفون منه ولا تقولون شيأ الا كذبكم الناس ولا يقول لكم شيأ ببلاغته الا صدقه الناس فقالوا أرسل اليه فانا سنكفيك أمره فأرسل اليه معاوية فلما حضر قال يا حسن اني لم أرسل اليك ولكن هؤلاء أرسلوا اليك فاسمع مقالتهم وأجب ولا تحرمني فقال الحسن عليه السلام فليتكلموا ونسمع فقام عمرو بن العاص فحمد الله وأثنى عليه ثم قال هل تعلم يا حسن ان أباك أول من أثار الفتنة وطلب الملك فكيف رأيت صنع الله به ثم قام الوليد بن عقبة بن أبي معيط فحمد الله وأثنى عليه ثم قال يا بني هاشم كنتم أصهار

عامة المسلمين فخرج من عنده وهو من أجل القوم (وقيل) ان سعد بن ضمرة الأسدي لم يزل يغير على النعمان ابن المنذر يستلب أمواله حتى عيل صبره فبعث اليه يقول ان لك عندي ألف ناقة على أنك تدخل في طاعتي فوفد عليه وكان صغير الجثة فاقتحمته عينه وتنقصه فقال مهلا أيها الملك ان الرجال ليسوا بعظم أجسامهم وانما المرء بأصغريه قلبه ولسانه ان نطق نطق ببيان وان صال صال بجنان ثم أنشأ يقول

يا أيها الملك المرجو نائله * انى امرؤ معشر شم الذرى زهر
فلا تغرنك الأجسام ان لنا * أحلام عاد وان كنا الى قصر
فكم طويل اذا أبصرت جثته * تقول هذا غداة الروع ذو ظفر
وان ألم به أمر فافظعه * رأيته خاذلا بالأهل والزمر

فقال صدقت فهل لك علم بالامور قال انى لأنقض منها المفتول وأبرم منها المحلول وأجيلها حتى تجول ثم أنظر فيها الى ما تؤول وليس للدهر بصاحب من لا ينظر في العواقب قال فتعجب النعمان من فصاحته وعقله ثم أمر له بألف ناقة وقال له يا سعد ان أقمت واسيناك وان رحلت وصلناك فقال قرب الملك أحب الي من الدنيا وما فيها فأنعم عليه وأدناه وجعله من أخص ندمائه ﴿وحكى﴾ ان هرقل ملك الروم كتب الى معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه يسأله عن الشيء ولا شيء وعن دين لا يقبل الله غيره وعن مفتاح الصلاة وعن غرس الجنة وعن صلاة كل شيء وعن أربعة فيهم الروح ولم يركضوا في أصلاب الرجال وأرحام النساء وعن رجل لا أب له وعن رجل لا أم له وعن قبر جرى بصاحبه وعن قوس قزح ما هو وعن بقعة طلعت عليها الشمس مرة واحدة ولم تطلع عليها قبلها ولا بعدها وعن ظاعن ظعن مرة واحدة ولم يظعن قبلها ولا بعدها وعن شجرة نبتت من غير ماء وعن شيء تنفس ولا روح له وعن اليوم وأمس وغد وبعد غد وعن البرق والرعد وصوته وعن المحو الذي في القمر فقيل لمعاوية لست هناك ومتى أخطأت في شيء من ذلك سقطت من عينه فاكتب الى ابن عباس يخبرك عن هذه المسائل فكتب اليه فأجابه أما الشيء فالماء قال الله تعالى وجعلنا من الماء كل شيء حي وأما لا شيء فانها الدنيا تبيد وتفنى وأما دين لا يقبل الله غيره فلا اله الا الله وأما مفتاح الصلاة فالله أكبر وأما غرس الجنة فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وأما صلاة كل شيء فسبحان الله وبحمده وأما الأربعة الذين فيهم الروح ولم يركضوا في أصلاب الرجال وأرحام النساء فآدم وحواء وناقة صالح وكبش اسمعيل وأما الرجل الذي لا أب له فالمسيح وأما الرجل الذي لا أم له فآدم عليه السلام وأما القبر الذي جرى بصاحبه فحوت يونس عليه السلام سار به في البحر وأما قوس قزح فأمان من الله لعباده من الغرق وأما البقعة التي طلعت عليها الشمس مرة واحدة فبطن البحر حين انفلق لبني اسرائيل وأما الظاعن الذي ظعن مرة ولم يظعن قبلها ولا بعدها فجبل طور سيناء كان بينه وبين الارض المقدسة أربع ليال فلما عصت بنو اسرائيل أطاره الله تعالى بجناحين فنادى مناد ان قبلتم التوراة كشفته عنكم والا القيته عليكم فأخذوا التوراة معذرين فرده الله تعالى الى موضعه فذلك قوله تعالى واذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة وظنوا أنه واقع بهم الآية وأما الشجرة التي نبتت من غير ماء فشجرة اليقطين التي أنبتها الله تعالى على يونس عليه السلام وأما الشيء الذي تنفس بلا روح فالصبح قال الله تعالى والصبح اذا تنفس وأما اليوم فعمل وأمس فمثل وغد فأجل وبعد غد فأمل وأما البرق فمخاريق بأيدي الملائكة تضرب بها السحاب وأما الرعد فاسم الملك الذي يسوق السحاب وصوته زجره وأما المحو الذي في القمر فقول الله تعالى وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة ولولا ذلك المحو لم يعرف الليل من النهار ولا النهار من الليل * ودعا بعض البلغاء لصديق له فقال تمم الله عليك ما أنت فيه وحقق ظنك فيما ترجوه وتفضل عليك بما لم تحتسبه ﴿وحكى﴾ أن الحجاج سأل يوما الغضبان بن القبعثري عن مسائل يمتحنه فيها من جملتها أن قال له من أكرم الناس قال أفقههم في الدين وأصدقهم لليمين وأبذلهم للمسلمين وأكرمهم للمهانين وأطعمهم للمساكين قال فمن ألأم الناس قال المعطي على الهوان المقتر على الاخوان الكثير الالوان قال فمن شر الناس قال أطولهم جفوة وأدومهم صبوة وأكثرهم خلوة وأشدهم قسوة قال فمن أشجع الناس قال أضربهم بالسيف وأقراهم للضيف وأتركهم للحيف قال فمن أجبن الناس قال المتأخر عن الصفوف المنقبض عن الزحوف المرتعش عند الوقوف المحب ظلال السقوف الكاره لضرب السيوف قال فمن أثقل الناس قال المتفنن في الملام

عثمان بن عفان فنعم الصهر كان يفضلكم و يقربكم ثم بغيتم عليه فقتلتموه ولقد أردنا يا حسن قتل أبيك فأنقذنا الله منه ولو قتلناه بعثمان ما كان علينا من الله ذنب ثم قام عتبة فقال تعلم يا حسن ان أباك بغى على عثمان فقتله حسدا على الملك والدنيا فسلبها ولقد أردنا قتل أبيك حتى قتله الله تعالى ثم قام المغيرة بن شعبة فكان كلامه كله سبا لعلي وتعظيما لعثمان فقام الحسن عليه السلام فحمد الله تعالى وأثنى عليه وقال بك أبدأ يا معاوية لم يشتمني هؤلاء ولكن أنت تشتمني بغضا وعداوة وخلافا لجدي صلى الله عليه وسلم ثم التفت الى الناس وقال أنشدكم الله أتعلمون أن الرجل الذي شتمه هؤلاء كان أول من آمن بالله وصلى للقبلتين وأنت يا معاوية يومئذ كافر تشرك بالله وكان معه لواء النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر ومع معاوية وأبيه لواء المشركين ثم قال وأنشدكم الله والاسلام أتعلمون أن معاوية كان يكتب الرسائل لجدي صلى الله عليه وسلم فأرسل اليه يوما فرجع الرسول وقال هو يأكل فرد الرسول اليه ثلاث مرات كل ذلك وهو يقول هو يأكل فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا أشبع الله بطنه أما تعرف ذلك في بطنك يا معاوية ثم قال وأنشدكم الله أتعلمون ان معاوية كان يقود بأبيه على جمل وأخوه هذا يسوقه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن الله الجمل وقائده وراكبه وسائقه هذا كله لك يا معاوية وأما أنت يا عمرو فتنازع فيك خمسة من قريش فغلب عليك شبه ألأمهم حسبا وشرهم منصبا ثم قمت وسط قريش فقلت اني شانئ محمدا فأنزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم ان شانئك هو الابتر ثم هجوت محمدا صلى الله

الضنين بالسلام. المهذار في الكلام المقبقب على الطعام قال فمن خير الناس قال أكثرهم احسانا وأقومهم ميزانا وأدومهم غفرانا وأوسعهم ميدانا قال لله أبوك فكيف يعرف الرجل الغريب أحسيب هو أم غير حسيب قال أصلح الله الأمير ان الرجل الحسيب يدلك أدبه وعقله وشمائله وعزة نفسه وكثرة احتماله وبشاشته وحسن مداراته على أصله فالعاقل البصير بالاحساب يعرف شمائله والنذل الجاهل يجهله فمثله كمثل الدرة اذا وقعت عند من لا يعرفها ازدراها واذا نظر اليها العقلاء عرفوها وأكرموها فهي عندهم لمعرفتهم بها حسنة نفيسة فقال الحجاج لله أبوك فما العاقل والجاهل قال أصلح الله الأمير العاقل الذي لا يتكلم هذرا ولا ينظر شزرا ولا يضمر غدرا ولا يطلب عذرا والجاهل هو المهذار في كلامه المنان بطعامه الضنين بسلامه. المتطاول على امامه الفاحش على غلامه قال لله أبوك فما الحازم الكيس قال المقبل على شأنه التارك لما لا يعنيه قال فما العاجز قال المعجب بآرائه الملتفت الى ورائه قال هل عندك من النساء خبر قال أصلح الله الأمير اني بشأنهن خبير ان شاء الله تعالى ان النساء من أمهات الأولاد بمنزلة الاضلاع ان عدلتها انكسرت ولهن جوهر لا يصلح الا على المداراة فمن داراهن انتفع بهن وقرت عينه ومن شاورهن كدرن عيشه وتكدرت عليه حياته وتنغصت لذاته فأكرمهن أعفهن وأفخر أحسابهن العفة فاذا زلن عنها فهن أنتن من الجيفة فقال له الحجاج يا غضبان اني موجهك الى ابن الأشعث وافدا فماذا أنت قائل له قال أصلح الله الأمير أقول ما يرديه ويؤذيه ويضنيه فقال اني أظنك لا تقول له ما قلت وكأني بصوت جلاجلك يجلجل في قصري هذا قال كلا أصلح الله الأمير سأحدده لساني وأجريه في ميداني قال فعند ذلك أمره بالسير الى كرمان فلما توجه الى ابن الأشعث وهو على كرمان بعث الحجاج عينا عليه أي جاسوسا وكان يفعل ذلك مع جميع رسله فلما قدم الغضبان على ابن الاشعث قال له ان الحجاج قد هم بخلعك وعزلك فخذ حذرك وتغد به قبل أن يتعشى بك فأخذ حذره عند ذلك ثم أمر للغضبان بجائزة سنية وخلع فاخرة فأخذها وانصرف راجعا فأتى الى رملة كرمان في شدة الحر والقيظ وهي رملة شديدة الرمضاء فضرب قبته فيها وحط عن رواحله فبينما هو كذلك اذا باعرابي من بني بكر بن وائل قد أقبل على بعير قاصدا نحوه وقد اشتد الحر وحميت الغزالة وقت الظهر وقد ظمئ ظمأ شديدا فقال السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقال الغضبان هذه سنة وردها فريضة قد فاز قائلها وخسر تاركها ما حاجتك يا اعرابي قال أصابتني الرمضاء وشدة الحر والظمأ فتيممت قبتك أرجو بركتها قال الغضبان فهلا تيممت قبة أكبر من هذه وأعظم قال أيتهن تعني قال قبة الأمير ابن الأشعث قال تلك لا يوصل اليها قال ان هذه أمنع منها فقال الاعرابي ما اسمك يا عبد الله قال آخذ فقال وما تعطي قال أكره أن يكون لي اسمان قال بالله من أين أنت قال من الأرض قال فأين تريد قال أمشي في مناكبها فقال الاعرابي وهو يرفع رجلا ويضع أخرى من شدة الحر أتقرض الشعر قال انما يقرض الفار فقال أفتسجع قال انما تسجع الحمامة فقال يا هذا ائذن لي أن أدخل قبتك قال خلفك أوسع لك فقال قد أحرقني حر الشمس قال مالي عليها من سلطان فقال الرمضاء أحرقت قدمي قال بل عليها تبرد فقال اني لا أريد طعامك ولا شرابك قال لا تتعرض لما لا تصل اليه ولو تلفت روحك فقال الاعرابي سبحان الله قال نعم من قبل أن تطلع أضراسك فقال الاعرابي ما عندك غير هذا قال بلى هراوة أضرب بها رأسك فاستغاث الاعرابي يا جار بني كعب قال الغضبان بئس الشيخ أنت فوالله ما ظلمك أحد فتستغيث فقال الاعرابي ما رأيت رجلا أقسى منك أتيتك مستغيثا فحجبتني وطردتني هلا أدخلتني قبتك وطارحتني القريض قال مالي بمحادثتك من حاجة فقال الاعرابي بالله ما اسمك ومن أنت فقال أنا الغضبان بن القبعثري فقال اسمان منكران خلقا من غضب قال قف متوكئا على باب قبتي برجلك هذه العوجاء فقال قطعها الله ان لم تكن خيرا من رجلك هذه الشنعاء قال الغضبان لو كنت حاكما لجرت في حكومتك لان رجلي في الظل قاعدة ورجلك في الرمضاء قائمة فقال الاعرابي اني لأظنك حروريا قال اللهم اجعلني ممن يتحرى الخير ويريده فقال اني لأظن عنصرك فاسدا قال ما أقدرني على اصلاحه فقال الاعرابي لا أرضاك الله ولا حياك ثم ولى وهو يقول

لا بارك الله في قوم تسودهم * اني أظنك والرحمن شيطانا

أتيت قبته أرجو ضيافته * فأظهر الشيخ ذو القرنين حرمانا

عليه وسلم بثلاثين بيتا من الشعر فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اني لا أحسن الشعر ولكن العن عمرو بن العاص بكل بيت لعنة ثم انطلقت الى النجاشي بما علمت وعملت فأكذبك الله وردك خائبا فأنت عدو بني هاشم في الجاهلية والاسلام فلم نلمك على بغضك وأما أنت يا ابن أبي معيط فكيف ألومك على سبك لعلي وقد جلد ظهرك في الخمر ثمانين سوطا وقتل أباك صبرا بأمر جدي وقتله جدي بأمر ربي ولما قدمه للقتل قال من للصبية يا محمد فقال لهم النار فلم يكن لكم عند النبي الا النار ولم يكن لكم عند علي غير السيف والسوط وأما أنت يا عتبة فكيف تعد أحدا بالقتل لم لا قتلت الذي وجدته في فراشك مضاجعا لزوجتك ثم أمسكتها بعد ان بغت وأما أنت يا أعور ثقيف ففي أي ثلاث تسب عليا أفي بعده من رسول الله صلى الله عليه وسلم أم في حكم جائر أم في رغبة في الدنيا فان قلت شيأ من ذلك فقد كذبت وأكذبك الناس وان زعمت ان عليا قتل عثمان فقد كذبت وأكذبك الناس وأما وعيدك فانما مثلك كمثل بعوضة وقفت على نخلة فقالت لها استمسكي فاني أريد ان أطير فقالت لها النخلة ما علمت بوقوفك فكيف يشق على طيرانك وأنت فما شعرنا بعداوتك فكيف يشق علينا سبك ثم نفض ثيابه وقام فقال لهم معاوية ألم أقل لكم انكم لا تنتصفون منه فوالله لقد أظلم على البيت حتى قام فليس فيكم بعد اليوم خير انتهى ﴿ومن غريب النقل﴾ ان شريك بن الاعور دخل على معاوية وهو يختال في مشيته فقال له معاوية والله انك لشريك وليس لله من شريك وانك ابن الاعور والصحيح خير من الاعور وانك لدميم

فلما قدم الغضبان على الحجاج وقد بلغه الجاسوس ما جرى بينه وبين ابن الاشعث وبين الاعرابى قال له الحجاج ياغضبان كيف وجدت أرض كرمان قال أصلح الله الامير أرض يابسة الجيش بها ضعاف هزلاء ان كثروا جاعوا وان قلوا ضاعوا فقال له الحجاج ألست صاحب الكلمة التى بلغتنى انك قلت لابن الاشعث تغد بالحجاج قبل أن يتعشى بك فوالله لاحبسنك عن الوساد ولانزلنك عن الجياد ولاشهرنك فى البلاد قال الامان أيها الامير فوالله ماضرت من قيلت فيه ولا نفعت من قيلت له فقال له ألم أقل لك كانى بصوت جلاجلك تجلجل فى قصرى هذا اذهبوا به الى السجن فذهبوا به فقيد وسجن فمكث ماشاء الله ثم ان الحجاج ابتنى الخضراء بواسط فاعجب بها فقال لمن حوله كيف ترون قبتى هذه وبناءها فقالوا أيها الامير انها حصينة مباركة منيعة نضرة بهجة قليل عيبها كثير خيرها قال لم لم تخبرونى بنصح قالوا لا يصفها لك الا الغضبان فبعث الى الغضبان فأحضره وقال له كيف ترى قبتى هذه وبناءها قال أصلح الله الامير بنيتها فى غير بلدك لالك ولا لولدك لاتدوم لك ولا يسكنها وارثك ولا تبقى لك وما أنت لها بباق فقال الحجاج قد صدق الغضبان ردوه الى السجن فلما حملوه قال سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين فقال أنزلوه فلما أنزلوه قال رب أنزلنى منزلا مباركا وأنت خير المنزلين فقال اضربوا به الارض فلما ضرب به الارض قال منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى فقال جروه فأقبلوا يجرونه وهو يقول بسم الله مجراها ومرساها ان ربى لغفور رحيم فقال الحجاج ويلكم اتركوه فقد غلبنى دهاء وخبثا ثم عفا عنه وأنعم عليه وخلى سبيله (وحدث) الزبير قال دخل محمد بن عبد الملك بن صالح على المأمون وقد كانت ضياعهم أخذت فقال السلام عليك يا أمير المؤمنين محمد بن عبد الملك بين يديك سليل نعمتك وغصن من أغصان دوحتك أتأذن لى فى الكلام فقال تكلم فقال الحمد لله رب العالمين ولا اله الا الله رب العرش العظيم وصلى الله والملائكة على محمد خاتم النبيين ونستمتع الله لحياطة ديننا ودنيانا ورعاية أدنانا وأقصانا ببقائك يا أمير المؤمنين ونسأل الله أن يمد فى عمرك من أعمارنا وأن يقيك الاذى بأسماعنا وأبصارنا فان الحق لاتعفو آثاره ولا ينهدم مناره ولا ينبت حبله ولا يزول مادمت بين الله وبين عباده والامين على بلاده يا أمير المؤمنين هذا المقام مقام العائذ بظلك الهارب الى كنفك الفقير الى رحمتك وعدلك من تعاود النوائب وسهام المصائب وكلب الدهر وذهاب النعمة وفى نظر أمير المؤمنين ما يفرج كربة المكروب ويبرد غليل القلوب وقد نفذ أمر أمير المؤمنين فى الضياع التى أفادتناها نعم آبائه الطيبين ونوافل أسلافه الطاهرين الراشدين وقد قمت مقامى هذا متوسلا اليك بآبائك الطيبين وبالرشيد خير الهداة الراشدين والمهدى ناصر المسلمين والمنصور منكل الظالمين ومحمد خير المحمدين بعد خاتم النبيين مزدلفا اليك بالطاعة التى أفرع عليها غصنى واحتنكت بها سنى وريش بها جناحى متعوذا من شماتة الاعداء وحلول البلاء ومفارقة الشدة بعد الرخاء يا أمير المؤمنين قد مضى جدك المنصور وعمك صالح بن على جدى وبينهما من الرضاع والنسب ما علمه أمير المؤمنين وعرفه وقد أثبت الله الحق فى نصابه وأقره فى داره وأربابه يا أمير المؤمنين ان الدهر ذو اغتيال وقد يقلب حالا بعد حال فارحم يا أمير المؤمنين الصبية الصغار والعجائز الكبار الذين سقاهم الدهر كدرا بعد صفو ومرا بعد حلو وهبنا نعم آبائك اللاتى غذتنا صغارا وكبارا وشبابا واشياخا وأمشاجا فى الاصلاب ونطفا فى الارحام وقدمنا فى القرابة حيث قدمنا الله منك فى الرحم فان رقابنا قد ذلت لسخطك ووجوهنا قد عنت لطاعتك فأقلنا عثرتنا يا أمير المؤمنين ان الله قد سهل بك الوعور وجلا بك الديجور وملأ من خوفك القلوب والصدور بك يردع الفاسق ويقمع بك المنافق فارتبط نعم الله عندك بالعفو والاحسان فان كل راع مسؤل عن رعيته وان النعم لا ينقطع المزيد فيها حتى ينقطع الشكر عليها يا أمير المؤمنين انه لاعفو أعظم من عفو امام قادر عن مذنب عاثر وقد قال الله جل ثناؤه وتعالت قدرته وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم أحاط الله أمير المؤمنين بستره الوافى ومنعه الكافى ثم أنشد يقول

أمير المؤمنين أتاك ركب * لهم قربى وليس لهم تلاد * هم الصدر المقدم من قريش
وأنت الرأس تتبعك العباد * لقد طابت بك الدنيا ولذت * وأرجو أن يطيب بك المعاد
فكيف تنالكم لحظات عين * وكيف يقل سوددك البلاد

والوسيم خير من الدميم فيم سودك قومك فقال له شريك والله انك لمعاوية وما معاوية الا كلبة عوت فاستعوت فسميت معاوية وانك ابن حرب والسلم خير من الحرب وانك ابن صخر والسهل خير من الصخر وانك ابن أمية وما أمية الا أمة صغرت فسميت أمية فكيف صرت أمير المؤمنين فقال له معاوية أقسمت عليك الا ماخرجت عنى

﴿نكتة لطيفة﴾ اتفق أن الملك المعظم عزم على الصيد فقال له بعض جماعته يامولانا ان القمر فى العقرب والسفر فيه مذموم والمصلحة أن تصبر الى أن ينزل القمر القوس فعزم على الصبر فبينما هو مفكر اذ دخل عليه مملوك له من أحسن الناس وجها فوقف أمامه وقد توشح بقوس فقال له بعض الحاضرين بالله يامولانا اركب فى هذه الساعة فهذا القمر قد حل فى القوس حقيقة فقام لوقته وركب استبشارا بالقول فلم ير أطيب من تلك السفرة ولا أكثر من صيدها

﴿ومن غرائب المنقول﴾ ماحكى اسحق النديم عن أبيه قال استأذنت الرشيد أن يهب لى يوما من الجمعة لانبعث فيه بجوارى واخوانى فأذن لى فى يوم السبت وقال هو يوم أستثقله فاله فيه بما شئت قال فأقمت يوم السبت بمنزلى وتقدمت لاصلاح طعامى وشرابى وأمرت بوابى باغلاق الباب وأن لا يأذن لاحد من الناس فبينما أنا فى مجلسى والحرم قد حففن بى اذا أنا بشيخ عليه هيبة وجمال وعلى رأسه قلنسوة وبيده عكازة مقمعة بالفضة وروائح الطيب تفوح منه فداخلنى لدخوله على ماقدمت من الوصية غيظ عظيم وهممت بطرد بوابى ومن يحجبنى لاجله فسلم على أحسن سلام فرددت عليه وأمرته بالجلوس فجلس وأخذ فى حديث الناس وأيام العرب وأشعارها حتى سكن

قال فاستحسن المأمون كلامه وأمر له بالحلل الفاخرة والجوائز السنية وأمر برد ضياعه وقرب منزلته وأدناه ودفع اليه من المال ما أغناه (ومن) حكايات الفصحاء ونوادر البلغاء ما حكى ان عبد الملك بن مروان جلس يوما وعنده جماعة من خواصه وأهل مسامرته فقال أيكم يأتيني بحروف المعجم في بدنه وله على ما يتمناه فقام اليه سويد بن غفلة فقال أنا لها يا أمير المؤمنين قال هات فقال نعم يا أمير المؤمنين أنف بطن ترقوة ثغر جمجمة حلق خد دماغ ذكر رقبة زند ساق شفة صدر ضلع طحال ظهر عين غبب فم قفا كف لسان منخر نغنوغ هامة وجه يد وهذه آخر حروف المعجم والسلام على أمير المؤمنين فقام بعض أصحاب عبد الملك وقال يا أمير المؤمنين أنا أقولها من جسد الانسان مرتين فضحك عبد الملك وقال لسويد أسمعت ما قال قال أصلح الله الامير أنا أقولها ثلاثا فقال هات ولك ما تتمناه فابتدأ يقول أنف أسنان أذن بطن بنصر برة ترقوة تمرة تينة ثغر ثنايا ثدي جمجمة جنب جبهة حلق حنك حاجب خد خنصر خاصرة دبر دماغ دراديرذقن ذكر ذراع رقبة رأس ركبة زند زردمة زب فهنالك ضحك عبد الملك حتى استلقى على قفاه ساق سرة سبابة شفة شفر شارب صدر صدغ صلعة ضلع ضفيرة ضرس طحال طرة طرف ظهر ظفر ظلم عين عنق عاتق غبب غلصمة غنة فم فك فؤاد قلب قفا قدم كف كتف كعب لسان لحية لوح منخر مرفق منكب نغنوغ ناب نن هامة هيئة هيف وجه وجنة ورك يمين يسار يافوخ ثم نهض مسرعا فقبل الارض بين يدى أمير المؤمنين قال فعندها ضحك عبد الملك وقال والله ما تزيد نا عليهم شيأ أعطوه ما يتمناه ثم أجازه وأنعم عليه وبالغ في الاحسان اليه (وكان) الحجاج بن يوسف الثقفي من الفصحاء وكان على عتوه واسرافه جوادا وكان اذا ضحك واستغرق في الضحك أتبع ذلك بالاستغفار مرات وكان يطعم على ألف خوان وكان يطوف على الموائد ويقول يا أهل الشأم مزقوا الخبز لئلا يعود اليكم ثانيا وكان يجلس على كل مائدة عشرة رجال وذلك في كل يوم وكان يقول أرى الناس يتخلفون عن طعامي فقيل له انهم يكرهون الحضور قبل أن يدعوا فقال قد جعلت رسولي اليهم كل يوم الشمس اذا طلعت وعند المساء اذا غربت (حكى) عن عبد الملك بن عمير أنه قال لما بلغ أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان اضطراب أهل العراق جمع أهل بيته وأولى النجدة من جنده وقال أيها الناس ان العراق كدر ماؤها وكثرت غوغاؤها واملولح عذبها وعظم خطبها وظهر ضرامها وعسر اخماد نيرانها فهل من ممهد لهم بسيف قاطع وذهن جامع وقلب ذكى وأنف حمى فيخمد نيرانها ويردع غيلانها وينصف مظلومها ويداوي الجرح حتى يندمل فتصفو البلاد وتأمن العباد فسكت القوم ولم يتكلم أحد فقام الحجاج وقال يا أمير المؤمنين أنا للعراق قال ومن أنت لله أبوك قال أنا الليث الضمضام والهزبر الهشام أنا الحجاج بن يوسف قال ومن أين قال من ثقيف كهوف الضيوف ومستعمل السيوف قال اجلس لا أم لك فلست هنالك ثم قال مالى أرى الرؤس مطرقة والالسن معتقلة فلم يجبه أحد فقام اليه الحجاج وقال أنا مجندل الفساق ومطفئ نار النفاق قال ومن أنت قال أنا قاصم الظلمة ومعدن الحكمة الحجاج بن يوسف معدن العفو والعقوبة وآفة الكفر والريبة قال اليك عنى وذاك فلست هنالك ثم قال من للعراق فسكت القوم وقام الحجاج وقال أنا للعراق فقال اذن أظنك صاحبها والظافر بغنائمها وان لكل شئ يا ابن يوسف آية وعلامة فما آيتك وما علامتك قال العقوبة والعفو والاقتدار والبسط والازورار والادناء والابعاد والجفاء والبر والتأهب والحزم وخوض غمرات الحروب بجنان غير هيوب فمن جادلنى قطعته ومن نازعنى قصمته ومن خالفنى نزعته ومن دنا منى أكرمته ومن طلب الامان أعطيته ومن سارع الى الطاعة بجلته فهذه آيتى وعلامتى وما عليك يا أمير المؤمنين أن تبلونى فان كنت للاعناق قطاعا وللاموال جماعا وللارواح نزاعا ولك في الاشياء نفاعا والا فليستبدل بى أمير المؤمنين فان الناس كثير ولكن من يقوم بهذا الامر قليل فقال عبد الملك أنت لها فما الذى تحتاج اليه قال قليل من الجند والمال فدعا عبد الملك صاحب جنده فقال هيئ له من الجند شهوته وألزمهم طاعته وحذرهم مخالفته ثم دعا الخازن فامره بمثل ذلك فخرج الحجاج قاصدا نحو العراق قال عبد الملك بن عمير فبينما نحن في المسجد الجامع بالكوفة اذ اتانا آت فقال هذا الحجاج قدم أميرا على العراق فتطاولت الاعناق نحوه وأفرجوا له عن صحن المسجد فاذا نحن به يمشي وعليه عمامة حمراء متلثما بها ثم صعد المنبر فلم يتكلم كلمة واحدة ولا نطق بحرف حتى غص المسجد بأهله وأهل الكوفة يومئذ ذووحالة حسنة وهيئة جميلة فكان الواحد منهم

ما بى فظننت أن غلمانى قصدوا مسرتى بادخاله على لظرفه وأدبه فقلت له هل لك فى الطعام فقال لا حاجة لى به فقلت هل لك فى الشراب فقال ذاك اليك قال فشربت رطلا وسقيته مثله فقال يا أبا اسحق هل لك فى أن تغنى ونسمع منك ما فقت به على العام والخاص قال فغاظنى منه ذلك ثم سهلت الامر على نفسى وأخذت العود وضربت وغنيت فقال أحسنت يا ابراهيم فازددت غيظا وقلت ما رضى بما فعله حتى سمانى باسمى ولم يحسن مخاطبتى ثم قال هل لك فى أن تزيدنا ونكافئك قال فتقدمت وأخذت العود وضربت وغنيت وتحفظت وقمت بما غنيته قياما تاما فطرب وقال أحسنت يا سيدى ثم قال أتأذن لعبدك فى الغناء فقلت شأنك واستضعفت عقله كيف سولت له نفسه أن يغنى بحضرتى بعد ما سمعه منى فاخذ العود وجسه فوالله لقد خلته ينطق بلسان عربى واندفع يغنى

ولى كبد مقروحة من يبيعنى
بها كبدا ليست بذات قروح
أباها على الناس لا يشترونها
ومن يشترى ذا علة بصحيح

قال ابراهيم فوالله لقد ظننت أن الحيطان والابواب وكل ما فى البيت يجيبه ويغنى معه وبقيت مبهوتا لا أستطيع الكلام ولا الحركة لما خالط قلبى ثم غنى ألا يا حمامات اللوى الابيات فكاد يذهب عقلى طربا ثم قال يا ابراهيم خذ هذا الغناء وانح نحوه فى غنائك وعلمه جواريك فسألته أن يعيد ما غناه فقال لم تحتج الى شئ من ذلك ثم غاب من بين عينى فارتعت وقمت الى السيف فجردته ثم عدوت نحو الابواب وقلت للجوارى أى شئ سمعتن فقلن سمعنا أحسن غناء فخرجت متحيرا الى باب الدار فوجدته

يدخل المسجد ومعه العشرون والثلاثون من أهل بيته ومواليه واتباعه عليهم الخز والديباج قال وكان في المسجد يومئذ عمير بن ضابئ التميمي فلما رأى الحجاج على المنبر قال لصاحب له أسبه لكم قال اكفف حتى نسمع ما يقول فأبى ابن ضابئ وقال لعن الله بني أمية حيث يولون و يستعملون مثل هذا على العراق وضيع الله العراق حيث يكون هذا أميرها فوالله لو دام هذا أميرا كما هو ما كان بشئ والحجاج ساكت ينظر يمينا وشمالا فلما رأى المسجد قد غص بأهله قال هل اجتمعتم فلم يرد عليه أحد شيأ فقال انى لا أعرف قدر اجتماعكم فهل اجتمعتم فقال رجل من القوم قد اجتمعنا أصلح الله الامير فكشف عن لثامه ونهض قائما فكان أول شئ نطق به أن قال والله انى لأرى رؤسا أينعت وقد حان قطافها وانى لصاحبها وانى لارى الدماء ترقرق بين العمائم واللحى والله يا أهل العراق ان أمير المؤمنين نثر كنانته بين يديه فعجم عيدانها فوجدني أمرّها عودا وأصلبها مكسرا فرماكم بي لانكم طالما أثرتم الفتنة واضطجعتم في مراقد الضلال والله لانكلن بكم في البلاد ولاجعلنكم مثلا في كل واد ولاضربنكم ضرب غرائب الابل وانى يا أهل العراق لاأعد الا وفيت ولا أعزم الا أمضيت فاياى وهذه الزرافات والجماعات وقيل وقال وكان و يكون يا أهل العراق انما أنتم أهل قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأتاها وعيد القرى من ربها فاستوثقوا واستقيموا واعملوا ولا تميلوا وتابعوا وبايعوا واجتمعوا واستمعوا فليس مني الاهذار والاكثار انما هو هذا السيف ثم لا ينسلخ الشتاء من الصيف حتى يذل الله لأمير المؤمنين صعبكم ويقيم أودكم ثم انى وجدت الصدق مع البر ووجدت البر في الجنة ووجدت الكذب مع الفجور ووجدت الفجور في النار وقد وجهني أمير المؤمنين اليكم وأمرني أن أنفق فيكم وأوجهكم لمحاربة عدوكم مع المهلب بن أبي صفرة وانى أقسم بالله لا أجد رجلا يتخلف بعد أخذ عطائه بثلاثة أيام الا ضربت عنقه يا غلام اقرأ كتاب أمير المؤمنين فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عبد الملك بن مروان الى من بالكوفة من المسلمين سلام عليكم فلم يرد أحد شيأ فقال الحجاج اكفف يا غلام ثم أقبل على الناس فقال أيسلم عليكم أمير المؤمنين فلا تردون شيأ عليه هذا أدبكم الذي تأدبتم به أما والله لأؤدبنكم أدبا غير هذا الأدب اقرأ يا غلام فقرأ حتى بلغ قوله سلام عليكم فلم يبق أحد الا قال وعلى أمير المؤمنين السلام ثم نزل بعد ما فرغ من خطبته وقراءته ووضع للناس عطاياهم فجعلوا يأخذونها حتى أتاه شيخ يرعش فقال أيها الأمير انى على الضعف كما ترى ولى ابن هو أقوى مني على الأسفار أفتقبله بدلا مني فقال نقبله أيها الشيخ فلما ولى قال له قائل أتدري من هذا أيها الأمير قال لا قال هذا عمير بن ضابئ الذي يقول

همت ولم أفعل وكدت وليتني * تركت على عثمان تبكي حلائله

ولقد دخل هذا الشيخ على عثمان رضي الله عنه وهو مقتول فوطئ في بطنه فكسر ضلعين من أضلاعه فقال الحجاج ردوه فلما ردوه قال له الحجاج أنت الفاعل بأمير المؤمنين عثمان ما فعلت يوم قتل الدار ان في قتلك أيها الشيخ اصلاحا للمسلمين يا سياف اضرب عنقه فضرب عنقه وكان من أمره بعد ذلك ما عرف وسطر ﴿ومن حكايات الحجاج﴾ ما حكى أنه لما أسرف في قتل أسرى دير الجماجم وأعطى الاموال بلغ ذلك أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان فشق عليه وكتب اليه أما بعد فقد بلغني عنك اسراف في الدماء وتبذير في العطاء وقد حكمت عليك في الدماء في الخطأ بالدية وفي العمد بالقود وفي الاموال أن تردها الى مواضعها ثم تعمل فيها برأيي فانما هو مال الله تعالى ونحن أمناؤه فان كنت أردت الناس لي فما أغناني عنهم وان كنت أردتهم لنفسك فما أغناك عنهم وسيأتيك عني أمران لين وشدة فلا يؤمننك الا الطاعة ولا يوحشنك الا المعصية واذا أعطاك الله عز وجل الظفر فلا تقتلن جانحا ولا أسيرا وكتب في أسفل الكتاب

اذا أنت لم تترك امورا كرهتها * وتطلب رضائي بالذي أنا طالبه * فان ترمني غفلة قرشية
فيا ربما قد غص بالماء شاربه * وان ترمني وثبة أموية * فهذا وهذا كل ذا أنا صاحبه
فلا تامنني والحوادث جمة * فانك تجزى بالذي أنت كاسبه * فلا تعد ما يأتيك مني وان تعد
يقمن به يوما عليك نوادبه * فلا تمنعن الناس حقا علمته * ولا تعطين ما ليس للناس واجبه
فانك ان تعط الحقوق فانما النوافل شئ لا يثيبك واهبه *

فلما ورد الكتاب على الحجاج كتب الى أمير المؤمنين أما بعد فقد ورد كتاب أمير المؤمنين يذكر اسرافي في الدماء

مغلقا فسألت البواب عن الشيخ فقال أى شيخ والله ما دخل اليك اليوم أحد من الناس فرجعت لأتأمل أمري فاذا به قد هتف من بعض جوانب الدار فقال لا بأس عليك يا أبا اسحق أنا ابليس وقد اخترت منادمتك في هذا اليوم فلا ترتاع فركبت على الفور الى الرشيد وأتحفته بهذه الطرفة فقال ويحك اعتبر الاصوات التي أخذتها عنه فأخذت العود فاذا هي راسخة في صدري فطرب الرشيد وأمر لي بصلة وقال ليته متعنا يوما واحدا كما امتعك قال أبو الفرج الاصبهاني هكذا حدثنا ابن أبي الازهر وما أدري ما أقول فيه (ويضارع هذا ما أورده ابن خلكان في ترجمة ابن دريد) قال أبو بكر محمد بن الحسين بن دريد سقطت من منزلي فانكسر بعض أعضائي فسهرت ليلتي فلما كان آخر الليل غمضت عيني فرأيت رجلا طويلا أصفر الوجه كوسجا دخل علي وأخذ بعضادتي الباب وقال أنشدني أحسن ما قلت في الخمر فقلت ما ترك أبو نواس لاحد شيأ في هذا الباب فقال أنا أشعر منه فقلت ومن أنت قال أبو ناجية من أهل الشام وأنشدني

وحمراء قبل المزج صفراء بعده
بدت بين ثوبي نرجس وشقائق
حكت وجنة المعشوق صرفا فسلطوا
عليها مزاجا فاكتست لون عاشق

فقلت له أسأت قال ولم قلت لانك قلت وحمراء فقدمت الحمرة ثم قلت نرجس وشقائق فقدمت الصفرة فقال ما هذا الاستقصاء في هذا الوقت يا بغيض وأبو ناجية من كنى ابليس قال قاضي القضاة شمس الدين محمد بن خلكان في تاريخه وفي رواية أخرى ان الشيخ أبا على الفارسي قال أنشدني ابن دريد هذين البيتين وقال جاءني ابليس في المنام ثم ذكر بقية الكلام الخ

وتبذيري في الاموال ولعمري ما بلغت في عقوبة أهل المعصية ولا قضيت حقوق أهل الطاعة فان كان قتلي العصاة اسرافا واعطائي المطيعين تبذيرا فليمض لي أمير المؤمنين ما سلف والله ما أصبت القوم خطأ فأديهم ولا ظلمتهم عمدا فأقاد بهم ولا قتلت إلا لك ولا أعطيت الا فيك والسلام عليك ورحمة الله وبركاته وكتب في أسفل الكتاب

اذا أنا لا أبغي رضاك وأتقي * أذاك فليلي لا توارى كواكبه * وما لامرئ بعد الخليفة جنة
تقيه من الامر الذي هو راكبه * اذا قارف الحجاج فيك خطيئة * لقامت عليه بالصياح نوادبه
اذا أنا لم أدن الشفيق لنصحه * وأقص الذي تسري الي عقاربه * وأعط المراسي في البلاء عطية
ترد الذي ضاقت على مذاهبه * فمن يتقي بؤسي ويرجو مودتي * ويخشى غدا والدهر جم نوائبه
وأمري اليك اليوم ما قلت قلته * وما لم تقل لم أقل ما يقاربه * ومهما أردت اليوم مني أردته
وما لم ترده اليوم اني مجانبه * وقف بي على حد الرضا لا أجوزه * مدى الدهر حتى يرجع الدر حالبه
والا فدعني والامور فانني * شفيق رفيق أحكمته تجاربه

فلما انتهى الكتاب الى عبد الملك قال خاف أبو محمد صولتي ولم يعاود لامر كرهته ان شاء الله تعالى فمن يلومني على محبته يا غلام اكتب اليه الشاهد يرى ما لا يرى الغائب وأنت أعلى عينا بما هنالك ﴿وفي مروج الذهب للمسعودي﴾ ان أم الحجاج وهي الفارعة بنت همام ولدته مشوها لا دبر له فثقب له دبر وأبى أن يقبل الثدي وأعياهم أمره فيقال ان الشيطان تصور له في صورة الحرث بن كلدة حكيم العرب فسألهم عن ذلك فأخبره مخبر من أهله فقال اذبحوا له تيسا وألعقوه من دمه وأولغوه فيه ثم اطلوا به وجهه ففعلوا ذلك فقبل الثدي فلاجل ذلك كان لا يصبر عن سفك الدماء وكان يخبر عن نفسه ان أكبر لذاته سفك الدماء وارتكاب أمور لا يقدر غيره عليها وكانت أمه متزوجة قبل أبيه الحرث بن كلدة فدخل عليها يوما في السحر فوجدها تخلل أسنانها فطلقها فسألته لم فعلت فقال لها ان كنت باكرت الغداء فأنت شرهة وان كان بقايا طعام بفيك فأنت قذرة فقالت كل ذلك لم يكن وانما تخللت من شظايا السواك فقال قضي الامر فتزوجها بعده يوسف بن عقيل الثقفي فأولدها الحجاج وقيل ان الحجاج تقلد الامارة وهو ابن عشرين سنة ومات وله ثلاث وخمسون سنة وكان من عنف السياسة وثقل الوطأة وظلم الرعية والاسراف في القتل على ما لا يبلغه وصف أحصي من قتله الحجاج بأمره سوى من قتله في حروبه فكانوا مائة ألف وعشرين ألفا ووجد في سجنه خمسون ألف رجل وثلاثون ألف امرأة لم يجب على أحد منهم قطع ولا قتل وكان يحبس الرجال والنساء في موضع واحد ولم يكن لحبسه سقف يستر الناس من الحر والبرد وقيل للشعبي أكان الحجاج مؤمنا قال نعم بالطاغوت وقال لو جاءت كل أمة بخبيثها وفاسقها وجئنا بالحجاج وحده لزدنا عليهم والله أعلم وقد مضى القول في ذكر الفصحاء من الرجال وحكاياتهم وما أعان الله تعالى عليه واستحضرته من أخبارهم وأنا قائل ان شاء الله تعالى ما استحضرته من ذكر فصحاء النساء وأخبارهن وحكاياتهن والله المستعان

﴿ذكر فصحاء النساء وحكاياتهن﴾

﴿حكي﴾ عن أبي عبد الله النميري انه قال كنت يوما مع المأمون وكان بالكوفة فركب للصيد ومعه سرية من العسكر فبينما هو سائر اذ لاحت له طريدة فأطلق عنان جواده وكان على سابق من الخيل فأشرف على نهر ماء من الفرات فاذا هو بجارية عربية خماسية القد قاعدة النهد كأنها القمر ليلة تمامه وبيدها قربة قد ملأتها ماء وحملتها على كتفها وصعدت من حافة النهر فانحل وكاؤها فصاحت برفيع صوتها يا أبت أدرك فاها قد غلبني فوها لا طاقة لي بفمها قال فعجب المأمون من فصاحتها ورمت الجارية القربة من يدها فقال لها المأمون يا جارية من أي العرب أنت قالت أنا من بني كلاب قال وما الذي حملك أن تكوني من الكلاب فقالت والله لست من الكلاب وانما أنا من قوم كرام غير لئام يقرون الضيف ويضربون بالسيف ثم قالت يا فتى من أي الناس أنت فقال أوعندك علم بالانساب قالت نعم قال لها أنا من مضر الحمراء قالت من أي مضر قال من أكرمها نسبا وأعظمها حسبا وخيرها أما وأبا ممن تهابه مضر كلها قالت أظنك من كنانة قال أنا من كنانة قالت فمن أي كنانة قال من أكرمها مولدا وأشرفها محتدا وأطولها في المكرمات يدا ممن تهابه كنانة وتخافه

(ونقل) ابن خلكان وغيره ان أبا بكر بن فريعة قاضي السندية وغيرها من أعمال بغداد كان من عجائب الدنيا في سرعة البديهة بالاجوبة عن جميع ما يسئل عنه في أفصح لفظ وأملح سجع وكان مختصا بحضرة الوزير أبي محمد المهلبي ومنقطعا اليه وله مسائل وأجوبة مدونة في أيدي الناس وكان رؤساء ذلك العصر والعلماء والفضلاء يداعبونه ويكتبون له المسائل الغريبة المضحكة فيكتب الاجوبة من غير توقف ولا يكتب الا مطابقا لما سألوه وكان الوزير المذكور يغري به جماعة يصنعون له المسائل الهزلية من معان شتى من النوادر (فمن ذلك) ما كتب اليه بعض الفضلاء على سبيل الامتحان ما يقول القاضي أيده الله تعالى في رجل سمى ولده مداما وكناه أبا الندامى وسمى ابنته الراح وكناها أم الافراح وسمى عبده الشراب وكناه أبا الاطراب وسمى وليدته القهوة وكناها أم النشوة أينهى عن بطالته أم يؤدب على خلاعته (فكتب تحت السؤال) لو نعت هذا لأبي حنيفة لأقعده خليفة وعقد له راية وقاتل تحتها من خالف رأيه وعلمنا مكانه لقبلنا أركانه فان أتبع هذه الاسماء أفعالا وهذه الكنى استعمالا علمنا أنه أحيا دولة المجون وأقام لواء ابن الزرجون فبايعناه وشايعناه وان تمكن أسماءه سماها ماله بها من سلطان خلعنا طاعته وفرقنا جماعته فنحن الى امام فعال أحوج منا الى امام قوال (وكتب اليه العباس الكاتب) ما يقول القاضي وفقه الله تعالى في يهودي زنى بنصرانية فولدت له ولدا جسمه للبشر ووجهه للبقر وقد قبض عليه ما فيرى القاضي فيهما (فكتب تحت سؤاله بديها) هذا من أكبر الشهود على الملاعين اليهود

فقالت اذن أنت من قريش قال أنا من قريش قالت من أى قريش قال من أجلها ذكرا وأعظمها فخرا ممن تهابه قريش كلها وتخشاه قالت أنت والله من بنى هاشم قال أنا من بنى هاشم قالت من أى هاشم قال من أعلاها منزلة وأشرفها قبيلة ممن تهابه هاشم وتخافه قال فعند ذلك قبلت الارض وقالت السلام عليك يا أمير المؤمنين وخليفة رب العالمين قال فعجب المأمون وطرب طربا عظيما وقال والله لا تزوجن بهذه الجارية لانها من أكبر الغنائم ووقف حتى تلاحقته العساكر فنزل هناك وأنفذ خلف أبيها وخطبها منه فزوجه بها وأخذها وعاد مسرورا وهى والدة ولده العباس والله أعلم ﴿وحكى﴾ ان هندا بنت النعمان كانت أحسن أهل زمانها فوصف للحجاج حسنها فأنفذ اليها يخطبها وبذل لها مالا جزيلا وتزوج بها وشرط لها عليه بعد الصداق مائتى ألف درهم ودخل بها ثم انها انحدرت معه الى بلد أبيها المعرة وكانت هند فصيحة أديبة فأقام بها الحجاج بالمعرة مدة طويلة ثم ان الحجاج رحل بها الى العراق فأقامت معه ما شاء الله ثم دخل عليها فى بعض الايام وهى تنظر فى المرآة وتقول

وما هند الا مهرة عربية * سليلة افراس تحللها بغل

فان ولدت مهرا فلله درها * وان ولدت بغلا فجاء به البغل

فانصرف الحجاج راجعا ولم يدخل عليها ولم تكن علمت به فأراد الحجاج طلاقها فأنفذ اليها عبد الله بن طاهر وأنفذ لها معه مائتى ألف درهم وهى التى كانت لها عليه وقال يا ابن طاهر طلقها بكلمتين ولا تزد عليهما فدخل عبد الله ابن طاهر عليها فقال لها يقول لك أبو محمد الحجاج كنت فبنت وهذه المائتا ألف درهم التى كانت لك قبله فقالت اعلم يا ابن طاهر انا والله كنا فما حمدنا وبنا فما ندمنا وهذه المائتا ألف درهم التى جئت بها بشارة لك بخلاصى من كلب ثقيف ثم بعد ذلك بلغ أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان خبرها ووصف له جمالها فأرسل اليها يخطبها فأرسلت اليه كتابا تقول فيه بعد الثناء عليه اعلم يا أمير المؤمنين أن الاناء ولغ فيه الكلب فلما قرأ عبد الملك الكتاب ضحك من قولها وكتب اليها يقول اذا ولغ الكلب فى اناء أحدكم فليغسله سبعا احداهن بالتراب فاغسلى الاناء يحل الاستعمال فلما قرأت كتاب أمير المؤمنين لم يمكنها المخالفة فكتبت اليه بعد الثناء عليه يا أمير المؤمنين والله لا أحل العقد الا بشرط فان قلت ما هو الشرط قلت أن يقود الحجاج محملى من المعرة الى بلدك التى أنت فيها ويكون ماشيا حافيا بحليته التى كان فيها أولا فلما قرأ عبد الملك ذلك الكتاب ضحك ضحكا شديدا وأنفذ الى الحجاج وأمره بذلك فلما قرأ الحجاج رسالة أمير المؤمنين أجاب وامتثل الامر ولم يخالف وأنفذ الى هند يأمرها بالتجهز فتجهزت وسار الحجاج فى موكبه حتى وصل المعرة بلد هند فركبت هند فى محمل الزفاف وركب حولها جواريها وخدمها وأخذ الحجاج بزمام البعير يقوده ويسير بها فجعلت هند تتواغد عليه وتضحك مع الهيفاء دايتها ثم انها قالت للهيفاء يا داية اكشفى لى سجف المحمل فكشفته فوقع وجهها فى وجه الحجاج فضحكت عليه فأنشد يقول

فان تضحكى منى فيا طول ليلة * تركتك فيها كالقباء المفرج

فأجابته هند تقول

وما نبالى اذا أرواحنا سلمت * بما فقدنا من مال ومن نشب

فالمال مكتسب والعز مرتجع * اذا النفوس وقاها الله من عطب

ولم تزل كذلك تضحك وتلعب الى أن قربت من بلد الخليفة فرمت بدينار على الارض ونادت يا جمال انه قد سقط منا درهم فارفعه الينا فنظر الحجاج الى الارض فلم يجد الا دينارا فقال انما هو دينار فقالت بل هو درهم قال بل دينار فقالت الحمد لله سقط منا درهم فعوضنا الله دينارا فخجل الحجاج وسكت ولم يرد جوابا ثم دخل بها على عبد الملك بن مروان فتزوج بها وكان من أمرها ما كان وقد وجدت فى بعض النسخ ما هو أوسع من هذا ولكن اقتصرت على القليل منه اذ فيه الغرض والله أعلم * وقيل ان جارية عرضت على الرشيد ليشتريها فتأملها وقال لولا ما خذ جاريتك فلولا كلف بوجهها وخنس بانفها لاشتريتها فلما سمعت الجارية مقالة أمير المؤمنين قالت مبادرة يا أمير المؤمنين اسمع منى ما أقول فقال قولى فأنشدت تقول

ما سلم الظبى على حسنه * كلا ولا البدر الذى يوصف

الظبى فيه خنس بين * والبدر فيه كلف يعرف

قال فعجب من فصاحتها وأمر بشرائها وقيل عرضت على المأمون جارية بارعة فى الجمال فائقة فى الكمال غير

فانهم أشربوا حب العجل فى صدورهم حتى خرج من أبو رهم وأرى ان يناط رأس اليهودى برأس العجل ويصلب على عنق النصرانية الساق مع الرجل ويسحبان على الارض وينادى عليهما ظلمات بعضها فوق بعض والسلام (نادرة لطيفة) ولما خرج أبو جعفر المنصور يريد الحج بالناس قال لعيسى بن موسى الهادى أنت تعلم ان الخلافة صائرة اليك وأريد أن أسلم لك عمى وعمك عبد الله بن على فخذه واقتله واياك أن تجبن فى أمره ثم مضى المنصور الى الحج وكتب اليه من الطريق يستحثه على ذلك فكتب اليه قد أنفذت أمر أمير المؤمنين وكان الامر بخلاف ذلك فلم يشك أبو جعفر أنه قتله ودعا عيسى بن موسى كاتبه يونس فقال له ان المنصور دفع الى عمه وأمرنى بقتله فقال له يريد أن يقتلك به فانه أمرك بذلك سرا ويدعى به عليك علانية والرأى أن تستره فى منزلك ولا تطلع عليه أحدا فان طلبه منك علانية دفعته اليه علانية ولا تدفعه اليه سرا أبدا ففعل ذلك وقدم المنصور ودس على عمومته من يحركهم أن يسألوا المنصور أن يهب لهم أخاهم عبد الله ففعلوا ذلك وكلموه فأجاب وقال نعم على بعيسى بن موسى فأتاه فقال يا عيسى كنت دفعت اليك عمى وعمك عبد الله قبل خروجى الى الحج وأمرتك أن يكون فى منزلك مكرما قال قد فعلت ذلك قال قد كلمنى فيه عمومتك فرأيت الصفح عنه فأتنى به قال يا أمير المؤمنين ألم تأمرنى بقتله قال لا بل أمرتك بحبسه عندك ثم قال المنصور لعمومته ان هذا قد أقر لكم بقتل أخيكم وادعى أنى أمرته بذلك وقد كذب قالوا فادفعه الينا نقتله قال شأنكم فأخرجوه الى صحن الدار واجتمع الناس واشتهر الامر فقام أحدهم وشهر سيفه وتقدم الى

أنها كانت تعرج برجلها فقال لولاها اخذ بيدها وارجع فلولا عرج بها الاشتر بتهافقالت الجارية يا أمير المؤمنين انه فى وقت حاجتك لا يكون بحيث تراه فاعجبه سرعة جوابها وأمر بشرائها * (ومن ذلك) ماحكى ان كريم الملك كان من ظرفاء الكتاب فعبر يوما تحت جوسق ببستان فرأى جارية ذات وجه زاهر وكمال باهر لا يستطيع أحد وصفها فلما نظر اليها ذهل عقله وطار لبه فعاد الى منزله و أرسل اليها هدية نفيسة مع عجوز كانت تخدمه وكانت الجارية عزباء وكتب اليها رقعة يعرض اليها بالزيارة فى جوسقها فلما قرأت الرقعة قبلت الهدية ثم أرسلت اليه مع العجوز عنبرا وجعلت فيه زر ذهب وربطت ذلك على منديل وقالت للعجوز هذا جواب رقعته فلما رأى كريم الملك ذلك لم يفهم معناه وتحير فى أمره وكانت له ابنة صغيرة السن فلما رأت أباها متحيرا فى ذلك قالت له يا أبت أنا علمت معناه قال وما هو لله درك قالت

أهدت لك العنبر فى جوفه * زر من التبر خفى الختام

فالزر والعنبر معناهما * زره كذا مختفيا فى الظلام

قال فعجب من فطنتها وفصاحتها واستحسن ذلك منها *(وحكى)* ان طائفة من بنى تميم كانوا يكسرون أول الفعل فرت فتاة منهم جميلة الصورة على جماعة فناداها شخص منهم وأراد أن يوقعها فيما ينسب اليهم من كسر الفعل فقال لأى شئ يا بنى تميم ماتكتنون فقالت ولم لا نكتنى وكسرت الفعل فضحك عليها وقال أفعل ان شاء الله فخجلت من قوله وتغير وجهها وأرادت أن توقعه كما أوقعها فقالت له هل تحسن شيأ من العروض قال نعم قالت قطع لى

حولوا عنا كنيستكم * يابنى حمالة الحطب

فقطعه فوقف على عن ثم ابتدأ بالنون والالف مع بقية الحروف فضحكت عليه وأضحكت أصحابه فقال ويحك لم تبرحى حتى أخذت بثارك *(وحكى)* ان شاعرا كان له عدو فبينما هو سائر ذات يوم فى بعض الطرق اذا هو بعدوه فعلم الشاعر أن عدوه قاتله لا محالة فقال له ياهذا أنا أعلم أن المنية قد حضرت ولكن سألتك الله اذا أنت قتلتنى امض الى دارى وقف بالباب وقل * ألا أيها البنتان ان أباكما * فقال سمعا وطاعة ثم انه قتله فلما فرغ من قتله أتى الى داره ووقف بالباب وقال * ألا أيها البنتان ان أباكما * وكان للشاعر ابنتان فلما سمعتا قول الرجل * ألا أيها البنتان ان أباكما * أجابتاه بفم واحد * قتيل خذا بالثار من أتاكما * ثم تعلقتا بالرجل ورفعتاه الى الحاكم فاستقرره فاقر بقتله فقتله والله أعلم *وقيل بينما كثير عزة مار بالطريق يوما اذا هو بعجوز عمياء على قارعة الطريق تمشى فقال لها تنحى عن الطريق فقالت له ويحك ومن تكون قال أنا كثير عزة قالت قبحك الله وهل مثلك يتنحى له عن الطريق قال ولم قالت ألست القائل

وما روضة بالحسن طيبة الثرى * يمج الندى جثجاثها وعرارها

بأطيب من أردان عزة موهنا * اذا أوقدت بالمجمر اللدن نارها

ويحك يا هذا لو تبخر بالمجمر اللدن مثلى ومثل أمك لطاب ريحها لم لا قلت مثل سيدك امرئ القيس

وكنت اذا ما جئت بالليل طارقا * وجدت بها طيبا وان لم تطيب

فقطعته ولم يرد جوابا *وقيل اتى الحجاج بامرأة من الخوارج فقال لاصحابه ماتقولون فيها قالوا اعاجلها بالقتل أيها الأمير فقالت الخارجية لقد كان وزراء صاحبك خيرا من وزرائك يا حجاج قال ومن هو صاحبى قالت فرعون استشارهم فى موسى عليه السلام فقالوا أرجئه وأخاه * وأتى باخرى من الخوارج فجعل يكلمها وهى لا تنظر اليه فقيل لها الأمير يكلمك وأنت لا تنظرين اليه فقالت انى لاستحيي ان أنظر الى من لا ينظر الله اليه (وحكى) ابن الجوزى فى كتابه المنتظم فى مناقب عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال لما ولى عمر رضى الله عنه الخلافة بلغه أن أصدقة أزواج النبى صلى الله عليه وسلم خمسمائة درهم وان فاطمة رضى الله عنها كان صداقها على على بن أبى طالب كرم الله وجهه أربعمائة درهم فادى اجتهاد أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه أن لا يزيد أحد على صداق البضعة النبوية فاطمة رضى الله عنها فصعد المنبر وحمد الله تعالى وأثنى عليه وقال أيها الناس لا تزيدوا فى مهور النساء على أربعمائة درهم فمن زاد القيت زيادته فى بيت مال المسلمين فهاب الناس أن يكلموه فقامت امرأة فى يدها طول فقالت له كيف يحل لك هذا والله تعالى يقول وآتيتم احداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيأ فقال عمر رضى الله عنه امرأة أصابت ورجل أخطأ * وقيل جاءت امرأة الى أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه فقالت يا أمير المؤمنين ان زوجى يصوم النهار ويقوم الليل فقال لها نعم الرجل زوجك

عيسى ليضربه فقال عيسى لا تعجلوا فان عمى يحى ردوفى الى أمير المؤمنين فردوه اليه فقال يا أمير المؤمنين انما أردت بقتله قتلى هذا عمك حتى ان أمرتنى بدفعه اليهم دفعته قال ائتنا به فاتى به فجعله فى بيت فسقط عليه فمات وكان المنصور قد وضع فى أساس البيت ملحا فلما شرع فى عمارته واعده لهذا المعنى ولما أجلس فيه عمه أجرى الماء فى أساس البيت سرا بحيث لا يشعر به أحد فذاب الملح وسقط البيت وركب المنصور بعد موت عمه وفى خدمته عباس بن المتوفى وكان يباسطه فى كل وقت فقال له المنصور وهو يحادثه هل تعرف ثلاثة فى أول أسمائهم عين قتلوا ثلاثة فى أول أسمائهم عين قال لا أعرف الاما تقول العامة يا أمير المؤمنين ان عليا قتل عثمان وكذبوا والله وعبد الملك بن مروان قتل عبد الله بن الزبير وسقط البيت على عم أمير المؤمنين قال فضحك المنصور وقال اذا سقط البيت على عمى فما ذنبى قال قلت مالك ذنب يا أمير المؤمنين وقتل عبد الله كان بسبب البيعة التى تقدمت له مع السفاح وشرحها يطول انتهى (ونقلت من خط قاضى القضاة شمس الدين ابن خلكان ماصورته) نقلت من خط القاضى كمال الدين بن العديم من مسودة تاريخه أن ابن الدقاق البلنسى الشاعر المشهور كان يسهر الليل ويشتغل بالأدب وكان أبوه حدادا فقيرا فلامه وقال ياولدى نحن فقراء ولا طاقة لنا بالزيت الذى تسهر عليه فاتفق أنه برع فى العلم والأدب وقال الشعر وعمل فى أبى بكر بن عبد العزيز صاحب بلنسية قصيدة مطربة أولها

يا شمس خدر مالها مغرب

وبدر تم قط لا يحجب

وقال منها

وكان في مجلسه رجل يسمى كعبا فقال يا أمير المؤمنين ان هذه المرأة تشكو زوجها في أمر مباعدته اياها عن فراشه فقال له كما فهمت كلامها احكم بينهما فقال كعب على بزوجها فاحضر فقال له ان هذه المرأة تشكوك قال في أمر طعام أم شراب قال بل في أمر مباعدتك اياها عن فراشك فانشأت المرأة تقول

يا أيها القاضي الحكيم أنشده * ألهى خليلي عن فراشي مسجده
نهاره وليله لا يرقده * فلست في أمر النسا أحمده

فأنشد الزوج يقول

زهدني في فرشها وفي الحلل * اني امرؤ أذهلني ما قد نزل
في سورة النمل وفي السبع الطول * وفي كتاب الله تخويف جلل

فقال له القاضي

ان لها عليك حقا لم يزل * في أربع نصيبها لمن عقل
* فعاطها ذاك ودع عنك العلل *

ثم قال ان الله تعالى أحل لك من النساء مثنى وثلاث ورباع فلك ثلاثة أيام بلياليهن ولها يوم وليلة فقال عمر رضي الله عنه لا أدري من أيكما أعجب أمن كلامها أم من حكمك بينهما اذهب فقد وليتك البصرة *(حكاية المتكلمة بالقرآن)* قال عبد الله بن المبارك رحمه الله تعالى خرجت حاجا الى بيت الله الحرام وزيارة قبر نبيه عليه الصلاة والسلام فبينما أنا في بعض الطريق اذا أنا بسواد على الطريق فتميزت ذاك فاذا هي عجوز عليها درع من صوف وخمار من صوف فقلت السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقالت سلام قولا من رب رحيم قال فقلت لها يرحمك الله ما تصنعين في هذا المكان قالت ومن يضلل الله فلا هادي له فعلمت أنها ضالة عن الطريق فقلت لها أين تريدين قالت سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى فعلمت أنها قضت حجها وهي تريد بيت المقدس فقلت لها أنت منذ كم في هذا الموضع قالت ثلاث ليال سويا فقلت ما أرى معك طعاما تأكلين قالت هو يطعمني ويسقين فقلت فبأي شيء تتوضئين قالت فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فقلت لها ان معي طعاما فهل لك في الأكل قالت ثم أتموا الصيام الى الليل فقلت ليس هذا شهر رمضان قالت ومن تطوع خيرا فان الله شاكر عليم فقلت قد أبيح لنا الافطار في السفر قالت وأن تصوموا خير لكم ان كنتم تعلمون فقلت لم لا تكلميني مثل ما أكلمك قالت ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد فقلت فمن أي الناس أنت قالت ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤلا فقلت قد أخطأت فاجعليني في حل قالت لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم فقلت فهل لك أن أحملك على ناقتي هذه فتدركي القافلة قالت وما تفعلوا من خير يعلمه الله قال فأنخت ناقتي قالت قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم فغضضت بصري عنها وقلت لها اركبي فلما أرادت ان تركب نفرت الناقة فمزقت ثيابها فقالت وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم فقلت لها اصبري حتى أعقلها قالت ففهمناها سليمان فعقلت الناقة وقلت لها اركبي فلما ركبت قالت سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون قال فأخذت بزمام الناقة وجعلت أسعى وأصيح فقالت واقصد في مشيك واغضض من صوتك فجعلت أمشي رويدا رويدا وأترنم بالشعر فقالت فاقرؤا ما تيسر من القرآن فقلت لها لقد أوتيت خيرا كثيرا قالت وما يذكر الا أولو الألباب فلما مشيت بها قليلا قلت ألك زوج قالت يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم فسكت ولم أكلمها حتى أدركت بها القافلة فقلت لها هذه القافلة فمن لك فيها فقالت المال والبنون زينة الحياة الدنيا فعلمت أن لها أولادا فقلت وما شأنهم في الحج قالت وعلامات وبالنجم هم يهتدون فعلمت انهم أدلاء الركب فقصدت بها القباب والعمارات فقلت هذه القباب فمن لك فيها قالت واتخذ الله ابراهيم خليلا وكلم الله موسى تكليما يا يحيي خذ الكتاب بقوة فناديت يا ابراهيم يا موسى يا يحيي فاذا أنا بشباب كأنهم الأقمار قد أقبلوا فلما استقر بهم الجلوس قالت فابعثوا أحدكم بورقكم هذه الى المدينة فلينظر أيها أزكى طعاما فليأتكم برزق منه فمضى أحدهم فاشترى طعاما فقدموه بين يدي فقالت كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم في الأيام الخالية فقلت الآن طعامكم علي حرام حتى تخبروني بأمرها فقالوا هذه أمنا لها منذ أربعين سنة لم تتكلم الا بالقرآن مخافة أن تزل فيسخط عليها الرحمن فسبحان القادر على ما يشاء فقلت ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم والله أعلم بالصواب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

ناشدتك الله نسيم الصبا
أين استقرت بعد نازينب
لم تسر الا بشذا عرفها
أولا فماذا النفس الطيب

فاطاق له ثلثمائة دينار فجاء الى أبيه وهو جالس في حانوته منكب على صنعته فوضعها في حجره وقال خذ هذه وابتع بها زيتا انتهى *(حكي عن عبد العزيز بن الفضل)* قال خرج القاضي أبو العباس أحمد ابن عمر بن شريح وأبو بكر بن داود وأبو عبد الله نفطويه الى وليمة فافضى بهم الطريق الى مكان ضيق فاراد كل منهم تقديم صاحبه عليه فقال ابن شريح ضيق الطريق يورث سوء الأدب فقال ابن داود لكنه تعرف به مقادير الرجال فقال نفطويه اذا استحكمت المودة بطلت التكاليف *(وحكي عن شريح جد أبي العباس المشهور بالصلاح الوافر)* أنه كان أعجميا لا يعرف بلسان العرب شيأ فاتفق له انه رأى الباري عز وجل في النوم فحادثه وقال ياشريح طلبكن فقال ياخدادي سار بسار وهذا اللفظ أعجمي معناه بالعربي ياشريح اطلب فقال يارب رأسا برأس كما وقال رضيت ان أخلص رأسا برأس *(ومن لطائف المنقول)* انه كان بالعقبة ظاهر دمشق المحروسة خان تجمع فيه أسباب الملاذ ويتفق فيه من الفسوق والفجور ما لا يحد ولا يوصف فرجع ذلك الى أبي الفتح موسى بن أبي بكر العادل بن أيوب الملقب بالاشرف فهدمه وعمره جامعا وسماه الناس جامع التوبة كأنه تاب الى الله وأناب مما كان فيه وجرت في خطابته نكتة لطيفة وهي أنه كان بمدرسة الشام التي خارج البلد امام يعرف بالجمال قيل انه كان في زمان صباه يلعب بشيء من الملاهي وهي التي تسمى الجغانة ولما كبر حسنت

﴿الباب الثامن فى الاجوبة المسكتة والمستحسنة ورشقات اللسان وماجرى مجرى ذلك﴾

(قيل) ان معن بن زائدة دخل على المنصور فقال له هيه يامعن تعطى مروان بن أبى حفصة مائة ألف على قوله

معن بن زائدة الذى زادت به * شرفا على شرف بنو شيبان

فقال كلا ياأمير المؤمنين انما أعطيته على قوله

مازلت يوم الهاشمية معلنا * بالسيف دون خليفة الرحمن

فمنعت حوزته وكنت وقاءه * من وقع كل مهند وسنان

فقال أحسنت والله يامعن وأمر له بالجوائز والخلع * ووفد ابن أبى محجن على معاوية فقام خطيبا فاحسن فحسده معاوية وأراد أن يوقعه فقال له أنت الذى أوصاك أبوك بقوله

اذا مت فادفنى الى جنب كرمة * تروى عظامى بعد موتى عروقها

ولا تدفننى فى الفلاة فاننى * أخاف اذا مامت أن لا أذوقها

قال بل أنا الذى يقول أبى

لاتسأل الناس مامالى وكثرته * وسائل الناس ماجودى وماخلقى

أعطى الحسام غداة الروع حصته * وعامل الرمح أرويه من العلق

وأطعن الطعنة النجلاء عن عرض * وأكتم السر فيه ضربة العنق

ويعلم الناس أنى من سراتهم * اذا سما بصر الرعديد بالفرق

فقال له معاوية أحسنت والله ياابن أبى محجن وامر له بصلة وجائزة (وقيل) أخذ عبد الملك بن مروان بعض أصحاب شبيب الخارجى فقال له ألست القائل

ومنا سويد والبطين وقعنب * ومنا أمير المؤمنين شبيب

فقال ياأمير المؤمنين انما قلت ومنا أمير المؤمنين شبيب وأردت بذلك مناداتك فكان ذلك سبب نجاته * ودخل شريك بن الاعور على معاوية وكان دميما فقال له معاوية انك لدميم والجميل خير من الدميم وانك لشريك وما لله من شريك وان أباك لاعور والصحيح خير من الاعور فكيف سدت قومك فقال له انك معاوية وما معاوية الا كلبة عوت فاستعوت الكلاب وانك لابن صخر والسهل خير من الصخر وانك لابن حرب والسلم خير من الحرب وانك لابن أمية وما أمية الا أمة صغرت فكيف صرت أمير المؤمنين ثم خرج وهو يقول

أيشتمنى معاوية بن حرب * وسيفى صارم ومعى لسانى

وحولى من ذوى يزن ليوث * ضراغمة تهش الى الطعان

يعير بالدمامة من سفاه * وربات الحجال من الغوانى

ودخل يزيد بن أبى مسلم صاحب شرطة الحجاج على سليمان بن عبد الملك بعد موت الحجاج فقال له سليمان قبح الله رجلا أجرك رسنه وولاك أمانته فقال ياأمير المؤمنين رأيتنى والامر لك وهو عنى مدبر فلو رأيتنى وهو على مقبل لاستكبرت منى مااستصغرت واستعظمت منى مااستحقرت فقال سليمان أترى الحجاج استقر فى جهنم فقال ياأمير المؤمنين لا تقل ذلك فان الحجاج وطأ لكم المنابر وأذل لكم الجبابرة وهو يجىء يوم القيامة عن يمين أبيك وشمال أخيك فحيثما كانا كان * وقال يهودى لعلى ابن أبى طالب رضى الله عنه مالكم لم تلبثوا بعد نبيكم الاخمس عشرة سنة حتى تقاتلتم فقال على كرم الله وجهه ولم أنتم لم تجف أقدامكم من البلل حتى قلتم ياموسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة * ووجد الحجاج على منبره مكتوبا قل تمتع بكفرك قليلا انك من أصحاب النار فكتب تحته قل موتوا بغيظكم ان الله عليم بذات الصدور * ودخل عقيل على معاوية وقد كف بصره فاجلسه معه على سريره ثم قال له أنتم معشر بنى هاشم تصابون فى أبصاركم فقال له عقيل وأنتم معشر بنى أمية تصابون فى بصائركم * وقيل اجتمعت بنو هاشم يوما عند معاوية فاقبل عليهم وقال يابنى هاشم ان خيرى لكم لممنوح وان بابى لكم لمفتوح فلا يقطع خيرى عنكم ولا يرد بابى دونكم ولما نظرت فى أمرى وأمركم رأيت أمرا مختلفا انكم ترون أنكم أحق بما فى يدى منى واذا أعطيتكم عطية فيها قضاء حقوقكم قلتم أعطانا دون حقنا وقصر بنا عن قدرنا فصرت كالمسلوب والمسلوب لاحمد له هذا مع انصاف قائلكم واسعاف سائلكم قال فاقبل عليه ابن عباس رضى الله عنهما فقال والله مامنحتنا شيأ حتى سألناه ولا فتحت لنا بابا حتى قرعناه ولئن قطعت عنا خيرك لخير الله أوسع منك ولئن أغلقت دوننا بابا لنكفن أنفسنا عنك وأما هذا المال فليس لك منه الا مالرجل من المسلمين ولولا حقنا فى هذا المال لم يأتيك منا زائر يحمله خف ولا حافر أكفاك أم أزيدك قال كفانى ياابن عباس * وقال معاوية يوما أيها الناس ان الله حبا قريشا بثلاث فقال لنبيه صلى الله

بقطرشة وعاشر العلماء وأهل الصلاح حتى صار معدودا فى الاخيار فلما احتاج الجامع المذكور الى خطيب رشح جانبه للخطابة لكثرة الثناء عليه فتولاها فلما توفى تولى بعده العماد الواسطى الواعظ وكان متهما باستعمال الشراب وكان صاحب دمشق يومئذ الملك الصالح عماد الدين اسمعيل بن العادل أيوب فكتب اليه الجمال عبد الرحيم المعروف بابن رواحة أبياتا وهى هذه

يامليكا أوضح الحـ * ـق لدينا وأبانه

جامع التوبة قد حـ * ـلى منه أمانه

قال قل للملك الصا * لح أعلى الله شانه

ياعماد الدين يامن * حمد الناس زمانه

كم الى كم أنا فى بؤ * س وضر واهانه

لى خطيب واسطى * يعشق الشرب ديانه

والذى قد كان من قبـ * ـل يغنى بجفانه

فبكالحن ومازلـ * ـنا ولا أبرح حانه

ردنى للنمط الاو * ل واستبق زمانه

(ومن لطائف المنقول) ان بثينة وعزة دخلتا على عبد الملك بن مروان فانحرف الى عزة وقال أنت عزة كثير قالت لست لكثير بعزة لكننى أم بكر قال أتروين قول كثير

وقد زعمت انى تغيرت بعدها * ومن ذا الذى ياعز لا يتغير

قالت لست أروى هذا ولكننى أروى قوله

كأنى أنادى أو أكلم صخرة * من الصم لو تمشى بها العصم زلت

ثم انحرف الى بثينة فقال أنت بثينة جميل قالت نعم ياأمير

عليه وسلم وأنذر عشيرتك الأقربين ونحن عشيرته الأقربون وقال تعالى وانه لذكر لك ولقومك ونحن قومه وقال تعالى لايلاف قريش ايلافهم ونحن قريش فاجابه رجل من الأنصار فقال على رسلك يامعاوية فان الله تعالى يقول وكذب به قومك وهو الحق وأنتم قومه وقال تعالى ولما ضرب ابن مريم مثلا اذا قومك منه يصدون وأنتم قومه وقال تعالى وقال الرسول يارب ان قومى اتخذوا هذا القرآن مهجورا وأنتم قومه ثلاثة بثلاثة ولو زدتنا لزدناك * وقال معاوية أيضا لرجل من اليمن ما كان أجهل قومك حين ملكوا عليهم امرأة فقال أجهل من قومى قومك الذين قالوا حين دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم ولم يقولوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا اليه * وقال يوما لجارية بن قدامة ما كان أهونك على قومك اذ سموك جارية فقال ما كان أهونك على قومك اذ سموك معاوية وهى الأنثى من الكلاب قال اسكت لا أم لك قال أم لى ولدتنى أما والله ان القلوب التى أبغضناك بها لبين جوانحنا والسيوف التى قاتلناك بها لفى أيدينا وانك لم تهلكنا قسوة ولم تملكنا عنوة ولكنك أعطيتنا عهدا وميثاقا وأعطيناك سمعا وطاعة فان وفيت لنا وفينا لك وان نزعت الى غير ذلك فانا تركنا وراءنا رجالا شدادا وأسنة حدادا فقال معاوية لا أكثر الله فى الناس مثلك ياجارية فقال له قل معروفا فان شر الدعاء محيط بأهله * وخطب معاوية يوما فقال ان الله تعالى يقول وان من شىء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم فعلام تلومونى اذا قصرت فى عطاياكم فقال له الأحنف وانا والله لا نلومك على ما فى خزائن الله ولكن على ما أنزله الله لنا من خزائنه فجعلته فى خزائنك وحلت بيننا وبينه * وقيل دخل مجنون الطاق يوما الى الحمام وكان بغير مئزر فرآه أبو حنيفة رضى الله تعالى عنه وكان فى الحمام فغمض عينيه فقال له المجنون متى أعماك الله قال حين هتك سترك (ومن ذلك) ماحكى أن الحجاج خرج يوما متنزها فلما فرغ من نزهته صرف عنه أصحابه وانفرد بنفسه فاذا هو بشيخ من بنى عجل فقال له من أين أيها الشيخ قال من هذه القرية قال كيف ترون عمالكم قال شر عمال يظلمون الناس ويستحلون أموالهم قال فكيف قولك فى الحجاج قال ذاك ماولى العراق شر منه قبحه الله وقبح من استعمله قال أتعرف من أنا قال لا قال أنا الحجاج قال جعلت فداك أو تعرف من أنا قال لا قال أنا فلان بن فلان مجنون بنى عجل أصرع فى كل يوم مرتين قال فضحك الحجاج منه وأمر له بصلة * وقال رجل لصاحب منزل أصلح خشب هذا السقف فانه يقرقع قال لا تخف فانه يسبح قال انى أخاف أن تدركه رقة فيسجد * وقالت عجوز لزوجها أما تستحى أن تزنى ولك حلال طيب قال أما حلال فنعم وأما طيب فلا * وقال ملك لوزيره ما خير ما يرزقه العبد قال عقل يعيش به قال فان عدمه قال أدب يتحلى به قال فان عدمه قال مال يستره قال فان عدمه قال فصاعقة تحرقه وتريح منه العباد والبلاد * وتنبأ رجل فى زمن المنصور فقال له المنصور أنت نبى سفلة فقال جعلت فداك كل نبى يبعث الى شكله (ومن الاجوبة المسكتة المستحسنة) ماذكر أن ابراهيم مغنى الرشيد غنى يوما بين يديه فقال له أحسنت أحسن الله اليك فقال له ياأمير المؤمنين انما يحسن الله الى بك فأمر له بمائة ألف درهم * وقال رجل لبعض العلوية أنت بستان فقال العلوى وأنت النهر الذى يسقى منه البستان * وذبحت عائشة رضى الله تعالى عنها شاة وتصدقت بها وأفضلت منها كتفا فقال لها النبى صلى الله عليه وسلم ماعندك منها فقالت مابقى منها الا كتف فقال كلها بقى الا كتفا وقال عبد الله بن يحيى لأبى العيناء كيف الحال قال أنت الحال فانظر كيف أنت لنا فأمر له بمال جزيل وأحسن صلته وكان عمرو بن سعد بن سالم فى حرس المأمون ليلة فخرج المأمون يتفقد الحرس فقال لعمرو من أنت قال عمرو عمرك الله ابن سعد أسعدك الله بن سالم سلمك الله قال أنت تكلؤنا الليلة قال الله يكلؤك ياأمير المؤمنين وهو خير حفظا وهو أرحم الراحمين فقال المأمون

ان أخا الهيجاء من يسعى معك * ومن يضر نفسه لينفعك

ومن اذا ريب الزمان صدعك * شتت فيك شمله ليجمعك

ادفعوا اليه أربعة آلاف دينار قال عمرو وددت لو أن الابيات طالت وقال المعتصم للفتح بن خاقان وهو صبى صغير ارأيت يافتح أحسن من هذا الفص لفص كان فى يده قال نعم ياأمير المؤمنين اليد التى هو فيها أحسن منه

المؤمنين قال ما الذى رأى فيك جميل حتى لهج بذكرك من بين نساء العالمين قالت الذى رأى الناس فيك فجعلوك خليفتهم قال فضحك حتى بدا له ضرس أسود ولم ير قبل ذلك وفضل بثينة على عزة فى الجائزة ثم أمرهما أن يدخلا على عاتكة فدخلتا عليها فقالت لعزة اخبرينى عن قول كثير

قضى كل ذى دين فوفى غريمه
وعزة ممطول معنى غريمها

ما كان دينه وما كنت وعدتيه قالت كنت وعدته قبلة ثم تأثمت منها قالت عاتكة وددت انك فعلت وأنا كنت تحملت اثمها عنك ثم ندمت عاتكة واستغفرت الله تعالى وأعتقت عن هذه الكلمة أربعين رقبة انتهى (ويعجبنى قول أسامة ابن منقذ فى ابن طليب المصرى وقد احترقت داره)

انظر الى الايام كيف تسوقنا
قسرا الى الاقرار بالاقدار

ما أوقد ابن طليب قط بداره
نارا وكان خرابها بالنار

قلت ومما يناسب هذه الواقعة ان الوجيه بن صورة المصرى دلال الكتب بمصر كان له دار موصوفة بالحسن فاحترقت فعمل فيها النشو الملك المعروف بابن المنجم

أقول وقد عاينت دار ابن صورة
وللنار فيها مارج يتضرم

كذا كل مال أصله من نهاوش
فعما قليل فى نهابر يعدم

وما هو الا كافر طال عمره
فجاءته لما استبطأته جهنم

قلت وهذه اللطائف تضارع قصة أبى الحسين الجزار مع بعض أهل الادب بمصر وكان شيخنا قد ظهر عليه جرب فالتطخ بالكبريت فلما سمع أبو الحسين الجزار بذلك كتب اليه

أيها السيد الاديب دعاء
من محب خال عن التنكيت

فأعجبه جوابه وأمر له بصلة وكسوة * وقيل ان رجلا سأل العباس رضي الله عنه أأنت أكبر أم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكبر وأنا ولدت قبله وقال معاوية لسعيد بن مرة الكندى أأنت سعيد قال أمير المؤمنين السعيد وأنا ابن مرة وقال المأمون للسيد بن أنس أأنت السيد قال أمير المؤمنين السيد وأنا ابن أنس وقال الحجاج للمهلب وهو يماشيه أأنا أطول أم أنت قال الأمير أطول وأنا أبسط قامة أراد الطول وهو الفضل والاجوبة بهذا المعنى كثيرة لو تتبعتها لعجزت عنها ولكني اقتصرت على هذا وأوجزت وفيما ذكرته من ذلك كفاية وأسأل الله تعالى العون والعناية

* الباب التاسع في ذكر الخطب والخطباء والشعر والشعراء وسرقاتهم وكبوات الجياد وهفوات الامجاد *

قيل خطب المأمون فقال عباد الله اتقوا الله وأنتم في مهل بادروا الاجل ولا يغرنكم الأمل فكأني بالموت قد نزل فشغلت المرء شواغله وتولت عنه فواصله وهيئت أكفانه وبكاه جيرانه وصار الى التراب الخالى بجسده البالى فهو في التراب عفير والى ما قدم فقير * وقال الشعبي ما سمعت أحدا يخطب الا تمنيت أن يسكت مخافة أن يخطئ ما خلا زيادا فانه لا يزداد اكثارا الا ازداد احسانا (وخطب) على رضي الله عنه فقال في خطبته عباد الله الموت الموت ليس منه فوت ان أقمتم أخذكم وان فررتم منه أدرككم الموت معقود بنواصيكم فالنجا النجا والوحا الوحا فان وراءكم طالبا حثيثا وهو القبر ألا وان القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار ألا وانه يتكلم في كل يوم ثلاث كلمات فيقول أنا بيت الظلمة أنا بيت الوحشة أنا بيت الديدان ألا وان وراء ذلك اليوم يوما أشد منه يوما يشيب فيه الصغير ويسكر فيه الكبير وتذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد ألا وان وراء ذلك اليوم يوما أشد منه فيه نار تتسعر حرها شديد وقعرها بعيد وحليها حديد وماؤها صديد ليس لله فيها رحمة قال فبكى المسلمون بكاء شديدا ثم قال ألا وان وراء ذلك اليوم جنة عرضها كعرض السموات والأرض أعدت للمتقين أدخلنا الله واياكم دار النعيم وأجارنا واياكم من العذاب الأليم (وخطب) الحجاج بن يوسف فقال في بعض خطبه ان ابراهيم بن عبد الله بن الحسن رضي الله عنه خطب بالبصرة فقال أيها الناس كل كلام في غير ذكر فهو لغو وكل صمت في غير فكر فهو سهو والدنيا حلم والآخرة يقظة والموت متوسط بينهما ونحن في أضغاث أحلام * قيل اجتمع الناس عند معاوية وقام الخطباء لبيعة يزيد وأظهر قوم الكراهة فقام رجل من الخطباء من عذرة يقال له يزيد بن المقنع فاخترط من سيفه شبرا ثم قال أمير المؤمنين هذا وأشار الى معاوية ثم قال فان يمت فهذا وأشار الى يزيد ثم قال فمن أبى فهذا وأشار الى سيفه فقال له معاوية أنت سيد الخطباء

* فصل في ذكر الشعر والشعراء وسرقاتهم *

قيل ما استدعى شارد الشعر بمثل الماء الجارى والشرف العالى والمكان الخضر الخالى وقيل أمسك على النابغة الجعدى أربعين يوما فلم ينطق بالشعر ثم ان بنى جعدة غزوا فظفروا فاستخفه الطرب والفرح فرام الشعر فذل له ما استصعب عليه فقال له قومه والله لنحن باطلاق لسان شاعرنا أسر منا بالظفر بعدونا * وقال أبو نواس ما قلت الشعر حتى رويت لستين امرأة منهن الخنساء وليلى فما ظنك بالرجال وقال الخليل الشعراء أمراء الكلام يتصرفون فيه كيف شاؤا جائز لهم فيه ما لا يجوز لغيرهم من اطلاق المعنى وتقييده ومن تسهيل اللفظ وتعقيده وقيل وفد زياد بن عبد الله على معاوية فقال له أقرأت القرآن قال نعم قال أفرضت الفريض قال نعم قال أرويت الشعر قال لا فكتب الى عبد الله أبا زياد بارك الله لك في ابنك فأروه الشعر فقد وجدته كاملا وانى سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول ارووا الشعر فانه يدل على محاسن الأخلاق وينهى عن مساويها وتعلموا الانساب فرب رحم مجهولة قد وصلت بعرفان النسب وتعلموا من النجوم ما يدلكم على سبلكم في البر والبحر ولقد هممت بالهرب يوم صفين فما ثبتني الا قول القائل

أقول لها اذا جشأت وجاشت * مكانك تحمدى أو تستريحى

وقيل لم يرقط أعلم بالشعر والشعراء من خلف الأحمر كان يعمل الشعر على ألسنة الفحول من القدماء فلا يتميز عن مقولهم ثم تنسك فكان يختم القرآن كل يوم وليلة وبذل له بعض الملوك مالا جزيلا على أن يتكلم في بيت من الشعر شكوا فيه فأبى * وكان الحسن بن على رضي الله عنه يعطى الشعراء فقيل له في ذلك فقال خير مالك

أنت شيخ وقد قربت من الثما
ر فكيف ادهنت بالكبريت

(قيل) ان أبا القاسم الزعفرانى مدح الصاحب بن عباد بقصيدة نونية وانتهى الى قوله منها

وحاشية الدار يمشون في
صنوف من الخز الا أنا

فقال الصاحب قرأت في أخبار معن بن زائدة الشيبانى أن رجلا قال له احملنى أيها الامير فأمر له بناقة وفرس وبغل وحمار وجارية ثم قال لو علمت أن الله سبحانه وتعالى خلق مركوبا غير هذا لحملتك عليه وقد أمرنا لك من الخز بجبة وقميص وعمامة ودراعة وسراويل ومنديل ومطرف ورداء وكساء وجورب وكيس ولو علمنا لباسا من الخز لاعطيناكه (وبلغ) حديث معن المذكور للعلاء بن أيوب فقال رحم الله ابن زائدة لو كان يعلم أن الغلام يركب لامر له به ولكنه كان عربيا خالصا لم يدنس بقاذورات الأعاجم انتهى (قيل) ان بيوت الشعر أربعة فخر ومديح وهجاء ونسيب وكان جرير أفحل شعراء الاسلام في الاربعة (فالفخر قوله)

اذا غضبت عليك بنو تميم
حسبت الناس كلهم غضابا

(والمديح قوله)

ألستم خير من ركب المطايا
وأندى العالمين بطون راح

(والهجاء قوله)

فغض الطرف انك من نمير
فلا كعبا بلغت ولا كلابا

(والنسيب قوله)

ان العيون التى في طرفها حور
قتلننا ثم لم يحيين قتلانا
يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به
وهن أضعف خلق الله انسانا

(وقال أبو عبيدة)

التقى جرير والفرزدق بمنى وهما حاجان فقال الفرزدق لجرير

فانك لاق بالمنازل من منى

ماوقيت به عرضك *وقال أبو الزناد مارأيت أروى للشعر من عروة قلت له ماأرواك ياأبا عبدالله فقال وماروايتي مع رواية عائشة رضي الله عنها ما كان ينزل بها شئ الا أنشدت فيه شعرا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتمثل بقول القائل *كفى الاسلام والشيب للمرء ناهيا* ولم ينطق به موزونا فقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه أشهد أنك رسول الله حقا وتلا قوله تعالى وما علمناه الشعر وما ينبغي له (ولنذكر نبذة من سرقات الشعراء وسقطاتهم) (فمن ذلك) قول قيس بن الحطيم وهو شاعر الأوس وشجاعها

وما المال والاخلاق الا معارة * فما اسطعت من معروفها فتزود

وكيف يخفى ما أخذه مع اشتهار قصيدة طرفة بن العبد وهي معلقة على الكعبة يقول فيها

لعمرك ما الايام الا معارة * فما اسطعت من معروفها فتزود

(ومن ذلك) قول عبدة بن الطبيب

فما كان قيس هلكه هلك واحد * ولكنه بنيان قوم تهدما

أخذه من قول امرئ القيس

فلو أنها نفس تموت شريتها * ولكنها نفس تساقط أنفسا

ويقال من سرق شيأ واسترقه فقد استحقه وهو أن يسرق الشاعر المعنى دون اللفظ *فمن السرقة الفاحشة قول كثير في عبد الملك بن مروان اذا ما أراد الغزو لم يثن همه * حصان عليها عقد در يزينها

أخذه من قول الحطيئة ولم يغير سوى الروي

اذا ما أراد الغزو لم يثن همه * حصان عليها لؤلؤ وشنوف

وجرير على سعة تبحره وقدرته على غرر الشعر وابتكار الكلام نقل قوله

فلو كان الخلود بفضل قوم * على قوم لكان لنا الخلود

من قول زهير وهو شعر مشهور يحفظه الصبيان وترويه النسوان وهو

فلو كان حمد يخلد المرء لم يمت * ولكن حمد المرء غير مخلد

وقد قال الشماخ وأمر ترجى النفس ليس بنافع * وآخر تخشى ضيره لا يضيرها

وهو مأخوذ من قول الآخر ترجى النفوس الشئ لا تستطيعه * وتخشى من الأشياء مالا يضيرها

وأبو تمام مع قوته وقدرته على الكلام يقول

وأحسن من نور تفتحه الصبا * بياض العطايا في سواد المطالب

أخذه من قول الاخطل رأيت بياضا في سواد كأنه * بياض العطايا في سواد المطالب

ومن سقطات الشعراء ما قيل ان أبا العتاهية كان مع تقدمه في الشعر كثير السقط روى أنه لقي محمد بن مبادر بمكة فمازحه وضاحكه ثم انه دخل على الرشيد فقال يا أمير المؤمنين هذا شاعر البصرة يقول قصيدة في كل سنة وأنا أقول في كل سنة مائتي قصيدة فأدخله الرشيد اليه وقال ماهذا الذي يقول أبو العتاهية فقال يا أمير المؤمنين لو كنت أقول كما يقول ألا يا عتبة الساعة * أموت الساعة الساعة

لقلت كثيرا ولكن أقول ابن عبد الحميد يوم توفى * هد ركنا ما كان بالمهدود

ما درى نعشه ولا حاملوه * ما على النعش من عفاف وجود

فأعجب الرشيد قوله وأمر له بعشرة آلاف درهم فكاد أبو العتاهية يموت غما وأسفا وكان بشار بن برد يسمونه أبا المحدثين ويسلمون اليه في الفضيلة والسبق وبعض أهل اللغة يستشهد بشعره ومع ذلك قال

انما عظم سليمى حبتي * قصب السكر لا عظم الجمل

واذا أدنيت منها بصلا * غلب المسك على ريح البصل

هذا مع قوله اذا قامت لمشيتها تثنت * كأن عظامها من خيزران

ومع قوله في الفخر كأن مثار النقع فوق رؤسنا * وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه

ومع قوله أيضا اذا أنت لم تشرب مرارا على القذى * ظمئت وأي الناس تصفو مشاربه

وأبو الطيب المتنبي في فضله المشهور وأخذه بزمام الكلام وقدرته على رقائق المعاني وعلى ما في شعره من الحكم

*خمارا فاخبرني بما أنت فاخر

فقال له جرير بأبيك اللئام لبيك قال أبو عبيدة أصحابنا يستحسنون هذا الجواب من جرير ويعجبون منه

(قيل) لما استخلف عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وفد الشعراء اليه وأقاموا ببابه أياما لا يؤذن لهم فبينما هم كذلك اذ مر بهم رجاء بن حيوة وكان جليس عمر فلما رآه جرير داخلا قام اليه وأنشده

يا أيها الرجل المرخي عمامته

هذا زمانك فاستأذن لنا عمرا

فدخل عليه ولم يذكر له شيأ من أمرهم ثم مر بهم عدي بن أرطاة فقال جرير أبياتا آخرها قوله

لا تنس حاجتنا لقيت مغفرة

قد طال مكثي عن أهلي وأوطاني

قال فدخل عدي على عمر فقال يا أمير المؤمنين الشعراء ببابك وسهامهم مسمومة وأقوالهم نافذة قال ويحك يا عدي مالي وللشعراء قال أعز الله أمير المؤمنين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد امتدح وأعطى ولك في رسول الله عليه الصلاة والسلام أسوة حسنة قال كيف قال امتدحه العباس بن مرداس السلمي فأعطاه حلة فقطع بها لسانه قال أوتروي من قوله شيأ قال نعم قوله

رأيتك يا خير البرية كلها

نشرت كتابا جاء بالحق معلما

شرعت لنا دين الهدى بعد جورنا

عن الحق لما أصبح الحق مظلما

ونورت بالبرهان أمرا مدلسا

وأطفأت بالاسلام نارا تضرما

فمن مبلغ عني النبي محمدا

وكل امرئ يجزى بما كان قدما

أقمت سبيل الحق بعد اعوجاجه

وكان قديما ركنه قد تهدما

فقال عمر ويلك يا عدي من الباب منهم قال عمر بن أبي ربيعة قال أليس هو الذي يقول

ثم نبهتها فقدت كعابا * طفلة ما تبين

والامثال السائرة يقول وضاقت الارض حتى صار هارب هم * اذا رأى غير شئ ظنه رجلا
وغير شئ معناها المعدوم والمعدوم لا يرى فهذا سقط فاحش * ومما يستهجن من قوله وتكاد أن تمجه الاسماع قوله

تقلقلت بالهم الذى قلقل الحشا * قلاقل عيش كلهن قلاقل

وقوله وقد جمع بين قبح اللفظ وبرودة المعنى

ان كان مثلك كان أو هو كائن * فبرئت حينئذ من الاسلام

ومن معانيه المسروقة قوله ونهب نفوس أهل النهب أولى * بأهل المجد من نهب القماش
أخذه من قول أبي تمام ان الاسود أسود الغاب همتها * يوم الكريهة في المسلوب لا السلب
قال أبو عبد الله الزبيري اجتمع راوية كثير وراوية جرير وراوية جميل وراوية الاحوص وراوية نصيب فافتخر كل منهم وقال صاحبي أشعر فحكموا السيدة سكينة بنت الحسين رضى الله تعالى عنهما بينهم لعقلها وتبصرها بالشعر فخرجوا حتى استأذنوا عليها وذكروا لها أمرهم فقالت لراوية جرير أليس صاحبك الذى يقول طرقتك صائدة القلوب وليس ذا * وقت الزيارة فارجعي بسلام
وأى ساعة أحلى من الزيارة بالطروق قبح الله صاحبك وقبح شعره فهلا قال فادخلي بسلام ثم قالت لراوية كثير أليس صاحبك الذى يقول يقر بعيني ما يقر بعينها * وأحسن شئ ما به العين قرت
وليس شئ أقر بعينها من النكاح أيحب صاحبك ان ينكح قبح الله صاحبك وقبح شعره ثم قالت لراوية جميل أليس صاحبك الذى يقول فلو تركت عقلى معى ما طلبتها * ولكن طلابيها لما فات من عقلى
فما أراه هوى وانما طلب عقله قبح الله صاحبك وقبح شعره ثم قالت لراوية نصيب أليس صاحبك الذى يقول

أهيم بدعد ما حييت فان أمت * فواحزنى من ذا يهيم بها بعدى

فماله همة الا من يتعشقها بعده قبحه الله وقبح شعره هلا قال

أهيم بدعد ما حييت فان أمت * فلا صلحت دعد لذى خلة بعدى

ثم قالت لراوية الاحوص أليس صاحبك الذى يقول

من عاشقين تواعدا وتراسلا * ليلا اذا نجم الثريا حلقا
باتا بأنعم ليلة وألذها * حتى اذا وضح الصباح تفرقا

قبحه الله وقبح شعره هلا قال تعانقا فلم تثن على واحد منهم وأحجموا عن جوابها رضى الله عنها (وروى) ابن الكلبي قال لما أفضت الخلافة الى عمر بن عبد العزيز وفدت اليه الشعراء كما كانت تفد على الخلفاء من قبله فأقاموا ببابه أياما لا يؤذن لهم فى الدخول حتى قدم عدى بن ارطاة عليه وكان منه بمكانة فتعرض له جرير وقال

يا أيها الرجل المزجى مطيته * هذا زمانك انى قد خلا زمنى
أبلغ خليفتنا ان كنت لاقيه * أنى لدى الباب كالمشدود فى قرن
لا تنس حاجتنا لاقيت مغفرة * قد طال مكثى عن أهلى وعن وطنى

فقال نعم يا أبا عبد الله فلما دخل على عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه قال يا أمير المؤمنين الشعراء ببابك وألسنتهم مسمومة وسهامهم صائبة فقال عمر رضى الله عنه مالى وللشعراء فقال يا أمير المؤمنين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مدح فأعطى وفيه اسوة لكل مسلم قال صدقت فمن بالباب منهم قال ابن عمك عمر بن أبى ربيعة القرشى قال لا قرب الله قرابته ولا حيا وجهه أليس هو القائل

ألا ليتنى فى يوم تدنو منيتى * شممت الذى ما بين عينيك والفم
وليت طهورى كان ريقك كله * وليت حنوطى من مشاشك والدم
ويا ليت سلمى فى القبور ضجيعتى * هنالك أو فى جنة أو جهنم

فليته عدو الله تمنى لقاءها فى الدنيا ثم يعمل عملا صالحا والله لا يدخل على أبدا فمن بالباب غيره ممن ذكرت قال جميل بن معمر العذرى قال أليس هو القائل

ألا ليتنا نحيا جميعا فان نمت * يوافى لدى الموت ضريحى ضريحها
فما أنا فى طول الحياة براغب * اذا قيل قد سوى عليها صفيحها
أظل نهارى لا أراها وتلتقى * مع الليل روحى فى المنام وروحها

والله لا يدخل على أبدا فمن بالباب غيره ممن ذكرت قال كثير عزة قال أليس هو القائل

رهبان مدين والذين عهدتهم * يبكون من حذر العذاب قعودا

رجع الكلام * ساعة ثم انها بعد قالت * ويلتا قد عجلت يا ابن الكرام * فلو كان عدو الله اذ فجر كتم على نفسه لكان أستر له لا يدخل والله على أبدا فمن بالباب سواه قال الفرزدق قال أو ليس الذى يقول

هما دلتانى من ثمانين قامة
كما انقض باز أقتم الريش كاسره
فلما استوت رجلاى فى الارض قالتا
أحى فيرجى أم قتيل نحاذره

لا يدخل على والله فمن بالباب سواه قال الاخطل قال يا عدى هو الذى يقول

ولست بصائم رمضان طوعا
ولست بآكل لحم الاضاحى
ولست بزاجر عيسا بكورا
الى بطحاء مكة للنجاح
ولست بزائر بيتا عتيقا
بمكة أبتغى فيه صلاحى
ولست بقائم بالليل أدعو
قبيل الصبح حى على الفلاح
ولكنى سأشربها شمولا
وأسجد عند منبلج الصباح

والله لا يدخل على وهو كافر أبدا فمن بالباب سوى من ذكرت قال الاحوص قال أليس الذى يقول

الله بينى وبين سيدها
يفر منى بها وأتبعه

فما هو بدون من ذكرت فمن هنا أيضا قال جميل بن معمر قال أليس هو الذى يقول

ألا ليتنا نحيا جميعا وان أمت
يوافق فى الموتى ضريحى ضريحها

فلو كان عدو الله تمنى لقاءها فى الدنيا ليعمل بعد ذلك صالحا لكان أصلح والله لا يدخل على أبدا فهل سوى من ذكرت احد قال جرير قال أما هو الذى يقول

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا
وقت الزيارة فارجعي بسلام

فان كان ولا بد فهو الذى يدخل فلما مثل بين يديه قال يا جرير اتق الله ولا تقل الا حقا فأنشده قصيدته

لو يسمعون كما سمعت حديثها * خروا لعزة ركعا وسجودا

أبعده الله فوالله لا يدخل على أبدا فمن بالباب غيره ممن ذكرت قال الاحوص الانصارى قال أبعده الله والله لادخل على أبدا أليس هو القائل وقد أفسد على رجل من أهل المدينة جاريته حتى هرب بها منه

الله بيني و بين سيدها * يفر مني بها وأتبعه

فمن بالباب غيره ممن ذكرت قال همام بن غالب الفرزدق قال أليس هو القائل يفتخر بالزنا فى قوله

هما دلياني من ثمانين قامة * كما انقض باز لين الريش كاسره

فلما استوت رجلاى فى الارض قالتا * أحى فيرجى أم قتيل نحاذره

فقلت ارفعوا الاحراس لا يفطنوا بنا * ووليت فى أعقاب ليل أبادره

والله لادخل على أبدا فمن بالباب غيره ممن ذكرت قال الاخطل التغلبي قال أليس هو القائل

ولست بصائم رمضان عمرى * ولست بآكل لحم الاضاحى * ولست بزاجر عيسا بكورا

الى اطلال مكة بالنجاح * ولست بقائم كالعير يدعو * قبيل الصبح حى على الفلاح

ولكنى سأشربها شمولا * وأسجد عند منبلج الصباح

أبعده الله عنى فوالله لا دخل على أبدا ولا وطئ لى بساطا وهو كافر فمن بالباب غيره من الشعراء ممن ذكرت قال جرير قال أليس هو القائل طرقتك صائدة القلوب وليس ذا * وقت الزيارة فارجعى بسلام

فان كان ولا بد فهذا فأذن له قال عدى بن ارطاة فخرجت فقلت ادخل يا جرير فدخل وهو يقول

ان الذى بعث النبي محمدا * جعل الخلافة فى الامام العادل * وسع الخلائق عدله ووقاره

حتى ارعووا وأقام ميل المائل * انى لارجو منه نفعا عاجلا * والنفس مولعة بحب العاجل

والله أنزل فى الكتاب فريضة * لابن السبيل وللفقير العائل

فلما مثل بين يديه قال يا جرير اتق الله ولا تقل الا حقا فأنشأ يقول

كم باليمامة من شعثاء أرملة * ومن يتيم ضعيف الصوت والنظر * ممن يعدلك يكفى فقد والده

كالفرخ فى العش لم يدرج ولم يطر * أأذكر الجهد والبلوى التى نزلت * أم قد كفانى ما بلغت من خبرى

انا لنرجو اذا ما الغيث أخلفنا * من الخليفة ما نرجو من المطر * ان الخلافة جاءته على قدر

كما أتى ربه موسى على قدر * هذى الارامل قد قضيت حاجتها * فمن لحاجة هذا الارمل الذكر

الخير ما دمت حيا لا يفارقنا * بوركت يا عمر الخيرات من عمر

فقال والله يا جرير لقد وليت الامر ولا أملك الا ثلاثين دينارا فعشرة أخذها عبد الله ابنى وعشرة أخذتها أم عبد الله ثم قال لخادمه ادفع اليه العشرة الثالثة فقال والله يا أمير المؤمنين انها لاحب مال اكتسبته ثم خرج فقال له الشعراء ما وراءك يا جرير فقال ورائى ما يسوءكم خرجت من عند أمير يعطى الفقراء ويمنع الشعراء وانى عنه لراض ثم أنشأ يقول

رأيت رقى الجن لا يستفزه * وقد كان شيطانى من الجن راقيا

﴿ومما جاء فى كبوات الجياد وهفوات الامجاد﴾

قال الاحنف الشريف من عدت سقطاته وقلت عثراته وقالوا كل صارم ينبو وكل جواد يكبو وكان الاحنف بن قيس حليما سيدا يضرب به المثل وقد عدت له سقطة وهو ان عمرو بن الاهتم دس اليه رجلا يسفهه فقال يا أبا بحر ما كان أبوك فى قومه قال كان أوسطهم وسيدهم ولم يتخلف عنهم فرجع اليه ثانيا ففطن انه من قبل عمرو بن الاهتم فقال ما كان أبوك قال كانت له فتوة ومروءة ومكارم أخلاق ولم يكن أهتم سلاحا وقال سعيد بن المسيب ما فاتنى الاذان فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ أربعين سنة ثم قام يريد الصلاة فوجد الناس قد خرجوا من المسجد وقال قتادة ما نسيت شيأ قط ثم قال يا غلام ناولنى نعلى قال النعل فى رجلك وكان هشام بن عبد الملك من رجال بنى أمية ودهاتهم وقد عدت له سقطات منها ان الحادى حدا به يوما فقال

ان عليك أيها البختى * أكرم من يمشى به المطى

فقال هشام صدقت وذكر عنده سليمان أخوه فقال والله لاشكونه يوم القيامة الى أمير المؤمنين عبد الملك

الرائية المشهورة التى منها

انا لنرجو اذا ما الغيث أخلفنا
من الخليفة ما نرجو من المطر
نال الخلافة أو كانت له قدرا
كما أتى ربه موسى على قدر
هذى الارامل قد قضيت حاجتها
فمن لحاجة هذا الارمل الذكر
الخير ما دمت حيا لا يفارقنا
بوركت يا عمر الخيرات من عمر

فقال يا جرير ما أرى لك فيما ههنا حقا قال بلى يا أمير المؤمنين انى ابن سبيل ومنقطع فقال له ويحك يا جرير لقد ولينا هذا الامر ولا نملك الا ثلثمائة درهم فمائة أخذها عبد الله ومائة أخذتها أم عبد الله يا غلام أعطه المائة الباقية قال فأخذها جرير وقال والله لهى أحب مال اكتسبته ثم خرج فقال له الشعراء ما وراءك فقال ما يسوءكم خرجت من عند خليفة يعطى الفقراء ويمنع الشعراء وانى عليه لراض وأنشد

رأيت رقى الشيطان لا تستفزه
وقد كان شيطانى من الجن راقيا

(ومن لطائف الظرف) ما حدث ابراهيم بن المهدى قال قال لى جعفر يوما انى استأذنت أمير المؤمنين فى الخلوة غدا فهل أنت مساعدى فقلت جعلت فداك أنا أسعد بمساعدتك وأسر بمجادثتك قال فبكر الى بكور الغراب قال فأتيته عند الفجر فوجدت الشمعة بين يديه وهو ينتظرنى للميعاد فصلينا ثم أفضنا الى الحديث وقدم الطعام فأكلنا فلما غسلنا أيدينا خلعت علينا ثياب المنادمة ثم ضمخنا بالخلوق ومدت الستائر ثم انه ذكر حاجة فدعا الحاجب فقال اذا أتى عبد الملك فائذن له يعنى قهرمانه فاتفق ان جاء عبد الملك بن صالح الهاشمى شيخ الرشيد وهو من جلالة القدر والورع والامتناع من منادمة أمير المؤمنين على أمر جليل وكان

وإما ولى الخلافة قال الحمد لله الذى أنقذنى من النار بهذا المقام قال النابغة أى الرجال المهذب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿الباب العاشر فى التوكل على الله تعالى والرضا بما قسم والقناعة وذم الحرص والطمع وما أشبه ذلك وفيه فصول﴾

﴿الفصل الاول فى التوكل على الله تعالى﴾ قال الله تعالى وتوكل على الحى الذى لا يموت وقال تعالى وعلى ربهم يتوكلون وقال تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال يدخل الجنة أقوام أفئدتهم مثل أفئدة الطير رواه مسلم قيل معناه متوكلون وقيل قلوبهم رقيقة وعن البراء بن عازب رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتعود بطانا وأوحى الله تعالى الى داود عليه السلام يا داود من دعانى أجبته ومن استغاثنى أغثته ومن استنصرنى نصرته ومن توكل على كفيته فأنا كافى المتوكلين وناصر المستنصرين وغياث المستغيثين ومجيب الداعين (حكى) انه كان فى زمن هرون الرشيد قد حصل للناس غلاء سعر وضيق حال حتى اشتد الكرب على الناس اشتدادا عظيما فأمر الخليفة هرون الرشيد الناس بكثرة الدعاء والبكاء وأمر بكسر آلات الطرب ففى بعض الايام رؤى عبد يصفق ويرقص ويغنى فحمل الى الخليفة هرون الرشيد فسأله عن فعله ذلك من دون الناس فقال ان سيدى عنده خزانة بر وأنا متوكل عليه أن يطعمنى منها فلهذا أنا اذا لا أبالى فأنا أرقص وأفرح فعند ذلك قال الخليفة اذا كان هذا قد توكل على مخلوق مثله فالتوكل على الله أولى فسلم للناس أحوالهم وأمرهم بالتوكل على الله تعالى (وحكى) أن حاتما الاصم كان رجلا كثير العيال وكان له أولاد ذكور واناث ولم يكن يملك حبة واحدة وكان قدمه التوكل فجلس ذات ليلة مع أصحابه يتحدث معهم فتعرضوا لذكر الحج فداخل الشوق قلبه ثم دخل على أولاده فجلس معهم يحدثهم ثم قال لهم لو أذنتم لابيكم أن يذهب الى بيت ربه فى هذا العام حاجا ويدعو لكم ماذا عليكم لو فعلتم فقالت زوجته وأولاده أنت على هذه الحالة لا تملك شيأ ونحن على ماترى من الفاقة فكيف تريد ذلك ونحن بهذه الحالة وكان له ابنة صغيرة فقالت ماذا عليكم لو أذنتم له ولا يهمكم ذلك دعوه يذهب حيث شاء فانه مناول للرزق وليس برزاق فذكرتهم ذلك فقالوا صدقت والله هذه الصغيرة يا أبانا انطلق حيث أحببت فقام من وقته وساعته وأحرم بالحج وخرج مسافرا وأصبح أهل بيته يدخل عليهم جيرانهم يوبخونهم كيف أذنوا له بالحج وتأسف على فراقه أصحابه وجيرانه فجعل أولاده يلومون تلك الصغيرة ويقولون لو سكت ماتكلمنا فرفعت الصغيرة طرفها الى السماء وقالت الهى وسيدى ومولاى عودت القوم بفضلك وأنك لا تضيعهم فلا تضيعهم ولا تخجلنى معهم فبينما هم على هذه الحالة اذ خرج أمير البلدة متصيدا فانقطع عن عسكره وأصحابه فحصل له عطش شديد فاجتاز بيت الرجل الصالح حاتم الاصم فاستسقى منهم ماء وقرع الباب فقالوا من أنت قال الامير ببابكم يستسقيكم فرفعت زوجة حاتم رأسها الى السماء وقالت الهى وسيدى سبحانك البارحة بتنا جياعا واليوم يقف الامير على بابنا يستسقينا ثم انها أخذت كوزا جديدا وملأته ماء وقالت للمتناول منها اعذرونا فأخذ الأمير الكوز فشرب منه فاستطاب الشرب من ذلك الماء فقال هذه الدار لأمير فقالوا لا والله بل لعبد من عباد الله الصالحين يعرف بحاتم الاصم فقال الأمير لقد سمعت به فقال الوزير يا سيدى لقد سمعت انه البارحة أحرم بالحج وسافر ولم يخلف لعياله شيأ وأخبرت انهم البارحة باتوا جياعا فقال الأمير ونحن أيضا قد ثقلنا عليهم اليوم وليس من المروأة أن يثقل مثلنا على مثلهم ثم حل الامير منطقته من وسطه ورمى بها فى الدار ثم قال لاصحابه من أحبنى فليلق منطقته فحل جميع أصحابه مناطقهم ورموا بها اليهم ثم انصرفوا فقال الوزير السلام عليكم أهل البيت لآتينكم الساعة بثمن هذه المناطق فلما نزل الأمير رجع اليهم الوزير ودفع اليهم ثمن المناطق مالا جزيلا واستردها منهم فلما رأت الصبية الصغيرة ذلك بكت بكاء شديدا فقالوا لها ماهذا البكاء انما يجب أن تفرحى فان الله قد وسع علينا فقالت يا أم والله انما بكائى كيف بتنا البارحة جياعا فنظر الينا مخلوق نظرة واحدة فاغنانا بعد فقرنا فالكريم الخالق اذا نظر الينا لا يكلنا الى أحد طرفة عين اللهم انظر الى أبينا ودبره بأحسن التدبير هذا ما كان من أمرهم * وأما ما كان من أمر حاتم أبيهم فانه لما خرج محرما ولحق بالقوم توجع

الرشيد قد اجتهد أن يشرب معنا قدحا واحدا فلم يقدر عليه ترفعا لنفسه فلما رفع الستر وطلع علينا سقط فى أيدينا وعلمنا أن الحاجب قد غلط بينه وبين عبد الملك القهرمان فأعظم جعفر ذلك وارتاع له ثم قام اجلالا له فلما نظر الى تلك الحال دعا غلامه فدفع اليه سيفه وعمامته ثم قال اصنعوا بنا ما صنعتم بأنفسكم قال فجاء اليه الغلمان فطرحوا عليه الثياب الحرير وضمخوه ودعى بالطعام فطعم وشرب ثلاثا ثم قال ليخفف عنى فانه شئ ماشربته والله فتهلل وجه جعفر وفرح ثم التفت اليه فقال جعلت فداءك بالغت فى الخير والفضل فهل من حاجة تبلغ اليها قدرتى وتحيط بها نعمتى فاقضيها مكافأة لما صنعت قال بلى ان فى قلب أمير المؤمنين على غضبا فتسأله الرضا عنى فقال له جعفر قد رضى أمير المؤمنين عنك ثم قال وعلى عشرة آلاف دينار فقال هى لك حاضرة من مالى ومن مال أمير المؤمنين مثلها ثم قال وابنى ابراهيم أحب أن أشد ظهره بصهر من أمير المؤمنين قال قد زوجه أمير المؤمنين ابنته العالية قال وأحب أن تخفق على رأسه الالوية قال قد ولاه أمير المؤمنين مصر فانصرف عبد الملك بن صالح قال ابراهيم بن المهدى فبقيت متحيرا متعجبا من اقدام جعفر على أمير المؤمنين من غير استئذان وقلت عسى أن يجيبه فيما سأل من الرضا والمال والولاية ولكن من أطلق لجعفر أو لغيره تزويج بنات الرشيد فلما كان من الغد بكرت الى باب الرشيد لأرى مايكون فدخل جعفر فلم يلبث حتى دعا بأبى يوسف القاضى وابراهيم ابن عبد الملك بن صالح فخرج ابراهيم وقد عقد نكاحه بالعالية بنت الرشيد وعقد له على مصر

أمير الركب فطلبوا له طبيبا فلم يجدوا فقال هل من عبد صالح فدل على حاتم فلما دخل عليه وكلمه دعا له فعوفي الأمير من وقته فأمر له بما يركب وما يأكل وما يشرب فنام تلك الليلة متفكرا في أمر عياله فقيل له في منامه يا حاتم من أصلح معاملته معنا أصلحنا معاملتنا معه ثم أخبر بما كان من أمر عياله فأكثر الثناء على الله تعالى فلما قضى حجه ورجع تلقته أولاده فعانق الصبية الصغيرة وبكى ثم قال صغار قوم كبار قوم آخرين ان الله لا ينظر الى أكبركم ولكن ينظر الى أعرفكم به فعليكم بمعرفته والاتكال عليه فانه من توكل على الله فهو حسبه * ومن كلام الحكماء من أيقن أن الرزق الذي قسم له لا يفوته تعجل الراحة ومن علم أن الذي قضي عليه لم يكن ليخطئه فقد استراح من الجزع ومن علم أن مولاه خير له من العباد فقصده كفاه همه وجمع شمله وفي الحديث عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم يوما فقال يا غلام اني أعلمك كلمات احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك اذا سألت فاسأل الله واذا استعنت فاستعن بالله واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن تنفعك بشيء لم ينفعوك الا بشيء قد كتبه الله لك ولو اجتمعت على أن تضرك بشيء لم يضروك الا بشيء قد كتبه الله عليه رفعت الصحف وجفت الأقلام ﴿ ورفع ﴾ الى الرشيد أن بدمشق رجلا من بني أمية عظيم المال والجاه كثير الخيل والجند يخشى على المملكة منه وكان الرشيد يومئذ بالكوفة قال منارة خادم الرشيد فاستدعاني الرشيد وقال اركب الساعة الى دمشق وخذ معك مائة غلام وائتني بفلان الأموي وهذا كتابي الى العامل لا توصله له الا اذا امتنع عليك فاذا أجاب فقيده وعادله بعد أن تحصي جميع ما تراه وما يتكلم به واذكر لي حاله وما له وقد أجلتك لذهابك ستا ولمجيئك ستا ولاقامتك يوما أفهمت قلت نعم قال فسر على بركة الله فخرجت أطوي المنازل ليلا ونهارا لا أنزل الا للصلاة أو لقضاء حاجة حتى وصلت ليلة السابع باب دمشق فلما فتح الباب دخلت قاصدا نحو دار الأموي فاذا هي دار عظيمة هائلة ونعمة طائلة وخدم وحشم وهيئة ظاهرة وحشمة وافرة ومصاطب متسعة وغلمان فيها جلوس فهجمت على الدار بغير اذن فبهتوا وسألوا عني فقيل لهم ان هذا رسول أمير المؤمنين فلما صرت في وسط الدار رأيت أقواما محتشمين فظننت أن المطلوب فيهم فسألت عنه فقيل لي هو في الحمام فأكرموني وأجلسوني وأمروا بمن معي ومن صحبني الى مكان آخر وأنا أتفقد الدار وأتأمل الأحوال حتى أقبل الرجل من الحمام ومعه جماعة كثيرة من كهول وشبان وحفدة وغلمان فسلم علي وسألني عن أمير المؤمنين فأخبرته أنه بعافية فحمد الله تعالى ثم أحضرت له أطباق الفاكهة فقال تقدم يا منارة كل معنا فتأملت تأملا كثيرا اذ لم يكلمني فقلت ما آكل فلم يعاودني ورأيت ما لم أره الا في دار الخلافة ثم قدم الطعام فوالله ما رأيت أحسن ترتيبا ولا أعطر رائحة ولا أكثر آنية منه فقال تقدم يا منارة فكل قلت ليس لي به حاجة فلم يعاودني ونظرت الى أصحابي فلم أجد أحدا منهم عندي فحرت لكثرة حفدته وعدم من عندي فلما غسل يديه أحضر له البخور فتبخر ثم قام فصلى الظهر فأتم الركوع والسجود وأكثر من الركوع بعدها فلما فرغ استقبلني وقال ما أقدمك يا منارة فناولته كتاب أمير المؤمنين فقبله ووضعه على رأسه ثم فضه وقرأه فلما فرغ من قراءته استدعى جميع بنيه وخواص أصحابه وغلمانه وسائر عياله فضاقت الدار بهم على سعتها فطار عقلي وما شككت أنه يريد القبض علي فقال الطلاق يلزمه والحج والعتق والصدقة وسائر أيمان البيعة لا يجتمع منكم اثنان في مكان واحد حتى ينكشف أمره ثم أوصاهم على الحريم ثم استقبلني وقدم رجليه وقال هات يا منارة قيودك فدعوت الحداد فقيده وحمل حتى وضع في المحمل وركبت معه في المحمل وسرنا فلما صرنا في ظاهر دمشق ابتدأ يحدثني بانبساط ويقول هذه الضيعة لي تعمل في كل سنة بكذا وكذا وهذا البستان لي وفيه من غرائب الأشجار وطيب الثمار كذا وكذا وهذه المزارع يحصل لي منها كل سنة كذا وكذا فقلت يا هذا ألست تعلم أن أمير المؤمنين أهمه أمرك حتى أنفذني خلفك وهو بالكوفة ينتظرك وأنت ذاهب اليه ما تدري ما تقدم عليه وقد أخرجتك من منزلك ومن بين أهلك ونعمتك وحيدا فريدا وأنت تحدثني حديثا غير مفيد ولا نافع لك ولا سألتك عنه وكان شغلك بنفسك أولى بك فقال انا لله وانا اليه راجعون لقد أخطأت فراستي فيك يا منارة ما ظننت انك عند الخليفة بهذه المكانة الا لوفور عقلك فاذا أنت جاهل عامي لا تصلح لمخاطبة الخلفاء أما خروجي على ما ذكرت فاني على ثقة من ربي الذي بيده ناصيتي وناصية أمير المؤمنين فهو لا يضر ولا ينفع الا بمشيئة الله تعالى فان كان قد قضي علي بأمر فلا حيلة لي بدفعه ولا قدرة لي على منعه وان لم يكن قد قدر الله

والرايات والألوية بين يديه وحملت البدر الى منزل عبد الملك وخرج جعفر فأشار الينا فقال تعلقت قلوبكم بحديث عبد الملك فأحببتم علم آخره لما دخلت على أمير المؤمنين ومثلت بين يديه قال كيف كان يومك يا جعفر فقصصت عليه القصة حتى بلغت الى دخول عبد الملك وكان متكئا فاستوى جالسا وقال ايه لله أبوك فقلت سألني في رضا أمير المؤمنين قال فبم أجبت قلت قد رضي أمير المؤمنين عنك قال قد رضيت ثم ماذا قلت وذكر أن عليه عشرة آلاف دينار قال فبم أجبته قلت قد قضاها أمير المؤمنين عنك قال قد قضيت قلت وذكر انه راغب في أن يشد ظهر ولده ابراهيم بصهر منك قال فبم أجبته قلت قد زوجه أمير المؤمنين ابنته العالية قال قد أمضيت ذلك ثم ماذا لله أبوك قلت وذكر أنه يشتهي أن تخفق على رأس ولده ابراهيم الألوية قال فبم أجبته قلت قد ولاه أمير المؤمنين مصر قال قد وليته وأحضر ابراهيم والقضاة والفقهاء وأتم له جميع ذلك من ساعته قال ابراهيم بن المهدي فوالله ما أدري أيهم أكرم وأعجب ما ابتدأه عبد الملك من الموافقة وشرب الخمر ولم يكن شربها قط ولباسه ما ليس من لبسه من ثياب المنادمة أم اقدام جعفر على الرشيد بما أقدم أم امضاء الرشيد جميع ما حكم به جعفر عليه (ومن لطائف المنقول) ما حكي عن أبي معشر البلخي المنجم الامام المصنف صاحب التصانيف المفيدة في علم النجوم قيل انه كان متصلا بخدمة بعض الملوك وان ذلك الملك طلب رجلا من أتباعه وأكابر دولته ليعاقبه بسبب جريمة صدرت منه فاستخفى وعلم ان أبا معشر يدل عليه بالطريقة التي يستخرج بها

على شئ فلو اجتمع أمير المؤمنين وسائر من على وجه الأرض على أن يضروني لم يستطيعوا ذلك الا باذن الله تعالى ومالي ذنب فأخاف وانما هذا واش وشى عند أمير المؤمنين ببهتان وأمير المؤمنين كامل العقل فاذا اطلع على براءتي فهو لا يستحل مضرتي وعلي عهد الله لا كلمتك بعدها الا جوابا ثم أعرض عني وأقبل على التلاوة ومازال كذلك حتى وافينا الكوفة بكرة اليوم الثالث عشر واذا النجب قد استقبلتنا من عند أمير المؤمنين تكشف عن أخبارنا فلما دخلت على الرشيد قبلت الأرض فقال هات يامنارة أخبرني من يوم خروجك عني الى يوم قدومك علي فابتدأت أحدثه بامور كلها مفصلة والغضب يظهر في وجهه فلما انتهيت الى جمعه لاولاده وغلمانه وخواصه وضيق الدار بهم وتفقدي لأصحابي فلم أجد منهم أحدا اسود وجهه فلما ذكرت عينه عليهم تلك الايمان المغلظة تهلل وجهه فلما قلت انه قدم رجليه أسفر وجهه واستبشر فلما أخبرته بحديثي معه في ضياعه وبساتينه وما قلت له وما قال لي قال هذا رجل محسود على نعمته ومكذوب عليه وقد أزعجناه وأرعبناه وشوشنا عليه وعلى أولاده وأهله اخرج اليه وانزع قيوده وفكه وأدخله علي مكرما ففعلت فلما دخل قبل الأرض فرحب به أمير المؤمنين وأجلسه واعتذر اليه فتكلم بكلام فصيح فقال له أمير المؤمنين سل حوائجك فقال سرعة رجوعي الى بلدي وجمع شملي بأهلي وولدي قال هذا كائن فسل غيره قال عدل أمير المؤمنين في عماله ماأحوجني الى سؤال قال فخلع عليه أمير المؤمنين ثم قال يامنارة اركب الساعة معه حتى ترده الى المكان الذي أخذته منه قم في حفظ الله وودائعه ورعايته ولا تقطع أخبارك عنا وحوائجك فانظر الى حسن توكله على خالقه فانه من توكل عليه كفاه ومن دعاه لباه ومن سأله أعطاه ماتمناه وروي أن هذه الكلمات وجدها كعب الأحبار مكتوبة في التوراة فكتبها وهي يا ابن آدم لا تخافن من ذي سلطان مادام سلطاني باقيا وسلطاني لا ينفد أبدا يا ابن آدم لا تخش من ضيق الرزق مادامت خزائني ملآنة وخزائني لا تنفد أبدا يا ابن آدم لا تأنس بغيري وأنا لك فان طلبتني وجدتني وان أنست بغيري فتك وفاتك الخير كله يا ابن آدم خلقتك لعبادتي فلا تلعب وقسمت رزقك فلا تتعب وفي أكثر منه فلا تطمع ومن أقل منه فلا تجزع فان أنت رضيت بما قسمته لك أرحت قلبك وبدنك وكنت عندي محمودا وان لم ترض بما قسمته لك فوعزتي وجلالي لأسلطن عليك الدنيا تركض فيها ركض الوحوش في البر ولا ينالك منها الا ما قد قسمته لك وكنت عندي مذموما يا ابن آدم خلقت السموات السبع والأرضين السبع ولم أعي بخلقهن أيعييني رغيف أسوقه لك من غير تعب يا ابن آدم أنا لك محب فبحقي عليك كن لي محبا يا ابن آدم لا تطالبني برزق غد كما لا أطالبك بعمل غد فاني لم أنس من عصاني فكيف من أطاعني وأنا على كل شئ قدير وبكل شئ محيط (قال الشاعر)

وما ثم الا الله في كل حالة * فلا تتكل يوما على غير لطفه
فكم حالة تأتي ويكرهها الفتى * وخيرته فيها على رغم أنفه

ولمؤلفه رحمه الله تعالى

توكل على الرحمن في الأمر كله * فما خاب حقا من عليه توكلا
وكن واثقا بالله واصبر لحكمه * تفز بالذي ترجوه منه تفضلا

﴿الفصل الثاني في القناعة والرضا بما قسم الله تعالى﴾ جاء في تفسير قوله تعالى من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة أن المراد بها القناعة وقال صلى الله عليه وسلم القناعة مال لا ينفد وقيل يارسول الله ما القناعة قال الاياس مما في أيدي الناس واياكم والطمع فانه الفقر الحاضر وكان سيدنا عمر ابن الخطاب رضي الله تعالى عنه من القناعة بالجانب الأوفر وانه كان يشتهي الشئ فيدافعه سنة قال الكندي

العبد حر ماقنع * والحر عبد ماطمع

وقال بشر بن الحرث خرج فتى في طلب الرزق فبينما هو يمشي فاعيا فاوى الى خراب يستريح فيه فبينما هو يدير بصره اذ وقعت عيناه على أسطر مكتوبة على حائط فتأملها فاذا هي

اني رأيتك قاعدا مستقبلي * فعلمت أنك للهموم قرين
هون عليك وكن بربك واثقا * فأخو التوكل شأنه التهوين
طرح الأذى عن نفسه في رزقه * لما تيقن أنه مضمون

قال فرجع الفتى الى بيته ولزم التوكل وقال اللهم أدبنا أنت قال الجاحظ انما خالف الله تعالى بين طبائع الناس ليوافق بينهم في مصالحهم ولولا ذلك لاختاروا كلهم الملك والسياسة والتجارة والفلاحة وفي ذلك بطلان

الخبايا والأشياء الكامنة فأراد أن يعمل شيأ حتى لا يهتدي اليه ويبعد عنه حديثه فأخذ طستا وجعل فيه دما وجعل في الدم هاون ذهب وقعد على الهاون أياما وتطلبه الملك وبالغ في الطلب فلما عجز عنه أحضر أبا معشر وطلب اظهاره فعمل المسئلة التي يستخرج بها وسكت زمانا حائرا فقال له الملك ماسبب سكوتك وحيرتك فقال أرى شيأ عجيبا فقال وماهو قال أرى الرجل المطلوب على جبل من ذهب والجبل في بحر من دم ولا أعلم في العالم موضعا على هذه الصفة فقال له أعد نظرك ففعل ثم قال ماأرى الا ماذكرت وهذا شئ ماوقع لي مثله فلما أيس الملك من تحصيله نادى في البلد بالامان للرجل ولما أخفاه فلما اطمأن الرجل ظهر وحضر بين يدي الملك فسأله عن الموضع الذي كان فيه فأخبره بما اعتمد عليه فأعجبه حسن احتياله في اخفاء نفسه ولطافة أبي معشر المنجم في استخراجه وله غير ذلك من الاصابات (قال قاضي القضاة شمس الدين بن خلكان) ومما يناسب هذا من فطن المتطببين مارواه الحسين بن ادريس الحلواني قال سمعت الامام محمد بن ادريس الشافعي رضي الله عنه يقول ماأفلح سمين قط الا أن يكون محمد بن الحسن قيل له ولم ذلك قال لانه لا يعدو العاقل احدى خلتين اما أن يهتم لآخرته ومعاده أو لدنياه ومعاشه والشحم مع الهم لا ينعقد ثم قال وكان بعض ملوك الارض قديما كثير الشحم لا ينتفع بنفسه فجمع الحكماء وقال احتالوا لي بحيلة يخف عني لحمي هذا قليلا قال فما قدروا له على شئ فجاءه رجل عاقل لبيب متطبب فقال عالجني ولك الغنى قال أصلح الله الملك أنا طبيب منجم دعني حتى أنظر الليلة

51332

المصالح وذهاب المعايش فكل صنف من الناس مزين لهم ماهم فيه فالحائك اذا رأى من صاحبه تقصيرا أو خلفا قال ويلك ياحجام والحجام اذا رأى مثل ذلك من صاحبه قال ويلك ياحائك فجعل الله تعالى الاختلاف سببا للائتلاف فسبحانه من مدبر قادر حكيم ألا ترى الى البدوى فى بيت من قطعة خيش معمد بعظام الجيف كلبه معه فى بيته لباسه شملة من وبر أو شعر ودواؤه بعر الابل وطيبه القطران وبعر الظباء وحلى زوجته الودع وثماره المقل وصيده اليربوع وهو فى مفازة لايسمع فيها الاصوت بومة وعواء ذئب وهو قانع بذلك مفتخر به وقال سعد بن أبى وقاص رضى الله تعالى عنه يابنى اذا طلبت الغنى فاطلبه فى القناعة فانها مال لاينفد واياك والطمع فانه فقر حاضر وعليك باليأس فانك لم تيأس من شئ الا أغناك الله عنه وأصاب داود الطائى فاقة كبيرة فجاءه حماد بن أبى حنيفة رضى الله عنه بار بعمائة درهم من تركة أبيه وقال هى من مال رجل ما أقدم عليه أحدا فى زهده وورعه وطيب كسبه فقال لو كنت أقبل من أحد شيأ لقبلتها تعظيما للميت واكراما للحى ولكنى أحب أن أعيش فى عز القناعة وقال عيسى عليه الصلاة والسلام اتخذوا البيوت منازل والمساجد مساكن وكلوا من بقل البرية واشربوا من الماء القراح واخرجوا من الدنيا بسلام وأنشد المبرد

انضن زيد عافى بطن راحته * فالأرض واسعة والرزق مبسوط
ان الذى قدر الأشيا بحكمته * لم ينسنى قاعدا والرحل محطوط

قال عبد الواحد بن زيد ما أحسب أن شيأ من الأعمال يتقدم الصبر الا الرضا ولا أعلم درجة أرفع من الرضا وهو رأس المحبة قيل له متى يكون العبد راضيا عن ربه قال اذا سرته المصيبة كما تسره النعمة وكان عبد الله بن مرزوق من ندماء المهدى فسكر يوما ففاتته الصلاة فجاءته جارية له بجمرة فوضعتها على رجله فانتبه مذعورا فقالت له اذا لم تصبر على نار الدنيا فكيف تصبر على نار الآخرة فقام فصلى الصلوات وتصدق بما عليه وذهب يبيع البقل فدخل عليه فضيل وابن عيينة فاذا تحت رأسه لبنة وما تحت جنبه شئ فقالا له انه لم يدع أحد شيأ لله الا عوضه الله منه بدلا فما عوضك عما تركت له قال الرضا بما أنا فيه وقال الثورى ما وضع أحد يده فى قصعة غيره الا ذل له وقال الفضيل من رضى بما قسم الله له بارك الله له فيه وكان عيسى عليه الصلاة والسلام يقول الشمس فى الشتاء جلالى ونور القمر سراجى وبقل البرية فاكهتى وشعر الغنم لباسى أبيت حيث يدركنى الليل ليس لى ولد يموت ولا بيت يخرب أنا الذى كببت الدنيا على وجهها (بيت مفرد)

ان القناعة من يحلل بساحتها * لم يلق فى ظلها هما يؤرقه

(وقال) عيسى عليه الصلاة والسلام انظروا الى الطير تغدو وتروح ليس معها شئ من أرزاقها لاتحرث ولا تحصد والله يرزقها فان زعمتم انكم أكبر بطونا من الطير فهذه الوحوش والبقر والحمر لاتحرث ولا تحصد والله يرزقها وقيل وفد عروة بن أذينة على هشام بن عبد الملك فشكا اليه خلته فقال له ألست القائل

لقد علمت وما الاسراف من خلقى * ان الذى هو رزقى سوف يأتينى
أسعى اليه فيعيينى تطلبه * ولو قعدت أتانى ليس يعيينى

وقد جئت من الحجاز الى الشام فى طلب الرزق فقال ياأمير المؤمنين لقد وعظت فابلغت وخرج فركب ناقته وكر الى الحجاز راجعا فلما كان من الليل نام هشام على فراشه فذكر عروة فقال فى نفسه رجل من قريش قال حكمة ووفد على فجبهته ورددته خائبا فلما أصبح وجه اليه بألفى دينار فقرع عليه الرسول باب داره بالمدينة وأعطاه المال فقال أبلغ أمير المؤمنين منى السلام وقل له كيف رأيت قولى سعيت فاكديت فرجعت فأتانى رزقى فى منزلى ولما ولى عبد الله بن عامر العراق قصده صديقان له أنصارى وثقفى فلما صار تخلف الانصارى وقال الذى أعطى ابن عامر العراق قادر على أن يعطينى فوفد الثقفى وقال احوز الحظين فلما دخل على عبد الله بن عامر قال له مافعل زميلك الانصارى قال رجع الى أهله فأمر للثقفى بأربعة آلاف دينار وبعث الى الانصارى بثمانية آلاف دينار فخرج الثقفى وهو يقول

فوالله ماحرص الحريص بنافع * فيغنى ولا زهد القنوع بضائر * خرجنا جميعا من مساقط روسنا
على ثقة منا بجود ابن عامر * فلما أنخنا الناجعات ببابه * تخلف عنى اليثربى ابن جابر
وقال ستكفينى عطية قادر * على مايشاء اليوم للخلق قاهر * فان الذى أعطى العراق ابن عامر

فى طالعك لأرى أى دواء يوافقه فلما أصبح قال أيها الملك الأمان فلما أمنه قال رأيت طالعك يدل على أنه لم يبق من عمرك غير شهر واحد فان اخترت عالجتك وان أردت بيان ذلك فاحبسنى عندك فان كان لقولى حقيقة تخل عنى والا فاقتص منى قال فحبسه ثم رفع الملك الملاهى واحتجب عن الناس وخلا وحده مغتما فكلما انسلخ يوم ازداد هما وغما حتى هزل وخف لحمه ومضى لذلك ثمان وعشرون يوما فبعث اليه وأخرجه فقال ماترى فقال أعز الله الملك أنا أهون على الله من أن أعلم الغيب والله انى لم أعلم عمرى فكيف أعلم عمرك ولكن لم يكن عندى دواء الا الغم فلم أقدر أجلب اليك الغم الا بهذه الحيلة فان الغم يذيب الشحم فأجازه على ذلك وأحسن اليه غاية الاحسان وذاق حلاوة الفرح بعد مرارة الغم (قلت) ويعجبنى قول جعفر بن شمس الخلافة فى هذا المعنى

هى شدة يأتى الرخاء عقيبها
وأسى يبشر بالسرور العاجل
واذا نظرت فان بؤسا عاجلا
للمرء خير من نعيم زائل

(ويعجبنى قوله وان كان فى غير مانحن فيه)

مدحتك ألسنة الانام مخافة
وتشاهدت لك بالثناء الأحسن
أترى الزمان مؤخرا فى مدتى
حتى أعيش الى انطلاق الالسن

(نادرة لطيفة) نقل عن قاضى القضاة شمس الدين بن خلكان فى تاريخه ان الجنيد قال ما انتفعت بشئ كانتفاعى بأبيات سمعتها قيل له وماهى قال مررت بدرب القراطيس فسمعت جارية تغنى من دار وتقول هذه الأبيات

اذا قلت أهدى الهجر الى حلل الاسى
تقولين لولا الهجر لم يطب الحب

لربى الذى ارجوليسد مفاقرى * فقات خلالى وجهه واعله * سيجعل لى حظ الفتى المتزاور
فلما رآنى سال عنه صبابة * اليه كما حنت ظؤار الاباعر
فابت وقد أيقنت أن ليس نافعا * ولاضائرا شئ خلاف المقادر

قيل أوحى الله تعالى الى موسى صلوات الله وسلامه عليه أتدرى لم رزقت الاحمق قال لا يارب قال ليعلم العاقل أن طلب الرزق ليس بالاحتيال ولبعض العرب

ولا تجزع اذا أعسرت يوما * فقد أيسرت فى الزمن الطويل * ولا تظنن بربك ظن سوء
فان الله أولى بالجميل * وأن العسر يتبعه يسار * وقول الله أصدق كل قيل
فلو أن العقول تسوق رزقا * لكان المال عند ذوى العقول

وأوحى الله تعالى الى يوسف عليه الصلاة والسلام انظر الى الارض فنظر اليها فانفجرت فرأى دودة على صخرة ومعها الطعام فقال له أترانى لم أغفل عنها وأغفل عنك وأنت نبى وابن نبى ودخل على بن أبى طالب رضى الله عنه المسجد وقال لرجل كان واقفا على باب المسجد أمسك على بغلتى فأخذ الرجل لجامها ومضى وترك البغلة فخرج على وفى يده درهمان ليكافئ بهما الرجل على امساكه بغلته فوجد البغلة واقفة بغير لجام فركبها ومضى ودفع لغلامه الدرهمين يشترى بهما لجاما فوجد الغلام اللجام فى السوق قد باعه السارق بدرهمين فقال على رضى الله عنه ان العبد ليحرم نفسه الرزق الحلال بترك الصبر ولا يزداد على ما قدر له وقيل لراهب من أين تأكل فأشار الى فيه وقال الذى خلق هذه الرحى يأتيها بالطحين وقال سليم بن المهاجر الجيلى

كسوت جميل الصبر وجهى فصانه * به الله عن غشيان كل بخيل * فما عشت لم آت البخيل ولم أقم
على بابه يوما مقام ذليـــل * وان قليلا يستر الوجه أن يرى * الى الناس مبذولا لغير قليل

وصلى معروف الكرخى خلف امام فلما فرغ من صلاته قال الامام لمعروف من أين تأكل قال اصبر حتى أعيد صلاتى التى صليتها خلفك قال ولم قال لان من شك فى رزقه شك فى خالقه وقال أبو حازم مالم يكتب لى لو ركبت الريح ما أدركته وقال عمر بن أبى عمر اليونانى

غلا السعر فى بغداد من بعد رخصه * وانى فى الحالين بالله واثق
فلست أخاف الضيق والله واسع * غناه ولا الحرمان والله رازق

وقال القهستانى غنى بلا دنيا عن الخلق كلهم * وان الغنى الا عن الشئ لا به

وقال منصور الفقيه الموت أسهل عندى * بين القنا والاسنه * والخيل تجرى سراعا
مقطعات الأعنه * من أن يكون لنذل * على فضـــل ومنه

(وأنشد أعرابى) أيا مالك لا تسأل الناس والتمس * بكفيك فضل الله فالله أوسع
ولو تسأل الناس التراب لأوشكوا * اذا قيل هاتوا أن يملوا ويمنعوا

وقال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم أوصنى قال عليك باليأس عما فى أيدى الناس واياك والطمع فانه فقر حاضر وقيل اذا وجدت الشئ فى السوق فلا تطلبه من صديقك وقيل لاعرابية من أين معاشكم قالت لو لم نعش الا من حيث نعلم لم نعش وقال أعرابى أحسن الاحوال حال يغبطك بها من دونك ولا يحقرك معها من فوقك

وقال المعرى اذا كنت تبغى العيش فابغ توسطا * فعند التناهى يقصر المتطاول
توقى البدور النقص وهى أهلة * ويدركها النقصان وهى كوامل

(وقال آخر) اقنع بايسر رزق أنت نائله * واحذر ولا تتعرض للارادات
فما صفا البحر الا وهو منتقص * ولا تعكر الا فى الزيادات

وقال أعرابى استظهر على الدهر بخفة الظهر قال هشام بن ابراهيم البصرى

وكم ملتجانبته عن كراهة * لاغلاق باب أو لتشديد حاجب
ولى فى غنى نفسى مراد ومذهب * اذا انصرفت عنى وجوه المذاهب

وقيل ينبغى أن يكون المرء فى دنياه كالمدعو الى الوليمة ان أتته تحفة تناولها وان لم تأته لم يرصدها ولم يطلبها وقال شقيق بن ابراهيم البلخى قال لى ابراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى أخبرنى عما أنت عليه قلت ان

وان قلت ما أذنبت قالت مجيبة
حياتك ذنب لا يقاس به ذنب
فصعقت وصحت فبينما أنا كذلك اذ خرج صاحب الدار فقال ما هذا يا سيدى فقلت له عما سمعت فقال انها هبة منى اليك فقلت قد قبلت وهى حرة لوجه الله تعالى ثم دفعها لبعض أصحابنا بالرباط فولدت منه ولدا نبيلا حج على قدميه ثلاثين حجة

(وذكر قاضى القضاة شمس الدين ابن خلكان فى ترجمة أبى على الفارسى) أنه كان يوما يساير عضد الدولة بن بويه فى ميدان سيراز فقال له لم انتصب المستثنى فى قولنا قام القوم الا زيدا فقال الشيخ بفعل مقدر تقديره استثنى زيدا فقال له عضد الدولة هل رفعته وقدرت الفعل امتنع زيد فانقطع وقال هذا الجواب ميدانى ثم انه لما رجع الى منزله وضع فى ذلك كلاما حسنا وحمل اليه فاستحسنه

(وحكى أبو القاسم أحمد الاندلسى) قال جرى ذكر الشعر بحضرة أبى على الفارسى وأنا حاضر فقال انى لاغبطكم على قول الشعر فان خاطرى لا يوافقنى الى ذلك مع تحقيق العلوم التى هى من معاده فقال له رجل فما قلت قط شيأ منه قال ما أعلم ان لى شعرا غير ثلاثة أبيات فى الشيب وهو قولى

خضبت الشيب لما كان عيبا
وخضب الشيب أولى أن يعابا
ولم أخضب مخافة هجر خل
ولا عيبا خشيت ولا عتابا
ولكن المشيب بدا ذميما
فصيرت الخضاب له عقابا

(ومن لطائف المنقول ان أبا محمد الوزير المهلبى) كان فى غاية من الادب والمحبة لاهله وكان قبل اتصاله بمعز الدولة بن بويه فى شدة عظيمة من الضرورة والمضايقة وسافر وهو على تلك الحالة ولقى فى سفره شدة عظيمة فاشتهى اللحم

رزقت أكلت وان منعت صبرت قال هكذا تعمل كلاب بلخ فقلت كيف تعمل أنت قال ان رزقت آثرت وان منعت شكرت وقال بعضهم

هى القناعة فالزمها تعش ملكا * لو لم يكن منك الا راحة البدن
وانظر لمن ملك الدنيا بأجمعها * هل راح منها بغير القطن والكفن

(وقال آخر)
وان القناعة كنز الغنى * فصرت بأذيالها تمسك * فلا ذا يرانى على بابه
ولا ذا يرانى له منهمك * فصرت غنيا بلا درهم * أمر على الناس شبه الملك

جاء فتح الموصلى الى أهله بعد العتمة فلم يجد عندهم شيأ للعشاء ووجدهم بغير سراج فجلس ليلته يبكى من الفرح و يقول بأى يد كانت منى تركت مثلى على هذه الحالة والله تعالى أعلم

(الفصل الثالث فى ذم الحرص والطمع وطول الأمل) قال الله تعالى ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر قال يقول ابن آدم مالى مالى وهل لك من مالك الا ما أكلت فأفنيت ولبست فأبليت وتصدقت فأمضيت وروى عروة بن الزبير عن عائشة رضى الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يا عائشة ان أردت اللحوق بى فليكفك من الدنيا كزاد الراكب واياك ومجالسة الأغنياء ولا تستخلقى ثوبا حتى ترقعيه وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال صلاح أول هذه الأمة بالزهد واليقين وهلاك آخر هذه الأمة بالبخل والأمل وقيل الحرص ينقص من قدر الانسان ولا يزيد فى رزقه وقيل لحكيم ما بال الشيخ أحرص على الدنيا من الشاب قال لانه ذاق من طعم الدنيا ما لم يذقه الشاب وما أحسن ما قال بعضهم

اذا طاوعت حرصك كنت عبدا * لكل دنيئة تدعى اليها

(وقال آخر وأجاد)

قد شاب رأسى ورأس الدهر لم يشب * ان الحريص على الدنيا لفى تعب

وقيل للاسكندر ما سرور الدنيا قال الرضا بما رزقت منها قيل فما غمها قال الحرص عليها وقال الحسن لو رأيت الاجل ومروره لنسيت الامل وغروره وقال أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه اشترى أسامة بن زيد وليدة بمائة دينار الى شهر فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ألا تعجبون من أسامة اشترى الى شهر ان أسامة لطويل الامل وقال ابن عباس رضى الله عنهما كان نبى الله صلى الله عليه وسلم يخرج فيبول ثم يمسح بالتراب فأقول ان الماء منك قريب فيقول ما يدرينى لعلى ما أبلغه وعن أبى هريرة رضى الله عنه يرفعه لا يزال الكبير شابا فى اثنين حب المال وطول الامل وقيل لمحمد بن واسع كيف تجدك قال قصير الاجل طويل الامل مسىء العمل وقيل من جرى فى عنان أمله كان عاثرا بأجله لو ظهرت الآجال لافتضحت الآمال ولقد أحسن أبو العباس أحمد بن مروان فى قوله

وذى حرص تراه يلم وفرا * لوارثه ويدفع عن حماه
ككلب الصيد يمسك وهو طاو * فريسته ليأكلها سواه

ولقد أحسن من قال فى الجناس الحقيقى

اذا ما نازعتك النفس حرصا * فأمسكها عن الشهوات أمسك
ولا تحرص ليوم أنت فيه * وعد فرزق يومك رزق أمسك

ومن كلام الحكماء اياكم وطول الامل فان من ألهاه أمله أخزاه عمله قال عبد الصمد بن المعذل

ولى أمل قطعت به الليالى * أرانى قد فنيت به وداما

قال الحسن اياكم وهذه الامانى فانه لم يعط أحد بالامنية خيرا قط فى الدنيا ولا فى الآخرة (قال قس بن ساعدة)

وما قد تولى فهو لا شك فائت * فهل ينفعنى ليتنى ولعلنى

(وقال آخر) ولا تتعلل بالامانى فانها * عطايا أحاديث النفوس الكواذب
(وقال آخر وأجاد) الله أصدق والآمال كاذبة * وجل هذى المنى فى الصدر وسواس
(وقال آخر) شط المزار بسعدى وانتهى الامل * فلا خيال ولا رسم ولا طلل

فلم يقدر عليه فقال ارتجالا
ألا موت يباع فاشتريه
فهذا العيش ما لا خير فيه
ألا موت لذيذ الطعم يأتى
يخلصنى من العيش الكريه
اذا أبصرت قبرا من بعيد
وددت لو اننى فيما يليه
ألا رحم المهيمن نفس حر
تصدق بالوفاة على أخيه
وكان له رفيق يقال له أبو عبد الله الصوفى وقيل أبو الحسن العسقلانى فلما سمع الابيات اشترى له لحما بدرهم وطبخه وأطعمه وتفارقا وتنقلت الاحوال وولى الوزارة ببغداد لمعز الدولة المذكور وضاق الحال برفيقه الذى اشترى له اللحم فى السفر وبلغه وزارة المهلبى فقصده وكتب اليه
ألا قل للوزير فدته نفسى
مقال مذكر ما قد نسيه
أتذكر اذ تقول لضيق عيش
ألا موت يباع فاشتريه
(فلما) وقف عليها تذكر الحال وهزته أريحية الكرم فأمر له بسبعمائة درهم ووقع له فى رقعته مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة ثم دعا به فخلع عليه وقلده عملا يرتفق منه انتهى
(وذكر الحريرى صاحب المقامات فى كتابه المسمى بدرة الغواص) ما مثاله قال حماد الراوية كان انقطاعى الى يزيد بن عبد الملك بن مروان فى خلافته وكان أخوه هشام يجفونى لذلك فلما مات يزيد وأفضت الخلافة الى هشام خفته ومكثت فى بيتى سنة لا أخرج الا الى ثقة من اخوانى سرا فلما لم أسمع أحدا ذكرنى فى السنة أمنت وخرجت وصليت الجمعة فى الرصافة فاذا شرطيان قد وقفا على وقالا يا حماد أجب الامير يوسف بن عمر الثقفى وكان واليا على العراق فقلت فى نفسى من هذا كنت أخاف ثم قلت

الارجاء فما أدري أدركه * أم يستمر فيأتي دونه الأجل

(وقال أبو العتاهية) لقد لعبت وجد الموت في طلبي * وان في الموت لي شغلا عن اللعب
لو شمرت فكرتي فيما خلقت له * ما اشتد حرصي على الدنيا ولا طلبي

(وله أيضا) تعالى الله يا سلم بن عمرو * أذل الحرص أعناق الرجال
هب الدنيا تقاد اليك عفوا * أليس مصير ذلك للزوال

(وقد ضمنت البيت الأخير فقلت)

أيا من عاش في الدنيا طويلا * وأفنى العمر في قيل وقال * وأتعب نفسه فيما سيفنى
وجمع من حرام أو حلال * هب الدنيا تقاد اليك عفوا * أليس مصير ذلك للزوال

(ومما جاء في الطمع وذمه) قال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أكثر مصارع العقول تحت بروق المطامع وقال رضي الله عنه ما الخمر صرفا بأذهب لعقول الرجال من الطمع وفي الحديث اياك والطمع فانه الفقر الحاضر وقال فيلسوف العبيد ثلاثة عبد رق وعبد شهوة وعبد طمع وقال بعضهم من أراد أن يعيش حرا أيام حياته فلا يسكن قلبه الطمع وقيل اجتمع كعب وعبد الله بن سلام فقال له كعب يا ابن سلام من أرباب العلم قال الذين يعملون به قال فما أذهب العلم عن قلوب العلماء بعد أن علموه قال الطمع وشره النفس وطلب الحوائج الى الناس * واجتمع الفضل وسفيان وابن كريمة اليربوعي فتواصوا ثم افترقوا وهم مجمعون على أن أفضل الأعمال الحلم عند الغضب والصبر عند الطمع وقيل لما خلق الله آدم عليه السلام عجن بطينته ثلاثة أشياء الحرص والطمع والحسد فهي تجري في أولاده الى يوم القيامة فالعاقل يخفيها والجاهل يبديها ومعناه أن الله تعالى خلق شهوتها فيه قال اسمعيل بن قطري القراطيسي

حسبي بعلمي ان نفع * ما الذل الا في الطمع * من راقب الله نزع
عن سوء ما كان صنع * ما طار طير وارتفع * الا كما طار وقع

(وقال سابق البربري)

يخادع ريب الدهر عن نفسه الفتى * سفاها وريب الدهر عنها يخادعه
ويطمع في سوف ويهلك دونها * وكم من حريص أهلكته مطامعه

وقيل لأشعب ما بلغ من طمعك قال أرى دخان جاري فأفت خبزي وقال أيضا ما رأيت رجلين يتساران في جنازة الا قدرت ان الميت أوصى لي بشيء من ماله وما زفت عروس الا كنست بيتي رجاء أن يغلطوا فيدخلوا بها الي

قال بعضهم لا تغضبن على امرئ * لك مانع ما في يديه
واغضب على الطمع الذي استدعاك تطلب ما لديه

والله سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الحادي عشر في المشورة والنصيحة والتجارب والنظر في العواقب)

قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم وشاورهم في الأمر واختلف أهل التأويل في أمره بالمشاورة مع ما أمده الله تعالى من التوفيق على ثلاثة أوجه أحدها أنه أمره بها في الحرب ليستقر له الرأي الصحيح فيعمل عليه وهذا قول الحسن ثانيها أنه أمره بالمشاورة لما علم فيها من الفضل وهذا قول الضحاك ثالثها أنه أمره بمشاورتهم ليستن به المسلمون وان كان في غنية عن مشورتهم وهذا قول سفيان وقال ابن عيينة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أراد أمرا شاور فيه الرجال وكيف يحتاج الى مشاورة المخلوقين من الخالق مدبر أمره ولكنه تعليم منه ليشاور الرجل الناس وان كان عالما وقال عليه الصلاة والسلام ما خاب من استخار ولا ندم من استشار ولا افتقر من اقتصد وقال عليه الصلاة والسلام من أعجب برأيه ضل ومن استغنى بعقله زل وكان يقال ما استنبط الصواب بمثل المشاورة وقال حكيم المشورة موكل بها التوفيق لصواب الرأي * وقال الحسن الناس ثلاثة فرجل رجل ورجل نصف رجل ورجل لا رجل فأما الرجل الرجل فذو الرأي والمشورة وأما الرجل الذي هو نصف رجل فالذي له رأي ولا يشاور وأما الرجل الذي ليس برجل فالذي ليس له رأي ولا يشاور وقال المنصور لولده خذ عني ثنتين لا تقل في غير تفكير ولا تعمل بغير تدبير وقال الفضل المشورة

فما أدعاني حتى آتي أهلي وأودعهم ثم أسير معكما فقالا ما الى ذلك من سبيل فاستسلمت في أيديهما ثم سرت الى يوسف بن عمر وهو في الايوان الاحمر فسلمت عليه فرد علي السلام ورمى الي بكتاب فيه بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله هشام أمير المؤمنين الى يوسف بن عمر أما بعد فاذا قرأت كتابي هذا فابعث الى حماد الراوية من يأتيك به من غير ترويع وادفع له خمسمائة دينار وجملا مهريا يسير عليه ثنتي عشرة ليلة الى دمشق فأخذت الدنانير ونظرت فاذا جمل مرحول فركبت وسرت حتى وافيت دمشق في ثنتي عشرة ليلة فنزلت على باب هشام واستأذنت فأذن لي فدخلت عليه وهو جالس على طنفسة حمراء وعليه ثياب من حرير أحمر وقد ضمخ بالمسك فسلمت عليه فرد علي السلام واستدناني فدنوت منه حتى قبلت رجله فاذا جاريتان لم أر أحسن منهما قط فقال كيف أنت وكيف حالك فقلت بخير يا أمير المؤمنين فقال أتدري فيم بعثت اليك فقلت لا قال بعثت اليك بسبب بيت خطر ببالي لا أعرف قائله قلت وما هو يا أمير المؤمنين قال

ودعوا بالصبوح يوما فجاءت
قينة في يمينها ابريق

فقلت يقوله عدي بن زيد العبادي في قصيدة قال أنشدنيها فأنشدته

بكر العاذلون في وضح الصبـ
ـح يقولون لي أما تستفيق
ويلومون فيك يا ابنة عبد الله
والقلب عندكم موثوق
لست أدري اذا أكثروا العذل فيها
أعدو يلومني أم صديق

(قال حماد فانتهيت فيها الى قوله)

ودعوا بالصبوح يوما فجاءت
قينة في يمينها ابريق
قدمته على عقار كعين الـ
ـديك صفى سلافها الراووق

فبهابركة وانى لأستشير حتى هذه الحبشية الأعجمية وقال اعرابى لامال أوفر من العقل ولا فقر أعظم من الجهل ولا ظهر أقوى من المشورة وقيل من بدأ بالاستخارة وثنى بالاستشارة لحقيق أن لا يخيب رأيه وقيل الرأى السديد أحمى من البطل الشديد (قال أبو القاسم النهروندى)

وما الف مطرور السنان مسدد * يعارض يوم الروع رأيا مسددا

وقال على رضى الله عنه خاطر من استغنى برأيه وسمع محمد بن داود وزير المأمون قول القائل

اذا كنت ذا رأى فكن ذا عزيمة * فان فساد الرأى أن يترددا

فأضاف اليه قوله

وان كنت ذا عزم فانفذه عاجلا * فان فساد العزم أن يتقيدا

ولمحمد بن ادريس الطائى

ذهب الصواب برأيه فكأنما * آراؤه اشتقت من التأييد

فاذا دجا خطب تبلج رأيه * صبحا من التوفيق والتسديد

(ولمحمد الوراق)

ان اللبيب اذا تفرق أمره * فتق الامور مناظرا ومشاورا

وأخو الجهالة يستبد برأيه * فتراه يعتسف الامور مخاطرا

وقال الرشيد حين بدا له تقديم الامين على المأمون فى العهد

لقد بان وجه الرأى لى غير اننى * عدلت عن الأمر الذى كان أحزما * فكيف يرد الدر فى الضرع بعدما توزع حتى صار نهبا مقسما * أخاف التواء الأمر بعد استوائه * وأن ينقض الحبل الذى كان أبرما

(وقال آخر)

خليلى ليس الرأى فى جنب واحد * أشيرا على اليوم ماتريان

(ووصف) رجل عضد الدولة فقال له وجه فيه ألف عين وفم فيه ألف لسان وصدر فيه ألف قلب وقال أردشير ابن بابك أربعة تحتاج الى أربعة الحسب الى الأدب والسرور الى الأمن والقرابة الى المودة والعقل الى التجربة وقال لا تستحقر الرأى الجزيل من الرجل الحقير فان الدرة لا يستهان بها لهوان غائصها وقال جعفر بن محمد لا تكونن أول مشير واياك والرأى الخطير وتجنب ارتجال الكلام ولا تشيرن على مستبد برأيه ولا على متلون ولا على لجوج وقيل ينبغى أن يكون المستشار صحيح العلم مهذب الرأى فليس كل عالم يعرف الرأى الصائب وكم ناقد فى شئ ضعيف فى غيره قال أبو الاسود الدؤلى

وما كل ذى نصح بمؤتيك نصحه * وما كل مؤت نصحه بلبيب

ولكن اذا ما استجمعا عند واحد * فحق له من طاعة بنصيب

وكان اليونان والفرس لا يجمعون وزراءهم على أمر يستشيرونهم فيه وانما يستشيرون الواحد منهم من غير أن يعلم الآخر به لمعان شتى منها لئلا يقع بين المستشارين منافسة فتذهب اصابة الرأى لان من طباع المشتركين فى الأمر التنافس والطعن من بعضهم فى بعض وربما سبق أحدهم بالرأى الصواب فحسدوه وعارضوه وفى اجتماعهم أيضا للمشورة تعريض السر للاذاعة فاذا كان كذلك وأذيع السر لم يقدر الملك على مقابلة من أذاعه للابهام فان عاقب الكل عاقبهم بذنب واحد وان عفا عنهم ألحق الجانى بمن لا ذنب له وقيل اذا أشار عليك صاحبك برأى ولم تحمد عاقبته فلا تجعلن ذلك عليه لوما وعتابا بأن تقول انت فعلت وأنت أمرتنى ولولا أنت فهذا كله ضجر ولوم وخفة وقال أفلاطون اذا استشارك عدوك فجرد له النصيحة لانه بالاستشارة قد خرج من عداوتك الى موالاتك وقيل من بذل نصحه واجتهاده لمن لا يشكره فهو كمن بذر فى السباخ قال الشاعر يمدح من له رأى وبصيرة

بصير باعقاب الأمور كأنما * يخاطبه من كل أمر عواقبه

وقال ابن المعتز المشورة راحة لك وتعب على غيرك وقال الأحنف لا تشاورا الجائع حتى يشبع ولا العطشان حتى يروى ولا الاسير حتى يطلق ولا المقل حتى يجد (ولما) أراد نوح بن مريم قاضى مرو أن يزوج ابنته استشار جاراله مجوسيا فقال سبحان الله الناس يستفتونك وأنت تستفتينى قال لا بد أن تشير على قال ان رئيس الفرس كسرى كان يختار المال ورئيس الروم قيصر كان يختار الجمال ورئيس العرب كان يختار الحسب ورئيسكم محمد كان يختار الدين فانظر لنفسك بمن تقتدى وكان يقال من أعطى أربعا لم يمنع أربعا من أعطى الشكر لم يمنع المزيد ومن أعطى التوبة لم يمنع القبول ومن أعطى الاستخارة لم يمنع الخيرة

مرة قبل مزجها فاذا ما

مزجت لذ طعمها من يذوق

قال فطرب هشام ثم قال أحسنت يا حماد سل حاجتك قلت احدى الجاريتين قال هما جميعا لك بما عليهما وما لهما فاقام عنده مدة ثم وصله بمائة ألف درهم قلت انظر أيها المتأمل الى نفاق رخيص الادب فى ذلك العصر وكساد غاليه فى هذا العصر وبشهادة الله أن البيت الذى طلب حماد الراوية بسببه من بغداد الى دمشق فى اثنى عشرة ليلة واجيز عليه بالجاريتين والمائة ألف درهم تأنف نفسى أن أضعه فى قصيدة من قصائدى لرخصه ووسفالته وهو

ودعوا بالصبوح يوما فجاءت

قينة فى يمينها ابريق

(وكنت أود) أن أكون فى ذلك العصر ويسمع هشام بن عبد الملك قولى فى هذا الباب من قصيدة قلتها فى ليلة رقم البدر المنير لها

طار ابه العصا الجوزاء نفرات

وبات لى من المداذ تبسم لى

تحت الضفائر صبحات وغبقات

والراح دق على فهمى تصورها

لكن لما ضاع فى الكاسات نفحات

كانت علامة تحقيق وقال فى

هى المنازل لى فيها علامات

مذ انشأتنا جمعنا فى محاسنها

مغردين وللانشاء نهجات

هذا وأفواه كاساتى قد ابتسمت

ومازجتها الثغور اللؤلؤيات

ومن بقل حركات الهم ماسكنت

فللحباب على التسكين حزمات

(قال ثعلب) ما أحد من الشعراء تكلم فى الليل الطويل الاقارب ولكن خالد الكاتب أبدع فيه فقال

رقدت فلم ترث للساهر

وليل المحب بلا آخر

ولم تدر بعد ذهاب الرقا

د ما صنع الدمع بالناظر

وقال بعض من كان يحضر مجلس المبرد كنا نختلف اليه فاذا كان

ومن أعطى المشورة لم يعدم الصواب وقيل اذا استخار الرجل ربه واستشار صحبه وأجهد رأيه فقد قضى ماعليه و يقضى الله تعالى فى أمره مايحب وقال بعضهم خمير الرأى خير من فطيره وتقديمه خير من تأخيره وقالت الحكماء لا تشاور معلما ولا راعى غنم ولا كثير القعود مع النساء ولا صاحب حاجة يريد قضاءها ولا خائفا ولا حاقنا وقيل سبعة لا ينبغى لصاحب لب أن يشاورهم جاهل وعدو وحسود ومراء وجبان وبخيل وذو هوى فان الجاهل يضل والعدو يريد الهلاك والحسود يتمنى زوال النعمة والمرائى واقف مع رضا الناس والجبان من رأيه الهرب والبخيل حريص على جمع المال فلا رأى له فى غيره وذو الهوى أسير هواه فلا يقدر على مخالفته (وحكى) أن رجلا من أهل يثرب يعرف بالاسلمى قال ركبنى دين أثقل كاهلى وطالبنى به مستحقوه واشتدت حاجتى الى مالا بد منه وضاقت على الارض ولم أهتد الى ما أصنع فشاورت من أثق به من ذوى المودة والرأى فأشار على بقصد المهلب بن أبى صفرة بالعراق فقلت له تمنعنى المشقة وبعد الشقة وتيه المهلب ثم انى عدلت عن ذلك المشير الى استشارة غيره فلا والله مازادنى على ماذكره الصديق الأول فرأيت أن قبول المشورة خير من مخالفتها فركبت ناقتى وصحبت رفقة فى الطريق وقصدت العراق فلما وصلت دخلت على المهلب فسلمت عليه وقلت له أصلح الله الامير انى قطعت اليك الدهناء وضربت أكباد الابل من يثرب فانه أشار على بعض ذوى الحجى والرأى بقصدك لقضاء حاجتى فقال هل أتيتنا بوسيلة أو بقرابة وعشيرة فقلت لا ولكنى رأيتك أهلا لقضاء حاجتى فان قمت بها فأهل لذلك أنت وان يحل دونها حائل لم أذم يومك ولم أيأس من غدك فقال المهلب لحاجبه اذهب به وادفع اليه مافى خزانة مالنا الساعة فأخذنى معه فوجدت فى خزانته ثمانين ألف درهم فدفعها الى فلما رأيت ذلك لم أملك نفسى فرحا وسرورا ثم عاد الحاجب به اليه مسرعا فقال هل ماوصلك يقوم بقضاء حاجتك فقلت نعم أيها الامير وزيادة فقال الحمد لله على نجح سعيك واجتنائك جنى مشورتك وتحقق ظن من أشار عليك بقصدنا قال الاسلمى فلما سمعت كلامه وقد أحرزت صلته أنشدته وأنا واقف بين يديه

يامن على الجود صاغ الله راحته * فليس يحسن غير البذل والجود * عمت عطاياك أهل الارض قاطبة فأنت والجود منحوتان من عود * من استشار فباب النجح منفتح * لديه فيما ابتغاه غير مردود

ثم عدت الى المدينة فقضيت دينى ووسعت على أهلى وجازيت المشير على وعاهدت الله تعالى أن لا أترك الاستشارة فى جميع أمورى ماعشت (وحكى) عن الخليفة المنصور أنه كان صدر من عمه عبد الله بن على بن عبد الله بن العباس أمور روؤها لا تحتملها حراسة الخلافة ولا تتجاوزها سياسة الملك فحبسه عنده ثم بلغه عن ابن عمه عيسى بن موسى بن على وكان واليا على الكوفة ما أفسد عقيدته فيه وأوحشه منه وصرف وجه ميله اليه عنه فتألم المنصور من ذلك وساء ظنه وتارق جفنه وقل أمنه وتزايد خوفه وحزنه فادته فكرته الى أمر دبره وكتمه عن جميع حاشيته وستره واستحضر ابن عمه عيسى بن موسى وأجراه على عادة اكرامه ثم أخرج من كان بحضرته وأقبل على عيسى وقال له يا ابن العم انى مطلعك على أمر لا أجد غيرك من أهله ولا أرى سواك مساعدا لى على حمل ثقله فهل أنت فى موضع ظنى بك وعامل مافيه بقاء نعمتك التى هى منوطة ببقاء ملكى فقال له عيسى ابن موسى أنا عبد أمير المؤمنين ونفسى طوع أمره ونهيه فقال ان عمى وعمك عبد الله قد فسدت بطانته واعتمد على مابعضه يبيح دمه وفى قتله صلاح ملكنا فخذه اليك واقتله سرا ثم سلمه اليه وعزم المنصور على الحج مضمرا أن ابن عمه عيسى اذا قتل عمه عبد الله ألزمه القصاص وسلمه الى أعمامه اخوة عبد الله ليقتلوه به قصاصا فيكون قد استراح من الاثنين عبد الله وعيسى قال عيسى فلما أخذت عمى وأفكرت فى قتله رأيت من الرأى أن اشاور فى قضيته من له رأى عسى أن أصيب الصواب فى ذلك فاحضرت يونس بن قرة الكاتب وكان لى حسن ظن فى رأيه وعقيدة صالحة فى معرفته فقلت له ان أمير المؤمنين دفع الى عمه عبد الله وأمرنى بقتله واخفاء أمره فما رأيك فى ذلك وما تشير به فقال لى يونس أيها الامير احفظ نفسك بحفظ عمك وعم أمير المؤمنين فانى أرى لك أن تدخله فى مكان داخل دارك وتكتم أمره عن كل أحد من عندك وتتولى بنفسك حمل طعامه وشرابه اليه وتجعل دونه مغالق وأبوابا وأظهر لأمير المؤمنين انك قتلته وأنفذت أمره فيه وانتهيت الى العمل بطاعته فكأنى به اذا تحقق منك انك فعلت ماأمرك به وقتلت عمه أمرك باحضاره على رؤس الاشهاد فان اعترفت انك قتلته بأمره أنكر أمره لك وآخذك بقتله وقتلك قال عيسى بن موسى فقبلت مشورة يونس وعملت بها وأظهرت لأمير

آخر المجلس أملى علينا من طرف الاخبار وملح الاشعار ما نرتاح الى حفظه فأنشدنا يوما مرثية زياد الاعجم فى المغيرة بن المهلب التى منها

فاذا مررت بقبره فاعقر له * كوم الهجان وكل طرف سابح
وانضح جوانب قبره بدمائها * فلقد يكون أخا دم وذبائح

قال فخرجت من عنده وأنا أدرسها فى لسانى لأحفظها فاذا بشيخ قد خرج من خربة وفى يده حجر فهم أن يرمينى به فتترست بالمحبرة والدفتر فقال ماذا تقول أتشتمنى فقلت اللهم لا ولكنى كنت عند أستاذنا أبى العباس المبرد فأنشدنا مرثية زياد الأعجم فى المغيرة بن المهلب فقال له ايه ايه أنشدنى ماأنشدكم بارد كم لا مبردكم فأنشدته فقال والله ما أجود الراثى ولا أنصف المرثى ولا أحسن الراوى قلت فما عساه أن يقول قال كان يقول

احملانى ان لم يكن لكما عقـ * ـر الى جنب قبره فاعقرانى
وانضحا من دمى عليه فقد كا * ن دمى من نداه لو تعلمان

قال فقلت هل رأيت أحدا واسى أحدا بنفسه قال نعم هذا الفتى الفتح ابن خاقان طرح نفسه على المتوكل حتى خلط لحمه بلحمه ودمه بدمه ثم تركنى وتولى فلما عدت الى المبرد قصصت عليه القصة فقال أتعرفه قلت لا قال ذلك خالد الكاتب تأخذه السوداء أيام الباذنجان انتهى * قيل كبر خالد الكاتب حتى دق عظمه ورق جلده وقوى به الوسواس ورؤى ببغداد والصبيان يتبعونه فاسند ظهره الى قصر المعتصم والصبيان يصيحون به يابارد فقال كيف أكون باردا وأنا الذى أقول

بكى عاذلى من رحمتى فرحمته * وكم مثله من مسعد ومعين

المؤمنين انى أنفذت أمره ثم حج المنصور فلما قدم من حجه وقد استقر فى نفسه انى قد قتلت عمه عبد الله دس الى عمومته اخوة عبد الله وحثهم على أن يسألوه فى أخيهم ويستوهبوه منه فجاؤا اليه وقد جلس والناس بين يديه على مراتبهم فسألوه فى عبد الله فقال نعم ان حقه وحقكم تقتضى اسعافكم بحاجتكم كيف وفيها صلة رحم واحسان الى من هو فى مقام الوالد ثم أمر باحضار عيسى بن موسى فاحضر لوقته فقال يا عيسى كنت دفعت اليك قبل خروجى الى الحج عمى عبد الله ليكون عندك فى منزلك الى حين رجوعى فقال عيسى قد فعلت يا أمير المؤمنين فقال المنصور قد سألنى فيه عمومتك وقد رأيت الصفح عنه وقضاء حاجتهم وصلة الرحم باجابة سؤالهم فيه فائتنا به الساعة قال عيسى فقلت يا أمير المؤمنين ألم تأمرنى بقتله والمبادرة الى ذلك قال كذبت لم آمرك بذلك ولو أردت قتله لا سلمته الى من هو بصدد ذلك ثم أظهر الغيظ وقال لعمومته قد أقر بقتل أخيكم مدعيا انى أمرته بقتله وقد كذب على قالوا يا أمير المؤمنين فادفعه الينا نقتله به ونقتص منه فقال شأنكم به قال عيسى فاخذونى الى الرحبة واجتمع الناس على فقام واحد من عمومتى الى وسل سيفه ليضربنى به فقلت له يا عم أفاعل أنت قال أى والله كيف لا أقتلك وقد قتلت أخى فقلت لهم لا تعجلوا وردونى الى أمير المؤمنين فردونى اليه فقلت يا أمير المؤمنين انما أردت قتلى بقتله والذى دبرته على عصمنى الله تعالى من فعله وهذا عمك باق حى سوى فان أمرتنى بدفعه اليهم دفعته اليهم الساعة فاطرق المنصور وعلم انه قد فاته ما دبره وصادفت اعصاراوان انفراده بتدبيره قارف خسارا ثم رفع رأسه وقال ائتنا به فمضى عيسى وأحضر عبد الله فلما رآه المنصور قال لعمومته اتركوه عندى وانصرفوا حتى أرى فيه رأيا قال عيسى فتركته وانصرفت وانصرف اخوته فسلمت روحى وزالت كربتى وكان ذلك ببركة الاستشارة بيونس وقبول مشورته والعمل بها ثم ان المنصور أسكن عبد الله فى بيت أساسه قد بنى على الملح ثم أرسل الماء حوله ليلا فذاب الملح وسقط البيت فمات عبد الله ودفن بمقابر باب الشام وسلم عيسى من هذه المكيدة ومن سهام مراميها البعيدة

﴿وعما جاء فى النصيحة﴾ اعلموا أن النصيحة للمسلمين وللخلائق أجمعين من سنن المرسلين قال الله تعالى اخبارا عن نوح عليه الصلاة والسلام ولا ينفعكم نصحى ان أردت أن أنصح لكم ان كان الله يريد أن يغويكم هو ربكم واليه ترجعون وقال شعيب عليه السلام ونصحت لكم فكيف آسى على قوم كافرين وقال صالح عليه السلام ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين وروى عن ابى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الدين النصيحة ان الدين النصيحة ان الدين النصيحة قالوا لمن يا رسول الله قال لله ولكتابه ولرسوله ولائمة المسلمين ولعامتهم * فالنصح لله هو وصفه بما هو أهله وتنزيهه عما ليس له باهل والقيام بتعظيمه والخضوع له ظاهرا وباطنا والرغبة فى محابه والبعد عن مساخطه وموالاة من أطاعه ومعاداة من عصاه والجهاد فى رد العصاة الى طاعته قولا وفعلا * والنصيحة لكتابه اقامته فى التلاوة وتحسينه عند القراءة وتفهم ما فيه والذب عنه من تأويل المحرفين وطعن الطاعنين وتعليم ما فيه للخلائق أجمعين قال الله تعالى كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب * والنصيحة للرسول عليه السلام احياء سنته بالطلب لها واحياء طريقته فى بث الدعوة وتأليف الكلمة والتخلق بالاخلاق الطاهرة * والنصيحة للائمة معاونتهم على ما كلفوا القيام به بتنبيههم عند الغفلة وارشادهم عند الهفوة وتعليمهم ما جهلوا وتحذيرهم ممن يريد بهم السوء واعلامهم باخلاق عمالهم وسيرتهم فى الرعية وسد خلتهم عند الحاجة ورد القلوب النافرة اليهم * والنصيحة لعامة المسلمين الشفقة عليهم وتوقير كبيرهم والرحمة لصغيرهم وتفريج كربهم وتوقى ما يشغل خواطرهم ويفتح باب الوسواس عليهم (واعلم) ان جرعة النصيحة مرة لا يقبلها الا أولوا العزم وقال ميمون بن مهران قال لى عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه قل لى فى وجهى ما أكره فان الرجل لا ينصح أخاه حتى يقول له فى وجهه ما يكره وفى منثور الحكم ودك من نصحك وقلاك من مشى فى هواك وقال أبو الدرداء رضى الله عنه ان شئتم لانصحن لكم ان أحب عباد الله الى الله الذين يحببون الله تعالى الى عباده ويعملون فى الأرض نصحا ولورقة بن نوفل

لقد نصحت لأقوام وقلت لهم * انى النذير فلا يغرركم أحد * لا شئ مما ترى تبقى بشاشته
الا الاله ويردى المال والولد * لم تغن عن هرمز يوما خزائنه * والخلد قد حاولت عاد فما خلدوا

وقال بعض الخلفاء لجرير بن يزيد انى قد أعددتك لأمر قال يا أمير المؤمنين ان الله تعالى قد أعد لك منى قلبا

معقودا

ورقت دموع العين حتى كأنها
دموع دموعى لا دموع جفونى

(وحدث أبو الحسن على بن مقلة) قال حدثنى أبى عن عمه قال اجتاز بى خالد الكاتب وأنا على باب دارى بسر من رأى والصبيان حوله يعبثون به فجاءنى لما رآنى وسألنى صرفهم عنه فصرفتهم وأدخلته دارى وقلت له ما تشتهى تأكل قال هريسة فتقدمت باصلاحها فلما أكل قلت أى شئ تحب بعد هذا قال رطب فأمرت باحضاره فاكل فلما فرغ من أكله قلت له أنشدنى من شعرك فأنشدنى

تناسيت ما أوعيت سمعك يا سمعى
كأنك بعد الضر خال من النفع
فان كنت مطبوعا على الصد والجفا
فمن أين لى صبر فاجعله طبعى
لئن كان أضحى فوق خديك روضة
فان على خدى غديرا من الدمع

فقلت زدنى فقال لا يساوى تمر يسك ورطبك غير هذا (ومن المروى عنه) قال بعض طلبة المبرد خرجت من مجلس المبرد فلقيت خالدا الكاتب فقال من أين قلت من مجلس المبرد قال بل البارد ثم قال ما الذى أنشدكم اليوم قلت أنشدنى

أعار الغيث نائله * اذا ما ماؤه نفدا
وان أسد شكا جبنا
أعار فؤاده الاسدا

فقال أخطأ قائل هذا الشعر قلت كيف قال ألا تعلم انه اذا أعار الغيث نائله بقى بلا نائل واذا أعار الأسد فؤاده بقى بلا فؤاد قلت فكيف كان يقول فأنشد

علم الغيث الندى من يده
مذ دعاه علم البأس الأسد
فاذا الغيث مقر بالندى
واذا الليث مقر بالجلد

قال فكتبتهما وانصرفت ﴿نادرة لطيفة﴾ دخل أبو دلامة على المهدى فانشده قصيدة فقال سل حاجتك فقال يا أمير المؤمنين هب

معقودا بنصيحتك ويدا مبسوطة لطاعتك وسيفا مجردا على عدوك وأنشد الأصمعي

النصح أرخص ما باع الرجال فلا * تردد على ناصح نصحا ولا تلم
ان النصائح لا تخفى مناهلها * على الرجال ذوى الألباب والفهم

ولمعاذ بن مسلم

نصحتك والنصيحة ان تعدت * هوى المنصوح عز لها القبول
فخالفت الذى لك فيه حظ * فنالك دون ما أملت غول

وقيل أشار فيروز بن حصين على يزيد بن المهلب أن لا يضع يده فى يد الحجاج فلم يقبل منه وسار اليه فحبسه وحبس أهله فقال فيروز

أمرتك أمرا حازما فعصيتني * فأصبحت مسلوب الامارة نادما
أمرتك بالحجاج اذ أنت قادر * فنفسك أولى اللوم ان كنت لائما
فما أنا بالباكى عليك صبابة * وما أنا بالداعى لترجع سالما

ويقال من اصفر وجهه من النصيحة اسود لونه من الفضيحة وقال طرفة

ولا ترفدن النصح من ليس أهله * وكن حين تستغنى برأيك غانيا
وان امرأ يوما تولى برأيه * فدعه يصيب الرشد أو يك غاويا

وفى مثله قال بعضهم

من الناس من ان يستشرك فتجتهد * له الرأى يستغششك مالم تتابعه
فلا تمحن الرأى من ليس أهله * فلا أنت محمود ولا الرأى نافعه

والله أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿الباب الثانى عشر فى الوصايا الحسنة والمواعظ المستحسنة وما أشبه ذلك﴾

قال الله تعالى ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن وقال الله تعالى ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون وقال تعالى ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وقال تعالى والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون فى الخيرات * والآيات فى ذلك كثيرة مشهورة وفوائدها جمة منشورة وروينا فى صحيح مسلم عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان * وقال شيخنا محيى الدين النووى رحمه الله تعالى عليه فى قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم ان هذه الآية الكريمة مما يغتر بها أكثر الجاهلين ويحملونها على غير وجهها بل الصواب فى معناها أنكم اذا فعلتم ما أمرتم به لا يضركم ضلالة من ضل * ومن جملة ما أمروا به الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والآية مرتبة فى المعنى على قوله تعالى ما على الرسول الا البلاغ * وقال محمد ابن عمام الموعظة جند من جنود الله تعالى ومثلها مثل الطين يضرب به الى الحائط ان استمسك نفع وان وقع أثر * ومن كلام على رضى الله تعالى عنه لا تكونن ممن لا تنفعه الموعظة الا اذا بالغت فى ايلامه فان العاقل يتعظ بالأدب والبهائم لا تتعظ الا بالضرب وأنشد الجاحظ

وليس يزجركم ما توعظون به * والبهم يزجرها الراعى فتنزجر

وكتب رجل الى صديق له أما بعد فعظ الناس بفعلك ولا تعظهم بقولك واستح من الله بقدر قربه منك وخفه بقدر قدرته عليك والسلام وقيل من كان له من نفسه واعظ كان له من الله حافظ وقال لقمان الموعظة تشق على السفيه كما يشق صعود الوعر على الشيخ الكبير * قيل أوحى الله تعالى الى داود عليه السلام انك ان أتيتنى بعبد آبق كتبتك عندى حميدا ومن كتبته عندى حميدا لم أعذبه بعدها أبدا وقال الرشيد لمنصور بن عمار عظنى وأوجز فقال يا أمير المؤمنين هل أحد أحب اليك من نفسك قال لا قال ان أردت أن لا تسىء الى من تحب فافعل وقال النبى صلى الله عليه وسلم فى بعض خطبه أيها الناس الأيام تطوى والأعمار تفنى والابدان فى الثرى تبلى وان الليل والنهار يتراكضان تراكض البريد ويقربان كل بعيد ويخلقان كل جديد وفى ذلك عباد الله ما ألهى عن الشهوات ورغب فى الباقيات الصالحات * ولما التقى ميمون بن مهران الحسن البصرى قال له لقد كنت أحب ان ألقاك فعظنى فقرأ الحسن البصرى أفرأيت من اتخذ الهه هواه أفرأيت ان متعناهم

لى كلبا قال فغضب وقال أقول لك سل حاجتك تقول هب لى كلبا فقال يا أمير المؤمنين الحاجة لى أو لك فقال بل لك فقال انى أسألك أن تهب لى كلب صيد فأمر له بكلب فقال يا أمير المؤمنين هبنى خرجت للصيد أعدو على رجلى فأمر له بدابة فقال له يا أمير المؤمنين فمن يقوم عليها فأمر له بغلام فقال يا أمير المؤمنين هبنى صدت صيدا وأتيت به المنزل فمن يطبخه فأمر له بجارية فقال يا أمير المؤمنين فهؤلاء أين يبيتون فأمر له بدار فقال يا أمير المؤمنين قد صيرت فى عنقى عيالا فمن أين لى ما يقوت هؤلاء قال المهدى اعطوه جريب نخل ثم قال هل بقيت لك حاجة قال نعم تأذن لى ان أقبل يدك انتهى (وحكى) أن هشام بن عبد الملك قدم حاجا الى بيت الله الحرام فلما دخل الحرم قال ائتونى برجل من الصحابة فقيل يا أمير المؤمنين قد تفانوا قال فمن التابعين فاتى بطاوس اليمانى فلما دخل عليه خلع نعليه بحاشية بساطه ولم يسلم بأمير المؤمنين ولم يكنه وجلس الى جانبه بغير اذنه وقال كيف أنت يا هشام فغضب من ذلك غضبا شديدا حتى هم بقتله فقيل له أنت يا أمير المؤمنين فى حرم الله وحرم رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكون ذلك فقال يا طاوس ما حملك على ما صنعت قال وما صنعت قال خلعت نعليك بحاشية بساطى ولم تسلم بيا أمير المؤمنين ولم تكننى وجلست بازائى بغير اذنى وقلت يا هشام كيف أنت فقال له طاوس أما خلع نعلى بحاشية بساطك فانى أخلعهما بين يدى رب العزة فى كل يوم خمس مرات ولا يعاتبنى ولا يغضب على وأما قولك لم تسلم على بامرة المؤمنين فليس كل المؤمنين راضيا بامرتك فخفت أن أكون كاذبا وأما قولك لم تكننى فان الله

سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون فقال عليك السلام أبا سعيد لقد وعظتني أحسن موعظة * ولما ضرب ابن ملجم لعنه الله عليا رضي الله عنه دخل منزله فاعترته غشية ثم أفاق فدعا الحسن والحسين رضي الله تعالى عنهما وقال أوصيكما بتقوى الله تعالى والرغبة في الآخرة والزهد في الدنيا ولا تأسفا على شيء فاتكما منها فانكما عنها راحلان افعلا الخير وكونا للظالم خصما وللمظلوم عونا ثم دعا محمدا ولده وقال له أما سمعت ما أوصيت به أخويك قال بلى قال فاني أوصيك به وعليك ببر أخويك وتوقيرهما ومعرفة فضلهما ولا تقطع أمرا دونهما ثم أقبل عليهما وقال أوصيكما به خيرا فانه أخوكما وابن أبيكما وأنتما تعلمان ان أباه كان يحبه فأحباه ثم قال يا بني أوصيكم بتقوى الله في الغيب والشهادة وكلمة الحق في الرضا والغضب والقصد في الغنى والفقر والعدل في الصديق والعدو والعمل في النشاط والكسل والرضا عن الله في الشدة والرخاء يا بني ما شر بعده الجنة بشر ولا خير بعده النار بخير وكل نعيم دون الجنة حقير وكل بلاء دون النار عافية يا بني من أبصر عيب نفسه اشتغل عن عيب غيره ومن رضي بما قسم الله له لم يحزن على ما فاته ومن سل سيف البغي قتل به ومن حفر لأخيه بئرا وقع فيها ومن هتك حجاب أخيه هتكت عورات بنيه ومن نسي خطيئته استعظم خطيئة غيره ومن أعجب برأيه ضل ومن استغنى بعقله زل ومن تكبر على الناس ذل ومن خالط الأنذال احتقر ومن دخل مداخل السوء اتهم ومن جالس العلماء وقر ومن مزح استخف به ومن أكثر من شيء عرف به ومن كثر كلامه كثر خطؤه ومن كثر خطؤه قل حياؤه ومن قل حياؤه قل ورعه ومن قل ورعه مات قلبه ومن مات قلبه دخل النار يا بني الأدب ميزان الرجل وحسن الخلق خير قرين يا بني العافية عشرة أجزاء تسعة منها في الصمت الا عن ذكر الله تعالى وواحد في ترك مجالسة السفهاء يا بني زينة الفقر الصبر وزينة الغنى الشكر يا بني لا شرف أعلى من الاسلام ولا كرم أعز من التقوى ولا شفيع أنجح من التوبة ولا لباس أجمل من العافية يا بني الحرص مفتاح التعب ومطية النصب (ولما) حضرت هشام بن عبد الملك الوفاة نظر الى أهله يبكون حوله فقال جاد لكم هشام بالدنيا وجدتم له بالبكاء وترك لكم جميع ما جمع وتركتم عليه ما حمل ما أعظم منقلب هشام ان لم يغفر الله له وقال الأوزاعي للمنصور في بعض كلامه يا أمير المؤمنين أما علمت أنه كان بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم جريدة يابسة يستاك بها ويردع بها المنافقين فأتاه جبريل عليه السلام فقال يا محمد ما هذه الجريدة التي بيدك اقذفها لا تملأ قلوبهم رعبا فكيف بمن سفك دماء المسلمين وانتهب أموالهم يا أمير المؤمنين ان المغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر دعا الى القصاص من نفسه بخدشة خدشها اعرابيا من غير تعمد يا أمير المؤمنين لو أن ذنوبا من النار صب ووضع على الأرض لأحرقها فكيف بمن يتجرعه ولو أن ثوبا من النار وضع على الأرض لأحرقها فكيف بمن يتقمصه ولو أن حلقة من سلاسل جهنم وضعت على جبل لذاب فكيف بمن يتسلسل بها ويرد فضلها على عاتقه وروى زيد ابن أسلم عن أبيه قال قلت لجعفر بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه وكان والي المدينة احذر أن يأتي رجل غدا ليس له في الاسلام نسب ولا أب ولا جد فيكون أولى برسول الله صلى الله عليه وسلم منك كما كانت امرأة فرعون أولى بموسى وكما كانت امرأة نوح وامرأة لوط أولى بفرعون ومن أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه ومن أسرع به عمله لم يبطئ به نسبه * وروى زياد عن مالك بن أنس رضي الله تعالى عنه قال لما بعث أبو جعفر الى مالك بن أنس وابن طاوس قال دخلنا عليه وهو جالس على فرش وبين يديه أنطاع قد بسطت وجلادون بأيديهم السيوف يضربون الأعناق فأومأ الينا أن اجلسا فجلسنا فأطرق زمانا طويلا ثم رفع رأسه والتفت الى ابن طاوس وقال حدثني عن أبيك قال سمعت أبي يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أشد الناس عذابا يوم القيامة رجل أشركه الله تعالى في ملكه فأدخل عليه الجور في حكمه فأمسك أبو جعفر ساعة حتى اسود ما بيننا وبينه قال مالك فضممت ثيابي مخافة أن ينالها شيء من دم ابن طاوس ثم قال يا ابن طاوس ناولني هذه الدواة فأمسك عنه فقال ما يمنعك أن تناولنيها قال أخاف أن تكتب بها معصية فأكون شريكك فيها فلما سمع ذلك قال قوما عني فقال ابن طاوس ذلك ما كنا نبغي قال مالك فما زلت أعرف لابن طاوس فضله من ذلك اليوم * وروى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لكعب الأحبار يا كعب خوفنا قال أوليس فيكم كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم قال بلى يا كعب ولكن خوفنا فقال يا أمير المؤمنين اعمل فانك لو وافيت يوم القيامة بعمل سبعين

عز وجل تسمى أنبياء فقال يا داود يا عيسى يا موسى وكنى أعداءه فقال تبت يدا أبي لهب وأما قولك جلست بازائي فاني سمعت أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب رضي الله عنه يقول اذا أردت أن تنظر الى رجل من أهل النار فانظر الى رجل جالس وحوله قوم قيام فقال له عظني فقال له اني سمعت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول ان في جهنم حيات وعقارب كالبغال تلدغ كل أمير لا يعدل في رعيته ثم قام فخرج انتهى (نادرة لطيفة) مروية عن أبي عمرو عامر الشعبي ولكن يتعين أن نبتدأ بشيء من ترجمته أولا قال الزهري العلماء أربعة ابن المسيب بالمدينة والحسن البصري بالبصرة ومكحول بالشام والشعبي بالكوفة ويقال انه أدرك خمسمائة من الصحابة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم (والنادرة الموعود بذكرها) هي ما حكى الشعبي قال أنفذني عبد الملك بن مروان الى ملك الروم فلما وصلت اليه جعل لا يسألني عن شيء الا أجبته وكانت الرسل لا تطيل الاقامة فحبسني عنده أياما كثيرة فلما أردت الانصراف قال أمن بيت المملكة أنت فقلت لا ولكني من العرب فدفع الي رقعة وقال اذا أديت الرسائل الى صاحبك أوصل اليه هذه الرقعة قال فأديت الرسائل عند وصولي الى عبد الملك وأنسيت الرقعة فلما وصلت الباب أريد الخروج تذكرت الرقعة فرجعت فأوصلتها اليه فقال لي هل قال لك شيئا قبل أن يدفعها اليك قلت نعم قال لي أنت من أهل بيت المملكة قلت لا ولكني رجل من العرب في الجملة ثم خرجت من عند عبد الملك فلما بلغت الباب طلبني فرددت فلما مثلت بين يديه قال أتدري ما في الرقعة قلت لا قال اقرأها فقرأتها

نيا الازدريت عملهم مما ترى فنكس عمر رضي الله عنه رأسه وأطرق مليا ثم رفع رأسه وقال يا كعب خوفنا فقال يا أمير المؤمنين لو فتح من جهنم قدر منخر ثور بالمشرق ورجل بالمغرب لغلى دماغه حتى يسيل من حرها فنكس عمر ثم أفاق فقال يا كعب زدنا فقال يا أمير المؤمنين ان جهنم لتزفر زفرة يوم القيامة فلا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل الا جثا على ركبتيه يقول يارب لا أسألك اليوم الا نفسي * وقال سيدي الشيخ أبو بكر الطرطوشي رحمة الله تعالى عليه دخلت على الافضل بن أمير الجيوش وهو أمير على مصر فقلت السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فرد السلام على نحو ما سلمت ردا جميلا وأكرمني اكراما جزيلا وأمرني بدخول مجلسه وأمرني بالجلوس فيه فقلت أيها الملك ان الله تعالى قد أحلك محلا عليا شامخا وأنزلك منزلا شريفا باذخا وملكك طائفة من ملكه وأشركك في حكمه ولم يرض أن يكون أحد فوق أمرك فلا ترض أن يكون أحد أولى بالشكر منك وليس الشكر باللسان وانما هو بالفعال والاحسان قال الله تعالى اعملوا آل داود شكرا واعلم أن هذا الذي أصبحت فيه من الملك انما صار اليك بموت من كان قبلك وهو خارج عنك بمثل ما صار اليك فاتق الله فيما خولك من هذه الامة فان الله تعالى سائلك عن الفتيل والنقير والقطمير قال الله تعالى فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون وقال تعالى وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين واعلم أيها الملك ان الله تعالى قد آتى ملك الدنيا بحذافيرها سليمان بن داود عليهما السلام فسخر له الانس والجن والشياطين والطير والوحش والبهائم وسخر له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب ثم رفع عنه حساب ذلك أجمع فقال له هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب فوالله ما عدها نعمة كما عددتموها ولا حسبها كرامة كما حسبتموها بل خاف أن تكون استدراجا من الله تعالى ومكرا به فقال هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر فافتح الباب وسهل الحجاب وانصر المظلوم وأغث الملهوف أعانك الله على نصر المظلوم وجعلك كهفا للملهوف وأمانا للخائف ثم أتممت المجلس بان قلت قد جبت البلاد شرقا وغربا فما اخترت مملكة وارتحت اليها ولذلي الاقامة فيها غير هذه المملكة ثم أنشدته

والناس أكيس من أن يحمدوا رجلا * حتى يروا عنده آثار احسان

(وقال) الفضل بن الربيع حج هرون الرشيد سنة من السنين فبينما أنا نائم ذات ليلة اذ سمعت قرع الباب فقلت من هذا فقال أجب أمير المؤمنين فخرجت مسرعا فقلت يا أمير المؤمنين لو أرسلت الي أتيتك فقال ويحك قد حاك في نفسي شئ لا يخرجه الا عالم فانظر لي رجلا أسأله عنه فقلت ههنا سفيان بن عيينة فقال امض بنا اليه فأتيناه فقرعت عليه الباب فقال من هذا فقلت أجب أمير المؤمنين فخرج مسرعا فقال يا أمير المؤمنين لو أرسلت الي أتيتك فقال جد لما جئناه له فحادثه ساعة ثم قال له أعليك دين قال نعم فقال يا أبا العباس اقض دينه ثم انصرفنا فقال ما أغنى عني صاحبك شيأ فانظر لي رجلا أسأله قلت ههنا عبد الرزاق بن همام فقال امض بنا اليه فأتيناه فقرعت عليه الباب فقال من هذا قلت أجب أمير المؤمنين فخرج مسرعا فقال يا أمير المؤمنين لو أرسلت الي أتيتك فقال جد لما جئناه له فحادثه ساعة ثم قال له أعليك دين قال نعم فقال يا أبا العباس اقض دينه ثم انصرفنا فقال ما أغنى عني صاحبك شيأ فانظر لي رجلا أسأله فقلت ههنا الفضيل بن عياض فقال امض بنا اليه فأتيناه فاذا هو قائم يصلي في غرفته يتلو آية من كتاب الله تعالى وهو يرددها فقرعت عليه الباب فقال من هذا فقلت أجب أمير المؤمنين فقال مالي ولامير المؤمنين فقلت سبحان الله أما تجب عليك طاعته ففتح الباب ثم ارتقى الى أعلى الغرفة فاطفأ السراج ثم التجأ الى زاوية من زوايا الغرفة فجعلنا نجول عليه بايدينا فسبقت كف الرشيد كفي اليه فقال أواه من كف ما ألينها ان نجت غدا من عذاب الله تعالى فقلت في نفسي ليكلمنه الليلة بكلام نقي من قلب تقي فقال جد لما جئناه له رحمك الله تعالى فقال وفيم جئت حملت على نفسك وجميع من معك حملوا عليك حتى لو سألتهم أن يتحملوا عنك شقصا من ذنب ما فعلوا ولكان أشدهم حبا لك أشدهم هربا منك ثم قال ان عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه لما ولي الخلافة دعا سالم بن عبد الله ومحمد بن كعب القرظي ورجاء بن حيوة فقال لهم اني قد ابتليت بهذا البلاء فأشيروا علي فعد الخلافة بلاء وعددتها أنت وأصحابك نعمة فقال سالم بن عبد الله ان أردت النجاة غدا من عذاب الله فصم عن الدنيا وليكن افطارك فيها على الموت وقال محمد بن كعب ان أردت النجاة غدا من عذاب الله تعالى فليكن كبير المسلمين عندك أبا وأوسطهم عندك أخا وأصغرهم عندك

فاذا فيها عجبت من قوم فيهم مثل هذا كيف ملكوا غيره فقلت يا أمير المؤمنين لو علمت ما فيها ما حملتها وانما قال هذا لانه لم يرك قال أتدري لم كتبها قلت لا قال حسدني عليك فأراد أن يغريني بقتلك انتهى (وقيل) كان الشعبي ضئيلا نحيلا فقيل له في ذلك فقال زوحمت في الرحم وكان قد ولد هو وأخ آخر وأقام في البطن سنتين ذكره صاحب كتاب المعارف (ويقال) ان الحجاج قال له يوما كم عطاؤك في السنة فقال ألفين فقال له ويحك كم عطاؤك قال ألفان فقال ويحك كيف لحنت أولا فقال لحن الامير فلحنت فلما أعرب أعربت وما يحسن أن يلحن الامير وأعرب فاستحسن ذلك منه وأجازه (نادرة بديعة غريبة) منقولة عن سديد الملك أبي الحسن علي بن منقذ صاحب قلعة شيزر وكان سديد المذكور مقصودا من البلاد ممدوحا مدحه جماعة من الشعراء كابن الخياط والخفاجي وغيرهما وله شعر جيد أيضا ومنه قوله وقد غضب على مملوكه فضربه

أسطو عليه وقلبي لو تمكن من
كفي غلهما غيظا الى عنقي
وأستعين اذا عاقبته حنقا
وأين ذل الهوى من عزة الحنق

وكان موصوفا بقوة الفطنة ويحكى عنه في ذلك حكاية عجيبة وهي انه كان يتردد على حلب قبل تملكه قلعة شيزر وصاحب حلب يومئذ تاج الملوك محمود بن صالح بن مرداس فجرى أمر خاف سديد الملك منه على نفسه فخرج من حلب الى طرابلس الشام وصاحبها يومئذ جلال الملك بن عمار فاقام عنده فتقدم محمود صاحب حلب الى كاتبه أبي نصر محمد بن الحسين بن علي النحاس الحلبي أن يكتب الى سديد

ولدا فبر أباك وارحم أخاك وتحنن على ولدك وقال رجاء بن حيوة ان أردت النجاة غدا من عذاب الله تعالى فأحب للمسلمين ما تحب لنفسك واكره لهم ما تكره لنفسك ثم مت متى شئت وانى لأقول هذا وانى لأخاف عليك أشد الخوف يوم تزل الاقدام فهل معك رحمك الله مثل هؤلاء القوم من يأمرك بمثل هذا فبكى هرون بكاء شديدا حتى غشى عليه فقلت له ارفق بأمير المؤمنين فقال يا ابن الربيع قتلته أنت وأصحابك وارفق به أنا ثم أفاق هرون الرشيد فقال زدنى فقال يا أمير المؤمنين بلغنى أن عاملا لعمر بن عبد العزيز رضى الله عنه شكا اليه سهرا فكتب له عمر يقول يا أخى اذكر سهر أهل النار فى النار وخلود الابدان فان ذلك يطرد بك الى ربك نائما ويقظان واياك أن تزل قدمك عن هذا السبيل فيكون آخر العهد بك ومنقطع الرجاء منك فلما قرأ كتابه طوى البلاد حتى قدم عليه فقال له عمر ما أقدمك فقال له لقد خلعت قلبى بكتابك لا وليت ولاية أبدا حتى ألقى الله عز وجل فبكى هرون بكاء شديدا ثم قال زدنى قال يا أمير المؤمنين ان العباس عم النبى صلى الله عليه وسلم جاء اليه فقال يا رسول الله أمرنى امارة فقال النبى صلى الله عليه وسلم يا عباس نفس تحييها خير من امارة لا تحصيها ان الامارة حسرة وندامة يوم القيامة فان استطعت أن لا تكون أميرا فافعل فبكى هرون الرشيد بكاء شديدا ثم قال زدنى يرحمك الله فقال يا حسن الوجه أنت الذى يسألك الله عن هذا الخلق يوم القيامة فان استطعت أن تقى هذا الوجه من النار فافعل واياك أن تصبح وتمسى وفى قلبك غش لرعيتك فان النبى صلى الله عليه وسلم قال من أصبح لهم غاشا لم يرح رائحة الجنة فبكى هرون الرشيد بكاء شديدا ثم قال له أعليك دين قال نعم دين لربى يحاسبنى عليه فالويل لى ان ناقشنى والويل لى ان سألنى والويل لى ان لم يلهمنى حجتى قال هرون انما أعنى دين العباد قال ان ربى لم يأمرنى بهذا انما أمرنى أن أصدق وعده وأطيع أمره قال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين فقال له هرون هذه ألف دينار خذها وأنفقها على عيالك وتقو بها على عبادة ربك فقال سبحان الله أنا أدلك على سبيل الرشاد تكافئنى أنت بمثل هذا سلمك الله ووفقك ثم صمت فلم يكلمنا فخرجنا من عنده فقال لى هرون اذا دللتنى على رجل فدلنى على مثل هذا فان هذا سيد المسلمين اليوم (واعلم) ان الامر بالمعروف والنهى عن المنكر له شروط وصفات قال سليمان الخواص من وعظ أخاه فيما بينه وبينه فهى نصيحة ومن وعظه على رؤس الاشهاد فانما بكته * وقالت أم الدرداء رضى الله تعالى عنها من وعظ أخاه سرا فقد سره وزانه ومن وعظه علانية فقد ساءه وشانه ويقال من وعظ أخاه سرا فقد نصحه وستره ومن وعظه جهرا فقد فضحه وضره * وعن عبد العزيز بن أبى رواد قال كان الرجل اذا رأى من أخيه شيئا أمره فى ستر ونهاه فى ستر فيؤجر فى ستره ويؤجر فى أمره ويؤجر فى نهيه وعن عمر رضى الله تعالى عنه اذا رأيتم أخا لكم ذا زلة فقوموه وسددوه وادعوا الله أن يرجع به الى التوبة فيتوب عليه ولا تكونوا أعوانا للشيطان على أخيكم وبالله التوفيق الى أقوم طريق وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿الباب الثالث عشر فى الصمت وصون اللسان والنهى عن الغيبة والسعى بالنميمة ومدح العزلة وذم الشهرة وفيه فصول﴾

﴿الفصل الاول فى الصمت وصون اللسان﴾ قال الله تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد وقال تعالى ان ربك لبالمرصاد (واعلم) أنه ينبغى للعاقل المكلف أن يحفظ لسانه عن جميع الكلام الا كلاما ظهرت المصلحة فيه ومتى استوى الكلام وتركه فى المصلحة فالسنة الامساك عنه لانه قد يجر الكلام المباح الى حرام أو مكروه بل هذا كثير وغالب فى العادة والسلامة لا يعادلها شئ وروينا فى صحيحى البخارى ومسلم عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت قال الشافعى رضى الله تعالى عنه فى الام اذا أراد أحدكم الكلام فعليه أن يفكر فى كلامه فان ظهرت المصلحة تكلم وان شك لم يتكلم حتى تظهر وروينا فى صحيحيهما عن أبى موسى الاشعرى رضى الله تعالى عنه قال قلت يا رسول الله أى المسلمين أفضل قال من سلم الناس من لسانه ويده وروينا فى كتاب الترمذى عن عقبة ابن عامر رضى الله تعالى عنه قال قلت يا رسول الله ما النجاة قال امسك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك قال الترمذى حديث حسن وروينا فى كتاب الترمذى وابن ماجه عن أبى هريرة رضى الله عنه عن

الملك كتابا يشوقه فيه ويستعطفه ويستدعيه الى حلب ففهم الكاتب انه يقصد له شرا اذا جاء اليه وكان الكاتب صديقا الى سديد الملك فكتب الكاتب كما أمره مخدومه الى ان بلغ الى آخره وهو ان شاء الله فشدد النون وفتحها فلما وصل الكتاب الى سديد الملك عرضه على ابن عمار صاحب طرابلس ومن بمجلسه من خواصه فاستحسنوا عبارة الكتاب واستعظموا ما فيه من رغبة محمود فيه وايثاره لقربه فقال سديد الملك انى أرى ما لا ترون فى الكتاب ثم أجاب عن الكتاب بما اقتضاه الحال وكتب فى جملة فصول الكتاب أنا الخادم المقر بالانعام وكسر الهمزة من أنا وشدد النون فلما وصل الكتاب الى محمود وقف عليه سر بما فيه وقال لاصدقائه قد علمت ان الذى كتبته لا يخفى على مثله وقد أجاب بما طيب قلبى عليه وكان الكاتب قد قصد قوله تعالى ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاجاب سديد الملك بقوله انا لن ندخلها أبدا ما داموا فيها وكانت هذه الحكاية معدودة من شدة تيقظه وفهمه انتهى (وحكى الصابى فى كتاب الاعيان والاماثل) ان رجلا اتصلت عطلته وانقطعت مادته فزور كتابا من الوزير أبى الحسن على بن الفرات وزير المقتدر بالله العباسى الى ابن زيتون المادرانى عامل مصر يتضمن المبالغة فى الوصايا وزيادة الاكرام وعمل المصالح فلما دخل مصر اجتمع بابن زيتون ودفع اليه الكتاب فلما قرأ ابن زيتون الكتاب ارتاب فى أمره لتغير لفظ الخطاب عما جرت به العادة وكون الدعاء أكثر مما يقتضيه محله فراعاه مراعاة قريبة ووصله صلة قليلة وحبسه عنده على وعد وعده به ثم كتب الى أبى الحسن بن الفرات يذكر الكتاب الذى ورد عليه وأنفذه بعينه فلما

النبي صلى الله عليه وسلم قال من حسن اسلام المرء تركه مالا يعنيه والاحاديث الصحيحة في ذلك كثيرة وفيما أشرت اليه كفاية لمن وفقه الله تعالى (وأما الآثار) عن السلف وغيرهم في هذا الباب فكثيرة لا تحصر لكن ننبه على شيء منها * فما جاء من ذلك ما بلغنا أن قس بن ساعدة وأكثم بن صيفي اجتمعا فقال أحدهم لصاحبه كم وجدت في ابن آدم من العيوب فقال هي أكثر من أن تحصر وقد وجدت خصلة ان استعملها الانسان سترت العيوب كلها قال وما هي قال حفظ اللسان وقال الامام الشافعي رضي الله عنه لصاحبه الربيع يا ربيع لا تتكلم فيما لا يعنيك فانك اذا تكلمت بالكلمة ملكتك ولم تملكها وقال بعضهم مثل اللسان مثل السبع ان لم توثقه عدا عليك ولحقك شره ومما أنشدوه في هذا الباب

احفظ لسانك أيها الانسان * لا يلدغنك انه ثعبان
كم في المقابر من قتيل لسانه * كانت تهاب لقاءه الشجعان

وقال الفارسي

لعمرك ان في ذنبي لشغلا * لنفسي عن ذنوب بني أميه
على ربي حسابهم اليه * تناهى علم ذلك لا اليه

وقال علي رضي الله عنه اذا تم العقل نقص الكلام وقال أعرابي رب منطق صدع جمعا وسكوت شعب صدعا وقال وهب بن الورد بلغنا أن الحكمة عشرة أجزاء تسعة منها في الصمت والعاشر في عزلة الناس وقال علي بن هشام رحمة الله تعالى عليه

لعمرك ان الحلم زين لأهله * وما الحلم الا عادة وتحلم
اذا لم يكن صمت الفتى عن ندامة * وعي فان الصمت أولى وأسلم

وقال ابن عيينة من حرم الخير فليصمت فان حرمهما فالموت خير له وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لابي ذر رضي الله عنه عليك بالصمت الا من خير فانه مطردة الشيطان وعون على أمر دينك ومن كلام الحكماء من نطق في غير خير فقد لغا ومن نظر في غير اعتبار فقد سها ومن سكت في غير فكر فقد لها وقيل لو قرأت صحيفتك لاغمدت صفيحتك ولو رأيت ما في ميزانك لختمت على لسانك ولما خرج يونس عليه السلام من بطن الحوت طال صمته فقيل له ألا تتكلم فقال الكلام صيرني في بطن الحوت وقال حكيم اذا أعجبك الكلام فاصمت واذا أعجبك الصمت فتكلم وكان يقال من السكوت ما هو أبلغ من الكلام لأن السفيه اذا سكت عنه كان في اغتمام وقيل لرجل بم سادكم الاحنف فوالله ما كان بأكبركم سنا ولا بأكثركم مالا فقال بقوة سلطانه على لسانه وقيل الكلمة أسيرة في وثاق الرجل فاذا تكلم بها صار في وثاقها وقيل اجتمع أربعة ملوك فتكلموا فقال ملك الفرس ما ندمت على ما لم أقل مرة وندمت على ما قلت مرارا وقال قيصر أنا على رد ما لم أقل أقدر مني على رد ما قلت وقال ملك الصين ما لم أتكلم بكلمة ملكتها فاذا تكلمت بها ملكتني وقال ملك الهند العجب ممن يتكلم بكلمة ان رفعت ضرت وان لم ترفع لم تنفع وكان بهرام جالسا ذات ليلة تحت شجرة فسمع منها صوت طائر فرماه فأصابه فقال ما أحسن من حفظ اللسان بالطائر والانسان لو حفظ هذا لسانه ما هلك وقال علي رضي الله تعالى عنه بكثرة الصمت تكون الهيبة وقال عمرو بن العاص رضي الله عنه الكلام كالدواء ان أقللت منه نفع وان أكثرت منه قتل وقال لقمان لولده يا بني اذا افتخر الناس بحسن كلامهم فافتخر أنت بحسن صمتك يقول اللسان كل صباح وكل مساء للجوارح كيف أنتن فيقلن بخير ان تركتنا قال الشاعر

احفظ لسانك لا تقول فتبتلى * ان البلاء موكل بالمنطق

﴿الفصل الثاني في تحريم الغيبة﴾ اعلم أن الغيبة من أقبح القبائح وأكثرها انتشارا في الناس حتى لا يسلم منها الا القليل من الناس وهي ذكرك الانسان بما يكره ولو بما فيه سواء كان في دينه أو بدنه أو نفسه أو خلقه أو خلقه أو ماله أو ولده أو والده أو زوجته أو خادمه أو عمامته أو ثوبه أو مشيته أو حركته أو بشاشته أو خلاعته أو غير ذلك مما يتعلق به سواء ذكرته بلفظك أو بكتابك أو رمزت اليه بعينك أو يدك أو رأسك أو نحو ذلك فاما الدين فكقولك سارق خائن ظالم متهاون بالصلاة متساهل في النجاسات ليس بارا بوالديه قليل الادب لا يضع الزكاة مواضعها لا يجتنب الغيبة وأما البدن فكقولك أعمى أو أعرج أو أعمش أو قصير أو طويل أو أسود أو أصفر وأما غيرهما فكقولك فلان قليل الادب متهاون بالناس لا يرى لاحد عليه حقا كثير النوم كثير الاكل وما أشبه ذلك أو كقولك فلان أبوه نجار أو اسكاف أو حداد أو حائك تريد تنقيصه بذلك أو

وقف عليه ابن الفرات عرف الرجل وذكر ما كان عليه من الحرمة وماله من الحقوق القديمة عليه فعرضه على كتابه وعرفهم الصورة وعجب اليهم منها وقال لهم ما الرأي في مثل هذا الرجل فقال بعضهم تأديبه وقال بعضهم قطع ابهامه وقال أجلهم محضرا يكشف لابن زيتون أمره ويرسم له بطرده وحرمانه فقال ابن الفرات ما أبعدكم من الخير رجل توسل بنا وحمل المشقة الى مصر وأمل الخير بجاهنا والانتساب الينا يكون حاله عند أحسنكم نظرا تكذيب ظنه وتخييب سعيه والله لا كان هذا أبدا ثم أخذ القلم ووقع على الكتاب المزور هذا كتابي ولست أعلم لم أنكرت أمره واعترضتك فيه شبهة وليس كل من يخدمنا نعرفه وهذا رجل خدمني أيام نكبتي فأحسن تفقده ورفده وصرفه فيما يعود نفعه عليه ثم رد الكتاب الى ابن زيتون من يومه ومضت على ذلك مدة طويلة اذ دخل على ابن الفرات رجل ذو هيئة مقبولة وبزة جميلة فأقبل يدعو له ويثني عليه ويبكي ويقبل يديه والارض فقال له ابن الفرات من أنت بارك الله فيك قال صاحب الكتاب المزور الى ابن زيتون الذي صححه كرم الوزير بفضله فضحك ابن الفرات وقال كم وصل اليك منه قال أوصل الى من ماله ومن قسط قسطه على عماله عشرين ألف دينار فقال الحمد لله على صلاح حالك ثم اختبره فوجده كاتبا سديدا فاستخدمه انتهى والحمد لله على ذلك

﴿ذكر الحصري في كتابه المسمى بالدر المصون في سر الهوى المكنون﴾ أن الجاحظ ذكر للواثق لتأديب بعض أولاده فلما رآه استبشع منظره فأمر له بعشرة آلاف درهم وصرفه قال الجاحظ فخرجت من عنده فرأيت محمد بن ابراهيم وهو

فلان سيئ الخلق متكبر مراء معجب عجول جبار ونحو ذلك أو فلان واسع الكم طويل الذيل وسخ الثوب ونحو ذلك وقد روينا في صحيح مسلم وسنن أبي داود والترمذي والنسائي عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أتدرون ما الغيبة قالوا الله ورسوله أعلم قال ذكرك أخاك بما يكره قيل وان كان في أخي ما أقول قال ان كان فيه ما تقول فقد اغتبته وان لم يكن فيه فقد بهته قال الترمذي حديث حسن صحيح وروينا في سنن أبي داود والترمذي عن عائشة رضي الله عنها قالت قلت للنبي صلى الله عليه وسلم حسبك من صفية كذا وكذا قال بعض الرواة تعني قصيرة فقال لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته أي خالطته مخالطة يتغير بها طعمه وريحه لكثرة نتنها وروينا في سنن أبي داود عن أنس رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما عرج بي الى السماء مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون بها وجوههم وصدورهم فقلت من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم وروي عن جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال اياكم والغيبة فان الغيبة أشد من الزنا ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليزني فيتوب فيتوب الله عليه وان صاحب الغيبة لم يغفر له حتى يغفر له صاحبها وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال من اغتاب المسلمين وأكل لحومهم بغير حق وسعى بهم الى السلطان جيء به يوم القيامة مزرقة عيناه ينادي بالويل والثبور يعرف أهله ولا يعرفونه وقال معاوية بن قرة أفضل الناس عند الله أسلمهم صدرا وأقلهم غيبة وقال الأحنف في خصلتان لا أغتاب جليسي اذا غاب عني ولا أدخل في أمر قوم لا يدخلونني فيه وقيل للربيع بن خيثم ما نراك تعيب أحدا فقال لست عن نفسي راضيا فأتفرغ لذم الناس وأنشد

لنفسي أبكي لست أبكي لغيرها * لنفسي من نفسي عن الناس شاغل

وقال كثير عزة

وسعى الى بعيب عزة نسوة * جعل الاله خدودهن نعالها

وقال محمد بن حزم أول من عمل الصابون سليمان وأول من عمل السويق ذو القرنين وأول من عمل الحيس يوسف وأول من عمل خبز الجرداق نمروذ وأول من كتب في القراطيس الحجاج وأول من اغتاب ابليس لعنه الله اغتاب آدم عليه السلام * وأوحى الله تعالى الى موسى عليه الصلاة والسلام ان المغتاب اذا تاب فهو آخر من يدخل الجنة وان أصر فهو أول من يدخل النار ويقال لا تأمن من كذب لك أن يكذب عليك ومن اغتاب عندك غيرك أن يغتابك عند غيرك وقيل للحسن البصري رضي الله تعالى عنه ان فلانا اغتابك فأهدى اليه طبقا من رطب فأتاه الرجل وقال له اغتبتك فأهديت الي فقال الحسن أهديت الي حسناتك فأردت أن أكافئك وعن ابن المبارك رحمه الله تعالى قال لو كنت مغتابا أحدا لاغتبت والدي لأنهما أحق بحسناتي واذا حاكى انسان انسانا بان يمشي متعارجا أو متطأطئا أو غير ذلك من الهيآت يريد تنقيصه بذلك فهو حرام وبعض المتفقهين والمتعبدين يعرضون بالغيبة تعريضا تفهم به كما يفهم بالتصريح فيقال لأحدهم كيف حال فلان فيقول الله يصلحنا الله يغفر لنا الله يصلحه نسأل الله العافية نحمد الله الذي لم يبتلنا بالدخول على الظلمة نعوذ بالله من الكبر يعافينا الله من قلة الحياء الله يتوب علينا وما أشبه ذلك مما يفهم تنقيصه فكل ذلك غيبة محرمة *(واعلم)* أنه كما يحرم على المغتاب ذكر الغيبة كذلك يحرم على السامع استماعها فيجب على من يستمع انسانا يبتدئ بغيبة أن ينهاه ان لم يخف ضررا فان خافه وجب عليه الانكار بقلبه ومفارقة ذلك المجلس ان تمكن من مفارقته فان قال بلسانه اسكت وقلبه يشتهي سماع ذلك قال بعض العلماء ان ذلك نفاق قال الله تعالى واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره ومما أنشدوه في هذا المعنى

وسمعك صن عن سماع القبيح * كصون اللسان عن النطق به

فانك عند سماع القبيح * شريك لقائله فانتبه

وكم أزعج الحرص من طالب * فوافى المنية في مطلبه

(الفصل الثالث في تحريم السعاية بالنميمة) قال الله تعالى ولا تطع كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم الآية وحسبك بالنمام خسة ورذيلة سقوطه وضعته والهماز المغتاب الذي يأكل لحوم الناس الطاعن فيهم وقال الحسن البصري هو الذي يغمز بأخيه في المجلس وهو الهمزة اللمزة وقال علي والحسن البصري رضي الله عنهما العتل الفاحش السيئ الخلق وقال ابن عباس رضي الله عنهما العتل الفاتك الشديد المنافق وقال عبيد بن عمير العتل الأكول الشروب القوي الشديد يوضع في الميزان فلا يزن شعيرة وقال الكلبي هو الشديد في كفره

يريد الانحدار الى مدينة السلام فعرض على الانحدار معه فانحدرت ونصبت ستارة وأمر بالغناء فاندفعت عوادة تغني

كل يوم قطيعة وعتاب
ينقضي دهرنا ونحن غضاب
ليت شعري أنا خصصت بهذا
دون ذا الخلق أم كذا الأحباب

ثم سكتت فأمر طنبورية فغنت

وارحمتا للعاشقينا
ما ان أرى لهم معينا
كم يهجرون ويصرمو
ن ويقطعون فيصبرونا

فقالت لها العوادة فيصنعون ماذا فقالت يصنعون هكذا وضربت بيدها على الستارة وبدت كأنها فلقة بدر ثم رمت بنفسها في الماء قال وكان على رأس محمد غلام يضاهيها في الجمال وفي يده مذبة فألقى المذبة من يده لما رأى ما صنعت الجارية ثم أتى الى موضع سقوطها ونظر اليها وأنشد

أنت التي غرقتني
بعد القضا لو تعلمينا

ورمى بنفسه في أثرها فأدار الملاح الحراقة فاذا بهما متعانقين ثم غاصا فهال ذلك محمدا واستعظمه وقال يا عمرو ان لم تحدثني حديثا يسليني عنهما ألحقتك بهما قال الجاحظ فحضرني خبر سليمان بن عبد الملك وقد قعد يوما للمظالم وعرضت عليه القصص فمرت قصة فيها مكتوب ان رأى أمير المؤمنين أعزه الله أن يخرج الي جاريته فلانة حتى تغنيني ثلاثة أصوات فعل ان شاء الله تعالى فاغتاظ سليمان لذلك وأمر من يأتيه برأسه ثم أردفه رسولا آخر أن يدخل به اليه فلما دخل قال ما حملك على ما صنعت قال الثقة بحلمك والاتكال على عفوك فأمره بالقعود حتى لم يبق أحد من بني أمية الا خرج ثم أمر بالجارية فأخرجت ومعها عود فقال لها غني

وقيل العتل الشديد الخصومة بالباطل والزنيم هو الذي لا يعرف من ابوه قال الشاعر

زنيم ليس يعرف من أبوه * بغى الأم ذو حسب لئيم

ورويناه في صحيحي البخاري ومسلم عن حذيفة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة نمام وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم مر بقبرين فقال انهما ليعذبان وما يعذبان في كبير أما أحدهما فكان يمشي بالنميمة وأما الآخر فكان لا يستتره من بوله قال الامام أبو حامد الغزالي رحمة الله تعالى عليه النميمة انما تطلق في الغالب على من ينم قول الغير الى المقول فيه كقوله فلان يقول فيك كذا فينبغي للانسان أن يسكت عن كل ما رآه من أحوال الناس الا ما في حكايته فائدة لمسلم أو دفع معصية وينبغي لمن حملت اليه النميمة وقيل له قال فيك فلان كذا ان لا يصدق من نم اليه لان النمام فاسق وهو مردود الخبر وان ينهاه عن ذلك وينصحه ويقبح فعله ويبغضه في الله تعالى فانه بغيض عند الله والبغض في الله واجب وان لا يظن بالمنقول عنه السوء لقول الله تعالى اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم وسعى رجل الى بلال بن أبي بردة برجل وكان أمير البصرة فقال له انصرف حتى أكشف عنك فكشف عنه فاذا هو ابن بغى يعني ولد زنا قال أبو موسى الاشعري رضي الله عنه لا ينم على الناس الا ولد بغي وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ألا أخبركم بشراركم قالوا بلى يا رسول الله قال شراركم المشاؤن بالنميمة المفسدون بين الأحبة الباغون العيوب وروى أبو هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ملعون ذو الوجهين ملعون ذو اللسانين ملعون كل شغاز ملعون كل قتات ملعون كل نمام ملعون كل منان والشغاز المحرش بين الناس يلقي بينهم العداوة والقتات النمام والمنان الذي يعمل الخير ويمن به وأما السعاية الى السلطان والى كل ذي قدرة فهي المهلكة والحالقة لانها تجمع الخصال الذميمة من الغيبة وشؤم النميمة والتغرير بالنفوس والأموال في النوازل والأحوال وتسلب العزيز عزه وتحط المسكين عن مكانته والسيد عن مرتبته فكم دم أراقه سعي ساع وكم حريم استبيح بنميمة نمام وكم من صفيين تباعدا وكم من متواصلين تقاطعا وكم من محبين افترقا وكم من إلفين تهاجرا وكم من زوجين تطالقا فليتق الله ربه عز وجل رجل ساعدته الأيام وتراخت عنه الأقدار أن يصغي لساع أو يستمع لنمام * ووجد في حكم القدماء أبغض الناس الى الله المثلث قال الأصمعي هو الرجل يسعى باخيه الى الامام فيهلك نفسه وأخاه وامامه وقال بعض الحكماء احذر وأعداء العقول ولصوص المودات وهم السعاة والنمامون اذا سرق اللصوص المتاع سرقوا هم المودات وفي المثل السائر من أطاع الواشي ضيع الصديق وقد تقطع الشجرة فتنبت ويقطع اللحم السيف فيندمل واللسان لا يندمل جرحه * ودفع انسان رقعة الى الصاحب بن عباد يحثه فيها على أخذ مال يتيم وكان مالا كثيرا فكتب اليه على ظهرها النميمة قبيحة وان كانت صحيحة والميت رحمه الله واليتيم جبره الله والساعي لعنه الله ولا حول ولا قوة الا بالله وروينا في كتاب أبي داود والترمذي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يبلغني أحد من أصحابي عن أحد شيأ فاني أحب أن اخرج اليكم وأنا سليم الصدر * ومن الناس من يتلون ألوانا ويكون بوجهين ولسانين فيأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه وذو الوجهين لا يكون عند الله وجيها قال صالح بن عبد القدوس رحمه الله تعالى

قل للذي لست أدري من تلونه * أناصح أم على غش يناجيني
اني لأكثر مما سمتني عجبا * يد تشج وأخرى منك تأسوني
تغتابني عند أقوام وتمدحني * في آخرين وكل عنك يأتيني
هذان شيئان قد نافيت بينهما * فاكفف لسانك عن شتمي وتزييني

وقيل لألف لحوح جموح خير من واحد متلون وكان يشبه المتلون بابي براقش وأبي قلمون فابو براقش طائر منقط بالوان النقوش يتلون في اليوم ألوانا وأبو قلمون ضرب من ثياب الحرير ينسج بالروم يتلون ألوانا ويقال للطائش الذي لا ثبات معه أبو رياح تشبيها بتمثال فارس من نحاس بمدينة حمص على عمود حديد فوق قبة بباب الجامع يدور مع الريح وعنانه ممدودة وأصابعه مضمومة الا السبابة فاذا أشكل عليهم مهب الريح عرفوه به فانه يدور باضعف نسيم يصيبه والذي يعمله الصبيان من قرطاس على قصبة يسمى أبا رياح أيضا ويقال أخلاق الملوك مثل في المتلون قال بعضهم

ويوم كاخلاق الملوك تلونا * فصحو وتغييم وطل ووابل
أشبهه اياك يا من صفاته * دنو واعراض ومنع ونائل

ما يقول لك فقال الفتى غنى
تألق البرق نجديا فقلت له
أيها البرق اني عنك مشغول
فغنته فقال له سليمان أتأمر لي برطل فأتى به فشربه ثم قال لها غنى
حبذا رجعها اليها يداها
في يدي درعها تحل الازارا
فغنته فقال لسليمان أتأمر لي برطل فأتى به فشربه ثم قال غني
أفاطم مهلا بعض هذا التدلل
وان كنت قد أزمعت صرمي فأجملي
فغنته فقال لسليمان أتأمر لي برطل فلما استتم شربه حتى صعد على الفور على قبة لسليمان فرمى بنفسه على دماغه فمات فقال سليمان انا لله وانا اليه راجعون أتراه الأحمق ظن أني أخرج اليه جاريتي وأردها الى ملكي يا غلمان خذوا بيد هذه الجارية وانطلقوا بها الى أهله ان كان له أهل والا فبيعوها وتصدقوا بثمنها عليه فلما انطلقوا بها نظرت الى حفيرة في دار سليمان اتخذت للمطر فجذبت نفسها من أيديهم ثم قالت
من مات عشقا فليمت هكذا
لا خير في عشق بلا موت
فرمت بنفسها في الحفيرة فماتت فسرى عن محمد وأحسن صلتي انتهى ﴿وكتب﴾ أبو منصور أفتكين التركي متولي دمشق الى عضد الدولة بن بويه كتابا مضمونه ان الشام قد صفا وصار في يدي وزال عنه حكم صاحب مصر وان قويتني بالأموال والرجال والعدد حاربت القوم في مستقرهم فكتب اليه عضد الدولة في جوابه هذه الكلمات وهي متشابهة في الخط لا تعرف الا بعد النقط والضبط وهي غرك عزك فصار قصار ذلك ذلك فاخش فاحش فعلك فعلك تهدأ بهذا قال القاضي شمس الدين ابن خلكان تغمده الله برحمته لقد أبدع غاية الابداع ﴿قلت﴾ وأبدع

وكام معاوية الأحنف فى شئ بلغه عنه فانكره الأحنف فقال له معاوية بلغنى عنك الثقة فقال له الأحنف ان الثقة لا يبلغ مكروها وكان الفضل بن سهل يبغض السعاية واذا أتاه ساع يقول له ان صدقتنا أبغضناك وان كذبتنا عاقبناك وان استقلتنا أقلناك وكتب فى جواب كتاب ساع نحن نرى أن قبول السعاية شر من السعاية لأن السعاية دلالة والقبول اجازة وليس من دل على شئ وأخبر به كمن قبله وأجازه فاتقوا الساعى فانه لو كان فى سعايته صادقا لكان فى صدقه لئيما اذ لم يحفظ الحرمة ولم يستر العورة وقيل من سعى بالنميمة حذره الغريب ومقته القريب وقال المأمون النميمة لا تقرب مودة الا أفسدتها ولا عداوة الا جددتها ولا جماعة الا بددتها ثم لا بد لمن عرف بها ونسب اليها ان يجتنب ويخاف من معرفته ولا يوثق بمكانه وأنشد بعضهم

من نم فى الناس لم تؤمن عقاربه * على الصديق ولم تؤمن أفاعيه
كالسيل بالليل لا يدرى به أحد * من أين جاء ولا من أين يأتيه
الويل للعهد منه كيف ينقضه * والويل للود منه كيف يفنيه

(وقال آخر)
يسعى عليك كما يسعى اليك فلا * تأمن غوائل ذى وجهين كياد

وقال صالح بن عبد القدوس رحمه الله تعالى

من يخبرك بشتم عن أخ * فهو الشاتم لا من شتمك
ذاك شئ لم يواجهك به * انما اللوم على من أعلمك

(وقال آخر)
ان يعلموا الخير أخفوه وان علموا * شرا أذاعوا وان لم يعلموا كذبوا

(وقال آخر)
ان يسمعوا ريبة طاروا بها فرحا * منى وما سمعوا من صالح دفنوا
صم اذا سمعوا خيرا ذكرت به * وان ذكرت بسوء عندهم أذنوا

وقال الحسن ستر ما عاينت أحسن من اشاعة ما ظننت وقال عبد الرحمن بن عوف رضى الله تعالى عنه من سمع بفاحشة فأفشاها فهو كالذى أتاها

﴿وما جاء فى النهى عن اللعن﴾

ما روينا فى صحيحى البخارى ومسلم عن ثابت بن الضحاك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن المؤمن كقتله وروينا فى صحيح مسلم أيضا عن أبى الدرداء رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكون اللعانون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة وروينا فى سنن أبى داود عن أبى الدرداء رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان العبد اذا لعن شيأ صعدت اللعنة الى السماء فتغلق أبواب السماء دونها ثم تهبط الى الأرض فتغلق أبوابها دونها ثم تأخذ يمينا وشمالا فاذا لم تجد مساغا رجعت الى الذى لعن ان كان أهلا لذلك والا رجعت الى قائلها ويجوز لعن أصحاب الأوصاف المذمومة على العموم كقوله لعن الله الظالمين لعن الله الكافرين لعن الله اليهود والنصارى لعن الله الفاسقين لعن الله المصورين ونحو ذلك * وثبت فى الأحاديث الصحيحة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن الواصلة والمستوصلة وانه قال لعن الله آكل الربا وأنه قال لعن الله المصورين وأنه قال لعن الله من لعن والديه وأنه قال لعن الله من ذبح لغير الله وأنه قال لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد وانه قال لعن الله المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال وجميع هذه الألفاظ فى البخارى ومسلم بعضها فيهما وبعضها فى أحدهما والله أعلم

﴿وما جاء فى العزلة ومدح الخمول وذم الشهرة﴾

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الخمول نعمة وكل يتبرأ والظهور نقمة وكل يتمنى وقال بعضهم

تلحف بالخمول تعش سليما * وجالس كل ذى أدب كريم

(وقال جعفر بن الفراء)
من أخمل النفس أحياها وروحها * ولم يبت طاويا منها على ضجر
ان الرياح اذا اشتدت عواصفها * فليس ترمى سوى العالى من الشجر

وقال اعرابى رب وحدة أنفع من جليس ووحشة أنفع من أنيس وكان أبو معاوية الضرير يقول فى خصلتان ما يسرنى بهما رد بصرى قلة الاعجاب بنفسى وخلو قلبى من اجتماع الناس الى وقال عمر رضى الله عنه خذوا حظكم من العزلة وصعد حسان على أطم من آطم المدينة ونادى بأعلى صوته يا صباحاه فاجتمعت الخزرج فقالوا ما عندك قال قلت بيت شعر فأحببت أن تسمعوه قالوا هات يا حسان فقال

وان امرأ أمسى وأصبح سالما * من الناس الا ما جنى لسعيد

منه قول السلامى فيه من قصيدته التى منها

اليك طوى عرض البسيطة جاعل
قصار المطايا أن يلوح لها القصر
فكنت وعزمى فى الظلام وصارمى
ثلاثة أشياء كما اجتمع النسر
وبشرت آمالى بملك هو الورى
ودار هى الدنيا ويوم هو الدهر

قال ابن خلكان هذا على الحقيقة هو السحر الحلال كما يقال * وقد أخذ هذا المعنى القاضى أبو بكر الارجانى فقال

يا سائلى عنه لما جئت أمدحه
هذا هو الرجل العارى من العار
لقيته فرأيت الناس فى رجل
والدهر فى ساعة والأرض فى دار

ولكن أين الثريا من الثرى * وألم أبو الطيب المتنبى أيضا بهذا المعنى لكنه ما استوفى بقوله

هو الغرض الأقصى ورؤيتك المنى
ومنزلك الدنيا وأنت الخلائق

ولكن ليس لأحد منهم طلاوة بيت السلامى انتهى * نادرة لطيفة * كان أبو بكر المحلى يتولى نفقات أبى المسك كافور الاخشيدى وكان له فى كل عيد أضحى عادة وهو أن يسلم الى أبى بكر المذكور بغلا محملا ذهبا وجريدة تتضمن أسماء قوم من حد القرافة الى الجبانة وما بينهما قال أبو بكر المذكور وكان يمشى معى صاحب الشرطة ونقيب يعرف المنازل وأطوف من بعد العشاء الأخيرة الى آخر الليل حتى أسلم ذلك الى من تضمنت اسمه الجريدة فاطرق منزل كل انسان ما بين رجل وامرأة وأقول الأستاذ أبو المسك كافور الاخشيدى يهنئك بالعيد ويقول لك اصرف هذا فى منفعتك فأرفع اليه ما جعل له وفى آخر وقت زاد فى الجريدة الشيخ أبا عبد الله بن جابار وجعل له فى ذلك العيد مائة دينار فطفت فى تلك الليلة وأنفقت المال فى أربابه ولم يبق الا الصرة

ولما بنى سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه منزله بالعقيق قيل له تركت منازل اخوانك وأسواق الناس ونزلت بالعقيق فقال رأيت أسواقهم لاغية ومجالسهم لاهية فوجدت الاعتزال فيما هنالك عافية وقيل لعروة أخي مرداس لم لا تحدثنا ببعض ما عندك من العلم فقال أكره أن يميل قلبي باجتماعكم الى حب الرياسة فاخسر الدارين وقال سفيان بن عيينة دخلنا على الفضل في مرضه نعوده فقال ما جاء بكم والله لو لم تجيؤا لكان أحب الى ثم قال نعم الشيء المرض لولا العيادة وقيل للفضل ان ابنك يقول وددت لو أني بالمكان الذي أرى الناس فيه ولا يرونني فقال ويح ابني لم لا أتمها فقال لا أراهم ولا يرونني وقال علي رضي الله تعالى عنه طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس وطوبى لمن لزم بيته وأكل قوته واشتغل بطاعته وبكى على خطيئته فكان من نفسه في شغل والناس منه في راحة وقال سفيان الزهد في الدنيا هو الزهد في الناس وقيل لراهب في صومعته ألا تنزل فقال من مشي على وجه الأرض عثر والكلام في مثل هذا كثير وقد اكتفينا بهذا وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿ الباب الرابع عشر في الملك والسلطان وطاعة ولاة أمور الاسلام وما يجب للسلطان على الرعية وما يجب لهم عليه ﴾

روي عن الحسن أنه قال للحجاج سمعت ابن عباس رضي الله عنهما يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقروا السلاطين وبجلوهم فانهم عز الله وظله في الأرض اذا كانوا عدولا فقال الحجاج ألم تكن فيهم اذا كانوا عدولا قال قلت بلى وعن عمر رضي الله تعالى عنه قال قلت للنبي صلى الله عليه وسلم أخبرني عن هذا السلطان الذي ذلت له الرقاب وخضعت له الأجساد ما هو قال ظل الله في الأرض فاذا أحسن فله الأجر وعليكم الشكر واذا أساء فعليه الاصر وعليكم الصبر وعنه عليه الصلاة والسلام أيما راع استرعى رعيته ولم يحطها بالأمانة والنصيحة من ورائها الا ضاقت عليه رحمة الله تعالى التي وسعت كل شيء وقال مالك بن دينار رضي الله تعالى عنه وجدت في بعض الكتب يقول الله تعالى أنا ملك الملوك رقاب الملوك بيدي فمن أطاعني جعلتهم عليه رحمة ومن عصاني جعلتهم عليه نقمة لا تشغلوا ألسنتكم بسب الملوك ولكن توبوا الى الله يعطفهم عليكم وقال جعفر ابن محمد رحمه الله تعالى عليه كفارة عمل السلطان الاحسان الى الاخوان وقال كسرى لسيرين ما أحسن هذا الملك لو دام فقال لو دام لأحد ما انتقل الينا ومر طارق الشرطي بابن شبرمة في موكبه فقال

أراها وان كانت تحب فانها * سحابة صيف عن قليل تقشع

وجلس الاسكندر يوما فما رفع اليه حاجة فقال لا أعد هذا اليوم من أيام ملكي وقال الجاحظ ليس شيء ألذ ولا أسر من عز الأمر والنهي ومن الظفر بالأعداء ومن تقليد المنن أعناق الرجال لأن هذه الأمور نصيب الروح وحظ الذهن وقسمة النفس وقيل الملك خليفة الله في عباده ولن يستقيم أمر خلافته مع مخالفته وقال الحجاج سلطان تخافه الرعية خير من سلطان يخافها وقال أردشير لابنه يا بني الملك والدين أخوان لا غنى لأحدهما عن الآخر فالدين أس والملك حارس وما لم يكن له أس فمهدوم وما لم يكن له حارس فضائع قيل لما دنت وفاة هرمز وامرأته حامل عقد التاج على بطنها وأمر الوزراء بتدبير المملكة حتى ولدته ولدته فتملك وأغار العرب على نواحي فارس في صباه فلما أدرك ركب وانتخب من أهل النجدة فرسانا وأغار على العرب فانتهكهم بالقتل ثم خلع أكتاف سبعين ألفا فقيل له ذو الاكتاف وأمر العرب حينئذ بارخاء الشعور ولبس المصبغات وان يسكنوا بيوت الشعر وأن لا يركبوا الخيل الا عراة (وقيل) من أخلاق الملوك حب التفرد كان أردشير اذا وضع التاج على رأسه لم يضع أحد على رأسه قضيب ريحان واذا لبس حلة لم ير على أحد مثلها واذا تختم بخاتم كان حراما على أهل المملكة أن يتختموا بمثله وكان سعيد بن العاص بمكة اذا اعتم لم يعتم أحد بمثل عمامته ما دامت على رأسه وكان الحجاج اذا وضع على رأسه عمامة لم يجترئ أحد من خلق الله أن يدخل عليه بمثلها وكان عبد الملك اذا لبس الخف الاصفر لم يلبس أحد مثله حتى ينزعه وأخبرني من سافر الى اليمن انه لا يأكل الاوز بها أحد غير الملك قيل من حق الملك أن يفحص عن اسرار الرعية فحص المرضعة عن ابنها وكان أردشير متى شاء قال لارفع أهل مملكته وأوضعهم كان عندك في هذه الليلة كيت وكيت حتى كان يقال يأتيه ملك من السماء وما ذاك الا بتفحصه وتيقظه وكان علم عمر رضي الله عنه بمن نأى عنه كعلمه بمن بات معه على وساد واحد ولقد اتفق

فجعلتها في كمي وسرت قاصدا الشيخ حتى أتيت منزله بظاهر القرافة فطرقت الباب فنزل الينا الشيخ وعليه أثر السهر فسلمت عليه فلم يرد علي وقال ما حاجتك قلت الاستاذ أبو المسك كافور يخص الشيخ بالسلام فقال والى بلدنا قلت نعم قال حفظه الله الله يعلم اني أدعو له في الخلوات وادبار الصلوات بما الله سامعه ومستجيبه قلت وقد أنفذ معي نفقة وهي هذه الصرة ويسألك قبولها للتصرف في مؤنة هذا العيد المبارك فقال نحن رعيته ونحبه في الله تعالى وما نفسد هذه المحبة بعلة فراجعته القول فتبين لي الضجر في وجهه والقلق واستحييت من الله أن أقطعه عما هو عليه فتركته وانصرفت قال فجئت فوجدت الأمير قد تهيأ للركوب وهو ينتظرني فلما رآني قال ايه يا أبا بكر قلت أرجو الله أن يستجيب فيك كل دعوة صالحة دعيت لك في هذه الليلة وفي هذا اليوم الشريف فقال الحمد لله الذي جعلني لايصال الراحة الى عباده ثم أخبرته بامتناع ابن جابار فقال نعم هو جدير لم تجر بيننا وبينه معاملة قبل هذا اليوم ثم قال لي عد اليه واركب دابة من دواب النوبة واطرق بابه فاذا نزل اليك فانه سيقول لك ألم تكن عندنا فلا ترد عليه جوابا ثم استفتح واقرأ بسم الله الرحمن الرحيم طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى الا تذكرة لمن يخشى تنزيلا ممن خلق الأرض والسموات العلى الرحمن على العرش استوى له ما في السموات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى يا ابن جابار الاستاذ كافور يقول لك ومن كافور العبد الأسود ومن هو مولاه ومن الخلق ليس لأحد مع الله ملك ولا شركة تلاشى الناس كلهم ههنا أتدري من هو معطيك وعلي من رددت أنت ما سألت واغناه وأرسل لك يا ابن

معاوية أثره وتعرف الحزيادرجل فقال أتتعرف الى وأنا أعرف بك من أبيك وأمك وأعرف هذا البرد الذى عليك ففزع الرجل حتى ارتعد من كلامه وعن بعض العباسيين قال كلمت المأمون رحمه الله تعالى فى امرأة خطبتها وسألته النظر اليها فقال يا أبا فلان من قصتها وحليتها وفعلها وشأنها كيت وكيت فوالله مازال يصفها ويصف أحوالها حتى أبهتنى

﴿وما جاء فى طاعة ولاة أمور الاسلام﴾ أمر الله تعالى بذلك فى كتابه العزيز على لسان نبيه الكريم فقال تعالى يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم وروينا فى صحيح البخارى عن جابر بن عبد الله الانصارى رضى الله عنهما قال بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة والسمع والطاعة والنصح لكل مسلم *وسئل كعب الاحبار عن السلطان فقال ظل الله فى أرضه من ناصحه اهتدى ومن غشه ضل وعن حذيفة ابن اليمان رضى الله عنه لا تسبوا السلطان فانه ظل الله فى الارض به يقوم الحق ويظهر الدين وبه يدفع الله الظلم ويهلك الفاسقين وقال عمر بن عبد العزيز لمؤدبه كيف كانت طاعتى لك قال أحسن طاعة قال فأطعنى كما كنت أطيعك خذ من شاربك حتى تبدو شفتاك ومن ثوبك حتى تبدو عقباك وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من أطاعنى فقد أطاع الله ومن عصانى فقد عصى الله ومن أطاع أمرى فقد أطاعنى ومن عصى أمرى فقد عصانى وقد ورد فى الاحاديث الصحيحة ان النبى صلى الله عليه وسلم أمر بالسمع والطاعة لولى الامر ومناصحته ومحبته والدعاء له ولو تتبعت ذلك لطال الكلام لكن اعلم ارشدنى الله واياك الى الاتباع وجنبنا الزيغ والابتداع ان من قواعد الشريعة المطهرة والملة الحنيفية المحررة أن طاعة الائمة فرض على كل الرعية وان طاعة السلطان تؤلف شمل الدين وتنظم أمور المسلمين وان عصيان السلطان يهدم أركان الملة وان أرفع منازل السعادة طاعة السلطان وان طاعته عصمة من كل فتنة وبطاعة السلطان تقام الحدود وتؤدى الفروض وتحقن الدماء وتؤمن السبل وما أحسن ما قالت العلماء ان طاعة السلطان هدى لمن استضاء بنورها وان الخارج عن طاعة السلطان منقطع العصمة برىء من الذمة وان طاعة السلطان حبل الله المتين ودينه القويم وأن الخروج منها خروج من أنس الطاعة الى وحشة المعصية ومن غش السلطان ضل وزل ومن أخلص له المحبة والنصح حل من الدين والدنيا فى أرفع محل وان طاعة السلطان واجبة أمر الله تعالى بها فى كتابه العظيم المنزل على نبيه الكريم وقد اقتصرنا فى ذلك على ما أوردناه واكتفينا بما بيناه ونسأل الله تعالى أن يلهمنا رشدنا وأن يعيذنا من شرور أنفسنا وسيآت أعمالنا وأن يصلح شأننا انه قريب مجيب وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين

﴿الباب الخامس عشر فيما يجب على من صحب السلطان والتحذير من صحبته﴾

(أما صحبة السلطان) فقد قال ابن عباس رضى الله عنهما قال لى أبى يا بنى انى أرى أمير المؤمنين يستخليك ويستشيرك ويقدمك على الاكابر من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وانى أوصيك بخلال ثلاث لا تفشين له سرا ولا تجرين عليه كذبا ولا تغتابن عنده أحدا قال الشعبى رحمه الله تعالى قلت لابن عباس كل واحدة منهن خير من ألف فقال أى والله ومن عشرة آلاف وقال بعض الحكماء اذا زادك السلطان تأنيسا فزده اجلالا واذا جعلك أخا فاجعله أبا واذا زادك احسانا فزده فعل العبد مع سيده واذا ابتليت بالدخول على السلطان مع الناس فأخذوا فى الثناء عليه فعليك بالدعاء له ولا تكثر فى الدعاء له عند كل كلمة فان ذلك شبيه بالوحشة والغربة *وقال مسلم بن عمران خدم السلطان لا تغتر بالسلطان اذا أدناك ولا تتغير منه اذا أقصاك *وروى ان بعض الملوك استصحب حكيما فقال له أصحبك على ثلاث خصال قال وماهن قال لا تهتك لى سترا ولا تشتم لى عرضا ولا تقبل فى قول قائل حتى تستشيرنى قال هذا لك فما لى عليك قال لا أفشى لك سرا ولا أدخر عنك نصيحة ولا أوثر عليك أحدا قال نعم الصاحب المستصحب أنت وقال بزرجمهر اذا خدمت ملكا من الملوك فلا تطعه فى معصية خالقك فان احسانه اليك فوق احسان الملك وايقاعه بك أغلظ من ايقاعه *وقالوا اصحب الملوك بالهيبة لهم والوقار لانهم انما احتجبوا عن الناس لقيام الهيبة وان طال أنسك بهم تزدد غما *وقالوا اعلم السلطان وكأنك تتعلم منه وأشر عليه وكأنك تستشيره واذا أحلك السلطان من نفسه بحيث يسمع منك ويثق بك فاياك والدخول بينه وبين بطانته فانك لا تدرى متى يتغير منك فيكونون عونا عليك واياك ان تعادى من اذا شاء أن يطرح

لها بار أنت ماتفرق بين السبب والسبب * قال أبو بكر فركبت وسرت فطرقت منزله فنزل الى فقال لى مثل لفظ كافور فاضربت عن الجواب وقرأت طه ثم قلت له ماقال فى كافور فبكى وقال لى أين ماحملت فاخرجت الصرة فأخذها وقال علمنا الاستاذ كيف التصوف قلت له أحسن الله جزاءك ثم عدت اليه فأخبرته بذلك فسر وسجد شكرا لله تعالى وقال الحمد لله على ذلك (ونقل ابن خلكان فى تاريخه) أن أبا عبد الله محمد بن الاعرابى كان يزعم أن الاصمعى وأبا عبيدة لايحسنان شيأ وكان يقول جائز فى كلام العرب أن يعاقب بين الضاد والظاء فلا يخطئ من يجعل هذا فى موضع هذا وينشد

الى الله أشكو من خليل أوده
ثلاث خصال كلها لى غائض

ويقول هكذا سمعته بالضاد (ومن النوادر اللطيفة) ورد أبو نصر الفارابى الى دمشق على سيف الدولة ابن حمدان وهو اذ ذاك سلطانها قيل انه لما دخل عليه وهو بزى الاتراك وكان ذلك زيه دائما وقف فقال له سيف الدولة اجلس فقال حيث أنا أو حيث أنت فقال حيث أنت فتخطى رقاب الناس حتى انتهى الى مسند سيف الدولة وزاحمه فيه حتى أخرجه عنه وكان على رأس سيف الدولة مماليك وله معهم لسان خاص يسارهم به فقال لهم بذلك اللسان ان هذا الشيخ قد أساء الأدب وانى سائله عن أشياء ان لم يعرفها اخرجوا به فقال له أبو نصر بذلك اللسان أيها الأمير اصبر فان الأمور بعواقبها فعجب سيف الدولة منه وعظم عنده ثم أخذ يتكلم مع العلماء والحاضرين فى كل فن فلم يزل كلامه يعلو وكلامهم يسفل حتى صمت الكل وبقى يتكلم وحده ثم أخذوا يكتبون مايقوله

ثيابه ويدخل مع الملك فى ثيابه فعل وفى الامثال القديمة احذروا زمارة المخدة وفيه قيل بيت مفرد

ليس الشفيع الذى يأتيك متزرا * مثل الشفيع الذى يأتيك عريانا

وقال يحيى بن خالد اذا صحبت السلطان فداره مداراة المرأة العاقلة لصحبة الزوج الاحمق ﴿وأما ما جاء فى التحذير من صحبة السلطان﴾ فقد اتفقت حكماء العرب والعجم على النهى عن صحبة السلطان قال فى كتاب كليلة ودمنة ثلاثة لا يسلم عليها الا القليل صحبة السلطان وائتمان النساء على الاسرار وشرب السم على التجربة * وكان يقال قد خاطر بنفسه من ركب البحر وأعظم منه خطرا من صحب السلطان وكان بعض الحكماء يقول أحق الامور بالتثبت فيها أمور السلطان فان من صحب السلطان بغير عقل فقد لبس شعار الغرور وفى حكم الهند صحبة السلطان على ما فيها من العز والثروة عظيمة الخطر * وقيل للعتابى لم لا تصحب السلطان على ما فيك من الادب قال لانى رأيته يعطى عشرة آلاف فى غير شئ ويرمى من السور فى غير شئ ولا أدرى أى الرجلين أكون * وقال معاوية لرجل من قريش اياك والسلطان فانه يغضب غضب الصبى ويبطش بطش الاسد * وقال ميمون بن مهران قال لى عمر بن عبد العزيز يا ميمون احفظ عنى أربعا لا تصحبن السلطان وان أمرته بالمعروف ونهيته عن المنكر ولا تخلون بامرأة وان أقرأتها القرآن ولا تصل من قطع رحمه فانه لك أقطع ولا تتكلم بكلام اليوم تعتذر منه غدا وكم رأينا وبلغنا عن صحب السلطان من أهل الفضل والعقل والعلم والدين ليصلحه فسد هو به فكان كما قيل

عدوى البليد الى الجليد سريعة * والجمر يوضع فى الرماد فيخمد

ومثل من صحب السلطان ليصلحه مثل من ذهب ليقيم حائطا مائلا فاعتمد عليه ليقيمه فخر الحائط عليه فاهلكه قال الشاعر

ومعاشر السلطان شبه سفينة * فى البحر ترجف دائما من خوفه

ان أدخلت من مائه فى جوفها * يغتالها مع مائها فى جوفه

وفى كتاب كليلة ودمنة لا يسعد من ابتلى بصحبة الملوك فانهم لا عهد لهم ولا وفاء ولا قريب ولا حميم ولا يرغبون فيك الا أن يطمعوا فيما عندك فيقربوك عند ذلك فاذا قضوا حاجتهم منك تركوك ورفضوك ولا ود للسلطان ولا اخاء والذنب عنده لا يغفر * وقالت الحكماء صاحب السلطان كراكب الاسد يخاف الناس وهو لمركوبه أخوف * وقال محمد بن واسع والله لسف التراب ولقضم العظم خير من الدنو من أبواب السلاطين * وقال محمد بن السماك الذباب على العذرة خير من العابر على أبواب الملوك * وقيل من صحب السلطان قبل أن يتأدب فقد غرر بنفسه * وقال ابن المعتز من شارك السلطان فى عز الدنيا شاركه فى ذل الآخرة وعنه اذا زادك السلطان تأنيسا واكراما فزده تهيبا واحتشاما * وقال أبو على الصغانى اياك والملوك فان من والاهم أخذوا ماله ومن عاداهم أخذوا رأسه وقيل مكتوب على باب قرية من قرى بلخ اسمها بهار أبواب الملوك تحتاج الى ثلاثة عقل وصبر ومال وتحته مكتوب كذب عدو الله من كان له واحد منها لم يقرب باب السلطان وقال حسان ابن ربيع الحميرى لا تثقن بالملك فانه ملول ولا بالمرأة فانها خؤون ولا بالدابة فانها شرود وقال عبيد بن عمير ما ازداد رجل من السلطان قربا الا ازداد من الله بعدا ولا كثرت أتباعه الا كثرت شياطينه ولا كثر ماله الا كثر حسابه وقال ابن المبارك رحمه الله

أرى الملوك بأدنى الدين قد قنعوا * ولا أراهم رضوا فى العيش بالدون

فاستغن بالدين عن دنيا الملوك كما استغنى الملوك بدنياهم عن الدين

وقال بعضهم فى ولاة بنى مروان

اذا ما قطعتم ليلكم بمدامكم * وأفنيتموا أيامكم بمنام * فمن ذا الذى يغشاكم فى ملمة

ومن ذا الذى يغشاكم بسلام * رضيتم من الدنيا بأيسر بلغة * بلثم غلام أو بشرب مدام

ولم تعلموا أن اللسان موكل * بمدح كرام أو بذم لئام

نهت الحكماء عن خدمة الملوك فقالوا ان الملوك يستعظمون فى الثواب رد الجواب ويستقلون فى العقاب ضرب الرقاب وقيل شر الملوك من أمنه الجرئ وخافه البرئ والله أعلم بالصواب واليه المرجع والمآب وحسبنا الله ونعم الوكيل نعم المولى ونعم النصير وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

فصرفهم سيف الدولة وخلا به فقال له هل لك فى أن تأكل قال لا قال فهل لك أن تشرب قال لا فقال هل تسمع قال نعم فأمر سيف الدولة باحضار القيان فحضر كل ماهر فى الصنعة بأنواع الملاهى فخطأ الجميع فقال له سيف الدولة هل تحسن هذه الصنعة قال نعم ثم أخرج من وسطه خريطة ففتحها فأخرج منها عيدانا وركبها ثم لعب بها فضحك كل من فى المجلس ثم فكها وركبها تركيبا آخر فبكى كل من فى المجلس ثم فكها وغير تركيبها وحركها فنام كل من فى المجلس حتى البواب فتركهم نياما وخرج * وهو الذى وضع القانون وكان منفردا بنفسه لا يجالس الناس وكان مدة اقامته بدمشق لا يكون غالبا الا عند مجتمع المياه أو مشتبك الرياض وهناك يؤلف كتبه وكان أزهد الناس فى الدنيا لا يحتفل بأمر مسكن ولا مكسب وسأله سيف الدولة فى مرتب من بيت المال فقال يكفينى أربعة دراهم ولم يزل على ذلك الى أن توفى سنة تسع وثلاثين وثلثمائة بدمشق وصلى عليه سيف الدولة وأربعة من خواصه وقد ناهز ثمانين سنة ودفن بظاهر دمشق خارج الباب الصغير (ومن المنقول من خط القاضى الفاضل) أن نور الدين الشهيد كتب الى راشد الدين سنان صاحب القلاع الاسماعيلية كتابا يهدده فيه فشق ذلك على سنان فكتب اليه بما هو فوق الوصف بحكاية الحال وهو

يا ذا الذى بقراع السيف هددنا
لا قام مصرع قلب كنت تصرعه
قام الحمام الى البازى يهدده
واستصرخت باسود الغاب أضبعه
أضحى يسد فم الافعى باصبعه
يكفيه ماذا تلاقى منه أصبعه

وقفنا على تفصيله وجمله وعلمنا ما هددنا به من قوله وعمله فيا لله العجب

﴿الباب السادس عشر في ذكر الوزراء وصفاتهم وأحوالهم وما أشبه ذلك﴾

قال الله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام واجعل لي وزيرا من أهلي فلو كان السلطان يستغني عن الوزراء لكان أحق الناس بذلك كليم الله موسى بن عمران عليه السلام ثم ذكر حكمة الوزارة فقال أشدد به أزري وأشركه في أمري دلت هذه الآية على أن الوزارة تشد قواعد المملكة وأن يفوض اليه السلطان اذا استكملت فيه الخصال المحمودة ثم قال كي نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا دلت هذه الآية على أن بصحبة العلماء والصالحين وأهل الخبرة والمعرفة تنتظم أمور الدنيا والآخرة وكما يحتاج أشجع الناس الى السلاح وأفره الخيل الى السوط وأحد الشفار الى المسن كذلك يحتاج أجل الملوك وأعظمهم وأعلمهم الى الوزير وروى أبو سعيد الخدري رضي الله عنه قال ما بعث الله من نبي ولا استخلف من خليفة الا كانت له بطانتان بطانة تأمره بالمعروف وتحضه عليه وبطانة تأمره بالشر وتحضه عليه والمعصوم من عصمه الله وقال وهب بن منبه قال موسى لفرعون آمن ولك الجنة ولك ملكك قال حتى أشاور هامان فشاوره في ذلك فقال له هامان بينما أنت اله تعبد اذ صرت تعبد فأنف واستكبر وكان من أمره ما كان وعلى هذا النمط كان وزير الحجاج يزيد بن مسلم لا يألوه خبالا ولبئس القرناء شر قرين لشر خدين وأشرف منازل الآدميين النبوة ثم الخلافة ثم الوزارة وفي الأمثال نعم الظهير الوزير وأول ما يظهر نبل السلطان وقوة تمييزه وجودة عقله في انتخاب الوزراء واستنقاء الجلساء ومحادثة العقلاء فهذه ثلاثة خلال تدل على كماله وبهذه الخلال يجمل في الخلق ذكره وترسخ في النفوس عظمته والمرء موسوم بقرينه وكان يقال حلية الملوك وزينتهم وزراؤهم وفي كتاب كليلة ودمنة لا يصلح السلطان الا بالوزراء والاعوان وقال شريح بن عبيدة لم يكن في بني اسرائيل ملك الا ومعه رجل حكيم اذا رآه غضبان كتب اليه صحائف في كل صحيفة ارحم المسكين واخش الموت واذكر الآخرة فكلما غضب الملك ناوله الحكيم صحيفة حتى يسكن غضبه ومثل الملك الخير والوزير السوء الذي يمنع الناس خيره ولا يمكنهم من الدنو منه كالماء الصافي فيه التمساح فلا يستطيع المرء دخوله وان كان سابحا والى الماء محتاجا ومثل السلطان كمثل الطبيب ومثل الرعية كمثل المرضى ومثل الوزير كمثل السفير بين المرضى والاطباء فاذا كذب السفير بطل التدبير وكما أن السفير اذا أراد أن يقتل أحدا من المرضى وصف للطبيب نقيض دائه فاذا سقاه الطبيب على صفة السفير هلك العليل كذلك الوزير ينقل الى الملك ما ليس في الرجل فيقتله الملك فمن ههنا شرط في الوزير أن يكون صدوقا في لسانه عدلا في دينه مأمونا في أخلاقه بصيرا بامور الرعية وتكون بطانة الوزير أيضا من أهل الامانة والبصيرة وليحذر الملك أن يولي الوزارة لئيما فاللئيم اذا ارتفع جفا أقاربه وأنكر معارفه واستخف بالاشراف وتكبر على ذوي الفضل ودخل بعض الوزراء على بعض الخلفاء وكان الوزير من أهل العقل والادب فوجد عنده رجلا ذميا كان الخليفة يميل اليه ويقربه فقال الوزير منشدا

يا ملكا طاعته لازمه * وحبه مفترض واجب
ان الذي شرفت من أجله * يزعم هذا انه كاذب

وأشار الى الذمي فسأله يا أمير المؤمنين عن ذلك فسأله فلم يجد بدا من أن يقول هو صادق فاعترف بالاسلام وكان بعض الملوك قد كتب ثلاث رقاع وقال لوزيره اذا رأيتني غضبان فادفع الي رقعة بعد رقعة وكان في الاولى انك لست باله وانك ستموت وتعود الى التراب فيأكل بعضك بعضا وفي الثانية ارحم من في الارض يرحمك من في السماء وفي الثالثة اقض بين الناس بحكم الله فانهم لا يصلحهم الا ذلك ولما كانت أمور المملكة عائدة الى الوزراء وأزمة الملوك في أكف الوزراء سبق فيهم من العقلاء المثل السائر فقالوا لا تغتر بمودة الامير اذا غشك الوزير واذا أحبك الوزير فنم ولا تخش الامير ومثل السلطان كالدار والوزير بابها فمن أتى الدار من بابها ولج ومن أتاها من غير بابها انزعج وموقع الوزارة من المملكة كموقع المرآة من البصر فكما أن من لم ينظر في المرآة لا يرى محاسن وجهه وعيوبه كذلك السلطان اذا لم يكن له وزير لا يعلم محاسن دولته وعيوبها ومن شروط الوزير أن يكون كثير الرحمة للخلق رؤفا بهم ﴿واعلم﴾ أنه ليس للوزير أن يكتم عن السلطان نصيحة وان استقلها وموضع الوزير من المملكة كموضع العينين من الرأس وكما أن المرآة لا تريك وجهك الا بصفاء جوهرها وجودة صقلها ونقائها من الصدا كذلك السلطان لا يكمل أمره الا بجودة عقل الوزير وصحة فهمه ونقاء قلبه والله تعالى أعلم بالصواب واليه المرجع والمآب وحسبنا الله ونعم الوكيل

من ذبابة تطن في أذن الفيل
وبعوضة تعد في التماثيل ولقد
قالها من قبلك قوم آخرون فدمرنا
عليهم فما كان لهم من ناصرين أو
للحق تدحضون وللباطل تنصرون
وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب
ينقلبون وأما ما صدر من قولك فتلك
أماني كاذبة وخيالات غير صائبة
فان الجواهر لا تزول بالاعراض كما
ان الارواح لا تضمحل بالأمراض
فان عدنا الى الظواهر والمحسوسات
وعدلنا عن البواطن والمعقولات
فلنا أسوة برسول الله صلى الله عليه
وسلم في قوله ما أوذي نبي ما أوذيت
ولقد علمتم ما جرى على عترته وأهل
بيته وشيعته والحال ما حال والامر
ما زال ولله الحمد في الآخرة والاولى اذ
نحن مظلومون لا ظالمون ومغصوبون
لا غاصبون وقل جاء الحق وزهق
الباطل ان الباطل كان زهوقا وقد
علمتم ظاهر حالنا وكيفية رجالنا وما
يتمنونه من الفوت ويستقربون به
الى حياض الموت قل فتمنوا الموت
ان كنتم صادقين وفي أمثال العامة أو
للبط تهددون بالشط فهيئ للبلاء
جلبابا وتدرع للرزايا أثوابا وانك
لكالباحث حتفه بظلفه أو الجادع
أنفه بكفه وما ذلك على الله بعزيز
﴿ومن غرائب الظرف ما حكاه ابن
خلكان في تاريخه﴾ قال حدثني
من أثق به أن شخصا قال له رأيت
في تأليف أبي العلاء المعري
ما صورته أصلحك الله وأبقاك لقد
كان من الواجب أن تأتينا اليوم
الى منزلنا الخالي لكي يحدث لي
أنسك يا زين الاخلاء فما مثلك من
غير عهدا أو غفل وسأله من أي
الابحر وهل هو بيت واحد أم أكثر
فان كان أكثر فهل أبياته على
روي واحد أو مختلفة الروي قال
فافكر فيه ثم أجابه بجواب حسن
قال ابن خلكان فقلت للقائل اصبر

ولاحول ولاقوة الابالله العلى العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا الى يوم الدين والحمدلله رب العالمين

﴿الباب السابع عشر فى ذكر الحجاب والولاية ومافيهما من الغرر والخطر﴾

(أما الحجاب) فقد قيل لاشئ أضيع للملكة وأهلك للرعية من شدة الحجاب وقيل اذا سهل الحجاب أحجمت الرعية عن الظلم واذا عظم الحجاب هجمت على الظلم وقال ميمون بن مهران كنت عند عمر بن عبد العزيز فقال لحاجبه من بالباب فقال رجل أناخ ناقته الآن يزعم أنه ابن بلال مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فأذن له أن يدخل فلما دخل قال حدثنى أبى أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من ولى شيأ من أمور المسلمين ثم حجب عنه حجبه الله عنه يوم القيامة فقال عمر لحاجبه الزم بيتك فما رؤى على بابه بعد ذلك حاجب وكان خالد بن عبد الله القسرى يقول لحاجبه اذا أخذت مجلسى فلاتحجبن عنى أحدا فان الوالى لا يحتجب الا لثلاث عيب يكره أن يطلع عليه أحد أو ريبة يخاف منها أن تظهر أو بخل يكره معه أن يسئل شيأ وكانت العجم تقول لاشئ أضيع للملكة من شدة حجاب الملك ولاشئ أهيب للرعية وأكف لهم عن الظلم من سهولته وقيل لبعض الحكماء ما الجرح الذى لا يندمل قال حاجة الكريم الى اللئيم ثم يرده بغير قضائها قيل فما الذى هو أشد منه قال وقوف الشريف بباب الدنى ثم لا يؤذن له ووقف عبد الله بن العباس بن الحسن العلوى على باب المأمون يوما فنظر اليه الحاجب ثم أطرق فقال عبد الله لقوم معه انه لو أذن لنا لدخلنا ولو صرفنا لانصرفنا ولو اعتذر الينا لقبلنا وأما النظرة بعد النظرة والتوقف بعد التعرف فلا أفهم معناه ثم تمثل بهذا البيت

وما عن رضا كان الحمار مطيتى * ولكن من يمشى سيرضى بما ركب

ثم انصرف فبلغ ذلك المأمون فضرب الحاجب ضربا شديدا وأمر لعبد الله بصلة جزيلة وعشر دواب (قال الشاعر)

رأيت أناسا يسرعون تبادرا * اذا فتح البواب بابك أصبعا
ونحن جلوس ساكتون رزانة * وحلما الى أن يفتح الباب أجمعا

ووقف رجل خراسانى بباب أبى دلف العجلى حينا فلم يؤذن له فكتب رقعة وتلطف فى وصولها اليه وفيها

اذا كان الكريم له حجاب * فما فضل الكريم على اللئيم

فاجابه أبو دلف بقوله

اذا كان الكريم قليل مال * ولم يعذر تعلل بالحجاب
وأبواب الملوك محجبات * فلا تستنكرن حجاب بابى

(ومن) محاسن النظم فى ذم الاحتجاب قول بعضهم

ساهجركم حتى يلين حجابكم * على أنه لابد سوف يلين
خذوا حذركم من صفوة الدهر انها * وان لم تكن خانت فسوف تخون

(وقال آخر) ماذا على بواب داركم الذى * لم يعطنا اذنا ولا يستأذن
لو ردنا ردا جميلا عنكم * أو كان يدفع بالتى هى أحسن

(وقال آخر) أمرت بالتسهيل فى الاذن لى * ولم ير الحاجب أن يأذنا
فلن ترانى بعدها عائدا * ولن تراه بعد مستأذنا

(وقال آخر) ولقد رأيت بباب دارك جفوة * فيها لحسن صنيعك التكدير
ما بال دارك حين تدخل جنة * وبباب دارك منكر ونكير

(وقال آخر) اذا جئت ألقى عند بابك حاجبا * محياه من فرط الجهالة حالك
ومن عجب مغناك جنة قاصد * وحاجبها من دون رضوان مالك

(وقال آخر) سأترك بابا أنت تملك اذنه * ولو كنت أعمى عن جميع المسالك
فلو كنت بواب الجنان تركتها * وحولت رجلى مسرعا نحو مالك

(وقال آخر) ماذا يفيدك أن تكون محجبا * والعبد بالباب الكريم يلوذ
ما أنت الا فى الحصار مع فلا * تتعب فكل محاصر مأخوذ

(وقال أبو تمام) سأترك هذا الباب مادام اذنه * على ما أرى حتى يلين قليلا

حتى أنظر فيه ولا تقل ما قاله فأجاب القاضى شمس الدين بن خلكان بعد حسن النظر بما أجاب به عنه الرجل وهذه الكلمات تخرج من بحر الرجز وتشتمل على أربعة أبيات فى روى اللام وهى على صورة يسوغ استعمالها عند العروضيين ومن لا يكون له بهذا الفن معرفة ينكرها لاجل قطع الموصول منها ولابد من الاتيان بها لتظهر صورة ذلك وهى

أصلحك الله وأبـ * قاك لقد كان من الـ
واجب ان تأتينا الـ * يوم الى منزلنا الـ
خالى لكى يحدث لى * أنسك يازين الاخـ
لاء فما مثلك من * غير عهدا أو غفل

(قلت) وعلى ذكر أبى العلاء الضرير يعجبنى قول مظفر بن جماعة الضرير

قالوا عشقت وأنت أعمى * ظبيا كحيل الطرف ألمى
وحلاه ما عاينتها * وتقول قد شغفتك وهما
وخياله بك فى المنا * م فما أطاف ولا ألما
من أين أرسل للفؤا * د وأنت لم تنظره سهما
ومتى رأيت جماله * حتى كساك هواه سقما
وباى جارحة وصلـ * ـت لوصفه نثرا ونظما
فاجبت انى موسو * ى العشق انصاتا وفهما
أهوى بجارحة السما * ع ولا أرى ذات المسمى

﴿ويعجبنى أيضا قول ضرير آخر﴾

وغادة قالت لاترابها * ياقوم ما أعجب هذا الضرير
أيعشق الانسان مالا يرى * فقلت والدمع بعينى غزير
ان لم تكن عينى رأت شخصها * فانها قد مثلت فى الضمير

فما خاب من لم يأته متعمدا * ولا فاز من قد نال منه وصولا
اذا لم نجد للاذن عندك موضعا * وجدنا الى ترك المجيء سبيلا

واستأذن رجل على أمير فقال للحاجب قل له ان البكرى قد خطب الى نفسي وانما هي هجعة وأهب فخرج الحاجب فقال له الرجل ما الذى قال لك قال قال كلاما لا أفهمه وهو يريد أن لا يأذن لك وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه انما أمهل فرعون مع دعواه الالوهية لسهولة اذنه وبذل طعامه وقال عمرو بن مرة الجهنى لمعاوية سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من أمير يغلق بابه دون ذوى الحاجة والخلة والمسئلة الا أغلق الله أبواب السموات دون حاجته وخلته ومسئلته *وجاء الشامى الشاعر لبعض الأمراء فحجبه فقال

سأصبر ان جفوتكم صبرنا * لكل من أمير أو وزير * رجوناهم فلما أخلفونا
عادت فيهم غير الدهور * فبتنا بالسلامة وهى غنم * وباتوا فى المحابس والقبور
ولما لم ننل منهم سرورا * رأينا فيهم كل السرور

(وأنشدوا فى ذلك أيضا)
قل للذين تحجبوا عن راغب * عنازل من دونها الحجاب
ان حال عن لقياكم بوابكم * فالله ليس لبابه بواب

واستأذن سعد بن مالك على معاوية فحجبه فهتف بالبكاء فأتى اليه الناس وفيهم كعب فقال وما يبكيك يا سعد فقال ومالى لا أبكى وقد ذهب الأعلام من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعاوية يلعب بهذه الأمة فقال كعب لا تبك فان فى الجنة قصرا من ذهب يقال له عدن أهلها الصديقون والشهداء وأنا أرجو أن تكون من أهله *واستأذن بعضهم على خليفة كريم وحاجبه لئيم فحجبه فقال

فى كل يوم لى ببابك وقفة * أطوى اليه سائر الأبواب
واذا حضرت وغبت عنك فانه * ذنب عقوبته على البواب

﴿ وأما ذكر الولايات ومافيها من الخطر العظيم ﴾ فقد قال الله تعالى لداود عليه السلام يا داود انا جعلناك خليفة فى الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب جاء فى التفسير ان من اتباع الهوى أن يحضر الخصمان بين يديك فتود أن يكون الحق للذى فى قلبك حبه خاصة وبهذا سلب سليمان بن داود ملكه قال ابن عباس رضى الله عنهما كان الذى أصاب سليمان بن داود عليهما السلام أن ناسا من أهل جرادة امرأته وكانت من أكرم نسائه عليه تحاكموا اليه مع غيرهم فأحب أن يكون الحق لأهل جرادة فيقضى لهم فعوقب بسبب ذلك حيث لم يكن هواه فيهم واحدا وروى عن عبد الرحمن بن سمرة رضى الله عنه قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عبد الرحمن لا تسأل الامارة فانك ان أعطيتها من غير مسئلة أعنت عليها وان أعطيتها عن مسئلة وكلت اليها وقال معقل بن يسار رضى الله عنه سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول ما من عبد يسترعيه الله رعية فلم يحطها بنصيحته الا لم يجد رائحة الجنة وفى الحديث من ولى من أمور المسلمين شيأ ثم لم يحطهم بنصيحة كما يحوط أهل بيته فليتبوأ مقعده من النار وروى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه بعث الى عاصم يستعمله على الصدقة فأبى وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا كان يوم القيامة يؤتى بالوالى فيقف على جسر جهنم فيأمر الله تعالى الجسر فينتفض انتفاضة فيزول كل عضو منه عن مكانه ثم يأمر الله تعالى بالعظام فترجع الى أماكنها فان كان لله مطيعا أخذ بيده وأعطاه كفلين من رحمته وان كان لله عاصيا انخرق به الجسر فهوى به فى نار جهنم مقدار سبعين خريفا فقال عمر رضى الله عنه سمعت من النبى صلى الله عليه وسلم مالم أسمع قال نعم وكان سلمان وأبو ذر حاضرين فقال سلمان أى والله يا عمر ومع السبعين سبعون خريفا فى واد يلتهب التهابا فضرب عمر رضى الله عنه بيده على جبهته وقال انا لله وانا اليه راجعون من يأخذها بما فيها فقال سلمان من أرغم الله أنفه وألصق خده بالأرض وروى أبو داود فى السنن قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان أبى عريف على الماء وانى أسألك أن تجعل لى العرافة من بعده فقال النبى عليه الصلاة والسلام العرفاء فى النار وروى أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أشد الناس عذابا يوم القيامة الامام الجائر وقالت عائشة رضى الله عنها

سمعت

(ومثل هذا) قول المهذب عمر بن الشحنة

وانى امرؤ أحببتكم لمحاسن * سمعت بها والاذن كالعين تعشق

وتقدمه بشار بقوله

يا قوم أذنى لبعض القوم عاشقة * والاذن تعشق قبل العين أحيانا

(ونقل الشيخ جمال الدين بن نباتة) فى كتابه المسمى بسرح العيون فى شرح رسالة ابن زيدون عن على ابن أبى طالب انه قال سبحان الله ما أزهد كثيرا من الناس فى الخير عجبا لرجل يجيئه أخوه المسلم فى حاجة فلا يرى نفسه أهلا للخير ولا يرجو ثوابا ولا يخاف عقابا وكان ينبغى له أن يسارع الى مكارم الاخلاق فانها تدل على سبل النجاح فقام اليه رجل فقال يا أمير المؤمنين أسمعته من النبى صلى الله عليه وسلم قال نعم لما أتى بسبايا طيء وقعت جارية بها جميلة لما رأيتها أعجبت بها فلما تكلمت نسيت جمالها بفصاحتها فقالت يا محمد ان رأيت أن تخلى سبيلى ولا تشمت بى أحياء العرب فانى ابنة سيد قومى وان أبى كان يفك العانى ويشبع الجائع ويكسو العارى ويفشى السلام ولا يرد طالب حاجة قط أنا بنت حاتم الطائى فقال النبى صلى الله عليه وسلم هذه صفات المؤمنين خلوا عنها فان أباها كان يحب مكارم الاخلاق والمنقول عن حاتم فى زيادة الكرم كثير (من ذلك) ما حكاه المدائنى قال أقبل ركب من بنى أسد وبنى قيس يريدون النعمان فلقوا حاتما فقالوا تركنا قومنا يثنون عليك وقد أرسلوا اليك رسالة قال وما هى فانشده الاسديون شعر النابغة فيه فلما أنشدوه قالوا انا نستحى أن نسألك شيأ وان لنا حاجة قال وما هى قالوا صاحب لنا قد أرجل يعنى فقدت راحلته فقال حاتم خذوا فرسى هذه فاحملوه عليها فأخذوها وربطت الجارية فلوها

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يؤتى بالقاضي العدل يوم القيامة فيلقى من شدة الحساب ما يود أنه لم يقض بين اثنين في تمرة وقال الحسن البصري ان النبي صلى الله عليه وسلم دعا عبد الرحمن بن سمرة يستعمله فقال يا رسول الله خر لي فقال اقعد في بيتك وقال أبو هريرة رضي الله عنه ما من أمير يؤمر على عشرة الا جيء به يوم القيامة مغلولا أنجاه عمله أو أهلكه قال طاوس وسليمان بن عبد الملك هل تدري يا أمير المؤمنين من أشد الناس عذابا يوم القيامة قال سليمان قل فقال طاوس أشد الناس عذابا يوم القيامة رجل أشركه الله في ملكه فجار في حكمه فاستلقى سليمان على سريره وهو يبكي فما زال يبكي حتى قام عنه جلساؤه وقال ابن سيرين جاء صبيان الى أبي عبيدة السلماني يتخيرون اليه في ألواحهم فلم ينظر اليها وقال هذا حكم لا أتولى حكما ابدا وقال أبو بكر بن أبي مريم حج قوم فمات صاحب لهم بأرض فلاة فلم يجدوا ماء فأتاهم رجل فقالوا له دلنا على الماء فقال احلفوا لي ثلاثا وثلاثين يمينا انه لم يكن صرافا ولا مكاسا ولا عريفا ويروى ولا عرافا ولا بريدا وأنا أدلكم على الماء فحلفوا له ثلاثا وثلاثين يمينا كما قال فدلهم على الماء فقالوا له أعنا على غسله فقال لا حتى تحلفوا لي ثلاثا وثلاثين يمينا كما تقدم فحلفوا له فأعانهم على غسله ثم قالوا له تقدم فصل عليه فقال لا حتى تحلفوا لي ثلاثا وثلاثين يمينا كما تقدم فحلفوا له فصلى عليه ثم التفتوا فلم يجدوا أحدا فكانوا يرون أنه الخضر عليه السلام وقال أبو ذر رضي الله عنه قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا ذر اني أحب لك ما أحب لنفسي واني أراك ضعيفا فلا تتأمرن على اثنين ولا تلين مال يتيم ﴿ومن غريب ما اتفق وعجيب ما سبق﴾ ما حكي أن ملكا من ملوك الفرس يقال له أردشير وكان ذا مملكة متسعة وجند كثير وكان ذا بأس شديد وقد وصف له بنت ملك بحر الاردن بالجمال البارع وأن هذه البنت بكر ذات خدر فسير أردشير من يخطبها من أبيها فامتنع من اجابته ولم يرض بذلك فعظم ذلك على أردشير وأقسم بالأيمان المغلظة ليغزون الملك أبا البنت وليقتلنه هو وابنته شر قتلة وليمثلن بهما أخبث مثلة فسار اليه أردشير في جيوشه فقاتله فقتله أردشير وقتل سائر خواصه ثم سأل عن ابنته المخطوبة فبرزت اليه جارية من القصر من أجمل النساء وأكمل البنات حسنا وجمالا وقدا واعتدالا فبهت أردشير من رؤيته اياها فقالت له أيها الملك انني ابنة الملك الفلاني ملك المدينة الفلانية وان الملك الذي قتلته أنت قد غزا بلادنا وقتل أبي وقتل سائر أصحابه قبل أن تقتله أنت وانه أسرني في جملة الاسارى وأتى بي في هذا القصر فلما رآني ابنته التي أرسلت تخطبها أحبتني وسألت أباها أن يتركني عندها لتأنس بي فتركني لها فكنت أنا وهي كأننا روحان في جسد واحد فلما أرسلت تخطبها خاف أبوها عليها منك فأرسلها الى بعض الجزائر في البحر المالح عند بعض أقاربه من الملوك فقال أردشير وددت لو أني ظفرت بها فكنت أقتلها شر قتلة ثم انه تأمل الجارية فرآها فائقة في الجمال فمالت نفسه اليها فأخذها للتسري وقال هذه أجنبية من الملك ولا أحنث في يميني بأخذها ثم انه واقعها وازال بكارتها فحملت منه فلما ظهر عليها الحمل اتفق أنها تحدثت معه يوما وقد رأته منشرح الصدر فقالت له أنت غلبت أبي وأنا غلبتك فقال لها ومن أبوك فقالت له هو ملك بحر الأردن وأنا ابنته التي خطبتها منه واني سمعت أنك أقسمت لتقتلني فتحيلت عليك بما سمعت والآن هذا ولدك في بطني فلا يتهيأ لك قتلي فعظم ذلك على أردشير اذ قهرته امرأة وتحيلت عليه حتى تخلصت من يديه فانتهرها وخرج من عندها مغضبا وعول على قتلها ثم ذكر لوزيره ما اتفق له معها فلما رأى الوزير عزمه قويا على قتلها اخشى أن تحدث الملوك عنه بمثل هذا وأنه لا يقبل فيها شفاعة شافع فقال أيها الملك ان الرأي هو الذي خطر لك والمصلحة هي التي رأيتها أنت وقتل هذه الجارية في هذا الوقت أولى وهو عين الصواب لأنه أحق من أن يقال ان امرأة قهرت رأي الملك وحنثته في يمينه لأجل شهوة النفس ثم قال أيها الملك ان صورتها مرحومة وحمل الملك معها وهي أولى بالستر ولا أرى في قتلها أستر ولا أهون عليها من الغرق فقال له الملك نعم ما رأيت خذها اغرقها فأخذها الوزير ثم خرج بها ليلا الى بحر الاردن ومعه ضوء ورجال وأعوان فتحيل الى أن طرح شيأ في البحر أوهم من كان معه انها الجارية ثم انه أخفاها عنده فلما أصبح جاء الى الملك فأخبره أنه غرقها فشكره على ما فعل ثم ان الوزير ناول الملك حقا مختوما وقال أيها الملك اني نظرت مولدي فرأيت أجلي قد دنا على ما يقتضيه حساب حكماء الفرس في النجوم وان لي أولادا وعندي مال قد ادخرته من نعمتك فخذه اذا أنا مت ان رأيت وهذا الحق فيه جوهر أسأل الملك أن يقسمه بين أولادي بالسوية فانه ارثي الذي قد ورثته من ابي وليس عندي شيء

بثوبها فافلت يشمغ أمه فتبعته الجارية لترده فصاح حاتم ما تبعكم فهو لكم فذهبوا بالفرس والفلو والجارية (وقيل) أجود العرب في الجاهلية ثلاثة حاتم الطائي وهرم بن سنان وكعب بن مامة وحاتم كان أشهرهم بالكرم ذكر انه أدرك مولد النبي صلى الله عليه وسلم ﴿وحكى الهيثم بن عدي﴾ قال تمارى ثلاثة في أجواد الاسلام فقال رجل أسخى الناس في عصرنا هذا عبد الله بن جعفر ابن أبي طالب وقال آخر أسخى الناس عرابة الأوسي وقال آخر بل قيس بن سعد بن عبادة وأكثروا الجدال في ذلك وكثر ضجيجهم وهم بفناء الكعبة فقال لهم رجل قد أكثرتم الجدال في ذلك فما عليكم أن يمضي كل واحد منكم الى صاحبه يسأله حتى ننظر ما يعطيه ونحكم على العيان فقام صاحب عبد الله اليه فصادفه قد وضع رجله في غرز ناقته يريد ضيعة له فقال يا ابن عم رسول الله قال قل ما تشاء قال ابن سبيل ومنقطع به قال فأخرج رجله من غرز الناقة وقال له ضع رجلك واستو على الراحلة وخذ ما في الحقيبة واحتفظ بسيفك فانه من سيوف علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال فجاء بالناقة والحقيبة فيها مطارف خز وأربعة آلاف دينار وأعظمها وأجلها السيف ومضى صاحب قيس بن سعد بن عبادة فصادفه نائما فقالت الجارية هو نائم فما حاجتك اليه قال ابن سبيل ومنقطع به قالت حاجتك أهون من ايقاظه هذا كيس فيه سبعمائة دينار والله يعلم ان ما في دار قيس غيره خذه وامض الى معاطن الابل الى أموال لنا بعلامتنا فخذ راحلة من رواحله وما يصلحها وعبدا وامض لشأنك فقيل ان قيسا لما انتبه من رقدته أخبرته بما صنعت فأعتقها ومضى صاحب

اكتسبته منه الاهذا الجوهر فقال له الملك يطول الرب فى عمرك ومالك لك ولا ولادك سواء كنت حيا أوميتا فألح عليه الوزير أن يجعل الحق عنده وديعة فأخذه الملك وأودعه عنده فى صندوق ثم مضت أشهر الجارية فوضعت ولدا ذكرا جميلا حسن الخلقة مثل فلقة القمر فلاحظ الوزير جانب الادب فى تسميته فرأى أنه ان اخترع له اسما وسماه به وظهر لوالده بعد ذلك فيكون قد أساء الادب وان هو تركه بلا اسم لم يتهيأ له ذلك فسماه شاه بور ومعنى شاه بور بالفارسية ابن ملك فان شاه ملك وبور ابن ولغتهم مبنية على تأخير المتقدم وتقديم المتأخر وهذه تسمية ليس فيها مؤاخذة ولم يزل الوزير يلاطف الجارية والولد الى أن بلغا لولد حد التعليم فعلمه كل مايصلح لاولاد الملوك من الخط والحكمة والفروسية وهو يوهم أنه مملوك له اسمه شاه بور الى أن راهق البلوغ هذا كله وأردشير ليس له ولد وقد طعن فى السن وأقعده الهرم فمرض وأشرف على الموت فقال للوزير أيها الوزير قد هرم جسمى وضعفت قوتى وانى أرى انى ميت لامحالة وهذا الملك يأخذه من بعدى من قضى له به فقال الوزير لو شاء الله أن يكون للملك ولد كان قد ولى بعده الملك ثم ذكره بأمر بنت ملك بحر الاردن وبحملها فقال الملك لقد ندمت على تغريقها ولو كنت أبقيتها حتى تضع فلعل حملها يكون ذكرا فلما شاهد الوزير من الملك الرضا قال أيها الملك انها عندى حية ولقد وضعت ولدا ذكرا من أحسن الغلمان خلقا وخلقا فقال الملك أحق ما تقول فاقسم الوزير أن نعم ثم قال أيها الملك ان فى الولد روحانية تشهد بابوة الأب وفى الوالد روحانية تشهد ببنوة الابن لايكاد ذلك يخرم أبدا وانى آتى بهذا الغلام بين عشرين غلاما فى سنه وهيئته ولباسه وكلهم ذوو آباء معروفين خلا هو وانى أعطى كل واحد منهم صولجانا وكرة وآمرهم أن يلعبوا بين يديك فى مجلسك هذا ويتأمل الملك صورهم وخلقتهم وشمائلهم فكل من مالت اليه نفسه وروحانيته فهو هو فقال الملك نعم التدبير الذى قلت فأحضرهم الوزير على هذه الصورة ولعبوا بين يدى الملك فكان الصبى منهم اذا ضرب الكرة وقربت من مجلس الملك تمنعه الهيبة أن يتقدم ليأخذها الا شاه بور فانه كان اذا ضرب بها وجاءت عند مرتبة أبيه تقدم فاخذها ولا تأخذه الهيبة منه فلاحظ أردشير ذلك منه مرارا فقال له أيها الغلام ما اسمك قال شاه بور فقال له صدقت أنت ابنى حقا ثم ضمه اليه وقبله بين عينيه فقال له الوزير هذا هو ابنك أيها الملك ثم أحضر بقية الصبيان ومعهم عدول فأثبت لكل صبى منهم والدا بحضرة الملك فتحقق الصدق فى ذلك ثم جاءت الجارية وقد تضاعف حسنها وجمالها فقبلت يد الملك فرضى عنها فقال الوزير أيها الملك قد دعت الضرورة فى هذا الوقت الى احضار الحق المختوم فأمر الملك باحضاره ثم أخذه الوزير وفك ختمه وفتحه فاذا فيه ذكر الوزير وأنثياه مقطوعة مصانة فيه من قبل أن يتسلم الجارية من الملك وأحضر عدولا من الحكماء وهم الذين كانوا فعلوا به ذلك فشهدوا عند الملك بأن هذا الفعل فعلناه به من قبل أن يتسلم الجارية بليلة واحدة قال فدهش الملك أردشير وبهت لما أبداه هذا الوزير من قوة النفس فى الخدمة وشدة مناصحته فزاد سروره وتضاعف فرحه لصيانة الجارية واثبات نسب الولد ولحوقه به ثم ان الملك عوفى من مرضه الذى كان به وصح جسمه ولم يزل يتقلب فى نعمه وهو مسرور بابنه الى أن حضرته الوفاة ورجع الملك الى ابنه شاه بور بعد موت أبيه وصار ذلك الوزير يخدم ابن الملك أردشير وشاه بور يحفظ مقامه ويرعى منزلته حتى توفاه الله تعالى والله أعلم بالصواب واليه المرجع والمآب وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا الى يوم الدين

﴿الباب الثامن عشر فيما جاء فى القضاء وذكر القضاة وقبول الرشوة والهدية على الحكم وما يتعلق بالديون وذكر القصاص والمتصوفة وفيه فصول﴾

﴿الفصل الاول فيما جاء فى القضاء وذكر القضاة وأحوالهم وما يجب عليهم﴾ قال الله تعالى يا داود انا جعلناك خليفة فى الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب وقال تعالى فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط وقال تعالى ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حكم بين اثنين تحاكما اليه وارتضياه فلم يقض بينهما بالحق فعليه لعنة الله وعن أبى حازم قال دخل عمر على أبى بكر رضوان الله عليهما فسلم عليه فلم يرد عليه فقال عمر لعبد الرحمن بن عوف أخاف أن يكون وجد على خليفة رسول الله صلى

قرابة الأوس اليه فأتاه فقد خرج من منزله يريد الصلاة وهو يمشى على عبدين وقد كف بصره فقال ياعرابة ابن سبيل ومنقطع به قال تخلى العبدين وصفق بيمناه على يسراه وقال أوّاه أوّاه ماتركت الحقوق لعرابة مالا ولكن خذهما يعنى العبدين قال ما كنت بالذى أقص جناحيك قال ان لم تأخذهما فهما حران فان شئت تأخذ وان شئت تعتق وأقبل يلتمس الحائط بيده راجعا الى منزله قال فأخذهما وجاء بهما فثبت أنهم أجود عصرهم الا أنهم حكموا لعرابة لانه أعطى جهده

﴿نادرة غريبة﴾ حضر يعقوب بن اسحق الكندى المسمى بوقته فيلسوف الاسلام مجلس أحمد بن المعتصم وقد دخل عليه أبو تمام فأنشد قصيدته السينية المشهورة فلما بلغ الى قوله

اقدام عمرو فى سماحة حاتم
فى حلم أحنف فى ذكاء اياس

قال له الكندى ماصنعت شيأ فقال كيف قال مازدت على أن شبهت ابن أمير المؤمنين بصعاليك العرب وأيضا فان شعراء دهرنا تجاوزوا بالممدوح من كان قبله ألا ترى الى قول العكوك فى أبى دلف

رجل أبر على شجاعة عامر
بأسا وغبر فى محيا حاتم

فأطرق أبو تمام ثم أنشأ يقول

لاتنكروا ضربى له من دونه
مثلا شرودا فى الندى والباس
فالله قد ضرب الاقل لنوره
مثلا من المشكاة والنبراس

ولم يكن هذا فى القصيدة فتزايد العجب منه ثم طلب أن تكون الجائزة ولايته عملا فاستصغر عن ذلك فقال الكندى وليوه لانه قصير العمر لأن ذهنه ينحت من قلبه فكان كما قال وقد تكون ظهرت له دلائل من شخصه فى ذلك الوقت على قرب أجله انتهى وسمع

الله عليه وسلم فكلم عبد الرحمن أبا بكر فقال أتاني و بين يدي خصمان قد فرغت لهما قلبي وسمعي و بصري وعلمت أن الله سائلي عنهما وعما قالا وقلت وادعى رجل على علي عند عمر رضي الله عنهما وعلي جالس فالتفت عمر اليه وقال يا أبا الحسن قم فاجلس مع خصمك فقام فجلس مع خصمه فتناظرا وانصرف الرجل ورجع علي الى مجلسه فتبين لعمر التغير في وجه علي فقال يا أبا الحسن مالي أراك متغيرا أكرهت ما كان قال نعم قال وماذاك قال كنيتني بحضرة خصمي هلا قلت يا علي قم فاجلس مع خصمك فأخذ عمر برأس علي رضي الله عنهما فقبله بين عينيه ثم قال بأبي أنتم بكم هدانا الله و بكم أخرجنا من الظلمات الى النور * وعن أبي حنيفة رضي الله عنه القاضي كالغريق في البحر الاخضر الى متى يسبح وان كان سابحا * وأراد عمر بن هبيرة أن يولي أبا حنيفة القضاء فأبى فحلف ليضربنه بالسياط وليسجننه فضربه حتى انتفخ وجه أبي حنيفة ورأسه من الضرب فقال الضرب بالسياط في الدنيا أهون علي من الضرب بمقامع الحديد في الآخرة * وعن عبد الملك بن عمير عن رجل من أهل اليمن قال أقبل سيل باليمن في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه فكشف عن باب مغلق فظنناه كنزا فكتبنا الى أبي بكر رضي الله تعالى عنه فكتب الينا لا تحركوه حتى يقدم اليكم كتابي ثم فتح فاذا برجل على سرير عليه سبعون حلة منسوجة بالذهب وفي يده اليمنى لوح مكتوب فيه هذان البيتان

اذا خان الامير وكاتباه * وقاضي الارض داهن في القضاء
فويل ثم ويل ثم ويل * لقاضي الارض من قاضي السماء

واذا عند رأسه سيف أشد خضرة من البقلة مكتوب عليه هذا سيف عاد بن ارم وعن ابن أبي أوفى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ان الله مع القاضي مالم يجر فاذا جار برئ الله منه ولزمه الشيطان وقال محمد بن حريث بلغني أن نصر بن علي راودوه على القضاء بالبصرة واجتمع الناس اليه فكان لا يجيبهم فلما ألحوا عليه دخل بيته ونام على ظهره وألقى ملاءة على وجهه وقال اللهم ان كنت تعلم أني لهذا الامر كاره فاقبضني اليك فقبض * وعن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم القضاة جسور للناس يمرون على ظهورهم يوم القيامة وقال حفص بن غياث لرجل كان يسأل عن مسائل القضاة لعلك تريد أن تكون قاضيا لأن يدخل الرجل أصبعه في عينيه فيقلعهما او يرمي بهما خير له من أن يكون قاضيا وقيل أول من أظهر الجور من القضاة بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الاشعري كان أمير البصرة وقاضيها فيها وكان يقول ان الرجلين يتقدمان الى فأجد أحدهما أخف على قلبي من الآخر فأقضي له * وتقدم المأمون بين يدي القاضي يحيى بن أكثم مع رجل ادعى عليه بثلاثين ألف دينار فطرح للمأمون مصلى يجلس عليه فقال له يحيى لا تأخذ على خصمك شرف المجلس ولم يكن للرجل بينة فأراد أن يحلف المأمون فدفع اليه المأمون ثلاثين ألف دينار وقال والله مادفعت لك هذا المال الا خشية ان تقول العامة انى تناولتك من جهة القدرة ثم أمر ليحيى بمال وأجزل عطاءه * وقدم خادم من وجوه خدم المعتضد بالله الى أبي يوسف بن يعقوب في حكم فارتفع الخادم على خصمه في المجلس فزجره الحاجب عن ذلك فلم يقبل فقال أبو يوسف قم أتؤمر أن تقف بمساواة خصمك في المجلس فتمتنع يا غلام ائتني بعمرو بن أبي عمرو النخاس فانه ان قدم على الساعة أمرته ببيع هذا العبد وحمل ثمنه الى أمير المؤمنين ثم ان الحاجب أخذ بيده حتى أوقفه بمساواة خصمه فلما انقضى الحكم رجع الخادم الى المعتضد وبكى بين يديه وأخبره بالقصة فقال له لو باعك لاجزت بيعه ولم أردك الى ملكي فليست منزلتك عندي تزن رتبة المساواة بين الخصمين في الحكم فان ذلك عمود السلطان وقوام الاديان والله تعالى أعلم (وقال) الابرش العكلي يمدح بعض القضاة

رفضت وعطلت الحكومة قبله * في آخرين ومل هار واضها
حتى اذا ما قام ألف بينها * بالحق حتى جمعت أوفاضها

(وفي ضد ذلك قول بعضهم)

أبكي وأندب ملة الاسلام * اذ صرت تقعد مقعد الحكام
ان الحوادث ما علمت كثيرة * وأراك بعض حوادث الأيام

وتقدمت امرأة الى قاض فقال لها جامعك شهودك فسكتت فقال كاتبه ان القاضي يقول لك جاء شهودك معك قالت نعم هلا قلت مثل ما قال كاتبك كبر سنك وقل عقلك وعظمت لحيتك حتى غطت على لبك ما رأيت

الكندي انسانا ينشد

وفي أربع مني حلت منك أربع
فما أنا أدري أيها هاج لي كربي
خيالك في عيني أم الذكر في فمي
أم النطق في سمعي أم الحب في قلبي

فقال لقد قسمتها تقسيما فلسفيا انتهى ونقل الشيخ جمال الدين بن نباتة في كتابه المسمى بسرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون ان واضع العود بعض حكماء الفرس ولما فرغ منه سماه البربط وتفسيره باب النجاة ومعناه انه مأخوذ من صرير باب الجنة وجعلت أوتاره أربعة بازاء الطبائع الأربع فالزير بازاء السوداء والبم بازاء الصفراء والمثنى بازاء الدم والمثلث بازاء البلغم فاذا اعتدلت أوتاره المرتبة على ما يجب جانست الطبائع وأنتجت الطرب وهو رجوع النفس الى الحالة الطبيعية دفعة واحدة وبدئ هذا العلم ببطليموس وختم باسحق بن ابراهيم الموصلي (وحكى ابن حمدون في تذكرته) ان الحسن بن حماد قال كنت بالمدينة فخلا لي الطريق نصف النهار فجعلت أتغنى بشعر ذي يزن وهو

ما بال قومك يا رباب
خزرا كأنهم غضاب

فاذا كوة قد فتحت واذا وجه قد بدا منها تتبعه لحية حمراء فقال يا فاسق أسأت التأدية ومنعت القائلة وأذعت الفاحشة ثم اندفع يغني فغنى الصوت غناء لم أسمع مثله فقلت أصلحك الله من أين لك هذا الغناء قال نشأت وأنا غلام يعجبني الأخذ عن المغنين فقالت أمي يا بني ان المغني اذا كان قبيح الوجه لم يلتفت الى غنائه فدع الغناء واطلب الفقه فتركته وتبعت الفقهاء فبلغني الى ماترى فقلت أعد لي الصوت جعلت فداك فقال لا ولا كرامة أتريد أن تقول أخذته عن مالك بن أنس *﴿فائدة غريبة﴾* روي عن سعد ابن أبي وقاص رضي الله عنه قال

ميتا يقضي بين الاحياء غيرك * وقيل المضروب بهم المثل في الجهل وتحريف الاحكام قاضي منى وقاضي كسكر وقاضي أيدج وهو الذى قال فيه أبو اسحق الصابي

يارب علج أعلج * مثل البعير الاهوج * رأيته مطلعا * من خلف باب مرتج
وخلفه عذيبة * تذهب طورا وتجي * فقلت من هذا ترى * فقيل قاضي أيدج

وقاضي شلبة وهو الذى قال فيه أبو الحسن الجوهري

رأيت رأسا كدبه * ولحيـة كالمذبة فقلت من أنت قل لي * فقال قاضي شلبه

(وتقدمت) امرأة جميلة الى الشعبي فادعت عنده فقضى لها فقال هذيل الأشجعي

فتن الشعبي لما * رفع الطرف اليها * فتنته ببنان * كيف لو رأى معصميها
ومشت مشيا رويدا * ثم هزت منكبيها * فقضى جورا على الخصم ولم يقض عليها

فتناشدها الناس وتداولوها حتى بلغت الشعبي فضرب الأشجعي ثلاثين سوطا (وحكى) ابن أبي ليلى قال انصرف الشعبي يوما من مجلس القضاء ونحن معه فمررنا بخادمة تغسل الثياب وهي تقول فتن الشعبي لما ولم تعرف بقية البيت فلقنوا الشعبي وقال رفع الطرف اليها ثم قال أبعده الله أما أنا فما قضيت الا بالحق * وأنشد بعضهم في أمين الحكم

تماوتن اذا مشيت تخشعا * حتى تصيب وديعة ليتيم

﴿الفصل الثاني في الرشوة والهدية على الحكم وما جاء في الديون﴾ أما الرشوة فقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لعن الله الراشي والمرتشي وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لا تولوا اليهود ولا النصارى فانهم يقبلون الرشا ولا يحل في دين الله الرشا قال الشهيدي وأصحابنا اليوم أقبل للرشا منهم وفي نوابغ الحكم ان البراطيل تنصر الاباطيل وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال من شفع شفاعة ليرد بها حقا أو يدفع بها ظلما فاهدى له فقبل فذلك السحت فقيل له ما كنا نرى السحت الا الاخذ على الحكم قال الأخذ على الحكم كفر وأنشد المبرد رحمه الله تعالى

وكنت اذا خاصمت خصما كببته * على الوجه حتى خاصمتني الدراهم
فلما تنازعنا الحكومة غلبت * علي وقالت قم فانك ظالم

﴿وأما الدين وما جاء فيه نعوذ بالله من غلبة الدين وقهر الرجال﴾

فقد روى عن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من تداين بدين وفي نفسه وفاؤه ثم مات تجاوز الله عنه وأرضى غريمه بما شاء ومن تداين بدين وليس في نفسه وفاؤه ثم مات اقتص الله لغريمه منه يوم القيامة رواه الحاكم وروى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أتى له بجنازة لم يسأل عن شيء من عمل الرجل و يسأل عن دينه فان قيل عليه دين كف عن الصلاة عليه وان قيل ليس عليه دين صلى عليه فأتي بجنازة فلما قام ليكبر سأل صلى الله عليه وسلم هل على صاحبكم من دين فقالوا دينارات يارسول الله فعدل النبي صلى الله عليه وسلم عنه وقال صلوا على صاحبكم فقال علي كرم الله وجهه هما علي يارسول الله وهو بريء منهما فتقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى عليه ثم قال لعلي رضي الله عنه جزاك الله خيرا فك الله رهانك كما فككت رهان أخيك انه ليس من ميت يموت وعليه دين الا وهو مرتهن بدينه ومن فك رهان ميت فك الله رهانه يوم القيامة وقال بعض الحكماء الدين هم بالليل وذل بالنهار وهو غل جعله الله في أرضه فاذا أراد الله أن يذل عبدا جعله طوقا في عنقه وجاء سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه يتقاضى دينا له على رجل فقالوا خرج الى الغزو فقال أشهد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو أن رجلا قتل في سبيل الله ثم أحيي ثم قتل لم يدخل الجنة حتى يقضي دينه وعن الزهري قال لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي على أحد عليه دين ثم قال بعد أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم من مات وعليه دين فعلي قضاؤه ثم صلى عليهم وعن جابر لا هم الا هم الدين ولا وجع الا وجع العين وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من تزوج امرأة بصداق ينوي أن لا يؤديه اليها فهو زان ومن استدان دينا ينوي أن لا يقضيه فهو سارق وقال حبيب بن ثابت ما احتجت الى شيء استقرضته الا استقرضته من نفسي أراد أنه يصبر الى أن تمكن الميسرة ونظيره قول القائل

واذا غلا شيء علي تركته * فيكون أرخص ما يكون اذا غلا

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان هذا القرآن نزل بحزن فاذا قرأتموه فابكوا فان لم تبكوا فتباكوا وتغنوا به فمن لم يتغن بالقرآن فليس منا رواه ابن ماجه ﴿نادرة لطيفة﴾ قال عبد الله بن أبي يزيد مر بنا أبو لبابة فاتبعناه حتى دخل بيته فاذا رجل رث الهيئة يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ليس منا من لم يتغن بالقرآن قال فقلت لابن أبي مليكة يا أبا محمد أرأيت ان لم يكن حسن الصوت قال يحسنه ما استطاع رواه أبو داود ﴿نادرة لطيفة﴾ تتضمن المثل السائر في قولهم عن الخائب رجع بخفي حنين المنقول عن حنين انه كان اسكافا من أهل الحيرة ساومه اعرابي بخفين ولم يشتر منه شيأ وغاظه ذلك فخرج الى الطريق التي لابد للاعرابي من المرور منها فعلق الفردة الواحدة منهما في شجرة على طريقه وتقدم قليلا فطرح الفردة الثانية واختفى فجاء الاعرابي فرأى أحد الخفين فوق الشجرة فقال ما أشبهه بخف حنين لو كان معه آخر لتكلفت أخذه وتقدم فرأى الخف الآخر مطروحا فنزل وعقل بعيره وأخذه ورجع ليأخذ الأول فخرج حنين من الكمين فأخذ بعيره وذهب ورجع الاعرابي الى ناحية بعيره فلم يجده فرجع بخفي حنين فصارت مثلا ﴿نادرة لطيفة﴾ قيل ان بعض وفود العرب قدموا على عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وكان فيهم شاب فقام وتقدم وقال يا أمير المؤمنين أصابتنا سنون سنة أذابت الشحم وسنة أكلت اللحم وسنة أذابت العظم وفي أيديكم فضول أموال فان كانت لنا فعلام تمنعونها عنا وان كانت لله ففرقوها على عباد الله وان كانت لكم فتصدقوا بها علينا ان الله

وقال بعضهم أيضا لقد كان القريض سمير قلبي * فالهتني القروض عن القريض

وقال غيلان بن مرة التميمي واني لاقضي الدين بالدين بعدما * يرى طالبي بالدين أن لست قاضيا

فاجابه ثعلبة بن عمير اذا ما قضيت الدين بالدين لم يكن * قضاء ولكن ذاك غرم على غرم

واستقرض من الاصمعي خليل له فقال حبا وكرامة ولكن سكن قلبي برهن يساوي ضعف ما تطلبه فقال يا أبا سعيد أما تثق بي قال بلى وان خليل الله كان واثقا بربه وقد قال له ولكن ليطمئن قلبي اللهم أوف عنا دين الدنيا بالميسرة ودين الآخرة بالمغفرة برحمتك يا أرحم الراحمين

﴿الفصل الثالث في ذكر القصاص والمتصوفة وما جاء في الرياء ونحو ذلك﴾

﴿أما ما جاء في ذكر القصاص والمتصوفة﴾ فقد روي عن خباب بن الارت قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان بني اسرائيل لما قصوا هلكوا وروي ان كعبا كان يقص فلما سمع الحديث ترك القصص وقال ابن عمر رضي الله عنهما لم يقص أحد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عهد أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم وانما كان القصص حين كانت الفتنة وقال ابن المبارك سألت الثوري من الناس قال العلماء قلت فمن الاشراف قال المتقون قلت فمن الملوك قال الزهاد قلت فمن الغوغاء قال القصاص الذين يستأصلون أموال الناس بالكلام قلت فمن السفهاء قال الظلمة قيل وهب رجل لقاص خاتما بلا فص فقال وهب الله لك في الجنة غرفة بلا سقف وقال قيس بن جبير النهشلي الصعقة التي عند القصاص من الشيطان وقيل لعائشة رضي الله عنها ان أقواما اذا سمعوا القرآن صعقوا فقالت القرآن أكرم وأعظم من أن تذهب منه عقول الرجال وسئل ابن سيرين عن أقوام يصعقون عند سماع القرآن فقال ميعاد ما بيننا وبينهم أن يجلسوا على حائط فيقرأ عليهم القرآن من أوله الى آخره فان صعقوا فهو كما قالوا * وكان عمرو قاص يبكي بمواعظه فاذا طال مجلسه بالبكاء أخرج من كمه طنبورا صغيرا فيحركه ويقول مع هذا الغم الطويل يحتاج الى فرح ساعة وقال بعضهم قلت لصوفي بعني جبتك فقال اذا باع الصياد شبكته فبأي شيء يصيد * وسئل بعض العلماء عن المتصوفة فقال أكلة رقصة * وعظ عيسى عليه السلام بني اسرائيل فأقبلوا يمزقون الثياب فقال ما ذنب الثياب أقبلوا على القلوب فعاتبوها

﴿وأما ما جاء في الرياء﴾ فقد قال الله تعالى يراؤن الناس ولا يذكرون الله الا قليلا وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معاذ احذر أن يرى عليك آثار المحسنين وأنت تخلو من ذلك فتحشر مع المرائين وقيل لو أن رجلا عمل عملا من البر فكتمه ثم أحب أن يعلم الناس انه كتمه فهو من أقبح الرياء وقيل كل ورع يحب صاحبه أن يعلمه غير الله فليس من الله في شيء وعن شداد بن أوس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان آخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر قالوا اما الشرك الاصغر يا رسول الله قال الرياء وقيل بينما عابد يمشي ومعه غمامة على رأسه تظله فجاء رجل يريد أن يستظل معه فنعه وقال ان أقت معي لم يعلم الناس أن الغمامة تظلني فقال الرجل قد علم الناس أني لست ممن تظله الغمامة فحولها الله تعالى الى ذلك الرجل وقال عبد الاعلى السلمي يوما الناس يزعمون أني مراء وكنت أمس والله صائما ولا أخبرت بذلك أحدا اللهم أصلح فساد قلوبنا واسترفضائحنا برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿الباب التاسع عشر في العدل والاحسان والانصاف وغير ذلك﴾

(اعلم) أرشدك الله ان الله تعالى أمر بالعدل ثم علم سبحانه وتعالى أنه ليس كل النفوس تصلح على العدل بل تطلب الاحسان وهو فوق العدل فقال تعالى ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى الآية فلو وسع الخلائق العدل ما قرن الله به الاحسان والعدل ميزان الله تعالى في الارض الذي يؤخذ به للضعيف من القوي والمحق من المبطل * واعلم أن عدل الملك يوجب محبته وجوره يوجب الافتراق عنه وأفضل الأزمنة ثوابا أيام العدل وروينا من طريق أبي نعيم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لعمل الامام العادل في رعيته يوما واحدا أفضل من عمل العابد في أهله مائة عام أو خمسين عاما وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال عدل ساعة خير من عبادة سبعين سنة وروينا في سنن أبي داود من حديث أبي

يجزي المتصدقين فقال عمر بن عبد العزيز ما ترك الأعرابي لنا عذرا في واحدة ﴿ووقف اعرابي على حلقة الحسن البصري﴾ فقال رحم الله من تصدق من فضل أو واسى من كفاف أو آثر من قوت فقال الحسن البصري ما ترك الاعرابي أحدا منكم حتى عمه بالسؤال قلت هذا النوع سماه البديعيون بالتقسيم ﴿نادرة أدبية بديعة﴾ حكى ضياء الدين بن الاثير في المثل السائر بعد ما أورد لغزا في الخلخال

ومضروب بلا جرم
مليح اللون معشوق
له شكل الهلال على
رشيق القد ممشوق
وأكثر ما يرى ابدا
على الامشاط في السوق

قال بلغني أن بعض الناس سمع هذه الابيات فقال دخلت السوق فلم أر على الامشاط شيأ ﴿ومن نوادر الادب أيضا﴾ اشارة الحجاج الى قول ابن نباتة السعدي في فرس أغر محجل

قضبت صباح وقد رأتني قابضا
أيري فقلت لها مقالة فاجر
بالله الا ما لطمت جبينه
حتى يحقق فيك قول الشاعر

يريد بذلك قوله

وكأنما لطم الصباح جبينه
فاقتص منه فخاض في أحشائه

(ومن المنقول المشهور) أن الادب وأهله كان عند أصحاب حماة في الذروة العالية ولكن قصة زكي الدين ابن عبد الرحمن العوفي مع الملك المظفر محمود ابن الملك المنصور محمد ابن الملك تقي الدين عمر بن شهنشاه كانت على غير المعهود منه ومن سلفه الطاهر وما ذاك الا أن زكي الدين المذكور أنشده الملك المظفر محمودا قبل أن يملك حماة

متى أراك ومن تهوى وأنت كما

هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ثلاثة لا ترد دعوتهم الامام العادل والصائم حتى يفطر ودعوة المظلوم تحمل على الغمام وتفتح لها أبواب السماء وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال لكعب الاحبار أخبرني عن جنة عدن قال يا أمير المؤمنين لا يسكنها الا نبي أو صديق أو شهيد أو امام عادل فقال عمر والله ما أنا بنبي وقد صدقت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأما الامام العادل فاني أرجو أن لا أجور وأما الشهادة فأنى لي بها قال الحسن فجعله الله صديقا شهيدا حكما عدلا وسأل الاسكندر حكماء أهل بابل أيما أبلغ عندكم الشجاعة أو العدل قالوا اذا استعملنا العدل استغنينا به عن الشجاعة ويقال عدل السلطان أنفع من خصب الزمان وقيل اذا رغب السلطان عن العدل رغبت الرعية عن طاعته وكتب بعض عمال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه يشكو اليه من خراب مدينته ويسأله مالا يرمها به فكتب اليه عمر قد فهمت كتابك فاذا قرأت كتابي فحصن مدينتك بالعدل ونق طرقها من الظلم فانه مرمتها والسلام * ويقال ان الحاصل من خراج سواد العراق في زمن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان مائة ألف ألف وسبعة وثلاثين ألف ألف فلم يزل يتناقص حتى صار في زمن الحجاج ثمانية عشر ألف ألف فلما ولي عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ارتفع في السنة الاولى الى ثلاثين ألف ألف وفي الثانية الى ستين ألف ألف وقيل أكثر وقال ان عشت لابلغنه الى ما كان في أيام أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه فمات في تلك السنة * ومن كلام كسرى لا ملك الا بالجند ولا جند الا بالمال ولا مال الا بالبلاد ولا بلاد الا بالرعايا ولا رعايا الا بالعدل (ولما) مات سلمة بن سعيد كان عليه ديون للناس ولامير المؤمنين المنصور فكتب المنصور لعامله استوف لامير المؤمنين حقه وفرق ما بقي بين الغرماء فلم يلتفت الى كتابه وضرب للمنصور بسهم من المال كما ضرب لاحد الغرماء ثم كتب للمنصور اني رأيت أمير المؤمنين كاحد الغرماء فكتب اليه المنصور ملئت الارض بك عدلا وكان أحمد بن طولون والي مصر متحليا بالعدل مع تجبره وسفكه للدماء وكان يجلس للمظالم وينصف المظلوم من الظالم (حكي) أن ولده العباس استدعى بمغنية وهو يصطبح يوما فلقيها بعض صالحي مصر ومعها غلام يحمل عودها فكسره فدخل العباس اليه وأخبره بذلك فأمر باحضار ذلك الرجل الصالح فلما أحضر اليه قال أنت الذي كسرت العود قال نعم قال أفعلمت لمن هو قال نعم هو لابنك العباس قال أفما أكرمته لي فقال أكرمه لك بمعصية الله عز وجل والله تعالى يقول والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق فأطرق أحمد بن طولون عند ذلك ثم قال كل منكر رأيته فغيره وأنا من ورائك * ووقف يهودي لعبد الملك بن مروان فقال يا أمير المؤمنين ان بعض خاصتك ظلمني فانصفني منه وأذقني حلاوة العدل فاعرض عنه فوقف له ثانيا فلم يلتفت اليه فوقف له مرة ثالثة وقال يا أمير المؤمنين انا نجد في التوراة المنزلة على كليم الله موسى صلوات الله وسلامه عليه ان الامام لا يكون شريكا في ظلم أحد حتى يرفع اليه فاذا رفع اليه ذلك ولم يزله فقد شاركه في الظلم والجور فلما سمع عبد الملك كلامه فزع وبعث في الحال الى من ظلمه فعزله وأخذ لليهودي حقه منه (وروى) أن رجلا من العقلاء غصبه بعض الولاة ضيعة له فأتى الى المنصور فقال له أصلحك الله يا أمير المؤمنين أأذكر لك حاجتي أم أضرب لك قبلها مثلا فقال بل اضرب المثل فقال ان الطفل الصغير اذا نابه أمر يكرهه فانما يفزع الى أمه إذ لا يعرف غيرها وظنا منه أن لا ناصر له غيرها فاذا ترعرع واشتد كان فراره الى أبيه فاذا بلغ وصار رجلا وحدث به أمر شكاه الى الوالي لعلمه أنه أقوى من أبيه فاذا زاد عقله شكا الى السلطان لعلمه انه أقوى ممن سواه فان لم ينصفه السلطان شكاه الى الله تعالى لعلمه أنه أقوى من السلطان وقد نزلت بي نازلة وليس أحد فوقك أقوى منك الا الله تعالى فان أنصفتني والا رفعت أمري الى الله تعالى في الموسم فاني متوجه الى بيته وحرمه فقال المنصور بل ننصفك وأمر أن يكتب الى واليه برد ضيعته اليه وكان الاسكندر يقول يا عباد الله انما الهكم الله الذي في السماء الذي نصر نوحا بعد حين الذي يسقيكم الغيث عند الحاجة واليه مفزعكم عند الكرب والله لا يبلغني ان الله تعالى أحب شيأ الا أحببته واستعملته الى يوم أجلي ولا أبغض شيأ الا بغضته وهجرته الى يوم أجلي وقد أنبئت أن الله تعالى يحب العدل في عباده ويبغض الجور من بعضهم على بعض فويل للظالم من سيفي وسوطي ومن ظهر منه العدل من عمالي فليتكئ في مجلسي كيف شاء وليتمن على ما شاء فلن تخطئه

تهوى على رغمهم روحين في بدن
هناك أنشد والآمال حاضرة
هنئت بالملك والاحباب والوطن
فوعده ان ملك حماة أن يعطيه ألف دينار فلما ملكها أنشد
مولاي هذا الملك قد نلته
برغم مخلوق من الخالق
والدهر منقاد لما شئته
فذا أوان الموعد الصادق
فدفع له ألف دينار وأقام معه مدة ولزمته أسفار أنفق فيها المال الذي أعطاه ولم يحصل بيده زيادة عليه فقال
ان الذي أعطوه لي جملة
قد استردوه قليلا قليل
فليت لم يعطوا ولم يأخذوا
وحسبنا الله ونعم الوكيل
فبلغ ذلك الملك المظفر فأخرجه من دار كان قد أنزله بها فقال
أتخرجني من كسر بيت مهدم
ولي فيك من حسن الثناء بيوت
فان عشت لم أعدم مكانا يضمني
وأنت فتدري ذكر من سيموت
فحبسه المظفر فقال ماذنبي اليك فقال حسبنا الله ونعم الوكيل وأمر بخنقه فلما أحس بذلك قال
أعطيتني الالف تعظيما وتكرمة
يا ليت شعري أم أعطيتني ديتي
(قلت) كان والد الملك المظفر أليق بهذا المقام الذي لم يقصد به زكي الدين العوفي غير ترويج الادب في اختلاف المعاني والمداعبة به والتوصل بذلك الى بسط الملك المظفر ولكن حال الزكي كقول الشاعر
وكنت كالمتمني أن يرى فلقا
من الصباح فلما أن رآه عمي
(قلت) وكان والد السلطان الملك المظفر المنصور من كبار أهل الادب وكان أحب الناس لاهله وله كتاب طبقات الشعراء عشر مجلدات وسمع الحديث من الحافظ السلفي بالاسكندرية وكان مغرما بصحبة الادباء والعلماء وجمع تاريخا على

أمنيته والله تعالى المجازى كلا بعمله ويقال اذا لم يعمر الملك ملكه بالانصاف خرب ملكه بالعصيان (وقيل) مات بعض الا كاسرة فوجد واله سفطا ففتح فوجد فيه حبة رمان كاكبر ما يكون من النوى معها رقعة مكتوب فيها هذه من حب رمان عمل فى خراجه بالعدل (وقيل) تظلم أهل الكوفة من واليهم فشكوه الى المأمون فقال ماعلمت فى عمالى أعدل ولا أقوم بامر الرعية وأعود بالرفق عليهم منه فقال رجل منهم يا أمير المؤمنين ما أحد أولى بالعدل والانصاف منك فان كان بهذه الصفة فعلى أمير المؤمنين أن يوليه بلدا بلدا حتى يلحق كل بلد من عدله مثل الذى لحقنا ويأخذ بقسطه منه كما أخذنا واذا فعل ذلك لم يصبنا منه أكثر من ثلاث سنين فضحك المأمون من قوله وعزله عنهم وقدم المنصور البصرة قبل الخلافة فنزل بواصل بن عطاء وقال بلغنى أبيات عن سليم بن يزيد العدوى فى العدل فقم بنا اليه فأشرف عليهم من غرفة فقال لواصل من هذا الذى معك قال عبد الله ابن محمد بن على بن عبد الله بن عباس رضى الله عنهم فقال رحب على رحب وقرب على قرب فقال انه يحب أن يسمع أبياتك فى العدل فقال سمعا وطاعة وأنشد يقول

حتى متى لانرى عدلا نسربه * ولانرى لولاة الحق أعوانا * مستمسكين بحق قائمين به
اذا تلون أهل الجور ألوانا * ياللرجال لداء لادواء له * وقائد ذى عمى يقتاد عميانا

فقال المنصور وددت لو أنى رأيت يوم عدل ثم مت وقيل لما ولى عمر بن عبد العزيز أخذ فى رد المظالم فابتدأ بأهل بيته فاجتمعوا الى عمة له كان يكرمها وسألوها أن تكلمه فقال لها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سلك طريقا فلما قبض سلك أصحابه الطريق الذى سلكه رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما افضى الأمر الى معاوية جره يمينا وشمالا وايم الله لئن مد فى عمرى لاردنه الى ذلك الطريق الذى سلكه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فقالت له يا ابن أخى انى أخاف عليك منهم يوما عصيبا فقال كل يوم أخافه دون القيامة فلا أمننيه الله وقال وهب بن منبه اذا هم الوالى بالجور أو عمل به أدخل الله النقص فى أهل مملكته فى الاسواق والزروع والضروع وكل شئ واذا هم بالخير والعدل أو عمل به أدخل الله البركة فى أهل مملكته كذلك وقال الوليد بن هشام ان الرعية لتصلح بصلاح الوالى وتفسد بفساده وقال ابن عباس رضى الله عنهما ان ملكا من الملوك خرج يسير فى مملكته متنكرا فنزل على رجل له بقرة تحلب قدر ثلاث بقرات فتعجب الملك من ذلك وحدثته نفسه باخذها فلما كان من الغد حلبت له النصف مما حلبت بالامس فقال له الملك ما بال حلبها انقص أرعت فى غير مرعاها بالامس فقال لا ولكن أظن ان ملكنا رآها أو وصله خبرها فهم بأخذها فنقص لبنها فان الملك اذا ظلم أوهم بالظلم ذهبت البركة فتاب الملك وعاهد ربه فى نفسه ان لا يأخذها ولا يحسد أحدا من الرعية فلما كان من الغد حلبت عادتها ومن المشهور بارض المغرب أن السلطان بلغه ان امرأة لها حديقة فيها القصب الحلو وان كل قصبة منها تعصر قدحا فعزم الملك على أخذها منها ثم أتاها وسألها عن ذلك فقالت نعم ثم انها عصرت قصبة فلم يخرج منها نصف قدح فقال لها أين الذى كان يقال فقالت هو الذى بلغك الا أن يكون السلطان قد عزم على أخذها منى فارتفعت البركة منها فتاب الملك وأخلص لله النية وعاهد الله أن لا يأخذها منها أبدا ثم أمرها فعصرت قصبة منها فجاءت ملء قدح (وحكى) سيدى أبو بكر الطرطوشى رحمه الله فى كتاب سراج الملوك قال حدثنى بعض الشيوخ عمن كان يروى الاخبار بمصر قال كان بصعيد مصر نخلة تحمل عشرة أرادب ولم يكن فى ذلك الزمان نخلة تحمل نصف ذلك فغصبها السلطان فلم تحمل شيأ فى ذلك العام ولا تمرة واحدة وقال لى شيخ من اشياخ الصعيد أعرف هذه النخلة وقد شاهدتها وهى تحمل عشرة أرادب ستين ويبة وكان صاحبها يبيعها فى سنى الغلاء كل ويبة بدينار (وحكى) أيضا رحمه الله تعالى قال شهدت فى الاسكندرية والصيد مطلق للرعية السمك يطفو على الماء لكثرته وكانت الاطفال تصيده بالخرق من جانب البحر ثم حجزه الوالى ومنع الناس من صيده فذهب السمك حتى لا يكاد يوجد الى يومنا هذا وهكذا تتعدى سرائر الملوك وعزائمهم ومكنون ضمائرهم الى الرعية ان خيرا فخير وان شرا فشر وروى أصحاب التواريخ فى كتبهم قالوا كان الناس اذا أصبحوا فى زمان الحجاج يتساءلون اذا تلاقوا من قتل البارحة ومن صلب ومن جلد ومن قطع وما أشبه ذلك وكان الوليد بن هشام صاحب ضياع واتخاذ مصانع فكان الناس يتساءلون فى زمانه عن البنيان والمصانع والضياع وشق الانهار وغرس الاشجار ولما ولى سليمان بن عبد الملك وكان صاحب طعام ونكاح كان الناس يتحدثون

السنين فى عشر مجلدات ومن مصنفاته كتابه المسمى بمظاهر الحقائق وسر الخلائق وهو كبير نفيس يدل على فضله وجمع عنده من الكتب ما لا مزيد عليه وكان فى خدمته ما ينا هز مائتى متعمم من الفقهاء والادباء والنحاة والمشتغلين بالحكمة والمنجمين والكتاب وأقامت دولته ثلاثين سنة وتوفى سنة عشر وستمائة ومن شعره

أربح راح وريحا
ن ومحبوب وشادى
والذى ساق لى المل
ك له دفع الاعادى

(قلت) وقد تقدم القول وقد تقرر ان جميع ملوك حماة المحروسة من بنى أيوب وكان لهم المام بالادب وأهله وقد تعين ان نذكر هنا ترجمة مؤيدهم فانه كان بدر كمالهم ومسك ختامهم وهو الملك المؤيد عماد الدين أبو الفداء اسمعيل بن الملك الافضل ابن الملك المظفر ابن الملك المنصور ابن الملك المظفر صاحب حماة المحروسة كان أميرا بدمشق المحروسة فخدم الملك الناصر لما كان بالكرك وبالغ فى خدمته فوعده بحماة ووفى له بذلك وجعله بها سلطانا يفعل فيها ما يشاء من اقطاع وغيره ليس لاحد من الدولة المصرية معه حديث واركبه فى القاهرة بشعار المملكة وأبهة السلطنة ومشى الامراء فى خدمته حتى الامير سيف الدين بن أرغون النائب وقام له القاضى كريم الدين بكل ما يحتاج اليه فى ذلك المهم من التشاريف والانعامات على وجوه الدولة ولقبوه بالملك الصالح ثم بعد ذلك بقليل لقب بالمؤيد وتقدم امر السلطان الملك الناصر الى نوابه ان يكتبوا اليه يقبل الارض والمقام الشريف العالى المولوى السلطانى الملكى المؤيدى العمادى وفى العنوان

ويتساءلون في الاطعمة الرفيعة ويتغالون في المناكح والسراري ويعمرون مجالسهم بذكر ذلك ولما ولي عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه كان الناس يتساءلون كم تحفظ من القرآن وكم وردك كل ليلة وكم يحفظ فلان وكم يختم وكم يصوم من الشهر وما أشبه ذلك فينبغي للامام أن يكون على طريقة الصحابة والسلف رضي الله عنهم ويقتدي بهم في الأقوال والأفعال فمن خالف ذلك فهو لا محالة هالك وليس فوق السلطان العادل منزلة الا نبي مرسل أو ملك مقرب وقد قيل ان مثله كمثل الرياح التي يرسلها الله تعالى بشرى بين يدي رحمته فيسوق بها السحاب ويجعلها لقاحا للثمرات وروحا للعباد ولو تتبعت ما جاء في العدل والانصاف وفضل الامام العادل لالفت في ذلك مجموعا جامعا لهذا المعنى ولكن اقتصرت على ما ذكرته مخافة أن يمله الناظر ويسأمه السامع وبالله التوفيق الى أقوم طريق وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم *

﴿الباب العشرون في الظلم وشؤمه وسوء عواقبه وذكر الظلمة وأحوالهم وغير ذلك﴾

قال الله تعالى ألا لعنة الله على الظالمين وقال تعالى ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون قيل هذا تسلية للمظلوم ووعيد للظالم وقال تعالى انا أعتدنا للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها وقال تعالى وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مشى مع ظالم ليعينه وهو يعلم أنه ظالم خرج من الاسلام وقال أيضا صلى الله عليه وسلم رحم الله عبدا كان لأخيه قبله مظلمة في عرض أو مال فأتاه فتحلله منها قبل أن يأتي يوم القيامة وليس معه دينار ولا درهم وقال أيضا صلى الله عليه وسلم من اقتطع حق امرئ مسلم أوجب الله له النار وحرم عليه الجنة فقال له رجل يا رسول الله ولو كان شيأ يسيرا قال ولو كان قضيبا من أراك وعن حذيفة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أوحى الله تعالى الي يا أخا المرسلين يا أخا المنذرين أنذر قومك فلا يدخلوا بيتا من بيوتي ولاحد من عبادي عند أحد منهم مظلمة فاني ألعنه ما دام قائما يصلي بين يدي حتى يرد تلك الظلامة الى أهلها فأكون سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويكون من أوليائي وأصفيائي ويكون جاري مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين في الجنة وعن علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم اياك ودعوة المظلوم فانما يسأل الله تعالى حقه وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال ما من عبد ظلم فشخص ببصره الى السماء الا قال الله عز وجل لبيك عبدي حقا لانصرنك ولو بعد حين وعنه أيضا أنه قال ألا ان الظلم ثلاثة فظلم لا يغفر وظلم لا يترك وظلم مغفور لا يطلب فاما الظلم الذي لا يغفر فالشرك بالله والعياذ بالله تعالى قال الله تعالى ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وأما الظلم الذي لا يترك فظلم العباد بعضهم بعضا وأما الظلم المغفور الذي لا يطلب فظلم العبد نفسه ومر رجل برجل قد صلبه الحجاج فقال يا رب وان حلمك على الظالمين قد أضر بالمظلومين فنام تلك الليلة فرأى في منامه ان القيامة قد قامت وكأنه قد دخل الجنة فرأى ذلك المصلوب في أعلى عليين واذا مناد ينادي حلمي على الظالمين أحل المظلومين في أعلى عليين وقيل من سلب نعمة غيره سلب نعمته غيره وسمع مسلم بن بشار رجلا يدعو على من ظلمه فقال له كل الظالم الى ظلمه فهو أسرع فيه من دعائك ويقال من طال عدوانه زال سلطانه وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه يوم المظلوم على الظالم أشد من يوم الظالم على المظلوم ورئي لوح في أفق السماء مكتوب فيه لا اله الا الله محمد رسول الله وتحته هذا البيت

فلم أر مثل العدل للمرء رافعا * ولم أر مثل الجور للمرء واضعا

وقال الشاعر

كنت الصحيح وكنا منك في سقم * فان سقمت فانا السالمون غدا
دعت عليك أكف طالما ظلمت * ولن ترديه مظلومة أبدا

وكان معاوية يقول اني لاستحي أن أظلم من لا يجد علي ناصرا الا الله وقال أبو العيناء كان لي خصوم ظلمة فشكوتهم الى أحمد بن أبي داود وقلت قد تظافروا علي وصاروا يدا واحدة فقال يد الله فوق أيديهم فقلت له ان لهم مكرا فقال ولا يحيق المكر السيء الا بأهله قلت هم فئة كثيرة فقال كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله وقال يوسف بن اسباط من دعا لظالم بالبقاء فقد أحب أن يعصي الله في أرضه وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال أبو القاسم صلى الله عليه وسلم من أشار الى أخيه بحديدة فان الملائكة تلعنه وان كان أخاه لابيه وأمه وقال مجاهد يسلط الله على أهل النار الجرب فيحكون أجسادهم حتى تبدو العظام فيقال لهم هل يؤذيكم هذا فيقولون أي والله فيقال لهم هذا بما كنتم تؤذون المؤمنين وقال ابن مسعود رضي الله عنه لما كشف الله

صاحب حماة وكان الملك الناصر يكتب اليه أخوه محمد بن قلاوون أعز الله المقام الشريف العالي السلطاني الملكي المؤيدي العمادي المولوي وكان الملك المؤيد من علماء الفقه والادب والطب والحكمة والهيئة ونظم الحاوي وله تاريخ بديع وكتاب الكناش وكتاب تقويم البلدان هذبه وجدوله وأجاد فيه ما شاء وله كتاب الموازين * وكان قد رتب للشيخ جمال الدين بن نباتة في كل شهر ألف درهم غير ما يتحفه وهو مقيم بدمشق وتوجه الملك المؤيد في بعض السنين الى الديار المصرية ومعه ابنه الملك الافضل محمد فمرض ولده فجهز اليه السلطان الحكيم جمال الدين بن المغربي رئيس الاطباء فكان يجيء اليه بكرة وعشيا فيراه ويبحث معه في مرضه ويقدر له الأدوية ويطبخ له الشراب بيده في دست فضة فقال له ابن المغربي يا مولانا السلطان أنت والله ما تحتاج الى المملوك وما أجيء الا امتثالا للاوامر الشريفة ولما عوفي أعطاه بغلة بسرج ذهب ولجام وكنبوش مزركش وعشرة آلاف درهم والدست الفضة وقال يا رئيس اعذرني فاني لما خرجت من حماة ما حسبت مرض هذا الولد ومدحه شعراء زمانه وأجازهم وبنى بظاهر حماة المحروسة جامعا حسنا وسماه جامع الدهيشة وأوقف عليه كتبا قيل انها ما اجتمعت لغيره من سائر الفنون فانه اجتهد في جمعها من سائر البلاد شرقا وغربا وتوفي رحمه الله سنة اثنتين وثمانين وسبعمائة ومن شعره

كم من دم حلت وما ندمت
تفعل ما تشتهي فلا عدمت
سمعت فلو تبلغ الشمس الى
لثم مواطئ أقدامها لثمت

(والمنقول عن القاسم المكنى بأبي دلف) انه جمع بين طرفي الكرم

العذاب عن قوم يونس عليه السلام ترادوا المظالم بينهم حتى كان الرجل ليقلع الحجر من أساسه فيرده الى صاحبه وقال أبو ثور بن يزيد الحجر في البنيان من غير حله عربون على خرابه وقال غيره لو أن الجنة وهي دار البقاء أسست على حجر من الظلم لاوشك أن تخرب وقال بعض العلماء اذكر عند الظلم عدل الله فيك وعند القدرة قدرة الله عليك لا يعجبك رحب الذراعين سفاك الدماء فان له قاتلا لا يموت وقال سحنون بن سعيد كان يزيد بن حاتم يقول ما هبت شيأ قط هيبتي من رجل ظلمته وأنا أعلم أن لا ناصر له الا الله فيقول حسبك الله الله بيني وبينك وقال بلال بن مسعود اتق الله فيمن لا ناصر له الا الله * وبكى على بن الفضل يوما فقيل له ما يبكيك قال أبكي على من ظلمني اذا وقف غدا بين يدى الله تعالى ولم تكن له حجة وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تعالى اشتد غضبي على من ظلم من لا يجد له ناصرا غيري * ونادى رجل سليمان بن عبد الملك وهو على المنبر ياسليمان اذكر يوم الأذان فنزل سليمان من على المنبر ودعا بالرجل فقال له ما يوم الأذان فقال قال الله تعالى فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين قال فما ظلامتك قال أرض لي بمكان كذا وكذا أخذها وكيلك فكتب الى وكيله ادفع اليه أرضه وأرضا مع أرضه وروى أن كسرى أنوشروان كان له معلم حسن التأديب يعلمه حتى فاق في العلوم فضربه المعلم يوما من غير ذنب فاوجعه فحقد أنوشروان عليه فلما ولى الملك قال للمعلم ما حملك على ضربي يوم كذا وكذا ظلما فقال له لما رأيتك ترغب في العلم رجوت لك الملك بعد أبيك فأحببت أن أذيقك طعم الظلم لئلا تظلم فقال أنوشروان زه زه * وقال محمد بن سويد وزير المأمون

فلا تأمن الدهر حر ظلمته * فما ليل حر ان ظلمت بنائم

وروى أن بعض الملوك رقم على بساطه

لا تظلمن اذا ما كنت مقتدرا * فالظلم مصدره يفضي الى الندم

تنام عيناك والمظلوم منتبه * يدعو عليك وعين الله لم تنم

وما أحسن ما قال الآخر

أتهزأ بالدعاء وتزدريه * وما تدرى بما صنع الدعاء

سهام الليل نافذة ولكن * لها أمد وللأمد انقضاء

فيمسكها اذا ما شاء ربي * ويرسلها اذا نفذ القضاء

وقال أبو الدرداء اياك ودمعة اليتيم ودعوة المظلوم فانها تسرى بالليل والناس نيام وقال الهيثم بن فراس السامي من بني سامة بن لؤي في الفضل بن مروان

تجبرت يا فضل بن مروان فاعتبر * فقبلك كان الفضل والفضل والفضل

ثلاثة أملاك مضوا لسبيلهم * أبادهم الموت المشتت والقتل

يريد الفضل بن الربيع والفضل بن يحيي والفضل بن سهل * ووجدت تحت فراش يحيي بن خالد البرمكي رقعة مكتوب فيها

وحق الله ان الظلم لوم * وان الظلم مرتعه وخيم

الى ديان يوم الدين نمضي * وعند الله تجتمع الخصوم

ووجد القاسم بن عبيد الله وزير المكتفي في مصلاه رقعة مكتوبا فيها

بغي ولا بغي سهام تنتظر * تنفذ في الاحشاء من وخز الابر * سهام أيدى القانتين في السحر

وقال المنصور بن المعتمر لابن هبيرة حين أراد أن يوليه القضاء ما كنت لألي هذا بعد ما حدثني ابراهيم قال وما حدثك ابراهيم قال حدثني عن علقمة عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيامة نادى مناد أين الظلمة وأعوان الظلمة وأشياع الظلمة حتى من برى لهم قلما اولاق لهم دواة فيجمعون في تابوت من حديد ثم يرمى بهم في نار جهنم وروى هرون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال جلس أبي للمظالم يوما فلما انقضى المجلس رأى رجلا جالسا فقال له ألك حاجة قال نعم أدنني اليك فاني مظلوم وقد اعوزني العدل والانصاف قال ومن ظلمك قال أنت ولست أصل اليك فاذكر حاجتي قال وما يحجبك وقد ترى مجلسي مبذولا قال يحجبني عنك هيبتك وطول لسانك وفصاحتك قال ففيم ظلمتك قال في ضيعتي الفلانية أخذها وكيلك غصبا مني بغير ثمن فاذا وجب عليها خراج أديته باسمي لئلا يثبت لك اسم في ملكها فيبطل ملكي فوكيلك يأخذ غلتها وأنا أؤدي خراجها وهذا لم يسمع بمثله في المظالم فقال له محمد هذا قول تحتاج معه الى بينة وشهود

والشجاعة ولي دمشق في خلافة المعتصم فاما شجاعته فانه لحق قوما من الاكراد قطعوا الطريق فطعن فارسا طعنة فنفذت الطعنة الى فارس آخر رديفه فقتلهما فقال بكر ابن النطاح

قالوا وينظم فارسين بطعنة
يوم الهياج ولا تراه كليلا
لا تعجبوا فلو ان طول قناته
ميل اذا نظم الفوارس ميلا

وفيه يقول ابن عنق

عشى المنايا الى غيري فأكرهها
فكيف أمشي اليها بارز الكتف
ظننت أن نزال القرن من خلقي
وان قلبي من جنبي أبي دلف

وأما شهرته في الكرم فهو الذي قال فيه أبو تمام

يا طالبا للكيمياء وعلمها
مدح ابن عيسى الكيمياء الاعظم
لو لم يكن في الارض الا درهم
ومدحته لاتاك ذاك الدرهم

ودخل عليه بعض الشعراء فأنشد أبو دلف

ان المكارم لم تزل
مغلغلة تشكو الى الله حالها
فبشرها منه بميلاد قاسم
فارسل جبريلا اليها فحلها

فامر له بمال فقال الخازن لم يكن هذا القدر ببيت المال فامر له بضعفه فقال هذا غير ممكن فامر له بضعفه فلما حمل اليه المال قال أبو دلف

أتعجب ان رأيت على دينا
وان ذهب الطريف مع التلاد
وما وجبت على زكاة مال
وهل تجب الزكاة على جواد

وقال آخر

ان سار سار المجد أو حل وقف
أنظر بعينيك الى أسنى الشرف
هل ناله بقدرة أو بكلف
خلق من الناس سوى أبي دلف

فاعطاه خمسين ألف درهم وفيه يقول العكوك بن علي بن أبي جبلة

انما الدنيا أبو دلف

وأشياء فقال له الرجل أيؤمنني الوزير من غضبه حتى أجيب قال نعم قد أمنتك قال البينة هم الشهود واذا شهدوا فليس يحتاج معهم الى شيء آخر فما معنى قولك بينة وشهود وأشياء وأي شيء هذه الاشياء ان هي الا الجور وعدولك عن العدل فضحك محمد وقال صدقت والبلاء موكل بالمنطق واني لأرى فيك مصطنعا ثم وقع له برد ضيعته وأن يطلق له مائة دينار يستعين بها على عمارة ضيعته وصيره من أصحابه فكان قبل أن يتوصل الى الانصاف واعادة ضيعته له يقال له يا فلان كيف الناس فيقول بشر بين مظلوم لا ينصر وظالم لا ينتصر فلما صار من أصحاب محمد بن عبد الملك ورد عليه ضيعته وأنصفه قال له ليلة كيف الناس الآن قال بخير قد اعتمدت معهم الأنصار ورفعت عنهم الاجحاف ووردت عليهم الغصوب وكشفت عنهم الكروب وأنا أرجو لهم ببقائك نيل كل مرغوب والفوز بكل مطلوب ﴿ومما نقل﴾ في الآثار الاسرائيلية في زمان موسى صلوات الله وسلامه عليه أن رجلا من ضعفاء بني اسرائيل كان له عائلة وكان صيادا يصطاد السمك ويقوت منه أطفاله وزوجته فخرج يوما للصيد فوقع في شبكته سمكة كبيرة ففرح بها ثم أخذها ومضى الى السوق ليبيعها ويصرف ثمنها في مصالح عياله فلقيه بعض العوانية فرأى السمكة معه فأراد أخذها منه فمنعه الصياد فرفع العواني خشبة كانت بيده فضرب بها رأس الصياد ضربة موجعة وأخذ السمكة منه غصبا بلا ثمن فدعا الصياد عليه وقال الهي جعلتني ضعيفا وجعلته قويا عنيفا فخذ لي بحقي منه عاجلا فقد ظلمني ولا صبر لي الى الآخرة ثم ان ذلك الغاصب الظالم انطلق بالسمكة الى منزله وسلمها الى زوجته وأمرها أن تشويها فلما شوتها قدمتها له ووضعتها بين يديه على المائدة ليأكل منها ففتحت السمكة فاها ونكزته في أصبع يده نكزة طار بها عقله وصار لا يقر به قراره فقام وشكا الى الطبيب ألم يده وما حل به فلما رآها قال له دواؤها أن تقطع الاصبع لئلا يسري الألم الى بقية الكف فقطع أصبعه فانتقل الألم والوجع الى الكف واليد وازداد التألم وارتعدت من خوفه فرائصه فقال له الطبيب ينبغي أن تقطع اليد الى المعصم لئلا يسري الألم الى الساعد فقطعها فانتقل الألم الى الساعد فما زال هكذا كلما قطع عضوا انتقل الألم الى العضو الآخر الذي يليه فخرج هائما على وجهه مستغيثا الى ربه ليكشف عنه ما نزل به فرأى شجرة فقصدها فأخذه النوم عندها فنام فرأى في منامه قائلا يقول له يا مسكين الى كم تقطع أعضاءك امض الى خصمك الذي ظلمته فأرضه فانتبه من النوم وفكر في أمره فعلم أن الذي أصابه من جهة الصياد فدخل المدينة وسأل عن الصياد وأتى اليه فوقع بين يديه يتمرغ على رجليه وطلب منه الاقالة مما جناه ودفع اليه شيأ من ماله وتاب من فعله فرضي عنه خصمه الصياد فسكن في الحال ألمه وبات تلك الليلة فرد الله تعالى عليه يده كما كانت ونزل الوحي على موسى عليه السلام يا موسى وعزتي وجلالي لولا أن ذلك الرجل أرضى خصمه لعذبته مهما امتدت به حياته ﴿ومما تضمنته أخبار الأخيار﴾ ما رواه أنس رضي الله عنه قال بينما أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قاعد اذ جاءه رجل من أهل مصر فقال يا أمير المؤمنين هذا مقام العائذ بك فقال عمر رضي الله عنه لقد عذت بمجير فما شأنك فقال سابقت بفرسي ابنا لعمرو بن العاص وهو يومئذ أمير على مصر فجعل يقنعني بسوطه ويقول أنا ابن الاكرمين فبلغ ذلك عمرا أباه فخشي أن آتيك فحبسني في السجن فانفلت منه فهذا الحين أتيتك فكتب عمر بن الخطاب الى عمرو بن العاص اذا أتاك كتابي هذا فاشهد الموسم أنت وولدك فلان وقال للمصري أقم حتى يأتيك فأقام حتى قدم عمرو وشهد موسم الحج فلما قضى عمر الحج وهو قاعد مع الناس وعمرو بن العاص وابنه الى جانبه قام المصري فرمى اليه عمر رضي الله عنه بالدرة قال أنس رضي الله عنه فلقد ضربه ونحن نشتهي أن يضربه فلم ينزع حتى أحببنا أن ينزع من كثرة ما ضربه وعمر يقول اضرب ابن الاكرمين قال يا أمير المؤمنين قد استوفيت واشتفيت قال ضعها على صلع عمرو فقال يا أمير المؤمنين لقد ضربت الذي ضربني قال أما والله لو فعلت ما منعك أحد حتى تكون أنت الذي تنزع ثم أقبل على عمرو بن العاص وقال يا عمرو متى تعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا فجعل عمرو يعتذر اليه ويقول اني لم أشعر بهذا * وقيل لما ظلم أحمد بن طولون قبل أن يعدل استغاث الناس من ظلمه وتوجهوا الى السيدة نفيسة يشكونه اليها فقالت لهم متى يركب قالوا في غد فكتبت رقعة ووقفت بها في طريقه وقالت يا أحمد يا ابن طولون فلما رآها عرفها فترجل عن فرسه وأخذ منها الرقعة وقرأها فاذا فيها ملكتم فأسرتم وقدرتم فقهرتم وخولتم ففسقتم ووردت اليكم الارزاق فقطعتم هذا وقد علمتم أن سهام الاسحار نافذة غير مخطئة لا سيما من قلوب

أوجعتموها

بين باديه ومحتضره
فاذا ولى أبو دلف
ولت الدنيا على أثره
كل من في الأرض من عرب
بين باديه الى حضره
مستعير منك مكرمة
يكتسبها يوم مفتخره
فأعطاه أبو دلف مائة ألف درهم ولما بلغت المأمون غضب غضبا شديدا على العكوك فطلب فهرب فاجتهدوا الى أن جاؤا به مقيدا فلما صار بين يديه قال له يا ابن اللخناء أنت القائل في مدحك لأبي دلف كل من في الأرض من عرب البيتين جعلتنا ممن يستعير المكارم منه ويفتخر بها فقال يا أمير المؤمنين أنتم أهل بيت لا يقاس بكم لان الله تعالى اختصكم لنفسه على عباده وآتاكم الكتاب والحكم وانما ذهبت في شعري لاقران وأشكال أبي دلف فقال والله ما أبقيت من أحد ولقد أدخلتنا في الكل وما أستحل دمك بهذا ولكن بكفرك حيث قلت في عبد ذليل مهين
أنت الذي تنزل الآيات منزلها
وتنقل الدهر من حال الى حال
وما نظرت مدى طرف الى أحد
الا قضيت بأرزاق وآجال
ذلك هو الله يا كافر اخرجوا لسانه من قفاه ففعلوا به ذلك فمات * ومن مصنفاته كتاب البزاة والصيد وكتاب السلاح وكتاب النزه وكتاب سياسة الملوك وكانت له اليد الطولى في الغناء وهو مترجم بذلك في كتاب الاغاني وذكر أبو عبيدة في كتاب مثالب أهل البصرة أن النضر بن شميل النحوي البصري كان عالما بفنون من العلم صاحب غريب وفقه وشعر ومعرفة بأيام العرب ورواية الحديث وهو من أصحاب الخليل بن أحمد فاتفق ان ضاقت به المعيشة ورق حاله فخرج يريد خراسان فشيعه من أهل البصرة ثلاثة

أوجعتموها وأكبادجوعتموها وأجسادعريتموها فمحال أن يموت المظلوم ويبقى الظالم اعملوا ماشئتم فانا صابرون وجوروا فانا بالله مستجيرون واظلموا فانا الى الله متظلمون وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون قال فعدل لوقته ﴿وحكى﴾ أن الحجاج حبس رجلا فى حبسه ظلما فكتب اليه رقعة فيها قدمضى من بؤسنا أيام ومن نعيمك أيام والموعد يوم القيامة والسجن جهنم والحاكم لا يحتاج الى بينة وكتب فى آخرها

ستعلم يانؤم اذا التقينا * غدا عند الاله من الظلوم
أما والله ان الظلم لؤم * ومازال الظلوم هو الملوم
سينقطع التلذذ عن أناس * أداموه وينقطع النعيم
الى ديان يوم الدين نمضى * وعند الله تجتمع الخصوم

﴿وحكى﴾ أبو محمد الحسين بن محمد الصالحى قال كنا حول سرير المعتضد بالله ذات يوم نصف النهار فنام بعد أن أكل فانتبه منزعجا وقال ياخدم فأسرعنا الجواب فقال ويلكم أعينونى والحقوا بالشط فأول ملاح ترونه منحدرا فى سفينة فارغة فاقبضوا عليه وائتونى به ووكلوا بالسفينة من يحفظها فأسرعنا فوجدنا ملاحا فى سفينة منحدرة وهى فارغة فقبضنا عليه ووكلنا بها من يحفظها وصعدنا به الى المعتضد فلما رآه الملاح كاد يتلف فصاح عليه المعتضد صيحة عظيمة كادت روحه تذهب منها وقال أصدقنى ياملعون عن قضيتك مع المرأة التى قتلتها اليوم والاضربت عنقك فتلعثم وقال نعم كنت سحرا فى المشرعة الفلانية فنزلت امرأة لم أر مثلها عليها ثياب فاخرة وحلى كثير وجواهر فطمعت فيها واحتلت عليها حتى سددت فاها وغرقتها وأخذت جميع ما كان عليها ثم طرحتها فى الماء ولم أجسر على حمل سلبها الى دارى لئلا يفشو الخبر علىّ فعولت على الهروب والانحدار الى واسط فصبرت الى أن خلا الشط فى هذه الساعة من الملاحين وأخذت فى الانحدار فتعلق بى هؤلاء القوم فحملونى اليك فقال وأين الحلى والسلب قال فى صدر السفينة تحت البوارى قال المعتضد علىّ به الساعة فأحضروا به فأمر بتغريق الملاح ثم أمر أن ينادى ببغداد من خرجت له امرأة الى المشرعة الفلانية سحرا وعليها ثياب فاخرة وحلى فليحضر فحضر فى اليوم الثانى أهلها وأعطوا صفتها وصفة ما كان عليها فسلم ذلك اليهم قال فقلت يامولاى من أعلمك أو أوحى اليك بهذه الحالة وأمر هذه الصبية فقال بل رأيت فى منامى رجلا شيخا أبيض الرأس واللحية والثياب وهو ينادى ياأحمد أول ملاح ينحدر الساعة فاقبض عليه وقرره على المرأة التى قتلها اليوم ظلما وسلبها ثيابها وأقم عليه الحد ولا يفتك فكان ماشاهدتم * فيتعين على كل ولى أمر أن يعدل فى الأحكام وأن ينبصر فى رعيته وعلى كل عاقل أن يكف يده عن الظلم ويسلك سنن العدل ويعامل بالنصفة ويراقب الله فى السر والعلانية ويعلم أن الله يجازى على الخير والشر ويعاقب الظالم على ظلمه وينتصر للمظلوم ويأخذ له حقه ممن ظلمه واذا أخذ الظالم لم يفلته والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب واليه المرجع والمآب وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا الى يوم الدين والحمد لله رب العالمين

﴿الباب الحادى والعشرون فى بيان الشروط التى تؤخذ على العمال وسيرة السلطان فى استجباء الخراج وأحكام أهل الذمة وفيه فصلان﴾

﴿الفصل الأول فى سيرة السلطان فى استجباء الخراج والانفاق من بيت المال وسيرة العمال﴾ قال جعفر ابن يحيى الخراج عماد الملك وما استعزوا بمثل العدل وما استنذروا بمثل الظلم وأسرع الامور فى خراب البلاد تعطيل الأرضين وهلاك الرعية وانكسار الخراج من الجور ومثل السلطان اذا أجحف بأهل الخراج حتى يضعفوا عن عمارة الأرضين مثل من يقطع لحمه ويأكله من الجوع فهو ان شبع من ناحية فقد ضعف من ناحية أخرى وما أدخل على نفسه من الضعف والوجع أعظم مما دفع عن نفسه من ألم الجوع ومثل من كلف الرعية فوق طاقتهم كالذى يطين سطحه بتراب أساس بيته واذا ضعف المزارعون عجزوا عن عمارة الأرضين فيتركونها فتخرب الأرض ويهرب المزارعون فتضعف العمارة ويضعف الخراج وينتج من ذلك ضعف الأجناد واذا ضعف الجند طمع الأعداء فى السلطان (وروى) ان المأمون أرق ذات ليلة فاستدعى سميرا يحدثه فقال ياأمير المؤمنين كان بالموصل بومة وبالبصرة بومة فخطبت بومة الموصل بنت بومة البصرة لابنها فقالت بومة البصرة لا أجيب خطبة ابنك حتى تجعل لى فى صداق بنتى مائة ضيعة خربة فقالت بومة الموصل لا أقدر عليها

آلاف رجل مافيهم الامحدث أو نحوى أو عروضى أو لغوى أو اخبارى أو فقيه فلما بعدوا عن المدينة جلس فقال ياأهل البصرة يعز على فراقكم والله لو وجدت كل يوم أكلة باقلاء مافارقتكم قال فلم يكن أحد فيهم يتكلف له ذلك القدر اليسير وسار حتى وصل الى خراسان فاستفاد بها مالا عظيما فمن ذلك انه أخذ على حرف ثمانين ألف درهم وهذه القصة نقلها الحريرى صاحب المقامات فى كتابه المسمى بدرة الغواص فى أوهام الخواص قال حكى عن محمد بن ناصح الاهوازى قال حدثنى النضر بن شميل المازنى قال كنت أدخل على المأمون فى سمره فدخلت ذات ليلة وعلى قميص مرقوع فقال يانضر ماهذا التقشف حتى تدخل على أمير المؤمنين فى هذه الخلقان قلت ياأمير المؤمنين أنا رجل كبير وضعيف وحر مرو شديد فأتبرد بهذه الخلقان قال لا ولكنك قشف ثم أجرينا الحديث فأجرى ذكر النساء فقال حدثنى هشام عن مجاهد عن الشعبى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا تزوج الرجل المرأة لجمالها ودينها كانت سدادا من عوز بفتح السين من سداد فقلت صدق ياأمير المؤمنين هشام حدثنا عوف عن ابن أبى جميلة عن الحسن عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا تزوج الرجل المرأة لدينها وجمالها كانت سدادا من عوز بكسر السين قال وكان أمير المؤمنين متكئا فاستوى جالسا وقال يانضر كيف قلت سدادا قلت نعم ياأمير المؤمنين لان سدادا بالفتح هنا لحن قال أو تلحننى قلت انما لحن هشام وكان لحانة فتتبع أمير المؤمنين لفظه قال فما الفرق بينهما قلت

لكن ان دام والينا سلمه الله علينا سنة واحدة فعلت ذلك قال فاستيقظ لها المأمون وجلس للظالم وأنصف الناس بعضهم من بعض وتفقد أمور الولاة والعمال والرعية * وقال أبو الحسن بن على الأسدى أخبرنى أبى قال وجدت فى كتاب قبطى باللغة الصعيدية مما نقل بالعربية أن مبلغ ما كان يستخرج لفرعون فى زمن يوسف الصديق صلوات الله وسلامه عليه من أموال مصر لخراج سنة واحدة من الذهب العين أربعة وعشرون ألف ألف وأربعمائة ألف دينار من ذلك ما ينصرف فى عمارة البلاد كحفر الخلجان والانفاق على الجسور وسد الترع وتقوية من يحتاج الى التقوية من غير رجوع عليه بها لاقامة العوامل والتوسعة فى البلدان وغير ذلك من الآلات وأجرة من يستعان به لحل البذر وسائر نفقات تطبيق الأرض ثمانمائة ألف دينار ولما ينصرف للارامل والايتام وان كانوا غير محتاجين حتى لا يخلو أمثالهم من بر فرعون أربعمائة ألف دينار ولما ينصرف لكهنتهم وبيوت صلاتهم مائتا ألف دينار ولما ينصرف فى الصدقات مما يصب صبا وينادى عليه برئت الذمة من رجل كشف وجهه لفاقة ولم يحضر فيحضر لذلك جمع كثير مائتا ألف دينار فاذا فرقت الاموال على أربابها دخل أمناء فرعون اليه وهنؤه بتفرقة الاموال ودعوا له بطول البقاء ودوام العز والنعماء والسلامة وأنهوا اليه حال الفقراء فيأمر باحضارهم وتغيير شعثهم ويمد لهم السماط فيأكلون بين يديه ويشربون ويستفهم من كل واحد منهم عن سبب فاقته فان كان ذلك من آفة الزمان زاد عليه مثل الذى كان له ولما ينصرف فى نفقات فرعون الراتبة فى كل سنة مائتا ألف دينار ويفضل بعد ذلك مما يسلمه يوسف الصديق عليه السلام للملك ويجعله فى بيت المال لنوائب الزمان أربعة عشر ألف ألف وستمائة ألف دينار * وقال أبو رهم كانت أرض مصر أرضا مدبرة حتى ان الماء ليجرى تحت منازلها وأفنيتها فيحبسونه حيث شاؤا ويرسلونه حيث شاؤا وذلك قول فرعون أليس لى ملك مصر وهذه الانهار تجرى من تحتى الآية وكان ملك مصر عظيما لم يكن فى الارض أعظم منه ملكا وكانت الجنان بحافتى النيل متصلة لا ينقطع منها شئ عن شئ والزروع كذلك من أسوان الى رشيد وكانت أرض مصر كلها تروى من ستة عشر ذراعا لما دبروا من جسورها وحافاتها والزروع ما بين الجبلين من أولها الى آخرها وذلك قوله تعالى كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم (وقال) عبد الله بن عمر رضى الله عنهما استعمل فرعون هامان على حفر خليج سردوس فاخذ فى حفره وتدبيره فجعل أهل القرى يسألونه أن يجرى لهم الخليج تحت قراهم ويعطوه مالا فكان يذهب به من قرية الى قرية من المشرق الى المغرب ومن الشمال الى القبلة ويسوقه كيف أراد والى حيث قصد فليس خليج بمصر أكثر عطوفا منه فاجتمع له من ذلك أموال عظيمة جزيلة فحملها الى فرعون وأخبره بالخبر فقال له فرعون انه ينبغى للسيد أن يعطف على عبيده ويفيض عليهم من خزائنه وذخائره ولا يرغب فيما بايديهم رد على أهل القرى أموالهم فرد عليهم ما أخذه منهم * فاذا كانت هذه سيرة من لا يعرف الله ولا يرجو لقاءه ولا يخاف عذابه ولا يؤمن بيوم الحساب فكيف تكون سيرة من يقول لا اله الا الله محمد رسول الله ويوقن بالحساب والثواب والعقاب وقال ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى اجعلنى على خزائن الأرض قال هى خزائن مصر ولما استوثق أمر مصر ليوسف عليه السلام وكل وصارت الأشياء اليه وأراد الله تعالى أن يعوضه على صبره لما لم يرتكب محارمه وكانت مصر أربعين فرسخا فى مثلها وما أطاع يوسف فرعون وهو الريان بن مصعب وناب عنه الا بعد ان دعاه الى الاسلام فاسلم وكانت السنون التى حصل فيها الغلاء والجوع مات العزيز وتملك يوسف وافتقرت زليخا وعمى بصرها فجعلت تتكفف الناس فقيل لها لو تعرضت للملك لعله يرحمك ويعينك ويغنيك فطالما كنت تحفظينه وتكرمينه ثم قيل لها لا تفعلى لانه ربما يتذكر ما كان منك اليه من المراودة والحبس فيسئ اليك ويكافئك على ما سبق منك اليه فقالت أنا أعلم بحلمه وكرمه فجلست له على رابية فى طريقه يوم خروجه وكان يركب فى زهاء مائة ألف من عظماء قومه وأهل مملكته فلما أحست به قامت ونادت سبحان من جعل الملوك عبيدا بمعصيتهم والعبيد ملوكا بطاعتهم فقال يوسف عليه السلام من أنت فقالت انا التى كنت اخدمك بنفسى وارجل شعرك بيدى وأكرم مثواك بجهدى وكان منى ما كان وقد ذقت وبال أمرى وذهبت قوتى وتلف مالى وعمى بصرى وصرت أسأل الناس فمنهم من يرحمنى ومنهم من لا يرحمنى وبعدما كنت مغبوطة أهل مصر كلها صرت مرحومتهم بل محرومتهم وهذا جزاء المفسدين فبكى يوسف عليه السلام بكاء شديدا وقال لها هل بقى فى قلبك

السداد بالفتح القصد فى الدين والسبيل والسداد بالكسر البلغة وكل ما سددت به شيأ فهو سداد قال أوتعرف العرب ذلك قلت نعم هذا العرجى يقول

أضاعونى وأى فتى أضاعوا
ليوم كريهة وسداد ثغر

فقال المأمون قبح الله من لا أدب له وأطرق مليا ثم قال ما مالك يا نضر قلت أريضة لى بمرو قال أفلا نفيدك معها مالا قلت انى الى ذلك لمحتاج قال فاخذ القرطاس وأنا لا أدرى ما يكتب ثم قال كيف تقول اذا أمرت أن يترب قلت أتربه قال فهو ماذا قلت مترب قال فمن الطين قلت أطنه قال فهو ماذا قلت مطين قال هذه أحسن من الاولى ثم قال يا غلام أتربه ثم صلى بنا العشاء ثم قال لغلامه تبلغ النضر الى الفضل ابن سهل قال فلما قرأ الفضل الكتاب قال يا نضر ان أمير المؤمنين قد أمر لك بخمسين ألف درهم فما كان السبب فاخبرته ولم أكذبه شيأ فقال ألحنت أمير المؤمنين قلت كلا انما لحن هشام وكان لحانة فتتبع أمير المؤمنين لفظه وقد تتبع ألفاظ الفقهاء ورواة الآثار ثم أمر لى الفضل بثلاثين ألف درهم فاخذت ثمانين ألف درهم بحرف واحد انتهى * وحكى ان النضر بن شميل مرض فدخل عليه قوم يعودونه فقال له رجل منهم يكنى أبا صالح مسح الله ما بك فقال لا تقل مسح بالسين ولكن قل مصح الله بالصاد أى أذهبه وفرقه أما سمعت قول الاعشى

واذا ما الخمر فيها أزبدت
أفل الازباد فيها ومصح

فقال له الرجل ان السين قد تبدل بالصاد كما يقال الصراط والسراط وصقر وسقر فقال له النضر فانت اذا أبو سالح (قلت) ويشبه هذه النادرة ما حكى أن بعض الادباء

من حبك اياى شئ قالت نعم والذى اتخذ ابراهيم خليلا لنظرة اليك أحب الى من ملء الارض ذهبا وفضة فمضى يوسف وأرسل اليها يقول ان كنت أيما تزوجناك وان كنت ذات بعل أغنيناك فقالت لرسول الملك أنا أعرف أنه يستهزئ بى هو لم يردنى فى أيام شبابى وجمالى فكيف يقبلنى وأنا عجوز عمياء فأمر بها يوسف عليه السلام فجهزت وتزوج بها وأدخلت عليه فصف يوسف عليه السلام قدميه وقام يصلى ودعا الله تعالى باسمه العظيم الاعظم فرد الله عليها حسنها وجمالها وشبابها وبصرها كهيئتها يوم راودته فواقعها فاذا هى بكر فولدت له افرائيم بن يوسف ومنشا بن يوسف وطاب فى الاسلام عيشهما حتى فرق الموت بينهما فينبغى للقوى أن لا ينسى الضعيف وللغنى أن لا ينسى الفقير فرب مطلوب يصير طالبا ومرغوب فيه يصير راغبا ومسؤل يصير سائلا وراحم يصير مرحوما فنسأل الله تعالى أن يرحمنا برحمته ويغنينا بفضله * ولما ملك يوسف عليه السلام خزائن الارض كان يجوع ويأكل من خبز الشعير فقيل له أتجوع وبيدك خزائن الارض فقال أخاف أن أشبع فأنسى الجائع ﴿ومن حسن سيرة العمال﴾ ماروى أن عمر رضى الله عنه استعمل على حمص رجلا يقال له عمير ابن سعد فلما مضت السنة كتب اليه عمر رضى الله عنه أن اقدم علينا فلم يشعر عمر الا وقد قدم عليه ماشيا حافيا عكازته بيده واداوته ومزوده وقصعته على ظهره فلما نظر اليه عمر قال له ياعمير أجئتنا أم البلاد بلاد سوء فقال ياأمير المؤمنين أما نهاك الله أن تجهر بالسوء وعن سوء الظن وقد جئت اليك بالدنيا أجرها بقرابها فقال له وما معك من الدنيا قال عكازة أتوكأ عليها وأدفع بها عدوا ان لقيته ومزود أحمل فيه طعامى واداوة أحمل فيها ماء لشربى ولطهورى وقصعة أتوضأ فيها وأغسل فيها رأسى وآكل فيها طعامى فوالله ياأمير المؤمنين ما الدنيا بعد الا تبع لما معى قال فقام عمر رضى الله عنه من مجلسه الى قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر رضى الله عنه فبكى بكاء شديدا ثم قال اللهم ألحقنى بصاحبى غير مفتضح ولا مبدل ثم عاد الى مجلسه فقال ما صنعت فى عملك ياعمير فقال أخذت الابل من أهل الابل والجزية من أهل الذمة عن يد وهم صاغرون ثم قسمتها بين الفقراء والمساكين وأبناء السبيل فوالله ياأمير المؤمنين لو بقى عندى منها شئ لآتينك به فقال عمر عد الى عملك ياعمير قال أنشدك الله ياأمير المؤمنين أن تردنى الى أهلى فأذن له فأتى اهله فبعث عمر رجلا يقال له حبيب بمائة دينار وقال له اختبر لى عميرا وانزل عليه ثلاثة أيام حتى ترى حاله هل هو فى سعة أم ضيق فان كان فى ضيق فادفع اليه المائة دينار فأتاه حبيب فنزل به ثلاثا فلم ير له عيشا الا الشعير والزيت فلما مضت ثلاثة أيام قال ياحبيب ان رأيت أن تتحول الى جيراننا فلعلهم أن يكونوا أوسع عيشا منا فانا والله وتالله لو كان عندنا غير هذا لآثرناك به قال فدفع اليه المائة دينار وقال قد بعث بها أمير المؤمنين اليك فدعا بفرو خلق لامرأته فجعل يصر منها الخمسة دنانير والستة والسبعة ويبعث بها الى اخوانه من الفقراء الى أن أنفدها فقدم حبيب على عمر وقال جئتك ياأمير المؤمنين من عند أزهد الناس وما عنده من الدنيا قليل ولا كثير فأمر له عمر بوسقين من طعام وثوبين فقال ياأمير المؤمنين أما الثوبان فأقبلهما وأما الوسقان فلا حاجة لى بهما عندى لأهلى صاع من بر هو كافيهم حتى أرجع اليهم (وروى) أن عمر رضى الله عنه صر أربعمائة دينار وقال للغلام اذهب بها الى أبى عبيدة بن الجراح ثم تربص عنده فى البيت ساعة حتى تنظر ما يصنع بها فذهب بها الغلام اليه وقال له يقول لك أمير المؤمنين عمر بن الخطاب اجعل هذه فى بعض حوائجك قال وصله الله ورحمه ثم دعا بجارية وقال لها اذهبى بهذه السبعة الى فلان وبهذه الخمسة الى فلان حتى أنفدها فرجع الغلام الى عمر وأخبره فوجده قد عد مثلها لمعاذ بن جبل فقال له انطلق بها الى معاذ بن جبل وانظر ما يكون من أمره فمضى اليه وقال كما قال لأبى عبيدة بن الجراح ففعل معاذ كما فعل أبو عبيدة فرجع الغلام فأخبر عمر فقال انهم اخوة بعضهم من بعض رضى الله تعالى عنهم أجمعين

﴿الفصل الثانى فى أحكام أهل الذمة﴾ روى عن عبد الرحمن بن غنم قال كتبنا لعمر بن الخطاب رضى الله عنه حين صالح نصارى أهل الشام بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من نصارى مدينة كذا الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب انكم لما قدمتم علينا سألنا كم الأمان لأنفسنا وذرارينا وأموالنا وأهل ملتنا وشرطنا لكم على أنفسنا أن لا نحدث فى مدائننا ولا فيما حولها كنيسة ولا ديرا ولا قلية ولا صومعة راهب ولا نجدد ما خرب منها ولا ما كان مختطا منها فى خطط المسلمين فى ليل ولا نهار وأن نوسع أبوابها للمار وابن السبيل وان ننزل من

حوز بحضرة الوزير أبى الحسن بن الفرات أن تقام السين مقام الصاد فى كل موضع فقال الوزير أتقول جنات عدن يدخلونها ومن سلح من آبائهم أم سلح فخجل الرجل وانقطع والذى ذكره أرباب اللغة فى جواز ابدال الصاد من السين أنه فى كل كلمة كان فيها سين وجاء بعدها أحد الحروف الاربعة وهى الطاء والخاء والغين والقاف فتقول الصراط والسراط وفى سخر لكم صخر لكم وفى سغبة صغبة وفى سيقل صيقل وقس على هذا (ونقل قاضى القضاة شمس الدين بن خلكان فى تاريخه) أن أبا جعفر أحمد بن عيسى البلاذرى المؤرخ قال كنت من جلساء المستعين فقصده الشعراء فقال لست أقبل الا من يقول مثل قول البحترى فى المتوكل

فلو ان مشتاقا تكلف فوق ما
في وسعه لسعى اليك المنبر

قال البلاذرى فرجعت الى دارى وأتيته وقلت قد قلت فيك أحسن مما قاله البحترى قال هاته فانشدته

ولو أن برد المصطفى اذ لبسته
يظن لظن البرد أنك صاحبه
وقال وقد أعطيته ولبسته
نعم هذه أعطافه ومناكبه

فقال ارجع الى منزلك وافعل ما آمرك به فرجعت فبعث الى بسبعة آلاف دينار وقال ادخر هذه للحوادث من بعدى ولك الجراية والكفاية مادمت حيا (ويعجبنى من المدائح الرائقة فى حل الحشمة) قول عبد الله الاسطرلابى

أهدى لمجلسه الكريم وانما
أهدى له ماحزت من نعمائه
كالبحر يمطره السحاب وماله
فضل عليه لانه من مائه

(ومثله) قول القاضى الفاضل وقد كتبت به الى وزير بغداد

ياأيها المولى الوزير ومن له
منن حللن من الزمان وثاقى

مر بنا من المسلمين ثلاث ليال نطعمهم ولا نؤوى فى كنائسنا ولا فى منازلنا جاسوسا ولا نكتمه عن المسلمين ولا نعلم أولادنا القرآن ولا نظهر شرعنا ولا ندعو اليه أحدا ولا نمنع أحدا من ذوى قراباتنا الدخول فى دين الاسلام ان أراده وأن نوقر المسلمين ونقوم لهم من مجالسنا اذا أرادوا الجلوس وأن لا نتشبه بالمسلمين فى شئ من ملابسهم من قلنسوة ولا عمامة ولا نعلين ولا نتكلم بكلامهم ولا نتكنى بكناهم ولا نركب فى السروج ولا نتقلد بالسيوف ولا نتخذ شيأ من السلاح ولا نحمله معنا ولا ننقش على خواتمنا بالعربية ولا نبيع الخمر وأن نجز مقادم رؤسنا ونلزم زينا حيثما كنا وأن نشد الزنار على أوساطنا ولا نظهر صلباننا ولا كتبنا فى شئ من أسواق المسلمين وطرقهم ولا نضرب بالنواقيس فى كنائسنا الا ضربا خفيفا ولا نرفع أصواتنا مع موتانا ولا نظهر النيران فى شئ من طرق المسلمين ولا أسواقهم ولا نجاورهم بموتانا ولا نتخذ من الرقيق ما جرى عليه سهام المسلمين ولا نتطلع على منازلهم وقد شرطنا ذلك على أنفسنا وعلى أهل ملتنا وقبلنا عليه الامان فان نحن خالفنا فى شئ مما شرطناه لكم وضمناه على أنفسنا فلا ذمة لنا وقد حل بنا ما يحل بأهل المعاندة والشقاق فكتب اليه عمر رضى الله عنه أن امض ما سألوه وألحق فيه حرفين واشترطهما عليهم مع ما شرطوا على أنفسهم أن لا يشتروا شيأ من سبايا المسلمين ومن ضرب مسلما عمدا فقد خلع عهده * وروى أن بنى تغلب دخلوا على عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه فقالوا يا أمير المؤمنين انا قوم من العرب أفرض لنا قال نصارى قالوا نصارى قال ادعوا الى حجام ففعلوا فجز نواصيهم وشق من أرديتهم حزما يحتزمون بها وأمرهم أن لا يركبوا بالسروج وأن يركبوا على الأكف من شق واحد * وروى أن أمير المؤمنين الخليفة جعفر المتوكل أقصى اليهود والنصارى ولم يستعملهم وأذلهم وأبعدهم وخالف بين زيهم وزى المسلمين وقرب منه أهل الحق وأبعد عنه أهل الباطل فأحيا الله به الحق وأمات به الباطل فهو يذكر بذلك ويترحم عليه ما دامت الدنيا وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول لا تستعملوا اليهود والنصارى فانهم اهل رشا فى دينهم ولا يحل فى دين الله الرشا ولما استقدم عمر بن الخطاب رضى الله عنه أبا موسى الاشعرى رضى الله عنه من البصرة وكان عاملا عليها للحساب دخل على عمر وهو فى المسجد فاستأذن لكاتبه وكان نصرانيا فقال له عمر قاتلك الله وضرب بيده على فخذه وليت ذميا على المسلمين أما سمعت الله تعالى يقول يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض الآية هلا اتخذت حنيفيا فقال يا أمير المؤمنين لى كتابته وله دينه فقال لا أكرمهم اذ أهانهم الله ولا أعزهم اذ أذلهم الله ولا أدنيهم اذ أقصاهم الله وكتب بعض العمال الى عمر رضى الله عنه ان العدو قد كثروان الجزية قد كثرت أفنستعين بالاعاجم فكتب اليه انهم أعداء الله وانهم لنا غششة فأنزلوهم حيث أنزلهم الله * ولما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بدر لحقه رجل من المشركين عند الحرة فقال انى أريد أن أتبعك وأصيب معك قال أتؤمن بالله ورسوله قال لا قال ارجع فلن نستعين بمشرك ثم لحقه عند الشجرة فقال جئتك لأتبعك وأصيب معك قال أتؤمن بالله ورسوله قال لا قال فارجع فلن أستعين بمشرك ثم لحقه عند ظهر البيداء فقال له مثل ذلك فأجابه بمثل الاول فقال نعم فخرج به وفرح به المسلمون وكان له قوة وجلد وهذا أصل عظيم فى أن لا يستعان بكافر هذا وقد خرج ليقاتل بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم ويراق دمه فكيف استعمالهم على رقاب المسلمين * وكتب عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه الى عماله أن لا تولوا على أعمالنا الا أهل القرآن فكتبوا اليه انا قد وجدنا فيهم خيانة فكتب اليهم ان لم يكن فى أهل القرآن خير فاجدر أن لا يكون فى غيرهم قال أصحاب الشافعى ويلزمهم أن يتميزوا فى اللباس عن المسلمين وأن يلبسوا قلانس يميزونها عن قلانس المسلمين بالحمرة ويشدوا الزنانير على أوساطهم ويكون فى رقابهم خاتم من نحاس أو رصاص أو جرس يدخلون به الحمام وليس لهم أن يلبسوا العمائم ولا الطيلسان وأما المرأة فانها تشد الزنار تحت الازار وقيل فوق الازار وهو الاولى ويكون فى عنقها خاتم تدخل به الحمام ويكون أحد خفيها أسود والآخر أبيض ولا يركبون الخيل ولا البغال ولا الحمير الا بالأكف عرضا ولا يركبون بالسروج ولا يتصدرون فى المجالس ولا يبدؤن بالسلام ويلجؤن الى أضيق الطرق ويمنعون أن يتطاولوا على المسلمين فى البناء وتجوز المساواة وقيل لا تجوز وان تملكوا دارا عالية أقروا عليها ويمنعون من اظهار المنكر كالخمر والخنزير والناقوس والجهر بالتوراة والانجيل ويمنعون من المقام فى أرض الحجاز وهى مكة والمدينة واليمامة وان امتنعوا من أداء الجزية والتزام أحكام أهل الملة

انتقض

من شاكر عنى ذاك فانى
من عظم ما أوليت ضاق نطاقى
من تخف على يديك وانما
ثقلت مؤنتها على الاعناق

(قلت) كان نظم القاضى الفاضل رحمه الله ونثره كفرسى رهان ولكن نثره أكثر مما نظم واجمع الناس انه أتى مع الاكثار بالعجائب وذكر قاضى القضاة شمس الدين ابن خلكان فى تاريخه) أن مسودات رسائله اذا جمعت ما تقصر عن مائة مجلد وهو مجيد فى أكثرها ولعمرى ان الانشاء الذى صدر فى الايام الاموية والايام العباسية نسى وألغى بانشاء الفاضل وما اخترعه من النكت الادبية والمعانى المخترعة والانواع البديعة والذى يؤيده قول العماد الكاتب فى الجريدة انه فى صناعة الانشاء كالشريعة المحمدية نسخت الشرائع (ومن غرر نثره) هذه الرسالة التى أنشأها فى حمائم الرسائل وسحب فيها ذيل البلاغة والفصاحة على سحبان وائل (وهى) سرحة لا تحمل من البطائق أجنحة وتجهز جيوش المقاصد والاقلام أسلحة وتحمل من الأخبار ما تحمله الضمائر وتطوى الارض اذا نشرت الجناح الطائر وتزوى لها الارض حتى ترى ما سيبلغه ملك هذه الامة وتقرب منها السماء حتى ترى ما لا يبلغه وهم ولا همة وتكون مراكب الاغراض والاجنحة قلوعها وتركب الجو بحرا تصفق فيه هبوب الرياح موجا فوقها وتعلق الحاجات على أعجازها ولا تعوق الارادات عن انجازها ومن بلاغات البطائق استفادت ما هى مشهورة به من السجع ومن رياض كتبها ألفت الرياض فهى اليها دائمة الرجع وقد سكنت النجوم فهى أنجم واعتدت فى كنائنها فهى

انتقض عهدهم وان زنى أحد منهم بمسلمة أو أصابها بنكاح أو آوى عينا للكفار أو دل على عورة المسلمين أو فتن مسلما عن دينه أو قتله أو قطع عليه الطريق تنتقض ذمته وفي تقدير الجزية اختلاف بين العلماء فمنهم من قال انها مقدرة الاقل والا كثر على ما كتب به عمر رضي الله عنه الى عثمان بن حنيف بالكوفة فوضع على الغني ثمانية وأربعين درهما وعلى من دونه أربعة وعشرين درهما وعلى من دونه اثني عشر درهما وذلك بحضر من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين ولم يخالفه أحد وكان الصرف اثنا عشر بدينار وهذا مذهب أبي حنيفة وأحمد بن حنبل وأحد قولي الشافعي ويجوز للامام أن يزيد على ماقدره عمر ولا يجوز أن ينقص عنه ولا جزية على النساء والمماليك والصبيان والمجانين * وأما الكنائس فأمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن تهدم كل كنيسة بعد الاسلام ومنع أن تجدد كنيسة وأمر أن لا تظهر عليه خارجة من كنيسة ولا يظهر صليب خارج من كنيسة الا كسر على رأس صاحبه وكان عروة بن محمد يهدمها بصنعاء وهذا مذهب علماء المسلمين أجمعين وشدد في ذلك عمر بن عبد العزيز وأمر أن لا يترك في دار الاسلام بيعة ولا كنيسة بحال قديمة ولا حديثة والله تعالى أعلم بالصواب واليه المرجع والمآب وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

❁ الباب الثاني والعشرون في اصطناع المعروف واغاثة الملهوف وقضاء حوائج المسلمين وادخال السرور عليهم ❁

قال الله تعالى ولا تنسوا الفضل بينكم وقال تعالى وتعاونوا على البر والتقوى وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مشى في عون أخيه ومنفعته فله ثواب المجاهدين في سبيل الله وعن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال الخلق كلهم عيال الله فأحب خلقه اليه أنفعهم لعياله رواه البزار والطبراني في معجمه ومعنى عيال الله فقراء الله تعالى والخلق كلهم فقراء لله تعالى وهو يعولهم ورويناه في مسند الشهاب عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال خير الناس أنفعهم للناس وعن كثير بن عبيد بن عمرو بن عوف المزني عن أبيه عن جده رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله خلقا خلقهم لقضاء حوائج الناس آلى على نفسه أن لا يعذبهم بالنار فاذا كان يوم القيامة وضعت لهم منابر من نور يحدثون الله تعالى والناس في الحساب وعن ابن عباس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سعى لاخيه المسلم في حاجة فقضيت له أو لم تقض غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وكتب له براءتان براءة من النار وبراءة من النفاق وعن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قضى لاخيه المسلم حاجة كنت واقفا عند ميزانه فان رجح والا شفعت له رواه أبو نعيم في الحلية ورويناه في مكارم الاخلاق لابي بكر الخرائطي عن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مشى في حاجة أخيه المسلم كتب الله له بكل خطوة سبعين حسنة وكفر عنه سبعين سيئة فان قضيت حاجته على يديه خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه فان مات في خلال ذلك دخل الجنة بغير حساب وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مشى مع أخيه في حاجة فناصحه فيها جعل الله بينه وبين النار سبع خنادق ما بين الخندق والخندق كما بين السماء والارض رواه أبو نعيم وابن أبي الدنيا وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله عند أقوام نعما يقرها عندهم ما داموا في حوائج الناس ما لم يملوا فاذا ملوا نقلها الله الى غيرهم رواه الطبراني ورويناه من طريق الطبراني باسناد جيد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من عبد أنعم الله عليه نعمة فأسبغها عليه ثم جعل حوائج الناس اليه فتبرم فقد عرض تلك النعمة للزوال وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أغاث ملهوفا كتب الله له ثلاثا وسبعين حسنة واحدة منها يصلح بها آخرته ودنياه والباقي في الدرجات وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتدرون ما يقول الاسد في زئيره قالوا الله ورسوله أعلم قال يقول اللهم لا تسلطني على أحد من أهل المعروف رواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال قيل يا رسول الله أي الناس أحب اليك قال أنفع الناس للناس قيل يا رسول الله فأي الاعمال أفضل قال ادخال السرور على

الساجات أسهم وكادت تكون ملائكة لانها رسل واذا أنيطت بالرقاع صارت أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع وقد باعد الله بين أسفارها وقربها وجعلها طيف خيال اليقظة الذي صدق العين وما كذبها وقد أخذت عهود أداء الامانة في رقابها أطواقا وأدنت من أذنابها أوراقا وصارت خوافي من وراء الخوافي وأعطت سرها المودع بكتمان سحبت عليه ذيول ريشها الصوافي ترغم أنف النوى بتقريب العهود وتكاد العيون بملاحظتها تلاحظ نجم السعود وهي أنبياء الطيور لكثرة ما تأتي به من الانباء وخطباؤها لانها تقوم على منابر الاغصان مقام الخطباء * ومن غريب المنقول انني حضرت في بعض الليالي على جانب النيل المبارك في خدمة مولانا المقر الاشرف المرحومي القاضوي الناصري محمد ابن البارزي الجهني الشافعي صاحب دواوين الانشاء الشريف بالممالك الاسلامية المحروسة كان تغمده الله تعالى بالرحمة والرضوان وبيده الكريمة جزء من تذكرة الشيخ صلاح الدين الصفدي بخطه وهذه الرسالة أول الجزء فشرع في قراءتها وكررها مرارا وهو يترنم في بديعها وغريبها ورسم في أثناء ذلك بمعارضتها فلم أجد بدا من الشروع لالتزام لواجب وأوترت قوس العزم مطمئنا بهذا الرأي الصائب وقد أوصلت هنا شمل القطعتين ليتأمل المتأمل في جني الجنتين وينزه نظره في حدائق الروضتين ويطرب لسجع حمائم الدوحتين (قلت) شرح فسرح العيون الادون رسالته المقبولة وطلب السبق فلم يرض معرق البرق سرجا ولا استطلى صفحته المصقولة وهمز جوادا للتسليم فقصر وأمست أذياله

المؤمن قيل وما سرور المؤمن قال اشباع جوعته وتنفيس كربته وقضاء دينه ومن مشى مع أخيه في حاجة كان كصيام شهر واعتكافه ومن مشى مع مظلوم يعينه ثبت الله قدمه يوم تزل الاقدام ومن كف غضبه ستر الله عورته وان الخلق السيئ يفسد العمل كما يفسد الخل العسل وعن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لقي أخاه المسلم بما يحب ليسره بذلك سره الله يوم القيامة رواه الطبراني في الصغير باسناد حسن وروي عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أدخل على أهل بيت من المسلمين سرورا لم يرض الله له سرورا دون الجنة رواه الطبراني وعن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أدخل رجل على مؤمن سرورا الا خلق الله من ذلك السرور ملكا يعبد الله تعالى ويوحده فاذا صار العبد في قبره أتاه ذلك السرور فيقول له أما تعرفني فيقول له من أنت فيقول أنا السرور الذي أدخلتني على فلان أنا اليوم أؤنس وحشتك وألقنك حجتك وأثبتك بالقول الثابت وأشهد مشاهدك يوم القيامة وأشفع لك الى ربك وأريك منزلك في الجنة رواه ابن أبي الدنيا وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه يرفعه اذا أراد أحدكم الحاجة فليبكر لها يوم الخميس وليقرأ اذا خرج من منزله آخر سورة آل عمران وآية الكرسي وانا أنزلناه في ليلة القدر وأم الكتاب فان فيها حوائج الدنيا والآخرة وهو حديث مرفوع * ومن كلام الحكماء اذا سألت كريما حاجة فدعه يفكر فانه لا يفكر الا في خير واذا سألت لئيما حاجة فعاجله لئلا يشير عليه طبعه أن لا يفعل وسأل رجل رجلا حاجة ثم توانى عن طلبها فقال له المسؤل أغفلت عن حاجتك فقال ما نام عن حاجته من أسهرك لها ولا عدل بها عن محجة النجح من قصدك بها فعجب من فصاحته وقضى حاجته وأمر له بمال جزيل * وقال مسلمة لنصيب سلني فقال كفك بالعطية أبسط من لساني بالمسئلة فأمر له بألف دينار وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه فوت الحاجة أهون من طلبها الى غير أهلها وعنه أيضا قال لا تكثر على أخيك الحوائج فان العجل اذا أفرط في مص ثدي أمه نطحته وقال ذوالرياستين لثمامة بن أشرس ما أدري ما أصنع بكثرة الطلاب فقال زل عن موضعك وعلى أن لا يلقاك منهم أحد فقال له صدقت وجلس لهم في قضاء حوائجهم وحدث أبو جعفر محمد بن القاسم الكرخي قال عرضت على أبي الحسن علي بن محمد بن الفرات رقعة في حاجة لي فقرأها ووضعها من يده ولم يوقع فيها بشيء فأخذتها وقمت وأنا أقول متمثلا من حيث يسمع هذين البيتين

واذا خطبت الى كريم حاجة ❊ وأبى فلا تقعد عليه بحاجب

فلربما منع الكريم ومابه ❊ بخل ولكن سوء حظ الطالب

فقال وقد سمع ما قلت ارجع يا أبا جعفر بغير سوء حظ الطالب ولكن اذا سألتمونا الحاجة فعاودونا فان القلوب بيد الله تعالى فأخذ الرقعة ووقع فيها بما أردت * وسأل اسحق بن ربعي اسحق بن ابراهيم المصعبي أن يوصل له رقعة الى المأمون فقال لكاتبه ضمها الى رقعة فلان فقال

تأن لحاجتي واشدد عراها ❊ فقد أضحت بمنزلة الضياع

اذا شاركتها بلبان أخرى ❊ أضر بها مشاركة الرضاع

(وقال أبو دقاقة البصري) أضحت حوائجنا اليك مناخة ❊ معقولة برحابك الوصال

أطلق فديتك بالنجاح عقالها ❊ حتى تثور معا بغير عقال

(وقال سلم الخاسر) اذا أذن الله في حاجة ❊ أتاك النجاح على رسله

فلا تسأل الناس من فضلهم ❊ ولكن سل الله من فضله

(ولله در القائل حيث قال) أيها المادح العباد ليعطى ❊ ان لله ما بأيدي العباد

فاسأل الله ما طلبت اليهم ❊ وارج فرض المقسم الجواد

وعن عبيد الله بن الحسن بن الحسين رضي الله تعالى عنهم قال أتيت باب عمر بن عبد العزيز في حاجة فقال اذا كانت لك حاجة الي فأرسل الي رسولا أو اكتب لي كتابا فاني لأستحيي من الله أن يراك ببابي وعن علي ابن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال والذي وسع سمعه الاصوات ما من أحد أودع قلبا سرورا الا خلق الله تعالى من ذلك السرور لطفا فاذا نزلت به نائبة جرى اليها كالماء في انحداره حتى يطردها عنه كما تطرد غريبة الابل

بهرق السحب مبلوله وأرسل فأقر الناس برسالته وكتابه الصدق وانقطع كوكب الصبح خلفه فقال عند التقصير كنت نجابا وعلى يدي خلاق يؤدي ما جاء على يده من الترسل فيهيج الاشواق وما برحت الحمائم تحسن الاداء في الاوراق وعيناه على الهدى فقال ما ضل صاحبكم وما غوى ومن روى عنه حديث الفضل المسند فعن عكرمة قد روي يطير مع الهواء لفرط صلاحه ولم يبق على السر المصون جناح اذا دخل تحت جناحه ان برز من مقصه لم يبق لبردقيمة بل تنعزل بتدبيج أوراقه وتعلق عليه من العين التميمة ما هو من الاصبر على السجن وضيق الاطواق ولهذا حمدت عواقبه على الاطلاق ولا غنى على عود الاسال دموع الندى من حدائق الرياض ولا أطلق من كبد الجو الا كان سهما مريشا تبلغ به الاغراض كم فصار بريش القوادم كالاهداب لعين الشمس وأمسى عند الهبوط لعين الهلال كالشمس فهو الطائر الميمون والغاية السابقة والامير الذي اذا أودع أسرار الملوك حماها بطاقته فهو من الطيور التي خلالها الجو فنقرت ما شاءت من حبات النجوم والعماء التي من أخذ عنها شرح المعلقات فقد أعرب عن دقائق الفهوم والمقدمة والنتيجة الكتاب الجلي في منطق الطير وهي من جملة الكتاب الذي اذا وصل القاري منه الى الفتح تهلل بفاتحة الحمروان تصدر البارزي بغير علم فكم جمعت بين طرفي كتاب وان سألت العقبان عن بديع السجع أعجمت عن رد الجواب شعر

وعت النسور بقوة جيف الفلا ❊ ورعى الذباب الشهد وهو ضعيف

ما قدمت الا وأورثتنا من شمائلها اللطيفة نعم القادمة وأظهرت لنا من خوافيها ما كانت له خير كاتمة كم

وقال لجابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنهما يا جابر من كثرت نعم الله عليه كثرت حوائج الناس اليه فان قام بما يجب لله فيها عرضها للدوام والبقاء وان لم يقم فيها بما يجب لله عرضها للزوال نعوذ بالله من زوال النعمة ونسأله التوفيق والعصمة وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا دائما أبدا الى يوم الدين والحمد لله رب العالمين

❁ الباب الثالث والعشرون في محاسن الاخلاق ومساويها ❁

قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم وانك لعلى خلق عظيم فخص الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم من كريم الطباع ومحاسن الاخلاق من الحياء والكرم والصفح وحسن العهد بما لم يؤته غيره ثم ما أثنى الله تعالى عليه بشيء من فضائله بمثل ما أثنى عليه بحسن الخلق فقال تعالى وانك لعلى خلق عظيم قالت عائشة رضي الله عنها كان خلقه القرآن يغضب لغضبه ويرضى لرضاه وكان الحسن رضي الله عنه اذا ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أكرم ولد آدم على الله عز وجل أعظم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام منزلة عند الله أتى بمفاتيح الدنيا فاختار ما عند الله تعالى وكان يأكل على الارض ويجلس على الأرض ويقول انما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد ولا يأكل متكئا ولا على خوان وكان يأكل خبز الشعير غير منخول وكان يأكل القثاء بالرطب ويقول برد هذا يطفئ حر هذا وكان أحب الطعام اليه اللحم ويقول هذا يزيد في السمع ولو سألت ربي أن يطعمنيه كل يوم لفعل وكان يحب الدباء ويقول يا عائشة اذا طبختم قدرا فأكثروا فيه من الدباء فانها تشد قلب الحزين وكان يقول اذا طبختم الدباء فأكثروا من مرقها وكان يكتحل بالاثمد ولا يفارق في سفره قارورة الدهن والمكحل والمرآة والمشط والابرة يخيط ثوبه بيده وكان يضحك من غير قهقهة ويرى اللعب المباح ولا ينكره وكان يسابق أهله قالت عائشة رضي الله عنها سابقته فسبقته فلما كثر لحمي سابقته فسبقني فضرب بكتفي وقال هذه بتلك وكان له عبيد واماء لا يرتفع على أحد منهم في مأكل ولا مشرب ولا ملبس وهو أمي لا يقرأ ولا يكتب نشأ في بلاد الجهل والصحاري يتيما لا أب له ولا أم فعلمه الله تعالى جميع محاسن الاخلاق وكان أفصح الناس منطقا وأحلاهم كلاما وكان يقول أنا أفصح العرب وقال أنس رضي الله عنه والذي بعثه بالحق نبيا ما قال لي في شيء قط كرهه لم فعلته ولا في شيء لم أفعله لم لا فعلته ولا لامني أحد من أهله الا قال دعوه انما كان هذا بقضاء وقدر وقال بعض مشايخنا رحمهم الله تعالى لا مانع من أن النبي صلى الله عليه وسلم اذا هضم نفسه وتواضع لا يمنع من الرتبة التي هي أعلى مرتبة من العبودية فالنبي صلى الله عليه وسلم أعطاه الله تعالى مرتبة الملك مع كونه عبد الله متواضعا الحائز المرتبتين مرتبة العبودية ومرتبة الملكية ومع ذلك كان يلبس المرقع والصوف ويرقع ثوبه ويخصف نعله ويركب الحمار بلا اكاف ويردف خلفه ويأكل الخشن من الطعام وما شبع قط من خبز بر ثلاثة أيام متوالية حتى لقي الله تعالى من دعاه لباه ومن صافحه لم يرفع يده حتى يكون هو الذي يرفعها يعود المريض ويتبع الجنائز يجالس الفقراء أعظم الناس من الله مخافة وأتعبهم لله عز وجل بدنا وأجدهم في أمر الله لا تأخذه في الله لومة لائم قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر أما والله ما كان تغلق من دونه الأبواب ولا كان دونه حجاب صلى الله عليه وسلم وقالت عائشة رضي الله تعالى عنها ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة قط ولا خادما له ولا ضرب بيده شيأ الا أن يجاهد في سبيل الله ولا خير بين أمرين الا اختار أيسرهما الا أن يكون اثما أو قطيعة رحم فيكون أبعد الناس منه وقال ابراهيم بن عباس لو وزنت كلمة رسول الله صلى الله عليه وسلم بمحاسن الناس لرجحت وهي قوله عليه الصلاة والسلام انكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم بأخلاقكم وفي رواية أخرى فسعوهم ببسط الوجه والخلق الحسن وعنه صلى الله عليه وسلم حسن الخلق زمام من رحمة الله تعالى في أنف صاحبه والزمام بيد الملك والملك يجره الى الخير والخير يجره الى الجنة وسوء الخلق زمام من عذاب الله تعالى في أنف صاحبه والزمام بيد الشيطان والشيطان يجره الى الشر والشر يجره الى النار وقال بعض السلف الحسن الخلق ذو قرابة عند الأجانب والسيئ الخلق أجنبي عند أهله وقال الفضيل فان يصحبني فاجر حسن الخلق أحب الي من أن يصحبني عابد سيئ الخلق لأن الفاجر اذا حسن خلقه خف على الناس وأحبوه والعابد اذا ساء خلقه مقتوه (بيت مفرد)

اذا رام التخلق جاذبته ❁ خلائقه الى الطبع القديم

أحدقت من خلفها وهي غادية رائحة وكم حنت اليها الجوارح وهي آدام الله اطلاقها غير جارحه وكم أدارت من كؤوس السجع ما هو أرق من قهوة الانشا وأبهج على زهر المنثور من صبيح الاعشا وكم عامت بحور الفضا ولم تحفل بموج الجبال وكم جاءت ببشارة وخضبت الكف ورمت من تلك الاغلة قلامة الهلال وكم زاحمت النجوم بالمناكب حتى ظفرت بكف الخضيب وانحدرت كأنها دمعة سقطت على خد الشفق لامر مريب وكم لمع في أصيل الشمس خضاب كفها الوضاح فصارت بسموها وفرط البهجة كمشكاة فيها مصباح والله تعالى يديم بأفنان أبوابه العالية ألحان السواجع ولا برح تغريدها مطربا بين البادي والراجع انتهى (وذكر ضياء الدين أبو الفتح نصر الله المعروف بابن الاثير الجزري في كتابه المسمى بالوشي المرقوم في حل المنظوم) قال حدثني الفاضل عبد الرحيم بن علي البيساني بمدينة دمشق سنة (٥٨٨) ثمان وثمانين وخمسمائة وكان اذ ذاك كاتب الدولة الصلاحية ان فن الانشاء لا تخلو منه رأس مكانا أو بيانا وكل من أنشأ أقام لسلطانه بانشائه سلطانا وكان من العادة أن كلا من أرباب البيوت اذا نشأ له ولد أحضره الى ديوان المكاتبات ليتعلم فن الكتابة ويتدرب ويسمع فأرسلني والدي وكان اذ ذاك قاضيا بثغر عسقلان الى الديار المصرية في أيام الحافظ العبيدي وهو احد خلفائها فدخلت ديوان المكاتبات وكان الذي يرأس به في تلك الايام وهو صاحب الانشاء بمصر موفق الدين ابا الحجاج يوسف المعروف بابن الخلال فلما مثلت بين يديه وعرفته من أنا وما طلبي رحب بي ثم قال ما الذي اعددت لفن الانشاء وكتابته فقلت ليس عندي سوى اني احفظ القرآن الكريم

قيل أبى الله لسيئ الخلق التوبة لأنه لا يخرج من ذنب الا دخل فى ذنب آخر لسوء خلقه وعن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا بلغه عن الرجل شئ لم يقل ما بال فلان ولكن يقول ما بال أقوام يقولون حتى لا يفضح أحدا وعنه صلى الله عليه وسلم ما شئ فى الميزان أثقل من حسن الخلق وعنه أيضا صلى الله عليه وسلم قال ثلاث من كن فيه كن له من صدق لسانه زكا عمله ومن حسنت نيته زيد فى رزقه ومن حسن بره لأهل بيته زيد له فى عمره ثم قال وحسن الخلق وكف الأذى يزيدان فى الرزق وقيل سوء الخلق يعدى لأنه يدعو الى أن يقابل بمثله *وكتب الحسن بن على الى أخيه الحسين رضى الله عنهم فى اعطائه الشعراء فكتب اليه الحسين أنت أعلم منى بأن خير المال ما وقى به العرض فانظر الى شرف أدبه وحسن خلقه كيف ابتدأ كتابه بأنت أعلم منى وكان بينه وبين أخيه كلام فقيل له ادخل على أخيك فهو أكبر منك فقال انى سمعت جدى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أيما اثنين جرى بينهما كلام فطلب أحدهما رضا الآخر كان سابقه الى الجنة وأنا أكره أن أسبق أخى الأكبر الى الجنة فبلغ ذلك الحسن فجاءه عاجلا رضى الله عنهما وأنشد فى المعنى

وانى لألقى المرء أعلم أنه * عدوو فى أحشائه الضغن كامن
فأمنحه بشرا فيرجع قلبه * سليما وقد ماتت لديه الضغائن

(وسرق) بعض حاشية جعفر بن سليمان جوهرة نفيسة وباعها بمال جزيل فانفذ الى الجوهريين بصفتها فقالوا باعها فلان من مدة ثم ان ذلك الرجل الذى سرقها قبض عليه وأحضر بين يدى جعفر فلما رأى ما ظهر عليه قال له أراك قد تغير لونك ألست يوم كذا طلبت منى هذه الجوهرة فوهبتها لك وأقسم بالله لقد أنسيت هذا ثم أمر للجوهرى بثمنها وقال للرجل خذها الآن حلالا طيبا وبعها بالثمن الذى يطيب خاطرك به لا تبعها بيع خائف *ودخل محمد بن عباد على المأمون فجعل يضمه بيده وجارية على رأسه تتبسم فقال لها المأمون مم تضحكين فقال ابن عباد أنا أخبرك يا أمير المؤمنين تتعجب من قبحى واكرامك اياى فقال لا تعجبى فان تحت هذه العمامة كرما ومجدا قال الشاعر

وهل ينفع الفتيان حسن وجوههم * اذا كانت الاعراض غير حسان
فلا تجعل الحسن الدليل على الفتى * فما كل مصقول الحديد يمانى

(وحكى) أن بهرام الملك خرج يوما للصيد فانفرد عن أصحابه فرأى صيدا فتبعه طامعا فى لحاقه حتى بعد عن عسكره فنظر الى راع تحت شجرة فنزل عن فرسه ليبول وقال للراعى احفظ على فرسى حتى أبول فعمد الراعى الى العنان وكان ملبسا ذهبا كثيرا فاستغفل بهرام وأخرج سكينا فقطع أطراف اللجام وأخذ الذهب الذى عليه فرفع بهرام نظره اليه فرآه فغض بصره وأطرق برأسه الى الارض وأطال الجلوس حتى أخذ الرجل حاجته ثم قام بهرام فوضع يده على عينيه وقال للراعى قدم الى فرسى فانه قد دخل فى عينى من سافى الريح فلا أقدر على فتحهما فقدمه اليه فركب وسار الى أن وصل الى عسكره فقال لصاحب مراكبه ان أطراف اللجام قد وهبتها فلا تتهمن بها أحدا *(وذكر)* أن أنوشروان وضع الموائد للناس فى يوم نوروز وجلس ودخل وجوه أهل مملكته فى الايوان فلما فرغوا من الطعام جاؤا بالشراب وأحضرت الفواكه والمشموم فى آنية الذهب والفضة فلما رفعت آنية المجلس أخذ بعض من حضر جام ذهب وزنه ألف مثقال وخبأه تحت ثيابه وأنوشروان يراه فلما فقده الشرابى صاح بصوت عال لا يخرجن أحد حتى يفتش فقال كسرى ولم فاخبره بالقضية فقال قد أخذه من لا يرده ورآه من لا ينم عليه فلا تفتش أحدا فاخذ الرجل الجام ومضى فكسره وصاغ منه منطقة وحلية لسيفه وجدد له كسوة جميلة فلما كان فى مثل ذلك اليوم جلس الملك ودخل ذلك الرجل بتلك الحلية فدعاه كسرى وقال له هذا من ذاك فقبل الارض وقال نعم أصلحك الله *وقال عبد الله بن طاهر كنت عند المأمون يوما فنادى بالخادم يا غلام فلم يجبه أحد ثم نادى ثانيا وصاح يا غلام فدخل غلام تركى وهو يقول ما ينبغى للغلام أن يأكل ولا يشرب كلما خرجنا من عندك تصيح يا غلام يا غلام الى كم يا غلام فنكس المأمون رأسه طويلا فما شككت أن يأمرنى بضرب عنقه ثم نظر الى فقال يا عبد الله ان الرجل اذا حسنت أخلاقه ساءت أخلاق خدمه واذا ساءت أخلاقه حسنت أخلاق خدمه وانا لا نستطيع أن نسىء أخلاقنا لتحسن أخلاق خدمنا *وقال ابن عباس رضى الله عنهما ورد علينا الوليد بن عتبة بن أبى سفيان المدينة واليا وكان وجهه ورقة من ورق المصحف فوالله ما ترك فينا فقيرا الا أغناه ولا مديونا الا أدى عنه دينه وكان ينظر الينا بعين أرق من الماء ويكلمنا بكلام أحلى

من

وكتاب الحماسة فقال فى هذا بلاغ ثم امرنى بملازمته فلما ترددت اليه وتدربت عليه وطال تدربى بين يديه أمرنى ان أحل عليه ديوان الحماسة فحللته من أوله الى آخره ثم أمرنى أن أحله مرة أخرى فحللته انتهى ما ذكره ابن الأثير (قلت) وقال عماد الدين الكاتب فى كتاب الخريدة فى حق موفق الدين بن الخلال كان فن الترسل والانشاء آل اليه وكان فى ذلك ناظر مصره وانسان ناظره وقبلة جامع مفاخره (قلت) الذى ثبت عند المؤرخين وعلماء هذا الفن ان القاضى الفاضل رحمه الله تعالى أخذ علم الانشاء وحكمه عن موفق الدين بن الخلال منشئ الخليفة الحافظ العلوى ورتبته فى الانشاء معلومة ولكن جنحت الى الوقوف على شئ من نظمه لانظر فى الرتبتين كما قررت ذلك فى نظم القاضى الفاضل ونثره فوجدت قاضى القضاة شمس الدين بن خلكان رحمه الله قد أورد له فى تاريخه نظما ونثرا دلنى على ان نظمه ونثره رضيعا لبان وفرسا رهان (فن ذلك قوله فى الشمعة ولله دره حيث أجاد)

وصحيحة بيضاء تطلع فى الدجا
صبحا وتشفى الناظرين بدائها
شابت ذوائبها أوان شبابها
واسود مفرقها أوان فنائها
كالعين فى طبقاتها ودموعها
وسوادها وبياضها وضيائها

(وله)

واهن سيف لحاظه
يغرى الحسام بحده
عجب الورى لما جنيـ
ـت وقد فنيت بصده
وبقاء جسمى ناحلا
يصلى بوقدة صده

(نادرة) كتب عمر بن عبد العزيز الى عدى بن ارطاة أن اجمع بين اياس

من الجنى ولقد شهدت منه مشهدا لو كان من معاوية لذكرته تغديت يوما عنده فأقبل الفراش بصحفة فعثر فى وسادة فوقعت الصحفة من يده فوالله ما ردها الا ذقن الوليد وانكب جميع ما فيها فى حجره فبقى الغلام متمثلا واقفا ما معه من روحه الا ما يقيم رجليه فقام الوليد فدخل فغير ثيابه وأقبل علينا تبرق اسارير جبهته فأقبل على الفراش وقال يا بائس ما أرانا الا روعناك اذهب فأنت وأولادك أحرار لوجه الله تعالى * ومرض أحمد بن أبى داود فعاده المعتصم وقال نذرت ان عافاك الله تعالى أن أتصدق بعشرة آلاف دينار فقال له أحمد يا أمير المؤمنين فاجعلها فى أهل الحرمين فقد لقوا من غلاء الأسعار شدة فقال نويت أن أتصدق بها على من ههنا وأطلق لأهل الحرمين مثلها فقال أحمد متع الله الاسلام وأهله بك يا أمير المؤمنين فانك كما قال النميرى لابيك الرشيد رحمة الله تعالى عليه

ان المكارم والمعروف أودية * أحلك الله منها حيث تجتمع

من لم يكن بأمين الله معتصما * فليس بالصلوات الخمس ينتفع

(وقيل) للاحنف بن قيس ممن تعلمت حسن الخلق فقال من قيس بن عاصم بينما هو ذات يوم جالس فى داره اذ جاءته خادم له بسفود عليه شواء حار فنزعت السفود من اللحم وألقته خلف ظهرها فوقع على ابن له فقتله لوقته فدهشت الجارية فقال لا روع عليك أنت حرة لوجه الله تعالى * وكان ابن عمر رضى الله عنه اذا رأى أحدا من عبيده يحسن صلاته يعتقه فعرفوا ذلك من خلقه فكانوا يحسنون الصلاة مرآة له فكان يعتقهم فقيل له فى ذلك فقال من خدعنا فى الله انخدعنا له وروى ان أبا عثمان الزاهد اجتاز ببعض الشوارع فى وقت الهاجرة فألقى عليه من فوق سطح طست رماد فتغير اصحابه وبسطوا ألسنتهم فى الملقى للرماد فقال أبو عثمان لا تقولوا شيأ فان من استحق أن يصب عليه النار فصولح بالرماد لم يجز له أن يغضب وقيل لابراهيم بن أدهم تغمده الله تعالى برحمته هل فرحت فى الدنيا قط قال نعم مرتين احداهما أنى كنت قاعدا ذات يوم فجاء انسان فبال على والثانية كنت جالسا فجاء انسان فصفعنى وروى أن على بن أبى طالب كرم الله وجهه دعا غلاما له فلم يجبه فدعاه ثانيا وثالثا فرآه مضطجعا فقال أما تسمع يا غلام قال نعم قال فما حملك على ترك جوابى قال أمنت عقوبتك فتكاسلت فقال اذهب فأنت حر لوجه الله تعالى ﴿وحكى﴾ ان أبا عثمان الحيرى دعاه انسان الى ضيافة فلما وافى منزله عاد الرجل اليه وقال يا أستاذ ليس لى وجه فى دخولك فانصرف رحمك الله فانصرف أبو عثمان فلما وافى منزله عاد الرجل اليه وقال يا أستاذ ندمت وأخذ يعتذر له وقال احضر الساعة فقام معه فلما وافى داره قال له مثل ما قال فى الاولى ثم فعل به ذلك أربع مرات وأبو عثمان ينصرف ويحضر ثم قال له يا استاذ انما أردت بذلك اختبارك والوقوف على أخلاقك ثم جعل يعتذر له ويمدحه فقال أبو عثمان لا تمدحنى على خلق تجده فى الكلاب فان الكلب اذا دعى حضر واذا زجر انزجر * وقال الحرث بن قصى يعجبنى من القراء كل فصيح مضحاك فاما الذى تلقاه ببشر ويلقاك بوجه عبوس فلا كثر الله فى المسلمين مثله ﴿ومن محاسن الاخلاق﴾ ما حكى عن القاضى يحيى بن أكثم قال كنت نائما ذات ليلة عند المأمون فعطش فامتنع أن يصيح بغلام يسقيه وأنا نائم فينغص على نومى فرأيته وقد قام يمشى على أطراف أصابعه حتى أتى موضع الماء وبينه وبين المكان الذى فيه الكيزان نحو من ثلثمائة خطوة فأخذ منها كوزا فشرب ثم رجع يمشى على أطراف أصابعه حتى قرب من الفراش الذى أنا عليه فخطا خطوات خائف لئلا ينبهنى حتى صار الى فراشه ثم رأيته آخر الليل قام يبول وكان يقوم فى أول الليل وآخره فقعد طويلا يحاول أن أتحرك فيصيح بالغلام فلما تحركت وثب قائما وصاح يا غلام وتأهب للصلاة ثم جاءنى فقال لى كيف أصبحت يا أبا محمد وكيف كان مبيتك قلت خير مبيت جعلنى الله فداك يا أمير المؤمنين قال لقد استيقظت للصلاة فكرهت أن أصيح بالغلام فازعجك فقلت يا أمير المؤمنين قد خصك الله تعالى باخلاق الانبياء وأحب لك سيرتهم فهناك الله تعالى بهذه النعمة وأتمها عليك فأمر لى بألف دينار فأخذتها وانصرفت قال وبت عنده ذات ليلة فانتبه وقد عرض له السعال فجعلت أرمقه وهو يحشو فه بكم قميصه يدفع به السعال حتى غلبه فسعل وأكب على الارض لئلا يعلو صوته فانتبه قال يحيى وكنت معه يوما فى بستان ندور فيه فجعلنا نمر بالريحان فيأخذ منه الطاقة والطاقتين ويقول لقيم البستان أصلح هذا الحوض ولا تغرس فى هذا الحوض شيأ من البقول قال يحيى ومشينا فى البستان من أوله الى آخره وكنت أنا مما يلى الشمس والمأمون مما يلى الظل فكان يجذبنى ان أتحول أنا فى الظل ويكون هو فى الشمس

ابن معاوية والقاسم بن ربيعة فول القضاء أفقههما فجمع بينهما فقال له اياس أيها الرجل سل عنى وعنه فقيهى المصر الحسن وابن سيرين وكان القاسم يأتيهما واياس لا يأتيهما ففهم القاسم ان سألهما عنه أشارا به فقال له لا تسل عنى ولا عنه فوالله الذى لا اله الا هو ان اياس بن معاوية أفقه منى وأعلم منى بالقضاء فان كنت كاذبا فما عليك أن توليني وأنا كاذب وان كنت صادقا فينبغى أن تقبل قولى فقال له اياس انك جئت برجل وقفت به على شفير جهنم فنجى نفسه منها بيمين كاذبة يستغفر الله تعالى منها وينجو مما يخاف فقال له عدى أما اذ فهمتها فأنت لها أهل فاستقضاه

(نادرة لطيفة) نقل ابن عبد ربه فى العقد ان أبا سفيان زار معاوية فى الشام فلما رجع من عنده دخل على الامام عمر رضى الله عنه فقال له الامام أجدنا قال ما أصبنا شيأ فنجديك فاخذ الامام عمر خاتمه فبعث به الى هند وقال للرسول قل لها يقول لك أبو سفيان انظرى الخرجين اللذين جئت بهما من عند معاوية فأحضريهما فلم يلبث عمر أن أتى بالخرجين فيهما عشرة آلاف درهم فالقاها عمر فى بيت المال فلما ولى عثمان بن عفان رضى الله عنه أراد ردها اليه قال ما كنت لآخذ مالا عابه عمر على والله ان لنا اليه حاجة ولكن لا ترد على من قبلك فيرد عليك من بعدك

﴿استنجاز المواعيد﴾

(قلت) وما ظنك بشئ قد جعله الله فى كتابه العزيز مدحة وفخرا لأنبيائه فقال واذكر فى الكتاب اسمعيل انه كان صادق الوعد ولو لم يكن فى خلف الوعد الا قول الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون لكفى قال عمر

فامتنع من ذلك حتى بلغنا آخر البستان فلما رجعنا قال يا يحيى والله لتكونن فى مكانى ولا كونن فى مكانك حتى آخذ نصيبي من الشمس كما أخذت نصيبك وتاخذ نصيبك من الظل كما أخذت نصيبي فقلت والله يا أمير المؤمنين لو قدرت أن أقيك يوم الهول بنفسي لفعلت فلم يزل بي حتى تحولت الى الظل وتحول هو الى الشمس ووضع يده على عاتقي وقال بحياتي عليك الا ما وضعت يدك على عاتقي مثل ما فعلت أنا فانه لا خير فى صحبة من لا ينصف فانظر الى أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم ما أحسنها والى أفعالهم ما أزينها فنسأل الله تعالى أن يحسن أخلاقنا وأن يبارك لنا فى أرزاقنا انه على ما يشاء قدير وبالاجابة جدير ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

❊الباب الرابع والعشرون فى حسن المعاشرة والمودة والاخوة والزيارة وما أشبه ذلك❊

❊اعلم❊ ان المودة والاخوة والزيارة سبب التآلف والتآلف سبب القوة والقوة سبب التقوى والتقوى حصن منيع وركن شديد بها يمنع الضيم وتنال الرغائب وتنجح المقاصد وقد منّ الله تعالى على قوم وذكرهم نعمته عليهم بان جمع قلوبهم على الصفاء وردها بعد الفرقة الى الالفة والاخاء فقال تعالى واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا ووصف نعيم الجنة وما أعد فيها لأوليائه من الكرامة اذ جعلهم اخوانا على سرر متقابلين وقد سن رسول الله صلى الله عليه وسلم الاخاء وندب اليه وآخى بين الصحابة رضي الله تعالى عنهم أجمعين وقد ذكر الله تعالى أهل جهنم وما يلقون فيها من الألم اذ يقولون فما لنا من شافعين ولا صديق حميم وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم الله وجهه الرجل بلا أخ كشمال بلا يمين وأنشدوا فى ذلك

وما المرء الا باخوانه ❊ كما يقبض الكف بالمعصم
ولا خير فى الكف مقطوعة ❊ ولا خير فى الساعد الاجذم

وقال زياد خير ما اكتسب المرء الاخوان فانهم معونة على حوادث الزمان ونوائب الحدثان وعون فى السراء والضراء ❊ ومن كلام علي رضي الله عنه وكرم وجهه

عليك باخوان الصفاء فانهم ❊ عماد اذا استنجدتهم وظهور
وان قليلا ألف خل وصاحب ❊ وان عدوا واحدا لكثير

وقال الاوزاعي الصاحب للصاحب كالرقعة فى الثوب ان لم تكن مثله شانته وقال عبد الله بن طاهر المال غاد ورائح والسلطان ظل زائل والاخوان كنوز وافرة وقال المأمون للحسن بن سهل نظرت فى اللذات فوجدتها كلها مملولة سوى سبعة قال وما السبعة يا أمير المؤمنين قال خبز الحنطة ولحم الغنم والماء البارد والثوب الناعم والرائحة الطيبة والفراش الوطئ والنظر الى الحسن من كل شئ قال فأين أنت يا أمير المؤمنين من محادثة الرجال قال صدقت وهي أولاهن وقال سليمان بن عبد الملك أكلت الطيب ولبست اللين وركبت الفاره وافتضضت العذراء فلم يبق من لذاتي الا صديق أطرح معه مؤنة التحفظ وكذلك قال معاوية رضي الله عنه نكحت النساء حتى ما أفرق بين امرأة وحائط وأكلت الطعام حتى لا أجد ما أستمرئه وشربت الاشربة حتى رجعت الى الماء وركبت المطايا حتى اخترت نعلي ولبست الثياب حتى اخترت البياض فما بقي من اللذات ما تتوق اليه نفسي الا محادثة أخ كريم وأنشدوا فى معنى ذلك

وما بقيت من اللذات الا ❊ محادثة الرجال ذوي العقول
وقد كانوا اذا عدوا قليلا ❊ فقد صاروا أقل من القليل

(وقال لبيد) ما عاتب المرء اللبيب كنفسه ❊ والمرء يصلحه الجليس الصالح

(وقال آخر) اذا أما أتت من صاحب لك زلة ❊ فكن أنت محتالا لزلته عذرا

وقيل لابن السماك أي الاخوان أحق ببقاء المودة قال الوافر دينه الوافي عقله الذي لا يملك على القرب ولا ينساك على البعد ان دنوت منه داناك وان بعدت عنه راعاك وان استعنت به عضدك وان احتجت اليه رفدك وتكون مودة فعله أكثر من مودة قوله وأنشدوا فى المعنى

ان أخاك الصدق من يسعى معك ❊ ومن يضر نفسه لينفعك
ومن اذا ريب الزمان صدعك ❊ شتت فيك شمله ليجمعك

(وقال

ابن الحرث كانوا يقولون ويفعلون فصاروا يقولون ولا يفعلون ثم صاروا لا يقولون ولا يفعلون فهم ضنوا بالكذب فضلا عن الصدق (ويعجبني قول العباس بن الأحنف)

ماضر من شغل الفؤاد بخله
لو كان عللني بوعد كاذب
صبرا عليك فما أرى لى حيلة
الا التمسك بالرجاء الخائب
سأموت من مطل وتبقى حاجتي
فيما لديك وما لها من طالب

(وذكر حيان بن سليمان عامر بن الطفيل فقال) والله كان اذا وعد الخير وفى واذا وعد الشر أخلف وهو القائل

ولا يرهب ابن العم ما عشت صولتي
ويأمن منى صولة المتهدد
واني وان أوعدته أو وعدته
لمخلف ايعادي ومنجز موعدي

(وقال ابن حازم)

اذا قلت عن شئ نعم فأتمه
فان نعم دين على الحر واجب
والا فقل لا تسترح وترح بها
لئلا يظن الناس انك كاذب

(ويعجبني قول عبد الصمد الرقاشي فى خالد بن ديسم عامل الري وقد أبطأ عليه بوعد)

أخالد ان الري قد أجحفت بنا
وضاق علينا رحبها ومعاشها
وقد أطمعتنا منك يوما سحابة
أضاءت لنا برقا وأبطا رشاشها
فلا غيمها يصحو فييئس طامع
ولا ودقها يهمي فتروى عطاشها

(قلت) ومن البلاغة المرقصة فى هذا الباب خطاب كوثر بن زفر وقد وعده يزيد بن المهلب وأبطأ بوعده وهو ❊ أصلح الله الأمير أنت أعظم من أن يستعان بك أو يستعان عليك ولست تفعل من الخير شيأ الا وهو يصغر عنك وأنت تكبر عنه وليس العجب أن تفعل ولكن العجب أن لا تفعل ❊ قيل ان يزيد بن المهلب

(وقال غيره) وليس أخي من ودني بلسانه * ولكن أخي من ودني وهو غائب
ومن ماله مالي اذا كنت معدما * ومالي له ان أعوزته النوائب

(وقال أبو تمام) من لي بانسان اذا أغضبته * وجهلت كان الحلم رد جوابه
واذا صبوت الى المدام شربت من * أخلاقه وسكرت من آدابه
وتراه يصغي للحديث بطرفه * وبقلبه ولعله أدرى به

وقيل لخالد بن صفوان أي اخوانك أحب اليك قال الذي يسد خلتي ويغفر زلتي ويقيل عثرتي وقيل من لا يؤاخي الا من لا عيب فيه قل صديقه ومن لم يرض من صديقه الا بايثاره على نفسه دام سخطه ومن عاتب على كل ذنب ضاع عتبه وكثر تعبه قال الشاعر

ومن لم يغمض عينه عن صديقه * وعن بعض ما فيه يمت وهو عاتب

(وقال آخر) اذا كنت في كل الامور معاتبا * صديقك لم تلق الذي لا تعاتبه
وان أنت لم تشرب مرارا على الاذى * ظمئت وأي الناس تصفو مشاربه

وقالوا اذا رأيت من أخيك أمرا تكرهه أو خلة لا تحبها فلا تقطع حبله ولا تصرم وده ولكن داوِ كلمته واستر عورته وابقه وابرأ من عمله قال الله تعالى فان عصوك فقل اني بريء مما تعملون فلم يأمره بقطعهم وانما أمره بالبراءة من عملهم السيء وقال صلى الله عليه وسلم الارواح أجناد مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف وقال عليه الصلاة والسلام ان روحي المؤمنين ليلتقيان من مسيرة يوم وما رأى أحدهما صاحبه وفي ذلك قال بعضهم

هويتكم بالسمع قبل لقائكم * وسمع الفتى يهوى لعمري كطرفه
وخبرت عنكم كل جود ورفعة * فلما التقينا كنتم فوق وصفه

(وقال آخر) تبسم الثغر عن أوصافكم فغدا * من طيب ذكركم نشرا فأحيانا
فمن هناك عشقنا كم ولم نركم * والاذن تعشق قبل العين أحيانا

ما تحاب اثنان في الله الا كان أفضلهما عند الله أشدهما حبا لصاحبه ما زار أخ أخاه في الله شوقا اليه ورغبة في لقائه الا ناديه ملائكة من ورائه طبت وطابت لك الجنة وقالوا ليس سرور يعدل لقاء الاخوان ولا غم يعدل فراقهم وقالوا شر الاخوان الواصل في الرخاء الخاذل عند الشدة وقالوا ان من الوفاء أن تكون لصديق صديقك صديقا ولعدو صديقك عدوا وقالوا أعجب الاشياء ود من يهودي وحفظ من نصراني ورياضة من دهري وكرم من أعجمي والحذر من الكريم اذا أهنته واللئيم اذا أكرمته والعاقل اذا أحرجته والاحمق اذا مازحته والفاجر اذا عاشرته وقالوا اصحب من الاخوان من اولاك جمائل كثيرة فكافأته بجميلة واحدة فنسي جمائله وبقي شاكرا ناشرا ذاكرا لجميلتك يوليك عليها الاحسان الجميل الكثير الجزيل ويجعل أنه ما بلغ من مكافأتك القليل وقال ابن عائشة لقاء الخليل شفاء الغليل وقال بعض الحكماء اذا وقع بصرك على شخص فكرهته فاحذره جهدك قال عبد الله بن طاهر

خليلي للبغضاء حال مبينة * وللحب آثار ترى ومعارف
فما تنكر العينان فالقلب منكر * وما تعرف العينان فالقلب عارف

(وقال آخر) وكنت اذا الصديق أراد غيظي * وشرقني على ظمأ بريقي
غفرت ذنوبه وكظمت غيظي * مخافة ان أعيش بلا صديق

(وقال آخر) وليس فتى الفتيان من جل همه * صبوح وان أمسى ففضل غبوق
ولكن فتى الفتيان من راح أو غدا * لضر عدو أو لنفع صديق

(وأما آداب المعاشرة) فالبشاشة والبشر وحسن الخلق والادب فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من أخلاق النبيين والصديقين البشاشة اذا تراأوا والمصافحة اذا تلاقوا وكان القعقاع ابن شور الذهلي اذا جالسه رجل يجعل له نصيبا من ماله ويعينه على حوائجه ودخل يوما على معاوية فأمر له بألف دينار وكان هناك رجل قد فسح له في المجلس فدفعها للذي فسح له فقال

وكنت جليس قعقاع بن شور * وما يشقى بقعقاع جليس

لما سمع هذا الخطاب البليغ مال سكرا وطربا وقال له سل حاجتك قال حملت من عشر عشر ديات قال قد أمرت لك بها وشفعتها بمثلها (ويعجبني قول بعضهم) أما بعد فان شجرة وعدك قد أورقت فليكن وعدها سالما من حوائج المطل والسلام *لطيف الاستمناح* قال الحكماء لطيف الاستمناح سبب النجاح والنفس ربما انطلقت وانشرحت للطيف السؤال وامتنعت وانقبضت بجفاء السائل (ولله در القائل)

ان الكريم أخو المودة والتهى
من ليس في حاجاته بمثقل

دخل عبد الملك بن صالح على الرشيد فقال له أسألك بالقرابة والخاصة أم بالخلافة والعامة فقال بالخلافة والعامة فقال يا أمير المؤمنين يداك بالعطية أطلق من لساني فأجزل عطيته *وقفت امرأة على قيس بن سعد بن عبادة* فقالت أشكو اليك قلة الجرذان فقال ما أحسن هذه الكناية املؤا لها بيتها لحما وخبزا وسمنا *نادرة لطيفة* كان أبو جعفر المنصور أيام بني أمية اذا دخل البصرة دخل متكتما وكان يجلس في حلقة أزهر السمان المحدث فلما أفضت اليه الخلافة قدم أزهر عليه فرحب به وقربه وقال ما حاجتك يا أزهر فقال يا أمير المؤمنين داري متهدمة وعلي أربعة آلاف درهم وأريد أزوج ابني محمدا فوصله باثني عشر ألف درهم وقال قد قضينا حاجتك يا أزهر فلا تأتنا بعد هذا طالبا فأخذها وارتحل فلما كان بعد سنة أتاه فقال له أبو جعفر ما حاجتك يا أزهر قال جئت مسلما فقال لا والله بل جئت طالبا وقد أمرنا لك باثني عشر ألفا فلا تأتنا طالبا ولا مسلما فأخذها ومضى فلما كان بعد سنة أتاه فقال

ضحوك السن ان نطقوا بخير * وعند الشر مطراق عبوس

وقال ابن عباس رضى الله عنهما الجليس على ثلاث ان أرمقه بطرفى اذا أقبل وأوسع له اذا جلس وأصغى له اذا حدث ويقال لكل شئ محل ومحل العقل مجالسة الناس ومثل الجليس الحسن كالعطار ان لم يصبك من عطره أصابك من رائحته ومثل الجليس السوء مثل الكبريت ان لم يحرق ثوبك بناره آذاك بدخانه وكانت تحية العرب صبحتك الانعمة وطيب الاطعمة وتقول أيضا صبحتك الافالح وكل طير صالح ووصف المأمون ثمامة بحسن المعاشرة فقال انه يتصرف مع القلوب تصرف السحاب مع الجنوب وقيل أول ما يتعين على الجليس الانصاف فى المجالسة بأن يحفظ بعين الادب مكانه من مكان جليسه فيكون كل منهما فى محله وقال صلى الله عليه وسلم ذو العلم والسلطان أحق بشرف المنزل وقال جعفر الصادق رضى الله عنه اذا دخلت منزل أخيك فاقبل كرامته كلها ما عدا الجلوس فى الصدر وينبغى للانسان أن لا يقبل بحديثه على من لا يقبل عليه فقد قيل ان نشاط المتكلم بقدر اقبال السامع ويتعين عليه أن يحدث المستمع على قدر عقله ولا يبتدع كلاما لا يليق بالمجلس فقد قيل لكل مقام مقال وخير القول ما وافق الحال وأوجبوا على المستمع أنه اذا ورد عليه من المتكلم ما كان مر بسمعه أولا أن لا يقطع عليه ما يقوله بل يسكت الى أن يستوعب منه القول وعدوا ذلك من باب الادب ولعله اذا صبر وسكت استفاد من ذلك زيادة فائدة لم تكن فى حفظه وقيل ثمانية ان أهينوا فلا يلوموا الا أنفسهم الجالس فى مجلس ليس له بأهل والمقبل بحديثه على من لا يسمعه والداخل بين اثنين فى حديثهما ولم يدخلاه فيه والمتعرض لما لا يعنيه والمتأمر على رب البيت فى بيته والآتى الى مائدة بلا دعوة وطالب الخير من أعدائه والمستخف بقدر السلطان ويتعين على الجليس أن يراعى ألفاظه ويكون على حذر أن يعثر لسانه خصوصا اذا كان جليسه ذا هيبة فقد قيل رب كلمة سلبت نعمة وقال أبو العباس السفاح ما رأيت أغزر من فكر أبى بكر الهذلى لم يعد على حديثا قط وقيل ان أبا العباس كان يحدثه يوما اذ عصفت الريح فأرمت طستا من سطح الى المجلس فارتاع من حضر ولم يتحرك الهذلى ولم تزل عينه مطابقة لعين السفاح فقال ما أعجب شأنك يا هذلى فقال ان الله يقول ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه وانما لى قلب واحد فلما غمره النور بمحادثة أمير المؤمنين لم يكن فيه لحادث مجال فلو انقلبت الخضراء على الغبراء ما أحسست بها ولا وجمت لها فقال السفاح لئن بقيت لك لأرفعن مكانك ثم أمر له بمال جزيل وصلة كبيرة وكان ابن خارجة يقول ما غلبنى أحد قط غلبة رجل يصغى الى حديثى *وفى نوابغ الحكم أكرم حديث أخيك بانصاتك وصنه من وصمة التفاتك وقيل من حق الملك اذا تثاءب أو ألقى المروحة من يده أو مدرجليه أو تمطى أو اتكأ أو فعل ما يدل على كسله ان يقوم من بحضرته وكان أردشير اذا تمطى قام سماره ومن حق الملك ان لا يعاد عليه حديث وان طال الدهر قال روح بن زنباع أقمت مع عبد الملك سبع عشرة سنة فما أعدت عليه حديثا الا مرة واحدة فقال لى قد سمعته منك وعن الشعبى قال ما حدثت بحديث مرتين رجلا بعينه وقال عطاء بن أبى رباح ان الرجل ليحدثنى بالحديث فأنصت له كأنى لم أسمعه قط وقد سمعت به من قبل ان يولد وقيل المودة طلاقة الوجه والتودد الى الناس وقال معاذ ابن جبل رضى الله عنه ان المسلمين اذا التقيا فضحك كل واحد منهما فى وجه صاحبه ثم أخذ بيده تحاتت ذنوبهما كتحات ورق الشجر وقيل البشر يدل على السخاء كما يدل النور على الثمر وقيل من السنة اذا حدثت القوم أن لا تقبل على واحد منهم ولكن اجعل لكل واحد منهم نصيبا وقالوا اذا أردت حسن المعاشرة فالق عدوك وصديقك بالطلاقة ووجه الرضا والبشاشة ولا تنظر فى عطفيك ولا تكثر الالتفات ولا تقف على الجماعات واذا جلست فلا تتكبر على أحد وتحفظ من تشبيك أصابعك ومن العبث بلحيتك ومن اللعب بخاتمك وتخليل أسنانك وادخال اصبعك فى أنفك وكثرة بصاقك وكثرة التمطى والتثاؤب فى وجوه الناس وفى الصلاة وليكن مجلسك هادئا وحديثك منظوما مرتبا واصغ الى كلام مجالسك واسكت عن المضاحك ولا تتصنع تصنع المرأة فى التزين ولا تلح فى الحاجات ولا تشجع احدا على الظلم ولا تمازح أمتك ولا عبدك فيسقط وقارك عندهما واذا خاصمت فانصف وتحفظ من جهلك وتجنب عجلتك وتفكر فى حجتك ولا تكثر الاشارة بيدك ولا الالتفات الى من وراءك واهدئ غضبك وتكلم واذا قربك سلطان فكن منه على حذر واحذر انقلابه عليك وكلمه بما يشتهى ولا يحملنك لطفه بك على أن تدخل بينه وبين أهله وحشمه وان كنت لذلك مستحقا عنده واياك

ما حاجتك يا أزهر قال أتيت عائدا فقال لا والله بل جئت طالبا وقد أمرنا لك باثنى عشر ألفا فاذهب ولا تأتنا بعد طالبا ولا مسلما ولا عائدا فأخذها وانصرف فلما مضت السنة أقبل فقال له ما حاجتك يا أزهر قال يا أمير المؤمنين دعاء كنت أسمعك تدعو به جئت لأكتبه فضحك أبو جعفر وقال الدعاء الذى تطلبه غير مستجاب فانى دعوت الله به أن لا أراك فلم يستجب لى وقد أمرنا لك باثنى عشر ألفا وتعال اذا شئت فقد أعيتنا الحيلة فيك

(ودخل رجل من الشعراء) على يحيى بن خالد بن برمك فأنشده

سألت الندى هل أنت حر فقال لا
ولكننى عبد ليحيى بن خالد
فقلت شراء قال لا بل وراثة
توارثنى من والد بعد والد

فأمر له بعشرة آلاف درهم (أجواد الجاهلية الذين انتهى اليهم الجود ثلاثة نفر) حاتم بن عدى الطائى وهرم بن سنان المزنى وكعب بن مامة الايادى ولكن المضروب به المثل حاتم وحده وكان اذا اشتد البرد وكلب الشتاء أوقد نارا فى يفاع الارض لينظر اليها المار ليلا فيبادر اليها وهو له مثل لغلامه يسار

أوقد فان الليل ليل قر
والريح يا موقد ريح صر
حتى يرى نارك من يمر
ان جلبت ضيفا فأنت حر

(وأما) هرم بن سنان فهو صاحب زهير الذى يقول فيه

تراه اذا ما جئته متهللا
كأنك تعطيه الذى أنت سائله

(وأما) كعب بن مامة الايادى فلم يأت له الا مأذكر عنه من ايثاره رفيقه السعدى بالماء حتى مات عطشا ونجا السعدى بالماء حتى مات عطشا ونجا السعدى وناهيك بهذا الكرم الذى ما سبق اليه (وأما أجواد الحجاز فثلاثة فى عصر واحد

وصديق العافية فانه أعدى الاعداء ولا تجعل مالك أكرم من عرضك ولا تجالس الملوك فان فعلت فالتزم ترك الغيبة ومجانبة الكذب وصيانة السر وقلة الحوايج وتهذيب الالفاظ والمذاكرة باخلاق الملوك والحذر منهم وان ظهرت المودة ولا تتجشأ بحضرتهم ولا تخلل أسنانك بعد الاكل عندهم ولا تجالس العامة فان فعلت فآداب ذلك ترك الخوض في حديثهم وقلة الاصغاء الى أراجيفهم والتغافل عما يجري من سوء ألفاظهم واياك أن تمازح لبيبا أو سفيها اذ ان اللبيب يحقد عليك والسفيه يتجرأ عليك ولان المزح يخرق الهيبة ويذهب بماء الوجه ويعقب الحقد ويذهب بحلاوة الايمان والود ويشين فقه الفقيه ويجرئ السفيه ويميت القلب ويباعد عن الرب تعالى ويكسب الغفلة والذلة ومن بلي في مجلس بمزاح أو لغط فليذكر الله عند قيامه فقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من جلس في مجلس فكثر فيه لغطه فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا اله الا أنت أستغفرك وأتوب اليك غفر له ما كان في مجلسه ذلك

﴿ وأما آداب المسايرة ﴾ فقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تعقب هو وعلي بن أبي طالب كرم الله وجهه ورجل آخر من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين في سفر على بعير فكان اذا جاءت نوبته في المشي مشى فيعزمان عليه أن لا يمشي فيأبى ويقول ما أنتم بأقدر مني على مشي وما أنا بأغنى منكم عن أجر وقال صلى الله عليه وسلم لا تتخذوا ظهور الدواب كراسي وقيل لا تتقدم الاصاغر على الاكابر الا في ثلاث اذا ساروا ليلا أو خاضوا سيلا أو واجهوا خيلا وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه لا يكون الصديق صديقا حتى يحفظ أخاه في ثلاث في نكبته وغيبته ووفاته

﴿ وأما ما جاء في الاخوان القليلي الموافاة العديمي المكافاة الذين ليس عندهم لصديق مصافاة ﴾
فقال وهب بن منبه صحبت الناس خمسين سنة فما وجدت رجلا غفر لي زلة ولا أقالني عثرة ولا ستر لي عورة وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه اذا كان الغدر طبعا فالثقة بكل أحد عجز وقيل لبعضهم ما الصديق قال اسم وضع على غير مسمى وحيوان غير موجود (قال الشاعر)

سمعنا بالصديق ولا نراه * على التحقيق يوجد في الانام
وأحسبه محالا غفوه * على وجه المجاز من الكلام

وقال أبو الدرداء كان الناس ورقا لا شوك فيه فصاروا شوكا لا ورق فيه وقال جعفر الصادق لبعض اخوانه أقلل من معرفة الناس وأنكر من عرفت منهم وان كان لك مائة صديق فاطرح تسعة وتسعين وكن من الواحد على حذر وقيل لبعض الولاة كم لك صديق فقال أما في حال الولاية فكثير وأنشد

الناس اخوان من دامت له نعم * والويل للمرء ان زلت به القدم

(ولما) نكب علي بن عيسى الوزير لم ينظر ببابه أحدا من أصحابه الذين كانوا يألفونه في ولايته فلما ردت اليه الوزارة وقف أصحابه ببابه ثانيا فقال

ما الناس الا مع الدنيا وصاحبها * فكلما انقلبت يوما به انقلبوا
يعظمون أخا الدنيا فان وثبت * يوما عليه بما لا يشتهي وثبوا

(وقال آخر) فما أكثر الاصحاب حين تعدهم * ولكنهم في النائبات قليل

(وقال البحتري) اياك تغتر أو تخدعك بارقة * من ذي خداع يرى بشرا وألطافا
فلو قلبت جميع الارض قاطبة * وسرت في الأرض أوساطا وأطرافا
لم تلق فيها صديقا صادقا أبدا * ولا أخا يبذل الانصاف ان صافى

(وقال بعضهم في المعنى أيضا) خليلي جربت الزمان وأهله * فما نالني منهم سوى الهم والعنا
وعاشرت أبناء الزمان فلم أجد * خليلا يوفي بالعهود ولا أنا

(وقال آخر) لما رأيت بني الزمان وما بهم * خل وفي للشدائد اصطفي
فعلمت أن المستحيل ثلاثة * الغول والعنقاء والخل الوفي

(بيت مفرد) وكل خليل ليس في الله وده * فاني به في وده غير واثق

(وقال آخر) اذا ما كنت متخذا خليلا * فلا تأمن خليلك أن يخونا

وهم عبيد الله بن العباس وعبد الله ابن جعفر وسعيد بن العاص (وأجواد أهل البصرة خمسة في عصر واحد) وهم عبد الله بن عامر وعبد الله بن أبي بكر مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسالم بن زياد وعبد الله بن معمر القرشي التيمي وطلحة الطلحات وهو طلحة بن خالد الخزاعي (وأجواد أهل الكوفة ثلاثة في عصر واحد) وهم عتاب ابن ورقاء الرياحي وأسماء بن خارجة وعكرمة الفياض *فمن جود عبيد الله انه أول من فطر جيرانه وأول من وضع الموائد على الطريق (ومن جوده) أن أتاه رجل وهو بفناء داره فقام بين يديه وقال يا ابن عباس ان لي عندك يدا وقد احتجت اليها فصعد فيه بصره وصوبه فلم يعرفه فقال له ما يدك عندنا قال له رأيتك واقفا بزمزم وغلامك يملأ من مائها والشمس قد صهرتك فظللتك بطرف كسائي حتى شربت فقال أجل اني لأذكر ذلك ثم قال لغلامه ما عندك قال مائتا دينار وعشرة آلاف درهم قال ادفعها اليه وما أراها تفي بحق يده عندنا فقال له الرجل والله لو لم يكن لاسمعيل ولد غيرك لكان فيك كفاية فكيف وقد ولد سيد المرسلين ثم شفع بك وبأبيك (ومن جوده أيضا) ان معاوية حبس عن الحسين ابن علي رضي الله عنه صلاته حتى ضاقت عليه الحال فقيل له لو وجهت الى عمك عبيد الله بن العباس لكفاك وقد قدم بألف ألف قال الحسين فما مقدارها عنده والله انه لأجود من الريح اذا عصفت وأسخى من البحر اذا زخر ثم وجه اليه رسوله بكتاب يذكر فيه حبس معاوية عنه صلاته وضيق حاله وانه يحتاج الى مائة ألف فلما قرأ عبيد الله كتابه وكان أرق الناس قلبا وألينهم عطفا انهملت عيناه ثم قال ويلك

فانك لم يخنك أخ أمين * ولكن قلما تلقى أمينا

(وقال آخر) تحب عدوى ثم تزعم أننى * أودك ان الرأى عنك لعازب

وليس أخى من ودنى بلسانه * ولكن اخى من ودنى وهو غائب

ومن ماله مالى اذا كنت معدما * ومالى له ان أعوزته النوائب

ولما غضب السلطان على الوزير ابن مقلة وأمر بقطع يده لما بلغه انه زور عنه كتابا الى أعدائه وعزله لم يأت اليه أحد ممن كان يصحبه ولا توجع له ثم ان السلطان ظهر له فى بقية يومه انه برىء مما نسب اليه فخلع عليه ورد اليه وظائفه فانشد يقول هذه الابيات

تحالف الناس والزمان * فحيث كان الزمان كانوا * عادانى الدهر نصف يوم

فانكشف الناس لى وبانوا * يا أيها المعرضون عنا * عودوا فقد عاد لى الزمان

(ومثله فى المعنى) أخوك أخوك من يدنو وترجو * مودته وان دعى استجابا

اذا حاربت حارب من تعادى * وزاد سلاحه منك اقترابا

(وقال أبو بكر الخالدى) وأخ رخصت عليه حتى ملنى * والشىء مملول اذا ما يرخص

ما فى زمانك من يعز وجوده * ان رمته الا الصديق مخلص

فيجب على الانسان ان لا يصحب الا من له دين وتقوى فان المحبة فى الله تنفع فى الدنيا والآخرة وما أحسن ما قال بعضهم

وكل محبة فى الله تبقى * على الحالين من فرج وضيق

وكل محبة فيما سواه * فكالحلفاء فى لهب الحريق

فينبغى للانسان أن يجتنب معاشرة الاشرار ويترك مصاحبة الفجار ويهجر من ساءت خلته وقبحت بين الناس سيرته قال الله تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين وقال تعالى وما من دابة فى الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم فاثبت الله المماثلة بيننا وبين البهائم وذلك انما هو فى الاخلاق خاصة فليس أحد من الخلق الا وفيه خلق من أخلاق البهائم ولهذا تجد أخلاق الخلائق مختلفة فاذا رأيت الرجل جاهلا فى خلائقه غليظا فى طباعه قويا فى بدنه لا تؤمن ضغائنه فألحقه بعالم النمورة والعرب تقول أجهل من نمر واذا رأيت الرجل هجاما على أعراض الناس فقد ماثل عالم الكلاب فان دأب الكلب أن يجفو من لا يجفوه ويؤدى من لا يؤذيه فعامله بما كنت تعامل به الكلب اذا نبح ألست تذهب وتتركه واذا رأيت انسانا قد جبل على الخلاف ان قلت نعم قال لا وان قلت لا قال نعم فألحقه بعالم الحمير فان دأب الحمار ان أدنيته بعد وان أبعدته قرب فلا تنتفع به ولا يمكنك مفارقته وان رأيت انسانا يهجم على الاموال والارواح فألحقه بعالم الاسود وخذ حذرك منه كما تأخذ حذرك من الاسد واذا بليت بانسان خبيث كثير الروغان فألحقه بعالم الثعالب واذا رأيت من يمشى بين الناس بالنميمة ويفرق بين الاحبة فألحقه بعالم الظربان وهى دابة صغيرة تقول العرب عند تفرق الجماعة فسا بينهم ظربان فتفرقوا واذا رأيت انسانا لا يسمع الحكمة والعلم وينفر من مجالسة العلماء ويألف أخبار أهل الدنيا فألحقه بعالم الخنافس فانه يعجبها أكل العذرات وملامسة النجاسات وتنفر من ريح المسك والورد واذا شمت الرائحة الطيبة ماتت لوقتها واذا رأيت الرجل يصنع بنفسه كما تصنع المرأة لبعلها يبيض ثيابه ويعدل عمامته وينظر فى عطفيه فألحقه بعالم الطواويس واذا بليت بانسان حقود لا ينسى الهفوات ويجازى بعد المدة الطويلة على السقطات فألحقه بعالم الجمال والعرب تقول أحقد من جمل فتجنب قرب الرجل الحقود وعلى هذا النمط فليحترز العاقل من صحبة الأشرار وأهل الغدر ومن لا وفاء لهم فانه اذا فعل ذلك سلم من مكائد الخلق وأراح قلبه وبدنه والله أعلم

﴿وأما الزيارة والاستدعاء اليها﴾ فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى وجبت محبتى للمتحابين فى والمتباذلين فى والمتزاورين فى اليوم أظلهم فى ظلى يوم لا ظل الا ظلى وقال صلى الله عليه وسلم من عاد مريضا أو زار أخا نادى مناد أن طبت وطاب ممشاك تبوأت من الجنة منزلا وقيل المحبة شجرة أصلها الزيارة قال الشاعر

زر من تحب وان شطت بك الدار * وحال من دونه حجب وأستار

لا يمنعك بعد من زيارته * ان المحب لمن يهواه زوار

يا معاوية تشكون الى الحسين المهاد رفيع العماد والحسين يشكو ضعف الحال وكثرة العيال ثم قال لقهرمانه احمل الى الحسين نصف ما أملكه من ذهب وفضة ودابة وأخبره أنى شاطرته فان أقنعه ذلك والا فارجع واحمل اليه النصف الآخر قال فلما وصل الرسول الى الحسين قال انا لله ثقلت والله على عمى وما ظننت انه يتسع بهذا كله فأخذ الشطر من ماله وهو أول من فعل هذا فى الاسلام (ومن جوده أيضا) ان معاوية أهدى اليه وهو عنده فى شهر من هدايا النوروز حللا كثيرة ومسكا وآنية من ذهب وفضة ووجهها اليه مع حاجبه فلما وضعها بين يديه نظر الى الحاجب وهو يطيل النظر فيها فقال هل فى نفسك منها شىء قال نعم والله ان فى نفسى منها ما كان فى نفس يعقوب من يوسف فضحك عبيد الله فقال فشأنك بها فهى لك قال جعلت فداك انا أخاف أن يبلغ ذلك معاوية فيغضب لذلك قال فاختمها بخاتمك وادفعها الى الخازن وهو يحملها اليك ليلا فقال الحاجب والله ان هذه الحيلة فى الكرم أكثر من الكرم ولوددت أنى لا أموت حتى أراك مكانه يعنى معاوية فظن عبيد الله انها مكيدة منه فقال دع هذا الكلام انا من قوم نفى بما عقدنا ولا ننقض ما أكدنا وقال له رجل من الانصار جعلت فداك والله لو سمعت حاتما يوم ما ذكرته العرب وانا أشهد أن عفو جودك أكثر من مجهوده وطل صوبك أكثر من وابله (ومن جود عبد الله بن جعفر) ان عبد الله بن أبى عمارة دخل على نخاس يعرض قيانا للبيع فشغفه حب واحدة منهن ولم يكن له جدة يتوصل بها الى المشترى فشبب بذكرها حتى مشى اليه عطاء وطاوس ومجاهد يعذلونه فى ذلك

ولتمكن

ولتكن الزيارة غبا لقوله صلى الله عليه وسلم زر غبا تزدد حبا قال الشاعر في معنى ذلك

عليك باغباب الزيارة انها * اذا كثرت صارت الى الهجر مسلكا
ألم تر أن الغيث يسأم دائما * ويسئل بالايدى اذا هو أمسكا

ويقال الاكثار من الزيارة ممل والاقلال منها مخل وكتب صديق الى صديقه هذا البيت

اذا ما تقاطعنا ونحن ببلدة * فما فضل قرب الدار منا على البعد

(وقال آخر) وان مروري بالديار التي بها * سليمى ولم ألمم بها لجفاء
(وقال آخر) قد اتانا من آل سعدى رسول * حبذا ما يقول لى وأقول
(وقال آخر) أزور بيوتا لاصقات بيتها * وقلبي في البيت الذي لا أزوره

وزار محمد بن يزيد المهلبي المستعين ووهب له مائتي ألف درهم وأقطعه أرضا فقال

وخصصتني بزيارة أضحى لنا * مجد بها طول الزمان مؤثل
وقضيت ديني وهو دين وافر * لم يقضه مع جوده المتوكل

وكتب المأمون الى جاريته الخيزران يستدعيها للزيارة

نحن في أفضل السرور ولكن * ليس الا بكم يتم السرور
عيب ما نحن فيه يا أهل ودي * انكم غبتم ونحن حضور
فأجدوا المسير بل ان قدرتم * أن تطيروا مع الرياح فطيروا

وقيل لفيلسوف أي الرسل أنجح قال الذي له جمال وعقل وقيل اذا أرسلتم رسولا في حاجة فاتخذوه حسن الوجه حسن الاسم وقال لقمان لابنه يا بني لا تبعث رسولا جاهلا فان لم تجد حكيما عارفا فكن رسول نفسك وقال بعضهم

اذا أبطأ الرسول فقل نجاح * ولا تفرح اذا عجل الرسول

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿الباب الخامس والعشرون في الشفقة على خلق الله تعالى والرحمة بهم وفضل الشفاعة واصلاح ذات البين وفيه فصلان﴾

﴿الفصل الاول في الشفقة على خلق الله تعالى والرحمة بهم﴾ قال الله تعالى لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم ووصف الله سبحانه وتعالى نفسه لعباده فقال عز وجل ان الله بالناس لرؤف رحيم وقال تعالى الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم قال المفسرون الرحمن اسم رقيق يدل على العطف والرقة واللطف والكرم والمنة والحلم على الخلق والرحيم مثله وقيل يقال رحمن الدنيا ورحيم الآخرة وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لا يضع الله الرحمة الا على رحيم قلنا يا رسول الله كلنا رحيم قال ليس الرحيم الذي يرحم نفسه وأهله خاصة ولكن الرحيم الذي يرحم المسلمين رواه أبو يعلى والطبراني وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من لا يرحم لا يرحم ومن لا يغفر لا يغفر له وعنه صلى الله عليه وسلم قال ارحموا ترحموا واغفروا يغفر لكم وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل ان كنتم تريدون رحمتي فارحموا خلقي رواه أبو محمد بن عدي في كتاب الكامل وروينا من طريق الطبراني عن الشعبي عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتواصلهم كمثل الجسد اذا اشتكى عضو منه تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر قال الطبراني اني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فسألته عن هذا الحديث فقال النبي صلى الله عليه وسلم وأشار بيده صحيح صحيح صحيح ثلاثا وعن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من مسح على رأس يتيم كان له بكل شعرة تمر عليها يده نور يوم القيامة ودخل عامل لعمر بن الخطاب رضي الله عنه فوجده مستلقيا على ظهره وصبيانه يلعبون على بطنه فانكر ذلك عليه فقال له عمر كيف أنت مع أهلك قال اذا دخلت سكت الناطق فقال له اعتزل فانك لا ترفق بأهلك وولدك فكيف ترفق بأمة محمد صلى الله عليه وسلم وروي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان أبدال امتي لن يدخلوا الجنة بالاعمال ولكن يدخلونها برحمة الله وسخاوة النفس وسلامة الصدر والرحمة لجميع المسلمين

فكان جوابه أن قال

يلومني فيك أقوام أجالسهم * فما أبالي أطار اللوم أم وقعا

فانتهى خبره الى عبد الله بن جعفر فلم يكن له هم غيره فحج وبعث الى مولى الجارية فاشتراها منه بأربعين ألف درهم وأمر قيمة جواريه أن تزينها وتحليها ففعلت وبلغ الناس قدومه فدخلوا عليه فقال مالي لا أرى ابن عمارة زائرا فأخبر بذلك فأتى مسلما فلما أراد أن ينهض استجلسه ثم قال ما فعل بك حب فلانة قال حبها في اللحم والدم والمخ والعصب قال أتعرفها ان رأيتها قال لو أدخلت الجنة لم أنكرها فأمرها عبد الله ان تخرج اليه وقال له انما اشتريتها لك والله ما دنوت منها فشأنك بها بارك الله لك فيها فلما ولى قال يا غلام احمل اليه مائة ألف درهم قال فبكى عبد الله وقال يا أهل البيت لقد خصكم الله بشرف ما خص به أحدا من صلب آدم فهنا كم الله بهذه النعمة وبارك لكم فيها (ولقد) تقررت أجواد الاسلام أحد عشر جوادا ذكرت من جود بعضهم ما تيسر وقال صاحب العقد انه جاء بعدهم طبقة أخرى وهي الطبقة الثانية (فمنهم) الحكم بن أحطب قيل سأله اعرابي فأعطاه خمسمائة دينار فبكى الاعرابي فقال له لعلك استقللت ما أعطيناك فقال لا والله ولكني أبكي لما تأكل الارض منك ثم أنشد

فكان آدم حين حان وفاته * أوصاك وهو يجود بالحوباء
ببنيه ان ترعاهم فرعيتهم * وكفيت آدم عيلة الابناء

(وحكى) عن العتبي انه قال حدثني رجل قال قدم علينا الحكم بن أحطب وهو مملق فاغنانا فقلت وكيف أغنا كم وهو مملق فقال علمنا المكارم فعاد غنينا على فقيرنا (ومنهم معن بن زائدة) يقال فيه حدث

(الفصل الثاني في الشفاعة واصلاح ذات البين) قال الله تعالى من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها وكان الله على كل شيء مقيتا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يسأل العبد عن جاهه كما يسأله عن عمره فيقول له جعلت لك جاها فهل نصرت به مظلوما او قمعت به ظالما او أغثت به مكروبا وقال صلى الله عليه وسلم أفضل الصدقة أن تعين بجاهك من لا جاه له وعن أبي بردة عن أبي موسى الاشعري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جاءني طالب حاجة فاشفعوا له لكي تؤجروا ويقضي الله تعالى على لسان نبيه ما شاء وعن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل الصدقة صدقة اللسان قيل يا رسول الله وما صدقة اللسان قال الشفاعة تفك بها الاسير وتحقن بها الدماء وتجر بها المعروف الى أخيك وتدفع عنه بها كريهة رواه الطبراني في المكارم وقال علي رضي الله عنه الشفيع جناح الطالب وقال رجل لبعض الولاة ان الناس يتوسلون اليك بغيرك فينالون معروفك ويشكرون غيرك وأنا أتوسل اليك بك ليكون شكري لك لا لغيرك * وقيل كان المنصور معجبا بمحادثة محمد بن جعفر بن عبد الله بن عباس رضي الله عنهم وكان الناس لعظم قدره يفزعون اليه في الشفاعات فثقل ذلك على المنصور فحجبه مدة ثم لم يصبر عنه فأمر الربيع أن يكلمه في ذلك فكلمه وقال اعف يا أمير المؤمنين لا تثقل عليه في الشفاعات فقبل ذلك منه فلما توجه الى الباب اعترضه قوم من قريش معهم رقاع فسألوه ايصالها الى المنصور فقص عليهم القصة فأبوا الا أن يأخذها فقال اقذفوها في كمي ثم دخل عليه وهو في الخضراء مشرف على مدينة السلام وما حولها من البساتين فقال له أما ترى الى حسنها يا أبا عبد الله فقال له يا أمير المؤمنين بارك الله لك فيما آتاك وهناك باتمام نعمته عليك فيما أعطاك فما بنت العرب في دولة الاسلام ولا العجم في سالف الايام أحصن ولا أحسن من مدينتك ولكن سمجتها في عيني خصلة قال وما هي قال ليس لي فيها ضيعة فتبسم وقال قد حسنتها في عينك بثلاث ضياع قد أقطعتكها فقال أنت والله يا أمير المؤمنين شريف الموارد كريم المصادر فجعل الله تعالى باقي عمرك أكثر من ماضيه ثم أقام معه يومه ذلك فلما نهض ليقوم بدت الرقاع من كمه فجعل يردهن ويقول ارجعن خائبات خاسرات فضحك المنصور وقال بحقي عليك الا أخبرتني وأعلمتني بخبر هذه الرقاع فأعلمه وقال ما أتيت يا ابن معلم الخير الا كريما وتمثل بقول عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر

لسنا وان احسابنا كرمت * يوما على الاحساب نتكل

نبني كما كانت أوائلنا * تبني ونفعل مثل ما فعلوا

ثم تصفح الرقاع وقضى حوائجهم عن آخرها قال محمد فخرجت من عنده وقد ربحت وأربحت * وقال المبرد أتاني رجل لأشفع له في حاجة فأنشدني لنفسه

اني قصدتك لا أدلي بمعرفة * ولا بقرب ولكن قد فشت نعمك

فبت حيران مكروبا يؤرقني * ذل الغريب ويغشيني الكرى كرمك

ما زلت أنكب حتى زلزلت قدمي * فاحتل لتثبيتها لا زلزلت قدمك

فلو هممت بغير العرف ما علقت * به يداك ولا انقادت له شيمك

قال فشفعت له وأنلته من الاحسان ما قدرت عليه وكتب رجل الى يحيى بن خالد رقعة فيها هذا البيت

شفيعي اليك الله لا شيء غيره * وليس الى رد الشفيع سبيل

فأمره بلزوم الدهليز فكان يعطيه كل يوم عند الصباح ألف درهم فلما استوفى ثلاثين ألفا ذهب الرجل فقال يحيى والله لو أقام الى آخر عمره ما قطعتها عنه شعر

وقد جئتكم بالمصطفى متشفعا * وما خاب من بالمصطفى يتشفع

الى باب مولانا رفعت ظلامتي * عسى الهم يعني والمصائب ترفع

وقال آخر

تشفع بالنبي فكل عبد * يجار اذا تشفع بالنبي

ولا تجزع اذا ضاقت أمور * فكم لله من لطف خفي

وروي أن جبريل عليه السلام قال يا محمد لو كانت عبادتنا لله تعالى على وجه الارض لعملنا ثلاث خصال سقي الماء للمسلمين واعانة أصحاب العيال وستر الذنوب على المسلمين اذا أذنبوا اللهم استر ذنوبنا واقض عنا تبعاتنا

وصلى

فمن البحر ولا حرج وحدث عن معن ولا حرج وأتاه رجل يستحمله فقال يا غلام أعطه فرسا وبرذونا وبغلا وعيرا وبعيرا وجارية ولو عرفت مركوبا غير هذا لأعطيتك (ومنهم يزيد بن المهلب) قيل كان هشام بن حسان اذا ذكره قال كانت السفن تجري في بحر جوده (حكي) الاصمعي انه قدم على يزيد قوم من قضاعة فقال رجل منهم

والله ما ندري اذا ما فاتنا

طلب اليك من الذي نتطلب

ولقد ضربنا في البلاد فلم نجد

أحدا سواك الى المكارم ينسب

فاصبر لعادتك التي عودتنا

أولا فأرشدنا الى من نذهب

فأمر له بألف دينار (ومنهم يزيد ابن حاتم) قيل ان ربيعة الرأي قدم مصر فأتى يزيد السلمي فلم يعطه شيئا ثم عطف على يزيد بن حاتم فشغل عنه لأمر ضروري فخرج وهو يقول

أراني ولا كفران لله راجعا

بخفي حنين من نوال ابن حاتم

فلما فرغ يزيد من ضرورته سأل عنه فأخبر عنه انه خرج وهو يقول كذا وأنشد البيت فأرسل من يجد في طلبه فأتى به فقال كيف قلت فأنشد البيت فقال شغلنا عنك وعجلت علينا ثم أمر بخفيه فخلعا من رجليه وملئا مالا وقال ارجع بهما بدلا من خفي حنين (ومنهم أبو دلف) واسمه القاسم وفيه يقول ابن أبي جبلة

انما الدنيا أبو دلف

بين باديه ومحتضره

فاذا ولى أبو دلف

ولت الدنيا على أثره

وقال

ان سار سار المجد أو حل وقف

انظر بعينك الى أعلى الشرف

هل ناله بقدرة أو بكلف

خلق من الناس سوى أبي دلف

فأعطاه خمسين ألف درهم (ومنهم خالد بن عبد الله القسري)

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿الباب السادس والعشرون في الحياء والتواضع ولين الجانب وخفض الجناح وفيه فصلان﴾

﴿الفصل الاول في الحياء﴾ قالت عائشة رضي الله تعالى عنها مكارم الاخلاق عشرة صدق الحديث وصدق اللسان وأداء الامانة وصلة الرحم والمكافأة بالصنيع وبذل المعروف وحفظ الذمام للجار وحفظ الذمام للصاحب وقرى الضيف ورأسهن الحياء وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحياء شعبة من الايمان وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مما أدرك الناس من كلام النبوة الاولى اذا لم تستح فاصنع ما شئت وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه من كساه الحياء ثوبه لم ير الناس عيبه وعن زيد بن علي عن آبائه يرفعونه من لم يستح فهو كافر وقال أبو موسى الاشعري رضي الله عنه اني لادخل البيت المظلم أغتسل فيه من الجنابة فاحني فيه صلبي حياء من ربي وقال بعضهم الوجه المصون بالحياء كالجوهر المكنون في الوعاء وقال الخواص ان العباد عملوا على أربع منازل على الخوف والرجاء والتعظيم والحياء فأرفعها منزلة الحياء لما أيقنوا ان الله يراهم على كل حال قالوا سواء علينا رأيناه أو رآنا وكان الحاجز لهم عن معاصيه الحياء منه ويقال القناعة دليل الامانة والامانة دليل الشكر والشكر دليل الزيادة والزيادة دليل بقاء النعمة والحياء دليل الخير كله

﴿الفصل الثاني في التواضع ولين الجانب وخفض الجناح﴾ قال الله تعالى واخفض جناحك للمؤمنين وقال تعالى تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل العبادة التواضع وقال صلى الله عليه وسلم لا تعرفوني فوق قدري فتقولوا فيّ ما قالت النصارى في المسيح فان الله عز وجل اتخذني عبدا قبل أن يتخذني رسولا وأتاه صلى الله عليه وسلم رجل فكلمه فأخذته رعدة فقال صلى الله عليه وسلم له هون عليك فاني لست بملك انما أنا ابن امرأة من قريش تأكل القديد وكان صلى الله عليه وسلم يرقع ثوبه ويخصف نعله ويخدم في مهنة أهله ولم يكن متكبرا ولا متجبرا أشد الناس حياء وأكثرهم تواضعا وكان اذا حدث بشيء مما آتاه الله تعالى قال ولا فخر وقال صلى الله عليه وسلم ان العفو لا يزيد العبد الا عزا فاعفوا يعزكم الله وان التواضع لا يزيد العبد الا رفعة فتواضعوا يرفعكم الله وان الصدقة لا تزيد المال الا نماء فتصدقوا يزدكم الله وقال عدي بن أرطاة لاياس بن معاوية انك لسريع المشية قال ذلك أبعد من الكبر وأسرع في الحاجة وخرج معاوية على ابن الزبير وابن عامر فقام ابن عامر وجلس ابن الزبير فقال معاوية لابن عامر اجلس فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من أحب أن يتمثل له الناس قياما فليتبوأ مقعده من النار وقيل التواضع سلم الشرف ولبس مطرف بن عبد الله الصوف وجلس مع المساكين فقيل له في ذلك فقال ان أبي كان جبارا فأحببت أن أتواضع لربي لعله أن يخفف عن أبي تجبره وقال مجاهد ان الله تعالى لما أغرق قوم نوح شمخت الجبال وتواضع الجودي فرفعه فوق الجبال وجعل قرار السفينة عليه وقال الله تعالى لموسى عليه السلام هل تعرف لم كلمتك من بين الناس قال لا يارب قال لاني رأيتك تتمرغ بين يدي في التراب تواضعا لي وقيل من رفع نفسه فوق قدره استجلب مقت الناس وقال أبو مسلم صاحب الذخيرة ما تاه الا وضيع ولا فاخر الا لقيط وكل من تواضع لله رفعه فسبحان من تواضع كل شيء لعز جبروت عظمته وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿الباب السابع والعشرون في العجب والكبر والخيلاء وما أشبه ذلك﴾

(اعلم) أن الكبر والاعجاب يسلبان الفضائل ويكسبان الرذائل وحسبك من رذيلة تمنع من سماع النصح وقبول التأديب والكبر يكسب المقت ويمنع من التآلف قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من كبر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من جر ثوبه خيلاء لا ينظر الله اليه وقال الاحنف بن قيس ما تكبر أحد الا من ذلة يجدها في نفسه ولم تزل الحكماء تتحامى الكبر وتأنف منه ونظر أفلاطون الى رجل جاهل معجب بنفسه فقال وددت أني مثلك في ظنك وأن أعدائي مثلك في الحقيقة ورأى رجل رجلا يختال في مشيته فقال جعلني الله مثلك في نفسك ولا جعلني مثلك في نفسي وقال الاحنف عجبت لمن جرى في مجرى البول مرتين كيف يتكبر * ومر بعض أولاد المهلب بمالك بن دينار وهو يتبختر في مشيه فقال له مالك يابني لو تركت هذه الخيلاء لكان أجمل بك فقال أوما تعرفني قال أعرفك معرفة جيدة أولك نطفة

قيل انه كان خالد جالسا في مظلة اذ نظر الى اعرابي يخب على بعيره مقبلا نحوه فقال لحاجبه اذا قدم لا تحجبه فلما قدم أدخله فسلم فقال

أصلحك الله قل ما بيدي
فما أطيق العيال اذ كثروا
أناخ دهر رمى بكلكله
فأرسلوني اليك وانتظروا

فقال خالد اذا أرسلوك الي وانتظروا والله لتعودن اليهم بما يسرهم فأمر له بجائزة عظيمة وكسوة شريفة (ومنهم عدي بن حاتم) حكى صاحب العقد قال دخل أبو دارة على عدي ابن حاتم فقال اني مدحتك قال امسك حتى آتيك بمالي فاني أكره أن أعطيك ثمن ما تقول هذه ألف شاة وألف درهم وثلاثة أعبد وثلاث اماء وفرسي هذا حبس في سبيل الله فامدحني على حسب ما أجزتك ﴿قيل﴾ ان أروى بنت الحرث ابن عبد المطلب كانت أغلظ الوافدات على معاوية خطابا وكان حلم معاوية أعظم من خطابها دخلت عليه وهي عجوز كبيرة فلما رآها معاوية قال مرحبا بك يا خالة كيف كنت بعدنا قالت بخير يا أمير المؤمنين لقد كفرت النعمة وأسأت لابن عمك الصحبة وتسميت بغير اسمك وأخذت غير حقك من غير دين كان منك ولا من آبائك ولا سابقة في الاسلام بعد ان كفرتم برسول الله فأتعس الله منكم الجدود وأضرع منكم الخدود ورد الحق الى أهله ولو كره المشركون وكانت كلمتنا هي العليا ونبينا هو المنصور فوليتم علينا بعده فأصبحتم تحتجون على سائر العرب بقرابتكم من رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن أقرب اليه منكم وأولى بهذا منكم فكنا فيكم بمنزلة بني اسرائيل في آل فرعون وكان علي رضي الله عنه عند نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بمنزلة هرون من موسى فغايتنا الجنة وغايتكم النار فقال

مذرة وآخرك جيفة قذرة وأنت بين ذلك تحمل العذرة فأرخى الفتى رأسه وكف عما كان عليه وقالوا لايدوم الملك مع الكبر وحسبك من رذيلة تسلب الرياسة والسيادة وأعظم من ذلك أن الله تعالى حرم الجنة على المتكبرين فقال تعالى تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الارض ولا فسادا فقرن الكبر بالفساد وقال تعالى سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الارض بغير الحق قال بعض الحكماء مارأيت متكبرا الا تحول مابه بى يعنى أتكبر عليه *واعلم أن الكبر يوجب المقت ومن مقته رجاله لم يستقم حاله والعرب تجعل جذيمة الابرش غاية فى الكبر يقال انه كان لاينادم أحدا لتكبره ويقول انما ينادمنى الفرقدان وكان ابن عوانة من أقبح الناس كبرا وروى أنه قال لغلامه اسقنى ماء فقال نعم فقال انما يقول نعم من يقدر أن يقول لا اصفعوه فصفع ودعا أكارا فكلمه فلما فرغ دعا بماء فتمضمض به استقذارا لمخاطبته ويقال فلان وضع نفسه فى درجة لو سقط منها لتكسر * قال الجاحظ المشهورون بالتكبر من قريش بنو مخزوم وبنو أمية ومن العرب بنو جعفر بن كلاب وبنو زرارة بن عدى وأما الاكاسرة فكانوا لا يعدون الناس الا عبيدا وأنفسهم الا أربابا وقيل لرجل من بنى عبد الدار ألا تأتى الخليفة فقال أخاف أن لا يحمل الجسر شرفى وقيل للحجاج بن ارطاة مالك لاتحضر الجماعة قال أخشى أن يزاحمنى البقالون وقيل أتى وائل بن حجر الى النبى صلى الله عليه وسلم فأقطعه أرضا وقال لمعاوية أعرض هذه الارض عليه واكتبها له فخرج معه معاوية فى هاجرة شديدة ومشى خلف ناقته فأحرقه حر الشمس فقال له أردفنى خلفك على ناقتك قال لست من أرداف الملوك قال فأعطنى نعليك قال ما بخل يمنعنى يا ابن أبى سفيان ولكن أكره أن يبلغ أقيال اليمن أنك لبست نعلى ولكن امش فى ظل ناقتى فحسبك بها شرفا وقيل انه لحق زمان معاوية ودخل عليه فأقعده معه على السرير وحدثه *وقال المسرور بن هند لرجل أتعرفنى قال لا قال أنا المسرور بن هند قال ما أعرفك قال فتعسا ونكسا لمن لم يعرف القمر قال الشاعر

قولا لأحمق يلوى التيه أخدعه * لو كنت تعلم مافى التيه لم تته
التيه مفسدة للدين منقصة * للعقل مهلكة للعرض فانتبه

وقيل لا يتكبر الا كل وضيع ولا يتواضع الا كل رفيع والله سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿الباب الثامن والعشرون فى الفخر والمفاخرة والتفاضل والتفاوت﴾

فمن شواهد المفاخرة قوله تعالى أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون نزلت فى على بن أبى طالب كرم الله وجهه وعقبة بن أبى معيط وكانا تفاخرا وقوله تعالى أفمن يلقى فى النار خير أمن يأتى آمنا يوم القيامة نزلت فى أبى جهل وعمار بن ياسر والنسب الى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أشرف الانساب وقد قال صلى الله عليه وسلم أنا سيد ولد آدم ولا فخر وقد نفى الله تعالى الفخر بالانساب بقوله تعالى ان أكرمكم عند الله أتقاكم فالفخر فى الاسلام بالتقوى وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نبيكم واحد وان أباكم واحد وانه لافضل لعربى على عجمى ولا لأحمر على أسود الا بالتقوى ألا هل بلغت (وقال الأصمعى) بينما أنا أطوف بالبيت ذات ليلة اذ رأيت شابا متعلقا بأستار الكعبة وهو يقول

يامن يجيب دعا المضطر فى الظلم * يا كاشف الضر والبلوى مع السقم
قد نام وفدك حول البيت وانتبهوا * وأنت ياحى يا قيوم لم تنم
أدعوك ربى حزينا هائما قلقا * فارحم بكائى بحق البيت والحرم
ان كان جودك لا يرجوه ذو سفه * فمن يجود على العاصين بالكرم

ثم بكى بكاء شديدا وأنشد يقول

ألا أيها المقصود فى كل حاجة * شكوت اليك الضر فارحم شكايتى
ألا يا رجائى أنت تكشف كربتى * فهب لى ذنوبى كلها واقض حاجتى
أتيت بأعمال قباح رديئة * وما فى الورى عبد جنى كجنايتى
أتحرقنى بالنار ياغاية المنى * فأين رجائى ثم أين مخافتى

ثم سقط على الأرض مغشيا عليه فدنوت منه فاذا هو زين العابدين على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله

لها عمرو بن العاص كفى أيتها العجوز الضالة واقصرى عن قولك مع ذهاب عقلك اذ لا تجوز شهادتك وحدك فقالت له وأنت يا ابن الباغية تتكلم وأمك كانت أشهر بغى بمكة وأرخصهن أجرة وادعاك خمسة نفر كلهم يزعم انك ابنه فسئلت أمك عن ذلك فقالت كلهم أتانى فانظروا أشبههم به فألحقوه به فغلب عليك شبه العاص بن وائل فلحقت به فقال مروان كفى أيتها العجوز واقصدى ما جئت له فقالت وأنت أيضا يا ابن الزرقاء تتكلم ثم التفتت الى معاوية فقالت والله ما أجرأ هؤلاء غيرك وأما القائلة فى قتل حمزة عم النبى صلى الله عليه وسلم

نحن جزيناكم بيوم بدر
والحرب بعد الحرب ذات سعر
ما كان لى عن عتبة من صبر
ولا أخى وعمه وبكر
سكنت وحشيا غليل صدرى
فشكر وحشى على دهرى
حتى ترم أعظمى فى قبرى

(فأجابتها ابنة عمى بقولها)

خزيت فى بدر وغير بدر
يا بنت جبار عظيم الكفر

فقال معاوية عفا الله عما سلف يا خالة هات حاجتك فقالت مالى اليك حاجة وخرجت عنه وهذه العبارة بنصها منقولة من العقد لابن عبد ربه رحمه الله تعالى ﴿وحكى صاحب العقد أيضا﴾ قال قدم عقيل ابن أبى طالب على معاوية فأكرمه وقربه وقضى عنه دينه ثم قال له فى بعض الايام يا عقيل أنا خير لك من أخيك على قال صدقت أخى آثر دينه على دنياه وأنت آثرت دنياك على دينك فأنت خير لى من أخى وأخى خير لنفسه منك لنفسك (ودخل) عقيل أيضا على معاوية وقد كف بصره فأقعده على سريره ثم قال له أنتم معاشر بنى هاشم تصابون فى أبصاركم فقال عقيل وأنتم معاشر

عنهم اجمعين فرفعت رأسه في حجري و بكيت فقطرت دمعة من دموعي على خده ففتح عينيه وقال من هذا الذي يهجم علينا قلت عبيدك الاصمعي سيدي ماهذا البكاء والجزع وأنت من أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة أليس الله تعالى يقول انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا فقال هيهات هيهات يا أصمعي ان الله خلق الجنة لمن أطاعه ولو كان عبدا حبشيا وخلق النار لمن عصاه ولو كان حرا قرشيا أليس الله تعالى يقول فاذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون والفخر وان نهت عنه الاخبار النبوية ومجته العقول الذكية الا أن العرب كانت تفتخر بمافيها من البيان طبعا الا تكلفا وجبلة لا تعلما ولم يكن لهم من ينطق بفضائلهم الاهم ولا ينبه على مناقبهم سواهم وكان كعب بن زهير اذا أنشد شعرا قال لنفسه أحسنت و جاوزت والله الاحسان فيقال له أتحلف على شعرك فيقول نعم لاني أبصر به منكم وكان الكميت اذا قال قصيدة صنع لها خطبة في الثناء عليها ويقول عند انشادها أي علم بين جنبي وأي لسان بين فكي وقال الجاحظ لولم يصف الطبيب مصالح دوائه لما الجأ الجين ما وجد له طالب ولما أبدع ابن المقفع في رسالته التي سماها باليتيمة تنزيها لها عن المثل سكنت من النفوس موضع ارادته من تعظيمها ولولم ينحلها عن هذا الاسم لكانت كسائر رسائله وسنذكر في هذا الباب ان شاء الله تعالى شيأ من نظم البلغاء ونثرهم في الافتخار ومن تفاخر منهم بعون الله وفضله وتيسيره * قال أبو بكر الهذلي سايرت المنصور فعرض لنا رجل على ناقة حمراء تطوى الفلاة وعليه جبة خز وعمامة عدنية وفي يده سوط يكاد يمس الارض فلما رآه المنصور أمرني باحضاره فدعوته وسألته عن نسبه و بلاده وعن قومه وعشيرته وعن ولاة الصدقة فأحسن الجواب فأعجبه مارأى منه فقال أنشدني شعرا فانشده شعر الاوس بن حجر وغيره من الشعراء من بني عمرو بن تميم وحدثه حتى أتى على بيت شعر لطريف بن تميم وهو قوله

ان الامور اذا أوردتها صدرت * ان الامور لها ورد واصدار

فقال ويحك ما كان طريف فيكم حيث قال هذا البيت قال كان أثقل العرب على عدوه وطأة وأقراهم لضيفه وأحوطهم من وراء جاره اجتمعت العرب بعكاظ فكلهم أقروا له بهذه الخلال فقال له والله يا أخا بني تميم لقد أحسنت اذ وصفت صاحبك ولكني أحق ببيته منه ومن شعر أبي الطمحان

واني من القوم الذين هم هم * اذا مات منهم سيد قام صاحبه
نجوم سماء كلما غاب كوكب * بدا كوكب تأوي اليه كواكبه
أضاءت لهم أحسابهم ووجوههم * دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه
ومازال فيهم حيث كان مسودا * تسير المنايا حيث سارت ركائبه

ولما قدم معاوية المدينة صعد المنبر فخطب وقال من ابن علي رضي الله تعالى عنه فقام الحسن فحمد الله وأثنى عليه ثم قال ان الله عز و جل لم يبعث بعثا الا جعل له عدوا من المجرمين فانا ابن علي وأنت ابن صخر وأمك هند وأمي فاطمة وجدتك قيلة وجدتي خديجة فلعن الله ألأمنا حسبا وأخملنا ذكرا وأعظمنا كفرا وأشدنا نفاقا فصاح أهل المسجد آمين آمين فقطع معاوية خطبته ودخل منزله * وروى أن معاوية خرج حاجا فمر بالمدينة ففرق على أهلها أموالا ولم يحضر الحسن بن علي رضي الله عنهما فلما خرج من المدينة اعترضه الحسن بن علي فقال له معاوية مرحبا برجل تركنا حتى نفد ما عندنا وتعرض لنا ليبخلنا فقال له الحسن ولم ينفد ما عندك وخراج الدنيا يجبي اليك فقال معاوية اني قد أمرت لك بمثل ما أمرت به لاهل المدينة وأنا ابن هند فقال الحسن قد رددته عليك وأنا ابن فاطمة * ودخل الحسين يوما على يزيد بن معاوية فجعل يزيد يفتخر و يقول نحن ونحن ولنا من الفخر والشرف كذا وكذا والحسين ساكت فأذن المؤذن فلما قال أشهد أن محمدا رسول الله قال الحسين يا يزيد من هذا فخجل يزيد ولم يرد جوابا وفي ذلك يقول علي بن محمد بن جعفر

لقد فاخرتنا من قريش عصابة * بمط خدود وامتداد أصابع
فلما تنازعنا الفخار قضى لنا * عليهم بما نهوى نداء الصوامع
ترانا سكوتا والشهيد بفضلنا * عليهم جهير الصوت من كل جامع

(وله أيضا)

اني وقومي من أنساب قومهم * كمسجد الخيف من بحبوحة الخيف
ما علق السيف منا بابن عاشرة * الا وهمته أمضى من السيف

بني أمية تصانون في بصائركم (ودخل) عليه يوما فقال معاوية لاصحابه هذا عقيل عمه أبو لهب فقال عقيل وهذا معاوية عمته حمالة الحطب ثم قال يا معاوية اذا دخلت النار فاعدل ذات اليسار فانك ستجد عمي أبا لهب مفترشا عمتك حمالة الحطب فانظر أيهما خير الفاعل أم المفعول به (وقال له يوما) ما أبين الشبق في رجالكم يا بني هاشم قال لكنه في نسائكم أبين يا بني أمية (وقال الجاحظ) اجتمعت يوما بنو هاشم عند معاوية فأقبل عليهم فقال يا بني هاشم والله ان خيري لكم لممنوح وان بابي لكم لمفتوح وقد نظرت في أمري وأمركم فرأيت أمرا مختلفا انكم ترون انكم أحق مني بما في يدي فاذا أعطيتكم عطية فيها قضاء حقوقكم قلتم أعطانا دون حقنا وقصر بنا عن قدرنا هذا مع انصاف قائلكم واسعاف سائلكم فأقبل عليه ابن عباس رضي الله عنهما وكان جريئا عليه فقال والله مامنحتنا شيأ حتى سألناه ولا فتحت لنا بابا حتى قرعناه وأما هذا المال فمالك منه الا مال رجل واحد من المسلمين ولولا حقنا في هذا المال لم يأتك منه أثر تحمله خف ولا حافر وأما حربنا اياك بصفين فعلى تركك الحق وادعائك الباطل أكفاك أم أزيدك قال كفاني (وقال الشعبي) قال ابن الزبير يوما لابن عباس قاتلت أم المؤمنين وحواري رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أما أم المؤمنين فأنت أخرجتها أنت وأبوك وخالك وبنا سميت أم المؤمنين وكنا لها خير بنين وقاتلت أنت وأبوك عليا فان كان مؤمنا ظلمتم بقتال المؤمنين وان كان علي كافرا فقد بؤتم بسخط من الله بفراركم من الزحف (وذكر صاحب العقد) ان عبد الله بن الزبير تزوج امرأة من فزارة يقال لها أم عمرو فلما دخل

وتفاخر العباس بن عبد المطلب وطلحة بن شيبة وعلى بن أبى طالب فقال العباس أنا صاحب السقاية والقائم عليها وقال طلحة أنا خادم البيت ومعى مفتاحه فقال على ما أدرى ما تقولان أنا صليت الى هذه القبلة قبلكما بستة أشهر فنزلت أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر الآية * وتفاخر رجلان على عهد موسى عليه السلام فقال أحدهما أنا فلان بن فلان حتى عد تسعة آباء مشركين فقال الآخر أنا ابن فلان ولولا أنه مسلم ما ذكرته فأوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام أما الذى عد تسعة آباء مشركين فحق على الله ان يجعل عاشرهم فى النار والذى انتسب الى أب مسلم فحق على الله أن يجعله مع أبيه المسلم فى الجنة قال سلمان الفارسى

أبى الاسلام لا أب لى سواه * اذا افتخروا بقيس أو تميم

وتفاخر جرير والفرزدق عند سليمان بن عبد الملك فقال الفرزدق أنا ابن محيى الموتى فأنكر سليمان قوله فقال يا أمير المؤمنين قال الله تعالى ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا وجدى فدى الموؤدات فاستحياهن فقال سليمان انك مع شعرك لفقيه وكان صعصعة جد الفرزدق أول من فدى الموؤدات وللعباس ابن عبد المطلب

ان القبائل من قريش كلها * ليرون أنا هام أهل الأبطح

وترى لنا فضلا على ساداتها * فضل المنار على الطريق الأوضح

وكتب الحكم بن عبد الرحمن المروانى من الاندلس الى صاحب مصر يفتخر

ألسنا بنى مروان كيف تبدلت * بنا الحال أو دارت علينا الدوائر

اذا ولد المولود منا تهللت * له الأرض واهتزت اليه المنابر

وكتب اليه كتابا يهجوه فيه ويسبه فكتب اليه صاحب مصر أما بعد فانك عرفتنا فهجوتنا ولو عرفناك لأجبناك والسلام * وكان أبو العباس السفاح يعجبه السمر ومنازعة الرجال بعضهم بعضا فحضر عنده ذات ليلة ابراهيم بن مخرمة الكندى وخالد بن صفوان بن الاهتم فخاضوا فى الحديث وتذاكروا مضر واليمن فقال ابراهيم ابن مخرمة يا أمير المؤمنين ان أهل اليمن هم العرب الذين دانت لهم الدنيا ولم يزالوا ملوكا ورثوا الملك كابرا عن كابر وآخرا عن أول منهم النعمان والمنذر ومنهم عياض صاحب البحرين ومنهم من كان يأخذ كل سفينة غصبا وليس من شئ له خطر الا اليهم ينسب ان سئلوا أعطوا وان نزل بهم ضيف قروه فهم العرب العاربة وغيرهم المتعربة فقال أبو العباس ما أظن التميمى رضى بقولك ثم قال ما تقول أنت يا خالد قال ان أذن لى أمير المؤمنين فى الكلام تكلمت قال تكلم ولا تهب أحدا قال أخطأ المقتحم بغير علم ونطق بغير صواب وكيف يكون ذلك لقوم ليس لهم ألسن فصيحة ولا لغة صحيحة نزل بها كتاب ولا جاءت بها سنة يفتخرون علينا بالنعمان والمنذر ونفتخر عليهم بخير الأنام وأكرم الكرام سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام فلله المنة به علينا وعليهم فمنا النبى المصطفى والخليفة المرتضى ولنا البيت المعمور وزمزم والحطيم والمقام والحجابة والبطحاء وما لا يحصى من المآثر ومنا الصديق والفاروق وذو النورين والرضا والولى وأسد الله وسيد الشهداء وبنا عرفوا الدين وأتاهم اليقين فمن زاحمنا زاحمناه ومن عادانا اصطلمناه ثم أقبل خالد على ابراهيم فقال ألك علم بلغة قومك قال نعم قال فما اسم العين عندكم قال الجمجمة قال فما اسم السن قال الميدن قال فما اسم الاذن قال الصنارة قال فما اسم الاصابع قال الشناتر قال فما اسم الذئب قال الكنع قال أفعالم أنت بكتاب الله عز وجل قال نعم قال فان الله تعالى يقول انا أنزلناه قرآنا عربيا وقال تعالى بلسان عربى مبين وقال تعالى وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه فنحن العرب والقرآن بلساننا نزل ألم تر أن الله تعالى قال والعين بالعين ولم يقل والجمجمة بالجمجمة وقال تعالى والسن بالسن ولم يقل والميدن بالميدن وقال تعالى والاذن بالاذن ولم يقل والصنارة بالصنارة وقال تعالى يجعلون أصابعهم فى آذانهم ولم يقل شناترهم فى صناراتهم وقال تعالى فأكله الذئب ولم يقل فأكله الكنع ثم قال لابراهيم انى أسألك عن أربع ان أقررت بهن قهرت وان جحدتهن كفرت قال وما هن قال الرسول منا أو منكم قال منكم قال فالقرآن أنزل علينا أو عليكم قال عليكم قال فالمنبر فينا أو فيكم قال فيكم قال فالبيت لنا أو لكم قال لكم قال فاذهب فما كان بعد هؤلاء فهو لكم بل ما أنتم الا سائس قرد أو دابغ

بها قال هل تدرين من معك قالت نعم عبد الله بن الزبير بن العوام بن خويلد قال ليس هذا قالت فأى شئ تريد قال معك من أصبح فى قريش كمنزلة الرأس من الجسد لا بل العينين من الرأس قالت أما والله لو أن بعض الهاشميين حضرك قال خلا فالقول قال فالطعام والشراب على حرام حتى أحضر الهاشميين وغيرهم ولا يستطيعون لذلك انكارا قالت ان أطعتنى لم تفعل فأنت أعلم بشأنك فخرج من المجلس فاذا بحلقة فيها جماعة من قريش وفيها من بنى هاشم عبد الله بن عباس رضى الله عنه وعبد الله بن الحرث بن عبد المطلب فقال لهم ابن الزبير انى أحب أن تنطلقوا معى الى منزلى فقام القوم بأجمعهم حتى وقفوا على باب بيته فقال ابن الزبير يا هذه اطرحى عليك سترك ثم أذن للقوم فلما أخذوا مجالسهم دعا ابن الزبير بالمائدة فتغدى القوم فلما فرغوا قال ابن الزبير انما جمعتكم لحديث ردته على صاحبة هذا الستر وزعمت ان لو كان بعض بنى هاشم حاضرا ما أقر لى بما قلت وقد حضرتم جميعا والحديث الذى ردته على قلت لها ليلة الدخول بها وأنا معها فى خدرها ان معك من أصبح فى قريش بمنزلة الرأس من الجسد لا بل العينين من الرأس فردت على مقالى فقال ابن عباس ان شئت أقول وان شئت أكف قال لا بل قل وما عسيت ان تقول ألست تعلم أن الزبير حوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم وان أمى أسماء بنت أبى بكر الصديق ذات النطاقين وان خديجة سيدة نساء أهل الجنة عمتى وان صفية عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم جدتى وان عائشة أم المؤمنين خالتى فهل تستطيع لهذا انكارا يا ابن عباس قال ابن عباس

جاد أونابج برد قال فضحك أبو العباس وأقرخالد وحياهما جميعا وقال بشار بن برد يفتخر

إذا نحن صلنا صولة مضرية * هتكنا حجاب الشمس أو قطرت دما

اذا ماأعرنا سيدا من قبيلة * ذرا منبر صلى علينا وسلما

(وقال السموأل بن عاديا)

اذا المرء لم يدنس باللؤم عرضه * فكل رداء يرتديه جميل

وان هو لم يحمل على النفس ضيمها * فليس الى حسن الثناء سبيل

تعيرنا انا قليل عديدنا * فقلت لها ان الكرام قليل

وماقل من كانت بقاياه مثلنا * شباب تسامى للعلا وكهول

وماضرنا أنا قليل وجارنا * عزيز وجار الاكثرين ذليل

لنا جبل يحتله من نجيره * منيع يرد الطرف وهو كليل

رسا أصله تحت الثرى وسما به * الى النجم فرع لايزال طويل

وانا أناس لانرى القتل سبة * اذا مارأته عامر وسلول

يقرب حب الموت آجالنا لنا * وتكرهه آجالهم فتطول

وما مات منا سيد حتف أنفه * ولا ضل منا حيث كان قتيل

تسيل على حد الظبات نفوسنا * وليست على غير الظبات تسيل

ونحن كماء المزن مافى نصابنا * كهام ولا فينا يعد بخيل

وننكر ان شئنا على الناس قولهم * ولا ينكرون القول حين نقول

اذا سيد منا خلا قام سيد * قوول بما قال الكرام فعول

وما خمدت نار لنا دون طارق * ولا ذمنا فى النازلين نزيل

وأيامنا مشهورة فى عدونا * لها غرر مشهورة وحجول

وأسيافنا فى كل شرق ومغرب * بها من قراع الدارعين فلول

معودة أن لاتسل نصالها * فتغمد حتى يستباح قتيل

سلى ان جهلت الناس عنا وعنهم * فليس سواء عالم وجهول

فان بنى الريان قطب لقومهم * تدور رحاهم حولهم وتجول

(ولما) قدم وفد تميم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعهم خطيبهم وشاعرهم خطب خطيبهم فافتخر فلما سكت أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثابت بن قيس أن يخطب بمعنى ماخطب به خطيبهم فخطب ثابت بن قيس فأحسن ثم قام شاعرهم وهو الزبرقان بن بدر فقال

نحن الملوك فلا حى يفاخرنا * فينا العلاء وفينا تنصب البيع

ونحن نطعمهم فى القحط ماأكلوا * من العبيط اذا لم يؤنس الفزع

وننحر الكوم عبطا فى أرومتنا * للنازلين اذا ماأنزلوا شبعوا

تلك المكارم حزناها مقارعة * اذا الكرام على أمثالها اقترعوا

ثم جلس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت قم فقام فقال

ان الذوائب من فهر واخوتهم * قد بينوا سننا للناس تتبع

يرضى بها كل من كانت سريرته * تقوى الاله وبالامر الذى شرعوا

قوم اذا حاربوا ضروا عدوهم * أو حاولوا النفع فى أشياعهم نفعوا

سجية تلك منهم غير محدثة * ان الخلائق فاعلم شرها البدع

لو كان فى الناس سباقون بعدهم * فكل سبق لادنى سبقهم تبع

لايرفع الناس ماأوهت أكفهم * عند الدفاع ولا يوهون مارفعوا

ولا يضنون عن جار بفضلهم * ولا يمسهم فى مطمع طمع

خذ منهم ماأتوا عفوا اذا عطفوا * ولا يكن همك الامر الذى منعوا

أكرم بقوم رسول الله شيعتهم * اذا تفرقت الاهواء والشيع

فقال التميميون عند ذلك وربكم ان خطيب القوم أخطب من خطيبنا وان شاعرهم أشعر من شاعرنا وما انتصفنا ولا قاربنا وقال شاعر من بنى تميم

أيبغى آل شداد علينا * ومايرعى لشداد فصيل

فان تغمد مناصلنا نجدها * غلاظا فى أنامل من يصول

(وقال سالم بن أبى وابصة)

عليك بالقصد فيما أنت فاعله * ان التخلق يأتى دونه الخلق

وموقف مثل حد السيف قمت به * أحمى الذمار وترمينى به الحدق

فمازلقت ولا أبديت فاحشة * اذا الرجال على أمثالها زلقوا

(وأما التفاضل والتفاوت)

لا ولكن ذكرت شرفا شريفا وفخرا عظيما غير انك نلت ذلك كله وأنت تفاخر من بفخره فخرت وتسامى من بفضله سموت قال ابن الزبير وكيف ذلك قال لم تذكر مفخرا الا برسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن أهل بيته وأقرب اليه وأولى بالفخر به قال ابن الزبير فانا أفاخرك بما كان قبل النبى صلى الله عليه وسلم فقال ابن عباس لقد أنصفت أسائلكم أيها الحضور أعبد المطلب كان أشرف فى قريش أم خويلد قالوا عبد المطلب قال أسائلكم أهاشم كان أشرف فى قريش أم أمية قالوا بل هاشم قال فاسألكم بالله أعبد مناف كان أشرف أم عبد العزى قالوا اللهم عبد مناف فانشد ابن عباس يقول

تفاخرنى يا ابن الزبير وقد مضى * عليك رسول الله لاقول هازل

فلو غيرنا يا ابن الزبير فخرته * ولكن بنا ساميت شمس الاصائل

وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ماافترقت فرقتان الا وكنت فى خيرهما فقد فارقك من لدن قصى بن كلاب فنحن فى فرقة الخير أولا ونحن فى فرقة الخير آخرا فان قلت نعم خصمت وان قلت لا كفرت قال فضحك بعض القوم وقالت المرأة من خلف الستر اما والله لقد نهيته عن هذا المجلس فابى الا ماترى فقال ابن عباس مه أيتها المرأة اقنعى ببعلك وأخذ القوم بيد ابن عباس فقالوا انهض أيها الرجل فقد أخمته فى منزله غير مرة فنهض ابن عباس وهو يقول

ألا ياقومنا ارتحلوا وسيروا * فلو ترك القطا ليلا لناما

(وحكى) صاحب العقد قال بينما معاوية جالس وعنده وجوه الناس اذ دخل رجل من أهل الشام فقام خطيبا وقال لعن الله

فقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا نظر خالد بن الوليد وعكرمة بن ابي جهل قال يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي لانهما كانا من خيار الصحابة وأبواهما أعدى عدو لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم ومن كلام علي رضي الله عنه لمعاوية رضي الله عنه أما قولك انا بنو عبد مناف فكذلك نحن ولكن ليس أمية كهاشم ولا حرب كعبد المطلب ولا أبو سفيان كأبي طالب وقال أحمد بن سهل الرجال ثلاثة سابق ولاحق وماحق فالسابق الذي سبق بفضله واللاحق الذي لحق بأبيه في شرفه والماحق الذي محق شرف آبائه *وقيل ان عائشة بنت عثمان كفلت أبا الزناد صاحب الحديث وأشعب الطماع وربتهما قال أشعب فكنت أسفل وكان يعلو حتى بلغت أنا وهو هاتين الغايتين وقال أبو العواذل زكريا بن هرون

على وعبد الله بينهما أب * وشتان ما بين الطبائع والفعل
ألم تر عبد الله يلحى على الندى * عليا ويلحاه علي على البخل

وحج أبو الأسود الدؤلي بامرأته وكانت شابة جميلة فعرض لها عمر بن أبي ربيعة فغازلها فأخبرت أبا الأسود فأتاه فقال

واني لينهاني عن الجهل والخنى * وعن شتم أقوام خلائق أربع * حياء واسلام وتقوى وانني
كريم ومثلي من يضر وينفع * فشتان ما بيني وبينك انني * على كل حال أستقيم وتضلع

(وقال ربيعة البرقي)

لشتان ما بين اليزيدين في الندى * يزيد سليم والاعز بن حاتم * يزيد سليم سالم المال والفتى
فتى الأزد للاموال غير مسالم * فهم الفتى الازدي اتلاف ماله * وهم الفتى القيسي جمع الدراهم
فلا يحسب القيسي اني هجوته * ولكنني فضلت أهل المكارم

وقال عبيد الله بن عبد الله بن طاهر في أخيه الحسين

يقول أنا الكبير فعظموني * ألا ثكلتك أمك من كبير * اذا كان الصغير أعم نفعا
وأجلد عند نائبة الأمور * ولم يأت الكبير بيوم خير * فما فضل الكبير على الصغير

والله أعلم بالصواب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الباب التاسع والعشرون في الشرف والسودد وعلو الهمة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من رزقه الله مالا فبذل معروفه وكف أذاه فذلك السيد وقيل لقيس بن عاصم بم سدت قومك قال لم أخاصم أحدا الا تركت للصلح موضعا وقال سعيد بن العاص ما شاتمت رجلا مذ كنت رجلا لاني لم أشاتم الا أحد رجلين اما كريم فانا أحق أن أجله واما لئيم فانا أولى أن أرفع نفسي عنه وقالوا من نعت السيد أن يكون ملء العين جمالا والسمع مقالا وقيل قدم وفد من العرب على معاوية وفيهم الأحنف بن قيس فقال الحاجب ان أمير المؤمنين يعزم عليكم أن لا يتكلم منكم احد الا لنفسه فلما وصلوا اليه قال الأحنف لولا عزم أمير المؤمنين لاخبرته أن رادفة ردفت ونازلة نزلت ونائبة نابت والكل بهم حاجة الى المعروف من أمير المؤمنين فقال له معاوية حسبك يا أبا بحر فقد كفيت الشاهد والغائب * وقال رجل للاحنف بم سدت قومك وما أنت بأشرفهم بيتا ولا أصبحهم وجها ولا أحسنهم خلقا فقال بخلاف ما فيك قال وماذاك قال تركي من أمرك مالا يعنيني كما عندك من أمري مالا يعنيك وقيل السيد من يكون للاولياء كالغيث الغادي وعلى الاعداء كالليث العادي * وكان سبب ارتفاع عرابة الاوسي وسودده أنه قدم من سفر فجمعه والشماخ ابن ضرار المزني الطريق فتحادثا فقال له عرابة ما الذي أقدمك المدينة ياشماخ قال قدمتها لامتار منها فملأ له عرابة رواحله برا وتمرا وأتحفه بتحف غير ذلك فأنشد يقول

رأيت عرابة الأوسي يسمو * الى الخيرات منقطع القرين
اذا ما راية رفعت لمجد * تلقاها عرابة باليمين

وأما علو الهمة فهو أصل الرياسة

فمن علت همته وشرفت نفسه عمارة بن حمزة قيل انه دخل يوما على المنصور وقعد في مجلسه فقام رجل وقال مظلوم يا أمير المؤمنين قال من ظلمك قال عمارة بن حمزة غصبني ضيعتي فقال المنصور يا عمارة قم فاقعد مع

خصمك

عليا فاطرق الناس وفيهم الأحنف فقال الأحنف يا أمير المؤمنين ان هذا القائل ان علم أن رضاك في لعن المرسلين لعنهم فاتق الله ودع عنك عليا فقد لقي ربه وأفرد بقبره وخلا بعمله وكان والله مبرورا في سبقه طاهر الثوب ميمون النقيبة عظيم المصيبة فقال له معاوية يا أحنف لقد أغضيت العين على القذى أما والله لتصعدن المنبر وتلعن عليا طوعا أو كرها فقال ان تعفني خير لك وان تجبرني على ذلك فوالله لا تجدني شفتيا به أبدا قال وما أنت قائل يا أحنف قال أحمد الله وأصلي على نبيه ثم أقول ان أمير المؤمنين أمرني أن ألعن عليا ومعاوية وعلي اقتتلا واختلفا وادعى كل واحد منهما أنه مبغي عليه فاذا دعوت فأمنوا رحمكم الله اللهم العن أنت وملائكتك وأنبياؤك وجميع خلقك الباغي منهما على صاحبه والعن الفئة الباغية أمنوا رحمكم الله يا معاوية لا أزيد على ذلك ولا أنقص ولو كان فيه ذهاب نفسي فقال معاوية اذا أعفيتك انتهى (وقال معاوية) لعقيل ان عليا قطعك ووصلتك ولا يرضيني منك الا أن تلعنه على المنبر قال افعل فصعد المنبر وحمد الله وأثنى عليه ثم قال ان أمير المؤمنين أمرني أن ألعن عليا فالعنوه عليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ثم نزل فقال له معاوية يا عقيل انك لم تبين من المراد منا قال والله لازدت حرفا والكلام راجع الى نية المتكلم (ومن غريب المنقول) ما نقل عن المنصور وهو أنه وعد الهذلي بجائزة ونسي فحجا معا ومرا في المدينة النبوية ببيت عاتكة فقال الهذلي يا أمير المؤمنين هذا بيت عاتكة الذي يقول فيه الأحوص

خصمك فقال ما هو لي بخصم ان كانت الضيعة له فلست أنازعه فيها وان كانت لي فقد وهبتها له ولا أقوم من مقام شرفني به أمير المؤمنين ورفعني وأقعد في أدنى منه لاجل ضيعة * وتحدث السفاح هو وأم سلمة يوما في نزاهة نفس عمارة وكبره فقالت له ادع به وأنا أهب له سبحتي هذه فان ثمنها خمسون ألف دينار فان هو قبلها علمنا أنه غير نزه النفس فوجه اليه فحضر فحادثته ساعة ثم رمت اليه بالسبحة وقالت هي من الطرف وهي لك فجعلها عمارة بين يديه ثم قام وتركها فقالت لعله نسيها فبعثت بها اليه مع خادم فقال للخادم هي لك فرجع الخادم فقال قد وهبها لي فأعطت أم سلمة للخادم ألف دينار واستعادتها منه * وأهدى عبيد الله بن السرى الى عبد الله بن طاهر لما ولي مصر مائة وصيف مع كل وصيف ألف دينار ووجه اليه بذلك ليلا فرده وكتب اليه لو قبلت هديتك ليلا لقبلتها نهارا فما آتاني الله خير مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون (وكان) سبب فتح المعتصم عمورية ان امرأة من الثغر سبيت فنادت وامحمداه وامعتصماه فبلغه الخبر فركب لوقته وتبعه الجيش فلما فتحها قال لبيك أيتها المنادية * وكان سعيد بن عمرو بن العاص ذا نخوة وهمة قيل له في مرضه ان المريض يستريح الى الأنين والى شرح ما به الى الطبيب فقال أما الأنين فهو جزع وعار والله لا يسمع الله مني أنينا فأكون عنده جزوعا وأما وصف ما بي الى الطبيب فوالله لا يحكم غير الله في نفسي ان شاء أمسكها وان شاء قبضها * ومن كبر النفس ما روى عن قيس بن زهير أنه أصابته الفاقة واحتاج فكان يأكل الحنظل حتى قتله ولم يخبر أحدا بحاجته * ومن الشرف والرياسة حفظ الجوار وحمى الذمار وكانت العرب ترى ذلك دينا تدعو اليه وحقا واجبا تحافظ عليه وكان أبو سفيان بن حرب اذا نزل به جار قال يا هذا انك اخترتني جارا واخترت داري دارا فجناية يدك على دونك وان جنت عليك يد فاحتكم حكم الصبي على أهله * وكان الفرزدق يجير من عاذ بقبر أبيه غالب بن صعصعة فمن استجار بقبر أبيه فأجاره امرأة من بني جعفر بن كلاب خافت لما هجا الفرزدق بني جعفر أن يسميها وينسبها فعاذت بقبر أبيه فلم يذكر لها اسما ولا نسبا ولكن قال

عجوز تصلي الخمس عاذت بغالب * فلا والذي عاذت به لا أضيرها

وقال مروان بن أبي حفصة هم يمنعون الجار حتى كأنما * لجارهم بين السماكين منزل

(وقال ابن نباتة) ولو يكون سواد الشعر في ذمم * ما كان للشيب سلطان على اللمم

(وقيل) ان الحجاج أخذ يزيد بن المهلب بن أبي صفرة وعذبه واستأصل موجوده وسجنه فتوصل يزيد بحسن تلطفه ورغب السجان واستماله وهرب هو والسجان وقصد الشام الى سليمان بن عبد الملك بن مروان وكان الخليفة في ذلك الوقت الوليد بن عبد الملك فلما وصل يزيد بن المهلب الى سليمان بن عبد الملك أكرمه وأحسن اليه وأقامه عنده فكتب الحجاج الى الوليد يعلمه ان يزيد هرب من السجن وانه عند سليمان بن عبد الملك أخي أمير المؤمنين وولي عهد المسلمين وان أمير المؤمنين أعلى رأيا فكتب الوليد الى أخيه سليمان بذلك فكتب سليمان الى أخيه يقول يا أمير المؤمنين اني ما أجرت يزيد بن المهلب الا لانه هو وأبوه واخوته من صنائعنا قديما وحديثا ولم أجر عدوا لامير المؤمنين وقد كان الحجاج قصده وعذبه وغرمه أربعة آلاف ألف درهم ظلما ثم طالبه بعدها بثلاثة آلاف ألف درهم وقد صار الي واستجار بي فأجرته وأنا أغرم عنه هذه الثلاثة آلاف ألف درهم فان رأى أمير المؤمنين أن لا يخزيني في ضيفي فليفعل فانه أهل الفضل والكرم فكتب اليه الوليد انه لا بد أن ترسل الي يزيد مغلولا مقيدا فلما ورد ذلك على سليمان أحضر ولده أيوب فقيده ودعا يزيد بن المهلب فقيده ثم شد قيد هذا الى قيد هذا بسلسلة وغلهما جميعا بغلين وأرسلهما الى أخيه الوليد وكتب اليه أما بعد يا أمير المؤمنين فقد وجهت اليك يزيد وابن أخيك أيوب بن سليمان ولقد هممت أن أكون ثالثهما فان هممت يا أمير المؤمنين بقتل يزيد فبالله عليك ابدأ بأيوب من قبله ثم اجعل يزيد ثانيا واجعلني اذا شئت ثالثا والسلام فلما دخل يزيد بن المهلب وأيوب بن سليمان في سلسلة واحدة أطرق الوليد استحياء وقال لقد أسأنا الى أبي أيوب اذ بلغنا به هذا المبلغ فأخذ يزيد يتكلم ويحتج لنفسه فقال له الوليد ما يحتاج الى كلام فقد قبلنا عذرك وعلمنا ظلم الحجاج ثم انه أحضر حدادا وأزال عنهما الحديد وأحسن اليهما ووصل أيوب ابن أخيه بثلاثين ألف درهم ووصل يزيد بن المهلب بعشرين ألف درهم وردهما الى سليمان وكتب كتابا الى الحجاج يقول له لا سبيل لك على يزيد بن المهلب فاياك أن تعاودني فيه بعد اليوم فسار يزيد الى سليمان بن عبد الملك وأقام عنده في أعلى

* يا دار عاتكة التي أتغزل *
فأنكر عليه أمير المؤمنين المنصور ذلك لانه تكلم من غير أن يسئل فلما رجع الخليفة نظر في القصيدة الى آخرها ليعلم ما أراد الهذلي بانشاد ذلك البيت من غير استدعاء فاذا فيها
وأراك تفعل ما تقول وبعضهم * مذق اللسان يقول ما لا يفعل *
فعلم المنصور أنه أشار الى هذا البيت فتذكر ما وعده به وأنجزه له واعتذر اليه من النسيان (ومثله) ما حكى ان أبا العلاء المعري كان يتعصب لابي الطيب المتنبي فحضر يوما بمجلس المرتضى فجرى ذكر أبي الطيب فهضم من جانبه المرتضى فقال أبو العلاء لو لم يكن لابي الطيب من الشعر الا قوله
لك يا منازل في القلوب منازل
لكفاه فغضب المرتضى وأمر به فسحب وأخرج وبعد اخراجه قال المرتضى هل تعلمون ما أراد بذكر البيت قالوا لا قال عنى به قول أبي الطيب في القصيدة
واذا أتتك مذمتي من ناقص
فهي الشهادة لي بأني كامل
(ومثله قصة السرى الرفاء مع سيف الدولة بسبب المتنبي أيضا) فان السرى الرفاء كان من مداح سيف الدولة وجرى في مجلسه يوما ذكر أبي الطيب فبالغ سيف الدولة في الثناء عليه فقال له السرى أشتهي أن الامير ينتخب لي قصيدة من غرر قصائده لاعارضها ويتحقق الامير بذلك انه أركب المتنبي في غير سرجه فقال له سيف الدولة على الفور عارض لنا قصيدته التي مطلعها
لعينيك ما يلقى الفؤاد وما لقي
وللحب ما لم يبق مني وما بقي
قال السرى فكتبت القصيدة واعتبرتها في تلك الليلة فلم أجدها من مختارات أبي الطيب لكن رأيته يقول في آخرها عن ممدوحه
اذا شاء أن يلهو بلحية أحمق

المراتب وأرفع المنازل (وحكى) ان رجلا من الشيعة كان يسعى فى فساد الدولة فجعل المهدى لمن دل عليه أوأتى به مائة ألف درهم فاخذه رجل من بغداد فأيس من نفسه فرّ به معن بن زائدة فقال له ياأبا الوليد أجرنى اجارك الله فقال معن للرجل مالك وماله فقال ان أمير المؤمنين طالبه قال خل سبيله قال لا افعل فأمر معن غلمانه فأخذوه غصبا وأردفه بعضهم خلفه ومضى الرجل فأخبر أمير المؤمنين المهدى بالقصة فأرسل خلف معن فأحضره فلما دخل عليه قال له يامعن اتجير على قال نعم ياأمير المؤمنين قتلت فى يوم واحد فى طاعتكم خمسة آلاف رجل هذا مع أيام كثيرة تقدمت فيها طاعتى أفما ترونى أهلا أن تجيروالى رجلا واحدا استجاربى فاستحيا المهدى وأطرق طويلا ثم رفع رأسه وقال قد أجرنا من أجرت ياأبا الوليد قال ان رأى أمير المؤمنين أن يصل من استجار بى فيكون قد أجاره وحباه قال قد أمرت له بخمسين ألف درهم فقال معن ياأمير المؤمنين ينبغى أن تكون صلات الخلفاء على قدر جنايات رعيته وان ذنب الرجل عظيم فان رأى أمير المؤمنين أن يجزل صلته فليفعل قال قد أمرت له بمائة ألف درهم فرجع معن الى منزله ودعا بالرجل ودفع له المال ووعظه وقال له لا تتعرض لمساخط الخلفاء وكان جعفر بن أبى طالب يقول لابيه ياأبت انى لاستحى أن أطعم طعاما وجيرانى لايقدرون على مثله فكان أبوه يقول انى لارجو أن يكون فيك خلف من عبد المطلب * وسقط الجراد قريبا من بيت بعض العرب فجاء أهل الحى فقالوا نريد جارك فقال أما اذجعلتموه جارى فوالله لا تصلون اليه وأجاره حتى طار فسمى مجير الجراد وقيل هو أبو حنبل والحكايات فى معنى ذلك كثيرة والله سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الباب الثلاثون فى الخير والصلاح وذكر السادة الصحابة وذكر الأولياء والصالحين رضى الله تعالى عنهم أجمعين

(اعلم) ان أفضل الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم على رضى الله عنهم أجمعين وفضائلهم أكثر من أن تحصر وأشهر من أن تذكر وانى والله أحبهم وأحب من يحبهم واسأل الله أن يميتنى على محبة النبى محمد صلى الله عليه وسلم ومحبتهم وان يحشرنا فى زمرتهم وتحت ألويتهم انه على مايشاء قدير وبالاجابة جدير (شعر)

انى أحب أباحفص وشيعته * كما أحب عتيقا صاحب الغار
وقد رضيت عليا قدوة علما * وما رضيت بقتل الشيخ فى الدار
كل الصحابة ساداتى ومعتقدى * فهل على بهذا القول من عار

وروى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أصبح منكم اليوم صائما فقال أبو بكر أنا يارسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن أطعم اليوم منكم مسكينا فقال أبو بكر أنا قال فمن دعا منكم اليوم مريضا قال أبو بكر أنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اجتمعن فى أحد الا دخل الجنة وقال صلى الله عليه وسلم لو كان بعدى نبى لكان عمر وقال له النبى صلى الله عليه وسلم والذى بعثنى بالحق بشيرا ماسلكت واديا الا سلك الشيطان واديا غيره ولما أسلم رضى الله عنه قال يارسول الله ألسنا على الحق قال بلى قال والذى بعثك بالحق نبيا لا نعبد الله سرا بعد هذا اليوم ولما قدم عمر رضى الله عنه الشام وقف على طور سيناء فأرسل البطريق عظيمهم وقال أنظر الى ملك العرب فرآه على فرس وعليه جبة صوف مرقعة مستقبل الشمس بوجهه ومخلاته فى قربوس السرج وعمر يدخل يده فيها ويخرج فلق خبز يابس يغمسها من التبن ويلوكها فوصفه للبطريق فقال لاترى بمحاربة هذا طاقة أعطوه ماشاء وأما أمير المؤمنين عثمان رضى الله تعالى عنه ففضائله كثيرة ومناقبه شهيرة فهو جامع القرآن ومن استحيت منه ملائكة الرحمن رضى الله عنه وقال جميع بن عمير دخلت على عائشة رضى الله عنها فقلت لها أخبرينى من كان أحب الناس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت فاطمة فقلت انما أسألك عن الرجال قالت زوجها فوالله لقد كان صواما قواما ولقد سالت نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم فى يده فردها الى فيه قلت فما حملك على ما كان فأرسلت خمارها على وجهها وبكت وقالت أمر قضى على وقال معاوية لضرار بن حمزة الكنانى صف لى عليا فاستعفى فألح عليه فقال أما اذن فلابد انه والله كان بعيد المدى شديد القوى يتفجر العلم من جوانبه وتنطق الحكمة من نواحيه يستوحش من الدنيا وزهرتها ويستأنس بالليل وظلمته كان والله غزير العبرة طويل الفكرة يقلب

أراه غبارى ثم قال له الحق
فقلت والله ما أشار سيف الدولة الا الى هذا البيت (ومثله) ماحكاه ابن الجوزى فى كتاب الاذكياء وهو من الغرائب فى هذا الباب أن رجلا من طلبة العلم قعد على جسر بغداد يتنزه فأقبلت امرأة بارعة فى الجمال من جهة الرصافة الى الجانب الغربى فاستقبلها شاب فقال لها رحم الله على بن الجهم فقالت المرأة رحم الله أبا العلاء المعرى وما وقفا بل سار مشرقا ومغربا قال الرجل فتبعت المرأة وقلت والله ان لم تقولى لى ما أراد بابن الجهم فضحتك قالت أراد به قوله

عيون المها بين الرصافة والجسر
جلبن الهوى من حيث أدرى ولا أدرى

* وعنيت أنا بأبى العلاء قوله

فيادارها بالخيف ان مزارها
قريب ولكن دون ذلك اهوال

(ومثله) ماهو منقول عن الامام الحافظ فتح الدين أبى الفتح محمد بن محمد بن محمد بن سيد الناس اليعمرى أن الشيخ بهاء الدين بن النحاس رحمه الله دخل الى الجامع الأزهر فوجد أبا الحسين الجزار جالسا والى جانبه مليح ففرق بينهما وصلى ركعتين ولما فرغ قال لابى الحسين ما أردت الا قول ابن سناء الملك فقال أبو الحسين الجزار وأنا تفاءلت بقول صاحبنا السراج الوراق أمام ارادا الشيخ بهاء الدين فهو اشارة الى قول ابن سناء الملك

أنا فى مقعد صدق
بين قواد وعاق

وأما مراد أبى الحسين من قول السراج الوراق فهو

وهو فى راض الابى
فقاده سلس القياد
فلما توسط بيننا
جرت الامور على السداد

فبلغ كل منهما ما أراد من صاحبه ولم يشعر أحد بمراد الاثنين غيرهما (قلت) وبالنسبة الى هذا الذكاء المفرط

كفه ويعاتب نفسه يعجبه من اللباس ماقصر ومن الطعام ماخشن وكان والله يجيبنا اذا سألناه ويأتينا اذا دعوناه ونحن والله مع تقريبه لنا وقربه منا لانكلمه هيبة له يعظم أهل الدين ويحب المساكين لا يطمع القوى فى باطله ولا ييأس الضعيف من عدله فأشهد الله لقد رأيته فى بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله وغارت نجومه وقد مثل فى محرابه قابضا لحيته يتململ تململ الخائف ويبكى بكاء الحزين فكأنى الآن أسمعه يقول يادنيا الى تعرضت أم الى تشوقت هيهات هيهات غرى غيرى لقد أبنتك ثلاثا لارجعة لى فيك فعمرك قصير وعيشك حقير وخطرك كبير آه من قلة الزاد ووحشة الطريق قال فوكفت دموع معاوية حتى ما يملكها على لحيته وهو ينشفها وقد اختنق القوم بالبكاء وقال رحم الله أبا الحسن كان والله كذلك فكيف حزنك عليه ياضرار قال حزنى عليه والله حزن من ذبح ولدها فى حجرها فلا ترقأ عبرتها ولا تسكن حيرتها ثم قام فخرج * وقيل أول من سل سيفا فى سبيل الله تعالى الزبير بن العوام رضى الله عنه وذلك أنه صاح على أهل مكة ليلا صائح فقال قتل محمد فخرج متجردا وسيفه معه صلتا فتلقاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال مالك يازبير قال سمعت أنك قتلت قال فماذا أردت أن تصنع قال أردت والله أن أستعرض على أهل مكة وروى أخبط بسيفى من قدرت عليه فضمه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعطاه ازاره فاستتر به وقال له أنت حوارى ودعا له * قال الاوزاعى كان للزبير ألف مملوك يؤدون الضريبة لا يدخل بيت ماله منها درهم بل كان يتصدق بها وباع دارا له بستمائة ألف درهم فقيل له يا أبا عبد الله غبنت قال كلا والله انى لم أغبن أشهدكم أنها فى سبيل الله تعالى وهبط جبريل عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد فقال من حملك على ظهره وكان حمله على ظهره طلحة حتى استقل على الصخرة قال طلحة قال أقرئه السلام وأعلمه انى لا أراه يوم القيامة فى هول من أهوالها الا استنقذته منه من هذا الذى عن يمينك قال المقداد بن الاسود قال ان الله يحبه ويأمرك أن تحبه من هذا الذى بين يديك يتقى عنك قال عمار بن ياسر قال بشره بالجنة حرمت النار على عمار * ومر أبو ذر على النبى صلى الله عليه وسلم ومعه جبريل عليه السلام فى صورة دحية الكلبى فلم يسلم فقال جبريل هذا أبو ذر لو سلم لرددنا عليه فقال أتعرفه يا جبريل قال والذى بعثك بالحق نبيا لهو فى ملكوت السموات السبع أشهر منه فى الارض قال بم نال هذه المنزلة قال بزهده فى هذه الحطام الفانية وقال ابن عمر رضى الله عنهما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله ليدفع بالمسلم الصالح عن ألف بيت من جيرانه البلاء ثم قرأ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض الآية وقال أبو بكر السفاح لابى بكر الهذلى بم بلغ الحسن ما بلغ قال جمع كتاب الله تعالى وهو ابن اثنتى عشرة سنة لم يجاوز سورة الى غيرها حتى يعرف تأويلها ولم يقلب درهما فى تجارة ولم يل عملا لسلطان ولم يأمر بشئ حتى يفعله ولم ينه عن شئ حتى يدعه قال السفاح بهذا بلغ وقال الجاحظ كان الحسن يستثنى من كل غاية فيقال فلان أزهد الناس الا الحسن وأفقه الناس الا الحسن وأفصح الناس الا الحسن وأخطب الناس الا الحسن وقال بعضهم كان عمر بن عبد العزيز أزهد من أويس لان عمر ملك الدنيا فزهد فيها وأويس لم يملكها فقيل لو ملكها لفعل كما فعل عمر فقال ليس من لم يجرب كمن جرب وقال أنس فى ثابت البنانى ان للخير مفاتيح وان ثابتا من مفاتيح الخير وكان حبيب الفارسى من أخيار الناس وهو الذى اشترى نفسه من ربه أربع مرات بأربعين ألفا كان يخرج البدرة فيقول يارب اشتريت نفسى منك بهذه ثم يتصدق بها وكان أيوب السختيانى من أزهد الناس وأورعهم ذكر عند أبى حنيفة رحمه الله تعالى فقال رحم الله أيوب لقد شهدت منه مقاما عند منبر النبى صلى الله عليه وسلم لا أذكر ذلك المقام الا اقشعر جلدى وقال سفيان الثورى جهدت جهدى على أن أكون فى السنة ثلاثة أيام على ما عليه ابن المبارك فلم أقدر وكان الخليل بن أحمد النحوى من أزهد الناس وأعلاهم نفسا وكان الملوك يقصدونه ويبذلون له الاموال فلا يقبل منها شيأ وكان يحج سنة ويغزو سنة حتى مات رحمه الله وقال ابن خارجة جالست ابن عوف عشرين سنة فما ظن الملكين كتبا عليه شيأ وروى أنه غسل كرز بن وبرة فلم يوجد على جسده مثقال لحم وعن محمد بن الحسن قال كان أبو حنيفة واحد زمانه لو انشقت عنه الارض لانشقت عن جبل من الجبال فى العلم والكرم والزهد والورع وحج وكيع بن الجراح أربعين حجة ورابط فى عبادان أربعين ليلة وختم بها القرآن اربعين ختمة وتصدق بأربعين ألفا وروى أربعة آلاف حديث وما رؤى واضعا جنبه قط ووقف

الصادر من هؤلاء القوم يتعين أن نورد هنا نبذة من كتاب الاذكياء لابن الجوزى (فمن ذلك) ماروى عن منصور بن العباس وهو انه جلس يوما فى احدى قباب المدينة فرأى رجلا ملهوفا يجول فى الطرقات فأرسل اليه من أتاه به فسأله عن حاله فأخبره انه خرج فى تجارة فأفاد فيها مالا كثيرا وانه رجع بها الى زوجته ودفع المال اليها فذكرت المرأة أن المال سرق من المنزل ولم ير نقبا ولا مسلقا فقال له المنصور منذ كم تزوجتها قال منذ سنة قال تزوجتها بكرا أم ثيبا قال ثيبا قال شابة أم مسنة قال شابة فدعا المنصور بقارورة طيب وقال تطيب بهذا فانه يذهب همك فأخذها وانقلب الى أهله فقال المنصور لجماعة من نقبائه اقعدوا على أبواب المدينة فمن مر بكم وشممتم فيه روائح الطيب فأتونى به ومضى الرجل بالطيب الى بيته فدفعه الى المرأة وقال هذا من طيب أمير المؤمنين فلما شمته أعجبها الى الغاية فبعثت به الى رجل كانت تحبه وهو الذى دفعت المال اليه فقالت له تطيب بهذا الطيب فتطيب به ومر مجتازا ببعض الأبواب ففاحت منه روائح الطيب فأخذ وأتى به الى المنصور فقال له من أين استفدت هذا الطيب فتلجلج فى كلامه فسلمه الى صاحب شرطته وقال له ان أحضر كذا وكذا من الدنانير فخذه منه والا فاضربه ألف سوط فما هو الا ان جردوه حتى أذعن برد الدنانير وأحضرها كهيئتها ثم أعلم المنصور بذلك فدعا صاحب الدنانير وقال له أرأيتك ان رددت اليك الدنانير أتحكمنى فى امرأتك قال نعم ياأمير المؤمنين قال هاهى دنانيرك وقد طلقت امرأتك وقص عليه الخبر (ومن ذلك) ماروى عن المهدى وهو ان شريك بن عبد الله القاضى

عمر بن عبد العزيز على عطاء بن أبي رباح وهو أسود مفلفل الشعر يفتي الناس في الحلال والحرام فتمثل يقول * تلك المكارم لا قعبان في لبن * (ومن) مشايخ الرسالة رضوان الله عليهم أجمعين سيدي أبو عبد الله محمد بن اسمعيل المغربي أستاذ ابراهيم بن شيبان كان عجيب الشأن لم يأكل مما وصلت اليه أيدي بني آدم سنين كثيرة وكان أكله من أصول الشعب شيأ تعوده (ومنهم) سيدي فتح بن شخرف بن داود يكنى أبا نصر من الزاهدين الورعين لم يأكل الخبز ثلاثين سنة قال أحمد بن عبد الجبار سمعت أبي يقول صحبت فتح بن شخرف ثلاثين سنة فلم أره رفع رأسه الى السماء ثم رفعه يوما فقال طال شوقي اليك فعجل قدومي عليك وقال محمد ابن جعفر سمعت أنسانا يقول غسلنا فتح بن شخرف فرأينا مكتوبا على فخذه لا اله الا الله فتوهمناه مكتوبا واذا هو عرق داخل الجلد ومات ببغداد فصلي عليه ثلاثا وثلاثين مرة أقل قوم كانوا يصلون عليه كانوا نحوا من خمسة وعشرين ألفا الى ثلاثين ألفا (ومنهم) سيدي فتح بن سعيد الموصلي يكنى أبا نصر من أقران بشر الحافي وسري السقطي كبير الشان في باب الورع والمجاهدات قال ابراهيم بن نوح الموصلي رجع فتح الموصلي الى أهله بعد صلاة العتمة وكان صائما فقال عشوني فقالوا ما عندنا شئ نعشيك به فقال ما بالكم جلوس في الظلمة فقالوا ما عندنا شئ نسرج به فجعل يبكي من الفرح ويقول الهي مثلي يترك بلا عشاء ولا سراج بأي يد كانت مني فما زال يبكي الى الصباح وقال فتح رأيت بالبادية غلاما لم يبلغ الحلم وهو يمشي وحده ويحرك شفتيه فسلمت عليه فرد على السلام فقلت الى أين فقال الى بيت ربي عز وجل فقلت بماذا تحرك شفتيك قال أتلو كلام ربي فقلت انه لم يجر عليك قلم التكليف قال رأيت الموت يأخذ من هو أصغر سنا مني فقلت خطاك قصيرة وطريقك بعيدة فقال انما على نقل الخطا وعليه البلاغ فقلت أين الزاد والراحلة قال زادي يقيني وراحلتي رجلاي فقلت أسألك عن الخبز والماء قال يا عماه أرأيت لو دعاك مخلوق الى منزله أكان يجمل بك ان تحمل زادك الى منزله قلت لا فقال ان سيدي دعا عباده الى بيته واذن لهم في زيارته فحملهم ضعف يقينهم على حمل أزوادهم واني استقبحت ذلك فحفظت الأدب معه أفتراه يضيعني فقلت حاشا وكلا ثم غاب عن بصري فلم أره الا بمكة فلما رآني قال أنت أيها الشيخ بعد ذلك الضعف من اليقين (ومنهم) سيدي أبو عثمان سعيد بن اسمعيل الحيري صحب شاه الكرماني ويحيى بن معاذ الرازي وكان يقول في الدنيا ثلاثة لا رابع لهم أبو عثمان الحيري بنيسابور والجنيد ببغداد وأبو عبد الله الحلاج بالشام ومن كلامه لا يكمل الرجل حتى يستوي في قلبه أربعة أشياء المنع والعطاء والعز والذل وقال منذ أربعين سنة ما أقامني الله تعالى في حال فكرهته ولا نقلني الى شئ فسخطته (ومنهم) سيدي سليمان الخواص يكنى أبا تراب كان أحد الزهاد المعروفين والعباد الموصوفين سكن الشام ودخل بيروت وكان أكثر مقامه ببيت المقدس قيل اجتمع حذيفة المرعشي وابراهيم بن أدهم ويوسف بن اسباط فتذاكروا الفقر والغنى وسليمان ساكت فقال بعضهم الغني من كان له بيت يسكنه وثوب يستره وسداد من عيش يكفه عن فضول الدنيا وقال بعضهم الغني من لم يحتج الى الناس فقيل لسليمان ما تقول أنت في ذلك فبكى وقال رأيت جوامع الغنى في التوكل ورأيت جوامع الفقر في القنوط والغني حق الغني من أسكن الله في قلبه من غناه يقينا ومن معرفته توكلا ومن قسمته رضا فذلك الغني حق الغنى وان أمسى طاويا وأصبح معوزا فبكى القوم من كلامه (ومنهم) سيدي أبو سليمان ابن عبد الرحمن بن أحمد بن عطية الداراني أحد رجال الطريقة قدس الله سره كان من أجل السادات وأرباب الجد في المجاهدات ومن كلامه من أحسن في نهاره كفي في ليله ومن أحسن في ليله كفي في نهاره ومن صدق في ترك شهوة ذهب الله بها من قلبه والله تعالى أكرم من أن يعذب قلبا بشهوة تركت له وقال لكل شئ علامة وعلامة الخذلان ترك البكاء وقال لكل شئ صدأ وصدأ نور القلب شبع البطن وقال أحمد بن أبي الحواري شكوت الى أبي سليمان الوسواس فقال اذا أردت أن ينقطع عنك فأي وقت أحسست به فافرح فانك اذا فرحت به انقطع عنك لانه لا شئ أبغض الى الشيطان من سرور المؤمن واذا اغتممت به زادك وقال ذو النون المصري رحمه الله تعالى اجتمعوا ليلا على أبي سليمان الداراني فسمعوه يقول يا رب ان طالبتني بسريرتي طالبتك بتوحيدك وان طالبتني بذنوبي طالبتك بكرمك وان جعلتني من أهل النار أخبرت أهل النار بحبي اياك وقال علي بن الحسين الحداد سألت أبا سليمان بأي شئ تعرف الأبرار قال بكتمان المصائب وصيانة الكرامات

دخل عليه يوما فأراد المهدي أن يخزره فقال للخادم أحضر للقاضي عودا فذهب الخادم فجاء بالعود الذي يلهى به فوضعه في حجر شريك فاضطرب شريك من ذلك وقال ما هذا يا أمير المؤمنين قال عود أخذه صاحب العسس البارحة فأحببنا أن يكون كسره على يد القاضي فقال شريك جزاك الله خيرا يا أمير المؤمنين ثم أفاضوا في الحديث حتى نسي الأمر فقال المهدي لشريك ما تقول في رجل أمر وكيلا له أن يأتي بشئ بعينه فجاء بغيره فتلف ذلك الشئ فقال يضمن يا أمير المؤمنين فقال للخادم اضمن ما أتلفت (ومن ذلك) أنه حكي انه قدم رجل الى بغداد ومعه عقد يساوي ألف دينار فأراد بيعه فلم يتفق فجاء الى عطار موصوف بالخير والديانة فأودع العقد عنده وحج وأتى بهدية للعطار وسلم عليه فقال من أنت ومن يعرفك فقال أنا صاحب العقد فلما كلمه رفسه وألقاه عن دكانه فاجتمع الناس وقالوا ويلك هذا رجل صالح فما وجدت من تكذب عليه الا هذا فتحير الحاج وتردد اليه فما زاده الا شتما وضربا فقيل له لو ذهبت الى عضد الدولة لحصل لك من فراسته خير فكتب قصته وجعلها على قصبة وعرضها عليه فقال ما شأنك فقص عليه القصة فقال اذهب غدا واجلس في دكان العطار ثلاثة أيام حتى أمر عليك في اليوم الرابع فأقف وأسلم عليك فلا ترد علي الا السلام فاذا انصرفت أعد عليه ذكر العقد ثم اعلمني بما يقول لك ففعل الحاج ذلك فلما كان في اليوم الرابع جاء عضد الدولة في موكبه العظيم فلما رأى الحاج وقف وقال سلام عليكم فقال الحاج وعليكم السلام ولم يتحرك فقال يا أخي تقدم من العراق ولا تأتينا ولا تعرض علينا حوائجك فقال له

وروى عنه أنه قال نمت ليلة عن وردى فاذا حوراء تقول لى أتنام وأنا أربى لك فى الخدور منذ خمسمائة عام (ومنهم) سيدى أبو محمد عبد الله بن حنيف من زهاد المتصوفة كوفى الاصل ولكنه سكن انطاكيه * ومن كلامه لا تغتم الا من شئ يضرك غدا ولا تفرح الا بشئ يسرك غدا وله كرامات ظاهرة وبركات متواترة (ومنهم) سيدى أبو عبد الله محمد بن يوسف البناء أصبهانى الاصل كتب عن ستمائة شيخ ثم غلب عليه الانفراد والخلوة الى أن خرج الى مكة بشرط التصوف وقطع البادية على التجريد وكان فى ابتداء أمره يكسب فى كل يوم ثلاثة دراهم وثلثا فيأخذ من ذلك لنفسه دانقا ويتصدق بالباقى ويختم مع العمل كل يوم ختمة فاذا صلى العتمة فى مسجده خرج الى الجبل الى قريب الصبح ثم يرجع الى العمل وكان يقول فى الجبل يارب اما أن تهب لى معرفتك أو تامر الجبل أن ينطبق على فانى لا اريد الحياة بلا معرفتك (ومنهم) سيدى يحيى بن معاذ الرازى قدس الله سره يكنى أبا زكريا أحد رجال الطريق كان أوحد وقته ومن كلامه لا تكن ممن يفضحه يوم موته ميراثه ويوم حشره ميزانه وقال ليكن حظ المؤمن منك ثلاث خصال ان لم تنفعه فلا تضره وان لم تسره فلا تغمه وان لم تمدحه فلا تذمه وقال الصبر على الخلوة من علامات الاخلاص وقال بئس الصديق صديق يحتاج الى أن يقال له اذكرنى فى دعائك وقال على قدر حبك الله يحبك الخلق وعلى قدر خوفك من الله تهابك الخلق وعلى قدر شغلك بالله تشتغل فى أمرك الخلق وقال من كان غناه فى كيسه لم يزل فقيرا ومن كان غناه فى قلبه لم يزل غنيا ومن قصد بحوائجه المخلوقين لم يزل محروما وروى أنه قدم شيراز فجعل يتكلم على الناس فى علم الاسرار فأتته امرأة من نسائها فقالت كم تريد أن تأخذ من هذه البلدة قال ثلاثون ألفا أصرفها فى دين على بخراسان فقالت لك على ذلك على أن تأخذها وتخرج من ساعتك فرضى بذلك فحملت اليه المال فخرج من الغد فعوتبت تلك المرأة فيما فعلت فقالت انه كان يظهر أسرار أولياء الله تعالى للسوقة والعامة فغرت على ذلك (ومنهم) سيدى يوسف بن الحسين الرازى يكنى أبا يعقوب كان وحيد وقته فى اسقاط التصنع عالما أديبا صحب ذا النون المصرى وأبا تراب النخشبى من كلامه اذا أردت أن تعلم العاقل من الاحمق فحدثه بالمحال فان قبل فاعلم أنه أحمق وقال اذا رأيت المريد يشتغل بالرخص فاعلم أنه لا يجئ منه شئ وقال لان ألقى الله تعالى بجميع المعاصى أحب الى من أن ألقاه بذرة من التصنع وقال أبو الحسن الدراج قصدت زيارة ابن الحسين الرازى من بغداد فلما دخلت بلده سألت عن منزله فكل من سألته يقول أى شئ تريد من هذا الزنديق فضيقوا صدرى حتى عزمت على الانصراف فبت تلك الليلة فى مسجد ثم قلت فى نفسى جئت هذه البلدة فلا أقل من زيارته فلم أزل أسأل عنه حتى وصلت الى مسجده فوجدته جالسا فى المحراب وبين يديه مصحف يقرأ فيه فدنوت منه وسلمت عليه فرد على السلام وقال من أين قلت من بغداد فقال أتحسن من قولهم شيأ قلت نعم وأنشدته

رأيتك تبنى دائما فى قطيعتى * ولو كنت ذا حزم لهدمت ما تبنى

فأطبق المصحف ولم يزل يبكى حتى ابتلت لحيته وثوبه ورحمته من كثرة بكائه ثم التفت الى وقال يا بنى أتلوم أهل البلد على قولهم يوسف بن الحسين زنديق وها أنا ذا من وقت صلاة الصبح أقرأ القرآن ولم تقطر من عينى قطرة وقد قامت على القيامة بهذا البيت (ومنهم) سيدى حاتم بن علوان الاصم قدس الله سره يكنى أبا عبد الرحمن من أكابر مشايخ خراسان صحب شقيقا البلخى ومن كلامه الزم خدمة مولاك تأتك الدنيا راغمة والآخرة راغبة وقال من ادعى ثلاثا بغير ثلاث فهو كذاب من ادعى حب الله تعالى من غير ورع عن محارمه فهو كذاب ومن ادعى محبة النبى صلى الله عليه وسلم من غير محبة الفقر فهو كذاب ومن ادعى حب الجنة من غير انفاق ماله فهو كذاب وسأله رجل علام بنيت أمرك فى التوكل على الله عز وجل قال على أربع خصال علمت أن رزقى لا يأكله غيرى فاطمأنت به نفسى وعلمت أن عملى لا يعمله غيرى فأنا مشغول به وعلمت أن الموت يأتينى بغتة فأنا أبادره وعلمت أنى لا أخلو من عين الله عز وجل حيث كنت فأنا أستحى منه * وسبب تسميته بالاصم ما حكاه أبو على الدقاق أن امرأة جاءت تسأله عن مسألة فاتفق أنه خرج منها صوت ريح فخجلت المرأة فقال حاتم ارفعى صوتك وأراها أنه أصم فسرت المرأة بذلك وقالت انه لم يسمع الصوت فغلب عليه هذا الاسم رحمة الله تعالى عليه (ومنهم) الحسن بن أحمد الكاتب من كبار مشايخ المصريين صحب أبا بكر المصرى وأبا على

ما اتفق هذا ولم يزده على ذلك شيأ هذا والعسكر واقف بكماله فانذهل العطار وأيقن بالموت فلما انصرف عضد الدولة التفت العطار الى الحاج وقال له يا أخى متى أودعتنى هذا العقد وفى أى شئ هو ملفوف فذكرنى لعلى أتذكر فقال من صفته كذا وكذا فقام وفتش ثم فتح جرابا وأخرج منه العقد وقال الله أعلم انى كنت ناسيا ولو لم تذكرنى ما تذكرت فأخذ الحاج العقد ومضى الى عضد الدولة فأعلمه فعلقه فى عنق العطار وصلبه على باب دكانه ونودى عليه هذا جزاء من استودع ثم جحد ثم أخذ الحاج العقد ومضى الى بلاده (ومثله ما نقل عن ذكاء اياس الذى سارت به الركبان) قيل ان رجلا استودع أمين اياس مالا وخرج المودع الى الحجاز فلما رجع طلبه فجحده فأتى اياسا فأخبره فقال له اياس أأعلمته انك أتيتنى قال لا قال أفنازعته عند غيرى قال لا قال فانصرف واكتم سرك ثم عد الى بعد يومين فمضى الرجل ودعا اياس أمينه فقال قد حضر عندنا مال كثير أريد أن أسلمه اليك أفحصين منزلك قال نعم قال فأعد موضعا للمال وقوما يحملونه وعاد الرجل الى اياس فقال انطلق الى صاحبك فان أعطاك المال فذلك وان جحد فقل له انى أخبر القاضى بالقصة فأتى الرجل صاحبه فقال تعطينى الوديعة أو اشكوك الى القاضى وأخبره بالحال فدفع اليه المال فرجع الرجل وأخبر اياسا وقال أعطانى الوديعة وجاء الامين الى اياس ليأخذ المال الموعود به فزجره وقال له لا تقربنى بعد هذا يا خائن * (ومثله) * انه ولى القضاء بواسط رجل مشهور بالدين والذكاء المفرط فجاءه رجل استودع بعض الشهود كيسا مختوما ذكر أن فيه ألف دينار فلما حصل الكيس عند

الروذبارى وكان أوحد مشايخ وقته من كلامه روائح نسيم المحبة تفوح من المحبين وان كتموها وتظهر عليهم دلائلها وان أخفوها وتدل عليهم وان ستروها وأنشدوا فى هذا المعنى

اذا ما أسرت أنفس الناس ذكره * تبينه فيهم ولم يتكلموا
تطيب به أنفاسهم فتذيعها * وهل سر مسك أودع الريح يكتم

ومن كلامه أيضا اذا انقطع العبد الى الله تعالى بالكلية فأول ما يفيده الاستغناء به عن الناس وقال صحبة الفساق داء ودواؤها مفارقتهم وقال اذا سكن الخوف فى القلب لا ينطق اللسان بما لا يعنيه (ومنهم) سيدى جعفر ابن نصر الخلدى يكنى بأبى محمد بغدادى المنشأ والمولد صحب الجنيد وانتمى اليه وحج قريبا من ستين حجة روى أنه مر بمقبرة الشونيزية وامرأة على قبر تندب وتبكى بكاء بحرقة فقال لها مالك تبكين فقالت ثكلى بولدى فأنشأ يقول

يقولون ثكلى ومن لم يذق * فراق الاحبة لم يثكل
لقد جرعتنى ليالى الفراق * شرابا أمر من الحنظل

وروى أنه كان له فص فوقع منه يوما فى الدجلة وكان عنده دعاء مجرب لرد الضالة اذا دعا به عاد فدعا به فوجد الفص فى وسط أوراق كان يتصفحها وصورة الدعاء أن تقول يا جامع الناس ليوم لا ريب فيه اجمع على ضالتى وقد روى أنه يقرأ قبله سورة الضحى ثلاثا وروى الحافظ أبو بكر الخطيب فى تاريخه قال ودعت فى بعض حجاتى المزين الكبير اله وفى فقلت زودنى شيأ فقال ان فقدت شيأ أو أردت أن يجمع الله بينى و بينك أو بينك و بين انسان فقل يا جامع الناس ليوم لا ريب فيه اجمع بينى و بين كذا فان الله يجمع بينك و بين ذلك الشئ أو الانسان (ومنهم) سيدى معروف بن فيروز الكرخى قدس الله سره يكنى أبا محفوظ من كبار المشايخ مجاب الدعوة وهو أستاذ السرى وكان أبواه نصرانيين فأسلماه الى مؤدبهم وهو صبى فكان المؤدب يقول له قل هو ثالث ثلاثة فيقول بل هو الواحد الصمد فضربه المؤدب على ذلك ضربا وجيعا فهرب منه فكان أبواه يقولان ليته يرجع الينا على أى دين شاء فنوافقه عليه فرجع الى أبويه فدق الباب فقيل من بالباب فقال معروف فقيل على أى دين فقال على دين الاسلام فأسلم أبواه وكان مشهورا باجابة الدعوة ومن كلامه رضى الله عنه اذا أراد الله بعبد خيرا فتح له باب العمل وأغلق عليه باب الفترة والكسل وكان يعاتب نفسه و يقول يا مسكين كم تبكى وتندب أخلص تخلص وقال سرى سألت معروفا عن الطائعين لله باى شئ قدروا على الطاعات لله عز و جل قال بخروج حب الدنيا من قلوبهم ولو كانت فى قلوبهم لما صحت لهم سجدة ومن انشاداته

الماء يغسل ما بالثوب من درن * وليس يغسل قلب المذنب الماء

وقال ابراهيم الاطروش كان معروف قاعدا يوما على الدجلة ببغداد فمر بنا صبيان فى زورق يضربون بالملاهى و يشربون فقال له أصحابه أما ترى هؤلاء يعصون الله تعالى على هذا الماء فادع عليهم فرفع يديه الى السماء وقال الهى وسيدى كما فرحتهم فى الدنيا أسألك أن تفرحهم فى الآخرة فقال له أصحابه انما سألناك أن تدعو عليهم ولم نقل لك ادع لهم فقال اذا فرحهم فى الآخرة تاب عليهم فى الدنيا ولم يضركم ذلك وقال سرى رأيت معروفا فى المنام كأنه تحت العرش والله تعالى يقول للملائكة من هذا فقالت أنت أعلم يا رب قال هذا معروف الكرخى سكر بحبى لا يفيق الا بلقائى وقيل له فى مرضه أوص فقال اذا مت فتصدقوا بقميصى هذا فانى أحب أن أخرج من الدنيا عريانا كما دخلتها عريانا وقال أبو بكر الخياط رأيت فى المنام كأنى دخلت المقابر فاذا أهل القبور جلوس على قبورهم و بين أيديهم الريحان واذا أنا بمعروف الكرخى بينهم يذهب و يجئ فقلت يا أبا محفوظ ما فعل الله بك أو ليس قد مت قال بلى ثم أنشد يقول

موت التقى حياة لا نفاد لها * قد مات قوم وهم فى الناس أحياء

(ومنهم قاسم بن عثمان الكرخى) يكنى أبا عبد الملك من أجلاء المشايخ صحب أبا سليمان الدارانى وغيره وكان من أقران السرى والحرث المحاسبى وكان أبو تراب النخشبى يصحبه ومن كلامه من أصلح فيما بقى من عمره غفر له ما مضى وما بقى ومن أفسد فيما بقى من عمره أخذ بما مضى وما بقى وقال السلامة كلها فى اعتزال الناس والفرح كله فى الخلوة بالله عز وجل وسئل عن التوبة فقال التوبة رد المظالم وترك المعاصى وطلب الحلال وأداء الفرائض وقال لاصحابه أوصيكم بخمس ان ظلمتم فلا تظلموا وان مدحتم فلا تفرحوا وان ذممتم فلا تحزنوا وان

الشاهد وطالت غيبة المودع ظن أنه قد مات فهم بانفاق المال وخشى من مجئ صاحبه ففتق الكيس من أسفله وأخذ الدنانير وجعل مكانها دراهم وأعاد الخياطة كما كانت فقدر أن الرجل حضر الى واسط وطالب الشاهد بوديعته فأعطاه الكيس بختمه فلما حصل فى منزله فض ختمه فاذا فى الكيس دراهم فرجع الى الشاهد وقال له اردد على مالى فانى اودعتك دنانير والذى وجدت دراهم فأنكر فاستدعى عليه الى القاضى المتقدم ذكره فلما حضرا بين يديه قال الحاكم للمستودع منذ كم أودعك الكيس قال منذ خمس عشرة سنة فقال القاضى لصاحب الكيس احضر لى الدراهم فأحضرها فقال القاضى للشهود اعتبروا تواريخ الدراهم فقرؤا سككها فاذا منها ماله سنتان وثلاث سنين ونحو ذلك فأمره أن يدفع له الدنانير فدفعها وعزله القاضى وأطاف به البلد وأسقطه ❊ ومثله بل أغرب منه ❊ ان رجلا استودع رجلا مالا ثم طلبه فجحده فخاصمه الى اياس وقال المدعى انى أطالبه بمال أودعته اياه وقدره كذا وكذا فقال له اياس ومن حضرك قال كان رب العزة حاضرا قال دفعته اليه فى أى مكان قال فى موضع كذا قال فأى شئ تعهد من ذلك الموضع قال شجرة عظيمة قال فانطلق الى الموضع وانظر الى الشجرة لعل الله يظهر لك علامة يتبين بها حقك أو لعلك دفنت مالك تحت الشجرة فنسيت فتذكره اذا رأيت الشجرة فمضى الرجل مسرعا فقال اياس للرجل المدعى عليه اقعد حتى يرجع خصمك فجلس واياس يقضى بين الناس وينظر اليه بعد ذلك ثم قال له يا هذا أترى صاحبك بلغ موضع الشجرة التى ذكرها قال لا فقال له

كذبتم فلا تغضبوا وان خانوكم فلا تخونوا وقال محمد بن الفرج سمعت قاسم بن عثمان يقول ان لله عبادا قصدوا الله بهممهم فافردوه بطاعتهم واكتفوا به في توكلهم ورضوا به عوضا عن كل ما خطر على قلوبهم من أمر الدنيا فليس لهم حبيب غيره ولا قرة عين الا فيما اقرب اليه وكان يقول قليل العمل مع المعرفة خير من كثير العمل بلا معرفة ثم قال اعرف وضع رأسك ونم فما عبد الله الخلق بشئ أفضل من المعرفة وروى عنه أنه قال رأيت في الطواف حول البيت رجلا فتقربت منه فاذا هو لا يزيد على قوله اللهم قضيت حاجة المحتاجين وحاجتي لم تقض فقلت له مالك لا تزيد على هذا الكلام فقال أحدثك كنا سبعة رفقاء من بلاد شتى غزونا أرض العدو فاستأسرونا كلنا فاعتزل بنا لتضرب أعناقنا فنظرت الى السماء فاذا سبعة أبواب مفتحة عليها سبع جوار من الحور العين في كل باب جارية فقدم رجل منا فضربت عنقه فرأيت جارية في يدها منديل قد هبطت الى الأرض فضربت أعناق الستة وبقيت أنا وبقي باب وجارية فلما قدمت لتضرب عنقي استوهبني بعض خواص الملك فوهبني له فسمعتها تقول باي شئ فاتك هذا يا محروم وأغلقت الباب فانا يا أخي متحسر على ما فاتني قال قاسم بن عثمان أراه أفضلهم لانه رأى ما لم يروا وترك يعمل على الشوق (ومنهم) سيدي أبو بكر دلف بن جحدر الشبلي كان جليل القدر مالكي المذهب عظيم الشان صحب الجنيد ومن في عصره وكان يبالغ في تعظيم الشرع المطهر وكان اذا دخل شهر رمضان المعظم جد في الطاعات ويقول هذا شهر عظمه ربي فانا أولى بتعظيمه وسئل عن قول النبي صلى الله عليه وسلم خير عمل المرء كسب يمينه فقال اذا كان الليل فخذ ماء وتهيأ للصلاة وصل ما شئت ومد يديك وسل الله عز وجل فذلك كسب يمينك ولما حج ورأى مكة المشرفة شرفها الله تعالى وقع مغشيا عليه فلما أفاق أنشد يقول

هذه دارهم وأنت محب * ما بقاء الدموع في الآماق

وروى انه قال كنت يوما جالسا فجرى في خاطري أني بخيل فقلت مهما فتح الله علي به اليوم أدفعه الى أول فقير يلقاني قال فبينما أنا متفكر اذ دخل علي شخص ومعه خمسون دينارا فقال اجعل هذه في مصالحك فأخذتها وخرجت واذا أنا بفقير مكفوف بين يدي مزين يحلق رأسه فتقدمت اليه وناولته الصرة فقال لي ادفعها للمزين فقلت له انها دنانير فقال انك لبخيل قال فناولتها للمزين فقال المزين ان من عادتنا أن الفقير اذا جلس بين أيدينا لا نأخذ منه أجرا قال فرميتها في الدجلة وقلت ما أعزك أحد الا أذله الله تعالى (ومنهم) سيدي زرقان ابن محمد أخو ذي النون المصري صاحب سياحة كان بجبل لبنان (حكى) عن يوسف بن الحسين الرازي قال بينما أنا بجبل لبنان أدور واذا أبصرت زرقان أخا ذي النون المصري جالسا على عين ماء وقت صلاة العصر فسلمت عليه وجلست من ورائه فالتفت الي وقال ما حاجتك فقلت بيتا شعر سمعتهما من أخيك ذي النون المصري أعرضهما عليك فقال قل فقلت سمعته يقول

قد بقينا مذبذبين حيارى * نطلب الوصل ما اليه سبيل
فدواعي الهوى تخف علينا * وخلاف الهوى علينا ثقيل

فقال زرقان ولكني أقول

قد بقينا مذهلين حيارى * حسبنا ربنا ونعم الوكيل
حيثما الفوز كان ذاك منانا * واليه في كل أمر نميل

فعرضت أقوالهما على طاهر المقدسي فقال رحم الله ذا النون المصري رجع الى نفسه فقال ما قال ورجع زرقان الى ربه فقال ما قال وقال أبو عبد الرحمن السلمي زرقان بن محمد أخو ذي النون المصري وأظن انه أخوه مؤاخاة لا أخوة نسب وكان من أقرانه ورفقائه (ومنهم) سيدي أبو عبد الله النباجي سعيد بن بريد كان من أقران ذي النون المصري ومن أقران استاذي أحمد بن أبي الحواري له كلام حسن في المعرفة وغيرها وروى عنه أنه قال أصابني ضيق وشدة فبت وأنا مفكر في المسير الى بعض اخواني فسمعت قائلا يقول لي في النوم أيجمل بالحر المريد اذا وجد عند الله ما يريد أن يميل بقلبه الى العبيد فانتبهت وأنا من أغنى الناس (ومنهم) سيدي بشر بن الحرث الحافي قدس الله روحه يكنى أبا نصر أحد رجال الطريقة أصله من مرو وسكن بغداد وكان من كبار الصالحين وأعيان الأتقياء المتورعين صحب الفضيل بن عياض وروى عن سري السقطي وغيره ومن كلامه لا تكون كاملا حتى يأمنك عدوك وكيف يكون فيك خير وأنت لا يأمنك صديقك وقال أول عقوبة يعاقبها ابن آدم في الدنيا مفارقة الأحباب وقال غنيمة المؤمن غفلة الناس عنه وخفاء مكانه عنهم وقال التكبر على المتكبر من

والله يا عدو الله انك لخائن فقال أقلني أقالك الله يا أمير المؤمنين فأمر من يحتفظ به حتى جاء الرجل فقال اياس قد أقر بعقلك فخذه ﴿ومن لطائف المنقول من كتاب الأذكياء﴾ ان يحيى بن أكثم القاضي ولي القضاء بالبصرة وسنه عشرون سنة فاستصغره أهل البصرة فقال أحدهم كم سن القاضي فعلم يحيى أنه استصغره فقال أنا أكبر من عتاب ابن أسيد حين بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم قاضيا على أهل مكة يوم الفتح وأنا أكبر من معاذ بن جبل حين وجهه رسول الله صلى الله عليه وسلم قاضيا على أهل اليمن وأنا أكبر من كعب بن سور حين ولاه عمر بن الخطاب قاضيا على أهل البصرة قال فعظم في أعين أهل البصرة وهابوه ﴿ومن المنقول من كتاب الأذكياء﴾ ان بعض اللصوص دخل بيته ومعه جماعة تحت أمره ونهيه في القتل والسرقة فظفروا بصاحب البيت وأوقفوه للقتل فتدخل عليهم في ابقاء مهجته وأخذ ما في البيت بكماله فقال كبيرهم حلفوه بالطلاق الثلاث وعلى المصحف أنه لا يعلم بهم أحدا فأصبح الرجل يرى اللصوص يبيعون متاعه ولا يقدر أن يتكلم لأجل اليمين فجاء الى أبي حنيفة وأعلمه بحاله فقال له احضر أكابر حيك وأدين جيرانك وامام جماعتك فلما حضروا قال لهم أبو حنيفة هل تحبون ان يرد الله على هذا الرجل متاعه قالوا نعم فقال اجمعوا داعريكم فادخلوهم الجامع ثم أخرجوهم واحدا واحدا وكلما خرج منهم واحد قولوا هذا اللص فان كان ليس بلصه قال لا وان كان لصه فليسكت فاذا سكت فاقبضوا عليه ففعلوا ذلك فرد الله عليه ما سرق له (ومنه) ان الربيع صاحب المنصور كان يعادي أبا

التواضع وسئل عن الصبر الجميل فقال الصبر الجميل هو الذى لا شكوى فيه الى الناس وقيل انه لقى رجلا سكران فجعل الرجل يقبل يد بشر و يقول ياسيدى يا أبا نصر و بشر لا يدفعه عن نفسه فلما ولى الرجل تغرغرت عينا بشر وجعل يقول رجل أحب رجلا على خير توهمه لعل المحب قد نجا والمحبوب لا يدرى ما حاله ٭وروى أن امرأة جاءت الى أحمد بن حنبل تسأله فقالت انى امرأة أغزل بالليل والنهار وأبيعه ولا أبين غزل الليل من غزل النهار فهل على فى ذلك شئ فقال يجب أن تبينى فلما انصرفت قال أحمد لابنه اذهب فانظر أين تدخل فرجع فقال دخلت دار بشر فقال قد عجبت أن تكون هذه السائلة من غير بيت بشر ولما مرض مرضه الذى مات فيه قال له أهله نرفع ماءك الى الطبيب قال أنا بعين الطبيب يفعل بى ما يريد فالحوا عليه فقال لاخته ادفعى اليهم الماء فدفعته اليهم فى قارورة وكان بالقرب منهم طبيب نصرانى فدفعوا اليه القارورة فقال حركوا الماء فحركوه فقال ضعوه فوضعوه فقالوا له ما بهذا وصفت لنا قال وبماذا وصفت لكم قالوا وصفت بانك أحذق أهل زمانك فى الطب قال هو كما وصفت لكم ان هذا الماء ان كان ماء نصرانى فهو ماء راهب قد فتت الخوف كبده وان كان ماء مسلم فماء بشر الحافى لان ما فى زمانه أخوف منه قالوا هو ماء بشر فقال أنا أشهد ان لا اله الا الله وأشهد ان محمدا رسول الله فلما رجعوا الى بشر قال لهم أسلم الطبيب قالوا له ومن أعلمك بهذا قال لما خرجتم من عندى نوديت يا بشر ببركة مائك أسلم الطبيب توفى فى سنة سبع وعشرين ومائتين (ومنهم) سيدى أبو يزيد طيفور بن عيسى البسطامى من أجل المشايخ كبير الشان ومن كلامه مازلت أسوق الى الله تعالى نفسى وهى تبكى الى أن سقتها وهى تضحك وسئل باى شئ وجدت هذه المعرفة فقال ببطن جائع وبدن عار وقيل له ما أشد ما لقيت فى سبيل الله تعالى فقال لا يمكن وصفه فقيل له ما أهون ما لقيته نفسك منك فقال أما هذا فنعم دعوتها الى شئ من الطاعات فلم تجبنى فمنعتها الماء سنة وقال الناس كلهم يهربون من الحساب ويتجافون عنه وأنا أسأل الله تعالى أن يحاسبنى فقيل له لم فقال لعله يقول فيما بين ذلك يا عبدى فاقول لبيك فقوله لى يا عبدى أحب الى من الدنيا وما فيها ثم بعد ذلك يفعل بى ما يشاء وقال له رجل دلنى على عمل أتقرب به الى ربى فقال أحب أولياء الله ليحبوك فان الله تعالى ينظر الى قلوب أوليائه فلعله ينظر الى اسمك فى قلب ولى فيغفر لك وسئل عن المحبة فقال استقلال الكثير من نفسك واستكثار القليل من حبيبك توفى فى سنة احدى وستين ومائتين رحمه الله تعالى (ومنهم) شيخ الطائفة سيدى أبو القاسم الجنيد بن محمد القواريرى شيخ وقته وفريد عصره أصله من نهاوند ومولده ومنشؤه ببغداد صحب جماعة من المشايخ وصحب خاله السرى والحرث المحاسبى ودرس الفقه على أبى ثور وكان يفتى فى مجلسه بحضرته وهو ابن عشرين سنة ٭ومن كلامه رضى الله عنه علامة اعراض الله تعالى عن العبد أن يشغله بما لا يعنيه وقال الادب أدبان أدب السر وأدب العلانية فادب السر طهارة القلوب وأدب العلانية حفظ الجوارح من الذنوب ورؤى فى يده يوما سبحة فقيل له أنت مع تمكنك وشرفك تأخذ بيدك سبحة فقال نعم سبب وصلنا به الى ما وصلنا لا نتركه أبدا وقال حسن بن محمد السراج سمعت الجنيد يقول رأيت ابليس فى منامى وكأنه عريان فقلت له ألا تستحيى من الناس فقال بالله هؤلاء عندك من الناس لو كانوا من الناس ما تلاعبت بهم كما يتلاعب الصبيان بالكرة ولكن الناس عندى ثلاثة نفر فقلت ومن هم قال هم فى مسجد الشونيزى قد أضنوا قلبى وأنحلوا جسمى كلما هممت بهم أشاروا الى الله عز وجل فاكاد أن أحرق قال الجنيد فانتبهت من نومى ولبست ثيابى وجئت الى مسجد الشونيزى بليل فلما دخلت المسجد اذا أنا بثلاثة أنفس جلوس ورؤسهم فى مرقعاتهم فلما أحسوا بى قد دخلت أخرج أحدهم رأسه وقال يا أبا القاسم أنت كلما قيل لك شئ تقبل قيل ان الثلاثة الذين كانوا فى مسجد الشونيزى أبو حمزة وأبو الحسن الثورى وأبو بكر الدقاق رضى الله عنهم وقال محمد بن قاسم الفارسى بات الجنيد ليلة العيد فى الموضع الذى كان يعتاده فى البرية فاذا هو وقت السحر بشاب ملتف فى عباءة وهو يبكى ويقول

بحرمة غربتى كم ذا الصدود ٭ ألا تحنوا على ألا تجودوا ٭ سرور العيد قد عم النواحى
وحزنى فى ازدياد لا يبيد ٭ فان كنت اقترفت خلال سوء ٭ فعذرى فى الهوى أن لا أعود

توفى الجنيد رحمه الله تعالى سنة سبع وتسعين ومائتين ببغداد وصلى عليه نحو ستين ألفا رضوان الله عليهم أجمعين ٭وممن صحبته وانتفعت بصحبته وفاضت الخيرات على ببركته سيدى الشيخ الامام العالم العامل أبو المعالى

حنيفة يحضر يوما عند أمير المؤمنين فقال الربيع يا أمير المؤمنين ان أبا حنيفة يخالف جدك ابن عباس وكان جدك يقول اذا حلف الرجل على شئ ثم استثنى بعد ذلك بيوم أو بيومين كان ذلك جائزا وأبو حنيفة لا يجوز ذلك الا متصلا باليمين فقال أبو حنيفة يا أمير المؤمنين ان الربيع يزعم أن ليس لك فى رقاب جندك عهد قال كيف ذلك قال يحلفون لك ثم يرجعون الى منازلهم فيستثنون فتبطل أيمانهم فضحك المنصور وقال يا ربيع لا تتعرض لابى حنيفة (ومنه) ان الامام أبا حنيفة رضى الله عنه قال دخلت البادية فاحتجت الى الماء فجاءنى اعرابى ومعه قربة ملآنة فأبى أن يبيعها الا بخمسة دراهم فدفعتها له ثم أخذت القربة فقلت ما رأيك يا اعرابى فى السويق فقال هات فأعطيته سويقا ملتوتا بزيت فجعل يأكل حتى امتلأ ثم عطش فقال على شربة فقلت بخمسة دراهم على قدح من ماء فاستردت الخمسة وبقى الماء (ومنه) انه استودع رجل بالكوفة رجلا مالا وحج ورجع فطلبه فجحده وجعل يحلف له فانطلق الرجل الى أبى حنيفة فخلا به وأخبره بذلك فقال له الامام لا تكلم أحدا بجحوده وكان الرجل يجالس أبا حنيفة فقال له وقد خلا لهم المكان ان هؤلاء بعثوا يستشيرونى فى رجل يصلح للقضاء وقد اخترتك فانصرف من عند الامام فجاء صاحب الوديعة فقال له الامام ارجع الى صاحبك وذكره لاحتمال أن يكون ناسيا فذهب اليه وسأله فلم يحتج معه الى ملامة بل دفع اليه متاعه وتوجه بعد ذلك الى أبى حنيفة فقال له أبو حنيفة انى نظرت فى أمرك فأردت أن أرفع قدرك ولا أسميك حتى يحضر ما هو أنفس من هذا (ومنه) انه كان بجوار أبى حنيفة شاب يغشى مجلسه فقال له

وأبو الصدق أبو بكر بن عمر الطريني المالكي قدس الله سره ونور ضريحه كان أوحد زمانه في الزهد والورع قامعا لاهل الضلال والبدع وله أسرار ظاهرة وبركات متواترة قد أطاع أمره الخلائق عجما وعربا وانتشر ذكره في البلاد شرقا وغربا وأتت الملوك الى بابه واختار وا أن يكونوا من جملة أصحابه ما أتاه مكروب الا فرج كربته ولا طالب حاجة الا قضى الله حاجته كان محافظا على النوافل ملازما للفرض وكان أكثر أكله من المباح من نبات الارض لم يمتع نفسه في الدنيا بالمآكل والمشارب اللذيذة بل قيل انه غضب على نفسه مرة فمنعها شرب الماء شهورا عديدة وكان رضي الله عنه كثير الشفقة والحنو على أصحابه نصوحا لجميع خلق الله من أعدائه وأحبابه يدخل عليه أعدى عدوه فيقبل ببشره وبره عليه فيخرج من عنده وهو أحب الناس اليه كما قال بعضهم

وانى لالقى المرء أعلم انه * عدوى وفى أحشائه الضغن كامن

فأمنحه بشرى فيرجع قلبه * سليما وقد ماتت لديه الضغائن

وكانت جملة أهل زمانه عليه وأحوالهم في كل أمر راجعة اليه وكنت كثيرا ما أسمعه يتمثل بهذا البيت

وما حلونى الضيم الا حملته * لانى محب والمحب حمول

وكان رضي الله عنه كثير المصافاة عظيم الموافاة شأنه الحلم والستر لم يهتك حرمة مسلم ولا فضحه وما استشاره أحد في أمر الا أرشده الى الخير ونصحه صحبته رضي الله عنه نحو خمس عشرة سنة فكانها من طيبها كانت سنة ما قطع بره يوما واحدا عني حتى كنت أظن ان ليس عنده أخص مني وكان ذلك فعله مع جميع أصحابه قاطبة بيض الله وجهه في القيامة وبلغه من فضل ربه ما أمّل به وكان رضي الله عنه فقيها في مذهب الامام مالك امام كبير لم ير له في زمانه من شبيه ولا نظير وله في علم الحقيقة أقوال وكم رأينا له من مكاشفات وأحوال ولو تتبعت مناقبه لا تسع الكلام ولكني أقول كان أوحد عصره والسلام عاش رضي الله عنه نيفا وستين سنة وكان الناس في زمانه في عيشة راضية وأحوال حسنة وكان رضي الله عنه كثير الامراض والاسقام حصل له في آخر عمره ضعف شديد أقام به نحو سنة ثم تزايد مرضه في العشر الاول من ذي الحجة الحرام فلما كانت ليلة الحادي عشر اشتد به الأمر واحتضر ولم يزل في النزع الى ثلث الليل الاول من الليلة المذكورة ثم توفي رحمه الله تعالى سعيدا حميدا في ليلة الجمعة حادي عشر ذي الحجة الحرام سنة سبع وعشرين وثمانية ولما أخبر الناس بوفاته عظم مصابه على المسلمين ووقع النوح والبكاء والاسف في أقطار البلدان حتى طوائف المخالفين للملة من النصارى وغيرهم وصاروا يبكون ويتوجعون ويتأسفون على فراقه وكيف لا وهو امام العصر علامة الدهر حق فيه قول القائل

حلف الزمان ليأتين بمثله * حنثت يمينك يا زمان فكفر

رضي الله عنه ورضي عنا به ونفعنا ببركته في الدين والدنيا والآخرة فشرعوا في تجهيزه وغسله فكنت ممن حضر غسله ولكن لم يكن ذهني معي في تلك الساعة لما جرى علينا من المصيبة بفقده كيف لا وقد كان لي والدا مشفقا وبارا محسنا عشوقا فلما انتهى غسله رضي الله عنه جاء القضاة والنواب والكشاف والولاة وحملوه على أعناقهم ومضوا به الى جامع الخطبة بالمحلة فضاق بهم الجامع على سعته وضاقت الشوارع والسكك والطرقات من كثرة الناس فلم ير أكثر جمعا ولا أغزر دمعا من ذلك اليوم وهذا دليل على أنه كان قطب أهل زمانه * قال الامام أحمد بن حنبل رضي الله عنه بيننا وبينهم الجنائز يريد بذلك اجتماع الناس والله أعلم فارتفع نعشه على أعناقهم وتقدم للصلاة شيخه العارف بالله تعالى سيدي سليمان الدواخلي نفعنا الله ببركته ودفن يوم الجمعة بزاويته التي أنشأها بسندفا مع والده الشيخ الامام العالم العلامة مفتي المسلمين سراج الدين أبي حفص عمر الطريني المالكي في قبر واحد نفعنا الله ببركته وجعل الجنة متقلبه ومثواه وحشرنا واياه في زمرة سيد الاولين والآخرين محمد خاتم النبيين وأفضل المرسلين صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين ونسأله التوفيق والاعانة وأن يمتع المسلمين بطول بقاء أخيه سيدنا ومولانا الشيخ شمس الدين محمد الطريني أدام الله أيامه للمسلمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

* الباب الحادي والثلاثون في مناقب الصالحين وكرامات الاولياء رضي الله عنهم *

* اعلم * أن كرامات الاولياء لا تنكر ومناقبهم أكثر من أن تحصر نسأل الله تعالى أن يحشرنا معهم في زمرة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم يوم الحشر انه على ما يشاء قدير وبالاجابة جدير وهو حسبنا ونعم الوكيل

يوما من الأيام يا امام أريد التزويج الى فلانة من أهل الكوفة وقد خطبتها من وليها فطلب مني من المهر فوق وسعي وطاقتي فقال أبو حنيفة فاستخر الله تعالى وأعطهم ما طلبوه فلما عقدوا النكاح جاء الى أبي حنيفة فقال اني سألتهم أن يأخذوا مني البعض ويدعوا البعض عند الدخول فأبوا فما ترى قال احتل واقترض حتى تدخل بأهلك فان الأمر يكون أسهل عليك من تعقيدهم ففعل ذلك فلما زفت اليه ودخل بها قال له أبو حنيفة ما عليك أن تظهر الخروج بأهلك عن هذا البلد الى موضع بعيد فاكترى الرجل جملين وأحضر آلة السفر وما يحتاج اليه وأظهر أنه يريد الخروج من البلد في طلب المعاش وأن يصحب أهله معه فاشتد ذلك على أهل المرأة وجاؤا الى أبي حنيفة يستشيرونه فقال لهم أبو حنيفة له أن يخرجها الى حيث شاء فقالوا لم نصبر على ذلك فقال أرضوه بأن تردوا عليه ما أخذتم منه فأجابوه الى ذلك فقال أبو حنيفة للفتى ان القوم قد سمعوا وأجابوا الى أن يردوا عليك ما أخذوا منك من المهر ويبروك فقال الفتى لا بد من زيادة آخذها منهم فقال أبو حنيفة أيما أحب اليك أن ترضى بما بذلوا لك والا أقرت المرأة لرجل بدين عليها ولا يمكنك حملها ولا السفر بها حتى يقضي ما عليها من الدين قال فقال الفتى الله الله يا امام لا يسمع أحد منهم بذلك ثم أجاب وأخذ ما بذلوه من المهر (ومنه) أن رجلا جاء الى أبي حنيفة وقال يا امام دفنت مالا من مدة طويلة ونسيت الموضع الذي دفنته فيه فقال الامام ليس في هذا فقه فأحتال لك ولكن اذهب فصل الليلة الى الغداة فانك ستذكره ان شاء الله تعالى ففعل فلم يمض الا أقل من ربع الليل حتى ذكر الموضع

﴿حكاية﴾ قال مالك بن دينار رحمه الله تعالى احتبس عنا المطر بالبصرة فخرجنا نستسقي مرارا فلم نر للاجابة أثرا فخرجت أنا وعطاء السلمي وثابت البناني ويحيى البكاء ومحمد بن واسع وأبو محمد السختياني وحبيب الفارسي وحسان بن ثابت بن أبي سنان وعتبة الغلام وصالح المزني حتى اذا صرنا الى المصلى بالبصرة خرج الصبيان من المكاتب ثم استسقينا فلم نر للاجابة أثرا حتى انتصف النهار وانصرف الناس وبقيت أنا وثابت البناني بالمصلى فلما أظلم الليل اذا أنا بعبد أسود مليح دقيق الساقين عليه جبة صوف قومت ما عليه بدرهمين فجاء بماء فتوضأ ثم جاء الى المحراب فصلى ركعتين خفيفتين ثم رفع طرفه الى السماء وقال الهي وسيدي ومولاي الى كم ترد عبادك فيما لا ينفعك أنفذ ما عندك أم نقص ما في خزائنك أقسمت عليك بحبك لي الا ما أسقيتنا غيثك الساعة قال فما تم كلامه حتى تغيمت السماء وجاءت بمطر كافواه القرب قال مالك فتعرضت له وقلت له يا أسود أما تستحي مما قلت قال وما قلت قلت قولك بحبك لي وما يدريك أنه يحبك قال تنح عني يا من اشتغل عنه بنفسه أفتراه بدأني بذلك الا لمحبته اياي ثم قال محبته لي على قدره ومحبتي له على قدري فقلت له يرحمك الله ارفق قليلا فقال اني مملوك وعلى فرض من طاعة مالكي الصغير قال فانصرف وجعلنا نقفو أثره على البعد حتى دخل دار نخاس فلما أصبحنا أتينا النخاس فقلت يرحمك الله عندك غلام تبيعه منا للخدمة قال نعم عندي مائة غلام للبيع فجعل يعرض علينا غلاما بعد غلام حتى عرض علينا سبعين غلاما فلم ألق حبيبي فيهم فقال عودوا الي في غير هذا الوقت فلما أردنا الخروج من عنده دخلنا حجرة خربة خلف داره واذا بالاسود قائم يصلي فقلت حبيبي ورب الكعبة فجئت الى النخاس فقلت له بعني هذا الغلام فقال يا أبا يحيى هذا الغلام ليست له همة في الليل الا البكاء وفي النهار الا الخلوة والوحدة فقلت له لا بد من أخذه منك ولك الثمن وما عليك منه فدعاه فجاء وهو يتناعس فقال خذه بما شئت بعد أن تبرئني من عيوبه كلها فاشتريته منه بعشرين دينارا وقلت له ما اسمك قال ميمون فأخذت بيده أريد المنزل فالتفت الي وقال يا مولاي الصغير لماذا اشتريتني وأنا لا أصلح لخدمة المخلوقين فقلت له والله يا سيدي انما اشتريتك لاخدمك بنفسي قال ولم ذلك فقلت ألست صاحبنا البارحة بالمصلى قال بلى وقد اطلعت على ذلك قلت نعم وأنا الذي عارضتك البارحة في الكلام بالمصلى قال فجعل يمشي حتى أتى الى مسجد فاستأذنني ودخل المسجد فصلى فيه ركعتين خفيفتين ثم رفع طرفه الى السماء وقال الهي وسيدي ومولاي سر كان بيني وبينك أطلعت عليه غيرك فكيف يطيب الآن عيشي أقسمت عليك بك الا ما قبضتني اليك الساعة ثم سجد فانتظرته ساعة فلم يرفع رأسه فجئت اليه وحركته فاذا هو قد مات رحمة الله تعالى عليه قال فمددت يديه ورجليه فاذا هو ضاحك مستبشر وقد غلب البياض على السواد ووجهه كالقمر ليلة البدر واذا شاب قد دخل من الباب وقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته أعظم الله أجورنا وأجوركم في أخينا ميمون هاكم الكفن فناولني ثوبين ما رأيت مثلهما قط فغسلناه وكفناه فيهما ودفناه قال مالك بن دينار فقبره نستسقي به الى الآن ونطلب الحوائج من الله تعالى رحمة الله عليه (وحكي) عن حذيفة المرعشي رضي الله عنه وكان قد خدم ابراهيم الخواص رضي الله عنه وصحبه مدة فقيل له ما أعجب ما رأيت منه فقال بقينا في طريق مكة أياما لم نأكل طعاما فدخلنا الكوفة فأوينا الى مسجد خرب فنظر الي ابراهيم وقال يا حذيفة أرى بك أثر الجوع فقلت هو كما ترى فقال علي بدواة وقرطاس فاحضرتهما اليه فكتب بسم الله الرحمن الرحيم أنت المقصود بكل حال والمشار اليه بكل معنى ثم قال

أنا حامد أنا شاكر أنا ذاكر * أنا جائع أنا ضائع أنا عاري
هي ستة وأنا الضمين لنصفها * فكن الضمين لنصفها يا باري
مدحي لغيرك لهب نار خضتها * فاجر عبيدك من لهيب النار

قال حذيفة ثم دفع الي الرقعة وقال اخرج بها ولا تعلق قلبك بغير الله تعالى وادفعها الى اول من يلقاك قال فخرجت فاول من لقيني رجل على بغلة فناولته الرقعة فأخذها فقرأها وبكى وقال ما فعل بصاحب هذه الرقعة قلت هو في المسجد الفلاني فدفع الي صرة فيها ستمائة درهم فاخذتها ومضيت فوجدت رجلا فسألته من هذا الراكب على البغلة فقال هو رجل نصراني قال فجئت ابراهيم واخبرته بالقصة فقال لا تمس الدراهم فان صاحبها يأتي الساعة فلما كان بعد الساعة أقبل النصراني راكبا على بغلته فترجل على باب المسجد ودخل فأكب على ابراهيم يقبل رأسه ويديه ويقول أشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله قال

الذي دفن فيه فجاء الى أبي حنيفة فاخبره فقال قد علمت أن الشيطان لا يدعك تصلي الليل كله فهلا أتممت ليلتك كلها شكرا لله تعالى (ومنه) أن بعضهم كانت له زوجة جميلة وكان يحبها حبا شديدا وتبغضه بغضا شديدا ولم تزل المنافرة بينهما ألبتة وأضجره ذلك وطالت مدة تجرئها عليه في الكلام فقال لها يوما أنت طالق ثلاثا بتاتا ان خاطبتيني بشيء ولم أخاطبك بشيء مثله فقالت له في الحال أنت طالق ثلاثا بتاتا فابلس الرجل ولم يدر ما يجيب وخاف في جوابها من وقوع الطلاق وأرشد الى أبي جعفر الطبري فأخبره بما جرى فقال له اذا طالبتك بالجواب فقل لها أنت طالق ثلاثا بتاتا ان أنا طلقتك فتكون قد خاطبتها ووفيت بيمينك (ومنه) ما قيل ان ذا النون المصري كان يعرف الاسم الاعظم قال يوسف بن الحسن لما تحققت منه ذلك قصدت مصر وخدمته سنة ثم قلت له يرحمك الله اني قد خدمتك ووجب حقي عليك وأشتهي أن تعلمني اسم الله الاعظم فلا تجد له موضعا مثلي قال فسكت ولم يجبني ستة أشهر وأومأ الى أنه يعلمني ثم أخرج من بيته طبقا ومكبة وقد شد اعنديلا وكان ذو النون يسكن الجيزة فقال تعرف فلانا صديقنا من الفسطاط قلت نعم قال فأحب أن تؤدي هذا اليه قال فأخذت الطبق وهو مشدود وجعلت أمشي طول الطريق وأقول مثل ذي النون يوجه الى فلان بهدية ترى أي شيء هي فلم أصبر أن بلغت الجسر فحللت المنديل ورفعت المكبة فاذا فأرة نفرت من الطبق وفرت فاغتظت غيظا شديدا وقلت ذو النون المصري يسخر بي ويوجه مثلي بفأرة فرجعت على ذلك الغيظ فلما رآني علم ما في وجهي فقال يا أحمق

فبكى ابراهيم الخواص فرحا به وسرورا وقال الحمد لله الذى هداك للاسلام وشريعة محمد عليه أفضل الصلاة والسلام ﴿وحكى﴾ أن بعضهم كان ملاحا ببحر النيل المبارك بمصر قال كنت أعدى من الجانب الغربى الى الجانب الشرقى ومن الجانب الشرقى الى الجانب الغربى فبينما أنا ذات يوم فى الزورق اذا بشيخ مشرق الوجه عليه مهابة فقال السلام عليكم فرددت عليه السلام فقال أتحملنى الى الجانب الغربى لله تعالى فقلت نعم فطلع الى الزورق وعديت به الى الجانب الغربى وكان على ذلك الفقير مرقعة وبيده ركوة وعصا فلما أراد الخروج من الزورق قال انى اريد ان أحملك أمانة قلت وماهى قال اذا كان غدا وقت الظهر تجدنى عند تلك الشجرة ميتا وستنسى فاذا الهمت فائتنى وغسلنى وكفنى فى الكفن الذى تجده عند رأسى وصل على وادفنى تحت الشجرة وهذه المرقعة والعصا والركوة يأتيك من يطلبها منك فادفعها اليه ولا تحتقره قال الملاح ثم ذهب وتركنى فتعجبت من قوله وبت تلك الليلة فلما أصبحت انتظرت الوقت الذى قال لى فلما جاء وقت الظهر نسيت فما تذكرت الا قريب العصر فسرت بسرعة فوجدته تحت الشجرة ميتا ووجدت كفنا جديدا عند رأسه تفوح منه رائحة المسك فغسلته وكفنته فلما فرغت من غسله حضر عندى جماعة عظيمة لم أعرف منهم أحدا فصلينا عليه ودفنته تحت الشجرة كما عهد الى ثم عدت الى الجانب الشرقى وقد دخل الليل فنمت فلما طلع الفجر وبانت الوجوه اذا أنا بشاب قد أقبل على فحققت النظر فى وجهه فاذا هو من صبيان الملاهى كان يخدمهم فأقبل وعليه ثياب رقاق وهو مخضوب الكفين وطاره تحت ابطه فسلم على فرددت عليه السلام فقال يا ملاح أنت فلان ابن فلان قلت نعم قال هات الوديعة التى عندك قلت ومن أين لك هذا قال لا تسأل فقلت لابد أن تخبرنى فقال لا أدرى الا أنى البارحة كنت فى عرس فلان التاجر فسهرنا نرقص ونغنى الى أن ذكر الله الذاكرون على المآذن فنمت لاستريح واذا برجل قد أيقظنى وقال ان الله تعالى قد قبض فلانا الولى وأقامك مقامه فسر الى فلان بن فلان صاحب الزورق فان الشيخ أودع لك عنده كيت وكيت قال فدفعتها له فخلع أثوابه الرقاق ورمى بها فى الزورق وقال تصدق بها على من شئت وأخذ الركوة والعصا ولبس المرقعة وسار وتركنى أتحرق وأبكى لما حرمت من ذلك وأقمت يومى ذلك أبكى الى الليل ثم نمت فرأيت رب العزة جل جلاله فى النوم فقال يا عبدى أثقل عليك أن مننت على عبد عاص بالرجوع الى ان ذلك فضلى أوتيه من أشاء من عبادى وأنا ذو الفضل العظيم (وحكى) أبو اسحق الصعلوكى قال خرجت سنة الى الحج فبينما أنا فى البادية تائه وقد جن الليل وكانت ليلة مقمرة اذ سمعت صوت شخص ضعيف يقول يا أبا اسحق قد انتظرتك من الغداة فدنوت منه فاذا هو شاب نحيف الجسم قد أشرف على الموت وحوله رياحين كثيرة منها ما أعرف ومنها ما لا أعرف فقلت له من أنت ومن أين أنت قال من مدينة شمشاط كنت فى عزة ورفعة فطالبتنى نفسى بالغربة والعزلة فخرجت وقد أشرفت الآن على الموت فدعوت الله تعالى ان يقيض لى وليا من اوليائه وارجو أن تكون أنت هو فقلت ألك حاجة قال نعم لى والدة واخوة واخوات فقلت هل اشتقت اليهم قط قال لا الا اليوم اشتقت أن اشم ريحهم فهممت أريدهم فاحتوشتنى السباع والهوام وبكين معى وحملوا لى هذه الرياحين التى تراها قال أبو اسحق فبينما أنا معه يرق له قلبى واذا بحية عظيمة فى فمها باقة نرجس كبيرة فقالت دع ولى الله تعالى فان الله يغار على اوليائه قال فغشى عليه وغشى على فما أفقت الا وهو قد خرجت روحه رحمه الله قال فدخلت مدينة شمشاط بعدما حججت فاستقبلتنى امرأة بيدها ركوة ما رأيت أشبه بالشاب منها فلما رأتنى نادت يا أبا اسحق ما شأن الشاب الغريب الذى مات غريبا فانى منتظرتك منذ كذا فذكرت لها القصة الى أن قلت لها اشم ريحهم فصاحت أواه اواه قد بلغ والله الشم ثم شهقت شهقة فخرجت روحها فخرج اليها بنات اتراب عليهن مرقعات ومروط فكفلن امرها وتولين دفنها وهن مستترات رضوان الله على الجميع شعر

يا نسيما هب من وادى قبا * خبرنى كيف حال الغربا
كم سألت الدهر أن يجمعنا * مثل ما كنا عليه فأبى

(وحكى) أن رجلا كان يعرف بدينار العيار وكان له والدة صالحة تعظه وهو لا يتعظ فمر فى بعض الايام بمقبرة فاخذ منها عظما فتفتت فى يده ففكر فى نفسه وقال ويحك يا دينار كأنى بك وقد صار عظمك هكذا رفاتا والجسم ترابا فندم على تفريطه وعزم على التوبة ورفع رأسه الى السماء وقال الهى وسيدى ألقيت مقاليد أمرى

أتتمنك على فارة خنتنى فكيف أأتمنك على اسم الله الاعظم فسر عنى فلا أراك بعدها (ومن ذلك ما هو منقول عن الافراط فى ذكاء العرب) قيل سار مضر وربيعة واياد وانمار أولاد نزار بن معد الى أرض نجران فبينما هم يسيرون اذ رأى مضر كلأ قد رعى فقال البعير الذى رعى هذا أعور فقال ربيعة وهو أزور وقال اياد وهو أبتر وقال انمار وهو شرود فلم يسيروا الا قليلا حتى لقيهم رجل على راحلة فسألهم عن البعير فقال مضر أهو أعور قال نعم قال ربيعة أهو أزور قال نعم قال اياد أهو أبتر قال نعم قال انمار أهو شرود قال نعم والله هذه صفات بعيرى دلونى عليه فحلفوا انهم ما رأوه فلزمهم وقال فكيف أصدقكم وأنتم تصفون بعيرى بصفته فساروا حتى قربوا نجران فنزلوا بالافعى الجرهمى فنادى صاحب البعير هؤلاء القوم وصفوا لى بعيرى بصفته ثم أنكروه فقال الجرهمى كيف وصفتموه ولم تروه فقال مضر رأيته يرعى جانبا ويترك جانبا فعلمت أنه أعور وقال ربيعة رأيت احدى يديه ثابتة الاثر والأخرى فاسدة الاثر فعلمت أنه أفسدها بشدة وطئه لازوراره وقال اياد عرفت بتره باجتماع بعره ولو كان ذيالا لتفرق وقال انمار عرفت انه شرود لانه كان يرعى فى المكان الملتف نبته ثم يجوزه الى مكان أرق منه وأخبث فقال الافعى ليسوا بأصحاب بعيرك فاطلبه ثم سألهم من هم فأخبروه فرحب بهم وأضافهم وبالغ فى اكرامهم (ومنه) أن عقبة الأزدى كان ممن هو راع لها الجن وصدق العزائم فأتوه بجارية قد جنت فى ليلة عرسها فعزم عليها فاذا هى قد سقطت فقال لأهلها أخلونى بها

فاقبلني وارحمني ثم اقبل نحو امه متغير اللون منكسر القلب فقال يا اماه ما يصنع بالعبد الآبق اذا أخذه سيده قالت يخشن ملبسه ومطعمه ويغل يديه وقدميه فقال اريد جبة من صوف واقراصا من شعير وغلين وافعلي بي كما يفعل بالعبد الآبق لعل مولاي يرى ذلي فيرحمني ففعلت به ما أراد فكان اذا جن عليه الليل اخذ في البكاء والعويل ويقول لنفسه ويحك يا دينار الك قوة على النار كيف تعرضت لغضب الجبار ولا يزال كذلك الى الصباح فقالت له امه يا بني ارفق بنفسك فقال دعيني اتعب قليلا لعلي استريح طويلا يا اماه ان لي غدا موقفا طويلا بين يدي رب جليل ولا ادري أيؤمر بي الى ظل ظليل اوالى شر مقيل قالت يا بني خذ لنفسك راحة قال لست للراحة اطلب كأنك يا اماه غدا بالخلائق يساقون الى الجنة وأنا أساق الى النار مع أهلها فتركته وما هو عليه فاخذ في البكاء والعبادة وقراءة القرآن فقرأ في بعض الليالي فوربك لنسألنهم اجمعين عما كانوا يعملون ففكر فيها وجعل يبكي حتى غشي عليه فجاءت امه اليه فنادته فلم يجبها فقالت له يا حبيبي وقرة عيني أين الملتقى فقال بصوت ضعيف يا اماه ان لم تجديني في عرصات القيامة فاسألي مالكا خازن النار عني ثم شهق شهقة فمات رحمه الله تعالى فغسلته امه وجهزته وخرجت تنادي ايها الناس هلموا الى الصلاة على قتيل النار فجاء الناس من كل جانب فلم ير اكثر جمعا ولا اغزر دمعا من ذلك اليوم فلما دفنوه نام بعض اصدقائه تلك الليلة فرآه يتبختر في الجنة وعليه حلة خضراء وهو يقرأ الآية فوربك لنسألنهم اجمعين عما كانوا يعملون ويقول وعزته وجلاله سألني ورحمني وغفر لي وتجاوز عني ألا اخبروا عني والدتي بذلك (وحكى) عن الحسن البصري قال نزل سائل بمسجد فسأل الناس أن يطعموه كسرة فلم يطعموه فقال الله تعالى لملك الموت اقبض روحه فانه جائع فقبض روحه فلما جاء المؤذن رآه ميتا فاخبر الناس بذلك فتعاونوا على دفنه فلما دخل المؤذن المسجد وجد الكفن في المحراب مكتوبا عليه هذا الكفن مردود عليكم بئس القوم انتم استطعمكم فقير فلم تطعموه حتى مات جوعا من كان من احبابنا لا نكله الى غيرنا (وحكى) أبو علي المصري قال كان لي جار شيخ يغسل الموتى فقلت له يوما حدثني بأعجب ما رأيت من الموتى فقال جاءني شاب في بعض الأيام مليح الوجه حسن الثياب فقال لي أتغسل لنا هذا الميت قلت نعم فتبعته حتى أوقفني على باب فدخل هنيهة فاذا بجارية هي اشبه الناس بالشاب وقد خرجت وهي تمسح عينيها فقالت أنت الغاسل قلت نعم قالت بسم الله ادخل ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فدخلت الدار واذا أنا بالشاب الذي جاءني يعالج سكرات الموت وروحه في لبته وقد شخص بصره وقد وضع كفنه وحنوطه عند رأسه فلم اجلس اليه حتى قبض فقلت سبحان الله هذا ولي من أولياء الله تعالى حيث عرف وقت وفاته فأخذت في غسله وأنا ارتعد فلما ادرجته أتت الجارية وهي أخته فقبلته وقالت أما اني سألحق بك عن قريب فلما اردت الانصراف شكرت لي وقالت أرسل الى زوجتك ان كانت تحسن ما تحسنه أنت فارتعدت من كلامها وعلمت أنها لاحقة به فلما فرغت من دفنه جئت أهلي فقصصت عليها القصة وأتيت بها الى تلك الجارية فوقفت بالباب واستأذنت فقالت بسم الله تدخل زوجتك فدخلت زوجتي واذا بالجارية مستقبلة القبلة وقد ماتت فغسلتها زوجتي وأنزلناها على أخيها رحمة الله عليهما (شعر)

أأحبابنا بنتم عن الدار فاشتكت * لبعدكم آصالها وضحاها
وفارقتم الدار الانيسة فاستوت * رسوم مبانيها وفاح كلاها
كأنكم يوم الفراق رحلتم * بنومي فعيني لا تصيب كراها
وكنت شحيحا من دموعي بقطرة * فقد صرت سمحا بعدكم بدماها
يراني بساما خليلي يظن بي * سرورا وأحشاي السقام ملاها
وكم ضحكة في القلب منها حرارة * يشب لظاها لو كشفت غطاها
رعى الله اياما بطيب حديثكم * تقضت وحياها الحيا وسقاها
فما قلت ايها بعدها لمسامر * من الناس الا قال قلبي آها

(وحكى) سري السقطي رحمه الله تعالى قال ارقت ليلة ولم أقدر على النوم فلما طلع الفجر صليت فلما اصبحت دخلت المارستان فاذا أنا بجارية مقيدة مغلولة وهي تقول

تغل يدي الى عنقي * وما خانت وما سرقت
وبين جوانحي كبد * أحس بها قد احترقت

قال فقلت للقيم ما هذه الجارية قال هذه جارية اختل عقلها فحبست لعلها تصلح فلما سمعت كلامه تبسمت وقالت

معشر الناس ما جننت ولكن * أنا سكرانة وقلبي صاحي
لم غللتم يدي ولم آت ذنبا

فاجابوه فلما خلا به قال له اصدقني عن نفسك وعلى خلاصك فقالت انه كان لي صديق وأنا في بيت أهلي وانهم ارادوا ان يدخلوني على زوجي ولست ببكر فخفت الفضيحة فهل عندك حيلة في امري فقال نعم ثم خرج الى أهلها فقال ان الجني قد اجابني الى الخروج منها فاختاروا من أي عضو واعلموا ان العضو الذي يخرج منه الجني لابد ان يهلك ويفسد فان خرج من عينها عميت وان خرج من اذنها صمت وان خرج من يدها شلت وان خرج من رجلها زمنت وان خرج من فرجها ذهبت بكارتها فقال أهلها انا لم نجد شيئا أهون من ذهاب عذرتها فاخرج الشيطان منه فاوهمهم أنه فعل ذلك وادخلت المرأة على زوجها (ومن ذلك) ان الامام عمر بن الخطاب رضي الله عنه استعمل رجلا على عمل فبلغه عنه انه قال

اسقني شربة ألذ عليها
واسق بالله مثلها ابن هشام

قال فاشخصه وعلم الرجل بالحال فضم اليه بيتا آخر فلما قدم على الامام قال ألست القائل

اسقني شربة ألذ عليها
واسق بالله مثلها ابن هشام

قال نعم يا أمير المؤمنين ان لهذا البيت ثانيا وهو

عسلا باردا بماء سحاب
انني لا أحب شرب المدام

فقال الامام الله الله ارجع الى عملك (ومن لطائف هزليات الاذكياء) ان الرشيد خرج متنزها فانفرد عن العسكر ومعه الفضل بن الربيع فاذا هو بشيخ قد ركب حمارا ضعيفا وهو رطب العينين فغمز الفضل عليه فقال له الفضل أين تريد يا شيخ فقال حائطا لي قال هل أدلك على شيء تداوي به عينيك فتذهب هذه الرطوبة فقال ما أحوجني الى ذلك قال خذ عيدان

غيرهتكي فى حبه وافتضاحى * أنا مفتونة بحب حبيب * لست ابغى عن بابه من براح
ماعلى من احب مولى الموالى * وارتضاه لنفسه من جناح

قال فلما سمعت كلامها بكيت بكاء شديدا فقالت ياسرى هذا بكاؤك من الصفة فكيف لو عرفته حق المعرفة قال فبينما هى تكلمنى اذ جاء سيدها فلما رآنى عظمنى فقلت والله هى أحق منى بالتعظيم فلم فعلت بها هذا قال لتقصيرها فى الخدمة وكثرة بكائها وشدة حنينها وأنينها كأنها ثكلى لاتنام ولا تدعنا ننام وقد اشتريتها بعشرين ألف درهم لصناعتها فانها مطربة قلت فما كان بدء أمرها قال كان العود فى حجرها يوما فجعلت تقول

وحقك لانقضت الدهر عهدا * ولا كدرت بعد الصفو ودا * ملأت جوانحى والقلب وجدا
فكيف أقر ياسكنى واهدا * فيامن ليس لى مولى سواه * تراك رضيتنى بالباب عبدا

فقلت لسيدها اطلقها وعلى ثمنها افصاح واقتراه من أين لك عشرون ألفا ياسرى فقلت لا تعجل على فقال تكون فى المارستان حتى توفينى ثمنها فقلت نعم قال سرى فانصرفت وعينى تدمع وقلبى يخشع وأنا والله ماعندى درهم من ثمنها فبت طول ليلتى اتضرع الى الله تعالى فاذا بطارق يطرق الباب ففتحت فدخل على رجل ومعه ستة من الخدم ومعهم خمس بدر فقال أتعرفنى ياسرى قلت لا قال أنا أحمد بن المثنى كنت نائما فهتف بى هاتف وقال لى يا أحمد هل لك فى معاملتنا فقلت ومن أولى منى بذلك فقال احمل الى سرى السقطى خمس بدر من أجل الجارية الفلانية فان لنا بها عناية قال سرى فسجدت لله شكرا وجلست أتوقع طلوع الفجر فلما طلع صلينا وذكرنا وانصرفنا نحوها فسمعناها تقول

قد تصبرت الى أن * عيل من حبك صبرى ضاق من غلى وقيدى * وامتهانى منك صدرى
ليس يخفى عنك أمرى * يامنى قلبى وذخرى أنت قد تعتق رقى * وتفك اليوم أسرى

قال سرى فبينما أنا أسمعها اذا بمولاها قد جاء وهو يبكى فقلت لا بأس عليك قد جئناك برأس مالك وربح عشرة آلاف درهم فقال والله لا فعلت ذلك قلت نزيدك قال والله لو أعطيتنى ما بين الخافقين مافعلت وهى حرة لوجه الله تعالى قال فتعجبت من ذلك وقلت ما كان هذا كلامك بالامس فقال حبيبى لاتوبخنى فالذى وقع الى من التوبيخ كفانى وأشهدك انى قد خرجت من جميع مالى صدقة فى سبيل الله تعالى وانى هارب الى الله تعالى فبالله لاتردنى عن صحبتك فقلت نعم ثم التفت فرأيت صاحب المال يبكى فقلت مايبكيك قال يا أستاذى ماقبلنى مولاى لما ندبنى اليه ورد على مابذلت أشهدك أنى قد خرجت من جميع ما أملكه لله تعالى فى سبيل الله وكل عبد أملكه وجارية أحرار لوجه الله تعالى قال سرى فقلت ما أعظم بركتك ياجارية قال فنزعنا الغل من عنقها والقيد من رجلها وأخرجناها من المارستان فنزعت ما كان عليها من ناعم الثياب ولبست خمارا من صوف ومدرعة من شعر وولت قال سرى فتوجهت أنا ومولاها وصاحب المال الى مكة فبينما نحن نطوف اذ سمعنا صوتا فتبعناه فاذا هى امرأة كالخيال فلما رأتنى قالت السلام عليك ياسرى فقلت لها وعليك السلام ورحمة الله وبركاته من أنت فقالت لا اله الا الله وقع الشك بعد المعرفة فتأملتها فاذا هى الجارية فقلت لها ما الذى أفادك الحق بعد انفرادك عن الخلق فقالت آنسنى به وأوحشنى من غيره ثم توجهت الى البيت وقالت الهى كم تخلفنى فى دار لا أرى فيها أنيسا قد طال شوقى اليك فعجل قدومى عليك ثم شهقت شهقة وخرت ميتة رحمة الله تعالى عليها فلما نظر اليها مولاها بكى وجعل يدعو ويضعف كلامه الى أن خر الى جانبها ميتا رحمة الله عليه فدفناهما فى قبر واحد (شعر)

بحرمة ماقد كان بينى وبينكم * من الود الا مارجعتم الى وصلى * ولا تحرمونى نظرة من جمالكم
فلن تجدوا عبدا ذليلا لكم مثلى * فوالله مايهوى فؤادى سواكم * ولو رشقوه بالاسنة والنبل

(وحكى) انه كان فى زمن بنى اسرائيل رجل من العباد الموصوفين بالزهد وكان قد سخر الله له سحابة تسير معه حيث يسير فاعتراه فتور فى بعض الايام فأزال الله عنه سحابته وحجب اجابته فكثر لذلك حزنه وشجونه وطال كمده وأنينه ومازال يشتاق الى زمن الكرامة ويبكى ويتأسف ويتحسر ويتلهف فقام ليلة من الليالى وصلى ماشاء الله وبكى وتضرع ودعا الله تعالى ونام فقيل له فى المنام اذا أردت أن يرد الله تعالى عليك سحابتك فائت الملك الفلانى فى بلد كذا واسأله أن يدعو الله لك أن يرد عليك سحابتك قال فسار الرجل يقطع الارض

الهواء وغبار الماء وورق الكماة فصير الجميع فى قشر جوزة واكتحل من القشر فانه يذهب رطوبة عينيك فاتكأ الشيخ على ظهر حماره وضرط ضرطة طويلة ثم قال خذ هذه الضرطة أجرة وصفك فان نفعتنا زدناك فضحك الرشيد حتى كاد يسقط عن ظهر دابته (ومن الجد المفحم) ان رجلا من اليهود قال للامام على رضى الله عنه مادفنتم نبيكم حتى قال الأنصار منا أمير ومنكم أمير فقال الامام أنتم ماجفت أقدامكم من ماء البحر حتى قلتم ياموسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة (ومنه) أن المتوكل قال يوما لجلسائه نقم المسلمون على عثمان أشياء منها ان الامام أبا بكر رضى الله عنه لما تسنم المنبر هبط عن مقام النبى صلى الله عليه وسلم بمرقاة ثم قام عمر دون مقام أبى بكر وصعد عثمان ذروة المنبر فقال عباد ما أحد أعظم منة عليك من عثمان ياأمير المؤمنين قال وكيف ويلك قال لانه صعد ذروة المنبر ولو انه كلما قام خليفة نزل مرقاة ونزل عثمان لكن تقدمه كنت أنت تخطبنا من بئر فضحك المتوكل ومن حوله (ومن المنقول عن أذكياء الأطباء) ان جارية من جوارى الرشيد تمطت فلما أرادت أن تمد يدها لم تطق وحصل فيها الورم فصاحت وآلمها فشق على الرشيد وعجز الاطباء عن علاجها فقال له طبيب حاذق ياأمير المؤمنين لادواء لها الا أن يدخل اليها رجل أجنبى غريب فيخلو بها ويمرخها بدهن نعرفه فأجابه الخليفة الى ذلك رغبة فى عافيتها فاحضر الطبيب الرجل والدهن وقال اريد أن أمير المؤمنين يأمر بتعريتها حتى يمرخ جميع أعضائها بهذا الدهن فشق ذلك على الخليفة وأمره أن يفعل وأضمر فى نفسه قتل الرجل وقال للخادم

حتى وصل الى تلك البلد التي ذكرت له في المنام فدخلها وسأل من يرشده الى قصر الملك فجاء الى القصر واذا عند بابه غلام جالس على كرسي عظيم من الذهب الاحمر مرصع بالدر والجوهر والناس بين يديه يسألونه حوايجهم وهو يصرف الناس فوقف الرجل الصالح بين يديه وسلم عليه فقال له الغلام من أين أنت وما حاجتك فقال من بلاد بعيدة وقصدي الاجتماع بالملك فقال له الغلام لا سبيل لك اليه واليوم فسل حاجتك أقضها لك ان استطعت فقال ان حاجتي لا يقضيها الا الملك فقال الغلام ان الملك ليس له الا يوم واحد في الجمعة يجتمع اليه الناس فيه فاذهب حتى يأتي ذلك اليوم فانصرف الرجل الى مسجد اثر وأقام يعبد الله تعالى فيه وأنكر على الملك لاحتجابه عن الناس فلما كان ذلك اليوم الذي يجلس فيه الملك جاء الى القصر فوجد خلقا كثيرا عند الباب ينتظرون الاذن فوقف مع جملة الناس فلما خرج الوزير أذن للناس في الدخول فدخل أرباب الحوايج ودخل صاحب السحابة معهم واذا بالملك جالس وبين يديه أرباب دولته على قدر مراتبهم فجعل رأس النوبة يقدم الناس واحدا بعد واحد حتى وصلت النوبة لصاحب السحابة فلما نظر اليه الملك قال مرحبا بصاحب السحابة اجلس حتى أفرغ من حوايج الناس وأنظر في أمرك قال فتحير صاحب السحابة في أمره فلما فرغ الملك من حوايج الناس قام من مجلسه فأخذ بيد صاحب السحابة وأدخله معه الى قصره ثم مشى به في دهليز القصر فلم يجد في طريقه الا علوكا واحدا فسار به حتى انتهى الى باب من جريد وادابه بناء مهدوم وحيطان مائلة وبيت خرب فيه برش وليس هناك ما يساوي عشرة دراهم الا سجادة خلقة وقدح للوضوء وحصيرة وشيء من الخوص فخلع الملك من ثياب الملك ولبس مرقعة من صوف وجعل على رأسه قلنسوة من شعر ثم جلس وأجلس صاحب السحابة ونادى يا فلانة قالت لبيك قالت أتدرين من هو الليلة ضيفنا قالت نعم هو صاحب السحابة فدعا بها الحاجة فخرجت فاذا هي امرأة كالشن البالي عليها مسح من شعر خشن وهي شابة صغيرة قال الرجل فالتفت الى الملك وقال يا أخي نطلعك على حالنا أو نقضي حاجتك وتنصرف فقلت والله لقد شغلني حالكما عما جئت بسببه فقال الملك الله يعلم انه كان لي في هذا الامر آباء كرام صالحون يتوارثون المملكة كابرا عن كابر فلما توفوا الى رحمة الله تعالى ووصل الامر الي بغض الله الى الدنيا وأهلها فأردت أن أسيح في الارض وأترك الناس ينظرون لهم من يسوس أمرهم فيملكونه عليهم فخفت عليهم دخول الفتنة وتضييع الدين والشرائع وتبديل شمل الدين فبايعوني وأنا والله كاره فتركت أمورهم على ما كانت عليه وجعلت السماط على عادته والحراس على حالها والمماليك على دأبها ولم أغير شيأ وأقعدت المماليك على الأبواب بالسلاح ارهابا لأهل الشرور وردعا عن أهل الخير وتركت القصر ينساء على حاله وفتحت له بابا وهو الذي رأيته يوصلني الى هذه الخربة فادخل فيها وأنزع ثياب الملك وألبس هذا وأضفر الخوص وأبيعه وأتقوت من ثمنه أنا وزوجتي هذه التي رأيتها وهي ابنة عمي زهدت في الدنيا كزهدي واجتهدت حتى صارت كالشن البالي والناس لا يعلمون ما نحن فيه ثم اني أقمت لي نائبا ينوب عني طول الجمعة وعلمت أني مسؤل فجعلت لي يوما في الجمعة أبرز للناس فيه وأكشف عن مظالمهم كما رأيت وأنا على هذه الحالة مدة فأقم عندنا يرحمك الله حتى نبيع خوص صائتنا ونبتاع من ثمنها طعاما وتفطر معنا وتبيت عندنا الليلة ثم تنصرف بحاجتك ان شاء الله تعالى فلما كان آخر النهار دخل علينا غلام خماسي العمر فأخذ ما عملاه من خوص وسار به الى السوق فباعه واشترى من ثمنه خبزا وفولا واشترى بباقي ثمنه خوصا فلما كان عند الغروب أفطرا وأفطرت معهما وبت عندهما قال فقاما في نصف الليل يصليان ويبكيان فلما كان عند السحر قال الملك اللهم ان عبدك هذا يطلب منك رد سحابته وانك قد دللته علينا اللهم اردها عليه انك على كل شيء قدير والمرأة تؤمن على دعائه واذا بالسحابة قد طلعت من قبل السماء فقال لي لك البشارة بقضاء حاجتك وتعجيل اجابتك قال فودعتهما وانصرفت والسحابة معي كما كانت فانا بعد ذلك لا أسأل الله تعالى بسرهما شيأ الا أعطاني اياه رحمة الله تعالى عليهما (شعر)

استعمل الصبر تجني بعده العسلا * ولازم الباب حتى تبلغ الأملا * ومرغ الخد في أعتابه سحرا
واحمل لرضاته في الحب كل بلا * فما يفوز بوصل يا أخي سوى * صب لثقل الهوى والوجد قد حملا
هذا الحبيب ينادي في الدجى سحرا * فانهض وكن رجلا بالسعي قد وصلا

(وحكى) عن مالك بن دينار رحمه الله تعالى قال خرجت الى مكة حاجا فبينما أنا سائر اذ رأيت شابا ساكتا لا يذكر

الله

تخذه وأدخله عليها بعد أن تعريها فعريت الجارية وأقيمت فلما دخل عليها وقرب منها وسعى اليها وأومأ بيده الى فرجها ليمسه غطت الجارية فرجها بيدها التي قد كانت عطلت حركتها واشتد ما داخلها من الحياء والجزع حتى حمي جسمها بانتشار الحرارة الغريزية فأعانها على ما أرادت من تغطية فرجها واستعمال يدها في فرجها فلما غطت فرجها قال لها الرجل الحمد لله على العافية فأخذه الخادم وجاء به الى الرشيد وأعلمه بالحال وما اتفق فقال الرشيد للرجل فكيف نعمل في رجل نظر الى حرمنا فقد الطبيب يده الى لحية الرجل فانتزعها فاذا هي ملصقة واذا الشخص جارية وقال يا أمير المؤمنين ما كنت لأبذل حرمك للرجل ولكن خشيت أن أكشف لك الخبر فيتصل بالجارية فتبطل الحيلة ولا يفيد العلاج لأني أردت أن أدخل على قلبها فزعا شديدا يحمي طبعها ويقودها الى تحريك يدها وتمشي الحرارة الغريزية في سائر أعضائها بهذه الواسطة فسري عن الرشيد ما كان وقر في صدره من الرجل وأجزل عطيته (ومن المنقول عن أذكياء المتطفلين) قال أبو عمرو الجهضمي كان لي جار طفيلي وكان من أحسن الناس منظرا وأعذبهم منطقا وأطيبهم رائحة فكان من شأنه اذا دعيت الى وليمة يتبعني فيكرمه الناس من أجلي ويظنون صحبتي له فاتفق ان جعفر بن القاسم الهاشمي أمير البصرة أراد أن يختن أولاده فقلت في نفسي كأني برسول الامير قد جاءني وكأني بالطفيلي قد تبعني والله لئن فعل لافضحنه فانا على ذلك اذ جاءني رسول الامير يدعوني فما زدت على أن لبست ثيابي وخرجت فاذا أنا بالطفيلي واقف على باب داره وقد سبقني بالتأهب فتقدمت وتبعني

الله تعالى فلما جن الليل رفع وجهه نحو السماء وقال يا من لا تسره الطاعات ولا تضره المعاصي هب لي ما لا يسرك واغفر لي ما لا يضرك ثم رأيته بذي الحليفة وقد لبس احرامه والناس يلبون وهو لا يلبي فقلت هذا جاهل فدنوت منه فقلت له يا فتى قل لبيك فقلت لم لا تلبي فقال يا شيخ وما تغني التلبية وقد بارزته بذنوب سالفات وجرائم مكتوبات و الله اني لأخشى أن أقول لبيك فيقول لا لبيك ولا سعديك لا أسمع كلامك ولا أنظر اليك فقلت له لا تقل ذلك فانه حليم اذا غضب رضي واذا رضي لم يغضب واذا وعد وفى ومتى توعد عفا فقال يا شيخ أتشير علي بالتلبية قلت نعم فبادر الى الأرض واضطجع ووضع خده على التراب وأخذ حجرا فوضعه على خده الآخر وأسبل دموعه وقال لبيك اللهم لبيك قد خضعت لك وهذا مصرعي بين يديك فأقام كذلك ساعة ثم مضى فرأيته الا بمنى وهو يقول اللهم ان الناس قد ذبحوا ونحروا وتقربوا اليك وليس لي شيء أتقرب به اليك سوى نفسي فتقبلها مني ثم شهق شهقة وخر ميتا رحمة الله تعالى عليه ﴿وحكي﴾ أنه كان بمدينة بغداد رجل يعرف بأبي عبد الله الأندلسي وكان شيخ الكل من بالعراق وكان يحفظ ثلاثين ألف حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يقرأ القرآن بجميع الروايات فخرج في بعض السنين الى السياحة ومعه جماعة من أصحابه مثل الجنيد والشبلي وغيرهما من مشايخ العراق قال الشبلي فلم نزل في خدمته ونحن مكرمون بعناية الله تعالى الى أن وصلنا الى قرية من قرى الكفار فطلبنا ماء نتوضأ به فلم نجد فجعلنا ندور بتلك القرية واذا نحن بكنائس وبها شمامسة وقساقسة ورهبان وهم يعبدون الاصنام والصلبان فتعجبنا منهم ومن قلة عقلهم ثم انصرفنا الى بئر في آخر القرية واذا نحن بجوار يستقين الماء على البئر وبينهن جارية حسنة الوجه ما فيهن أحسن ولا أجمل منها وفي عنقها قلائد الذهب فلما رآها الشيخ تغير وجهه وقال هذه ابنة من فقيل له هذه ابنة ملك هذه القرية فقال الشيخ فلم لا يدللها أبوها ويكرمها ولا يدعها تستقي الماء فقيل له أبوها يفعل ذلك بها حتى اذا تزوجها رجل أكرمته وخدمته ولا تعجبها نفسها فجلس الشيخ ونكس رأسه ثم أقام ثلاثة أيام لا يأكل ولا يشرب ولا يكلم أحدا غير أنه يؤدي الفريضة والمشايخ واقفون بين يديه ولا يدرون ما يصنعون قال الشبلي فتقدمت اليه وقلت له يا سيدي ان أصحابك ومريديك يتعجبون من سكوتك ثلاثة أيام وأنت ساكت لم تكلم أحدا قال فأقبل علينا وقال يا قوم اعلموا أن الجارية التي رأيتها بالامس قد شغفت بها حبا واشتغل بها قلبي وما بقيت أقدر أفارق هذه الارض قال الشبلي فقلت له يا سيدي أنت شيخ أهل العراق ومعروف بالزهد في سائر الآفاق وعدد مريديك اثنا عشر ألفا فلا تفضحنا واياهم بحرمة الكتاب العزيز فقال يا قوم جرى القلم بما حكم ووقعت في بحار العدم وقد انحلت عني عرى الولاية وطويت عني أعلام الهداية ثم انه بكى بكاء شديدا وقال يا قوم انصرفوا فقد نفذ القضاء والقدر فتعجبنا من أمره وسألنا الله تعالى أن يجيرنا من مكره ثم بكينا وبكى حتى أروى التراب ثم انصرفنا عنه راجعين الى بغداد فخرج الناس الى لقائه ومريدوه في جملة الناس فلم يروه فسألوا عنه فعرفناهم بما جرى فمات من مريديه جماعة كثيرة حزنا عليه وأسفا وجعل الناس يبكون ويتضرعون الى الله تعالى أن يرده عليهم وغلقت الرباطات والزوايا والخوانق ولحق الناس حزن عظيم فأقمنا سنة كاملة وخرجت مع بعض أصحابي نكشف خبره فأتينا القرية فسألنا عن الشيخ فقيل لنا انه في البرية يرعى الخنازير قلنا وما السبب في ذلك قالوا انه خطب الجارية من أبيها فأبى أن يزوجها الا ممن هو على دينها ويلبس العباءة ويشد الزنار ويخدم الكنائس ويرعى الخنازير ففعل ذلك كله وها هو في البرية يرعى الخنازير قال الشبلي فانصدعت قلوبنا وانهملت بالبكاء عيوننا وسرنا اليه واذا به قائم قدام الخنازير فلما رآنا نكس رأسه واذا عليه قلنسوة النصارى وفي وسطه زنار وهو متوكئ على العصا التي كان يتوكأ عليها اذا قام الى المحراب فسلمنا عليه فرد علينا السلام فقلنا يا شيخ ما دالك وماذا وما هذه الكروب والهموم بعد تلك الاحاديث والعلوم فقال يا اخواني وأحبابي ليس لي من الأمر شيء سيدي تصرف في كيف شاء وحيث أراد أبعدني عن بابه بعد أن كنت من جملة أحبابه فالحذر الحذر يا أهل وداده من صده وابعاده والحذر الحذر يا أهل المودة والصفاء من القطيعة والجفاء ثم رفع طرفه الى السماء وقال يا مولاي ما كان ظني فيك هذا ثم جعل يستغيث ويبكي ونادى يا شبلي اتعظ بغيرك فنادى الشبلي بأعلى صوته بك المستعان وأنت المستغاث وعليك التكلان اكشف عنا هذه الغمة بحلمك فقد دهمنا أمر لا كاشف له غيرك قال فلما سمعت الخنازير بكاءهم وضجيجهم

فلما حضرت الموائد كان معي على المائدة فلما مد يده ليأكل قلت حدثني درسة بن زياد عن ابان بن طارق عن نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من دخل دار قوم بغير اذنهم فأكل طعامهم دخل سارقا وخرج مغيرا فلما سمع الطفيلي ذلك قال أنفت لك والله يا أبا عمرو من هذا الكلام على مائدة سيد من أطعم الطعام فانه ما من أحد من الجماعة الا وهو يظن انك تعرض به دون صاحبه وقد بخلت بطعام غيرك على من سواك ثم ما استحييت حتى حدثت عن درسة ابن زياد وهو ضعيف وعن أبان بن طارق وهو متروك الحديث والمسلمون على خلاف ما ذكرت فان حكم السارق القطع وحكم المغير أن يعزر على ما يراه الامام وأين أنت من حديث حدثناه أبو عاصم عن ابن جريج عن الزبير عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم طعام الواحد يكفي الاثنين وطعام الاثنين يكفي الاربعة وطعام الاربعة يكفي الثمانية وهو اسناد صحيح ومتن صحيح متفق عليه قال أبو عمرو والله لقد أفحمني ولم يحضرني جواب فلما خرجنا فارقني من جانب الطريق الى الجانب الآخر بعد أن كان يمشي ورائي وسمعته يقول

ومن ظن ممن يلاقي الحروب
بان لا يصاب فقد ظن عجزا

(ومن المنقول عن أذكياء المتلصصين) أن بعض التجار قال احتال على رجل بحوالة فكان يأتيني كل يوم ويأخذ قدر نفقته الى أن نفدت وصار بيننا معرفة وألف الجلوس عندي وكان يراني أخرج من صندوق لي فأعطيه فقال لي يوما ان قفل الرجل صاحبه في سفره وأمينه في حضره وخليفته على حفظ ماله وان لم يكن وثيقا تطرقت الحيل اليه وأرى قفلك هذا وثيقا فقل لي ممن ابتعته لابتاع

أقبلت اليهم وجعلت تمرغ وجوهها بين أيديهم وزعقت زعقة واحدة دويت منها الجبال قال الشبلي فظننت أن القيامة قد قامت ثم ان الشيخ بكى بكاء شديدا قال الشبلي فقلنا له هل لك أن ترجع معنا الى بغداد فقال كيف لي بذلك وقد استرعيت الخنازير بعد ان كنت راعي القلوب فقلت يا شيخ كنت تحفظ القرآن وتقرؤه بالسبع فهل بقيت تحفظ منه شيأ فقال نسيته كله الا آيتين فقلت وما هما قال قوله تعالى ومن يهن الله فما له من مكرم ان الله يفعل ما يشاء والثانية قوله تعالى ومن يتبدل الكفر بالايمان فقد ضل سواء السبيل فقلت يا شيخ كنت تحفظ ثلاثين ألف حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فهل تحفظ منها شيأ قال حديثا واحدا وهو قوله صلى الله عليه وسلم من بدل دينه فاقتلوه قال الشبلي فتركناه وانصرفنا ونحن متعجبون من امره فسرنا ثلاثة ايام واذا نحن به أمامنا قد تطهر من نهر وطلع وهو يشهد شهادة الحق ويجدد اسلامه فلما رأيناه لم نملك أنفسنا من الفرح والسرور فنظر الينا وقال يا قوم أعطوني ثوبا طاهرا فأعطيناه ثوبا فلبسه ثم صلى وجلس فقلنا له الحمد لله الذي ردك علينا وجمع شملنا بك فصف لنا ما جرى لك وكيف كان أمرك فقال يا قوم لما وليتم من عندي سألته بالوداد القديم وقلت له يا مولاي أنا المذنب الجاني فعفا عني بجوده وبستره غطاني فقلنا له بالله نسألك هل كان لمحنتك من سبب قال نعم لما وردنا القرية وجعلتم تدورون حول الكنائس قلت في نفسي ما قدر هؤلاء عندي وأنا مؤمن موحد فنوديت في سري ليس هذا منك ولو شئت عرفناك ثم أحسست بطائر قد خرج من قلبي فكان ذلك الطائر هو الايمان قال الشبلي ففرحنا به فرحا شديدا وكان يوم دخولنا يوما عظيما مشهودا وفتحت الزوايا والرباطات والخوانق ونزل الخليفة للقاء الشيخ وأرسل اليه الهدايا وصار يجتمع عنده لسماع علمه أربعون ألفا وأقام على ذلك زمانا طويلا ورد الله عليه ما كان نسيه من القرآن والحديث وزاده على ذلك فبينما نحن جلوس عنده في بعض الايام بعد صلاة الصبح واذا نحن بطارق يطرق باب الزاوية فنظرت من الباب فاذا شخص ملتف بكساء أسود فقلت ما الذي تريد فقال قل لشيخكم ان الجارية الرومية التي تركتها بالقرية الفلانية قد جاءت لخدمتك قال فدخلت فعرفت الشيخ فاصفر لونه وارتعد ثم أمر بدخولها فلما دخلت عليه بكت بكاء شديدا فقال لها الشيخ كيف كان مجيئك ومن أوصلك الى ههنا قالت يا سيدي لما وليت من قريتنا جاءني من أخبرني بك فبت ولم يأخذني قرار فرأيت في منامي شخصا وهو يقول ان أحببت أن تكوني من المؤمنات فاتركي ما أنت عليه من عبادة الأصنام واتبعي ذلك الشيخ وادخلي في دينه فقلت وما دينه قال دين الاسلام قلت وما هو قال شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فقلت كيف لي بالوصول اليه قال اغمضي عينيك وأعطيني يدك ففعلت فمشى قليلا ثم قال افتحي عينيك ففتحتهما فاذا أنا بشاطئ الدجلة فقال امضي الى تلك الزاوية واقرئي الشيخ مني السلام وقولي له ان أخاك الخضر يسلم عليك قال فادخلها الشيخ الى جواره وقال تعبدي ههنا فكانت أعبد أهل زمانها تصوم النهار وتقوم الليل حتى نحل جسمها وتغير لونها فمرضت مرض الموت وأشرفت على الوفاة ومع ذلك لم يرها الشيخ فقالت قولوا للشيخ يدخل علي قبل الموت فلما بلغ الشيخ ذلك دخل عليها فلما رأته بكت فقال لها لا تبكي فان اجتماعنا غدا في القيامة في دار الكرامة ثم انتقلت الى رحمة الله تعالى فلم يلبث الشيخ بعدها الا أياما قلائل حتى مات رحمة الله تعالى عليه قال الشبلي فرأيته في المنام وقد تزوج بسبعين حوراء وأول ما تزوج بالجارية وهما مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿الباب الثاني والثلاثون في ذكر الاشرار والفجار وما يرتكبون من الفواحش والوقاحة والسفاهة﴾

عن النواس بن سمعان رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال قبل قيام الساعة يرسل الله ريحا باردة طيبة فتقبض روح كل مؤمن ويبقى شرار الخلق يتهارجون تهارج الحمير وعليهم تقوم الساعة وقال مالك بن دينار رحمه الله تعالى كفى بالمرء شرا أن لا يكون صالحا ويقع في الصالحين وقال لقمان لابنه يا بني كذب من قال ان الشر يطفئ الشر فان كان صادقا فليوقد نارين ثم ينظر هل تطفئ احداهما الأخرى وانما يطفئ الشر الخير كما يطفئ الماء النار ووصف بعضهم رجلا من أهل الشر فقال فلان عري من حلة التقوى ومحي عنه طابع الهدى لا تفنيه يد المراقبة ولا تكفه خيفة المحاسبة وهو لدهائه دينه مضيع ولدواعي شيطانه مطيع

مثله لنفسي فقلت من فلان الاقفالي قال فما شعرت يوما وقد جئت الى دكاني وتقدمت الى الصندوق لاخرج منه شيأ من الدراهم ففتحته فاذا ليس فيه شيء فقلت لغلامي وهو عندي امين غير متهم هل أنكرت شيأ من أحوال الدكان قال لا قلت ففتش هل ترى نقبا أم في السقف حيلة قال لا قلت فاعلم أن الذي كان في الصندوق قد ذهب فقلق الغلام فامسكته وقت مفكرا وتأخر الرجل عني فتيقظت له وذكرت سؤاله عن القفل وقلت للغلام أخبرني كيف تفتح دكاني وتقفله فقال احمل الدراريب دفعتين وثلاثة حتى أضعها في محلها وهكذا أصنع في غلقها قلت فمن تدع عند الدكان اذا نقلت الدراريب قال اتركه خاليا قلت فمن ههنا ذهبت فمضيت الى الصانع الذي ابتعت منه القفل فقلت جاءك انسان منذ أيام اشترى منك مثل هذا القفل فقال نعم رجل من صفته كذا وكذا وأعطاني صفة صاحبي فعلمت انه احتال على الغلام وقت المساء ودخل الدكان واختفى فيها ومعه مفتاح القفل وأخذ المال ومكث طول الليل الى الصباح فلما فتح الغلام وحمل الدراريب ليضعها في محلها خرج وانه ما فعل ذلك الا وقد خرج من المدينة فخرجت من البصرة ومعي قفلي ومفتاحي فقلت أبتدئ بواسط فلما صعدت طلبت خانا أنزله فلما دخلت الخان وجدت قفلا مثل قفلي على باب بيت فقلت لقيم الخان هذا البيت من ينزله قال رجل قدم أمس من البصرة فقلت ما صفته فوصف لي صاحبي فما شككت انه هو وان الدراهم في بيته فاكتريت بيتا الى جانبه ورصدته حتى انصرف قيم الخان ففتحت القفل ودخلت البيت فوجدت كيسي بعينه فاخذته وخرجت ووضعت قفله على بابه

(شعر) كأنه التيس قد أدى به هرم * فليس لحم ولا صوف ولا غمر

وقيل من فعل ماشاء لقي ماساء وقيل زنى رجل بجارية فأحبلها فقال له والله ياعدو الله هلا اذا ابتليت بفاحشة عزلت قال قد بلغني أن العزل مكروه قال فما بلغك أن الزنا حرام وقيل لاعرابي كان يتعشق قينة مايضرك لو اشتريتها ببعض ماتنفق عليها قال فمن لي اذ ذاك بلذة المخالسة ولقاء المسارقة وانتظار الموعد وقال أبو العيناء رأيت جارية مع النخاس وهي تحلف أن لاترجع لمولاها فسألتها عن ذلك فقالت ياسيدي انه يواقعني من قيام ويصلي من قعود ويشتمني باعراب ويلحن في القرآن ويصوم الخميس والاثنين ويفطر رمضان ويصلي الضحى ويترك الفرض فقلت لا أكثر الله في المسلمين مثله * وكانت ظلمة القوادة وهي صغيرة في المكتب تسرق دويات الصبيان وأقلامهم فلما شبت زنت فلما كبرت قادت وقال صاحب المسالك والممالك ان عامة ملوك الهند يرون الزنا مباحا خلا ملك قمار قال الزمخشري رحمه الله أقمت بقمار سنين فلم أر ملكا أغير منه وكان يعاقب على الزنا وشرب الخمر بالقتل وقمار ينسب اليها العود القماري كما ينسب الى مندل قال مسكين الدارمي

ولا ذنب للعود القماري انه * يحرق ان غنت عليه رواقصه

وقال ابن عباس رضي الله عنه ماعهدت الناس وهواهم تبع لاديانهم وان الناس اليوم أديانهم تبع لاهوائهم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم

(ماجاء في الوقاحة والسفاهة وذكر الغوغاء) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مما أدرك الناس من كلام النبوة الاولى اذا لم تستح فاصنع ماشئت * وفي ذلك قيل

اذا لم تصن عرضا ولم تخش خالقا * وتستح مخلوقا فما شئت فاصنع

وقال ابن سلام العاقل شجاع القلب والأحمق شجاع الوجه وذم رجل قوما فقال وجوههم وأيديهم حديد أي وقاح بخلاء ووصف رجل وقحا فقال لودق الحجارة بوجهه لرضها ولو خلا باستار الكعبة لسرقها قال الشاعر

لو أن لي من جلد وجهك رقعة * لجعلت منها حافرا للاشهب

وقال آخر اذا رزق الفتى وجها وقاحا * تقلب في الامور كما يشاء

قال أنوشروان أربعة قبائح وهي في أربعة أقبح البخل في الملوك والكذب في القضاة والحسد في العلماء والوقاحة في النساء ويقال من جسر أيسر ومن هاب خاب قال الشاعر

لاتكونن في الامور هيوبا * فالى خيبة يصير الهيوب

وقال علي رضي الله عنه اذا هبت أمرا فقع فيه فان شر توقيه أعظم مما تخاف منه وقال رضي الله عنه الغوغاء اذا اجتمعوا ضروا واذا افترقوا نفعوا فقيل قد علمنا مضرة اجتماعهم فما منفعة افتراقهم قال يرجع أهل المهن الى مهنهم فينتفع الناس بهم كرجوع البناء الى بنائه والنساج الى منسجه والخباز الى مخبزه وقال بعض السلف لاتسبوا الغوغاء فانهم يطفئون الحريق ويخرجون الغريق وقال الاحنف ماقل سفهاء قوم الاذلوا وقال حكيم لايخرجن أحد من بيته الا وقد أخذ في حجره قيراطين من جهل فان الجاهل لايدفعه الا الجهل أراد السفيه قال الشاعر

ألا لايجهلن أحد علينا * فنجهل فوق جهل الجاهلينا

وقيل الجاهل من لاجاهل له أي من لاسفيه له يدفع عنه * وقيل بينما أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه جالس اذ جاء اعرابي فلطمه فقام اليه واقد بن عمرو فجلد به الارض فقال عمر ليس بعزيز من ليس في قومه سفيه

وقال الشاعر ولا يلبث الجهال أن يتهضموا * أخا الحلم مالم يستعن بجهول

قال صالح بن جناح اذا كنت بين الجهل والحلم قاعدا * وخيرت أني شئت فالحلم أفضل

ولكن اذا أنصفت من ليس منصفا * ولم يرض منك الحلم فالجهل أمثل

وقال الأحنف بن قيس وذي ضغن أميت القول عنه * بحلم فاستمر على المقال

ومن يحلم وليس له سفيه * يلاق المعضلات من الرجال

(وقال آخر) فان كنت محتاجا الى الحلم انني * الى الجهل في بعض الأحايين أحوج

ولي فرس للخير بالخير ملجم * ولي فرس للشر بالشر مسرج

فمن رام تقويمي فاني مقوم * ومن رام تعويجي فاني معوج

زلت على القوز في السفينة وانحدرت الى البصرة ولم أقم بواسط غير ساعة من نهار فرجعت الى منزلي بمالي كله (ومن المنقول عن أذكياء الصبيان) انه وقف اياس بن معاوية وهو صبي على قاضي دمشق ومعه شيخ فقال أصلح الله القاضي هذا الشيخ ظلمني وأكل مالي فقال القاضي ارفق بالشيخ ولا تستقبله بمثل هذا الكلام فقال اياس ان الحق أكبر مني ومنه ومنك قال اسكت قال وان سكت فمن يقوم بحجتي قال فتكلم فوالله لاتتكلم بخير فقال لا اله الا الله وحده لاشريك له فبلغ ذلك الخليفة فعزل القاضي وولى اياسا مكانه (ومن المنقول عن أذكياء النساء) حكى المدائني قال خرج ابن زياد في فوارس فلقوا رجلا ومعه جارية لم ير مثلها في الحسن فصاحوا به خل عنها وكان معه قوس فرمى أحدهم فهابوا الاقدام عليه فعاد ليرمي فانقطع الوتر فهجموا عليه وأخذوا الجارية فهرب واشتغلوا عنه بالجارية ومد بعضهم يده الى أذنها وفيها قرط وفي القرط درة يتيمة لها قيمة عظيمة فقالت وماقدر هذه الدرة انكم لو رأيتم مافي قلنسوته من الدر لاحتقرتم هذه فتركوها واتبعوه وقالوا له الق مافي قلنسوتك وكان فيها وتر قد أعده فنسيه من الدهش فلما ذكره ركبه في القوس ورجع الى القوم فولى القوم هاربين وخلوا الجارية (وحكى ابن الجوزي في كتاب الاذكياء) نبذة عن الحيوان الذي كان بذكائه يشبه ذكاء الآدميين * فمن ذلك أن بعض الكتاب مر بمقبرة فاذا قبر عليه قبة مكتوب عليها هذا قبر الكلب فمن أحب أن يعلم خبره فليمض الى قرية كذا وكذا فان فيها من يخبره فسأل الرجل عن القرية فدلوه عليها فقصدها فقيل له مايعلم ذلك الا شيخ هنا قد جاوز المائة فسأله فقال كان

(وقال آخر) وان قيل حلم قلت للحلم موضع * وحلم الفتى فى غير موضعه جهل

اللهم انا نعوذ بك أن نجهل أو يجهل علينا برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

* الباب الثالث والثلاثون فى الجود والسخاء والكرم ومكارم الأخلاق واصطناع المعروف وذكر الأمجاد وأحاديث الأجواد *

(اعلم) أن الجود بذل المال وأنفعه ما صرف فى وجه استحقاقه وقد ندب الله تعالى اليه فى قوله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون قيل ان الجود والسخاء والايثار بمعنى واحد وقيل من أعطى البعض وأمسك البعض فهو صاحب سخاء ومن بذل الأكثر فهو صاحب جود ومن آثر غيره بالحاضر وبقى هو فى مقاساة الضرر فهو صاحب ايثار وأصل السخاء هو السماحة وقد يكون المعطى بخيلا اذا صعب عليه البذل والممسك سخيا اذا كان لا يستصعب العطاء (فمن الايثار ما حكى) عن حذيفة العدوى أنه قال انطلقت يوم اليرموك أطلب ابن عم لى فى القتلى ومعى شئ من الماء وأنا أقول ان كان به رمق سقيته فاذا أنا به بين القتلى فقلت له أسقيك فأشار الى أن نعم فاذا برجل يقول آه فأشار الى ابن عمى أن انطلق اليه واسقه فاذا هو هشام بن العاص فقلت أسقيك فأشار الى أن نعم فسمع آخر يقول آه فأشار الى أن انطلق اليه فجئته فاذا هو قد مات فرجعت الى هشام فاذا هو قد مات فرجعت الى ابن عمى فاذا هو قد مات (ومن عجائب ما ذكر فى الايثار) ما حكاه أبو محمد الأزدى قال لما احترق المسجد بمرو ظن المسلمون أن النصارى أحرقوه فأحرقوا خاناتهم فقبض السلطان على جماعة من الذين أحرقوا الخانات وكتب رقاعا فيها القطع والجلد والقتل ونثرها عليهم فمن وقع عليه رقعة فعل به ما فيها فوقعت رقعة فيها القتل بيد رجل فقال والله ما كنت أبالى لولا أم لى وكان بجنبه بعض الفتيان فقال له فى رقعتى الجلد وليس لى أم فخذ أنت رقعتى وأعطنى رقعتك ففعل فقتل ذلك الفتى وتخلص هذا الرجل * وقيل لقيس بن سعد هل رأيت قط أسخى منك قال نعم نزلنا بالبادية على امرأة فجاء زوجها فقالت له انه نزل بنا ضيفان فجاء زوجها بناقة فنحرها وقال شأنكم فلما كان من الغد جاء بأخرى فنحرها وقال شأنكم فقلنا ما أكلنا من التى نحرت البارحة الا القليل فقال انى لا أطعم ضيفانى البائت فبقينا عنده أياما والسماء تمطر وهو يفعل كذلك فلما أردنا الرحيل وضعنا مائة دينار فى بيته وقلنا للمرأة اعتذرى لنا اليه ومضينا فلما ارتفع النهار اذا برجل يصيح خلفنا قفوا أيها الركب اللئام أعطيتمونا ثمن قرانا ثم انه لحقنا وقال خذوها والا طعنتكم برمحى هذا فأخذناها وانصرفنا * وقال بعض الحكماء أصل المحاسن كلها الكرم وأصل الكرم نزاهة النفس عن الحرام وسخاؤها بما تملك على الخاص والعام وجميع خصال الخير من فروعه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تجاوزوا عن ذنب السخى فان الله آخذ بيده كلما عثر وفاتح له كلما افتقر وعن جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنه قال ما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيأ قط فقال لا وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال السخى قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة بعيد من النار والبخيل بعيد من الله بعيد من الناس بعيد من الجنة قريب من النار ولجاهل سخى أحب الى الله من عابد بخيل وقال بعض السلف منع الموجود سوء ظن بالمعبود وتلا قوله تعالى وما أنفقتم من شئ فهو يخلفه وهو خير الرازقين وقال الفضيل ما كانوا يعدون القرض معروفا وقال أكثم بن صيفى صاحب المعروف لا يقع وان وقع وجد له متكأ وقيل للحسن بن سهل لا خير فى السرف فقال لا سرف فى الخير فقلب اللفظ واستوفى المعنى ووجد مكتوبا على حجر انتهز الفرص عند امكانها ولا تحمل نفسك هم ما لم يأتك واعلم أن تقتيرك على نفسك توفير لخزانة غيرك فكم من جامع لبعل حليلته وقال على رضى الله تعالى عنه ما جمعت من المال فوق قوتك فانما أنت فيه خازن لغيرك وقال النعمان بن المنذر يوما لجلسائه من أفضل الناس عيشا وأنعمهم بالا وأكرمهم طباعا وأجلهم فى النفوس قدرا فسكت القوم فقام فتى فقال أبيت اللعن أفضل الناس من عاش الناس فى فضله فقال صدقت وكان أسماء بن خارجة يقول ما أحب أن أرد أحدا عن حاجة لانه ان كان كريما أصون عرضه أو لئيما أصون عنه عرضى وكان مورق العجلى يتلطف فى ادخال السرور والرفق على اخوانه فيضع عند أحدهم البدرة ويقول له أمسكها حتى أعود اليك ثم يرسل يقول له أنت منها فى حل وقال الحسن رضى الله عنه باع طلحة بن عثمان رضى الله تعالى عنه أرضا بسبعمائة ألف درهم فلما جاءه المال قال ان

هنا ملك عظيم الشأن وكان يحب التنزه والصيد وكان له كلب قد رباه لا يفارقه فخرج يوما الى بعض منتزهاته وقال لبعض غلمانه قل للطباخ يصلح لنا ثريدة بلبن فجاؤا باللبن الى الطباخ ونسى أن يغطيه بشئ واشتغل بالطبخ فخرجت من بعض الشقوق أفعى فكرعت فى ذلك اللبن ومجته فى الثريدة والكلب رابض يرى ذلك ولم يجد له حيلة يصل بها الى الأفعى وكان هناك جارية زمنة خرساء قد رأت ما صنعت الأفعى ووافى الملك من الصيد فى آخر النهار فقال يا غلمان أدركونى بالثريدة فلما وضعت بين يديه أومأت الخرساء فلم يفهم ما تقول ونبح الكلب وصاح فلم يلتفت اليه ولج فى الصياح فلم يعلم مراده فقال للغلمان نحوه عنى ومد يده الى اللبن بعد ما رمى الى الكلب ما كان يرمى اليه فلم يلتفت الكلب الى شئ من ذلك ولم يلتفت الى غير الملك فلما رآه يريد أن يضع اللقمة من اللبن فى فيه وثب الى وسط المائدة وأدخل فمه وكرع فى اللبن فسقط ميتا وتناثر لحمه وبقى الملك متعجبا من الكلب وفعله فأومأت الخرساء اليهم فعرفوا مرادها وما صنع الكلب فقال الملك لحاشيته هذا الكلب فدانى بنفسه وقد وجب أن أكافئه وما يحمله ويدفنه غيرى فدفنه وبنى عليه القبة التى رأيتها (قلت) قد أوردنا نبذة لطيفة من كتاب الاذكياء لابن الجوزى مختلفة الأنواع وقد تعين أن نورد له هنا نبذة لطيفة من كتاب الحمقى والمغفلين لانه قال فى كتاب الحمقى ما وضعت ذلك الا لان النفس قد تمل من ملازمة الجد وترتاح الى بعض المباح من اللهو كما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لحنظلة ساعة وساعة * وعن على رضى الله عنه أنه قال روحوا القلوب بطرائف الحكم فانها تمل كما

رجلا يبيت هذا عنده لا يدرى ما يطرقه اغرير بالله تعالى ثم قسمه فى المسلمين * ولما دخل المنكدر على عائشة رضى الله تعالى عنها قال لها يا أم المؤمنين أصابتنى فاقة فقالت ما عندى شئ فلو كان عندى عشرة آلاف درهم لبعثت بها اليك فلما خرج من عندها جاءتها عشرة آلاف درهم من عند خالد بن أسيد فأرسلت بها اليه فى أثره فأخذها ودخل بها السوق فاشترى جارية بألف درهم فولدت له ثلاثة أولاد فكانوا عباد المدينة وهم محمد وأبو بكر وعمر بنو المنكدر وأكرم العرب فى الاسلام طلحة بن عبيد الله رضى الله تعالى عنه جاءه اليه رجل فسأله برحم بينه وبينه فقال هذا حائطى بمكان كذا وكذا وقد أعطيت فيه مائة ألف درهم يراح الى بالمال العشية فان شئت فالمال وان شئت فالحائط وقال زياد بن جرير رأيت طلحة بن عبيد الله فرق مائة ألف فى مجلس وانه ليخيط ازاره بيده (وذكر) الامام أبو على القالى فى كتاب الامالى أن رجلا جاء الى معاوية رضى الله تعالى عنه فقال له سألتك بالرحم التى بينى وبينك الا ما قضيت حاجتى فقال معاوية أمن قريش أنت قال لا قال فأى رحم بينى وبينك قال رحم آدم عليه الصلاة والسلام قال رحم مجفوة والله لأكونن أول من وصلها ثم قضى حاجته *وروى* أن الاشعث بن قيس أرسل الى عدى بن حاتم يستعير منه قدورا كانت لابيه حاتم فملأها مالا وبعث بها اليه وقال انا لا نعيرها فارغة وكان الاستاذ أبو سهل الصعلوكى من الاجواد ولم يناول أحدا شيأ وانما كان يطرحه فى الارض فيتناوله الآخذ من الارض وكان يقول الدنيا أقل خطرا من أن ترى من أجلها يد فوق يد أخرى وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم اليد العليا خير من اليد السفلى وسأل معاوية الحسن ابن على رضى الله تعالى عنهم عن الكرم فقال هو التبرع بالمعروف قبل السؤال والرأفة بالسائل مع البذل وقدم رجل من قريش من سفر فمر على رجل من الاعراب على قارعة الطريق قد أقعده الدهر وأضر به المرض فقال يا هذا أعنا على الدهر فقال لغلامه ما بقى معك من النفقة فادفعه اليه فصب فى حجره أربعة آلاف درهم فهم ليقوم فلم يقدر من الضعف فبكى فقال له الرجل ما يبكيك لعلك استقللت ما دفعناه اليك فقال لا والله ولكن ذكرت ما تأكل الارض من كرمك فأبكانى * وقال بعضهم قصد رجل الى صديق له فدق عليه الباب فخرج اليه وسأله عن حاجته فقال على دين كذا وكذا فدخل الدار وأخرج اليه ما كان عليه ثم دخل الدار باكيا فقالت له زوجته هلا تعللت حيث شقت عليك الاجابة فقال انما أبكى لانى لم أتفقد حاله حتى احتاج الى أن سألنى * ويروى أن عبد الله بن أبى بكر وكان من أجود الاجواد عطش يوما فى طريقه فاستسقى من منزل امرأة فأخرجت له كوزا وقامت خلف الباب وقالت تنحوا عن الباب وليأخذه بعض غلمانكم فانى امرأة عزب مات زوجى منذ أيام فشرب عبد الله الماء وقال يا غلام احمل اليها عشرة آلاف درهم فقالت سبحان الله أتسخر بى فقال يا غلام احمل اليها عشرين ألفا فقالت أسأل الله العافية فقال يا غلام احمل اليها ثلاثين ألفا فما أمست حتى كثر خطابها وكان رضى الله تعالى عنه ينفق على أربعين دارا من جيرانه عن يمينه وأربعين عن يساره وأربعين أمامه وأربعين خلفه ويبعث اليهم بالأضاحى والكسوة فى الاعياد ويعتق فى كل عيد مائة مملوك رضى الله تعالى عنه * ولما مرض قيس بن سعد بن عبادة استبطأ اخوانه فى العيادة فسأل عنهم فقيل له انهم يستحيون مما لك عليهم من الدين فقال أخزى الله مالا يمنع عنى الاخوان من الزيارة ثم أمر مناديا ينادى من كان لقيس عنده مال فهو منه فى حل فكسرت عتبة بابه بالعشى لكثرة العواد * وكان عبد الله بن جعفر من الجود بالمكان المشهود وله فيه أخبار يكاد سامعها ينكرها لبعدها عن المعهود وكان معاوية يعطيه ألف ألف درهم فى كل سنة فيفرقها فى الناس ولا يرى الا وعليه دين * ومر رجل ببهيمة ثم خرج بها ليبيعها فمر بعبد الله بن جعفر رضى الله تعالى عنه فقال يا صاحب البهيمة أتبيعها قال لا ولكنها هى لك هبة ثم تركها له وانصرف الى بيته فلم يلبث الا يسيرا واذا بالحمالين على بابه عشرين نفرا عشرة منهم يحملون حنطة وخمسة لحما وكسوة وأربعة يحملون فاكهة ونقلا وواحد يحمل مالا فأعطاه جميع ذلك واعتذر اليه رضى الله تعالى عنه * ولما مات معاوية رضى الله تعالى عنه وفد عبد الله بن جعفر على يزيد ابنه فقال كم كان أمير المؤمنين معاوية يعطيك فقال كان رحمه الله يعطينى ألف ألف فقال يزيد قد زدناك لترحمك عليه ألف ألف فقال بأبى وأمى أنت فقال ولهذه ألف ألف فقال أما انى لا أقولها لاحد بعدك فقيل ليزيد أعطيت هذا المال كله من مال المسلمين لرجل واحد فقال والله

قل الابدان (وكان) رجل يجالس أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحدثهم فاذا أكثروا وثقل عليهم الحديث قال ان الاذن مجاجة وان القلوب حمضة هاتوا من أشعاركم وحديثكم (وقال أبو الدرداء) رضى الله عنه انى لاستجم نفسى بشئ من الباطل كراهة أن أحملها من الحق ما يملها (وعن) ابن عباس رضى الله عنهما انه كان يحدث أصحابه ساعة ثم يقول حمضونا فيأخذ فى أحاديث العرب وأشعارهم ومثله عن الزهرى ومالك بن دينار (وكان) شعبة يحدث فاذا رأى أبا زيد قال له ايه أبا زيد

استعجمت دار نعم ما تكلمنا
والدار لو كلمتنا ذات أخبار

(ووصف) رجل عند ابن عائشة فقيل هو جد كله فقال ابن عائشة لقد أعان على نفسه وقصر لها طول المدى ولو فكهها بالانتقال من حال الى حال نفس عنها ضيق العقد ورجع الى الجد بنشاط (وقال) الرشيد النوادر تشحذ الأذهان وتفتق الآذان (وقال آخر) لا يحب الملح الا ذكران الرجال ولا يكرهها الا مؤنثوهم وقال الشاعر

أروح القلب ببعض الهزل
تجاهلا منى بغير جهل
أمزح فيه مزح أهل الفضل
والمزح أحيانا جلاء العقل

(قال ابن الجوزى فى كتاب الحمقى) ان الاحنف بن قيس قال اذا رأيتم الرجل طويل القامة عظيم اللحية فاحكموا عليه بالحمق *وقال معاوية لرجل كفى أن نشهد عليك بالحمق ما نراه من طول لحيتك *وقال آخر وتلطف ما شاء من طالت لحيته تكوسج عقله * وقال أصحاب الفراسة من طالت قامته وطالت لحيته وجبت تعزيته فى عقله *وقالوا اذا كان الرجل طويلا طويل اللحية وأضيف الى ذلك أن

ما أعطيته الا الجميع أهل المدينة ثم وكل به يزيد من صحبه وهو لا يعلم لينظر ما يفعل فلما وصل المدينة فرق جميع المال حتى احتاج بعد شهر الى الدين * وخرج رضي الله تعالى عنه هو والحسنان وأبو دحية الانصاري رضي الله تعالى عنهم من مكة الى المدينة فاصابتهم السماء بمطر فلجؤا الى خباء اعرابي فأقاموا عنده ثلاثة أيام حتى سكنت السماء فذبح لهم الاعرابي شاة فلما ارتحلوا قال عبد الله للاعرابي ان قدمت المدينة فسل عنا فاحتاج الاعرابي بعد سنين فقالت له امرأته لو أتيت المدينة فلقيت أولئك الفتيان فقال نسيت أسماءهم فقالت سل عن ابن الطيار فأتى المدينة فلقي سيدنا الحسن رضي الله تعالى عنه فأمر له بمائة ناقة بفحولها ورعاتها ثم أتى الحسين رضي الله تعالى عنه فقال كفانا أبو محمد مؤنة الابل فأمر له بألف شاة ثم أتى عبد الله بن جعفر رضي الله تعالى عنه فقال كفاني اخواني الابل والشياه فأمر له بمائة ألف درهم ثم أتى أبا دحية رضي الله تعالى عنه فقال والله ما عندي مثل ما أعطوك ولكن ائتني بابلك فاوقرها لك تمرا فلم يزل اليسار في عقب الاعرابي من ذلك اليوم * وقال الحسن والحسين يوما لعبد الله بن جعفر رضي الله عنهم انك قد أسرفت في بذل المال فقال بأبي انتما ان الله عز وجل عودني أن يتفضل علي وعودته أن أتفضل على عباده فأخاف أن أقطع العادة فيقطع عني المادة وامتدحه نصيب فأمر له بخيل وأسباس ودنانير ودراهم فقال له رجل مثل هذا الاسود تعطى له هذا المال فقال ان كان أسود فان ثناءه أبيض ولقد استحق بما قال أكثر مما نال وهل أعطيناه الا ثيابا تبلى ومالا يفنى وأعطانا مدحا يروى وثناء يبقى وخرج عبد الله رضي الله تعالى عنه يوما الى ضيعة له فنزل على حائط به نخيل لقوم وفيه غلام أسود يقوم عليه فأتى بقوته ثلاثة أقراص فدخل كلب فدنا من الغلام فرمى اليه بقرص فأكله ثم رمى اليه بالثاني والثالث فأكلهما وعبد الله ينظر اليه فقال يا غلام كم قوتك كل يوم قال ما رأيت قال فلم آثرت هذا الكلب قال أرضنا ما هي بأرض كلاب وانه جاء من مسافة بعيدة جائعا فكرهت أن أرده قال فما أنت صانع اليوم قال أطوي يومي هذا فقال عبد الله بن جعفر ألام على السخاء وان هذا الاسخى مني فاشترى الحائط وما فيه من النخيل والآلات واشترى الغلام ثم أعتقه ووهبه الحائط بما فيه من النخيل والآلات فقال الغلام ان كان ذلك لي فهو في سبيل الله تعالى فاستعظم عبد الله ذلك منه فقال يجود هذا وأبخل أنا لا كان ذلك أبدا وكان عبيد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما من الاجواد أتاه رجل وهو بفناء داره فقام بين يديه وقال يا ابن عباس ان لي عندك يدا وقد احتجت اليها فصعد فيه بصره فلم يعرفه فقال ما يدك قال رأيتك واقفا بفناء زمزم وغلامك يملأ لك من مائها والشمس قد صهرتك فظللتك بفضل كسائي حتى شربت فقال أجل اني لاذكر ذلك ثم قال لغلامه ما عندك قال مائتا دينار وعشرة آلاف درهم فقال ادفعها اليه وما أراها تفي بحق يده * وقدم عبيد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما على معاوية فأهدى اليه من هدايا النوروز حللا كثيرة ومسكا وآنية من ذهب وفضة ووجهها اليه مع حاجبه فلما وضع بين يديه نظر الى الحاجب وهو ينظر اليها فقال له هل في نفسك منها شيء قال نعم والله ان في نفسي منها ما كان في نفس يعقوب من يوسف عليهما الصلاة والسلام فضحك عبد الله وقال خذها فهي لك قال جعلت فداءك أخاف أن يبلغ ذلك معاوية فيحقد علي قال فاختمها بخاتمك وسلمها الى الخازن فاذا كان وقت خروجنا حملناها اليك ليلا فقال الحاجب والله لهذه الحيلة في الكرم أكثر من الكرم * وحبس معاوية عن الحسين بن علي رضي الله تعالى عنهما صلاته فقيل لو وجهت الى ابن عمك عبد الله بن عباس فانه قدم بنحو ألف ألف فقال الحسين وأنى تقع ألف ألف من عبد الله فوالله لهو أجود من الريح اذا عصفت وأسخى من البحر اذا زخر ثم وجه اليه مع رسوله بكتاب يذكر فيه حبس معاوية صلاته عنه وضيق حاله وانه يحتاج الى مائة ألف درهم فلما قرأ عبد الله كتابه انهملت عيناه وقال ويلك يا معاوية أصبحت لين المهاد رفيع العماد والحسين يشكو ضيق الحال وكثرة العيال ثم قال لوكيله احمل الى الحسين نصف ما أملكه من ذهب وفضة ودواب وأخبره اني شاطرته فان كفاه والا احمل اليه النصف الثاني فلما أتاه الرسول قال انا لله وانا اليه راجعون ثقلت والله على ابن عمي وما حسبت أنه يسمح لنا بهذا كله رضوان الله عليهم أجمعين وجاء رجل من الانصار الى عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما فقال له يا ابن عم محمد صلى الله عليه وسلم انه ولد لي في هذه الليلة مولود واني سميته باسمك تبركا بك وان أمه ماتت فقال له بارك الله لك في الهبة وآجرك على المصيبة ثم دعا بوكيله وقال له انطلق الساعة فاشتر للمولود جارية تحضنه وادفع لابيه مائتي دينار لينفقها

يكون صغير الرأس فاحكم عليه بالحمق (وقال زياد) ما زادت لحية الرجل على قبضة الا كان ذلك نقصانا من عقله وقال الشاعر

اذا عرضت للفتى لحية
وطالت وصارت الى سرته
فنقصان عقل الفتى عندنا
بمقدار ما زاد من لحيته

﴿وقال ابن الرومي﴾

ان تطل لحية عليك وتعرض
فالمخالي مخلوقة للحمير
علق الله في عذاريك مخلا
ة ولكنها بغير شعير

(وقال بعضهم) صارم الاحمق فليس له خير من الهجران * وقيل مكتوب في التوراة من اصطنع الى أحمق معروفا فهي خطيئة مكتوبة عليه * وقال سفيان الثوري هجران الأحمق قربة الى الله تعالى (فمن ضرب المثل بحمقه وتغفله) هبنقة واسمه يزيد وكان قد جعل في عنقه قلادة من عظام وودع وقال أخشى أن أضيع من نفسي ففعلت ذلك لأعرفها فحولت أمه القلادة الى عنق أخيه فلما أصبح ورآها قال يا أخي أنا أنت وأنت أنا وضل له بعير فجعل يقول من وجده فهو له فقيل له فلم تنشده قال حلاوة الظفر (واختصمت) بنو طفاوة وبنو راسب في رجل ادعى كل من الفريقين انه منهم فقال هبنقة حكمه أن يلقى في الماء فان طفا فهو من طفاوة وان رسب فهو راسب فقال الرجل ان كان الحكم هكذا فقد زهدت في الطائفتين (ومنهم أبو غبشان) رجل من خزاعة كان يلي سدانة البيت فاجتمع مع قصي بن كلاب بالطائف على الشراب فلما سكر اشترى منه قصي ولاية سدانة البيت بزق من خمر وأخذ منه مفاتيحه وسار بها الى مكة وقال يا قريش هذه مفاتيح أبيكم ابراهيم ردها الله عليكم من غير غدر ولا ظلم

على تربيته ثم قال للانصارى عـد الينا بعد أيام فانك جئتنا وفى العيش يبس وفى المال قلة فقال الانصارى جعلت فداءك لو سبقت حاتما بيوم ماذكرته العرب وقال جهم بن حذيفة يوما لمعاوية أنت عندنا يا أمير المؤمنين كما قال ابن عبد كلال

يقينا ما نخاف وان ظننا * به خيرا أراناه يقينا * نميل على جوانبه كأنا
اذا ملنا نميل على أبينا * نقلبه لنخبر حالتيه * فنخبر منهما كرما ولينا

فأمر له بمائة ألف درهم وأنشده عبد الله بن الزبير رضى الله تعالى عنهما

بلوت الناس قرنا بعد قرن * فلم أر غير ختال وقال * ولم أر فى الخطوب أشد وقعا
وأمضى من معادات الرجال * وذقت مرارة الاشياء طرا * فما شئ أمر من السؤال

فأعطاه مائة ألف درهم ودخل عليه الحسن يوما وهو مضطجع على سريره فسلم عليه وأقعده عند رجليه وقال له ألا تعجب من قول أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها تزعم انى لست للخلافة أهلا ولا لها موضعا فقال الحسن أو عجبا مما قالت قال كل العجب قال الحسن وأعجب من هذا كله جلوسى عند رجليك فاستحيا معاوية واستوى جالسا ثم قال أقسمت عليك يا أبا محمد الا ما أخبرتنى كم عليك دينا قال مائة ألف درهم فقال يا غلام أعط أبا محمد ثلثمائة ألف درهم مائة ألف يقضى بها دينه ومائة ألف يفرقها على مواليه ومائة ألف يستعين بها على نوائبه وسوقها اليه الساعة وكان معن بن زائدة من الاجواد وكان عاملا على العراق بالبصرة قيل انه أتى اليه بعض الشعراء فأقام ببابه مدة يريد الدخول عليه فلم يتهيأ له ذلك فقال يوما لبعض الخدم اذا دخل الامير البستان فعرفنى فلما دخل أعلمه بذلك فكتب الشاعر بيتا ونقشه على خشبة وألقاها فى الماء الذى يدخل البستان وكان معن جالسا على القناة فلما رأى الخشبة أخذها وقرأها فاذا فيها بيت مفرد

أيا جود معن ناج معنا بحاجتى * فليس الى معن سواك شفيع

فقال من الرجل صاحب هذه فأتى به اليه فقال كيف قلت فأنشده البيت فأمر له بعشر بدر فأخذها وانصرف ووضع معن الخشبة تحت بساطه فلما كان فى اليوم الثانى أخرجها من تحت البساط ونظر فيها وقال على بالرجل صاحب هذه فأتى به فقال له كيف قلت فانشده البيت فأمر له بعشر بدر فأخذها وانصرف ووضع معن الخشبة تحت بساطه فلما كان فى اليوم الثالث أخرجها ونظر فيها وقال على بالرجل صاحب هذه فأتى به اليه فقال له كيف قلت فانشده البيت فأمر له بعشر بدر فأخذها وتفكر فى نفسه وخاف أن يأخذ منه ما أعطاه فخرج من البلد بما معه فلما كان فى اليوم الرابع طلب الرجل فلم يجده فقال معن لقد ساء والله ظنه ولقد هممت أن أعطيه حتى لا يبقى فى بيت مالى درهم ولا دينار وفيه يقول القائل

يقولون معن لا زكاة لماله * وكيف يزكى المال من هو باذله * اذا حال حول لم يكن فى دياره
من المال الا ذكره وجمائله * تراه اذا ما جئته متهـــللا * كأنك تعطيه الذى أنت سائله
تعود بسط الكف حتى لو انه * أراد انقباضا لم تطعه أنامله
فلو لم يكن فى كفه غير نفسه * لجاد بها فليتق الله سائله

(ومن قول معن) دعينى أنهب الاموال حتى * أعف الاكرمين عن اللئام

وكان يزيد بن المهلب من الاجواد الاسخياء وله أخبار فى الجود عجيبة * من ذلك ما حكاه عقيل بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه قال لما أراد يزيد بن المهلب الخروج الى واسط أتيته فقلت أيها الامير ان رأيت ان تأذن لى فأصحبك قال اذا قدمت واسط فأتنا ان شاء الله تعالى فسافر وأقمت فقال لى بعض اخوانى اذهب اليه فقلت كان جوابه فيه ضعف قالوا أتريد من يزيد جوابا أكثر مما قال قال فسرت حتى قدمت عليه فلما كان فى الليل دعيت الى السمر فتحدث القوم حتى ذكروا الجوارى فالتفت الى يزيد وقال ايه يا عقيل فقلت

أفاض القوم فى ذكر الجوارى * فأما الاعزبون فلن يقولوا

قال انك لم تبق عزبا فلما رجعت الى منزلى اذا أنا بخادم قد أتانى ومعه جارية وفرش بيت وبدرة عشرة آلاف درهم وفى الليلة الثانية كذلك فكنت عشر ليالى وانا على هذه الحالة فلما رأيت ذلك دخلت عليه فى اليوم العاشر فقلت أيها الامير قد والله أغنيت وأقنيت فان رأيت أن تأذن لى فى الرجوع فأكبت عدوى وأسر

وأفاق أبو غبشان فندم غاية الندم فقيل أحمق من أبى غبشان وقال شاعرهم

باعت خزاعة بيت الله اذ سكرت
بزق خمر فبئست صفقة البادى
باعت سدانتها بالخمر وانقرضت
عن المقام وظل البيت والنادى

(ومنهم ربيعة البكاء) سمى البكاء لانه دخل على أمه وهى تحت زوجها فبكى وصاح أتقتل أمى فقالوا أهون مقتول أم تحت زوج فذهبت مثلا (ومنهم حمزة بن بيض) قال يوما لغلامه أى يوم صلينا الجمعة بالرصافة فافتكر الغلام ساعة ثم قال يوم الثلاثاء (ومنهم جحى) قال بعضهم كان من أذكياء الناس وانما كان بينه وبين قوم عداوة فوضعوا عليه حكايات سارت بها الركبان وقيل كان من كبار الحمقى والمغفلين (قيل) انه دخل الحمام وخرج منه فضربته ريح باردة فمس خصيتيه فاذا احداهما قد تقلصت فرجع الى الحمام وجعل يفتش الناس فقالوا له مالك فقال سرقت احدى بيضتى ثم انه دخل فى الحمام وحمى فرجعت البيضة فلما وجدها حمد وشكر الله وقال كل شئ لا تسرقه اليد لا يفقد (واشترى) يوما دقيقا وحمله على حمال فلما دخل الحمال فى الزحام هرب فرآه جحى بعد أيام فاستتر منه لئلا يطالبه بالاجرة (وكان) لهم جارية تسمى عميرة فضربتها ذات يوم أمه فصاحت الجارية فاجتمع الناس على الباب فخرج اليهم فقال ما لكم عافاكم الله انما هى أمى تجلد عميرة (ومنهم ابن الجصاص) قيل انه كان يقصد التباله خيفة من الوزير ابن الفرات * فمن المنقول من حمقه * انه كان يوما مع الوزير فى مركب ومعه بطيخة فأراد أن يعطيها للوزير ويبصق فى البحر فبصق فى وجه الوزير ورمى البطيخة فى البحر فهذا

صديقي فقال انما أخيرك بين خلتين اما أن تقيم فنوليك أو ترحل فنغنيك فقلت أولم تغنني أيها الامير قال انما هذا أثاث المنزل ومصلحة القدوم فنالني من فضله مالا أقدر على وصفه ﴿وحدث﴾ أبو اليقظان عن أبيه قال حج يزيد بن المهلب فطلب حلاقا يحلق رأسه فجاؤه بحلاق فحلق رأسه فأمر له بخمسة آلاف درهم فتحير الحلاق ودهش وقال آخذ هذه الخمسة الآلاف وأمضى الى أم فلان أخبرها انى قد استغنيت فقال اعطوه خمسة آلاف أخرى فقال امرأته طالق ان حلقت رأس أحد بعدك وقيل ان الحجاج حبسه على خراج وجب عليه مقداره مائة ألف درهم فجمعت له وهو فى السجن فجاءه الفرزدق يزوره فقال للحاجب استأذن لى عليه فقال انه فى مكان لا يمكن الدخول عليه فيه فقال الفرزدق انما أتيت متوجعا لما هو فيه ولم آت ممتدحا فاذن له فلما أبصره قال

أبا خالد ضاقت خراسان بعدكم * وقال ذوو الحاجات أين يزيد
فما قطرت بالشرق بعدك قطرة * ولا اخضر بالمروين بعدك عود
وما السرور بعد عزك بهجة * وما الجواد بعد جودك جود

فقال يزيد للحاجب ادفع اليه المائة ألف درهم التى جمعت لنا ودع الحجاج ولحى يفعل فيه ما يشاء فقال الحاجب للفرزدق هذا الذى خفت منه لما منعتك من دخولك عليه ثم دفعها اليه فأخذها وانصرف ومر يزيد ابن المهلب عند خروجه من سجن عمر بن عبد العزيز رضى الله تعالى عنه بعجوز اعرابية فذبحت له عنزا فقال لابنه ما معك من النفقة قال مائة دينار قال ادفعها اليها فقال هذه يرضيها اليسير وهى لا تعرفك قال ان كان يرضيها اليسير فانا لا أرضى الا بالكثير وان كانت لا تعرفنى فأنا أعرف نفسى وقال مروان بن أبى الجنوب الشاعر أمر لى المتوكل بمائة وعشرين ألفا وخمسين ثوبا ورواحل كثيرة فقلت أبياتا فى شكره فلما بلغت قولى

فامسك ندى كفيك عنى ولا تزد * فقد خفت أن أطغى وأن أتجبرا

فقال والله لا أمسك حتى أغرقك بجودى وأمر له بضياع تقوم بالف ألف وقال أبو العيناء تذاكروا السخاء فاتفقوا على آل المهلب فى الدولة المروانية وعلى البرامكة فى الدولة العباسية ثم اتفقوا على ان أحمد بن أبى داود أسخى منهم جميعا وأفضل وسئل اسحق الموصلى عن سخاء أولاد يحيى بن خالد فقال أما الفضل فيرضيك فعله وأما جعفر فيرضيك قوله وأما محمد فيفعل بحسب ما يجد وفى يحيى يقول القائل

سألت الندى هل أنت حر فقال لا * ولكننى عبد ليحيى بن خالد
فقلت شراء قال لا بل وراثة * توارثنى من والد بعد والد

﴿وفى الفضل يقول القائل﴾

اذا نزل الفضل بن يحيى ببلدة * رأيت بها غيث السماحة ينبت
فليس بسعال اذا استل حاجة * ولا بمكب فى ثرى الارض ينكت

وفى محمد يقول القائل سألت الندى والجود مالى أراكما * تبدلتما عزا بذل مؤبد

وما بال ركن المجد أمسى مهدما * فقال أصبنا بابن يحيى محمد
فقلت فهلا متما بعد موته * وقد كنتما عبديه فى كل مشهد
فقالا أقمنا كى نعزى بفقده * مسافة يوم ثم نتلوه فى غد

وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه وكرم الله وجهه من كانت له الى حاجة فليرفعها الى فى كتاب لأصون وجهه عن المسئلة وجاءه رضى الله تعالى عنه أعرابى فقال يا أمير المؤمنين ان لى اليك حاجة الحياء يمنعنى أن أذكرها فقال خطها فى الارض فكتب انى فقير فقال يا قنبر اكسه حلتى فقال الاعرابى

كسوتنى حلة تبلى محاسنها * فسوف أكسوك من حسن الثنا حللا
ان نلت حسن الثنا قد نلت مكرمة * وليس تبغى بما قدمته بدلا
ان الثناء ليحيى ذكر صاحبه * كالغيث يحيى نداه السهل والجبلا
لا تزهد الدهر فى عرف بدأت به * كل امرئ سوف يجزى بالذى فعلا

فقال يا قنبر زده مائة ألف دينار فقال يا أمير المؤمنين لو فرقتها فى المسلمين لاصلحت بها من شأنهم فقال رضى الله تعالى عنه صه يا قنبر فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اشكروا لمن اثنى عليكم واذا أتاكم كريم قوم فأكرموه ولعبد الله بن جدعان

انى وان لم ينل مالى مداخلتى * ووهاب ماملكت كفى من المال

من المنقول مما ظهر عنه من النبالة والاقتدار وى عنه أنه قال لما ولى ابن الفرات الوزارة قصدنى قصدا قبيحا وأنفذ العمال الى ضياعى وبسط لسانه بثلبى وتنقصنى فى مجلسه فدخلت يوما داره فسمعت حاجبه وقد وليت يقول هذا بيت مال يمشى على وجه الارض ليس له من يأخذه فقلت هذا من كلام صاحبه وقد كان عندى فى ذلك الوقت سبعة آلاف ألف دينار عينا سوى الجواهر والذخائر وغير ذلك فسهرت فى ليلتى أفكر فى أمرى معه فوقع فى نفسى فى الثلث الاخير من الليل أن ركبت الى داره على الفور فوجدت الأبواب مغلقة فطرقتها فقال البواب من هذا قلت ابن الجصاص فقال ليس هذا وقت وصول والوزير نائم فقلت عرف الحجاب أنى حضرت فى مهم فعرفهم فخرج الى أحدهم وقال انه فى هذا الوقت لا ينتبه فقلت الامر أهم من ذلك فاتقظه وعرفه عنى ما قلت لك فدخل وأبطأ ساعة ثم خرج وأدخلنى فارتاع لدخولى وظن أنى جئته برسالة من الخليفة أو حدثت حادثة وهو متوقع لما أورده عليه فنظر الى وقال ما الذى جاء بك فى هذا الوقت قلت خير ما حدثت حادثة ولا معى رسالة ولا جئته الا فى أمر يخصنى ويخص الوزير ولم تصلح مفاوضته الا على خلوة فسكن روعه وقال لمن حوله انصرفوا فمضوا فقال هات فقلت أيها الوزير انك قصدتنى باقبح قصد وشرعت فى هلاكى وازالة نعمتى وفى ازالتها خروج نفسى وليس عن النفس عوض وقد جعلت هذا الكلام عذرا بينى وبينك فان نزلت تحت حكمى فى الصلح والا قصدت الخليفة فى هذه الساعة وحملت اليه ألف ألف دينار وأنت تعلم قدرتى عليها وأقول له خذ هذا المال وسلم الى ابن الفرات وأسلمك لمن

لا أحبس المال الاحيث أنفقه * ولا يغيرني حال الى حال

وقال بعض العرب لولده يا بني لا تزهدن في معروف فان الدهر ذو صروف فكم راغب كان مرغوبا اليه وطالب كان مطلوبا مالديه وكن كما قال القائل

وعد من الرحمن فضلا ونعمة * عليك اذا ما جاء للخير طالب
ولا تمنعن ذا حاجة جاء راغبا * فانك لا تدري متى أنت راغب

(وقال بعضهم)

أبيت خميص البطن عريان طاويا * وأوثر بالزاد الرفيق على نفسي
وأمنحه فرشي وأفترش الثرى * وأجعل ستر الليل من دونه لبسي
حذار أحاديث المحافل في غد * اذا ضمني يوما الى صدره رمسي

وقال يحيى البرمكي أعط من الدنيا وهي مقبلة فان ذلك لا ينقصك منها شيأ وأعط منها وهي مدبرة فان منعك لا يبقي عليك منها شيأ فكان الحسن بن سهل يتعجب من ذلك ويقول لله دره ما أطبعه على الكرم وأعلمه بالدنيا وقد أمر يحيى من نظمه فقال

لا تبخلن بدنيا وهي مقبلة * فليس ينقصها التبذير والسرف
فان تولت فأحرى أن تجود بها * فليس تبقى ولكن شكرها خلف

وقال يحيى لولده جعفر يا بني مادام قلمك يرعد فأمطره معروفا وقال بعضهم

لا تكثري في الجود لائمتي * واذا بخلت فأكثري لومي
كفي فلست بحامل أبدا * ماعشت هم غد الى يومي

وقال علي رضي الله تعالى عنه وكرم وجهه لا تستح من عطاء القليل فالحرمان أقل منه * وسئل اسحق الموصلي عن الخلوع فقال كان أمره كله عجبا كان لا يبالي أين يقعد مع جلسائه وكان عطاؤه عطاء من لا يخاف الفقر كان عنده سليمان بن أبي جعفر يوما فأراد الرجوع الى أهله فقال له سفر البر أحب اليك أم سفر البحر قال البحر ألين علي فقال أوقروا له زورقه ذهبا وأمر له بألف ألف درهم * وشكا سعيد بن عمرو بن عثمان ابن عفان موسى شهوان الى سليمان بن عبد الملك وقال قد هجاني يا أمير المؤمنين فاستحضره سليمان وقال لا أم لك أتهجو سعيدا قال يا أمير المؤمنين أخبرك الخبر عشقت جارية مدنية وأتيت سعيدا فقلت اني أحب هذه الجارية وان مولاتها أعطيت فيها مائتي دينار وقد أتيتك فقال لي بورك فيك فقال سليمان ليس هذا موضع بورك فيك قال فأتيت يا أمير المؤمنين سعيد بن خالد فذكرت له حالي فقال يا جارية هاتي مطرفا فأتته بمطرف خز فصر لي في كل زاوية مائتي دينار فخرجت وأنا أقول

أبا خالد أعني سعيد بن خالد * أخا العرف لا أعني ابن بنت سعيد * ولكنني أعني ابن عائشة الذي
أبو أبويه خالد بن أسيد * عقيد الندى ما عاش يرضى به الندى * فان مات لم يرض الندى بعقيد
ذروه ذروه انكم قد رقدتمو * وما هو عن احسانكم برقود

فقال سليمان قل ماشئت * وكتب كلثوم بن عمر الى بعض الكرماء رقعة فيها

اذا تكرهت أن تعطي القليل ولم * تقدر على سعة لم يظهر الجود
بث النوال ولا تمنعك قلته * فكل ما سد فقرا فهو محمود

فشاطره ماله حتى بعث اليه بنصف خاتمه وفردة نعله * وباع عبد الله بن عتبة بن مسعود أرضا بثمانين ألفا فقيل له لو اتخذت لولدك من هذا المال ذخرا فقال بل أجعله ذخرا لي وأجعل الله ذخر الولدي وقسمه بين ذوي الحاجات وكان ابن مالك القشيري من الاجواد قيل انه انهب الناس ماله بعكاظ ثلاث مرات فعاتبه خاله فقال

ياخال ذرني ومالي مافعلت به * وخذ نصيبك منه انني مودي * فلن أطيعك الا أن تخلدني
فانظر بكيدك هل تستطيع تخليدي * الحمد لا يشترى الا بمكرمة * ولن أعيش بمال غير محمود

وقال المهلب عجبت لمن يشتري المماليك بماله كيف لا يشتري الاحرار بفعاله * ونزل بأبي البختري وهب بن وهب القرشي ضيف فسارع عبيده انزاله وخدموه أحسن خدمة وفعلوا به كل جميل فلما هم بالرحيل لم يقربه أحد منهم وتجنبوه فأنكر ذلك عليهم فقالوا انحن انما نعين النازل على الاقامة ولا نعينه على الرحيل * ووفدت ابلى

اختاره للوزارة ويقع في نفسي أنه يجيب الى تقليده من له وجه مقبول ولسان عذب وخط حسن ولا أعتمد الا على بعض كتابك فانه لا يفرق بينك وبينه اذا رأى المال حاضرا فيسلمك في الحال اليه ويفرغ عليك العذاب بحضوري ويأخذ منك المال المعين وأنت تعلم أن مالك تفي بها ولكنك تفتقر بعدها ويرجع المال الي وأكون أهلكت عدوي وشفيت غيظي وزاد محلي بتقليدي وزيرا فلما سمع هذا الكلام سقط في يده وقال يا عدو الله أوتستحل ذلك فقلت بل عدو الله من استحل مني هذا فقال وما تريد فقلت تحلف الساعة بما أستحلفك من الأيمان المغلظة أن تكون معي لا علي في صغير أمري وكبيره ولا تنقص لي رسما ولا تضع مني بل تبالغ في رفعتي ولا تبطن علي فقال وتحلف أنت أيضا لي بمثل هذا اليمين على جميل النية وحسن الطاعة فقلت أفعل فقال لعنك الله والله لقد سحرتني واستدعى بدواة فعملنا نسختين وحلف كل منا عليها فلما أردت القيام قال لي يا أبا عبد الله لقد عظمت في نفسي والله ما كان المقتدر يفرق بيني وبين أحسن كتابي اذا رأى المال فليكن ما جرى بيننا مطويا فقلت سبحان الله فقال اذا كان غدا فسر الى المجلس فترى ما أعاملك به فقمت فأمر الغلمان أن يسيروا في خدمتي بأجمعهم الى داري ولما أصبحت جئته فبالغ في الاكرام والتعظيم وأمر بانشاء الكتب الى النواحي باعزازي وكلائتي وحماية أملاكي فشكرته وقت فأمر الغلمان أيضا بالمشي بين يدي والحجاب والناس يتعجبون من ذلك ولم يعلم أحد ما السبب وما حدثت بهذا الحديث الا بعد القبض عليه (وذكر ابن الجوزي في الباب السابع من كتاب الحمقى والمغفلين) أن جماعة

الاخيلية على الحجاج فقالت فيه

اذا ورد الحجاج أرضا مريضة * تتبع أقصى دائها فشفاها
شفاها من الداء العضال الذى بها * غلام اذا هز القناة سقاها

فقال لا تقول غلام ولكن قولى همام يا غلام أعطها خمسمائة فقال أيها الامير اجعلها نعما فجعلها ابلا اناثا وقال أبو الفياض الطبرى

والعز ضيف لا يراه بربعه * من لا يرى بذل التلاد تلادا
والجود أعلى كعب كعب قبلنا * ففى بجود يوم مات جوادا

(وقال آخر)

أيقنت ان من السماح شجاعة * وعلمت ان من السماحة جودا

وقال أحمد بن حمدون النديم عملت أم المستعين بساطا على صورة كل حيوان من جميع الاجناس وصورة كل طائر من ذهب وأعينها يواقيت وجواهر انفقت عليه مائة ألف ألف دينار وثلاثين ألف دينار وسألته أن يقف عليه و ينظر اليه فكسل ذلك اليوم عن رؤيته قال أحمد بن حمدون فقال لى ولاترجة الهاشمى اذهبا فانظرا اليه وكان معنا الحاجب فضينا ورأيناه فوالله ما رأينا فى الدنيا شيأ أحسن ولا شيأ حسنا الا وقد عمل فيه فمدت أنا يدى الى غزال من ذهب عيناه ياقوتتان فوضعته فى كمى ثم جئنا فوصفنا له حسن ما رأيناه فقال أترجة يا أمير المؤمنين انه قد سرق منه شيأ وغمزه على كمى فاريته الغزال فقال بحياتى عليكما ارجعا فخذا ما أحببتما فضينا فلانا أكمامنا وأقبيتنا وأقبلنا نمشى كالحبالى فلما رآنا ضحك فقال بقية الجلساء ونحن فما ذنبنا يا أمير المؤمنين فقال قوموا فخذوا ما شئتم ثم قام فوقف على الطريق ينظر كيف يحملون و يضحك ونظر يزيد المهلبى سطلا من ذهب ملوأ مسكا فاخذه بيده وخرج فقال له المستعين الى أين فقال الى الحمام يا أمير المؤمنين فضحك من قوله وأمر الفراشين والخدم أن ينتهبوا الباقى فانتهبوه فوجهت اليه أمه تقول سر الله أمير المؤمنين لقد كنت أحب أن يراه قبل أن يفرقه فانى أنفقت عليه مائة ألف ألف وثلاثين ألف دينار فقال يحمل اليها مثل ذلك حتى تعيد مثله ففعلت ومضى حتى رآه وفعل به كفعله الاول ودخل طلحة بن عبد الله بن عوف السوق يوما فوافق فيه الفرزدق فقال يا أبا فراس اختر عشرا من الابل ففعل فقال ضم اليها مثلها فلم يزل يقول مثل ذلك حتى بلغت مائة فقال هى لك فقال

يا طلح أنت أخو الندى وعقيده * ان الندى مامات طلحة ماتا
ان الندى ألقى اليك رحاله * فحيث بت من المنازل باتا

وقدم زياد الاعجم على عبد الله بن الحشرج بنيسابور فأكرمه وأنعم عليه وبعث اليه بألف دينار فقال

ان السماحة والمروأة والندى * فى قبة ضربت على ابن الحشرج

فقال زدنى فقال له كل شئ وثمنه * ووفد أبو عطاء السدى على نصر بن سيار بخراسان مع رفيقين له فأنزله وأحسن اليه وقال ماعندك يا أبا عطاء فقال وما عسى أن أقول وأنت أشعر العرب غير أنى قلت بيتين قال هات ماقلت فقال

يا طالب الجود ما أنت تطلبه * فاطلب على بابه نصر بن سيار
الواهب الخيل تغدو فى أعنتها * مع القيان وفيها ألف دينار

فأعطاه ألف دينار ووصائف وكساه كسوة جميلة فقسم ذلك بين رفيقيه ولم يأخذ منه شيأ فبلغ ذلك نصرا فقال ماله قاتله الله من سيد ما أضخم قدره ثم أمر له بمثله * وقال العتبى أشرف عمرو بن هبيرة يوما من قصره فاذا هو باعرابى يرقل قلوصه فقال عمرو لحاجبه ان أرادنى هذا الاعرابى فأوصله الى فلما وصل الاعرابى سأله الحاجب فقال أردت الامير فدخل به اليه فلما مثل بين يديه قال له ما حاجتك فأنشد الاعرابى يقول

أصلحك الله قل ما بيدى * ولا أطيق العيال اذا كثروا
أناخ دهرى على كلكله * فارسلونى اليك وانتظروا

فأخذت عمرا الاريحية فجعل يهتز فى مجلسه ثم قال أرسلوك الى وانتظروا اذن والله لا تجلس حتى ترجع اليهم ثم أمر له بألف دينار * وقيل أراد ابن عامر أن يكتب لرجل بخمسين ألف درهم فجرى القلم بخمسمائة ألف فراجعه الخازن فى ذلك فقال انفذه فما بقى الا انفاذه وان خروج المال أحب الى من الاعتذار فاستشرفه الخازن فقال اذا أراد الله بعبد خيرا صرف القلم عن مجرى ارادة كاتبه الى ارادته وأنا أردت شيأ وأراد الجواد الكريم أن

من العقلاء صدر عنهم أفعال الحمق وأصروا على ذلك مستصوبين لها فصار وابذلك الاصرار حمقى ومغفلين (فأول القوم ابليس لعنه الله تعالى) فانه صوب نفسه وخطأ حكمة الله تعالى ورمى عن قوس الاعتراض فى عدم السجود لآدم عليه السلام ثم قال أنظرنى الى يوم يبعثون فصارت لذته فى ايقاع العاصى فى الذنب كأنه يغبط ونسى عقابه الدائم فلا حمق كحمقه ولا غفلة كغفلته ولله در القائل فى ابليس

عجبت من ابليس فى غفلته
وخبث ما أظهر من نيته
تاه على آدم فى سجدة
وصار قوادا لذريته

(الثانى فرعون) فى دعواه الربوبية وافتخاره بقوله أليس لى ملك مصر وهذه الانهار تجرى من تحتى فافتخر بساقية لا هو أجراها ولا يعرف مبدأها ولا منتهاها ونسى أمثالها مما ليس تحت قدرته وليس فى الحمق أعظم من ادعائه الالهية وقد ضربت الحكماء بذلك مثلا فقالوا دخل ابليس على فرعون فقال له من أنت قال ابليس قال ما جاء بك قال جئت متعجبا من جنونك قال كيف قال أنا عاديت مخلوقا مثلى فامتنعت من السجود له فطردت ولعنت وأنت تدعى أنك اله هذا والله هو الحمق والجنون البارد (ومن عجيب الحمق والتغفل) اتخاذ الاصنام باليد والاقبال على عبادتها والاله ينبغى أن يفعل ولا يفعل (وكذلك) غروذ فى بنائه الصرح ثم رميه بنشابة يريد أن يقتل اله السموات والارض (وكذلك) بنو اسرائيل حين جاوزوا البحر وقد أنجاهم الله تعالى من تلك الاهوال واستنقذهم من فرعون قالوا اجعل لنا الها كما لهم آلهة (وكذلك) قول النصارى ان عيسى اله وابن اله ثم يقرون ان اليهود صلبوه وهذا غاية البله

يعطى عبده عشرة أضعافه فكانت ارادة الله الغالبة وامره النافذ * ووقف اعرابي على ابن عامر فقال يا قمر البصرة وشمس الحجاز ويا ابن ذروة العرب وابن بطحاء مكة برحت بي الحاجة وأكدت بي الآمال الا بفنائك فامنحني بقدر الطاقة لا بقدر الجد والشرف والهمة فامر له بمائتي ألف درهم * وسمع المأمون قول عمارة بن عقيل

أأترك أن قلت دراهم خالد * زيارته اني اذا للئيم

فقال أوقلت دراهم خالد احملوا اليه مائة ألف درهم فبعثها خالد بن يحيى الى عمارة بن عقيل وقال هذه قطرة من سحابك * ولما عزل عبد الرحمن بن الضحاك عن المدينة بكى ثم قال والله ما بكائي جزعا من العزل ولا أسفا على الولاية ولكن أخاف على هذه الوجوه أن يلي أمرها من لا يعرف لها حقا * وأراد الرشيد أن يخرج الى بعض المتفرجات فقال يحيى بن خالد لرجاء بن عبد العزيز وكان على نفقاته ما عندك لاثنا من الأموال قال سبعمائة ألف درهم قال فاقبضها اليك يا رجاء فلما كان من الغد دخل عليه رجاء فقبل يده وعنده منصور بن زياد فلما خرج رجاء قال يحيى لمنصور قد ظننت ان رجاء توهم انا قد وهبنا المال له وانما أمرناه بقبضه من الوكلاء ليحفظه علينا لحاجتنا اليه في وجهنا هذا فقال منه ورأنا أستخبرك هذا فقال يحيى اذن يقول للثقل له يقبل يدي كما قبلت يده فلا تقل له شيأ فقد تركناه له * وقيل ان الرشيد وصل في يوم واحد بألف الف وثلثمائة ألف وخمسين ألفا ووصل المنصور في يوم واحد لبني هاشم ووجوه قواده بعشرة آلاف ألف دينار على ما ذكره * وعن الاخفش الصغير قال كان أسيد بن عنقاء الفزاري من أكبر أهل زمانه قدرا وأكثرهم أدبا وأفصحهم لسانا وأتبتهم جنانا فطال عمره ونكبه دهره فخرج عشية يتنقل لاهله فمر به عميلة الفزاري فسلم عليه وقال ما أصارك يا عم الى ما أرى فقال بخل مثلك بماله وصوني وجهي عن مسئلة الناس فقال والله لئن بقيت الى غد لاغيرن ما أرى من حالك فرجع ابن عنقاء الى أهله فاخبرها بما قال له عميلة فقالت له لقد غرك كلام غلام في جنح ليل قال فكأنما لقمت فاه حجرا وباتت متململا بين رجاء ويأس فلما كان وقت السحر سمع رغاء الابل وصهيل الخيل تحت الاموال فقال ما هذا قالوا عميلة قد قسم ماله شطرين وبعث اليك بشطره فانشد يقول

رآني على ما بي عميلة فاشتكى * الى ماله حالى فواسى وما هجر
ولما رأى المجد استعيرت ثيابه * تردى رداء سابغ الذيل واتزر
غلام حباه الله بالحسن يافعا * له سيميا لا تشق على البصر
كأن الثريا علقت في جبينه * وفي أنفه الشعرى وفي جيده القمر

وكان عمر بن عبد الله بن معمر التيمي من الاجواد قيل انه كان لرجل جارية يهواها فاحتاج الى بيعها فابتاعها منه ابن معمر بمال جزيل فلما قبض ثمنها أنشأت تقول

هنيأ لك المال الذي قد قبضته * ولم يبق في كفي غير التحسر
أبوء بحزن من فراقك موجع * أناجي به صدرا طويل التفكر

فأجابها يقول

ولولا قعود الدهر بي عنك لم يكن * يفرقنا شئ سوى الموت فاعذري
عليك سلام لا زيارة بيننا * ولا وصل الا أن يشاء ابن معمر

فقال ابن معمر قد شئت وقد وهبتك الجارية وثمنها فخذها وانصرف * ووفد أبو الشمقمق الى مدينة سابور يريد محمد بن عبد السلام فلما دخلها توجه الى منزله فوجده في دار الخراج يطالب فدخل عليه يتوجع له فلما رآه محمد قال

ولقد قدمت على رجال طالما * قدم الرجال عليهم فتمولوا
أخنى الزمان عليهم فكأنما * كانوا بارض أقفرت فتحولوا

فقال أبو الشمقمق

الجود أفلسهم وأذهب مالهم * فاليوم ان راموا السماحة يبخلوا

قال فخلع محمد ثوبا وخاتما ودفعها اليه فكتب بذلك مستوفي الخراج الى الخليفة فوقع الى عامله باسقاط الخراج عن محمد بن عبد السلام في تلك السنة واسقاط ما عليه من البقايا وامر له بمائة ألف درهم معونة له على مروأته * وقال أبو العيناء حصلت لي ضيقة شديدة فكتمتها عن أصدقائي فدخلت يوما على يحيى بن أكثم القاضي فقال ان أمير المؤمنين المأمون جالس للمظالم وأخذ القصص فهل لك في الحضور قلت نعم فمضيت معه الى دار أمير المؤمنين فلما دخلنا عليه أجلسه وأجلسني ثم قال يا أبا العيناء بالالفة والمحبة ما الذي جاء بك في هذه الساعة فانشدته

لقد رجوتك دون الناس كلهم * وللرجاء حقوق كلها تجب

والغفلة (وكذلك) الرافضة يعاون اقرار على ببيعة أبي بكر وعمر واستيلاده الحنفية من سبي أبي بكر وتزويجه أم كلثوم ابنته من عمر وكل ذلك دليل على رضاه ببيعتهما ثم في الرافضة من يسبهما وفيهم من يكفرهما وكل ذلك يطلبون به حب على بزعمهم وقد تركوا حبهم وراء ظهورهم (وقد روى) عن الامام أحمد بن حنبل أنه قال لو جاءني رجل فقال اني حلفت بالطلاق أن لا أكلم في هذا اليوم من هو أحمق وكلم رافضيا أو نصرانيا لقلت له حنثت فقال له ابن الديناري أعزك الله ولم صارا أحمقين قال لانهما خالفا الصادقين (أما الصادق الاول) فعيسى عليه السلام قال للنصارى اني عبد الله وقال أن اعبدوا الله فقالوا لا وعبدوه جهلا وحمقا (والصادق الثاني) الامام علي رضي الله عنه فانه قال عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال عن أبي بكر وعمر هذان سيدا كهول أهل الجنة والرافضة يسبونهما (ومن المنقول عن حمق النساء) أن الامين لما حوصر قال لجاريته غني فغنت

أبكى فراقهم عيني فارقها
ان التفرق للاحباب بكاء

فقال لعنك الله أما تعرفين غير هذا فغنت

ما اختلف الليل والنهار ولا
دارت نجوم السماء في فلك
الا لينتقل السلطان من ملك
غيب تحت الثرى الى ملك

فقال لها قومي فقامت فعثرت بقدح بلور فكسرته فقال قاتل قضي الأمر الذي فيه تستفتيان ولما قتله المأمون دخل على زبيدة ليعزيها به فقالت ان أردت أن تسليني فتغد عندي فتغدى عندها فأخرجت له من جواري الأمين من تغنيه فغنت

ان لم يكن لى أسباب أعيش بها * ففى العلالك أخلاق هى السبب

فقال ياسلامة انظر أى شئ فى بيت المال دون مال المسلمين فقال بقية من مال قال فادفع له منها مائة ألف درهم وابعث له بمثلها فى كل شهر فلما كان بعد أحد عشر شهرا مات المأمون فبكى عليه أبو العيناء حتى تقرحت أجفانه فدخل عليه بعض أولاده فقال ياأبتاه بعد ذهاب العين ماذا ينفع البكاء فأنشأ أبو العيناء وهو يقول

شيئان لو بكت الدماء عليهما * عيناى حتى يؤذنا بذهاب
لم يبلغا المعشار من حقيهما * فقد الشباب وفرقة الأحباب

وكان أحمد بن طولون كثير الصدقة وكان راتبه منها فى الشهر ألف دينار سوى ما يطرأ عليه من نذر أو صلة وسوى ما يطبخ إلى دار الصدقة وكان الموكل بصدقته سليم الخادم فقال له سليم يوما أيها الأمير انى أطوف القبائل وأدق الأبواب لصدقاتك وان اليد تمتد الى وفيها الحناء وربما كان فيها الخاتم الذهب والسوار الذهب أفأعطى أم أرد قال فأطرق طويلا ثم قال كل يد امتدت اليك فلا تردها * وقال سلمة بن عياش فى جعفر بن سليمان

وماشم أنفى ريح كف شممتها * من الناس الاريح كفك أطيب

فأمر له بألف دينار ومائة مثقال مسك ومائة مثقال عنبر * وكان عبد العزيز بن عبد الله جوادا مضيافا فتغدى عنده اعرابى يوما فلما كان من الغد حضر على بابه فرأى الناس فى الدخول على هيئتهم بالأمس فقال أوكل يوم يطعم الأمير الناس قالوا نعم فأنشأ يقول

كل يوم كأنه عيد أضحى * عند عبد العزيز أو عيد فطر
وله ألف جفنة مترعات * كل قدر يمدها ألف قدر

وتعشى الناس ليلة عند سعيد بن العاص فلما خرجوا بقى فتى من الشام قاعدا فقال له سعيد ألك حاجة وأطفأ الشمعة كراهة أن يخجل الفتى فذكر ان أباه مات وخلف دينا وعيالا وسأله ان يكتب له كتابا الى أهل دمشق ليقوموا ببعض اصلاح حاله فدفع له عشرة آلاف دينار وقال له لاأدعك تقاسى الذل على أبوابهم * ودخل رجل على على بن سليمان الوزير فقال له سألتك بالله العظيم ونبيه الكريم الاما اجرتنى من خصمى فقال ومن خصمك حتى أجيرك منه فقال الفقر فاطرق الوزير ساعة وقال قد امرت لك بمائة ألف درهم فاخذها وانصرف فبينما هو فى الطريق اذ أمر الوزير برده اليه فلما رجع قال له سألتك بالله العظيم ونبيه الكريم متى أتاك خصمك معنفا فارجع الينا متظلما * وقال الاعمش كانت عندى شاة فمرضت وفقدت الصبيان لبنها فكان خيثمة بن عبد الرحمن يعودها بالغداة والعشى ويسألنى هل استوفت علفها وكيف صبر الصبيان منذ فقدوا لبنها وكان تحتى لبد أجلس عليه فكان اذا خرج يقول خذ ما تحت اللبد حتى وصل الى من علة الشاة أكثر من ثلثمائة دينار من بره حتى تمنيت ان الشاة لم تبرأ (وحكى) أبو قدامة القشيرى قال كنا مع يزيد بن مزيد يوما فسمع صائحا يقول يايزيد بن مزيد فطلبه فأتى به اليه فقال ما حملك على هذا الصياح قال فقدت دابتى ونفدت نفقتى وسمعت قول الشاعر

اذا قيل من للجود والمجد والندى * فنادى بصوت يايزيد بن مزيد

فأمر له بفرس أبلق كان معجبا به وبمائة دينار وخلعة سنية فأخذها وانصرف (وحكى) ان قوما من العرب جاؤا الى قبر بعض أسخيائهم يزورونه فباتوا عند قبره فرأى رجل منهم صاحب القبر فى المنام وهو يقول له هل لك أن تبيعنى بعيرك بنجيبى وكان الميت قد خلف نجيبا وكان للرائى بعير سمين فقال نعم وباعه فى النوم بعيره بنجيبه فلما وقع بينهما عقد البيع عمد صاحب القبر الى البعير فنحره فى النوم فانتبه الرائى من نومه فوجد الدم يسيح من نحر بعيره فقام وأتم نحره وقطع لحمه وطبخوه وأكلوا ثم رحلوا وساروا فلما كان اليوم الثانى وهم فى الطريق سائرون استقبلهم ركب فتقدم منهم شاب فنادى هل فيكم فلان بن فلان فقال صاحب البعير نعم ها أنا فلان بن فلان فقال هل بعت من فلان الميت شيأ قال نعم بعته بعيرى بنجيبه فى النوم فقال هذا نجيبه فخذه وأنا ولده وقد رأيته فى النوم وهو يقول ان كنت ولدى فادفع نجيبى الى فلان فانظر الى هذا الرجل الكريم كيف أكرم أضيافه بعد موته (وروى) عن الهيثم بن عدى أنه قال تمارى ثلاثة نفر فى الأجواد فقال رجل أسخى الناس فى عصرنا هذا عبد الله بن جعفر فقال الآخر أسخى الناس قيس بن سعد بن عبادة فقال

الآخر

ثم فتلوه كى يكونوا مكانه

فكما غدرت يوما بكسرى مرازبه

فوثب المأمون مغضبا فقالت له زبيدة أحرمنى الله اجره ان كنت دسسته اليها أو لقنتها فصدقها وانصرف (ومن ذلك) ان المعتصم لما فرغ من بناء قصر له أدخل الناس عليه فاستأذن اسحق بن ابراهيم فى الانشاء فأذن له فأنشد

يادار غيرك البلى ومحاك
ياليت شعرى ما الذى أبلاك

فتطير المعتصم وجميع من حضر المجلس وتعجبوا كيف يصدر من مثل اسحق هذا التغفل المفرط ولم يجتمع بعد ذلك بالدار اثنان (ومن لطائف المنقول عن الحمقى والمغفلين) أن عيسى بن صالح تولى قنسرين والعواصم للرشيد وكان من الحمق على جانب عظيم قال بعضهم أتانى رسوله بالليل فأمرنى بالحضور فتوهمت ان كتابا جاءه من أمير المؤمنين فى مهم احتاج فيه الى حضور مثلى فركبت الى داره فلما دخلت سألت الحجاب هل ورد كتاب من الخليفة أو حدث أمر فقالوا لا فامضيت الى الخدم فسألتهم فقالوا مثل مقالة الحجاب فصرت الى الموضع الذى هو فيه فقال لى ادخل ليس عندى أحد فدخلت فوجدته على فراشه فقال اعلم انى سهرت الليلة مفكرا فى أمر الى ساعتى هذه فقلت وما هو الأمر أصلح الله الأمير قال اشتهيت أن يصيرنى الله حورية فى الجنة ويجعل زوجى يوسف الصديق فطال لذلك فكرى فقلت له هلا اشتهيت محمدا صلى الله عليه وسلم أن يكون زوجك فانه سيد الأنبياء عليهم السلام فقال لاتظن انى لم أفكر فى هذا قد فكرت فيه ولكنى كرهت أن أغيظ عائشة رضى الله عنها (ومن لطائف المنقول عن المغفلين من الاعراب) قيل لاعرابى خلف

الآخر بل أسخى الناس اليوم عرابة الأوسي فتنازعوا بفناء الكعبة فقال لهم رجل لقد أفرطتم في الكلام فليمض كل واحد منكم الى صاحبه يسأله حتى تنظر بما يعود فنحكم على العيان فقام صاحب ابن جعفر فوافاه وقد وضع رجله في ركاب راحلته يريد ضيعة له فقال الرجل يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن سبيل ومنقطع به قال فأخرج رجله وقال ضع رجلك واستو على الناقة وخذ ما في الحقيبة وكان فيها مطارف خز وأربعة آلاف دينار ومضى صاحب قيس فوجده نائما فقالت له جارية لقيس ما حاجتك فقال ابن سبيل ومنقطع به فقالت له الجارية حاجتك أهون من ايقاظه هذا كيس فيه سبعمائة دينار ما في دار قيس اليوم غيرها وامض الى معاطن الابل فخذ راحلة من رواحله وما يصلحها وعبدا وامض لشأنك قيل ان قيسا لما انتبه أخبرته الجارية بما صنعت فأعتقها ولولم تعلم أن ذلك يرضيه ما جسرت أن تفعله لخلق خدم الرجل مقتبس من خلقه قال بعض الشعراء

واذا ما اختبرت ود صديق * فاختبروه من الغلمان

ومضى صاحب عرابة فوجده قد خرج من منزله يريد الصلاة فقال يا عرابة ابن سبيل ومنقطع به وكان معه عبدان فصفق بيده اليمنى على اليسرى وقال أواه أواه والله ما أصبح ولا أمسى الليلة عند عرابة شيء ولا تركت له الحقوق مالا ولكن خذ هذين العبدين فقال الرجل والله ما كنت بالذي يسلبك عبديك فقال ان أخذتهما والا فهما حران لوجه الله تعالى فان شئت فخذ وان شئت فأعتق فأخذ الرجل العبدين ومضى ثم اجتمعوا وذكروا قصة كل واحد فحكموا لعرابة لأنه أعطى على جهد * قيل ان شاعرا قصد خالد بن يزيد فأنشده شعرا يقول فيه

سألت الندى والجود حران أنتما * فقالا يقينا اننا العبيد

فقلت ومن مولاكما فتطاولا * الي وقالا خالد ويزيد

فقال يا غلام اعطه مائة ألف درهم وقل له ان زدتنا زدناك فأنشد يقول

كريم كريم الأمهات مهذب * تدفق يمناه الندى وشمائله

هو البحر من أي الجهات أتيته * فلجته المعروف والجود ساحله

جواد بسيط الكف حتى لو انه * دعاها لقبض لم تجبه أنامله

فقال يا غلام اعطه مائة ألف درهم وقل له ان زدتنا زدناك فأنشد يقول

تبرعت لي بالجود حتى نعشتني * وأعطيتني حتى حسبتك تلعب

وأنبت ريشا في الجناحين بعدما * تساقط مني الريش أو كاد يذهب

فأنت الندى وابن الندى وأخو الندى * حليف الندى ما للندى عنك مذهب

فقال يا غلام اعطه مائة ألف درهم وقل له ان زدتنا زدناك فقال حسب الامير ما سمع وحسبي ما أخذت وانصرف (وأما الذين انتهى اليهم الجود في الجاهلية) فهم حاتم بن عبد الله الطائي وهرم بن سنان وخالد بن عبيد الله وكعب بن مامة الايادي وضرب المثل بحاتم وكعب وحاتم أشهرهما * فاما كعب فجاد بنفسه وآثر رفيقه بالماء في المفازة ومات عطشا وليس له خبر مشهور * وأما خالد بن عبيد الله فانه جاءه اليه بعض الشعراء ورجله في الركاب يريد الغزو فقال له اني قلت فيك بيتين من الشعر فقال في مثل هذا الحال قال نعم فقال هاتهما فأنشد يقول

ياواحد العرب الذي * ما في الأنام له نظير لو كان مثلك آخر * ما كان في الدنيا فقير

فقال يا غلام اعطه عشرين ألف دينار فأخذها وانصرف * وأما حاتم فأخباره كثيرة وآثاره في الجود شهيرة ويكنى أبا سفانة وأبا عدي وكان يسير في قومه بالمرباع والمرباع ربع الغنيمة وكان ولده عدي يعادي النبي صلى الله عليه وسلم فبعث النبي صلى الله عليه وسلم عليا الى طيء فهرب عدي بأهله وولده ولحق بالشام وخلف أخته سفانة فأسرتها خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما أتي بها الى النبي صلى الله عليه وسلم قالت هلك الوالد وغاب الرافد فان رأيت أن تخلي عني ولا تشمت بي أحياء العرب فان أبي كان سيد قومه يفك العاني ويقتل الجاني ويحفظ الجار ويحمي الذمار ويفرج عن المكروب ويطعم الطعام ويفشي السلام ويحمل الكل ويعين على نوائب الدهر وما أتاه أحد في حاجة فرده خائبا أنا بنت حاتم الطائي فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم يا جارية هذه صفات المؤمنين حقا لو كان أبوك مسلما لترحمنا

بعض الائمة في الصف الاول وكان اسم الاعرابي مجرما فقرأ الامام والمرسلات عرفا فلما بلغ الى قوله تعالى ألم نهلك الاولين تأخر الاعرابي الى الصف الاخير فقال ثم نتبعهم الآخرين فرجع الى الصف الاوسط فقال كذلك نفعل بالمجرمين فولى هاربا وهو يقول والله ما المطلوب غيري (ومثله) صلى اعرابي خلف امام صلاة الصبح فقرأ الامام سورة البقرة وكان الاعرابي مستعجلا ففاته مقصوده فلما كان من الغد بكر الى المسجد فابتدأ فقرأ سورة الفيل فقطع الاعرابي الصلاة وولى هاربا وهو يقول أمس قرأت سورة البقرة فلم تفرغ منها الى نصف النهار واليوم تقرأ سورة الفيل ما أظنك تفرغ منها الى الليل (ومنه) كان اعرابي قائما يصلي فأخذ قوم يصفونه بالصلاح وهو يسمع فقطع الصلاة وقال وأنا مع هذا صائم (ومنه) دخل خالد بن صفوان الحمام وفي الحمام رجل ومعه ابنه فأراد الرجل أن يعرف خالدا ما عنده من البيان والنحو فقال يا بني ابدأ بيداك ورجلاك ثم التفت الى خالد فقال له يا أبا صفوان هذا كلام قد ذهب أهله فقال خالد هذا كلام ما خلق الله له أهلا (ومن لطائف المنقول عن المغفلين من الشعراء) ان بعضهم دخل مسجد الكوفة يوم الجمعة وقد غاب خبر المهدي أنه مات وهم يتوقعون قراءة الكتاب عليهم بذلك فقال رافعا صوته

مات الخليفة أيها الثقلان

فقالوا هذا أشعر الناس فانه نعى الخليفة الى الانس والجن في نصف بيت ومدت الناس أبصارهم وأسماعهم اليه فقال *فكأنني أفطرت في رمضان* قال فضحك الناس وصار شهرة في الحمق (ومثله) ان سيف الدولة بن حمدان انصرف من حرب وقد نصر على عدوه فدخل

عليه فخلوا عنها فان أباها كان يحب مكارم الاخلاق وقال فيها ارحموا عزيزا ذل وغنيا افتقر وعالما ضاع بين جهال فأطلقها ومن عليها فاستأذنته في الدعاء له فأذن لها وقال لأصحابه اسمعوا وعوا فقالت أصاب الله ببرك مواقعه ولا جعل لك الى لئيم حاجة ولا سلب نعمة عن كريم قوم الا وجعلك سببا في ردها عليه فلما أطلقها صلى الله عليه وسلم رجعت الى قومها فأتت أخاها عديا وهو بدومة الجندل فقالت له يا أخي ائت هذا الرجل قبل أن تعلقك حبائله فاني قد رأيت هديا ورأيا سيغلب أهل الغلبة رأيت خصالا تعجبني رأيته يحب الفقير ويفك الأسير ويرحم الصغير ويعرف قدر الكبير وما رأيت أجود ولا أكرم منه صلى الله عليه وسلم واني أرى أن تلحق به فان يك نبيا فللسابق فضله وان يك ملكا فلن تذل في عز اليمن فقدم عدي الى النبي صلى الله عليه وسلم فألقى له وسادة محشوة ليفا وجلس النبي صلى الله عليه وسلم على الارض فأسلم عدي بن حاتم وأسلمت أخته سفانة بنت حاتم المتقدم ذكرها وكانت من أجود نساء العرب وكان أبوها يعطيها الضريبة من ابله فتهبها وتعطيها الناس فقال لها أبوها يا بنية ان الكريمين اذا اجتمعا في المال أتلفاه فاما أن أعطي وتمسكي واما أن أمسك وتعطي فانه لا يبقى على هذا شيء فقالت له منك تعلمت مكارم الاخلاق قال ابن الاعرابي كان حاتم الطائي من شعراء الجاهلية وكان جوادا يشبه جوده شعره ويصدق قوله فعله وكان حيثما نزل عرف منزله وكان مظفرا اذا قاتل غلب واذا سئل وهب واذا سابق سبق واذا أسر أطلق وكان اذا أهل رجب الذي كانت تعظمه مضر في الجاهلية نحر كل يوم عشرا من الابل وأطعم الناس واجتمعوا اليه وكان قد تزوج ماوية بنت عفير وكانت تلومه على اتلاف المال فلا يلتفت لقولها وكان لها ابن عم يقال له مالك فقال لها يوما ما تصنعين بحاتم فوالله لئن وجد مالا ليتلفنه وان لم يجد ليتكلفن ولئن مات ليتركن أولاده عالة على قومك فقالت ماوية صدقت انه كذلك وكانت النساء يطلقن الرجال في الجاهلية وكان طلاقهن ان يكن في بيوت من شعر فان كان باب البيت من قبل المشرق حولته الى المغرب وان كان من قبل المغرب حولته الى المشرق وان كان من قبل اليمن حولته الى الشام وان كان من قبل الشام حولته الى اليمن فاذا رأى الرجل ذلك علم انها طلقته فلم يأتها ثم قال لها ابن عمها طلقي حاتما وأنا أتزوجك وأنا خير لك منه وأكثر مالا وأنا أمسك عليك وعلى ولدك فلم يزل بها حتى طلقته فأتاها حاتم وقد حولت باب الخباء فقال حاتم لولده يا عدي ما ترى ما فعلت أمك فقال قد رأيت ذلك قال فأخذ ابنه وهبط بطن واد فنزل فيه فجاء قوم فنزلوا على باب الخباء كما كانوا ينزلون وكانت عدتهم خمسين فارسا فضاقت بهم ماوية ذرعا وقالت لجاريتها اذهبي الى ابن عمي مالك وقولي له ان أضيافا لحاتم قد نزلوا بنا وهم خمسون رجلا فأرسل الينا بشيء نقريهم ولبن نسقيهم وقالت لها انظري الى جبينه وفمه فان شافهك بالمعروف فاقبلي منه وان ضرب بلحيته على زوره وأدخل يده في رأسه فاقبلي ودعيه فلما أتته وجدته متوسدا وطبا من لبن فأيقظته وبلغته الرسالة وقالت له انما هي الليلة حتى يعلم الناس مكان حاتم فلطم رأسه بيده وضرب بلحيته وقال اقرئيها السلام وقولي لها هذا الذي أمرتك أن تطلقي حاتما لاجله وما عندي لبن يكفي أضياف حاتم فرجعت الجارية فأخبرتها بما رأت وبما قال لها فقالت لها اذهبي الى حاتم وقولي له ان أضيافك قد نزلوا بنا الليلة ولم يعلموا مكانك فأرسل الينا بناقة نقريهم ولبن نسقيهم فأتت الجارية حاتما فصاحت به فقال لبيك قريبا دعوت فأخبرته بما جاءت بسببه فقال لها حبا وكرامة ثم قام الى الابل فأطلق اثنتين من عقالهما وصاح بهما حتى أتيا الخباء ثم ضرب عراقيبهما فطفقت ماوية تصيح هذا الذي طلقتك بسببه تترك أولادنا وليس لهم شيء فقال لها ويحك يا ماوية الذي خلقهم وخلق الخلق متكفل بأرزاقهم وكان اذا اشتد البرد وغلب الشتاء أمر غلمانه بنار فيوقدونها في بقاع الارض لينظر اليها من ضل عن الطريق ليلا فيقصدها ولم يكن حاتم يمسك شيأ ما عدا فرسه وسلاحه فانه كان لا يجود بهما ثم جاد بفرسه في سنة مجدبة ❊وحكى❊ ان ملكان بن أخي معاوية قال قلت لها يوما يا عمة حدثيني ببعض عجائب حاتم وبعض مكارم أخلاقه فقالت يا ابن أخي أعجب ما رأيت منه أصابت الناس سنة أذهبت الخف والظلف وقد أخذني واياه الجوع وأسهرنا فأخذت سفانة وأخذ عديا وجعلنا نعللهما حتى ناما فاقبل علي يحدثني ويعللني بالحديث حتى أنام فرققت به لما به من الجوع فامسكت عن كلامه لينام فقال لي أنمت فلم أجبه فسكت ونظر في فناء الخباء فاذا شيء قد أقبل فرفع رأسه فاذا امرأة فقال ما هذا فقالت يا أبا عدي أتيتك من عند صبية يتعاوون كالكلاب أو كالذئاب جوعا فقال لها احضري صبيانك فوالله لاشبعنهم فقامت

عليه الشعراء فأنشدوه فدخل معهم رجل شامي فأنشده

وكانوا كفأر وسوسوا خلف حائط
وكنت كسنور عليهم تسقفا

فأمر باخراجه فقام على الباب يبكي فأخبر سيف الدولة ببكائه فرق له وأمر برده وقال له ما لك تبكي قال قصدتك ولانا بكل ما اقدر عليه أطلب منه بعض ما تقدر عليه فلما خاب أملي بكيت فقال سيف الدولة ويلك فمن يكون له مثل هذا النسل يكون له ذلك النظم وكم كنت أملت قال خمسمائة درهم فأمر له بألف درهم فأخذها وانصرف ❊ومن المنقول عن المغفلين على الاطلاق❊ قال بعضهم دخلت مسجد دمشق فاذا أنا بجماعة عليهم سمة العلم فجلست اليهم وهم ينتقصون من علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقمت من عندهم مغضبا فرأيت شيخا جميلا يصلي فظننت به الخير فجلست اليه فقلت له يا عبد الله أما ترى هؤلاء القوم يشتمون علي بن أبي طالب وينتقصونه وهو زوج فاطمة الزهراء وابن عم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فقال لي يا عبد الله لو نجا أحد من الناس لنجا منهم أبو محمد رحمه الله تعالى قال فقلت ومن أبو محمد قال الحجاج بن يوسف وجعل يبكي فقمت من عنده وحلفت لا أقيم بها (ومن ذلك) أن رجلا سأل بعضهم وكان من الحمق على جانب عظيم فقال أيما أفضل عندك معاوية أو عيسى بن مريم فقال ما رأيت سائلا اجهل منك ولا سمعت بن قاس كاتب الوحي الى نبي النصارى (ومن ذلك) أن لصا تسور روزنة بيت وكان اللص مغفلا فنظر من خلال الروزنة فوجد رجلا وزوجته وهي تقول له يا رجل من أين اكتسبت هذا المال العظيم فقال لها كنت لصا وكنت اذا تسورت روزنة بيت صبرت الى أن

سريعة لاولادها فرفعت رأسي وقالت له يا حاتم عماذا تشبع أطفالها فوالله ما نام صبيانك من الجوع الا بالتعليل فقال والله لأشبعنك وأشبعن صبيانك وصبيانها فلما جاءت المرأة نهض قائما وأخذ المدية بيده وعمد الى فرسه فذبحه ثم أجج نارا ودفع اليها شفرة وقال قطعي واشوي وكلي واطعمي صبيانك فأكلت المرأة وأشبعت صبيانها فأيقظت أولادي وأكلت وأطعمتهم فقال والله ان هذا لهو اللؤم تأكلون وأهل الحي حالهم مثل حالكم ثم أتى الحي بيتا بيتا يقول لهم انهضوا عليكم بالنار فاجتمعوا حول الفرس وتقنع حاتم بكسائه وجلس ناحية فوالله ما أصبحوا وعلى وجه الارض منها قليل ولا كثير الا العظم والحافر ولا والله ما ذاقها حاتم وانه لاشدهم جوعا وأخباره كثيرة مشهورة ومن شعره

أماوى ان المال غاد ورائح * ويبقى من المال الاحاديث والذكر
وقد علم الاقوام لو أن حاتما * أراد ثراء المال كان له وفر

وأغار قوم على طيئ فركب حاتم فرسه وأخذ رمحه ونادى في جيشه وأهل عشيرته ولقي القوم فهزمهم وتبعهم فقال له كبيرهم يا حاتم هب لي رمحك فرمى به اليه فقيل لحاتم عرضت نفسك للهلاك ولو عطف عليك لقتلك فقال قد علمت ذلك ولكن ما جواب من يقول هب لي ولما مات عظم على طيئ موته فادعى أخوه انه يخلفه فقالت له أمه هيهات شتان والله ما بين خلقتيكما وضعته فبقي والله سبعة أيام لا يرضع حتى ألقمت احدى ثديي طفلا من الجيران وكنت أنت ترضع ثديا ويدك على الآخر فأنى لك ذلك قال الشاعر

يعيش الندى ما عاش حاتم طيئ * وان مات قامت للسخاء مآتم

وكانت العرب تسمى الكلب داعي الضمير ومتمم النعم ومشيد الذكر لما يجلب من الاضياف بنباحه والضمير والغريب وكانوا اذا اشتد البرد وهبت الرياح ولم تشب النيران فرقوا الكلاب حوالي الحي وربطوها الى العمد تستوحش فتنبح فتهتدي الضلال وتأتي الاضياف على نباحها والحكايات في ذكر الاجواد والكرماء والاسخياء وأهل المعروف وما كانوا عليه من السخاء والكرم أكثر من أن تحصر وأشهر من أن تذكر ففي مثل هذه المناقب فليتنافس المتنافسون ولمثلها فليعمل العاملون فان فيها عز الدنيا وشرف الآخرة وحسن الصيت وخلود جميل الذكر فانا لم نجد شيأ يبقى على عمر الدهر الا الذكر حسنا كان أو قبيحا وقد قال الشاعر

ولا شئ يدوم فكن حديثا * جميل الذكر فالدنيا حديث

فانتهز فرصة العمر ومساعدة الدنيا ونفوذ الامر وقدم لنفسك كما قدموا واتذكر بالصالحات كما ذكروا وادخر نفسك في القيامة كما ادخروا واعلم أن المأكول للبدن والموهوب للمعاد والمتروك للعدو فاختر أي الثلاث شئت وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿الباب الرابع والثلاثون في البخل والشح وذكر البخلاء وأخبارهم وما جاء عنهم﴾

قال الله تعالى الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله الآية وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اياكم والشح فان الشح أهلك من كان قبلكم وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال البخل جامع لمساوي القلوب وهو زمام يقاد به الى كل سوء وقالت أم البنين أخت عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنهما لو كان البخل قميصا ما لبسته أو كان طريقا ما سلكته * وقيل بخلاء العرب أربعة الحطيئة وحميد الارقط وأبو الاسود الدؤلي وخالد بن صفوان * فأما الحطيئة فمر به انسان وهو على باب داره وبيده عصا فقال أنا ضيف فأشار الى العصا وقال لكعاب الضيفان أعددتها * وأما حميد الارقط فكان هجاء للضيفان فحاشا عليهم نزل به مرة أضياف فأطعمهم تمرا وهجاهم وذكر أنهم أكلوه بنواه * وأما أبو الاسود فتصدق على سائل بتمرة فقال له جعل الله نصيبك من الجنة مثلها وكان يقول لو أطعنا المساكين في أموالنا كنا أسوأ حالا منهم * وأما خالد بن صفوان فكان يقول للدرهم اذا دخل عليه يا عيار كم تعير وكم تطوف وتطير لأطيلن حبسك ثم يطرحه في الصندوق ويقفل عليه فقيل له لم لا تنفق ومالك عريض فقال الدهر أعرض منه وأنشد بعضهم

وهبني جمعت المال ثم خزنته * وحانت وفاتي هل أزاد به عمرا
اذا خزن المال البخيل فانه * سيورثه غما ويعقبه وزرا

واستأذن حنظلة على صديق له بخيل فقيل هو محموم فقال كلوا بين يديه حتى يعرق وكتب سهل بن هرون كتابا

يطلع القمر فاذا طلع اعتنقت الضوء الذي في الروزنة وتدليت بلا حبل وقلت شولم شولم ونزلت فآخذ جميع ما في البيت ولا تبقى ذخيرة من ذخائر البيت الا ظهرت لي ثم أقول شولم شولم وأصعد في الضوء ولا ينتبه أحد من أهل البيت وأذهب بلا تعب ولا كلفة فسمع اللص ذلك فصبر الى أن طلع القمر ونام أهل البيت فتعلق في ضوء الروزنة فوقع وتكسرت أضلاعه فقام اليه صاحب البيت وقبض عليه وأسلمه الى صاحب الشرطة (ومنهم) من كان يسوق عشرة حمير فركب واحدا منها وعدها فاذا هي تسعة حمر فنزل وعدها فاذا هي عشرة فقال أمشي وأربح حمارا خير من أن أركب وأخسر حمارا فمشى حتى كاد يتلف الى أن بلغ قريته (ومنهم) من مات بعض أقاربه فقيل له لم لا تبعت جنازته فقال هذا الكلام ما يقوله عاقل أكون منسيا فاذكر بنفسي (ومن ذلك) أن بعض المغفلين سمع رجلا ينشد

وكان بنو عمي يقولون مرحبا
فلما رأوني معدما مات مرحب

فقال كذب الشاعر مرحب قتله علي بن أبي طالب ولم يمت الا قتيلا (ومنهم) من باع دارا وكان يؤذن بباب مسجد بالقرب منها فانسي انه باعها فصلى ورجع اليها ودخل من الباب فصاحت النسوة وقلن له يا رجل اتق الله فينا فقال اعذروني فاني ولدت في هذا الدار ولم أذكر البيع (ومنهم) من رأى جاريته تحت رجل يجامعها فقال لها يا جارية ما حملك على هذا فقالت له يا مولاي حلفني بحياة رأسك وأنت تعلم صدق محبتي لك فسكت (ومنهم) من سمع أن صوم يوم عرفة يعدل صوم سنة فصام الى الظهر وقال يكفيني ستة أشهر (ومنهم) من جاء الى الجب

في مدح البخل وأهداه الى الحسن بن سهل فوقع على ظهره قد جعلنا ثوابك عليه ما أمرت به فيه وقال ابن أبي فنن

ذريني واتلافي لمالي فانني * أحب من الاخلاق ما هو أجمل
وان أحق الناس باللوم شاعر * يلوم على البخل الرجال ويبخل

وكان عمر بن يزيد الأسدي بخيلا جدا أصابه القولنج في بطنه فحقنه الطبيب بدهن كثير فانحل ما في بطنه في الطست فقال لغلامه اجمع الدهن الذي نزل من الحقنة وأسرج به وكان المنصور شديد البخل جدا مر به مسلم الحادي في طريقه الى الحج فحداله يوما بقول الشاعر

أغر بين الحاجبين نوره * يزينه حياؤه وخيره ومسكه يشوبه كافوره * اذا تغدى رفعت ستوره

فطرب حتى ضرب برجله المحمل ثم قال يا ربيع أعطه نصف درهم فقال مسلم نصف درهم يا أمير المؤمنين والله لقد حدوت لهشام فأمر لي بثلاثين ألف درهم فقال تأخذ من بيت مال المسلمين ثلاثين ألف درهم يا ربيع وكل به من يستخلص منه هذا المال قال الربيع فما زلت أمشي بينهما وأروضه حتى شرط مسلم على نفسه أن يحدوله في ذهابه وايابه بغير مؤنة وكان أبو العتاهية ومروان بن أبي حفصة بخيلين يضرب ببخلهما المثل قال مروان ما فرحت بشيء أشد مما فرحت بمائة ألف درهم وهبها الى المهدي فوزنتها فرجحت درهما فاشتريت به لحما واشترى يوما لحما بدرهم فلما وضعه في القدر دعاه صديقه فرد اللحم على القصاب بنقصان دانقين فجعل القصاب ينادي على اللحم ويقول هذا لحم مروان واجتاز يوما باعرابية فأضافته فقال ان وهب لي أمير المؤمنين مائة ألف درهم وهبت لك درهما فوهبه سبعين ألف درهم فوهبها أربعة دوانق * ومن الموصوفين بالبخل أهل مرو يقال ان من عادتهم اذا ترافقوا في سفر أن يشتري كل واحد منهم قطعة لحم ويشكها في خيط ويجمعون اللحم كله في قدر ويمسك كل واحد منهم طرف خيطه فاذا استوى جر كل منهم خيطه وأكل لحمه وتقاسموا المرق وقيل لبخيل من أشجع الناس قال من سمع وقع أضراس الناس على طعامه ولم تنشق مرارته وقيل لبعضهم أما يكسوك محمد بن يحيى فقال والله لو كان له بيت مملوء ابرا وجاءه يعقوب ومعه الأنبياء شفعاء والملائكة ضمناء فيستعير منه ابرة ليخيط بها قميص يوسف الذي قد من دبر ما أعاره اياها فكيف يكسوني وقد نظم ذلك من قال

لو أن دارك أنبتت لك واحتشت * ابرا يضيق بها فناء المنزل
وأتاك يوسف يستعيرك ابرة * ليخيط قد قميصه لم تفعل

وكان المتنبي بخيلا جدا امدحه انسان بقصيدة فقال كم أملت منا على مدحك قال عشرة دنانير قال له والله لو ندفت قطن الأرض بقوس السماء على جباه الملائكة ما دفعت لك دانقا وقال دعبل كنا عند سهل بن هرون فلن نبرح حتى كاد يموت من الجوع فقال ويلك يا غلام آتنا غداءنا فأتى بقصعة فيها ديك مطبوخ تحته ثريد قليل فتأمل من الديك فرآه بغير رأس فقال لغلامه وأين الرأس فقال رميته فقال والله اني لأكره من يرمي برجله فكيف برأسه ويحك أما علمت أن الرأس رئيس الأعضاء ومنه يصيح الديك ولولا صوته ما أريد وفيه فرقه الذي يتبرك به وعينه التي يضرب بها المثل فيقال شراب كعين الديك ودماغه عجيب لوجع الكلية ولم نر عظما أهش تحت الأسنان من عظم رأسه وهبك ظننت أني لا آكله أما قلت عنده من يأكله انظر في أي مكان رميته فأتني به فقال والله لا أدري أين رميته فقال لكني أنا أعرف أين رميته رميته في بطنك الله حسبك وقيل من الناس من يبخل بالطعام ويجود بالمال وبالعكس قال بعضهم في أبي دلف

أبودلف يضيع ألف ألف * ويضرب بالحسام على الرغيف
أبودلف لطبخه قتار * ولكن دونه سل السيوف

واشتكى رجل مروزي صدره من سعال فوصفوا له سويق اللوز فاستثقل النفقة ورأى الصبر على الوجع أخف عليه من الدواء فبينما هو يماطل الأيام ويدفع الآلام اذ أتاه بعض أصدقائه فوصف له ماء النخالة وقال انه يجلو الصدر فأمر بالنخالة فطبخت له وشرب من مائها فجلا صدره ووجده يعصم فلما حضر غداؤه أمر به فرفع الى العشاء وقال لامرأته اطبخي لأهل بيتنا النخالة فاني وجدت ماءها يعصم ويجلو الصدر فقالت لقد جمع الله لك بهذه النخالة بين دواء وغذاء فالحمد لله على هذه النعمة * وعن خاقان بن صبيح قال دخلت على رجل من أهل خراسان ليلا فأتانا بسرجة فيها فتيلة في غاية الرقة وقد علق فيها عود الخيط فقلت له ما بال هذا العود

ونظر فيه فرأى خيال وجهه فذهب الى أمه وقال يا أمي في الجب لص فجاءت الام فتطلعت فيه فرأت خيال وجهها فقالت صدقت ومعه قحبة (ومنهم) من دعا فقال اللهم اغفر لي ولامي ولاختي ولامرأتي فقيل له لم تركت ذكر أبيك قال لانه مات وأنا صبي لم أدركه (وقال) رجل لرجل كم في هذا الشهر يوم فنظر وقال والله لست من أهل هذه المدينة (ومن ذلك) ان هشام بن عبد الملك عرض الجند فتقدم رجل حمصي بفرس كلما اقدمه يتأخر فقال له هشام ما هذا قال يا سيدي فاره ولكنه شبهك ببيطار كان يعالجه فنفر (ومنهم) من قيل له عندك مال جزيل وليس لك الا والدة عجوز وان مت ورثتك فافسدت مالك فقال انها لا ترثني قيل وكيف قال لان أبي طلقها قبل أن يموت (ومنهم) من جاء اليه جماعة يسألونه في كفن لجار له مات فقال ما عندي الآن شيء ولكن عاودوني في وقت آخر قالوا أفنملحه الى أن يتيسر عندك شيء (ومنهم) من تقدم يصلي المغرب بجماعة فأطال القيام فلما فرغ من الصلاة سجد سجدتي السهو ولم يكن سها فقيل نحن أنكرنا عليك طول القراءة فالجواب عن سجدتي السهو ولم تكن سهوت فقال ذكرت اني صليت بكم على غير وضوء فسجدت للسهو (ومن ذلك) ان عبدا كان بين اثنين في الشركة فجعل أحدهما يضربه فلامه شريكه فقال انما ضربت حصتي (ومنهم) من قيل له كيف صنعتم في رمضان فقال اجتمعنا ثلاثين فانفذناه في يوم واحد واسترحنا منه (قال الاصمعي) خرج جماعة من بني غفار ومعهم رجل مغفل فاصابتهم ريح في البحر أيسوا معها من الحياة فاعتق كل واحد منهم مملوكا أو مملوكة فقال ذلك الرجل اللهم انك تعلم اني ليس

مربوطا قال قد شرب الدهن واذا ضاع ولم نحفظه احتجنا الى غيره فلا نجد الاعواد عطشانا ونخشى أن يشرب الدهن قال فبينما أنا أتعجب وأسأل الله العافية اذ دخل علينا شيخ من أهل مرو فنظر الى العود فقال للرجل يافلان لقد فررت من شئ ووقعت فيما هو شر منه أما علمت أن الريح والشمس يأخذان من سائر الأشياء وينشفان هذا العود لم لا اتخذت مكان هذا العود ابرة من حديد فان الحديد أملس وهو مع ذلك غير نشاف والعود أيضا ربما يتعلق به شعرة من قطن الفتيلة فينقصها فقال له الرجل الخراساني أرشدك الله ونفع بك فلقد كنت فى ذلك من المسرفين * وقال الهيثم بن عدى نزل على أبي حفصة الشاعر رجل من اليمامة فأخلى له المنزل ثم هرب مخافة ان يلزمه قراه فى هذه الليلة فخرج الضيف واشترى ما احتاج اليه ثم رجع وكتب اليه

يا أيها الخارج من بيته * وهاربا من شدة الخوف
ضيفك قد جاء بزاد له * فارجع وكن ضيفا على الضيف

واشترى رجل من البخلاء دارا وانتقل اليها فوقف ببابه سائل فقال له فتح الله عليك ثم وقف ثانيا فقال له مثل ذلك ثم وقف ثالثا فقال له مثل ذلك ثم التفت الى ابنته فقال لها ما أكثر السؤال فى هذا المكان قالت يا أبت مادمت مستمسكا لهم بهذه الكلمة فما تبالى أكثروا أم قلوا * وألأم اللئام وأبخلهم حميد الأرقط الذى يقال له هجاء الأضياف وهو القائل فى ضيف له يصف أكله بهذا البيت من قصيدة له

مابين لقمته الأولى اذا انحدرت * وبين أخرى تليها قيد اظفور

(وقال فيه أيضا) تجهز كفاه ويحدر حلقه * الى الزور ماضمت عليه الأنامل

وأكل اعرابى مع أبي الأسود رطبا فأكثر ومد أبو الأسود يده الى رطبة ليأخذها فسبقه الاعرابى اليها فسقطت منه فى التراب فأخذها أبو الاسود وقال لا أدعها للشيطان يأكلها فقال الاعرابى والله ولا لجبريل وميكائيل لو نزلا من السماء ماتركتها وقال اعرابى لنزيل نزل به نزلت بواد غير ممطور ورجل بك غير مسرور فاقم بعدم أو ارحل بندم (ولحمدونى)

رأيت أبا زرارة قال يوما * لحاجبه وفى يده الحسام
لئن وضع الخوان ولاح شخص * لاختطفن رأسك والسلام
فقال سوى أبيك فذاك شيخ * بغيض ليس يردعه الكلام
فقام وقال من حنق اليه * ببيت لم يردفيه القيام
أبى وابنا أبى والكلب عندى * بمنزلة اذا حضر الطعام
وقال له ابن لى يا ابن كلب * على خبزى أصادر أو أضام
اذا حضر الطعام فلا حقوق * على لوالدى ولا ذمام
فما فى الأرض أقبح من خوان * عليه الخبز يحضره الزحام

فاين هذا من القائل

بخيل يرى فى الجود عارا وانما * يرى المرء عارا أن يضن ويبخلا
اذا المرء أثرى ثم لم يرج نفعه * صديق فلاقته المنية اولا

(وقال آخر)

وآمرة بالبخل قلت لها اقصرى * فليس اليه ما حييت سبيل
أرى الناس اخوان الكريم وما أرى * بخيلا له فى العالمين خليل

وقالوا اذا سألت لئيما شيأ فعاجله ولا تدعه يفكر فانه كلما فكر ازداد بعدا وقال ربعى الهمدانى

جمعت صنوف المال من كل وجهة * وما نلتها الا بكف كريم
وانى لأرجو أن أموت وتنقضى * حياتى وما عندى يد للئيم

(وأنشد الجاحظ لأبى الشمقمق)

عن تعلمت هذا * أنت لا تجود بشى * أما مررت بهند * لعبد حاتم طى

(ومما قالته الشعراء فى البخلاء وطعامهم) فمن أهجى ما قيل فيهم بيت جرير فى بنى تغلب

والتغلبى اذا تنحنح للقرى * حك استه وتمثل الامثالا

(وله أيضا فيهم)

قوم اذا أكلوا أخفوا كلامهم * واستوثقوا من رتاج الباب والدار
قوم اذا استنبح الضيفان كلبهم * قالوا لامهم بولى على النار
فتمنع البول شحا أن تجود به * وما تبول لهم الا بمقدار
والخبز كالعنبر الهندى عندهم * والقمح خمسون أردبا بدينار

لى مملوك ولا مملوكة ولكن امرأتى طالق طلقة واحدة لوجهك الكريم (قال ابن الجوزى) فى آخر كتاب الحمقى والمغفلين ان المعلمين للصبيان صناعتهم تكاد أن تكون اكسيرا لقلة العقل وابريز الحماقة (وقال) عدل عقل امرأة سبعين حائكا وعدل عقل حائك سبعين معلما وسبب قلة عقل المعلم انه مع الصبيان بالنهار ومع النساء بالليل (وكان) يحيى بن أكثم لا يقبل شهادة المعلم (وقيل) لصبى مالنا نراك كثير الحمق فقال لو لم أكن كذلك لكنت ولدزنا (وقيل) لمعلم مالك تضرب هذا الصبى ولم يذنب قال انما اضربته قبل أن يذنب لئلا يذنب (وقال) الجاحظ مررت بمعلم وهو يقرئ صبيا واذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يابنى لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا وأكيد كيدا فقلت له ويحك قد أدخلت سورة فى سورة فقال نعم عافاك الله اذا كان أبوه يدخل شهرا فى شهر فانا أيضا أدخل سورة فى سورة ولا آخذ شيأ ولا ابنه يتعلم شيأ انتهى ما تخيرته من كتاب الأذكياء والحمقى والمغفلين (ومما تخيرته من سلوان المطاع لابن ظفر) أن الوليد بن يزيد لما بلغه أن ابن عمه يزيد بن الوليد بن عبد الملك قد شرد عنه القلوب واستجاش عليه أهل اليمن ونازعه فى ملكه احتجب عن سماره ودعا فى بعض الليالى خادما فقال له انطلق متنكرا حتى تقف ببعض الطرق وتأمل من يمر بك من الناس فاذا رأيت كهلا رث الهيئة يمشى مشيا هوينا وهو مطرق فسلم عليه وقل له فى أذنه أمير المؤمنين يدعوك فان أسرع فى الاجابة فائتنى به وان استراب فدعه واطلب غيره حتى تجد رجلا على الشرط الذى ذكرت لك فانطلق الخادم فأتاه رجل على الشرط فلما دخل الرجل على الوليد

(فأين هؤلاء من الذى قال فيه الشاعر)

أبلج بين حاجبيه نوره * اذا تعدى رفعت ستوره

(وقال بعضهم فى بخيل) أتانا بخيل بخبزله * كمثل الدراهم فى رقته

اذا ماتنفس حول الخوان * تطاير فى البيت من خفته

(وقال آخر) تراهم خشية الأضياف خرسا * يقيمون الصلاة بلا أذان

وقال آخر وقد بات عند بخيل فبتنا كأنا بينهم أهل مأتم * على ميت مستودع بطن ملحد

يحدث بعضنا بعضا بعصابه * ويأمر بعضا بعضنا بالتجلد

(وقال آخر) وجيرة لاترى فى الناس مثلهم * اذا يكون لهم عيد وافطار

ان يوقدوا يوسعونا من دخانهم * وليس يبلغنا ماتطبخ النار

(وقال آخر وأجاد) فصدق ايمانه ان قال مجتهدا * لا والرغيف فذاك البر من قسمه

فان هممت به فافتك بخبزته * فان موقعها من لحمه ودمه

قد كان يعجبنى لو أن غيرته * على جرادقه كانت على حرمه

(وقال آخر) ذهب الكرام فلا كرام * وبقى العضاريط اللئام

من لايقبل ولا ينيل * ولا يشم له طعام

(وقال آخر) خليلىّ من كعب أعينا أخا كما * على دهره ان الكريم معين

ولا تبخلا بخل ابن قزعة انه * مخافة أن يرجى نداه حزين

اذا جئته فى حاجة سد بابه * فلم تلقه الا وأنت كمين

(وقال آخر) له يومان يوم ندى ويوم * يسل السيف فيه من القراب

فاما جوده فعلى الذباب * وأما سيفه فعلى الكلاب

(وقال آخر) زففت الى نبهان من صفوف كرتى * عروسا غدا بطن الكتاب لها صدرا

فقبلها عشرا وهام بحبها * فلما ذكرت المهر طلقها عشرا

(وقال آخر) لو عبر البحر بأمواجه * فى ليلة مظلمة بارده

وكفه مملوءة خردلا * ماسقطت من كفه واحده

(وقال آخر) ياقائما فى داره قاعدا * من غير معنى لاولا فائده

قدمات أضيافك من جوعهم * فاقرأ عليهم سورة المائده

(وقال آخر) توالك دونه شوك القتاد * وخبزك كالثريا فى البعاد

فلو أبصرت ضيفا فى منام * لحرمت الرقاد الى المعاد

(وقال آخر) لاتعجبن لخبز زل من يده * فالكوكب النحس يسقى الأرض أحيانا

(وقال ابن أبى حازم) وقالوا قد مدحت فتى كريما * فقلت وكيف لى بفتى كريم

بلوت ومر بى خمسون حولا * وحسبك بالمجرب من عليم

فلا أحد يعد ليوم خير * ولا أحد يجود على عديم

(ومن) رؤساء أهل البخل محمد بن الجهم وهو الذى قال وددت لو أن عشرة من الفقهاء وعشرة من الخطباء وعشرة من الشعراء وعشرة من الادباء تواطؤا على ذمى واستهلوا شتمى حتى ينتشر ذلك فى الآفاق فلا يمتد الى أمل آمل ولا يبسط نحوى رجاء راج وقال له أصحابه يوما انا نخشى أن نقعد عندك فوق مقدار شهوتك فلو جعلت لنا علامة نعرف بها وقت استثقالك لمجالستنا فقال علامة ذلك أن أقول ياغلام هات الغداء * وقال عمر بن ميمون مررت ببعض طرق الكوفة فاذا أنا برجل يخاصم جاراله فقلت ما بالكما فقال أحدهما ان صديقا لى زارنى فاشتهى رأسا فاشتريته وتغدينا وأخذت عظامه فوضعتها على باب دارى أتجمل بها فجاء هذا فأخذها ووضعها على باب داره يوهم الناس انه هو الذى اشترى الرأس * وقال رجل من البخلاء لأولاده اشتروا لى لحما فاشتروه فأمر بطبخه فلما استوى أكله جميعه حتى لم يبق فى يده الا عظمة وعيون أولاده ترمقه

فقال

حياه بتحية الخلافة فأمره الوليد بالجلوس والدنو منه وصبر الى أن ذهب روعه وسكن جاشه ثم أقبل عليه فقال له أتحسن المسامرة للخلفاء فقال نعم ياأمير المؤمنين فقال الوليد ان كنت تحسنها فاخبرنا ماهى فقال ياأمير المؤمنين المسامرة اخبار المنصت وانصات لخبر ومفاوضة فيما يعجب ويليق فقال له الوليد أحسنت لا أزيدك امتحانا فقل أسمع لقولك فقال الكهل نعم ياأمير المؤمنين ولكن المسامرة صنفان لا ثالث لهما أحدهما الاخبار عما يوافق خبرا سمعوها والثانى الاخبار عما يوافق غرضا من أغراض صاحب المجلس وانى لم أسمع بحضرة أمير المؤمنين طريقة فانحو نحوها وألزم أسلوبها فقال الوليد صدقت وها نحن نقترح لك ما نقتفيه قد بلغنا أن رجلا من رعيتنا سعى فى ضرر ما لكنا فاثر سعيه وشق ذلك علينا فهل سمعت بذلك فقال الكهل نعم ياأمير المؤمنين فقال له الوليد قل الآن على حسب ما سمعت وعلى ماترى من التدبير فقال ياأمير المؤمنين بلغنى عن أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان أنه لما ندب الناس لقتال ابن الزبير وخرج بهم متوجها الى مكة حرسها الله تعالى استصحب عمرو بن سعيد بن العاص وكان عمرو قد انطوى على فساد نية وخبث طوية وطماعية فى نيل الخلافة وكان أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان قد فطن لذلك الا أنه كان يحترمه ولما أبعد أمير المؤمنين عن دمشق تمارض عمرو ابن سعيد فاستأذن أمير المؤمنين فى العود الى دمشق فأذن له فلما دخل عمرو دمشق صعد المنبر فخطب الناس خطبة نال فيها من الخليفة واستولى على دمشق ودعا الناس الى خلع عبد الملك فاجابوه الى ذلك

فقال ما أعطى أحد منه كم هذه العظمة حتى يحسن وصف أكلها فقال ولده الاكبر أمششها يا أبت وأمصها حتى لا أدع للذر فيها مقيلا قال لست بصاحبها فقال الاوسط ألوكها يا أبت وألحسها حتى لا يدرى أحد لعام هي أم لعامين قال لست بصاحبها فقال الاصغر يا أبت أمصها ثم أدقها وأسفها سفا قال أنت صاحبها وهي لك زادك الله معرفة وحزما * ووقف اعرابي على أبي الاسود وهو يتغدى فسلم فرد عليه ثم أقبل على الاكل ولم يعزم عليه فقال له الاعرابي أما انى قد مررت بأهلك قال كذلك كان طريقك قال وامرأتك حبلى قال كذلك كان عهدي بها قال قد ولدت قال كان لابد لها أن تلد قال ولدت غلامين قال كذلك كانت أمها قال مات أحدهما قال ما كانت تقوى على ارضاع اثنين قال ثم مات الآخر قال ما كان ليبقى بعد موت أخيه قال وماتت الام قال حزنا على ولديها قال ما أطيب طعامك قال لاجل ذلك أكلته وحدي و والله لاذقته يا أعرابي * وقيل خرج اعرابي قد ولاه الحجاج بعض النواحي فأقام بها مدة طويلة فلما كان في بعض الايام ورد عليه اعرابي من حيه فقدم اليه الطعام وكان اذ ذاك جائعا فسأله عن أهله وقال ما حال ابني عمير قال على ما تحب قد ملأ الارض والحى رجالا ونساء قال فما فعلت أم عمير قال صالحة أيضا قال فما حال الدار قال عامرة بأهلها قال وكلبنا ايقاع قال قد ملأ الحى نبحا قال فما حال جملي زريق قال على ما يسرك قال فالتفت الى خادمه وقال ارفع الطعام فرفعه ولم يشبع الاعرابي ثم أقبل عليه يسأله وقال يا مبارك الناصية أعد على ما ذكرت قال سل عما بدا لك قال فما حال كلبي ايقاع قال مات قال وما الذي أماته قال اختنق بعظمة من عظام جملك زريق فمات قال أومات جملي زريق قال نعم قال وما الذي أماته قال كثرة نقل الماء الى قبر أم عمير قال أوماتت أم عمير قال نعم قال وما الذي أماتها قال كثرة بكائها على عمير قال أومات عمير قال نعم قال وما الذي أماته قال سقطت عليه الدار قال أوسقطت الدار قال نعم قال فقام له بالعصا فولى من بين يديه هاربا (وحكى) بعضهم قال كنت في سفر فضللت عن الطريق فرأيت بيتا في الفلاة فأتيته فاذا به أعرابية فلما رأتني قالت من تكون قلت ضيف قالت أهلا ومرحبا بالضيف انزل على الرحب والسعة قال فنزلت فقدمت لى طعاما فأكلت وماء فشربت فبينما أنا على ذلك اذ أقبل صاحب البيت فقال من هذا فقالت ضيف فقال لا أهلا ولا مرحبا ما لنا وللضيف فلما سمعت كلامه ركبت من ساعتي وسرت فلما كان من الغد رأيت بيتا في الفلاة فقصدته فاذا فيه اعرابية فلما رأتني قالت من تكون قلت ضيف قالت لا أهلا ولا مرحبا بالضيف ما لنا وللضيف فبينما هي تكلمني اذ أقبل صاحب البيت فلما رآني قال من هذا قالت ضيف قال مرحبا وأهلا بالضيف ثم أتى بطعام حسن فأكلت وماء فشربت فتذكرت ما مر بالامس فتبسمت فقال م تبسمك فقصصت عليه ما اتفق لى مع تلك الاعرابية وبعلها وما سمعت منه ومن زوجته فقال لا تعجب ان تلك الاعرابية التى رأيتها هي أختى وأن بعلها أخو امرأتى هذه فغلب على كل طبع أهله وحكايات هؤلاء وأمثالهم كثيرة وأخبارهم ونوادرهم شهيرة وفيما ذكرته كفاية وأسأل الله تعالى التوفيق والهداية انه على ما يشاء قدير وبالاجابة جدير ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿الباب الخامس والثلاثون في الطعام وآدابه والضيافة وآداب المضيف والضيف وأخبار الاكلة وما جاء عنهم وغير ذلك﴾

﴿أما اباحة الطيب من المطاعم﴾ فقد قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله ان كنتم اياه تعبدون وقال تعالى يسألونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح مكلبين وقال تعالى قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرم الحلال كمحل الحرام وقال عليه الصلاة والسلام ان الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده في مأكله ومشربه وكان الحسن رضى الله تعالى عنه يقول ليس في اتخاذ الطعام سرف وسئل الفضل عمن يترك الطيبات اللحم والخبيص للزهد فقال ما للزهد وأكل الخبيص ليتك تأكل وتتقى الله ان الله لا يكره أن تأكل الحلال اذا اتقيت الحرام انظر كيف برك بوالديك وصلتك للرحم وكيف عطفك على الجار وكيف رحمتك للمسلمين وكيف كظمك للغيظ وكيف عفوك عمن ظلمك وكيف احسانك الى من أساء اليك وكيف صبرك واحتمالك للاذى أنت الى احكام هذا أحوج من

وبايعوه وحصن بعد ذلك سور دمشق وحمى حوزتها فبلغ ذلك عبد الملك وهو متوجه الى ابن الزبير وبلغه مع ذلك أن والى حمص قد نزع يده من الطاعة وأن أهل الثغور قد تشوفوا للخلاف فأحضر وزراءه فأطلعهم على ما بلغه وقال لهم دمشق ملكنا قد استولى عليها عمرو بن سعيد وهذا عبد الله بن الزبير قد استولى على الحجاز والعراق واليمن ومصر وخراسان وهذا النعمان بن بشير أمير حمص وزفر بن الحرث أمير فلسطين قد خرجا عن الطاعة وبايعا الناس لابن الزبير وهذه المضرية بسيوفها تطالبنا بقتلى المرج فلما سمع وزراؤه مقالته ذهلت عقولهم فقال لهم عبد الملك ما لكم لا تنطقون هذا وقت الحاجة اليكم فقال أفضلهم وددت أنى أكون طيرا على عود من أعواد تهامة حتى تنقضي هذه الفتن فلما سمع عبد الملك مقالة صاحبه قام وأمرهم بلزوم موضعهم وركب منفردا وأمر جماعة من شجعانه أن يتبعوه متباعدين ففعلوا وسار عبد الملك حتى انتهى الى شيخ ضعيف البدن سيء الحال وهو يجمع شماقا فسلم عليه عبد الملك وآنسه بحديثه ثم قال له أيها الشيخ ألك علم بنزول هذا العسكر فقال الشيخ وما سؤالك عنه فقال عبد الملك انى أردت الانتظام في سلكه فقال له انى أرى عليك سمة الرياسة فينبغي لك أن تصرف نفسك عن هذا الرأى فان الامير الذى أنت قاصده قد انحلت عرا ملكه والسلطان في اضطراب أموره كالبحر اذا هاج فقال عبد الملك أيها الشيخ قد قوى على جذب نفسي الى صحبة هذا الامير فهل لك أن ترشدنى الى رأى اتفق به عنده فلعله يكون سبب قربي منه فقال الشيخ ان هذه النازلة التى نزلت بهذا الامير من النوازل التى لا تنفذ

ترك الخبيص (وأما نعوت الاطعمة وماجاء فيها) فقد نقل عن الرشيد انه سأل أبا الحرث عن الفالوذج واللوزينج أيهما الطيب فقال يا أمير المؤمنين لا أقضي على غائب فأحضرهما اليه فجعل يأكل من هذا القمة ومن هذا القمة ثم قال يا أمير المؤمنين كلما أردت ان أقضي لاحدهما أتى الآخر بحجته * واختلف الرشيد وأم جعفر في الفالوذج واللوزينج أيهما أطيب فحضر أبو يوسف القاضي فسأله الرشيد عن ذلك فقال يا أمير المؤمنين لا يقضى على غائب فأحضرهما فأكل حتى اكتفى فقال له الرشيد احكم قال قد اصطلح الخصمان يا أمير المؤمنين فضحك الرشيد وأمر له بألف دينار فبلغ ذلك زبيدة فأمرت له بألف دينار الا دينارا وسمع الحسن البصري رجلا يعيب الفالوذج فقال لباب البر بلعاب النحل بخالص السمن ما أظن عاقلا يعيبه وقال الاصمعي أول من صنع الفالوذج عبد الله بن جدعان وأتى اعرابي بفالوذج فأكل منه لقمة فقيل له هل تعرف هذا فقال هذا وحياتك الصراط المستقيم وكان أحب الطعام الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اللحم وعن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سيد طعام أهل الدنيا وأهل الجنة اللحم وكان صلى الله عليه وسلم يقول سيد الطعام في الدنيا والآخرة اللحم وهو يزيد في السمع ولو سألت ربي أن يطعمنيه كل يوم لفعل وكان صلى الله عليه وسلم يحب الدباء ويقول يا عائشة اذا طبختم قدرا فأكثروا فيها من الدباء فانها تشد القلب الحزين وهي شجرة أخي يونس وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال عليكم بالقرع فانه يشد الفؤاد ويزيد في الدماغ وعليكم بالعدس فانه يرق القلب ويغزر الدمعة وعن أبي رافع قال كان أبو هريرة رضي الله تعالى عنه يقول أكل التمر أمان من القولنج وشرب العسل على الريق أمان من الفالج وأكل السفرجل يحسن الولد وأكل الرمان يصلح الكبد والزبيب يشد العصب ويذهب بالنصب والوصب والكرفس يقوي المعدة ويطيب النكهة وأطيب اللحم الكتف وكان يديم أكل الهريسة وكان يأكل على سماط معاوية ويصلي خلف علي ويجلس وحده فسئل عن ذلك فقال طعام معاوية أدسم والصلاة خلف علي أفضل وهو أعلم والجلوس وحدي لي أسلم وسميت المتوكلية بالمتوكل والمأمونية بالمأمون وقال الحسن بن سهل يوما على مائدة المأمون الارز يزيد في العمر فسأله المأمون عن ذلك فقال يا أمير المؤمنين ان طب الهند صحيح وهم يقولون ان الأرز يرى منامات حسنة ومن رأى مناما حسنا كان في نهارين فاستحسن قوله ووصله وقال أبو صفوان الأرز الأبيض بالسمن والسكر ليس من طعام أهل الدنيا وقيل لأبي الحرث ما تقول في الفالوذجة قال وددت لو أنها وملك الموت اعتلجا في صدري والله لو أن موسى لقي فرعون بالفالوذجة لآمن ولكنه لقيه بعصا وكانت العرب لا تعرف الألوان انما كان طعامهم اللحم يطبخ بالماء والملح حتى كان زمن معاوية رضي الله تعالى عنه فاتخذ الالوان ويقال للمرقة المسخنة بنت نارين وكان بعض المترفهين يقول جنبوا ماندتي بنت نارين وقالوا كل طعام أعيد عليه التسخين مرتين فهو فاسد وقيل اذا ألقي اللحم في العسل ثم أخرج بعد شهر طريا فانه لا يتغير ويقال للسكباج سيد المرق وشيخ الاطعمة وزين الموائد ويقال اذا طبخت اللحم بالخل فقد ألقيت عن معدتك ثلث المؤنة ويقال للخبز ابن حبة قال بعضهم

في حبة القلب مني * زرعت حب ابن حبه

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما رفعه أكرموا الخبز قالوا وما كرامته يا رسول الله قال لا ينتظر به الادام اذا وجدتم الخبز فكلوه حتى تؤتوا بغيره وفي حديث من داوم على اللحم أربعين يوما قسا قلبه ومن تركه أربعين يوما ساء خلقه وقيل المائدة التي أنزلت على بني اسرائيل كان عليها كل البقول الا الكراث وسمكة عند رأسها خل وعند ذنبها ملح وسبعة أرغفة على كل واحد زيتون وحب رمان ودخل ابن قزعة يوما على عز الدولة وبين يديه طبق فيه موز فتأخر عن استدعائه فقال ما بال مولانا ليس يدعوني الى الموز بأكل الموز فقال صفه حتى أطعمك منه فقال ما الذي أصف من حسن لونه فيه سبائك ذهبية كأنها حشيت زبدا وعسلا أطيب الثمر كأنه مخ الشحم سهل المقشر لين المكسر عذب المطعم بين الطعوم سلس في الحلقوم ثم مد يده وأكل وسمع رجل يذم الزبد فقال له ما الذي ذممت منه سواد لونه أم بشاعة طعمه أم صعوبة مدخله أم خشونة ملمسه وقيل له ما تقول في الباذنجان قال أذناب المحاجم وبطون العقارب وبزور الزقوم قيل له انه يحشى باللحم فيكون طيبا فقال لو حشي بالتقوى والمغفرة ما أفلح وصنع الحجاج وليمة واحتفل فيها ثم قال لزاذان هل عمل كسرى مثلها فاستعفاه فأقسم عليه فقال أولم عبد عند كسرى فأقام على رؤس الناس ألف وصيفة في يد كل واحدة ابريق

فيها العقول واني لأكره أن أرد مسئلتك بالخيبة فقال له عبد الملك قل جزاك الله خيرا فقال الشيخ ان هذا الخليفة خرج الى قتال عدوه والارادة غير قابلة للمراد والدليل على ذلك أن الله تعالى لم يرد ما قصده من محاربة ابن الزبير ووثوب عمرو ابن سعيد على منبره واستيلائه على بيوت أمواله وسرير خلافته فاذا قصدت هذا الامير وانتظمت في سلكه انظر في أمره فان رأيته قد أصر على قصده ابن الزبير فاعلم انه مخذول فاجتنبه وان رأيته قد رجع من حيث جاء وترك قصده الاول فارج له النصر والسلامة فقال عبد الملك يا شيخ وهل رجوعه الى دمشق الا كمسيره الى ابن الزبير فقال الشيخ ان الذي أشكل عليك لواضح وها أنا أزيل عنك اللبس وهو أن عبد الملك اذا قصد ابن الزبير كان في صورة ظالم لان ابن الزبير لم يطعه طاعة قط ولا وثب له على مملكة واذا قصد ابن سعيد كان في صورة مظلوم لانه نكث بيعته وخان أمانته ووثب على دار ملك لم تكن له ولا لابيه من قبله بل كانت لعبد الملك ولابيه من قبله وعمرو عليها متعد * ومن الامثال معين الغاصب مخذول وولي الغدر معزول وسأضرب لك مثلا يشفي النفس ويزيل اللبس * زعموا أن ثعلبا كان يسمى ظالما وكان له جحر يأوي اليه وكان مغتبطا به فخرج يوما يبتغي ما يأكل ثم رجع فوجد فيه حية فانتظر خروجها فلم تخرج فعلم أنها استوطنته وذلك ان الحية لا تتخذ جحرا بل اذا أعجبها جحر اغتصبته وطردت من به من الحيوان ولهذا قيل فلان أظلم من حية فهذا ظلمها ولما رأى ظالم أن الحية قد استوطنت جحره ولم يمكنه السكنى معها ذهب يطلب لنفسه مأوى فانتهى به السير الى جحر حسن الظاهر حصين

من ذهب فقال الحجاج أف والله ما تركت فارس لمن بعدها من الملوك شرفا وأهدى رجل الى آخر فالوذجة زنخة وكتب اليه انى اخترت لعملها السكر السوسى والعسل الماردانى والزعفران الاصبهانى فأجابه والله العظيم ما عملت الا قبل أن توجد أصبهان وقبل أن تفتح السوس وقبل أن يوحى ربك الى النحل وقيل ان أبا جهم بن عطية كان عينا لابى مسلم الخولانى على المنصور فاحس المنصور بذلك فطاوله الحديث يوما حتى عطش فاستسقى فدعا له بقدح من سويق اللوز فيه من السم فناوله اياه فشرب منه فما بلغ داره حتى مات فقيل فى ذلك

تجنب سويق اللوز لا تقربنه * فشرب سويق اللوز أردى أبا جهم

وقال أبو طالب المأمونى

فما حملت كف امرئ متطعما * ألذ وأشهى من أصابع زينب

وأصابع زينب ضرب من الحلوى يعمل ببغداد يشبه أصابع النساء المنقوشة ودخل السائب على على رضى الله تعالى عنه فى يوم شاة فناوله قدحا فيه عسل وسمن ولبن فأباه فقال أما انك لو شربته لم تزل دفنا شبعان سائر يومك وعن نافع بن ابى نعيم قال كان أبو طالب يعطى عليا قدحا من اللبن يصبه على اللات فكان على يشرب اللبن ويبول على اللات ﴿وأما الزهد فى المأكل﴾ فقد زهد فيه كثير من الاخيار مع القدرة عليه ومنهم من لا يقدر عليه قالت عائشة رضى الله تعالى عنها والذى بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بالحق ما كان لنا منخل ولا أكل رسول الله خبزا منخولا منذ بعثه الله تعالى الى أن قبض قيل فكيف كنتم تأكلون الشعير قالت كنا نقول أف أف وعن جابر رضى الله تعالى عنه رفعه نعم الادام الخل وكفى بالمرء سرفا أن يتسخط ما قرب اليه وقال عمر رضى الله تعالى عنه ما اجتمع عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ادمان الا أكل أحدهما وتصدق بالآخر وقالت عائشة رضى الله تعالى عنها ما كان يجتمع لونان فى لقمة فى فم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان كان لحما لم يكن خبزا وان كان خبزا لم يكن لحما وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال يا على ابدأ بالملح واختم به فان فيه شفاء من سبعين داء وروى أن نبيا من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام شكا الى الله الضعف فأمر أن يطبخ اللحم باللبن فان القوة فيهما وسنذكر فضل الزهد فى المآكل والمشارب فى باب مدح الفقراء ان شاء الله تعالى ﴿وأما ما جاء فى آداب الأكل﴾ فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال عند مطعمه ومشربه بسم الله خير الأسماء بسم الله رب الأرض والسماء لم يضره ما أكل وما شرب وكان صلى الله عليه وسلم اذا وضع بين يديه الطعام قال بسم الله اللهم بارك لنا فيما رزقتنا وعليك خلفه وقال صلى الله عليه وسلم من أكل طعاما فقال الحمد لله الذى أطعمنى هذا ورزقنيه من غير حول منى ولا قوة غفر له ما تقدم من ذنبه ومن لبس ثوبا فقال الحمد لله الذى كسانى هذا ورزقنيه من غير حول منى ولا قوة غفر له ما تقدم من ذنبه وقالت عائشة رضى الله تعالى عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أكل أحدكم فليذكر اسم الله فان نسى فى أوله فليقل بسم الله أوله وآخره وفى حديث ابن عمر رضى الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أكل أحدكم فليأكل بيمينه واذا شرب فليشرب بيمينه فان الشيطان يأكل بشماله و يشرب بشماله وقال صلى الله عليه وسلم الاكل فى السوق دناءة وعن أنس رضى الله تعالى عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم زجر عن الشرب قائما قال فسألناه عن الاكل قائما فقال هو شر من الشرب وأوصى رجل من خدم الملوك ابنه فقال اذا أكلت فضم شفتيك ولا تلتفتن يمينا ولا شمالا ولا تلقمن بسكين ولا تجلس فوق من هو أشرف منك وارفع منزلة ولا تبصق فى الاماكن النظيفة ومن هذا ما رواه الزهرى أن النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن النفخ فى الطعام والشراب وقال على رضى الله تعالى عنه نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يؤكل الطعام حارا وفى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال ما عاب النبى صلى الله عليه وسلم طعاما قط ان اشتهاه أكله والا تركه وقال عمر بن هبيرة عليكم بما كرة الغداء فان مباكرته تطيب النكهة وتعين على المروءة قيل وما اعانته على المروءة قال أن تتوق نفسك الى طعام غيرك وعن النبى صلى الله عليه وسلم قال من أكل من سقط المائدة عاش فى سعة وعوفى فى ولده وولد ولده من الحمق وعنه صلى الله عليه وسلم قال من لقط شيأ من الطعام فأكله حرم الله جلده على النار وكان الحرث بن كلدة يقول اذا تغدى أحدكم فلينم على غدائه واذا تعشى فليخط أربعين خطوة وقيل خير الغداء بواكره وخير العشاء سوافره وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما

في أرض منيعة ذات أشجار ملتفة وماء معين فأعجبه وسأل عنه فقالوا هذا الجحر علكه ثعلب اسمه مفوض وانه ورثه عن أبيه فناداه ظالم فخرج اليه ورحب به وأدخله الى جحره وسأله عن حاله فقص عليه خبره مع الحية فرق له مفوض وقال له الموت فى طلب الثأر خير من الحياة فى العار والرأى عندى أن تنطلق معى الى مأواك الذى أخذ منك غصبا حتى أنظر اليه فلعلى أهتدى الى مكيدة تخلص بها مأواك فانطلقا معا الى ذلك الجحر فتأمله مفوض وقال لظالم اذهب معى فبت الليلة عندى لانظر ليلتى هذه فيما يسنح من الرأى والمكيدة ففعلا ذلك وبات مفوض مفكرا وجعل ظالم يتأمل مسكن مفوض فرأى من سعته وطيب هوائه وحصانته ما اشتد به حرصه عليه وطفق يدبر الحيلة فى اغتصابه ونفى مفوض عنه فلما أصبحا قال مفوض لظالم انى رأيت ذلك الجحر بعيدا من الشجر والماء فاصرف نفسك عنه وهلم أعينك على احتفار جحر فى هذا المكان المشتهى فقال ظالم هذا غير ممكن لان لى نفسا تهالك لبعد الوطن حنينا فلما سمع مفوض مقالة ظالم وما تظاهر به من الرغبة فى وطنه قال له انى أرى أن نذهب يومنا هذا فنحتطب حطبا ونربط منه حزمتين فاذا جاء الليل انطلقنا الى بعض هذه الخيام فأخذنا قبس نار واحتملنا الحطب والقبس الى مسكنك فنجعل الحزمتين فى بابه ونضرم النار فان خرجت الحية احترقت وان لزمت الجحر قتلها الدخان فقال له ظالم هذا نعم الرأى فذهبا واحتطبا حزمتين ولما جاء الليل انطلق مفوض الى ظاهر تلك الخيام فأخذ قبسا فعمد ظالم الى احدى الحزمتين فأزالها الى موضع غيبها فيه ثم جر الحزمة الأخرى الى باب مسكن مفوض

قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتبع الرجل بصره لقمة أخيه وقال الحجاج لاعرابي يوما على مماطه ارفق بنفسك فقال وأنت يا حجاج اغضض من بصرك وقال معاوية لرجل على مائدته خذ الشعرة من لقمتك فقال وانك تراعيني مراعاة من يرى الشعرة في لقمتي لا أكلت لك طعاما أبدا ووضع معاوية بين يدى الحسن بن على رضى الله تعالى عنهما دجاجة ففككها فقال معاوية هل بينك و بين أمها عداوة فقال الحسن فهل بينك و بين أمها قرابة اراد معاوية أن الحسن يوقر مجلسه كما توقر مجالس الملوك والحسن أعلم منه بالآداب والرسوم المستحسنة رضى الله تعالى عنهما وحضر اعرابي على مائدة بعض الخلفاء فقدم جدى مشوى فجعل الاعرابي يسرع فى أكله منه فقال له الخليفة أراك تأكله بحرد كان أمه نطحتك فقال أراك تشفق عليه كان أمه أرضعتك ❊وأما ما جاء فى كثرة الأكل❊ فقد روى عن حذيفة رضى الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم من قل طعامه صح بطنه وصفا قلبه ومن كثر طعامه سقم بطنه وقسا قلبه وعنه صلى الله عليه وسلم لا تميتوا القلوب بكثرة الطعام والشراب فان القلب كالزرع اذا كثر عليه الماء مات وقال صلى الله عليه وسلم ما زين الله رجلا بزينة أفضل من عفاف بطنه وقال عمرو بن عبيد ما رأيت الحسن ضاحكا الا مرة واحدة قال رجل من جلسائه ما آذانى طعام قط فقال له آخر انت لو أكلت فى معدتك الحجارة لطحنتها وقال على كرم الله وجهه البطنة تذهب الفطنة وقال ابن المقفع كانت ملوك الاعاجم اذا رأت الرجل نهما شرها أخرجوه من طبقة الجد الى باب الهزل ومن باب التعظيم الى باب الاحتقار وتقول العرب قل طعاما تحمد مناما وكانت العرب تعير بعضها بكثرة الأكل وأنشدوا

لست بأكال كأكل العبد * ولا بنوّام كنوم الفهد

وانشد الأصمعى لرجل من بنى فهد

اذا لم أزر الا لآكل أكلة * فلا رفعت كفى الىّ طعامى

فما أكلة ان نلتها بغنيمة * ولا جوعة ان جعتها بغرام

وقالت عائشة رضى الله تعالى عنها أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يشترى غلاما فألقى بين يديه تمرا فأكل فأكثر فقال صلى الله عليه وسلم ان كثرة الأكل شؤم وقالوا الوحدة خير من الجليس السوء والجليس السوء خير من الأكيل السوء وشكا أبو العيناء الى صديق له سوء الحال فقال اشكر فان الله قد رزقك الاسلام والعافية قال أجل ولكن بينهما جوع يقلقل الكبد ودعت أبا الحرث حبيبة له فحادثته ساعة فجاع فطلب الأكل فقالت له أما فى وجهى ما يشغلك عن الأكل قال جعلت فداءك لو ان جميلا و بثينة قعدا ساعة لا يأكلان لبصق كل منهما فى وجه صاحبه وافترقا

❊وأما أخبار الأكلة❊ فقد قيل ان وهب بن جرير سأل ميسرة البراش عن أعجب ما أكل فقال أكلت مائة رغيف بمكوك ملح * ومر ميسرة المذكور يوما بقوم وهو راكب حمارا فدعوه للضيافة فذبحوا له حماره وطبخوه وقدموه له فأكله كله فلما أصبح طلب حماره ليركبه فقيل له هو فى بطنك * وقال المعتمر بن سليمان قلت لهلال المازنى ما أكلة بلغتنى عنك قال جعت مرة ومعى بعير فنحرته وشويته وأكلته ولم أبق منه الا شيأ يسيرا حملته على ظهرى فلما كان الليل أردت أن أجامع أمتى فلم أقدر أصل اليها فقالت كيف تصل الىّ و بيننا جمل فقلت له كم تكفيك هذه الأكلة فقال أربعة أيام وقال الأصمعى ان سليمان بن عبد الملك كان شرها نهما وكان من شرهه أنه اذا أتى بالسفود وعليه الدجاج السمين المشوى لا يصبر الى أن يبرد ولا أن يؤتى بمنديل فيأخذ بكمه فيأكل واحدة واحدة حتى يأتى عليها فقال الرشيد ويحك يا أصمعى ما أعلمك باخبار الناس انى عرضت علىّ جباب سليمان فرأيت فيها آثار الدهن فظننته طيبا حتى حدثنى ثم أمر لى بجبة منها فكنت اذا لبستها أقول هذه جبة سليمان بن عبد الملك * وقال الشمردل وكيل عمرو بن العاص قدم سليمان بن عبد الملك الطائف فدخل هو وعمر بن عبد العزيز الى وقال يا شمردل ما عندك ما تطعمنى قلت عندى جدى كأعظم ما يكون سمنا قال عجل به فأتيته به كأنه عكة سمن فجعل يأكل منه ولا يدعو عمر حتى اذا لم يبق منه الا فخذ قال هلم يا أبا جعفر فقال انى صائم فأكله ثم قال يا شمردل و يلك أما عندك شىء قلت ست دجاجات كأنهن أفخاذ نعام فأتيته بهن فأتى عليهن ثم قال يا شمردل أما عندك شىء قلت سويق كأنه قراضة الذهب فأتيته به

فسده بها سدا محكما وقدر فى نفسه ان مفوضا اذا أتى الجحر لم يمكنه الدخول اليه لحصانته فاذا يئس منه ذهب فنظر لنفسه مأوى وكان ظالم قد رأى فى منزل مفوض طعاما ادخره لنفسه فعول ظالم على أنه يقتات به ان حاصره مفوض وهو من داخل وأذهله الشره والحرص عن فساد هذا الرأى ثم ان مفوضا جاء بالقبس فلم يجد ظالما ولا وجد الحطب فظن ان ظالما قد حمل الحزمتين تخفيفا عنه ونهبه الى مسكنه الذى فيه الحية اشفاقا على مفوض فشق ذلك عليه وظهر له من الرأى أن يبادر اليه ويلحقه ليحمل معه الحطب فوضع القبس بالقرب من الحطب ولم يشعر أن الباب مسدود به لشدة الظلمة فما بعد عن الباب الا وضوء النار وشدة الدخان قد لحقاه فعاد وتأمل الباب فرأى الحطب قد صار نارا فعلم مكيدة ظالم ورآه قد احترق من داخل الجحر وحاق به مكره فقال هذا الباحث على حتفه بظلفه ثم ان مفوضا صبر حتى انطفأت النار فدخل جحره فأخرج جثة ظالم فألقاها واستوطن جحره آمنا فهذا المثل ضربته لك لانه ملائم لفعل عمرو ابن سعيد فى بغيه وخداعه عبد الملك وحيلته فى أخذ دار ملكه وتحصينها منه وهذا كفعل ظالم مع مفوض والله أعلم فلما سمع عبد الملك حكمة الشيخ فى ضرب أمثاله سر بذلك سرورا عظيما ثم أقبل عليه فقال جزيت عنى خيرا وانى أريد أن تجعل بينى و بينك موعدا وتعرفنى مكانك لالقاك له بعد يومى هذا فقال الشيخ وما تريد بذلك فقال له عبد الملك انى أريد مكافأتك على ما كان منك فقال له الشيخ انى أعطيت الله عهدا أن لا أقبل منة لبخيل فقال عبد الملك ومن أين علمت أنى بخيل فقال لانك أخرت صلتى مع القدرة فما عليك لو وصلتنى ببعض ما عليك فقال

فعبه حتى أتى عليه ثم قال ياغلام أفرغت من غدائنا قال نعم قال ماهو قال نيف وثلاثون قدرا قال ائتنى بقدر قدر فاتاه بها ومعه الرقاق فأكل من كل قدر ثلاثة ثم مسح يده واستلقى على فراشه وأذن للناس فدخلوا وصف الخوان فقعدوا وأكل مع الناس وكان هلال بن الاسعر يضع القمع على فيه ويصب اللبن أو النبيذ وكان غليظا عتلا* وقال أعرابي لرجل رآه سمينا أرى عليك قطيفة من نسج أضراسك *وقال أبو المحسر الاعرابي كانت لى بنت تجلس معى على المائدة فتبرز كفا كأنها صلفة فى ذراع كأنه جمارة فلاتقع عينها على لقمة نفيسة الا خصتنى بها فكبرت وزوجتها وصرت أجلس على المائدة مع ابن لى فيبرز كفا كأنها كرنافة فوالله ان تسبق عينى الى لقمة طيبة الا سبقت يده اليها *وقال مسلم بن قتيبة عددت للحجاج أربعة وثمانين رغيفا مع كل رغيف سمكة *ويقال فلان يحاكى حوت يونس فى جودة الالتقام وعصا موسى فى سرعة الالتهام *وقيل لابى مرة أى الطعام أحب اليك قال لحم سمين وخبز سميذ أضرب فيه ضرب ولى السوء فى مال اليتيم *وقال صدقة بن عبيد المازنى أولم لى أبى لما تزوجت فعمل عشرة جفان ثريدا من جزور فكان أول من جاءنا هلال المازنى فقدمنا له جفنة مترعة فأكلها ثم اخرى فأكلها حتى أتى على الجميع ثم أتى بقربة مملوأة من النبيذ فوضع طرفها فى شدقه وفرغها فى جوفه ثم قام فخرج واستأنفنا عمل الطعام *وكان عبيد الله بن زياد يأكل فى كل يوم خمس أكلات فخرج يوما يريد الكوفة فقال له رجل من بنى شيبان الغداء أصلح الله الامير فنزل فذبح له عشرين طائرا من الاوز فأكلها ثم قدم الطعام فأكل ثم أتى بزنبيلين فى أحدهما تين وفى الآخر بيض فجعل يأكل من هذا تينة ومن هذا بيضة حتى أتى على ذلك جميعه ثم رجع وهو جائع وكان ميسرة البراش يأكل الكبش العظيم ومائة رغيف فذكر ذلك للمهدى فقال دعوت يوما بالفيل وأمرت فالقى اليه رغيف رغيف فأكل تسعة وتسعين وألقى اليه تمام المائة فلم يأكله *وحدث الشيخ نبيه الدين الجوهرى انه سمع الشيخ الامام عز الدين بن عبد السلام يقول ان معاوية بن أبى سفيان كان يأكل فى كل يوم مائة رطل بالدمشقى ولا يشبع * ونزل رجل بصومعة راهب فقدم اليه الراهب أربعة أرغفة وذهب ليحضر اليه العدس فحمله وجاء فوجده قد أكل الخبز فذهب فاتى بخبز فوجده قد أكل العدس ففعل معه ذلك عشر مرات فسأله الراهب أين مقصدك قال الى الاردن قال لماذا قال بلغنى ان بها طبيبا حاذقا أسأله عما يصلح معدتى فانى قليل الشهوة للطعام فقال له الراهب ان لى اليك حاجة قال وماهى قال اذا ذهبت وأصلحت معدتك فلا تجعل رجوعك على

(وأما المهازلة على الطعام) فقد روى عن يحيى بن عبد الرحمن رضى الله تعالى عنه قال قالت عائشة رضى الله تعالى عنها كان عندى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسودة فصنعت حريرة فجئت به فقلت لسودة كلى فقالت لا أحبه فقلت والله لتأكلين أو لألطخن وجهك فقالت ما أنا بذائقته فأخذت من الصحفة شيأ فلطخت به وجهها ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس بينى وبينها فتناولت من الصحفة شيأ فلطخت به وجهى وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك *واشترى غندر يوما سمكا وقال لاهله اصلحوه ونام فأكل عياله السمك ولطخوا يده فلما انتبه قال قدموا الى السمك قالوا قد أكلت قال لا قالوا شم يدك ففعل فقال صدقتم ولكن ما شبعت *ودخل الحمدونى على رجل وعنده أقوام بين أيديهم أطباق الحلوى ولا يمدون أيديهم فقال لقد ذكرتمونى ضيف ابراهيم وقول الله تعالى فلما رأى أيديهم لا تصل اليه نكرهم وأوجس منهم خيفة ثم قال كلوا رحمكم الله فضحكوا وأكلوا والحكايات فى ذلك كثيرة

(وأما الضيافة واطعام الطعام) فقد قال الله تعالى هل أتاك حديث ضيف ابراهيم المكرمين وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ولا يؤذ جاره وقال صلى الله عليه وسلم من أكل وذو عينين ينظر اليه ولم يواسه ابتلى بداء لا دواء له وقال الحسن كنا نسمع ان احدى مواجب الرحمة اطعام الاخ المسلم الجائع وقيل لابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام بم اتخذك الله خليلا قال بثلاث ما خيرت بين شيئين الا اخترت الذى لله على غيره ولا اهتممت بما تكفل لى به ولا تغديت ولا تعشيت الا مع ضيف ويقولون ما خلا مضيف الخليل عليه الصلاة والسلام الى يومنا هذا ليلة واحدة من ضيف وكان الزهرى اذا لم يأكل أحد من أصحابه من طعامه حلف لا يحدثه عشرة ايام وقالوا المائدة مرزوقة أى من كان مضيافا وسع الله عليه وقالوا أول من سن القرى ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام وأول من ثرد الثريد وهشمه هاشم وأول من افطر

عبد الملك أقسم بالله لقد ذهلت ثم نزع سيفه وقال له اقبل منى هذا واحرص عليه فقيمته عشرون ألف درهم فقال الشيخ انى لا أقبل صلة ذاهل فدعنى وربى الذى لا يذهل ولا يبخل فهو حسبى فلما سمع عبد الملك كلام الشيخ عظم فى عينه وعلم فضله فى دينه فقال له أنا عبد الملك فارفع حوائجك الى فقال الشيخ وأنا أيضا عبد الملك فهلم نرفع حوائجنا الى من أنا وأنت له عبدان فانطلق عبد الملك وعمل برأى الشيخ فانجح الله قصده وانتصر على أعدائه فلما سمع الوليد ما أخبره به الكهل استرجح عقله واستظرف أدبه واستحسن محاضرته وسأله عن نفسه فتسمى له وانتسب فلم يعرفه الوليد فاستحى منه وقال له من جهل مثلك فى رعيته ضاع فقال له الكهل يا أمير المؤمنين ان الملوك لا تعرف الا من تعرف اليها ولزم أبوابها فقال له الوليد صدقت ثم أمر له بصدقة معجلة وعهد اليه فى ملازمته فكان يتمتع بأدبه وحكمته الى أن كان من أمر الوليد ما هو مشهور والله أعلم (ومما تخيرته من عجائب سلوان المطاع) قيل لما عزم سابور بن هرمز على الدخول الى بلاد الروم متنكرا نهاه نصحاؤه وعقلاء وزرائه وحذروه من ذلك فعصاهم وكان يقال أوزر الناس وزراء الاحداث من الملوك وعشاق الفتيان من المشايخ فان سابور توجه نحو بلاد الروم واستصحب وزيرا كان له ولابيه من قبله وكان من أدهى الناس فى الحزم وسداد الرأى واختلاف الأديان ولغاتها وكان من المتبحرين فى العلوم والمبرزين بالمكايد فسلم اليه سابور جميع ما يحتاج اليه فى سفره وأمره أن لا يتجاوز فى السير ولا يبعد عنه بحيث يراعى جميع أحواله فى ليله ونهاره فتوجها نحو الشام ولبس ذلك الوزير زى الرهبان وتكلم بلسانهم وتصرف

جيرانه على طعامه فى الاسلام عبد الله بن عباس رضى الله تعالى عنهما وهو أول من وضع موائده على الطريق وكان اذا خرج من بيته طعام لا يعود منه شئ فان لم يجد من يأكله تركه على الطريق وقيل لبعض الكرماء كيف اكتسبت مكارم الأخلاق والتأديب مع الاضياف فقال كانت الاسفار تحوجنى الى أن أفد على الناس فما استحسنته من اخلاقهم اتبعته وما استقبحته اجتنبته

﴿وأما آداب المضيف﴾ فهو أن يخدم أضيافه ويظهر لهم الغنى وبسط الوجه فقد قيل البشاشة فى الوجه خير من القرى قالوا فكيف بمن يأتى بها وهو ضاحك وقد ضمن الشيخ شمس الدين البديوى رحمه الله هذا الكلام بابيات فقال اذا المرء وافى منزلا منك قاصدا * قراك وأرمته لديك المسالك

فكن باسما فى وجهه متهللا * وقل مرحبا أهلا ويوم مبارك

وقدم له ماتستطيع من القرى * عجولا ولا تبخل بما هو هالك

فقد قيل بيت سالف متقدم * تداوله زيد وعمرو ومالك

بشاشة وجه المرء خير من القرى * فكيف بمن يأتى به وهو ضاحك

وقالت العرب تمام الضيافة الطلاقة عند أول وهلة واطالة الحديث عند المؤاكلة وقال حاتم الطائى

سلى الطارق المعتر يا أم مالك * اذا ما أتانى بين نارى ومجزرى

أأبسط وجهى انه أول القرى * وأبذل معروفى له دون منكرى

(وقال آخر فى عبد الله بن جعفر) انك يا ابن جعفر خير فتى * وخيرهم لطارق اذا أتى

(ولله در القائل) الله يعلم أنه ما سرنى * شئ كطارقة الضيوف النزل

مازلت بالترحيب حتى خلتنى * ضيفا له والضيف رب المنزل

(أخذه من قول الشاعر) ياضيفنا لو زرتنا لوجدتنا * نحن الضيوف وأنت رب المنزل

(وما أحسن ما قال سيف الدولة بن حمدان)

منزلنا رحب لمن زاره * نحن سواء فيه والطارق

وكل ما فيه حلال له * الا الذى حرمه الخالق

(وقال الاصمعى) سألت عيينة بن وهب الدارمى عن مكارم الأخلاق فقال أو ما سمعت قول عاصم بن وائل

وانا لنقرى الضيف قبل نزوله * ونشبعه بالبشر من وجه ضاحك

(وقال بعض الكرام) أضاحك ضيفى قبل أنزل رحله * ويخصب عندى والمحل جديب

وما الخصب للاضياف أن تكثر القرى * ولكنما وجه الكريم خصيب

(وقال آخر) عودت نفسى اذا ما الضيف نبهنى * عقر العشار على عسر وايسار

(ومن آداب المضيف) أن يتفقد دابة ضيفه ويكرمها قبل اكرام الضيف قال الشاعر

مطية الضيف عندى تلو صاحبها * لن يأمن الضيف حتى تكرم الفرسا

وقال على بن الحسين رضى الله تعالى عنهما من تمام المروأة خدمة الرجل ضيفه كما خدمهم أبونا ابراهيم الخليل صلوات الله وسلامه عليه بنفسه وأهله أما سمعت قول الله عز وجل وامرأته قائمة * ومن آداب المضيف أن يحدث أضيافه بما تميل اليه نفوسهم ولا ينام قبلهم ولا يشكو الزمان بحضورهم ويبش عند قدومهم ويتألم عند وداعهم وأن لا يحدث بما يروعهم به كما حكى بعضهم قال استدعانى اسحق بن ابراهيم الظاهرى الى أكل هريسة فى بكرة نهار فدخلت فاحضرت لنا الهريسة فأكلنا فاذا شعرة قد جاءت على اللقمة فغفل عنها طباخه فاستدعى خادمه فأسر اليه شيأ لم نعلمه فعاد الخادم ومعه صينية مغطاة فكشف عن الصينية فاذا يد الطباخ مقطوعة تختلج فتكدر علينا عيشنا وقمنا من عنده ونحن لا نعقل فيجب على المضيف أن يراعى خواطر أضيافه كيفما أمكن ولا يغضب على أحد بحضورهم ولا ينغص عيشهم بما يكرهونه ولا يعبس بوجهه ولا يظهر نكدا ولا ينهر أحدا ولا يشتمه بحضرتهم بل يدخل على قلوبهم السرور بكل ما أمكن كما حكى عن بعض الكرام أنه دعا جماعة من أصحابه الى بستانه وعمل لهم سماطا وكان له ولد جميل الطلعة فكان الولد فى أول النهار يخدم القوم ويأنسون به ففى آخر النهار صعد الى السطح فسقط فمات لوقته فحلف أبوه على أمه بالطلاق الثلاث أن لا تصرخ ولا تبكى الى أن تصبح فلما كان الليل سأله أضيافه عن ولده فقال هو نائم فلما أصبحوا وأرادوا الخروج قال لهم ان رأيتم ان تصلوا على ولدى فانه بالامس سقط من على

بصناعة الطب الجرائحى وكان معه الدهن الصينى الذى اذا دهنت به الجراحات ختمت بسرعة واندملت فكان ذلك الوزير فى مسيره نحو بلاد الروم يداوى الجراحات بأدوية يضيف اليها يسيرا من ذلك الدهن فتبرأ بسرعة واذا عنى بأحد من ذوى الاقدار داواه بذلك الدهن صرفا فيبرأ على الفور ولا يأخذ على ذلك أجرة فانتشر ذكره فى بلاد الروم وعقدت عليه الخناصر وأقبل عليه الناس وكان مع انفراده مع سابور يراعى جميع أحواله فلم يزالا كذلك حتى طافا جميع الشام وقصدا القسطنطينية فقدماها فذهب الوزير الى البطرك وتفسير هذا الاسم أبو الآباء فاستأذن عليه فأذن له وسأله عن قصده فاخبره أنه هاجر اليه ليتشرف بخدمته ويدخل فى أتباعه ثم أهدى اليه هدية نفيسة حسن موقعها من البطرك فقربه وأكرمه وأحسن نزله وألحقه ببطانته واختبره فوجده عالما بدينهم بل مبرزا فاعجب به غاية الاعجاب وجعل الوزير يتأمل أحوال البطرك ليصحبه بما يلائمه وينفق عنده فوجده مائلا الى الفكاهات محبا لنوادر الاخبار وكان الوزير فى ذلك غاية فاخذ يتحفه بكل نادرة غريبة وملحة عجيبة فصار البطرك لم يطق عن الوزير صبرا لأنه حلا لعينه وحل بقلبه وجعل الوزير مع ذلك يعالج الجراحات ولا يأخذ على ذلك عوضا فعظم قدره فى الناس هذا وهو يتعاهد أحوال سابور فى كل وقت الى أن صنع قيصر وليمة وحضر الناس اليها على طبقاتهم فأراد سابور حضورها ليطلع على أحوال قيصر وعلى رتبته فى قصره وعظم وليمته فنهاه وزيره عن ذلك فعصاه وتزيا بزى ظن انه يستتر به ودخل دار قيصر مع من حضر الوليمة

السطح فمات لساعته فقالوا له لم لا أخبرتنا حين سألناك فقال ما ينبغي لعاقل أن ينغص على أضيافه في التذاذهم ولا يكدر عليهم في عيشهم فتعجبوا من صبره وتجلده ومكارم أخلاقه ثم صلوا على الغلام وحضروا دفنه وبكوا عليه وانصرفوا وعلى المضيف أن يأمر غلمانه بحفظ نعال أضيافه وتفقد غلمانهم بما يكفيهم و يسهل حجابه وقت الطعام ولا يمنع واردا وقيل لبعض الأمراء الكرام لا بأس بالحجاب لئلا يدخل من لا يعرفه الامير و يحترز عن العدو فقال ان عدوا يأكل طعامنا ولا يخدع لا يمكنه الله منا والا أليق بالكريم الرئيس أن يمنع حاجبه من الوقوف ببابه عند حضور الطعام فان ذلك أول الشناعة عليه وعليه أن يسامر أضيافه و يؤانسهم بلذيذ الحادثة وغريب الحكايات وأن يستميل قلوبهم بالبذل لهم من غرائب الظرف ان كان من أهل ذلك وان يرى أضيافه مكان الخلاء فقد قيل عن ملك الهند أنه قال اذا أضافك أحد فأره الكنيف فاني ابتليت به مرة فوضعته في قلنسوتي وقالوا لا بأس أن يدخل الرجل دار أخيه يستطعم للصداقة الوكيدة وقد قصد النبي صلى الله عليه وسلم والشيخان منزل الهيثم بن التيهان وأبي أيوب الانصاري وكذلك كانت عادة السلف رضي الله تعالى عنهم وكان لعون بن عبد الله المسعودي ثلثمائة وستون صديقا فكان يدور عليهم في السنة ولا بأس أن يدخل الرجل بيت صديقه فيأكل وهو غائب فقد دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم دار بريرة رضي الله عنها فأكل طعامها وهي غائبة وكان الحسن رضي الله عنه يوما عند بقال فجعل يأخذ من هذه الجونة تينة ومن هذه فستقة فيأكلها فقال له هشام ما بدا لك يا أبا سعيد في الورع فقال له يا لكع اتل علي آية الأكل فتلا ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم الى قوله أو صديقكم فقال الصديق من استروحت اليه النفس واطمأن اليه القلب وعلى المضيف الكريم أن لا يتأخر عن أضيافه ولا يمنعه عن ذلك قلة ما في يده بل يحضر اليهم ما وجد فقد جاء عن أنس وغيره من الصحابة رضي الله عنهم انهم كانوا يقدمون الكسرة اليابسة وحشف التمر و يقولون ما ندري أيهما أعظم وزرا الذي يحتقر ما قدم اليه أو الذي يحتقر ما عنده أن يقدمه وعن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من ألقم أخاه لقمة حلوة صرف الله عنه مرارة الموقف (وحكى) عن الامام الشافعي رضي الله عنه انه كان نازلا عند الزعفراني ببغداد فكان الزعفراني يكتب كل يوم رقعة بما يطبخ من الالوان و يدفعها الى الجارية فأخذها الشافعي منها يوما وألحق فيها لونا آخر فعرف الزعفراني ذلك فاعتق الجارية سرورا بذلك وكانت سنة السلف رضي الله عنهم أن يقدموا جملة الألوان دفعة ليأكل كل شخص ما يشتهي ومن السنة ان يشيع المضيف الى باب الدار وعلى المضيف اذا قدم الطعام الى أضيافه أن لا ينتظر من يحضر من عشيرته فقد قيل ثلاثة تضني سراج لا يضي ورسول بطي ومائدة ينتظر لها من يجي ونزل الامام الشافعي رضي الله عنه بالامام مالك رضي الله عنه فصب بنفسه الماء على يديه وقال له لا يرعك ما رأيته مني لخدمة الضيف فرض

اعرض طعامك وابذل لمن أكلا * واحلف على من أبى واشكر لمن فعلا
ولا تكن سابري العرض محتشما * من القليل فلست الدهر محتفلا

ومن البخلاء من يعزم على الضيف فيعتذر له فيمسك عنه بمجرد الاعتذار كأنه تخلص من ورطة وقيل لبعض البخلاء ما الفرج بعد الشدة قال أن يعتذر الضيف بالصوم ومن البخلاء من يعجبه طعامه و يصف زباديه و يشتهي أن تبقى على حالها ومنهم من يحضر طعامه فاذا رآه ضيوفه أمر بأن يرفع منها أطيبها وأشهاها الى النفوس و يعتذر ان في أصحابه من يحضر بالغداة عنده (وحكى) عن بعض البخلاء انه استأذن عليه ضيف و بين يديه خبز وزبدية فيها عسل نحل فرفع الخبز وأراد أن يرفع العسل فدخل الضيف من قبل أن يرفعه فظن البخيل أن ضيفه لا يأكل العسل بلا خبز فقال له ترى أن تأكل عسلا بلا خبز قال نعم وجعل يلعق العسل لعقة بعد لعقة فقال له البخيل مهلا يا أخي والله انه يحرق القلب قال نعم صدقت ولكنه قلبك (وحكى) عن بعضهم انه قال غلب علي الجوع مرة فقلت أمضي الى دار فلان لأتغدى عنده فجئت الى باب بيته فوجدت غلامه فقلت له أين سيدك فقال والله لو قلت لك عليه الآن أعطيتني كسرة قال فرجعت هاربا * ومن البخل تقديم الشيء اليسير وتفخيمه * حكى عن بعض البخلاء انه حلف يوما على صديقه وأحضر له خبزا وجبنا وقال له لا تستقل الجبن فان الرطل منه بثلاثة دراهم فقال له ضيفه أنا أجعله بدرهم ونصف قال وكيف ذلك قال آكل لقمة بجبن ولقمة بلا جبن فأين هؤلاء من الذي يقول

وكان قيصر من شدة احتراسه من سابور وخيفته من أن يطرق بلاده وتحسن له همته العالية وحدة الشبيبة ذلك صور سابور في مجالسه وعلى ستور بيته وعلى فرشه وفي آلات أكله وشربه ولما دخل سابور يوم الوليمة واستقر في مجلسه وأكل مع من حضر أتوا بالشراب في كؤس البلور والذهب والفضة والزجاج المحكم وكان في المجلس رجل من حكماء الروم ودهاتهم فلما وقعت عينه على سابور أنكره وجعل يتأمل شخصه فرأى عليه مخايل الرياسة ولما زاد في تأمله وصل اليه دور الكأس فتأمل الصورة التي على الكاس وراجع النظر في سابور فما شك ان الصورة التي على الكأس وضعت على مثاله وغلب على ظنه انه سابور فأمسك الكاس في يده امسا كا طويلا ثم قال رافعا صوته ان هذه الصورة التي على هذا الكاس تخبرني اخبارا عجيبا فقيل له وما الذي تخبرك فقال تخبرني ان الذي هي مثال له معنا في مجلسنا هذا ثم نظر الى سابور وقد تغير لونه حين سمع مقالته فحقق ظنه فبلغ ذلك قيصر فأدناه وقربه وسأله فأخبره ان سابور معه في مجلسه وأشار اليه فأمر قيصر بالقبض عليه وقرب من قيصر فسأله عن نفسه فتعلل بضروب من العلل لم تقبل فقال ذلك المتفرس أيها الملك لا تقبل قوله فانه سابور لا محالة فهدده قيصر بالقتل فاعترف أنه سابور فحبسه قيصر مكرما وأمر أن يعمل له من جلود البقر صورة بقرة وتطبق عليها الجلود سبع طبقات ويتخذ لها باب ويجعل لها كوة لاجل المبال و يستقر سابور بها وتجمع يداه الى عنقه بجامعة من الذهب ذات سلسلة يمكنه معها تناول ما يعمل له من طعام وشراب وغير ذلك فلما دخل سابور جوف تلك الصورة جمع قيصر جنوده واستعد

قالت أماترحل تبغي الغنى * قلت فمن للطارق المعتم * قال فهل عندك شيء له
قلت نعم جهد الفتى المعدم * فكم وحق الله من ليلة * قد أطعم الضيف ولم أطعم
ان الغنى بالنفس ياهذه * ليس الغنى بالمال والدرهم

(وقال بعض البخلاء)

سرى نحونا يبغي القرى طاوي الحشى * لقد عملت فيه الظنون الكواذب
فبات له منا الى الصبح شاتم * بعدد تطفيل الضيوف وضارب *

(وأما آداب الضيف) فهو أن يبادر الى موافقة المضيف في أمور منها أكل الطعام ولا يعتذر بشبع بل يأكل كيف أمكن * فقد حكي انه ورد على بعض الاعراب ضيف فدخل به الى بيته وقدم له الطعام فقال الضيف لست بجائع وانما أحتاج الى مكان أبيت فيه فقال الاعرابي اذا كان هذا عزمك فكن ضيف غيري فاني لا أرى أن تمدحني في البلاد وتهجوني فيما بيني وبينك (وحكي) عن بعض التجار قال استدعاني أبو حفص محمد بن القاسم الكرخي لاعرض عليه قماشا من تجارتي فبينما أنا بين يديه واذا بأطباق الفاكهة قد حضرت فقمت من مجلسه فقال يافلان ماهذا الخلق العامي اجلس فجلست وتحققت كرمه وجعلت آكل الكمثراة في لقمة والتفاحة في لقمة ثم قدم الطعام وكنت جائعا فأكلت أكلا جيدا ثم انصرفت فلم أشعر في اليوم الثاني الا وقد جاءني غلامه ببغلته فاستدعاني اليه فقال لي يافلان اني قليل الاكل بطيء الهضم ولقد طابت لي مؤاكلتك بالامس فأريد أن لا تنقطع بعدها عني قال فكنت متى انقطعت حضر غلامه في طلبي فحصل لي بقربي منه مال كثير وجاه عريض * ومن آداب الضيف أيضا أن لا يسأل صاحب المنزل عن شيء من داره سوى القبلة وموضع قضاء الحاجة وان لا يتطلع ناحية الحريم وان لا يخالفه اذا أجلسه في مكان وأكرمه به وأن لا يمتنع من غسل يديه واذا رأى صاحب المنزل قد تحرك بحركة فلا يمنعه منها فقد نقل في بعض المجاميع ان بعض الكرماء كان عربيدا على أضيافه سيء الخلق بهم فبلغ ذلك بعض الاذكياء فقال الذي يظهر لي من هذا الرجل انه كريم الاخلاق وما أظن سوء أخلاقه الا لسوء أدب الاضياف ولابد أن أتطفل عليه لأرى حقيقة أمره قال فقصدته وسلمت عليه فقال هل لك أن تكون ضيفي قلت نعم فسار بين يدي الى أن جاء الى باب داره فأذن لي فدخلت فأجلسني في صدر مجلسه فجلست حيث أجلسني وأعطاني مسندا فاستندت اليه فأخرج شطرنجا وقال أتتقن شيأ قلت نعم فلعبت معه فلما احضر الطعام جعل يقدم لي ما استطابه وأنا آكل فلما فرغنا قدم طستا وابريقا وأراد أن يصب الماء على يدي فلم أمنعه من ذلك وأراد الخروج بين يدي بعد أن قدم نعلي فلم أرده عن ذلك فلما أراد الرجوع قلت ياسيدي أنشدك الله الا فرجت عني كربة قال وماهي فأخبرته الخبر فقال والله ما يحوجني لذلك الا سوء أدبهم يصل الضيف الى داري فأجلسه في الصدر فيأبى ذلك ثم أقدم اليه الطعام فلا أتحفه بشيء مستظرف الارده ثم أريد أن أصب الماء على يديه عند الغسل فيحلف بالطلاق الثلاث ماتفعل ثم أريد أن أشيعه فلا يمكنني من ذلك فأقول في نفسي لا يحكم الانسان على نفسه حتى في بيته فعند ذلك أشتمه وألعنه بل وأضربه وفي معنى ذلك يقول بعضهم

لا ينبغي للضيف أن يعترض * ان كان ذا حزم وطبع لطيف
فالأمر للانسان في بيته * ان شاء أن ينصف أو أن يحيف

(ومما) يعاب على الضيف أمور منها كثرة الاكل المفرط الا أن يكون بدويا فانها عادته ومنها أن يتتبع طريق الشرهين كمن يأخذ معه بطة مشمعة يقلب فيها الزبادي والامراق والحلوى وغير ذلك ومنها أن يأخذ معه ولده الصغير ويعلمه أن يبكي وقت الانصراف من الطعام ليعطى على اسم ولده الصغير * ومنها اقبح المؤاكلة وقد عد فيها عيوب كثيرة فمنها المتشاوف والعداد والجراف والرشاف والنفاض والقراض والبهات واللتات والعوام والقسام والمخلل والمزبد والمرغ والمرشش والمفتش والمنشف والملبب والصباب والنفاخ والحامي والمجنح والشطرنجي والمهندس والمتمني والفضولي * فأما المتشاوف فهو الذي يستحكم جوعه قبل فراغ الطعام فلا تراه الا متطلعا لناحية الباب يظن ان كل ما دخل هو الطعام وأما العداد فهو الذي يستغرق في عد الزبادي ويعد على أصابعه ويشير اليها وينسى نفسه

الغزو بلاد فارس ووكل بسابور وهو داخل البقرة مائة رجل من ذوي البأس والشدة يحملونها وصرف أمره الى المطران وهو خليفة البطرك فكانت تلك الصورة تحمل بين يديه فاذا نزل العسكر نزلت الصورة التي فيها سابور وسط العسكر وضربت عليها قبة وتضرب للمطران قبة مجاورة لقبة سابور وسار قيصر مخترقا بجنوده وعساكره وقد عزم على خراب بلاد فارس ولما وجد السير قال وزير سابور للبطرك أيها الاب انما استفدت بخدمتك الرغبة في مصالح الأعمال ولا عمل أصلح من تنفيس كربة عن مجهود وجر منفعة الى مضطر وقد علمت اجتهادي في مداواة الجرحى وان نفسي تنازعني الى صحبة الملك قيصر في سفره هذا لاغير فلعل الله تعالى يستنقذ بي نفسا صالحة أو يسوقني الى مداواة جريح من العسكر ليتقدس قلبي بهذه المثوبات فكره البطرك ذلك وقال له قد علمت أني لا أستطيع فراقك فكيف تطالبني بالسفر البعيد قال فلم يزل وزير سابور يتضرع الى البطرك الى أن استحى منه وسمح له بذلك وزوده وكتب معه الى المطران يخبره برتبته عنده وانه يحله في أعلى المراتب ويستضيء برأيه اذا أشكل عليه أمر فقدم وزير سابور على المطران فعرف له حقه وأنزله في قبته وجعل زمام أمره ونهيه بيده وصار الوزير يستميله بما يميل اليه ويطرفه في كل ليلة بطرف الأخبار وانما يرفع بها صوته ليسمع سابور حديثه فيتسلى بذلك ويدس في أحاديثه ما يريد أن يعلمه به ويبطنه من الأسرار فكان سابور يجد بذلك راحة عظيمة وكان الوزير قد أعد لخلاص سابور أنواعا من المكايد رتبها عند ما قدم على المطران منها انه امتنع من مؤاكلة المطران وأخبره أنه لا يخلط

والجراف هو الذي يجعل اللقمة في جانب الزبدية ويجرف بها الى الجانب الآخر والرشاف هو الذي يجعل اللقمة في فيه ويرتشفها فيسمع لها حين البلع حس لا يخفى على جلسائه وهو يلتذ بذلك والنفاض هو الذي يجعل اللقمة في فيه وينفض أصابعه في الزبدية والقراض هو الذي يقرض اللقمة باطراف أسنانه حتى يهذبها او يضعها في الطعام بعد ذلك والبهات هو الذي يبهت في وجوه الآكلين حتى يبهتهم ويأخذ اللحم من بين أيديهم واللتات هو الذي يلت اللقمة باطراف أصابعه قبل وضعها في الطعام والعوام هو الذي يميل ذراعيه يمنة ويسرة لاخذ الزبادي والقسام هو الذي يأكل نصف اللقمة ويعيد باقيها في الطعام من فيه والمخلل هو الذي يخلل اسنانه باظفاره والمزبد هو الذي يحمل معه الطعام والمرنخ هو الذي يرنخ اللقمة في الامراق فلا يبلع الاولى حتى تلين الثانية والمرشش هو الذي يفسخ الدجاج بغير خبرة فيرش على مؤاكليه والمفتش هو الذي يفتش على اللحم بأصابعه والمنشف هو الذي ينشف يديه من الدهن باللقم ثم يأكلها والملبب هو الذي يملأ الطعام لبابا والصباب هو الذي ينقل الطعام من زبدية الى زبدية ليبرده والنفاخ هو الذي ينفخ في الطعام والحامي هو الذي يجعل اللحم بين يديه فيحميه عن مؤاكليه والمجنح هو الذي يزاحم مؤاكليه بجناحيه حتى يفسح له في المجلس فلا يشق عليه الاكل والشطرنجي هو الذي يرفع زبدية ويضع زبدية اخرى مكانها والمهندس هو الذي يقول لمن يضع الزبادي ضع هذه هنا وهذه هنا حتى يأتي قدامه ما يحب والمتمني هو الذي يقول ليتني لم يكن معي من يأكل والفضولي هو الذي يقول لصاحب المنزل عند فراغ الطعام ان كان قد بقي عندك في القدور شيء فاطعم الناس فان فيهم من لم يأكل * ومن الاضياف من لا يلذ له حديث الا وقت غسل يده فيبقى الغلام واقفا والابريق في يده والناس ينتظرونه ومنهم من يغسل يديه بالاشنان مرة واحدة فاذا اجتمع الوسخ والذفر تسولك بهما ومنهم من يدخل الدار فيبتدئ بالهندسة أولا فيقول كان ينبغي ان يكون باب المجلس من ههنا والايوان كان ينبغي ان يكون ههنا وينتقل من الهندسة الى ترتيب المجلس فينقل الفاكهة من موضعها الى موضع آخر وان كان قد استحكم جوعه استعفى من الطعام وذهل عن بقية الاضياف وشدة جوعهم * ومنهم من يخرج فيطوف على أصدقاء صاحب الدعوة فيتألم من انقطاعهم ويستوحش من غيبتهم ويسلطهم على عرض صاحبهم * ولقد حكى عن مغن غير مجيد أنه لم يبطل ولا ليلة واحدة وما ذاك الا انه كان اذا سئل أين كنت قال كنت عند الناس واذا قيل له أين أكلت قال أكلت في بطني واذا قيل له أين شربت قال شربت في فمي ومنهم من يفهم عن صاحب الدعوة أنه يقول لغلامه اشتر كذا فيقول والله العظيم أو الطلاق الثلاث يلزمه ما يشتري شيأ فاذوقه فيعجز صاحب المنزل ويخجله اذا لم يكن في بيته شيء موجود وليت شعري اذا كان لا يأكل فلاي شيء حضر ومنهم من يرى صاحب البيت قد أسر الى صديقه شيأ فيقول ما الذي قال المولى لصاحبنا وهو لا يريد أن يعلمه ومنهم من يستعجل صاحب المنزل بالاكل ويشكو الجوع ويظن أن ذلك بسط ومكارم أخلاق وانما ذلك يكون في بيته لا في بيوت الناس ومنهم من يقول لصاحب الدعوة من يغني لنا فيقول فلان فيقول له غلطت لم لا دعوت فلانا ومنهم من يسأل صاحب البيت كيف قوته في النكاح فيقول له أنا رجل كبير قد ضعفت قوتي وشهوتي أو يقول مالي قوة طائلة في ذلك فيقول أنا والله كلما مر على عام تزايدت شهوتي وكثرة هذا الفن تشوقي ويعلن بذلك حتى تسمعه صاحبة البيت ومنهم من يشكو حاله مع أهل بيته ويذكر نفقته عليهن وكسوته لهن وكثرة انعامه واحسانه اليهن وما عليه زوجته من سوء الاخلاق وكبر النفس لتستقل زوجة صاحب البيت ما هي فيه مع زوجها وربما كان ذلك سببا لفراقها منه ومنهم من تعجبه نفسه ويستحسن لباسه ويستطيب رائحته واذا سمع الغناء تواجد وأظهر الطرب وحرك رأسه ويقوم قائما يتمايل حتى يرى أهل الرجل أنه لطيف الشكل بديع الحركات ويظن في نفسه أنه يعشق وان رسول صاحبة البيت لا يبطئ عنه ومنهم من يقال له إلعب الشطرنج فيأباه ويشتغل بالدندنة فيقع في الفضول ومنهم من يتأمر على غلمان صاحب البيت ويهين أولاده ويظن أنه يدل عليهم ومنهم من يقول له صاحب البيت كل فيقول ما آكل الا أنا ورفيقي ومنهم من يسمع السائل على الباب فيتصدق عليه من مال صاحب البيت بغير اذنه أو يقول للسائل فتح الله عليك ومنهم من يدعو الناس لصاحب الوليمة بغير اذنه ويقلده ذلك المنن وأكثر الناس واقع في ذلك نسأل الله تعالى أن يلهمنا رشدنا وأن يعيذنا من شرور أنفسنا بمنه وكرمه انه جواد كريم رؤف رحيم ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

بطعام البطرك غيره لاجل بركته فكان اذا احضر طعام المطران أخرج هو ذلك الزاد الذي معه وانفرد بالاكل وحده فلم يزل قيصر سائرا بجنوده حتى بلغ أرض فارس فأكثر فيها القتل والسبي وتغوير المياه وقطع الاشجار وخراب القرى والحصون وهو مع ذلك يواصل السير ليستولي على دار مملكة سابور قبل أن يشعر وافهلكوا علينهم رجالا منهم ولم يكن للفرس همّ الا الفرار من بين يديه والاعتصام بالمعاقل والحصون فلم يزل قيصر على تلك الحال حتى بلغ مدينة سابور وقرار ملكه فاحاط بها ونصب عليها آلات الحصار ولم يكن عندها قوة ولا منعة في دفعه أكثر من ضبط الأسوار والقتال عليها وكل ذلك فهمه سابور من كنايات الوزير في محاضراته للمطران ولكن لم يسمع له كلمة من حين محنة قيصر في تلك الصورة فلما علم سابور ان قيصر قد ثقلت وطأته وأشرف على فتح البلد عيل صبره وساء ظنه ويئس من الحياة فلما جاءه الموكل بطعامه قال له ان هذه الجامعة قد نالت مني منالا ضعفت قوتي عن احتماله فان كنتم تريدون بقاء نفسي فنفسوا عني منها واجعلوا بينها وبين يدي وعنقي خرقا من الحرير فجاء الموكل بالطعام الى المطران وأعلمه بالذي قاله سابور فسمعه الوزير وعلم ان سابور قد جزع وساء ظنه وفطن لما أراد سابور فلما جن الليل وجاء لمسامرة المطران قال له قد ذكرت الليلة حديثا عجيبا ما ذكرته منذ كذا وكذا وودت انني كنت حدثت به البطرك قبل سفري فقال له المطران اني أرغب اليك انك تحدثني الليلة أيها الراهب الحكيم فقال الوزير حبا وكرامة ثم اندفع يحدثه رافعا صوته ليسمع سابور ويفهم الغرض ويستأنس فقال له

الباب السادس والثلاثون فى العفو والحلم والصفح وكظم الغيظ والاعتذار وقبول المعذرة والعتاب وما أشبه ذلك

قد ندب الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم الى الصفح والعفو بقوله تعالى فاصفح الصفح الجميل قيل هو الرضا بلا عتب وقال تعالى خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين وقال تعالى والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين وقال تعالى ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الأمور وعن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت قصورا مشرفة على الجنة فقلت يا جبريل لمن هذه قال للكاظمين الغيظ والعافين عن الناس وقال معاذ بن جبل رضى الله عنه لما بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اليمن قال مازال جبريل عليه السلام يوصيني بالعفو فلولا علمي بالله لظننت انه يوصيني بترك الحدود وقال الحسن بن أبي الحسن اذا كان يوم القيامة نادى مناد من كان له على الله أجر فليقم فلا يقوم الا العافون عن الناس وتلا قوله تعالى فمن عفا وأصلح فأجره على الله وقال على كرم الله وجهه أولى الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة وكان المأمون رحمه الله تعالى يحب العفو ويؤثره ويقول لقد حبب الى العفو حتى انى أخاف أن لا أثاب عليه وكان يقول لو علم أهل الجرائم لذتى فى العفو لارتكبوها وقال لو علم الناس حبي للعفو لما تقربوا الى الا بالجنايات وقال على كرم الله وجهه اذا اقدرت على عدوك فاجعل العفو عنه شكر القدرة عليه وقال على رضى الله تعالى عنه أقيلوا ذوى المروآت عثراتهم فما يعثر منهم عاثر الا ويده بيد الله يرفعه وقال رضى الله عنه ان أول عوض الحليم عن حلمه أن الناس أنصاره على الجاهل وقال المنتصر لذة العفو يلحقها حمد العاقبة ولذة التشفى يلحقها ذم الندم وقال ابن المعتز لا تشن وجه العفو بالتقريع وقيل ما عفا عن الذنب من قرّع به وقال رجل لرجل سبه اياك أعني فقال له وعنك أعرض وكان الأحنف رحمه الله تعالى كثير العفو والحلم وكان يقول ما آذاني أحد الا أخذت فى أمره باحدى ثلاث ان كان فوقي عرفت له فضله وان كان مثلي تفضلت عليه وان كان دوني أكرمت نفسي عنه وكان مشهورا بين الناس بالحلم وبذلك ساد عشيرته وكان يقول وجدت الاحتمال أنصر لى من الرجال وقيل له ممن تعلمت الحلم فقال من قيس بن عاصم كنا نختلف اليه فى الحلم كما نختلف الى الفقهاء فى الفقه ولقد حضرت عنده يوما وقد أتوه بأخ له قد قتل ابنه فجاؤا به مكتوفا فقال ذعرتم أخي أطلقوه واحملوا الى أم ولدي ديته فانها ليست من قومنا ثم أنشأ يقول

أقول للنفس تصبيرا وتعزية * احدى يدى أصابتني ولم ترد
كلاهما خلف من فقد صاحبه * هذا أخي حين أدعوه وذا ولدى

وقيل من عادة الكريم اذا قدر غفر واذا رأى زلة ستر وقالوا ليس من عادة الكرام سرعة الغضب والانتقام وقيل من انتقم فقد شفى غيظه وأخذ حقه فلم يجب شكره ولم يحمد فى العالمين ذكره والعرب تقول لا سودد مع الانتقام والذى يجب على العاقل اذا أمكنه الله تعالى أن لا يجعل العقوبة شيمته وان كان ولا بد من الانتقام فليرفق فى انتقامه الا أن يكون حدا من حدود الله تعالى وقال المنصور لجان عجز عن العذر ما هذا الوجوم وعهدى بك خطيبا لسنا فقال يا أمير المؤمنين ليس هذا موقف مباهاة ولكنه موقف توبة والتوبة بالاستكانة والخضوع فرق له وعفا عنه وسعى الى المنصور برجل من ولد الاشتر النخعي ذكر له عنه أنه يميل الى بني على والتعصب لهم فأمر باحضاره فلما مثل بين يديه قال يا أمير المؤمنين ذنبي أعظم من نقمتك وعفوك أعظم من ذنبي ثم قال

فهبني مسيأ كالذى قلت ظالما * فعفوا جميلا كى يكون لك الفضل
فان لم أكن للعفو منك لسوء ما * أتيت به أهلا فانت له أهل

فعفا عنه وأمر له بصلة وأحضر الى المأمون رجل قد أذنب ذنبا فقال له أنت الذى فعلت كذا وكذا قال نعم يا أمير المؤمنين أنا ذلك الذى أسرف على نفسه واتكل على عفوك فعفا عنه وخلى سبيله * واحضر الى الهادى رجل من أصحاب عبد الله بن مالك فوبخه على ذنب فقال يا أمير المؤمنين ان اقرارى يلزمني ذنبا لم أفعله ويلحق بي جرما لم أقف عليه وانكارى رد عليك ومعارضة لك ولكني أقول

فان كنت تبغي بالعقاب تشفيا * فلا تزهدن عند التجاوز فى الاجر

اعلم أيها المطران انه كان ببلادنا فتى وفتاة ليس فى زمانهما أحسن منهما اسم الفتى عين أهله واسم الفتاة سيدة الناس وكانا زوجين مؤتلفين لا يبتغي أحدهما بالآخر بدلا ثم ان عين أهله جلس يوما مع أصحابه فتذاكروا النساء الى أن ذكر أحدهم امرأة أطنب فى وصفها وبالغ وذكر أن اسمها سيدة الذهب فوقع فى قلب عين أهله حبها فسأل الواصف عن منزلها فذكر انها ببلد بالقرب من بلده ففكر عين أهله فى أمرها وخامره حبها فانطلق الى البلد التى هى ساكنة بها وسأل عن منزلها فعرفه ولم يزل يتردد الى بابها حتى رآها فرأى منظرا حسنا ولكن لم تكن بأحسن من امرأته بل ضرورات النفس حب التنقل فى الأحوال ولازم عين أهله المعاودة الى منزل سيدة الذهب حتى فطن له بعلها وكان جافيا غليظ الطبع شديد البطش يسمى الذئب فرصد عين أهله حتى مر به فلما رآه وثب عليه وقتل فرسه ومزق ثيابه واستعان بجماعته عليه فاحتملوه الى داخل دار الذئب وربطوه الى سارية فى الدار ووكل به عجوزا مقطوعة اليد جدعاء عوراء شوهاء فلما جن عليه الليل أوقدت تلك العجوز النار بالقرب منه وجعلت تصطلى فذكر عين أهله ما كان فيه من السلامة والعافية والرفاهية والعز فبكى بكاء شديدا فاقبلت عليه العجوز وقالت له ما ذنبك الذى أوجب هذا فقال عين أهله ما علمت لى ذنبا فقالت العجوز هكذا قال الفرس للخنزير وكذب فقال عين أهله للعجوز وما الذى كذب فيه الفرس عند الخنزير فقالت له العجوز ذكروا ان فرسا كان لاحد الشجعان فكان يبالغ فى اكرامه ويحسن اليه ويعده لمهماته ولا يصبر عنه ساعة وكان يخرج به فى

فقال لله درك من معتذر بحق أو باطل ما أمضى لسانك وأثبت جنانك وعفا عنه وخلى سبيله وركب يوما عمرو بن العاص رضي الله عنه بغلة له شهباء ومر على قوم فقال بعضهم من يقوم للامير فيسأله عن أمه وله عشرة آلاف فقال واحد منهم أنا فقام وأخذ بعنان بغلته وقال أصلح الله الامير أنت أكرم الناس خيلا فلم ركبت دابة اشهاب وجهها فقال انى لا أمل دابتى حتى تملنى ولا أمل رفيقى حتى يملنى فقال أصلح الله الامير أما العاص فقد عرفناه وعلمنا شرفه فمن الام قال على الخبير سقطت أمى النابغة بنت حرملة بن عنزة سبتها رماح العرب فأتى بها سوق عكاظ فبيعت فاشتراها عبد الله بن جدعان ووهبها للعاص بن وائل فولدت وأنجبت فان كان قد جعل لك جعل فارجع وخذه وأرسل عنان الدابة وقيل ان أمه كانت بغيا عند عبد الله بن جدعان فوطئها فى طهر واحد أبو لهب وأمية بن خلف وأبو سفيان بن حرب والعاص بن وائل فولدت عمرا فادعاه كلهم فحكمت فيه أمه فقالت هو للعاص لان العاص هو الذى كان ينفق عليها وقالوا كان أشبه بأبى سفيان * وكان الواثق يتشبه بالمأمون فى أخلاقه وحلمه وكان يقال له المأمون الصغير نقل عنه انه دخلت عليه ابنة مروان بن محمد فقالت السلام عليك يا أمير المؤمنين فقال لست به فقالت السلام عليك أيها الامير فقال لها وعليك السلام ورحمة الله وبركاته فقالت ليسعنا عدلكم فقال اذا لا يبقى على وجه الارض منكم أحد لانكم حاربتم على بن أبى طالب رضي الله عنه وكرم وجهه ومنعتم حقه وسممتم الحسن رضي الله عنه ونقضتم شرطه وقتلتم الحسين رضي الله عنه وسبيتم أهله ولعنتم على بن أبى طالب رضي الله عنه على منابركم وضربتم على بن عبد الله ظلما بسياطكم فعدلنا لا يبقى منكم أحدا فقالت فليسعنا عفوكم قال أما هذا فنعم وأمر برد أموالها عليها وبالغ فى الاحسان اليها * وكان معاوية رضي الله عنه يعرف بالحلم وله فيه أخبار مشهورة وآثار مذكورة وكان يقول انى لآنف أن يكون فى الارض جهل لا يسعه حلمى وذنب لا يسعه عفوى وحاجة لا يسعها جودى وهذه مروأة عالية المرتبة وقال له رجل يوما ما أشبه استك باست أمك فقال ذاك الذى أعجب أبا سفيان منها وكتب معاوية الى عقيل بن أبى طالب رضي الله عنه يعتذر اليه من شئ جرى بينهما يقول من معاوية بن أبى سفيان الى عقيل بن أبى طالب أما بعد يا بنى عبد المطلب فانتم والله فروع قصى ولباب عبد مناف وصفوة هاشم فاين أخلاقكم الراسية وعقولكم الكاسية وقد والله أساء أمير المؤمنين ما كان جرى ولن يعود لمثله الى أن يغيب فى الثرى فكتب اليه عقيل يقول

صدقت وقلت حقا غير أنى * أرى أن لا أراك ولا ترانى

ولست أقول سوأ فى صديقى * ولكنى أصد اذا جفانى

فركب اليه معاوية رضي الله عنه وناشده فى الصفح عنه واستعطفه حتى رجع (وحكى) عنه رضي الله عنه انه لما ولى الخلافة وانتظمت اليه الامور وامتلأت منه الصدور وأذعن لامره الجمهور وساعده فى مراده القدر المقدور استحضر ليلة خواص أصحابه وذاكرهم وقائع أيام صفين ومن كان يتولى كبر الكريهة من المعروفين فانهمكوا فى القول الصحيح والمريض وآل حديثهم الى من كان يجتهد فى ايقاد نار الحرب عليهم بزيادة التحريض فقالوا امرأة من أهل الكوفة تسمى الزرقاء بنت عدى كانت تتعمد الوقوف بين الصفوف وترفع صوتها صارخة يا أصحاب على تسمعهم كلاما كالصوارم مستحثة لهم بقول لو سمعه الجبان لقاتل والمدبر لاقبل والمسالم لحارب والفار لكر والمتزلزل لاستقر فقال لهم معاوية رضي الله عنه أيكم يحفظ كلامها فقالوا كلنا نحفظه قال فما تشيرون على فيها قالوا نشير بقتلها فانها أهل لذلك فقال لهم معاوية رضي الله عنه بئسما أشرتم به وقبحا لما قلتم أيحسن أن يشتهر عنى أننى بعدما ظفرت وقدرت قتلت امرأة قد وفت لصاحبها انى اذا للئيم لا والله لا فعلت ذلك أبدا ثم دعا بكاتبه فكتب كتابا الى واليه بالكوفة أن أنفذ الى الزرقاء بنت عدى مع نفر من عشيرتها وفرسان من قومها ومهد لها وطاء لينا ومركبا ذلولا فلما ورد عليه الكتاب ركب اليها وقرأه عليها فقالت بعد قراءة الكتاب ما أنا بزائغة عن الطاعة فحملها فى هودج وجعل غشاءه خزا مبطنا ثم أحسن صحبتها فلما قدمت على معاوية قال لها مرحبا وأهلا خير مقدم قدمه وافد كيف حالك يا خالة وكيف رأيت سيرك قالت خير مسير فقال هل تعلمين لم بعثت اليك قالت لا يعلم الغيب الا الله سبحانه وتعالى قال ألست راكبة الجمل الأحمر يوم صفين وأنت بين الصفوف توقدين نار الحرب وتحرضين على القتال قالت نعم قال فما حملك على

قصته كل يوم فيزيل لجامه وسرجه ويطيل رسنه فيتمرغ ويرعى فى كل مرج خصب حتى يرتفع النهار فيرده وهو على يده ثم انه خرج يوما الى المرج راكبا ونزل عنه فلما استقرت قدماه على الارض نفر الفرس وجمح ومر يعدو بسرجه ولجامه فطلبه الفارس يومه كله فأعجزه وغاب عنه عند غروب الشمس فرجع الفارس الى أهله وقد يئس من الفرس ولما انقطع الطلب عن الفرس وأظلم عليه الليل جاع وطلب أن يرعى فمنعه اللجام ورام أن يتمرغ فمنعه السرج ورام أن يضطجع فمنعه الركاب فبات بشر فلما أصبح ذهب يبتغى فرجا لما هو فيه فاعترضه نهر فدخله ليقطعه الى جهته الأخرى فاذا هو بعيد القعر فسبح فيه وكان حزامه ولببه من جلد ما أتقن فى دبغه فلما خرج أصابت الشمس الحزام واللبب فيبسا واشتدا عليه فورم موضع اللبب والحزام واشتد به الضرر وقوى به الجوع ومضت عليه أيام فتزايد ضعفه وعجز عن المشى فمر به خنزير فهم بقتله فرآه ضعيفا جدا فسأله عن حاله فاخبره بما فيه من اضرار اللجام واللبب والحزام وسأله أن يصنع معه معروفا ويخلصه مما هو فيه فسأله الخنزير عن الذنب الذى أوقعه فى تلك العقوبة فزعم الفرس أن لا ذنب له فقال له الخنزير كذبت ولو صدقت خلصتك مما أنت فيه ومن جهل ذنوبه وأصر عليها لم يرج فلاحه فحدثنى يا فرس عن ابتداء أمرك فيما نزل بك وعن حالك قبل ذلك فصدقه الفرس وأخبره بجميع أمره وكيف كان عند فارسه مكرما وكيف فارقه وما لقى فى طريقه الى حين اجتماعه بالخنزير فقال الخنزير قاتلك الله لقد كفرت النعم وأكثرت الذنوب منها خلافك لفارسك الذى بالغ فى الاحسان اليك وأعدلك لمهماته ومنها كفرك احسانه ومنها

ذلك قالت يا أمير المؤمنين انه قد مات الرأس وبتر الذنب والدهر ذو غير ومن تفكر أبصر والأمر يحدث بعده
الأمر فقال صدقت فهل تعرفين كلامك وتحفظين ما قلت قالت لا والله قال لله أبوك فلقد سمعتك تقولين أيها
الناس ان المصباح لا يضيء فى الشمس وان الكواكب لا تضيء مع القمر وان البغل لا يسبق الفرس ولا يقطع
الحديد الا بالحديد ألا من استرشدنا أرشدناه ومن سألنا أخبرناه ان الحق كان يطلب ضالة فأصابها فصبرا
يا معشر المهاجرين والأنصار فكأنكم وقد التأم شمل الشتات وظهرت كلمة العدل وغلب الحق باطله فانه
لا يستوى المحق والمبطل أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون فالنزال النزال والصبر الصبر ألا وان
خضاب النساء الحناء وخضاب الرجال الدماء والصبر خير الأمور عاقبة ائتوا الحرب غير ناكصين فهذا يوم له
ما بعده يا زرقاء أليس هذا قولك وتحريضك قالت لقد كان ذلك قال لقد شاركت عليا فى كل دم سفكه فقالت
أحسن الله بشارتك يا أمير المؤمنين وأدام سلامتك مثلك من يبشر بخير ويسر جليسه فقال معاوية أوقد سرك
ذلك قالت نعم والله لقد سرني قولك وأنى لى بتصديقه فقال لها معاوية والله لوفاؤكم له بعد موته أعجب الى من
حبكم له فى حياته فاذكرى حوائجك تقض فقالت يا أمير المؤمنين انى آليت على نفسي أن لا أسأل أحدا بعد
على حاجة فقال قد أشار على بعض من عرفك بقتلك فقالت لؤم من المشير ولو أطعته لشاركته قال كلا بل نعفو
عنك ونحسن اليك ونرعاك فقالت يا أمير المؤمنين كرم منك ومثلك من قدر فعفا وتجاوز عمن أساء وأعطى من
غير مسئلة قال فأعطاها كسوة ودراهم وأقطعها ضيعة تغل لها فى كل سنة عشرة آلاف درهم وأعادها الى
وطنها سالمة وكتب الى والى الكوفة بالوصية بها وبعشيرتها وقيل كان لعبد الله بن الزبير رضى الله عنهما أرض
وكان له فيها عبيد يعملون فيها والى جانبها أرض لمعاوية وفيها أيضا عبيد يعملون فيها فدخل عبيد معاوية
فى أرض عبد الله بن الزبير فكتب عبد الله كتابا الى معاوية يقول له فيه أما بعد يا معاوية ان عبيدك قد دخلوا
فى أرضى فانههم عن ذلك والا كان لى ولك شان والسلام فلما وقف معاوية على كتابه وقرأه دفعه الى ولده يزيد
فلما قرأه قال له معاوية يا بنى ما ترى قال أرى أن تبعث اليه جيشا يكون أوله عنده وآخره عندك يأتونك
برأسه فقال بل غير ذلك خير منه يا بنى ثم أخذ ورقة وكتب فيها جواب كتاب عبد الله بن الزبير يقول فيه أما بعد
فقد وقفت على كتاب ولد حوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم وساءنى ما ساءه والدنيا بأسرها هينة عندى فى
جنب رضاه نزلت عن أرضى لك فأضفها الى أرضك بما فيها من العبيد والأموال والسلام فلما وقف عبد الله بن
الزبير رضى الله عنهما على كتاب معاوية رضى الله عنه كتب اليه قد وقفت على كتاب أمير المؤمنين أطال الله
بقاءه ولا أعدمه الرأى الذى أحله من قريش هذا المحل والسلام فلما وقف معاوية على كتاب عبد الله بن الزبير
وقرأه رمى به الى ابنه يزيد فلما قرأه تهلل وجهه وأسفر فقال أبوه يا بنى من عفا ساد ومن حلم عظم ومن
تجاوز استمال اليه القلوب فاذا ابتليت بشيء من هذه الأدواء فداوه بمثل هذا الدواء *ولما دخل الفيل دمشق
واجتمع الناس لرؤيته صعد معاوية فى مكان مرتفع ينظر اليه فبينما هو كذلك اذ نظر فى بعض الحجر من قصره
رجلا مع بعض حرمه فأتى الحجرة ودق الباب فلم يكن من فتحه بد فوقعت عينه على الرجل فقال له يا هذا فى قصرى
وتحت جناحى تهتك حرمتى وأنت فى قبضتى ما حملك على هذا قال فبهت الرجل وقال حلمك أوقعنى فقال له
معاوية فان عفوت عنك تسترها على قال نعم فعفا عنه وخلى سبيله وهذا من الحلم الواسع أن يطلب الستر
من الجانى وهو عروض قول الشاعر

اذا مرضتم أتيناكم نعودكم * وتذنبون فنأتيكم ونعتذر

﴿وحكى﴾ عن الربيع مولى الخليفة المنصور قال ما رأيت رجلا أربط جاشا وأثبت جنانا من رجل سعى به الى
المنصور أن عنده ودائع وأموالا لبنى أمية فأمرنى باحضاره فأحضرته اليه فقال له المنصور قد رفع الينا خبر
الودائع والأموال التى عندك لبنى أمية فأخرج لنا منها وأحضرها ولا تكتم منها شيأ فقال يا أمير المؤمنين أنت
وارث بنى أمية قال لا قال فوصى لهم فى أموالهم ورباعهم قال لا قال فما مسئلتك عما فى يدى من ذلك قال
فأطرق المنصور وتفكر ساعة ثم رفع رأسه وقال ان بنى أمية ظلموا المسلمين فيها وأنا وكيل المسلمين فى حقوقهم
وأريد أن آخذ ما ظلموا المسلمين فيه فأجعله فى بيت أموالهم فقال يا أمير المؤمنين فتحتاج الى اقامة بينة عادلة
أن ما فى يدى لبنى أمية مما خانوه وظلموه فان بنى أمية قد كانت لهم أموال غير أموال المسلمين قال فأطرق

تعذيبك على ما ليس لك وهو السرج
واللجام ومنها اساءتك لنفسك
بتعاطيك التوحش الذى لست من
أهله ولا لك عليه مقدرة ومنها اصرارك
على ذنبك وكنت قادرا على العود
الى فارسك قبل أن يوهنك اللجام
والجوع والحزام والتعب بالالم فقال
الفرس للخنزير قد عرفت ذنبي
فانطلق عنى ودعني فانى أستحق
أضعاف ما أنا فيه فقال الخنزير بعد
أن عرفت وعدت على نفسك باللوم
واخترت لها العقوبة على جهلها
تعين الشروع فى خلاصك ثم ان
الخنزير قطع عذار اللجام فسقط
وقطع الحزام فنفس عن الفرس قال
فلما سمع عين أهله ما خاطبته به
العجوز قال لها صدقت فيما نطقت
قد أدبتنى فتأدبت ثم أعلمها بخبره
ثم رغبها فى أن تمن عليه بالخلاص كما
فعل الخنزير بالفرس فقالت العجوز
الذى سألتنى لا يمكننى فعله الآن
ولعلى أجد لك فرجا ومخرجا عن
قريب فعليك بالصبر وأمسكت
العجوز عن مخاطبته قال فلما انتهى
الوزير فى حديثه الى هذه الغاية أقبل
على المطران وقال انى أحس فى
أعضائى فتورا وفى رأسى صداعا
ولم أقدر الليلة على اتمام الحديث
ولعلى أكون الليلة القابلة نشيطا
الى ذلك فنهض الى مضجعه فجعل
سابور يتأمل حديث الوزير ويتأمل
الأمثال التى ضربها له ودسها فى
المسامرة ففهم أن الوزير كنى عن
سابور بعين أهله وكنى عن مملكته
بسيدة الناس وكنى عن بلاد الروم
بسيدة الذهب وكنى عن قيصر
بالذئب الذى ذكر أنه بعل سيدة
الذهب وكنى عن طموح نفس سابور
الى مملكة الروم بطموح نفس عين
أهله الى رؤية سيدة الذهب وكنى
عن أخذ قيصر له بقبض الذئب على
عين أهله وكنى عن نفسه وخاله
وعجزه بالعجوز القطعاء وعرفه أنه

المنصور ساعة ثم رفع رأسه وقال يار بيع ما أرى الشيخ الا قد صدق وما يجب عليه شئ وما يسعنا الا أن نعفو عما قيل عنه ثم قال هل لك من حاجة قال نعم حاجتي يا أمير المؤمنين أن تجمع بيني و بين من سعى في اليك فوالله الذى لا اله الا هو ما في يدى لبنى أمية مال ولا وديعة ولكنني لما مثلت بين يديك وسألتني عما سألتني عنه قابلت بين هذا القول الذى ذكرته الآن و بين ذلك القول الذى ذكرته أولا فرأيت ذلك أقرب الى الخلاص والنجاة فقال يار بيع اجمع بينه و بين من سعى به فجمعت بينهما فلما رآه قال هذا غلامي اختلس لى ثلاثة آلاف دينار من مالى وأبق منى وخاف من طلبي له فسعى بى عند أمير المؤمنين قال فشدد المنصور على الغلام وخوفه فأقر بانه غلامه وانه أخذ المال الذى ذكره وسعى به كذبا عليه وخوفا من أن يقع في يده فقال له المنصور سألتك أيها الشيخ أن تعفو عنه فقال قد عفوت عنه وأعتقته ووهبته الثلاثة آلاف التى أخذها وثلاثة آلاف أخرى ادفعها اليه فقال له المنصور ما على ما فعلت من مزيد قال بلى يا أمير المؤمنين ان هذا كله لقليل في مقابلة كلامك وعفوك عنى ثم انصرف قال الربيع فكان المنصور يتعجب منه وكلما ذكره يقول ما رأيت مثل هذا الشيخ يار بيع * وغضب الرشيد على حميد الطوسى فدعا له بالنطع والسيف فبكى فقال له ما يبكيك فقال والله يا أمير المؤمنين ما أفزع من الموت لانه لا بد منه وانما بكيت أسفا على خروجى من الدنيا وأمير المؤمنين ساخط على فضحك وعفا عنه وقال ان الكريم اذا خادعته انخدع * وأمر زياد بضرب عنق رجل فقال أيها الامير ان لى بك حرمة قال وما هى قال ان أبى جارك بالبصرة قال ومن أبوك قال يا مولاى انى نسيت اسم نفسى فكيف لا أنسى اسم أبى فرد زياد كمه على فمه وضحك وعفا عنه * وأمر الحجاج بقتل رجل فقال أسألك بالذى أنت غدا بين يديه أذل موقفا منى بين يديك الا عفوت عنى فعفا عنه ولما ضرب الحجاج رقاب أصحاب ابن الاشعث أتى رجل من بنى تميم فقال والله يا حجاج لئن كنا أسأنا في الذنب ما أحسنت في العفو فقال الحجاج أف لهذه الجيف أما كان فيهم من يحسن الكلام مثل هذا وعفا عنه وخلى سبيله * وكان ابراهيم بن المهدى يقول والله ما عفا عنى المأمون تقربا الى الله تعالى ولا صلة للرحم ولكن له سوق في العفو يكره أن تكسد بقتلى * وسئل الفضل عن الفتوة فقال الصفح عن عثرات الاخوان وفي بعض الكتب المنزلة ان كثرة العفو زيادة في العمر وأصله قوله تعالى وأما ما ينفع الناس فيمكث في الارض وقال يزيد بن مزيد أرسل الى الرشيد ليلا يدعونى فاوجست منه خيفة فقال له أنت القائل أنا ركن الدولة والثائر لها والضارب أعناق بغاتها الام لك أى ركن وأى ثائر أنت قلت يا أمير المؤمنين ما قلت هذا انما قلت أنا عبد الدولة والثائر لها فاطرق وجعل ينحل غضبه عن وجهه ثم ضحك فقلت أحسن من هذا قولى

خلافة الله في هرون ثابتة * وفي بنيه الى أن ينفخ الصور

فقال يا فضل اعطه مائتى ألف درهم قبل أن يصبح * وأمر مصعب بن الزبير بقتل رجل فقال ما أقبح بى أن أقوم يوم القيامة الى صورتك هذه الحسنة و وجهك هذا الذى يستضاء به فاتعلق باطرافك وأقول أى رب سل مصعبا لم قتلنى فقال اطلقوه فلما أطلقوه قال أيها الامير اجعل ما وهبت لى من حياتى في خفض عيش قال قد أمرت لك بمائة ألف درهم فقال

أنا المذنب الخطاء والعفو واسع * ولو لم يكن ذنب لما عرف العفو

وتغيظ عبد الملك بن مروان على رجل فقال والله لئن أمكننى الله منه لأفعلن به كذا وكذا فلما صار بين يديه قال له رجاء بن حيوة يا أمير المؤمنين قد صنع الله ما أحببت فاصنع ما أحب الله فعفا عنه وأمر له بصلة وقال الحسن ان أفضل رداء تردى به الانسان الحلم وهو والله عليك أحسن من برد الحبر وفيه قال أبو تمام

رقيق حواشى الحلم لو أن حلمه * بكفيك ما ماريت في أنه برد

ويقال الحليم سليم والسفيه كليم وقال محمد بن عجلان ما شئ أشد على الشيطان من عالم معه حلم ان تكلم تكلم بعلم وان سكت سكت بحلم يقول الشيطان سكوته أشد على من كلامه (شعر)

اذا كنت تبغى شيمة غير شيمة * طبعت عليها لم تطعك الضرائب

وعن على بن الحسين رضى الله تعالى عنهما أقرب ما يكون العبد من غضب الله اذا غضب * وفي التوراة اذكرنى اذا غضبت أذكرك اذا غضبت فلا أمحقك فيما أمحق واذا ظلمت فاصبر وارض بنصرتى فان نصرتى لك خير من نصرتك لنفسك * وكان ابن عون اذا غضب على انسان قال له بارك الله فيك وكانت له ناقة كريمة فضربها

لا يمكنه تخليصه في هذا الوقت فما قررت العجوز لعين أهله وأنه شارع في خلاصه فاستروح سابور ريح الفرج فسكنت نفسه ووثق بوزيره فلما كانت الليلة القابلة وغشى المطران وأخذ مقعده للمسامرة قال الوزير أيها الحكيم الراهب أخبرني عن ما كان من أمر عين أهله وهل خلصته العجوز من وثاق الذئب أم لا فقال الوزير سمعا وطاعة فشرع في حديثه وقال ان عين أهله أقام على حالته عدة أيام وكل يوم يدخل عليه الذئب ويهدده بالقتل ويزيده قيدا ثم ان العجوز جاءته في بعض الليالى وأضرمت لها بالقرب منه نارا وجلست تصطلى ثم أقبلت على عين أهله وقالت له ساعدنى على خلاصك بالصبر فقال لها عين أهله هان على الطليق ما لقى الاسير فقالت العجوز حداثة سنك قصرت فهمك عن ادراك الحقائق أفتسمع حديثا لك فيه سلوة قال نعم فقالت العجوز ذكروا أن بعض التجار كان له ولد وكان مشغوفا به فاتحفه بعض معارفه بخشف غزال فعلق قلب الصبى بذلك الخشف الصغير فكان لا يفارقه وجعلوا في جيده حليا نفيسا وربطوا له شاة ترضعه حتى اشتد ونجم قرناه فاعجبه بريقهما وسوادهما وقال لاهله ما هذا الذى ظهر في رأس الخشف قالوا قرناه وقالوا انهما سيكبران ويطولان فقال الغلام لابيه انى أحب أن أرى غزالا كبيرا له قرنان كاملان فامر أبوه بعض الصيادين أن يصيد له غزالا كبيرا فاحضر له غزالا قد استكمل قوة ونموا فاعجب الغلام وحلى جيده أيضا فانس الغزال الكبير بالخشف الصغير للمجانسة الطبيعية فقال الخشف للغزال ما كنت أظن لى في الارض شكلا قبل أن أراك فقال له الغزال ان أشكالك كثيرة

الغلام فاندرعينها فقالوا ان غضب ابن عون فانه يغضب اليوم فقال للغلام غفر الله لك وقال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم أي شئ أشد قال غضب الله قال فما يباعدني من غضب الله قال أن لا تغضب ويقال من أطاع الغضب أضاع الادب قال أبو العتاهية

ولم أر في الاعداء حين اختبرتهم * عدوا لعقل المرء أعدى من الغضب

وقال أبو هريرة رضي الله عنه ليس الشديد بالصرعة انما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب وقال ابن مسعود رضي الله عنه كفى بالمرء اثما أن يقال له اتق الله فيغضب ويقول عليك نفسك * وكتب عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه الى عامل من عماله أن لا تعاقب عند غضبك واذا غضبت على رجل فاحبسه فاذا سكن غضبك فاخرجه فعاقبه على قدر ذنبه ولا تجاوز به خمسة عشر سوطا * وقيل لابن المبارك رحمه الله تعالى اجمع لنا حسن الخلق في كلمة واحدة قال ترك الغضب * وقال المعتمر بن سليمان كان رجل ممن كان قبلكم يغضب ويشتد غضبه فكتب ثلاث صحائف فاعطى كل صحيفة رجلا وقال للاول اذا اشتد غضبي فقم الي بهذه الصحيفة وناولنيها وقال للثاني اذا سكن بعض غضبي فناولنيها وقال للثالث اذا ذهب غضبي فناولنيها وكان في الاولى اقصر فما أنت وهذا الغضب انك لست باله انما أنت بشر يوشك أن يأكل بعضك بعضا وفي الثانية ارحم من في الارض يرحمك من في السماء وفي الثالثة احمل عباد الله على كتاب الله فانه لا يصلحهم الا ذلك روي أن أنوشروان وكان الشعبي أولع شئ بهذا البيت

ليست الاحلام في حال الرضا * انما الاحلام في حال الغضب

وعن معاذ بن جبل عن أنس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم من كظم غيظه وهو قادر على أن ينفذه دعاه الله على رؤس الخلائق يوم القيامة حتى يخيره في أي الحور شاء وروي ملأه الله أمنا وايمانا * وقال ابن السماك أذنب غلام لامرأة من قريش فأخذت السوط ومضت خلفه حتى اذا قاربته رمت بالسوط وقالت ما تركت التقوى أحدا يشفي غيظه * وقال أبو ذر لغلامه لم أرسلت الشاة على علف الفرس قال أردت أن أغيظك قال لأجمعن مع الغيظ أجرا أنت حر لوجه الله تعالى واستأذن رهط من اليهود على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأذن لهم فقالوا السام عليك يا محمد فقالت عائشة رضي الله تعالى عنها بل السام عليكم واللعنة فقال يا عائشة ان الله يحب الرفق في الأمر كله فقالت ألم تسمع ما قالوا قال قد قلت وعليكم * ورفع الى عبد الملك بن مروان اعرابي يقال له حمزة سرق وقامت عليه البينة فهم عبد الملك بقطع يده فكتب اليه حمزة من الحبس يقول (شعر)

يدي يا أمير المؤمنين أعيذها * بعفوك أن تلقى مقاما يشينها
فلا خير في الدنيا وكانت خبيثة * اذا ما شمال فارقتها يمينها

قال فأبى عبد الملك الا قطعه فدخلت عليه أم حمزة وقالت يا أمير المؤمنين بني وكاسبي وواجدي فقال لها عبد الملك بئس الكاسب لك هذا حد من حدود الله تعالى فقالت يا أمير المؤمنين فاجعله أحد ذنوبك التي تستغفر الله منها فقال عبد الملك ادفعوه اليها وخلى سبيله (شعر)

اذا ما طاش حلمك عن عدو * وهان عليك هجران الصديق * فلست اذا أخا عفو وصفح
ولا لأخ على عهد وثيق * اذا زل الرفيق وأنت عن * بلا رفق بقيت بلا رفيق
اذا أنت اتخذت أخا جديدا * لما أسكرت من خلق عتيق * فما تدري لعلك مستجير
من الرمضاء فرا في الحريق * فكم من سالك طريقا أمن * أتاه ما يحاذر في الطريق

وشتم رجل رجلا فقال له يا هذا لا تغرق في شتمنا ودع للصلح موضعا فاني أبيت مشاتمة الرجال صغيرا فلن أحييها كبيرا واني لا أكافئ من عصى الله في بأكثر من أن أطيع الله فيه (وحكي) عن جعفر الصادق رضي الله عنه أن غلاما له وقف يصب الماء على يديه فوقع الابريق من يد الغلام في الطست فطار الرشاش في وجهه فنظر جعفر اليه نظرة مغضب فقال يا مولاي والكاظمين الغيظ قال كظمت غيظي قال والعافين عن الناس قال قد عفوت عنك قال والله يحب المحسنين قال اذهب فأنت حر لوجه الله تعالى وقيل لما قدم نصر بن منيع بين يدي الخليفة وكان قد أمر بضرب عنقه قال يا أمير المؤمنين اسمع مني كلمات أقولها قال قل فأنشأ يقول

زعموا بأن الصقر صادف مرة * عصفور بر ساقه التقدير * فتكلم العصفور تحت جناحه

والصقر

فقال الخشف وأين هي فأخبره الغزال بتوحشها وانفرادها في فلوات الارض وتناسلها فأرتاح الخشف لذلك وتمنى أن يراها فقال له الغزال هذه أمنية لا خير لك فيها لأنك نشأت في رفاهية من العيش ولو تحصلت على ما تمنيت لندمت فقال الخشف للغزال لا بد من اللحاق بأشكالي فلما رأى الغزال أن الخشف غير راجع لم يجد بدا من قضاء اربه لحرمة الالفة فرصدا وقتا قابلا وخرجا معا حتى لحقا بالصحراء فلما عاينها الخشف فرح ومرح ومر يعدو ولا يلتفت الى ما وراءه فسقط في اخدود ضيق قد قطعه السيل فانتظر أن يأتيه الغزال فيخلصه فلم يأته وأما ولد التاجر فانه تنكد لفقد الخشف والغزال وأشفق أبوه عليه فاستدعى كل من يعاني الصيد فعرفهم القصة وكلفهم طلب الخشف والغزال ووعدهم بالمكافأة على ذلك وركب التاجر معهم وفرق أتباعه على أبواب المدينة ينتظرون من يأتي من الصيادين وانطلق هو وعبيده حتى دخلوا الصحراء فرأوا على بعد رجلا منكبا على شئ بين يديه فأسرعوا نحوه فرأوا صيادا قد أوثق غزالا كبيرا وقد عزم على ذبحه فتأمله التاجر فاذا هو الغزال الكبير الذي لولده فخلصه من الصياد وأمر عبيده ففتشوه فوجدوا معه الحلي الذي كان على الغزال فسأله كيف ظفر به وأين وجده فقال اني بثثت في هذه الصحراء ونصبت شركا ومكثت قريبا منه فلما أصبحت مر علي الغزال ومعه خشف يعدو ويمرح في جهة غير جهة الشرك وجاء هذا الغزال يمشي حتى حصل فيه فقنصته وقصدت به المدينة فلما بلغت هذا الموضع ظهر لي اني مخطئ في ادخال هذا الظبي الى المدينة حيا لعلي انه اذا رؤي حيا طولبت بما كان عليه من الحلي فرأيت أن أذبحه وأدخل به لحما فهذا

والصقر منقض عليه يطير * انى لمثلك لا أتم لقمة * ولئن شويت فانني لحقير
فتهاون الصقر المدل بصيده * كرما وأفلت ذلك العصفور

قال فعفا عنه وخلى سبيله (قال الشاعر)

أقرر بذنبك ثم اطلب تجاوزهم * عنه فان جحود الذنب ذنبان

(وقال بعضهم) يستوجب العفو الفتى اذا اعترف * وتاب عما قد جناه واقترف
لقوله قل للذين كفروا * ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف

(وقال آخر) اذا ذكرت أياديك التى سلفت * مع قبح فعلى وزلاتى وبحترمى
أكاد أقتل نفسى ثم يذركنى * علمى بانك مجبول على الكرم

و روى ان عمر رضى الله عنه رأى سكران فاراد أن يأخذه ليعزره فشتمه السكران فرجع عنه فقيل له يا أمير المؤمنين لما شتمك تركته قال لانه أغضبنى فلو عزرته لكنت قد انتصرت لنفسى فلا أحب أن أضرب مسلما حمية لنفسى وغضب المنصور على رجل من الكتاب فامر بضرب عنقه فانشأ يقول

وانا الكاتبون وان أسأنا * فهبنا للكرام الكاتبينا

فعفا عنه وخلى سبيله وأكرمه * وقال الرشيد لاعرابى بم بلغ فيكم هشام بن عروة هذه المنزلة قال بحلمه عن سفيهنا وعفوه عن مسيئنا وحمله عن ضعيفنا لامنان اذا وهب ولا حقود اذا غضب رحب الجنان سمح البنان ماضى اللسان قال فاوما الرشيد الى كلب صيد كان بين يديه وقال والله لو كانت هذه فى هذا الكلب لاستحق بها السودد * وقيل لمعن بن زائدة المؤاخذة بالذنب من السودد قال لا ولكن أحسن ما يكون الصفح عن عظم جرمه وقل شفعاؤه ولم يجد ناصرا * وقال محمود الوراق

سألزم نفسى الصفح عن كل مذنب * وان عظمت منه على الجرائم
فما الناس الا واحد من ثلاثة * شريف ومشروف ومثل مقاوم
فاما الذى فوقى فاعرف قدره * وأتبع فيه الحق والحق لازم
وأما الذى دونى فان قال صنت عن * اجابته نفسى وان لام لائم
وأما الذى مثلى فان زل أوهفا * تفضلت ان الحر بالفضل حاكم

وقال الاحنف بن قيس لابنه يا بنى اذا أردت أن تؤاخى رجلا فاغضبه فان أنصفك والا فاحذره (قال الشاعر)

اذا كنت مختصا لنفسك صاحبا * فمن قبل أن تلقاه بالود اغضبه
فان كان فى حال القطيعة منصفا * والا فقد جربته فتجنبه

ومن أمثال العرب احلم تسد (قال الشاعر)

لن يبلغ المجد أقوام وان شرفوا * حتى يذلوا وان عزوا الاقوام
ويشتموا فترى الالوان مسفرة * لا صفح ذل ولكن صفح اكرام

(وقال آخر) وجهل رددناه بفضل حلومنا * ولو أننا شئنا رددناه بالجهل

وقال الاحنف اياكم ورأى الاوغاد قالوا وما رأى الاوغاد قال الذين يرون الصفح والعفو عارا * وقال رجل لابى بكر الصديق رضى الله عنه لاسبنك سبا يدخل معك قبرك فقال معك والله يدخل لا معى وقيل ان الاحنف سبه رجل وهو يماشيه فى الطريق فلما قرب من المنزل وقف الاحنف وقال له يا هذا ان كان قد بقى معك شئ فهات وقله ههنا فانى أخاف أن يسمعك فتيان الحى فيؤذوك ونحن لا نحب الانتصار لانفسنا * وقال لقمان لابنه يا بنى ثلاثة لا يعرفون الا عند ثلاثة لا يعرف الحليم الا عند الغضب ولا الشجاع الا عند الحرب ولا أخوك الا عند الحاجة اليه ومن أشعر بيت قيل فى الحلم قول كعب بن زهير

اذا أنت لم تعرض عن الجهل والخنا * أصبت حليما أو أصابك جاهل

(وقال آخر) واذا بغى باغ عليك بجهله * فاقتله بالمعروف لا بالمنكر

(وقال آخر) قل ما بدا لك من صدق ومن كذب * حلمى أصم وأذنى غير صماء

و يروى فى بعض الاخبار أن ملكا من الملوك أمر أن يصنع له طعام وأحضر قوما من خاصته فلما مد السماط

خبرى فقال له التاجر لقد جنى عليك طمعك الخبيثة فاذا أطلقتك أو أطلقته وخلصت ما كان عليه من الحلى ثم ان التاجر أرسل الغزال الى ولده مع أحد عبيده وقال للصياد ارجع معى فأرنى الجهة التى رأيت الخشف سعى نحوها فرجع به الى تلك الجهة فسمع من قريب صوته فصاح به التاجر فعرف الخشف صوته فصوت فسمع التاجر الصوت فادركه فاذا هو فى ذلك الاخدود ملقى فأخذوه ووهب التاجر للصياد ما رضى به وصرفه و رجع التاجر بالخشف الى ولده فكملت مسرة الغلام و جعل الخشف يتجنب الغزال الكبير اذا رآه ولا يألفه فتنغصت مسرة الغلام لذلك وجهد أهله بكل حيلة ان يجمعوا بين الخشف والغزال فلم يقدروا على ذلك فبينما الخشف نائم فى كناسة اذ دخل عليه الغزال فايقظه وعاتبه على نفاره منه فقال الخشف اما أنت الذى غدرت وقد علمت احتياجى فى غربتى الى معاونتك فقال له والله ما أخرنى عن ذلك الا وقوعى فى شرك الصياد وقص عليه القصة فقبل عذره وعادا الى الالفة كما كانا فلما سمع عين أهله خطاب العجوز فهم كنايتها عن عجزها فى تخليصه امسك عن خطابها قيل فلما انتهى وزير سابور من حديثه الى هذا الحديث سكت فقال له المطران ايها الحكيم الراهب ما هذا السكوت فقال الوزير قد عاودنى ذلك الفتور الذى أجده فى اعطائى فقال المطران لا تفعل فان ذلك يشق على فقال الوزير نعم أفعل ذلك طلبا لمرضاتك ثم اندفع يحدثه قال وبات عين أهله تلك الليلة فى أضيق الاحوال ولما أصبح دخل عليه الذئب فنال منه وهدده بالقتل وخرج من عنده فجعل يملل نفسه بقية نهاره و يمنيها بالفرج فلما أقبل عليه الليل استوحش وانتظر أن تجلس اليه العجوز

أقبل الخادم وعلى كفه صحن فيه طعام فلما قرب من الملك أدركته الهيبة فعثر فوقع من مرق الصحن شيء يسير على طرف ثوب الملك فأمر بضرب عنقه فلما رأى الخادم العزيمة على ذلك عمد بالصحن فصب جميع ما كان فيه على رأس الملك فقال له ويحك ما هذا فقال أيها الملك انما صنعت هذا شحا على عرضك وغيرة عليك لئلا يقول الناس اذا سمعوا ذنبي الذي تقتلني به قتله في ذنب خفيف لم يضره وأخطأ فيه العبد ولم يقصده فتنسب الى الظلم والجور فصنعت هذا الذنب العظيم لتعذر في قتلي وترفع عنك الملامة قال فأطرق الملك مليا ثم رفع رأسه اليه وقال يا قبيح الفعل يا حسن الاعتذار قد وهبنا قبيح فعلك وعظيم ذنبك لحسن اعتذارك اذهب فأنت حر لوجه الله تعالى ﴿وحكى﴾ عن أمير المؤمنين المأمون وهو المشهود له بالاتفاق على علمه والمشهور في الآفاق بعفوه وحلمه انه لما خرج عمه ابراهيم بن المهدي عليه وبايعه العباسيون بالخلافة ببغداد وخلعوا المأمون وكان المأمون اذ ذاك بخراسان فلما بلغه الخبر قصد العراق فلما بلغ بغداد اختفى ابراهيم بن المهدي وعاد العباسيون وغيرهم الى طاعة المأمون ولم يزل المأمون متطلبا لابراهيم حتى أخذه وهو متنقب مع نسوة فحبس ثم أحضر حتى وقف بين يدي المأمون فقال السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته فقال المأمون لا سلم الله عليك ولا قرب دارك استغواك الشيطان حتى حدثتك نفسك بما تنقطع دونه الأوهام فقال له ابراهيم مهلا يا أمير المؤمنين فان ولي الثار محكم في القصاص والعفو أقرب للتقوى ولك من رسول الله صلى الله عليه وسلم شرف القرابة وعدل السياسة وقد جعلك الله فوق كل ذي ذنب كما جعل كل ذي ذنب دونك فان أخذت فبحقك وان عفوت فبفضلك والفضل أولى بك يا أمير المؤمنين ثم قال هذه الابيات

ذنبي اليك عظيم * وأنت أعظم منه
فخذ بحقك أولا * فاصفح بعفوك عنه
ان لم أكن في فعالي * من الكرام فكنه

فلما سمع المأمون كلامه وشعره ظهرت الدموع في عينيه وقال يا ابراهيم الندم توبة وعفو الله تعالى أعظم مما تحاول وأكثر مما تأمل ولقد حبب الى العفو حتى خفت أن لا أوجر عليه لا تثريب عليك اليوم ثم أمر بفك قيوده وادخاله الحمام وازالة شعثه وخلع عليه ورد أمواله جميعها اليه فقال فيه مخاطبا

رددت مالي ولم تبخل علي به * وقبل ردك مالي قد حقنت دمي
فان جحدتك ما أوليت من كرم * اني لباللوم أولى منك بالكرم

وكتب عبد الملك بن مروان الى الحجاج يأمره أن يبعث اليه برأس عباد بن أسلم البكري فقال له عباد أيها الامير أنشدك الله لا تقتلني فوالله اني لأعول أربعا وعشرين امرأة ما لهن كاسب غيري فرق لهن واستحضرهن واذا واحدة منهن كالبدر فقال لها الحجاج ما أنت منه قالت أنا بنته فاسمع يا حجاج مني ما أقول ثم قالت

أحجاج اما أن تمن بتركه * علينا واما أن تقتلنا معا
أحجاج لا تفجع به ان قتلته * ثمانا وعشرا واثنتين وأربعا
أحجاج لا تترك عليه بناته * وخالاته يندبنه الدهر أجمعا

فبكى الحجاج ورق له واستوهبه من أمير المؤمنين عبد الملك وأمر له بصلة ﴿ولما قدم عيينة بن حصن على ابن أخيه الحر بن قيس وكان من النفر الذين يدنيهم عمر رضي الله عنه وكان القراء أصحاب مجلس عمر ومشاورته كهولا كانوا أو شبانا فقال عيينة لابن أخيه يا ابن أخي لك وجه عند هذا الامير فاستأذن لي عليه فاستأذن فأذن له عمر فلما دخل قال هيه يا ابن الخطاب فوالله ما تعطينا الجزل ولا تحكم فينا بالعدل فغضب عمر حتى هم أن يوقع به فقال له الحر يا أمير المؤمنين ان الله سبحانه وتعالى قال لنبيه عليه الصلاة والسلام خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين وان هذا من الجاهلين فوالله ما جاوزها عمر رضي الله عنه حين تلاها عليه وكان وقافا عند كتاب الله تعالى ﴿وحكى﴾ أن رجلا زور ورقة عن خط الفضل بن الربيع تتضمن أنه أطلق له ألف دينار ثم جاء بها الى وكيل الفضل فلما أوقف الوكيل عليها لم يشك انها خط الفضل فشرع في أن يزن له الالف دينار واذا بالفضل قد حضر ليتحدث مع وكيله في تلك الساعة في أمر مهم فلما جلس أخبره الوكيل بأمر الرجل وأوقفه على الورقة فنظر الفضل فيها ثم نظر في وجه الرجل فرآه كاد يموت من الوجل والخجل فأطرق الفضل بوجهه ثم قال للوكيل أتدري لم أتيتك في هذا الوقت قال لا قال جئت لأستنهضك حتى تعجل لهذا الرجل

وتحادثه فلم تفعل فايقن بقتله في تلك الليلة فأقبل على البكاء حتى مضى جانب من الليل ثم قال للعجوز لم أحظ في هذه الليلة بمؤانستك فقالت له قد جرحت قلبي اقوالك لي هان على الطليق ما لقي الاسير ولو اعتبرت باطن حالي لعلمت أن أسري أشد من أسرك فاستمع لي أحدثك ﴿واعلم أيها الفتى اني كنت زوجة لبعض الفرسان وكان لي محبا فكنت معه في أرغد عيش وولدت له أولادا كثيرة فغضب الملك على زوجي لامر كان منه فقتله وقتل أولادي الذكور وباعني أنا وبناتي فاشتراني هذا الفارس الذي عدا عليك واحتملني الى هذه البلدة وأساء الي وكلفني من العمل ما لا أطيق ولي معه على هذه الحالة سبع سنين ثم فررت منه فظفر بي فقطع يدي وعاود عسفي وضربي وقد عزمت على تخليصك الليلة وما أشك أنه يقتلني وجل قصدي ذلك لاجل الراحة مما أنا فيه ولاجل ذلك أنا أكثر الدخول والخروج اليك وأنا في غاية الحيرة من الفزع والجزع ثم انها فتحت قيود عين أهله وقطعت وثاقه وتناولت سكينا لتقتل نفسها فقال لها عين أهله ان تركتك تقتلين نفسك فقد شاركتك في دمك وانتزع السكين من يدها وقال لها قومي اذهبي معي لكي ننجو معا أو نعطب معا فقالت ان كبر سني وضعف بصري يمنعاني من اتباعك فقال لها عين أهله ان الليل متسع والموضع الذي أنا فيه قريب ولي قوة على حملك فقالت له العجوز اذا عزمت على هذا فاني لا أحوجك الى حملي وخرجا معا فلم ينقض الليل حتى بلغا حيث أمنا فجزاها عين أهله خيرا على ما صنعت واتخذها اما فهذا ما بلغني من ذلك فقال المطران ما أعجب أحاديثك أيها الحكيم ولقد وددت لاني أفارقك أبدا

اعطاء المبلغ الذى فى هذه الورقة فاسرع عند ذلك الوكيل فى وزن المال وناوله الرجل فقبضه وصار متحيرا فى أمره فالتفت اليه الفضل وقال له طب نفسا وامض الى سبيلك آمنا على نفسك فقبل الرجل يده وقال له سترتنى سترك الله فى الدنيا والآخرة ثم أخذ المال ومضى فيجب على الانسان أن يتأسى بهذه الاخلاق الجميلة والافعال الجليلة ويقتفى سنة نبيه عليه الصلاة والسلام فقد كان أكثر الناس حلما وأحسنهم خلقا وأكرمهم خلقا وأكثرهم تجاوزا وصفحا وأبرهم للمتر عليه مجدا صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين

﴿وأما ما جاء فى العتاب﴾ فقد قيل العتاب خير من الحقد ولا يكون العتاب الا على زلة وقد مدحه قوم فقالوا العتاب حدائق المتحابين ودليل على بقاء المودة وقد قال أبو الحسن بن منقذ (شعرا)

أسطو عليه وقلبى لو تمكن من * يدى غلهما غيظا الى عنقى
وأستعيرله من سطوتى حنقا * وأين ذل الهوى من عزة الحنق

وذمه بعضهم قال اياس بن معاوية خرجت فى سفر ومعى رجل من الاعراب فلما كان فى بعض المناهل لقيه ابن عم له فتعانقا وتعاتبا والى جانبهما شيخ من الحى فقال لهما انعما عيشا ان المعاتبة تبعث التجنى والتجنى يبعث المخاصمة والمخاصمة تبعث العداوة ولا خير فى شئ ثمرته العداوة قال الشاعر

فدع ذكر العتاب فرب شر * طويل هاج أوله العتاب

وقيل العتاب من حركات الشوق وانما يكون هذا بين المتحابين قال الشاعر

علامة ما بين المحبين فى الهوى * عتابهم فى كل حق وباطل

وكتب بعضهم يعاتب صديقه على تغير حاله معه يقول

عرضنا أنفسا عزت علينا * عليكم فاستخف بها الهوان
ولو أنا رفعناها لعزت * ولكن كل معروض مهان

(وقال آخر يعاتب صديقه)

وكنت اذا ما جئت أدنيت مجلسى * ووجهك من ماء البشاشة يقطر
فمن لى بالعين التى كنت مرة * الى بها فى سالف الدهر تنظر

(وقال أبو الحسن بن منقذ)

اخلاقك الغر السجايا ما لها * حملت قذى الواشين وهى سلاف
ومرآة رأيك فى عبيدك ما لها * صدئت وأنت الجوهر الشفاف

وقال آخر يعاتب صديقه على كتاب أرسله اليه وفيه حط عليه

اقرأ كتابك واعتبره قريبا * فكفى بنفسك لى عليك حسيبا
أكذا يكون خطاب اخوان الصفا * ان أرسلوا جعلوا الخطاب خطوبا
ما كان عذرى ان أجبت بمثله * أوكنت بالعتب العنيف مجيبا
لكننى خفت انتقاص مودتى * فيعد احسانى اليك ذنوبا

(وقال آخر) أراك اذا ما قلت قولا قبلته * وليس لاقوالى لديك قبول
وماذاك الا أن ظنك سيئ * بأهل الوفا والظن فيك جميل
فكن قائلا قول الحامى تائها * بنفسك عجبا وهو منك قليل
وتنكر ان شئنا على الناس قولهم * ولا ينكرون القول حين نقول

وكان لمحمد بن الحسن بن سهل صديق فنالته اضاقة ثم ولى عملا فاثرى فقصده محمد مسلما فرأى منه تغيرا فكتب اليه

لئن كانت الدنيا أنالتك ثروة * فاصبحت ذا يسر وقد كنت ذا عسر
فقد كشف الاثراء منك خلائقا * من اللوم كانت تحت ثوب من الفقر

(وقال آخر فى المعنى) دعوت الله أن تسمو وتعلو * علو النجم فى أفق السماء
فلما أن سموت بعدت عنى * فكان اذا على نفسى دعائى

وكان ابن عرادة السعدى مع سلم بن زياد بخراسان وكان له مكرما وان عرادة يتجنى عليه ففارقه وصاحب غيره

ونهض كل واحد منهما الى مضجعه وبات سابور يتصفح حديث وزيره ويتأمل أمثاله ففهم أن الخشف مثل لسابور وأن الغزال الكبير مثل للوزير وأن خروج الخشف مع الغزال الى الصحراء وحصول الخشف فى الاخدود مثل لصحبة سابور وزيره حتى حصل سابور فى حبس قيصر وأن نفار الخشف عن الغزال لسوء ظن سابور بوزيره لتأخره عن استنقاذه وتحقق أن الوزير قد عزم على خلاصه والخروج به الى المدينة ليلا وأن المدينة قريبة منهما وأنه يحمله ان عجز عن المشى فأيقن سابور بالفرج ولما كانت الليلة القابلة تلطف وزير سابور حتى دخل الخيمة التى يطبخ بها الطعام للمطران وبها الموكلون بقبة سابور نائمون ينتظرون الطعام فتحيل الى أن ألقى فى الطعام مرقدا أقوى الفعل ولما حضر طعام المطران انفرد الوزير با كل زاده على ما جرت به العادة فلم تكن الاساعة حتى صرع القوم فبادر الوزير الى فتح باب البقرة واستخراج سيده وأزال الجامعة عن عنقه ويديه وتلطف حتى أخرجه من عسكر قيصر وقصد به المدينة فانتهيا معا الى سورها فصرخ بهم الموكلون فتقدم الوزير اليهم وأمرهم بخفض أصواتهم وأعلمهم بسلامة الملك ثم عرفهم نفسه فابتدروا اليهما وأدخلوهما المدينة فقويت نفوس أهلها وأمرهم سابور بالاجتماع وفرق فيهم السلاح وأمرهم أن يأخذوا اهبتهم فاذا ضربت نواقيس النصارى الضرب الاول يخرجون من المدينة ويفترقون على عسكر الروم فاذا ضربت النواقيس الضرب الثانى يحملون باجمعهم فامتثلوا أمره ثم ان سابور انتخب كتيبة عظيمة فيها شجعان أساورته ووقف معهم مما يلى الجهة التى فيها أخبية

ثم ندم ورجع اليه وقال

عتبت على سلم فلما فقدته * وصاحبت أقواما بكيت على سلم
رجعت اليه بعد تجريب غيره * فكان كبره بعد طول من السقم

وقال مسلم بن الوليد

ويرجعني اليك اذا نأت بي * دياري عنك تجربة الرجال

(وقال أبو الحسن القابسي)

اذا أنا عاتبت الملول فانما * أخط باقلامي على الماء أحرفا
وهبه ارعوى بعد العتاب ألم تكن * مودته طبعا فصارت تكلفا

وقال أبو الدرداء رضي الله عنه معاتبة الصديق أهون من فقده وما أحسن ما قيل في العتاب

وفي العتاب حياة بين أقوام * وهو المحك لذي لبس وابهام

فما ثم شئ أحسن من معاتبة الاحباب ولا ألذ من مخاطبة ذوي الالباب والله سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد النبي الامي وعلى آله وصحبه وسلم

﴿الباب السابع والثلاثون في الوفاء بالوعد وحفظ العهد ورعاية الذمم﴾

أرجح دليل يتمسك به الانسان كتاب الله تعالى الذي من تمسك به هداه ومن استدل به أرشده هداه قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود وقال جل ذكره وتقدس اسمه الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق وقال جل وعلا وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقال تعالى وأوفوا بالعهد ان العهد كان مسؤلا والآيات في ذلك كثيرة ومن أشدها قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون * وروي في صحيحي البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال آية المنافق ثلاث اذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا ائتمن خان فالوفاء من شيم النفوس الشريفة والاخلاق الكريمة والخلال الحميدة يعظم صاحبه في العيون وتصدق فيه خطرات الظنون ويقال الوعد وجه والانجاز محاسنه والوعد سحابة والانجاز مطرها وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لكل شئ رأس ورأس المعروف تعجيله وأنشدوا

اذا قلت في شئ نعم فأتمه * فان نعم دين على الحر واجب
والا فقل لا تسترح وترح بها * لئلا يقول الناس انك كاذب

(وقال آخر)

لا كلف الله نفسا فوق طاقتها * ولا تجود يد الا بما تجد
فلا تعد عدة الا وفيت بها * واحذر خلاف مقال للذي تعد

وقال اعرابي وعد الكريم نقد وتعجيل ووعد اللئيم مطل وتعليل وقال اعرابي أيضا العذر الجميل خير من المطل الطويل * ومدح بشار خالد بن برمك فأمر له بعشرين ألفا فابطأت عليه فقال لقائده أقمني حيث يمر فأقامه فمر فأخذ بلجام بغلته وأنشأ يقول

أظلت علينا منك يوما سحابة * أضاء لنا برق وأبطا رشاشها
فلا غيمها يجلى فييأس طامع * ولا غيثها يأتي فتروى عطاشها

فقال لا تبرح حتى تؤتى بها وقال صالح اللخمي

لئن جمع الآفات فالبخل شرها * وشر من البخل المواعيد والمطل
ولا خير في وعد اذا كان كاذبا * ولا خير في قول اذا لم يكن فعل

وقيل ماتت للهذلي أم ولد فأمر المنصور الربيع أن يعزيه ويقول له ان أمير المؤمنين موجه اليك جارية نفيسة لها أدب وظرف يسليك بها وأمر لك معها بفرس وكسوة وصلة فلم يزل الهذلي يتوقع وعد أمير المؤمنين ونسيه المنصور فحج المنصور ومعه الهذلي فقال المنصور وهو بالمدينة اني احب أن أطوف الليلة المدينة فاطلب لي من يطوف بي فقال الهذلي أنا لها يا أمير المؤمنين فطاف به حتى وصل بيت عاتكة فقال يا أمير المؤمنين وهذا بيت عاتكة الذي يقول فيه الأحوص

يا بيت عاتكة الذي أتغزل * حذر العدا وبه الفؤاد موكل

قيصر فلما ضربت النواقيس الضرب الثاني حملوا من كل جهة وقصد سابور خيمة قيصر ولم يكن الروم متأهبين لعلمهم بضعف الفرس عن مقاومتهم وسد أبوابهم فما شعروا حتى دهموهم وأخذ سابور قيصر أسيرا وغنم جميع ما في عسكره واحتوى على جميع خزائنه ولم ينج من جنوده الا اليسير ثم عاد سابور الى مدينته ودار مملكته فقسم ثلث الغنائم بين أهل عسكره وأحسن الى حفظة ملكه وفوض جميع أموره الى الوزير ثم انه أحضر قيصر فلاطفه وأكرمه وقال له اني ممتن عليك كما أبقيت علي وغير مجازيك على التضييق ولكن آخذك باصلاح ما أفسدت من جميع ملكي فتبني ما هدمت وتغرس جميع ما قلعت وتطلق كل ما عندك من أسارى الفرس فضمن له جميع ذلك ووفى به فلما أتم سابور ما أراد من ذلك كله أحسن الى قيصر وأطرفه وجهزه الى دار ملكه واستمر قيصر على مهادنته والانقياد الى طاعته انتهى (ومن لطائف المنقول قصة أرينب بنت اسحق زوج عبد الله بن سلام) كان عبد الله بن سلام واليا بالعراق من قبل معاوية وكانت أرينب بنت اسحق زوجا له وهي من أجمل نساء عصرها وأحسنهن أدبا وأكثرهن مالا وكان يزيد بن معاوية قد هام بجمالها وأدبها على السماع وما بلغه عنها من حسن الخلق والخلق وفتن بها فلما عيل صبره خص بسره خصيصا بمعاوية اسمه رفيف فذكر ذلك رفيف لمعاوية وذكر شدة شغف يزيد بها فبعث معاوية الى يزيد فاستفسره عن أمره فبث له شأنه فقال معاوية مهلا يا يزيد قال علام تأمرني بالمهل وقد انقطع منها الامل فقال معاوية وأين حجاك ومروأتك فقال له يزيد قد عيل الحجى ونفد الصبر قال له يا بني

انى لامحك الصدود وانني * قسما اليك مع الصدود لأميل

فكره المنصور ذكر بيت عاتكة من غير أن يسأله عنه فلما رجع المنصور أمر القصيدة على قلبه فاذا فيها

وأراك تفعل ماتقول وبعضهم * مذق اللسان يقول مالا يفعل

فذكر المنصور الوعد الذي كان وعده به الهذلي فانجزه له واعتذر اليه وقال الشاعر

تعجيل وعد المرء اكرومة * تنشر عنه أطيب الذكر
والحر لايمطل معروفه * ولايليق المطل بالحر

(وقال آخر) واقد وعدت وأنت أكرم واعد * لاخير في وعد بغير تمام
أنعم على بما وعدت تكرما * فالمطل يذهب بهجة الانعام

(وقال آخر) لعبدك وعد قد تقدم ذكره * فأوله حمد وآخره شكر
وقد جمعت فيك المكارم كلها * فمالك عن تأخير مكرمة عذر

(وقال آخر) وميعاد الكريم عليه دين * فلا تزد الكريم على السلام
يذكره سلامك ماعليه * ويغنيك السلام عن الكلام

(وقال آخر) شكالك لساني ثم أمسكت نصفه * فنصف لساني بامتداحك ينطق
فان لم تنجز ماوعدت تركتني * وباقي لساني بالمذمة مطلق

(وقال آخر) باتت لوعدك عيني غير راقدة * والليل سحى الدياجي منبت السحر
هذا وقد بت من وعد على ثقة * فكيف لو بت من هجر على حذر

(وقال آخر) نذكر بالرقاع اذا نسينا * ويأبى الله أن تنسى الكرام

(وأما الوفاء بالعهد ورعاية الذمم) فقد نقل فيه من عجائب الوقائع وغرائب البدائع مايطرب السامع ويشنف المسامع كقضية الطائي وشريك نديم النعمان بن المنذر وتلخيص معناها أن النعمان كان قد جعل له يومين يوم من صادفه فيه قتله وأرداه ويوم نعيم من لقيه فيه أحسن اليه وأغناه وكان هذا الطائي قد رماه حادث دهره بسهام فاقته وفقره فأخرجته الفاقة من محل استقراره ليرتاد شيأ لصبيته وصغاره فبينما هو كذلك اذ صادفه النعمان في يوم بؤسه فلما رآه الطائي علم أنه مقتول وان دمه مطلول فقال حيا الله الملك ان لي صبية صغارا وأهلا جياعا وقد أرقت ماء وجهي في حصول شئ من البلغة لهم وقد أقدمني سوء الحظ على الملك في هذا اليوم العبوس وقد قربت من مقر الصبية والأهل وهم على شفا تلف من الطوى ولن يتفاوت الحال في قتلي بين أول النهار وآخره فان رأى الملك أن يأذن لي في أن أوصل اليهم هذا القوت وأوصي بهم أهل المروأة من الحي لئلا يهلكوا ضياعا ثم أعود الى الملك وأسلم نفسي لنفاذ أمره فلما سمع النعمان صورة مقاله وفهم حقيقة حاله ورأى تلهفه على ضياع أطفاله رق له ورثى لحاله غير أنه قال له لا آذن لك حتى يضمنك رجل معنا فان لم ترجع قتلناه وكان شريك بن عدي بن شرحبيل نديم النعمان معه فالتفت الطائي الى شريك وقال له

ياشريك بن عدي * مامن الموت انهزام
من لاطفال ضعاف * عدموا طعم الطعام
بين جوع وانتظار * وافتقار وسقام
ياأخا كل كريم * أنت من قوم كرام
ياأخا النعمان جدلي * بضمان والتزام
ولك الله بأني * راجع قبل الظلام

فقال شريك بن عدي أصلح الله الملك علي ضمانه فمر الطائي مسرعا وصار النعمان يقول لشريك ان صدر النهار قد ولى ولم يرجع وشريك يقول ليس للملك علي سبيل حتى يأتي المساء فلما قرب المساء قال النعمان لشريك قد جاء وقتك قم فتأهب للقتل فقال شريك هذا شخص قد لاح مقبلا وأرجو أن يكون الطائي فان لم يكن فأمر الملك ممتثل قال فبينما هم كذلك واذا بالطائي قد اشتد عدوه في سيره مسرعا حتى وصل فقال خشيت أن ينقضي النهار قبل وصولي ثم وقف قائما وقال أيها الملك مر بأمرك فاطرق النعمان ثم رفع رأسه وقال والله مارأيت أعجب منكما أما أنت ياطائي فما تركت لأحد في الوفاء مقاما يقوم فيه ولا ذكرا يفتخر به وأما أنت ياشريك فما تركت لكريم سماحة يذكر بها في الكرماء فلا أكون أنا ألأم الثلاثة الا واني قد رفعت يوم بؤسي عن الناس ونقضت عادتي كرامة لوفاء الطائي وكرم شريك فقال الطائي

ساعدني على أمرك بالكتمان والله بالغ أمره وكانت أرينب بنت اسحق قد سارت بذكر جمالها الركبان وضربت بها الامثال فاخذ معاوية في الحيلة حتى يبلغ يزيد رضاه وينال غرضه ومناه فكتب الى عبد الله بن سلام يستحثه على الحضور لمصلحة عينها له وكان عند معاوية يومئذ بالشام أبو هريرة وأبو الدرداء صاحبا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قدم عليه عبد الله بن سلام الشام أعد له معاوية منزلا حسنا ونقله اليه وبالغ في اكرامه ثم قال لابي هريرة وأبي الدرداء ان ابنتي قد بلغت وأريد انكاحها وقد رضيت عبد الله بن سلام لدينه وشرفه وفضله وأدبه وقد كنت جعلت لها في نفسها شورى ولكن أرجو أن لاتخرج عن رأيي ان شاء الله تعالى فخرجا من عنده متوجهين الى منزل عبد الله بن سلام بالذي قال لهما معاوية ثم دخل معاوية على ابنته فقال لها اذا دخل عليك أبو الدرداء وأبو هريرة فعرضا عليك عبد الله بن سلام وانكاحي اياك منه وحضاك على المسارعة الى رضائي فقولي لهما عبد الله بن سلام كفء كريم غير أن تحته أرينب بنت اسحق وأنا خائفة أن يعرض لي من الغيرة مايعرض للنساء ولست بفاعلة حتى يفارقها وأما أبو الدرداء وأبو هريرة فانهما لما وصلا الى عبد الله بن سلام أعلماه بما قال لهما معاوية فردهما خاطبين عنه فلما مثلا بين يدي معاوية قال اني كنت أعلمتكما اني جعلت لها في نفسها شورى فادخلا عليها وأعلماها بما رأيت لها فدخلا عليها وأعلماها بذلك فابدت ماقرره أبوها عندها من قبل فعادا الى عبد الله بن سلام فاعلماه بذلك ففهم المراد وأشهدهما عليه بطلاق أرينب وبعثهما اليه خاطبين فلما دخلا على معاوية

ولقد دعتني للخلاف عشيرتي * فعددت قولهم من الاضلال
انى امرؤ مني الوفاء سجية * وفعال كل مهذب مفضال

فقال له النعمان ما حملك على الوفاء وفيه اتلاف نفسك فقال ديني فمن لا وفاء فيه لا دين له فأحسن اليه النعمان ووصله بما أغناه وأعاده مكرما الى أهله وأناله ما تمناه (ومن ذلك) ما حكي أن الخليفة المأمون لما ولى عبد الله ابن طاهر بن الحسين مصر والشام وأطلق حكمه دخل على المأمون بعض اخوانه يوما فقال يا أمير المؤمنين ان عبد الله بن طاهر يميل الى ولد أبي طالب وهواه مع العلويين وكذلك كان أبوه قبله فحصل عند المأمون شيء من كلام أخيه من جهة عبد الله بن طاهر فتشوش فكره وضاق صدره فاستحضر شخصا وجعله في زي الزهاد والنساك الغزاة ودسه الى عبد الله بن طاهر وقال له امض الى مصر وخالط أهلها وداخل كبراءها واستملهم الى القاسم بن محمد العلوي واذكر مناقبه ثم بعد ذلك اجتمع ببعض بطانة عبد الله بن طاهر ثم اجتمع بعبد الله بن طاهر بعد ذلك وادعه الى القاسم بن محمد العلوي واكشف لي باطنه وابحث عن دفين نيته وائتني بما تسمع ففعل ذلك الرجل ما أمره به المأمون وتوجه الى مصر ودعا جماعة من أهلها ثم كتب ورقة لطيفة ودفعها الى عبد الله بن طاهر وقت ركوبه فلما نزل من الركوب وجلس في مجلسه خرج الحاجب اليه وأدخله على عبد الله بن طاهر وهو جالس وحده فقال له لقد فهمت ما قصدته فهات ما عندك فقال ولي الأمان قال نعم فأظهر له ما أراده ودعاه الى القاسم بن محمد فقال له عبد الله أوتنصفني فيما أقوله لك قال نعم قال فهل يجب شكر الناس بعضهم لبعض عند الاحسان والمنة قال نعم قال فيجب علي وأنا في هذه الحالة التي تراها من الحكم والنعمة والولاية ولي خاتم في المشرق وخاتم في المغرب وأمري فيما بينهما مطاع وقولي مقبول ثم اني التفت يمينا وشمالا فأرى نعمة هذا الرجل غامرة واحسانه فائضا علي أفتدعوني الى الكفر بهذه النعمة وتقول اغدر وجانب الوفاء والله لو دعوتني الى الجنة عيانا لما غدرت ولما نكثت بيعته وتركت الوفاء له فسكت الرجل فقال له عبد الله والله ما أخاف الا على نفسك فارحل من هذا البلد فلما يئس الرجل منه وكشف باطنه وسمع كلامه رجع الى المأمون فأخبره بصورة الحال فسره ذلك وزاد في احسانه اليه وضاعف انعامه عليه (ومما) يعد من محاسن الشيم ومكارم أخلاق أهل الكرم ويحث على الوفاء بالعهود ورعاية الذمم ما رواه حمزة ابن الحسين الفقيه في تاريخه قال قال لي أبو الفتح المنطيقي كنا جلوسا عند كافور الاخشيدي وهو يومئذ صاحب مصر والشام وله من البسطة والمكنة ونفوذ الأمر وعلو القدر وشهرة الذكر ما يتجاوز الوصف والحصر فحضرت المائدة والطعام فلما أكلنا نام وانصرفنا فلما انتبه من نومه طلب جماعة منا وقال امضوا الساعة الى عقبة البخارين وسلوا عن شيخ منجم أعور كان يقعد هنالك فان كان حيا فاحضروه وان كان قد توفي فسلوا عن أولاده واكشفوا أمرهم قال نضينا الى هنالك وسألنا عنه فوجدناه قد مات وترك بنتين احداهما متزوجة والأخرى عاتق فرجعنا الى كافور وأخبرناه بذلك فسير في الحال واشترى لكل واحدة منهما دارا وأعطاهما مالا جزيلا وكسوة فاخرة وزوج العاتق وأجرى على كل واحدة منهما رزقا وأظهر أنهما من المتعلقين به لرعاية أمورهما فلما فعل ذلك وبالغ فيه ضحك وقال أتعلمون سبب هذا قلنا لا فقال اعلموا أني مررت يوما بوالدهما المنجم وأنا في ملك ابن عباس الكاتب وأنا بحالة رثة فوقفت عليه فنظر الي واستجلبني وقال أنت تصير الى رجل جليل القدر وتبلغ منه مبلغا كبيرا وتنال خيرا كثيرا ثم طلب مني شيأ فأعطيته درهمين كانا معي ولم يكن معي غيرهما فرمى بهما الي وقال أبشرك بهذه البشارة وتعطيني درهمين ثم قال وأزيدك أنت والله تملك هذا البلد وأكثر منه فاذكرني اذا صرت الى الذي وعدتك به ولا تنس فقلت له نعم فقال عاهدني أنك تفي لي ولا يشغلك ذلك عن افتقادي فعاهدته ولم يأخذ مني الدرهمين ثم اني شغلت عنه بما تجدد لي من الأمور والأحوال وصرت الى هذه المنزلة ونسيت ذلك فلما أكلنا اليوم ونمت رأيته في المنام قد دخل علي وقال لي أين الوفاء بالعهد الذي بيني وبينك واتمام وعدك لا تغدر فيغدر بك فاستيقظت وفعلت ما رأيتم ثم زاد في احسانه الى بنات المنجم وفاء لوالدهما بما وعده والله أعلم (ومما) أسفرت عنه وجوه الأوراق وأخبرت به الثقات في الآفاق وظهرت روايته بالشام والعراق وضرب به الأمثال في الوفاء بالاتفاق حديث السموأل بن عاديا وتلخيص معناه أن امرأ القيس الكندي لما أراد المضي الى قيصر ملك الروم أودع عند السموأل دروعا وسلاحا وأمتعة تساوي من المال

اعلماه بطلاق أرينب فأظهر معاوية كراهية ذلك وقال ما استحسنت طلاق زوجته ولا أحببته فانصرفا في عافية وعودا الينا وكتب الى ابنه يزيد يعلمه بما كان من طلاق عبد الله بن سلام لأرينب بنت اسحق وعاد بعد ذلك أبو الدرداء وأبو هريرة الى معاوية فأمرهما بالدخول على ابنته وسؤالها عن رضاها وهو يقول لم يكن لي أن أكرهها وقد جعلت الشورى في نفسها فدخلا عليها وأعلماها بطلاق عبد الله بن سلام امرأته ليسرها بذلك وذكرا فضله وشرفه وكرمه ومروأته فقالت جف القلم بما هو كائن ولا أنكر شرفه وفضله واني سائلة عنه حتى أعرف دخيلة خبره ولا قوة الا بالله فان يك صدره هذا اليوم ولي فان غدا لناظره قريب ثم تزايد حديث الناس بطلاق أرينب وخطبة ابنة معاوية واستحث عبد الله أبا الدرداء وأبا هريرة فأتياها فقالا لها اصنعي ما أنت صانعة واستخيري الله فقالت أرجو والحمد لله أن يكون الله قد اختار لي فانه لا يكل الى غيره وقد سبرت أمره وسألت عنه فوجدته غير ملائم ولا موافق لما أريد لنفسي مع اختلاف من استشرته فيه فمنهم الناهي عنه والآمر به فلما بلغه كلامها علم انها حيلة وانه مخدوع وقال متعزيا ليس لأمر الله راد ولعل ما سر وابه لا يدوم لهم سروره قال وذاع أمره وفشا في الناس وقالوا خدعه معاوية حتى طلق امرأته لغرض ابنه بئس ما صنع ثم ان معاوية بعد انقضاء أيامها المعلومة وجه أبا الدرداء الى العراق خاطبا لها على ابنه يزيد فخرج حتى قدمها وبها يومئذ الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما فقال أبو الدرداء اذا قدم العراق ما ينبغي لذي عقل أن يبدأ

جملة كثيرة فلما مات امرؤ القيس أرسل ملك كندة يطلب الدروع والاسلحة المودعة عند السموأل فقال السموأل لا أدفعها الا لمستحقها وأبى أن يدفع اليه منها شيأ فعاوده فأبى وقال لا أغدر بذمتى ولا أخون أمانتى ولا أترك الوفاء الواجب على فقصده ذلك الملك من كندة بعسكره فدخل السموأل فى حصنه وامتنع به فحاصره ذلك الملك وكان ولد السموأل خارج الحصن فظفر به ذلك الملك فأخذه أسيرا ثم طاف حول الحصن وصاح بالسموأل فأشرف عليه من أعلى الحصن فلما رآه قال له ان ولدك قد أسرته وها هو معى فان سلمت الى الدروع والسلاح التى لامرئ القيس عندك رحلت عنك وسلمت اليك ولدك وان امتنعت من ذلك ذبحت ولدك وأنت تنظر فاختر أيهما شئت فقال له السموأل ما كنت لاخفر ذمامى وأبطل وفائى فاصنع ما شئت فذبح ولده وهو ينظر ثم لما عجز عن الحصن رجع خائبا واحتسب السموأل ذبح ولده وصبر محافظة على وفائه فلما جاء الموسم وحضر ورثة امرئ القيس سلم اليهم الدروع والسلاح ورأى حفظ ذمامه ورعاية وفائه أحب اليه من حياة ولده وبقائه فصارت الأمثال فى الوفاء تضرب بالسموأل واذا امدحوا أهل الوفاء فى الأنام ذكروا السموأل فى الأول وكم أعلى الوفاء رتبة من اعتلقه بيديه وأغلى قيمة من جعله نصب عينيه واستنطق الافواه لفاعله بالثناء عليه واستطلق الايدى المقبوضة عنه بالاحسان اليه (ومما) وضع فى بطون الدفاتر واستحسنته عيون البصائر ونقلته الأصاغر عن الأكابر وتداولته الألسنة من الأوائل والأواخر ما رواه خادم أمير المؤمنين المأمون قال طلبنى أمير المؤمنين ليلة وقد مضى من الليل ثلثه فقال لى خذ معك فلانا وفلانا وسماهما أحدهما على بن محمد والآخر دينار الخادم واذهب مسرعا لما أقوله لك فانه قد بلغنى أن شيخا يحضر ليلا الى دور البرامكة وينشد شعرا ويذكرهم ذكرا كثيرا ويندبهم ويبكى عليهم ثم ينصرف فامض الآن أنت وعلى ودينار حتى ترواهذه الخرابات فاستتروا خلف بعض الجدران فاذا رأيتم الشيخ قد جاء وبكى وندب وأنشد شيأ فائتونى به قال فأخذتهما ومضينا حتى أتينا الخرابات واذا نحن بغلام قد أتى ومعه بساط وكرسى حديد واذا شيخ وسيم له جمال وعليه مهابة ووقار قد أقبل فجلس على الكرسى وجعل يبكى وينتحب ويقول

ولما رأيت السيف جندل جعفرا * ونادى منادللخليفة فى يحيى

بكيت على الدنيا وزاد تأسفى * عليهم وقلت الآن لا تنفع الدنيا

مع أبيات أطالها وردها فلما فرغ قبضنا عليه وقلنا له أجب أمير المؤمنين ففزع فزعا شديدا وقال دعونى حتى أوصى وصية فانى لا أوقن بعدها بحياة ثم تقدم الى بعض الدكاكين فاستفتح وأخذ ورقة وكتب فيها وصية ودفعها الى غلامه ثم مرنا به فلما مثل بين يدى أمير المؤمنين زجره وقال له من أنت وبماذا استوجبت البرامكة منك ما تفعله فى خرائب دورهم وما تقوله فيها قال الخادم ونحن وقوف نسمع فقال يا أمير المؤمنين ان للبرامكة عندى أيادى خطيرة أفتأذن لى أن أحدثك حديثى معهم قال قل قال يا أمير المؤمنين أنا المنذر بن المغيرة من أولاد الملوك وقد زالت عنى نعمتى كما تزول عن الرجال فلما ركبنى الدين واحتجت الى بيع مسقط رأسى ورؤس أهلى أشاروا على بالخروج الى البرامكة فخرجت من دمشق ومعى نيف وثلاثون امرأة وصبيا وصبية وليس معنا ما يباع ولا ما يوهب حتى دخلنا بغداد ونزلنا فى بعض المساجد فدعوت بثويبات لى كنت قد أعددتها لاستتر بها الناس فلبستها وخرجت وتركتهم جياعا لا شئ عندهم ودخلت شوارع بغداد أسائل عن دور البرامكة فاذا أنا بمسجد مزخرف وفيه مائة شيخ بأحسن زى وزينة وعلى الباب خادمان فطمعت فى القوم وولجت المسجد وجلست بين أيديهم وأنا أقدم وأؤخر والعرق يسيل منى لانها لم تكن صناعتى واذا بخادم قد أقبل فدعا القوم فقاموا وأنا معهم فدخلوا دار يحيى بن خالد ودخلت معهم واذا بيحيى جالس على دكة له فى وسط بستان فسلمنا وهو يعدنا مائة وواحدا وبين يديه عشرة من ولده واذا غلام أمرد عذاره خداه قد أقبل من بعض المقاصير بين يديه مائة خادم ممنطقون فى وسط كل خادم منطقة من ذهب يقرب وزنها من ألف مثقال ومع كل خادم مجمرة من ذهب فى كل مجمرة قطعة من عود كهيئة الفهر قد قرن بها مثلها من العنبر السلطانى فوضعوه بين يدى الغلام وجلس الغلام الى جنب يحيى ثم قال يحيى للقاضى تكلم وزوج بنتى عائشة من ابن عمى هذا فخطب القاضى وزوجه وشهد أولئك الجماعة وأقبلوا علينا بالنثار ببنادق المسك والعنبر فالتقطت والله يا أمير المؤمنين ملء كمى ونظرت فاذا نحن فى المكان ما بين يحيى والمشايخ وولده والغلام مائة واثنا عشر رجلا فخرج الينا مائة واثنا عشر

بشئ قبل زيارة الحسين سيد شباب أهل الجنة اذا دخل موضعا هو فيه فقصد الحسين رضى الله عنه فلما رآه قام اليه وصافحه اجلالا لصحبته لجده صلى الله عليه وسلم وقال ما أتى بك يا أبا الدرداء قال وجهنى معاوية خاطبا على ابنه يزيد أرينب بنت اسحق فرأيت على حقا أن لا أبدأ بشئ قبل السلام عليك فشكره الحسين على ذلك وأثنى عليه وقال لقد ذكرت نكاحها وأردت الارسال اليها اذا انقضت عدتها وقد أتى الله بك فاخطب على بركة الله على وعليه وهى أمانة فى عنقك واعطها من المهر مثل ما بذل لها معاوية عن ابنه فقال أفعل ان شاء الله فلما دخل قال أيتها المرأة ان الله خلق الامور بقدرته وكونها بعزته وجعل لكل أمر قدرا ولكل قدر سببا فليس لاحد عن قدر الله مخلص فكان ما سبق لك وقدر عليك من فراق عبد الله بن سلام على غير قياس ولعل ذلك لا يعيرك وجعل الله فيه خيرا كثيرا وقد خطبك أمير هذه الأمة وابن ملكها وولى عهده والخليفة من بعده يزيد بن معاوية والحسين بن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن أول من أقربه من أمته وسيد شباب أهل الجنة فاختارى أيهما شئت فسكتت طويلا ثم قالت يا أبا الدرداء لو جاءنى هذا الامر وأنت غائب لاشخصت فيه الرسل اليك واتبعت فيه رأيك فأما اذا كنت أنت المرسل فيه فقد فوضت أمرى فيه بعد الله اليك وجعلته فى يديك فاختر لى أرضاهما لديك والله شاهد عليك فاقض ولا يصدنك عن ذلك اتباع الهوى فليس أمرهما عليك خفيا فقال أبو الدرداء أيتها المرأة انما على اعلامك ولك الاختيار لنفسك فقالت عفا

خادمامع كل خادم صينية من فضة عليها ألف دينار فوضعوا بين يدى كل رجل منا صينية فرأيت القاضي والمشايخ يصبون الدنانير في أكمامهم و يجعلون الصوانى تحت آباطهم و يقوم الأول فالأول حتى بقيت وحدى بين يدى يحيى لا أجسر على أخذ الصينية فغمزنى الخادم فجسرت وأخذتها وجعلت الذهب في كمى وأخذت الصينية في يدى وقت وجعلت ألتفت الى ورائى مخافة أن أمنع من الذهاب بها فبينما أنا كذلك في صحن الدار و يحيى يلحظني اذ قال للخادم ائتنى بذلك الرجل فرددت اليه فأمر بصب الدنانير والصينية وما كان في كمى ثم أمرني بالجلوس فجلست فقال لى ممن الرجل فقصصت عليه قصتى فقال للخادم ائتنى بولدى موسى فأتى به فقال له يا بنى هذا رجل غريب فخذه اليك واحفظه بنفسك و بنعمتك فقبض موسى على يدى وأدخلنى الى دار من دوره فأكرمنى غاية الاكرام وأقمت عنده يومى وليلتى في ألذ عيش وأتم سرور فلما أصبح دعا بأخيه العباس وقال ان الوزير قد أمرنى بالعطف على هذا الرجل وقد علمت اشتغالى في دار أمير المؤمنين فاقبضه اليك وأكرمه ففعل ذلك وأكرمنى غاية الاكرام فلما كان الغد تسلمنى أخوه أحمد ثم لم أزل في أيدى القوم يتداولونى عشرة ايام لا أعرف خبر عيالى وصبيانى أفى الاموات هم أم في الأحياء فلما كان اليوم الحادى عشر جاءنى خادم ومعه جماعة من الخدم فقالوا لى قم فاخرج الى عيالك بسلام فقلت واويلاه سلبت الدنانير والصينية وأخرج الى عيالى على هذه الحالة انا لله وانا اليه راجعون فرفع الستر الأول ثم الثانى ثم الثالث ثم الرابع فلما رفع الخادم الستر الأخير قال لى مهما كان لك من الحوائج فارفعها الى فانى مأمور بقضاء جميع ما تأمرنى به فلما رفع الستر رأيت حجرة كالشمس حسنا ونورا واستقبلنى منها رائحة الندو العود ونفحات المسك واذا بصبيانى وعيالى يتقلبون في الحرير والديباج وحمل الى ألف ألف درهم وعشرة آلاف دينار ومنشورين بضيعتين وتلك الصينية التى التى كنت أخذتها باعيانها من الدنانير والبنادق وأقمت يا أمير المؤمنين مع البرامكة في دورهم ثلاث عشرة سنة لا يعلم الناس أمن البرامكة انا أم رجل غريب اصطنعونى فلما جاءتهم البلية ونزل بهم من أمير المؤمنين الرشيد ما نزل أجحفنى عمرو بن مسعدة وألزمنى في هاتين الضيعتين من الخراج مالا يفى دخلهما به فلما تحامل على الدهر كنت في أواخر الليل أقصد خرابات القوم فأندبهم وأذكر حسن صنيعهم الى وأشكرهم على احسانهم فقال المأمون على بعمرو بن مسعدة فلما أتى به قال يا عمرو أتعرف هذا الرجل قال نعم يا أمير المؤمنين هو بعض صنائع البرامكة قال كم ألزمته في ضيعته قال كذا وكذا قال رد له كل ما استأديته منه في مدته ووقع له بهما ليكونا له ولعقبه من بعده قال فعلا نحيب الرجل و بكاؤه فلما رأى المأمون كثرة بكائه قال له يا هذا قد أحسنا اليك فلم تبكى قال يا أمير المؤمنين وهذا أيضا من صنائع البرامكة اذ لو لم آت خراباتهم فأبكيهم وأندبهم حتى اتصل خبرى بأمير المؤمنين ففعل بى ما فعل فمن أين كنت أصل الى أمير المؤمنين قال ابراهيم بن ميمون فلقد رأيت المأمون وقد دمعت عيناه وظهر عليه حزنه و قال لعمرى هذا من صنائع البرامكة فعليهم فابك واياهم فاشكر ولهم فأوف ولاحسانهم فاذكر * وقيل اذا أردت أن تعرف وفاء الرجل ودوام عهده فانظر الى حنينه الى أوطانه وتشوقه الى اخوانه وكثرة بكائه على ما مضى من زمانه قال الشاعر

سقى الله أطلال الوفاء بكفه * فقد درست أعلامه ومنازله

وقال آخر

أشدد يديك بمن بلوت وفاءه * ان الوفاء من الرجال عزيز

وقال مالك بن عمارة اللخمى كنت جالسا في ظل الكعبة أيام الموسم عند عبد الملك بن مروان وقبيصة بن ذؤيب وعروة بن الزبير وكنا نخوض في الفقه مرة وفي المذاكرة مرة وفي أشعار العرب وأمثال الناس مرة فكنت لا أجد عند أحد ما أجده عند عبد الملك بن مروان من الاتساع في المعرفة والتصرف في فنون العلم وحسن استماعه اذا حدث وحلاوة لفظه اذا حدث فخلوت معه ليلة فقلت له والله انى لمسرور بك لما شاهدته من كثرة تصرفك وحسن حديثك واقبالك على جليسك فقال ان تعش قليلا فسترى العيون طامحة الى والاعناق نحوى متطاولة فاذا صار الأمر الى فلعلك أن تنقل الى ركابك فلأملأن يديك فلما أفضت اليه الخلافة توجهت اليه فوافيته يوم الجمعة وهو يخطب على المنبر فلما رآنى أعرض عنى فقلت لعله لم يعرفنى أو عرفنى وأظهر لى نكرة فلما قضيت الصلاة ودخل بيته لم ألبث أن خرج الحاجب فقال أين مالك بن عمارة فقمت فأخذ

الله عنك انما أنا بنت أخيك ولا يمنعك أحد من قول الحق فيما طوقتك به فقد وجب عليك أداء الامانة فلم يجد بدا من القول فقال يا بنية ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب الى في ذلك وأرضى عندى والله أعلم وقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم واضعا شفتيه على شفتى الحسين فضعى شفتيك حيث وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم شفتيه قالت قد اخترته ورضيته فتزوجها الحسين بن على عليهما السلام فساق لها مهرا عظيما وبلغ معاوية ما فعله أبو الدرداء فعظم عليه وقال من يرسل ذا بله وعمى ركب خلاف ما يهوى وكان عبد الله بن سلام قد استودعها قبل فراقه اياها ذهبا وكان معاوية قد اطرحه وقطع عنه جميع روادفه لقوله انه خدعه حتى طلق امرأته فلم يزل يجفوه حتى قل ما بيده فرجع الى العراق فلما قدمها لقى الحسين فسلم عليه ثم قال لقد علمت ما كان من خبرى وخبر زينب وكنت قبل فراقى اياها استودعتها مالا وكان الذى كان ولم اقبضه ووالله ان ظنى بها جميل فذا كرها في أمرى فان الله يجزيك به أجرك فسكت عنه فلما انصرف الى أهله قال لها قدم عبد الله بن سلام وهو كثير الثناء عليك في دينك وحسن صحبتك فسرنى ذلك وأعجبنى وذكر انه استودعك مالا فقالت صدق استودعنى مالا لا أدرى لمن هو وانه لمطبوع عليه بخاتمه وها هو ذا فادفعه اليه بطابعه فأثنى عليها الحسين خيرا وقال الا أدخله عليك حتى تبرئى منه ثم لقى عبد الله فقال ما أنكرت مالك وزعمت أنه كما دفعته اليها بطابعك فادخل يا هذا اليها واستوف مالك منها بحيث تحصل البراءة من الطرفين فلما دخل عليها قال لها الحسين هذا عبد الله

بيدي وأدخلني عليه فدنا الى يده وقال انك تراءيت لي في موضع لا يجوز فيه الامارأيت فاما الآن فرحبا وأهلا كيف كنت بعدي فاخبرته فقال لي اتذكر ما كنت قلت لك قلت نعم فقال والله ما هو بميراث رعيناه ولا أثر رويناه ولكني أخبرك بخصال مني سمت بها نفسي الى الموضع الذي ترى ما خنت ذا ود قط ولا شمت بمصيبة عدو قط ولا أعرضت عن محدث حتى ينتهي حديثه ولا قصدت كبيرة من محارم الله تعالى متلذذا بها فكنت أؤمل بهذه أن يرفع الله تعالى منزلتي وقد فعل ثم دعا بغلام فقال له يا غلام بوئه منزلا في الدار فاخذ الغلام بيدي وأفرد لي منزلا حسنا فكنت في ألذ حال وأنعم بال وكان يسمع كلامي وأسمع كلامه ثم أدخل عليه في وقت عشائه وغدائه فيرفع منزلتي ويقبل علي ويحادثني ويسألني مرة عن العراق ومرة عن الحجاز حتى مضت لي عشرون ليلة فتغديت يوما عنده فلما تفرق الناس نهضت قائما فقال على رسلك فقعدت فقال أي الأمرين أحب اليك المقام عندنا مع النصفة لك في المعاشرة أو الرجوع الى أهلك ولك الكرامة فقلت يا أمير المؤمنين فارقت أهلي وولدي على أني أزور أمير المؤمنين وأعود اليهم فان أمير المؤمنين اخترت رؤيته على الأهل والولد فقال لا بل أرى لك الرجوع اليهم والخيار لك بعد في زيارتنا وقد أمرنا لك بعشرين ألف دينار وكسوناك وحملناك أتراني قد ملأت يديك فلا خير فيمن ينسى اذا وعد وعدا اذا شئت صحبتك السلامة (ومن ذلك) ما روي عن أبي بكار الأعمى وكان قد انقطع الى آل برمك قال مسرور الكبير لما أمرني الرشيد بقتل جعفر بن يحيى دخلت عليه فوجدت عنده أبا بكار الأعمى يغنيه ويقول

فلا تبعد فكل فتى سيأتي * عليه الموت يطرق أو يغادي

فقلت في هذا والله قد أتيتك ثم أمسكت بيد جعفر وأقمته وضربت عنقه فقال أبو بكار ناشدتك الله الا ما ألحقتني به فقلت له ما الذي حملك على هذا فقال أغناني عن الناس فقلت حتى أستأمر الرشيد ثم أحضرت الرأس الى الرشيد وأخبرته بخبر أبي بكار فقال هذا رجل فيه مصطنع اضممه اليك وانظر ما كان يجري عليه جعفر فادفعه اليه وكان يحيى بن خالد اذا أكد في يمينه قال لا والذي جعل الوفاء أعز ما يرى قال أبو فراس بن حمدان الشاعر

بمن يثق الانسان فيما ينوبه * ومن أين للحر الكريم صحاب

وقد صار هذا الناس الا أقلهم * ذئاب على أجسادهن ثياب

وسأل المنصور بعض بطانة هشام عن تدبيره في الحروب فقال كان رحمه الله تعالى يفعل كذا وكذا فقال المنصور عليك لعنة الله تطأ بساطي وتترحم على عدوي فقال ان نعمة عدوك لقلادة في عنقي لا ينزعها الا غاسلي فقال له المنصور ارجع يا شيخ فاني أشهد أنك لوفي حافظ للخير ثم أمر له بمال فأخذه ثم قال والله لولا جلالة أمير المؤمنين وامضاء طاعته ما لبست لأحد بعد هشام نعمة فقال له المنصور لله درك فلو لم يكن في قومك غيرك لكنت قد أبقيت لهم مجدا مخلدا * وخرج سليمان بن عبد الملك ومعه يزيد بن المهلب في بعض جبانة الشام فاذا امرأة جالسة على قبر تبكي قال سليمان فرفعت البرقع عن وجهها فكأنها شمس عن متون غمامة فوقفنا متحيرين ننظر اليها فقال لها يزيد بن المهلب يا أمة الله هل لك في أمير المؤمنين بعلا فنظرت الينا ثم انشأت تقول

فان تسألاني عن هواي فانه * يجول بهذا القبر يا فتيان

واني لأستحييه والترب بيننا * كما كنت أستحييه وهو يراني

(ومن ذلك) ما روي عن نائلة بنت الفرافصة بن الأحوص الكلبي زوج عثمان رضي الله عنهما ان عثمان لما قتل أصابتها ضربة على يدها وخطبها معاوية فردته وقالت ما يعجب الرجل مني قالوا ثناياك فكسرت ثناياها وبعثت بها الى معاوية فكان ذلك مما رغب قريشا في نكاح نساء بني كلب * ولما أحس مصعب بن الزبير بالقتل دفع الى مولاه زياد فص ياقوت قيمته ألف ألف وقال له انج بهذا فأخذه زياد ودقه بين حجرين وقال والله لا ينتفع به أحد بعدك * ولما قدم هدبة بن الخشرم للقتل بحضرة مروان بن الحكم قالت زوجته ان لهدبة عندي وديعة فامهله حتى آتيك بها فقال أسرعي فان الناس قد كثروا وكان مروان قد جلس لهم بارزا عن داره فمضت الى السوق وأتت الى قصاب فقالت اعطني شفرتك وخذ هذين الدرهمين وأنا أردها عليك فاخذتها وقربت من حائط وأرسلت ملحفتها على وجهها ثم جدعت أنفها من أصله وقطعت شفتيها وردت الشفرة الى القصاب ثم أقبلت حتى دخلت بين الناس فقالت أتراني يا هدبة متزوجة بعد ما ترى فقال الآن طابت نفسي

ابن سلام ثم جاء يطلب وديعته فأخرجت اليه البدر فوضعتها بين يديه وقالت له هذا مالك فشكر وأثنى فخرج الحسين عنهما وفض عبد الله خواتم بدره وحثى لها من ذلك جانبا كبيرا وقال لها والله هذا قليل مني فاستعبرا حتى علت أصواتهما بالبكاء على ما ابتليا به فدخل الحسين عليهما وقد رق لهما ثم قال أشهد الله انها طالق ثلاثا اللهم أنت تعلم أنني لم استنكحها رغبة في مالها ولا في جمالها ولكني أردت احلالها لزوجها فطلقها ولم يأخذ شيئا مما ساق لها في مهرها بعد ما عرضته عليه وقال الذي أرجوه من الثواب خير لي فلما انقضت عدتها تزوجها عبد الله بن سلام وعادا على ما كانا عليه من حسن الصحبة الى أن فرق الموت بينهما هكذا نقله ابن بدرون في تاريخه والله أعلم (ومن غرائب المنقول وعجائبه) عن الأمير بدر الدين أبي المحاسن يوسف المهمندار المعروف بمهمندار العرب انه قال حكى الأمير شجاع الدين محمد الشيرازي متولي القاهرة في الأيام الكاملية سنة ثلاث وستمائة قال بتنا عند رجل ببعض بلاد الصعيد فأكرمنا وكان الرجل شديد السمرة وهو شيخ كبير فحضر له أولاد بيض الوجوه حسان الأشكال فقلنا له هؤلاء أولادك قال نعم وكأنكم قد أنكرتم بياضهم وسوادي فقلنا له نعم قال هؤلاء أمهم افرنجية أخذتها في أيام الملك الناصر صلاح الدين وأنا شاب فقلنا وكيف أخذتها قال حديثي بها عجيب قلنا أتحفنا به قال زرعت كتانا في هذه البلدة وقلعته ونفضته فانصرف عليه خمسمائة دينار ولم يبلغ الثمن الى أكثر من ذلك فحملته الى القاهرة فلم يصل الى أكثر من ذلك فأشير علي بحمله الى الشام فحملته فما زاد على ثلث القيمة شيأ

بالموت فجزاك الله من حليلة وفيه خيرا (ولنجعل) لهذا الباب من القضايا ختاما هو أوجزها كلاما وأحسنها نظاما وأبينها احكاما واحكاما وهى قضية جمعت الأمرين وفاء وغدرا وعرفا ونكرا وخيرا وشرا ونفعا وضرا واشتملت على حال شخصين أحدهما وفى بعهده ففاز ونجا وحاز من مقترحات مناه ما أمل ورجا وغدر الآخر فلم يجد له من جزاء غدره الى النجاة فرجا ولم يلق له من ضيق الغدر مخرجا وهو ما ذكره عبد الله بن عبد الكريم وكان مطلعا على أحوال أحمد بن طولون عارفا بأموره عالما بوروده وصدوره فقال ما معناه ان أحمد بن طولون وجد عند سقايته طفلا مطروحا فالتقطه وربّاه وسماه أحمد وشهره باليتيم فلما كبر ونشأ كان أكثر الناس ذكاء وفطنة وأحسنهم زيا وصورة فصار يرعاه ويعلمه حتى تهذب وتمرن فلما حضرت أحمد بن طولون الوفاة أوصى ولده أبا الجيش خمارويه به فأخذه اليه فلما مات أحمد بن طولون أحضره الأمير أبو الجيش اليه وقال له أنت عندي بمكانة أرعاك بها ولكن عادتى انى آخذ العهد على كل من أصرفه فى شىء انه لا يخوننى فعاهده ثم حكمه فى أمواله وقدمه فى أشغاله فصار أحمد اليتيم مستحوذا على المقام حاكما على جميع الحاشية الخاص والعام والأمير أبو الجيش بن طولون يحسن اليه فلما رأى خدمته متصفة بالنصح ومساعيه متسمة بالنجح ركن اليه واعتمد فى أمور بيوته عليه فقال له يوما يا أحمد امض الى الحجرة الفلانية ففى المجلس حيث أجلس سبحة جوهر فائتنى بها فمضى أحمد فلما دخل الحجرة وجد جارية من مغنيات الأمير وحظاياه مع شاب من الفراشين ممن هو من الأمير بمحل قريب فلما رآه خرج الفتى وجاءت الجارية الى أحمد وعرضت نفسها عليه ودعته الى قضاء وطره فقال لها معاذ الله أن أخون الأمير وقد أحسن الىّ وأخذ العهد علىّ ثم تركها وأخذ السبحة وانصرف الى الأمير وسلمها اليه وبقيت الجارية شديدة الخوف من أحمد بعد ما أخذ السبحة وخرج من الحجرة لئلا يذكر حالها للأمير فأقامت أياما لم تجد من الأمير ما غيره عليها ثم اتفق أن الأمير اشترى جارية وقدمها على حظاياه وغمرها بعطاياه واشتغل بها عن سواها وأعرض لشغفه بها عن كل من عنده حتى كاد لا يذكر جارية غيرها ولا يراها وكان أولا مشغولا بتلك الجارية الخاسرة الخائنة الخائبة الغادرة العائبة العاهرة الفاسقة الفاجرة فلما أعرض عنها اشتغالا بالجارية الجديدة المجيدة السعيدة المسعدة الحامدة المحمودة الوصيفة الموصوفة الأليفة المألوفة العارفة المعروفة وصرف لبهجة محاسنها وكثرة آدابها وجهه عن ملاعبة أترابها وشغلته بعذوبة رضابها عن ارتشاف ضرب أضرابها وكانت تلك الجارية الأولى لحسنها متآمرة على تأميره لا تخاف من وليه ولا نصيره فكبر عليها اعراضه عنها ونسبت ذلك الى أحمد اليتيم لاطلاعه على ما كان منها فدخلت على الأمير وقد ارتدت من الكآبة بجلباب نكرها وأعلنت بالبكاء بين يديه لاتمام كيدها ومكرها وقالت ان أحمد اليتيم راودنى عن نفسى فلما سمع الأمير ذلك استشاط غيظا وغضبا وهم فى الحال بقتله ثم عاوده حاكم عقله فتأنى فى فعله واستحضر خادما يعتمد عليه وقال له اذا أرسلت اليك انسانا ومعه طبق من ذهب وقلت لك على لسانه املأ هذا الطبق مسكا فاقتل ذلك الانسان واجعل رأسه فى الطبق وأحضره مغطى ثم ان الأمير أبا الجيش جلس لشرابه وأحضر عنده ندماءه الخواص وأدناهم لمجلس قربه وأحمد اليتيم واقف بين يديه آمن فى سربه لم يخطر بخاطره شىء ولا هجس هاجس فى قلبه فلما مثل بين يدى الأمير وأخذ منه الشراب شرع فى التدبير فقال يا أحمد خذ هذا الطبق وامض به الى فلان الخادم وقل له يقول لك أمير المؤمنين املأ هذا الطبق مسكا فأخذه أحمد اليتيم ومضى فاجتاز فى طريقه بالمغنين وبقية الندماء والخواص فقاموا اليه وسألوه الجلوس معهم فقال أنا ماض فى حاجة للأمير أمرنى باحضارها فى هذا الطبق فقالوا له أرسل من ينوب عنك فى احضارها وخذها أنت وادخل بها على الأمير فأدار عينيه فرأى الفتى الفراش الذى كان مع الجارية فأعطاه الطبق وقال له امض الى فلان الخادم وقل له يقول لك الأمير املأ هذا الطبق مسكا فمضى ذلك الفراش الى الخادم فذكر له ذلك فقتله وقطع رأسه وغطاه وجعله فى الطبق وأقبل به فناوله لأحمد اليتيم فأخذه وليس عنده علم من باطن الأمر فلما دخل به على الأمير كشفه وتأمله وقال ما هذا فقص عليه خبره وقعوده مع المغنين وبقية الندماء وسؤالهم له الجلوس معهم وما كان من انفاذ الطبق وارساله مع الفراش وأنه لا علم عنده بغير ما ذكره قال أتعرف لهذا الفراش خبرا يستوجب به ما جرى عليه فقال أيها الأمير ان الذى تم عليه بما ارتكبه من الخيانة وقد كنت رأيت الاعراض عن اعلام الأمير بذلك وأخذ أحمد يحدثه بما شاهده وما جرى له من

فوصلت به الى مكافبعت بعضه بالاجل والبعض تركته عندى واكتريت حانوتا أبيع فيه على مهلى الى حيث انقضاء المدة فبينما أنا أبيع اذ مرت بى امرأة افرنجية ونساء الافرنج يمشون فى الاسواق بلا نقاب فأتت تشترى منى كتانا فرأيت من جمالها ما بهرنى فبعتها وسامحتها ثم انصرفت وعادت الىّ بعد أيام فبعتها وسامحتها أكثر من المكرة الاولى فتكررت الى وعلمت انى أحبها فقلت للعجوز التى معها انى قد تلفت بحبها وأريد منك الحيلة فقالت لها ذلك فقالت تروح أرواحنا الثلاثة أنا وأنت وهو فقلت لها قد سمحت بروحى فى حبها واتفق الحال على أن أدفع خمسين دينارا صورية فوزنتها وسلمتها العجوز فقالت نحن الليلة عندك فمضيت وجهزت ما قدرت عليه من مأكول ومشروب وشمع وحلواء فجاءت الافرنجية فأكلنا وشربنا وجن الليل ولم يبق غير النوم فقلت فى نفسى أما تستحى من الله وأنت غريب تعصى الله مع نصرانية اللهم انى اشهدك انى قد عففت عنها فى هذه الليلة حياء منك وخوفا من عقابك ثم نمت الى الصبح فنامت الى الصبح وقامت فى السحر وهى غضبى ومضت ومضيت أنا الى حانوتى فجلست فيه واذا هى قد عبرت على هى والعجوز وهى مغضبة وكأنها القمر فهلكت فقلت فى نفسى من هو أنت حتى تترك هذه البارعة فى حسنها ثم لحقت العجوز وقلت ارجعى فقالت وحق المسيح ما أرجع اليك الا بمائة دينار فقلت نعم رضيت فوزنت مائة دينار فلما حضرت الجارية عندى لحقتنى الفكرة الأولى وعففت عنها وتركتها حياء من الله تعالى ثم مضت ومضيت الى موضعى ثم عبرت بعد ذلك على وكانت مستعربة فقالت وحق المسيح ما بقيت تفرح بى عندك الا

حديث الجارية من أوله الى آخره لما أنفذه لاحضار السبحة الجوهر فدعا الأمير أبو الجيش بتلك الجارية واستقررها فأقرت بصحة ماذكره أحمد فأعطاه اياه وأمره بقتلها ففعل وازدادت مكانة أحمد عنده وعلت منزلته لديه وضاعف احسانه اليه وجعل ازمة جميع ما يتعلق به بيديه * فانظر رحمك الله الى آثار الوفاء كيف تحمي من المعاطب وتنجي من قبضة التلف بعد امضاء القواضب ويفضي بصاحبه الى ارتقاء غوارب المراتب فهذا الغلام لما وفى لمولاه بعهده وهو بشر مثله وليس فى الحقيقة بعبده واطلع الله عز وجل على صدق نيته وقصده دفع عنه هذه القتلة الشنيعة بلطف من عنده فاذا كان العبد مع خالقه ورازقه وافيا فى طاعته بعقده كيف لا يفيض عليه من ألطاف مواهب بره ورفده ويفتح له من أنواع رحمته وأقسام نعمته ما لا عين رأت مثله من بعده وقالوا ليس شئ أوفى من القمري اذا مات ذكرها لم تقرب آخر بعده ولا تزال تنوح عليه الى أن تموت والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا الى يوم الدين والحمد لله رب العالمين

﴿الباب الثامن والثلاثون فى كتمان السر وتحصينه وذم افشائه﴾

قال الله تعالى حكاية عن يعقوب صلوات الله وسلامه عليه يا بني لا تقصص رؤياك على اخوتك الآية فلما أفشى يوسف عليه السلام رؤياه بمشهد امرأة يعقوب أخبرت اخوته فحل به ما حل * ومن شواهد الكتاب العزيز فى السر قوله تعالى فأوحى الى عبده ما أوحى وقوله تعالى وما هو على الغيب بضنين أي بمتهم وفى الحديث استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان فان كل ذي نعمة محسود وقال علي رضي الله عنه وكرم وجهه سرك أسيرك فاذا تكلمت به صرت أسيره واعلم ان أمناء الأسرار أقل وجودا من أمناء الأموال وحفظ الأموال أيسر من كتمان الأسرار لان أحراز الأموال منيعة بالابواب والأقفال وأحراز الأسرار بارزة يذيعها لسان ناطق ويشيعها كلام سابق وحمل الأسرار أثقل من حمل الأموال فان الرجل يستقل بالحمل الثقيل فيحمله ويمشي به ولا يستطيع كتم السر وان الرجل يكون سره فى قلبه فيلحقه من القلق والكرب ما لا يلحقه من حمل الاثقال فاذا أذاعه استراح قلبه وسكن خاطره وكأنما ألقى عن نفسه حملا ثقيلا وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه القلوب أوعية والشفاه أقفالها والألسن مفاتيحها فليحفظ كل انسان مفتاح سره * ومن عجائب الامور أن الاموال كلما كثرت خزانها كان أوثق لها وأما الاسرار فانها كلما كثرت خزانها كان أضيع لها وكم من اظهار سر أراق دم صاحبه ومنعه من بلوغ ما آربه ولو كتمه أمن من سطواته وقال أنوشروان من حصن سره فله بتحصينه خصلتان الظفر بحاجته والسلامة من السطوات وقيل كلما كثرت خزان الأسرار زادت ضياعا وقيل انفرد بسرك لا تودعه حازما فيزل ولا جاهلا فيخون وقال كعب بن سعد الغنوي

ولست عبد للرجال سريرتي * ولا أنا عن أسرارهم بسؤل

وقال أبو مسلم صاحب الدولة

أدركت بالحزم والكتمان ما عجزت * عنه ملوك بني مروان اذ جهدوا
ما زلت اسعى عليهم فى ديارهم * والقوم فى غفلة بالشأم قد رقدوا
حتى ضربتهم بالسيف فانتبهوا * من نومة لم ينمها قبلهم أحد
ومن رعا غنما فى أرض مسبعة * ونام عنها تولى رعيها الأسد

وأسر رجل الى صديقه حديثا ثم قال له أفهمت قال بل جهلت ثم قال له أحفظت قال بل نسيت وقيل لبعضهم كيف كتمانك للسر قال أجحد المخبر وأحلف للمستخبر وقال المهلب أدنى أخلاق الشريف كتمان السر وأعلى أخلاقه نسيان ما اسر اليه ومن أحسن ما قيل فى كتمان السر قول الشاعر

ولما سرائر فى الضمير طويتها * نسي الضمير بانها فى طيه

وقد أجازه الشيخ شمس الدين البدوي فقال

انى كتمت حديث ليلى لم أبح * يوما بظاهره ولا بخفيه
وحفظت عهود ودادها متمسكا * فى حبها بر شاده أو غيه
ولما سرائر فى الضمير طويتها * نسي الضمير بانها فى طيه

وقيل كتمان الاسرار يدل على جواهر الرجال وكما أنه لا خير فى آنية لا تمسك ما فيها فكذلك لا خير فى انسان لا يمسك سره قال الشاعر *

بخمسمائة دينار أو تموت كمدا فارتعدت لذلك وعزمت انني أصرف عليها ثمن الكتان جميعه فبينما أنا كذلك والمنادي ينادي معاشر المسلمين ان الهدنة التي بيننا وبينكم قد انقضت وقد أمهلنا من هنا من المسلمين الى جمعة فانقطعت عني وأخذت أنا فى تحصيل ثمن الكتان الذي لي والمصالحة على ما بقي منه وأخذت معي بضاعة حسنة وخرجت من عكا وفى قلبي من الافرنجية ما فيه فوصلت الى دمشق وبعت البضاعة بأوفى ثمن بسبب فراغ الهدنة ومن الله بكسب وافر وأخذت أتجر فى الجواري عسى يذهب ما بقلبي من الافرنجية فمضت ثلاث سنين وجرى للسلطان الملك الناصر ما جرى من وقعة حطين وأخذه جميع الملوك وفتحه بلاد الساحل باذن الله تعالى فطلب مني جارية للملك الناصر فاحضرت جارية حسناء فاشتريت له مني بمائة دينار فاوصلوا الى تسعين دينارا وبقيت عشرة دنانير فلم يلتقوها فى الخزانة ذلك اليوم لأنه أنفق جميع الاموال فشاوروه على ذلك فقال امضوا به الى الخزانة التي فيها السبي من نساء الافرنج فخيروه فى واحدة منهن يأخذها بالعشرة الدنانير التى له فأتيت الخيمة فعرفت غريمتي الافرنجية فقلت أعطوني هاتيك فأخذتها ومضيت الى خيمتي وخلوت بها وقلت لها أتعرفينني قالت لا فقلت أنا صاحبك التاجر الذي جرى لي معك ما جرى وأخذت مني الذهب وقلت ما بقيت تبصرني الا بخمسمائة دينار وقد أخذتك ملكا بعشرة دنانير فقالت مد يدك أنا أشهد ان لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فاسلمت وحسن اسلامها فقلت والله لا وصلت اليها الا بأمر القاضي فرحت الى ابن شداد وحكيت له ما جرى فعجب وعقد لي

ومستودعي سرا كتمت مكانه * عن الحس حتى كاد أن ينم به الحس
وخفت عليه من هوى النفس شهوة * فأودعته من حيث لا يبلغ الحس

(وقال قيس بن الخطيم) أجود بمكنون التلاد وانني * بسري عمن سالني لضنين
وان ضيع الاقوام سري فانني * كتوم لاسرار العشير أمين

(وقال جعفر بن عثمان) ياذا الذي أودعني سره * لاترج أن تسمعه مني
لم أجره قط على فكرتي * كأنه لم يجر في أذني

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول ما أفشيت سري الى أحد قط فأفشاه فلمته اذ كان صدري به أضيق وقال الاحنف بن قيس يضيق صدر الرجل بسره فاذا حدث به أحدا قال اكتمه على قال الشاعر

اذا المرء أفشى سره بلسانه * ولام عليه غيره فهو أحمق
اذا ضاق صدر المرء عن سر نفسه * فصدر الذي يستودع السر أضيق

وقال آخر اذا ما ضاق صدرك عن حديث * وأفشته الرجال فمن تلوم
وان عاتبت من أفشى حديثي * وسري عنده فأنا الملوم

وقال صالح بن عبد القدوس لاتودع سرك الى طالبه فالطالب للسر مذيع ولا تودع مالك عند من يستدعيه فالطالب للوديعة خائن * وقيل لاعرابي ما بلغ من حفظك للسر قال أفرغه تحت شغاف قلبي ثم أجمعه وأنساه كأني لم أسمعه وكان يقال أحزم الناس من لا يفشي سره الى صديقه مخافة أن يقع بينهما شر فيفشيه عليه وقال حكيم قلوب الاحرار قبور الاسرار وقيل الطمأنينة الى كل أحد قبل الاختبار حمق وقال بعضهم

اذا ما فرت الذنب يوما لصاحب * فلست معيدا ما حييت له ذكرا
ولست اذا ما صاحب خان عهده * وعندي له سر مذيعا له سرا

وأين هذا من القائل ولا تودع الاسرار أذني فانما * تصب ماء في اناء مثلم

أو القائل ولا أكتم الاسرار لكن أذيعها * ولا أدع الاسرار تغلو على قلبي
وان قليل العقل من بات ليلة * تقلبه الاسرار جنبا الى جنب

وقال آخر وانك كلما استودعت سرا * أنم من النسيم على الرياض

وقال اسحق بن ابراهيم الموصلي اناس أمناهم فنموا حديثنا * فلما كتمنا السر عنهم تقولوا

(ولله در المتنبي حيث قال) وللسر مني موضع لا يناله * نديم ولا يفضي اليه شراب

وقد اقتصرنا من ذلك على هذا القدر اليسير وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا الى يوم الدين والحمد لله رب العالمين

﴿الباب التاسع والثلاثون في الغدر والخيانة والسرقة والعداوة والبغضاء والحسد وفيه فصول﴾

﴿الفصل الاول في الغدر والخيانة﴾ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعجل الاشياء عقوبة البغي وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المكر والخديعة والخيانة في النار وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه ثلاث من كن فيه كن عليه البغي والنكث والمكر قال الله تعالى انما بغيكم على أنفسكم وقال تعالى فمن نكث فانما ينكث على نفسه وقال تعالى ولا يحيق المكر السيء الا باهله وكم أوقع الغدر في المهالك من غادر وضاقت عليه من موارد الهلكات فسيحات المصادر وطوقه غدره طوق خزي فهو على فكه غير قادر وأوقعه في خطة خسف وورطة حتف فما له من قوة ولا ناصر ويشهد لصحة هذه الاسباب ما أحاطت به علوم ذوي الالباب من قصة ثعلبة بن حاطب الانصاري وتلخيص معناها ان ثعلبة هذا كان من أنصار النبي صلى الله عليه وسلم فجاء يوما وقال يارسول الله ادع الله أن يرزقني مالا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحك يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه ثم أتاه بعد ذلك مرة أخرى فقال يارسول الله ادع الله أن يرزقني مالا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ثعلبة أما لك في رسول الله أسوة حسنة والذي نفسي بيده لو أردت ان تسير الجبال معي ذهبا وفضة لسارت ثم أتاه بعد ذلك مرة ثالثة فقال يارسول الله ادع الله ان يرزقني مالا والذي بعثك بالحق نبيا لئن رزقني الله مالا لأعطين كل ذي حق حقه وعاهد الله تعالى على ذلك فقال رسول

لملبها وباتت تلك الليلة عندي فحملت مني ثم رحل العسكر وأتينا دمشق وبعد مدة يسيرة أتى رسول الملك يطلب الاسارى والسبايا باتفاق وقع بين الملوك فردوا من كان أسيرا من الرجال والنساء ولم يبق الا التي عندي فسألوا عنها واتضح الخبر أنها عندي وطلبت مني فحضرت وقد تغير لوني وأحضرتها معي بين يدي مولانا السلطان الملك الناصر والرسول حاضر فقال لها الملك الناصر بحضرة الرسول ترجعين الى بلادك أو الى زوجك فقد فككنا أسرك وأسر غيرك فقالت يا مولانا السلطان أنا قد أسلمت وحبلت وها بطني كما ترونه وما بقيت الافرنج تنتفع بي فقال لها الرسول أيما أحب اليك هذا المسلم أو زوجك الافرنجي فلان فأعادت عبارتها الاولى فقال الرسول لمن معه من الافرنج اسمعوا كلامها ثم قال لي الرسول خذ زوجتك فوليت بها فطلبني ثانيا وقال ان أمها أرسلت معي وديعة وقالت ان ابنتي أسيرة وأشتهي أن تصل لها هذه الكسوة فتسلمت الكسوة ومضيت الى الدار وفتحت القماش فاذا هو قماشها بعينه قد سيرته لها أمها ووجدت الصرتين الذهب الخمسين دينارا والمائة دينار كما هما بربطتي لم يتغيرا وهؤلاء الاولاد منها وهي التي صنعت لكم هذا الطعام ﴿ومن لطائف المنقول من المستجاد﴾ قال الواقدي كان ابراهيم بن المهدي قد ادعى الخلافة لنفسه بالري وأقام مالكها سنة وأحد عشر اشهرا واثني عشر يوما وله أخبار كثيرة أحسنها عندي ما حكاه لي قال لما دخل المأمون الري في طلبي وجعل لمن أتاه بي مائة ألف درهم خفت على نفسي وتحيرت في أمري فخرجت من داري وقت الظهر وكان يوما صائفا وما أدري

الله صلى الله عليه وسلم اللهم ارزق ثعلبة ما قال فاتخذ ثعلبة غنما فنمت كما ينمو الدود فضاقت عليه المدينة فتنحى عنها ونزل واديا من أوديتها وهي تنمو كما ينمو الدود وكان ثعلبة لكثرة ملازمته للمسجد يقال له حمامة المسجد فلما كثرت الغنم وتنحى صار يصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر والعصر ويصلي بقية الصلوات في غنمه فكثرت ونمت حتى بعد عن المدينة فصار لا يشهد الا الجمعة ثم كثرت ونمت فتباعد أيضا عن المدينة حتى صار لا يشهد جمعة ولا جماعة فكان اذا كان يوم الجمعة خرج يتلقى الناس ويسألهم عن الاخبار فذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فقال مافعل ثعلبة قالوا يارسول الله اتخذ غنما مايسعها واد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ياويح ثعلبة فأنزل الله تعالى آية الصدقة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلين رجل من بني سليم ورجل من جهينة وكتب لهما أنصاب الصدقة وكيف يأخذانها وقال لهما مرا بثعلبة بن حاطب وبرجل آخر من بني سليم فخذا صدقاتهما فخرجا حتى أتيا ثعلبة فسألاه الصدقة وأقرآه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ماهذه الاجزية أوماهذه الا أخت الجزية انطلقا حتى تفرغا ثم عودا الى فانطلقا وسمع بهما السلمي فنظر الى خيار ابله فعزلها للصدقة ثم استقبلهما بها فلما رأياه قالا ماهذا قال خذاه فان نفسي به طيبة فمرا على الناس وأخذا الصدقات ثم رجعا الى ثعلبة فقال أروني كتابكما فقرأه ثم قال ماهذه الاجزية أوماهذه الا أخت الجزية اذهبا حتى أرى رأيا قال فذهبا من عنده وأقبلا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رآهما قال قبل أن يتكلما ياويح ثعلبة فأنزل الله تعالى ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون فأعقبهم نفاقا في قلوبهم الى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ماوعدوه وبما كانوا يكذبون ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم وأن الله علام الغيوب وكان عند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من أقارب ثعلبة فسمع ذلك فخرج حتى أتاه فقال ويحك ياثعلبة قد أنزل الله فيك كذا وكذا فخرج ثعلبة حتى أتى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله أن يقبل صدقته فقال ان الله تعالى منعني ان أقبل منك صدقة فجعل ثعلبة يحثو التراب على رأسه ووجهه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا عملك قد أمرتك فلم تطعني فلما أبى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقبل صدقته رجع الى منزله وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يقبل منه شيأ ثم أتى الى أبي بكر الصديق رضي الله عنه حين استخلف فقال قد علمت منزلتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم وموضعي من الانصار فاقبل صدقتي فقال أبو بكر رضي الله عنه لم يقبلها رسول الله صلى الله عليه وسلم منك فلا أقبلها أنا فقبض أبو بكر رضي الله تعالى عنه ولم يقبلها فلما ولي عمر رضي الله عنه أتاه فقال يا أمير المؤمنين اقبل صدقتي فلم يقبلها منه وقال لم يقبلها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أبو بكر رضي الله عنه فأنا لا أقبلها وقبض عمر رضي الله عنه ولم يقبلها ثم ولي عثمان بن عفان رضي الله عنه فسأله أن يقبل صدقته فقال له لم يقبلها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أبو بكر ولا عمر رضي الله عنهما فأنا لا أقبلها ثم هلك ثعلبة في خلافة عثمان رضي الله عنه * فانظر الى سوء عاقبة غدره كيف أذاقه وبال أمره ووصمه بسمة عار قضت عليه بخسره وأعقبه نفاقا يخزيه يوم فاقته وفقره فأي خزي أربح من ترك الوفاء بالميثاق وأي سوء أقبح من غدر يسوق الى النفاق وأي عار أفضح من نقض العهد اذا عدت مساوي الاخلاق وكان يقال لم يغدر غادر قط الا لصغر همته عن الوفاء واتضاع قدره عن احتمال المكاره في جنب نيل المكارم قال الشاعر

غدرت بأمر كنت أنت جذبتنا * اليه وبئس الشيمة الغدر بالعهد

ولما حلف محمد الامين للمأمون في بيت الله الحرام وهما وليا عهد طالبه جعفر بن يحيي أن يقول خذلني الله ان خذلته فقال ذلك ثلاث مرات فقال الفضل بن الربيع قال لي الامين في ذلك الوقت عند خروجه من بيت الله يا أبا العباس أجد في نفسي أن أمري لا يتم فقلت له ولم ذلك أعز الله الامير قال لاني كنت أحلف وأنا أنوي الغدر وكان كذلك لم يتم أمره (وورد) في أخبار العرب أن الضيزن بن معاوية بن قضاعة كان ملكا بين دجلة والفرات وكان له هناك قصر مشيد يعرف بالجوسق وبلغ ملكه الشام فأغار على مدينة سابور ذي الاكتاف فأخذها وأخذ أخت سابور وقتل منهم خلقا كثيرا ثم ان سابور جمع جيوشا وسار الى الضيزن فأقام على الحصن أربع سنين لا يصل منه الى شئ ثم ان النضيرة بنت الضيزن عركت أي حاضت فخرجت من الربض وكانت من أجمل أهل دهرها وكذلك كانوا يفعلون بنسائهم اذا حضن وكان سابور من أجمل أهل زمانه فرآها ورأته فعشقها

اين أتوجه فوقفت في شارع غير نافذ وقلت انا لله وانا اليه راجعون ان عدت على أثري يرتاب في أمري ثم رأيت في صدر الشارع عبدا أسود قائما على باب دار فتقدمت اليه وقلت هل عندك موضع أقيم فيه ساعة من نهار فقال نعم وفتح الباب فدخلت الى بيت نظيف فيه حصر وبسط ووسائد جلود الا أنها نظيفة ثم أغلق الباب علي ومضى فتوهمته قد سمع الجعالة في وانه خرج ليدل علي فبقيت على مثل النار فبينما أنا كذلك اذ أقبل ومعه حمال عليه كل مايحتاج اليه من خبز ولحم وقدر جديدة وجرة نظيفة وكيزان جدد فحط عن الحمال ثم التفت الي وقال جعلني الله فداءك أنا رجل حجام وأنا أعلم أنك تتقزز مني لما أتولاه من معيشتي فشأنك بما لم تقع عليه يد وكان بي حاجة الى الطعام فطبخت لنفسي قدرا ما أذكر أني أكلت مثلها فلما قضيت أربي من الطعام قال هل لك في شراب فانه يسلي الهم فقلت ما أكره ذلك رغبة في مؤانسته فأتى بقطرميز جديد لم تمسه يد وجاءني بدست شراب مطينة وقال لي روق لنفسك فروقت شرابا في غاية الجودة وأحضر لي قدحا جديدا وفاكهة وأبقالا مختلفة في طسوت فخار جدد ثم قال بعد ذلك أتأذن لي جعلت فداءك أن أقعد ناحية وآتي بشرابي فأشربه سرورا بك فقلت له افعل فشربت وشرب ثم دخل الى خزانة له فأخرج عودا مصفحا ثم قال ياسيدي ليس من قدري أن أسألك في الغناء ولكن قد وجبت على مروءتك حرمتي فان رأيت أن تشرف عبدك فلك علو الرأي فقلت ومن أين لك اني أحسن الغناء فقال ياسبحان الله مولانا أشهر من ذلك أنت ابراهيم بن المهدي خليفتنا بالامس الذي جعل المأمون لمن دله عليك مائة ألف

وعشقته وأرسلت اليه تقول ما تجعل لى ان دللتك على ما تهدم به هذه المدينة وتقتل أبى فقال أحكمك فقالت عليك بحمامة مطوقة ورقاء فا كتب عليها بحيض جارية ثم أطلقها فانها تقعد على حائط المدينة فتتداعى المدينة كلها وكان ذلك طلسما لا يهدمها الا هو ففعل ذلك فقالت له وأنا أسقى الحرس الخمر فاذا صرعوا فاقتلهم ففعل ذلك فتداعت المدينة وفتحها سابور عنوة وقتل الضيزن واحتمل ابنته النضيرة وأعرس بها فلما دخل بها لم تزل ليلتها تتضرر وتتململ فى فراشها وهو من حرير محشو بريش النعام فالتمس ما كان يؤذيها فاذا هو ورقة آس التصقت بعكنتها وأثرت فيها وقيل كان ينظر الى مخ عظمها من صفاء بشرتها ثم ان سابور بعد ذلك غدر بها وقتلها قيل انه أمر رجلا فركب فرسا جموحا وضفر غدائرها بذنبه ثم استركضه فقطعها قطعا قطعه الله ما أغدره ‌*وتقول العرب جزانى جزاء سنمار وهو أن ازدجر بن سابور لما خاف على ولده بهرام وكان قبله لا يعيش له ولد سأل عن منزل صحيح مرى فدل على ظهر الجزيرة فدفع ابنه بهرام الى النعمان وهو عامله على أرض العرب وأمره أن يبنى له جوسقا فامتثل أمره وبنى له جوسقا كأحسن ما يكون وكان الذى بنى الجوسق رجلا يقال له سنمار فلما فرغ من بنائه عجبوا من حسنه فقال لو علمت أنكم توفونى أجرته لبنيته بناء يدور مع الشمس حيث دارت فقالوا وانك لتبنى أحسن من هذا ولم تبنه ثم أمر به فطرح من أعلى الجوسق فتقطع فكانت العرب تقول جزانى جزاء سنمار ‌* وممن غدر عبد الرحمن بن ملجم لعنه الله غدر بعلى رضى الله عنه وقتله وعمرو بن جرموز غدر بالزبير بن العوام رضى الله عنه وقتله ‌*وأبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة لعنه الله غدر بأمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه وقتله ‌*وجعل المنصور العهد الى عيسى بن موسى ثم غدر به وأخره وقدم المهدى عليه فقال عيسى

أينسى بنو العباس ذبى عنهم ‌* بسيفى ونار الحرب زاد سعيرها ‌* فتحت لهم شرق البلاد وغربها
فذل معاديها وعز نصيرها ‌* أقطع أرحاما علىّ عزيزة ‌* وأبدى مكيدات لها وأثيرها
فلما وضعت الامر فى مستقره ‌* ولاحت له شمس تلألأ نورها
دفعت عن الامر الذى أستحقه ‌* وأوسق أوساقا من الغدر عيرها

وخرج قوم لصيد فطردوا ضبعة حتى ألجؤها الى خباء أعرابى فأجارها وجعل يطعمها ويسقيها فبينما هو نائم ذات يوم اذ وثبت عليه فبقرت بطنه وهربت فجاء ابن عمه يطلبه فوجده ملقى فتبعها حتى قتلها وأنشد يقول

ومن يصنع المعروف مع غير أهله ‌* يلاقى كما لاقى مجير أم عامر
أعد لها لما استجارت ببيته ‌* أحاليب ألبان اللقاح الدوائر
وأسمنها حتى اذا ما تمكنت ‌* فرته بأنياب لها وأظافر
فقل لذوى المعروف هذا جزاء من ‌* يجود بمعروف على غير شاكر

(وحكى) بعضهم قال دخلت البادية فاذا أنا بعجوز بين يديها شاة مقتولة والى جانبها جرو ذئب فقالت أتدرى ما هذا فقلت لا قالت هذا جرو ذئب أخذناه صغيرا وأدخلناه بيتنا وربيناه فلما كبر فعل بشاتى ما ترى وأنشدت

بقرت شويهتى وفجعت قومى ‌* وأنت لشاتنا ابن ربيب
غذيت بدرها ونشأت معها ‌* فمن أنباك أن أباك ذيب
اذا كان الطباع طباع سوء ‌* فلا أدب يفيد ولا أديب

اللهم انا نعوذ بك من البغى وأهله ومن الغادر وفعله وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

‌*(الفصل الثانى فى السرقة والسراق)‌* قيل مر عمر بن عبيد بجماعة وقوف فقال ما هذا قيل السلطان يقطع سارقا فقال لا اله الا الله سارق العلانية يقطع سارق السر وأمر الاسكندر بصلب سارق فقال أيها الملك انى فعلت ما فعلت وأنا كاره فقال وتصلب أيضا وأنت كاره ‌*وسرق مدنى قميصا فأعطاه لابنه يبيعه فسرق منه فجاءه فقال بكم بعته قال برأس المال وقال أبو كتل السلمى وكان لصا فاتكا

وانى لأستحيى من الله أن أرى ‌* أجرجر حبلا ليس فيه بعير
وأن أسأل المرء الدنىء بعيره ‌* وأجمال ربى فى البلاد كثير

(وقال الفرزدق) وان أبا الكرشاء ليس بسارق ‌* ولكن متى ما يسرق القوم يأكل

وكان لعمرو بن دويرة البجلى أخ قد كلف ببنت عم له فتسور عليها الدار ذات ليلة فأخذه اخوتها وأتوا به خالد بن عبد الله القسرى وجعلوه سارقا فسأله خالد فصدقهم ليدفع الفضيحة عن الجارية فهم خالد بقطعه فقال عمرو

درهم فلما قال ذلك عظم فى عينى وثبتت مروءته عندى فتناولت العود وأصلحته وغنيت وقدم بخاطرى فراق أهلى وولدى

وعسى الذى أهدى ليوسف أهله ‌* واعزه فى السجن وهو أسير
أن يستجيب لنا فيجمع شملنا ‌* والله رب العالمين قدير

فاستولى عليه الطرب المفرط وطاب عيشه كثيرا ومن شدة طربه وسروره قال لى يا سيدى أتأذن لى أن أغنى ما سنح بخاطرى وان كنت من غير أهل هذه الصناعة فقلت هذا زيادة فى أدبك ومروءتك فأخذ العود وغنى

شكونا الى أحبابنا طول ليلنا ‌* فقالوا لنا ما أقصر الليل عندنا
وذاك لان النوم يغشى عيونهم ‌* سريعا ولا يغشى لنا النوم أعينا
اذا ما دنا الليل المضر بذى الهوى ‌* جزعنا وهم يستبشرون اذا دنا
فلو أنهم كانوا يلاقون مثل ما ‌* نلاقى لكانوا فى المضاجع مثلنا

فوالله لقد أحسست بالبيت قد سار بى وذهب عنى كل ما كان بى من الهلع وسألته أن يغنى فغنى

تعيرنا أنا قليل عديدنا ‌* فقلت لها ان الكرام قليل
وما ضرنا أنا قليل وجارنا ‌* عزيز وجار الاكثرين ذليل
وانا لقوم لا نرى القتل سبة ‌* اذا ما رأته عامر وسلول
يقرب حب الموت آجالنا لنا ‌* وتكرهه آجالهم فتطول

فداخلنى من الطرب ما لا مزيد عليه الى أن عاجلنى السكر فلم أستيقظ الا بعد المغرب فعاودنى فكرى فى نفاسة هذا الحجام وحسن أدبه وظرفه فقمت وغسلت وجهى وأيقظته وأخذت خريطة كانت صحبتى فيها دنانير لها قيمة فرميت بها اليه وقلت له استودعتك الله فانى ماض من عندك وأسألك أن تصرف ما فى

أخوه أخالد قد والله أوطئت عشوة * وما العاشق المظلوم فينا بسارق

أقر بما لم يأته المرء انه * رأى القطع خيرا من فضيحة عاشق

فعفا عنه خالد وزوجه الجارية

﴿الفصل الثالث فيما جاء في العداوة والبغضاء﴾ قد ذكر الله عز وجل العداوة والبغضاء في كتابه العزيز فقال تعالى وألقينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة وقال تعالى ان الشيطان للانسان عدو مبين وقال تعالى ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا وقال تعالى ان من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه العداوة تتوارث وقال زياد بن عبد الله

فلو أني بليت بهاشمي * خؤولته بنو عبد المدان

صبرت على عداوته ولكن * تعالوا فانظروا عن ابتلاني

ونثر رجل في وجه أبي عبيدة مكروها فانشأ يقول

فلو أن لحمي اذ وهى لعبت به * سباع كرام أوضباع وأذؤب

لهون وجدي أو لسلى مصيبتي * ولكنما أودى بلحمي أكلب

وقيل لكسرى أي الناس أحب اليك أن يكون عاقلا قال عدوي قيل وكيف ذلك قال لأنه اذا كان عاقلا كنت منه في عافية وأمن وقيل كونوا من المرء الدغل أخوف من الكاشح المعلن فان مداواة أهل العلل الظاهرة أهون من مداواة ما خفي وبطن وقالوا اياك أن تعادي من اذا شاء طرح ثيابه ودخل مع الملك في لحافه وقال أبو العتاهية

تنح عن القبيح ولا ترده * ومن أوليته حسنا فزده

ستلقى من عدوك كل كيد * اذا كاد العدو ولم تكده

وكانت جليلة بنت مرة أخت جساس تحت كليب فقتل أخوها زوجها وهي حبلى بهجرس بن كليب فلما كبر وشب قال

أصاب أبي خالي وما أنا بالذي * أميل وأمري بين خالي ووالدي

وأورث جساس بن مرة غصة * اذا ما اعترتني حرها غير بارد

ثم قال بعد ذلك يا للرجال لقلب ماله جلد * كيف العزاء وثاري عند جساس

ثم حمل على خاله فقتله وقال

ألم ترني ثأرت أبي كليبا * وقد يرجى المرشح للدخول

غسلت العار عن جسم ابن بكر * بجساس بن مرة ذي البتول

(بيت) سن العداوة آباء لنا سلفوا * فلن تبيد وللآباء أبناء

ويقال دار عدوك لاحد أمرين اما الصداقة تؤمنك أو لفرصة تمكنك وكتب سويد الى مصعب

فبلغ مصعبا عني رسولي * وهل تلقى النصيح بكل واد

تعلم أن أكثر من تناجي * وان ضحكوا اليك هم الاعادي

ويقال فلان كثير المراق مر المذاق وقال الحجاج الخارجي والله اني لابغضك قال أدخل الله الجنة أشدنا بغضا لصاحبه * ولما أراد أنوشروان أن يقلد ابنه هرمز ولاية العهد استشار عظماء مملكته فأنكروا عليه وقال بعضهم ان أمه تركية وقد علمت في أخلاقهم ما علمت فقال ان الابناء ينسبون الى الآباء لا الى الامهات وكانت أم قباذ تركية وقد رأيتم من حسن سيرته ما رأيتم فقيل هو قصير وذلك يذهب ببهاء الملك فقال ان قصره من رجليه ولا يكاد يرى الا جالسا أو راكبا فلا يستبين ذلك فيه فقيل هو بغيض في الناس فقال أوّاه هلك ابني هرمز فقد قيل اذا كان في الانسان خير واحد ولم يكن ذلك الخير المحبة في الناس فلا خير فيه واذا كان فيه عيب واحد ولم يكن ذلك العيب البغض في الناس فلا عيب فيه

ولست براء عيب ذي الود كله * ولا بعض ما فيه اذا كنت راضيا

فعين الرضا عن كل عيب كليلة * كما أن عين السخط تبدي المساويا

وفي المعنى قيل وعين البغض تبرز كل عيب * وعين الحب لا تجد العيوبا

هذه الخريطة في بعض مهماتك ولك عندي المزيد ان أمنت من خوفي فاعادها الى منكدا وقال يا سيدي ان الصعاليك منا لا قدر لهم عندكم أآخذ على ما وهبنيه الزمان من قربك وحلولك عندي ثمنا والله لئن راجعتني في ذلك لاقتلن نفسي فاعدت الخريطة الى كمي وقد أثقلني حملها فلما انتهيت الى باب داره قال لي يا سيدي ان هذا المكان أخفى لك من غيره وليس في مؤنتك على ثقل فاقم عندي الى ان يفرج الله عنك فرجعت وسألته أن ينفق من تلك الخريطة ولم يفعل فاقمت عنده أياما على تلك الحالة في العيش فتذممت من الاقامة في مؤنته واحتشمت من التثقيل عليه فتركته وقد مضى يجدد لنا حالا وقمت فتزييت بزي النساء بالخف والنقاب وخرجت فلما صرت في الطريق داخلني من الخوف أمر شديد وجئت لاعبر الجسر فاذا أنا بموضع مرشوش بماء فبصرني جندي ممن كان يخدمني فعرفني فقال هذه حاجة المأمون فتعلق بي فمن حلاوة الروح دفعته هو وفرسه فرميتهما في ذلك الزلق فصار عبرة وتبادر الناس اليه فاجتهدت في المشي حتى قطعت الجسر ودخلت شارعا فوجدت باب دار وامرأة واقفة في دهليز فقلت يا سيدة النساء احقني دمي فاني رجل خائف فقالت على الرحب وأطلعتني الى غرفة مفروشة وقدمت لي طعاما وقالت اهدأ روعك فما علم بك مخلوق واذا بالباب يدق دقا عنيفا فخرجت وفتحت الباب واذا بصاحبي الذي دفعته على الجسر وهو مشدوخ الرأس ودمه يجري على ثيابه وليس معه فرس فقالت يا هذا ما دهاك فقال ظفرت بالمغني وانفلت مني فأخبرها بالحال فأخرجت خرقا وعصبته بها وفرشت له ونام عليلا وطلعت الي وقالت أظنك صاحب القصة فقلت نعم قالت

وعن أبي حيان قال قال لقمان نقلت الصخور وحملت الحديد فلم أر شيأ أثقل من الدين وأكلت الطيبات وعانقت الحسان فلم أر شيأ ألذ من العافية وأنا أقول لو نزحوا البحار وكنسوا القفار لوجدوها أهون من شماتة الاعداء خصوصا اذا كانوا مساهمين في نسب أو مجاورين في بلد اللهم انا نعوذ بك من تتابع الاثم وسوء الفهم وشماتة ابن العم وقيل لايوب عليه السلام أي شيء كان عليك في بلائك أشد قال شماتة الاعداء وأنشد الجاحظ

تقول العاذلات تسل عنها * وداو عليل قلبك بالسلو
وكيف ونظرة منها اختلاسا * ألذ من الشماتة بالعدو

وقال ابن أبي جهينة المهلبي كل المصائب قد تمر على الفتى * فتهون غير شماتة الاعداء
وقال الجاحظ ما رأيت سنانا أنفذ من شماتة الاعداء وقيل لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع بموته نساء من كندة وحضرموت فخضبن أيديهن وضربن الدفوف فقال رجل منهم

أبلغ أبا بكر اذا ما جئته * ان البغايا من بني مرام * أظهرن في موت النبي شماتة
وخضبن أيديهن بالعلام * فاقطع هديت أكفهن بصارم * كالبرق أومض في متون غمام

فكتب أبو بكر الصديق رضي الله عنه الى المهاجر عامله فأخذهن وقطع أيديهن ويقال فلان يتربص بك الدوائر ويتمنى لك الغوائل ولا يؤمل صلاحا الا في فسادك ولا رفعة الا في سقوط حالك وقال حكيم لا تأمن عدوك وان كان ضعيفا فان القناة قد تقتل وان عدمت السنان قال الشاعر

فلا تأمن عدوك لو تراه * أقل اذا نظرت من القراد
فان الحرب ينشأ من جبان * وان النار تضرم من رماد
(بيت مفرد) فمن لم يكن منكم مسيئا فانه * يشد على كف المسيء فيجاب

وقال عبد الله بن سليمان بن وهب

كفاية الله خير من توقينا * وعادة الله في الماضين تكفينا
كاد الأعادي فلا والله ما تركوا * قولا وفعلا وتلقينا وتهجينا
ولم نزد نحن في سر وفي علن * على مقالتنا يا ربنا اكفينا
فكان ذاك ورد الله حاسدنا * بغيظه لم ينل تقديره فينا

﴿الفصل الرابع في الحسد﴾ قال الله تعالى أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان فان كل ذي نعمة محسود وقال علي رضي الله عنه الحاسد مغتاظ على من لا ذنب له وقيل الحسود غضبان على القدر ويقال ثلاثة لا يهنأ لصاحبها عيش الحقد والحسد وسوء الخلق وقيل بئس الشعار الحسد وقيل لبعضهم ما بال فلان يبغضك قال لانه شقيقي في النسب وجاري في البلد وشريكي في الصناعة فذكر جميع دواعي الحسد وقال اعرابي الحسد داء منصف يفعل في الحاسد أكثر من فعله في المحسود وهو مأخوذ من الحديث قاتل الله الحسد ما أعدله بدأ بصاحبه فقتله وقال الفقيه أبو الليث السمرقندي رحمه الله تعالى يصل الى الحاسد خمس عقوبات قبل أن يصل حسده الى المحسود أولاها غم لا ينقطع الثانية مصيبة لا يؤجر عليها الثالثة مذمة لا يحمد عليها الرابعة سخط الرب الخامسة يغلق عنه باب التوفيق ﴿ومن ذلك﴾ ما حكي أن رجلا من العرب دخل على المعتصم فقربه وأدناه وجعله نديمه وصار يدخل على حريمه من غير استئذان وكان له وزير حاسد فغار من البدوي وحسده وقال في نفسه ان لم أحتل على هذا البدوي في قتله أخذ بقلب أمير المؤمنين وأبعدني منه فصار يتلطف بالبدوي حتى أتى به الى منزله فطبخ له طعاما وأكثر فيه من الثوم فلما أكل البدوي منه قال له احذر أن تقرب من أمير المؤمنين يشم منك رائحة الثوم فيتأذى من ذلك فانه يكره رائحته ثم ذهب الوزير الى أمير المؤمنين فخلا به وقال يا أمير المؤمنين ان البدوي يقول عنك للناس ان أمير المؤمنين أبخر وهلكت من رائحة فمه فلما دخل البدوي على أمير المؤمنين جعل كمه على فمه مخافة أن يشم منه رائحة الثوم فلما رآه أمير المؤمنين وهو يستر فمه بكمه قال ان الذي قاله الوزير عن هذا البدوي صحيح فكتب أمير المؤمنين كتابا الى بعض عماله يقول له فيه اذا وصل اليك كتابي هذا فاضرب رقبة حامله ثم دعا بالبدوي ودفع اليه الكتاب وقال له امض به الى فلان وائتني بالجواب فامتثل البدوي ما رسم به أمير المؤمنين وأخذ الكتاب وخرج به من عنده

لا بأس عليك ثم جددت لي الكرامة وأقمت عندها ثلاثا ثم قالت اني خائفة عليك من هذا الرجل لئلا يطلع عليك فينم بك فانج بنفسك فسألتها المهلة الى الليل ففعلت فلما دخل الليل لبست زي النساء وخرجت من عندها فأتيت الى بيت مولاة كانت لنا فلما رأتني بكت وتوجعت وحمدت الله على سلامتي وخرجت كأنها تريد السوق للاهتمام بالضيافة فظننت خيرا فما شعرت الا بابراهيم الموصلي بنفسه في خيله ورجله والمولاة معه حتى سلمتني اليه فرأيت الموت عيانا وحملت بالزي الذي أنا فيه الى المأمون فجلس مجلسا عاما وأدخلني اليه فلما مثلت بين يديه سلمت عليه بالخلافة فقال لا سلم الله عليك ولا حياك ولا رعاك فقلت له على رسلك يا أمير المؤمنين ان ولي الثار محكم في القصاص والعفو أقرب للتقوى وقد جعل الله عفوك فوق كل عفو كما جعل ذنبي فوق كل ذنب فان تأخذ فبحقك وان تعف فبفضلك ثم أنشدت

ذنبي اليك عظيم * وأنت أعظم منه
فخذ بحقك أولا * فاصفح بحلمك عنه
ان لم أكن في فعالي
من الكرام فكنه

فرفع الي رأسه فبادرته وقلت

أتيت ذنبا عظيما * وأنت للعفو أهل
فان عفوت فمن * وان جزيت فعدل

فرق المأمون واستروحت روائح الرحمة من شمائله ثم أقبل على ابنه العباس وأخيه أبي اسحق وجميع من حضر من خاصته فقال ما ترون في أمره فكل أشار بقتله الا أنهم اختلفوا في القتلة كيف تكون فقال المأمون لاحمد بن أبي خالد ما تقول يا أحمد فقال يا أمير المؤمنين ان تقتله وجدنا مثلك قتل مثله وان

فبينما هو بالباب اذ لقيه الوزير فقال أين تريد فقال أتوجه بكتاب أمير المؤمنين الى عامله فلان فقال الوزير فى نفسه ان هذا البدوى يحصل له من هذا التقليد مال جزيل فقال له يا بدوى ما تقول فيمن يريحك من هذا التعب الذى يلحقك فى سفرك ويعطيك ألفى دينار فقال أنت الكبير وأنت الحاكم ومهما رأيته من الرأى افعل قال اعطنى الكتاب فدفعه اليه فأعطاه الوزير ألفى دينار وسار بالكتاب الى المكان الذى هو قاصده فلما قرأ العامل الكتاب أمر بضرب رقبة الوزير فبعد أيام تذكر الخليفة فى أمر البدوى وسأل عن الوزير فأخبر بأن له أياما ما ظهر وان البدوى بالمدينة مقيم فتعجب من ذلك وأمر باحضار البدوى فحضر فسأله عن حاله فأخبره بالقصة التى اتفقت له مع الوزير من أولها الى آخرها فقال له أنت قلت عنى للناس انى أبخر فقال معاذ الله يا أمير المؤمنين أن أتحدث بما ليس لى به علم وانما كان ذلك مكرا منه وحسدا وأعلمه كيف دخل به الى بيته وأطعمه الثوم وما جرى له معه فقال أمير المؤمنين قاتل الله الحسد ما أعدله بدأ بصاحبه فقتله ثم خلع على البدوى واتخذه وزيرا وراح الوزير بحسده وقال المغيرة شاعر آل المهلب

آل المهلب قوم ان مدحتهم * كانوا الاكارم آباء وأجدادا
ان العرانين تلقاها محسدة * ولا ترى للئام الناس حسادا

وقال عمر رضى الله عنه يكفيك من الحاسد أنه يغتم وقت سرورك وقال مالك بن دينار شهادة القراء مقبولة فى كل شئ الا شهادة بعضهم على بعض فانهم أشد تحاسدا من التيوس وعن أنس رضى الله تعالى عنه رفعه ان الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب وقال منصور الفقيه

منافسة الفتى فيما يزول * على نقصان همته دليل
ومختار القليل أقل منه * وكل فوائد الدنيا قليل

يقول الله عز وجل الحاسد عدو نعمتى متسخط لفعلى غير راض بقسمتى التى قسمت لعبادى قال الشاعر

أيا حاسدا لى على نعمتى * أتدرى على من أسأت الادب
أسأت على الله فى حكمه * لانك لم ترض لى ما وهب
فجازاك ربى بأن زادنى * وسد عليك وجوه الطلب

وقال الأصمعى رأيت اعرابيا قد بلغ عمره مائة وعشرين سنة فقلت له ما أطول عمرك فقال تركت الحسد فبقيت وقالوا لا يخلو السيد من ودود يمدح وحسود يقدح وقال ابن مسعود رضى الله عنه ألا لا تعادوا نعم الله قيل ومن يعادى نعم الله قال الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله وقيل لعبد الله بن عروة لم لزمت البدو وتركت قومك فقال وهل بقى الا حاسد على نعمة أو شامت على نكبة وقال الشاعر

يا طالب العيش فى أمن وفى دعة * رغدا بلا قترصفوا بلا رنق
خلص فؤادك من غل ومن حسد * فالغل فى القلب مثل الغل فى العنق

(وقال آخر)

اصبر على حسد الحسو * د فان صبرك قاتله
كالنار تأكل بعضها * ان لم تجد ما تأكله

وفى نوابغ الحكم الحسد حسك من تعلق به هلك ولبعضهم

انى حسدت فزاد الله فى حسدى * لا عاش من عاش يوما غير محسود

(وقال نصر بن سيار)

انى نشأت وحسادى ذوو عدد * يا ذا المعارج لا تنقص لهم عددا
ان يحسدونى على ما بى لما بهم * فمثل ما بى مما يجلب الحسدا

وكان عمر رضى الله عنه يقول نعوذ بالله من كل قدر وافق ارادة حاسد وقيل لارسطاطاليس ما بال الحسود أشد غما قال لانه أخذ بنصيبه من غموم الدنيا ويضاف الى ذلك غمه لسرور الناس والله سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿الباب الاربعون فى الشجاعة وثمرتها والحروب وتدبيرها وفضل الجهاد وشدة البأس والتحريض على القتال وفيه فصلان﴾

﴿الفصل الاول فى فضل الجهاد فى سبيل الله وشدة البأس﴾ قد أثنى الله تعالى على الصابرين فى البأساء

عفوت عنه لم تجد مثلك عفا عن مثله فنكس المأمون رأسه وجعل ينكت فى الارض وأنشد متمثلا

قومى هم قتلوا أميم أخى
فاذا رميت يصيبنى سهمى

فكشفت المقنعة عن رأسى وكبرت تكبيرة عظيمة وقلت عفا الله عنك يا أمير المؤمنين فقال المأمون لا بأس عليك يا عم فقلت ذنبى يا أمير المؤمنين أعظم من أن أتفوه معه بعذر وعفوك أعظم من أن انطق معه بشكر ولكن أقول

ان الذى خلق المكارم حازها
فى صلب آدم للامام السابع
ملئت قلوب الناس منك مهابة
وتظل تكلؤهم بقلب خاشع
ما ان عصيتك والغواة تمدنى
أسبابها الا بنية طائع
فعفوت عمن لم يكن عن مثله
عفو ولم يشفع اليك بشافع
ورحمت أطفالا كأفراخ القطا
وحنين والدة بقلب جازع

فقال المأمون لا تثريب عليك اليوم قد عفوت عنك ورددت عليك مالك وضياعك فقلت

رددت مالى ولم تبخل علىّ به
وقبل ردك مالى قد حقنت دمى
فلو بذلت دمى أبغى رضاك به
والمال حتى أسل النعل من قدمى
ما كان ذاك سوى عارية رجعت
اليك لو لم تعرها كنت لم تلم
فان جحدتك ما أوليت من كرم
انى الى اللؤم أولى منك بالكرم

فقال المأمون ان من الكلام درا وهذا منه وخلع عليه وقال يا عم ان أبا اسحق والعباس أشارا بقتلك فقلت انهما نصحاك يا أمير المؤمنين ولكن أتيت بما أنت أهله ودفعت ما خفت بما رجوت فقال المأمون يا عم أمت حقدى بحياة عذرك وقد عفوت عنك ولم أجرعك مرارة امتنان الشافعين ثم سجد المأمون طويلا ورفع رأسه وقال يا عم

والضراء وحين البأس ووصف المجاهدين فقال تعالى ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص وندب الى جهاد الاعداء ووعد عليه أفضل الجزاء والرأى فى الحرب امام الشجاعة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحرب خدعة وقال صلى الله عليه وسلم مامن قطرة أحب الى الله تعالى من قطرة دم فى سبيله أو قطرة دمع فى جوف الليل من خشيته وسمع رجل عبد الله بن قيس رضى الله عنه يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الجنة تحت ظلال السيوف فقال يا أبا موسى أنت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوله قال نعم فرجع الى أصحابه فقال اقرأ عليكم السلام ثم كسر جفن سيفه فألقاه ثم مشى بسيفه الى العدو فضرب به حتى قتل وكتب أبو بكر الصديق رضى الله عنه الى خالد بن الوليد اعلم أن عليك عيونا من الله ترعاك وتراك فاذا لقيت العدو فاحرص على الموت توهب لك السلامة ولا تغسل الشهداء من دمائهم فان دم الشهيد يكون له نورا يوم القيامة وعن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين انتهينا الى خيبر الله أكبر خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين وعنه رفعه لغدوة فى سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها وعن ابن مسعود رفعه ان أرواح الشهداء فى حواصل طيور خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت ثم تأوى الى تلك القناديل وقيل ان أنس بن النضر عم أنس بن مالك رضى الله عنه لم يشهد بدرا فلم يزل متحسرا يقول أول مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم غيبت عنه فلما كان يوم أحد قال واها لريح الجنة دون أحد فقاتل حتى قتل فوجد فى بدنه بضع وثمانون ما بين ضربة وطعنة ورمية فقالت أخته الربيع بنت النضر فما عرفت أخى الا ببنانه وعن فضالة بن عبيد رفعه كل ميت يختم على عمله الا المرابط فانه ينمى له عمله الى يوم القيامة ويؤمن من فتنة القبر وعن سهل بن حنيف رفعه من سأل الله الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء وان مات على فراشه فنسأل الله أن يرزقنا الشهادة ويجعلنا من الذين أحسنوا فلهم الحسنى وزيادة

﴿الفصل الثانى فى الشجاعة وثمرتها والحروب وتدبيرها﴾ اعلم أن الشجاعة عماد الفضائل ومن فقدها لم تكمل فيه فضيلة ويعبر عنها بالصبر وقوة النفس قال الحكماء وأصل الخير كله فى ثبات القلب والشجاعة عند اللقاء على ثلاثة أوجه الوجه الاول اذا التقى الجمعان وتزاحف العسكران وتكالحت الاحداق بالاحداق برز من الصف الى وسط المعترك يحمل ويكر وينادى هل من مبارز والثانى اذا نشب القوم واختلطوا ولم يدر أحدهم من أين يأتيه الموت يكون رابط الجأش ساكن القلب حاضر اللب لم يخالطه الدهش ولا تأخذه الحيرة فيتقلب تقلب المالك لاموره القائم على نفسه والثالث اذا انهزم أصحابه يلزم الساقة ويضرب فى وجوه القوم ويحول بينهم وبين عدوهم ويقوى قلوب أصحابه ويرجى الضعيف ويمدهم بالكلام الجميل ويشجع نفوسهم فمن وقع أقامه ومن وقف حمله ومن كبا به فرسه حماه حتى ييأس العدو منهم وهذا أحمدهم شجاعة وعن هذا قالوا ان المقاتل من وراء الفارين كالمستغفر من وراء الغافلين ومن أكرم الكرم الدفاع عن الحرم (وحكى) سيدى أبو بكر الطرطوشى رحمة الله تعالى عليه فى كتابه سراج الملوك قال كان شيوخ الجند يحكون لنا فى بلادنا قالوا دارت حرب بين المسلمين والكفار ثم افترقوا فوجدوا فى المعترك قطعة خوذة قدر الثلث بما حوته الرأس فقالوا انه لم ير قط ضربة أقوى منها ولم يسمع بمثلها فى جاهلية ولا اسلام فحملتها الروم وعلقتها فى كنيسة لهم فكانوا اذا عيروا بانهزامهم يقولون لقينا أقواما هذا ضربهم فيرحل ابطال الروم اليها يروها قالوا ومن الحزم ان لا يحتقر الرجل عدوه وان كان ذليلا ولا يغفل عنه وان كان حقيرا فكم برغوث أسهر فيلا ومنع الرقاد ملكا جليلا قال الشاعر

فلا تحقرن عدوا رماك * وان كان فى ساعديه قصر
فان السيوف تحز الرقاب * وتعجز عما تنال الابر

واعلموا أن الناس قد وضعوا فى تدبير الحروب كتبا ورتبوا فيها ترتيبا ولنصف منها أشياء نبدأ منها أولا بما ذكره الله تعالى فى القرآن العظيم قال الله تعالى وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم فقوله تعالى ما استطعتم مشتمل على كل ما هو فى مقدور البشر من العدة والآلة والحيلة وفسر النبى صلى الله عليه وسلم القوة حين مر على أناس يرمون فقال ألا ان القوة الرمى ألا ان القوة الرمى ألا ان القوة الرمى وأفضل العدة أن تقدم بين يدى اللقاء عملا صالحا من صدقة وصيام ورد المظالم وصلة الرحم ودعاء مخلص وأمر بمعروف ونهى عن منكر وأمثال ذلك والشأن كل الشأن فى استجادة القواد وانتخاب الامراء وأصحاب

أتدرى لم حدثت قلت شكر الله تعالى الذى أظفرك بعدوّ دولتك فقال ما أردت هذا ولكن شكر الله الذى ألهمنى العفو عنك فحدثنى الآن حديثك فشرحت له صورة أمرى وما جرى لى مع الحجام والجندى والمرأة والمولاة التى نمت على فأمر المأمون باحضارها وهى فى دارها تنتظر الجائزة فقال لها ما حملك على ما فعلت مع سيدك فقالت الرغبة فى المال فقال لها هل لك ولد أو زوج قالت لا فأمر بضربها مائتى سوط وخلد سجنها ثم قال احضروا الجندى وامرأته والحجام فأحضروا فسأل الجندى عن السبب الذى حمله على ما فعل فقال الرغبة فى المال فقال المأمون أنت يجب أن تكون حجاما ووكل به من يلزمه الجلوس فى دكان الحجام ليتعلم الحجامة وأكرم زوجته وأدخلها الى القصر وقال هذه امرأة عاقلة تصلح للمهمات ثم قال للحجام لقد ظهر من مروءتك ما يوجب المبالغة فى اكرامك وسلم اليه دار الجندى بما فيها وخلع عليه وأنعم عليه برزقه وزيادة ألف دينار فى كل سنة ولم يزل فى تلك النعمة الى أن مات (ومما يضارع ذلك) أنه لما أفضت الخلافة الى بنى العباس اختفت رجال بنى أمية ومنهم ابراهيم بن سليمان بن عبد الملك وكان ابراهيم رجلا عالما عاملا أديبا كاملا وهو فى سن الشبيبة فأخذوا له أمانا من السفاح فقال له يوما حدثنى عما مر بك فى اختفائك قال كنت يا أمير المؤمنين مختفيا بالحيرة فى منزل بشارع على الصحراء فبينما أنا على ظهر البيت اذ نظرت الى أعلام سود قد خرجت من الكوفة تريد الحيرة فتخيلت أنها تريدنى فخرجت من الدار متنكرا حتى أتيت الكوفة ولا أعرف أحدا اختفى عنده فبقيت فى حيرة فاذا أنا بباب كبير رحبته واسعة فدخلت

الالوية فقد قالت حكماء العجم أسد يقود ألف ثعلب خير من ثعلب يقود ألف أسد فلا ينبغي أن يقدم الجيش الا الرجل ذو البسالة والنجدة والشجاعة والجراءة ثابت الجأش صارم القلب صادق البأس ممن قد توسط الحروب ومارس الرجال ومارسوه ونازل الاقران وقارع الابطال عارفا بواضع الفرص خبيرا بمواقع القلب والميمنة والميسرة من الحروب فانه اذا كان كذلك وصدر الكل عن رأيه كانوا جميعا كأنهم مثله فانه ان رأى لقراع الكتائب وجها والا رد الغنم الى الزريبة واعلم ان الحرب خدعة عند جميع العقلاء وكان عظماء الترك يقولون ينبغي للعاقل العظيم القياد أن يكون فيه عدة أخلاق من أخلاق البهائم شجاعة الديك وبحث الدجاجة وقلب الأسد وحملة الخنزير وروغان الثعلب وصبر الكلب على الجراح وحراسة الكركي وغارة الذئب وسمن نغيروهي دويبة تكون بخراسان تسمن على التعب والشقاء وكان يقال أشد خلق الله تعالى عشرة الجبال والحديد ينحت الجبال والنار تأكل الحديد والماء يطفئ النار والسحاب يحمل الماء والريح تصرف السحاب والانسان يتقي الريح بجناحيه والسكر يصرع الانسان والنوم يذهب السكر والهم يمنع النوم فأشد خلق ربك الهم اللهم انا نعوذ بك من الهم والحزن* ومن الحيل في الحرب ان يبث جواسيسه في عسكر عدوه ليستعلم أخبارهم ويستميل قلوب رؤسائهم وذوي الشجاعة منهم فيدس اليهم ويعدهم وعدا جميلا ويقوي أطماعهم في نيل ماعنده من الهبات الفخيمة والولايات السنية وان رأى وجها اجلهم بالهدايا وسامهم اما الغدر بصاحبهم واما الاعتزال وقت اللقاء ويكتب على السهام أخبارا مزورة ويرمي بها في جيوشهم واعلم أن الحيلة لاترد القضاء والقدر وان الدول اذا زالت صارت حيلتها وبالا عليها واذا أذن الله تعالى في حلول البلاء كانت الآفة في الحيلة وقال الحكماء اذا نزل القضاء كان العطب في الحيلة ويغلب الضعيف باقبال دولته كما يغلب القوي ببقاء مدته فمن الحزم المألوف عند سواس الحروب أن تكون حماة الرجال وكماة الابطال في القلب فانه اذا انكسر الجناحان كانت العيون ناظرة الى القلب فاذا كانت رايته تخفق وطبوله تضرب كان حصنا للجناحين يأوي اليه كل منهزم واذا انكسر القلب تمزق الجناحان مثال ذلك أن الطائر اذا انكسر أحد جناحيه ترجى عودته ولو بعد حين واذا انكسر الرأس ذهب الجناحان وقل عسكر انكسر قلبه فافلح أو تراجع اللهم الا أن تكون مكيدة من صاحب الجيش فيخلي القلب قصدا وتعمدا حتى اذا توسطه العدو واشتغل بنهبه انطبق عليه الجناحان فقد فعل ذلك رجال من أهل الحروب ويقال حبب الى عدوك الفرار بان لاتتبعهم اذا انهزموا ويقال الشجاع محبب حتى الى عدوه والجبان مبغض حتى الى أمه* ولما أقبل كسرى بن هرمز الى محاربة بهرام قال له صاحبه أما تستعد قال عدتي ثبات قلبي واصابة رأيي ونصل سيفي ونصرة خالقي* وخرج يزيد بن عبد الملك من بعض مقاصيره وعليه دروع وذلك في أيام قتال يزيد بن المهلب فأنشده مسلمة قول الحطيئة

قوم اذا حاربوا شدوا مآزرهم * دون النساء ولو باتت باطهار

فقال يزيد انما ذاك اذا حاربنا أكفاءنا وأما مثل هذا ونظرائه فلا فقام اليه مسلمة فقبله بين عينيه وقيل لما مات ملك الفرس أرادوا أن يملكوا عليهم رجلا من آل ساسان فوفد عليهم بهرام جور فقال اعمدوا الى أسدين جائعين فاطرحوا بينهما التاج فمن أخذه فهو الملك ففعلوا فدنا منهما فأهويا نحوه فأخذ برأس أحدهما فادناه من رأس الآخر ثم نطحه به فقتلهما جميعا وشد على التاج فأخذه ووضعه على رأسه وملكته الفرس عليهم (وقيل) لم يكن في العجم أرمى من الملك بهرام خرج يتصيد يوما وهو مردف حظية له كان يعشقها فعرضت له ظباء فقال في أي موضع تريدين أن أضع هذا السهم فقالت أريد أن تشبه ذكرانها بالاناث واناثها بالذكران فرمى ظبيا ذكرا بنشابة ذات شعبتين فاقتلع قرنيه ورمى ظبية بنشابتين أثبتهما في موضع القرنين ثم سألته أن يجمع بين ظلف الظبي وأذنه بنشابة فرمى أصل الاذن ببندقة ثم أهوى الظبي برجله الى أذنه ليحكها فرماه بنشابة فوصل أذنه بظلفه * ويقال ان من أعظم المكايد في الحرب الكمين وذلك أن الفارس لايزال على حمية في الدفاع وحمى الذمار حتى يلتفت فيرى وراءه بندا منشورا ويسمع صوت الطبل فحينئذ يكون همه خلاص نفسه وعليك بانتخاب الفرسان واختبار الابطال ولا تنس قول الشاعر

والناس ألف منهم كواحد * وواحد كالالف ان أمر عنى

بل قد جرب ذلك فوجد الواحد خيرا من عشرة آلاف وسأحكي لك من ذلك ماترى فيه العجب (فمن ذلك) لما

فيها فاذا رجل وسيم حسن الهيئة على فرس قد دخل الرحبة ومعه جماعة من غلمانه وأتباعه فقال من أنت وما حاجتك فقلت رجل خائف على دمه وقد استجار بمنزلك فأدخلني منزله ثم صيرني في حجرة تلي حرمه وكنت عنده في ذلك على ما أحبه من مطعم ومشرب وملبس لا يسألني عن شئ من حالي الا أنه يركب في كل يوم ركبة فقلت له يوما أراك تدمن الركوب ففيم ذلك قال ابراهيم بن سليمان قتل أبي صبرا وقد بلغني أنه مختف فأنا أطلبه لادرك منه ثاري فكثر والله تعجبي وقلت القدر ساقني الى حتفي في منزل من يطلب دمي وكرهت الحياة فسألت الرجل عن اسمه واسم أبيه فاخبرني فعلمت أن الخبر صحيح وأنا الذي قتلت أباه فقلت له يا هذا قد وجب علي حقك ومن حقك أن أدلك على خصمك وأقرب اليك الخطوة قال وماذاك قلت أنا ابراهيم ابن سليمان قاتل أبيك فخذ بثارك فقال اني أحسبك رجلا قد مضه الاختفاء فاحببت الموت فقلت لا والله ولكن أقول لك الحق يوم كذا وكذا بسبب كذا وكذا فلما علم صدقي تغير لونه واحمرت عيناه وأطرق مليا ثم قال اما انت فستلقى أبي عند حكم عدل فيأخذ بثاره وأما أنا فغير مخفر ذمتي فاخرج عني فلست آمن عليك من نفسي وأعطاني ألف دينار فلم آخذها منه وانصرفت عنه فهذا أكرم رجل رأيته بعد أمير المؤمنين

(ومن لطائف ما نقلته من المستجاد)

حدث أبو الحسن بن صالح البلخي عمر قال أخبرني بعض عمال شيوخنا عن شيبة بن محمد الدمشقي قال كان في أيام سليمان بن عبد الملك رجل يقال له خزيمة بن بشر من بني أسد مشهور بالمروءة والكرم والمواساة وكانت نعمته وافرة فلم يزل على تلك الحالة حتى احتاج الى اخوانه

التقى المستعين بن هود مع الطاغية بن ردميل النصرانى على مدينة وشقة من ثغور بلاد الاندلس وكان العسكران كالمتكافئين كل واحد منهما يقارب عشرين ألف مقاتل خيل ورجل فحدث من حضر الواقعة من الاجناد قال لما دنا اللقاء قال الطاغية بن ردميل لمن يثق بعمله وممارسته للحروب من رجاله استعلم لى من فى عسكر المسلمين من الشجعان الذين نعرفهم كما يعرفوننا ومن غاب منهم ومن حضر فذهب ثم رجع فقال فيهم فلان وفلان فعد سبعة رجال فقال له انظر من فى عسكرى من الرجال المعروفين بالشجاعة ومن غاب منهم فعدهم فوجدهم ثمانية رجال لا يزيدون فقام الطاغية ضاحكا مسرورا وهو يقول ما أبيضك من يوم ثم ثارت الحرب بينهم فلم تزل المضاربة بين الفريقين لم يول أحدهم دبره ولا تزحزح عن مقامه حتى فنى أكثر العسكرين ولم يفر واحد منهم قال فلما كان وقت العصر نظروا الينا ساعة ثم حملوا علينا حملة وداخلونا مداخلة ففرقوا بيننا وصرنا شطرين وحالوا بيننا وبين أصحابنا فكان ذلك سبب وهننا وضعفنا ولم تتم الحرب الا ساعة ونحن فى خسارة معهم فاشار مقدم العسكر على السلطان أن ينجو بنفسه وانكسر عسكر المسلمين وتفرق جمعهم وملك العدو مدينة وشقة فليعتبر ذوا الحزم والبصيرة من جمع يحتوى على أربعين ألف مقاتل ولم يحضره من الشجعان المعدودين الا خمسة عشر نفرا وليعتبر بضمان العلج بالظفر واستبشاره بالغنيمة لما زاد فى ابطاله رجل واحد (وحكى) سيدى أبو بكر الطرطوشى رحمة الله تعالى عليه قال سمعت أستاذنا القاضى أبا الوليد يحيى قال بينما المنصور بن أبى عامر فى بعض غزواته اذ وقف على نشز من الارض مرتفع فرأى جيوش المسلمين من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله قد ملؤا السهل والجبل فالتفت الى مقدم العسكر وهو رجل يعرف بابن المصحفى فقال له كيف ترى هذا العسكر أيها الوزير قال أرى جمعا كثيرا وجيشا واسعا كبيرا فقال له المنصور ما ترى هل يكون فى هذا الجيش ألف مقاتل من أهل الشجاعة والنجدة والبسالة فسكت ابن المصحفى فقال له المنصور ما سكوتك أليس فى هذا الجيش ألف مقاتل قال لا فتعجب المنصور ثم قال فهل فيهم خمسمائة مقاتل من الابطال المعدودين قال لا فحنق المنصور ثم قال أفيهم مائة رجل من الابطال قال لا قال أفيهم خمسون رجلا من الابطال قال لا قال فسبه المنصور وأغلظ عليه وأمر به فاخرج على أسوإ حال فلما توسطوا بلاد الروم اجتمعت الروم وتصاف الجمعان فبرز علج من الروم بين الصفين شاكى السلاح وجعل يكر ويفر ويقول هل من مبارز فبرز اليه رجل من المسلمين فتجاولا ساعة فقتله العلج ففرح المشركون وصاحوا واضطرب المسلمون لها ثم جعل العلج يموج بين الصفين وينادى هل من مبارز اثنين لواحد فبرز اليه رجل من المسلمين فتجاولا ساعة فقتله العلج وجعل يكر ويحمل وينادى ويقول هل من مبارز ثلاثة لواحد فبرز اليه رجل من المسلمين فقتله العلج فصاح المشركون وذل المسلمون وكادت أن تكون كسرة فقيل للمنصور ما لها الا ابن المصحفى فبعث اليه فحضر فقال له المنصور ألا ترى ما يصنع هذا العلج الكلب منذ اليوم فقال لقد رأيته فما الذى تريد قال أن تكفى المسلمين شره قال الآن يكفى المسلمون شره ان شاء الله تعالى ثم قصد الى رجال يعرفهم فاستقبله رجل من أهل الثغور على فرس قد تمرت أوراكها زالا وهو حامل قربة ماء بين يديه على الفرس والرجل فى حليته ونفسه غير متصنع فقال له ابن المصحفى ألا ترى ما يصنع هذا العلج منذ اليوم قال قد رأيته فما الذى تريد قال أريد أن تكفى المسلمين شره قال حبا وكرامة ثم انه وضع القربة بالارض وبرز اليه غير مكترث فتجاولا ساعة فلم ير الناس الا المسلم خارجا اليهم يركض ولا يدرون ما هنالك واذا برأس العلج يلعب بها فى يده ثم ألقى الرأس بين يدى المنصور فقال له ابن المصحفى عن هؤلاء الرجال أخبرتك قال فرد ابن المصحفى الى منزلته وأكرمه ونصر الله جيوش المسلمين وعساكر الموحدين (وحكى) أنه كان للعرب فارس يقال له ابن فتحون وكان أشجع العرب والعجم فى زمانه وكان المستعين يكرمه ويعظمه ويجرى له فى كل عطية خمسمائة دينار وكانت جيوش الكفار تهابه وتعرف منه الشجاعة وتخشى لقاءه فيحكى ان الرومى كان اذا سقى فرسه ولم يشرب يقول له ويلك لم لا تشرب هل رأيت ابن فتحون فى الماء فحسده نظراؤه على كثرة العطاء ومنزلته من السلطان فوشوا به عند المستعين فابعده ومنعه من عطائه ثم ان المستعين أنشأ غزوة الى بلاد الروم فتقابل المسلمون والمشركون صفوفا ثم برز علج الى وسط الميدان ونادى وقال هل من مبارز فبرز اليه فارس من المسلمين فتجاولا ساعة فقتله الرومى فصاح المشركون سرورا وانكسرت نفوس المسلمين وجعل الكلب الرومى يجول بين الصفين وينادى هل من اثنين لواحد فخرج اليه فارس من

الذين كان يواسيهم ويتفضل عليهم فواسوه حينا ثم ملوه فلما لاح له تغيرهم أتى امرأته وكانت ابنة عمه فقال لها يا بنت العم قد رأيت من اخوانى تغيرا وقد عزمت على لزوم بيتى الى أن يأتينى الموت ثم أغلق بابه عليه وأقام يتقوت بما عنده حتى نفد وبقى حائرا فى حاله فكان عكرمة الفياض واليا على الجزيرة فبينما هو فى مجلسه وعنده جماعة من أهل البلد اذ جرى ذكر خزيمة بن بشر فقال عكرمة ما حاله فقالوا صار فى أسوإ الأحوال وقد أغلق بابه ولزم بيته فقال عكرمة الفياض وما سمى الفياض الا للافراط فى الكرم فما وجد خزيمة بن بشر مواسيا ولا مكافئا فامسك عن ذلك فلما كان الليل عمد الى أربعة آلاف دينار فجعلها فى كيس واحد ثم أمر باسراج دابته وخرج سرا من أهله فركب ومعه غلام واحد يحمل المال ثم سار حتى وقف بباب خزيمة فأخذ الكيس من الغلام ثم أبعده عنه وتقدم الى الباب فطرقه بنفسه فخرج خزيمة فقال له أصلح بهذا شأنك فتناوله فرآه ثقيلا فوضعه وقبض على لجام الدابة وقال له من أنت جعلت فداءك قال له ما جئت فى هذا الوقت وأنا اريد أن تعرفنى قال خزيمة فما أقبله أو تخبرنى من أنت قال أنا جابر عثرات الكرام قال زدنى قال لا ثم مضى ودخل خزيمة بالكيس الى امرأته فقال لها ابشرى فقد أتى الله بالفرج فلو كان فى هذا فلوس كانت كثيرة قومى فاسرجى قالت لا سبيل الى السراج فبات يلمس الكيس فيجد تحت يده خشونة الدنانير ورجع عكرمة الى منزله فوجد امرأته قد افتقدته وسألت عنه فاخبرت بركوبه منفردا فارتابت وشقت جيبها ولطمت خدها فلما رآها على تلك الحالة قال لها ما دهاك يا ابنة العم قالت سوء فعالك

المسلمين فقتله الرومي فصاح الكفار سرورا وانكسرت نفوس المسلمين وجعل الكلب يجول بين الصفين وينادي ويقول ثلاثة لواحد فلم يجترئ أحد من المسلمين أن يخرج اليه وبقي الناس في حيرة فقيل للسلطان ما لها الا أبو الوليد بن فتحون فدعاه وتلطف به وقال له يا أبا الوليد أما ترى ما يصنع هذا العلج فقال ها هو بعيني قال فما الحيلة فيه قال الساعة أكفي المسلمين شره فلبس قميص كتان واستوى على سرج فرسه بلا سلاح وأخذ بيده سوطا طويلا وفي طرفه عقدة معقودة ثم برز اليه فتعجب منه النصراني ثم حمل كل واحد منهما على صاحبه فلم تخط طعنة النصراني سرج ابن فتحون واذا ابن فتحون متعلق برقبة الفرس ونزل الى الارض لا شيء منه في السرج ثم انقلب في سرجه وحمل على العلج وضربه بالسوط فالتوى على عنقه فجذبه بيده من السرج فاقتلعه وجاء به يجره حتى ألقاه بين يدي المستعين فعلم المستعين أنه كان قد أخطأ في صنعه مع أبي الوليد بن فتحون فاعتذر اليه وأكرمه وأحسن اليه وبالغ في الانعام عليه ورده الى أحسن أحواله وكان من أعز الناس اليه * وينبغي لقائد الجيش أن يخفي العلامة التي هو مشهور بها فان عدوه قد يستعلم حليته وألوان خيله ورايته ولا يلزم خيمته ليلا ولا نهارا وليبدل زيه ويغير خيمته كي لا يلتمس عدوه غرة واذا سكن الحرب فلا يمشي في النفر اليسير من قومه خارج عسكره فان عيون عدوه متجسسة عليه وبهذا الوجه كسر المسلمون جيوش افريقية عند فتحها وذلك أن الحرب سكنت وسط النهار فجعل مقدم العدو يمشي خارج عسكره يتميز عساكر المسلمين فجاء الخبر الى عبد الله بن أبي السرح وهو نائم في قبته فخرج فيمن وثق به من رجاله وحمل على العدو فقتل الملك وكان الفتح * وبمثل هذا قهر الب أرسلان ملك الترك ملك الروم وقمعه وقتل رجاله وأباد جمعه وكانت الروم قد جمعت جيوشا يقل ان يجمع لغيرهم من بعدهم مثلها وكان قد بلغ عددهم ستمائة ألف مقاتل كتائب متواصلة وعساكر مترادفة وكراديس يتلو بعضها بعضا لا يدركهم الطرف ولا يحصيهم العدد وقد استعدوا من الكراع والسلاح والمجانيق والآلات المعدة للحروب وفتح الحصون بما لا يحصى وكانوا قد قسموا بلاد المسلمين الشام والعراق ومصر وخراسان وديار بكر ولم يشكوا أن الدولة قد دارت لهم وأن نجوم السعود قد خدمتهم ثم استقبلوا بلاد المسلمين فتواترت أخبارهم الى بلاد المسلمين واضطربت لها ممالك أهل الاسلام فاحتشد للقائهم الملك الب أرسلان وهو الذي يسمى الملك العادل وجمع جموعه بمدينة أصبهان واستعد بما قدر عليه ثم خرج يؤمهم فلم يزل العسكران يتدانيان الى أن عادت طلائع المسلمين الى المسلمين وقالوا للالب أرسلان غدا يتراءى الجمعان فبات المسلمون ليلة الجمعة والروم في عدد لا يحصيهم الا الله الذي خلقهم وما المسلمون فيهم الا أكلة جائع فبقي المسلمون وجلين لما دهمهم فلما أصبحوا صباح يوم الجمعة نظر بعضهم الى بعض فهال المسلمين ما رأوا من كثرة العدو فأمر آلب أرسلان أن يعد المسلمون فبلغوا اثني عشر ألفا فكانوا كالشامة البيضاء في الثور الاسود فجمع ذوي الرأي من أهل الحرب والتدبير والشفقة على المسلمين والنظر في العواقب واستشارهم في استخلاص أصوب الرأي فتشاوروا برهة ثم اجتمع رأيهم على اللقاء فتوادع القوم وتحاللوا وناصحوا الاسلام وأهله وتأهبوا أهبة اللقاء وقالوا للالب أرسلان بسم الله فاحمل عليهم فقال الب أرسلان يا معشر أهل الاسلام أمهلوا فان هذا يوم الجمعة والمسلمون يخطبون على المنابر ويدعون لنا في شرق البلاد وغربها فاذا زالت الشمس وعلمنا أن المسلمين قد صلوا ودعوا الله أن ينصر دينه حملنا عليهم اذ ذاك وكان آلب أرسلان قد عرف خيمة ملك الروم وعلامته وزيه وزينته وفرسه ثم قال لرجاله لا يتخلف أحد منكم أن يفعل كفعلي ويتبع أثري ويضرب بسيفه ويرمي سهمه حيث أضرب بسيفي وأرمي بسهمي ثم حمل برجاله حملة رجل واحد الى خيمة ملك الروم فقتلوا من كان دونها ووصلوا الى الملك فقتلوا من كان دونه وجعلوا ينادون بلسان الروم قتل الملك قتل الملك فسمعت الروم أن ملكهم قد قتل فتبددوا وتمزقوا كل ممزق وعمل السيف فيهم أياما وأخذ المسلمون أموالهم وغنائمهم وأتوا بالملك أسيرا بين يدي آلب أرسلان والحبل في عنقه فقال له الب أرسلان ماذا كنت تصنع بي لو أسرتني قال وهل تشك أني كنت أقتلك فقال له آلب أرسلان أنت أقل في عيني من أن أقتلك اذهبوا به فبيعوه لمن يزيد فيه فكان يقاد والحبل في عنقه وينادى عليه من يشتري ملك الروم وما زالوا كذلك يطوفون به على الخيام ومنازل المسلمين وينادون عليه بالدراهم والفلوس فلم يبذل فيه أحد شيأ حتى باعوه من انسان بكلب فأخذه الذي ينادي عليه وأخذ الكلب وأتى بهما الى آلب أرسلان وقال قد طفت به جميع العسكر وناديت عليه فلم يبذل أحد فيه شيأ سوى رجل واحد دفع فيه هذا

بابنة عمك أمير الجزيرة يخرج بعد هدأة من الليل منفردا عن غلمانه في سر من أهله الا الى زوجة أو سرية فقال لقد علم الله ما خرجت لواحدة منهما قالت لا بد أن تعلمني قال فاكتميه اذا قالت أفعل فأخبرها بالقصة على وجهها ثم قال أتحبين أن أحلف لك قالت لا قد سكن قلبي ثم أصبح خزيمة صالح غرماءه وأصلح من حاله ثم تجهز يريد سليمان ابن عبد الملك بفلسطين فلما وقف ببابه دخل الحاجب فأخبره بمكانه وكان مشهور المروءة وكان الخليفة به عارفا فأذن له فلما دخل عليه وسلم بالخلافة قال يا خزيمة ما أبطأك عنا فقال سوء الحال يا أمير المؤمنين قال فما منعك من النهضة الينا قال ضعفي قال فمن أنهضك قال لم أشعر يا أمير المؤمنين بعد هدأة من الليل الا ورجل يطرق بابي وكان منه كيت وكيت وأخبره بقصته من أولها الى آخرها فقال هل عرفته قال لا والله لانه كان متنكرا وما سمعت منه الا جابر عثرات الكرام قال فتلهف سليمان بن عبد الملك على معرفته وقال لو عرفناه لأعناه على مروأته ثم قال علي بقناة فأتي بها فعقد لخزيمة الولاية على الجزيرة وعلى عمل عكرمة الفياض وأجزل عطاياه وأمره بالتوجه الى الجزيرة فخرج خزيمة متوجها اليها فلما قرب منها خرج عكرمة وأهل البلد للقائه فسلم عليه ثم سارا جميعا الى أن دخلا البلد فنزل خزيمة في دار الامارة وأمر أن يؤخذ عكرمة وأن يحاسب فحوسب ففضل عليه مال كثير فطلبه خزيمة بالمال فقال مالي الى شيء منه سبيل فأمر بحبسه ثم بعث يطالبه فأرسل اليه اني لست ممن يصون ماله بعرضه فاصنع ما شئت فأمر به فكبل بالحديد وضيق عليه وأقام على ذلك شهرا فأضناه ثقل الحديد وأضر به وبلغ

الكلاب فقال قد أنصفك ان الكلاب خير منه ثم أمر ألب أرسلان بعد ذلك باطلاقه وذهب الى القسطنطينية فعزلته الروم وكحلوه بالنار * فانظر ماذا يأتي على الملوك اذا عرفوا في الحرب من الحيلة والمكيدة اللهم انصر جيوش المسلمين وعساكر الموحدين وأهلك الكفرة والمشركين وانصر المسلمين نصرا عزيزا برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم والحمد لله رب العالمين

* الباب الحادي والأربعون في ذكر أسماء الشجعان وذكر الأبطال وطبقاتهم وأخبارهم وذكر الجبناء وأخبارهم وذم الجبن *

* الطبقة الاولى الذين أدركوا الجاهلية والاسلام * حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه عم رسول الله صلى الله عليه وسلم أسد الله وأسد رسوله صلى الله عليه وسلم قتل في غزوة أحد رماه وحشي مولى جبير بن مطعم بحربة فقتله وكان فارس قريش غير مدافع وبطلها غير ممانع وعظم قتله على النبي صلى الله عليه وسلم ونذر أن يقتل به سبعين رجلا من قريش وكبر عليه في الصلاة سبعين تكبيرة * أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم وجهه آية من آيات الله ومعجزة من معجزات رسول الله صلى الله عليه وسلم ومؤيد بالتأييد الالهي كاشف الكروب ومجليها ومثبت قواعد الاسلام ومرسيها وهو المتقدم على ذوي الشجاعة كلهم بلا مرية ولا خلاف روي عنه رضي الله عنه أنه قال والذي نفس ابن أبي طالب بيده لألف ضربة بالسيف أهون على من موتة على فراش وقال بعض العرب ما لقينا كتيبة فيها على بن أبي طالب رضي الله عنه الا أوصى بعضنا على بعض وقال رضي الله عنه لمعاوية قد دعوت الناس الى الحرب فدع الناس جانبا واخرج الى ليعلم أينا المران على قلبه والمغطى على بصره وأنا أبو الحسن قاتل جدك وخالك وأخيك شدخا يوم بدر وذلك السيف معي وبذلك القلب ألقى عدوي وقيل له كرم الله وجهه اذا جالت الخيل فأين نطلبك قال حيث تركتموني وقيل له كيف كنت تقتل الأبطال قال لاني كنت ألقى الرجل فاقدر أني أقتله ويقدر هو أني قتلته فأكون أنا ونفسه عونا عليه وقال مصعب ابن الزبير كان على رضي الله عنه حذرا في الحروب شديد الروغان لا يكاد أحد يتمكن منه وكانت درعه صدرا لا ظهر لها فقيل له أما تخاف أن تؤتى من قبل ظهرك فقال اذا مكنت عدوي من ظهري فلا أبقى الله عليه ان أبقى على قتله عبد الرحمن بن ملجم المرادي لعنة الله تعالى عليه غدره وهو في صلاة الصبح * وسبب ذلك أن عبد الرحمن بن ملجم لعنه الله تزوج بقطام بنت علقمة وكانت خارجية فقالت له لا أقنع الا بصداق أسميه وهو ثلاثة آلاف درهم وعبد وأمة وان تقتل على بن أبي طالب فقال لها لك ما سألت الا على بن ابي طالب وكيف لي به قالت تغتاله فان سلمت أرحت الناس من شره وأقمت مع أهلك وان أصبت دخلت الجنة فقال

ثلاثة آلاف وعبد وقينة * وضرب على بالحسام المخذم
فلا مهر أغلى من على وان علا * ولا فتك الا دون فتك ابن ملجم

قيل انه طعنه وهو داخل المسجد في الغلس وذلك في تاسع عشر رمضان المعظم سنة أربعين كفن رضي الله عنه في ثلاثة أثواب ودفن في الرحبة مما يلي باب كندة من أبواب المسجد قالوا ولما ضربه ابن ملجم لعنه الله ثار الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر رضي الله عنهم فاحتضنوه وقام المغيرة بن نوفل بن الحرث بن عبد المطلب فأخذه فأومأ على رضي الله عنه الى المغيرة ان صل بالناس فصلى بهم الفجر وأقبلت همدان فدخلوا على على فقالوا يا أمير المؤمنين لا تقوم لهم قائمة ان شاء الله تعالى فقال لا تفعلوا انما النفس بالنفس قال ثم ان الحسن رضي الله عنه صلى الفجر وصعد المنبر فأراد الكلام فخنقته العبرة ثم نطق فقال الحمد لله على ما أحببنا وكرهنا وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم واني أحتسب عند الله عز وجل مصابي بأفضل الآباء رسول الله القائل صلى الله عليه وسلم من أصيب بمصيبة فليتسل بمصيبتي فانها أعظم المصائب والله الذي لا اله الا هو الذي أنزل على عبده الفرقان لقد قبض في هذه الليلة رجل ما سبقه الأولون بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يدركه الآخرون فعند الله نحتسب ما دخل علينا وعلى جميع أمة محمد صلى الله عليه وسلم فوالله لا أقول اليوم الا حقا لقد دخلت مصيبة اليوم على جميع العباد والبلاد والشجر والدواب ولقد قبض في الليلة التي رفع فيها عيسى بن مريم عليهما السلام الى السماء وقبض فيها موسى بن عمران ويوشع بن نون عليهما السلام وأنزل فيها القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم ولقد كان

ذلك ابنة عمه فجزعت عليه واغتمت ثم دعت مولاة لها ذات عقل وقالت امضي الساعة الى باب هذا الأمير فقولي عندي نصيحة فاذا طلبت منك قولي لا أقولها الا للأمير خزيمة فاذا دخلت عليه سليه الخلوة فاذا فعل قولي له ما كان هذا جزاء جابر عثرات الكرام منك في مكافأتك له بالضيق والحبس والحديد قال ففعلت ذلك فلما سمع خزيمة قولها قال واسوأتاه جابر عثرات الكرام غريمي قالت نعم فامر من وقته بدابته فاسرجت وركب الى وجوه أهل البلد فجمعهم وسار بهم الى باب الحبس ففتح ودخل فرأى عكرمة الفياض في قاع الحبس متغيرا قد أضناه الضر فلما نظر عكرمة الى خزيمة والى الناس أحشمه ذلك فنكس رأسه فاقبل خزيمة حتى انكب على رأسه فقبله فرفع رأسه اليه وقال ما أعقب هذا منك قال كريم فعالك وسوء مكافأتي قال يغفر الله لنا ولك ثم أمر بفك قيوده وأن توضع في رجليه فقال عكرمة تريد ماذا قال أريد أن ينالني من الضر مثل ما نالك فقال أقسم عليك بالله أن لا تفعل فخرجا جميعا الى أن وصلا الى دار خزيمة فودعه عكرمة وأراد الانصراف فلم يمكنه من ذلك قال وما تريد قال أغير من حالك وحيائي من ابنة عمك أشد من حيائي منك ثم أمر بالحمام فاخليت ودخلا جميعا ثم قام خزيمة فتولى خدمته بنفسه ثم خرجا فخلع عليه وحمل اليه مالا كثيرا ثم سار معه الى داره واستأذنه في الاعتذار من ابنة عمه فاذن له فاعتذر اليها وتذمم من ذلك ثم سأله أن يسير معه الى أمير المؤمنين وهو يومئذ مقيم بالرملة فانعم له بذلك فسارا جميعا حتى قدما على سليمان بن عبد الملك فدخل الحاجب فاخبره بقدوم خزيمة بن

رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعثه في السرية ويسير جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره فما يرجع حتى يفتح الله عز وجل على يديه وما ترك صفراء ولا بيضاء الا سبعمائة درهم أراد أن يبتاع بها خادما لأهله ألا ان أمور الله تعالى تجرى على أحوالها فما أحسنها من الله وأسوأها من أنفسكم ألا ان قريشا أعطت أزمتها شياطينها فقادتها بأعنتها الى النار فمنهم من قاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أظهره الله تعالى عليه ومنهم من أسر الضغينة حتى وجد على النفاق أعوانا رفع الكتاب وجف القلم وأمور تقضى في كتاب قد خلا ثم أطرق الحسن فبكى الناس بكاء شديدا ثم نزل فجرد سيفه ودعا بابن ملجم فأقبل يخطر واضعا شعره على أذنيه حتى قام بين يديه فقال يا حسن انى ما عاهدت الله تعالى على عهد قط الا وفيت به عاهدت الله تعالى على أن أقتل أباك وقد قتلته وان تخلني أقتل معاوية فان أنا قتلته أضع يدى على يدك وان أقتل فهو الذى تريد فقال الحسن رضى الله عنه أما والله لا سبيل الى بقائك ثم قام اليه فضربه بالسيف فاتقاه ابن ملجم بيده ثم أسرع السيف فيه فقتله * ومن الابطال خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومى رضى الله عنه سيف الله وسيف رسوله صلى الله عليه وسلم بطل مذكور وفارس مشهور في الجاهلية والاسلام قتل مالك بن نويرة وقتل مسيلمة الكذاب لعنه الله وكان الفتح له يوم اليمامة وهو الذى فتح دمشق وأكثر بلاد الشام وله وقائع عظيمة في الروم أيد الله بها الاسلام مات على فراشه وكان يقول لقد شهدت كذا وكذا زحفا وما في جسدى موضع شبر الا وفيه أثر من طعنة أو ضربة أو رمية وها أنا أموت على فراشى لا نامت عين الجبان وكان ينشد ويرتجز ويقول

لا ترعبونا بالسيوف المبرقه * ان السهام بالردى مفوقه
والحرب دونها العقال مطلقه * وخالد من دينه على ثقه

رضى الله عنه * الزبير بن العوام رضى الله عنه حوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمته بطل شجاع لا يمارى وشهم لا يجارى قتله عمرو بن جرموز اغتاله وهو في الصلاة * عمرو بن معديكرب الزبيدى فارس من فرسان الجاهلية وله مواقف مذكورة ومواطن مشهورة وأسلم ثم ارتد ثم عاد الى الاسلام وشهد حرب الفرس وكان له فيها أفعال عظيمة وأحوال جسيمة وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه اذا رآه قال الحمد لله الذى خلقنا وخلق عمرو وروى عنه رضى الله عنه أنه سأله يوما فقال له يا عمرو أى السلاح أفضل في الحرب قال فعن أيها تسأل قال ما تقول في السهام قال منها ما يخطئ ويصيب قال فما تقول في الرمح قال أخوك وربما خانك قال فما تقول في الترس قال هو الدائر وعليه تدور الدوائر قال فما تقول في السيف قال ذلك العدة عند الشدة وقيل انه نزل يوم القادسية على النهر فقال لأصحابه انى عابر على هذا الجسر فان أسرعتم مقدار جزر الجزور وجدتمونى وسيفى بيدى أقاتل به تلقاء وجهى وقد عرفنى القوم وأنا قائم بينهم وان أبطأتم وجدتمونى قتيلا بينهم ثم انغمس فحمل على القوم فقال بعضهم لبعض يا بنى زبيد علام تدعون صاحبكم والله ما نظن انكم تدركونه حيا فحملوا فانتهوا اليه وقد صرع عن فرسه وقد أخذ برجل فرس رجل من العجم فأمسكها والفارس يضرب فرسه فلم تقدر أن تتحرك فلما رآنا أدركناه رمى الرجل نفسه وخلى فرسه فركبه عمرو وقال أنا أبو ثور كدتم والله تفقدونى فقالوا أين فرسك فقال رمى بنشابة فغار وشب فصرعنى ويروى أنه حمل يوم القادسية على رستم وهو الذى كان قدمه يزدجرد ملك الفرس يوم القادسية على قتال المسلمين فاستقبله عمرو وكان رستم على فيل فضرب عمرو الفيل فقطع عرقوبه فسقط رستم وسقط الفيل عليه مع خرج كان فيه أربعون ألف دينار فقتل رستم وانهزمت العجم وقتل عمرو بنهاوند في وقعة الفرس بعد أن عمر حتى ضعف وكان من الشعراء المعدودين وفيه يقول العباس بن مرداس

اذا مات عمرو قلت للخيل أوطئى * زبيدا فقد أودى بنجدتها عمرو

* طلحة الأسدى رضى الله عنه كان من أكبر الشجعان جاهلية واسلاما ثم ارتد وتنبأ وجمع جمعا عظيما فقتل خالد ابن الوليد جمعه وكان يتشكون ثم عاد الى الاسلام وشهد حرب القادسية وغيرها من الفتوح * المقداد بن الاسود رضى الله عنه كان من أشجع الفرسان شديد البأس قوى الجنان رابط الجاش وله في الشجعان اسم مشهور ووصف مذكور يعجز الواصف عن وصف صفاته رضى الله عنه وأرضاه * سعد بن أبى وقاص الزهرى الانصارى رضى الله عنه كان فارسا بطلا راميا وهو أول من رمى في سبيل الله بسهم ولما قتل عثمان بن عفان

بشر فراعه ذلك وقال والى الجزيرة يقدم علينا بغير أمرنا مع قرب العهد به ما هذا الا لحادث عظيم فلما دخل عليه قال قبل أن يسلم ما وراءك يا خزيمة قال خير يا أمير المؤمنين قال فما أقدمك قال ظفرت بجابر عثرات الكرام فأحببت أن أسرك لما رأيت من شوقك الى رؤيته قال ومن هو قال عكرمة الفياض فاذن له في الدخول فدخل فسلم عليه بالخلافة فرحب به وأدناه من مجلسه وقال يا عكرمة كان خيرك له وبالا عليك ثم قال له اكتب حوائجك وما تختاره في رقعة فكتبها وقضيت على الفور ثم أمر له بعشرة آلاف دينار مع ما أضيف اليها من التحف والظرف ثم دعا بقناة وعقد له على الجزيرة وأرمينية وأذربيجان وقال له أمر خزيمة اليك ان شئت أبقيته وان شئت عزلته قال بل أرده الى عمله يا أمير المؤمنين ثم انصرفا جميعا ولم يزالا عاملين لسليمان بن عبد الملك مدة خلافته * ويضارع ذلك من المستجاد أيضا * ما روى عن أبى موسى محمد بن الفضل بن يعقوب كاتب عيسى بن جعفر قال حدثنى أبى قال كنت أتردد الى زينب بنت سليمان بن على بن عبد الله بن عباس وأخدمها فتوجهت الى خدمتها يوما فقالت اقعد حتى أحدثك حديثا كان بالامس يكتب على الآماق كنت أمس عند الخيزران ومن عادتى أن أجلس بازائها وفي الصدر مجلس للمهدى يجلس فيه وهو يقصدنا في كل وقت فيجلس قليلا ثم ينهض فبينما نحن كذلك اذ دخلت علينا جارية من جواريها فقالت أعز الله السيدة بالباب امرأة ذات جمال وخلقة حسنة وليس وراء ما هى عليه من سوء الحال غاية تستأذن عليك وقد سألتها عن اسمها فامتنعت من

رضى الله عنه اعتزل ولم يشهد الحرب بعده ومات حتف أنفه * أبو دجانة الانصارى رضى الله عنه الذى خرج يتبختر بين الصفين فقال عليه الصلاة والسلام انها المشية يبغضها الله تعالى الا فى هذا الموضع * المثنى بن حارثة الشيبانى رضى الله عنه هو أول من فتح حرب الفرس * أبو عبيد بن مسعود الثقفى رضى الله عنه قاتل القوم يوم قس الناطف فى حرب القادسية * عمار بن ياسر رضى الله عنه صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم الحق يدور مع عمار حيث دار وأخبر أنه تقتله الفئة الباغية فقتل بصفين مع على رضى الله عنه * هاشم بن عتبة رضى الله عنه من أكابر الشجعان صاحب راية على رضى الله عنه بصفين * مالك بن الحرث النخعى الأشتر رضى الله عنه مات مسموما فى شربة من عسل فقال معاوية ان لله جنودا منها العسل * القعقاع بن عمرو طاعن الفيل فى عشية القادسية رضى الله عنه

﴿الطبقة الثانية﴾ عبد الله بن الزبير بن العوام رضى الله عنه قاتل جرجير ملك افريقية الذى كان يرى أنه أشجع أهل عصره قال عمر بن عبد العزيز لابن أبى مليكة صف لى عبد الله بن الزبير فقال والله ما رأيت جلدا قط ركب على لحم ولا لحما على عصب ولا عصبا على عظم مثل جلده ولحمه وعصبه ولا رأيت نفسا بين جنبين مثل نفس ركبت بين جنبيه ولقد قام يوما الى الصلاة فمر حجر من حجارة المنجنيق بين لحيته وصدره فوالله ما خشع له بصره ولا قطع له قراءته ولا ركع دون الركوع الذى كان يركع قتله الحجاج بعد أن حوصر بمكة وأسلمه أصحابه وعشيرته وصلبه الحجاج ألا الى الله تصير الامور * أبو هاشم محمد بن على بن أبى طالب ابن الحنفية رضى الله عنه كان أبوه يلقيه فى الوقائع ويتقى به العظائم وهو شديد البأس ثابت الجنان قيل له يوما ما بال أمير المؤمنين على كرم الله وجهه يقحمك الحروب دون الحسن والحسين رضى الله عنهما فقال لانهما كانا عينيه وكنت أنا يديه فكان يتقى عينيه بيديه وقيل ان أباه عليا رضى الله عنه اشترى درعا فاستطالها فأراد أن يقطع منها فقال له محمد يا أبت علم موضع القطع فعلم على موضع منها فقبض محمد بيده اليمنى على ذيلها وبالأخرى على موضع العلامة ثم جذبها فقطعها من الموضع الذى حده أبوه وكان عبد الله بن الزبير مع تقدمه فى الشجاعة يحسده على قوته واذا حدث بهذا الحديث غضب مات حتف أنفه بشعب رضوى * عبد الله بن حازم السلمى رضى الله عنه والى خراسان شجيع مضر وفارسها فى عصره قتله وكيع بن أبى سويد بخراسان فى الفتنة * وكيع بن أبى سويد قاتل عبد الله بن حازم المتقدم ذكره شجاع فاتك أهوج والى خراسان قيل لما قتل عبد الله بن حازم ولم يتم أمره لهوجه مات حتف أنفه * مصعب بن الزبير بن العوام شجاع بطل جواد جاد بماله وبنفسه قتله عبيد الله بن زياد فى الحروب التى كانت بينه وبين عبد الملك بن مروان * عمير بن الحباب السلمى فارس الاسلام قتله بنو تغلب فى الحرب التى كانت بينهم وبين قيس * مسلمة بن عبد الملك بن مروان فحل بنى أمية وفارسها ووالى حروبها قيل انه جلس يوما ليقضى بين الناس بعصر فكلمته امرأة فلم يقبل عليها فقالت ما رأيت أقل حياء من هذا قط فكشف عن ساقه فاذا فيها أثر تسع طعنات فقال لها هل ترين أثر هذا الطعن والله لو أخرت رجلى قيد شبر ما أصابتنى واحدة منهن وما منعنى من تأخيرها الا الحياء وأنت تحلينى قلته * المعتصم بطل شجاع فارس صنديد لم يكن فى بنى العباس أشجع منه ولا أشد قلبا قال ابن أبى دواد كان المعتصم يقول لى يا أبا عبد الله عض على ساعدى بأكثر قوتك فأقول والله يا أمير المؤمنين ما تطيب نفسى بذلك فيقول انه لا يضرنى فأروم ذلك فاذا هو لا تعمل فيه الاسنة فكيف تعمل فيه الأسنان ويقال انه طعنه بعض الخوارج وعليه درع فأقام المعتصم ظهره فقصم الرمح نصفين وكان يشد يده على كتابة الدينار فيمحوها ويأخذ عمود الحديد فيلويه حتى يصير طوقا فى العنق * ابراهيم بن الاشتر النخعى كان من الشجعان المعدودين حارب عبيد الله بن زياد وهو فى أربعة آلاف وعبيد الله فى سبعين ألفا فظفر به وقتله بيده وهزم جيشه * عبد الله بن الحر الجعفى شجاع شاعر فاتك له وقائع عظيمة هائلة وأخباره فى الشجاعة مشهورة * جحدر بن ربيعة العكلى كان بطلا شجاعا فاتكا مغيرا شاعرا قهر أهل اليمامة وأبادهم فبلغ ذلك الحجاج بن يوسف فكتب الى عامله يوبخه بتغلب جحدر عليه ويأمره بالتجرد له حتى يقتله أو يحمله اليه أسيرا فوجه العامل اليه فتية من بنى حنظلة وجعل لهم جعلا عظيما ان هم قتلوا جحدرا أو أتوا به أسيرا فتوجه الفتية فى طلبه حتى اذا كانوا قريبا منه أرسلوا يقولون له انهم يريدون الانقطاع اليه والارتفاق به فوثق

أن تضربنى فالتفتت الى الخيزران وقالت ما تريدين فقلت أدخلها فانه لابد من فائدة أو ثواب فدخلت امرأة من أجمل النساء لا تتوارى بشئ فوقفت بجنب عضادة الباب ثم سلمت متضائلة ثم قالت انا مزنة بنت مروان بن محمد الاموى فقالت الخيزران لاحياك الله ولا قربك فالحمد لله الذى أزال نعمتك وهتك سترك وأذلك أتذكرين يا عدوة الله حين أتاك عجائز أهل بيتى يسألنك أن تكلمى صاحبك فى الاذن فى دفن ابراهيم بن محمد فوثبت عليهن وأسمعتهن ما لا يسمعن قبل وأمرت فأخرجن على تلك الحالة فضحكت مزنة فما أنسى حسن ثغرها وعلو صوتها بالقهقهة ثم قالت يا بنت العم أى شئ أعجبك من حسن صنيع الله بى على العقوق حتى أردت أن تتأسى بى فيه والله انى فعلت بنسائك ما فعلت فأسلمنى الله لك ذليلة جائعة عريانة وكان ذلك مقدار شكرك لله تعالى على ما أولاك بى ثم قالت السلام عليكم ثم ولت مسرعة فصاحت بها الخيزران فرجعت قالت زينب فنهضت اليها الخيزران لتعانقها فقالت ليس فى لذلك موضع مع الحال التى أنا عليها فقالت الخيزران لها فالحمام اذا وأمرت جماعة من جواريها بالدخول معها الى الحمام فدخلت وطلبت ماشطة ترمى ما على وجهها من الشعر فلما خرجت من الحمام وافتها الخلع والطيب فأخذت من الثياب ما أرادت ثم تطيبت ثم خرجت الينا فعانقتها الخيزران وأجلستها فى الموضع الذى يجلس فيه أمير المؤمنين المهدى ثم قالت لها الخيزران هل لك فى الطعام فقالت والله ما فيكن أحوج منى اليه فعجلوه فأتى بالمائدة فجعلت تأكل غير محتشمة الى أن اكتفت

بذلك منهم وسكن الى قولهم فبينما هو معهم يوما اذ وثبوا عليه فشدوه وثاقا وقدموا به على العامل فوجه به الى الحجاج معهم فلما قدموا به عليه ومثل بين يديه قال له أنت جحدر قال نعم أصلح الله الأمير قال ما جراك على ما بلغني عنك قال أصلح الله الأمير كلب الزمان وجفوة السلطان وجراءة الجنان قال وما بلغ من أمرك قال لو ابتلاني الأمير وجعلني مع الفرسان لرأى مني ما يعجبه قال فتعجب الحجاج من ثبات عقله ومنطقه ثم قال يا جحدر اني قاذف بك في حاجر فيه أسد عظيم فان قتلك كفانا مؤنتك وان قتلته عفونا عنك قال أصلح الله الأمير قرب الفرج ان شاء الله تعالى فأمر به فصفدوه بالحديد ثم كتب الى عامله أن يرتاد له أسدا ويحمله اليه فتحيل العامل وارتاد له أسدا كان كاسرا خبيثا قد أفنى عامة المواشي فتحيلوا حتى أخذوه وصيروه في تابوت وحملوه على عجل فلما قدموا به على الحجاج أمر به فألقي في الحاجر ولم يطعم شيأ ثلاثة أيام حتى جاع واستكلب ثم أمر بجحدر أن ينزلوه اليه فأعطوه سيفا وأنزلوه اليه مقيدا وأشرف الحجاج والناس حوله ينظرون الى الأسد ماهو صانع بجحدر فلما نظر الأسد الى جحدر نهض ووثب وتمطى وزعق زعقة دويت منها الجبال وارتاعت أهل الأرض فشد عليه جحدر وهو ينشد ويقول

ليث وليث في مجال ضنك * كلاهما ذو قوة وسفك * وصولة وبطشة وفتك

ان يكشف الله قناع الشك * فأنت لي في قبضتي وملكي

ثم دنا منه وضربه بسيفه ففلق هامته فكبر الناس وأعجب الحجاج ذلك وقال لله درك ما أنجبك ثم أمر به فاخرج من الحاجر وفك عنه قيوده وقال له اختر اما أن تقيم معنا فنكرمك ونقرب منزلتك واما ان نأذن لك فتلحق ببلادك وأهلك على أن تضمن لنا أن لا تحدث بها حدثا ولا تؤذي بها أحدا قال بل أختار صحبتك أيها الأمير فجعله من سماره وخواصه ثم لم يلبث ان ولاه على اليمامة وكان من أمره ما كان * المهلب ابن أبي صفرة كان من الشجعان ومن الابطال المعدودة وأولاده كلهم أمجاد أبطال الا أن المغيرة من بينهم كان أشد تمكنا وكان المهلب يقول ماشهد معي حربا الا رأيت البشرى في وجهه وحمل عليه بعض الشجعان وفي يده شجرة فلما رآها نكس رأسه على قربوس السرج وحمل من تحتها فبراها بسيفه وكان المهلب يقول أشجع الناس ثلاثة ابن الكلبية وأحمر قريش وراكب البغلة فابن الكلبية مصعب بن الزبير وأحمر قريش عمر بن عبيد الله بن معمر مالقي خيلا قط الا فرقها وراكب البغلة عباد بن الحصين ما كان قط في كربة الا فرجها وهو من فرسان الاسلام وكان للمهلب في الحروب مكايد مشهورة ووقائعه أبادت الخوارج بعد ان كانوا قد استولوا على المسلمين وكان سيدا كريما مات حتف أنفه وكذلك ابنه المغيرة وفيه يقول زياد الأعجم

مات المغيرة بعد طول تعرض * للقتل بين أسنة وصفائح

وكان في الخوارج فوارس مشهورة لا تثبت لهم الرجال وذكرهم يطول ويخرج عما أردناه * فمنهم أبو بلال مرداس خرج في أربعين فهزم ألفين * وشبيب الخارجي الذي غرق في الفرات نذرت امرأته غزالة أن تصلي في جامع الكوفة ركعتين تقرأ في الأولى البقرة وفي الثانية آل عمران فعبر بها جسر الفرات وأدخلها الجامع ووقف على بابه يحميها حتى وفت بنذرها والحجاج في الكوفة في خمسين ألفا * ومنهم قطري بن الفجاءة كان رأس الخوارج وخاطبوه بأمير المؤمنين وعظموه وبجلوه وأشعاره في الشجاعة تدل على مكانه منها اقتتل في بعض وقائع الخوارج

﴿الطبقة الثالثة﴾ معن بن زائدة الشيباني قتله الخوارج بسجستان في أيام المهدي * الوليد بن طريف الشيباني قتله يزيد بن مزيد * عمرو بن حنيف كان من الفرسان المعدودة نقل عنه أنه كان يتصيد فتبع حمار وحش ومازال يركض الى أن حاذاه فجمع رجليه ووثب من على فرسه وصار على ظهر حمار الوحش وصار يحز عنقه بسيف أو سكين في يده حتى قتله * أبو دلف القاسم بن عيسى العجلي فارس بطل شاعر نديم جامع لما تفرق في غيره طعن فارسين رديفين فانفذ الرمح من ظهريهما وحمل برمحه أربعة نفر وفيه يقول بكر بن النطاح

قالوا وينظم فارسين بطعنة * يوم اللقاء ولا يراه جليلا

لا تعجبوا لو كان مد قناته * ميلا اذا نظم الفوارس ميلا

وسأله يوما رجل شيأ فقال له أتسأل وجدك القائل

ثم غسلنا أيدينا فقالت لها الخيزران من وراءك مما تعتنين به قالت ما خارج هذه الدار من بيني وبينه نسب فقالت اذا كان الأمر هكذا فقومي حتى تختاري لنفسك مقصورة من مقاصيرنا وتحولي لها جميع ما تحتاجين اليه ثم لا نفترق الى الموت فقامت ودارت بها في المقاصير فاختارت أوسعها وأنزهها ولم تبرح حتى حولت اليها جميع ماتحتاج اليه من الفرش والكسوة قالت زينب ثم تركناها وخرجنا عنها فقالت الخيزران هذه المرأة قد كانت فيما كانت فيه وقد مسها الضر وليس يغسل ما في قلبها الا المال فاحملوا اليها خمسمائة ألف درهم فحملت اليها وفي أثناء ذلك وافى المهدي فسألنا عن الخبر فحدثته الخيزران حديثها وما لقيتها به فوثب مغضبا وقال للخيزران هذا مقدار شكر الله على انعمه وقد أمكنك من هذه المرأة مع الحالة التي هي عليها فوالله لولا مكانك بقلبي لحلفت أن لا أكلمك أبدا فقالت الخيزران يا أمير المؤمنين قد اعتذرت اليها ورضيت وفعلت معها كذا وكذا فلما علم المهدي ذلك قال للخادم كان معه احمل اليها مائة بدرة وادخل اليها وأبلغها مني السلام وقل لها والله ما سررت في عمري كسروري اليوم وقد وجب على أمير المؤمنين اكرامك ولولا احتشامك لحضر اليك مسلما عليك وقاضيا لحقك فمضى الخادم بالمال والرسالة فأقبلت على الفور فسلمت على المهدي بالخلافة وشكرت صنعه وبالغت في الثناء على الخيزران عنده وقالت ما على أمير المؤمنين حشمة انا في عدد حرمه ثم قامت الى منزلها فخلفتها عند الخيزران وهي تتصرف في المنازل والجواري كتصرف الخيزران فأرخها عندك فانها من أحسن النوادر (وروى) عن عبيد

ومن يفتقر منا يعش بحسامه * ومن يفتقر من سائر الناس يسأل
وانا لنلهو بالسيوف كما لهت * فتاة بعقد أو سخاب قرنفل

فخرج الرجل فجرد سيفه فلم يصادفه في طريقها الا وكيل لابي دلف ومعه مال جزيل فاستلبه منه وقتله فبلغ الخبر أبا دلف فقال دعوه فاني علمته على نفسي * بكر بن النطاح بطل شجاع فارس فاتك له أشعار مشهورة وأخبار مذكورة (ومما جاء في مدح السيف) قول رسول الله صلى الله عليه وسلم الخير في السيف والخير مع السيف والخير بالسيف وكان صمصامة عمرو أشهر سيوف العرب وممن تمثل به نهشل فقال

أخ ماجد ما خانني يوم مشهد * كما سيف عمرو لم تخنه مضاربه

ولما وهبه عمرو لخالد بن سعيد بن العاص عامل رسول الله صلى الله عليه وسلم على اليمن قال

خليلي لم أخنه ولم يخني * اذا ما صاب أوساط العظام
خليلي لم أهبه من قلاه * ولكن المواهب للكرام
حبوت به كريما من قريش * فسر به وصين عن اللئام
وودعت الصفي صفي نفسي * على الصمصام أضعاف السلام

ولم يزل في آل سعيد حتى اشتراه خالد بن عبد الله القسري بمال جزيل لهشام وكان قد كتب اليه فيه فلم يزل عند بني مروان ثم طلبه السفاح والمنصور والمهدي فلم يجدوه فجد الهادي في طلبه حتى ظفر به وكان مكتوبا عليه هذا البيت

ذكر على ذكر يصول بصارم * ذكر يمان في يمين يماني

وقال ابن الرومي

لم ارشيأ حاضرا نفعه * للمرء كالدرهم والسيف
يقضي له الدرهم حاجاته * والسيف يحميه من الحيف

(وقال زيد بن علي رضي الله عنهما)

السيف يعرف عزمي عند هزته * والرمح بي خبر والله لي وزر
انا لنأمل ما كانت أوائلنا * من قبل تأمله ان ساعد القدر

(وقال عبد الله بن طاهر)

يبيت ضجيعي السيف طورا وتارة * تعض بهامات الرجال مضاربه
أخو ثقة أرضاه في الروع صاحبا * وفوق رضاه انني انا صاحبه
وليس أخو العلياء الا فتى له * بها كاف ما تستقر كتائبه

وقدم عروة بن الزبير على عبد الملك بن مروان بعد قتل أخيه عبد الله فطلب منه سيف الزبير وقال له رده علي فانه السيف الذي أعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم له يوم حنين فقال له عبد الملك أو تعرفه قال نعم قال بماذا قال أعرفه بما لا تعرف به سيف أبيك أعرفه بقول الشاعر

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتائب

(وقال الأجدع الهمداني)

لقد علمت نسوان همدان أنني * لهن غداة الروع غير خذول
وأبذل في الهيجاء وجهي وأنني * له في سوى الهيجاء غير بذول

(وقال آخر)

عشرون ألف فتى ما منهم أحد * الا كألف فتى مقدامه بطل
راحت مزاودهم علوءة أملا * ففرغوها وأوكوها من الأجل

(ومن أخبار الشجعان ما حكاه الفضل بن يزيد) قال نزل علينا بنو ثعلب في بعض السنين وكنت مشغوفا بأخبار العرب أن أسمعها وأجمعها فبينما أنا أدور في بعض أحيائهم اذا أنا بامرأة واقفة في فناء خبائها وهي آخذة بيد غلام فما رأيت مثله في حسنه وجماله له ذؤابتان كالسبج المنظوم وهي تعاتبه بلسان رطب وكلام عذب تحن اليه الاسماع وترتاح له القلوب وأكثر ما أسمع منها أي بني وهو يتبسم في وجهها قد غلب عليه الحياء والخجل كأنه جارية بكر لا يرد جوابا فاستحسنت ما رأيت واستحليت ما سمعت فدنوت منه وسلمت فردعلي السلام فوقفت أنظر اليهما فقالت يا حضري ما حاجتك فقلت الاستكثار مما أسمع والاستمتاع بما أرى من هذا الغلام فقالت يا حضري ان شئت سقت اليك من خبره ما هو أحسن من منظره فقلت قد شئت رحمك الله فقالت حملته والرزق عسر والعيش نكد حملا خفيفا حتى مضت له تسعة أشهر وشاء الله عز وجل ان أضعه فوضعته خلقا سويا فو ربك ما هو الا أن صار ثالث أبويه حتى أفضل الله عز وجل وأعطى وأتى من الرزق بما كفى وأغنى

الرحمن بن عمر القهري عن رجال سماهم أمر المأمون أن يحمل اليه عشرة من أهل البصرة كانوا قد رموا بالزندقة فحملوا فرآهم أحد الطفيلية قد اجتمعوا بالساحل فقال ما اجتمع هؤلاء الا لوليمة فدخل معهم ومضى بهم الموكلون الى البحر وأطلعوهم في زورق قد أعد لهم فقال الطفيلي لا شك انها نزهة فصعد معهم في الزورق فلم يكن بأسرع من أن قيدوا وقيد الطفيلي معهم فعلم انه قد وقع ورام الخلاص فلم يقدر وساروا بهم الى أن دخلوا بغداد وحملوا حتى دخلوا على المأمون فلما مثلوا بين يديه أمر بضرب أعناقهم فاستدعوهم بأسمائهم حتى لم يبق الا الطفيلي وهو خارج عن العدة فقال لهم المأمون من هذا قالوا والله ما ندري يا أمير المؤمنين غير أنا وجدناه مع القوم فجئنا به فقال له المأمون ما قصتك قال يا أمير المؤمنين امرأتي طالق ان كنت أعرف من أقوالهم شيأ ولا أعرف غير لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم انما رأيتهم مجتمعين فظننت أنهم يدعون الى وليمة فالتحقت بهم قال فضحك المأمون ثم قال بلغ من شؤم التطفل ان أحل صاحبه هذا المحل لقد سلم هذا الجاهل من الموت ولكن يؤدب حتى يتوب قال ابراهيم ابن المهدي هبه لي وأحدثك بحديث عن نفسي في التطفل عجيب قال المأمون قد وهبته لك هات حديثك قال يا أمير المؤمنين خرجت يوما متنكرا للتنزه فانتهى بي المشي الى موضع شممت منه روائح طعام وأبازير قد فاحت فتاقت نفسي اليها ووقفت يا أمير المؤمنين لا أقدر على المشي فرفعت بصري واذا بشباك ومن خلفه كف ومعصم ما رأيت أحسن منهما فوقفت حائرا ونسيت روائح الطعام بذلك الكف والمعصم وأخذت في اعمال الحيلة

ثم أرضعته حواين كاملين فلما استتم الرضاع نقلته من خرق المهد الى فراش أبيه فربي كأنه شبل أسد أقيه برد الشتاء وحر الهجير حتى اذا مضت له خمس سنين أسلمته الى المؤدب فحفظه القرآن فتلاه وعلمه الشعر فرواه ورغب في مفاخر قومه وآبائه وأجداده فلما أن بلغ الحلم واشتد عظمه وكمل خلقه حملته على عتاق الخيل فتفرس وتمرس ولبس السلاح ومشى بين بيوتات الحي الخيلاء فأخذ في قرى الضيف واطعام الطعام وأنا عليه وجلة أشفق عليه من العيون أن تصيبه فاتفق ان نزلنا منهل من المناهل بين أحياء العرب فخرج فتيان الحي في طلب ثارلهم وشاء الله تعالى ان أصابته وعكة شغلته عن الخروج حتى اذا أمعن القوم ولم يبق في الحي غيره ونحن آمنون وادعون ماهو الى أن أدبر الليل وأسفر الصباح حتى طلعت علينا غرر الجياد وطلائع العدو فما هو الا هنيهة حتى أحرزوا الاموال دون أهلها وهو يسألني عن الصوت وأنا أستر عنه الخبر اشفاقا عليه وضنا به حتى اذا علت الاصوات وبرزت المخدرات رمى دثاره وثار كما يثور الاسد وأمر باسراج فرسه ولبس لامة حربه وأخذ رمحه بيده ولحق حماة القوم فطعن أدناهم منه فرمى به ولحق أبعدهم منه فقتله فانصرفت وجوه الفرسان فرأوه صبيا صغير الامدد وراءه فحملوا عليه فأقبل يؤم البيوت ونحن ندعو الله عز وجل له بالسلامة حتى اذا مدهم وراءه وامتدوا في اثره عطف عليهم ففرق شملهم وشتت جمعهم وقال كثرتهم ومزقهم كل ممزق ومرق كما يمرق السهم وناداهم خلوا عن المال فوالله لا رجعت الا به أو لأهلكن دونه فانصرفت اليه الاقران وتمايلت نحوه الفرسان وعيرت له الفتيان وحملوا عليه وقد رفعوا اليه الاسنة وعطفوا عليه بالاعنة فوثب عليهم وهو يهدر كما يهدر الفحل من وراء الابل وجعل لا يحمل على ناحية الاحطمها ولا كتيبة الامزقها حتى لم يبق من القوم الا من نجا به فرسه ثم ساق المال وأقبل به فكبر القوم عند رؤيته وفرح الناس بسلامته فوالله ما رأينا قط يوما كان أسمع صباحا وأحسن رواحا من ذلك اليوم ولقد سمعته يقول في وجوه فتيان الحي هذه الابيات

تأملن فعلي هل رأيتن مثله * اذا حشرجت نفس الجبان من الكرب

وضاقت عليه الارض حتى كأنه * من الخوف مسلوب العزيمة والقلب * ألم أعط كلا حقه ونصيبه

من السمهري اللدن والمرهف العضب * أنا ابن أبي هند بن قيس بن مالك * سليل المعالي والمكارم والسبب

أبى لي أن اعطى الظلامة مرهف * وطرف قوى الظهر والجوف والجنب

وعزم صحيح لو ضربت بحده الـ * جبال الرواسي لانحطن الى الترب

وعرض نقي اتقي أن اعيبه * وبيت شريف في ذرى ثعلب الغلب * فان لم اقاتل دونكن واحتمي

لكن وأحميكن بالطعن والضرب * فلا صدق اللاتي مشين الى أبي * يهنينه بالفارس البطل الندب

وقال الشاعر

آراؤهم ووجوههم وسيوفهم * في الحادثات اذا دجون نجوم

منها معالم للهدى ومصابح * تجلو الدجى والاخريات رجوم

(وقال آخر)

فوارس قوالون للخيل اقدمي * وليس على غير الرؤس مجال

بايديهم سمر العوالي كأنما * تشب على اطرافهن ذبال

(وقال آخر)

قوم اذا اقتحموا العجاج رأيتهم * شمسا وخلت وجوههم أقمارا

لا يعدلون برفدهم عن سائل * عدل الزمان عليهم أو جارا

واذا الصريخ دعاهم لملمة * بذلوا النفوس وفارقوا الاعمارا

﴿ذكر الجبن والجبناء وأخبارهم وما جاء عنهم﴾ قد استعاذ سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من الجبن فقال اللهم اني أعوذ بك من الهم والحزن وأعوذ بك من العجز والكسل وأعوذ بك من الجبن والبخل وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال نعوذ بالله مما استعاذ منه سيد الخلق رسول الله صلى الله عليه وسلم ويكفيك ان يقال في وصف الجبان أحس بعصفور طار فؤاده وان طنت بعوضة طال سهاده يفزع من صرير الباب ويقلق من طنين الذباب ان نظرت اليه شزرا أغمي عليه شهرا يحسب خفوق الرياح قعقعة الرماح قال الشاعر

اذا صوت العصفور طار فؤاده * وليث حديد الناب عند الثرائد

وكان حسان بن ثابت رضي الله عنه من الجبناء روي عن ابن الزبير أنه قال كان حسان في قاع أطم مع النساء يوم الخندق فأتاهم في ذلك اليوم يهودي يطوف بالحصن فقالت صفية بنت عبد المطلب رضي الله عنها

فاذا خياط قريب من ذلك الموضع فتقدمت اليه وسلمت عليه فرد على السلام فقلت لمن هذه الدار فقال لرجل من التجار فقلت ما اسمه قال فلان بن فلان فقلت أهو ممن يشرب الخمر قال نعم وأحسب اليوم أن عنده دعوة وليس ينادم الا التجار فبينما نحن في الكلام اذ أقبل رجلان نبيلان راكبان فأعلمني أنهما أخص الناس بصحبته وأعلمني باسميهما فحركت دابتي فلقيتهما وقلت جعلت فداكما قد استبطأ كما أبو فلان وسايرتهما حتى أتيا الباب فدخلت ودخلا فلما رآني صاحب الدار معهما لم يشك أني منهما فرحب بي وأجلسني في أفضل المواضع ثم جيء بالمائدة فقلت في نفسي هذه الالوان قد من الله علي ببلوغ الغرض منها بقي الكف والمعصم ثم نقلنا الى مجلس المنادمة فرأيت مجلسا محفوفا باللطائف وجعل صاحب المجلس يتلطف بي ويقبل علي في الحديث لظنه اني ضيف لاضيافه وهم على مثل ذلك حتى شربنا أقداحا اذ خرجت علينا جارية كأنها غصن بان في غاية الظرف وحسن الهيئة فسلمت غير خجلة وأتى بعود فأخذته وجسته فاذا هي حاذقة واندفعت تقول

أليس عجيبا أن بيتا يضمني
وإياك لا نخلو ولا نتكلم
سوى أعين تبدي سرائر أنفس
وتقطيع أنفاس على النار تضرم
اشارة أفواه وغمز حواجب
وتكسير أجفان وكف يسلم

فهجت يا أمير المؤمنين بلا بلي فطربت لحذقها وحسن شعرها الذي غنت به فحسدتها وقلت قد بقي عليك يا جارية شيء فرمت العود وقالت متى كنتم تحضرون البغضاء في مجالسكم فندمت على ما كان مني ورأيت القوم قد أنكروا علي ذلك فقلت في نفسي فاتني

ياحسان ان هذا اليهودي كما ترى يطوف بالحصن وانى والله ما آمنه أن يدل على عوراتنا من وراءه من اليهود فانزل اليه فاقتله فقال يغفر الله لك يا بنت عبد المطلب لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا قال فاعتجرت صفية ثم أخذت عمودا ونزلت من الحصن فضربته بالعمود حتى قتلته ورجعت الى الحصن فقالت يا حسان قم اليه فاسلبه فانه مامنعنى من سلبه الا أنه رجل فقال مالى بسلبه من حاجة (وقيل) كان لفتى من قريش جارية مليحة الوجه حسنة الادب وكان يحبها حبا شديدا فأصابته اضاقة وفاقة فاحتاج الى ثمنها فحملها الى العراق وكان ذلك فى زمن الحجاج بن يوسف فابتاعها منه الحجاج فوقعت منه بمنزلة فقدم عليه فتى من ثقيف من أقاربه فأنزله قريبا منه وأحسن اليه فدخل على الحجاج والجارية تكبسه وكان الفتى جميلا فجعلت الجارية تسارقه النظر ففطن الحجاج بها فوهبها له فأخذها وانصرف فباتت معه ليلتها وهربت بغلس فأصبح لا يدرى أين هى وبلغ الحجاج ذلك فأمر مناديا أن ينادى برئت الذمة عمن رأى وصيفة من صفتها كذا وكذا ولم يحضرها فلم يلبث ان أتى له بها فقال لها الحجاج ياعدوة الله كنت عندى من أحب الناس الى فاخترت لك ابن عمى شابا حسن الوجه ورأيتك تسارقينه النظر فعلمت انك شغفت به فوهبتك له فهربت من ليلتك فقالت ياسيدى اسمع قصتى ثم اصنع بى ما شئت قال هاتى ولا تخفى شيأ قالت كنت للفتى القرشى فاحتاج الى ثمنى فحملنى الى الكوفة فلما قربنا منها دنا منى فوقع على فسمع زئير الاسد فوثب واخترط سيفه وحمل عليه وضربه فقتله وأتى برأسه ثم أقبل على وما برد ماء عنده ثم قضى حاجته وان ابن عمك هذا الذى اخترته لى لما أظلم الليل قام الى فلما علا بطنى وقعت فارة من السقف فضرط ثم غشى عليه فمكث زمانا طويلا وأنا أرش عليه الماء وهو لا يفيق فخفت أن يموت فتتهمنى به فهربت فزعا منك فما ملك الحجاج نفسه من شدة الضحك وقال ويحك اكتمى هذا ولا تعلمى به أحدا قالت على أن تردنى اليه قال لك ذلك (وحدث) جار لابى حنيفة النميرى قال كان لابى حنيفة سيف وليس بينه وبين العصا فرق وكان يسميه لعاب المنية فأشرفت عليه ذات ليلة وقد انتضاه وهو واقف على باب بيته وقد سمع حسا فى داره وهو يقول أيها المغتر بنا المجترى علينا بئس والله ما اخترت لنفسك خير قليل وسيف صقيل وهو لعاب المنية الذى سمعت به أخرج بالعفو عنك قبل أن أدخل بالعقوبة عليك ثم فتح الباب على وجل فاذا كلب قد خرج فقال الحمد لله الذى مسخك كلبا وكفانا حربا * وخرج المعتصم يوما الى بعض متصيداته فظهر له أسد فقال لرجل من أصحابه أعجبه قوامه وسلاحه وتمام خلقه أفيك خير يارجل قال لا فضحك المعتصم وقال قبح الله الجبان ورأى الاسكندر رجلا اسمه الاسكندر لا يزال ينهزم فقال له يارجل اما أن تغير فعلك واما أن تغير اسمك * ووقع فى بعض العساكر صيحة فوثب خراسانى الى دابته ليلجمها فصير اللجام فى الذنب من الدهش وقال يخاطب الفرس هب جبهتك عرضت فناصيتك كيف طالت (وخرج) أسلم بن زرعة الكلابى فى ألفين لمحاربة أبى بلال مرداس وكان مرداس فى أربعين رجلا فانهزم أسلم منه فلاموه على ذلك وذمه ابن أبى زياد فقال لأن يذمنى ابن أبى زياد حيا أحب الى من أن يمدحنى ميتا وكان أسلم بعد ذلك اذا خرج الى السوق ومر بصبيان صاحوا به أبو بلال وراءك فكبر ذلك عليه فشكاهم الى ابن أبى زياد فامر صاحب الشرطة أن يكفهم عنه وفى ذلك يقول بعضهم شعرا

يقول جبان القوم فى حال سكره * وقد شرب الصهباء هل من مبارز
وأين الخيول الاعوجيات فى الوغى * أنازل منهم كل ليث مناهز
ففى السكر قيس وابن معدى وعامر * وفى الصحو تلقاه كبعض العجائز

وهذا ما انتهى الينا من هذا الباب والحمد لله الكريم الوهاب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه الطاهرين والحمد لله رب العالمين

* الباب الثانى والاربعون فى المدح والثناء وشكر النعمة والمكافأة وفيه فصول *

* الفصل الاول فى المدح والثناء * المديح وصف الممدوح باخلاق يمدح عليها صاحبها او يكون نعتا حميدا وهذا يصح من المولى فى حق عبده فقد قال الله تعالى فى حق نبيه أيوب عليه الصلاة والسلام انا وجدناه صابرا نعم العبد انه أواب وقال تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وانك لعلى خلق عظيم وقال تعالى قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون الى آخر الآية فعلى هذا يجوز مدح الانسان بما فيه من الاخلاق الحميدة

واما

جميع ما أملت فقلت أتم عود قالوا نعم فأحضروا عودا فأصلحت ما أردت فيه ثم اندفعت فغنيت

هذا محبك مطوى على كمده
صب مدامعه تجرى على جسده
له يد تسأل الرحمن راحته
مما به ويد أخرى على كبده
يامن رأى كلفا مستهاما دنفا
كانت منيته فى عينه ويده

فوثبت الجارية فأكبت على رجلى تقبلها وقالت المعذرة اليك ياسيدى والله ما علمت بمكانك ولا سمعت بمثل هذه الصناعة ثم أخذ القوم فى اكرامى وتبجيلى بعد ما طربوا غاية الطرب وسألنى كل منهم الغناء فغنيت لهم نوبات مطربة فغلب القوم السكر وغابت عقولهم فحملوا الى منازلهم وبقى صاحب المنزل فشرب معى أقداحا ثم قال ياسيدى ذهب ما مضى من عمرى مجانا اذلم أعرف مثلك فبالله يامولاى من أنت لأعرف نديمى الذى من الله على به فى هذه الليلة فاخذت أدارى وهو يقسم على فاعلمته فوثب قائما وقال قد عجبت أن يكون هذا الفضل الا لمثلك ولقد أسدى الى الزمان يدا لا أقوم بشكرها ومتى طمعت أن تزورنى الخلافة فى منزلى وتنادمنى ليلتى وما هذا الا فى المنام فاقسمت عليه أن يجلس فجلس وأخذ يسألنى عن السبب فى حضورى عنده بألطف معنى فأخبرته بالقصة من أولها الى آخرها وما سترت منها شيأ ثم قلت أما الطعام فقد نلت منه بغيتى فقال والكف والمعصم ان شاء الله ثم قال يافلانة قولى لفلانة تنزل ثم جعل يستدعى واحدة بعد واحدة يعرضها على وأنا لا أرى صاحبتى الى أن قال والله ما بقى الا أمى وأختى ووالله لتنزلان فعجبت من كرمه وسعة صدره فقلت جعلت فداءك تبدأ بالاخت قال حبا وكرامة ثم نزلت أخته فاراني يدها فاذا هى التى

وأما قوله صلى الله عليه وسلم اذا رأيتم المادحين فاحثوا فى وجوههم التراب فقد قال العتبى هو المدح الباطل والكذب وأما مدح الرجل بما فيه فلا بأس به وقد مدح أبو طالب والعباس وحسان وكعب وغيرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبلغنا انه حثا فى وجه مادح ترابا وقد مدح هو صلى الله عليه وسلم المهاجرين والانصار رضى الله عنهم وفى حثو التراب معنيان أحدهما التغليظ فى الرد عليه والثانى كأنه يقال له يكفيك التراب وكان أبو بكر الصديق رضى الله عنه اذا مدح قال اللهم أنت أعلم بى من نفسى وأنا أعلم بنفسى منهم اللهم اجعلنى خيرا مما يحسبون واغفر لى مالا يعلمون ولا تؤاخذنى بما يقولون ومدح سارية الديلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو سارية الذى أمره عمر رضى الله عنه على السرية وناداه فى خطبته بقوله ياسارية الجبل فمن مدحه فى رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله

فما حملت من ناقة فوق ظهرها * أبرّ وأوفى ذمة من محمد

وهو أصدق بيت قالته العرب ومن أحسن مامدحه به حسان رضى الله عنه قوله

وأحسن منك لم ترقط عينى * وأجمل منك لم تلد النساء
خلقت مبرأ من كل عيب * كأنك قد خلقت كما تشاء

ومن أحسن مامدحه به عبد الله بن رواحة الانصارى رضى الله عنه قوله

لولم تكن فيه آيات مبينة * كانت بديهته تنبيك بالخبر

(ولما) حججت وزرته صلى الله عليه وسلم تطفلت على جنابه المعظم وامتدحته بأبيات مطولة وأنشدتها بين يديه بالحجرة الشريفة تجاه الصندوق الشريف وأنا مكشوف الرأس وأبكى من جملتها

ياسيد السادات جئتك قاصدا * أرجو رضاك وأحتمى بحماكا
والله ياخير الخلائق ان لى * قلبا مشوقا لايروم سواكا
وبحق جاهك اننى بك مغرم * والله يعلم اننى أهواكا
أنت الذى لولاك ماخلق امرؤ * كلا ولاخلق الورى لولاكا
أنت الذى من نورك البدر اكتسى * والشمس مشرقة بنور بهاكا
أنت الذى لما رفعت الى السما * بك قد سمت وتزينت لسراكا
أنت الذى ناداك ربك مرحبا * ولقد دعاك لقربه وحباكا
أنت الذى فينا سألت شفاعة * ناداك ربك لم تكن لسواكا
أنت الذى لما توسل آدم * من ذنبه بك فاز وهو أباكا
وبك الخليل دعا فعادت ناره * بردا وقد خمدت بنور سناكا
ودعاك أيوب لضر مسه * فازيل عنه الضر حين دعاك
وبك المسيح أتى بشيرا مخبرا * بصفات حسنك مادحا لعلاكا
وكذاك موسى لم يزل متوسلا * بك فى القيامة مرتجى لنداكا
والانبياء وكل خلق فى الورى * والرسل والاملاك تحت لواكا
لك معجزات أعجزت كل الورى * وفضائل جلت فليس تحاكى

رأيتها فقلت هذه الحاجة فأمر غلمانه لوقته فأحضروا الشهود وأحضروا بدرتين فلما احضر الشهود قال لهم هذا سيدى ابراهيم بن المهدى يخطب أختى فلانة وأشهدكم انى قد زوجتها له وأمهرتها منه عشرين ألف درهم فقلت قبلت ذلك ورضيت فشهدوا علينا فدفع البدرة الواحدة الى أخته والاخرى فرقها على الشهود ثم قال ياسيدى أمهد لك بعض البيوت فتنام مع أهلك فاحشمنى مارأيت من كرمه وتذممت أن أخلو بها فى داره ثم قلت بل أحضر عمارتى وأحملها الى منزلى فقال افعل ماشئت فأحضرت عمارتى وحملتها الى منزلى فوحقك ياأمير المؤمنين لقد حمل الى من الجهاز ماضاقت عنه بيوتنا على سعتها وأولدتها هذا الغلام القائم بين يدى أمير المؤمنين فعجب المأمون من كرم هذا الرجل وقال لله دره ماسمعت قط بمثلها وأمر ابراهيم باحضار الرجل ليشاهده فاحضره بين يديه فاستنطقه فأعجبه وصيره من جملة خواصه ومحاضريه (ومن غريب المنقول) ان فتى من ذوى النعم قعد به زمانه وكانت له جارية حسناء محسنة فى الغناء فضاق بهما الخناق واشتد بهما الحال فى عدم مايقتاتان به فقال لها ماقدترين ماقد صرنا اليه من هذه الحالة السيئة والله لموتى وأنت معى أحسن وأهون على مما أذكره لك فان رأيت أن أبيعك لمن يحسن اليك ويغسل عنك ماأنت فيه وأتفرج أنا بما لعله يصير الى من الثمن ولعلك تحصلين عند من تتوصلين الى نفعى معه فقالت والله لموتى على تلك الحالة معك آثر عندى من انتقالى الى غيرك ولو كان خليفة ولكن اصنع مابدالك قال فخرج وعرضها للبيع فاشار عليه أحد أصدقائه ممن له رأى أن يحملها الى ابن معمر أمير العراق فحملها اليه فلما عرضت عليه استحسنها فقال لمولاها كم كان شراؤها عليك قال مائة ألف درهم وقد أنفقت عليها مالا كثيرا حتى صارت فى رتبة الاستاذين قال أما ما أنفقت عليها فغير محتسب لك به لانك أنفقته فى لذاتك وأما ثمنها فقد أمرنا لك بمائة ألف درهم وعشرة أسفاط من الثياب وعشر رؤس من الخيل وعشر رؤس من الرقيق أرضيت قال نعم أرضى الله الامير فأمر بالمال فاحضروأمر قهرمانه بادخال الجارية الى الحرم فامسكت بجانب الستر وبكت وقالت هنيئالك المال الذى قد أفدته * ولم تبق فى كفى غير التفكر أقول لنفسى وهى فى كرباتها * أقلى فقد بان الحبيب أو اكثرى * اذا لم يكن للامر عندك موضع * ولم تجدى بدا من الصبر فاصبرى فبكى مولاها وأجاب قائلا ولولا قعود الدهر بى عنك لم يكن * يفرقنا شئ سوى الموت فاعذرى أروح بهم من فراقك موجع * أناجى به قلبا قليل التصبر عليك سلامى لازيارة بيننا * ولاقرب الا أن يشاء ابن معمر فقال له ابن معمر قد شئت فخذها بارك الله لك فيها وفيما وصل اليك منا فاخذها وأخذ المال والخيل والرقيق والثياب وعاد وقد حسنت حاله (ومما جنيته من ثمرات الاوراق) ان الحجاج لما ولى قتل عبد الله بن الزبير رحل الى عبد الملك بن مروان ومعه ابراهيم بن محمد بن طلحة فلما قدم على عبد الملك سلم عليه بالخلافة وقال قدمت عليك ياأمير المؤمنين برجل الحجاز فى

الشرف والابوة وكمال المروءة والادب وحسن المذهب والطاعة والنصيحة مع القرابة وهو ابراهيم بن محمد بن طلحة بن عبيد الله فافعل به يا أمير المؤمنين ما يستحق أن يفعل بمثله فى أبوته وشرفه فقال عبد الملك يا أبا محمد أذكرتنا حقا واجبا ائذنوا لابراهيم فلما دخل وسلم بالخلافة أمره بالجلوس فى صدر المجلس وقال له عبد الملك ان أبا محمد ذكرنا مالم نزل نعرفه منك من الابوة والشرف فلا تدع حاجة فى خاصة أمرك وعامته الا سألتها فقال ابراهيم أما الحوائج التى نبتغى بها الزلفى ونرجو بها الثواب فما كان لله خالصا ولنبيه صلى الله عليه وسلم ولكن لك يا أمير المؤمنين عندى نصيحة لا أجد بدا من ذكرى اياها قال أهى دون أبى محمد قال نعم قال قم يا حجاج فنهض الحجاج خجلا لا يبصر أين يضع رجله ثم قال عبد الملك قل يا ابن طلحة فقال تالله يا أمير المؤمنين انك عمدت الى الحجاج فى ظلمه وتعديه على الحق واصغائه الى الباطل فوليته الحرمين وفيهما من فيهما من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبناء المهاجرين والانصار يسومهم الخسف ويطأهم العسف بطغام أهل الشام ومن لا رؤية له فى اقامة الحق ولا ازاحة الباطل قال فاطرق عبد الملك ساعة ثم رفع رأسه وقال كذبت يا ابن طلحة ظن فيك الحجاج غير ما هو فيك قم فرب ظان الخير بغير أهله قال فقمت وأنا ما أبصر طريقا قال وأتبعنى حرسيا وقال اشدد يدك به قال ابراهيم فازلت جالسا حتى دعا الحجاج فما زالا يتناجيان طويلا حتى ساء ظنى ولا أشك انه فى أمرى ثم دعا بى فلقينى الحجاج فى الصحن خارجا فقبل بين عينى وقال أحسن الله جزاءك قال فقلت فى نفسى انه يهزأ بى ودخلت على عبد الملك فاجلسنى مجلسى الاول ثم قال يا ابن طلحة هل اطلع على نصيحتك أحد فقلت لا والله يا أمير المؤمنين ولا أردت الا الله ورسوله والمسلمين وأمير المؤمنين علم ذلك فقال عبد الملك قد عزلت الحجاج عن الحرمين لما كرهته لهما وأعلمته انك استقللت ذلك عليه وسألتنى له ولاية كبيرة ولقد وليته العراقين وقررت له أن ذلك بسؤالك ليلزمه من حقك ما لا بدله من القيام به فاخرج معه غير ذام لصحبته

نطق الذراع بسم مالك معلنا * والضب قد لباك حين أتاكا * والذئب جاءك والغزالة قد أتت
بك تستجير وتحتمى بحماكا * وكذا الوحوش أتت اليك وسلمت * وشكا البعير اليك حين رآكا
ودعوت أشجارا أتتك مطيعة * وسعت اليك مجيبة لنداكا * والماء فاض براحتيك وسبحت
صم الحصى بالفضل فى يمناكا * وعليك ظللت الغمامة فى الورى * والجذع حن الى كريم لقاكا
وكذاك لا أثر لمشيك فى الثرى * والصخر قد غاصت به قدماكا * وشفيت ذا العاهات من أمراضه
وملأت كل الارض من جدواكا * ورددت عين قتادة بعد العمى * وابن الحصين شفيته بشفاكا
وكذا حبيب وابن عفراء عندما * جرحا شفيتهما بلمس يداكا * وعلى من رمد به داويته
فى خيبر فشفى بطيب لماكا * وسألت ربك فى ابن جابر بعدما * قد مات أحياه وقد أرضاكا
ومسست شاة لام معبد بعدما * نشفت فدرت من شفا رقياكا * ودعوت عام المحل ربك معلنا
فانهل قطر السحب عنددعاكا * ودعوت كل الخلق فانقادوا الى * دعواك طوعا سامعين نداكا
وخفضت دين الكفر يا علم الهدى * ورفعت دينك فاستقام هناكا * أعداك عادوا فى القليب بجهلهم
صرعى وقد حرموا الرضا بجفاكا * فى يوم بدر قد أتتك ملائك * من عند ربك قاتلت أعداكا
والفتح جاءك يوم فتحك مكة * والنصر فى الاحزاب قد وافاكا * هود ويونس من بهاك تجملا
وجمال يوسف من ضياء سناكا * قد فقت يا طه جميع الانبيا * نورا فسبحان الذى سواكا
والله يا ياسين مثلك لم يكن * فى العالمين وحق من نباكا * عن وصفك الشعراء يا مدثر
عجزوا وكلوا عن صفات علاكا * انجيل عيسى قد أتى بك مخبرا * وأتى الكتاب لنا بمدح حلاكا
ماذا يقول المادحون وما عسى * أن يجمع الكتاب من معناكا * والله لو أن البحار مدادهم
والعشب أقلام جعلن لذاكا * لم تقدر الثقلان تجمع ذرة * أبدا وما استطاعوا له ادراكا
لى فيك قلب مغرم يا سيدى * وحشاشة محشوة بهواكا * فاذا سكت ففيك صمتى كله
واذا نطقت فمادح علياكا * واذا سمعت فعنك قولا طيبا * واذا نظرت فلا أرى الا كا
يا مالكى كن شافعى من فاقتى * انى فقير فى الورى لغناكا * يا أكرم الثقلين يا كنز الورى
جدلى بجودك وارضنى برضاكا * أنا طامع فى الجود منك ولم يكن * لابن الخطيب من الانام سواكا
فعساك تشفع فيه عند حسابه * فلقد غدا متمسكا بعراكا * ولانت أكرم شافع ومشفع
ومن التجا لحماك نال وفاكا * فاجعل قراى شفاعة لى فى غد * فعسى أرى فى الحشر تحت لواكا
صلى عليك الله يا خير الورى * ما حن مشتاق الى مثواكا
وعلى صحابتك الكرام جميعهم * والتابعين وكل من والاكا

وماذا (ومن لطائف المنقول) عن القاضى أبى الحسين بن عبد المحسن بن على التنوخى رحمه الله تعالى ان الاسكندر لما انتهى الى الصين ونزل على ملكها أتاه حاجبه وقد مضى من الليل شطره فقال له رسول ملك الصين يستأذن عليك فقال ائذن له فلما دخل عليه وقف بين يديه وسلم وقال ان رأى الملك أن يخلى مجلسه فليفعل فأمر الاسكندر من بحضرته بالانصراف ولم يبق غير حاجبه فقال له الرسول الذى جئت به لا يحتمل أن يسمعه غيرك فامر بتفتيشه ففتش فلم يوجد معه شئ من السلاح فوضع الاسكندر بين يديه سيفا مجردا وقال له قلت ما شئت ثم أخرج جميع من عنده فلما خلا المكان قال له الرسول أنا ملك الصين لا رسوله وقد حضرت أسألك عما تريد فان كان مما يمكن الانقياد اليه ولو على أصعب الوجوه أجبت اليه وغنيت أنا وأنت عن الحرب فقال له الاسكندر وما الذى أمنك منى قال علمى بانك رجل عاقل وليس بيننا عداوة متقدمة ولا مطالبة بدخل ومتى قتلتنى أقاموا غيرى ولم يسلموا اليك البلد ثم تنسب أنت الى غير الجميل وضد الحزم

فأطرق الاسكندر متفكرا فى مقاله وعلم انه رجل عاقل فقال له أريد ارتفاع ملكك الثلاث سنين عاجلا وتصف ارتفاعه فى كل سنة قال أجبتك قال فكيف تكون حالك قال أكون قتيلا أو محاربا قال فان قنعت منك بارتفاع سنتين كيف حالك قال أصلح مما تقدم ذكره قال فان قنعت منك بارتفاع سنة واحدة قال يكون مضرابى ومذهبا لجميع لذاتى قال فان اقتصرت منك على السدس قال يكون السدس موفرا والباقى لجيشى ولاسباب الملك قال قد اقتصرت على هذا فشكره وانصرف فلما أصبح وطلعت الشمس أقبل جيش الصين حتى طبق الارض واختلط بجيش الاسكندر فارتهب وتواثبت أصحابه فركبوا واستعدوا للحرب فبينماهم كذلك اذ ظهر ملك الصين وعليه التاج فلما رأى الاسكندر ترجل فقال له الاسكندر أغدرت قال لا والله قال فما هذا الجيش قال أردت أن أعلمك انى لم أطعك من ضعف ولا من قلة وما غاب عنك من الجيش أكثر لكنى رأيت العالم الاكبر مقبلا عليك ممكنا لك فعلمت انه من حارب العالم الاكبر غلب فأردت طاعته بطاعتك والذلة لامره بالذلة لامرك فقال الاسكندر ليس مثلك يؤخذ منه شئ فما رأيت بينى وبينك أحدا يستحق التفضيل والوصف بالفضل غيرك وقد أعفيتك من جميع ما أردته منك وأنا منصرف عنك فقال ملك الصين أما اذ فعلت ذلك فلست تخسر فلما انصرف الاسكندر أتبعه ملك الصين من الهدايا والتحف بضعف ما كان قدره عليه

﴿ومن غريب المنقول عن أبى الفرج الأصبهانى﴾ أنه قال أخبرنى عمى عن أبيه عن الكلبى عن أبيه قال أخبرنى شيخ من بنى نبهان قال أصابت بنى نبهان سنة ذهبت بالاموال فخرج رجل منهم بعياله حتى أنزلهم الحيرة وقال كونوا قريبا من الملك يصبكم من خيره حتى أرجع اليكم ومضى على وجهه يسوق راحلته سبعة أيام حتى انتهى الى عطن ابل عند تطفيل الشمس فاذا خباء عظيم وقبة من أدم قال فقلت فى نفسى ما لهذا الخباء بد من أهل وما لهذه القبة بد من رب وما لهذا العطن بد من ابل فنظرت فى الخباء فاذا شيخ كبير قد أوهاه الكبر وهو شبه النسر فجلست خلفه فلما انصرم النهار أقبل فارس لم أر أعظم من شكله وفى خدمته أسودان يمشيان بين جنبيه واذا مائة من الابل معها فحلها فبرك الفحل وبركن حوله فقال لاحد عبيده احلب فلانة فحلبها ثم وضع اللبن بين يدى الشيخ فكرع منه وأخذه وقدمه الى فشربت نصفه ثم أمر بشاة فذبحت وشويت وأكلنا منها جميعا فامهلت حتى اذا ناموا واحكم عليهم النوم ثرت الى الفحل فحللت عقاله وركبته فاندفع بى وتبعته الابل فشيت الى الصباح فلما أصبحت نظرت فلم أجد أحدا ولما تعالى النهار التفت فاذا أنا بخيال كأنه طائر فما زال يدنو حتى تبينته فاذا هو فارس على فرس واذا هو صاحبى بالامس فعلقت الفحل وعمدت الى كنانتى فقال احلل عقاله فقلت كلا لقد خلفت خلفى عيالا جياعا بالحيرة قال فانك ميت حل عقاله لا أم لك وانصب لى خطامه واجعل فيه خمس عقد وقل لى أين تحب أن أضع سهمى فقلت فى هذا الموضع فكأنما وضعه بيده ثم أقبل يرمى حتى أصاب الخمس بخمسة أسهم فرددت نبلى وحططت قوسى ووقفت مستسلما فدنا منى وأخذ القوس

وماذا عسى أن يقول المادحون فى وصف من مدحه الله تعالى وأثنى عليه وقد قال صلى الله عليه وسلم أنا سيد ولد آدم ولا فخر والله لو أن البحار مداد والاشجار أقلام وجميع الخلائق كتاب لما استطاعوا أن يجمعوا النزر اليسير من بعض صفاته ولكلوا عن الاتيان ببعض وصف معجزاته صلى الله عليه وسلم ومدح رجل هشام بن عبد الملك فقال له ياهذا انه قد نهى عن مدح الرجل فى وجهه فقال ما مدحتك ولكن ذكرتك نعم الله عليك لتجدد لها شكرا فقال له هشام هذا أحسن من المدح ووصله وأكرمه وكتب رجل الى عبد الله بن يحيى ابن خاقان رأيت نفسى فيما أتعاطى من مدحك كالمخبر عن ضوء النهار الباهر والقمر الزاهر وأيقنت انى حيث انتهى من القول منسوب الى العجز مقصر عن الغاية فانصرفت عن الثناء عليك الى الدعاء لك ووكلت الاخبار عنك الى علم الناس بك *وقال الحرث بن ربيعة فى رجل من آل المهلب

فتى دهره شطران فيما ينوبه * ففى بأسه شطر وفى جوده شطر
فلا من بغاث الخير فى عينه قذى * ولا من زئير الحرب فى أذنه وقر

وقال اعرابى لرجل لا يذم بلد أنت تأويه ولا يشتكى زمان أنت فيه *وكان الحجاج يستثقل زياد بن عمر العتكى فلما قدم على عبد الملك بن مروان قال يا أمير المؤمنين ان الحجاج سيفك الذى لا ينبو وسهمك الذى لا يطيش وخادمك الذى لا تأخذه فيك لومة لائم فلم يكن بعد ذلك على قلب الحجاج أخف منه وقال رجل لآخر أنت بستان الدنيا فقال له وأنت النهر الذى يسقى منه ذلك البستان وقال رجل لابى عمر الزاهد صاحب كتاب الياقوتة فى اللغة أنت والله عين الدنيا فقال له وأنت والله نور تلك العين وقال القاسم بن أمية بن أبى الصلت الثقفى

قوم اذا نزل الغريب بدارهم * تركوه رب صواهل وقيان
واذا دعوتهم ليوم كريهة * سدوا شعاع الشمس بالفرسان

(وقال أوس بن حاتم الطائى)

فان تتكحى مارية الخير حاتما * فما مثله فينا ولا فى الاعاجم
فتى لا يزال الدهر أكبر همه * فكاك أسير أو معونة غارم

(وقال ابن حمدون فى آل المهلب)

آل المهلب معشر أمجاد * ورثوا المكارم والوفاء فسادوا * شاد المهلب ما بنى آباؤه
وأتى بنوه ما بناه فشادوا * وكذاك من طابت مغارس نبته * وبنى له الآباء والاجداد

وكان الفرزدق هجاء لعمر بن هبيرة فلما سجن ونقب له السجن وسار هو وبنوه تحت الارض قال الفرزدق

ولما رأيت الارض قد سد ظهرها * ولم يبق الا بطنها لك مخرجا
دعوت الذى ناداه يونس بعدما * ثوى فى ثلاث مظلمات ففرجا

فقال ابن هبيرة ما رأيت أشرف من الفرزدق هجانى أميرا ومدحنى أسيرا وقال مرى بن عبد الرحمن الرفاء فى خالد بن حاتم

ياواحد العرب الذى دانت له * قحطان قاطبة وساد نزارا
انى لأرجو ان لقيتك سالما * أن لا أعالج بعدك الأسفارا

(وقال كعب بن مالك الانصارى فى آل هاشم)

يا آل هاشم الاله حباكم * ماليس يبلغه اللسان المفضل
قوم لأصلهم السيادة كلها * قدما وفرعهم النبي المرسل

(وقال الحسين بن دعبل الخزاعى)

ملك الامور بجوده وحسامه * شرفا يقود عدوه بزمامه
فأطاع أمر الجود فى امواله * وأطاع أمر الله فى أحكامه

(وقال آخر)

يلقى السيوف بصدره وبنحره * ويقيم هامته مقام المغفر
ويقول للطرف اصطبر لسنى القنا * فعقرت ركن المجد ان لم تعقر
واذا تراءى شخص ضيف مقبل * متسربل أثواب محل أغبر
أومى الى الكوماء هذا طارق * نحرتنى الاعداء ان لم تنحر

(وقال شاعر بنى تميم)

اذا لبسوا عمائمهم طووها * على كرم وان سفروا أناروا
يبيع ويشترى لهم سواهم * ولكن بالطعان هم تجار
اذا ما كنت جار بنى تميم * فأنت لأكرم الثقلين جار

وقالت امرأة من بنى نمير وقد حضرتها الوفاة وأهلها مجتمعون من ذا الذى يقول

لعمرى ما رماح بنى نمير * بطائشة الصدور ولا قصار

قالوا زياد الأعجم قالت أشهدكم أن له الثلث من مالى وكان مالا كثيرا وأثنى رجل على رجل فقال هو أفصح أهل زمانه اذا حدث وأحسنهم استماعا اذا حدث وأمسكهم عن الملاحاة اذا خولف يعطى صديقه النافلة ولا يسأله الفريضة له نفس عن الفحشاء محصورة وعلى المعالى مقصورة كالذهب الابريز الذى يعز كل أوان والشمس المنيرة التى لا تخفى بكل مكان هو النجم المضىء للحيران والمنهل البارد العذب للعطشان وقال الحسن ابن هانئ

اذا نحن أثنينا عليك بصالح * فأنت كما نثنى وفوق الذى نثنى
وان جرت الالفاظ يوما بمدحة * لغيرك انسانا فأنت الذى نعنى

(وله فى الفضل بن الربيع)

لقد نزلت أبا العباس منزلة * ما ان ترى خلفها الابصار مطرحا

والسيف ثم أردفنى خلفه وقد عرف أنى الذى شربت اللبن عنده وأكلت اللحم فقال كيف ظنك بى فقلت أحسن ظن فقال أبشر انه لن ينالك شر وقد كنت ضيف مهلهل فقلت أزيد الخيل أنت قال نعم أنا زيد الخيل فلما انتهينا الى منزله قال لو كانت هذه الابل لى لسلمتها اليك ولكنها لابنة مهلهل فأقم عندى فأقمت عنده أياما فشن الغارة على بنى نمير فأصاب مائة بعير فقال هذه أحب اليك أم تلك قلت هذه قال دونكها وبعث معى خفراء من ماء الى ماء الى ان وردت الحيرة فلقينى نبطى فقال يا أعرابى احتفظ بابلك فقد قرب مخرج النبي صلى الله عليه وسلم الذى يملك هذه الارض ويطرد أهلها حتى ان أحدكم ليبتاع البستان بثمن بعير قال فاحتملت بأهلى الى النبط حتى جاءنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلمنا على يديه وما مضت الأيام حتى اشتريت بثمن بعير من ابلى بستانا بالحيرة والله أعلم (ونقل عن الواقدى) قال كان لى صديقان أحدهما هاشمى والآخر نبطى فكنا فى الصداقة كنفس واحدة فنالتنى ضيقة شديدة وحضر العيد فقالت امرأتى أما نحن فنصبر على البؤس والشدة وأما صبياننا هؤلاء فقد تقطع قلبى عليهم رحمة لانهم يرون صبيان جيراننا وقد تزينوا فى عيدهم وهم فرحون ولا بأس بالاحتيال فيما نصرفه فى كسوتهم قال فكتبت الى صديقى الهاشمى أسأله التوسعة على بشئ فوجه الى كيسا فيه ألف درهم فما استقر قراره حتى كتب الى صديقى الآخر يشكو الىّ مثل ما شكوته الى الهاشمى فوجهت اليه بالكيس على حاله وخرجت الى المسجد وأنا مستح من امرأتى فلما دخلت عليها لم تعنفنى لعلمها بالحال فبينما أنا كذلك اذ أقبل صديقى الهاشمى ومعه الكيس بختمه فقال أصدقنى عما فعلته فيما وجهت به اليك فأعلمته بالخبر فقال انك وجهت الى ولا أملك الا ما بعثت به اليك وكتبت الى صديقنا أسأله المواساة فوجه الى كيسى بختمه فأخرجنا للمرأة مائة درهم وتقاسمنا الباقى أثلاثا وبلغ الخبر الى المأمون فأحضرنى وسألنى عن الخبر فشرحته له فأمر لنا بسبعة آلاف وكانت دينارا منها ألف للمرأة وألفان لكل واحد منا (ويضارع ذلك ما هو منقول عن الاصمعى) قال قصدت فى بعض الايام رجلا كنت أغشاه لكرمه فوجدت على بابه بوابا فمنعنى من الدخول اليه ثم قال والله يا أصمعى ما أوقفنى على بابه لامنع مثلك الا رقة حاله وقصور يده فكتبت رقعة فيها

اذا كان الكريم له حجاب * فما فضل الكريم على اللئيم

ثم قلت له أوصل رقعتى اليه ففعل وعاد بالرقعة وقد وقع على ظهرها

اذا كان الكريم قليل مال * تحجب بالحجاب عن الغريم

ومع الرقعة صرة فيها خمسمائة دينار فقلت والله لأتحفن المأمون بهذا الخبر فلما رآنى قال من أين يا أصمعى قلت من عند رجل من أكرم الاحياء حاشى أمير المؤمنين قال ومن هو فدفعت اليه الورقة والصرة وأعدت عليه الخبر فلما رأى الصرة قال هذا من بيت مالى ولا بد لى من الرجل فقلت والله يا أمير المؤمنين انى أستحى أن أروعه برسلك فقال لبعض خاصته امض مع الاصمعى فاذا أراك الرجل قل له أجب أمير المؤمنين من غير ازعاج قال فلما حضر الرجل بين يدى المأمون قال له أما أنت الذى وقفت لنا بالامس

وكان بالدهر عنا غير غافلة * بجود كفك تأسو كل ما جرحا

(وقال زياد الاعجم فى محمد بن القاسم الثقفى)

ان المنابر أصبحت مختالة * بمحمد بن القاسم بن محمد

قاد الجيوش لسبع عشرة حجة * ياقرب سورة سودد من مولد

(ومن بدائع مدائح المتنبى قوله)

ليت المدائح تستوفى مناقبه * فما كليب وأهل الاعصر الاول

خذ ما تراه ودع شيأ سمعت به * فى طلعة البدر ما يغنيك عن زحل

وقد وجدت مكان القول ذا سعة * فان وجدت لسانا قائلا فقل

ومدح أبو العتاهية عمرو بن العلاء فأعطاه سبعين ألفا وخلع عليه خلعا سنية حتى انه لم يستطع أن يقوم فغار الشعراء منه فجمعهم وقال يا لله العجب ما أشد حسد بعضكم لبعض ان أحدكم يأتينا يمدحنا فيتغزل فى قصيدته بخمسين بيتا فما يبلغنا حتى يذهب رونق شعره وقد تشبب أبو العتاهية بأبيات يسيرة ثم قال

انى أمنت من الزمان وصرفه * لما علقت من الامير حبالا

لو يستطيع الناس من اجلاله * جعلوا له حر الوجوه نعالا

ان المطايا تشتكيك لانها * قطعت اليك سباسبا ورمالا

فاذا وردن بنا وردن خفائفا * واذا صدرن بنا صدرن ثقالا

ووفد أبو نواس على الخصيب بمصر فأذن له وعنده الشعراء فأنشد الشعراء أشعارهم فلما فرغوا قال أبو نواس أنشد أيها الامير قصيدة هى كعصا موسى تلقف ما صنعوا قال أنشد فأنشده قصيدته التى منها قوله

اذا لم تزر أرض الخصيب ركابنا * فأى فتى بعد الخصيب تزور

فتى يشترى حسن الثناء بماله * ويعلم ان الدائرات تدور

فما فاته جود ولا حل دونه * ولكن يسير الجود حيث يسير

فاهتز الخصيب طربا وأمر له بألف دينار ووصيف ووصيفة (وحكى) ان أبا دلف سار يوما مع أخيه معقل فرأيا امرأتين يتماشيان فقالت احداهما للأخرى هذا أبو دلف قالت نعم الذى يقول فيه الشاعر

انما الدنيا أبو دلف * بين باديه ومحتضره

فاذا ولى أبو دلف * ولت الدنيا على أثره

فبكى أبو دلف حتى جرت دموعه فقال له معقل مالك يا أخى تبكى فقال لانى لم أقض حق الذى قال هذا قال أولم تعطه مائة ألف درهم قال والله ما فى نفسى حسرة الا لكونى لم أعطه مائة ألف دينار ويقال هذه المدحة فاين المنحة قال بعضهم

اذا ما المدح صار بلا نوال * من الممدوح كان هو الهجاء

وامتدح محمد بن سلطان المعروف بابن حيوش محمد بن نصر صاحب حلب فأجازه بألف دينار ثم مات محمد بن نصر وقام ولده نصر مقامه فقصده محمد بن سلطان بقصيدة مدحه بها منها

وشكوت رقة الحال فان الزمان قد أناخ عليك بكلكله فدفعنا اليك هذه الصرة لتصلح بها حالك فقصدك الا صفعى ببيت واحد فدفعتها اليه فقال نعم يا أمير المؤمنين والله ما كذبت فيما شكوت لامير المؤمنين من رقة الحال لكن استحييت من الله تعالى أن أعيد قاصدى الا كما عادنى أمير المؤمنين فقال له المأمون لله أنت فما ولدت العرب أكرم منك ثم بالغ فى اكرامه وجعله من جملة ندمائه ﴿ومن لطائف المنقول﴾ ما هو منقول عن الربيع انه قال ما رأيت رجلا أثبت ولا أربط جاشا من رجل رفع الى المنصور ان عنده ودائع وأموالا لبنى أمية فأمرنى باحضاره فأحضرته ودخلت به اليه فقال له المنصور قد رفع الينا خبر الودائع والاموال التى لبنى أمية عندك فأخرج لنا منها فقال يا أمير المؤمنين أوارث أنت لبنى أمية قال لا قال فوصى قال لا قال فما سؤالك عما فى يدى من ذلك قال فأطرق المنصور ساعة ثم رفع رأسه وقال ان بنى أمية ظلموا المسلمين فيها وأنا وكيل المسلمين فى حقهم فأريد أن آخذ أموال المسلمين وأجعلها فى بيت مالهم فقال يا أمير المؤمنين تحتاج فى ذلك الى اقامة البينة العادلة على ان الذى فى يدى لبنى أمية مما خانوه وظلموه واغتصبوه من أموال المسلمين فان بنى أمية كان لهم أموال غير أموال المسلمين قال فأطرق المنصور ساعة ثم رفع رأسه الى وقال صدق الرجل يا ربيع ما وجب عليه عندنا شئ ثم بش فى وجهه فقال هل لك من حاجة فقال نعم يا أمير المؤمنين حاجتى أن تنفذ كتابى مع البريد الى أهلى ليسكنوا الى سلامتى فقد راعهم اشخاصى وقد بقيت لى حاجة أخرى يا أمير المؤمنين قال ما هى قال تجمع بينى وبين من سعى بى اليك فوالله ما لبنى أمية عندى ولا فى يدى وديعة ولكننى لما مثلت بين يديك وسألتنى رأيت ما قلته أقرب الى الخلاص والنجاة فقال يا ربيع اجمع بينه وبين من سعى به فجمعت بينهما فقال هذا غلامى ضرب على ثلاثة آلاف من مالى وأبق فشدد المنصور على الغلام فأقر انه غلامه وانه أخذ المال الذى ذكره وأبق منه وكذب عليه خوفا من الوقوع فى يده فقال المنصور للرجل نسألك أن تصفح عنه فقال يا أمير المؤمنين صفحت عن جرمه وأبرأته من المال وأعطيته ثلاثة آلاف دينار أخرى فقال المنصور ما على ما فعلت مزيد فى الكرم قال بلى يا أمير المؤمنين هذا أحق كلامك وانصرف وكان المنصور يتعجب منه كلما ذكره ويقول ما رأيت مثل هذا الرجل يا ربيع ﴿رحلة الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه﴾ قال الشيخ الامام العالم المقرى أبو القاسم عبد العزيز بن يوسف الأردبيلى المالكى بالجامع العتيق بمصر فى سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة أخبرنا الشيخ أبو محمد عبد الله بن فتح المعروف بابن الحبشى سنة ثلاثين وخمسمائة أخبرنا الشريف القاضى الموسوى أبو اسمعيل موسى بن الحسين ابن اسمعيل بن على الحسينى المقرى فى سنة أربع وثمانين وأربعمائة بالجامع العتيق بمصر قال أخبرنا الشيخ أبو العباس أحمد بن ابراهيم الفارسى فى ربيع الأول سنة احدى وخمسين وأربعمائة قال أخبرنا يحيى بن عبد الله الرجل الصالح ويحيى بن موسى المعدل بمصر قال حدثنا أبو الحسن أحمد بن محمد الواعظ المصرى الكرازة قال حدثنى أبو الفرج عبد الرزاق حمدان البطين قال حدثنى أبو بكر محمد بن المثنى قال حدثنى الربيع

ابن سليمان قال سمعت الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه يقول خارقت مكة وأنا ابن أربع عشرة سنة لانبات بعارضي من الأبطح الى ذى طوى وعلى بردتان يمانيتان فرأيت ركبا فسلمت عليهم فردوا على السلام ووثب الى شيخ كان فيهم قال سألتك بالله الا ما حضرت طعامنا قال الشافعي رضي الله تعالى عنه وما كنت أعلم انهم أحضروا طعاما فأجبت مسرعا غير محتشم فرأيت القوم يأخذون الطعام بالخمس و يدفعون بالراحة فأخذت كأخذهم كي لا يستبشع عليهم مأ كلي والشيخ ينظر الى ثم أخذت السقاء فشربت وحمدت الله وأثنيت عليه فأقبل على الشيخ وقال أمكي أنت قلت مكي قال أقرشي أنت قلت قرشي ثم أقبلت عليه وقلت يا عم بم استدللت على قال أما في الحضر فبالزى وأما في النسب فبأ كل الطعام لانه من أحب أن يأ كل طعام الناس أحب أن يأ كلوا طعامه وذلك في قريش خصوصا قال الشافعي رضي الله تعالى عنه فقلت للشيخ من أين أنت قال من يثرب مدينة (١٩٠) النبي صلى الله عليه وسلم فقلت له من العالم بها والمتكلم في نص كتاب الله تعالى والمفتي بأخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سيد بني أصبح مالك بن أنس رضي الله تعالى عنه قال الشافعي رضي الله عنه فقلت واشوقاه الى مالك فقال لى قد بل الله شوقك انظر الى هذا البعير الأورق فانه أحسن جمالنا ونحن على رحيل ولك منا حسن الصحبة حتى تصل الى مالك فما كان غير بعيد حتى قطروا بعضها الى بعض وأركبوني البعير الأورق وأخذ القوم في السير وأخذت أنا في الدرس فختمت من مكة الى المدينة ست عشرة ختمة بالليل ختمة و بالنهار ختمة ودخلت المدينة في اليوم الثامن بعد صلاة العصر فصليت العصر في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ودنوت من القبر فسلمت على النبي صلى الله عليه وسلم ولذت بقبره فرأيت مالك بن أنس متزرا ببردة متوشحا بأخرى قال حدثني نافع عن ابن عمر عن صاحب هذا القبر وضرب بيده الى قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الشافعي رضي الله عنه فلما رأيت ذلك هبته مهابة عظيمة وجلست حيث انتهى بي المجلس فأخذت عودا من الأرض فجعلت كلما أملى مالك حديثا كتبته بريقي على يدي والامام مالك رضي الله عنه ينظر الى من حيث لا أعلم حتى انقضى المجلس وانتظرني مالك أن أنصرف فلم يرني انصرفت فأشار الى فدنوت منه فنظر الى ساعة ثم قال أحرمي أنت قلت حرمي قال أمكي أنت قلت مكي قال أقرشي أنت قلت قرشي قال كملت أوصافك لكن فيك اساءة أدب قلت وما الذي رأيت من سوء أدبي قال رأيتك وأنا أملى ألفاظ الرسول عليه الصلاة والسلام تلعب بريقك على يدك فقلت له عدمت البياض فكنت أكتب ما تقول فجذب مالك يدي اليه فقال ما أرى عليها شيأ فقلت ان الريق لا يثبت على اليد ولكن فهمت جميع ما حدثت به منذ جلست وحفظته الى حين قطعت فتعجب الامام مالك من ذلك فقال أعد على ولو حديثا واحدا (قال الشافعي رضي الله عنه) فقلت حدثنا مالك عن نافع عن ابن عمر وأشرت بيدي الى القبر كاشارته حتى أعدت عليه خمسة وعشرين حديثا حدث بها من حين جلس الى وقت قطع المجلس وسقط القرص فصلى

تباعدت عنكم حرمة لا زهادة * وسرت اليكم حين مسنى الضر
فجاء أبو نصر بالف تصرمت * وانى عليم أن سيخلفها نصر

فلما فرغ من انشادها قال نصر والله لو قال سيضعفها نصر لاضعفتها له وأعطاه ألف دينار في طبق فضة ومدح بعض الشعراء وقيل هو البديع الهمداني انسانا فقال

يكاد يحكيه صوب الغيث منسكبا * لو كان طلق المحيا يمطر الذهبا
والدهر لو لم يخن والشمس لو نطقت * والليث لو لم يصد والبحر لو عذبا

(وقال آخر) أخو كرم يقضي الورى من بساطه * الى روض مجد بالسماح مجود
وكم لجباه الراغبين لديه من * مجال سجود في مجالس جود

و يقال فلان رفيق الجود ودخيله و زميل الكرم ونزيله وغرة الدهر وتحجيله مواهبه الانواء وصدره الدهناء عونه موقوف على اللهيف وغوثه مبذول للضعيف يطفو جوده على موجوده وهمته على قدرته ينابيع الجود تتفجر من أنامله و ربيع السماح يضحك عن فواضله ان طلبت كريما في جوده مت قبل وجوده أو ماجدا في أخلاقه مت ولم تلاقه باسل تعود الاقدام حيث تزل الأقدام وشجاع يرى الاحجام عار الاعجوه الايام له خلق لو مازج البحر لنفى ملوحته وصفى كدورته خلق كنسيم الاسحار على صفحات الانهار أطيب من زمن الورد في الايام وأبهج من نور البدر في الظلام خلق يجمع الاهواء المتفرقة على محبته ويؤلف الآراء المشتتة في مودته هو ملح الارض اذا فسدت وعمارة الدنيا اذا خربت يحل دقائق الاشكال ويزيل جلائل الاشكال البيان أصغر صفاته والبلاغة عنوان خطراته كانما أوحى التوفيق الى صدره وحبس الصواب بين طبعه وفكره فهو يبعث بالكلام ويقوده بالين زمام حتى كأن الالفاظ تتحاسد في التسابق الى خواطره والمعاني تتغاير في الامتثال لاوامره يوجز فلا يخل ويطنب فلا يمل كلامه يشتد مرة حتى تقول الصخر أو أيبس و يلين تارة حتى تقول الماء أو أسلس فهو اذا انشا وشى واذا عبر حبر واذا أوجز أعجز تاهت به الايام و باهت في عينه الاقلام له أدب لو تصور شخصا لكان بالقلوب مختصا قال الشاعر

له خلق على الأيام يصفو * كما تصفو على الزمن العقار

(وقال آخر) لو كان يحوى الروض ناضر خلقه * ما كان يذبل نوره بشتائه
أو قابل الافلاك طالع سعده * ما صار نحس في نجوم سمائه

(وقال آخر) ووجهك بدر في الغياهب مشرق * وكفك في شهب السنين غمام
عجيب لبدر لا يزال أمامه * سحاب ولا يغشاه منه ظلام
وأعجب من هذا غمام اذا سطا * تلظى مكان البرق منه حسام

(وقال

مالك المغرب وأقبل على عبده وقال خذ بيد سيدك اليك وسألنى النهوض معه (قال الشافعى رحمه الله) فقمت غير ممتنع الى ما دعا من كرمه فلما أتيت الدار أدخلنى الغلام الى خلوة فى الدار وقال لى القبلة فى البيت هكذا وهذا اناء فيه ماء وهذا بيت الخلاء (قال الشافعى رضى الله عنه) فما لبث مالك رضى الله عنه حتى أقبل هو والغلام حامل طبقا فوضعه من يده وسلم الامام على ثم قال للعبد اغسل علينا ثم وثب الغلام الى الاناء وأراد أن يغسل على أولا فصاح عليه مالك وقال الغسل فى أول الطعام لرب البيت وفى آخر الطعام للضيف (قال الشافعى رضى الله عنه) فاستحسنت ذلك من الامام مالك رضى الله عنه وسألته عن شرحه فقال انه يدعو الناس الى كرمه فحكمه أن يبتدئ بالغسل وفى آخر الطعام ينتظر من يدخل فيأكل معه (قال الشافعى رضى الله عنه) فكشف الامام رضى الله عنه الطبق فكان فيه صحفتان فى احداهما لبن والأخرى تمر فسمى الله تعالى وسميت فاتيت أنا ومالك على جميع الطعام وعلم مالك أنا لم نأخذ من الطعام الكفاية فقال لى يا أبا عبد الله هذا جهد من مقل الى فقير معدم فقلت لا عذر على من أحسن انما العذر على من أساء (قال الشافعى رضى الله عنه) فأقبل مالك يسألنى عن أهل مكة حتى دنت العشاء الآخرة ثم قام عنى وقال حكم المسافر أن يقل تعبه بالاضطجاع فنمت ليلتى فلما كان فى الثلث الأخير من الليل قرع على مالك الباب فقال لى الصلاة يرحمك الله فرأيته حامل اناء فيه ماء فتبشع على ذلك فقال لى لا يرعك ما رأيته فخدمة الضيف فرض (قال الشافعى رضى الله عنه) فتجهزت للصلاة وصليت الفجر مع الامام مالك فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس لا يعرف بعضهم بعضا من شدة الغلس وجلس كل واحد منا فى مصلاه يسبح الله تعالى الى أن طلعت الشمس على رؤس الجبال فجلس مالك فى مجلسه بالأمس وناولنى الموطأ أمليه وأقرؤه على الناس وهم يكتبونه (قال الشافعى رضى الله عنه) فأتيت على حفظه من أوله الى آخره وأقمت ضيف مالك ثمانية أشهر فما علم أحد من الأنس الذى كان بيننا أينا الضيف ثم قدم على مالك المصريون بعد قضاء حجهم للزيارة واستماع الموطأ (قال الشافعى) فأمليت عليهم حفظا منهم عبد الله بن عبد الحكم وأشهب وابن القاسم قال الربيع وأحسب انه ذكر الليث بن سعد ثم قدم بعد ذلك أهل العراق لزيارة النبى صلى الله عليه وسلم (قال الشافعى رضى الله عنه) فرأيت بين القبر والمنبر فتى جميل الوجه نظيف الثوب حسن الصلاة فتوسمت فيه خيرا فسألته عن اسمه فأخبرنى وسألته عن بلده فقال العراق فقلت أى العراق فقال لى الكوفة فقلت من العالم بها والمتكلم فى نص الكتاب والمفتى باخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لى أبو يوسف ومحمد بن الحسن صاحبا أبى حنيفة رضى الله عنه (قال الشافعى رضى الله عنه) فقلت ومتى عزمتم تظعنون فقال لى فى غداة غد وقت الفجر فعدت الى مالك فقلت له خرجت من مكة فى طلب العلم بغير استئذان العجوز أفأعود اليها أو أرحل فى طلب العلم فقال لى العلم فائدة يرجع منها الى فائدة ألم تعلم أن الملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم رضاء بما يطلبه

﴿ وقال الحسين بن مطير الأسدى ﴾

له يوم بؤس فيه للناس أبؤس * ويوم نعيم فيه للناس أنعم * فيمطر يوم الجود من كفه الندى
ويمطر يوم البؤس من كفه الدم * فلو أن يوم البؤس خلى عقابه * على الناس لم يصبح على الأرض مجرم
ولو أن يوم الجود خلى يمينه * عن المال لم يصبح على الأرض معدم

﴿ وللشيخ جمال الدين بن نباتة ﴾

والله ما عجبى لقدرك انه * قدر على باغى مداه بعيد
الا لكونك لست تشكو وحشة * فى هذه الدنيا وأنت وحيد

(ولصفى الدين الحلى)
انى فتنتنى صفاتك مظهرا * عيا وكم أعيت صفاتك خاطبا
لو أننى والخلق جمعا ألسن * نثنى عليك لما قضينا الواجبا

﴿ وللشيخ برهان الدين القيراطى ﴾

اوصافكم تجرى أحاديثها * مجرى النجوم الزهر فى الأفق
كأحاديث الندى عنكم * تسندها الركبان من طرق

﴿ وللشيخ جمال الدين بن نباتة ﴾

روت عنك أخبار المعالى محاسنا * كفت بلسان الحال عن ألسن الحمد
فوجهك عن بشر وكفك عن عطا * وخلقك عن سهل ورأيك عن سعد

(وقال غيره)
من زار بابك لم تبرح جوارحه * تروى أحاديث ما أوليت من منن
فالعين عن قرة والكف عن صلة * والقلب عن جابر والسمع عن حسن

﴿ ولأبى فراس بن حمدان ﴾

لئن خلق الأنام لحب كأس * ومزمار وطنبور وعود
فلم يخلق بنو حمدان الا * لمجد أو لبأس أو لجود

(وقال آخر)
ان الهبات التى جاد الكرام بها * مطروقة وندى كفيك مبتكر
مازلت تسبق حتى قال حاسدكم * له طريق الى العلياء مختصر

﴿ ولمحمد بن مناذر فى آل برمك ﴾

أتانا بنو الأملاك من آل برمك * فيا طيب أخبار وأحسن منظر * لهم رحلة فى كل عام الى العدا
وأخرى الى البيت العتيق المنور * اذا نزلوا بطحاء مكة أشرقت * بيحيى وبالفضل بن يحيى وجعفر
فما خلقت الا لجود أكفهم * وأقدامهم الا لسعى مظفر

(قال الشافعي رضي الله عنه) فلما أزمعت على السفر زودني الامام مالك رضي الله عنه فلما كان في السحر سار معي مشيعا الى البقيع ثم صاح بعلو صوته من يكري راحلته الى الكوفة فأقبلت عليه وقلت بم تكتري وليس معك ولا معي شيء فقال لي انصرفت البارحة بعد صلاة العشاء الآخرة اذ قرع على قارع الباب فخرجت اليه فأصبت ابن القاسم فسألني قبول هديته فقبلتها فدفع لي صرة فيها مائة دينار وقد أتيتك بنصفها وجعلت النصف لعيالي فاكترى لي بأربعة دنانير ودفع الي باقي الدنانير وودعني وانصرف وسرت في جملة الحاج حتى وصلت الى الكوفة يوم رابع عشرين من المدينة فدخلت المسجد بعد صلاة العصر وصليت العصر فبينما أنا كذلك اذ رأيت غلاما قد دخل المسجد وصلى العصر فما أحسن الصلاة فقمت اليه ناصحا فقلت له أحسن صلاتك لئلا يعذب الله هذا الوجه الجميل بالنار فقال لي أنا أظن انك من أهل الحجاز لان فيكم الغلظة والجفاء وليس فيكم رقة أهل العراق وأنا (١٩٢) أصلي هذه الصلاة خمس عشرة سنة بين يدي محمد بن الحسن وأبي يوسف فما عابا على صلاتي قط وخرج مجبا ينفض رداءه في وجهي فلقي للتوفيق محمد بن الحسن وأبا يوسف بباب المسجد فقال أعلمتما في صلاتي من عيب فقالا اللهم لا قال ففي مسجدنا هذا من عاب صلاتي فقالا اذهب اليه فقل له بم تدخل في الصلاة (قال الشافعي رضي الله عنه) فقال لي يا من عاب صلاتي بم تدخل في الصلاة فقلت بفرضين وسنة فعاد اليهما وأعلمهما بالجواب فعلما أنه جواب من نظر في العلم فقالا اذهب اليه فقل له ما الفرضان وما السنة فأتى الي فقال ما الفرضان وما السنة فقلت له أما الفرض الاول فالنية والثاني تكبيرة الاحرام والسنة رفع اليدين فعاد اليهما فأعلمهما بذلك فدخلا الى المسجد فلما نظرا الى أظنهما ازدرياني فجلسا ناحية وقالا اذهب اليه وقل له أجب الشيخين (قال الشافعي رحمه الله تعالى) فلما أتاني علمت اني مسؤل عن شيء من العلم فقلت من حكم العلم أن يؤتى اليه وما علمت لي اليهما حاجة قال الشافعي رضي الله عنه فقاما من مجلسهما الي فلما سلما على قمت اليهما وأظهرت البشاشة لهما وجلست بين أيديهما فاقبل على محمد بن الحسن وقال أحرمي أنت فقلت نعم فقال اعربي أم مولى فقلت عربي فقال من أي العرب فقلت من ولد المطلب قال من ولد من قلت من ولد شافع قال رأيت مالكا قلت من عنده أتيت قال لي نظرت في الموطأ قلت أتيت على حفظه فعظم ذلك عليه ودعا بدواة وبياض وكتب مسئلة في الطهارة ومسئلة في الزكاة ومسئلة في البيوع والفرائض والرهان والحج والايلاء ومن كل باب في الفقه مسئلة وجعل بين كل مسئلتين بياضا ودفع الي الدرج وقال أجب عن هذه المسائل كلها من الموطأ (قال الشافعي رضي الله عنه) فاجبت بنص كتاب الله وبسنة نبيه عليه الصلاة والسلام واجماع المسلمين في المسائل كلها ثم دفعت اليه الدرج فتأمله ونظر فيه ثم قال لعبده خذ سيدك اليك (قال الشافعي رضي الله تعالى عنه) ثم سألني النهوض مع العبد فنهضت غير ممتنع فلما صرت الى الباب قال لي العبد ان

اذا رام يحيي الأمر ذات صعابه * وناهيك من راع له ومدبر

ولما عزل ابراهيم بن المنذر عن صدقات البصرة تلقاه مجنون وأنشد

ليت شعري أي قوم أجدبوا * فاغيثوا بك من بعد العجف * نظر الله لهم من بيننا
وحرمناك بذنب قد سلف * يا أبا اسحق سر في دعة * وامض مصحوبا فما منك خلف
انما أنت ربيع باكر * حيثما صرفه الله انصرف

(وقال آخر) لو كان يقعد فوق الشمس من كرم * قوم لقيل اقعدوا يا آل عباس
ثم ارتقوا في شعاع الشمس وارتفعوا * الى السماء فأنتم سادة الناس

وللحسين بن مطير الأسدي في المهدي

لو يعبد الناس يا مهدي أفضلهم * ما كان في الناس الا أنت معبود * اضحت يمينك من جود مصورة
لا بل يمينك منها صور الجود * لو أن من نوره مثقال خردلة * في السود طرا اذن لابيضت السود

(وقال آخر) أوليتني نعما وفضلا زائدا * وبررتني حتى رأيتك والدا
أقسمت لو جاز السجود لمنعم * ما كنت الا را كعا لك ساجدا

(وقال آخر) تناولك في الدنيا من المسك أعطر * وحظك في الدنيا جزيل موفر
وكفك بحر والأنامل أنهر * رعى الله كفا فيه بحر وأنهر * أعيذك بالرحمن من كل حاسد
فلا زالت الحساد تعمى وتصغر * لساني قصير في مديحك سيدي * لاني فقير والفقير مقصر

الفصل الثاني من هذا الباب في شكر النعمة أما الشكر الواجب على جميع الخلائق فشكر القلب وهو أن يعلم العبد أن النعمة من الله عز وجل وأن لا نعمة على الخلق من أهل السموات والأرض إلا وبدايتها من الله تعالى حتى يكون الشكر لله عن نفسك وعن غيرك والدليل على أن الشكر محله القلب وهو المعرفة قوله تعالى وما بكم من نعمة فمن الله أي أيقنوا أنها من الله وقيل الشكر معرفة العجز عن الشكر وقد روي أن داود عليه السلام قال الهي كيف أشكرك وشكري لك نعمة من عندك فأوحى الله تعالى اليه الآن قد شكرتني وفي هذا يقال الشكر على الشكر أتم الشكر *ولمحمود الوراق

اذا كان شكري نعمة الله نعمة * علي له في مثلها يجب الشكر * فكيف بلوغ الشكر الا بفضله
وان طالت الايام واتصل العمر * اذا مس بالسراء عم سرورها * وان مس بالضراء أعقبها الأجر
فما منهما الا له فيه نعمة * تضيق بها الأوهام والسر والجهر

وفي مناجاة موسى عليه السلام الهي خلقت آدم بيدك وفعلت وفعلت فكيف شكرك فقال علم ان ذلك مني فكانت معرفته بذلك شكره لي *وأما شكر اللسان فقد قال الله تعالى فيه وأما بنعمة ربك فحدث ويروى

عن النعمان بن بشير رضي الله عنه أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله والتحدث بالنعم شكر وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه تذكروا النعم فان ذكرها شكر * وأما الشكر الذي على الجوارح فقد قال الله تعالى اعملوا آل داود شكرا الآية فجعل العمل شكرا وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم قام حتى تورمت قدماه فقيل له يا رسول الله أتفعل هذا بنفسك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال أفلا أكون عبدا شكورا وقال أبو هرون دخلت على أبي حازم فقلت له يرحمك الله ما شكر العينين قال اذا رأيت بهما خيرا ذكرته واذا رأيت بهما شرا سترته قلت فما شكر الاذنين قال اذا سمعت بهما خيرا حفظته واذا سمعت بهما شرا نسيته وفي حكمة ادريس عليه الصلاة والسلام لن يستطيع أحد أن يشكر الله على نعمه بمثل الانعام على خلقه ليكون صانعا الى الخلق مثل ما صنع الخالق اليه فاذا أردت أن تحرس دوام النعمة من الله تعالى عليك فأدم مواساة الفقراء وقد وعد الله تعالى عباده بالزيادة على الشكر فقال تعالى لئن شكرتم لأزيدنكم وقد جعل لعباده علامة يعرف بها الشاكر فمن لم يظهر عليه المزيد علمنا أنه لم يشكر فاذا رأينا الغني يشكر الله تعالى بلسانه وماله في نقصان علمنا أنه قد أخل بالشكر اما أنه لا يزكي ماله أو يزكيه لغير أهله أو يؤخره عن وقته أو يمنع حقا واجبا عليه من كسوة عريان أو اطعام جائع أو شبه ذلك فيدخل في قول النبي صلى الله عليه وسلم لو صدق السائل ما أفلح من رده قال الله تعالى ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم واذا غيروا ما بهم من الطاعات غير الله ما بهم من الاحسان وقال بعض الحكماء من أعطى أربعا لم يمنع من أربع من أعطى الشكر لم يمنع المزيد ومن أعطى التوبة لم يمنع القبول ومن أعطى الاستخارة لم يمنع الخيرة ومن أعطى المشورة لم يمنع الصواب وقال المغيرة بن شعبة اشكر من أنعم عليك وأنعم على من شكرك فانه لا بقاء للنعم اذا كفرت ولا زوال لها اذا شكرت وكان الحسن يقول ابن آدم متى تنفك من شكر النعمة وأنت مرتهن بها كلما شكرت نعمة تجدد لك بالشكر أعظم منها عليك فأنت لا تنفك بالشكر من نعمة الا الى ما هو أعظم منها وروى أن عثمان بن عفان رضي الله عنه دعى الى أقوام ليأخذهم على ريبة فافترقوا قبل أن يأخذهم عثمان فاعتق رقبة شكر الله تعالى اذ لم يجر على يديه فضيحة مسلم ويروى أن نملة قالت لسليمان بن داود عليهما السلام يا نبي الله أنا على قدري أشكر لله منك وكان راكبا على فرس ذلول فخر ساجدا لله تعالى ثم قال لولا أني أبجلك لسألتك عن أن تنزع مني ما أعطيتني وقال صدقة ابن يسار بينما داود عليه السلام في محرابه اذ مرت به دودة فتفكر في خلقها وقال ما يعبأ الله بخلق هذه فأنطقها الله تعالى له فقالت يا داود تعجبك نفسك وأنا على قدر ما آتاني الله تعالى أذكر لله وأشكر له منك على ما آتاك وقال على رضي الله عنه احذروا نفار النعم فما كل شارد مردود وعنه عليه السلام اذا وصلت اليكم أطراف النعم فلا تنفروا اقصاها بقلة الشكر وقيل اذا قصرت يدك عن المكافأة فليطل لسانك بالشكر وقال حكيم الشكر ثلاث منازل ضمير القلب ونشر اللسان ومكافأة اليد قال الشاعر

أفادتكم النعماء مني ثلاثة * يدي ولساني والضمير المحجبا

وقال ابن عائشة كان يقال ما أنعم الله على عبد نعمة فظلم بها الا كان حقا على الله تعالى أن يزيلها عنه وانشد أبو العباس بن عمارة في المعنى

أعارك ماله لتقوم فيه * بواجبه وتقضي بعض حقه

فلم تقصد لطاعته ولكن * قويت على معاصيه برزقه

(وقال آخر) ولو أن لي في كل منبت شعرة * لسانا يطيل الشكر كنت مقصرا

وقال محمد بن حبيب الراوية اذا قل الشكر خسر المن وروى اذا جحدت الصنيعة حسن الامتنان وسئل بعض الحكماء ما أضيع الاشياء قال مطر الجود في أرض سبخة لا يجف ثراها ولا ينبت مرعاها وسراج يوقد في الشمس وجارية حسناء تزف الى أعمى وصنيعة تسدى الى من لا يشكرها وقال عبد الأعلى بن حماد دخلت على المتوكل فقال يا أبا يحيى قد هممنا أن نصلك بخير فتدافعته الامور فقلت يا أمير المؤمنين بلغني عن جعفر بن محمد الصادق أنه قال من لم يشكر الهمة لم يشكر النعمة وأنشدته

لأشكرن للمعروف هممت به * فان همك بالمعروف معروف

سيدي أمرني أن لا تسير الى المنزل الا راكبا (قال) الشافعي رضي الله تعالى عنه فقلت له قدم فقدم الى بغلة بسرج محلى فلما علوت على ظهرها رأيت نفسي باطمار رثة فطاف بي أزقة الكوفة الى منزل محمد بن الحسن فرأيت أبوابا ودهاليز منقوشة بالذهب والفضة فذكرت ضيق أهل الحجاز وما هم فيه فبكيت وقلت أهل العراق ينقشون سقوفهم بالذهب والفضة وأهل الحجاز يأكلون القديد ويمصون النوى ثم أقبل علي محمد بن الحسن وأنا في بكائي فقال لا يروعك يا عبد الله ما رأيت فما هو الا من حقيقة حلال ومكتسب وما يطالبني الله فيها بفرض واني أخرج زكاتها في كل عام فأسر بها الصديق وأكبت بها العدو (قال الشافعي رضي الله تعالى عنه) فما برحت حتى كساني محمد بن الحسن خلعة بألف درهم ثم دخل خزانته فأخرج الي الكتاب الاوسط تأليف الامام أبي حنيفة فنظرت في أوله وفي آخره ثم ابتدأت الكتاب في ليلتي أتحفظه فما أصبحت الا وقد حفظته ومحمد بن الحسن لا يعلم بشئ من ذلك وكان المشهور بالكوفة بالفتوى والمجيب في النوازل فأنا قاعد عن يمينه في بعض الايام اذ سئل عن مسئلة أجاب فيها وقال هكذا قال أبو حنيفة فقلت قد وهمت في الجواب في هذه المسئلة والجواب عن قول الرجل كذا وكذا وهذه المسئلة تحتها المسئلة الفلانية وفوقها المسئلة الفلانية في الكتاب الفلاني فأمر محمد بن الحسن بالكتاب فأحضر فتصفحه ونظر فوجد القول كما قلت فرجع عن جوابه الى ما قلت ولم يخرج الي كتابا بعد هذا (قال الشافعي) واستأذنته في الرحيل فقال ما كنت لآذن لضيف بالرحيل عني وبذل لي في مشاطرة نعمته فقلت ما لذا قصدت ولا لذا أردت ولا رغبتي الا

ولا ألومك ان لم يمضه قدر * فالشر بالقدر المحتوم مصروف

(وقال) أبو فراس بن حمدان

وما نعمة مكفورة قد صنعتها * الى غير ذى شكر تمانعنى أخرى
سآتى جميلا ما حييت فاننى * اذا لم أفد شكرا أفدت به أجرا

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه من امتطى الشكر بلغ المزيد وقيل من جعل الحمد خاتمة للنعمة جعله الله فاتحة للمزيد وقال ابن السماك النعمة من الله تعالى على عبده مجهولة فاذا فقدت عرفت وقيل من لم يشكر على النعمة فقد استدعى زوالها وكان يقال اذا كانت النعمة وسيمة فاجعل الشكر لها تميمة وقال حكيم لا تصطنعوا ثلاثة اللئيم فانه بمنزلة الارض السبخة والفاحش فانه يرى أن الذى صنعت اليه اغماء لمخافة فحشه والأحمق فانه لا يعرف قدر ما أسديت اليه واذا اصطنعت الكريم فازرع المعروف واحصد الشكر ودخل أبو نخيلة على السفاح لينشده فقال ما عسيت أن تقول بعد قولك لمسلمة

أمسلمة يا فخر كل خليفة * ويا فارس الدنيا ويا جبل الارض
شكرتك ان الشكر دين على الفتى * وما كل من أوليته نعمة يقضى
وأحييت لى ذكرى وما كان خاملا * ولكن بعض الذكر أنبه من بعض

فسمعه الرشيد فقال هكذا يكون شعر الاشراف مدح صاحبه ولم يضع نفسه وعن نصر بن سيار عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال من أنعم على رجل نعمة فلم يشكر له فدعا عليه استجيب له ثم قال نصر اللهم انى أنعمت على بنى سام فلم يشكروا اللهم اقتلهم فقتلوا كلهم وعن على بن الحسين رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المؤمن لا يشبع من الطعام فيحمد الله تعالى فيعطيه من الاجر ما يعطى الصائم القائم ان الله شاكر يحب الشاكرين وعن محمد بن على ما أنعم الله على عبد نعمة فعلم انها من الله الا كتب الله له شكرها قبل أن يحمده عليها ولا أذنب عبد ذنبا فعلم أن الله قد اطلع عليه ان شاء عذبه وان شاء غفر له الا غفر الله له قبل أن يستغفره وأولى رجل رجلا معروفا فقال لا أبلاك الله ببلاء يعجز عنه صبرك وأنعم عليك نعمة يعجز عنها شكرك وأنشد بعضهم وأجاد

سأشكر لا أنى أجازيك منعما * بشكرى ولكن كى يزادلك الشكر
واذكر أياما لدىّ اصطنعتها * وآخر ما يبقى على الشاكر الذكر

(وقال آخر)

أوليتنى نعما أبوح بشكرها * وكفيتنى كل الامور بأسرها
فلأشكرنك ما حييت وان أمت * فلتشكرنك أعظمى فى قبرها

(وقال آخر)

أيارب قد أحسنت عودا وبدأة * الىّ فلم ينهض باحسانك الشكر
فمن كان ذا عذر لديك وحجة * فعذرى اقرارى بان ليس لى عذر

وقال محمود الوراق

الهى لك الحمد الذى أنت أهله * على نعم ما كنت قط لها أهلا
ان زدت تقصيرا تزدنى تفضلا * كأنى بالتقصير أستوجب الفضلا

وقد أحسن نصيب فى وصف الثناء والشكر بقوله

فعاجوا وأثنوا بالذى أنت أهله * ولو سكتوا أثنت عليك الحقائب

﴿وقال رجل من غطفان﴾

الشكر أفضل ما حاولت ملتمسا * به الزيادة عند الله والناس

وقيل أشكر المنعم عليك وأنعم على الشاكر لك تستوجب من ربك الزيادة ومن أخيك المناصحة

﴿الفصل الثالث من هذا الباب فى المكافأة﴾ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أسدى اليكم معروفا فكافئوه فان لم تقدروا فادعوا له ولما قدم وفد النجاشى على رسول الله صلى الله عليه وسلم قام يخدمهم بنفسه فقيل له يا رسول الله لو تركتنا كفيناك فقال كانوا لأصحابى مكرمين وقيل أتى رجل من الانصار الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال

اذكرصنيعى اذا فاجاك ذو سفه * يوم السقيفة والصديق مشغول

فقال عمر بأعلى صوته ادن منى فدنا منه فأخذ بذراعه حتى استشرفه الناس وقال الان هذا ردعنى سفيها

من

فى السفر قال فأمر غلامه أن يأتى بكل ما فى خزانته من بيضاء وحمراء فدفع الىّ ما كان فيها وهو ثلاثة آلاف درهم وأقبلت أطوف العراق وأرض فارس وبلاد الاعاجم وألقى الرجال حتى صرت ابن احدى وعشرين سنة ثم دخلت العراق فى خلافة هرون الرشيد فعند دخول الباب تعلق بى غلام فلاطفنى وقال لى ما اسمك فقلت محمد قال ابن من قلت ابن ادريس الشافعى فقال مطلبى فقلت أجل فكتب ذلك فى لوح كان فى كمه وخلى سبيلى فأويت الى بعض المساجد أفكر فى عاقبة ما فعل حتى اذا ذهب من الليل النصف كبس المسجد وأقبلوا يتأملون وجه كل رجل حتى أتوا الىّ فقالوا للناس لا بأس عليكم هذا هو الحاجة والغاية المطلوبة ثم أقبلوا علىّ وقالوا أجب أمير المؤمنين فقمت غير ممتنع فلما بصرت بأمير المؤمنين سلمت عليه سلاما بينا فاستحسن الالفاظ ورد علىّ الجواب ثم قال تزعم انك من بنى هاشم فقلت يا أمير المؤمنين كل زعم فى كتاب الله باطل فقال أبن لى عن نسبك فانتسبت حتى لحقت آدم عليه السلام فقال لى الرشيد ما تكون هذه الفصاحة ولا هذه البلاغة الا فى رجل من ولد المطلب هل لك أن أوليك قضاء المسلمين وأشاطرك ما أنا فيه وتنفذ فيه حكمك وحكمى على ما جاء به الرسول عليه الصلاة والسلام واجتمعت عليه الامة فقلت يا أمير المؤمنين لو سألتنى أن أفتح باب القضاء بالغداة وأغلقه بالعشى بنعمتك هذه ما فعلت ذلك أبدا فبكى الرشيد وقال تقبل من عرض الدنيا شيأ قلت يكون معجلا فأمر لى بألف دينار فما برحت من مقامى حتى قبضتها ثم سألنى بعض الغلمان والحشم ان أصلهم من صلتى

من قومه يوم السقيفة ثم حمله على نجيب وزاد في عطائه وولاه صدقة قومه وقرأ هل جزاء الاحسان الا الاحسان
وقال رجل لسعيد بن العاص وهو أمير الكوفة يدي عندك بيضاء قال وما هي قال كبت بك فرسك فتقدمت اليك قبل غلمانك فأخذت بعضدك وأركبتك وأسقيتك ماء قال فأين كنت الى الآن قال حجبت عن الوصول اليك قال قد أمرنا لك بمائتي ألف درهم وبما عليكه الحاجب اذا حجبك عنا (وقال) قطري بن الفجاءة الخارجي أسره الحجاج ثم من عليه فأطلقه فعاود قتال عدو الله فقال هيهات شديد أطلقها وأرق رقبة معتقها ثم قال

أأقاتل الحجاج عن سلطانه * بيد تقر بأنها مولاته
ماذا أقول اذا وقفت ازاءه * في الصف واحتجت له فعلاته
أأقول جار علي لا اني اذا * لاحق من جارت عليه ولاته
وتحدث الاقوام ان صنائعا * غرست لدي فحنظلت نخلاته

واجتاز الشافعي رحمه الله تعالى بمصر في سوق الحدادين فسقط سوطه فقام انسان فأخذه ومسحه وناوله اياه فقال لغلامه كم معك قال عشرة دنانير قال ادفعها اليه واعتذر له واستنشد عبد الملك عامر الشعبي فأنشده لغير ما شاعر حتى أنشد لحسان

من سره شرف الحياة فلم يزل * في عصبة من صالحي الانصار
الباذلين نفوسهم لنبيهم * بالمشرفي وبالقنا الخطار
الناظرين بأعين محمرة * كالجمر غير كليلة الابصار

فقام أنصاري فقال يا أمير المؤمنين استوجب عامر الصلة على له ستون من الابل كما أعطينا حسان يوم قالها فقال عبد الملك وله عندي ستون ألفا وستون من الابل وعن علي كرم الله وجهه أحسنوا في عقب غيركم تحفظوا في عقبكم وقال المدائني رأيت رجلا يطوف بين الصفا والمروة على بغلة ثم رأيته ماشيا في سفر فسألته عن ذلك فقال ركبت حيث يمشي الناس فكان حقا على الله أن يرجلني حيث يركب الناس

﴿وما جاء في المكافأة﴾ ما حكي عن الحسن بن سهل قال كنت يوما عند يحيى بن خالد البرمكي وقد خلا في مجلسه لاحكام أمر من أمور الرشيد فبينما نحن جلوس اذ دخل عليه جماعة من أصحاب الحوائج فقضاها لهم ثم توجهوا لشأنهم فكان آخرهم قياما أحمد بن أبي خالد الاحول فنظر يحيى اليه والتفت الى الفضل ابنه وقال يا بني ان لابيك مع أبي هذا الفتى حديثا فاذا فرغت من شغلي هذا فذكرني أحدثك به فلما فرغ من شغله وطعم قال له ابنه الفضل أعزك الله يا أبي أمرتني أن أذكرك حديث أبي خالد الاحول قال نعم يا بني لما قدم أبوك من العراق أيام المهدي كان فقيرا لا يملك شيئا فاشتد بي الامر الى أن قال لي من في منزلي انا قد كتمنا حالنا وزاد ضررنا ولنا اليوم ثلاثة أيام ما عندنا شيء نقتات به قال فبكيت يا بني لذلك بكاء شديدا وبقيت ولهان حيران مطرقا مفكرا ثم تذكرت منديلا كان عندي فقلت لهم ما حال المنديل فقالوا هو باق عندنا فقلت ادفعوه الي فأخذته ودفعته الى بعض أصحابي وقلت له بعه بما تيسر فباعه بسبعة عشر درهما فدفعتها الى أهلي وقلت أنفقوها الى أن يرزق الله غيرها ثم بكرت من الغد الى باب أبي خالد وهو يومئذ وزير المهدي فاذا الناس وقوف على داره ينتظرون خروجه فخرج عليهم مرا كبا فلما رآني سلم علي وقال كيف حالك فقلت يا أبا خالد ما حال رجل يبيع من منزله بالامس منديلا بسبعة عشر درهما فنظر الي نظرا شديدا وما أجابني جوابا فرجعت الى أهلي كسير القلب وأخبرتهم بما اتفق لي مع أبي خالد فقالوا بئس والله ما فعلت توجهت الى رجل كان يرتضيك لامر جليل فكشفت له سرك وأطلعته على مكنون أمرك فأزريت عنده بنفسك وصغرت عنده منزلتك بعد أن كنت عنده جليلا لافارقك بعد اليوم الا بهذه العين فقلت قد قضي الامر الآن بما لا يمكن استدراكه فلما كان من الغد بكرت الى باب الخليفة فلما بلغت الباب استقبلني رجل فقال لي قد ذكرت الساعة بباب أمير المؤمنين فلم ألتفت لقوله فاستقبلني آخر فقال لي كمقالة الاول ثم استقبلني حاجب أبي خالد فقال لي أين تكون وقد أمرني أبو خالد باجلاسك الى أن يخرج من عند أمير المؤمنين فجلست حتى خرج فلما رآني دعاني وأمر لي بمركوب فركبت وسرت معه الى منزله فلما نزل قال علي بفلان وفلان الحناطين فأحضرا فقال لهما ألم تشتريا مني غلات السواد بثمانية عشر ألف ألف درهم قالا نعم قال ألم أشترط عليكما شركة رجل معكما قالا بلى قال هو هذا الرجل الذي اشترطت شركته لكما ثم قال لي قم معهما فلما خرجنا قالا لي

فلم تسع المروءة ان كنت مسؤولا غير القاسمة فيما أنعم الله به علي فخرج لي قسم كأقسامهم ثم عدت الى المسجد الذي كنت فيه في ليلتي فتقدم يصلي بنا غلام صلاة الفجر في جماعة فأجاد القراءة ولحقه سهو ولم يدر كيف الدخول ولا كيف الخروج فقلت له بعد السلام أفسدت علينا وعلى نفسك أعد فأعاد مسرعا وأعدنا ثم قلت له أحضر بياضا أعمل لك باب السهو في الصلاة والخروج منها فسارع الى ذلك ففتح الله عز وجل علي فألفت له كتابا من كتاب الله سنة نبيه عليه الصلاة والسلام واجماع المسلمين وسميته باسمه وهو أربعون جزأ يعرف بكتاب الزعفران وهو الذي وضعته بالعراق حتى تكامل في ثلاث سنين وولاني الرشيد الصدقات بنجران وقدم الحاج فخرجت أسألهم عن الحجاز فرأيت فتى في قبته فلما أشرت اليه بالسلام أمر قائد القبة أن يقف وأشار الي بالكلام فسألته عن الامام مالك وعن الحجاز فأجاب بخير ثم عاودته الى السؤال عن مالك فقال لي أشرح لك أو أختصر قلت في الاختصار البلاغة فقال في صحة جسم وله ثلثمائة جارية يبيت عند الجارية ليلة فلا يعود اليها الى سنة فقد اختصرت لك خبره (قال الشافعي رضي الله تعالى عنه) فاشتهيت أن أراه في حال غناه كما رأيته في حال فقره فقلت له أما عندك من المال ما يصلح للسفر فقال انك لتوحشني خاصة وأهل العراق عامة وجميع مالي فيه لك فقلت له فبم تعيش قال بالجاه ثم نظر الي وحكمني في ماله فأخذت منه على حسب الكفاية والنهاية وسرت على ديار ربيعة ومضر فأتيت حران ودخلتها يوم الجمعة فذكرت فضل الغسل وما جاء فيه فقصدت الحمام فلما سكبت الماء رأيت شعر رأسي شعثا فدعوت

ادخل معنا بعض المساجد حتى نكلمك فى أمر يكون لك فيه الربح الهنى * فدخلنا مسجدا فقالا لى انك تحتاج فى هذا الامر الى وكلاء وأمناء وكيالين وأعوان ومؤن لم تقدر منها على شئ فهل لك أن تبيعنا شركتك بمال نعجله لك فتنتفع به ويسقط عنك التعب والكلف فقلت لهما وكم تبذلان لى فقالا مائة ألف درهم فقلت لا أفعل فما زالا يزيدانى وأنا لا أرضى الى ان قالا لى ثلثمائة ألف درهم ولا زيادة عندنا على هذا فقلت حتى أشاور أبا خالد قالا ذلك لك فرجعت اليه وأخبرته فدعا بهما وقال لهما هل وافقتماه على ماذكر قالا نعم قال اذهبا فاقبضاه المال الساعة ثم قال لى أصلح أمرك وتهيأ فقد قلدتك العمل فاصلحت شأنى وقلدنى ما وعدنى به فمازلت فى زيادة حتى صار أمرى الى ماصار ثم قال لولده الفضل يابنى فما تقول فى ابن من فعل بابيك هذا الفعل وما جزاؤه قال حق لعمرى وجب عليه له فقال والله ياولدى ما أجد له مكافأة غير أنى أعزل نفسى وأوليه ففعل ذلك رضى الله عنه وهكذا تكون المكافأة (ومن ذلك ماحكى) عن العباس صاحب شرطة المأمون قال دخلت يوما الى مجلس أمير المؤمنين ببغداد وبين يديه رجل مكبل بالحديد فلما رآنى قال لى ياعباس قلت لبيك يا أمير المؤمنين قال خذ هذا اليك فاستوثق منه واحتفظ به وبكر به الى فى غد واحترز عليه كل الاحتراز قال العباس فدعوت جماعة فحملوه ولم يقدر أن يتحرك فقلت فى نفسى مع هذه الوصية التى أوصانى بها أمير المؤمنين من الاحتفاظ به ما يجب الا أن يكون معى فى بيتى فأمرتهم فتركوه فى مجلس لى فى دارى ثم أخذت أسأله عن قضيته وعن حاله ومن أين هو فقال أنا من دمشق فقلت جزى الله دمشق وأهلها خيرا فمن أنت من أهلها قال وعمن تسأل قلت أتعرف فلانا قال ومن أين تعرف ذلك الرجل فقلت وقع لى معه قضية فقال ما كنت بالذى أعرفك خبره حتى تعرفنى قضيتك معه فقال ويحك كنت مع بعض الولاة بدمشق فبغى أهلها وخرجوا علينا حتى ان الوالى تدلى فى زنبيل من قصر الحجاج وهرب هو وأصحابه وهربت فى جملة القوم فبينما أنا هارب فى بعض الدروب واذا بجماعة يعدون خلفى فمازلت أعدو أمامهم حتى فتهم فمررت بهذا الرجل الذى ذكرته لك وهو جالس على باب داره فقلت أغثنى أغاثك الله قال لا بأس عليك ادخل الدار فدخلت فقالت زوجته ادخل تلك المقصورة فدخلتها ووقف الرجل على باب الدار فما شعرت الا وقد دخل والرجال معه يقولون والله عندك فقال دونكم الدار ففتشوها ففتشوها حتى لم يبق سوى تلك المقصورة وامرأته فيها فقالوا ههنا فصاحت بهم المرأة ونهرتهم فانصرفوا وخرج الرجل وجلس على باب داره ساعة وأنا قائم أرجف ماتحملنى رجلاى من شدة الخوف فقالت المرأة اجلس لا بأس عليك فجلست فلم ألبث حتى دخل الرجل فقال لا تخف قد صرف الله عنك شرهم وصرت الى الامن والدعة ان شاء الله تعالى فقلت له جزاك الله خيرا فمازال يعاشرنى أحسن معاشرة وأجملها وأفرد لى مكانا فى داره ولم يحوجنى الى شئ ولم يفتر عن تفقد أحوالى فاقمت عنده أربعة أشهر فى أرغد عيش وأهنئه الى أن سكنت الفتنة وهدأت وزال أثرها فقلت له أتأذن لى فى الخروج حتى أتفقد حال غلمانى فلعلى أقف منهم على خبر فأخذ على المواثيق بالرجوع اليه فخرجت وطلبت غلمانى فلم أر لهم أثرا فرجعت اليه وأعلمته الخبر وهو مع هذا كله لا يعرفنى ولا يسألنى ولا يعرف اسمى ولا يخاطبنى الا بالكنية فقال لى علام تعزم فقلت قد عزمت على التوجه الى بغداد فقال ان القافلة بعد ثلاثة أيام تخرج وها أنا قد أعلمتك فقلت له انك قد تفضلت على هذه المدة ولك على عهد الله انى لا أنسى لك هذا الفضل ولأوفينك مهما استطعت قال فدعا غلاما له أسود وقال له أسرج الفرس الفلانى ثم جهز آلة السفر فقلت فى نفسى أظن أنه يريد أن يخرج الى ضيعة أو ناحية من النواحى فاقاموا يومهم ذلك فى كد وتعب فلما كان يوم خروج القافلة جاءنى فى السحر وقال لى يافلان قم فان القافلة تخرج الساعة وأكره أن تنفرد عنها فقلت فى نفسى كيف أصنع وليس معى ما أتزود به ولا ما أكرى به مركوبا ثم قمت فاذا هو وامرأته يحملان بقجة من أفخر الملابس وخفين جديدين وآلة السفر ثم جاءنى بسيف ومنطقة فشدهما فى وسطى ثم قدم بغلا فحمل عليه صندوقين وفوقهما فرش ودفع الى نسخة ما فى الصندوقين وفيهما خمسة آلاف درهم وقدم الى الفرس الذى كان جهزه وقال اركب وهذا الغلام الاسود يخدمك ويسوس مركوبك وأقبل هو وامرأته يعتذران الى من التقصير فى أمرى وركب معى يشيعنى وانصرفت الى بغداد وأنا أتوقع خبره لا فى بعهدى له فى مجازاته ومكافأته واشتغلت مع أمير المؤمنين فلم أتفرغ أن أرسل اليه من يكشف خبره فلهذا أنا أسأل عنه فلما سمع الرجل الحديث قال لقد أمكنك الله تعالى من الوفاء له ومكافأته على فعله ومجازاته على صنيعه بلا كلفة عليك ولا مؤنة تلزمك فقلت

المزين فلما بدأ برأسى وأخذ القليل من شعرى دخل قوم من أعيان البلد فدعوه الى خدمتهم فسارع اليهم وتركنى فلما قضوا ما أرادوا منه عاد الى فما أردته وخرجت من الحمام فدفعت اليه أكثر ما كان معى من الدنانير وقلت له خذ هذه واذا وقف بك غريب لا تحتقره فنظر الى متعجبا فاجتمع على باب الحمام خلق كثير فلما خرجت هاتبنى الناس فبينما أنا كذلك اذ خرج بعض من كان فى الحمام من الاعيان فقدمت له بغلة ليركبها فسمع خطابى لهم فانحدر عن البغلة بعد أن استوى عليها وقال لى أنت الشافعى فقلت نعم فمد الركاب مما يلينى وقال بحق الله اركب ومضى بى الغلام مطرقا بين يدى حتى أتيت الى منزل الفتى ثم أتى وقد حصلت فى منزله فاظهر البشاشة ثم دعا بالغسل فغسل علينا ثم حضرت المائدة فسمى وحبست يدى فقال مالك ياعبد الله فقلت له طعامك حرام على حتى أعرف من أين هذه المعرفة فقال أنا ممن سمع منك الكتاب الذى وضعته ببغداد وأنت لى أستاذ (قال الشافعى رضى الله عنه) فقلت العلم بين أهل العقل رحم متصلة فما كانت بفرحة اذلم يعرف الله تعالى الا بينى وبين أبناء جنسى وأقمت ضيفه ثلاثا فلما كان بعد ثلاث قال ان لى حول حران أربع ضياع ما بحران أحسن منها أشهد الله ان اخترت المقام فانها هدية منى اليك فقلت ذم تعيش قال على فى صناديق تلك وأشار اليها وهى أربعون ألف درهم وقال اتجر بها فقلت ليس الى هذا قصدت ولا خرجت من بلدى لغير طلب العلم فقال لى فالمال اذا من شأن المسافر فقبضت الاربعين ألفا وودعته وخرجت من مدينة حران وبين يدى أحمال ثم تلقانى الرجال

وكيف ذلك قال أنا ذلك الرجل واغا الضر الذى أنا فيه غير عليك حالى وما كنت تعرفه منى ثم لم يزل يذكرلى تفاصيل الاسباب حتى أثبت معرفته فما تمالكت ان قمت وقبلت رأسه ثم قلت له فما الذى أصارك الى ما أرى فقال هاجت بدمشق فتنة مثل الفتنة التى كانت فى أيامك فنسبت الى وبعث أمير المؤمنين بجيوش فاصلحوا البلد وأخذت أنا وضربت الى أن أشرفت على الموت وقيدت وبعث بى الى أمير المؤمنين وأمرى عنده عظيم وخطبى لديه جسيم وهو قاتلى لامحالة وقد أخرجت من عند أهلى بلا وصية وقد تبعنى من غلمانى من ينصرف الى أهلى بخبرى وهو نازل عند فلان فان رأيت من تجعل من مكافأتك لى أن ترسل من يحضره لى حتى أوصيه بما أريد فان أنت فعلت ذلك فقد جاوزت حد المكافأة وقمت لى بوفاء عهدك قال العباس قلت يصنع الله خيرا ثم أحضر حدادا فى الليل فلك قيوده وأزال ما كان فيه من الانكال وأدخله حمام داره وألبسه من الثياب ما احتاج اليه ثم سير من أحضر اليه غلامه فلما رآه جعل يبكى ويوصيه فاستدعى العباس نائبه وقال على بالفرس الفلانى والفرس الفلانى والبغل الفلانى والبغلة الفلانية حتى عد عشرة ثم عشرة من الصناديق ومن الكسوة كذا وكذا ومن الطعام كذا وكذا قال ذلك الرجل وأحضر لى بدرة عشرة آلاف درهم وكيسا فيه خمسة آلاف دينار وقال لنائبه فى الشرطة خذ هذا وشيعه الى حد الانبار فقلت له ان ذنبى عند أمير المؤمنين عظيم وخطبى جسيم ان أنت احتججت بأنى هربت بعث أمير المؤمنين فى طلبى كل من على بابه فأردوا أقتل فقال لى انج بنفسك ودعنى أدبر أمرى فقلت والله ما أبرح من بغداد حتى أعلم ما يكون من خبرك فان احتجت الى حضورى حضرت فقال لصاحب الشرطة ان كان الامر على ما يقول فليكن فى موضع كذا فان أنا سلمت فى غداة غد أعلمته وان أنا قتلت فقد وقيته بنفسى كما وقانى بنفسه وأنشدك الله ان لا يذهب من ماله درهم وتجتهد فى اخراجه من بغداد قال الرجل فأخذنى صاحب الشرطة وصيرنى فى مكان أثق به وتفرغ العباس لنفسه وتحنط وجهز له كفنا قال العباس فلم أفرغ من صلاة الصبح الا ورسل المأمون فى طلبى يقولون يقول لك أمير المؤمنين هات الرجل معك وقم قال فتوجهت الى دار أمير المؤمنين فاذا هو جالس وعليه ثيابه وهو ينتظرنا فقال أين الرجل فسكت فقال ويحك أين الرجل فقلت يا أمير المؤمنين اسمع منى فقال لله على عهد لئن ذكرت انه هرب لاضربن عنقك فقلت لا والله يا أمير المؤمنين ما هرب ولكن اسمع حديثى وحديثه ثم شأنك وما تريد أن تفعله فى أمرى قال قل فقلت يا أمير المؤمنين كان من حديثى معه كيت وكيت وقصصت عليه القصة جميعها وعرفته انى أريد أن أفى له وأكافئه على ما فعله معى وقلت أنا وسيدى ومولاى أمير المؤمنين بين أمرين اما أن يصفح عنى فأكون قد وفيت وكافأت واما أن يقتلنى فأقيه بنفسى وقد تحنطت وها كفنى يا أمير المؤمنين فلما سمع المأمون الحديث قال ويلك لا جزاك الله عن نفسك خيرا انه فعل بك ما فعل من غير معرفة وتكافئه بعد المعرفة والعهد بهذا لا غير هلا عرفتنى خبره فكنا نكافئه عنك ولا نقصر فى وفائك له فقلت يا أمير المؤمنين انه ههنا قد حلف أن لا يبرح حتى يعرف سلامتى فان احتجت الى حضوره حضر فقال المأمون هذه منة أعظم من الاولى اذهب الآن اليه فطيب نفسه وسكن روعه وائتنى به حتى أتولى مكافأته قال العباس فأتيت اليه وقلت له ليزل خوفك ان أمير المؤمنين قال كيت وكيت فقال الحمد لله الذى لا يحمد على السراء والضراء سواه ثم قام فصلى ركعتين ثم ركب وجئنا فلما مثل بين يدى أمير المؤمنين أقبل عليه وأدناه من مجلسه وحدثه حتى حضر الغداء وأكل معه وخلع عليه وعرض عليه أعمال دمشق فاستعفى فأمر له المأمون بعشرة أفراس بسروجها ولجمها وعشرة أبغال بآلاتها وعشر بدر وعشرة آلاف دينار وعشرة مماليك بدوابهم وكتب الى عامله بدمشق بالوصية به واطلاق خراجه وأمره بمكاتبته باحوال دمشق فصارت كتبه تصل الى المأمون وكلما وصلت خريطة البريد وفيها كتابه يقول لى يا عباس هذا كتاب صديقك والله تعالى أعلم (ومن عجائب هذا الاسلوب وغرائبه) ما أورده محمد بن القاسم الانبارى رحمه الله تعالى ان سوارا صاحب رحبة سوار وهو من المشهورين قال انصرفت يوما من دار الخليفة المهدى فلما دخلت منزلى دعوت بالطعام فلم تقبله نفسى فأمرت به فرفع ثم دعوت جارية كنت أحبها وأحب حديثها وأشتغل بها فلم تطلب نفسى فدخل وقت القائلة فلم يأخذنى النوم فنهضت وأمرت ببغلة لى فاسرجت وأحضرت فركبتها فلما خرجت من المنزل استقبلنى وكيل لى ومعه مال فقلت ما هذا فقال ألفا درهم جبيتها من مستغلك الجديد قلت أمسكها معك واتبعنى فأطلقت رأس البغلة حتى عبرت الجسر ثم مضيت فى شارع دار الرقيق حتى انتهيت الى

وأصحاب الحديث منهم أحمد بن حنبل وسفيان بن عيينة والأوزاعى فاجزت كل واحد منهم على قدر ما قسم له حتى دخلت مدينة الرملة وليس معى الا عشرة دنانير فاشتريت بها راحلة واستويت على كورها وقصدت الحجاز فمازلت من منهل الى منهل حتى وصلت الى مدينة النبى صلى الله عليه وسلم بعد سبعة وعشرين يوما بعد صلاة العصر فصليت العصر ورأيت كرسيا من الحديد عليه مخدة من قباطى مصر مكتوب عليها لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم (قال الشافعى رضى الله عنه) وحوله أربعمائة دفتر أو يزدن وبينما أنا كذلك اذ رأيت مالك بن أنس رضى الله عنه قد دخل من باب النبى صلى الله عليه وسلم وقد فاح عطره فى المسجد وحوله أربعمائة أو يزيدون يحمل ذيوله منهم أربعة فلما وصل قام اليه من كان قاعدا وجلس على الكرسى فألقى مسئلة فى جراح العمد فلما سمعت ذلك لم يسعنى الصبر فقمت قائما فى سور الحلقة فرأيت انسانا فقلت له قل الجواب كذا وكذا فبادر بالجواب قبل فراغ مالك من السؤال فاضرب عنه مالك وأقبل على أصحابه فسألهم عن الجواب فخالفوه فقال لهم أخطأتم وأصاب الرجل ففرح الجاهل باصابته فلما ألقى السؤال الثانى أقبل على الجاهل يطلب منى الجواب فقلت له الجواب كذا وكذا فبادر بالجواب فلم يلتفت اليه مالك فأقبل على أصحابه واستخبرهم عن الجواب فخالفوه فقال لهم أخطأتم وأصاب الرجل (قال الشافعى رضى الله عنه) فلما ألقى السؤال الثالث قلت له قل الجواب كذا وكذا فبادر بالجواب فاعرض مالك عنه وأقبل على أصحابه فخالفوا فقال أخطأتم وأصاب الرجل ثم قال للرجل ادخل

الصحراء ثم رجعت الى باب الانبار وانتهيت الى باب دار نظيف عليه شجرة وعلى الباب خادم فعطشت فقلت للخادم أعندك ماء تسقينيه قال نعم ثم دخل واحضر قلة نظيفة طيبة الرائحة عليها منديل فناولني فشربت وحضر وقت العصر فدخلت مسجدا على الباب فصليت فيه فلما قضيت صلاتي اذا أنا بأعمى يلتمس فقلت ماتريد ياهذا قال اياك أريد قلت فما حاجتك فجاء حتى جلس الى جانبي وقال شممت منك رائحة طيبة فظننت أنك من أهل النعيم فاردت أن أحدثك بشيء فقلت قل قال ألا ترى الى باب هذا القصر قلت نعم قال هذا قصر كان لأبي فباعه وخرج الى خراسان وخرجت معه فزالت عنا النعم التي كنا فيها وعميت فقدمت هذه المدينة فأتيت صاحب هذه الدار لاسأله شيأ يصلني به وأتوصل الى سوار فانه كان صديقا لأبي فقلت ومن أبوك قال فلان بن فلان فعرفته فاذا هو كان من أصدق الناس الي فقلت ياهذا ان الله تعالى قد أتاك بسوار منعه من الطعام والنوم والقرار حتى جاء به فأقعده بين يديك ثم دعوت الوكيل فأخذت الدراهم منه فدفعتها اليه وقلت له اذا كان الغد فسر الى منزلي ثم مضيت وقلت ما أحدث أمير المؤمنين بشيء أظرف من هذا فأتيته فاستأذنت عليه فاذن لي فلما دخلت عليه حدثته بما جرى لي فأعجبه ذلك وأمر لي بألفي دينار فاحضرت فقال ادفعها الى الاعمى فنهضت لاقوم فقال اجلس فجلست فقال أعليك دين قلت نعم قال كم دينك قلت خمسون ألفا فحادثني ساعة وقال امض الى منزلك فمضيت الى منزلي فاذا بخادم معه خمسون ألفا وقال يقول لك أمير المؤمنين اقض بها دينك قال فقبضت منه ذلك فلما كان الغد أبطأ علي الاعمى وأتاني رسول المهدي يدعوني فجئته فقال قد فكرت البارحة في أمرك فقلت يقضي دينه ثم يحتاج الى القرض أيضا وقد أمرت لك بخمسين ألفا أخرى قال فقبضتها وانصرفت فجاءني الاعمى فدفعت اليه الالفي دينار وقلت له قد رزقك الله تعالى بكرمه وكافأك على احسان أبيك وكافأني على اسداء المعروف اليك ثم أعطيته شيأ آخر من مالي فأخذه وانصرف والله سبحانه وتعالى أعلم (ومما هو واضح حسنا وأرجح معنى) ما حكاه القاضي يحيى بن أكثم رحمة الله عليه قال دخلت يوما على الخليفة هرون الرشيد ولد المهدي وهو مطرق مفكر فقال لي أتعرف قائل هذا البيت

الخير أبقى وان طال الزمان به * والشر أخبث ما أوعيت من زاد

فقلت يا أمير المؤمنين ان لهذا البيت شأنا مع عبيد بن الابرص فقال علي بعبيد فلما حضر بين يديه قال له أخبرني عن قضية هذا البيت فقال يا أمير المؤمنين كنت في بعض السنين حاجا فلما توسطت البادية في يوم شديد الحر سمعت ضجة عظيمة في القافلة الحقت أولها بآخرها فسألت عن القصة فقال لي رجل من القوم تقدم تر ما بالناس فتقدمت الى أول القافلة فاذا أنا بشجاع أسود فاغر فاه كالجذع وهو يخور كما يخور الثور ويرغو كرغاء البعير فهالني أمره وبقيت لا أهتدي الى ما أصنع في أمره فعدلنا عن طريقه الى ناحية أخرى فعارضنا ثانيا فعلمت أنه لسبب ولم يجسر أحد من القوم أن يقربه فقلت أفدي هذا العالم بنفسي وأتقرب الى الله تعالى بخلاص هذه القافلة من هذا فأخذت قربة من الماء فتقلدتها وسللت سيفي وتقدمت فلما رآني قربت منه سكن وبقيت متوقعا منه وثبة يبتلعني فلما رأى القربة فتح فاه فجعلت فم القربة في فيه وصببت الماء كما يصب في الاناء فلما فرغت القربة تسيب في الرمل ومضى فتعجبت من تعرضه لنا وانصرافه عنا من غير سوء لحقنا منه ومضينا لحجنا ثم عدنا في طريقنا ذلك وحططنا في منزلنا ذلك في ليلة مظلمة مدلهمة فأخذت شيأ من الماء وعدلت الى ناحية عن الطريق فقضيت حاجتي ثم توضأت وصليت وجلست أذكر الله تعالى فأخذتني عيني فنمت مكاني فلما استيقظت من النوم لم أجد للقافلة حسا وقد ارتحلوا وبقيت منفردا لم أر أحدا ولم أهتد الى ما أفعله وأخذتني حيرة وجعلت أضطرب واذا بصوت هاتف أسمع صوته ولا أرى شخصه يقول

يا أيها الشخص المضل مركبه * ما عنده من ذي رشاد يصحبه
دونك هذا البكر منا تركبه * وبكرك الميمون حقا تجنبه
حتى اذا ما الليل زال غيهبه * عند الصباح في الفلا تسيبه

فنظرت فاذا أنا ببكر قائم عندي وبكري الى جانبي فانخته وركبته وجنبت بكري فلما سرت قدر عشرة أميال لاحت لي القافلة وانفجر الفجر ووقف البكر فعلمت أنه قد حان نزولي فتحولت الى بكري وقلت

يا أيها البكر قد أنجيت من كرب * ومن هموم تضل المدلج الهادي

ليس ذلك موضعك فدخل الرجل طاعة منه لمالك وجلس بين يديه فقال له مالك قراءة قرأت الموطأ قال لا قال فنظرت ابن جريج قال لا قال فلقيت جعفر بن محمد الصادق قال لا قال فهذا العلم من أين قال الى جانبي غلام شاب يقول لي قل الجواب كذا وكذا فكنت أقول قال فالتفت مالك والتفت الناس بأعناقهم لالتفات مالك رضي الله عنه فقال للجاهل قم فأمر صاحبك بالدخول الينا (قال الشافعي رضي الله عنه) فدخلت فاذا أنا من مالك بالموضع الذي كان الجاهل فيه جالسا بين يديه فتأملني ساعة وقال أنت الشافعي فقلت نعم فضمني الى صدره ونزل عن كرسيه وقال أتمم هذا الباب الذي نحن فيه حتى ننصرف الى المنزل الذي هو لك المنسوب الى (قال الشافعي رضي الله عنه) فالقيت أربعمائة مسئلة في جراح العمد فما أجابني أحد بجواب واحتجت أن آتي بأربعمائة جواب فقلت الاول كذا وكذا والثاني كذا وكذا حتى سقط القرص وصلينا المغرب فضرب مالك بيده الي فلما وصلت المنزل رأيت بناء غير الاول فبكيت فقال مم بكاؤك كأنك خفت يا أبا عبد الله ان قد بعت الآخرة بالدنيا قلت هو والله ذلك قال طب نفسا وقر عينا هذه هدايا خراسان وهدايا مصر والهدايا تجيء من أقصى الدنيا وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يقبل الهدية ويرد الصدقة وان لي ثلثمائة خلعة من رق خراسان وقباطي مصر وعندي عبيد بمثلها لم تستكمل الحلم فهم هدية مني اليك وفي صناديقي ثلاث خمسة آلاف دينار أخرج زكاتها عند كل حول فلك منى نصفها قلت انك موروث وأنا موروث فلا يبيت جميع ما وعدتني به الا تحت خاتمي ليجري ملكي عليه فان حضرني أجلي كان

الا فأبشري بالله خالقنا * من ذا الذي جاد بالمعروف في الوادي

وارجع حميدا فقد بلغتنا مننا * بوركت من ذي سنام رائح غادي

فالتفت البكر الي وهو يقول

انا الشجاع الذي ألفيتني رمضا * والله يكشف ضر الحائر الصادي

فجدت بالماء لما ضن حامله * تكرما منك لم تمنن بأنكاد

فالخير ابقى وان طال الزمان به * والشر اخبث ما أوعيت من زاد

هذا جزاؤك مني لا أمن به * فاذهب حميدا رعاك الخالق الهادي

فعجب الرشيد من قوله وأمر بالقصة والابيات فكتبت عنه وقال لا يضيع المعروف أين وضع والله سبحانه وتعالى اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب

﴿تم الجزء الأول من كتاب المستطرف ويليه الجزء الثاني أوله الباب الثالث والأربعون﴾

لورثني دون ورثتك وان حضرك أجلك كان لي دون ورثتك فتبسم في وجهي وقال أبيت الا العلم فقلت لا يستعمل أحسن منه ومابت الا وجميع ماوعدني به تحت ختمي فلما كان في غداة غد صليت الفجر في جماعة وانصرفت الى المنزل أنا وهو وكل واحد منا يده في يد صاحبه اذ رأيت كراعا على بابه من جياد خراسان وبغالا من مصر فقلت له ما رأيت كراعا أحسن من هذا فقال هو هدية مني اليك يا أبا عبد الله فقلت له دع لك منها دابة فقال اني أستحي من الله أن أطأ تربة فيها نبي الله صلى الله عليه وسلم بحافر دابة (قال الشافعي) رضي الله عنه فعلمت أن ورع الامام مالك باق على حاله فأقمت عنده ثلاثا ثم ارتحلت الى مكة وأنا أسوق خير الله ونعمه ثم أنفذت من يعلم بخبري فلما وصلت الى الحرم خرجت العجوز ونسوة معها فضمتني الى صدرها وضمتني بعدها عجوز كنت آلفها ادعوها خالتي وقالت

ليس امسك اجتاحت المنايا

كل فؤاد عليك ام

* هذه فهرست ما فى النصف الثانى من كتاب المستطرف فى كل فن مستظرف من الابواب والفصول المعرف جميعها فى ديباجة الكتاب وهى أربعة وثمانون بابا منها فى هذا النصف اثنان وأربعون كما هو موضوع بهذه الفهرست المجعولة للاستدلال على أى باب من الابواب أو فصل من الفصول فى أى صحيفة من صحائف هذا النصف *

صحيفة

٢ الباب الثالث والاربعون فى الهجاء ومقدماته
٦ الباب الرابع والاربعون فى الصدق والكذب وفيه فصلان
٦ الفصل الاول فى الصدق
٧ الفصل الثانى فى الكذب وما جاء فيه
٨ الباب الخامس والاربعون فى بر الوالدين وذم العقوق الخ وفيه فصول
٨ الفصل الاول فى بر الوالدين وذم العقوق
٨ الفصل الثانى فى الاولاد وحقوقهم وذكر النجباء الخ
١٠ الفصل الثالث فى ذكر الانساب والاقارب والعشيرة
١١ الباب السادس والاربعون فى الخلق وصفاتهم وأحوالهم الخ وفيه فصول
١١ الفصل الاول فى الحسن ومحاسن الاخلاق
٢٤ الباب السابع والاربعون فى التختم والحلى والمصوغ والطيب الخ
٢٦ الباب الثامن والاربعون فى الشباب والشيب والصحة الخ وفيه فصول
٢٦ الفصل الاول فى الشباب وفضله
٢٦ الفصل الثانى فى الشيب وفضله
٢٨ الفصل الثالث فى العافية والصحة
٢٨ الفصل الرابع فى أخبار المعمرين فى الجاهلية والاسلام
٢٩ الباب التاسع والاربعون فى الاسماء والكنى والالقاب الخ
٣٢ الباب الخمسون فيما جاء فى الاسفار والاغتراب وما قيل فى الوداع الخ
٣٦ الباب الحادى والخمسون فى ذكر الغنى وحب المال والافتخار بجمعه
٤١ الباب الثانى والخمسون فى ذكر الفقر ومدحه
٤٢ الباب الثالث والخمسون فى ذكر التلطف فى السؤال وذكر من سئل فجاد

صحيفة

٤٦ الباب الرابع والخمسون فى ذكر الهدايا والتحف وما أشبه ذلك
٤٧ الباب الخامس والخمسون فى العمل والكسب والصناعات والحرف الخ
٥٠ الباب السادس والخمسون فى شكوى الزمان وانقلابه الخ وفيه ثلاثة فصول
٥٠ الفصل الاول فى شكوى الزمان وانقلابه بأهله
٥٢ الفصل الثانى فى الصبر على المكاره ومدح التثبت وذم الجزع
٥٨ الفصل الثالث فى التأسى فى الشدة والتسلى عن نوائب الدهر
٥٩ الباب السابع والخمسون فيما جاء فى اليسر بعد العسر والفرج بعد الشدة والفرح الخ
٦٤ الباب الثامن والخمسون فى ذكر العبيد والاماء والخدم وفيه فصلان
٦٤ الفصل الاول فى مدح العبيد والاماء والاستيصاء بهم خيرا
٦٥ الفصل الثانى فى ذم العبيد والخدم
٦٦ الباب التاسع والخمسون فى أخبار العرب الجاهلية وأوابدهم وذكر غرائب من عوائدهم الخ
٦٩ الباب الستون فى الكهانة والقيافة والزجر والعرافة والفأل الخ
٧٦ الباب الحادى والستون فى الحيل والخدائع المتوصل بها الى بلوغ المقاصد والتيقظ الخ
٨١ الباب الثانى والستون فى ذكر الدواب والوحوش والطير والهوام والحشرات الخ
١٠٨ الباب الثالث والستون فى ذكر نبذة من عجائب المخلوقات وصفاتهم
١١١ الباب الرابع والستون فى خلق الجان وصفاتهم
١١٣ الباب الخامس والستون فى ذكر البحار وما فيها من العجائب الخ وفيه فصول

صحيفه

١١٣ الفصل الاول فى ذكر البحار

١١٥ الفصل الثانى فى ذكر الانهار والآبار والعيون

١١٦ الفصل الثالث فى ذكر الآبار

١١٧ الباب السادس والستون فى ذكر عجائب الارض وما فيها من الجبال والبلدان الخ وفيه فصول

١١٧ الفصل الاول فى ذكر الارض وما فيها من العمران والخراب

١١٧ الفصل الثانى فى ذكر الجبال

١١٨ الفصل الثالث فى ذكر المبانى العظيمة وغرائبها وعجائبها

١٢٠ الباب السابع والستون فى ذكر المعادن والاحجار وخواصها

١٢٢ الباب الثامن والستون فى الاصوات والالحان وذكر الغناء الخ

١٢٦ الباب التاسع والستون فى ذكر المغنين والمطربين وأخبارهم الخ

١٣٠ الباب السبعون فى ذكر القينات والاغانى

١٣٤ الباب الحادى والسبعون فى ذكر العشق ومن بلى به الخ وفيه فصول

١٣٤ الفصل الاول فى وصف العشق

١٣٥ الفصل الثانى فيمن عشق وعف والافتخار بالعفاف

١٣٨ الفصل الثالث فى ذكر من مات بالحب والعشق

١٤٣ الباب الثانى والسبعون فى ذكر رقائق الشعر والمواليا والدوبيت وكان وكان الخ وفيه فصول

١٤٣ الفصل الاول فى الشعر

١٦٨ فصل فى ذكر أرباب الصنائع والحرف والاسماء وما أشبه ذلك

١٧١ فصل فى الالغاز

١٨٣ الباب الثالث والسبعون فى ذكر النساء وصفاتهن ونكاحهن الخ وفيه فصول

١٨٣ الفصل الاول فى النكاح وفضله والترغيب فيه

١٨٨ الفصل الثانى فى صفات النساء المحمودة

١٨٩ الفصل الثالث فى صفة المرأة السوء

١٨٩ الفصل الرابع فى مكر النساء وغدرهن وذمهن ومخالفتهن

صحيفه

١٩٠ الفصل الخامس فى الطلاق وما جاء فيه

١٩٢ الباب الرابع والسبعون فى تحريم الخمر وذمها والنهى عنها

١٩٣ الباب الخامس والسبعون فى المزاح والنهى عنه الخ وفيه فصول

١٩٣ الفصل الاول فى النهى عن المزاح

١٩٤ الفصل الثانى فيما جاء فى الترخيص فى المزاح والبسط والتنعم

١٩٥ الباب السادس والسبعون فى النوادر والحكايات وفيه عشرة فصول

١٩٥ الفصل الاول فى نوادر العرب

١٩٧ الفصل الثانى فى نوادر القراء والفقهاء

١٩٨ الفصل الثالث فى نوادر القضاة

١٩٩ الفصل الرابع فى نوادر النحاة

١٩٩ الفصل الخامس فى نوادر المعلمين

٢٠٠ الفصل السادس فى نوادر المتنبئين

٢٠١ الفصل السابع فى نوادر السؤال

٢٠١ الفصل الثامن فى نوادر المؤذنين

٢٠٢ الفصل التاسع فى نوادر النواتية

٢٠٢ الفصل العاشر فى نوادر جامعة

٢٠٣ الباب السابع والسبعون فى الدعاء وآدابه وشروطه وفيه فصلان

٢٠٣ الفصل الاول فى الدعاء وآدابه

٢٠٥ الفصل الثانى فى الادعية وما جاء فيها

٢١١ الباب الثامن والسبعون فى القضاء والقدر وأحكامه والتوكل على الله عز وجل

٢١٦ الباب التاسع والسبعون فى التوبة وشروطها والندم والاستغفار

٢١٩ الباب الثمانون فى ذكر الامراض والعلل والطب والدواء الخ وفيه فصول

٢١٩ الفصل الاول فى الامراض والعلل وما جاء فى ذلك من الاجر والثواب

٢١٩ الفصل الثانى فى ذكر العلل كالبخر والعرج الخ

٢٢١ الفصل الثالث فى التداوى من الامراض والطب

٢٢٥ الفصل الرابع فى العيادة وفضلها

٢٢٦ الباب الحادى والثمانون فى ذكر الموت وما

صحيفه		صحيفه	
	يتصل به من القبر وأحواله	٢٣٥	الفصل الثالث في المراثي
٢٣٠	الباب الثاني والثمانون في الصبر والتأسي والتعازي والمراثي الخ وفيه فصول	٢٣٨	الباب الثالث والثمانون في ذكر الدنيا وأحوالها وتقلبها بأهلها والزهد فيها
٢٣٠	الفصل الاول في الصبر	٢٤٣	الباب الرابع والثمانون فيما جاء في فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم
٢٣٢	الفصل الثاني في التعازي والتأسي		

﴿تمت﴾

﴿فهرست بقية كتاب ثمرات الاوراق الموشى به هامش كتاب المستطرف﴾

صحيفه		صحيفه	
٢	من لطائف المنقول من صدق محبة ابي طالب لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم	٢٨	نادرة الشيخ مدرك من أكابر علماء المغرب مع محبوبه عمرو بن يوحنا
١٠	من شهي المجتنى من ثمرات الاوراق ما روي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه	٣٢	نادرة مهذب الدين مع الشريف الموسوي نقيب الاشراف
١١	من مناقب الامام عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه فتح بيت المقدس	٣٦	حكاية تتعلق بدخول ابن الوردي دمشق المحروسة
١٧	حكاية الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر لما خرجوا حجاجا	٣٨	تحفة من فوائد كتاب الانشاء
١٨	نادرة حج هشام بن عبد الملك وجهد أن يستلم الحجر فلم يقدر فأقبل علي بن الحسين الخ	٤٤	من انشاء القاضي الفاضل في وفاء النيل ورسالة عقبها للمؤلف تتعلق بوفاء النيل أيضا
١٩	ذهاب سيدنا عمر بن الخطاب الى الشام وتلقي سيدنا معاوية له	٤٩	رسالة بحرية كتب بها المؤلف الى علامة العصر الشيخ بدر الدين الدماميني
٢٠	من لطائف معاوية مع ابن الزبير رضي الله عنهما	٥٧	رسالة حظيرة الانس الى حضرة القدس من بديع انشاء ابن نباتة في رحلته الى القدس الشريف مع الصاحب أمين الدين
٢١	نادرة تميم بن جميل الحارجي وكان قد خرج على المعتصم	٦٨	رسالة تتعلق برحلة المؤلف صحبة الركاب الشريف السلطاني المؤيدي
٢٢	ما وقع بين غسان بن عباد وبين علي بن عيسى القمر	٧٧	رحلة المؤلف من الديار المصرية الى دمشق المحمية
٢٤	حكاية الرجل الذي عمر ورأى الاعاجيب مع معاوية	٩٠	جملة صالحة تتعلق بما يجب أن يكون المنشئ متصفا به

﴿تمت﴾

فهرست الذيل الاول لثمرات الاوراق

صحيفه		صحيفه	
١٠٩	ذكر سبب حج هرون الرشيد ماشيا		الحباب الانصاري
١١٢	حكاية تتعلق بعداس أبي القاسم الطنبوري	١٣٥	نادرة الجاحظ مع معلم كتاب
١١٧	حكاية عن ابن المبارك حين حج الى بيت الله الحرام	١٣٦	من غريب ما يحكى في كتاب الفرج بعد الشدة عن منارة صاحب الخلفاء
١٢٤	نوادر تتعلق بكرم معن بن زائدة الشيباني رحمه الله تعالى	١٤٣	نادرة لطيفة من أخبار المذاكرة ونشوان المحاضرة
١٢٩	حكاية عبد الله بن معمر القيسي مع عتبة بن	١٦١	قصيدة علي بن زريق البغدادي

تمت

فهرست الذيل الثاني لثمرات أيضا

صحيفه		صحيفه	
١٦٦	حكاية تتعلق بأخي الصاحب بدر الدين وزير اليمن وكان بديعا في الجمال	٢٠٣	نبذة من أخبار البخلاء
١٦٧	حكاية بديعة نقلت من تاريخ ابن خلكان	٢١٠	من اللطائف والغرائب الدالة على الوفاء بالذمم ما حكاه بعض خدم أمير المؤمنين المأمون الخ
١٧١	نادرة الشيخ ابن كثير مع جار له رث الثياب منتن الريح	٢١٧	نادرة عن العباس صاحب شرطة المأمون
١٧٢	لطيفة نقيب الاشراف البغدادي	٢٢١	موعظة تتعلق بأبي عبد الله الاندلسي شيخ كل من بالعراق
١٧٣	حكاية من المستعذبات عن الفضل بن يحيى	٢٣٩	حكاية عروة بن الزبير وصبره على البلاء
١٧٥	حكاية تتعلق ببعض الملوك حين نظر الى امرأة غلامه	٢٤٠	غريبة مسلم بن الوليد
١٧٨	سؤال الحجاج للغضبان بن القبعثري ليمتحنه وارساله الى ابن الاشعث وافدا وما جرى له	٢٤١	من لطائف ما حكاه أبو الفرج في كتاب النساء عن أبي العباس السفاح
١٩١	أخذ الحجاج ليزيد بن المهلب بن أبي صفرة وتعذيبه وما يتبع ذلك من نوادر الكرماء	٢٤٤	حكاية تتعلق بعمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه وطوافه بالليل في سكك المدينة

تمت

﴿الجزء الاول﴾

من كتاب المستطرف في كل فن مستظرف
تأليف الامام الأوحد العالم العلامه
اللوذعي الفهامه الشيخ شهاب الدين
أحمد الابشيهي تغمده
الله بالرحمة والرضوان
آمين

وبهامشه كتاب ثمرات الأوراق في المحاضرات لحجة العرب وترجمان الأدب الامام تقي الدين ابن أبي بكر بن علي المعروف بابن حجة الحموي الحنفي تغمده الله برحمته وأسكنه فراديس جنته مكملا بهجة آدابه للواقف عليه * بأن نظم في سموط فرائده عقود ذيليه أولهما في المحاضرات أيضا للامام ابن حجة المذكور ضاعف الله لنا وله الأجور وثانيهما للعلامة الأديب والفهامة الأريب الهمام الكامل واللوذعي الفاضل الشيخ ابراهيم بن الاحدب بلغه الله في آخرته كل مأرب بمنه وكرمه آمين بجاه سيد الأولين والآخرين

﴿محل بيعه بمكتبة ملتزميه﴾
حضرة الشيخ محمد المليجي الكتبي وأخيه
قريبا من الجامع الأزهر بمصر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الملك العظيم العلي الكبير الغني الحميد اللطيف الخبير المنفرد بالعز والبقاء والارادة والتدبير الحي العليم الذي ليس كمثله شيء وهو السميع البصير تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير أحمده حمد عبد معترف بالعجز والتقصير وأشكره على ما أعان عليه من قصد ويسر من عسير وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له ولا مشير ولا ظهير له ولا وزير وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله البشير النذير السراج المنير المبعوث الى كافة الخلق من غني وفقير ومأمور وأمير صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه صلاة يفوز قائلها من الله بمغفرة وأجر كبير وينجو بها في الآخرة من عذاب السعير وحسبنا الله ونعم الوكيل فنعم المولى ونعم النصير ﴿أما بعد﴾ فقد رأيت جماعة من ذوي الهمم جمعوا أشياء كثيرة من الآداب والمواعظ والحكم وبسطوا المجلدات في التواريخ والنوادر والاخبار والحكايات واللطائف ورقائق الأشعار وألفوا في ذلك كتبا كثيرة وتفرد كل منها بفرائد فوائد لم تكن في غيره من الكتب محصورة فاستخرت الله تعالى وجمعت من مجموعها هذا المجموع اللطيف وجعلته مشتملا على كل فن ظريف ﴿وسميته المستطرف في كل فن مستظرف﴾ واستدللت فيه بآيات كثيرة من القرآن العظيم وأحاديث صحيحة من أحاديث النبي الكريم وطرزته بحكايات حسنة عن الصالحين الأخيار ونقلت فيه كثيرا مما أودعه الزمخشري في كتابه ربيع الابرار وكثيرا مما نقله ابن عبد ربه في كتابه العقد الفريد ورجوت أن يجد مطالعه فيه كل ما يقصد ويريد وجمعت فيه لطائف وظرائف عديدة من منتخبات الكتب النفيسة المفيدة وأودعته من الاحاديث النبوية والامثال الشعرية والالفاظ اللغوية والحكايات الجدية والنوادر الهزلية ومن الغرائب والدقائق والاشعار والرقائق ما تشنف بذكره الاسماع وتقر برؤيته العيون وينشرح بمطالعته كل قلب محزون شعر

من كل معنى يكاد الميت يفهمه * حسنا ويعشقه القرطاس والقلم

(وجعلته) يشتمل على أربعة وثمانين بابا من أحسن الفنون متوجة بألفاظ كأنها الدر المكنون كما قال بعضهم شعرا في المعنى

ففي كل باب منه در مؤلف * كنظم عقود زينتها الجواهر

فان

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(قال) الشيخ الامام حجة العرب وترجمان الادب تقي الدين أبو بكر بن حجة الحنفي منشئ دواوين الانشاء الشريف بالممالك الاسلامية تغمده الله برحمته (أما بعد) حمد الله الذي فكهنا بثمار أوراق العلماء والصلاة والسلام على نبيه شجرة العلم التي أصلها ثابت وفرعها في السماء وعلى آله وصحبه الذين هم فروع هذه الشجرة وأغصانها التي دنت لهذه الامة قطوفها المثمرة فاني وريت بتسمية هذا الكتاب بثمار الاوراق عالما أن قطوفه لم تدن لغير ذوي الاذواق ﴿فمن ذلك﴾ ما نقلته من درة الغواص لابي محمد القاسم بن علي الحريري صاحب المقامات أن أبا العباس المبرد روى أن بعض أهل الذمة سأل أبا عثمان المازني في قراءة كتاب سيبويه عليه وبذل له مائة دينار في تدريسه اياه فامتنع أبو عثمان من ذلك فقال له المبرد جعلت فداك أترد هذه النفقة مع فاقتك واحتياجك اليها فقال أبو عثمان هذا الكتاب يشتمل على ثلثمائة حديث وكذا كذا آية من كتاب الله ولست أرى أن أمكن منها ذميا غيرة على كتاب الله تعالى وحمية له قال فاتفق أن غنت جارية بحضرة الواثق من شعر العرجي

أظلوم ان مصابكم رجلا
أهدى السلام تحية ظلم

فاختلف من بالحضرة في اعراب رجلا فمنهم من نصبه وجعله اسم ان ومنهم من رفعه على انه خبرها والجارية مصرة على ان شيخها أبا عثمان المازني لقنها اياه بالنصب فأمر الواثق باشخاصه قال أبو عثمان فلما مثلت بين يديه قال ممن الرجل قلت من مازن يا أمير

فان نظم العقد الذى فيه جوهر * على غير تأليف فما الدر فاخر

(وضمنته) كل لطيفة ونظمته بكل ظريفة وقرنت الاصول فيه بالفصول ورجوت أن يتيسر لى ما رمته من الوصول (وجعلت) أبوابه مقدمة وفصلتها فى مواضعها مرتبة منظمة ليقصد الطالب الى كل باب منها عند الاحتياج اليه ويعرف مكانه بالاستدلال عليه فيجد كل معنى فى بابه ان شاء الله تعالى والله المسؤل فى تيسير المطلوب وأن يلهم الناظر فيه ستر ما يراه من خلل وعيوب انه على ما يشاء قدير وبالاجابة جدير وهذه فهرست الكتاب والله سبحانه المهون للصعاب

(الباب الاول) فى مبانى الاسلام وفيه خمسة فصول (الباب الثانى) فى العقل والذكاء والحمق والذم وغير ذلك (الباب الثالث) فى القرآن العظيم وفضله وحرمته وما أعد الله تعالى لقارئه من الثواب العظيم والأجر الجسيم (الباب الرابع) فى العلم والأدب وفضل العالم والمتعلم (الباب الخامس) فى الآداب والحكم وما أشبه ذلك (الباب السادس) فى الأمثال السائرة وفيه فصول (الباب السابع) فى البيان والبلاغة والفصاحة وذكر الفصحاء من الرجال والنساء وفيه فصول (الباب الثامن) فى الاجوبة المسكتة والمستحسنة ورشقات اللسان وما جرى مجرى ذلك (الباب التاسع) فى ذكر الخطب والخطباء والشعراء وسرقاتهم وكبوات الجياد وهفوات الامجاد (الباب العاشر) فى التوكل على الله تعالى والرضا بما قسم والقناعة وذم الحرص والطمع وما أشبه ذلك وفيه فصول (الباب الحادى عشر) فى المشورة والنصيحة والتجارب والنظر فى العواقب (الباب الثانى عشر) فى الوصايا الحسنة والمواعظ المستحسنة وما أشبه ذلك (الباب الثالث عشر) فى الصمت وصون اللسان والنهى عن الغيبة والسعى بالنميمة ومدح العزلة وذم الشهرة وفيه فصول (الباب الرابع عشر) فى الملك والسلطان وطاعة ولاة أمور الاسلام وما يجب للسلطان على الرعية وما يجب لهم عليه (الباب الخامس عشر) فيما يجب على من صحب السلطان والتحذير من صحبته (الباب السادس عشر) فى الوزراء وصفاتهم وأحوالهم وما أشبه ذلك (الباب السابع عشر) فى ذكر الحجاب والولاية وما فيها من الغرر والخطر (الباب الثامن عشر) فيما جاء فى القضاء وذكر القضاة وقبول الرشوة والهدية على الحكم وما يتعلق بالديون وذكر القصاص والمتصوفة وفيه فصول (الباب التاسع عشر) فى العدل والاحسان والانصاف وغير ذلك (الباب العشرون) فى الظلم وشؤمه وسوء عواقبه وذكر الظلمة وأحوالهم وغير ذلك (الباب الحادى والعشرون) فى بيان الشروط التى تؤخذ على العمال وسيرة السلطان فى استجباء الخراج وأحكام أهل الذمة وفيه فصلان (الباب الثانى والعشرون) فى اصطناع المعروف واغاثة الملهوف وقضاء الحوائج للمسلمين وادخال السرور عليهم (الباب الثالث والعشرون) فى محاسن الاخلاق ومساويها (الباب الرابع والعشرون) فى حسن المعاشرة والمودة والأخوة والزيارة وما أشبه ذلك (الباب الخامس والعشرون) فى الشفقة على خلق الله تعالى والرحمة بهم وفضل الشفاعة واصلاح ذات البين وفيه فصلان (الباب السادس والعشرون) فى الحياء والتواضع ولين الجانب وخفض الجناح وفيه فصلان (الباب السابع والعشرون) فى العجب والكبر والخيلاء وما أشبه ذلك (الباب الثامن والعشرون) فى الفخر والمفاخرة والتفاضل والتفاوت (الباب التاسع والعشرون) فى الشرف والسودد وعلو الهمة (الباب الثلاثون) فى الخير والصلاح وذكر السادة الصحابة وذكر الاولياء والصالحين رضى الله عنهم (الباب الحادى والثلاثون) فى مناقب الصالحين وكرامات الاولياء رضى الله عنهم (الباب الثانى والثلاثون) فى ذكر الاشرار والفجار وما يرتكبون من الفواحش والوقاحة والسفاهة (الباب الثالث والثلاثون) فى الجود والسخاء والكرم ومكارم الاخلاق واصطناع المعروف وذكر الامجاد وأحاديث الاجواد (الباب الرابع والثلاثون) فى البخل والشح وذكر البخلاء وأخبارهم وما جاء عنهم (الباب الخامس والثلاثون) فى الطعام وآدابه والضيافة وآداب الضيف والضيف وأخبار الاكلة وما جاء عنهم وغير ذلك (الباب السادس والثلاثون) فى العفو والحلم والصفح وكظم الغيظ والاعتذار وقبول المعذرة والعتاب وما أشبه ذلك (الباب السابع والثلاثون) فى الوفاء بالوعد وحسن العهد ورعاية الذمم (الباب الثامن والثلاثون) فى كتمان السر وتحصينه وذم افشائه (الباب التاسع

المؤمنين قال أى الموازن قلت من مازن ربيعة فكلمنى بكلام قومى وقال باسمك لانهم يقلبون الميم باء والباء ميما اذا كانت فى أول الاسماء فكرهت ان أجيبه على لغة قومى لئلا أواجهه بالمكر فقلت بكر يا أمير المؤمنين ففطن لما قصدته وأعجبه منى ذلك ثم قال ما تقول فى قول الشاعر

أظلوم ان مصابكم رجلا
أهدى السلام تحية ظلم

اترفع رجلا أم تنصبه فقلت الوجه النصب يا أمير المؤمنين قال ولم ذلك فقلت ان مصابكم مصدر بمعنى اصابتكم فأخذ اليزيدى فى معارضتى فقلت هو بمنزلة قولك ان ضربك زيدا ظلم فالرجل مفعول مصابكم ومنصوب به والدليل عليه ان الكلام متعلق الى أن تقول ظلم فيتم فاستحسنه الواثق وأمر له بألف دينار قال أبو العباس المبرد فلما عاد أبو عثمان الى البصرة قال لى كيف رأيت رددنا لله مائة فعوضنا ألفا * ونقلت من درة الغواص أيضا * ان حامد بن العباس سأل على بن عيسى فى ديوان الوزارة ما دواء الخمار وكان قد علق به فأعرض عن كلامه وقال ما أنا وهذه المسئلة فخجل حامد منه والتفت الى قاضى القضاة أبى عمر فسأله عن ذلك فتنحنح لاصلاح صوته ثم قال قال الله تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وقال النبى صلى الله عليه وسلم استعينوا على كل صنعة بصالح أهلها والاعشى هو المشهور بهذه الصناعة فى الجاهلية حيث قال

وكأس شربت على لذة
وأخرى تداويت منها بها

ثم تلاه أبو نواس فى الاسلام فقال

دع عنك لومى فان اللوم اغراء
وداونى بالتى كانت هى الداء

والثلاثون) في الغدر والخيانة والسرقة والعداوة والبغضاء والحسد وفيه فصول (الباب الاربعون) في الشجاعة وثمرتها والحروب وتدبيرها وفضل الجهاد وشدة البأس والتحريض على القتال وفيه فصول (الباب الحادى والاربعون) في ذكر أسماء الشجعان وذكر الابطال وطبقاتهم وأخبارهم وذكر الجبناء وأخبارهم وذم الجبن (الباب الثانى والاربعون) في المدح والثناء وشكر النعمة والمكافأة وفيه فصول (الباب الثالث والاربعون في الهجاء ومقدماته (الباب الرابع والاربعون) في الصدق والكذب وفيه فصلان (الباب الخامس والاربعون) في بر الوالدين وذم العقوق وذكر الاولاد وما يجب لهم وعليهم وصلة الرحم والقرابات وذكر الانسان وفيه فصول (الباب السادس والاربعون) في الخلق وصفاتهم وأحوالهم وذكر الحسن والقبح والطول والقصر والالوان واللباس وما أشبه ذلك (الباب السابع والاربعون) في ذكر الحلى والمصوغ والطيب والتطيب وما جاء في التختم (الباب الثامن والاربعون) في الشباب والشيب والصحة والعافية وأخبار المعمرين وما أشبه ذلك وفيه فصول (الباب التاسع والاربعون) في الاسماء والكنى والالقاب وما استحسن منها (الباب الخمسون) في الاسفار والاغتراب وما قيل في الوداع والفراق والحث على ترك الاقامة بدار الهوان وحب الوطن والحنين الى الاوطان (الباب الحادى والخمسون) في ذكر الغنى وحب المال والافتخار بجمعه (الباب الثانى والخمسون) في ذكر الفقر ومدحه (الباب الثالث والخمسون) في ذكر التلطف في السؤال وذكر من سئل فجاد (الباب الرابع والخمسون) في ذكر الهدايا والتحف وما أشبه ذلك (الباب الخامس والخمسون) في العمل والكسب والصناعات والحرف والعجز والتوانى وما أشبه ذلك (الباب السادس والخمسون) في شكوى الزمان وانقلابه بأهله والصبر على المكاره والتسلى عن نوائب الدهر وفيه ثلاثة فصول (الباب السابع والخمسون) فيما جاء في اليسر بعد العسر والفرج بعد الشدة والسرور بعد الحزن ونحو ذلك (الباب الثامن والخمسون) في ذكر العبيد والاماء والخدم وفيه فصلان (الباب التاسع والخمسون) في أخبار العرب وذكر غرائب من عوائدهم وعجائب أمرهم (الباب الستون) في الكهانة والقيافة والزجر والعرافة والفأل والطيرة والفراسة والنوم والرؤيا (الباب الحادى والستون) في الحيل والخدائع المتوصل بها الى بلوغ المقاصد والتيقظ والتبصر ونحو ذلك (الباب الثانى والستون) في ذكر الدواب والوحوش والطير والهوام والحشرات مرتبا على حروف المعجم (الباب الثالث والستون) في ذكر نبذة من عجائب المخلوقات وصفاتهم (الباب الرابع والستون) في خلق الجان وصفاتهم (الباب الخامس والستون) في ذكر البحار وما فيها من العجائب وذكر الانهار والآبار وفيه فصول (الباب السادس والستون) في ذكر عجائب الارض وما فيها من الجبال والبلدان وغرائب البنيان وفيه فصول (الباب السابع والستون) في ذكر المعادن والاحجار وخواصها (الباب الثامن والستون) في الاصوات والالحان وذكر الغناء واختلاف الناس ومن كرهه واستحسنه (الباب التاسع والستون) في ذكر المغنين والمطربين وأخبارهم ونوادر الجلساء في مجالس الخلفاء (الباب السبعون) في ذكر القينات والاغانى (الباب الحادى والسبعون) في ذكر العشق ومن بلى به والافتخار به والعفاف وأخبار من مات بالعشق وما في معنى ذلك وفيه فصول (الباب الثانى والسبعون) في ذكر رقائق الشعر والمواليا والدوبيت وكان وكان والموشحات والزجل والقومة والالغاز ومدح الاسماء والصفات وفيه فصول (الباب الثالث والسبعون) في ذكر النساء وصفاتهن ونكاحهن وطلاقهن وما يمدح وما يذم من عشرتهن وفيه فصول (الباب الرابع والسبعون) في ذم الخمر وتحريمها والنهى عنها (الباب الخامس والسبعون) في المزاح والنهى عنه وما جاء في الترخيص فيه والبسط والتنعم وفيه فصول (الباب السادس والسبعون) في النوادر والحكايات وفيه فصول (الباب السابع والسبعون) في الدعاء وآدابه وشروطه وفيه فصول (الباب الثامن والسبعون) في القضاء والقدر وأحكامهما والتوكل على الله تعالى (الباب التاسع والسبعون) في التوبة وشروطها والندم والاستغفار (الباب الثمانون) في ذكر الامراض والعلل والطب والدواء من السنة والعيادة وثوابها وما أشبه ذلك وفيه فصول (الباب الحادى والثمانون) في ذكر الموت وما يتصل به من القبر وأحواله (الباب الثانى والثمانون) في الصبر والتأسى والتعازى والمراثى ونحو ذلك وفيه فصول (الباب الثالث والثمانون) في ذكر الدنيا وأحوالها وتقلبها

باهلها

فاسفر حينئذ وجه حامد وقال لابن عيسى ما ضرك يا بارد أن تجيب ببعض ما أجاب به مولانا قاضى القضاة وقد استظهر في جواب المسئلة بقول الله تعالى أولا ثم بقول النبى صلى الله عليه وسلم ثانيا وأدى المعنى وخرج من العهدة فكان خجل ابن عيسى أكثر من خجل حامد لما ابتدأه بالمسئلة انتهى (ويضارع هذه الحكاية) في لين بعض القضاة المتقشفين واذعانهم مع الزهد والتقشف للمستفتين ما نقلته من درة الغواص للحريرى أيضا قال اجتمع قوم على شراب فتغنى مغنيهم بشعر حسان

ان التى ناولتنى فرددتها
قتلت قتلت فهاتها لم تقتل
كلتاهما حلب العصير فعاطنى
بزجاجة أرخاهما للمفصل

فقال بعضهم امرأتى طالق ان لم أسأل الليلة عبيد الله بن الحسن القاضى عن علة هذا الشعر كيف قال ان التى فوحد ثم قال كلتاهما فثنى فأشفقوا على صاحبهم وتركوا ما كانوا فيه ومضوا يتخبطون القبائل الى بنى شقرة فوجدوا عبيد الله بن الحسن يصلى فلما فرغ من صلاته قالوا له قد جئناك في أمر دعتنا اليه الضرورة وشرحوا له الخبر وسألوه الجواب فقال مع زهده وتقشفه ان التى ناولتنى فرددتها عنى بها الخمرة ممزوجة بالماء ثم قال كلتاهما حلب العصير يريد الخمرة المحلبة من العنب والماء المحلب من السحاب المكنى عنه بالمعصرات انتهى (قال الحريرى) وقد بقى في الشعر ما يحتاج الى تفسيره أما قوله ان التى ناولتنى فرددتها قتلت قتلت فانه خاطب به الساقى الذى ناوله كأسها ممزوجة لانه يقال قتلت الخمرة اذا مزجتها فأراد أن يعلمه انه فطن لما فعله ثم ما اقتنع بذلك منه حتى دعا عليه بالقتل في مقابلة المزج

بأهلها والزهد فيها ونحو ذلك (الباب الرابع والثمانون) في فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وهو آخر الابواب ختمتها بالصلاة على سيد العباد أرجو بذلك شفاعته صلى الله عليه وسلم يوم المعاد

﴿الباب الاول في مباني الاسلام وفيه خمسة فصول﴾

﴿الفصل الاول في الاخلاص لله تعالى والثناء عليه﴾

وهو أن تعلم أن الله تعالى واحد لا شريك له فرد لا مثل له صمد لا ند له أزلي قائم أبدي دائم لا أول لوجوده ولا آخر لابديته قيوم لا يفنيه الابد ولا يغيره الامد بل هو الاول والآخر والظاهر والباطن منزه عن الجسمية ليس كمثله شيء وهو فوق كل شيء فوقيته لا تزيده بعدا عن عباده وهو أقرب الى العبيد من حبل الوريد وهو على كل شيء شهيد وهو معكم أينما كنتم لا يشابه قربه قرب الاجسام كما لا يشابه ذاته ذوات الاجرام منزه عن أن يحده زمان مقدس عن أن يحيط به مكان تراه أبصار الابرار في دار القرار على ما دلت عليه الآيات والاخبار حي قادر جبار قاهر لا يعتريه عجز ولا قصور ولا تأخذه سنة ولا نوم له الملك والملكوت والعزة والجبروت خلق الخلق وأعمالهم وقدر أرزاقهم وآجالهم لا تحصى مقدوراته ولا تتناهى معلوماته عالم بجميع المعلومات لا يعزب عنه مثقال ذرة في الارض ولا في السموات يعلم السر وأخفى ويطلع على هواجس الضمائر وخفيات السرائر مريد للكائنات مدبر للحادثات لا يجري في ملكه قليل ولا كثير ولا جليل ولا حقير خير أو شر نفع أو ضر الا بقضائه وقدره وحكمه ومشيئته فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن فهو المبدئ المعيد الفاعل لما يريد لا معقب لحكمه ولا راد لقضائه ولا مهرب لعبد عن معصيته الا بتوفيقه ورحمته ولا قوة له على طاعته الا بمحبته وارادته لو اجتمع الانس والجن والملائكة والشياطين على أن يحركوا في العالم ذرة أو يسكنوها دون ارادته لعجزوا سميع بصير متكلم بكلام لا يشبه كلام خلقه وكل ما سواه سبحانه وتعالى فهو حادث أوجده بقدرته وما من حركة وسكون الا وله في ذلك حكمة دالة على وحدانيته قال الله تعالى ان في خلق السموات والارض الآية وقال أبو العتاهية

فياعجبا كيف يعصى الا له * أم كيف يجحده الجاحد * وفي كل شيء له آية
تدل على أنه الواحد * ولله في كل تحريكة * وتسكينة في الورى شاهد

وقال غيره

كل ما ترتقي اليه بوهم * من جلال وقدرة وسناء
فالذي أبدع البرية أعلى * منه سبحان مبدع الاشياء

(وقال) علي رضي الله عنه في بعض وصاياه لولده اعلم يا بني انه لو كان لربك شريك لأتتك رسله ولرأيت آثار ملكه وسلطانه ولعرفت أفعاله وصفاته ولكنه اله واحد لا يضاده في ملكه أحد وعنه عليه الصلاة والسلام كل ما يتصور في الاذهان فالله سبحانه بخلافه وقال لبيد بن ربيعة

ألا كل شيء ما خلا الله باطل * وكل نعيم لا محالة زائل * وكل ابن أنثى لو تطاول عمره
الى الغاية القصوى فللقبر آيل * وكل أناس سوف تدخل بينهم * دويهية تصفر منها الانامل
كل امرئ يوما سيعرف سعيه * اذا حصلت عند الاله الحصائل

(وروى) أن النبي صلى الله عليه وسلم قال وهو على المنبر ان أشعر كلمة قالتها العرب * ألا كل شيء ما خلا الله باطل * ثم بعد هذا الاعتقاد الاقرار بالشهادة بأن محمدا رسول الله بعثه برسالته الى الخلائق كافة وجعله خاتم الانبياء ونسخ بشريعته الشرائع وجعله سيد البشر والشفيع المشفع في المحشر وأوجب على الخلق تصديقه فيما أخبر عنه من أمور الدنيا والآخرة فلا يصح ايمان عبد حتى يؤمن بما أخبر به بعد الموت من سؤال منكر ونكير وهما ملكان من ملائكة الله تعالى يسألان العبد في قبره عن التوحيد والرسالة ويقولان له من ربك وما دينك ومن نبيك ويؤمن بعذاب القبر وأنه حق وأن الميزان حق والصراط حق والحساب حق وان الجنة حق والنار حق وأن الله تعالى يدخل الجنة من يشاء بغير حساب وهم المقربون وأنه يخرج عصاة الموحدين من النار بعد الانتقام حتى لا يبقى في جهنم من في قلبه مثقال ذرة من الايمان ويؤمن بشفاعة الانبياء ثم بشفاعة العلماء ثم بشفاعة الشهداء وأن يعتقد فضل الصحابة رضي الله تعالى عنهم ويحسن الظن بجميعهم على ما وردت به الاخبار وشهدت به الآثار فمن اعتقد جميع ذلك ومنابه موقنا فهو من أهل

ثم انه عقب الدعاء عليه بان استعطى منه ما لم تقتل يعني الصرف التي لم تمزج وقوله أرخاهما للفصل يعني به اللسان ومعنى مفصلا بالكسر لانه يفصل بين الحق والباطل قال الحريري وليس على ما اعتمده القاضي عبد الله من الاستماح وخفض الجناح ما يقدح في نزاهته ويغض من نبله ونباهته والله أعلم (ونقلت من درة الغواص) أن عروة ابن أذينة الشاعر وفد على هشام ابن عبد الملك في جماعة من الشعراء فلما دخلوا عليه عرف عروة فقال له ألست القائل

لقد علمت وما الاسراف من خلقي
ان الذي هو رزقي سوف يأتيني
أسعى له فيعييني تطلبه
ولو قعدت أتاني لا يعنيني

وأراك قد جئت من الحجاز الى الشام في طلب الرزق فقال له يا أمير المؤمنين زادك الله بسطة في العلم والجسم ولا رد وافدك خائبا والله لقد بالغت في الوعظ وأذكرتني ما أنسانيه الدهر وخرج من فوره الى راحلته فركبها وتوجه راجعا الى الحجاز فلما كان في الليل ذكره هشام وهو في فراشه فقال رجل من قريش قال حكمة ووفد الى فجبهته ورددته عن حاجته وهو مع ذلك شاعر لا آمن ما يقول فلما أصبح سأل عنه فاخبر بانصرافه وقال لا جرم ليعلم أن الرزق سيأتيه ثم دعا مولى له وأعطاه ألفي دينار وقال الحق بهذه ابن أذينة وأعطه اياها قال فلم أدركه الا وقد دخل بيته فقرعت الباب عليه فخرج الى فأعطيته المال فقال أبلغ أمير المؤمنين قولي سعيت فأكديت ورجعت الى بيتي فأتاني رزقي (ويضارع هذه الحكاية) ما حكي عن هدبة بن خالد رحمه الله تعالى قال حضرت مائدة المأمون فلما رفعت المائدة جعلت ألتقط ما في الارض فنظر الى المأمون فقال أما شبعت

الحق والسنة مفارق لعصابة الضلال والبدعة رزقنا الله الثبات على هذه العقيدة وجعلنا من أهلها ووفقنا للدوام الى الممات على التمسك والاعتصام بحبلها انه سميع مجيب فهذه العقيدة قد اشتملت على أحد أركان الاسلام الخمسة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بني الاسلام على خمس شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة وصيام رمضان وحج البيت من استطاع اليه سبيلا

* الفصل الثاني في الصلاة وفضلها * قال الله تعالى حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين وقال تعالى وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وقال تعالى ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا * واختلفوا في اشتقاق اسم الصلاة مم هو فقيل هو من الدعاء وتسمية الصلاة دعاء معروفة في كلام العرب فسميت الصلاة صلاة لما فيها من الدعاء وقيل سميت بذلك من الرحمة قال الله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبي فهي من الله رحمة ومن الملائكة استغفار ومن الناس دعاء قال صلى الله عليه وسلم اللهم صل على آل أبي أوفى أي ارحمهم وقيل سميت بذلك من الاستقامة من قولهم صليت العود على النار اذا قومته والصلاة تقيم العبد على طاعة الله وخدمته وتنهاه عن خلافه قال الله تعالى ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر وقيل لأنها صلة بين العبد وربه وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال علم الايمان الصلاة فمن فرغ لها قلبه وحافظ عليها بحدودها فهو مؤمن وعن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه أنه قال وهو على المنبر ان الرجل ليشيب عارضاه في الاسلام وما أكمل لله تعالى صلاة قيل وكيف ذلك قال لا يتم ركوعها وسجودها وخشوعها وتواضعه واقباله على الله فيها وقالت عائشة رضي الله تعالى عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدثنا ونحدثه فاذا حضرت الصلاة فكأنه لم يعرفنا ولم نعرفه وقيل للحسن ما بال المتهجدين من أحسن الناس وجوها فقال لانهم خلوا بالرحمن فألبسهم نورا من نوره وقال بعضهم لا تفوت أحدا صلاة في جماعة الا بذنب * وكانت رابعة العدوية تصلي في اليوم والليلة ألف ركعة وتقول والله ما اريد بها ثوابا ولكن ليسر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول للانبياء عليهم الصلاة والسلام انظروا الى امرأة من أمتي هذا عملها في اليوم والليلة * وقال بعضهم صليت خلف ذي النون المصري فلما أراد أن يكبر رفع يديه وقال الله ثم بهت وبقي كأنه جسد لا روح فيه اعظاما لربه جل وعلا ثم قال الله أكبر فظننت ان قلبي انخلع من هيبة تكبيره * وقيل أوحى الله تعالى الى داود عليه السلام يا داود كذب من ادعى محبتي واذا جن عليه الليل نام عني أليس كل محب يحب الخلوة بحبيبه * ولعبد الله ابن المبارك رضي الله تعالى عنه

اذا ما الليل أظلم كابدوه * فيسفر عنهم وهم ركوع
أطار الخوف نومهم فقاموا * وأهل الأمن في الدنيا هجوع

وكان سيدي الشيخ الامام العلامة فتح الدين بن أمين الدين الحكم الحجريري رحمه الله كثيرا ما يتمثل بهذه الابيات

يا أيها الراقد كم ترقد * قم يا حبيبي قد دنا الموعد * وخذ من الليل ولو ساعة
تحظى اذا ما هجع الرقد * من نام حتى ينقضي ليله * لم يبلغ المنزل لو يجهد

وكان سيدي أويس القرني لا ينام ليله ويقول ما بال الملائكة لا يفترون ونحن نفتر وقال حذيفة رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حزبه أمر فزع الى الصلاة وقال هشام بن عروة كان أبي يطيل المكتوبة ويقول هي رأس المال وقال أبو الطفيل سمعت أبا بكر الصديق رضي الله تعالى عنه يقول يا أيها الناس قوموا الى نيرانكم فاطفئوها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الصلاة الى الصلاة كفارة لما بينهما ما اجتنبت الكبائر * وجزأ محمد بن المنكدر عليه وعلى أمه وعلى أخته الليل أثلاثا فماتت أخته فجزأه عليه وعلى أمه فماتت أمه فقام الليل كله * وكان مسلم بن بشار اذا أراد أن يصلي في بيته يقول لاهله تحدثوا فلست اسمع حديثكم * وكان اذا دخل البيت سكت أهله فلا يسمع لهم كلام فاذا قام الى الصلاة تحدثوا وضحكوا ووقع حريق الى جنبه وهو في الصلاة فما شعر به حتى أطفئ * وكان الحمام يقع على رأس ابن الزبير في المسجد الحرام يحسبه جذعا منصوبا لطول انتصابه في الصلاة وكانت العصافير تقع على ظهر ابراهيم بن شريك وهو ساجد كما تقع على الحائط * وختم القرآن في ركعة واحدة أربعة من الائمة عثمان بن عفان وتميم الداري وسعيد بن جبير وأبو حنيفة رضي الله تعالى عنهم ورأى الاوزاعي شابا بين القبر والمنبر فلما طلع الفجر استلقى ثم قال

يا شيخ قلت بلى يا أمير المؤمنين ولكن حدثني حماد بن سلمة عن ثابت بن أنس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من اقتطع لما تصحت مائدته أمن من الفقر فنظر المأمون الى خادم واقف بين يديه فأشار اليه فما شعرت أن جاءني ومعه منديل فيه ألف دينار فناولني اياه فقلت يا أمير المؤمنين وهذا من ذاك انتهى (ومن لطائف ما جنيت من ثمرات الاوراق) ان رجلا من الحذاق كان يكتب كتابا والى جانبه آخر فانتهى في كتابه الى اسم عمرو فكتبه بغير واو فقال يا مولانا زدها واوا للفرق بينها وبين عمر فقال له والله لقد تفضل مولانا بزيادة الواو يعني تفوضل (قلت) وبعضهم يرى ان الواو تزاد بعد لا النافية في الجواب اذا قيل هل فعلت كذا وكذا فيقول لا وعافاك الله * قال أبو الفرج بن الجوزي روي عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال لرجل عربي أكان كذا وكذا فقال لا أطال الله بقاءك فقال الامام عمر رضي الله عنه قد علمتم فلم تتعلموا هلا قلت لا وعافاك الله (وحكي) عن الصاحب بن عباد انه قال هذه الواو هنا أحسن من واوات الاصداغ في وجنات الملاح (قلت) وهذه الواو أعني واو عمرو نظم فيها الشعراء كثيرا منهم أبو نواس قال يهجو أشجع السلمي

قل لمن يدعي سليمى سفاها
لست منها ولا قلامة ظفر
انما أنت من سليمى كواو
ألحقت في الهجاء ظلما بعمرو

(وقال أبو سعيد الرستمي وأجاد)

أفي الحق أن يعطى ثلاثون شاعرا
ويحرم ما دون الرضا شاعر مثلي
كما سامحوا عمرا بواو مزيدة
وضويق بسم الله في ألف الوصل

(ومن لطائف المجتني) ما نقل عن السلطان صلاح الدين يوسف بن

*عند الصباح يحمد القوم السرى * فقال يا ابن اخى لك ولاصحابك لا للجمالين وكان خلف بن ايوب لا يطرد الذباب عن وجهه فى الصلاة فقيل له كيف تصبر فقال بلغنى أن الفساق يتصبرون تحت السياط ليقال فلان صبور وأنا بين يدى ربى أفلا أصبر على ذباب يقع على وقال أبو صفوان بن عوانة ما من منظر أحسن من رجل عليه ثياب بيض وهو قائم يصلى فى القمر كأنه يشبه الملائكة وقال الحسن ما كان فى هذه الأمة أعبد من فاطمة عليها السلام بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت تقوم بالاسحار حتى تورمت قدماها وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تورمت قدماه وهو المغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وكانت دموعه تقع فى مصلاه كوكف المطر وكان ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام يسمع لقلبه خفقان وغليان * هذا خوف الحبيب والخليل مع ما أعطيا من الاجلال والاكرام وشرف المقام فالعجب كيف يطمئن قلب من أزعجته الآثام وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل قال له ادع الله أن يجعلنى رفيقك فى الجنة فقال أعنى على نفسك بكثرة السجود وقال حاتم الأصم رحمه الله تعالى فاتتنى صلاة الجماعة مرة فعزانى أبو اسحق البخارى وحده ولو مات لى ولد لعزانى أكثر من عشرة آلاف لان مصيبة الدين عندهم أهون من مصيبة الدنيا وكان السلف رضى الله تعالى عنهم يعزون أنفسهم ثلاثة أيام اذا فاتتهم التكبيرة الاولى وسبعا اذا فاتتهم الجماعة وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ركعتان مقتصدتان فى تفكر خير من قيام ليلة والقلب ساه (وأنشد بعضهم)

خسر الذى ترك الصلاة وخابا * وأبى معادا صالحا ومآبا * ان كان يجحدها فحسبك أنه *
أضحى بربك كافرا مرتابا * أو كان يتركها لنوع تكاسل * غطى على وجه الصواب حجابا
فالشافعى ومالك رأيا له * ان لم يتب حد الحسام عقابا
والرأى عندى للامام عذابه * بجميع تأديب يراه صوابا

اللهم أعنا على الصلاة وتقبلها منا بكرمك ولا تجعلنا من الغافلين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين (ومما يستحسن الحاقه بهذا الفصل) ذكر شئ من فضل السواك والاذان (أما السواك) فقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم لولا أن أشق على أمتى لامرتهم بالسواك عند كل صلاة وقال أيضا صلاة على أثر سواك أفضل من خمس وسبعين صلاة على غير سواك وقال حذيفة بن اليمان رضى الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قام ليتهجد شاص فاه بالسواك وقال صلى الله عليه وسلم السواك مطهرة للفم مرضاة للرب وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال لو يعلم الناس ما فى السواك لبات مع الرجل فى لحافه وقال أيضا أفواهكم طرق لكلام ربكم فنظفوها * والاختيار فى السواك أن يكون بعود الاراك ويجزى بغيره من العيدان وبالسعد والاشنان والخرقة الخشنة وغير ذلك مما ينظف ويستاك عرضا مبتدئا بالجانب الايمن من فيه وينوى به الاتيان بالسنة والسواك بعود الزيتون يزيل الحفر من الاسنان وقال الاصحاب يقول عند السواك اللهم بارك لى فيه يا أرحم الراحمين ويستاك فى ظاهر الاسنان وباطنها ويمر السواك على أطراف أسنانه وأضراسه وسقف حلقه امرارا لطيفا ويستاك بعود متوسط لا شديد اليبوسة ولا شديد اللين فان اشتد يبسه لينه بالماء وقد قيل ان من فضائل السواك أنه يذكر الشهادة عند الموت ويسهل خروج الروح (وأما الاذان) فقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال يد الرحمن على رأس المؤذن حتى يفرغ من أذانه قيل فى قوله تعالى ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا نزلت فى المؤذنين وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال يغفر الله للمؤذن مدى صوته ويشهد له ما سمعه من رطب ويابس عن معاوية رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول المؤذنون أطول الناس أعناقا يوم القيامة رواه مسلم وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال اذا نودى للصلاة أدبر الشيطان وله ضراط حتى لا يسمع التأذين رواه البخارى ومسلم وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يسمع مدى صوت المؤذن جن ولا انس ولا شئ الا شهد له يوم القيامة رواه البخارى والاحاديث فى فضله كثيرة مشهورة والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿الفصل الثالث فى الزكاة وفضلها﴾ قرن الله سبحانه وتعالى الزكاة بالصلاة فى مواضع شتى من كتابه قال الله تعالى وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وقال تعالى رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة

أيوب فقيل انه قال يوما للقاضى الفاضل لنا مدة لم نر فيها العماد الكاتب فلعله ضعيف امض اليه وتفقد أحواله فلما دخل الفاضل الى دار العماد وجد أشياء أنكرها فى نفسه مثل آثار مجالس أنس ورائحة خمر وآلات طرب فانشد

ما ناصحتك خبايا الود من رجل
مالم ينلك بمكروه من العذل
محبتى فيك تأبى عن مسامحتى
بأن أراك على شئ من الزلل

فلما قام من عنده نزع العماد عما كان فيه وأقلع ولم يعد الى شئ من ذلك البتة (ومن اللطائف) ما نقل عن الملك الظاهر رحمه الله تعالى قيل انه لما استعرض الامير بدر الدين بيلبك الخازندار ليشتريه قال له أنا حر يا مولانا السلطان وأحسن الكتابة فاحضرت له دواة فكتب يقول

لولا الضرورة ما فارقتكم أبدا
ولا تنقلت من ناس الى ناس

فاعجبه الاستشهاد بهذا البيت ورغبه ذلك فى مشتراه (ويضارعه ما حكى عن الصاحب كمال الدين ابن العديم) قيل ان انسانا رفع قصة الى الصاحب المشار اليه فاعجبه خطها فامسكها وقال لرافعها هذا خطك قال لا ولكن حضرت الى باب مولانا فوجدت بعض مماليكه فكتبها الى فقال على به فلما حضر وجده مملوكه فقال هذا خطك قال نعم قال فهذه طريقتى من هو الذى أظهرك عليها فقال يا مولانا كنت اذا وقعت لاحد على قصة أخذتها منه وسألته المهلة حتى أكتب عليها سطرين أو ثلاثة فامره أن يكتب بين يديه ليراه فكتب

وما تنفع الآداب والعلم والحجى
وصاحبها عند الكمال يموت

فكان اعجاب الصاحب بالاستشهاد أكثر من الخط ورفع منزلته بعد ذلك (وأذكرنى اتفاق التورية فى الكمال هنا) ما حكى عن القاضى

وايتاء الزكاة وقال تعالى ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة وعن بريدة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ما حبس قوم الزكاة الا حبس الله عنهم القطر وعن عائشة رضي الله تعالى عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما خالطت الزكاة مالا قط الا أهلكته وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من كان عنده ما يزكي ولم يزك ومن كان عنده ما يحج ولم يحج سأل الرجعة يعني قوله تعالى رب ارجعون لعلي أعمل صالحا فيما تركت (ولنلحق) بهذا الفصل ذكر شيء من الصدقة وفضلها وما جاء فيها وما أعد الله تعالى للمتصدقين من الأجر والثواب ودفع البلاء قال الله تعالى ان الله يجزي المتصدقين وقال تعالى والمتصدقين والمتصدقات الآية والآيات الكريمة في ذلك كثيرة والأحاديث الصحيحة فيه مشهورة وروى الترمذي في جامعه بسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره وفي صحيح مسلم وموطأ مالك وجامع الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نقص مال من صدقة أو قال ما نقصت صدقة من مال وما زاد الله عبدا بعفو الا عزا وما تواضع عبد الا رفعه الله تعالى (ودخلت) امرأة شلاء على عائشة رضي الله عنها فقالت كان أبي يحب الصدقة وأمي تبغضها لم تتصدق في عمرها الا بقطعة شحم وخلقة فرأيت في المنام كأن القيامة قد قامت وكأن أمي قد غطت عورتها بالخلقة وفي يدها الشحمة تلحسها من العطش فذهبت الى أبي وهو على حافة حوض يسقي الناس فطلبت منه قدحا من ماء فسقيت أمي فنوديت من فوقي ألا من سقاها فشل الله يدها فانتبهت كما ترين (ووقف) سائل على امرأة وهي تتعشى فقامت فوضعت لقمة في فيه ثم بكرت الى زوجها في مزرعة فوضعت ولدها عنده وقامت لحاجة تريد قضاءها فاختلسه الذئب فوقفت وقالت يا رب ولدي فأتاها آت فأخذ بعنق الذئب فاستخرجت ولدها من غير أذى ولا ضرر فقال لها هذه اللقمة بتلك اللقمة التي وضعتيها في فم السائل (وعشش) ورشان في شجرة في دار رجل فلما همت أفراخه بالطيران زينت امرأة ذلك الرجل له أخذ أفراخ ذلك الورشان ففعل ذلك مرارا وكلما فرخ الورشان أخذوا أفراخه فشكا الورشان ذلك الى سليمان عليه السلام وقال يا رسول الله أردت أن يكون لي أولاد يذكرون الله تعالى من بعدي فأخذها الرجل بأمر امرأته ثم أعاد الورشان الشكوى فقال سليمان لشيطانين اذا رأيتماه يصعد الشجرة فشقاه نصفين فلما أراد الرجل أن يصعد الشجرة اعترضه سائل فأطعمه كسرة من خبز شعير ثم صعد وأخذ الافراخ على عادته فشكا الورشان ذلك الى سليمان عليه السلام فقال للشيطانين ألم تفعلا ما أمرتكما به فقالا اعترضنا ملكان فطرحانا في الخافقين (وقال) النخعي كانوا يرون أن الرجل المظلوم اذا تصدق بشيء دفع عنه البلاء وكان الرجل يضع الصدقة في يد الفقير ويتمثل قائما بين يديه ويسأله قبولها حتى يكون هو صورة السائل وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الصدقة تسد سبعين بابا من الشر وعنه صلى الله عليه وسلم قال ردوا صدمة البلاء ولو بمثل رأس الطائر من الطعام وروي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال ردوا مذمة السائل ولو بظلف محرق وعنه أيضا صلى الله عليه وسلم اتقوا النار ولو بشق تمرة وقال عيسى صلوات الله وسلامه عليه من رد سائلا خائبا لم تغش الملائكة ذلك البيت سبعة أيام وكان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم يناول المسكين بيده وعنه صلى الله عليه وسلم ما من مسلم يكسو مسلما ثوبا الا كان في حفظ الله ما كانت عليه منه رقعة وقال عبد العزيز بن عمير الصلاة تبلغك نصف الطريق والصوم يبلغك باب الملك والصدقة تدخلك عليه وعن الربيع بن خيثم انه خرج في ليلة شاتية وعليه برنس خز فرأى سائلا فأعطاه اياه وتلا قوله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا يرد القضاء الا الدعاء ولا يزيد في العمر الا البر وان سوء الخلق شؤم وحسن الملكة نماء والصدقة تدفع ميتة السوء وقال يحيى بن معاذ ما أعرف حبة تزن جبال الدنيا الا من الصدقة وعن عمر رضي الله تعالى عنه ان الاعمال تباهت فقالت الصدقة انا أفضلكن وعن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تداركوا الهموم والغموم بالصدقات يدفع الله ضركم وينصركم على عدوكم وعن عبيد بن عمير قال يحشر الناس يوم القيامة أجوع ما كانوا قط وأعطش ما كانوا قط فمن أطعم لله أشبعه الله ومن سقى لله سقاه الله ومن كسى لله كساه الله وقال الشعبي من لم ير نفسه الى ثواب الصدقة أحوج من الفقير الى صدقته فقد أبطل صدقته وضرب بها وجهه وكان الحسن بن صالح اذا جاءه سائل

فخر الدين لقمان والقاضي تاج الدين أحمد بن الاثير رحمهما الله انهما كانا صحبة السلطان على تل العجول ولفخر الدين مملوك اسمه الطنبا فاتفق أنه طلب مملوكه المذكور وناداه يا طنبا فقال له نعم ولم يأته وكانت ليلة ماطرة مظلمة فأخرج فخر الدين بن لقمان رأسه من الخيمة فقال أقول نعم ولم أرك فقال القاضي تاج الدين

في ليلة من جمادى ذات أندية
لا يبصر الكلب في ارجائها الطنبا

(ومن اتفاق التورية) أيضا ما كتبه الشيخ شرف الدين بن عبد العزيز الأنصاري شيخ شيوخ حماة ملغزا في باب الى والده

ما واقف في المخرج
يذهب طورا ويجي
لست أخاف شره
* ما لم يكن بمرتج

فكتب اليه والده في الجواب ذهاب واياب وخوف وشر هذا باب خصومة والسلام (قيل) ان الصاحب جمال الدين بن مطروح كتب لبعض الرؤساء رقعة الى صديق له يشفع فيها عنده فكتب ذلك الرئيس هذا الامر على فيه مشقة فكتب ابن مطروح في جوابه لولا المشقة فلما وقف عليها فهم الاشارة الى قول المتنبي

لولا المشقة ساد الناس كلهم
الجود يفقر والاقدام قتال

وقضى الشغل على الفور انتهى (قيل) ان يوسف الصديق عليه السلام كتب على باب السجن لما خرج منه هذا قبر الاحياء وشماتة الأعداء وتجربة الأصدقاء (وقال الشاعر)

دعوى الاخاء على الرخاء كثيرة
بل في الشدائد تعرف الاخوان

(ولله در يزيد بن المهلب) من ذي مروة وسخاء وتصديق أمل فانه كان في سجن الحجاج يعذب فدخل عليه يزيد بن الحكم وقد حل عليه نجم وكانت نجومه في كل اسبوع

فان كان عنده ذهب أو فضة أو طعام أعطاه فان لم يكن عنده من ذلك شيء أعطاه دهنا أو غيره مما ينتفع به فان لم يكن عنده شيء أعطاه كحلا أو أخرج ابرة وخيطا فرقع بهما ثوب السائل (ووجه) رجل ابنه فى تجارة فمضت أشهر ولم يقع له على خبر فتصدق برغيفين وأرخ ذلك اليوم فلما كان بعد سنة رجع ابنه سالما رابحا فسأله أبوه هل أصابك فى سفرك بلاء قال نعم غرقت السفينة بنا فى وسط البحر وغرقت فى جملة الناس واذا بشابين أخذانى فطرحانى على الشط وقالا لى قل لوالدك هذا برغيفين فكيف لو تصدقت باكثر من ذلك وقال على رضى الله تعالى عنه وكرم الله وجهه اذا وجدت من أهل الفاقة من يحمل لك زادك فيوافيك به حيث تحتاج اليه فاغتنم حمله اياه ولله در القائل حيث قال

يبكى على الذاهب من ماله * وانما يبقى الذى يذهب

(وحكى) ان رجلا عبد الله سبعين سنة فبينما هو فى معبده ذات ليلة اذ وقفت به امرأة جميلة فسألته أن يفتح لها وكانت ليلة شاتية فلم يلتفت اليها وأقبل على عبادته فولت المرأة فنظر اليها فأعجبته فملكت قلبه وسلبت لبه فترك العبادة وتبعها وقال الى أين فقالت الى حيث أريد فقال هيهات صار المراد مريدا والأحرار عبيدا ثم جذبها فادخلها مكانه فاقامت عنده سبعة أيام فعند ذلك تذكر ما كان فيه من العبادة وكيف باع عبادة سبعين سنة بمعصية سبعة أيام فبكى حتى غشى عليه فلما أفاق قالت له يا هذا والله أنت ما عصيت الله مع غيرى وأنا ما عصيت الله مع غيرك وانى أرى فى وجهك أثر الصلاح فبالله عليك اذا اصطلحت مع مولاك فاذكرنى قال فخرج هائما على وجهه فآواه الليل الى خربة فيها عشرة عميان وكان بالقرب منهم راهب يبعث اليهم فى كل ليلة بعشرة أرغفة فجاء غلام الراهب على عادته بالخبز فمد ذلك الرجل العاصى يده فاخذ رغيفا فبقى منهم رجل لم يأخذ شيأ فقال أين رغيفى فقال الغلام قد فرقت عليكم العشرة فقال أبيت طاويا فبكى الرجل العاصى وناول الرغيف لصاحبه وقال لنفسه أنا أحق ان أبيت طاويا لانى عاص وهذا مطيع فنام واشتد به الجوع حتى أشرف على الهلاك فامر الله تعالى ملك الموت بقبض روحه فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فقالت ملائكة الرحمة هذا رجل فر من ذنبه وجاء طائعا وقالت ملائكة العذاب بل هو رجل عاص فأوحى الله تعالى اليهم ان زنوا عبادة السبعين سنة بمعصية السبع ليال فوزنوها فرجحت المعصية على عبادة السبعين سنة فاوحى الله اليهم أن زنوا معصية السبع ليال بالرغيف الذى آثر به على نفسه فوزنوا ذلك فرجح الرغيف فتوفته ملائكة الرحمة وقبل الله توبته (وحكى) ان رجلا جلس يوما يأكل هو وزوجته وبين أيديهما دجاجة مشوية فوقف سائل ببابه فخرج وانتهره فذهب فاتفق بعد ذلك ان الرجل افتقر وزالت نعمته وطلق زوجته وتزوجت بعده برجل آخر فجلس يأكل معها فى بعض الايام وبين أيديهما دجاجة مشوية واذا بسائل يطرق الباب فقال الرجل لزوجته ادفعى اليه هذه الدجاجة فخرجت بها اليه فاذا هو زوجها الاول فدفعت اليه الدجاجة ورجعت وهى باكية فسألها زوجها عن بكائها فاخبرته ان السائل كان زوجها وذكرت له قصتها مع ذلك السائل الذى انتهره زوجها الاول فقال لها زوجها أنا والله ذلك السائل (وذكر) عن مكحول ان رجلا أتى الى أبى هريرة رضى الله عنه فقال ادع الله لابنى فقد وقع فى نفسى الخوف من هلاكه فقال له ألا أدلك على ما هو أنفع من دعائى وأنجح وأسرع اجابة قال بلى قال تصدق عنه بصدقة تنوى بها نجاته ولدك وسلامة ما معه فخرج الرجل من عنده وتصدق على سائل بدرهم وقال هذا خلاص ولدى وسلامته وما معه فنادى فى تلك الساعة مناد فى البحر الا ان الفداء مقبول وزيد مغاث فلما قدم سأله أبوه عن حاله فقال يا أبت لقد رأيت فى البحر عجبا يوم كذا وكذا فى وقت كذا وكذا وهو اليوم الذى تصدق فيه والده عنه بالدرهم وذلك انا أشرفنا على الهلاك والتلف فسمعنا صوتا من الهواء الا ان الفداء مقبول وزيد مغاث وجاءنا رجال عليهم ثياب بيض فقدموا السفينة الى جزيرة كانت بالقرب منا وسلمنا وصرنا بخير أجمعين والآثار والحكايات فى ذلك كثيرة وفيما أشرت اليه كفاية لمن وعى وأن ليس للانسان الا ما سعى والله أعلم

❊ الفصل الرابع فى الصوم وفضله وما أعد الله للصائم من الاجر والثواب ❊

(قال) الله تعالى يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون قيل الصوم عموم وخصوص وخصوص الخصوص ❊ فصوم العموم هو كف البطن والفرج وسائر الجوارح عن قصد الشهوة * وصوم الخصوص هو كف السمع والبصر واللسان واليد والرجل وسائر الجوارح عن الآثام * وصوم خصوص الخصوص هو صوم

ستة عشر ألف درهم فقال له

أصبح فى قيدك السماحة والـ
جود وفضل السلاح والحسب
ولا تضجرن ان تتابعت نقم
وصارف فى البلاء محتسب
برزت سبق الجياد فى مهل
وقصرت دون سعيك العرب

فالتفت يزيد الى مولى له وقال أعطه نجم هذا الاسبوع ونصبر على العذاب الى السبت الآخر ❊ قال الاصمعى ❊ حضرت مجلس الرشيد وفيه مسلم بن الوليد اذ دخل أبو نواس فقال له الرشيد ما أحدثت بعدنا يا أبا نواس فقال يا أمير المؤمنين ولو فى الخمر فقال قاتلك الله ولو فى الخمر فانشد

يا شقيق النفس من حكم
نمت عن ليلى ولم أنم

حتى انتهى الى آخرها فقال

فتمشت فى مفاصلهم
كتمشى البرء فى السقم

فقال أحسنت والله يا غلام اعطه عشرة آلاف درهم وعشر خلع فأخذها وخرج قال الاصمعى فلما خرجنا من عنده قال لى مسلم بن الوليد ألم تر الى الحسن بن هانئ كيف سرق شعرى وأخذ به مالا وخلعا فقلت له وأى معنى سرق لك قال قوله فتمشت فى مفاصلهم البيت فقلت وأى شيء قلت فقال

كأن قلبى وشاحاها اذا خطرت
وقلبها قلبها فى الصمت والخرس
تجرى محبتها فى قلب وامقها
جرى السلافة فى أعضاء منتكس

❊ ترجمة المعتزلة ❊

المعتزلة طائفة من المسلمين يرون ان أفعال الخير من الله وأفعال الشر من الانسان وان القرآن مخلوق محدث ليس بقديم وان الله تعالى غير مرئى يوم القيامة وان المؤمن اذا ارتكب الذنب مثل الزنا وشرب الخمر كان فى منزلة بين منزلتين يعنون بذلك انه ليس بمؤمن ولا

القلب عن الهمم الدنية وكفه عما سوى الله بالكلية * قال رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة الجسد الصيام وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال للصائم فرحتان فرحة عند افطاره وفرحة عند لقاء ربه وقال وكيع فى قوله تعالى كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم فى الايام الخالية انها أيام الصوم تركوا فيها الاكل والشرب وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال من أفطر يوما فى رمضان من غير رخصة رخصها الله له لم يقض عنه صيام الدهر وروى فى صحيح النسائى عنه أيضا صلى الله عليه وسلم انه قال اذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب جهنم وسلسلت الشياطين وروى الزهرى أن تسبيحة واحدة فى شهر رمضان أفضل من ألف تسبيحة فى غيره وروى عن قتادة انه كان يقول من لم يغفر له فى شهر رمضان فلن يغفر له فى غيره وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو يعلم الناس ما فى شهر رمضان من الخير لتمنت أمتى أن يكون رمضان السنة كلها ولو أذن الله للسموات والارض أن تتكلما لشهدتا لمن صام رمضان بالجنة وقال صلى الله عليه وسلم ليس من عبد يصلى فى ليلة من شهر رمضان الا كتب الله له بكل ركعة ألفا وخمسمائة حسنة وبنى له بيتا فى الجنة من ياقوتة حمراء لها ستون ألف باب لكل باب منها مصراعان من ذهب وله بكل سجدة يسجدها شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام وقال صلى الله عليه وسلم ان لكل صائم دعوة فاذا أراد أن تقبل فليقل فى كل ليلة عند فطره يا واسع المغفرة اغفر لى وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه من صام يوما من رمضان خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه فاذا انسلخ عنه الشهر وهو حى لم يكتب عليه خطيئة حتى الحول ومن عطش نفسه لله فى يوم شديد الحر من أيام الدنيا كان حقا على الله أن يرويه يوم القيامة وقال بعضهم الصيام زكاة البدن ومن صام الدهر فقد وهب نفسه لله تعالى وروى فى صحيح مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة ورمضان الى رمضان مكفرات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال صيام ثلاثة أيام من كل شهر كصيام الدهر وهى الأيام البيض وهى الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر من كل شهر وفى صحيح البخارى عن أبى سلمة عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال من صام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه * وفضل الصوم غزير لانه خصه الله تعالى بالاضافة اليه كما ثبت فى الصحيح من الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال مخبرا عن ربه عز وجل كل عمل ابن آدم له الا الصوم فانه لى وأنا أجزى به وقد يكتفى فى فضله بهذا الحديث الجليل وحسبنا الله ونعم الوكيل

* الفصل الخامس فى الحج وفضله *

قال الله تعالى ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من خرج من بيته حاجا أو معتمرا فمات أجرى الله له أجر الحاج والمعتمر الى يوم القيامة وقال صلى الله عليه وسلم من استطاع الحج ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا وان شاء نصرانيا وفى الحديث ان من الذنوب ذنوبا لا يكفرها الا الوقوف بعرفة وفيه أعظم الناس ذنبا من وقف بعرفة فظن أن الله لم يغفر له وهو أفضل يوم فى الدنيا وفى الخبر ان الحجر الاسود ياقوتة من يواقيت الجنة وأنه يبعثه الله يوم القيامة وله عينان ولسان ينطق به يشهد لمن استلمه بحق وصدق وجاء فى الحديث الصحيح ان آدم عليه الصلاة والسلام لما قضى مناسكه لقيته الملائكة فقالوا يا آدم لقد حججنا هذا البيت قبلك بألفى عام وقال مجاهد ان الحجاج اذا قدموا مكة لقيتهم الملائكة فسلموا على ركبان الابل وصافحوا ركبان الحمر واعتنقوا المشاة اعتناقا وكان من سنة السلف رضى الله عنهم أن يشيعوا الغزاة ويستقبلوا الحجاج ويقبلوهم بين أعينهم ويسألوهم الدعاء لهم ويبادروا ذلك قبل أن يتدنسوا بالآثام وعن النبى صلى الله عليه وسلم ان الله قد وعد هذا البيت أن يحجه كل سنة ستمائة ألف فان نقصوا كملهم الله تعالى من الملائكة وان الكعبة تحشر كالعروس المزفوفة فكل من حجها يتعلق باستارها ويسعى حولها حتى تدخل الجنة فيدخل معها (وحكى) أن جميلة الموصلية بنت ناصر الدولة أبى محمد بن حمدان حجت سنة ست وثمانين وثلثمائة فصارت تاريخا مذكورا فقيل انها سقت أهل الموسم كلهم السويق بالطبرزد والثلج واستصحبت البقول المزروعة فى المراكن على الجمال وأعدت خمسمائة راحلة للمنقطعين ونثرت على الكعبة عشرة آلاف دينار ولم تستصبح فيها وعندها الا بشموع العنبر وأعتقت ثلثمائة عبد ومائتى جارية وأغنت الفقراء والمجاورين (ولما) بنى آدم عليه الصلاة والسلام البيت وقال يا رب ان لكل عامل أجرا فما أجر عملى قال اذا طفت به غفرت لك ذنوبك قال زدنى قال جعلته قبلة لك ولاولادك قال يا رب زدنى قال أغفر لكل

كافر وان اعجاز القرآن فى الصرفة لا انه فى نفسه معجز ولو لم يصرف الله العرب عن معارضته لأتوا بما يعارضه وان من دخل النار لم يخرج منها وانما سموا معتزلة لان واصل بن عطاء كان يجلس الى الحسن البصرى رضى الله تعالى عنه فلما ظهر الخلاف وقالت الخوارج بكفر مرتكب الكبائر وقال الجماعة بانهم مؤمنون وان فسقوا بالكبائر خرج واصل عن الفريقين وقال ان الفاسق من هذه الامة لا مؤمن ولا كافر بل هو فى منزلة بين منزلتين فطرده الحسن رضى الله تعالى عنه عن مجلسه فاعتزل عنه فقيل لاتباعه معتزلة * ولم يزل مذهب الاعتزال ينمو الى أيام الرشيد فظهر بشر المريسى وأحضر الشافعى مكبلا فى الحديد فسأله بشر والسؤال ما تقول يا قرشى فى القرآن فقال اياى تعنى قال نعم قال مخلوق فخلى عنه وأحس الشافعى رضى الله عنه بالشر وان الفتنة تشتد فى اظهار القول بخلق القرآن فهرب من بغداد الى مصر ولم يقل الرشيد رحمه الله بخلق القرآن فكان الامر بين أخذ وترك الى أن ولى المأمون فقال بخلق القرآن وبقى يقدم رجلا ويؤخر أخرى فى الدعوة الى ذلك الى ان قوى عزمه فى السنة التى مات فيها وطلب الامام أحمد بن حنبل رضى الله عنه فاخبر فى الطريق أنه توفى فبقى الامام محبوسا بالرقة حتى بويع المعتصم فاحضر الى بغداد وعقد له مجلس المناظرة وفيه عبد الرحمن بن اسحق والقاضى أحمد بن أبى داود وغيرهما فناظروه ثلاثة أيام فلم ينقطع فى بحث وسفه أقوال الجميع فامر به فضرب بالسياط الى ان أغمى عليه ورمى على بارية وهو مغشى عليه ثم حمل وصار الى منزله ولم يقل بخلق القرآن ومكث فى السجن ثمانية وعشرين شهرا ولم يزل يحضر الجمعة

من

من استغفرني من الطائفين به من أهل التوحيد من أولادك قال يارب حسبي * وفي الحديث الحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة وقيل للحسن ما الحج المبرور قال أن ترجع زاهدا في الدنيا راغبا في الآخرة (وأول) من كسا الكعبة الديباج عبد الله بن الزبير وكانت كسوتها المسوح والانطاع وكان يطيبها حتى يوجد ريحها من خارج الحرم وكان حكيم بن حزام يقيم عشية عرفة مائة بدنة ومائة رقبة فيعتق الرقاب عشية عرفة وينحر البدن يوم النحر وكان يطوف بالبيت فيقول لا اله الا الله وحده لا شريك له نعم الرب ونعم الاله أحبه وأخشاه (ورئي) الحسن بن علي رضي الله عنهما يطوف بالبيت ثم صار الى المقام فصلى ركعتين ثم وضع خده على المقام فجعل يبكي ويقول عبيدك ببابك خويدمك ببابك سائلك ببابك مسكينك ببابك يردد ذلك مرارا ثم انصرف رضي الله عنه فمر بمساكين معهم فلق خبز يأكلون فسلم عليهم فدعوه الى الطعام فجلس معهم وقال لولا أنه صدقة لأكلت معكم ثم قال قوموا بنا الى منزلي فتوجهوا معه فأطعمهم وكساهم وأمر لهم بدراهم (وحج) عبد الله بن جعفر رضي الله عنه ومعه ثلاثون راحلة وهو يمشي على رجليه حتى وقف بعرفات فاعتق ثلاثين عبدا وحملهم على ثلاثين راحلة وأمر لهم بثلاثين ألفا وقال اعتقتهم لله تعالى لعله يعتقني من النار وقال الحسن بن علي رضي الله عنهما اني لأستحيي من ربي أن ألقاه ولم أمش الى بيته فمشى من المدينة الى مكة عشرين مرة (ومن) لطيف ما أنشد عمرو بن حبان الضرير حين لم يهد اليه الحجاج شيأ

كان الحجيج الآن لم يقربوا مني * ولم يحملوا منها سواكا ولا نعلا
أتونا فما جادوا بعود اراكة * ولا وضعوا في كف طفل لنا نقلا

(وقال غيره) يحجون بالمال الذي يجمعونه * حراما الى البيت العتيق المحرم
ويزعم كل منهم أن وزره * يحط ولكن فوقه في جهنم

(وقال آخر) حج في الدهر حجة * حج فيها وأحرما * وأتانا من الحجا
ز كما راح محرما * فهو ذو الحجة الذي * ما توقى محرما

(وتخاصم) بدوي مع حاج عند منصرف الناس فقيل له أتخاصم رجلا من الحجاج فقال

يحج لكيما يغفر الله ذنبه * ويرجع قد حطت عليه ذنوب

وقال أبو الشمقمق اذا حججت بمال أصله دنس * فما حججت ولكن حجت العير
ما يقبل الله الا كل طيبة * ما كل من حج بيت الله مبرور

والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿الباب الثاني في العقل والذكاء والحمق وذمه وغير ذلك﴾

نص الله سبحانه وتعالى في محكم كتابه العزيز ومنزل خطابه الوجيز على شرف العقل وقد ضرب الله سبحانه وتعالى الامثال وأوضحها وبين بدائع مصنوعاته وشرحها فقال تعالى وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال أول ما خلق الله تعالى العقل فقال له أقبل فأقبل ثم قال له أدبر فأدبر فقال عز من قائل وعزتي وجلالي ما خلقت خلقا أعز علي منك بك آخذ وبك أعطي وبك أحاسب وبك أعاقب وقال أهل المعرفة والعلم العقل جوهر مضيء خلقه الله عز وجل في الدماغ وجعل نوره في القلب يدرك به المعلومات بالوسائط والمحسوسات بالمشاهدة ﴿واعلم﴾ أن العقل ينقسم الى قسمين قسم لا يقبل الزيادة والنقصان وقسم يقبلهما فأما الاول فهو العقل الغريزي المشترك بين العقلاء وأما الثاني فهو العقل التجريبي وهو مكتسب وتحصل زيادته بكثرة التجارب والوقائع وباعتبار هذه الحالة يقال ان الشيخ أكمل عقلا وأتم دراية وان صاحب التجارب أكثر فهما وأرجح معرفة ولهذا قيل من بيضت الحوادث سواد لمته وأخلقت التجارب لباس جدته وأراه الله تعالى لكثرة ممارسته تصاريف أقداره وقضيته كان جديرا برزانة العقل ورجاحة الدراية وقد يخص الله تعالى بألطافه الخفية من يشاء من عباده فيفيض عليه من خزائن مواهبه رزانة عقل وزيادة معرفة تخرجه عن حد الاكتساب ويصير بها راجحا على ذوي التجارب والآداب ويدل على ذلك قصة يحيى بن زكريا عليهما السلام فيما أخبر الله تعالى به في محكم كتابه العزيز حيث يقول وآتيناه الحكم صبيا فمن سبقت له سابقة من الله تعالى في قسم السعادة وأدركته عناية أزلية أشرقت على

ويفتي ويحدث حتى مات المعتصم وولي الواثق فأظهر ما أظهر من المحنة وقال للامام أحمد لا تجمعن اليك أحدا ولا تساكني في بلد أنا فيه فاختفى الامام أحمد لا يخرج الى صلاة ولا غيرها حتى مات الواثق وولي المتوكل فأحضره وأكرمه وأطلق له مالا فلم يقبله وفرقه وأجرى على أهله وولده في كل شهر أربعة آلاف درهم ولم تزل جارية الى أن مات المتوكل وفي أيامه ظهرت السنة وكتب الى الآفاق برفع ما توقع من المحنة واظهار السنة وتكلم في مجلسه بالسنة ولم يزالوا أعني المعتزلة في قوة الى أيام المتوكل ولم يكن في هذه الامة الاسلامية أهل بدعة أكثر منهم (ومن) مشاهيرهم على ما ذكروا من الفضلاء الاعيان الجاحظ وواصل بن عطاء والقاضي عبد الجبار والرماني النحوي وأبو علي الفارسي وأقضى القضاة الماوردي الشافعي وهذا غريب ومن المعتزلة أيضا الصاحب بن عباد وصاحب الكشاف والفراء النحوي والسيرافي وابن جني والله أعلم (ومما جنيته من ثمرات الاوراق) ان الرشيد سأل جعفرا عن جواريه فقال يا أمير المؤمنين كنت في الليلة الماضية مضطجعا وعندي جاريتان وهما يكبساني فتناومت عنهما لانظر صنيعهما واحداهما مكية والاخرى مدنية فمدت المدنية يدها الى ذلك الشيء فلعبت به فانتصب قائما فوثبت المكية وقعدت عليه فقالت المدنية أنا أحق به لاني حدثت عن مالك عن نافع عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من أحيا أرضا ميتة فهي له فقالت المكية وأنا حدثت عن معمر عن عكرمة عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ليس الصيد لمن أثاره انما الصيد لمن

باطنه أنوار ملكوتية وهداية ربانية فاتصف بالذكاء والفطنة قلبه وأسفر عن وجه الاصابة ظنه وان كان حديث السن قليل التجربة كما نقل في قصة سليمان بن داود عليهما السلام وهو صبي حيث رد حكم أبيه داود عليه السلام في أمر الغنم والحرث * وشرح ذلك فيما نقله المفسرون أن رجلين دخلا على داود عليه السلام أحدهما صاحب غنم والآخر صاحب حرث فقال أحدهما ان هذا دخلت غنمه بالليل الى حرثي فأهلكته وأكلته ولم تبق لي فيه شيأ فقال داود عليه السلام الغنم لصاحب الحرث عوضا عن حرثه فلما خرجا من عنده مرا على سليمان عليه السلام وكان عمره اذذاك على ما نقله أئمة التفسير احدى عشرة سنة فقال لهما ما حكم بينكما الملك فذكرا له ذلك فقال غير هذا أرفق بالفريقين فعادا الى داود عليه السلام وقالا له ما قاله ولده سليمان عليه السلام فدعاه داود عليه السلام وقال له ما هو الارفق بالفريقين فقال سليمان تسلم الغنم الى صاحب الحرث وكان الحرث كرما قد تدلت عناقيده في قول أكثر المفسرين فيأخذ صاحب الكرم الأغنام يأكل لبنها وينتفع بدرها ونسلها ويسلم الكرم الى صاحب الأغنام ليقوم به فاذا عاد الكرم الى هيئته وصورته التي كان عليها ليلة دخلت الغنم اليه سلم صاحب الكرم الغنم الى صاحبها وتسلم كرمه كما كان بعناقيده وصورته فقال له داود القضاء كما قلت وحكم به كما قال سليمان عليه السلام وفي هذه القصة نزل قوله تعالى وداود وسليمان اذ يحكمان في الحرث اذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما فهذه المعرفة والدراية لم تحصل لسليمان بكثرة التجربة وطول المدة بل حصلت بعناية ربانية وألطاف الهية واذا قذف الله تعالى شيأ من أنوار مواهبه في قلب من يشاء من خلقه اهتدى الى مواقع الصواب ورجح على ذوي التجارب والاكتساب في كثير من الاسباب ويستدل على حصول كمال العقل في الرجل كما يرجد منه وما يصدر عنه فان العقل معنى لا تمكن مشاهدته فان المشاهدة من خصائص الاجسام فأقول يستدل على عقل الرجل بأمور متعددة منها ميله الى محاسن الاخلاق واعراضه عن رذائل الاعمال ورغبته في اسداء صنائع المعروف وتجنبه ما يكسبه عارا ويورثه سوء السمعة * وقد قيل لبعض الحكماء بم يعرف عقل الرجل فقال بقلة سقطه في الكلام وكثرة اصابته فيه فقيل له فان كان غائبا فقال باحدى ثلاث اما برسوله واما بكتابه واما بهديته فان رسوله قائم مقام نفسه وكتابه يصف نطق لسانه وهديته عنوان همته فبقدر ما يكون فيه من نقص يحكم به على صاحبها وقيل من أكبر الاشياء شهادة على عقل الرجل حسن مداراته للناس ويكفي أن حسن المداراة يشهد لصاحبه بتوفيق الله تعالى اياه فانه روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من حرم مداراة الناس فقد حرم التوفيق فمقتضاه أن من رزق المداراة لم يحرم التوفيق وقالوا العاقل الذي يحسن المداراة مع أهل زمانه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الجنة مائة درجة تسعة وتسعون منها لاهل العقل وواحدة لسائر الناس وقال علي بن عبيدة العقل ملك والخصال رعية فاذا ضعف عن القيام عليها وصل الخلل اليها فسمعه أعرابي فقال هذا كلام يقطر عسله وقيل بأيدي العقول تمسك أعنة النفوس وكل شيء اذا كثر رخص الا العقل فانه كلما كثر غلا وقيل لكل شيء غاية وحد والعقل لا غاية له ولا حد ولكن الناس يتفاوتون فيه تفاوت الازهار في المروج * واختلف الحكماء في ماهيته فقال قوم هو نور وضعه الله طبعا وغريزة في القلب كالنور في العين وهو يزيد وينقص ويذهب ويعود وكما يدرك بالبصر شواهد الامور كذلك يدرك بنور القلب المحجوب والمستور وعمى القلب كعمى البصر قال الله تعالى فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور وقيل محل العقل الدماغ وهو قول أبي حنيفة رحمه الله تعالى وذهب جماعة الى أنه في القلب كما روي عن الشافعي رحمه الله تعالى استدلوا بقوله تعالى فتكون لهم قلوب يعقلون بها وبقوله تعالى ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أي عقل وقالوا التجربة مرآة العقل ولذلك حمدت آراء المشايخ حتى قالوا المشايخ أشجار الوقار لا يطيش لهم سهم ولا يسقط لهم فهم وعليكم بآراء الشيوخ فانهم قد عدموا ذكاء الطبع فقد أفادتهم الأيام حيلة وتجربة (قال الشاعر)

ألم تر أن العقل زين لأهله * ولكن تمام العقل طول التجارب

(وقال آخر) اذا طال عمر المرء في غير آفة * أفادت له الايام في كرها عقلا

(وقال) عامر بن عبد قيس اذا عقلك عقلك عما لا يعنيك فانت عاقل * ويقال لا شرف الاشرف العقل ولا غنى الا غنى النفس وقيل يعيش العاقل بعقله حيث كان كما يعيش الاسد بقوته حيث كان قال الشاعر

أخذه فضحك الرشيد حتى استلقى على قفاه وقال هل من سلوة عنهما فقال جعفرهما ومولاهما بحكم أمير المؤمنين وحملهما اليه (ومن ذلك) ما حكي عن بعض المطربين انه غنى في جماعة عند بعض الأمراء

اذا أنت أعطيت السعادة لم تبل
ولو نظرت شزرا اليك القبائل
وان فوق الأعداء نحوك أسهما
ثنتها على أعقابهن المناصل

فطرب الامير الى الغاية ولما زاد طربه قال لبعض مماليكه هات خلعة لهذا المغني ولم يفهم المغني ما يقوله الامير فقام لقلة حظه الى بيت الخلاء وفي غيبته جاء المملوك بالخلعة فوجد المغني غائبا وقد حصل في المجلس عربدة وأمر الامير باخراج الجميع فقيل للمغني بعد ما خرج ان الأمير كان قد أمر لك بخلعة فلما كان بعد أيام حضر المغني عند ذلك الأمير وغنى فقال

اذا أنت أعطيت السعادة لم تبل
ولو نظرت شزرا اليك القبائل

بفتح التاء وضم الباء فأنكروا عليه فقال نعم لاني لما بلت في ذلك اليوم فاتتني السعادة من الأمير فأوضحوا له القصة فضحك وأعجبه ذلك وأمر له بخلعة * ومن المنقول * ان عبد الله بن المعتز من خلفاء بني العباس مع كماله وغزارة فضله كان لم يزل منغصا في مدة حياته وبويع له بالخلافة وظن ان الحظ قد تنبه له فلم يتم الامر له الا يوما واحدا ثم قبض عليه وقتل رحمه الله تعالى على انه ما وافق على ولاية الامر حتى اشترط عليهم أن لا يسفكوا في واقعته دما ومحله من الأدب لا يخفى وشمعة فضله كالصبح لا تقط ولا تطفى وقد قيل

لله درك من ملك بضيعة
ناهيك في العلم والعلياء والحسب
ما فيه لو ولا ليت تنقصه
وانما أدركته حرفة الأدب

اذا لم يكن للرء عقـــل فانه * وان كان ذا بيت على الناس هين

ومن كان ذا عقل أجل لعقله * وأفضل عقل عقل من يتدين

وقالوا العاقـل لا تبطره المنزلة السنية كالجبل لا يتزعزع وان اشتدت عليه الريح والجاهـل تبطره أدنى منزلة كالحشيش يحركه أدنى ريح وقيل لعلي رضي الله تعالى عنه صف لنا العاقل قال هو الذي يضع الشئ مواضعه قيل فصـف لنا الجاهل قال قد فعلت يعني الذي لا يضع الشئ مواضعه وقال المنصور لولده خذ عني ثنتين لا تقل من غير تفـكير ولا تعمل بغـير تدبير وقال أردشير أربعة تحتاج الى أربعة الحسب الى الادب والسرور الى الامن والقرابة الى المودة والعقل الى التجربة وقال كسرى أنوشر وان أربعـة تؤدى الى أربعة العقل الى الرياسة والرأى الى السياسة والعلم الى التصدير والحلم الى التوقير وقال القاسم بن محمد من لم يكن عقله أغلب الخصال عليه كان حتفه من أغلب الخصال عليه وقيل أفضل العقل معرفة العاقل بنفسه وقيل ثلاثة هن رأس العقل مداراة الناس والاقتصاد فى المعيشة والتحبب الى الناس وقيل من أعجب برأى نفسه بطل رأيه ومن ترك الاستماع من ذوى العقول مات عقله وعن عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنه أنه قال أهل مصر أعقل الناس صغارا وأرحمهم كبارا وقيل العاقل المحروم خير من الاحمق المرزوق وقيل لا ينبغى للعاقل أن يمدح امرأة حتى تموت ولا طعاما حـتى يستمرئه ولا يثق بخليل حتى يستقرضـه وقيـل طول اللحية أمان من العقل وسئل بعضهم أيما أحمد فى الصبا الحياء أم الخوف قال الحياء لان الحياء يدل على العقل والخوف يدل على الجبن وقيل غضب العاقل على فعله وغضب الجاهل على قوله وقال أبو الدرداء رضى الله تعالى عنه قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عويمر ازدد عقلا تزدد من الله تعالى قربا قلت بأبى وأمى ومن لى بالعقل قال اجتنب محارم الله تعالى وأد فرائض الله تعالى تـكن عاقلا ثم تنقل الى صالح الأعمال تزدد فى الدنيا عقلا وتزدد من الله قربا وعزا وحكى عن بعض أهل المعرفة قال حياة النفس بالروح وحياة الروح بالذكر وحياة القلب بالعقل وحياة العقل بالعلم ويروى عن على بن أبى طالب كرم الله وجهه انه كان ينشد هذه الابيات ويترنم بها

ان المكارم أخـــلاق مطهرة * فالعـقل أولها والدين ثانيها * والعـــلم ثالثها والحـلم رابعها

والجود خامسها والعرف سادسها * والبر سابعها والصبر ثامنها * والشـكر تاسعها واللين عاشيها

والعين تعـلم من عيني محدثها * ان كان من حزبها أومن أعاديها

والنفس تعـلم أنى لا أصدقها * ولست أرشـد الاحين أعصيها

(وقال) بعض الحـكماء العاقل من عقله فى ارشاد و رأيه فى امداد فقوله سديد وفعله حميـد والجاهـل من جهله فى اغراء فقوله سقيم وفعله ذميم ولا يكفى فى الدلالة على عقل الرجـل الاغترار بحسن ملبسه وملاحـة عمتـه وتسريح لحيتـه وكثرة صلفتـه ونظافة بزته اذ كم من كنيف مبيض وجلد مفضض وقد قال الاصمعى رأيت بالبصرة شيخا له منظر حسن وعليه ثياب فاخرة وحوله حاشية وهرج وعنده دخل وخرج فاردت ان أختبر عقله فسلمت عليه وقلت له ما كنية سيدنا فقال أبو عبد الرحمن الرحيم مالك يوم الدين قال الاصمعى فضحكت منه وعلمت قلة عقله وكثرة جهـله ولم يدفع ذلك عنه غزارة خرجه ودخله وقد يكون الرجل موسوما بالعقل مرموقا بعين الفضل فيصدر منه حالة تـكشف عن حقيقة حاله وتشهد عليه بقلة عقله واختلاله * وقيل ان اياس بن معاوية القاضى كان من أكابر العقلاء وكان عقله يهديه الى سلوك طرق لا يكاد يسلـكها من لم يهتد اليها فكان من جملة الوقائع التى صدرت منه وشهدت له بالعقل الراجح والفكر القادح انه كان فى زمانه رجـل مشهور بين الناس بالامانة فاتفق أن رجلا أراد أن يحج فأودع عند ذلك الرجل الامين كيسا فيه جملة من الذهب ثم حج فلما عاد من حجه جاء الى ذلك الرجل وطلب كيسه منه فأنكره وجحده فجاء الى القاضى اياس وقص عليه القصة فقال القاضى هل أخـبرت بذلك أحدا غيرى قال لا قال فهل علم الرجل انك أتيت الى قال لا قال انصرف واكتم أمرك ثم عد الى بعـد غد فانصرف ثم ان القاضى دعا ذلك الرجل المستودع فقال له قد حصـل عنـدى أموال كثيرة و رأيت ان أودعها عندك فاذهب وهيئ لها موضعا حصينا فمضى ذلك الرجـل وحضر صاحب الوديعة بعد ذهاب الرجـل فقال له القاضى اياس امض الى خصمك واطلب منه وديعتك فان جحدك فقـل له امض معى الى القاضى اياس أتحاكم أنا وأنت عنده فلما جاء اليه دفع اليه وديعته فجاء الى القاضى وأعلمه

(وقال ابن الساعاتى)

عفت القريض فلا أسمو له أبدا

حتى لقد عفت ان أرويه فى الـكتب

هجرت نظمى له لا من مهانته

لـكنها خيفة من حرفة الادب

قلت وما برح الزمان مولعا بخمول أهل الادب وخمود نارهم كان الملك الافضل نور الدين عـلى بن صـلاح الدين يوسف من كبار أهل الادب وكان حسن السيرة متدينا قـل ان عاقب عـلى ذنب وله المناقب الجميلة وكان أكبر اخوته ومع كمال صفاته وآدابه التى سارت بها الركبان ما صفا له الدهر ولا هناه بالملك بعـد أبيـه السلطان صـلاح الدين رحـمه الله تعالى لبث مدة يسيرة بدمشـــق المحروسة ثم حضر اليـه عمه أبو بكر العادل وأخوه الملك العزيز عثمان فأخرجاه من ملكه بدمشـق الى صرخـــد ثم جهزاه الى سميساط وفى ذلك كتب الى الامام النـاصر ببغداد

مولاى ان أبا بكر وصاحبه

عثمان قد منعا بالسيف حق على

فانظر الى حظ هذا الاسم كيف لقى

من الاواخر مالاقى من الاول

فكتب النـاصر الجواب ولـكن الفرق مثل الصبح

وافى كتابك يا ابن يوسف معلنا

بالصدق يخبر ان أصلك طاهر

غصبوا عليا حقه اذلم يكن

بعد النبى له بيثرب ناصر

فاصبر فان غدا عليه حسابهم

وابشر فناصرك الامام الناصر

ولم ينصره الامام الناصر بل توفى فجأة بسميساط رحمه الله تعالى ومن شعره ماذكره ابن واصل فى مفرج الـكروب

يامن يسود شعره بخضابه

فعساه من أهـل الشبيبة يحصل

ها فاختضب بسواد حظى مرة

ولك الأمان بانه لا ينصل

(قلت) ومثله الملك الناصر داود

بذلك ثم ان ذلك الرجل المستودع جاء الى القاضي طامعا في تسليم المال فسبه القاضي وطرده وكانت هذه الواقعة مما تدل على عقله وصحة فكره (ولما) مات بعض الخلفاء اختلفت الروم واجتمعت ملوكها فقالوا الآن يشتغل المسلمون بعضهم ببعض فتمكننا الغرة منهم والوثبة عليهم وعقدوا لذلك المشورات وتراجعوا فيه بالمناظرات وأجمعوا على أنه فرصة الدهر وكان رجل منهم من ذوي العقل والمعرفة والرأي غائبا عنهم فقالوا من الحزم عرض الرأي عليه فلما أخبروه بما أجمعوا عليه قال لا أرى ذلك صوابا فسألوه عن علة ذلك فقال في غد أخبركم ان شاء الله تعالى فلما أصبحوا أتوا اليه وقالوا قد وعدتنا أن تخبرنا في هذا اليوم بما عولنا عليه فقال سمعا وطاعة وأمر باحضار كلبين عظيمين قد أعدهما ثم حرش بينهما وحرض كل واحد منهما على الآخر فتواثبا وتهارشا حتى سالت دماؤهما فلما بلغا الغاية فتح باب بيت عنده وأرسل على الكلبين ذئبا كان قد أعده لذلك فلما أبصراه تركا ما كانا عليه وتألفت قلوبهما ووثبا جميعا على الذئب فقتلاه فأقبل الرجل على أهل الجمع فقال مثلكم مع المسلمين مثل هذا الذئب مع الكلاب لا يزال الهرج بين المسلمين ما لم يظهر لهم عدو من غيرهم فاذا ظهر تركوا العداوة بينهم وتألفوا على العدو فاستحسنوا قوله واستصوبوا رأيه فهذه صفة العقلاء

﴿وأما ذم الحمق﴾ فقد قال ابن الاعرابي الحماقة مأخوذة من حمقت السوق اذا كسدت فكأنه كاسد العقل والرأي فلا يشاور ولا يلتفت اليه في أمر من الامور والحمق غريزة لا تنفع فيها الحيلة وهو داء دواؤه الموت قال الشاعر

لكل داء دواء يستطب به * الا الحماقة أعيت من يداويها

والحمق مذموم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الاحمق أبغض الخلق الى الله تعالى اذ حرمه أعز الاشياء عليه وهو العقل ويستدل على صفة الاحمق من حيث الصورة بطول اللحية لان مخرجها من الدماغ فمن أفرط طول لحيته قل دماغه ومن قل دماغه قل عقله ومن قل عقله فهو أحمق وأما صفته من حيث الافعال فترك نظره في العواقب وثقته بمن لا يعرفه والعجب وكثرة الكلام وسرعة الجواب وكثرة الالتفات والخلو من العلم والعجلة والخفة والسفه والظلم والغفلة والسهو والخيلاء ان استغنى بطر وان افتقر قنط وان قال أفحش وان سئل بخل وان سأل ألح وان قال لم يحسن وان قيل له لم يفقه وان ضحك قهقه وان بكى صرخ وان اعتبرنا هذه الخلال وجدناها في كثير من الناس فلا يكاد يعرف العاقل من الاحمق * قال عيسى عليه السلام عالجت الابرص والاكمه فأبرأتهما وعالجت الاحمق فأعياني والسكوت عن الاحمق جوابه ونظر بعض الحكماء الى أحمق على حجر فقال حجر على حجر ﴿وحكي﴾ ان أحمقين اصطحبا في طريق فقال أحدهما للآخر تعال نتمن على الله فان الطريق تقطع بالحديث فقال أحدهما أنا أتمنى قطائع غنم أنتفع بلبنها ولحمها وصوفها وقال الآخر أنا أتمنى قطائع ذئاب أرسلها على غنمك حتى لا تترك منها شيأ قال ويحك أهذا من حق الصحبة وحرمة العشرة فتصايحا وتخاصما واشتدت الخصومة بينهما حتى تماسكا بالاطواق ثم تراضيا على ان أول من يطلع عليهما يكون حكما بينهما فطلع عليهما شيخ بحمار عليه زقان من عسل فحدثاه بحديثهما فنزل بالزقين وفتحهما حتى سال العسل على التراب ثم قال صب الله دمي مثل هذا العسل ان لم تكونا أحمقين * وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال كان رجل يتعبد في صومعة فامطرت السماء وأعشبت الأرض فرأى حماره يرعى في ذلك العشب فقال يارب لو كان لك حمار لرعيته مع حماري هذا فبلغ ذلك بعض الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فهم أن يدعو عليه فأوحى الله اليه لا تدع عليه فاني أجازي العباد على قدر عقولهم ويقال فلان ذو حمق وافر وعقل نافر ليس معه من العقل الا ما يوجب حجة الله عليه وخطب سهل هند بنت عتبة فحمقته فقال

وما هو جي ياهند الا سجية * أجر لها ذيلي بحسن الخلائق

ولو شئت خادعت الفتى عن قلوصه * ولا طمت في البطحاء من كل طارق

ويقال للابله السليم القلب هو من يقرأ الجنة لا ينطح ولا يرمح والاحمق المؤذي هو من يقر سقر والله سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿الباب الثالث في القرآن وفضله وحرمته وما أعد الله تعالى لقارئه من الثواب العظيم والاجر الجسيم﴾

قال الله تعالى ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر وسمى الله تعالى القرآن كريما فقال تعالى انه لقرآن كريم وسماه حكيما فقال تعالى يس والقرآن الحكيم وسماه مجيدا فقال تعالى ق والقرآن المجيد أنزله الله

ابن الملك المعظم وكان داود صاحب الكرك مابرح مع كمال فضله منكدا مشتتا في البلاد توجه الى بغداد ومعه فخر القضاة بن بصاقة والشيخ شمس الدين الخسروشاهي وقد استصحب جواهر نفيسة والتجأ الى الامام الناصر وطلب الحضور بين يديه ليشاهده في الالتفا فقدر له ذلك ولا وافق الخليفة عليه حتى امتدحه بقصيدته البائية التي مطلعها

ودان ألمت بالكثيب ذوائبه
وجنح الدجى وحف تجول غياهبه

تقهقه في تلك الربوع رعوده
وتبكي على تلك الطلول سحائبه

وقال منها في حكاية حاله مع الخليفة

أيحسن في شرع المعالي ودينها
وأنت الذي تعزى اليه مذاهبه

بأني أخوض الدو والدو مقفر
سباريته مقفرة وسباسبه

ويأتيك غيري من بلاد قريبة
له الامن فيها صاحب لا يجانبه

فيلقى دنو امنك لم ألق مثله
ويحظى ولا أحظى بما أنا طالبه

وينظر في لألاء قدسك نظرة
فيرجع والنور الامامي صاحبه

ولو كان يعلوني بنفس ورتبة
وصدق ولاء لست فيه أصاقبه

لكنت أسلي النفس عما ترومه
وكنت أزود العين عما تراقبه

ولكنه مثلي ولو قلت انني
أزيد عليه لم يعب ذاك عائبه

يشير الى مظفر الدين كوكبوري بن كوجك فانه قدم الى الديوان فطلب الحضور فاذن له وبرز له الخليفة وشاهد وجهه ولما وقف الخليفة على هذه القصيدة أعجبته غاية الاعجاب وهي من النظم البديع في غاية لا تدرك فاستدعاه بعد شطر من الليل واجتمع به خلوة وما تم له ما ظفر به مظفر الدين المذكور وسبب ذلك أن الخليفة المذكور الذي ثبت عند أهل التاريخ أن عمه العادل راعى عمه

تعالى على سيد الأنام وخاتم الانبياء الكرام عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام فكان من أعظم معجزاته ان أعجز الله الفصحاء عن معارضته وعن الاتيان بآية من مثله قال تعالى قل فأتوا بسورة من مثله وقال تعالى قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا فهو النور المبين والحق المستبين لا شئ أسطع من أعلامه ولا أصدع من أحكامه ولا أفصح من بلاغته ولا أرجح من فصاحته ولا أكثر من افادته ولا ألذ من تلاوته قال رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن فيه خبر من قبلكم ونبأ من بعدكم وحكم ما بينكم وقال أيضا صلى الله عليه وسلم أصغر البيوت بيت صفر من كتاب الله تعالى وقال الشعبي الذى يقرأ القرآن انما يحدث عن ربه عز وجل ووفد غالب بن صعصعة على على بن أبى طالب كرم الله وجهه ومعه ابنه الفرزدق فقال له من أنت قال غالب بن صعصعة قال ذو الابل الكثيرة قال نعم قال فما فعلت بابلك قال أذهبتها النوائب وزعزعتها الحقوق قال ذلك خير سبلها ثم قال له يا أبا الاخطل من هذا الذى معك قال ابنى وهو شاعر قال علمه القرآن فهو خير له من الشعر فكان ذلك فى نفس الفرزدق حتى قيد نفسه وآلى على نفسه أن لا يحل قيده حتى يحفظ القرآن فحفظه فى سنة وفى ذلك قال

وما صب رجلى فى حديد مجاشع * مع القيد الا حاجة لى أريدها

وقال أنس رضى الله عنه قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بنى لا تغفل عن قراءة القرآن اذا أصبحت واذا أمسيت فان القرآن يحيي القلب الميت وينهى عن الفحشاء والمنكر (وحكى) الزمخشرى فى كتابه ربيع الأبرار قال ومن حكايات الحشوية ما قيل ان ابراهيم الخواص مر بمصروع فأذن فى أذنه فناداه الشيطان من جوفه دعنى أقتله فانه يقول القرآن مخلوق * وكان سفيان الثورى رحمه الله تعالى اذا دخل رمضان ترك جميع العبادة وأقبل على قراءة القرآن * وكان الامام مالك بن أنس رحمه الله تعالى اذا دخل شهر رمضان يفر من مذاكرة الحديث ومجالسة أهل العلم ويقبل على القراءة فى المصحف وكان أبو حنيفة والشعبي رحمهما الله تعالى يختمان فى رمضان ستين ختمة وقال على رضى الله تعالى عنه من قرأ القرآن فمات فدخل النار فهو ممن كان يتخذ آيات الله هزوا وقال الشعبي واللسان عدل على الاذن والقلب فاقرأ قراءة تسمعها أذنك ويفهمها قلبك وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ القرآن ثم رأى ان أحدا أوتى أفضل مما أوتى فقد استصغر ما عظم الله وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال ان القلوب لتصدأ كما يصدأ الحديد قيل يا رسول الله وما جلاؤها قال قراءة القرآن وذكر الموت وقال عمر بن ميمون من نشر مصحفا حين يصلى الصبح فقرأ مائة آية رفع الله له مثل عمل جميع أهل الدنيا وقال على كرم الله وجهه من قرأ القرآن وهو قائم فى الصلاة كان له بكل حرف مائة حسنة ومن قرأه وهو جالس فى الصلاة فله بكل حرف خمسون حسنة ومن قرأه فى غير صلاة وهو على وضوء فخمسة وعشرون حسنة ومن قرأه على غير وضوء فعشر حسنات وقال ابن عباس رضى الله عنهما لأن أقرأ البقرة وآل عمران أرتلهما وأتدبرهما أحب الى من أن أقرأ القرآن كله هذرمة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرؤا القرآن وابكوا فان لم تبكوا فتباكوا وعن صالح المزنى قال قرأت القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام فقال لى يا صالح هذه القراءة فأين البكاء وكان عثمان رضى الله عنه يفتتح ليلة الجمعة بالبقرة الى المائدة وليلة السبت بالانعام الى هود وليلة الاحد بيوسف الى مريم وليلة الاثنين بطه الى طسم موسى وفرعون وليلة الثلاثاء بالعنكبوت الى ص وليلة الاربعاء بتنزيل الى الرحمن ويختم ليلة الخميس * وعن على رضى الله عنه لا خير فى عبادة لا فقه فيها ولا خير فى قراءة لا تدبر فيها وكان عكرمة بن أبى جهل رضى الله تعالى عنه ولعن أباه اذا نشر المصحف أغمى عليه ويقول هو كلام ربى وأبطأت عائشة رضى الله عنها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة فقال ما حبسك قالت قراءة رجل ما سمعت أحسن صوتا منه فقام فاستمع اليه طويلا ثم قال هذا سالم مولى أبى حذيفة الحمد لله الذى جعل فى أمتى مثله وقال ابن عيينة رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام فقلت يا رسول الله قد اختلفت على القراآت فعلى قراءة من تأمرنى فقال على قراءة أبى عمرو * وعن أبى عمرو انى لم أزل أطلب أن أقرأه كما قرأه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكما أنزل عليه فقدمت مكة فلقيت بها عدة من التابعين ممن قرأ على الصحابة رضى الله عنهم أجمعين فقرأت عليهم فاشدد بها يدك * فينبغى للانسان ان يحافظ على تلاوة القرآن ليلا ونهارا سفرا وحضرا * وقال الشيخ محيي الدين

ما فعل ذلك الا حسدا له على كمال أدواته وبلاغة آدابه وقيل انه كتب خطا منسوبا أزرى بالحدائق المبهجة (وحكى صاحب الريحان والريعان) قال حضر شاب ذكى بعض مجالس الادب فقال بعضهم ما تصحيف نصحت نخفتنى قال تصحيف حسن فاستغرب اسراعه وكان بالمجلس شاعر من أهل بلنسية فاتهم الشاب وقال مختبرا له ما تصحيف بلنسية فاطرق ساعة ثم قال أربعة أشهر فجعل البلنسى يقول صدق ظنى انك تدعى وتنتحل ما تقول والفتى يضحك ثم قال له أشعرت أنت يا شاعر فقال له وأى نسبة بين أربعة أشهر وبين بلنسية فقال له ان لم يكن فى اللفظ فهو فى المعنى ثم قام وهو يقول ذلك فتنبه بعض الحاضرين ونظر فاذا أربعة أشهر ثلث سنة وهو تصحيف بلنسية فخجل الشاعر المنازع ومضى الى الشاب معترفا ومعتذرا انتهى وهذا المعنى فى بلنسية نظمه الشيخ بدر الدين الدمامينى أحجية فقال

أيا واحد العصر ما بلدة
محاسنها فى الورى تذكر
تجى ما يرادف تصحيفها
وحقك أربعة أشهر

(ومن الغريب) ما نقل عن الفقيه عمارة اليمنى الشاعر أنه مر بمصلوب فقال

ومد على صليب الصلب منه
يمينا لا تطول الى الشمال
ونكس رأسه لعتاب قلب
دعاه الى الغواية والضلال

فلم يمض ثلاثة أيام حتى صلب بين القصرين مع الجماعة الغرماء (وكان الفقيه) نجم الدين عمارة أديبا ماهرا فقيها شافعي المذهب من أهل السنة قدم فى دولة الفاطميين الى الديار المصرية وصاحبها يومئذ الفائز بن الظافر ووزيره الصالح بن رزيك فكان

النووي رحمه الله تعالى في كتابه الاذكار قد كان للسلف رضي الله عنهم عادات مختلفة في القدر الذي يختمون فيه فكانت جماعة منهم يختمون في كل شهر ختمة وآخرون في كل عشر ليال ختمة وآخرون في كل ثلاث ليال ختمة وكان كثيرون في كل يوم وليلة ختمة وختم جماعة في كل يوم وليلة ختمتين وختم بعضهم في اليوم والليلة ثمان ختمات أربعا في الليل وأربعا في النهار وروي أن مجاهدا رحمه الله تعالى كان يختم القرآن في شهر رمضان فيما بين المغرب والعشاء * وأما الذين ختموا القرآن في ركعة فلا يحصون لكثرتهم فمنهم عثمان بن عفان وتميم الداري وسعيد بن جبير رضي الله تعالى عنهم وروينا في مسند الامام المجمع على حفظه وجلالته واتقانه وبراعته أبي محمد الدارمي رحمه الله عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال اذا وافق ختم القرآن أول الليل صلت عليه الملائكة حتى يصبح واذا وافق أول النهار صلت عليه الملائكة حتى يمسي قال الدارمي هذا حديث حسن عن سعد وأفضل القراءة ما كان في الصلاة وأما في غير الصلاة فأفضلها قراءة الليل والنصف الاخير أفضل من الاول والقراءة بين المغرب والعشاء محبوبة وأما قراءة النهار فأفضلها بعد صلاة الصبح ولا كراهة في وقت من الاوقات ولا في أوقات النهي عن الصلاة ويستحب الاجتماع عند الختم لحصول البركة وقيل ان الدعاء يستجاب عند ختم القرآن وان الرحمة تنزل عند ختمه ويستحب الدعاء عقب الختم استحبابا مؤكدا تأكيدا شديدا ويجب على القارئ الاخلاص في قراءته وأن يريد بها وجه الله تعالى وأن لا يقصد بها توصلا الى شيء سوى ذلك وأن يتأدب مع القرآن ويستحضر في ذهنه أنه يناجي ربه سبحانه وتعالى ويتلو كتابه فيقرأ على حالة من يرى الله تعالى فانه ان لم يكن يراه فان الله يراه وينبغي للقارئ اذا أراد القراءة أن ينظف فمه بالسواك وأن يكون شأنه الخشوع والتدبر والخضوع فهذا هو المقصود والمطلوب وبه تنشرح الصدور ويتيسر المرغوب ودلائله أكثر من أن تحصر وأشهر من أن تذكر وقد كان الواحد من السلف رضي الله عنهم يتلو آية واحدة ليلة كاملة يتدبرها ويستحب البكاء والتباكي لمن لا يقدر على البكاء فان البكاء عند القراءة صفة العارفين وشعار عباد الله الصالحين قال الله تعالى ويخرون للاذقان يبكون ويزيدهم خشوعا * وقال السيد الجليل صاحب الكرامات والمعارف والمواهب واللطائف ابراهيم الخواص رضي الله تعالى عنه دواء القلب خمسة أشياء قراءة القرآن بالتدبر وخلو البطن وقيام الليل والتضرع عند السحر ومجالسة الصالحين وقد جاءت آثار بفضيلة رفع الصوت بالقراءة وآثار بفضيلة الاسرار قال العلماء ان أراد القارئ بالاسرار بعد الرياء فهو أفضل في حق من يخاف ذلك فان لم يخف الرياء فالجهر أفضل بشرط ان لا يؤذي غيره من مصل أو نائم أو غيرهما والاحاديث في فضل القراءة وآداب حملة القرآن كثيرة غير محصورة ومن أراد الزيادة فلينظر في كتاب التبيان في آداب حملة القرآن لشيخ مشايخ الاسلام محيي الدين النووي قدس الله روحه ونور ضريحه وقد جاء في فضل القرآن أحاديث كثيرة * وروي في فضل قراءة سور من القرآن في اليوم والليلة فضل كبير منها يس وتبارك الملك والواقعة والدخان فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال من قرأ يس في يوم وليلة ابتغاء وجه الله تعالى غفر له وفي رواية له من قرأ سورة الدخان في ليلة أصبح مغفورا له وفي رواية عن ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة وعن جابر رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينام كل ليلة حتى يقرأ الم تنزيل الكتاب وتبارك الملك وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال من قرأ في ليلة اذا زلزلت الارض كانت له كعدل نصف القرآن ومن قرأ قل يا أيها الكافرون كانت له كعدل ربع القرآن ومن قرأ قل هو الله أحد كانت له كعدل الثلث والاحاديث بنحو ما ذكرناه كثيرة وقد أشرنا الى المقاصد منها والله تعالى أعلم بالصواب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿الباب الرابع في العلم والادب وفضل العالم والمتعلم﴾

قال الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وقال تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعلموا العلم فان تعلمه لله حسنة ودراسته تسبيح والبحث عنه جهاد وطلبه عبادة وتعليمه صدقة وبذله لاهله قربة لانه معالم الحلال والحرام وبيان سبيل الجنة والمؤنس في الوحشة والمحدث في الخلوة والجليس في الوحدة والصاحب في الغربة والدليل

بحنده في أكرم محل وأعز جانب واجتمع به على ما كان بينهما من الاختلاف في العقيدة ثم رحل الى اليمن وعاد الى مصر وأقام بها الى أن زالت دولة الفاطميين على يد السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ورثى أهل القصر بقصيدته التي أولها

رميت يا دهر كف المجد بالشلل
وجيده بعد حسن الحلي بالعطل

﴿ومنها﴾

قدمت مصر فأولتني خلائفها
من المكارم ما أربى على الامل
قوم عرفت بهم كسب الالوف ومن
تمامها انها جاءت ولم أسل
يا لائمي في هوى أبناء فاطمة
لك الملامة ان قصرت في عذل
بالله زر ساحة القصرين وابك معي
عليهما لا على صفين والجمل
ماذا ترى كانت الافرنج فاعلة
بنسل آل أمير المؤمنين علي

وهي طويلة في غاية الحسن فلما بلغت السلطان صلاح الدين تغير عليه (وقيل) انه استفتي عليه في قوله من قصيدته الميمية

وكان مبدأ هذا الامر من رجل
سعى فأصبح يدعى سيد الامم

فافتى الفقهاء بقتله وقالوا ان هذا الكلام رأي الفلاسفة في النبوات وانها بالتكسب وهي احدى المسائل التي كفروا بها والصحيح انه يجتبي من رسله من يشاء ولم يكن أحد من الانبياء عنده شعور بانه يكون فيما بعد نبيا والذي يظهر ان هذا مفتعل على الفقيه عمارة نظمه بعض أعدائه على لسانه ودسه في تلك القصيدة ومما يبعد أن القاضي الفاضل رحمه الله كان له ميل الى هلاكه لانه لما استشاره السلطان صلاح الدين في ضربه قال الكاتب يسكت ثم يبيح قال فيسجن قال يرجى له الخلاص قال فيقتل قال كذا الملوك اذا أرادوا شيأ فعلوه

على السراء والمعين على الضراء والزين عند الاخلاء والسلاح على الاعداء وبالعلم يبلغ العبد منازل الأخيار في الدرجات العلى ومجالسة الملوك في الدنيا ومرافقة الابرار في الآخرة والفكر في العلم يعدل الصيام ومذاكرته تعدل القيام وبالعلم توصل الارحام وتفصل الاحكام وبه يعرف الحلال والحرام وبالعلم يعرف الله ويوحد وبالعلم يطاع الله ويعبد (قيل) العلم درك حقائق الاشياء مسموعا ومعقولا وقال النبي صلى الله عليه وسلم خير الدنيا والآخرة مع العلم وشر الدنيا والآخرة مع الجهل وعنه عليه الصلاة والسلام يوزن مداد العلماء ودماء الشهداء يوم القيامة فلا يفضل أحدهما على الآخر ولغدوة في طلب العلم أحب الى الله من مائة غزوة ولا يخرج أحد في طلب العلم الا وملك موكل به يبشره بالجنة ومن مات وميراثه المحابر والاقلام دخل الجنة وقال على كرم الله وجهه أقل الناس قيمة أقلهم علما وقال أيضا رضى الله عنه العلم نهر والحكمة بحر والعلماء حول النهر يطوفون والحكماء وسط البحر يغوصون والعارفون في سفن النجاة يسيرون وقال موسى عليه السلام في مناجاته الهى من أحب الناس اليك قال عالم يطلب علما وقال بعض السلف رضى الله عنهم العلوم أربعة الفقه للاديان والطب للابدان والنجوم للازمان والنحو للسان وقيل العالم طبيب هذه الامة والدنيا داؤها فاذا كان الطبيب يطلب الداء فتى يبرئ غيره (وسئل) الشعبى عن مسئلة فقال لا علم لى بها فقيل له ألا تستحيي فقال ولم أستحيي مما لم تستح الملائكة منه حين قالت لا علم لنا وعن النبي صلى الله عليه وسلم فضل العالم على العابد كفضلى على أدناكم وروى كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وقال على كرم الله وجهه من نصب نفسه للناس اماما فعليه أن يبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره وليكن تأديبه بسيرته قبل تأديبه بلسانه وقيل مؤدب نفسه ومعلمها أحق بالاجلال من مؤدب الناس ومعلمهم وأنشدوا

يا أيها الرجل المعلم غيره * هلا لنفسك كان ذا التعليم
تصف الدواء لذى السقام وذى الضنى * كيما تصح به وأنت سقيم
ونراك تصلح بالرشاد عقولنا * أبدا وأنت من الرشاد عديم
فابدأ بنفسك فانهها عن غيها * فاذا انتهت عنه فأنت حكيم
فهناك يقبل ما تقول ويهتدى * بالقول منك وينفع التعليم
لا تنه عن خلق وتأتى مثله * عار عليك اذا فعلت عظيم

وقال بعضهم

انى رأيت الناس فى عصرنا * لا يطلبون العلم للعلم
الا مباهاة لأصحابه * وعدة للغش والظلم

(نظر) رجل الى امرأته وهى صاعدة فى السلم فقال لها أنت طالق ان صعدت وطالق ان نزلت وطالق ان وقفت فرمت نفسها الى الأرض فقال لها فداك أبى وأمى ان مات الامام مالك احتاج اليك أهل المدينة فى أحكامهم وقال النبي صلى الله عليه وسلم هلاك أمتى فى شيئين ترك العلم وجمع المال * وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أفضل الاعمال فقال العلم بالله والفقه فى دينه وكررها عليه فقال يا رسول الله أسألك عن العمل فتخبرنى عن العلم فقال ان العلم ينفعك معه قليل العمل وان الجهل لا ينفعك معه كثير العمل وقال عيسى عليه السلام من علم وعمل عد فى الملكوت الأعظم عظيما * وقال الخليل عليه السلام العلوم أقفال والأسئلة مفاتيحها وعنه عليه السلام زلة العالم مضروب بها الطبل وزلة الجاهل يخفيها الجهل وقال الحسن رأيت أقواما من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون من عمل بغير علم كان ما يفسده أكثر مما يصلحه والعامل بغير علم كالسائر على غير طريق فاطلبوا العلم طلبا لا يضر بالعبادة واطلبوا العبادة طلبا لا يضر بالعلم وقال يزيد بن ميسرة من أراد بعلمه وجه الله تعالى أقبل الله بوجهه ووجوه العباد اليه ومن أراد بعلمه غير وجه الله صرف الله وجهه ووجوه العباد عنه وعن أنس رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ألا أخبركم بأجود الأجواد قالوا بلى يا رسول الله قال الله أجود الأجواد وأنا أجود ولد آدم وأجود من بعدى رجل علم علما فنشره يبعث يوم القيامة أمة وحده ورجل جاد بنفسه فى سبيل الله حتى قتل وقال الثورى كان يقال العالم الفاجر فتنة لكل مفتون وعن الفضيل رحمه الله تعالى أنه قال لو أن أهل العلم أكرموا أنفسهم وأعزوا هذا العلم وصانوه وأنزلوه حيث أنزله الله اذا لخضعت لهم رقاب الجبابرة وانقاد لهم الناس وكانوا لهم تبعا ولكنهم أذلوا أنفسهم وبذلوا علمهم لأبناء الدنيا فهانوا وذلوا فانا لله وانا اليه راجعون فأعظم بها مصيبة والله أعلم وللقاضى العلامة أبى الحسن على بن عبد العزيز الجرجانى وقد أحسن كل الاحسان

ونهض فأمر فصلبه مع الغرماء فلما أمسكوه مروا به على باب الفاضل فلما رآه مقبلا قام ودخل الى بيته وأغلق الباب فقال الفقيه عمارة

عبد الرحيم قد احتجب * ان الخلاص من العجب

(نكتة أدبية) قال ابن سناء الملك من أبيات

صلينى وهذا الحسن باق فربما * يعزل بيت الحسن منه ويكنس

فوقف القاضى الفاضل رحمه الله على هذه القصيدة وكتب الى ابن سناء الملك من جملة فصل وما قلت هذه الغاية الا وتعلمنى انها البداية ولا قلت هذا البيت آية القصيدة الا وتلا ما بعده وما نريهم من آية الا هى أكبر من أختها أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون ولا عيب فى هذه المحاسن الا قصور الأفهام وتقصير الانام والا فقد لهج الناس بها تحتها ودونها ما دونها والقصيدة فائقة فى حسنها بديعة فى فنها ولكن بيت يعزل ويكنس أردت أن أكنسه من القصيدة فان لفظة الكنس غير لائقة بمكانها انتهى فأجاب ابن سناء الملك قائلا قد علم المملوك ما نبه عليه مولانا من أمر البيت الذى أراد أن يكنسه من القصيدة وقد كان المملوك مشغوفا بهذا البيت مستحليا له معجبا به معتقدا ان قافيته بيته أمير ذلك الشعر وسيدة قوافيه وما أوقعه فى الكنس الا ابن المعتز حيث يقول

وقوامى مثل القناة من الخط * وخدى من لحيتى مكنوس

والمولى يعلم ان المملوك لم يزل يجرى خلف هذا الرجل ويتعثر ويطلب مطالبه فتتعسر عليه وتتعذر وما مال المملوك الا الى طريق من ميله اليه طبعه ولا سار الا الى من دله عليه سمعه ورأى المملوك أبا عبادة قد قال

ويا عاذلى فى عبرة قد سفحتها * لبين وأخرى قبلها للتجنب
تحاول منى شيمة غير شيمتى

كأنما طرزت فى خلع حسان شعر

ولم أقض حق العلم ان كنت كلما * بدا طمع صيرته لى سلما * ولم أبتذل فى خدمة العلم مهجتى
لأخدم من لاقيت لكن لأخدما * أأشقى به غرسا وأجنيه ذلة * اذا فاتباع الجهل قد كان أسلما
فان قلت زند العلم كاب فانما * كبا حين لم نحرس حماه وأظلما * ولو أن أهل العلم صانوه صانهم
ولو عظموه فى النفوس لعظما * ولكن أهانوه فهانوا ودنسوا * محياه بالاطماع حتى تجهما

وقيل من لم يتعلم فى صغره لم يتقدم فى كبره وقال الفضيل شر العلماء من يجالس الأمراء وخير الامراء من يجالس العلماء وقال لقمان جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك فان الله يحيي القلوب بنور الحكمة كما يحيي الارض بماء السماء وقيل من عرف بالحكمة لاحظته العيون بالوقار وكان ابن مسعود رضى الله عنه اذا رأى طالبي العلم قال مرحبا بكم ينابيع الحكمة ومصابيح الظلمة خلقان الثياب جدد القلوب رياحين كل قبيلة وقال على رضى الله عنه كفى بالعلم شرفا أن يدعيه من لا يحسنه ويفرح به اذا نسب اليه وكفى بالجهل ضعة أن يتبرأ منه من هو فيه ويغضب اذا نسب اليه وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما آتى الله أحدا علما الا أخذ عليه الميثاق أن لا يكتمه أحدا ودعا بعضهم لآخر فقال جعلك الله ممن يطلب العلم رعاية لا رواية وممن يظهر حقيقة ما يعلمه بما يعمله وعن عمر رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال على باب الجنة شجرة تحمل ثمارا كثدى النساء يخرج من تحتها عين ماء يشرب منها العلماء والمتعلمون مثل اللبن الحليب والناس عطاش وعن ابن مسعود رضى الله عنه من تعلم بابا من العلم ليعلمه الناس ابتغاء وجه الله أعطاه الله أجر سبعين نبيا وعن أنس رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويل لأمتى من علماء السوء يتخذون العلم تجارة يبيعونها لا أربح الله تجارتهم (شعر)

العلم أنفس شئ أنت ذاخره * من يدرس العلم لم تدرس مفاخره
أقبل على العلم واستقبل مقاصده * فأول العلم اقبال وآخره

(قال) الشعبي دخلت على الحجاج حين قدم العراق فسألنى عن اسمى فأخبرته ثم قال يا شعبي كيف علمك بكتاب الله قلت عنى يؤخذ قال كيف علمك بالفرائض قلت الى فيها المنتهى قال كيف علمك بانساب الناس قلت أنا الفيصل فيها قال كيف علمك بالشعر قلت أنا ديوانه قال لله أبوك وفرض لى أموالا وسودنى على قومى فدخلت عليه وأنا صعلوك من صعاليك همدان وخرجت وأنا سيدهم (قال البستى)

اذا لم يزد علم الفتى قلبه هدى * وسيرته عدلا وأخلاقه حسنا
فبشره ان الله أولاه فتنة * تغشيه حرمانا وتوسعه حزنا

وقال الهيثم بن جميل شهدت مالك بن أنس رضى الله عنه سئل عن ثمان وأربعين مسئلة فقال فى ثنتين وثلاثين منها لا أدرى وقال الاوزاعى شكت النواويس الى الله تعالى ما تجد من نتن ريح الكفار فأوحى الله اليها بطون علماء السوء أنتن مما أنتم فيه وقال على رضى الله عنه من أفتى الناس بغير علم لعنته ملائكة السماء والارض وأصلح اللخمى شعر

تعلم اذا ما كنت لست بعالم * فما العلم الا عند أهل التعلم
تعلم فان العلم أزين للفتى * من الحلة الحسناء عند التكلم

(ودخل) عبد الله بن مسلم الهذلى على المهدى فى القراء فاخذ عشرة آلاف درهم ثم دخل فى الرماة فأخذ عشرة آلاف درهم ثم دخل فى المغنين فاخذ كذلك ثم دخل فى القصاص فأخذ كذلك فقال المهدى لم أر كاليوم أجمع لما يجمع الله فى أحد منك ومل جماعة من الحكماء مجالسة رجل فتواروا عنه فى بيت فرقى السطح وجعل يستمع من كوة حتى وقع عليه الثلج فصبر فشكر الله له ذلك فجعله امام الحكماء لا يختلفون فى شئ الا صدروا عن رأيه وشكا رجل الى وكيع بن الجراح سوء الحفظ فقال له استعن على الحفظ بترك المعاصى فأنشأ يقول

شكوت الى وكيع سوء حفظى * فأرشدنى الى ترك المعاصى
وذلك ان حفظ العلم فضل * وفضل الله لا يؤتى لعاصى

ووجد فى بعض الآثار عن بعضهم أنه قال اذا أردت أن تكون أحفظ الناس فقل عند رفع الكتاب أو المصحف

وتطلب منى مذهبا غير مذهبى

وقال

ومازارنى الا ولهت صبابة
اليه والا قلت أهلا ومرحبا

وعلم المملوك ان هذه طريقة لا تسلك وعقيلة لا تملك وغاية لا تدرك ووجد المملوك أبا تمام قد قال

سلم على الربع من سلمى بذى سلم

ووجدته أيضا قد قال

* خشنت عليه أخت بنى خشين *

فاشمأز من هذا اللفظ طبعه واقشعر منه فهمه ونبا عنه ذوقه وكان سمعه يتجرعه ولا يكاد يسيغه ووجد هذا المبدع السيد عبد الله بن المعتز قد قال

وقفت بالربع أشكو فقد مشبهه
حتى بكت بدموعى أعين الزهر
لو لم أعرها دموع العين تسفحها
لرحمتى لاستعارتها من المطر

وقد قال

قدك غصن لا شك فيه كما
وجهك شمس نهاره جسدك

فوجد المملوك طبعه الى هذا الأمر مائلا وخاطره فى بعض الاحيان عليه سائلا فنسج على هذا الأسلوب وغلب على خاطره مع علمه انه المغلوب وحبك الشئ يعمى ويصم فقد أعماه حبه وأصمه الى أن نظم تلك اللفظة فى تلك الأبيات تقليدا لابن المعتز قالها وحمل أثقالها وهى زلة تغتفر فى جنب حسناته وأما المملوك فهى عورة ظهرت فى أبياته (فأجابه الفاضل بقوله) ولا حجة فيما احتج به ابن المعتز عن الكنس فى بيته فانه غير معصوم من الغلط ولا يقلد الا فى الصواب فقط وقد علم بما ذكره ابن رشيق فى العمدة من تهافت طبعه وتباين صنعه ومخالفة وضعه فذكر من محاسنه ما لا يعلق معه كتاب ومن بارده وغثه ما لا تلبس عليه الثياب وقد تعصب القاضى السعيد على أبى تمام فنقصه حظه وأما البحترى فأعطاه أكثر من حقه وقال

ولو كان هذا موضع العتب لاشتفى

أوابتداء القراءة فى كل شئ أردت بسم الله وسبحان الله ولا اله الا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم عدد كل حرف كتب ويكتب أبد الآبدين ودهر الداهرين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم (قيل) واذا أردت أن لا تنسى حرفا فقل قبل القراءة اللهم افتح علينا حكمتك وانشر علينا رحمتك ياذا الجلال والاكرام واذا أردت أن ترزق الحفظ فقل خلف كل صلاة مكتوبة آمنت بالله الواحد الأحد الحق لا شريك له وكفرت بما سواه (ومن فوائد سيدى الشيخ صالح شهاب الدين أحمد بن موسى بن عجيل رحمه الله تعالى فى الحفظ) يقرأ فى كل يوم عشر مرات ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما الى قوله تعالى وكنا فاعلين ياحى ياقيوم يارب موسى وهرون ويارب ابراهيم ويارب محمد عليه وعليهم الصلاة والسلام ارزقنى الفقه وارزقنى العلم والحكمة والعقل برحمتك ياأرحم الراحمين وعن أبى يوسف قال مات لى ولد فأمرت من يتولى دفنه ولم أدع مجلس أبى حنيفة خوفا أن يفوتنى منه يوم وقال محمد بن اسحق بن خزيمة ما رأيت تحت أديم السماء أعلم بالحديث ولا أحفظ له من محمد بن اسمعيل البخارى حتى كان يقال ان حديثا لا يعرفه محمد بن اسمعيل ليس بحديث وقال البخارى رحمه الله تعالى أحفظ مائة ألف حديث صحيح ومائتى ألف حديث غير صحيح وقال ما وضعت فى كتابى الصحيح حديثا الا اغتسلت قبل ذلك وصليت ركعتين وقال أخرجته من ستمائة ألف حديث وصنفته فى ست عشرة سنة وجعلته حجة فيما بينى وبين الله تعالى وقال مجاهد أتينا عمر بن عبد العزيز لنعلمه فما برحنا حتى تعلمنا منه وكان يقال الليث بن سعد رحمه الله تعالى ذهب علمه كله بموته ولهذا قال الشافعى لما قدم مصر بعد موته والله لأنت أعلم من مالك وانما أصحابك ضيعوك وقال الليث بن سعد ما هلك عالم قط الا ذهب ثلثا علمه ولو حرص الناس ويقال اذا سئل العالم فلا تجب أنت فان ذلك استخفاف بالسائل والمسؤل وقالوا من خدم المحابر خدمته المنابر (شعر)

لا تدخر غير العلو ... م فانها نعم الذخائر
فالمرء لو ربح البقا ... ء مع الجهالة كان خاسر

وللشافعى رضى الله تعالى عنه شعر

أخى لن تنال العلم الا بستة ... سأنبيك عن تفصيلها ببيان
ذكاء وحرص واجتهاد وبلغة ... وصحبة أستاذ وطول زمان

وقال الزهرى العلماء أربعة سعيد بن المسيب بالمدينة وعامر الشعبى بالكوفة والحسن البصرى بالبصرة ومكحول بالشام وقال بعضهم العلماء سرج الازمنة كل عالم سراج زمانه يستضئ به أهل عصره وقيل لابراهيم بن عيينة أى الناس أطول ندامة قال أما فى الدنيا فصانع المعروف الى من لا يشكره وأما فى الآخرة فعالم مفرط (شعر)

كن عالما وارض بصف النعال ... ولا تكن صدرا بغير الكمال
فان تصدرت بلا آلة ... صيرت ذاك الصدر صف النعال

وقيل لما اجتمع موسى بالخضر عليهما السلام جاء عصفور فأخذ بمنقاره من البحر قطرة ثم حط على ورك الخضر ثم طار فنظر الخضر الى موسى عليه السلام وقال يانبى الله ان هذا العصفور يقول ياموسى أنت على علم من علم الله علمكه الله لا يعلمه الخضر والخضر على علم من علم الله علمه الله اياه لا تعلمه أنت وأنا على علم من علم الله علمنيه الله لا تعلمه أنت ولا الخضر وما علمى وعلمك وعلم الخضر فى علم الله الا كهذه القطرة من هذا البحر قال الله تعالى ولا يحيطون بشئ من علمه الا بما شاء وقال تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو وقال عبد الله بن عباس رضى الله عنهما خلق الله تعالى أربعين ألف عالم الانس والجن عالمان والبواقى لا يعلمها الا هو وقال موسى عليه السلام يارب قد قلت للسموات والارض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين فلو لم تطعك السموات والارض ماذا كنت فاعلا بهما قال ياموسى كنت آمر دابة من دوابى أن تبتلعهما قال موسى يارب وأين تلك الدابة قال فى مرج من مروجى قال موسى يارب وأين ذلك المرج قال فى علم من علمى لا يعلمه الا أنا وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن فى فكرة فقال فيم تفكرون تفكروا فى خلق الله ولا تفكروا فى الله فان الله خلق من جانب الغرب أرضا يقال لها البيضاء تقطعها الشمس فى أربعين يوما فيها خلق ما عصوا الله طرفة عين فقال ابن عمر يارسول الله أين ابليس منهم قال ما علموا بابليس خلق أم لا قال أمن بنى آدم قال ما علموا بآدم خلق أم لا فهذه كلها مما أعدها الله فى علم غيبه انما أمره اذا أراد شيأ أن يقول له كن فيكون فسبحان

فؤادى ولكن للعتاب مواضع

(قال) الشيخ صلاح الدين الصفدى لما وقف على هذا الفصل رأيت ابن سناء الملك استعمل هذه اللفظة فى غير هذا الموضع ولم يتعظ بنهى الفاضل ولا ارعوى ولا ازدجر عما قبحه بل اغلب عليه الهوى فقال

وخلصنى من يدى عشقه
ظلام على خده حندسه
كنست فؤادى من حبه
ولحيته كانت المكنسه

(قلت) ما برح الشيخ صلاح الدين غفر الله له يذوق تقليدا كقوله عن ابن سناء الملك لما استعمل فى هذه الصيغة المشتملة على الهجو بشاعة المكنسة ولم يتعظ بنهى الفاضل ولا ارعوى ولا ازدجر عما قبحه بل غلب عليه الهوى أما نقد الفاضل على ابن سناء الملك بوضع المكنسة على وجنة معشوقته التى ليس للعذار بوجنتها شعور فنقد صحيح * وأما وضع مكنسة اللحية على وجنة من طلعت لحيته وكان جائرا على عاشقه وسبكها هنا فى قالب الهجو فهو نوع من الرقص والطرب ولو وقف الفاضل على هذه المكنسة لاعدها لا بياته انتهى (ومن لطائف المنقول) ما حكى عن الشيخ مجد الدين ابن دقيق العيد والد قاضى القضاة تقى الدين تغمدهما الله برحمته ورضوانه وهو أن الشيخ مجد الدين المشار اليه كان كثير الاحسان الى أصحابه يسعى لهم على قدر استحقاقهم فيمن يصلح للحكم وفيمن يصلح للعدالة فجاء بعض طلبته وشكا اليه رقة الحال وكثرة الضرورة فقال له اكتب قصتك وأنا أتحدث مع الولد فكتب ذلك الطالب المملوك فلان يقبل الارض وينهى انه فقير ومظرور بالظاء القائمة وقليل الحض بالضاد وناولها للشيخ فلما قرأها تبسم وقال يا فقير سبحان الله ضرك قائم وحظك

الذى بيده ملكوت كل شئ واليه ترجعون وقال قتادة لو كان أحدمنا مكتفيا من العلم لاكتفى نبي الله موسى عليه السلام اذ قال هل أتبعك على ان تعلمني مما علمت رشدا وقال الحكماء أفضل العلم وقوف العالم عند علمه وقال بعضهم ليس العلم ماخزنته الدفاتر وانما العلم ماخزنته الصدور وقيل العلم يؤدى الى التصدير وقيل من تواضع للعلم ناله ومن لم يتواضع له لم ينله وقيل من برق علمه برق وجهه ومن لم يستفد بالعلم مالا اكتسب به جمالا العلم نور وهدى والجهل غى وردى وقال بعضهم العالم يعرف الجاهل والجاهل لا يعرف العالم لان العالم كان جاهلا والجاهل لم يكن عالما وقيل أربعة يسودون العبد العلم والأدب والصدق والأمانة وقيل أهل العراق أطلب الناس للعلم وقال حماد بن سلمة مثل الذى يطلب الحديث ولا يعرف النحو كمثل الحمار عليه مخلاة لا شعير فيها ولابراهيم بن خلف المهرانى

النحو يصلح من لسان الالكن * والمرء تكرمه اذا لم يلحن
واذا طلبت من العلوم أجلها * فاجلها منها مقيم الألسن

وقال على بن بشار

رأيت لسان المرء آية عقله * وعنوانه فانظر بماذا تعنون
ولا تعد اصلاح اللسان فانه * يخبر عما عنده ويبين
ويعجبنى زى الفتى وجماله * فيسقط من عينى ساعة يلحن

ودخل أعرابى السوق فوجدهم يلحنون فقال سبحان الله يلحنون ويربحون * وكلم أبو موسى بعض قواده فلحن فقال لم لا تنظر فى العربية فقال بلغنى ان من نظر فيها اقل كلامه فقال ويحك لان يقل كلامك بالصواب خير لك من ان يكثر كلامك بالخطأ وكان يقال مجالسة الجاهل مرض للعاقل وقال أبو الأسود الدؤلى اذا أردت ان تعذب عالما فاقرن به جاهلا وقال الشاعر

جهلت ولم تدرى بانك جاهل * ومن لى بان تدرى بانك لا تدرى

وقال رجل للحسن أنا أفصح الناس قال لا تقل هذا قال فخذ على كلمة واحدة قال هذه واحدة أبو جهل كناه المسلمون بذلك وكانت قريش تكنيه أبا الحكم فقال حسان رضى الله تعالى عنه

الناس كنوه أبا حكم * والله كناه أبا جهل

﴿وأما ما جاء فى الادب﴾ فقد قال بعض الحكماء العقل يحتاج الى مادة من الادب كما تحتاج الابدان الى قوتها من الطعام وقال على كرم الله وجهه الادب كنز عند الحاجة عون على المروأة صاحب فى المجلس أنيس فى الوحدة تعمر به القلوب الواهية وتحيا به الالباب الميتة وينال به الطالبون ما حاولوا وقيل عقل بلا أدب كشجاع بلا سلاح ﴿وحكى﴾ أن رجلا تكلم بين يدى المأمون فاحسن فقال ابن من أنت قال ابن الادب يا أمير المؤمنين قال نعم النسب انتسبت اليه ولهذا قيل المرء من حيث يثبت لا من حيث ينبت ومن حيث يوجد لا من حيث يولد قال الشاعر

كن ابن من شئت واكتسب أدبا * يغنيك محموده عن النسب
ان الفتى من يقول ها أنا ذا * ليس الفتى من يقول كان أبى

وقال بعض الحكماء من كثر أدبه كثر شرفه وان كان وضيعا وبعد صيته وان كان خاملا وساد وان كان غريبا وكثرت حوائج الناس اليه وان كان فقيرا قال بعض الشعراء

لكل شئ زينة فى الورى * وزينة المرء تمام الادب
قد يشرف المرء بآدابه * فينا وان كان وضيع النسب

وقال بعض الاعاجم مفتخرا

مالى عقلى وهمتى حسبى * ما أنا مولى وما أنا عربى
اذا انتمى منتم الى أحد * فاننى منتم الى أدبى

وقيل الفضل بالعقل والادب لا بالاصل والحسب وقيل المرء بفضيلته لا بفصيلته وبكماله لا بجماله وبآدابه لا بثيابه وقيل لرجل من أدبك قال رأيت جهل الجهال قبيحا فاجتنبته فتأدبت ومن أدب ولده صغيرا سر به كبيرا من عرف الادب اكتسب به المال والجاه خير الخلال الادب وشر المقال الكذب وقيل لبقراط ما الفرق بين من له أدب ومن لا أدب له قال كالفرق بين الحيوان الناطق والحيوان الذى ليس بناطق ودخل أبو العالية على ابن عباس رضى الله عنهما فاقعده معه على السرير وأقعد رجالا من قريش تحته فرأى سوء نظرهم

اليه

ساقط انتهى * ومن لطائف المنقول عن قاضى القضاة شمس الدين ابن خلكان رحمه الله تعالى أنه كان يهوى بعض أولاد الملوك وله فيه الأشعار الرائقة يقال ان أول يوم زاره بسط له الطرحة وقال ما عندى أعز من هذه طأ عليها ولما فشا أمرهما وعلم به أهله منعوه من الركوب فكتب اليه

ياسادتى انى قنعت وحقكم
فى حبكم منكم بأيسر مطلب
ان لم تجودوا بالوصال تعطفا
ورأيتم هجرى وفرط تجنبى
لا تمنعوا عينى القريحة ان ترى
يوم الخميس جمالكم فى الموكب
لو كنت تعلم يا حبيبى ما الذى
ألقاه من كمدا اذا لم تركب
لرحمتنى ورثيت لى من حالة
لولاك لم يك حملها من مذهبى
قسما بوجهك وهو بدر طالع
وبليل طرتك التى كالغيهب
وبقامة لك كالقضيب ركبت من
أخطارها فى الحب أصعب مركب
لو لم أكن فى رتبة أرعى لها ال
عهد القديم صيانة للمنصب
لهتكت سترى فى هواك ولذلى
خلع العذار ولج فيك مؤنبى
لكن خشيت بان تقول عواذلى
قد جن هذا الشيخ فى هذا الصبى
فارحم فديتك حرقة قد قاربت
كشف القناع بحق ذيالك النبى

(قال الشيخ جمال الدين) بن عبد القادر التبريزى الذى يهواه القاضى شمس الدين بن خلكان رحمه الله الملك المسعود بن الملك الظاهر وكان قد تيمه حبه وكنت أنام عنده بالعادلية فتحدثنا فى بعض الليالى الى أن ذهب الناس فقال لى نم أنت ههنا والقى على فروة قرظ وقام يدور حول بركة العادلية ويقول فى دورانه

أنا والله هالك * آيس من سلامتى
أو أرى القامة التى * قد أقامت قيامتى

اليه وحوصة وجوههم فقال مالكم تنظرون الى نظر الشحيح الى الغريم المفلس هكذا الادب يشرف الصغير على الكبير و يرفع المملوك على المولى و يقعد العبيد على الاسرة وقال جالينوس ان ابن الوضيع اذا كان أديبا كان نقص أبيه زائدا فى منزلته وابن الشريف اذا كان غير أديب كان شرف أبيه زائدا فى سقوطه وقيل أحسن الادب أن لا يفتخر المرء بادبه وسمع معاوية رجلا يقول أنا غريب فقال كلا الغريب من لا أدب له ويقال اذا فاتك الادب فالزم الصمت فهو من أعظم الآداب ولعبد الملك بن صالح

فى الناس قوم أضاعوا مجد أولهم * ماف المكارم والتقوى لهم أرب
سوء التأدب أرداهم وأرذلهم * وقد يزين صحيح المنصب الادب

وقيل أربعة تسوّد العبد الادب والعلم والصدق والامانة وقال بعض الحكماء خمسة لا تتم الا بخمسة لا يتم الحسب الا بالادب ولا يتم الجمال الا بالحلاوة ولا يتم الغنى الا بالجود ولا يتم البطش الا بالجراءة ولا يتم الجهاد الا بالتوفيق والله تعالى أعلم

﴿الباب الخامس فى الآداب والحكم وما أشبه ذلك﴾

قال الحكماء اذا أراد الله بعبد خيرا ألهمه الطاعة وألزمه القناعة وفقهه فى الدين وعضده باليقين فاكتفى بالكفاف واكتسى بالعفاف واذا أراد به شرا حبب اليه المال وبسط منه الآمال وشغله بدنياه ووكله الى هواه فركب الفساد وظلم العباد الثقة بالله أزكى أمل والتوكل عليه أوفى عمل من لم يكن له من دينه واعظ لم تنفعه المواعظ من سره الفساد ساءه المعاد كل يحصد ما زرع ويجزى بما صنع لا يغرنك صحة نفسك وسلامة أمسك فمدة العمر قليلة وصحة النفس مستحيلة من أطاع هواه باع دينه بدنياه ثمرة العلوم العمل بالعلوم من رضى بقضاء الله لم يسخطه أحد ومن قنع بعطائه لم يدخله حسد أفضل الناس من لم تفسد الشهوة دينه خير الناس من أخرج الحرص من قلبه وعصى هواه فى طاعة ربه نصرة الحق شرف ونصرة الباطل سرف البخيل حارس نعمته وخازن لورثته من لزم الطمع عدم الورع اذا ذهب الحياء حل البلاء علم لا ينفع كدواء لا ينجع من جهل المرء أن يعصى ربه فى طاعة هواه ويهين نفسه فى اكرام دنياه أيام الدهر ثلاثة يوم مضى لا يعود اليك ويوم أنت فيه لا يدوم عليك ويوم مستقبل لا تدرى ما حاله ولا تعرف من أهله من كثر ابتهاجه بالمواهب اشتد انزعاجه للمصائب لا تبت على غير وصية وان كنت من جسمك فى صحة ومن عمرك فى فسحة عظ المسىء بحسن أفعالك ودل على الجميل بجميل خلالك اياك وفضول الكلام فانه يظهر من عيوبك ما بطن ويحرك من عدوك ما سكن لا يجد العجول فرحا ولا الغضوب سرورا ولا الملول صديقا حسن النية من العبادة حسن الجلوس من السياسة من زاد فى خلقه نقص فى حظه من ائتمن الزمان خانه أظهر الناس محبة أحسنهم لقاء لا يكمل للانسان دينه حتى يكون فيه أربع خصال يقطع رجاءه عما فى أيدى الناس ويسمع شتم نفسه ويصبر ويحب للناس ما يحب لنفسه ويثق بمواعيد الله اياك والحسد فانه يفسد الدين ويضعف اليقين ويذهب المروءة قيل لافلاطون ما الشئ الذى لا يحسن أن يقال وان كان حقا قال مدح الانسان نفسه أربعة تؤدى الى أربعة الصمت الى السلامة والبر الى الكرامة والجود الى السيادة والشكر الى الزيادة من ساء تدبيره أهلكه حده الغرة ثمرة الجهل آفة القوة استضعاف الخصم آفة النعم قبح المن آفة الذنب حسن الظن الحزم أسد الآراء والغفلة أضر الاعداء من قعد عن حيلته أقامته الشدائد ومن نام عن عدوه أيقظته المكايد من قرب السفلة وأطرح ذوى الاحساب والمروآت استحق الخذلان من عفا تفضل من كظم غيظه فقد حلم من حلم فقد صبر ومن صبر فقد ظفر من ملك نفسه عند أربع حرمه الله على النار حين يغضب وحين يرغب وحين يرهب وحين يشتهى من طلب الدنيا بعمل الآخرة فقد خسرهما ومن طلب الآخرة بعمل الدنيا فقد ربحهما كلام المرء بيان فضله وترجمان عقله فاقصره على الجميل واقتصر منه على القليل كل امرئ يعرف بقوله ويوصف بفعله فقل سديدا وافعل حميدا من عرف شانه وحفظ لسانه وأعرض عما لا يعنيه وكف عن عرض أخيه دامت سلامته وقلت ندامته كن صموتا وصدوقا فالصمت حرز والصدق عز من أكثر مقاله سئم ومن أكثر سؤاله حرم من استخف باخوانه خذل ومن اجترأ على سلطانه قتل ما عز من أذل جيرانه

(وقيل) ان قاضى القضاة شمس الدين المشار اليه رحمه الله سأل بعض أهل دمشق الحرو سقو كان المسؤل من خواص أصحابه عن ترجمته عند أهل دمشق فاستعفاه من ذلك فالح عليه فقال أما العلم والفضل فهم مجمعون عليه وأما النسب فيدعون فيه الادعاء ويقولون ان مولانا يأكل الحشيش ويحب الغلمان (فقال) أما النسب والكذب فيه فهذا نوع من الهذيان ولو أردت أن أنتسب الى العباس أو الى على بن أبى طالب أو الى أحد من الصحابة لاجازوا ذلك وأما النسب الى قوم لم يبق منهم بقية وأصلهم فرس مجوس فما فيه فائدة وأما الحشيشة فالكل ارتكاب محرم واذا كان ولا بد فكنت أشرب الخمر فانه ألذ وأما محبة الغلمان فالى غد أجيبك عن المسئلة انتهى (ومما يناسب لطيفة قاضى القضاة شمس الدين ما نقلته من روض الجليس ونزهة الانيس) حكى عن سليمان بن محمد المهدى الصقلى قال كان بافريقية رجل نبيه شاعر وكان يهوى غلاما جميلا من غلمانه فاشتد كلفه به وكان الغلام يتجنى عليه ويعرض عنه كثيرا فبينما هو ذات ليلة وقد انفرد بنفسه ليشرب الخمر اذ ذكر محبوبه فجرى بخاطره ما يفعله به من التجنى فزاد سكره وقام من الفور وقد غلب عليه سكر الغرام وسكر المدام فأخذ قبس نار وجعله عند باب الغلام ليحرق عليه داره فلما دارت النار بالباب بادر الناس باطفائها واعتقلوه فلما أصبحوا نهضوا به الى القاضى فأعلموه بفعله فقال له القاضى لأى شئ أحرقت باب هذا الغلام فانشد على الفور

لما تمادى على بعادى
وأضرم النار فى فؤادى
ولم أجد من هواه بدا
ولا معينا على السهاد

ولاسعد من حرم اخوانه خير النوال ماوصل قبل السؤال أولى الناس بالنوال أزهدهم فى السؤال من حسن صفاؤه وجب اصطفاؤه من غاظك بقبيح الشتم منه فغظه بحسن الحلم عنه من يبخل بماله على نفسه جاد به على زوج عرسه اذا اصطنعت المعروف فاستره واذا اصطنع اليك فانشره من جاور الكرام أمن من الاعدام من طاب أصله زكا فرعه من أنكر الصنيعة استوجب القطيعة من منّ بمعروفه سقط شكره ومن أعجب بعمله حبط أجره من رضى من نفسه بالاساءة شهد على أصله بالرداءة من رجع فى هبته بالغ فى خسته من رقى فى درجات الهمم عظم فى عيون الامم من كبرت همته كثرت قيمته من ساء خلقه ضاق رزقه من صدق فى مقاله زاد فى جماله من هان عليه المال توجهت اليه الآمال من جاد بماله جل ومن جاد بعرضه ذل خير المال ما أخذ من الحلال وصرف فى النوال وشر المال ما أخذ من الحرام وصرف فى الآثام أفضل المعروف اغاثة الملهوف من تمام المروأة أن تنسى الحق لك وتذكر الحق عليك وتستكبر الاساءة منك وتستصغرها من غيرك من أحسن المكارم عفو المقتدر جود الرجل يحببه الى أصدقائه وبخله يبغضه الى أودائه لاتسئ الى من أحسن اليك ولاتعن على من انعم عليك من كثر ظلمه واعتداؤه قرب هلاكه وفناؤه من طال تعديه كثرت أعاديه شر الناس من ينصر الظلوم ويخذل المظلوم من حفر حفير الاخيه كان حتفه فيه من سل سيف العدوان أغمد فى رأسه من لم يرحم العبرة سلب النعمة ومن لم يقل العثرة سلب القدرة لاتحاج من يذهلك خوفه وعلك سيفه صمت تسلم به خير من نطق تندم عليه من قال مالا ينبغى سمع مالا يشتهى جرح الكلام أصعب من جرح الحسام من سكت عن جاهل فقد أوسعه جوابا وأوجعه عتابا من أمات شهوته أحيا مروأته من كثرت عوارفه كثرت معارفه من لم تقبل توبته عظمت خطيئته اياك والبغى فانه يصرع الرجال ويقطع الآجال الناس فى الخير أربعة اقسام منهم من يفعله ابتداء ومنهم من يفعله اقتداء ومنهم من يتركه حرمانا ومنهم من يتركه استحسانا فمن فعله ابتداء فهو كريم ومن فعله اقتداء فهو حكيم ومن تركه حرمانا فهو شقى ومن تركه استحسانا فهو دنى من سالم سلم ومن قدم الخير غنم من لزم الرقاد عدم المراد ومن دام كسله خاب أمله العجول مخطئ وان ملك والمتأنى مصيب وان هلك من أمارات الخذلان معادات الاخوان استفساد الصديق من عدم التوفيق الرفق مفتاح الرزق من نظر فى العواقب سلم من النوائب ومن أسرع فى الجواب أخطأ فى الصواب من ركب العجل أدركه الزلل من ضعفت آراؤه قويت أعداؤه من قلت فضائله ضعفت وسائله من فعل ماشاء لقى ماساء من كثر اعتباره قل عثاره من ركب جده غلب ضده القليل مع التدبير أبقى من الكثير مع التبذير ظن العاقل أصح من يقين الجاهل قليل تحمد آخرته خير من كثير تذم عاقبته من خاف سطوتك تمنى موتك اذا استشرت الجاهل اختار لك الباطل من أعجبته آراؤه غلبته أعداؤه من قصر عن السياسة صغر عن الرياسة لاتشتك ضعفك الى عدوك فانك تشمته بك وتطمعه فيك من لم يعمل لنفسه عمل للناس ومن لم يصبر على كده صبر على الافلاس من أفشى سره أفسد أمره الحازم من حفظ مافى يده ولم يؤخر شغل يومه لغده من طلب مالا يكون طال تعبه لاتفتح بابا يعييك سده ولاترم سهما يعجزك رده سوء التدبير سبب التدمير اغمد سيفك مانابك عنك لسانك ليس العجب من جاهل يصحب جاهلا ولكن العجب من عاقل يصحبه لان كل شئ ينفر من ضده ويميل الى جنسه اذا نزل القدر بطل الحذر رب عطب تحت طلب ومنية تحت أمنية لايخلو المرء من ودود يمدح وعدو يقدح الجوع خير من الخضوع الكذوب متهم وان صدقت لهجته ووضحت حجته من طاوعه طارفه اشتد حتفه من لم تسر حياته لم تغم وفاته من أعظم الذنوب تحسين العيوب الشرف بالهمم العالية لا بالرمم البالية اذا ملك الاراذل هلك الافاضل من ساءت أخلاقه طاب فراقه من حسنت خصاله طاب وصاله بعد يورث الصفاء خير من قرب يوجب الجفاء اللسان سيف قاطع لا يؤمن حده والكلام سهم نافذ لايمكن رده من اطلع على جاره انهتكت حجة أستاره أجهل الناس من قل صوابه وكثر اعجابه أظهر الناس نفاقا من أمر بالطاعة ولم يأتمر بها ونهى عن المعصية ولم ينته عنها من سلا عن المسلوب كمن لم يسلب ومن صبر على النكبة كمن لم ينكب الفضيلة بكثرة الآداب لابفراهة الدواب من

زادت

حملت نفسى على وثوقى
بنابه وقفة الجواد
فطار من بعض نار قلبى
أقل فى الوصف من زناد
فاحرق الباب دون على
ولم يكن ذاك من مرادى

قال فاستظرف القاضى واقعته واستملح شعره ورق لحكاية حاله وتحمل عنه ما أفسده من باب الغلام وأطلقه (ومما يناسب هذه اللطائف) قيل انه رفع الى المأمون ان حائكا يعمل السنة كلها لا يتعطل فى عيد ولا جمعة فاذا ظهر الورد طوى عمله وغرد بصوت عال

طاب الزمان وجاء الورد فاصطبحوا
مادام للورد أزهار ونوار
فاذا شرب مع ندمائه على الورد غنى
اشرب على الورد من حمراء صافية
شهرا وعشرا وخمسا بعدها عددا

ولا يزالون فى صبوح وغبوق ما بقيت وردة فاذا انقضى الورد عاد الى عمله وغرد بصوت عال

فان يبقنى ربى الى الورد أصطبح
وان مت والهفى على الورد والخمر
سألت اله العرش جل جلاله
يواصل قلبى فى غبوق الى الحشر

فقال المأمون لقد نظر هذا الرجل الى الورد بعين جليلة فينبغى ان نعينه على هذه المروأة فامر ان يدفع له فى كل سنة عشرة آلاف درهم فى زمن الورد (ومن اللطائف ماحكى عن مجير الدين الخياط الدمشقى) قيل انه كان يهوى غلاما من أولاد الجند فشرب مجير الدين فى بعض الليالى وسكر فوقع فى الطريق فمر الغلام عليه بشمعة وهو راكب فرآه فى الليل مطروحا على الطريق فوقع عليه بالشمعة ونزل فاقعده ومسح وجهه فسقط من الشمعة نقطة على وجهه ففتح عينيه فرأى محبوبه على رأسه فاستيقظ وأنشد

يامحرقا بالنار وجه محبه
مهلا فان مدامعى تطفيه

زادت شهوته نقصت مروأته من عرف بشئ نسب اليه ومن اعتاد شيا حرص عليه عند الجدال يظهر فضل الرجال من أخر الاكل لذطعامه ومن أخر النوم طاب منامه موت فى دولة وعز خير من حياة فى ذلة وعجز مقاساة الفقر هى الموت الاحمر ومسئلة الناس هى العار الاكبر حق يضر خير من باطل يسر كم من مرغوب فيه يسوء ولا يسر ومرهوب منه ينفع ولا يضر عثرة الرجل تزيل القدم وعثرة اللسان تزيل النعم المزاح يورث الضغائن من حلم ساد ومن تفهم ازداد معاشرة ذوى الالباب عمارة القلوب شر ما صحب المرء الحسد ربما أصاب الاعمى رشده وأخطأ البصير قصده اليأس خير من التضرع الى الناس لا تكن ضاحكا فى غير عجب ولا ماشيا فى غير أرب من سعى بالنميمة حذره القريب ومقته الغريب الاستشارة عين الهداية وقد خاطر من استبد برأيه أشرف الغنى ترك المنى من ضاق خلقه مله أهله الحسد للصديق من سقم المودة كل الناس راض عن عقله دنياك كلها وقتك الذى أنت فيه استر سوأة أخيك لما يعلم فيك خمول الذكر أسنى من الذكر الذميم العجلة أخت الندامة من كرم أصله لان قلبه ومن قل لبه زاد عجبه ربما أدرك بالظن الصواب ليس لمعجب رأى ولا لمتكبر صديق سل عن الرفيق قبل الطريق وعن الجار قبل الدار لا تعادين أحدا فانك لا تخلو من عداوة جاهل أو عاقل فالحذر من حكمة العاقل وجهل الجاهل ضاحك معترف بذنبه خير من باك مدل على ربه من قل سروره كان الموت راحته لا تردن على ذى خطأ خطأه فيستفيد منك علما ويتخذك عدوا استحى من ذم من لو كان حاضرا لبالغت فى مدحه ومدح من لو كان غائبا لسارعت الى ذمه وقيل المنفعة توجب المحبة والمضرة توجب البغضة والمخالفة توجب العداوه والمتابعة توجب الالفة والعدل يوجب اجتماع القلوب والجور يوجب الفرقة وحسن الخلق يوجب المودة وسوء الخلق يوجب المباعدة والانبساط يوجب المؤانسة والانقباض يوجب الوحشة والكبر يوجب المقت والتواضع يوجب الرفعة والجود يوجب المدح والبخل يوجب الذم والتوانى يوجب التضييع والحزم يوجب السرور والحذر يوجب السلامة واصابة التدبير توجب بقاء النعمة وبالتأنى تسهل المطالب وبحسن المعاشرة تدوم المحبة وبخفض الجانب تأنس النفوس وبسعة خلق المرء يطيب عيشه والاستهانة توجب التباعد وبكثرة الصمت تكون الهيبة وبعدل المنطق تجلب الجلالة وبالنصفة تكثر المواصلة وبالافضال يعظم القدر وبصالح الاخلاق تزكو الاعمال وباحتمال المؤن يجب السودد وبالحلم على السفيه تكثر أنصارك عليه وبالرفق والتودد تستحق اسم الكرامة وبترك ما لا يعنيك يتم لك الفضل * واعلم ان السياسة تكسو أهلها المحبة ومن صغر الهمة الحسد للصديق على النعمة والنظر فى العواقب نجاة ومن لم يحلم ندم ومن صبر غنم ومن سكت سلم ومن اعتبر أبصر ومن أبصر فهم ومن فهم علم ومن أطاع هواه ضل ومع العجلة الندامة ومع التأنى السلامة وزارع البر يحصد السرور وصاحب العقل مغبوط وصداقة الجاهل تعب اذا جهلت فاسأل واذا زللت فارجع واذا أسأت فاندم واذا ندمت فاقلع المروآت كلها تبع للعقل والرأى تبع للتجربة والعقل أصله التثبت وثمرته السلامة والاعمال كلها تتبع القدر واختار العلماء أربع كلمات من أربع كتب فمن التوراة من قنع شبع ومن الانجيل من اعتزل نجا ومن الزبور من سكت سلم ومن القرآن من يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم واجتمعت حكماء العرب والعجم على أربع كلمات لا تحمل بطنك ما لا يطيق ولا تعمل عملا لا ينفعك ولا تغتر بامرأة ولا تثق بمال ولو كثر والله تعالى أعلم

﴿ الباب السادس فى الامثال السائرة وفيه فصول ﴾

﴿ الفصل الاول فيما جاء من ذلك فى القرآن العظيم وأحاديث النبى الكريم ﴾

﴿ اعلم ﴾ ان الامثال من أشرف ما وصل به اللبيب خطابه وحلى بجواهره كتابه وقد نطق كتاب الله تعالى وهو أشرف الكتب المنزلة بكثير منها ولم يخل كلام سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها وهو أفصح العرب لسانا وأكملهم بيانا فكم فى ايراده واصداره من مثل يعجز عن مباراته فى البلاغة كل بطل وسنذكر ان شاء الله تعالى بعد ذلك نبذة من أمثال العرب والمولدين والعامة * فمن أمثال كتاب الله تعالى قوله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون الآن حصحص الحق قضى الامر الذى فيه تستفتيان أليس الصبح بقريب

أحرق بها جسدى وكل جوارحى
واحذر على قلبى فانك فيه

(ومن اللطائف ما حكاه الاصمعى) قال مررت بكناس يكنس كنيفا وهو يغنى ويقول

أضاعونى وأى فتى أضاعوا
ليوم كريهة وسداد ثغر

فقلت له أما سداد الثغر فلا علم لنا كيف أنت فيه وأما سداد الكنيف فمعلوم قال الاصمعى وكنت حديث السن فاردت العبث به فاعرض عنى مليا ثم أقبل على وأنشد

وأكرم نفسى انى ان أهنتها
وحقك لم تكرم على أحد بعدى

فقلت وأى كرامة حصلت لها منك وما يكون من الهوان أكثر مما أهنتها به فقال بل لا والله من الهوان ما هو أكثر وأعظم مما أنا فيه فقلت له وما هو فقال الحاجة اليك والى أمثالك فقال فانصرفت وأنا أخزى الناس (ذكرت) بقول الكناس غريم الاصمعى ما يضارع ذلك أعنى قوله

أضاعونى وأى فتى أضاعوا
ليوم كريهة وسداد ثغر

قيل انه كان لابى حنيفة رضى الله عنه جار اسكاف بالكوفة يعمل نهاره أجمع فاذا جنه الليل رجع الى منزله بلحم وسمك فيطبخ اللحم ويشوى السمك فاذا دب فيه السكر أنشد

أضاعونى وأى فتى أضاعوا
ليوم كريهة وسداد ثغر

ولا يزال يشرب ويردد البيت الى أن يغلبه السكر وينام وكان الامام أبو حنيفة يصلى الليل كله ويسمع حديثه وانشاده ففقد صوته بعض الليالى فسأل عنه فقيل أخذه العسس منذ ثلاثة أيام وهو محبوس فصلى الامام الفجر وركب بغلته ومشى واستأذن على الامير فقال ائذنوا له واقبلوا به راكبا حتى يطأ البساط

ثم بدا لنا مكان السيئة الحسنة ليس لها من دون الله كاشفة أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وحيل بينهم وبين ما يشتهون لكل نبإ مستقر قل كل يعمل على شاكلته وعسى أن تكرهوا شيأ ويجعل الله فيه خيرا كثيرا وان تصبكم سيئة يفرحوا بها كل نفس بما كسبت رهينة حتى اذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة ما على الرسول الا البلاغ كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله ما على المحسنين من سبيل تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى هل جزاء الاحسان الا الاحسان ولا ينبئك مثل خبير ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم كل حزب بما لديهم فرحون لا يكلف الله نفسا الا وسعها لا يستوي الخبيث والطيب ففررت منكم لما خفتكم وان كثيرا من الخلطاء ليبغي بعضهم على بعض يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون ألم تر الى الذين يزكون أنفسهم بل الله يزكي من يشاء يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم وما تأتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون اعلموا أن الله شديد العقاب وأن الله غفور رحيم ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر للجوا في طغيانهم يعمهون فذكر انما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين لا يجليها لوقتها الا هو فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى كل يوم هو في شان فبأي حديث بعده يؤمنون وما ربك بغافل عما تعملون واهجرهم هجرا جميلا من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها ان هي الا فتنتك فاعتبروا يا أولي الابصار وانه لقسم لو تعلمون عظيم ماترى في خلق الرحمن من تفاوت ولتعلمن نبأه بعد حين وكان بين ذلك قواما لمثل هذا فليعمل العاملون كل من عليها فان كل نفس ذائقة الموت أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون (ومن) الامثال من الحديث النبوي انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرئ ما نوى نية المرء خير من عمله آفة العلم النسيان من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه اذا أتاكم كريم قوم فأكرموه أنزلوا الناس منازلهم اليد العليا خير من اليد السفلى من مات غريبا مات شهيدا مطل الغني ظلم يد الله مع الجماعة الجار قبل الدار والرفيق قبل الطريق من غشنا فليس منا سيد القوم خادمهم الحياء شعبة من الايمان تخيروا لنطفكم ابدأ بنفسك ثم بمن تعول حدث عن البحر ولا حرج المجالس بالامانات كل ميسر لما خلق له اطلبوا الخير من حسان الوجوه اياك وما يعتذر منه الوحدة خير من الجليس السوء استعينوا على الحوائج بالكتمان الندم توبة لا يكون المؤمن طعانا ولا لعانا دع ما يريبك الى ما لا يريبك من كثر سواد قوم فهو منهم انصر أخاك ظالما أو مظلوما انتظار الفرج عبادة كاد الفقر أن يكون كفرا نعم صومعة الرجل بيته الاعمال بخواتيمها

الفصل الثاني في أمثال العرب ان من البيان لسحرا ان الجواد قد يعثر ان البلاء موكل بالمنطق ان أخاك الهيجاء من يسعى معك *ومن يضر نفسه لينفعك أنف في السماء واست في الماء ان الذليل الذي ليست له عضد أي الرجال المهذب انما هو كبرق خلب اذا أدبر الدهر عن قوم كفى عدوهم أمرهم اياك أعني فاسمعي ياجارة ان لم يكن وفاق ففراق انك لا تجني من الشوك العنب اذا جاء القضاء ضاق الفضاء ان المنا كح خيرها الابكار اذا كنت مناطحا فناطح بذوات القرون أوى الى ركن بلا قواعد اياك أن تضرب بلسانك عنقك أكل وحمد خير من أكل وذم آفة المروءة خلف الوعد اذا قلت له زن طأطأ رأسه وحزن اذا أتاك أحد الخصمين وقد فقئت عينه فلا تقض له حتى يأتيك خصمه فلعله فقئت عيناه ترك الذنب أيسر من طلب التوبة اتق شر من تحسن اليه الناس اخوان وشتى في الشيم بلغ السيل الزبى أجع كلبك يتبعك حافظ على الصديق ولو في الحريق اشتدى أزمة تنفرجي أتبع السيئة الحسنة تمحها الخيل أعرف بفرسانها رمتني بدائها وانسلت رب رمية من غير رام الرياح مع السماح رب أكلة تمنع أكلات استراح من لا عقل له رب أخ لم تلده أمك رب طمع أدى الى عطب ربما كان السكوت جوابا رب ملوم لا ذنب له رب عين أنم من لسان رحم الله من هدى الى عيوبي ركوب الخنافس ولا المشي على الطنافس سبق السيف العذل زوج من عود خير من قعود سمك من بلغك السب سحابة صيف عن قليل تقشع شر أيام الديك يوم تغسل رجلاه طاعة النساء ندامة أطلب تظفر طرف الفتى يخبر عن لسانه ظاهر العتاب خير من باطن الحقد عند الصباح يحمد القوم السرى الظلم مرتعه وخيم عند النطاح يغلب الكبش الاجم

فلما دخل على الامير أجلسه مكانه وقال ما حاجة الامام فقال لي جار اسكاف أخذه العسس منذ ثلاثة أيام فتأمر بتخليته فقال نعم وكل من أخذ تلك الليلة الى يومنا هذا ثم أمر بتخليته وتخليتهم أجمعين فركب الامام وتبعه جاره الاسكاف فلما وصل الى داره قال له الامام أبو حنيفة أترانا أضعناك قال لا بل حفظت ورعيت جزاك الله خيرا عن صحبة الجوار ورعايته ولله على أن لا أشرب بعدها خمرا فتاب من يومه ولم يعد الى ما كان عليه انتهى (ومما يناسب هذه اللطائف) ما ذكره الحريري في كتابه الموسوم بتوشيح البيان نقل أن أحمد بن المعدل كان يحد باخيه عبد الصمد وجدا عظيما على تباين طريقتهما لان أحمد كان صواما قواما وكان عبد الصمد سكيرا خموريا وكانا يسكنان دارا واحدة ينزل أحمد في غرفة أعلاها وعبد الصمد في أسفلها فدعا عبد الصمد ليلة جماعة من ندمائه وأخذ في القصف والعزف حتى منعوا أحمد الورد ونغصوا عليه التهجد فاطلع عليهم وقال أفأمن الذين مكروا السيئات أن يخسف الله بهم الارض فرفع عبد الصمد رأسه وقال وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم (وذكرت) بهذا الاقتباس الذي خلب القلوب هنا بحسن موقعه اقتباسا خلب قلوب الناس لعظم موقعه وما ذاك الا ان الحاكم الفاطمي على ما ذكر لما بنى المسجد الجامع بالقاهرة المعزية المجاور لباب الفتوح قيل انه فسد حاله في آخر أمره وادعى الالوهية وكتب بسم الحاكم الرحمن الرحيم وجمع الناس الى الايمان به وبذل لهم نفائس وكان ذلك في فصل الصيف والذباب يتراكم على الحاكم والخدام تدفعه ولا يندفع فقرأ في ذلك الوقت بعض

العبد يقرع بالعصا * والحر تكفيه الملامه

اعقل وتوكل العتاب قبل العقاب عند الرهان تعرف السوابق عند الامتحان يكرم المرء أو يهان عند النازلة تعرف أخاك في القمر ضياء والشمس أضوأ منه القول ما قالت حذام * لقد أسمعت لو ناديت حيا * أقلل طعامك تحمد منامك كل فتاة بابيها معجبة كل كاب ببابه نباح كاد العروس أن يكون ملكا كثرة العتاب توجب البغضاء أكثر مصارع الرجال تحت بروق المطامع الكلام أنثى والجواب ذكر كل اناء يرشح بما فيه كما تزرع تحصد كل امرئ في بيته صبي كاب جوال خير من أسد رابض * لقد ذل من بالت عليه الثعالب * ليس الخبر كالعيان لكل صارم نبوة ولكل جواد كبوة لكل قادم دهشة * لعل لها عذرا وأنت تلوم * لكل ساقطة لاقطة لكل مقام مقال للشاسان من رطب ويدان من خشب للباطل جولة ثم يضمحل ليست النائحة الثكلى مثل المستأجرة لكل غد طعام لكل دهر دولة ورجال لاعطر بعد عروس لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين لا يضر السحاب نباح الكلاب لا تقتن من كاب سوء جروا مقتل الرجل بين فكيه ما حك جلدك مثل ظفرك من عتب على الدهر طال عتبه معاتبة الاخوان خير من فقدهم النفس مولعة بحب العاجل هذه بتلك والبادي أظلم ياحبذا الامارة ولو على الحجارة يكسو الناس واسته عارية يداك منك وان كانت شلاء

﴿الفصل الثالث في أمثال العامة والمولدين﴾ التسلط على المماليك دناءة اجلس حيث يؤخذ بيدك وتبر ولا تجلس حيث يؤخذ برجلك وتجر اجرأ الناس على الاسد أكثرهم له رؤية الحاجة تفتق الحيلة الحاوي لا ينجو من الحيات الحبة تدور والى الرحى ترجع المؤذي ردي كلما جلوته صدى الاسواق موائد الله في أرضه السلامة احدى الغنيمتين الشاة المذبوحة لا يؤلمها السلخ الطير بالطير يصاد اطلع القرد في الكنيف فقال هذه المرآة لهذا الوجه الظريف العادة طبيعة خامسة الغائب حجته معه الخضوع عند الحاجة رجولية الناس اتباع لمن غلب النكاح يفسد الحب النصح بين الملا تقريع الحر حر وان مسه الضر والعبد عبد وان ملك الدر الثقيل اذا تخفف صار طاعونا أضيع من حلي على زنجية العمل للزرنيخ والاسم للنورة أنشط من ابر دخل نصفه البغل الهرم لا يفزعه صوت الجلجل بدن وافر وقلب كافر تزاوروا ولا تجاوروا تعاشروا كالاخوان وتعاملوا كالاجانب ثمرة العجلة الندامة جواهر الاخلاق تفضحها المعاشرة حيثما سقط لقط خذ اللص قبل أن يأخذك خذ القليل من اللئيم وذمه ذل من لا سفيه له ريق العدو سم قاتل رب سلع كقاعد زكاة البدن العلل زاق الحمار وكان من سهوة المكاري زلة الرجل عظم يجبر وزلة اللسان لا تبقي ولا تذر سلطان غشوم خير من فتنة تدوم سواء قوله وبوله سفير السوء يفسد ذات البين شهر ليس لك فيه رزق لا تعد أيامه صديق الوالد عم الولد ضرب الطبل تحت الكساء طاعة الولاة بقاء العز طفيلي ويقترح عناية القاضي خير من شاهدي عدل دلت على أهلها براقش (وهو اسم كلبة نبحت فدلت على الجيش فقتلوهم) غش القلوب يظهر في فلتات الالسن وصفحات الوجوه غنى المرء في الغربة وطن فر من الموت وفي الموت وقع فم يسبح وقلب يذبح فلان كالكعبة يزار ولا يزور قيل للزمار تهيأ للزمر قال المزمار في كمي والريح في فمي كل قليلا تعش كثيرا كالممرغ في قفص كالابرة تكسو الناس وهي عريانة كلمة حكمة من جوف خرب كاد المريب يقول خذوني كنت سندا فصرت مطرقة كل ما فاتك من الدنيا فهو غنيمة كلما طار قصر جناحه لو كان المزاح فحلا لم ينتج الا شرا لسان الجاهل مفتاح حتفه لكل جديد لذة لو ضاعت صفعة ما وجدت الا في قفاه لو كان في اليوم خير ما فات الصياد من اعتمد على شرف آبائه فقد عقهم من سعادة المرء أن يكون خصمه عاقلا وبالله التوفيق

﴿الفصل الرابع في الامثال من الشعر المنظوم مرتبة على حروف المعجم﴾

﴿حرف الالف﴾

ألا كل شيء ما خلا الله باطل * وكل نعيم لا محالة زائل * اذا جاء موسى وألقى العصا
فقد بطل السحر والساحر * اذا لم يكن فيكن ظل ولا جنا * فأبعدكن الله من شجرات
اذا كنت في فكري وقلبي ومقلتي * فأي مكان من مكانك ألطف * اذا أراد كريم منع صاحبه

القراء وكان حسن الصوت يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيأ لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب ما قدروا الله حق قدره ان الله لقوي عزيز فاضطربت الامة لعظم وقوع هذه الآية الشريفة في حكاية الحال حتى كان الله أنزلها تكذيبا للحاكم فيما ادعاه وسقط الحاكم من فوق سريره خوفا من أن يقتل وولى هاربا وأخذ في استجلاب ذلك الرجل الى أن اطمأن اليه فجهزه رسولا الى بعض الجزائر وأمر باغراقه ورؤي بعد ذلك في المنام فقيل له ما وجدت فقال ما قصر معي صاحب السفينة أرسى بي على باب الجنة (ومن الاقتباسات التي وقعت للمتأخرين في أحسن المواقع المتعلقة بحكاية الحال) ما سمعت وشهدت حكاية حاله بالجامع الاموي وما ذاك الا أن قاضي القضاة علاء الدين أبا البقاء الشافعي رحمه الله تعالى كان قد عزل من وظيفة قضاء القضاة بدمشق المحروسة فعاد الى وظيفته وألبس التشريف من قلعة دمشق وحضر الى الجامع على العادة ومعه أخوه قاضي القضاة بدر الدين الشافعي بالديار المصرية فاستفتح الشيخ معين الدين الضرير المقري وقرأ قالوا يا أبانا ما نبغي هذه بضاعتنا ردت الينا ونمير أهلنا ونحفظ أخانا الى آخر الآية فحصل بالجامع الاموي ترنم صفق له النسر بجناحيه (وروى المرزبان) باسناده أن المجنون خرج مع أصحاب له يمتار من وادي القرى فمر بجبلي نعمان فقالوا ان هذين جبلا نعمان وقد كانت ليلى تنزلهما قال فأي ريح تهب من نحو أرضها الى هذا المكان فقالوا الصبا فقال والله لا أبرح حتى تهب الصبا فأقام

فليس يخفى عليه كيف ينفعه * اذا ما أتيت الامر من غير بابه * ضللت وان تقصد الى الباب تهتد
اذا أنت لم تنصف أخاك وجدته * على طرف الهجران ان كان يعقل * اذا لم يكن عندى نوال هجرتنى
وان كان لى مال فأنت صديقى * الناس فى طلب المعاش وانما * بالجد يرزق منهم من يرزق
أيها السائل عما قد مضى * هل جديد مثل ملبوس خلق * انما أنفسنا عارية
والعوارى حكمها أن تسترد * ان العدو وان أبدى مسالمة * اذا رأى منك يوما غرة وثبا
أغنى على الزمان محالا * أن ترى مقلتاى طلعة حر * اذا الملك لم يكن ذا هبه
فدعه فدولته ذاهبه * اذا ثارت خطوب الدهر يوما * عليك فكن لها ثبت الجنان
اذا كنت لا ترضى بما قد ترى * فدونك الحبل به فاختنق * ان الامور اذا بدت لزوالها
فعلامة الادبار فيها تظهر * اذا ضاع شئ بين أم وبنتها * فاحداهما لا شك فى ذلك آخذه
اذا كان رب البيت بالطبل ضاربا * فلا تلم الصبيان فيه على الرقص * اذا ما أراد الله اهلاك نملة
سمت بجناحيها الى الجو تصعد * اذا أنت لم تعرض عن الجهل والخنى * أصبت حليما أو أصابك جاهل
اذا لم تستطع أمرا فدعه * وجاوزه الى ما تستطيع * اذا صوت العصفور طار فؤاده
ولكن حديد الناب عند الثرائد * أهن عامرا تكرم عليه فانما * أخو عامر من مسه بهوان
اذا محاسنى اللاتى أتيت بها * عدت ذنوبا فقل لى كيف أعتذر * اخوان صدق ما رأوك بغبطة
فاذا افتقرت فقد هوى بك من هوى * اذا اعتاد الفتى خوض المنايا * فايسر ما يمر به الوحول
ألم تر أن المرء تدوى يمينه * فيقطعها عمدا ليسلم سائره * اذا أنت لم تعلم طبيبك كل ما
يسوءك أبعدت الدواء عن السقم * اذا أنت حملت الخؤن أمانة * فانك قد أسندتها شر مسند
أكل خليل هكذا غير منصف * وكل زمان الكرام بخيل * اذا أنت عبت المرء ثم أتيته
فأنت ومن تزرى عليه سواء * أسأت اذا احسنت ظنى بكم * والحزم سوء الظن بالناس
الحادثات اذا ألم خطوبها * فلها مساورة ومحاسن * الخير لا يأتيك متصلا
والشر يسبق سيله مطره * العلم ينهض بالخسيس الى العلا * والجهل يقعد بالفتى المنسوب
الكفر بالنعمة يدعو الى * زوالها والشكر أبقى لها * أيا دارهم ما كنت أنت بدارهم
ولا أنا مذ سار الركاب بهم أنا * أقلب طرفى لا أرى غير صاحب * يميل مع النعماء حيث تميل

اذا ما قضيت الدين بالدين لم يكن * قضاء ولكن ذاك غرم على غرم

﴿حرف الباء الموحدة﴾ بنا فوق ما تشكو فصبرا لعلنا * نرى فرجا يشفى السقام قريبا

بالملح نصلح ما نخشى تغيره * فكيف بالملح ان حلت به الغير

بنى عمنا ان العداوة شأنها * ضغائن تبقى فى نفوس الاقارب

﴿حرف التاء المثناة الفوقية﴾ تحن اليه أفئدة البرايا * وتهواه الخلائق للسماع

تلوم على القطيعة من أتاها * وأنت سننتها الناس قبلى * تلجى الضرورات فى الامور الى

سلوك ما لا يليق بالادب * تفرقت الظباء على خراش * وما يدرى خراش ما يصيد

تجتلى الاذن منه أحسن مما * تجتلى العين من وجوه البدور

﴿حرف الجيم﴾ جن له الدهر فنال الغنى * آه لمن أغفله الدهر

جربت أهلى وأهليه فما تركت * لى التجارب فى ود امرئ غرضا

﴿حرف الحاء المهملة﴾ حياك من لم تكن ترجو تحيته * لولا الدراهم ما حياك انسان

﴿حرف الخاء المعجمة﴾ خفض الجأش واصبرن رويدا * فالرزايا اذا توالت تولت

خليلى ان الحب صعب مراسه * وان عزيز القوم فيه يهان * خاطر بنفسك كى تصيب غنيمة
ان الجلوس مع العيال قبيح * خيالك فى عينى وذكرك فى فمى * ومثواك فى قلبى فأين تغيب

خن من أمنت ولا تركن الى أحد * فانصحتك الا بعد تجريبى

﴿حرف الدال المهملة﴾ داود محمود وأنت مذمم * عجبا لذاك وأنتما من عود

فى ناحية من الجبل ومضوا فامتاروا
له ولهم ثم أتوا الخبسهم حتى هبت
الصبا ورحل معهم وفى ذلك يقول

أيا جبلى نعمان بالله خليا
نسيم الصبا يخلص الى نسيمها
أجد بردها أو تشف منى حرارة
على كبد لم يبق الا صميمها
فان الصبا ريح اذا ما تنسمت
على نفس مهموم تجلت همومها

وضمن البيت الاول الشيخ صفى
الدين الحلى فى مليح اسمه نعمان

أقول وقد عانقت نعمان ليلة
بنور محياه أنار أديمها
وقد أرسلت ألياه نحوى قسوة
يروح كرب المستهام شميمها
أيا جبلى نعمان بالله خليا
نسيم الصبا يخلص الى نسيمها

(وكان لابن الجوزى رحمه الله تعالى
زوجة اسمها نسيم الصبا فاتفق انه
طلقها فحصل له عند ذلك ندم وهيام
أشرف منه على التلف فحضرت فى
بعض الايام مجلس وعظه فحين رآها
عرفها فاتفق انه جاء امرأتان
وجلستا أمامه فحجبتاها عنه فأنشد
فى الحال

أيا جبلى نعمان بالله خليا
نسيم الصبا يخلص الى نسيمها

(قلت) وعلى ذكر نعمان والحكاية
عنه فما ألطف ما ذكره الشيخ بدر
الدين حسن بن زفر الطبيب الاربلى
فى كتابه روضة الجليس ونزهة
الانيس وهو أن بعض الرؤساء قال
أخبرنى بعض الاصحاب قال كنت
يوما جالسا عند صديق لى بالموصل
اذ جاءه كتاب من بغداد من صديق
له وفيه تشوق وفيه عتاب بهذا
البيت

تناسيتم العهد القديم كأننا
على جبلى نعمان لن نتجمعا

فأخذ يستحسن هذا البيت ويهتز له
فقلت بالله عليك أسألك شيأ لا تخفه
قال سل قلت هذه معشوقتك

دعيني أنهب الاموال حتى * أعف الا كرمين عن اللئام

﴿حرف الذال المعجمة﴾ ذو العقل يشقى فى النعيم بعقله * وأخو الجهالة فى الشقاوة منعم

﴿حرف الراء﴾ رب مهزول سمين عرضه * وسمين الجسم مهزول الحسب

ردواعلى صحائف سودتها * فيكم بلا حق ولا استحقاق * رضيت ولا أرضى اذا كان مسخطى

من الامر ما فيه رضا صاحب الامر * رب يوم بكيت منه فلما * صرت فى غيره بكيت عليه

﴿حرف الزاى﴾ زنيم ليس يعرف من أبوه * بغى الام ذو حسب لئيم

﴿حرف السين المهملة﴾ سرور أن تبقى بخير ونعمة * وانى من الدنيا بذلك قانع

سوء حظى أنالنى منك هجرا * فعلى الحظ لا عليك العتاب * سبكناه ونحسبه لجينا

فابدى الكير عن خبث الحديد * ستذكرنى اذا جربت غيرى * وتعلم اننى نعم الصديق

﴿حرف الشين المعجمة﴾ شفيعى اليك الله لا رب غيره * وليس الى رد الشفيع سبيل

شكرتك قبل الخبر ان كنت واثقا * بأنى بعد الخبر لاشك شاكر

﴿حرف الصاد المهملة﴾ صح لنا والده أولا * وأنت فى حل من الوالده

﴿حرف الضاد المعجمة﴾ ضاقت ولم تضق لما انفرجت * والعسر مفتاح كل ميسور

﴿حرف الطاء المهملة﴾ طويل عمر المعالى والندى أبدا * قصير عمر الاعادى والمواعيد

طوبى لاعين قوم أنت بينهم * القوم فى نزهة من وجهك الحسن

﴿حرف الظاء المشالة﴾ ظهرت خيانات الثقات وغيرهم * حتى اتهمنا رؤية الابصار

ظلمت امرأ كلفته غير خلقه * وهل كانت الاخلاق الا غرائزا

﴿حرف العين المهملة﴾ علم الله كيف أنت فاعطا * لك المحل الجليل من سلطانه

على المرء أن يسعى لما فيه نفعه * وليس عليه أن يساعده الدهر * عسى فرج يأتى به الله انه

له كل يوم فى خليقته أمر * عتبت على عمرو فلما تركته * وجربت أقواما بكيت على عمرو

﴿حرف الغين المعجمة﴾ غنى بلا دين عن الخلق كلهم * وان الغنى الاعن الشئ لا به

غلام أتاه اللؤم من شطر نفسه * ولم يأته من شطر أم ولا أب

﴿حرف الفاء﴾ فلم أر كالايام للمرء واعظا * ولا كصروف الدهر للمرء هاديا

فنفسك أكرمها فانك ان تهن * عليك فلن تلقى لها الدهر مكرما * فصبر جميل ان فى اليأس راحة

اذا الغيث لم يعطر بلادك ماطره * فما أكثر الاصحاب حين تعدهم * ولكنهم فى النائبات قليل

فان كانت الاجسام منا تباعدت * فان المدى بين القلوب قريب * فلو كان حمدا يخلد المرء لم يمت

ولكن حمد المرء غير مخلد * فان تفق الانام وأنت منهم * فان المسك بعض دم الغزال

﴿حرف القاف﴾ قد يجمع المال غير آكله * ويأكل المال غير من جمعه

قد زال ملك سليمان فعاوده * والشمس تنحط فى المجرى وترتفع * قد يدرك المتأنى نجح حاجته

وقد يكون مع المستعجل الزلل * قد يدرك الشرف الفتى ورداؤه * خلق وجيب قميصه مرقوع

﴿حرف الكاف﴾ كلوا اليوم من رزق الاله وأبشروا * فان على الخلاق رزقكم غدا

كفى زاجرا للمرء أيام دهره * تروح له بالواعظات وتغتدى * كنت من كربتى أفر اليهم

فهم كربتى فاين الفرار * كانوا بنى أم ففرق شملهم * عدم العقول وخفة الاحلام

كل المصائب قد تمر على الفتى * فتهون غير شماتة الاعداء * كانك من كل النفوس مركب

فانت الى كل الانام حبيب * كالكلب ان جاع لم يمنعك بصبصة * وان ينل شبعا ينبح من الاشر

﴿حرف اللام﴾ لعمرك ما يدرى الفتى كيف يتقى * اذا هو لم يجعل له الله واقيا

لعمرى ما ضاقت بلاد بأهلها * ولكن أخلاق الرجال تضيق * للموت فينا سهام وهى صائبة

من فاته اليوم سهم لم يفته غدا * لو أن خفة عقله فى رجله * سبق الغزال ولم يفته الارنب

لو كان ما بى فى صخر لاضعفه * فكيف يحمله خلق من الطين * لعمرك ما الايام الا معارة

صاحبة هذا الكتاب هل كنت تأتيها من وراء الدار فقال أى والله ومن أين علمت ذلك فقلت من البيت لانه اذ كرتك فيه بجبلى نعمان وهما كناية عند الظرفاء من أهل الادب عن جانبى الكفل للمليح والمليحة فقال والله ما أدركت ما أدركت (ونقلت من اللطائف المسبوكة فى قالب التورية) ان بعض الكتاب دخل يسلم على بعض فضلاء النحاة وكان من أصحابه فوجده قائما يلوط باحد الغلمان الملاح من طلبته فى قراءة النحو ولم يره الغلام فجلس النحوى فى مكانه وبقى الغلام واقفا مبهوتا فقال الكاتب النحوى مالى أرى هذا الغلام واقفا فقال النحوى وقع عليه الفعل فانتصب (ومثل ذلك قصة ابن عنين مع الملك المعظم عيسى بن الملك العادل) لما كتب اليه فى مرضه

انظر الى بعين مولى لم يزل
يولى الندى وتلاف قبل تلافى
أنا كالذى أحتاج ما يحتاجه
فاغنم دعائى والثناء الوافى

فحضر اليه المعظم بنفسه ومعه ثلثمائة دينار وقال له أنت الذى وأنا العائد وهذه الصلة (وظرف من قال)

وذى أدب بارع لكنه
أولجت فيه قد اعتقف
فقلت فديتك اعصر عليه
ففيه اللذاذة لو تعترف
فقال أجدت ولكن لحنت
لقولك أعصر بفتح الالف
فقلت لك الويل من أحمق
فقال وأحمق لا ينصرف

(وأظرف منه قول الحسين بن الريان)

أتيت حانة خمار وصاحبها
مماجن متقن للنحو ذو لسن
وحوله كل هيفاء منعمة
وكل علق رشيق أهيف حسن

فما استطعت من معروفها فتزود * لكل امرئ حالان بؤس ونعمة * وأعطفهم في النائبات أقاربه

حرف الميم

من يحمد الناس يحمدوه * والناس من عابهم يعاب

من لم يعدنا اذا مرضنا * ان مات لم نشهد الجنازه * متى يبلغ البنيان يوما تمامه

اذا كنت تبنيه وغيرك يهدم * من كان فوق محل الشمس رتبته * فليس يرفعه شئ ولا يضع

من الناس من يغشى الاباعد نفعه * ويشقى به حتى الممات أقاربه * ما كان في المخدع من أمركم

فانه في المسجد الجامع * ماقام عمرو في الولا * ية قائما حتى قعد

حرف النون

نسود أعلاها وتابى أصولها * وليس الى ود الشباب سبيل * نحن بنو الموتى فما بالنا

نعاف مالابد من شربه * ندمت ندامة الكسعى لما * رأت عيناه ماصنعت يداه

حرف الهاء

هنا كم الله بالدنيا ومتعكم * عما نحب لكم منها ويرضاه

هل بالحوادث والايام من عجب * أم هل الى رد ما قد فات من طلب * هب الدنيا تقاد اليك عفوا

أليس مصير ذاك الى الزوال * هنيأ لمن لا ذاق للدهر لوعة * ولم تأخذ الايام منه نصيبا

هم يحسدوني على موتى فواحزنى * حتى على الموت لا أخلو من الحسد

حرف الواو

ولم أركالمعروف أما مذاقه * فحلو وأما وجهه فجميل

واذا خشيت من الامور مقدرا * وهربت منه فنحوه تتوجه * والرزق يخطئ باب عاقل قومه

ويبيت بوابا بباب الاحمق * ولا يغررك طول الحلم مني * فما أبدا تصادفني حليما

ولا خير فيمن لا يوطن نفسه * على نائبات الدهر حين تنوب * واذا أتتك مذمتي من ناقص

فهي الشهادة لي بأني كامل * وما للمرء خير في حياة * اذا ما عد من سقط المتاع

وما المرء الا كالهلال وضوئه * يوافي تمام الشهر ثم يغيب * وقد تسلب الايام حالات أهلها

وتعدو على أسد الرجال الثعالب * ومن يأمن الدهر الخؤن فانني * برأى الذى لا يأمن الدهر أقتدى

واذا افتقرت الى الذخائر لم تجد * ذخرا يكون كصالح الاعمال * ومن يكن الغراب له دليلا

يمر به على جيف الكلاب * ومن يك مثلي ذا عيال مقترا * من الزاد يطرح نفسه أى مطرح

وما عمامنع الكريم وما به * بخل ولكن سوء حظ الطالب * ولا بات يسقينا سوى الماء وحده

وهذا جزاء من بات ضيف الضفادع * ومن عاش في الدنيا فلا بد أن يرى * من العيش ما يصفو وما يتكدر

ولو دامت الدولات دامت لغيرنا * رعايا ولكن ما لهن دوام * وأحسن فان المرء لا بد ميت

وانك مجزى بما كنت ساعيا * ولا ترين الناس الا تجملا * وان كنت صفر الكف والبطن طاويا

وما لامرئ طول الخلود وانما * يخلده طول الثناء فيخلد * ولرب نازلة يضيق بها الفتى

ذرعا وعند الله منها المخرج * وكان رجائي أن أعود ممتعا * فصار رجائي أن أعود مسلما

وتجلدي للشامتين أريهم * أني لريب الدهر لا أتضعضع * ولا بد من شكوى الى ذى مروأة

يواسيك أو يسليك أو يتوجع * وهون حزنى عن خليلي انني * اذا شئت لاقيت الذى مات صاحبه

ويوم علينا ويوم لنا * ويوم نساء ويوم نسر

حرف اللام ألف

لا تنظرن الى الجهالة والحجى * وانظر الى الاقبال والادبار * لا تسأل المرء عن خلائقه

في وجهه شاهد من الخبر * لا يصبر الحر تحت ضيم * وانما يصبر الحمار

لا تنه عن خلق وتأتي مثله * عار عليك اذا فعلت عظيم * لا يبالى الشتم عرض

كله شتم وذم * لا تنظرن الى امرئ ما أصله * وانظر الى أفعاله ثم احكم

لا يسكن المرء في أرض يهان بها * الا من العجز أو من قلة الحيل * لا يقبلون الشكر مالم ينعموا

نعما يكون لها الثناء تبيعا * لا أسأل الناس عما في ضمائرهم * ما في ضميرى لهم من ذاك يكفيني

حرف الياء المثناة التحتية

فقال لى اذ رأى عيني قد انصرفت

الى النساء كلام الحاذق الفطن

أنث وركب وصف واعدل بمعرفة

واجمع وزد واسترح من عجمة وزن

(ومثله ما حكى) أن بعض الفقراء وقف على باب نحوى فقرعه فقال النحوى من بالباب فقال سائل فقال ينصرف فقال اسمى أحمد فقال النحوى لغلامه اعط سيبويه كسرة (ومثله قول ابن عنين)

شكا ابن المؤيد من عزله

وذم الزمان وأبدى السفه

فقلت له لا تذم الزمان

فتظلم أيامه المنصفه

ولا تعجبن اذا ما صرفت

فلا عدل فيك ولا معرفه

وألطف منه قول القائل

ورقيع أراد أن يعرف النحو بزى العيار لا المستفتى

قال لى لست تعرف النحو مثلي

قلت سلني عنه أجب في الوقت

قال ما المبتدا وما الخبر المجرور أو جر فقلت ذقنك في استي

(وأحسن منه وأبدع قول الشيخ زين الدين بن الوردى)

وشادن يسألني * ما المبتدا والخبر

مثلهما لى مسرعا * فقلت أنت القمر

(ومن النكت المسبوكة في قالب التورية أيضا) ما قيل ان شهاب الدين القوصى حضر عند الملك الاشرف وقد دخل اليه سعد الدين الحكيم فقال الملك الاشرف لشهاب الدين ما تقول في سعد الدين الحكيم فقال يا مولانا السلطان اذا كان بين يديك فهو سعد الدين وعلى السماط سعد بلع وفي الجفاء عن الضيوف سعد الاخبية وعند مرض المسلمين سعد الذابح قال فضحك الملك الاشرف واستحسن اتفاقه البديعى (وأبدع منه في هذا الباب) ما نقل عن الشيخ نظام الدين قيس قيل انه

يفر من المنية كل حي * ولا ينجي من القدر الحذار * يريك الرضا والغل حشو جفونه

وقد تنطق العينان والفم ساكت * يهم للشعير اذا رآه * ويعبس ان رأى وجه اللجام

يفارقني من لا أطيق فراقه * ويصحبني في الناس من لا أريده * يزيد تفضلا وأزيد شكرا

وذلك دأبه أبدا ودابي * يواسي الغراب الذئب في كل صيده * وما صارت الغربان في سعف النخل

يهون علينا ان تصاب جسومنا * وتسلم أعراض لنا وعقول * يغر الفتى مر الليالي سليمة

وهن به عما قليل غوائر * يغيظني وهو على رسله * والمرء في غيظ سواه حليم

يريك البشاشة عند اللقا * ويبريك في السر برى القلم

(الفصل الخامس في الأمثال السائرة بين الرجال والنساء مرتبة على حروف المعجم)

(حرف الألف)

ان كنت ما تعمل جميل اعمل كما يعمل معك اذا أبغضك جارك حول باب دارك اذا كان صاحبك عسل لا تلحسه كله المستعجل والبطي عند المعدية يلتقي ألف ذقن ولا سلام عليكم ألف ذقن ولا ذقني اذا غاب عنك أصله كانت دلائل نسبته فعله اذا وصلت وسلم الله بع ما قسم الله اذا كنت أعمى وأطروش شم رائحة النقوش اذا كان النبيذ دردي والعشيق كردي والبقل فول حار والعشاء بيسار ايش يكون الحال اذا كان القطن أحمر والمغسل أعور والدكة مخلعة والنعش مكسر اعلم أن الميت من أهل سقر والوادي الأحمر ايش ينفع الضراط عند طلوع الروح قال تعريف للحاضرين وتفريق للائكة القشر والنشر والعشا خبيزة أكل الدقة والنوم في الأزقة ولا دجاجة محمرة يعقبها مشقة ايش أنت في الحارة يا مخل بلا طاره الرجم بالطوب ولا الهروب اذا وقعت يا فصيح لا تصيح أقرع يقول لا قرع امش بنا نزرع في بركة القرعان ايش ما يطلع يطلع النصف لي والربع لي والثمن لي والثمن الآخر لك والى العد وما يبقى حبيب حتى يصير الحمار طبيب اقعد يا حمار حتى ينبت لك الشعير أي موضع راح الحزين يلقى جنازة قال الشاعر

ان دام هذا السير يا مسعود * لا جمل يبقى ولا قعود

(غيره) اذا لم تكن لي والزمان شرم برم * فلا خير فيك والزمان ترللي

(غيره) اذا أقبلت كادت تقاد بشعرة * واذا أدبرت كادت تقد السلاسلا

(حرف الباء الموحدة)

بينما يتروى البخيل قضى الكريم حاجته بينما يسعد المعتر فرغ عمره بينما أصل قبره نسيت همه بينما يعدل المعتر حاله جاء الموت شاله بينما يخاص ربنا حقي اتفرقعت جوزة حلقي بينما يقطع الجريد يفعل الله ما يريد بينما يجي الدرياق من العراق يكون الملسوع مات بين حانه ومانه حلقت لحانه بدوى مقر وح لقي التمر مطروح أين يخلى ويروح بدال حمتلك وقلة اسك هات لك شد على راسك بدال اللحمة والباذنجان هات لك قيص يا عريان بدال حمتلك الثلاثة هات لك شد يا شماته بقي للكلاب سرج وغاشيه وغلمان وحاشيه بقي للخرا مرا ويحلف بالطلاق بعد الجوع والقله بقي لك حمار وبغله

(حرف التاء المثناة فوق)

تموت الحدادي وعينها في الصيد تعالوا بنا نقتبح ونرجع غدا نصطلح تدحرج الخرا لعند البعر قال له ايش أنت قال له بزم قردش ترك الفضول من حزم العقول تراب العمل ولا زعفران البطالة تسكر وتخانق ماهو شيء موافق تجارة الأحمق على أهل بيته تضارب الريح مع الموج جاء الهم على النواتيه تزاور ولا تجاور واتبات نار تصبح رماد لها رب يدبرها

(حرف الثاء المثلثة)

ثوب العيرة ما يدفي ثقيل واسمه صخر بن جبل ثور علقوه أغمي عليه قال حتى يطلع شيء يرشوه عليه ثور عاجز ما يدور رسا قيه ثقيل من أولاد الزنامر العناقوب عليه وثوب على الوتد قال أنا اليوم أحسن من كل من في البلد

(حرف الجيم)

جور القط ولا عدل الفار جمل موضع جمل يبرك جمل المقل دموعه جمل يحسبه قال وأين المحبة جيت أصطاد صادوني جار له حق وجار ماله حق وجار لا صحبته عافية جارك مرآتك ان لم ينظر وجهك نظر قفاك جاء كتاب

لقي الصاحب عز الدين عبد العزيز ابن منصور فسأله الصاحب عن حاله فقال

حال متى علم ابن منصور بها
جاء الزمان الى منها تائبا

(قلت) ان نظام الدين أحق من أبي الطيب بهذا البيت (ومن النكت بالتورية أيضا) قيل ان بعض الماجنات أرادت السفر فلقيها بعض المجان فقال لها خذي معك هذا الكتاب وأشار الى ذكره فقالت له على الفوران لم ألق أمك أعطه أختك (ومثل ذلك) ان الشيخ بدر الدين بن الصاحب لقي شخصا ومعه مليحان فقال ما اسمك فقال عبد الواحد فقال أخرج منهما فانا عبد الاثنين (ومثله) ان ابن نقيلة المغني مرض وأشرف على الموت فجاء اليه ابن الصاحب يعوده فقال له كيف حال النقيلية فقال ما أخوفني أن تصير مدفونة (ومثله) ان بعض المجان رأى امرأة حاملة سرموجة فقال لها متى زوجك حملك تركاشه فقالت له رح لا رميك منه بفردة (ومثله) ان بعضهم رأى امرأة حاملة فردة سقمان لتخيطه فقال لها اعتقي هذا الغراب فقالت له رح لا سيبه ينقرك (ومثله) ان الشيخ بدر الدين المذكور أولا حضر الى مجلس قاضي القضاة ناصر الدين المالكي فذكروا محاسن القاضي محب الدين ناظر الجيشين وحسن اخلاقه ثم ذكروا محاسن الشعر فانشده قاضي القضاة

فكم أب قد علا بابن ذرى شرف
كما علت برسول الله عدنان

فكل من الجماعة أثنى على هذا البيت فقال الشيخ بدر الدين بن الصاحب والقاضي محب الدين يحب هذا البيت فطربوا له (ومما وقع له بذلك المجلس) انه لما قدم المشروب على العادة كان قد تولى السقيا مملوك له اسمه بكتمر فلما شرب الشيخ بدر

من عندخاله قال كل من هو فى حاله جاء كتاب من عند عمه قال كل من هو ملهى بهمه جاؤا ينعلوا خيل الباشا مدت أم قويق رجلها جوز وهاله مالها الا له جوز وامشكاح لريه ماعلى الاثنين قيمه

﴿حرف الحاء المهملة﴾

حاجة لا تهمك وصى عليها زوج أمك حول حبيبى ماعونه وقدرته مع كانونه حمار حنكوه بالتوت على باب الغيط يموت حلينا القلوع وأرسينا وأصبحنا على ما أمسينا حب ووارى وا كره ودارى حدثتنى ونصحتنى عايرتنى وفرحتنى حط فلبسا تك فى كمك واشتر أبوك وأمك حبة قرص تخرب أرض

﴿حرف الخاء المعجمة﴾

خذينى وارغبى فيه أنا حصاد ملوخيه وعند الخبز آكل ميه وعند الشغل مالى نيه خبئت لى وصلحت لك خذ ذا الصبى فوق صبيانك تمام لا حزانك خزينه فى حره وملحه فى صره خبزه بلا ادام ويعزم على الجيران

﴿حرف الدال المهملة﴾

دار الظالم خراب ولو بعد حين درهم لك ودرهم عليك لا لك ولا عليك دواء مالا تشتهى النفوس تعجيل الفراق

﴿حرف الذال المعجمة﴾

ذادرب مايسد ريح ذى ماهى رمانه الا قلوب ملانه ذالى وذا أيدى عليه ذى مائده مايقعد عليها طفيلى ذا الخبز ماهو من ذا العجين ذا الولد خرا من ظرفه كل من شال رجليه حك أنفه ذكروا مصر القاهرة قامت باب اللوق بحشا يشهاذ كروا المدن جاءت القرى تحجل

﴿حرف الراء المهملة﴾

راح ذاك الزمان بناسه وجا هذا الزمان بفاسه وكل من تكلم بالحق كسروا راسه رأوا حجارا راكب حيط قالوا الى أين يا حجار قال مسافر قالوا من كانت هذه المطيته مطيته لا يشرق ولا يغرب رأوا سكران يقرأ قالوا عن تشاكل روحك رأوا شيخا ينهجى قالوا يختم على الصراط رأوا وردانه على سنداس قالوا ما الذى الفسقية الاذى البلطية رأوا على قبر مكتوب يا سعادة سا كنه قالوا أبصر من يزاحمه راكب بلاش ويناغش مراة الريس ركمتك وراى حطيت يدك فى الخرج راح الجندى وخلى خلقه عندى رزق الكلاب على المجانين راسين فى عمامه مايكون راحت على جمل وجاءت على قطه قال ما الذى الشيلة الاذى الحطه قال الشاعر

راح الذى كنا نعيـ * ـش بفضله بين الورى   وبقى الذين حياتهم * ووجودهم مثل الخرا

﴿حرف الزاى المعجمة﴾

زقزوق صلى بركه يضحك وهو ضحكه زاويه بلا عيش بنيت ليش زوج القصيره يحسبها صغيره زوجت بنتى أقعد فى دارها جاءتنى وأربعة وراها قال الشاعر

زوجت بنتى تنستر * وعتلى بيتى قماش   جاءغزلها فى أكلها * ونيكها طلع بلاش

زنبور رزن على حجر مسن قال له ايش تريد قال الحسك قال أنا الحس البولاد زنبور رزن على فلس جحش قال له ايش تطلب قال له عسل قال له قصدت معدن يا دندن

﴿حرف السين المهملة﴾

سل المجرب ولا تنس الطبيب سموك مسحر قال فرغ رمضان سموك حبل قال وطولت سموك راجح قال ان شاء الله تجى الحق سبع وزر ولا استتر (قال الشاعر)

سيغنى الله عن بقراط دن * ويأتى الله باللبن الحليب

(وقال آخر)

سيغنى الله عن زيد وعمرو * ويأتى الله بالفرج القريب

﴿حرف الشين المعجمة﴾

شره ووضيع ويغضب سريع شئ ما نابه وتقطعت ثيابه شعر يحلق وشعر ما يحلق شرب السموم القاتله ولا الحاجة الى السفل شئ ولا تدعكى شئ ما يجى على القلب عنايته صعبه شراء العبد ولا تربيته شخت بغله عامت زبله ركبت خنفسه زمر زنبور قال ما ذا الجوق الجليل الا لقطعات النيل

﴿حرف الصاد المهملة﴾

صام سنة وفطر على بصله صبرى على الحبيب ولا فقده صاحب بضرعه دومين صباح الفوال ولا صباح العطار صباحك يا أعور قال ذى خناقه باينه صباح الخير يا جارى أنت فى دارك وأنا فى دارى

الدين قال له قاضى القضاة ماتقول ياشيخ قال رأيت ملك العلماء يكتمر الساقى (ومثله) أن الصاحب ابن سكر أراد قارئا يقرأ بالمدرسة التى أنشأها بالقاهرة فاختار واله رجلين أحدهما اسمه زيادة والآخر مرتضى فوقع فى ظهر القصة مرتضى زيادة وزيادة مرتضى (ومثله) ان أبا الحسن الخراز جاء الى باب الصاحب زين الدين بن الزبير فاذن للناس فى الدخول ولم يأذن له فكتب فى ورقة

الناس كلهم كالابر قد دخلوا
والعبد مثل الحصى ملقى على الباب

فلما قرأها ابن الزبير قال لحاجبه أخرج الى الباب وقل يا حصى ادخل فدخل أبو الحسن وهو يقول هذا دليل على السعة (ومن التنكيت والحشمة بالتورية) ان الشيخ صلاح الدين الصفدى قال أخبرنى الشيخ فتح الدين بن سيد الناس بالقاهرة قال قلت للشيخ تقى الدين بن دقيق العيد ان بهاء الدين بن النحاس يرجح أبا تمام على المتنبى فما رأيك أنت فسكت فقلت ثانيا فقال كنت كذا فى الأول قال الشيخ صلاح الدين ولما حكيت للشيخ جمال الدين بن نباتة قال أنا على رأى ابن دقيق العيد قال الشيخ صلاح الدين وممن رأيته يعظم أبا تمام شيخنا أثير الدين ويرجحه على المتنبى فعذلناه فى ذلك فقال أنا ما أسمع عذلا فى حبيب اه (ونقلت) من خط الصاحب فخر الدين بن مكانس رحمه الله قال سافرت سنة احدى وستين وسبعمائة مع الصاحب فخر الدين بن قزوينة الى دمشق المحروسة وقد ولى نظر مملكتها ووالدى رحمه الله افتاءها وكان له دوادار يسمى صبيحا وهو من عتقاء جده الوزير أمين الدين بن الغنام وكان لطيفا كثير النوادر فاتفق أن جمال الدين بن الرهاوى موقع دست الوزارة ركب يوما فافتقنظر به

﴿حرف الضاد المعجمة﴾

ضرب الحبيب كأكل الزبيب ضربتين في الرأس تعمى ضرب وبكى وسبق يشتكى ضربة على كيس غيرى كأنها في عدل حنا ضمنوا حدايه لغراب قال الكل يطير واضربوا بياع الكسبره خرى بياع التوم قال ذى داهية جاءت على الحضريه

﴿حرف الطاء المهملة﴾

طارت الطيور بارزاقها طفيلى ويجلس في الصدر طفيلى ويقترح طويل الكم خطار قليل الفرح في الدار طبق وجاريه على صحن بساريه طبلوا جاء كم عثمان يدمن وراو يدمن قدام طعامك ماجانى ودخانك أعمانى طار طيرك وأخذه غيرك طول ما أعيش يكفيني رعى الحشيش طول الغيبه وجانا بالخيبه

﴿حرف الظاء المعجمة﴾

ظهرك عندى نصف الليل

﴿حرف العين المهملة﴾

عنقود مدلى في الهوا من لا يصل اليه يقول حامض ولا استوى عشق بداله لا أباله عاشق ما يسمع بكاصغير عاشق ما يسمع كلام مفارق عاشق مقل شئ ماز رع ايش جا يستغل عزومه حسبت عليك كل وبحاق عينيك عند المخاضة يبان القبليط عند الطعان يبان الفارس من الجبان عريان التينه وفي حزامه سكينه عريان وفي كمه ميزان

﴿حرف الغين المعجمة﴾

غابت السباع ولعبت الضباع غر به وكر به ما يجمل الحال غطاس وقلقاس نحسين في قدره غالى السوق ولا رخيص البيت

﴿حرف الفاء﴾

فرجه بلا كسر تعمى البصر فقير ونفير وكلامه كثير ويقول هاتوا عشا من يخنى فوق الشراطه ملح أودانه فارس خراو يسوق في الوحل فارس خراو اسمه عنتر فارس خراو يسابق الخيل فرد ضربه في الرأس تكفى فصدوا قرد ضرط قالوا به دم زايد فرغت الرمانة يا جانم

﴿حرف القاف﴾

قالوا للاعمى زق عصاتك قال هو أنا محب فيها * قالوا للحمار اجتر قال مضغ المحال ما ينطلى * قالوا للقرد شب قال أيادى ملاح وعسلك الماصول * قالوا للقرد اطلب من ربك قال أنا هو عنده بوجه ببسط * قالوا للجمل زمر قال لا شفف ملومة ولا أيادى مفرودة * قالوا للدبه طرزى قالت ذى خفة أيادى * قالوا للكلاب احرثوا قالوا ما جرت بهذا عاده * قالوا للغراب مالك تسرق الصابون قال الاذى طبعى * قالوا لبقر الديوان اذا متم يكفنوكم في حرير قالوا اشتهينا نروح بجلودنا * قالوا للغزالة ارحلى حركت ذنبها * قالوا للعرب ارحلوا حملوا المناسف

﴿حرف الكاف﴾

كل من وعدته بأكالك كلما انظرك جائع * كشكار دايم ولا علامه مقطوعة * كل كرها واشرب كرها ولا تعاشر كرها * كل هم كاوى عنده مى ياوى * كل شئ لا يشبهه فانيه حرام * كل مائة عصفور ما يجو حدايه * كل ألف مصه ما يجو بغصه كل ألف بوسه ما يجو بعبوسه * كملت يا جمان بالشعره والصنان * كل حبيبى كل المعانى أعرج وقبليط ومجبانى كمل حبيبى وأكمل أعرج وقبليط وأحول وفيه عادة أخرى لمن يواصل بخرا * كأنه خان للفجر لا يوحشه من غاب ولا يؤانسه من حضر * كأنه من طواحين الكشكار داير على رجل الفار * كأنه عصفور ينيك بلاش وياوى في الاعشاش

﴿حرف اللام﴾

لولاك يا كمى ما أكلت يا فمى لولاك يا لسانى ما انسكيت يا قفاى لولا الغيرة والحسد كانت عجوزة كفت بلد لولا أختك ما صرت ابن عمتك لو قلبناها بليه ما جاءت هكذا لو كان فيها خير ما رماها طيرك وعليك ما يصعب عليك لك اسوة بغيرك لقمة بدقه ولا خروف بزقه لقمة تحت حيطه ولا خروف بعبيطه لو سلم الكرم من حارسه طابت مغارسه لو تقطع يده وتدليها من فيه صنعة ما يخليها لو عمل لى من الذهب وايه هو عندى بتلك العين القديمه لو شال راسه الى السما كان عصيدة بالو نظر الجمل لصنمه كان كدمه لولا الكشط والبرايه ما كانت أولا دالخرا كتاب

﴿حرف الميم﴾

محبة بلا حبه ما تساوى حبه ماشلتك يا دمعتى الا لشدتى من عاشر غير جنسه دق الهم صدره من قدم النحس تعب في تأخيره من عاشر الحداد احترق بناره من عاشر الزبدانى فاحت عليه روائحه من ركب في غير

الفرس وداس على رأس احليلة فحمل الى داره وأقام أياما الى أن عوفى وحضر مجلس الوزارة وهو غاص بالناس فقال الصاحب ما سبب تأخرك فقال تقنطر بى الفرس وداس رأس احليلى فكدت أموت والآن فقد لطف الله تعالى وحصل البرء والشفاء فقال له صبيح الحمد لله على سلامة الخصى فانقلب المجلس ضحكا وخجل ابن الرهاوى وانصرف (وحكى) ان بعض الرؤساء كان له خادم وعبد فدخل يوما فوجد العبد فوق الخادم فضربه وخرج فرأى بعض أصدقائه فسأله عن غيظه فقال هذا العبد النحس فعل بالخويدم الصغير فقال بل مولانا السيد الكبير فخجل منه وأبرزها في قالب المجون (وأنشد) ابن الجوزى في بعض مجالس وعظه

أصبحت ألطف من مر النسيم على
زهر الرياض يكاد الوهم يؤلمنى
من كل معنى لطيف أجتلى قدحا
وكل ناطقة في الكون تطربنى

فقام اليه انسان فقال يا سيدى الشيخ فان كان الناطق حمارا فقال أقول له يا حمار اسكت (ويعجبنى قول برهان الدين القيراطى)

صاح هذى قباب طيبة لاحت
وفؤادى على اللقاء حريص
وتبدت نخيلها للمطايا
فعيون المطى للنخل خوص

(يطربنى ما حكاه أبو الفوارس ابن اسرائيل الدمشقى) قال كنت يوما عند السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب فحضر رسول صاحب المدينة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام ومعه قود وهدايا فلما جلس أخرج من كمه مروحة بيضاء عليها سطران بالسعف الأحمر وقال الشريف يخدم مولانا السلطان ويقول هذه المروحة ما رأى مولانا السلطان ولا أحد من بنى أيوب مثلها فاستشاط السلطان

سرجه وغرزه دخل الهوا استه وهزه من لايحط يده لزنده مايعرف حره من برده مارأيتك يانورختي أبيضت العيون مالي على فراقكم جلدا لاهياجي من البلدما كفاناهم أبوناقام أبوناجاب أبوه قال خذواجدكم ربوه من عدم نابه ونصابه وثيابه وشبابه كان الموت أولى به من يكام القبيح يروح عرضه وينفضح ما تتعدوهم كلهم زغلية مافيهم من يجب النقاد

حرف النون

نواية تسند الجرة قال وتسند الزير الكبير نفسك أتلفت أي شئ أخلفت نصف البلاولا البلا كله ناقص ونحاس ناموسه با تت على شجرة أصبحت تقول خاطرك قالت لها وأنت كنت على أى ورقة نبتك مطيتك نسيت يافلاح ما كنت فيه كعبك المشقق والوحل فيه نيلك حتى تبقى ديك

حرف الهاء

ها نت الزلابيه حتى ا كلها بنو وائل هان المسك وانتثر هدية تعرقوه ها تخليتها ولالومها هدية الاحباب على ورق السداب قال هوأعمى عن ورق الموز هوعرس تأكل وتنسل أهدواهدية وأعينهم فيها يقولوا الله يردها هاتواذا الغزل المجبل الذى القلب المدبل

حرف الواو

واحد نتفه وآخر لقفه وقال آخر ياقريب الفرج واحد يخطبواله وهوقائم عليه قال أنا في حاجتك واحد جائز رأى قرد يجرش ترمس قال مالذى الفا كهة البدرية الاذى الصورة القمرية واحد سموه عنبر وصنعته سرباتي قال الذى كسبه في الاسم خسره في الصنعة وحش ويكش ويقعد في الوش ويغني بلينا بكم وقت أكل الدجاج ما يفتكر ونى وفي وقت شيل التراب هات يدك وايش قام على تومه بفصل الحكومه وقت الشوى واليخنى ماقلت يا أخى الحقني ووقت ضرب الدرة قلت أصفعوا أصفعني

حرف اللام ألف

لاتعيرني ولا أعيرك الدهرحيرني وحيرك لاأصل شريف ولا وجه ظريف لاأخوك ولا ابن عمك تشق ثوبك على ايش لاهاش بليق الاحراس ولادراس لاعاش العار ولا بني له دار لاربح ثوابه ولاخلاه لأصحابه لافي الفراق نجد راحة ولا في الوصل لاتشكرن فتى حتى تجربه ولا تفرح لمن يروح حتى تنظر من يجي لايضر السحاب نبح الكلاب لايغرك تظريف الاصل فريقى

حرف الياء

ياشب مليح ما أحسن وصفك لافي يدك ولا في طرفك ياويل من داق الغنى بعد جوعه يموت وفي قلبه من الهم واجس ياطارق الباب بعد العشى لاتطرق الباب ماثم شئ يامن ملناما كان حلنا الساما لنا في العشرة سنة يهنيكم قدومه قدجا كم بشومه ياليتنا انكسرنا ولا بك انتصرنا ياويل من كان عشيه من بيت خيه ياطالب الشر بلاأصل تعالى للصائم بعد العصر

أمثال النساء * حرف الالف

أحبك ياسوارى مثل معصمى الذى في قلب أم حنين تحلم به في الليل ان كنت حره لاتضيعي نقابك بره ان لم تعملي وتفتخرى والاقعدى وانعفرى ان كانت الداية أحن من الوالدة قال دى داهية عياره الكلام لك ياجاره الا أنت حماره ايش تعمل الماشطه في الوجه المشوم ايش قام على الحزينة بالنقش والزينه ايش ينفع النفخ في الوجه الاصم أرمله عدس ومتزوجه عدس اقعدى بعد سكى اسم الزوج ولاطعم الترمل العاقلة فينا تزنى بيقطينا اذا كان زوجي راضي ايش فضول القاضي استعارات الرعنه شئ حسبته لها أخذت المقص ودارته لها اقعدى في عشك حتى يجي حدينشك

حرف الباء الموحدة

بعدان كنتي لى وحدى بقيت أسمع أخبارك بعد سنة وشهرين جابت بنت بشعرين بعد أن كان زوجها بقى طباخ في عرسها بعد مشيك في الحلقه بقى لك سلام وغرفه واسمك ستيته بعد أمى وأختي الكل جيراني بينما تنقب الحولة انصرف القاضي بنت الحراترف لابن الحرايدف باتت ناموسه على جميزه قالت ضحك الله بالخير قالت من درى بك قبلة بدال ماتمشي وتهزى كتفك رقعي فردة خفك بخراوتزاحم بالبوس بقى لام

صلاح الدين غضبا فقال الرسول
يامولانا السلطان لاتعجل قبل
تأملها وكان السلطان صلاح الدين
ملكا حليما فتأملها فاذا عليها
مكتوب

أنا من نخلة تجاور قبرا
ساد من فيه سائر الناس طرا
شملتني عناية القبر حتى
صرت في راحة ابن أيوب أقرا

واذاهي من خوص النخل الذى في مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم فقبلها السلطان صلاح الدين ووضعها على رأسه وقال لرسول صاحب المدينة النبوية صدقت فيما قلت من تعظيم هذه المروحة (وأحسن ما سمع فيها) قول عرقلة الدمشقي

ومحبوبة في القيظ لم تخل من يد
وفي القر تسلوها اكف الحبائب
اذا ما الهوى المقصور هيج عاشقا
أتت بالهوى الممدود من كل جانب

(وقال غيره وأجاد)

ومروحة أهدت الى النفس روحها
لدى القيظ مشوقا باهداء ريحها
روينا عن الريح الشمال حديثها
على ضعفه مستخرجا من صحيحها

(نقل الحافظ اليعمرى) ان أبا نصر المنذرى واسمه أحمد بن يوسف دخل على أبي العلاء المعرى في جماعة من أهل الأدب فأنشد كل واحد منهم من شعره ماتيسر فأنشده أبو نصر

وقانا لفحة الرمضاء واد
سقاه مضاعف الغيث العميم
نزلنا دوحه فحنا علينا
حنو الوالدات على الفطيم
وأرشفنا على ظمأ زلالا
ألذ من المدامة للنديم
يصد الشمس أنى واجهتنا
فيحجبها ويأذن للنسيم
يروع حصاه حالية العذارى
فتلمس جانب العقد النظيم

فقال أبو العلاء أنت أشعر من بالشام ثم رحل أبو العلاء الى بغداد فدخل

﴿الجزء الثانى﴾

من كتاب المستطرف فى كل فن مستظرف
تأليف الامام الأوحد العالم العلامه
اللوذعى الفهامه الشيخ شهاب الدين
أحمد الابشيهى تغمده
الله بالرحمة والرضوان
آمين

وبهامشه بقية كتاب ثمرات الأوراق فى المحاضرات لحجة العرب وترجمان الأدب الامام تقى الدين ابن أبى بكر بن على المعروف بابن حجة الحموى الحنفى تغمده الله برحمته وأسكنه فراديس جنته مكملا بهجة آدابه للواقف عليه * بأن نظم فى سموط فرائده عقود ذيليه أولهما فى المحاضرات أيضا للامام ابن حجة المذكور ضاعف الله لمتناوله الأجور وثانيهما للعلامة الأديب والفهامة الأريب الهمام الكامل واللوذعى الفاضل الشيخ ابراهيم بن الاحدب بلغه الله فى آخرته كل مأرب بمنه وكرمه آمين بجاه سيد الأولين والآخرين

﴿محل مبيعه بمكتبة ملتزميه﴾
حضرة الشيخ محمد المليجى الكتبى وأخيه
قريبا من الجامع الأزهر بمصر

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الباب الثالث والاربعون فى الهجاء ومقدماته﴾

القصد من الهجاء الوقوف على ملحه وما فيه من ألفاظ فصيحة ومعان بديعة لا التشفى بالاعراض والوقوع فيها وليس الهجاء دليلا على اساءة المهجو ولا صدق الشاعر فيما رماه به فما كل مذموم بذميم وقد يهجى الانسان بهتانا وظلما أو عبثا أو ارهابا * قال المتوكل لابى العيناء كم تمدح الناس وتذمهم قال ما أحسنوا وأساؤا * وقد رضى الله تعالى على عبد من عبيده فمدحه فقال نعم العبد انه أواب وغضب على آخر فقال مناع للخير معتد أثيم عتل بعد ذلك زنيم قيل الزنيم الملصق بالقوم وليس منهم وقال دعبل فى المأمون بعد البيعة له وقتل الأمين

انى من القوم الذين همو * قتلوا أخاك وشرفوك بمقعد

شادوا الذكرك بعد طول خموله * واستنقذوك من الحضيض الأوهد

فقال المأمون ما أبهته ليت شعرى متى كنت خاملا وفى حجر الخلافة ربيت وبدرها غذيت * ولما قتل جعفر بن يحيى بكى عليه أبو نواس فقيل له أتبكى على جعفر وأنت هجوته فقال كان ذلك لركوب الهوى وقد بلغه والله انى قلت

ولست وان أطنبت فى وصف جعفر * باول انسان خرى فى ثيابه

فكتب يدفع اليه عشرة آلاف درهم يغسل بها ثيابه * ومن العبث بالهجو ماروى ان الحطيئة هم بهجاء فلم يجد من يستحقه فقال

أبت شفتاى اليوم الا تكلما * بسوء فلا أدرى لمن أنا قائله

وعبث بامه فقال

أرى بى وجها قبح الله خلقه * فقبح من وجه وقبح حامله

تنحى فاجلسى عنا بعيدا * أراح الله منك العالمينا * أغربالا اذا استودعت سرا

وكانونا على المتحدثينا * حياتك ماعلمت حياة سوء * وموتك قد يسر الصالحينا

وقال رجل ما أبالى أهجيت أو مدحت فقال له الاحنف أرحت نفسك من حيث تعب الكرام * وقال رجل لآخر ان هجوتنى أعوت ابنتى قال لا قال أفتخرب ضيعتى قال لا قال فرجلى مع ساقى الى حاقى فى حرامك قال ولم تركت رأسك قال لانظر ما تصنع * وأنا أقول انما يخشى من الهجو من يخاف على عرضه وأما من لا يخاف على عرضه فقد يستوى عنده المدح والذم وبئس الرجل ذلك * وكان الرجل من غير اذا قيل له ممن الرجل

﴿بقية ثمرات الأوراق﴾

(قال الشافعى رضى الله عنه) وهى أول كلمة سمعتها فى الحجاز من امرأة فلما هممت بالدخول قالت لى العجوز الى أين عزمت فقلت الى المنزل فقالت هيهات تخرج من مكة بالامس فقيرا وتعود اليها مترفا تفخر على بنى عمك بذلك فقلت ما أصنع فقالت نادبالا بطح فى العرب باشباع الجائع وحمل المنقطع وكسوة العراة فتربح ثناء الدنيا وثواب الآخرة ففعلت ما أمرت به وسار بذلك الفعل الرجال على آباط الابل وبلغ ذلك مالكا فبعث الى يستحثنى على الفعل و يعدنى انه يحمل الى فى كل عام مثل ماصار الى منه وما دخلت الى مكة وأنا أقدر على شئ مما جاء معى الا على بغلة واحدة وخمسين دينارا فوقعت المقرعة فتناولتنى اياها أمة على كتفها قربة فاخرجت لها خمسة دنانير فقالت لى العجوز ما أنت صانع فقلت أجيزها على فعلها فقالت ادفع اليها جميع ما تأخر معك قال فدفعت اليها ودخلت الى مكة فما بت تلك الليلة الا مديونا وأقام مالك رضى الله عنه يحمل الى فى كل عام مثل ما كان دفع الى أولا احدى عشرة سنة فلما مات ضاق بى الحجاز وخرجت الى مصر فعوضنى الله عبد الله بن عبد الحكم فقام بالكافة فهذا جميع مالقيته فى سفرى فافهم ذلك ياربيع قال الربيع وسألنى المزنى املاء ذلك بحضرته فما وجدنا للمجالس فرغة فما وقع كتاب السفر الى أحد غيرى (ومن لطائف المنقول) ما نقله القرطبى فى كتابه المسمى بالاعلام عن صدق محبة أبى طالب لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خرج الى الكعبة يوما وأراد ان يصلى فلما دخل فى الصلاة قال أبو جهل لعنه الله من يقوم الى

يقول من غير وأمال بها عنقه فلما هجاهم جرير بقوله

فغض الطرف انك من نمير * فلا كعبا بلغت ولا كلابا

صار اذا قيل لاحدهم ممن الرجل يقول من بني عامر وما لقيت قبيلة من العرب بهجو ما لقيت نمير بهجو جرير وهجا ابن بسام رجلا فقال

يا طلوع الرقيب من غير إلف * يا غريما أتى على ميعاد
يا ركودا في وقت غيم وصيف * يا وجوه التجار يوم كساد

(وقصد) ابن عيينة قبيصة المهلبي واستماحه فلم يسمح له بشيء فانصرف مغضبا فوجه اليه داود بن يزيد بن حاتم فترضاه وأحسن اليه فقال في ذلك

داود محمود وأنت مذمم * عجبا لذاك وأنتما من عود
ولرب عود قد يشق لمسجد * نصفا وباقيه لحش يهودي
فالحش أنت له وذاك لمسجد * كم بين موضع مسلح وسجود
هذا جزاؤك يا قبيص لأنه * جادت يداه وأنت قفل حديد

(وله هجاء في خالد) أبوك لنا غيث يغيث بوبله * وأنت جراد لست تبقي ولا تذر
له أثر في المكرمات يسرنا * وأنت تعفي دائما ذلك الاثر

(وقال) المبرد في حقه لم يجتمع لأحد من المحدثين في بيت واحد هجاء رجل ومدح أبيه الا له * ولما قعد حماد عجرد لتأديب ولد الامين قال بشار بن برد

قل للامين جزاك الله صالحة * لا يجمع الله بين السخل والذيب
السخل يعلم أن الذئب آكله * والذئب يعلم ما بالسخل من طيب

(وقال فيه أيضا)

يا أبا الفضل لا تنم * وقع الذئب في الغنم
ان حماد عجرد * شيخ سوء قد اغتنم
بين فخذيه حربة * في غلاف من الادم
ان رأى ثم غفلة * يجمع الميم بالقلم

فشاعت الابيات فأمر الامين باخراج حماد (وقال) رجل لأخيه لأبويه لأهجونك هجاء يدخل معك في قبرك قال كيف تهجوني وأبوك أبي وأمك أمي قال أقول

بني أمية هبوا طال نومكم * ان الخليفة يعقوب بن داود
ضاعت خلافتكم يا قوم فالتمسوا * خليفة الله بين الماء والعود

فدخل يعقوب على المهدي فأخبره ان بشارا هجاه فاغتاظ المهدي وانحدر الى البصرة لينظر في أمرهما فسمع أذانا في ضحى النهار فقال انظروا ما هذا واذا به بشار وهو سكران فقال له يا زنديق عجب أن يكون هذا من غيرك ثم أمر به فضرب به سبعين سوطا حتى أتلفه بها وألقي في سفينة فقال عين الشعمق ترانى حيث يقول

ان بشار بن برد * تيس أعمى في سفينة

فلما مات ألقيت جثته في الماء فحمله الماء فأخرجه الى الدجلة فجاء بعض أهله فحملوه الى البصرة وأخرجت جنازته فما تبعه احد وتباشر عامة الناس بموته لما كان يلحقهم من الاذى منه * وخاصم أبو دلامة رجلا فارتفعا الى عافية القاضي فلما رآه أبو دلامة أنشد يقول

لقد خاصمتني دهاة الرجال * وخاصمتها سنة وافيه
فما أدحض الله لي حجة * ولا خيب الله لي قافيه
ومن خفت من جوره في القضاء * فلست أخافك يا عافيه

فقال عافية لأشكونك الى أمير المؤمنين ولأعلمنه انك هجوتني قال له أبو دلامة اذا والله يعزلك قال ولم قال لأنك لا تعرف الهجاء من المدح قال فبلغ ذلك المنصور فضحك وأمر له بجائزة * ودخل أبو دلامة على المهدي وعنده اسمعيل بن علي وعيسى بن موسى والعباس بن محمد وجماعة من بني هاشم فقال له المهدي والله لئن لم تهج واحدا ممن في هذا البيت لأقطعن لسانك فنظر الى القوم وتحير في أمره وجعل ينظر الى كل واحد فيغمزه بأن عليه رضاه قال أبو دلامة فازددت حيرة فما رأيت أسلم لي من أن أهجو نفسي فقلت

ألا أبلغ لديك أبا دلامه * فلست من الكرام ولا كرامه
جمعت دمامة وجمعت لؤما

هذا الرجل فيفسد عليه صلاته فقام عبد الله بن الزبعرى فأخذ فرثا ودما فلطخ به وجه النبي صلى الله عليه وسلم فانفتل النبي صلى الله عليه وسلم من صلاته وأتى الى أبي طالب عمه وقال يا عم الا ترى ما فعل بي فقال له أبو طالب من فعل بك هذا فقال النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله بن الزبعرى فقام أبو طالب فوضع سيفه على عاتقه ومشى حتى أتى القوم فلما رأوه قد أقبل نهضوا له فقال أبو طالب والله ان قام رجل جللته بسيفي هذا ثم قال يا بني من الفاعل بك هذا فقال عبد الله بن الزبعرى فأخذ أبو طالب فرثا ودما فلطخ وجوههم ولحاهم وثيابهم وأساء لهم القول فنزلت هذه الآية الشريفة وهم ينهون عنه وينأون عنه فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا عم نزلت فيك آية قال وما هي قال تمنع قريشا أن يؤذوني وتأبى أن تؤمن بي فقال أبو طالب

والله لن يصلوا اليك بجمعهم
حتى أوسد في التراب دفينا
فامض لامرك ما عليك غضاضة
فاصدع بأمرك قد زعمت ناصحي
فلقد صدقت وكنت ثم أمينا
وعرضت دينا قد عرفت بانه
من خير أديان البرية دينا
لولا الملامة أو حذار مسبة
لوجدتني سمحا بذاك يقينا

*وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله هل تنفع نصرة أبي طالب قال نعم رفع عنه بذلك الفعل انه لم يقرن مع الشياطين ولم يدخل جب الحيات والعقارب انما عذابه في نعلين من نار في رجليه يغلي منهما دماغه وهو أهون أهل النار عذابا *وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي طالب قل لا اله الا الله أشهد لك بها يوم القيامة فقال أبو طالب لولا ان يعايروني بها يعني قريشا يقولون انما حمله الجزع

كذاك اللؤم تتبعه الدمامة * اذا لبس العمامة قلت قردا * وخنزيرا اذا نزع العمامه

فضحك القوم ولم يبق منهم أحد الا أجازه (وقال) ابن الاعرابي ان أهجى بيت قاله المحدثون قول محمد بن وهب في محمد بن هاشم

لم تند كفاك من بذل النوال كما * لم يند سيفك مذ قلدته بدم

(وهجا) بعضهم القمر فقال يهدم العمر ويوجب أجرة المنزل ويشحب الالوان ويقرض الكتان ويضل الساري ويعين السارق ويفضح العاشق * ولابن منقذ في ابن طليب المصري وقد احترقت داره

أنظر الى الايام كيف تسوقنا * قسرا الى الاقدار بالاقدار

ما أوقد ابن طليب قط بداره * نارا وكان خرابها بالنار

(وكان) للوجيه بن صورة المصري دلال الكتب دار بمصر موصوفة بالحسن فاحترقت فقال فيها ابن المنجم

أقول وقد عاينت دار ابن صورة * وللنار فيها وهجة تتضرم

فما هو الا كافر طال عمره * فجاءته لما استبطأته جهنم

وقد أحسن الاديب كمال الدين علي بن محمد بن المبارك الشهير بابن الاعمى في ذم دار كان يسكنها حيث قال

دار سكنت بها أقل صفاتها * أن تكثر الحشرات في جنباتها * الخير عنها نازح متباعد

والشر دان من جميع جهاتها * من بعض ما فيها البعوض عدمته * كم أعدم الاجفان طيب سناتها

وتبيت تسعدها براغيث متى * غنت لها رقصت على نغماتها * رقص بتنقيط ولكن قافه

قد قدمت فيه على اخواتها * وبها ذباب كالضباب يسد عين الشمس ما طار بي سوى غناتها

أين الصوارم والقنا من فتكها * فينا وأين الأسد من وثباتها * وبها من الخطاف ما هو معجز

أبصارنا عن وصف كيفياتها * وبها خفافيش تطير نهارها * مع ليلها ليست على عاداتها

وبها من الجرذان ما قد قصرت * عنه العتاق الجرد في حملاتها * وبها خنافس كالطنافس أفرشت

في أرضها وعلت على جنباتها * لو شم أهل الحرب منتن فسوها * أردى الكماة الصيد عن صهواتها

وبنات وردان واشكال لها * مما يفوت العين كنه ذواتها * أبدا تمص دماءنا فكأنها

حجامة لبدت على كاساتها * وبها من النمل السليماني ما * قد قل ذر الشمس عن ذراتها

ما راعني شيء سوى وزغاتها * فتعوذوا بالله من لدغاتها * هجمت على أوكارها فظننتها

ورق الحمام سجعن في شجراتها * وبها زنابير تظن عقاربا * حر السموم أخف من زفراتها

وبها عقارب كالأقارب رتع * فينا حمانا الله لدغ حماتها * كيف السبيل الى النجاة ولا نجا

ة ولا حياة لمن رأى حياتها * منسوجة بالعنكبوت سماؤها * والارض قد نسجت على آفاتها

فضجيجها كالرعد في جنباتها * وترابها كالرمل في خشناتها * والبوم عاكفة على أرجائها

والدود يبحث في ثرى عرصاتها * والجن تأتيها اذا جن الدجى * تحكي الخيول الجرد في حملاتها

والنار جزء من تلهب حرها * وجهنم تعزى الى لفحاتها * شاهدت مكتوبا على أرجائها

ورأيت مسطورا على جنباتها * لا تقربوا منها وخافوها ولا * تلقوا بأيديكم الى هلكاتها

أبدا يقول الداخلون ببابها * يا رب نج الناس من آفاتها * قالوا اذا نذب الغراب منازلا

يتفرق السكان من ساحاتها * وبدارنا ألف الغراب ناعق * كذب الرواة فأين صدق رواتها

صبرا لعل الله يعقب راحة * للنفس اذ غلبت على شهواتها * دار تبيت الجن تحرس نفسها

فيها وتندب باختلاف لغاتها * كم بت فيها مفردا والعين من * شوق الصباح تسح من عبراتها

وأقول يا رب السموات العلا * يا رازقا للوحش في فلواتها * أسكنتني بجهنم الدنيا ففي

أخراي هب لي الخلد في جناتها * واجمع عن أهواه شملي عاجلا * يا جامع الارواح بعد شتاتها

(ولبعضهم في بلان) أشكو الى الله بلانا بليت به * مست أنامله ظهري فأدماني

فلا يدلك تدليكا بمعرفة * ولا يسرح تسريحا باحسان

(وللشيخ شمس الدين البدوي في بلان أيضا)

وبلان له ظفر يباهي * به حد الشفار المرهفات * هرى جسمي فالبسه نجيعا

لا قررت بها عينك فأنزل الله تعالى انك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء (وأما) عبد الله بن الزبعري فانه أسلم عام الفتح وحسن اسلامه واعتذر الى النبي صلى الله عليه وسلم فقبل عذره وكان شاعرا مجيدا فقال يمدح النبي صلى الله عليه وسلم بأبيات منها في حكاية حاله

اني لمعتذر اليك من الذي * أسديت اذ أنا في الضلال مقيم

فاغفر فداؤك والدي كلاهما * وارحم فانك راحم مرحوم

(ومن غريب ما نقله القرطبي في الاعلام) ان الانصار الذين نصروا النبي صلى الله عليه وسلم كانوا من أولاد العلماء والحكماء الذين كانوا مع تبع الاول فيما ذكر ابن اسحق وكان تبع من الخمسة الذين كانت لهم الدنيا بأسرها وكان كثير الوزراء فاختار واحدا منهم وأخرجه معه لينظر في ملكه فكان اذا أتى بلدة يختار من حكمائها عشرة رجال وكان معه من العلماء والحكماء مائة ألف رجل ثم الذين اختارهم من البلدان وهذا القدر غير محسوب من الجيش فلما انتهى الى مكة لم تخضع له أهل مكة كخضوع أهل البلاد ولم تعظمه فغضب لذلك ودعا وزيره وكان اسمه عماريا فقال له كيف شاهدت هذه البلدة فانهم لم يهابوني ولم يخشوا عسكري فقال انهم عرب لا يعرفون شيأ ولهم بيت يقال له الكعبة وهم معجبون به ويسجدون فيه للاصنام قال فنزل الملك بعسكره ببطحاء مكة وعزم على هدم البيت وقتل الرجال وسبي النساء فأخذه الله بالصداع وتفجر من عينيه وأذنيه ومنخريه وفمه ماء منتن فلم يصبر عنده أحد طرفة عين من نتن الريح فاستيقظ لذلك وقال لوزيره اجمع العلماء والحكماء والاطباء وتكلم معهم في أمري فاجتمع عنده

على حلل الستور السابلات * ورام يلين أعضائي برفق * فأيبسها وكسر فوق حاقى
ولم أنظر له أبدا جبيـلا * وذلك من عظيم المهلكات * وأعمى مقلتى بصنان ابط
يفوح به على كل الجهات * فلا تجعل الهى مثل هذا * يغسلنى اذا حانت وفاتى

(ولبعضهم في حمام) وحمام دخلناه لامر * حكى سقرا وفيه المجرمونا
فيصطرخوا يقولوا أخرجونا * فان عدنا فانا ظالمونا

وللشريف أبي يعلى الهاشمى البغدادى في نظام الملك يهدده بالهجاء يقول
أجمل يانظام الملك آتى * أعاود من ذراك كما قدمت * وأصدر عن حياضك وهى نهب
بأفواه السقاة وما وردت * يدل على فعالك سوء حالى * ويخبر عن نوالك ان كتمت
اذا استخبرت ماذا نلت منه * وقد علم الورى كرما سكت

(ومن) عرض بالهجو في شعره الخوارزمى قال في أبي جعفر
أباجعفر لست بالمنصف * ومثلك ان قال قولا يفى * فان أنت أنجزت لى ما وعدت
والاهجيت وأدخلت فى * وقد علم الناس ما بعد فى * فغط الحديث ولا تكشف

ومدح السراج الوراق انسانا فلم يجزه فكتب يعرض له بالهجاء ويهدده يقول
أعدمدحى على وخذ سواه * فقد أتعبتنى يامستريح
ولا تغضب اذا أنشدت يوما * سواه وقيل لى هذا صحيح

(وله أيضا يقول) أعدمدحا كذبت عليك فيه * وقد عوقبت بالحرمان عنه
ولكنى سأصدق فيك قولا * فلا يصعب عليك الحق منه

(وقال بعضهم في حجاج قدموا ولم يهدوا اليه شيأ)
مضوا الحجوا والوجوه كأنها * تكاد لفرط البشر أن توضح السبلا
وعادوا كأن القار فوق وجوههم * فلا مرحبا بالقادمين ولا سهلا
وجاؤا وماجادوا بعود أراكة * ولا وضعوا في كف طفل لنا نقلا

(وقال آخر) اذا رمت هجوا في فلان تصدنى * خلائق قبح عنه لا تتزحزح
تجاوز قدر الهجو حتى كأنه * بأقبح ما يهجى به المرء يمدح

(وهجا بعضهم امرأة فقال)
لها جسم برغوث وساق بعوضة * ووجه كوجه القرد بل هو أقبح
تبرق عينيها اذا ما رأيتها * وتعبس في وجه الضجيع وتكلح
لها منظر كالنار تحسب أنها * اذا ضحكت في أوجه الناس تلفح
اذا عاين الشيطان صورة وجهها * تعوذ منها حين يمسى ويصبح

(ولبعضهم في عظيم أنف) لك وجه وفيه قطعة أنف * كجدار قد دعموه ببغله
وهو كالقبر في المثال ولكن * جعلوا نصفه على غير قبله

(وفيه أيضا) رأينا اللزكى جدار أنف * يضاهى في تشامخه الجبالا
تصدى للهلال لكى يراه * فلولا عظمه لرأى الهلالا

(ولبعضهم في أبخر مخنث) قالوا فلان به نتن فقلت لهم * ياقوم قد حار فكرى في مساويه
ياقوم لا تعجبوا من نتن نكهته * فالاير يدفع ما فيه الى فيه

(ولصفي الدين الحلى)
رأى فرسى اصطبل عيسى فقال لى * قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل
به لم أذق طعم الشعير كأننى * بسقط اللوى بين الدخول فحومل
تقعقع من برد الشتاء أضالعى * لما نسجتها من جنوب وشمأل

(وله أيضا) ليهنك ان لى ولدا وعيدا * سواء في المقال وفي المقام

العلماء والحكماء والاطباء فلم يقدروا على الجلوس عنده ساعة وعجزوا عن مداواته وقالوا نحن نقدر على مداواة ما يعرض من أمور الارض وهذا شئ من السماء لا نستطيع له ردا ثم اشتد أمره ونفرت الناس عنه ولم يزل أمره في شدة حتى أقبل الليل فجاء أحد العلماء الى وزيره فقال له ان بينى وبينك سرا وهو ان كان الملك يصدقنى في حديثه عالجته فاستبشر الوزير بذلك وقال له قل ماشئت فقال أريد الخلوة فاخلى له المكان فلما خلا مجلس الملك قال له العالم أيها الملك أنت نويت لهذا البيت سوأ قال نعم نويت خرابه وقتل رجاله وسبى نسائه فقال له العالم أيها الملك هذه النية هى التى احدثت لك هذا الداء ورب هذا البيت قادر يعلم الاسرار فبادر واخرج من قلبك ما هممت به من أمر هذا البيت وأهله ولك خير الدنيا والآخرة قال الملك قد أخرجت ذلك من قلبي ونويت لهذا البيت المبارك ولاهله كل خير فلم يخرج العالم من عنده حتى برئ من علته وعافاه الله تعالى بقدرته فآمن بالله من ساعته وخلع على الكعبة سبعة أثواب وهو أول من كسا الكعبة وخرج الى يثرب وهى يومئذ بقعة فيها عين ماء ليس فيها بيت فنزل على رأس العين هو وعسكره وجميع العلماء الذين كانوا معه ومعهم رئيسهم عمار يا الذى يرى الملك برأيه ثم ان العلماء والحكماء أخرجوا من بينهم أربعمائة وهم أعلمهم وبايع كل واحد منهم صاحبه أن لا يخرجوا من ذلك المقام وان قتلهم الملك فلما علم الملك بما عزموا عليه قال للوزير ماشأنهم يمتنعون عن الخروج معى وأنا محتاج اليهم وأى حكمة اقتضت نزولهم في هذا المكان واختيارهم اياه على سائر النواحى فسألهم الوزير عن ذلك فقالوا أيها الوزير ان ذلك

فهذا سابق من غير سين * وهذا فاقل من غير لام

﴿وله في طبيب يدعى اسحق﴾

مباضع اسحق الطبيب كأنها * لها بفناء العالمين كفيل

معودة أن لا تسل نصالها * فتغمد حتى يستباح قتيل

(وله في أحمق طويل اللسان)

لو ان قوة وجهه في قلبه * قنص الاسود وجندل الابطالا

أو كان طول لسانه بيمينه * أفنى الكنوز وأنفذ الاموالا

(وهجا اعرابي رجلا ثم مدحه فقال)

انى مدحتك من فساد قريحتى * وعلمت أن المدح فيك يضيع

لكن رأيت المسك عند فساده * يدنى الى بيت الخلا فيضوع

(وقيل) لبعضهم ما تقول في فلان وفلان قال هما الخمر والميسر اثمهما أكبر من نفعهما (وقيل) لرجل كيف وجدت فلانا قال طويل اللسان في اللؤم قصير الباع في الكرم وثابا على الشر مناعا للخير * وسمع أعرابي قوله تعالى الأعراب أشد كفرا ونفاقا فانقبض ثم سمع قوله تعالى ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر فقال الله أكبر هجانا ثم مدحنا وكذلك قال الشاعر

هجوت زهيرا ثم انى مدحته * ومازالت الاشراف تهجى وتمدح

استب رجلان فقال أحدهما للآخر لو قطع زبك وعلق لم تبق زانية بالكوفة الا عرفته (وقال) أبو زيد العبدى

ولقد قتلتك بالهجاء فلم تمت * ان الكلاب طويلة الاعمار

وقال المتوكل لابي العيناء ما بقى أحد في المجلس الا هجاك وذمك غيرى فقال

اذا رضيت عنى كرام عشيرتى * فلا زال غضبانا على لئامها

﴿الباب الرابع والاربعون في الصدق والكذب وفيه فصلان﴾

﴿الفصل الاول في الصدق﴾ قال الله تعالى مبشرا للصادقين هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم وقال تعالى والصادقين والصادقات ثم مدحهم وبين لهم المغفرة والاجر العظيم (وقال) عمر رضى الله عنه عليك بالصدق وان قتلك * وما أحسن ما قيل في ذلك

عليك بالصدق ولو أنه * أحرقك الصدق بنار الوعيد

وابغ رضا المولى فاغبى الورى * من أسخط المولى وأرضى العبيد

وقال اسمعيل بن عبيد الله لما حضرت أبي الوفاة جمع بنيه فقال لهم يا بنى عليكم بتقوى الله وعليكم بالقرآن فتعاهدوه وعليكم بالصدق حتى لو قتل أحدكم قتيلا ثم سئل عنه أقر به والله ما كذبت كذبة قط مذ قرأت القرآن * وعن عائشة رضى الله عنها قالت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم بم يعرف المؤمن قال بوقاره ولين كلامه وصدق حديثه * وقيل لكل شئ حلية وحلية النطق الصدق (وقال محمود الوراق)

الصدق منجاة لاربابه * وقربة تدنى من الرب

وقيل الصدق عمود الدين وركن الادب وأصل المروأة فلا تتم هذه الثلاثة الا به وقال ارسطاطاليس أحسن الكلام ما صدق فيه قائله وانتفع به سامعه * وقال المهلب بن أبي صفرة ما السيف الصارم في يد الشجاع باعز له من الصدق وكان يقال على الصدق فلان وقف لسانه على الصدق ويقال الصدق محمود من كل أحد الا من الساعى * ويقال لو صدق عبد فيما بينه وبين الله تعالى حقيقة الصدق لاطلع على خزائن الغيب ولكان أمينا في السموات والارض * وقيل من لزم الصدق وعود لسانه به وفق * ويقال الصدق بالحر أحرى * وقال عتبة بن أبي سفيان اذا اجتمع في قلبك أمران لا تدرى أيهما أصوب فانظر أيهما أقرب الى هواك فخالفه فان الصواب أقرب الى مخالفة الهوى * وقال ارسطاطاليس الموت مع الصدق خير من الحياة مع الكذب * وكان نقش خاتم ذى يزن وضع الحد للحق عز * وامتدح ابن ميادة جعفر بن سليمان فأمر له بمائة ناقة فقبل يده وقال والله ما قبلت يد قرشى غيرك الا واحدا فقال أهو المنصور قال لا والله قال فمن هو قال الوليد بن يزيد قال فغضب وقال والله

البيت وهذه البقعة التى نحن فيها يشرف برجل يبعث في آخر الزمان يقال له محمد ووصفوه له ثم قالوا طوبى لمن أدركه وآمن به ونحن على رجاء ان ندركه أو تدركه أولادنا فلما سمع الوزير مقالتهم هم بالمقام معهم فلما جاء وقت الرحيل أمرهم الملك أن يرحلوا فقالوا لا نفعل وقد أعلمنا الوزير بحكمة مقامنا فدعا بالوزير فاخبره بما سمع منهم فتفكر الملك وهم أن يقيم معهم رجاء ان يدرك محمدا صلى الله عليه وسلم فاقام وأمر الناس ان يبنوا أربعمائة دار على عدة العلماء والحكماء واشترى لكل واحد منهم جارية وأعتقها وزوجها برجل منهم وأعطى كل واحد منهم عطاء جزيلا وأمرهم أن يقيموا في ذلك المكان الى أن يجئ زمان النبي صلى الله عليه وسلم ثم كتب الكتاب وختمه بخاتم من ذهب ودفعه الى عالمهم الكبير وأمره أن يدفع الكتاب الى محمد صلى الله عليه وسلم ان أدركه والا فيوصى به أولاده مثل ما أوصاه به وكذلك الاولاد حتى يتصل بالنبى صلى الله عليه وسلم وكان في ذلك الكتاب * أما بعد فانى آمنت بك وبكتابك الذى أنزل عليك وأنا على دينك وسنتك وآمنت بربك وبكل ما جاء من ربك من شرائع الايمان والاسلام فان أدركتك فبها ونعمت والا فاشفع لى ولا تنسنى يوم القيامة فانى من أمتك الاولين وقد بايعتك قبل مجيئك وأنا على ملتك وملة أبيك ابراهيم عليه السلام ثم ختم الكتاب ونقش عليه (لله الامر من قبل ومن بعد) وكتب عنوانه الى محمد بن عبد الله ونبى الله ورسوله وخاتم النبيين ورسول رب العالمين صلى الله عليه وسلم من تبع الاول الحميرى ودفع الكتاب الى الرجل العالم الذى أبرأه من علته وسار تبع من يثرب حتى وصل الى بلاد الهند

ماقبلتها الله تعالى فقال والله ولا بدلك ماقبلتها الله تعالى ولكن قبلتها النفسي فقال والله لاضرك الصدق عندي أعطوه مائة أخرى (وقال) عامر العدواني في وصيته اني وجدت صدق الحديث طرفا من الغيب فاصدقوا يعني من لزم الصدق وعوده لسانه وفق فلا يكاد ينطق بشيء يظنه الاجاء على ظنه وخطب بلال لاخيه امرأة قرشية فقال لاهلها نحن من قد عرفتم كنا عبدين فأعتقنا الله تعالى وكنا ضالين فهدانا الله تعالى وكنا فقيرين فاغنانا الله تعالى وأنا اخطب اليكم فلانة لاخي فان تنكحوها فالحمد لله تعالى وان تردونا فالله أكبر فاقبل بعضهم على بعض فقالوا بلال ممن عرفتم سابقته ومشاهده ومكانه من رسول الله صلى الله عليه وسلم فزوجوا أخاه فزوجوه فلما انصرفوا قال له أخوه يغفر الله لك أما كنت تذكر سوابقنا ومشاهدنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وتترك ماعدا ذلك فقال مه يا أخي صدقت فانكحك الصدق (وخطب) الحجاج فاطال فقام رجل فقال الصلاة فان الوقت لا ينتظرك والرب لا يعذرك فامر بحبسه فاتاه قومه وزعموا انه مجنون وسألوه أن يخلي سبيله فقال ان أقر بالجنون خليته فقيل له فقال معاذ الله لا ازعم ان الله ابتلاني وقد عافاني فبلغ ذلك الحجاج فعفا عنه لصدقه

﴿الفصل الثاني من هذا الباب في الكذب وماجاء فيه﴾ قال الله تعالى في الكاذبين ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون وقال تعالى ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اياكم والكذب فان الكذب يهدي الى الفجور والفجور يهدي الى النار وتحروا الصدق فان الصدق يهدي الى البر والبر يهدي الى الجنة * وعن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كذب العبد كذبة تباعد الملكان عنه مسيرة ميل من نتن ماجاء به * ويقال راوي الكذب أحد الكذابين * ويقال رأس المآثم الكذب وعمود الكذب البهتان وقيل أمران لا ينفكان من الكذب كثرة المواعيد وشدة الاعتذار وقال الحسن في قوله تعالى ولكم الويل مما تصفون وهي لكل واصف كذبا الى يوم القيامة * قال الاصمعي قلت لكذاب أصدقت قط قال لولا اني أخاف أصدق في هذا لقلت لك لا فتعجب (وقال محمود بن أبي الجنود)

لي حيلة فيمن ينم وليس في الكذاب حيله
من كان يخلق مايقو * ل فحيلتي فيه قليله

(ويقال) فلان أكذب من لمعان السراب ومن سحاب تموز * وكان بفارس محتسب يعرف بجراب الكذب وكان يقول ان منعت الكذب انشقت مرارتي واني والله لأجد به مع مايلحقني من عاره من المسرة مالا أجده بالصدق مع ماينالني من نفعه * وقال فيلسوف من عرف من نفسه الكذب لم يصدق الصادق فيما يقوله (ولبعضهم)

حسب الكذوب من البليـ ـة بعض مايحكى عليه
فتى سمعت بكذبة * من غيره نسبت اليه

وأضاف سير في قوما وأقبل يحدثهم فقال بعضهم نحن كما قال تعالى سماعون للكذب أكالون للسحت وعن عبد الله بن السدي قال قلت لابن المبارك حدثنا حديثا قال ارجعوا فلست أحدثكم فقيل له انك لم تحلف فقال لو حلفت لكفرت وحدثتكم ولكني لست أكذب فكان هذا أحب الينا من الحديث وقال مجاهد يكتب على ابن آدم كل شيء حتى أنينه في سقمه وحتى ان الصبي ليبكي فتقول له أمه اسكت وأشتري لك كذا ثم لا تفعل فتكتب كذبة * وقال الفضيل مامن مضغة أحب الى الله تعالى من اللسان اذا كان صدوقا ولا مضغة أبغض الى الله تعالى من اللسان اذا كان كذوبا وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه مرفوعا أعظم الخطايا اللسان الكذوب (قال الشاعر)

لا يكذب المرء الا من مهانته * أو فعله السوء أو من قلة الأدب
لبعض جيفة كلب خير رائحة * من كذبة المرء في جد وفي لعب

(ولما) نصب معاوية رضي الله تعالى عنه ابنه يزيد لولاية العهد أقعده في قبة حمراء وجعل الناس يسلمون على معاوية ثم يسلمون على يزيد حتى جاء رجل ففعل ذلك ثم رجع الى معاوية فقال يا أمير المؤمنين اعلم انك لو لم تول هذا أمور المسلمين لاضعتها والاحنف ساكت فقال معاوية مالك لا تقول يا أبا بحر فقال أخاف الله تعالى ان كذبت وأخافكم ان صدقت فقال جزاك الله خيرا عما تقول ثم أمر له بالوف فلما خرج الاحنف لقيه ذلك الرجل بالباب فقال له يا أبا بحر اني لأعلم ان هذا من شرار خلق الله تعالى ولكنهم استوثقوا من الاموال بالابواب

قماشيها وكان من اليوم الذي مات فيه تبع الى اليوم الذي بعث فيه النبي صلى الله عليه وسلم ألف سنة لا تزيد ولا تنقص وكانت الانصار الذين نصروا النبي صلى الله عليه وسلم من أولاد أولئك العلماء والحكماء فلما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة سأله أهل القبائل أن ينزل عليهم فكانوا يتعلقون بناقته وهو يقول خلوا الناقة فانها مأمورة حتى جاءت الى دار أبي أيوب وكان من أولاد العالم الذي أبرأ تبعا برأيه ثم استشار الانصار عبد الرحمن بن عوف في ايصال الكتاب الى النبي صلى الله عليه وسلم لما ظهر خبره قبل هجرته فأشار عبد الرحمن أن يدفعوه الى رجل ثقة فاختاروا رجلا يقال له أبو ليلى وكان من الانصار فدفعوا الكتاب اليه وأوصوه بحفظه فاخذ الكتاب وخرج من المدينة على طريق مكة فوجد النبي صلى الله عليه وسلم في قبيلة بني سليم فعرفه رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعاه وقال أنت أبو ليلى قال نعم قال ومعك كتاب تبع الاول قال نعم فبقي أبو ليلى متفكرا وقال في نفسه ان هذا من العجائب ثم قال له أبو ليلى من أنت فاني لست أعرفك وتوهم انه ساحر وقال في وجهك أثر السحر فقال له بل أنا محمد رسول الله هات الكتاب فاخرجه ودفعه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذه النبي صلى الله عليه وسلم ودفعه الى علي كرم الله وجهه فقرأه عليه فلما سمع النبي صلى الله عليه وسلم كلام تبع قال مرحبا بالأخ الصالح ثلاث مرات ثم أمر أبا ليلى بالرجوع الى المدينة ليبشرهم بقدومه عليهم (قال أبو عبد الله محمد القرطبي) نور الله ضريحه ماذكرت هذا الخبر وان كان فيه طول الا لما احتوى عليه من فضل مكة والمدينة والتصديق

والا فقال فاسنا نطمع فى اخراجها الا بما سمعت فقال له الاحنف يا هذا أمسك فان ذا الوجهين خليق ان لا يكون عند الله وجيها وقيل ان الكذب يحمد اذا وصل بين المتقاطعين أو أصلح بين الزوجين ويذم الصدق اذا كان غيبة وقد رفع الحرج عن الكاذب فى الحرب وعن المصلح بين المرء وزوجه * وكان المهلب فى حرب الخوارج يكذب لأصحابه يقوى بذلك جأشهم فكانوا اذا رأوه مقبلا اليهم قالوا جاء نا يكذب وقال يحيى بن خالد رأينا شارب خمر نزع ولصا أقلع وصاحب فواحش رجع ولم نر كذابا صار صادقا وكان عمرو بن معديكرب مشهورا بالكذب * وقيل لخلف الاحمر وكان شديد التعصب لليمن أكان ابن معديكرب يكذب فقال كان يكذب فى المقال ويصدق فى الفعال * قيل ان بلالا لم يكذب مذ أسلم رضى الله تعالى عنه والحمد لله وحده

﴿الباب الخامس والأربعون فى بر الوالدين وذم العقوق وذكر الأولاد وما يجب لهم وعليهم وصلة الرحم والقرابات وذكر الانساب وفيه فصول﴾

﴿الفصل الأول فى بر الوالدين وذم العقوق﴾ قال الله تعالى واعبدوا الله ولا تشركوا به شيأ وبالوالدين احسانا * وقال تعالى وقضى ربك أن لا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا * وقال تعالى أن اشكر لى ولوالديك الىّ المصير * وقال تعالى فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا * وعن على رضى الله تعالى عنه لو علم الله شيأ فى العقوق أدنى من أف لحرمه فليعمل العاق ما شاء أن يعمل فلن يدخل الجنة وليعمل البار ما شاء ان يعمل فلن يدخل النار * وقيل ان رضا الرب فى رضا الوالدين وسخط الرب فى سخط الوالدين ﴿وحكى﴾ أبو سهل عن أبى صالح عن أبى نجيح عن ربيعة عن عبد الرحمن عن عطاء بن أبى مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من حج عن والده بعد وفاته كتب الله لوالده حجة وكتب له براءة من النار وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اياكم وعقوق الوالدين فان ريح الجنة يوجد من مسيرة خمسمائة عام ولا يجد ريحها عاق * وكان رجل من النساك يقبل كل يوم قدم أمه فابطأ يوما على اخوته فسألوه فقال كنت أتمرغ فى رياض الجنة فقد بلغنا ان الجنة تحت أقدام الامهات وبلغنا أن الله تعالى كلم موسى عليه السلام ثلاثة آلاف وخمسمائة كلمة فكان آخر كلامه يارب أوصنى قال أوصيك بأمك حسنا قال له سبع مرات قال حسبى ثم قال ياموسى ألا ان رضاها رضاى وسخطها سخطى وقال عمر بن عبد العزيز رضى الله تعالى عنه لابن مهران لا تأتين أبواب السلاطين وان أمرتهم بمعروف أو نهيتهم عن منكر ولا تخلون بامرأة وان علمتها سورة من القرآن ولا تصحبن عاقا فانه لن يقبلك وقد عق والديه * وقال فيلسوف من عق والديه عقه ولده وقال المأمون لم أر أحدا أبر من الفضل بن يحيى بأبيه بلغ من بره له انه كان لا يتوضأ الا بماء سخن فمنعهم السجان من الوقود فى ليلة باردة فلما أخذ يحيى مضجعه قام الفضل الى قمقم نحاس فملأه ماء وأدناه من المصباح فلم يزل قائما وهو فى يده الى الصباح حتى استيقظ يحيى من منامه (قيل) طلب بعضهم من ولده أن يسقيه ماء فلما أتاه بالشربة نام أبوه فما زال الولد واقفا بالشربة فى يده الى الصباح حتى استيقظ أبوه من منامه * وقال رجل لعمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ان لى أما بلغ منها الكبر أنها لا تقضى حاجتها الا وظهرى لها مطية فهل أديت حقها قال لا لانها كانت تصنع بك ذلك وهى تتمنى بقاءك وأنت تصنعه وتتمنى فراقها وقال ابن المنكدر بت أكبس رجل أبى وبات آخر يصلى ولا يسرنى ليلته بليلتى وقيل ان محمد بن سيرين كان يكلم أمه كما يكلم الامير الذى لا ينتصف منه وقيل لعلى بن الحسين رضى الله تعالى عنهما انك من أبر الناس ولا تأكل مع أمك فى صحفة فقال أخاف أن تسبق يدى يدها الى ما تسبق عيناها اليه فأكون قد عققتها

﴿الفصل الثانى فى الاولاد وحقوقهم وذكر النجباء والاذكياء والبلداء والاشقياء﴾ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الولد ريحانة من الجنة * وقال الفضل ريح الولد من الجنة وكان يقال ابنك ريحانتك سبعا وخادمك سبعا ثم عدو أو صديق * وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه قال قلت يا سيدى رسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله هل يولد لاهل الجنة قال والذى نفسى بيده ان الرجل يشتهى أن يكون له ولد فيكون حمله ووضعه وشبابه الذى ينتهى اليه فى ساعة واحدة وقيل من حق الولد على والده أن يوسع عليه حاله كى لا يفسق وقال عمر رضى الله تعالى عنه انى لأكره نفسى على الجماع رجاء ان يخرج الله منى نسمة

تسبح

بنبوة النبى صلى الله عليه وسلم قبل ايجاده بالف عام ﴿ومن لطائف ما نقلته من كتاب الاعلام للقرطبى﴾ ما أورده من مسند أبى داود عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قول الله عز وجل اذا تداينتم بدين الى أجل مسمى فاكتبوه الى آخر الآية ان أول من جحد الدين آدم عليه السلام لانه لما أراه الله تعالى ذريته رأى فيهم رجلا أزهر ساطع النور فقال يارب من هذا قال ابنك داود قال يارب فما عمره قال ستون سنة قال يارب زد فى عمره قال لا الا أن تزيده من عمرك قال وما عمرى قال ألف سنة قال آدم فقد وهبته أربعين سنة قال فكتب الله عليه كتابا وأشهد عليه ملائكته فلما حضرته الوفاة قال بقى من عمرى أربعون سنة فقيل له قد وهبتها لابنك داود قال ما وهبت لأحد شيأ فاخرج الله ذلك الكتاب وفيه شهادة الملائكة وفى رواية ان الله جل جلاله أتم لداود مائة سنة ولآدم ألف سنة أخرجه الترمذى بمعناه وصححه وفيه فقال عليه الصلاة والسلام نسى آدم فنسيت ذريته وجحد آدم فجحدت ذريته والله أعلم ﴿ومن لطائف الغرائب المنقولة من كتاب الاعلام للقرطبى﴾ ان العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه مدح النبى صلى الله عليه وسلم بأبيات على قافية بديعة أعجبت النبى صلى الله عليه وسلم منها قوله

وأنت لما ولدت أشرقت الار ... ض وضاءت بنورك الافق
فنحن فى ذلك الضياء وفى النو ... ر وسبل الرشاد نخترق

فقال نعم لكل شاعر جائزة وجائزتك ان الخلافة فى عقبك الى يوم القيامة ﴿ومن غرائب التفسير ما نقلته من الاعلام﴾ ان فى قوله

تسبحه وتذكره وقال رضي الله تعالى عنه أكثروا من العيال فانكم لا تدرون بمن ترزقون وقال شبيب بن شبة ذهب اللذات الا من ثلاث شم الصبيان وملاقات الاخوان والخلوة مع النسوان ودخل عمرو بن العاص على معاوية وعنده ابنته عائشة فقال من هذه يا أمير المؤمنين قال هذه تفاحة القلب فقال انبذها عنك فانهن يلدن الاعداء ويقربن البعداء ويورثن الضغائن قال لا تقل يا عمرو ذلك فوالله ما مرض المرضى ولا ندب الموتى ولا أعان على الاخوان الا هن فقال عمرو يا أمير المؤمنين انك حببتهن الى وقيل لرجل أى ولدك أحب اليك قال صغيرهم حتى يكبر ومريضهم حتى يبرأ وغائبهم حتى يحضر وقال ابن عامر لامرأته أمامة بنت الحكم الخزاعية ان ولدت غلاما فلك حكمك فلما ولدت قالت حكمى أن تطعم سبعة أيام كل يوم على ألف خوان من فالوذج وأن تعق بألف شاة ففعل لها ذلك * وغضب معاوية على يزيد فهجره فقال الاحنف يا أمير المؤمنين أولادنا ثمار قلوبنا وعماد ظهورنا ونحن لهم سماء ظليلة وأرض ذليلة وبهم نصول على كل جليلة فان غضبوا فأرضهم وان سألوا فأعطهم وان لم يسألوا فابتدئهم ولا تنظر اليهم شزرا فيملوا حياتك ويتمنوا وفاتك فقال معاوية يا غلام اذا رأيت يزيد فاقرئه السلام واحمل اليه مائتى ألف درهم ومائتى ثوب فقال يزيد من عند أمير المؤمنين فقيل له الاحنف فقال يزيد بن معاوية على به فقال يا أبا بحر كيف كانت القصة فحكاها له فشكر صنيعه وشاطره الصلة ﴿وحكى﴾ الكسائى أنه دخل على الرشيد يوما فأمر باحضار الامين والمأمون ولديه قال فلم يلبث قليلا ان أقبلا ككوكبى أفق يزينهما هداهما ووقارهما وقد غضا أبصارهما حتى وقفا فى مجلسه فسلما عليه بالخلافة ودعوا له بأحسن الدعاء فاستدناهما وأسند محمدا عن يمينه وعبد الله عن يساره ثم أمرنى أن ألقى عليهما أبوابا من النحو فما سألتهما شيأ الا أحسنا الجواب عنه فسره ذلك سرورا عظيما وقال كيف تراهما فقلت شعرا

أرى قمرى أفق وفرعى بشامة * يزينهما عرق كريم ومحتد
سليلى أمير المؤمنين وحائزى * مواريث ما أبقى النبي محمد
يسدان انفاق النفاق بشيمة * يزينهما حزم وسيف مهند

ثم قلت ما رأيت أعز الله أمير المؤمنين أحدا من أبناء الخلافة ومعدن الرسالة وأغصان هذه الشجرة الزلالية آدب منهما ألسنا ولا أحسن ألفاظا ولا أشد اقتدارا على الكلام روية وحفظا منهما أسأل الله تعالى أن يزيد بهما الاسلام تأييدا وعزا ويدخل بهما على أهل الشرك ذلا وقمعا وأمن الرشيد على دعائه ثم ضمهما اليه وجمع عليهما يديه فلم يبسطهما حتى رأيت الدموع تنحدر على صدره ثم أمرهما بالخروج وقال كأنكم بهما وقد دهم القضاء ونزلت مقادير السماء وقد تشتت أمرهما وافترقت كلمتهما بسفك الدماء وتهتك الستور * وكان يقال بنو أمية دنخل أخرج الله منه زق عسل يعنى عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه * وسب اعرابى ولده وذكر له حقه فقال يا أبتاه ان عظيم حقك على لا يبطل صغير حقى عليك قال سيدى عبد العزيز الديرينى رحمه الله تعالى

أحب بنيتى ووددت أنى * دفنت بنيتى فى قاع لحدى
وما بى أن تموت على لكن * مخافة أن تذوق الذل بعدى
فان زوجتها رجلا فقيرا * أراها عنده والهم عندى
وان زوجتها رجلا غنيا * فيلطم خدها ويسب جدى
سألت الله يأخذها قريبا * ولو كانت أحب الناس عندى

﴿وقال هرون بن على بن يحيى المنجم﴾

أرى ابنى تشابه من على * ومن يحيى وذلك به خليق
وان يشبههما خلقا وخلقا * فقد تسرى الى الشبه العروق

﴿وقال أبو النصر مولى بنى سليم﴾

ونفرح بالمولود من آل برمك * ولا سيما ان كان من ولد الفضل

﴿وقال الحسن بن زيد العلوى﴾

قالوا عقيم ولم يولد له ولد * والمرء يخلفه من بعده الولد
فقلت من علقت بالحرب همته * عاف النساء ولم يكثر له عدد

﴿وكان الزبير بن العوام رضي الله عنه يرقص ولده ويقول﴾

تعالى ووجدك ضالا فهدى اقوالا ذكرت فى أحكام مخارج القرآن أحسنها ما ذكره بعض المتكلمين أن العرب كانت اذا وجدت شجرة منفردة فى فلاة من الارض لا شجر معها سموها ضالة فيهتدى بها على الطريق فقال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ووجدك ضالا فهدى أى وجدتك لا احد على دينك فهديت بك الخلق الى (قلت) قد تقدم الكلام فى سعادة العباس ابن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم وما نال بالاسلام من العز وقول النبي صلى الله عليه وسلم ان الخلافة فى عقبك الى يوم القيامة وتقدم ذكر شقوة عمه أبى طالب بالشرك مع حمايته ورعايته لجانب النبي صلى الله عليه وسلم وهو الذى تقدم قوله مشيرا الى قريش فى خطابه الى النبي صلى الله عليه وسلم

والله لن يصلوا اليك بجمعهم
حتى أوسد فى التراب دفينا

(قال السهيلى) نور الله ضريحه فى الروض الانف هذا من باب النظر فى حكمة الله (ونقل) فى الروض الانف أيضا عن هشام ابن السائب ان أبا طالب لما حضرته الوفاة جمع وجوه قريش وقال لهم انكم صفوة الله من خلقه وقلب العرب وفيكم السيد المطاع وفيكم المتقدم الشجاع والواسع الباع لم تتركوا للعرب فى المآثر نصيبا الا احرزتموه ولا شرفا الا أدركتموه فلكم على الناس بذلك الفضيلة ولهم به اليكم الوسيلة والناس لكم حرب وعلى حربكم الب وانى أوصيكم بتعظيم هذه البنية فان فيها مرضاة للرب وقواما للمعاش وثباتا للوطأة صلوا أرحامكم ولا تقطعوها فان فى صلة الرحم منسأة فى الاجل وزيادة فى العدد واتركوا البغى والعقوق ففيهما هلكت القرون قبلكم وأجيبوا

أزهرمن آل بني عتيق * مبارك من ولد الصديق * ألذه كما ألذ ريقي

﴿وكانت اعرابية ترقص ولدها وتقول﴾

ياحبذا ريح الولد * ريح الخزامى فى البلد أهكذا كل ولد * أم لم يلد مثلى أحد

﴿وكان اعرابى يرقص ولده ويقول﴾

أحبه حب الشحيح ماله * قدذاق طعم الفقر ثم ناله * اذا أراد بذله بدا له

(وكان) لاعرابى امرأتان فولدت احداهما جارية والأخرى غلاما فرقصته أمه يوما وقالت معايرة لضرتها

الحمد لله الحميد العالى * أنقذنى العام من الجوالى
من كل شوهاء كشن بالى * لا تدفع الضيم عن العيال

فسمعتها ضرتها فأقبلت ترقص ابنتها وتقول

وما على أن تكون جاريه * تغسل رأسي وتكون الفاليه * وترفع الساقط من خماريه
حتى اذا ما بلغت ثمانية * أزرتها بنقبة يمانيه * أنكحتها مروان أو معاويه
* أصهار صدق ومهور غاليه *

قال فسمعها مروان فتزوجها على مائة ألف مثقال وقال ان أمها حقيقة أن لا يكذب ظنها ولا يخان عهدها فقال معاوية لولا مروان سبقنا اليها لاضعفنا لها المهر ولكن لا تحرم الصلة فبعث اليها بمائتى ألف درهم والله أعلم

﴿وما جاء فى الاولاد البلداء القليلى التوفيق﴾

(قيل) نظر اعرابى الى ولد له قبيح المنظر فقال له يا بنى انك لست من زينة الحياة الدنيا * وقال رجل لولده وهو فى المكتب فى أى سورة أنت قال لا أقسم بهذا البلد ووالدى بلا ولد فقال لعمرى من كنت أنت ولده فهو بلا ولد * وأرسل رجل ولده يشترى له رشاء لبئر طوله عشرون ذراعا فوصل الى نصف الطريق ثم رجع فقال يا أبت عشرون فى عرض كم قال فى عرض مصيبتى فيك يا بنى * وكان لرجل من الاعراب ولد اسمه حمزة فبينما هو يوما يمشى مع أبيه اذا برجل يصيح بشاب يا عبد الله فلم يجبه ذلك الشاب فقال ألا تسمع فقال يا عم كلنا عبيد الله فاى عبد الله تعنى فالتفت أبو حمزة اليه وقال يا حمزة الا تنظر الى بلاغة هذا الشاب فلما كان من الغد اذا برجل ينادى شابا يا حمزة فقال حمزة ابن الاعرابى كلنا حمامير الله فاى حمزة تعنى فقال له أبوه ليس يعنيك يا من أخمد الله به ذكر أبيه * وكان لمحمد بن بشير الشاعر ابن جسيم فأرسله فى حاجته فابطأ عليه ثم عاد ولم يقضها فنظر اليه ثم قال

عقله عقل طائر * وهو فى خلقة الجمل

(فاجابه) مشبه بك يا أبى * ليس لى عنك منتقل

(ونهى) اعرابى ابنه عن شرب النبيذ فلم ينته وقال

أمن شربة من ماء كرم شربتها * غضبت على الآن طابت لى الخمر
سأشرب فاسخط لا رضيت كلاهما * حبيب الى قلبي عقوقك والسكر

وقيل قال ذلك يزيد بن معاوية لابيه حين نهاه عن شرب الخمر

﴿وما جاء فى صلة الرحم﴾

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صلة الرحم منهاة للولد مثراة للمال * وقيل وجد حجر حين حفر ابراهيم الخليل عليه السلام أساس البيت مكتوب عليه بالعبرانية أنا الله ذو بكة خلقت الرحم وشققت لها اسما من أسمائى فن وصلها وصلته ومن قطعها بتته أى قطعته وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعجل الخير ثوابا صلة الرحم حدثنا أبو سهل عن صالح بن جرير بن عبد الحميد عن منصور عن عطاء بن أبى مروان عن أبيه عن كعب الاحبار انه قال والذى فلق البحر لموسى بن عمران ان فى التوراة لمكتوبا يا ابن آدم اتق ربك وبر والديك وصل رحمك أزد فى عمرك وأيسرك فى يسرك وأصرف عنك عسيرك وعن أبى أمامة الباهلى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال صنائع المعروف تقى مصارع السوء وصدقة السر تطفئ غضب الرب جل وعلا وصلة الرحم تزيد فى العمر وذكر تمام الحديث

﴿الفصل الثالث من هذا الباب فى ذكر الانساب والاقارب والعشيرة﴾ قال عمر رضى الله عنه تعلموا أنسابكم

تعرفوا

الداعى وأعطوا السائل فان فيهما شرف الحياة والممات وعليكم بصدق الحديث وأداء الأمانة فان فيهما محبة فى الخاص ومكرمة فى العام وأنا أوصيكم بمحمد خيرا فانه الأمين فى قريش والصديق فى العرب وهو جامع لكل ما أوصيكم به وقد جاء بامر قبله الجنان وأنكره اللسان مخافة الشنآن وايم الله كأنى أنظر الى صعاليك العرب وأهل البر فى الاطراف والمستضعفين من الناس قد أجابوا دعوته وصدقوا كلمته وعظموا أمره فخاض بهم غمرات فصارت رؤساء قريش وصناديدها أذنابا ودورها خرابا وضعفاؤها أربابا واذا أعظمهم عليه أحوجهم اليه وأبعدهم منه أحظاهم عنده قد محضته العرب ودادها وأصغت له فؤادها وأعطته قيادها دونكم يا معشر قريش ابن أبيكم كونوا له ولاة ولحزبه حماة والله لا يسلك أحد منكم سبيله الا رشد ولا يأخذ أحد بهديه الا سعد ولو كان لنفسى مدة ولاجلى تأخير لكفيت عنه الهزاهز ولدفعت عنه الدواهى ثم هلك (ومن شهى المجتنى من ثمرات الأوراق) ما روى عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه انه مر على طائفة بالمدينة أيام خلافته فاذا بجارية تبكى وتقول

وهويته من قبل قطع تمائمى
متناشيا مثل القضيب الناعم
فكان نور البدر سنة وجهه
يمشى ويصعد من ذؤابة هاشم

فقرع الباب فخرجت اليه فقال لها أحرة أنت أم أمة فقالت بل أمة يا صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من هويت فبكت وقالت بحق صاحب هذا القبر الا انصرفت عنى فقال لست بمنصرف من مكانى حتى تعلمينى وتقولى فقالت

وان الذى عمل الفراق بقلبها
فبكت بحب محمد بن القاسم

تعرفوا بها أصولكم فتصلوا بها أرحامكم وقيل لولم يكن من معرفة الانساب الا اعتزازها من صولة الاعداء وتنازع الاكفاء لكان تعلمها من أحزم الرأى وأفضل الثواب ألا ترى الى قوم شعيب عليه السلام حيث قالوا ولولا رهطك لرجمناك فأبقوا عليه لرهطه وقال عمر رضى الله عنه تعلموا العربية فانها تزيد فى المروءة وتعلموا النسب فرب رحم مجهولة قد وصلت بعرفان نسبها (وسئل) عيسى عليه السلام أى الناس أشرف فقبض قبضتين من تراب وقال أى هاتين أشرف ثم جمعهما وطرحهما وقال الناس كلهم من تراب ان أكرمكم عند الله أتقاكم * كان أبو كبشة جد رسول الله صلى الله عليه وسلم من قبل أمه فلما خالف رسول الله صلى الله عليه وسلم دين قريش قالوا نزعه عرق أبى كبشة حيث خالفهم فى عبادة الشعرى وقال خالد بن عبد الله القشيرى سألت واصل بن عطاء عن نسبه فقال نسبى الاسلام من ضيعه فقد ضيع نسبه ومن حفظه فقد حفظ نسبه فقال خالد وجه عبد وكلام حر * ومن كلام على كرم الله وجهه أكرم عشيرتك فانهم جناحك الذى به تطير فانك بهم تصول وبهم تطول وهم العدة عند الشدة أكرم كريمهم وعد سقيمهم وأشركهم فى أمورك ويسر عن معسرهم وكان يقال اذا كان لك قريب فلم تمش اليه برجلك ولم تعطه من مالك فقد قطعته ويقال حق الاقارب اعظام الاصغر للاكبر وحنو الاكبر على الاصغر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حق كبير الاخوة على صغيرهم كحق الوالد على ولده قال بعضهم

واذا رزقت من النوافل ثروة * فامنح عشيرتك الادانى فضلها

واعلم بانك لا تسودهم * حتى ترى دمث الخلائق سهلها

* الباب السادس والاربعون فى الخلق وصفاتهم وأحوالهم وذكر الحسن والقبح والطول والقصر والالوان والثياب وما أشبه ذلك وفيه فصول *

* الفصل الأول فى الحسن ومحاسن الاخلاق * والى سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ينتهى الحسن والجمال كان سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ربعة من القوم لا بائنا من طول ولا تقتحمه عين من قصر أبيض اللون مشربا بحمرة أدعج العينين مفلج الثنايا دقيق المسربة أزهر الجبين واضح الخد أقنى الانف كأن عنقه ابريق فضة ظاهر الوضاءة يتلألأ وجهه تلألؤ القمر شثن الكفين مسيح القدمين واسع الصدر من لبته الى سرته شعر يجرى كالقضيب ليس فى بطنه ولا صدره شعر غيره أشعر الذراعين والمنكبين لم يبلغ شيبه فى رأسه ولحيته عشرين شعرة فخم الكراديس أنور المتجرد اذا مشى كأنما ينحط من صبب واذا التفت التفت جميعا بين كتفيه خاتم النبوة كأنه زر حجلة أو بيض حمامة لونه كلون جسده أبلج الوجه حسن الخلق وسيما قسيما فى جبينه زجج وفى عينيه دعج وفى عنقه سطع وفى لحيته كثافة ان صمت فعليه الوقار وان تكلم سما وعلاه البهاء أجمل الناس وأبهاهم من بعيد وأحسنهم وأكملهم من قريب كأنما منطقه خرزات نظم يتحدرن قال أنس رضى الله عنه ما رأيت من ذى لمة سوداء فى حلة حمراء أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومدحه صلى الله عليه وسلم حسان بن ثابت رضى الله عنه فقال

وأحسن منك لم ترقط عينى * وأجمل منك لم تلد النساء

خلقت مبرأ من كل عيب * كأنك قد خلقت كما تشاء

اللهم صل وسلم عليه واجعله شفيعا لمن يصلى عليه وقال صلى الله عليه وسلم ما حسن الله خلق عبد وخلقه الا استحيا ان يطعم لحمه النار وقد كان المتوكل رحمه الله من أحسن الخلفاء العباسية وجها وأبهاهم منظرا وكان مصعب بن الزبير من أحسن الناس وجها (حكى) انه كان جالسا بفناء داره يوما بالبصرة اذ جاءت امرأة فوقفت تنظر اليه فقال لها ما وقوفك يرحمك الله فقالت طفئ مصباحنا فجئنا نقتبس من وجهك مصباحا وقيل لاعرابية ظريفة ما بال شفتيك مشققة فقالت ان التين اذا حلا انشقق والورد يتشقق اذا مسه الندى وكانت لبابة بنت عبد الله بن عباس رضى الله تعالى عنهم من أجمل الناس وجها وكانت عند الوليد بن عتبة بن أبى سفيان فكانت تقول ما نظرت وجهى فى مرآة مع انسان الا رحمته من حسن وجهى الا الوليد فكنت اذا نظرت الى وجهى مع وجهه رحمت وجهى من حسن وجهه قال الشاعر

ولو أنها فى عهد يوسف قطعت * قلوب رجال لا أكف نساء

(وقال كثير) لو أن عزة حاكمت شمس الضحى * فى الحسن عند موفق لقضى لها

فسار أبو بكر رضى الله عنه الى المسجد وبعث الى مولاها فاشتراها منه وبعث بها الى محمد بن القاسم بن جعفر بن أبى طالب عفى عنه (ومن مناقب الامام عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه) فى فتح بيت المقدس ان المسلمين تكامل لهم فتوح الشام فأقاموا على دمشق شهرا فجمع أبو عبيدة أمراء المسلمين واستشارهم فى المسير الى قسارية أو الى بيت المقدس فقال له معاذ بن جبل أيها الأمير اكتب الى أمير المؤمنين عمر فحيث أمرك امتثله قال له أصبت الرأى يا معاذ ثم كتب الى أمير المؤمنين عمر يعلمه بذلك وأرسل الكتاب مع عرفجة بن ناصح النخعى فسار حتى وصل المدينة فسلم الكتاب الى عمر رضى الله عنه فقرأه على المسلمين واستشارهم فقال على رضى الله تعالى عنه يا أمير المؤمنين مر صاحبك ينزل بجيوش المسلمين الى بيت المقدس فاذا فتح الله بيت المقدس صرف وجهه الى قسارية فانها تفتح بعدها ان شاء الله تعالى كذا أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عمر صدق المصطفى صلى الله عليه وسلم وصدقت أنت يا أبا الحسن ثم دعا بدواة وبياض وكتب بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر الى عامله بالشام أبى عبيدة أما بعد فانى أحمد الله الذى لا اله الا هو وأصلى على نبيه وقد وصلنى كتابك تستشيرنى الى أى ناحية تتوجه وقد أشار ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمسير الى بيت المقدس فان الله يفتحها على يديك والسلام فلما وصل الكتاب الى أبى عبيدة قرأه على المسلمين ففرحوا بالمسير الى بيت المقدس وتقدمه الجيش الى بيت المقدس وأقام المسلمون فى القتال عشرة أيام وأهل بيت المقدس يظهرون الفرح لعدم الخوف فلما كان فى يوم

﴿ومما جاء فى محاسن الخلق منظوما على الترتيب من الفرق الى القدم﴾

(ماقيل فى الشعر) كان يقال من تزوج امرأة أو اتخذ جارية فليتحسن من شعرها فان الشعر الحسن أحد الوجهين قال بكر بن النطاح

بيضاء تسحب من قيام شعرها * وتغيب فيه وهو وجه أسحم
فكأنها فيه نهار ساطع * وكأنه ليل عليها مظلم

(وللمتنبى) نشرت ثلاث ذوائب من شعرها * فى ليلة فأرت ليالى أربعا
واستقبلت قمر السماء بوجهها * فأرتنى القمرين فى وقت معا

(وله أيضا) لبسن الوشى لا متجملات * ولكن كى يصن به الجمالا
وضفرن الغدائر لا لحسن * ولكن خفن فى الشعر الضلالا

(وقال الصفدى) لولا شفاعة شعره فى صبه * ما كان زار ولا أزال سقاما
لكن تنازل فى الشفاعة عنده * فغدا على أقدامه يترامى

(وقال ابن الصائغ) ثنى غصنا ومد عليه فرعا * كحظى حين أطلب منه وصلا
و بليله على الارداف منه * فلم أر مثل ذاك الفرع أصلا

(وقال آخر) أرخى ثلاثا يوم حمامه * ذوائبا تعبق منها الغوالى
فقلت والقصد ذوائبه * واسهرى فى ذى الليالى الطوال

(وقال آخر) بدت ثريا قرطها وشعرها * متصل بكعبها كما ترى
يا عجبا لشعرها لما ابتدى * من الثريا فانتهى الى الثرى

(وقال ابن المعتز) توارت عن الواشى بليل ذوائب * لها من محياها واضح تحته فجر
يغطى عليها شعرها بظلامه * وفى الليلة الظلماء يفتقد البدر

﴿ومما قيل فى الاصداغ﴾

(قال ابن المعتز) ريم يتيه بحسن صورته * عبث النعاس بلحظ مقلته
وكأن عقرب صدغه وقفت * لما دنت من ورد وجنته

(وقال العادلى) وعهدى بالعقارب حين تشتو * يخفف لدغها ويقل ضرا
فما بال الشتاء أتى وهذى * عقارب صدغها تزداد شرا

(وقال آخر) وما ضره نار بخديه ألهبت * ولكن بها قلب المحب يعذب
عناقيد صدغيه بخديه تلتوى * وأمواج ردفيه بخصريه تلعب
شربت الهوى صرفا زلالا وانما * لواحظه تسقى وقلبى يشرب

(وقال آخر) حل القبا ولوى صدغيه فانعقدا * واحيرتى بين محلول ومعقود
وأسكرتنى ثناياه وريقته * هل هذه الخمر من تلك العناقيد

(ومما قيل فى مدح العذار) قال أبو فراس بن حمدان

يا من يلوم على هواه جهالة * انظر الى تلك السوالف تعذر
حسنت وطاب نسيمها فكأنها * مسك تساقط فوق خد أحمر

(وقال محمد بن وهب)

صدودك والهوى هتكا استتارى * وساعدنى البكاء على اشتهارى
وكم أبصرت من حسن ولكن * عليك لشقوتى وقع اختيارى
ولم أخلع عذارا فيك الا * لما عاينت من خلع العذار

(وقال آخر) ومعذر رقت حواشى خده * فقلوبنا وجدا عليه رقاق
لم يكس عارضه السواد وانما * نفضت عليه سوادها الاحداق

(وقال آخر) ومهفهف راقت نضارة وجهه * والعين تنظر منه أحسن منظر

الحادى عشر أشرفت عليهم راية أبى عبيدة وخالد عن يمينه وعبد الرحمن بن أبى بكر الصديق عن يساره فضج الناس ضجة عظيمة بالتهليل والتكبير فوقع الرعب فى أهل بيت المقدس فاجتمعوا بقمامة وهى البيعة المعظمة عندهم فلما وقفوا بين يدى البطرك قال لهم ماهذه الضجة التى أسمع قالوا يا أبانا قد قدم أمير المؤمنين ببقية المسلمين فلما سمع البطرك منهم ذلك انخطف لونه وتغير وجهه وقال انا وجدنا فى علمنا الذى ورثناه ان الذى يفتح الارض هو الرجل الأحمر صاحب نبيهم محمد فان كان قدم عليكم فلا سبيل الى قتاله ولابد ان أشرف عليه وأنظر الى صفته فان كان هو أجبته الى ما يريد وان كان غيره فلا بأس عليكم ثم وثب قائما والقسس والرهبان والشمامسة من حوله وقد رفعوا الصلبان على رأسه فصعدوا الى السور الى أن ورد أبو عبيدة رضى الله عنه فناداهم رجل من الروم باذن البطرك يامعاشر المسلمين كفوا عن القتال حتى نسألكم فأمسك المسلمون عنهم فناداهم الرجل بلسان عربى اعلموا ان الرجل الذى يفتح بلدنا هذه وجميع الارض صفته عندنا فان كانت فى أميركم لم نقاتلكم بل نسلم اليكم وان لم تكن هذه صفته فلا نسلم اليكم أبدا فاعلم المسلمون أبا عبيدة بذلك فخرج أبو عبيدة اليهم الى أن حاذاهم فنظر البطرك وحقق صورته فقال ليس هو الرجل فابشروا وقاتلوا عن دينكم وحريمكم وكان نزول المسلمين على بيت المقدس فى فصل الشتاء والبرد فأقاموا عليها أربعة أشهر فى أشد قتال مع الصبر على المطر والثلج فلما نظر أهل بيت المقدس الى شدة الحصار فى ذلك الفصل الصعب وما نزل بهم من المسلمين وقفوا بين يدى البطرك

أصلى بنار الخد عنبر خاله * فبدا العذار دخان ذاك العنبر

(وقال آخر)
أصبحت سلطان القلوب ملاحة * وجمال وجهك للبرية عسكر
طلعت طلائع وجنتيك مغيرة * بالنصر يقدمها اللواء الاخضر

(وقال آخر)
ياذا الذى خط العذار بخده * خطين هاجا لوعة وبلابلا
ما صح عندى ان لحظك صارم * حتى حملت بعارضيك حمائلا

(وقال آخر)
من لا رأى كعبة الحسن التى حرست * بالنمل حيث مقام الخال فى فمه
فلينظر النمل أضحى فوق عارضه * يطوف سبعا وسبعا حول مبسمه

(وقال بدر الدين الدمامينى)
يحدث ليل عارضه بأنى * سأسلوه وينصرم المزار
فأشرق صبح غرته ينادى * حديث الليل يمحوه النهار

(وقال آخر)
وقالوا اتسلى فقد شانه * عذار أراحك من صده
فقلت وهمتم ولكننى * خلعت العذار على خده

(سيدى أبو الفضل بن أبى الوفاء)
على وجنتيه جنة ذات بهجة * ترى لعيون الناس فيها ازدحاما
حمى ورد خديه حماة عذاره * فياحسن ريحان العذار حماحمى

(وقال ابن نباتة)
وبمهجتى رشأ يميس قوامه * فكأنه نشوان من شفتيه
شغف العذار بخده ورآه قد * نعست لواحظه فدب عليه

(وقال الموصلى)
لحديث نبت العارضين حلاوة * وطلاوة هامت بها العشاق
فاذا نهانى المرء قلت ترفقوا * فاليكم هذا الحديث يساق

(وقال آخر)
أصبحت مكسورا بسهم لحاظه * ومقيدا من صدغه بلسانه
حتى بدا سيف العذار مجرّدا * فخشيت يقتلنى وذا من شانه

(وقال آخر)
ياصاح قد حضر المدام ومنيتى * وحظيت بعد الهجر بالايناس
وكسا العذار الخد حسنا فاسقنى * واجعل حديثك كله فى الكاس

(ابن نباتة)
وضعت سلاح الصبر عنه فماله * يغازل بالالحاظ من لا يغازله
وسال عذار فوق خديه سائل * على خده فليتق الله سائله

(ومما قيل فى ذم العذار) قال الشاعر
خدا لما التحى ليلا بهيما * وكان كأنه قمر منير
وقد كتب السواد بعارضيه * لمن يقرأ وجاءكم النذير

(آخر فى ذمه)
قلت لأصحابى وقد مربى * منتقبا بعد الضيا بالظلم
بالله يا أهل ودى قفوا * ثم انظروا كيف زوال النعم

(وقال آخر)
مازال ينتف ريحانا بعارضه * حتى استطال عليه صار يحلقه
كأنما طور سينا فوق عارضه * طول الزمان فموسى لا يفارقه

(وقال آخر)
مازال يحلف لى بكل ألية * أن لا يزال مدى الزمان مصاحبى
لما جنى نزل العذار بخده * فتعجبوا لسواد وجه الكاذب

(ابن المعتز)
يارب ان لم يكن فى وصله طمع * ولم يكن فرج من طول جفوته
فاشف السقام الذى فى لحظ مقلته * واستر ملاحة خديه بلحيته

(ومما قيل فى الجبين والحواجب) خالد الكاتب
هما من ظباء الرمل عين مريضة * ومن ناضر الريحان خضرة حاجب
ومن يانع الاغصان قد وقامة * ومن حالك الحبر اسوداد الذوائب

وقالوا له قد عظم الأمر ولم يدمنك أن تشرف على القوم وتسال ما الذى يريدون فان كان أمرا صعبا فتحنا الأبواب وخرجنا اليهم فاما نقتل عن آخرنا أو نهزمهم عنا فأجابهم البطرك الى ذلك وصعد السور واجتمع القسيسون والرهبان حوله ونادى منهم رجل بالعربى وقال يامعشر الفرسان عمدة دين النصرانية قد أقبل يخاطبكم فليدن منا أميركم فقام أبو عبيدة يمشى ومعه جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وترجمان فلما وقف بازائهم قال ما الذى تريدون هذا أمير العرب فقال البطرك انكم لو أقمتم علينا عشرين سنة لم تصلوا الى فتح بلدتنا أبدا وانما يفتحه رجل موصوف وليست الصفة معكم قال أبو عبيدة وما صفة من يفتح بلدكم قال البطرك لا نخبركم بصفته ولكن قرأنا ان هذا البلد يفتحه صاحب لمحمد اسمه عمر بن الخطاب و يعرف بالفاروق وهو رجل شديد لا تأخذه فى الله لومة لائم ولسنا نرى صفته فيكم فلما سمع أبو عبيدة كلام البطرك تبسم وقال فتحنا البلد ورب الكعبة ثم أقبل على البطرك وقال ان رأيت الرجل تعرفه قال نعم وكيف لا أعرفه وصفته عندنا قال أبو عبيدة هو والله خليفتنا وصاحب نبينا صلى الله عليه وسلم قال البطرك فاذا كان الامر على ما ذكرتم فاحقن الدماء وابعث الى صاحبك يأتى فاذا رأيناه وتبينا نعته فتحنا له البلد وأعطيناه الجزية فانصرف أبو عبيدة وأمر الناس بالكف عن القتال وأعلمهم بالخبر فكبروا وكتب أبو عبيدة الى الامام عمر رضى الله عنه يعلمه بالخبر على يد ميسرة بن مسروق فلما وصل الكتاب الى عمر رضى الله عنه فرح وقرأه على المسلمين وقال ما ترون رحمكم الله

(وقال آخر) غزاني الهوى في جيشه وجنوده * وهب على الجيش من كل جانب
ميسرة أجنادها أعين المها * وميمنة تقضي بزج الحواجب

(وقال آخر) أيا قمرا تبسم عن اقاح * ويا غصنا يميل مع الرياح
جبينك والمقبل والثنايا * صباح في صباح في صباح

(ومما قيل في العيون) قال الاصمعي ماوصف أحد العيون بمثل ماوصف أحمد بن الرقاع في قوله
وكأنها دون النساء أعارها * عينيه أحور من جآذر جاسم
وسنان أقصده النعاس فرنقت * في جفنه سنة وليس بنائم

(وقال ابن المعتز) عليم بما تحت العيون من الهوى * سريع بكسر اللحظ والقلب جازع
فيجرح أحشائي بعين مريضة * كما لان متن السيف والحد قاطع

(وقال الأخطل) ولا تلمم بدار بني كليب * ولا تقرب لها أبدا رحالا
ترى فيها بوارق مرهفات * يكدن يكدن بالحدق الرجالا

(وقال أبو فراس وأحسن) وبيض بألحاظ العيون كأنما * هززن سيوفا واستللن خناجرا
تصدين لي يوما بمنعرج اللوى * فغادرن قلبي بالتصبر غادرا
سفرن بدورا وانتقبن أهلة * ومسن غصونا والتفتن جآذرا

(وقال آخر) ومريض جفن ليس يصرف طرفه * نحو امرئ الارماه بحتفه
قد قلت اذ أبصرته متمايلا * والردف يجذب خصره من خلفه
يا من يسلم خصره من ردفه * سلم فؤاد محبه من طرفه

(وقال أبو هتان) أخود نفر رمته فاقصدته * سهام من جفونك لا تطيش
فواتك لا يقال سوى احورار * بهن ولا سوى الاهداب ريش
أصبن فؤاد مهجته فأضحى * سقيما لا يموت ولا يعيش
كئيبا ان ترحل عنه جيش * من البلوى أناخ به جيوش

(وقال آخر) وجاؤا اليه بالتعاويذ والرقى * فصبوا عليه الماء من شدة النكس
وقالوا به من أعين الجن نظرة * ولو أنصفوا قالوا به أعين الانس

(عز الدين الموصلي) لها عين لها غزو وغزل * مكحلة ولي عين تباكت
وحاكت في فعائلها المواضي * فيالك مقلة غزلت وحاكت

(برهان الدين القيراطي)

شبه السيف والسنان بعيني * من أقتلي بين الأنام استحلا
فأتى السيف والسنان وقالا * حد نادون ذاك حاشى وكلا

(وله أيضا) بأبي أهيف المعاطف لدن * حسد الاسمر المثقف قده
ذو جفون مذ رمت منها كلاما * كلمتني سيوفهن بحده

(بدر الدين بن حبيب) عيناه قد شهدت باني مخطئ * وأتت بخط عذاره تذكارا
يا حاكم الحب اتئد في قتلتي * فالخط زور والشهود سكارى

(جلال الدين بن خطيب داريا)

شهدت جفون معذبي بملالة * مني وأن وداده تكليف
لكنني لم أنا عنه لانه * خبر رواه الجفن وهو ضعيف

(وقال الشيخ عز الدين الموصلي)

يا مقلة الحب مهلا * فقد أخذت بثارك * وأنت يا وجنتيه * لا تحرقيني بنارك

(وقال ابن الصائغ) لمثلي من لواحظها سهام * لها في القلب فتك أى فتك

اذا

فيما كتب الينا أمين الامة فكان أول من تكلم عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه فقال يا أمير المؤمنين ان الله قد أذل الروم فانك ان أقمت ولم تسر اليهم علموا انك بأمرهم مستخف فلا يثبتون الا يسيرا فلما سمع عمر ذلك من عثمان جزاه خيرا وقال هل عند أحد منكم رأى غير هذا فقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه نعم عندي غير هذا الرأى وأنا أبديه اليك رحمك الله فقال له عمر وما هو يا أبا الحسن قال ان القوم قد سألوك وفي سؤالهم ذل وهو على المسلمين فتح وقد أصابهم جهد عظيم البرد والقتال وطول المقام وان سرت اليهم فتح الله على يديك هذه المدينة وكان لك في مسيرك الاجر العظيم ولست آمن منهم أنهم اذا أيسوا منك أن يأتيهم المدد من طاغيتهم فيحصل للمسلمين بذلك الضرر والصواب أن تسير اليهم ففرح عمر بمشورة علي وقال لقد أحسن عثمان النظر في المكيدة للعدو وعلي أحسن النظر للمسلمين جزاهما الله خيرا ولست آخذا الا بمشورة علي فما عرفناه الا محمود المشورة ميمون الطلعة ثم ان عمر أمر الناس أن يأخذوا الاهبة للسير معه واستخلف على المدينة علي بن أبي طالب وخرج من المدينة وهو على بعير له أحمر عليه غرارتان في احداهما سويق وفي الأخرى تمر وبين يديه قربة وخلفه جفنة للزاد وسار الى أن أقبل على بيت المقدس فالتقاه أبو عبيدة فلما رآه أناخ قلوصه وأناخ عمر بعيره وترجلا ومد أبو عبيدة يده وصافح عمر وتعانقا وسلم كل منهما على صاحبه وأقبل المسلمون يسلمون على عمر ثم ركبوا جميعا الى أن نزلوا فصلى عمر بالمسلمين صلاة الفجر ثم خطبهم فلما فرغ من خطبته جلس وأبو عبيدة يحدثه بما لقي من الروم الى أن حضرت صلاة الظهر أذن بلال

اذا رامت تشك به فؤادا * يموت المستهام بغير شك

(وقال الصلاح الصفدى)

ياعاذلى على عين محجبة * خف سحر ناظرها فالسحر فيه خفى
وخذ فؤادى ودعه نصب مقلتها * لاترم نفسك بين السهم والهدف

(وقال آخر) بسهم أجفانه رمانى * فذبت من هجره وبينه
ان مت مالى سواه خصم * لانه قاتلى بعينه

(وقال آخر) سهام الجفن كم قتلت انفس * مبرأة من السلوى زكيه
فما أقوى جفونك وهى مرضى * وأقدرها على قتل البريه

(وممـا قيل فى الخال) للصلاح الصفدى

بروحى خده المحمر أضحى * عليه شامة شرط المحبة
كأن الحسن يعشقه قديما * فنقطه بدينار وحبه

(ولابن الصائغ) بروحى أفدى خاله فوق خده * ومن أنا فى الدنيا فأفديه بالمال
تبارك من أخلى من الشعر خده * وأسكن كل الحسن فى ذلك الخال

(وللشيخ جمال الدين بن نباتة)

لله خال على خد الحبيب له * فى العاشقين كما شاء الهوى عبث
أورثته حبة القلب القتيل به * وكان عهدى بان الخال لا يرث

(وقال آخر) ياسالبا قمر السماء جماله * ألبستنى فى الحزن ثوب سمائه
أحرقت قلبى فارتمى بشرارة * علقت بخدك فانطفت فى مائه

(للشيخ تقى الدين بن حجة)

قلت للخال اذ بدا * فى نقا جيده السعيد فزت ياعبد قال لى * أنا عبد لكل جيد

(وقال ابن أيبك) فى الجانب الايمن من خدها * نقطة مسك أشتهى شمها
حسبته لما بدا خالها * وجدته من حسنها عمها

(وقال الحسين بن الضحاك)

ياصائد الطير كم ذا * باللحظ تضنى وتسبى نصبت نقطة خال * فصدت طائر قلبى

(وممـا قيل فى الخدود) قال ابن المعتز

سل بخدى خديك تلق عجيبا * من معان يحارفيها الضمير
فبخديك للربيع رياض * وبخدى للدموع غدير

(وقال آخر) ورد الخدود ونرجس اللحظات * وتصافح الشفتين فى الخلوات
شئ أسر به وأعلم أنه * وحياته أحلى من اللذات

(وممـا قيل فى الثغور) قال يوسف بن مسعود الصواف

بروحى من ولى فولى بمهجتى * وولى منامى وهو كالوصل شارد
حمى ثغره منى بسيف لحاظه * وحتام يحمى ثغره وهو بارد

(وقال آخر) أنفقت كنز مدامعى فى ثغره * وجمعت فيه كل معنى شارد
وطلبت منه جزاء ذلك قبلة * فمضى وراح تغزلى فى البارد

(وقال آخر) رأى ثغر من أهوى عذولى فقال لى * ولم يدر أن اللوم فى خده يغرى
شغلت بهذا وارتبطت بحسنه * وأحسن ما كان الرباط على ثغر

(وقال ابن ريان) لاحت على مبسمه المشتهى * ثلاث شامات غدت فى التمام
لاتعجبوا ان كثرت حوله * فالمنهل العذب كثير الزحام

(وممـا قيل فى طيب الريق والنكهة) قال ذو الرمة

فى ذلك اليوم فلما قال الله أكبر خشعت جوارحهم واقشعرت أبدانهم فلما قال أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله بكى الناس بكاء شديدا عند ذكر الله وذكر رسوله وكاد بلال أن يقطع الاذان فلما فرغ الاذان صلى عمر وجلس ثم أمرهم بالركوب فلما هم بالركوب على بعيره وعليه مرقعة الصوف وفيها أربع عشرة رقعة بعضها من أدم قال المسلمون يا أمير المؤمنين لو ركبت غير بعيرك جوادا ولبست ثيابا بيضا كان ذلك أعظم لهيبتك فى قلوب أعدائك وأقبلوا يسألونه ويتلطفون به الى أن أجابهم الى ذلك ونزع مرقعته ولبس ثيابا بيضا قال الزبير أحسبها كانت من ثياب مصر تساوى خمسة عشر درهما وطرح على كتفيه منديلا من الكتان دفعه اليه أبو عبيدة وقدم له برذونا أشهب من براذين الروم فلما صار عمر فوقه جعل البرذون يهملج به فلما نظر عمر الى ذلك نزل مسرعا وقال أقيلونى عثرتى أقالكم الله عثراتكم يوم القيامة لقد كاد أميركم يهلك مما داخله من الكبر ثم انه نزع البياض وعاد الى لبس مرقعته وركوب بعيره فعلت ضجة المسلمين بالتهليل والتكبير فقال البطرك للروم انظروا ماشأن العرب فاشرف رجل من المتنصرة فقال يامعاشر العرب ماقضيتكم فقالوا ان عمر بن الخطاب قد قدم علينا من مدينة نبينا صلى الله عليه وسلم فرجع المتنصر وأعلم البطرك فاطرق ولم يتكلم فلما كان من الغد صلى عمر بالمسلمين صلاة الفجر ثم قال لابى عبيدة تقدم الى القوم وأعلمهم أنى قد أتيت فخرج أبو عبيدة وصاح بهم وقال ان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب قد أتى فما تصنعون فيما قلتم فاعلم البطرك بذلك فخرج من قمامة وعليه المسوح ومن حوله

أسيلة مجرى الدمع هيفاء طفلة * عروب كايماض الغمام ابتسامها
كأن على فيها وما ذقت طعمه * زجاجة خمر طاب فيها مدامها

(وقال شهاب الدين الكردى)

ذكرت ريح حبيبى * بشرب راح تعطر وليس ذا بعجيب * فالشئ بالشئ يذكر

(غيره) رشفت ريقك حلوا * ولم يكن لى صبر وسوف أحظى بوصل * فأول الغيث قطر

(الصلاح الصفدى) نقل الاراك بأن ريقة ثغره * من قهوة ممزوجة بماء الكوثر
قد صح ما نقل الاراك لانه * يرويه نصا عن صحاح الجوهرى

(وقال آخر) ثلاث تجمعن فى ثغرها * ملاح أدلتها واضحه
فان قيل ماهى قل لى أقل * هى الطعم واللون والرائحه

(وقال آخر) يارب ممتنع الوصال محجب * بستوره كالبدر بين غيومه
دارت مراشفه على وكأسه * فسكرت فى الحالين من خرطومه

(وقال آخر) أريقا من رضا بك أم رحيقا * رشفت فكدت منه لن أفيقا
وللصهباء أسماء ولكن * جهلت بأن فى الاسماء ريقا

(ومما قيل فى حسن الحديث) قال البحترى

ولما التقينا والنقا موعد لنا * تعجب رائى الدر حسنا ولاقطه
فمن لؤلؤ تجلوه عند ابتسامها * ومن لؤلؤ عند الحديث تساقطه

(وقال سلم الخاسر) ظللنا فبتنا عند أم محمد * بيوم ولم نشرب شرابا ولا خمرا
اذا صمتت عنا ضجرنا لصمتها * وان نطقت هاجت لالبابنا سكرا

(وقال ابن الرومى) يمسى ويصبح مرضا فكأنه * ملك تزين قاهر سلطانه
ليست اساءته بناقصة له * در يساقطه الى انسانه

(وما أحسن هذه الابيات) وهى من طارف الشعر ووافره وناقده وجيد الكلام وبارع الوصف

وكل حديث الناس الا حديثها * رجيع وفيما حدثتك الطرائف * جرحن باعناق الظباء وأعين الـ
ـجآذر وارتجت بهن الروادف * رجحن بأرداف ثقال وأسوق * جزال وأعضاء عليها المطارف

(ومما قيل فى رقة البشرة) قال ابن المعتز

نضت عنها القميص لصب ماء * فورد خدها فرط الحياء * وقابلت الهواء وقد تعرت
بمعتدل أرق من الهواء * ومدت راحة كالماء منها * الى ماء معتد فى اناء
فلما أن قضت وطرا وهمت * على عجل الى أخذ الرداء * رأت شخص الرقيب على تدان
فأسبلت الظلام على الضياء * فغاب الصبح منها تحت ليل * وظل الماء يقطر فوق ماء

(وقال آخر) تغير عن مودته وحالا * وكان مواصلا فطوى الوصالا
وعلمنا التدلل كيف هجرى * فليت الوصل كان له دلالا * ترى من فوق حقو يه قضيبا
اذا حركته خطاه مالا * اذا كلمته أثرت فيه * وان حركته فالخرسالا

(وقال بشار) وما ظفرت عينى غداة لقيتها * بشئ سوى أطرافها والمحاجر
كحوراء من حور الجنان غريرة * يرى وجهه فى وجهها كل ناظر

(ومنه أخذ أبو نواس قوله)

نظرت الى وجهه نظرة * فأبصرت وجهى فى وجهه

(وقال آخر) توهمه قلبى فأصبح خده * وفيه مكان الوهم من نظرى أثر
ومر بفكرى جسمه فجرحته * ولم أر جسما قط تجرحه الفكر

(وقال آخر) سقى الله روضا قد تبدى لناظر * به شادن كالغصن يلهو ويمرح
وقد نضحت خداه من ماء ورده * وكل اناء بالذى فيه ينضح

(وقال

الرهبان والقسس ثم علا السور وأشرف على أبى عبيدة وقال ماهذا أيها الشيخ قال أبو عبيدة هذا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فقال البطرك قل له يدنو منى فانا نعرفه بصفاته ونعته وأفردوه من بينكم حتى نراه فرجع أبو عبيدة الى عمر فأخبره بما قال البطرك فهم عمر بالقيام فقال له أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم نخشى عليك من الانفراد بلا عدة فقال عمر قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون ثم لبس مرقعته وركب بعيره وأبو عبيدة سائر بين يديه الى أن أتى بازاء البطرك قريبا من الحصن فقال أبو عبيدة هذا أمير المؤمنين فمد البطرك عنقه ونظر اليه فزعق زعقة وقال هذا والله الذى صفته ونعته فى كتبنا ثم قال يا أهل بيت المقدس انزلوا اليه وخذوا منه الامان والذمة فهذا والله صاحب محمد بن عبد الله فنزلوا مسرعين وكانت أنفسهم قد ضاقت من شدة الحصار وفتحوا الباب وخرجوا الى عمر يسألونه العهد فلما رآهم عمر رضى الله عنه فى تلك الحالة تواضع لله سبحانه وتعالى وخر ساجدا على قتب بعيره ثم أقبل عليهم وقال ارجعوا الى بلدكم ولكم العهد فرجع القوم الى البلد ولم يغلقوا الباب ورجع عمر فلما كان من الغد وهو يوم الاثنين دخل اليها وأقام بها الى يوم الجمعة وخط بها محرابا وهو موضع مسجده وتقدم وصلى بالمسلمين صلاة الجمعة وأقام فى بيت المقدس عشرة أيام وبها أسلم كعب الاحبار على يده وارتحل معه الى المدينة لزيارة قبر النبى صلى الله عليه وسلم وذلك بعد أن كتب الامام عمر لاهل بيت المقدس وأقرهم فى بلدهم على عهدهم واداء الجزية

(ومن شهى المجتنى من ثمرات الاوراق) ما نقله أبو

(وقال آخر) وأهيف قده كسي احمرارا * وحاز الحسن فهو بلا شبيه
فلو أخجلته بالقول جهدي * لحمرة خده ما بان فيه

(وما قيل في التقبيل) لظافر الأعمى
قبلته فتلظى جمر وجنته * وفاح من عارضيه العنبر العبق
وحال بينهما ماء ولا عجب * لا ينطفي ذا ولا ذا منه يحترق

(وقال آخر) سألته في ثغره قبلة * فقال ثغري لم يجز لثمه
فها كها في الخد واقنع بها * ما قارب الشيء له حكمه

(وقال صاحب حماة) قال الذي تيمني * قولوا لمن خبلته يروم مني قبلة * لو مات ما قبلته

(الشيخ عز الدين الموصلي) كالزرد المنظوم أصداغه * وخده كالورد لما ورد
بالغت في اللثم وقبلته * في الخد تقبيلا يفك الزرد

(وقال آخر) رأيت الهلال على وجهه * فلم أدر أيهما أنور * سوى أن ذاك بعيد المزار
وهذا قريب ان ينظر * وذاك يغيب وذا حاضر * وما من يغيب كمن يحضر
ونفع الهلال قليل لنا * ونفع الحبيب لنا أكثر

(وقال ابن صابر) قبلت وجنته فالفت جيده * خجلا ومال بعطفه المياس
فانهل من خديه فوق عذاره * عرق يحاكي الطل فوق الآس
فكأنني استقطرت ورد خدوده * بتصاعد الزفرات من أنفاسي

(وقال آخر)
قبلت رجلي حبيبي * فاز وراح رشدا وقال تلثم رجلي * لقد تجاوزت حدا
فقلت ما جئت بدعا * ولا تجاوزت حدا رجل سعت بك نحوي * حقوقها لا تؤدى

(وما قيل في الوجه الحسن) ابن نباتة
انسية في مثال الجن تحسبها * شمسا بدت بين تشريق وتغييم
شقت لها الشمس ثوبا من محاسنها * فالوجه للشمس والعينان للريم

(عبد الله بن أبي خبيص) تصد من غير علة * بالعز أضحت مدله
كأنها حين تدنو * شمس عليها مظله وان أضاءت بليل * تفوق نور الاهله

(وقال آخر) أقسم بالله وآياته * ما نظرت عيني الى مثله
ولا بدا وجهه طالعا * الا سألت الله من فضله

(وقال آخر) أقيمي مكان البدر ان أفل البدر * وقومي مقام الشمس قد أنها الفجر
ففيك من الشمس المنيرة نورها * وليس لها منك التبسم والثغر

(عمر بن ربيعة) ذات حسن ان تغب شمس الضحى * فلنا من وجهها عنها خلف
أجمع الناس على تفضيلها * وهواهم في سوى هذا اختلف

(أخذ أبو تمام هذا المعنى فرده الى المدح فقال)
لو أن اجماعنا في فضل سودده * في الدين لم يختلف في الامة اثنان

(وقال آخر) يا مفردا في الحسن والشكل * من دل عينيك على قتلي
البدر من شمس الضحى نوره * والشمس من نورك تستملي

(وقال آخر) في أربع مني حلت منك أربع * فما أنا أدري أيها هاج لي كربي
أوجهك في عيني أم الريق في في * أم النطق في سمعي أم الحب في قلبي

فلما سمعه اسحق بن يعقوب الكندي قال هذا تقسيم فلسفي وجعله العلوي خمسة فقال
وفي خمسة مني حلت منك خمسة * فريقك منها في في طيب الرشف
ووجهك في عيني ولمسك في يدي * ونطقك في سمعي وعرفك في أنفي

الحسن علي بن عبد المحسن التنوخي في المستجاد ان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه لما بات على فراش النبي صلى الله عليه وسلم ليفديه بنفسه أوحى الله تعالى الى جبريل وميكائيل عليهما السلام اني آخيت بينكما وجعلت عمر أحدكما أطول من الآخر فايكما يؤثر صاحبه بالحياة فاختار كل منهما الحياة فأوحى الله اليهما أفلا كنتما مثل علي بن أبي طالب آخيت بينه وبين نبيي محمد فبات على فراشه يفديه بنفسه ويؤثره الحياة اهبطا الى الارض واحفظاه من عدوه فكان جبريل عند رأسه وميكائيل عند رجليه وجبريل ينادي بخ بخ من مثلك يا ابن أبي طالب يباهي الله بك الملائكة فأنزل الله تعالى ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رؤف بالعباد (قال أبو الحسن المدائني) خرج الحسن والحسين عليهما السلام وعبد الله ابن جعفر رضي الله عنه حجاجا ففاتتهم أثقالهم فجاعوا وعطشوا فمروا بعجوز في خباء لها فقال أحدهم هل من شراب قالت نعم فأناخوا اليها وليس لها الا شويهة فقالت احلبوها واشربوا لبنها ففعلوا فقالوا هل من طعام قالت لا الا هذه الشاة فليذبحها أحدكم حتى أهيء لكم ما تأكلون فقام اليها أحدهم فذبحها وكشطها ثم هيأت لهم طعاما فأكلوا وأقاموا حتى أبردوا فلما ارتحلوا قالوا نحن نفر من قريش نريد هذا الوجه فاذا رجعنا سالمين فألمي بنا فانا صانعون اليك خيرا فارتحلوا وأقبل زوجها فأخبرته بخبر القوم والشاة فغضب وقال ويحك تذبحين شاتي لقوم لا أعرفهم ثم تقولين نفر من قريش ثم بعد مدة ألجأتهم الحاجة الى دخول المدينة فدخلاها وجعلا ينقلان البعر ويعيشان بثمنه فمرت العجوز ببعض سكك المدينة

(ابن نباتة) أيها العاذل الغبي تأمل * من غدا في صفاته القلب ذائب
وتعجب لطرة وجبين * ان في الليل والنهار عجائب
(محمود المخزومي) رأيتك في الشمس المنيرة غدوة * فكنت على عيني أبهى من الشمس
لانك تزهو ان بدا الليل بهجة * وشمس الضحى ليست تضيء اذا تمسي
(وقال آخر) اذا احتجبت لم يكفك البدر وجهها * وتكفيك فقد البدر ان غرب البدر
وحسبك من خمر مذاق ريقها * ووالله ما من ريقها حسبك الخمر
(ومما قيل في البنان المخضب) قال ابن الرومي
وقفت وقفة بباب الطاق * ظبية من مخدرات العراق * بنت سبع وأربع وثلاث
أسرت قلب صبها المشتاق * قلت من أنت ياغزال فقالت * أنا من لطف صنعة الخلاق
لاترم وصلنا فهذا بنان * قد صبغناه من دم العشاق
(وقال الراضي بالله) قالوا الرحيل فانشبت أظفارها * في خدها وقد اعتلقت خطابها
فظننت ان بنانها من فضة * قطفت بنور بنفسج عنابها
(وقال آخر) لما اعتنقنا للوداع وأعربت * عبراتنا عنا بدمع ناطق
فرقن بين محاجر ومعاجر * وجمعن بين بنفسج وشقائق
(وقال آخر) ولما تلاقينا رأيت بنانها * مخضبة تحكي عصارة عندم
فقلت خضبت الكف بعدي أهكذا * يكون جزاء المستهام المتيم
فقالت واذكت في الحشى لاعج الجوى * مقالة من بالود لم يتبرم
بكيت دما يوم النوى فمسحته * بكفي فاحمرت بناني من دمي
(وقال آخر) دنوت عشية التوديع مني * ولي عينان بالدم يجريان
فلم يسحن اكراما جفوني * ولكن رمن تخضيب البنان
(ومما قيل في النحور) قال دعبل
أتاح لك الهوى بيضا حسانا * تباهي بالعيون وبالنحور
نظرت الى النحور فكدت تقضي * فكيف اذا نظرت الى الخصور
(ومما قيل في نعت النهود) قال العباس بن الاحنف
والله لو أن القلوب كقلبها * مارق للولد الضعيف الوالد
أجال الوشاح على قضيب زانه * تفاح صدر ماحوته ناهد
(وقال آخر) ومحبوبة عند الوداع رأيتها * تنشف دمعا بالرداء المسك
وتبكي حذار البين منها بدمعة * تسيل على الخدين في حسن مسلك
فتحسب مجرى الدمع من وجناتها * بقية طل فوق ورد معلك
وقد سفرت عن غرة بابلية * وصدر به نهد يحق مفلك
(عمر بن كلثوم) تراك اذا دخلت على خلاء * قد امتدت عيون الكاشحينا
ثديا مثل حق العاج رخصا * حصينا من أكف اللامسينا
(وقال آخر) بصدرها كوكبا در كأنهما * ركنان لم يدنسا من لمس مستلم
صانتهما بستور من غلائلها * فالناس في الحل والركنان في الحرم
(وقال آخر) صدور فوقهن حقاق عاج * ودر زانه حسن اتساق
تقول الناظرون اذا رأوه * أهذا الحلي من هذي الحقاق * وما تلك الحقاق سوى ثدي
جعلن من الحقاق على وفاق * نواهد لا يعد لهن عيب * سوى منع المحب من العناق
(وقال آخر) لقد فتكت عيون الغيد فينا * ببيض مرهفات وهي سود
وتطعننا القدود اذا التقينا * بسمر من أسنتها النهود

فاذا الحسن بن علي على باب داره فعرف العجوز وهي منكرة فبعث اليها غلامه فدعا بها فقال لها ياأمة الله أتعرفينني قالت لا قال أنا ضيفك بالامس يوم كذا وكذا قالت بابي أنت وأمي ثم اشترى لها من شاة الصدقة ألف شاة وأمر لها بالف دينار وبعث بها مع غلامه الى الحسين رضي الله عنهما فامر لها بمثل ذلك وبعث بها مع غلامه الى عبد الله بن جعفر رضي الله عنه فقال لها بكم وصلك الحسن والحسين قالت بالفي شاة وألفي دينار فقال لها لو بدأت بي لاتعبتهما في العطاء أعطوها عطيتهما فرجعت العجوز الى زوجها باربعة آلاف دينار وأربعة آلاف شاة (ومما يضارع هذه اللطائف) أنه جرى بين الحسين بن علي بن أبي طالب وبين أخيه محمد بن الحنفية رضي الله عنهما كلام فانصرفا متغاضبين فلما وصل محمد الى منزله أخذ رقعة وكتب فيها بسم الله الرحمن الرحيم من محمد ابن علي بن أبي طالب الى أخيه الحسين ابن علي بن أبي طالب * أما بعد فان لك شرفا لا أبلغه وفضلا لا أدركه فاذا قرأت رقعتي هذه فالبس رداءك ونعليك وسر الي فترضني واياك أن أكون سابقك الى الفضل الذي أنت أولى به مني والسلام فلما قرأ الحسين رضي الله عنه الرقعة لبس رداءه ونعليه ثم جاء الى أخيه محمد فترضاه (قال أبو الفرج الاصفهاني) حدثني أحمد بن محمد الجعدي ومحمد بن يحيي قالا حدثنا محمد بن زكريا العلائي قال حدثنا ابن عائشة قال حج هشام بن عبد الملك في خلافة أخيه الوليد ومعه رؤساء أهل الشام فطاف وجهد أن يستلم الحجر فلم يقدر من الازدحام فنصب له منبر وجلس عليه ينظر الى الناس فاقبل علي بن الحسين رضي الله عنهما وهو أحسن الناس وجها وأنظفهم ثوبا وأطيبهم رائحة فلما طاف بالبيت وبلغ الحجر

(ومما قيل في الارداف والخصور) قال ابن الرومي

وشربت كأس مدامة من كفها * مقرونة بمدامة من ثغرها
وتمايلت فضحكت من اردافها * عجبا ولكني بكيت لخصرها

(الطغبغا المحاربي) ردفه زاد في الثقالة حتى * أقعد الخصر والقوام السويا
نهض الخصر والقوام وقالا * فضعيفان يغلبان قويا

(وقال آخر) ياخصره كم جفا * تبدي وأنت نحيل * ياردفه ملت عني * ما أنت الا بخيل

(القيراطي) بدت روادف بدري * تحت الخفين لعيني * فقلت يابدر هذا * حقا خيال الحيني

(وقال آخر) أسائلها أين الوشاح وقد سرت * معطلة منه معطرة النشر
فقالت وأومت للسوار نحلته * الى معصمي لما تقلق في خصري

(وقال آخر) بيض وسمر مقلتاه وقده * بدر وليل وجنتاه وشعره
أقسى من الحجر الاصم فؤاده * وأرق من شكوى المتيم خصره

(وقال آخر) رخيمات المقال مدللات * جواعل في البرى قصبا خدالا
جمعن فخامة وخلوص جيد * وقدا بعد ذلك واعتدالا

(ومما قيل في المعاصم) قال عمر بن أبي ربيعة

حسروا الوجوه بأذرع ومعاصم * ونوا بنجل للقلوب كوالم
حسروا الاكمة عن سواعد فضة * فكأنما انتصبت متون صوارم

(ومما قيل في اعتدال القوام) قال صلاح الدين الصفدي

تقول له الاغصان مذ هز عطفه * أتزعم ان اللين عندك ماثوى
فقم نحتكم للروض عند نسيمه * ليقضي على من مال منا الى الهوى

(وقيل) ليس لاحد من شعراء العرب في نعت محاسن النساء من الاوصاف البارعة مع جودة السبك ورقة اللفظ مالذي الرمة حتى كأنه حضري من أهل المدن لا من أهل الوبر (وقال) القاضي مجد الدين بن مكانس

أقول لحبي قم ومل يامعذبي * كميلة خود غير السكر حالها
ولا تله عن شئ اذا ما حكيتها * فقام كغصن البان ايناد مالها

(وقال آخر)

ومحكم أعطافه * في قتل صب ما غوى * فاعجب لعادل قده * في النفس يحكم بالهوى

(وقال آخر) ومهفهف عني يميل ولم يمل * يوما الى فصحت من ألم الجوى
لم لا تميل الى ياغصن النقا * فأجاب كيف وأنت من أهل الهوى

(ومما قيل في الساق) قال ذو الرمة

لم أنسه اذ قام يكشف عامدا * عن ساقه كاللؤلؤ البراق
لا تعجبوا ان قام فيه قيامتي * ان القيامة يوم كشف الساق

(وقال آخر) جاءت بساق أبيض أملس * كاللؤلؤ يبدو لعشاقها
فافتتنت فيها جميع الورى * وقامت الحرب على ساقها

(وقال ابن منقذ) بدر ولكنه قريب * ظبي ولكنه أنيس
ان لم يكن قده قضيبا * فالاعطافه تميس

(ومما قيل في مشي النساء) قال بعضهم

يهززن للمشي أطرافا مخضبة * هز الشمال ضحى عيدان نسرين
أو كاهتزاز رديني تداوله * أيدي الرجال فزاد المتن في اللين

(وقال آخر) يمشين مشي قطا البطاح تأودا * قب البطون رواجح الاكفال
فكأنهن اذا أردن زيارة * يقلعن أرجلهن من أوحال

تهوى الناس كلهم اجلالا له فاستلم الحجر وحده فغاظ ذلك هشاما وبلغ منه فقال رجل من أهل الشام لهشام من هذا أصلح الله الامير قال لا أعرفه وكان به عارفا ولكن خاف من رغبة أهل الشام فقال الفرزدق وكان حاضرا أنا أعرفه ياشامي قال من هو قال

هذا ابن من تعرف البطحاء وطأته
والبيت يعرفه والحل والحرم
هذا ابن خير عباد الله كلهم
هذا التقي النقي الطاهر العلم
اذا رأته قريش قال قائلهم
الى مكارم هذا ينتهي الكرم
هذا ابن فاطمة ان كنت جاهله
بجده أنبياء الله قد ختموا
يكاد يمسكه عرفان راحته
ركن الحطيم اذا ما جاء يستلم
أي الخلائق ليست في رقابهم
لاولية هذا أوله نعم
من يعرف الله يعرف أولية ذا
فالدين من بيت هذا ناله الامم
وليس قولك من هذا بضائره
فالعرب تعرف من أنكرت والعجم

فحبسه هشام ثم أطلقه فوجه اليه علي ابن الحسين عشرة آلاف درهم وقال اعذرنا ياأبا فراس فلو كان معنا في هذا الوقت أكثر من هذا لوصلناك به فردها الفرزدق وقال ماقلت ما كان الا لله فقال له علي بن الحسين قد رأى الله مكانك ولكنا أهل بيت اذا أنفذنا شيأ لم نرجع فيه وأقسم عليه فقبلها (ومن غالي جواهر العقد لابن عبد ربه) قال يزيد حدثني أبي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قدم من المدينة الى الشام على حمار فتلقاه معاوية في موكب نبيل فاعرض عنه عمر فجعل يمشي الى جنبه راجلا فقال له عبد الرحمن بن عوف أتعبت الرجل فاقبل عليه وقال يامعاوية أنت صاحب الموكب مع مابلغني من وقوف ذوي الحاجات ببابك قال نعم ياأمير المؤمنين قال ولم ذلك قال لانا

﴿ومما قيل في العناق وطيبه﴾ لابن المعتز

ما أقصر الليل على الراقد * وأهون السقم على العائد * كأنني عانقت ريحانة
تنفست في ليلها البارد * فلو ترانا في قميص الدجى * حسبتنا في جسد واحد

(وقال آخر) وموشح نازعت فضل وشاحه * واعرته من ساعدى وشاحا
بات الغيور يشق جلدة وجهه * وأمال أعطافا على ملاحا

(وقال ابن المعدل) أقول وجنح الدجى مسبل * وليل في كل فج يد
ونحن ضجيعان في مسجد * فلله ما ضمنا المسجد * أيا غدان كنت لي محسنا
فلا تدن من ليلتي يا غد * ويا ليلة الوصل لا تقصرى * كليلة الهجر لا تنفد

(وقال آخر) وليل رقيق الطرتين تظلمت * كواكبه من بدره المتألق
لهونا بغزلان الصريمة تحته * تميت الهوى ما بين صدر ومرفق

(وقال ابن المعتز) وكم عناق لنا وكم قبل * مختلسات حذار مرتقب
نقر العصافير وهي خائفة * من النواطير يانع الرطب

(وقال ديك الجن) ومعدولة مهما أمالت ازارها * فغصن وأما قدها فقضيب
لها القمر السارى شقيق وانها * لتطلع أحيانا له فيغيب
أقول لها والليل مرخ سدوله * وغصن الهوى غض النبات رطيب
لأنت المنى يا زين كل مليحة * وأنت الهوى أدعى له فأجيب

(وقال على بن الجهم) سقى الله ليلا ضمنا بعد فرقة * وأدنى فؤادا من فؤاد معذب
فبتنا جميعا لو تراق زجاجة * من الخمر فيما بيننا لم تشرب

(وقال آخر) يا ليل دم لى لا أريد براحا * حسبي بوجه معذبى مصباحا
حسبي به نورا وحسبي ريقه * خمرا وحسبي خده تفاحا
حسبي بضحكه اذا استضحكته * مستغنيا عن كل نجم لاحا
طوقته طوق العناق بساعد * وجعلت كفي للشمال وشاحا
هذا هو اليوم النعيم نخالنا * متعانقين فلا نريد براحا

(وقال آخر) ولم أنس ضمى للحبيب على رضا * ورشفى رضابا كالرحيق المسلسل
ولا قوله لى عند تقبيل خده * تنقل فلذات الهوى في التنقل

(ومما قيل في السمن) قال الربيع بن سليمان سمعت الشافعي رضى الله تعالى عنه يقول ما رأيت سمينا عاقلا الا محمد بن الحسن قال الشاعر

لا أعشق الابيض المنفوخ من سمن * لكنني أعشق السمر المهازيلا
انى امرؤ أركب المهر المضمر فى * يوم الرهان وغيرى يركب الفيلا

﴿ومما قيل في مدح الالوان والثياب﴾

(مدح البياض) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم البياض نصف الحسن وكان صلى الله عليه وسلم أبيض أزهر اللون مشربا بحمرة قال الشاعر بيض الوجوه كريمة أحسابهم * شم الانوف من الطراز الأول

(ومما قيل في مدح السواد) قيل لبعضهم ما تقول في السواد قال النور في السواد أراد بذلك نور العينين في سوادهما وقال بعضهم

قالوا تعشقتها سوداء قلت لهم * لون الغوالى ولون المسك والعود
انى امرؤ ليس شأن البيض مرتفعا * عندى ولو خلت الدنيا من السود

(وقال الحيقطان)

لئن كنت جعد الرأس واللون فاحم * فانى بسيط الكف والعرض أزهر
وان سواد اللون ليس بضائرى * اذا كنت يوم الروع بالسيف أخطر

في بلاد لا تمنع من الجواسيس ولا بد لهم ما يروعهم من هيبة السلطان فان أمرتني بذلك أقمت عليه وان نهيتني عنه انتهيت قال ان كان الذى قلت حقا فانه رأى أريب وان كان باطلا فانها خدعة أديب فلا آمرك ولا أنهاك عنه (ومن لطائف معاوية) انه كان لعبد الله بن الزبير أرض قريبة لارض معاوية فيها عبيد له من الزنوج يعمرونها فدخلوا في أرض عبد الله فكتب الى معاوية أما بعد فانه يا معاوية ان لم تمنع عبيدك من الدخول في أرضى والا كان لى ولك شأن فلما وقف معاوية على الكتاب دفعه الى ابنه يزيد فلما قرأه قال له ما ترى قال أرى أن تنفذ اليه جيشا أوله عنده وآخره عندك يأتوك برأسه فقال يا بنى عندى خير من ذلك على بدواة وقرطاس وكتب وقفت على كتابك يا ابن حوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم وساءني والله ما ساءك والدنيا هينة عندى في جنب رضاك وقد كتبت على نفسى رقما بالارض والعبيد وأشهدت على فيه ولتضف الارض الى أرضك والعبيد الى عبيدك والسلام فلما وقف عبد الله على كتاب معاوية كتب اليه وقفت على كتاب أمير المؤمنين أطال الله بقاءه فلا عدم الرأى الذى أحله من قريش هذا المحل والسلام فلما وقف معاوية على كتاب عبد الله رماه الى ابنه يزيد فلما قرأه أسفر وجهه فقال يا بنى اذا رميت بهذا الداء داوه بهذا الدواء (نادرة لطيفة) قال الاستاذ أبو على لما سعى غلام خليل بالصوفية الى الخليفة بالزندقة أمر بضرب أعناقهم فأما الجنيد فانه استتر بالفقه وأما الشحام والرقام والثورى وجماعة فقبض عليهم وبسط النطع لضرب أعناقهم فتقدم الثورى فقال له السياف أتدرى لماذا تتقدم قال نعم قال فما

(دخل) ابراهيم بن المهدى على المأمون فقال انك انعم الخليفة الاسود فقال ابراهيم نعم فتمثل المأمون ببيت نصيب فقال

ان كنت عبدا فنفسى حرة كرما * أو أسود اللون انى أبيض الخلق

ثم قال يا عم أخرجنا الهزل الى الجد فأنشد ابراهيم

ليس يزرى السواد بالرجل الشهم ولا بالفتى الاريب الأديب
ان يكن للسواد فيك نصيب * فبياض الاخلاق منك نصيبي

(وقال آخر) لام العواذل فى سوداء فاحمة * كأنها فى سواد القلب تمثال
وهام فى الخال أقوام وما علموا * انى أهيم بشخص كله خال

وقيل لمدنى كيف رغبتم فى السواد فقال لو وجدنا بيضاء لسودناها (وقال آخر)

يكون الخال فى خد قبيح * فيكسوه الملاحة والجمالا
فكيف يلام ذو عشق على من * يراها كلها فى الخد خالا

(وقال آخر) فاستحسنوا الخال فى خد فقلت لهم * انى عشقت مليحا كله خال

وكان أبو حاتم المدنى ينشد ومن يك معجبا ببنات كسرى * فانى معجب ببنات حام

وتفاخرت حبشية ورومية فقالت الرومية أنا حبة كافور وأنت عدل فحم فقالت الحبشية أنا حبة مسك وأنت عدل ملح (وقد قال الشاعر) أحب لحبها السودان حتى * أحب لحبها سود الكلاب

(وقال آخر) أشبهك المسك وأشبهته * قائمة فى لونه قاعده
لاشك اذ لونكما واحد * أنكما من طينة واحده

(ومما قيل فى الصفرة) قال الشاعر

أصفراء كان الهجر منك مزاحا * ليالى كان الود منك مباحا
كأن نساء الحى مادمت فيهم * قباح فلما غبت صرن ملاحا

وقال آخر) قالوا به صفرة شانت محاسنه * فقلت ماذاك من عيب به نزلا
عيناه مطلوبة فى ثار من قتلت * فلست تلقاه الا خائفا وجلا

(ومما قيل فى طول اللحية) قيل ان اللحية الطويلة عش البراغيث * ونظر يزيد الشيبانى الى رجل ذى لحية عظيمة تلتف على صدره واذا هو خاضب فقال له ياهذا انك من لحيتك فى مؤنة فقال أجل ولذلك أقول

لها درهم للدهن فى كل جمعة * وآخر للحناء يبتدران
ولولا نوال من يزيد بن مزيد * لأصبح فى حافاتها الجلمان

(وقال اسحق بن خلف فى قصير طويل اللحية)

ماشيت داود فاستضحكت من عجب * كأنه والدى يمشى بمولود
ماطول داود الا طول لحيته * يظن داود فيها غير موجود

(وقال ابن المقفع) تأملت أسواق العراق فلم أجد * دكاكينهم الا عليها المواليا
جلوسا عليها ينفضون لحاهم * كما نفضت عجب البغال المخاليا

(ومما جاء فى عظم الخلقة والطول والقصر)

(قيل خرب القهندز فبرزت منه جماجم أموات فتصدعت جمجمة فانتثرت أسنانها فوزن السن منها فكان وزنها (ربعة أرطال فأتى بها الى ابن المبارك فجعل يقلبها و يتعجب من عظمها ثم قال

اذا ما تذكرت أجسامهم * تصاغرت النفس حتى تهون

وأراد) ملك الروم أن يباهى أهل الاسلام فبعث الى معاوية رجلين أحدهما طويل والثانى قصير شديد القوة فدعا الطويل بقيس بن سعد بن عبادة فنزع قيس سراويله و رمى بها اليه فلبسها الطويل فبلغت ثدييه فلاموا قيسا على نزع السراويل فقال

أردت لكيما يعلم الناس انها * سراويل قيس والوفود شهود
وكى لا يقولوا غاب قيس وهذه * سراويل عاد أحرزتها ثمود
وانى من القوم اليمانين سيد * وما الناس الا سيد ومسود

يعلك قال أوثر أصحابى بحياة ساعة فتحير السياف ونما الخبر الى الخليفة فردهم الى القاضى ليعرف أحوالهم فألقى القاضى على أبى الحسن النورى مسائل فقهية فأجاب عن الكل ثم أخذ يقول ان لله عبادا اذا قاموا قاموا بالله واذا نطقوا نطقوا بالله وسرد حتى بكى القاضى فأرسل الى الخليفة يقول ان كان هؤلاء زنادقة فما على وجه الارض مسلم فأكرمهم وأطلقهم (ومن المروى عن أحمد بن أبى داود القاضى) انه قال ما رأيت رجلا عرض على الموت فلم يكترث به الا تميم بن جميل الخارجى كان قد خرج على المعتصم ورأيته قد جىء به أسيرا فأدخل عليه فى يوم موكب وقد جلس المعتصم للناس مجلسا عاما ودعا بالسيف والنطع فلما مثل بين يديه نظر اليه المعتصم فأعجبه شكله وقده ورآه يمشى الى الموت غير مكترث به فأطال الفكرة فيه ثم استنطقه لينظر فى عقله وبلاغته فقال يا تميم ان كان لك عذر فأت به فقال أما اذا أذن أمير المؤمنين جبر الله به صدع الدين ولم به شعث المسلمين وأخمد شهاب الباطل وأنار سبل الحق فالذنوب يا أمير المؤمنين تخرس الالسن وتصدع الافئدة وايم الله لقد عظمت الجريرة وانقطعت الحجة وساء الظن ولم يبق الا العفو وهو الأليق بشيمك الطاهرة ثم أنشد

أرى الموت بين السيف والنطع كامنا
يلاحظنى من حيث لا أتلفت
وأكثر ظنى انك اليوم قاتلى
وأى امرئ مما قضى الله يفلت
ومن ذا الذى يأتى بعذر وحجة
وسيف المنايا بين عينيه مصلت
وما جزعى من أن أموت وانى
لأعلم أن الموت شئ موقت
ولكن خلفى صبية قد تركتهم
وأكبادهم من حسرة تتفتت
كأنى أراهم حين أنعى اليهم

ثم دعا معاوية للرجل الشديد فى قوته بمحمد بن الحنفية فخيره بين أن يقعد فيقيمه أو يقوم فيقعده فغلبه فى الحالتين وانصرفا مغلوبين (وقيل) كان سلمة بن مرة الناموسى أسر امرأ القيس بن النعمان اللخمى الملك وكان الناموسى قصيرا مقتحما واللخمى طويلا جسيما فقالت بنت امرئ القيس ياهذا القصير أطلق أبى فسمعها سلمة ابن مرة فقال

لقد زعمت بنت امرئ القيس اننى * قصير وقد أعيا أباها قصيرها
ورب طويل قد نزعت سلاحه * وعانقته والخيل تدمى نحورها

(وقالوا) عظم اللحية يدل على البله وعرضها على قلة العقل وصغرها على لطف الحركة واذا وقع الحاجب على العين دل على الحسد والعين المتوسطة فى حجمها تدل على الفطنة وحسن الخلق والمروأة والتى يطول تحديقها تدل على الحمق والتى تكسر طرفها تدل على خفة وطيش والشعر على الأذن يدل على جودة السمع والاذن الكبيرة المنتصبة تدل على حمق وهذيان (ومما قيل فى القبح والدمامة) أراد رجل ان يكتب كتابا لبعض اصحابه فلم يجد من يرسله معه الا رجلا وخش الصورة بشع المنظر فلم يقدر على تحليته لفرط دمامته فكتب الى صاحبه يأتيك بهذا الكتاب آية من آيات الله تعالى وقدره فدعه يذهب الى نار الله وسقره (ومر) أبو الاسود الدؤلى بمجلس لبنى بشير فقال بعض فتيانهم كأن وجهه وجه عجوز راحت الى أهلها بطلاقها وقال الجاحظ ما أخجلنى قط الا امرأة مرت بى الى صائغ فقالت له اعمل مثل هذا فبقيت مبهوتا ثم سألت الصائغ فقال هذه امرأة أرادت أن أعمل لها صورة شيطان فقلت لا أدرى كيف أصوره فأتت بك الى لاصوره على صورتك وفى الجاحظ يقول الشاعر

لو يمسخ الخنزير مسخا ثانيا * ما كان الا دون قبح الجاحظ
رجل ينوب عن الجحيم بوجهه * وهو القذى فى عين كل ملاحظ
ولو ان مرآة جلت تمثاله * ورآه كان له كأعظم واعظ

وقال الأصمعى رأيت بدوية من أحسن الناس وجها ولها زوج قبيح فقلت ياهذه أترضين أن تكونى تحت هذا فقالت ياهذا لعله أحسن فيما بينه وبين ربه فجعلنى ثوابه وأسأت فيما بينى وبين ربى فجعله عذابى أفلا أرضى بما رضى الله به وحج مخنث فرأى رجلا قبيح الوجه يستغفر فقال ياحبيبى ما أراك تبخل بهذا الوجه على جهنم *وقال بعضهم لرجل طلع لى دمل فى أقبح المواضع فقال له كذبت هذا وجهك ليس فيه شئ وخرج رجل قبيح الوجه الى المتجر فدخل اليمن فلم ير فيها أحسن منه وجها فقال

لم أر وجها حسنا * منذ دخلت اليمنا فياشقاء بلدة * أحسن ما فيها أنا

وخطب رجل عظيم الانف امرأة فقال لها قد عرفت أنى رجل كريم المعاشرة محتمل المكاره فقالت لاشك فى احتمالك المكاره مع حملك هذا الانف أربعين سنة (وقال) الشاعر فى رجل كبير الانف

لك وجه وفيه قطعة أنف * كجدار قد أدعموه بنغله
وهو كالقبر فى المثال ولكن * جعلوا نصبه على غير قبله

(وقال آخر)

لك أنف ذو أنوف * أنفت منه الانوف
أنت فى القدس تصلى * وهو فى البيت يطوف

(ومما جاء فى الثقلاء) قال مطيع بن اياس

قل لعباس أخينا * ياثقيل الثقلاء * أنت فى الصيف سموم
وجليد فى الشتاء * أنت فى الارض ثقيل * وثقيل فى السماء

(ومما جاء فى الملابس وألوانها والعمائم ونحوها)

قال الله تعالى وأما بنعمة ربك فحدث وقال تعالى يابنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده وقال صلى الله عليه وسلم تعمموا تزدادوا حلما وقال صلى الله عليه وسلم العمائم تيجان العرب وكان الزبير بن العوام يقاتل يوم بدر وعليه عمامة صفراء فنزلت الملائكة وعليهم عمائم صفر قد أرخوها وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن بن عوف الى دومة الجندل فتخلف عن الجيش وأتى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه عمامة سوداء من خز فنقضها رسول الله صلى الله عليه وسلم وعممه بيده وأسدلها بين كتفيه قدر شبر وقال هكذا اعتم يا ابن عوف وبعث ملك الروم الى

النبى

وقد لطموا تلك الخدود وصوتوا
وان عشت عاشوا سالمين بغبطة
أذود الردى عنهم وان مت موتوا
وكم قائل لا يبعد الله داره
وآخر جذلان يسر ويشمت
قال فبكى المعتصم وقال ان من البيان لسحرا ثم قال كاد والله ياتميم أن يسبق السيف العذل وقد وهبتك لله ولصبيتك وأعطاه خمسين ألف درهم (ومن لطائف المنقول من المستجاد) انه كان بين غسان بن عباد وبين على بن عيسى القمى عداوة عظيمة وكان على بن عيسى ضامنا أعمال الخراج والضياع ببلده فبقيت عليه بقية مبلغها أربعون ألف دينار فألح المأمون عليه بطلبها الى أن قال لعلى بن صالح الحاجب أمهله ثلاثة أيام فان أحضر المال والا فاضربه بالسياط حتى يؤدى المال أو يتلف فانصرف على بن عيسى من دار المأمون آيسا من نفسه وهو لا يدرى وجها يتجه اليه فقال له كاتبه لو عرجت على غسان بن عباد وعرفته خبرك لرجوت أن يعينك على أمرك فقال له على ما بينى وبينه من العداوة فقال نعم فان الرجل أريحى كريم فدخل على غسان فقام اليه وتلقاه بالجميل وأوفاه حقه بالخدمة ثم قال له الحال الذى بينى وبينك على حاله ولكن دخولك الى دارى له حرمة توجب بلوغ ما رجوته منى فاذكر ان كان لك حاجة فقص عليه القصة فقال أرجو أن يكفيكه الله تعالى ولم يزده على ذلك شيأ فنهض على بن عيسى وخرج آيسا نادما على قصد غسان وقال لكاتبه ما أفدتنى بالدخول على غسان غير تعجيل الشماتة والهوان فلم يصل على بن عيسى الى داره حتى حضر اليه كاتب غسان ومعه البغال عليها المال فتقدم وسلمه وبكر الى دار أمير المؤمنين فوجد غسان قد سبقه اليها ودخل على

النبي صلى الله عليه وسلم جبة ديباج فلبسها ثم كساها عثمان وكان سعيد بن المسيب يلبس الحلة بألف درهم ويدخل المسجد فقيل له في ذلك فقال اني أجالس ربي وقيل المروأة الظاهرة الثياب الطاهرة وقيل البس البياض والسواد فان الدهر هكذا بياض نهار وسواد ليل

﴿ومما قيل في لبس السواد قول أبي قيس﴾

رأيتك في السواد فقلت بدر * بدا في ظلمة الليل البهيم
وألقيت السواد فقلت شمس * محت بشعاعها ضوء النجوم

وقدم تاجر الى المدينة يحمل من خمر العراق فباع الجميع الا السود فشكا الى الدارمي ذلك وكان الدارمي قد نسك وتعبد فعمل بيتين وأمر من يغني بهما في المدينة وهما هذان البيتان

قل للمليحة في الخمار الاسود * ماذا فعلت بزاهد متعبد
قد كان شمر للصلاة ازاره * حتى قعدت له بباب المسجد

قال فشاع الخبر في المدينة ان الدارمي رجع عن زهده وتعشق صاحبة الخمار الاسود فلم يبق في المدينة مليحة الا اشترت لها خمارا أسود فلما أنفد التاجر ما كان معه رجع الدارمي الى تعبده وعمد الى ثياب نسكه فلبسها وقال آخر في لابسة الاحمر

وشمس من قضيب في كثيب * تبدت في لباس جلناري
سقتني ريقها صرفا وحيت * بوجنتها فهاجت جل ناري

(وقال آخر في لابسة ثوب خمري)

في ثوبها الخمري قد أقبلت * بوجنة حمراء كالجمر
قلت سكرا حين أبصرتها * لا تنكروا سكري من الخمر

(وقال الصنوبري في لابسة أخضر)

وجارية أدبتها الشطاره * ترى الشمس من حسنها استعاره * بدت في قميص لها أخضر
كما ستر الورق الجلناره * فقلت لها ما اسم هذا اللباس * فأبدت جوابا لطيف العباره
شققنا مرائر قوم به * فنحن نسميه شق المراره

وقال حكيم لابنه اياك أن تلبس ما يديم الملا نظره اليك به واعلم ان الوشي لا يلبسه الا الاحمق أو ملك وعليك بالبياض وقيل لباس البخلاء الاستبرق اطول بقائه ولباس المترفهين السندس لقلة بقائه ولباس المقتصدين الديباج لتوسط بقائه * وقال بعض الامراء لحاجبه ادخل علي بعاقل فأتاه برجل فقال بم عرفت عقله فقال رأيته يلبس الكتان في الصيف والقطن في الشتاء والملبوس في الحر والجديد في البرد وقيل كان لابراويز عمامة طولها خمسون ذراعا اذا اتسخت ألقاها في النار فيحترق الوسخ ولا تحترق وكان له رداء حسن يتلون كل ساعة وسراويل مجوهر وتكة من أنابيب الزمرذ وقيل الاقبية لباس الفرس والقراطق لباس الهند والازار لباس العرب وسئل بعض العرب عن الثياب فقال الصفر أشكل والحمر أجمل والخضر أقبل والسود أهول والبيض أفضل وقال أفلاطون الصبغ الشقائقي والروائح الزعفرانية تسكن الغضب والصبغ الياقوتي والروائح الوردية تحرك السرور واذا قرب اللون الاحمر الى اللون الاصفر تحركت القوة العشقية واذا امتزجت الحمرة بالصفرة تحركت القوة الغريزية واذا امتزجت التفاحية بالحمرة تحركت الطبائع كلها وكان مصعب بن الزبير يقول لكل شئ راحة وراحة البيت كنسه وراحة الثوب طيه وقال بعض الاعراب رأيت بالبصرة برودا كأنها نسجت بأنواع الربيع ودخل بعض العذريين على معاوية وعليه عباءة فازدراه فقال يا أمير المؤمنين ان العباءة لا تكلمك وانما يكلمك من فيها

﴿ومما قيل فيمن رذل لبسه وعرف نفسه﴾ قال الاصمعي رأيت اعرابيا فاستنشدته فانشدني أبياتا وروى أخبارا فتعجبت من جماله وسوء حاله فسكت سكتة ثم قال

أأخي ان الحادثا * ت عركنني عرك الاديم * لا تنكرن أن قد رأيـ
ـت أخاك في طمري عديم * ان كان أثوابي رثا * ثا انهن على كريم

(وقال بعضهم وقيل للشافعي رحمه الله تعالى)

المأمون وقال يا أمير المؤمنين ان لعلي بن عيسى بحضرتك حرمة وخدمة وسالف أصل وقد لحقه من الخسران في ضمانه ما تعارفه الناس وقد توعدته بضرب السياط حتى أطار عقله وأذهب لبه فان رأى أمير المؤمنين أن يجيزني على حسن كرمه ببعض ما عليه فهي صنيعة يجددها على تحرس ما تقدمها من احسانه ولم يزل يتلطف الى أن حط عنه النصف واقتصر على عشرين ألف دينار فقال غسان على أن يجدد عليه أمير المؤمنين الضمان ويشرفه بخلعة تقوي نفسه وترهف عزمه ويعرف بها امكان الرضا عنه فأجابه المأمون الى ذلك قال فيأذن أمير المؤمنين أن أحمل الدواة الى حضرته ليوقع ما رآه من هذا الانعام قال افعل فحمل الدواة الى أمير المؤمنين فوقع ذلك وخرج علي بن عيسى بالخلعة والتوقيع بيده فلما حضر في داره حمل من المال عشرين ألف دينار وأرسلها الى غسان وشكره على جميل فعله معه فقال غسان لكاتبه والله ما شفعت عند أمير المؤمنين الا لتوفر عليه وينتفع بها فامض بها اليه فلما ردها كاتبه الى علي بن عيسى علم قدر ما فعل معه غسان فلم يزل يخدمه الى آخر العمر (ومن غريب ما يقتطف من ثمرات الاوراق) أن عمر بن عبد العزيز رحمه الله خلف احد عشر ابنا فاصاب كل ابن نصف وربع دينار وقال لهم عند وفاته يا بني ليس لي مال فاوصي فيه وخلف هشام بن عبد الملك احد عشر ابنا فأصاب كل واحد من البنين الف الف دينار فأما أولاد عمر بن عبد العزيز فما رؤي أحد منهم الا وهو غني ومنهم واحد جهز من ماله مائة ألف فارس على مائة ألف فرس في سبيل الله تعالى

عـــلى ثياب لو تقاس جميعها * بفلس لكان الفلس منهن أكثرا
وفيهـن نفس لو يقاس ببعضـها * نفوس الورى كانت أجل وأكبرا
وماضر نصل السيف اخلاق غمده * اذا كان عضبا حيث وجهته برى

ودخل بعضهم على الرشيد فازدراه فأنشده

ترى الرجل النحيف فـتزدريه * وفى أثوابه أسـدهصـور * ويعجبك الطرير فتبتليه
فيخلف ظنك الرجـل الطرير * لقـد عظم البعير بغيرلب * فلم يستغن بالعظم البعير
يصرفه الصـبي بغـير وجه * ويحبسه على الخسف الجرير * وتضربه الوليدة بالهراوى
فـلا عار عليـــه ولا نكير * فان أك فى شراركم قليـلا * فانى فى خياركموا كثير

ويقال كل ماتشتهيه نفسك والبس ماتشتهيه الناس وقد نظمه من قال

ان العيون رمتــك اذ فاجأتها * وعليـك من مهن الثياب لباس
أما الطعام فـكل لنفسك ما اشتهت * واجعل لباسك مااشتهته الناس

وفى هذا القدر كفاية والله أعلم بالصواب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿الباب السابع والاربعون فى التختم والحلى والمصوغ والطيب والتطيب وما أشبه ذلك﴾

(ماجاء فى التختم) عن عائشة رضى الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتختم فى يمينه وقبض عليه الصلاة والسلام والخاتم فى يمينه قال بعض من مدحه عليه الصلاة والسلام

كف الرسالة ليس يخفى حسـنها * وتمام حسن الـكف لبس الخاتم

وذكر السلامى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتختم فى يمينه والخلفاء بعده فنقله معاوية رضى الله تعالى عنه الى اليسار وأخذ الاموية بذلك ثم نقله السفاح الى اليمين فبقى الى أيام الرشيد رضى الله تعالى عنه فنقله الى اليسار وأخذ الناس بذلك وعن على رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم تختموا بخواتيم العقيق فانه لا يصيب أحدكم غم مادام عليه ذلك وبلغ عمر بن عبد العزيز رضى الله تعالى عنه ان ابنه اشترى فص خاتم بالف دينار فكتب اليه عزمت عليك الا ما بعت خاتمك بالف دينار وجعلتها فى بطن جائع واستعمل خاتما من ورق وانقش عليه رحم الله امرأ عرف نفسه وكان خاتم على رضى الله عنه من ورق ونقشه نعم القادر الله وكان لأبى نواس خاتمان أحدهما عقيق مربع وعليه مكتوب

تعاظمنى ذنبى فلما قرنته * بعفوك ربى كان عفوك أعظما

والآخر حديد صينى عليه أشهد أن لا اله الا الله مخلصا وأوصى عند موته أن يغسل الفص ويجعل فى فيه قال جعفر ابن محمد رضى الله تعالى عنه ما افتقرت يد تختمت بخاتم فيروزج وقيل الخواتم أربعة الياقوت للعطش والفيروزج للمال والعقيق للسنة والحديد الصينى للحرز وقيل للخوف والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿(ذكر ماجاء فى الحلى)﴾ قيل ان قرطى مارية بنت ظالم بن وهب بن الحرث بن معاوية كان فيهما درتان كبيض الحمام لم ير مثلها ولم يدر قيمتهما (وقال محمد) بعثنى يوسف بن عمر الى هشام بياقوتة حمراء يخرج طرفاها من كفى كانت للرائقة جارية خالد بن عبد الله القسرى اشتراها بثلاثة وسبعين ألف دينار وحبة لؤلؤ أعظم ما يكون من الحب فدخلت عليه بهما فقال اكتب معك بوزنهما فقلت يا أمير المؤمنين هما أعظم من أن يكتب بوزنهما فقال صدقت وبعث معاوية الى عائشة رضى الله تعالى عنها اطوقا من ذهب فيه جوهرة قومت بمائة ألف دينار فقسمته بين أزواج النبى صلى الله عليه وسلم وكان ملك العرب كلما مرت عليه سنة من سنى ملكه زيدت فى تاجه خرزة وكان يقال لها خرزات الملك

﴿(ذكر ماجاء فى الطيب والتطيب)﴾ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أطيب الطيب المسك وعن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت كأنى أنظر الى وبيص الطيب فى مفارق رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو محرم وعن سهل ابن سعد يرفعه ان فى الجنة لمراغى من مسك مثل مراغى دوابكم هذه وعن أنس رضى الله تعالى عنه قال دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فنام عندنا فعرق فجاءت أمى بقارورة فجعلت تسلت العرق فيها فاستيقظ وقال يا أم سليم ماهذا الذى تصنعين فقالت هذا عرقك نجعله فى طيبنا وهو من أطيب الطيب وعن عمر رضى

وماروى أحد من أولاد هشام بن عبد الملك الا وهو فقير ولقد شوهد أحدهم وهو يوقد فى الاتون (قيل) لمعاوية بن أبى سفيان ان بالحيرة رجلا من بنى جرهم قد عمر ورأى أعاجيب فقال معاوية على به فلما حضر قال من الرجل قال عبيد بن شربة قال ثم ممن قال من قوم لم يبق منهم بقية قال فكم مضى من عمرك قال عشرون ومائتا سنة قال أخبرنى باعجب مارأيت فى عمرك قال نعم يا أمير المؤمنين كنت فى حى من أحياء العرب فمات عندهم ميت يقال له عشير بن لبيد العذرى فمشيت فى جنازته وتأسيت بجماعته فلما ادفن فى قبره وأعول النساء فى أثره أدركتنى عليه عبرة ولم أستطع ردها وتمثلت بأبيات كنت سمعتها قديما وعلق الآن على خاطرى منها هذه الابيات

ياقلب انك من أسماء مغرور
فاذكر وهل ينفعنك اليوم تذكير
قد بحت بالحب ماتخفيه من أحد
حتى جرت لك اطلاقا محاظير
فلست تدرى ولا تدرى أعاجلها
ادنى لرشدك أم مافيه تأخير
فاستقدر الله خيرا وارضين به
فبينما العسر اذ دارت مياسير
وبينما المرء فى الاحياء مغتبط
اذا هو الرمس تعفوه الاعاصير
يبكى الغريب عليه ليس يعرفه
وذو قرابته فى الحى مسرور
وذاك آخر عهد من أخيك اذا
ما المرء ضمنه اللحد الخناسير

فبينما أنا أردد هذه الابيات وعيناى ينسكبان اذ قال لى رجل الى جنبى من عذرة يا عبد الله هل تعرف قائل هذا الشعر قلت لا والله قال قائله هـذا الميت الذى دفناه وأنت الغريب الذى تبكى عليه ولا تعرفه ولا تعلم انه قائل هذه الابيات وذو قرابته الذى ذكرته مسرور هو ذاك وأشار الى رجل فى الجماعة

الله تعالى عنه قال لو كنت تاجرا ما اخترت على العطر ان فاتني ربحه لم يفتني ريحه وناول المتوكل فتى فارة المسك فقال

لئن كان هذا طيبنا وهو طيب * لقد طيبته من يديك الانامل

وأهدى عبد الله بن جعفر لمعاوية قارورة من الغالية فسأله كم أنفق عليها فذكر مالا جزيلا فقال هذه غالية فسميت بذلك وشمها الملك بن سليمان بن خارجة من أخته هند بنت أسماء فقال علميني كيف تصنعين طيبك فقالت لا أفعل تريد أن تعلمه جواريك هولك مني كلما أردته ثم قالت والله اني ما تعلمته الا من شعرك حيث تقول

أطيب الطيب عرف أم أبان * فار مسك بعنبر مسحوق

قال أبو قلابة كان ابن مسعود رضي الله تعالى عنه اذا خرج من بيته الى المسجد عرف جيران الطريق انه مر من طيب ريحه وعن الحسن بن زيد الهاشمي عن أبيه قال رأيت ابن عباس رضي الله تعالى عنهما يطلي جسده فاذا مر في الطريق قال الناس أمر ابن عباس أم مر المسك وعنه وعن أبيه قال رأيت ابن عباس رضي الله تعالى عنهما حين أحرم والغالية على صدغيه كأنها الزقة وقال أبو الضحى رأيت على رأس الزبير من المسك مالو كان لي لكان رأس مالي وقيل لما بنى عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه بفاطمة بنت عبد الملك أسرج في مسارجه تلك الليلة بالغالية وقال الشعبي الرائحة الطيبة تزيد في العقل وقال علي كرم الله تعالى وجهه تشمموا النرجس ولو في العام مرة فان في قلب الانسان حالة لا يزيلها الا النرجس وكان الشعبي يقول اذا ورد الورد صدر البرد وكانت الصحابة رضي الله تعالى عنهم يستحبون اذا قاموا من الليل أن يمسوا لحاهم بالطيب وكان من اختلف في طرقات المدينة وجد عرقا طيبا قيل ولذلك سميت طيبة وأقول والله ما طابت طيبة الا بالطيب الطاهر صلى الله عليه وسلم وما أحسن ما قيل

اذا لم أطب في طيبة عند طيب * به طيبة طابت فاين أطيب

وقيل ان فارة المسك دويبة شبيهة بالخشب تصاد لسرتها فاذا اصادها الصياد عصب السرة بعصابة شديدة فيجتمع فيها دمها ثم يذبحها ثم يأخذ السرة فيدفنها في الشعير حتى يستحيل الدم المجتمع فيها مسكا ذكيا بعد ان كان لا يرام نتنا وقد يوجد جرذان سود يقال لها فارات المسك ليس عندها الا رائحة لازمة لها (وحكى) ان العنبر يأتي على طفاوة الماء لا يدري أحد معدنه فلا يأكله شيء الا مات ولا ينقره طائر الا بقي منقاره فيه ولا يقع عليه حيوان الا نصلت أظفاره فيه والتجار والعطارون ربما وجدوا أظفارا فيه وقال الزمخشري عفا الله عنه سمعت ناسا من أهل مكة يقولون هو من زبد بحر سرنديب وأجود العنبر الاشهب ثم الازرق وأدونه الاسود وفي حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ليس في العنبر زكاة انما هو شيء نثره البحر وأما العود فاجوده المندلي وهو منسوب الى مندلى قرية من قرى الهند وأجوده أصلبه وامتحان رطبه أن تطبع فيه نقش الخاتم فان انطبع فرطب والا فلا ومن خصائصه ان رائحته تطبع في الثوب أسبوعا فلا يقمل ما دامت فيه وأما الكافور فهو ماء شجر بجزيرة الكافور يحزونه بالحديد فاذا خرج ظاهرا وضرب به الهواء انعقد كالصموغ الجامدة على الاشجار وأما الند فهو نوع وهو العود المستقطر والعنبر واللبان قال

لو كنت أجهل جارا حين زرتكم * لم ينكر الكلب اني صاحب الدار

لكن أتيت وريح المسك يقدمني * والعنبر الند مشبوب على النار

وكانت ملوك الفرس تأمر برفع الطيب أيام الورد وكان المتوكل يلبس أيام الورد الثياب الموردة ويفرش الورد في مجالسه ويطيب جميع آلاته بالورد وقال الحسن بن سهل أمهات الرياحين تقوى بامهات الطيب فالنرجس يقوى بالورد والورد يقوى بالمسك والبنفسج يقوى بالعنبر والريحان يقوى بالكافور والنسرين يقوى بالعود وقال جالينوس المسك يقوى القلب والعنبر يقوى الدماغ والكافور يقوى الرئة والعود يقوى المعدة والغالية تحل الزكام والصندل يحل الاورام وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تردوا الطيب فانه طيب الريح خفيف المحمل * تبخر بعض الامراء وعنده أعرابي ففرت من الامير ريح خفيفة فأراد أن يعلم هل فطن بها الاعرابي أم لا فقال ما أطيب هذا المثلث قال نعم ولكنك ربعتها وقال الاحنف ان شم رائحة المسك يحيي القلب وقال سلمة لابن عباس وعنده جعفر بن سليمان ما شممت أنفى من ريح مسك شممته من الناس الا ريح كذلك أطيب فأمر له بألف دينار ومائة مثقال مسك ومائة مثقال عنبر والله أعلم

فرأيته لا يستطيع كتمان ما هو عليه من المسرة فقال معاوية يا أخا جرهم سل ما شئت قال ما مضى من عمري ترده والاجل اذا حضر تدفعه قال ليس ذلك لي سل غيره قال يا أمير المؤمنين ليس اليك رد شبابي ولا الآخرة فتكرم مآبي والمال فقد أخذت منه في عنفواني ما كفاني قال لا بد أن تسألني قال أما اذ شئت فأمر لي برغيفين أتغدى بأحدهما وأتعشى بالآخر واتق الله واعلم انك مفارق ما أنت فيه وقادم على ما قدمت فأمر له معاوية بأشياء من حنطة وغيرها فردها وقال ان أعطيت المسلمين كلهم مثلها أعطيتني والا فلا حاجة لي في ذلك ثم ودعه وانصرف (قيل) وفد عبد الله بن جعفر رضي الله عنه على أحد خلفاء بني أمية فقال له الخليفة كم كان أمير المؤمنين يعطيك يعني أباه قال كان رحمه الله يعطيني ألف ألف درهم قال زدناك أتر حملك عليه ألف ألف درهم قال بأبي أنت وأمي قال وبهذه ألف ألف قال لا أقولها لاحد بعدك قال ولهذه ألف ألف قال منعني من الاطناب في وصفك الاشفاق عليك من جودك قال ولهذه ألف ألف فقيل له فرقت يا أمير المؤمنين بيت مال المسلمين على رجل واحد قال انما فرقته على أهل المدينة أجمعين ثم وكل به من يعلمه بخبره من حيث لا يشعر فلما قدم المدينة فرق جميع ما معه حتى احتاج بعد شهر الى القرض (ومن لطائف المنقول) أن رجلا قال لهشام القرطبي كم تعد قال من واحد الى ألف ألف وأكثر قال لم أرد هذا كم تعد من السن قال اثنتين وثلاثين سنا عشر من أعلى وستة عشر من اسفل قال لم أرد هذا كم لك من السنين قال والله ليس لي منها شيء والسنون كلها لله قال يا هذا ما سنك قال عظم قال ابن لي ابن كم انت قال اثنين رجل

بالصواب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿الباب الثامن والاربعون فى الشباب والصحة والعافية وأخبار المعمرين وما أشبه ذلك وفيه فصول﴾

﴿الفصل الأول فى الشباب وفضله﴾ روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه قال ما بعث الله نبيا الا شابا ولا أوتى العلم عالم الا شابا ثم تلا هذه الآية قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم وقد أخبر الله تعالى به ثم آتى يحيى بن زكريا الحكمة قال تعالى وآتيناه الحكم صبيا وقال تعالى اذ أوى الفتية الى الكهف وقال تعالى انهم فتية آمنوا بربهم وقال تعالى واذ قال موسى لفتاه وقال أنس رضى الله تعالى عنه قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس فى رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء وقد قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم أسامة بن زيد على جميع الانصار وكبار المهاجرين على حداثة سنه وعتاب بن أسيد ولاه مكة وبها أكابر قريش وعبد الله بن عباس على جلالة قدره وحفظه من العلم وقال بعض البلغاء الشباب باكورة الحياة وأطيب العيش أوائله كما أن أطيب الثمار بواكرها والشباب أبلغ الشفعاء عند النساء وأكثر الوسائل لقلوبهن ولذلك قال الشاعر

أحلى الرجال مع النساء مواقعا * من كان أشبههم بهن خدودا

وما بكت العرب على شئ ما بكت على الشباب ولو لم يكن هذا الشباب حميدا وزمانه حبيبا لوسامة صورته وبهجة منظره وجمال خلقته واعتدال قامته لما جاور الله فى جنات خلده شاب كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم جرد مرد أبناء ثلاثين وقد جاء فى ذلك أشياء كثيرة ليس هذا موضع بسطها

﴿الفصل الثانى فى الشيب وفضله﴾ أول من شاب سيدنا ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام وفى الخبر ان الله تعالى يقول الشيب نورى وأنا أستحى أن أحرقه بنارى وعن جعفر بن محمد عن أبيه قال جاء رجلان الى النبى صلى الله عليه وسلم شيخ وشاب فتكلم الشاب قبل أن يتكلم الشيخ فقال عليه الصلاة والسلام كبر كبر وبهذه الرواية من وقر كبير الكبر سنه آمنه الله من فزع يوم القيامة وعن أنس رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال يقول الله تعالى وعزتى وجلالى وفاقة خلقى الى انى لاستحى من عبدى وأمتى يشيبان فى الاسلام أن أعذبهما ثم بكى فقيل له ما يبكيك يارسول الله قال أبكى ممن يستحى الله منه وهو لا يستحى من الله وقال من بلغ ثمانين من هذه الأمة حرمه الله على النار وقال اذا بلغ المؤمن ثمانين سنة فانه أسير الله فى الارض تكتب له الحسنات وتمحى عنه السيآت وقيل كان الرجل فيمن كان قبلكم لا يحتلم حتى يبلغ ثمانين سنة وقال ابن وهب ان أصغر من مات من ولد آدم ابن مائتى سنة فبكته الانس والجن لحداثة سنه وقال النخعى كان يقال اذا بلغ الرجل أربعين سنة على خلق لم يتغير عنه حتى يموت وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما رفعه من أتى عليه أربعون سنة ثم لم يغلب خيره على شره فليتجهز الى النار وعن أنس رضى الله تعالى عنه قال قال ملك الموت لنوح عليه الصلاة والسلام يا أطول النبيين عمرا كيف وجدت الدنيا ولذتها قال كرجل دخل فى بيت له بابان فقام وسط البيت ساعة ثم خرج من الباب الثانى ويقال أطع أكبر منك ولو بليلة وقال عبد العزيز بن مروان من لم يتعظ بثلاث لم ينته بشئ الاسلام والقرآن والشيب قال الشاعر

يا عامر الدنيا على شيبه * فيك أعاجيب لمن يعجب

ما عذر من يعمر بنيانه * وعمره منهدم يخرب

وقال الشعبى الشيب علة لا يعاد منها ومصيبة لا يعزى عليها وقال الفرزدق

ويقول كيف يميل مثلك للظبا * وعليك من عظم المشيب عذار

والشيب ينقص فى الشباب كأنه * ليل يصيح بعارضيه نهار

(وقال أبو دلف فى بياض اللحية)

تكوننى هم لبيضاء نابته * لها بغضة فى مضمر القلب ثابته

ومن عجب انى اذا رمت قصها * قصصت سواها وهى تضحك نابته

(وقال أيضا) ارى شيب الرجال من الغوانى * بمبلغ شيبهن من الرجال

(وقال ابن المعتز) فظلت أطلب وصلها بتذلل * والشيب يغمزها بان لا تفعلى

قيل صاح شاب بشيخ أحدب بكم ابتعت هذا القوس يا عماه فقال يا بنى ان أعطيتها بغير ثمن * ومر رجل

وامرأة قال كم أتى عليك قال لو أتى على شئ قتلنى قال كيف أقول قال تقول كم مضى من عمرك (قيل) عرض محمد بن الجهم داره للبيع بخمسين ألف درهم فلما حضروا ليشتروا قال بكم تشترون منى جوار سعيد بن العاص فقالوا والجوار يباع قال وكيف لا يباع جوار من ان سألته أعطاك وان سكت عنه ابتدأك وان أسأت اليه أحسن اليك فبلغ ذلك سعيدا فوجه اليه بمائة ألف درهم وقال أمسك دارك عليك (قيل) خرج عبد الله بن جعفر الى ضيعة له فنزل على نخل قوم فيها غلام أسود يقوم عليها فأتى بثلاثة أقراص فدخل كلب فدنا منه فرمى اليه بقرص فأكله ثم رمى اليه بالثانى والثالث فأكلهما وعبد الله ينظر اليه فقال يا غلام كم قوتك كل يوم قال ما رأيت قال فلم آثرت الكلب قال لان أرضنا ما هى بأرض كلاب وأظنه جاء من مسافة بعيدة جائعا فكرهت رده قال فما كنت صانعا اليوم قال أطوى يومى هذا فقال عبد الله بن جعفر الأمر مبنى على السخاء والله ان هذا لأسخى منى فاشترى النخل والعبد فأعتقه ووهب ذلك له (ومن لطائف المنقول) انه رفع للرشيد موت العباس بن الأحنف وابراهيم الموصلى المعروف بالنديم وكشمة الجمارة فى يوم واحد فخرج للصلاة عليهم فصفوا بين يديه فقال من الأول فقالوا ابراهيم الموصلى فقال اخروه وقدموا العباس بن الأحنف فقدم وصلى عليه فلما فرغ وانصرف دنا منه هاشم بن عبد الله الخزاعى وقال يا أمير المؤمنين كيف آثرت العباس بالتقديم على من حضر فقال بقوله

وسعى بها قوم وقالوا انها

لهى التى تشقى بها وتكابد

فجحدتهم ليكون غيرك ظنهم

انى ليعجبنى المحب الجاحد

أشمط بامرأة عجيبة في الجمال فقال ياهذه ان كان لك زوج فبارك الله لك فيه والا فاعلمينا فقالت كأنك تخطبني قال نعم فقالت ان في عيبا قال وما هو قالت شيب في رأسي فثنى عنان دابته فقالت على رسلك فلا والله ما بلغت عشرين سنة ولا رأيت في رأسي شعرة بيضاء ولكنني أحببت أن أعلمك اني أكره منك مثل ما تكره مني فأنشد ويقال انه لابن المعتز

رأين الغواني الشيب لاح بعفرقي * فاعرضن عني بالخدود النواضر

(وقال آخر) سألتها قبلة يوما وقد نظرت * شيبي وقد كنت ذا مال وذا نعم
فأعرضت وتولت وهي قائلة * لا والذي أوجد الأشياء من عدم
ما كان لي في بياض الشيب من أرب * أفي الحياة يكون القطن حشو فمي

(وقال آخر) قالت أرى مسكة الشعر البهيم غدت * كافورة قد أحالتها يد الزمن
فقلت طيب بطيب والتنقل في * معادن الطيب أمر غير ممتهن
قالت صدقت وما أنكرت ذاك بذا * المسك للشم والكافور للكفن

(وقال آخر) قالت أراك خضبت الشيب قلت لها * سترته عنك يا سمعي و يا بصري
فقهقهت ثم قالت من تعجبها * تكاثر الغش حتى صار في الشعر

(وقال ابن نباتة) تبسم الشيب بوجه الفتى * يوجب سح الدمع من جفنه
وكيف لا يبكي على نفسه * من ضحك الشيب على ذقنه

(وقال ابن المعتز) فما أقبح التفريط في زمن الصبا * فكيف به والشيب في الرأس شامل

وكان المأمون يتمثل بقول الشاعر

رأت وضحا في الرأس مني فراعها * فريقان مبيض به وبهيم
تفاريق شيب في السواد لوامع * فيا حسن ليل لاح فيه نجوم

ويقال في الرجل اذا شاب ليله عسعس وصبحه تنفس

اذا نازع الشيب الشباب فاصلتا * بسيفيهما فالشيب لاشك غالب

(وقال آخر) ألا ان شيب العبد من نقرة القفا * وشيب كرام الناس شيب المفارق

(وقال العتبي) قالت عهدتك مجنونا فقلت لها * ان الشباب جنون برؤه الكبر

(وقال علي بن ربيع) كبرت ودق العظم مني وعقني * بني وزالت عن فراشي العقائد
وأصبحت أعشى أخبط الارض بالعصا * يقودني بين البيوت الولائد

(وقال آخر) عريت من الشباب وكنت غصنا * كما يعرى من الورق القضيب
ونحت على الشباب بدمع عيني * فما نفع البكاء ولا النحيب
فيا ليت الشباب يعود يوما * فأخبره بما فعل المشيب

(وقال ابن النقيب) وكم كان من عين علي وحافظ * وكم كان من واش لها ورقيب
فلما بدا شيبي اطمأنت قلوبهم * ولم يحفظوني وا كتفوا بمشيبي

وقال الامام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى ما شبهت الشباب الا كشئ كان في كمي فسقط (قال الشاعر)

شيئان لو بكت الدماء عليهما * عيناك حتى يؤذنا بذهاب
لم يبلغا المعشار من حقيهما * فقد الشباب وفرقة الاحباب

(وقال الجاحظ) أترجو أن تكون وأنت شيخ * كما قد كنت في زمن الشباب
لقد كذبتك نفسك ليس ثوب * دريس كالجديد من الثياب

﴿ومما جاء في الخضاب﴾ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليكم بالخضاب فانه أهيب لعدوكم وأعجب لنسائكم وعن أبي عامر الانصاري رضي الله تعالى عنه رأيت أبا بكر الصديق رضي الله تعالى عنه يغير بالحناء والكتم وقيل خضاب الحناء يصفي البصر ويذهب بالصداع ويزيد في الباه بيت

تسود أعلاها وتأبى أصولها * وليس الى رد الشباب سبيل

ثم قال أتحفظهما قلت نعم قال أليس من قال هذا الشعر أولى بالتقديم فقلت بلى والله يا أمير المؤمنين (قلت ويضارع هذا ما حكاه صاحب الاغاني) حكى ان رجلا أدى شهادة عند بعض القضاة فقال القاضي هل يعرفك أحد من ذوي العدالة قال نعم فلان فلما حضر قال له القاضي هل تعرف هذا قال نعم أعرفه عدلا وما ذاك الا اني سمعته ينشد لجرير

ان الذين غدوا بلبك غادروا
وشلا بعينك لا يزال معينا
غيضن من أبصارهن وقلن لي
ماذا لقيت من الهوى ولقينا

فعلمت ان هذا لا يرسخ الا في قلب مؤمن (وقال الشيخ أثير الدين أبو حيان رحمه الله) كانت رقائق الشيخ تقي الدين السروجي تسلب العقول وكان يغني بها في عصره لانها في الطريق الغرامي غاية لا تدرك فمن ذلك قوله رحمه الله

أنعم بوصلك لي فهذا وقته
يكفي من الهجران ما قد ذقته
أنفقت عمري في هواك وليتني
أعطى وصولا بالذي أنفقته
يا من شغلت بحبه عن غيره
وسلوت كل الناس حين عشقته
كم جال في ميدان حسنك فارس
بالسبق فيك الى رضاك سبقته
أنت الذي جمع المحاسن وجهه
لكن عليه تصبري فرقته
قال الوشاة قد ادعى بك نسبة
فسررت لما قلت قد صدقته
بالله ان سألوك عني قل لهم
عبدي وملك يدي وما أعتقته
أو قيل مشتاق اليك فقل لهم
أدري بذا وأنا الذي شوقته

(قلت) لو كان الشيخ تقي الدين السروجي رحمه الله في جملة من صلى عليه الرشيد لم يقدم غيره عليه (قال الشهاب محمود) وكان الشيخ تقي الدين السروجي مع

وقيل وفد عبد المطلب بن هاشم على سيف بن ذى يزن فقال له لو خضبت شعرك فلما رجع الى مكة اختضب فقالت امرأته نبيلة ما أحسن هذا لو دام فقال

ولو دام لى هذا الخضاب حمدته * وكان بديلا من خليل قد انصرم
تمتعت منه والحياة قصيرة * ولا بد من موت نبيلة أو هرم

(وقال آخر)

يا خاضب الشيب الذى * فى كل ثالثة يعود
ان الخضاب اذا نضا * فكأنه شيب جديد
فدع المشيب وما يريد فلن يعود كما تريد

(وقال محمود الوراق) فما منك الشباب ولست منه * اذا سامتك لحيتك الخضابا

* الفصل الثالث فى العافية والصحة * عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اليك انتهت الامانى يا صاحب العافية وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة أن يقال له ألم أصح بدنك وأروك بالماء البارد وقال على رضى الله تعالى عنه فى قوله تعالى ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم هو الامن والصحة والعافية وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما يسأل الله العباد عن الابدان والاسماع والابصار فيم استعملوها وهو أعلم بذلك وقال ابن عيينة من تمام النعمة طول الحياة فى الصحة والامن والسرور وقالت عائشة رضى الله تعالى عنها لو رأيت ليلة القدر ما سألت الله الا العفو والعافية وقال قبيصة بن ذؤيب كنا نسمع نداء عبد الملك بن مروان من وراء الحجرة فى مرضه يا أهل النعم لا تستقلوا شيأ من النعم مع العافية ويقال البحر لا جوار له والملك لا صديق له والعافية لا ثمن لها قال ابن الرومى

اذا ما كساك الدهر سربال صحة * ولم يخل من قوت يحل ويقرب
فلا تغبطن أهل الكثير فانما * على قدر ما يعطيهم الدهر يسلب

ويقال صحة الجسم أوفر القسم وذكر بعضهم العافية فقال وأى وطاء وأى غطاء وقال حكيم ان كان شئ فوق الحياة فالصحة وان كان شئ مثل الحياة فالغنى وان كان شئ فوق الموت فالمرض وان كان شئ مثل الموت فالفقر وقال على رضى الله تعالى عنه ما المبتلى الذى اشتد به البلاء باحوج الى الدعاء من المعافى الذى لا يأمن البلاء وقيل ان فأرة البيوت رأت فأرة الصحراء فى شدة ومحنة فقالت لها ما تصنعين ههنا اذهبى معى الى البيوت التى فيها أنواع النعيم والخصب فذهبت معها واذا صاحب البيت الذى كانت تسكنه قد هيأ لها الرصد لبنة تحتها شحمة فاقتحمت لتأخذ الشحمة فوقعت عليها اللبنة فحطمتها فهربت الفأرة البرية وهزت رأسها متعجبة وقالت أرى نعمة كثيرة وبلاء شديدا الا وان العافية والفقر أحب الى من غنى يكون فيه الموت ثم فرت الى البرية * وكان عند رومى خنزير فربطه الى اسطوانة ووضع العلف بين يديه ليسمنه وكان بجنبه أتان لها جحش وكان ذلك الجحش يلتقط من العلف ما يتناثر فقال لامه يا أماه ما أطيب هذا العلف لو دام فقالت له أمه يا بنى لا تقربه فان وراءه الطامة الكبرى فلما أراد الرومى أن يذبح الخنزير ووضع السكين على حلقه جعل يضطرب وينفخ فهرب الجحش وأتى الى أمه وأخرج لها أسنانه وقال ويحك يا أماه انظرى هل بقى فى خلال أسنانى شئ من ذلك العلف فاقلعيه فما أحسن القنع مع السلامة والله أعلم بالصواب

* الفصل الرابع فى أخبار المعمرين فى الجاهلية والاسلام * قال الحسن رضى الله تعالى عنه أفضل الناس ثوابا يوم القيامة المؤمن المعمر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا أنبئكم بخياركم قالوا بلى يا رسول الله قال أطولكم أعمارا فى الاسلام اذا سددوا وزعموا أن تبعا الفزارى كان من المعمرين وانه دخل على بعض خلفاء بنى أمية فسأله عن عمره فقال عشت أربعمائة وعشرين سنة فى فترة عيسى بن مريم عليه السلام فى الجاهلية وستين فى الاسلام قال له أخبرنى عما رأيت فى سالف عمرك قال رأيت الدنيا ليلة فى أثر ليلة ويوما فى أثر يوم ورأيت الناس بين جامع مال مفرق ومفرق مال مجموع وبين قوى يظلم وضعيف يظلم وصغير يكبر وكبير يهرم وحى يموت وجنين يولد وكلهم بين مسرور بموجود ومحزون بمفقود وقد قال ابن الجوزى ان آدم عليه السلام عاش ألف سنة وعاش ابنه شيث تسعمائة سنة وعاش ابنه مهلاييل ثمانمائة وخمسا وتسعين سنة وعاش ابنه ادريس ثلثمائة وخمسا وتسعين سنة وعاش ابنه هود تسعمائة واثنتين وستين سنة وعاش ابنه متوشلخ

دينه وورعه وزهده وعفته مغرما بالجمال وكذلك قال الشيخ أثير الدين وكان يكره مكانا فيه امرأة ومن دعاه من أصحابه قال شرطى معروف وهو أن لا يحضر بالمجلس امرأة (قال الشهاب محمود) وكنا يوما فى دعوة فأحضر صاحب الدعوة شواء وأمر بادخاله الى النساء ليجعلنه فى الصحون فلما أحضر بعد ذلك تعرف منه وقال كيف نؤكل وقد مسسنه بايديهن (قال الشيخ أثير الدين) ولما توفى الشيخ تقى الدين عصر رابع رمضان المعظم سنة ثلاث وتسعين وستمائة حلف أبو محبوبه أن لا يدفنه الا فى قبر ابنه وقال كان الشيخ يهواه بالحياة وما أفرق بينهما بالممات هذا لما كان يعلمه من دينه وعفافه (قلت) والشيخ مدرك هو أبو هذه العذرة وغرة هذه الشجرة فانه من هام مع زهده وورعه بالجمال وعف وصبر الى أن مات وكان الشيخ مدرك المذكور من أكابر علماء المغرب المتفقهين وكان مطبوعا فى نظم الشعر الجيد الرقيق وكان يقرئ الأدب وله مجلس يجمع له دار الروم وكان لا يقرئ الا الاحداث فتفق بنصرانى اسمه عمرو بن يوحنا كان من أحسن أهل زمانه وأسلمهم طبعا فهام الشيخ به وكتب رقعة وطرحها فى حجره وهى
بحبيا لبس العزالتى
بك تم جمع جموعها
الا رثيت لمقلة * غرقت بماء دموعها
بينى وبينك حرمة * الله فى تضييعها
فلما قرأها عمرو استحيا وعلم بها من فى المجلس فانقطع عمرو واشتد بالشيخ الوجد فترك المجلس ونظم القصيدة المشهورة وقيل انها اشتملت على سائر عبادات النصارى ومواقيتهم وأسماء المعظمين فى دينهم وعدة صاحب مصارع العشاق مع الذين ماتوا غراما

تسعمائة وستين سنة وأما ابنه نوح عليه السلام فروى عن عبد الله بن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه قال عاش نوح عليه السلام ألفا وأربعمائة وخمسين عاما وأما الخضر عليه السلام واسمه خضرون فهو أطول بنى آدم عمرا وذكر أن لقمان عليه السلام عاش ثلاثة آلاف وخمسمائة سنة وكانت العرب لا تعد من الاعمار الا ما بلغ مائة وعشرين سنة فما فوقها وعاش أكثم بن صيفى ثلثمائة وستين سنة وأدرك الاسلام وعاش سطيح سبعمائة سنة وعاش قس بن ساعدة الايادى سبعمائة سنة وكان من حكماء العرب وعاش لبيد بن ربيعة الشاعر مائة وعشرين سنة وأدرك الاسلام وعاش دريد بن الصمة مائة وسبعين سنة حتى سقط حاجباه على عينيه وأدرك الاسلام ولم يسلم ومن المعمرين عدى بن حاتم الطائى وزهير بن جنادة عاشا مائتين وعشرين سنة ومن المعمرين ذو الاصابع العذرى عاش مائتين وعشرين سنة وهو أحد حكماء العرب فى الجاهلية ومن المعمرين عمرو بن معديكرب الزبيدى ومن المعمرين عبد المسيح بن نفيلة عاش ثلثمائة وعشرين سنة وأدرك الاسلام وقد رأيت رجلا من أهل محلة مسير بالغربية وذكر أنه بلغ من العمر مائة وأربعين سنة وان امرأته بلغت من العمر كذلك ولقد رأيت منه مالم أر من بعض شبان هذا العصر فى القوة وشدة البأس ورأيت له ولدا شيخا وهو أشد قوة من ولده وذلك فى صفر سنة تسع وعشرين وثمانمائة والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿الباب التاسع والاربعون فى الاسماء والكنى والألقاب وما استحسن منها﴾

فأشرف الاسماء وأعظمها بسم الله الرحمن الرحيم قال الله تعالى هل تعلم له سميا وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من رفع قرطاسا من الارض مكتوبا عليه بسم الله الرحمن الرحيم اجلالا له ولاسمه عن أن يداس كان عند الله من الصديقين وخفف عنه وعن والديه العذاب وان كانا مشركين وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما لم يرن ابليس لعنه الله قط الا ثلاث رنات رنة حين لعن وأخرج من ملكوت السموات والارض ورنة حين ولد محمد صلى الله عليه وسلم ورنة حين أنزلت سورة الحمد وفى أولها بسم الله الرحمن الرحيم وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يرد دعاء أوله بسم الله الرحمن الرحيم وان أمتى يأتون يوم القيامة يقولون بسم الله الرحمن الرحيم فتثقل حسناتهم فى الميزان فتقول الامم ما أثقل موازين أمة محمد فتقول الانبياء عليهم الصلاة والسلام ابتداء كلامهم ثلاثة أسماء من أسماء الله تعالى لو وضعت فى كفة الميزان ووضعت سيآت الخلق فى كفة لرجحت كفة الاسماء (وأما الاسماء والكنى) ففى صحيح مسلم عن ابن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب أسمائكم الى الله تعالى عبد الله وعبد الرحمن وأصدقها حارث وهمام وأقبحها حرب ومرة وينبغى أن تنادى من لا تعرف اسمه بعبارة لطيفة لا يتأذى بها ولا يكون فيها كذب كقولك يا فقيه يا أخى يا فقير يا سيدى يا صاحب الثوب الفلانى أو البغل الفلانى أو الفرس الفلانى أو السيف الفلانى وما أشبه ذلك ودخل عبادة على المتوكل وبين يديه جام من ذهب فيه ألف مثقال فقال له أسألك عن شئ ان أجبتنى عنه ابتداء من غير أن تفكر فلك الجام بما فيه فقال سل يا أمير المؤمنين قال أسألك عن شئ له اسم ولا كنية له وعن شئ له كنية ولا اسم له قال المنارة وأبو رياح فعجب المتوكل وأعطاه الجام بما فيه وقيل لعثمان ذو النورين رضى الله تعالى عنه لانه هو ورقية كانا أحسن زوجين فى الاسلام وقيل لانه تزوج برقية ثم بأم كلثوم ابنتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يوجد من تزوج بابنتى نبى غيره وكان قتادة بن النعمان الانصارى رضى الله تعالى عنه أصيب فى عينه يوم أحد فسقطت على خده فردها رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت أحسن وأصح من الاخرى فكانت تعتل أى ترمد عينه الباقية ولا تعتل عينه المردودة فقيل له ذو العينين وقال أبو هريرة رضى الله تعالى عنه كنت بهرة صغيرة كنت أحملها فى حجرى فالعب بها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا أبا هريرة واختلف فى اسمه فقيل عبد الرحمن وقيل عبد شمس وقيل عمير وقيل سليمان وقال الشعبى رضى الله تعالى عنه كنية الدجال أبو يوسف * ذو الشهرة أبو دجانة الانصارى رضى الله تعالى عنه كان له شهرة يلبسها بين الصفين * ذو الرياستين الفضيل بن سهل لانه دبر أمر السيف والقلم وولى رياسة الجيوش والدواوين ودخل عليه شاعر يوم المهرجان وبين يديه الهدايا فقال

اليوم يوم المهرجان * هديتى فيه اللسان * للدولتان حديثة

(وقال فى كتابه الموسوم بمصارع العشاق) أخبرنا القاضى أبو القاسم التنوخى سنة ثلاث وأربعين وأربعمائة قال حدثنا القاضى أبو الفرج المعافى قال أنشدنا أبو القاسم مدرك بن محمد الشيبانى لنفسه فى عمرو النصرانى قال القاضى أبو الفرج وقد رأيت عمرا وقد ابيض رأسه

من عاشق ناء هواه دان
ناطق دمع صامت اللسان
موثق قلب مطلق الجثمان
معذب بالصد والهجران
من غير ذنب كسبت يداه
لكن هوى نمت به عيناه
شوقا الى رؤية من أشقاه
كأنما عافاه من أبلاه
يا ويحه من عاشق ما يلقى
من أدمع منهلة ما ترقى
ذاب الى ان كاد يفنى عشقا
وعن دقيق الفكر سقما دقا
لم يبق منه غير طرف يبكى
بأدمع مثل نظام السلك
تخمد نيران الهوى وتذكى
منهلة قطر السماء تحكى
الى غزال من بنى النصارى
فضل بالحسن على العذارى
وغادر الاسد به حيارى
فى ربقة الحب له أسارى
ريم به أى هزبر لم يصد
يقتل باللحظ ولا يخشى القود
متى تقل ها قالت الالحاظ قد
كأنه ناسوته حين اتحد
يا ليتنى كنت له زنارا
يديرنى فى الخصر كيف دارا
حتى اذا الليل طوى النهارا
صرت له حينئذ ازارا
يا عمرو ناشدتك بالمسيح
الا سمعت القول من فصيح
يذب عن قلب له جريح
ليس من الحب بمستريح
يا عمرو بالحق مع اللاهوت
والروح روح القدس والناسوت

وقدعة ورياستان * لك فى الورى من هاشم * نبت وبيت خسروان
علم الخليفة كيف أنـ * ـت فصرت فى هذا المكان

فأمر له بجميع الهدايا * المطيبون بنو عبد مناف و بنو أسد بن عبد العزى وزهرة بن كلاب وتميم بن مرة والحرث بن فهر غمسوا أيديهم فى خلوف ثم تحالفوا * شيبة الحمد عبد المطلب لقب بشيبة كانت فى رأسه حين ولد قال حذافة

بنو شيبة الحمد الذى كان وجهه * يضئ ظلام الليل كالقمر البدر

وقيل له عبد المطلب لان عمه المطلب مر به فى سوق مكة مردوفا له فجعلوا يقولون من هذا الذى وراءك فيقول عبدلى * سيدنا أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه اسمه عبد الله ولقباه العتيق والصديق لجماله وتصديقه بخبر الاسراء أولانه أول من صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم * سيدنا عمر رضى الله تعالى عنه لقب بالفاروق لانه قال يوم أسلم لا يعبد الله اليوم سرا فظهر به الاسلام وفرق بين الحق والباطل * الكامل سعد بن عبادة رضى الله تعالى عنه لانه كان يكتب ويحسن الرمى والعوم * طلحة بن عبد الله رضى الله تعالى عنه كان يقال له طلحة الخير وطلحة الفياض وطلحة الطلحات لسخائه * رشح الحجر وأبو ذباب عبد الملك بن مروان لقب بذلك لبخله وبخره * عكة العسل سعيد بن العاص رضى الله تعالى عنه * الحبر عبد الله بن عباس رضى الله تعالى عنه لقب بذلك لعلمه كان يقال له مرة الحبرة ومرة البحر * الاشدق عمر بن سعيد لانه كان مائل الشدق * الفياض عكرمة بن ربعى لقب بذلك لسخائه * المصطلق خزيمة بن سعد الخزاعى قيل له المصطلق لحسن صوته وشدته وكان أول من غنى من خزاعة * راح يكذب لقب به المهلب لانه كان يضع الحديث أيام الخوارج فيحدث به فاذا رأوه قالوا راح يكذب * واصل الغزال كان يكثر الجلوس فى سوق الغزالين وكان يتتبع العجائز فيتصدق عليهم ولم يكن غزالا * سليمان التيمى كان داره ومسجده فى بنى تيم ولم يكن منهم وهو شيبانى * أبو عمرو الشيبانى لم يكن من بنى شيبان وانما كان يعلم يزيد بن مزيد الشيبانى * اليزيدى كان يعلم يزيد بن منصور الحميرى فنسب اليه * ذو القروح امرؤ القيس كان ملك الروم كساه الحلة المسمومة فقرحته وقالوا لم تكن الكنى لاحد من الأمم الا للعرب وهى مفاخرهم وقال بعضهم

أكنيه حين أناديه لاكرمه * ولا ألقبه والسوأة اللقب

وقيل فى قوله تعالى فقولا له قولا لينا أى كنياه ولما ضرب موسى عليه الصلاة والسلام البحر ولم ينفلق أوحى الله تعالى اليه أن كنه فقال انفلق أبا خالد فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم (وأما الالقاب) فقد قال الله تعالى ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان سماه الله تعالى فسوقا واتفق العلماء رضى الله تعالى عنهم على جواز ذلك على وجه التعريف ان لا يعرف الا بذلك كالأعمش والاعمى والاعرج والأحول والافطس والاقرع ونحو ذلك وقل من المشاهير فى الجاهلية والاسلام من ليس له لقب ولم يزل فى الأمم كلها يجرى فى المخاطبات والمكاتبات من غير نكير غير أنها كانت تطلق على حسب الموسومين وأما ما استحسن من تلقيب السفلة بالالقاب العلية حتى زال الفضل وذهب التفاوت وانقلب النقص والشرف شرعا واحدا فنكر وهب أن العذر مبسوط فى ذلك فما العذر فى تلقيب من ليس من الدين فى دبير ولا قبيل ولا له فيه ناقة ولا فصيل بل هو محتو على ما يضاد الدين و ينافى كمال الدين وشرف الاسلام وهى لعمر الله الغصة التى لا تساغ والغبن الذى يعجز الصبر دونه فلا يستطاع نسأل الله تعالى اعزاز دينه واعلاء كلمته وأن يصلح فسادنا ويوقظ غافلنا * الرجل يكنى باسم ولده والمرأة كذلك واذا كنوا من لم يكن له ولد فعلى جهة التفاؤل و بناء الأمر على رجاء أن يعيش فيولد له وقد يكنون بالاسم المكنى من غير الأولاد كقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فى على رضى الله تعالى عنه أبو تراب وذلك أنه نام فى غزوة ذى العشيرة فذهب به النوم فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متمرغ فى التراب فقال له اجلس أبا تراب وكان أحب أسمائه اليه وكقولهم أبى لهب لحمرة خديه ولونه وقال الزمخشرى رحمه الله تعالى وسمعتهم يكنون الكبير الرأس والعمامة بأبى الراس وأبى العمامة وسمعت العرب ينادون الطويل اللحية يا أبا الطويلة وسمعت عرب البحيرة يكنون بأسماء بناتهم كأبى زهو وأبى سلطانة وأبى ليلى ونحو ذلك ولا حرج فى ذلك وقد تكنى جماعة من أفاضل الصحابة بأبى فلانة منهم سيدنا عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه كان له ثلاث كنى أبو عمرو وأبو عبد الله وأبو ليلى ومنهم أبو أمامة وأبو رقية تميم الدارى وأبو كريمة المقداد بن معديكرب

وكثير

ذاك الذى فى مهده المنعوث
عوض بالنطق عن السكوت
بحق ناسوت ببطن مريم
حل محل الريق منها بالفم
ثم استحال فى القنوم الاقدم
يكلم الناس ولما يفطم
بحق من بعد المات قصا
يوما على مقداره ماقصا
وكان لله تقيا مخلصا
يشفى و يبرى أكمها وأبرصا
بحق محيى صورة الطيور
و باعث الموتى من القبور
ومن اليه مرجع الامور
يعلم مافى البر والبحور
بحق من فى شامخ الصوامع
من ساجد لربه وراكع
يبكى اذا ما نام كل هاجع
خوفا من الله بدمع هامع
بحق قوم حلقوا الرؤسا
وعالجوا طول الحياة بوسا
وقرعوا فى البيعة الناقوسا
مشمعلين يعبدون عيسى
بحق مارمريم و بولس
بحق شمعون الصفا و بطرس
بحق دانيل بحق يونس
بحق حزقيل و بيت المقدس
ونينوى اذ قام يدعو ربه
مطهرا من كل سوء قلبه
ومستقيلا فاقيل ذنبه
ونال من مولاه ما أحبه
بحق مافى قلة الميرون
من نافع الادواء للمجنون
بحق ما يؤثر عن شمعون
من بركات النخل والزيتون
بحق أعياد الصليب الزهر
وعيد شمعون وعيد الفطر
و بالشعانين الجليل القدر
وعيد مرمارى الرفيع الذكر
وعيد شعيا و بالهيا كل
والدخن اللاتى بكف الحامل
يشفى بها من خبل كل خابل
ومن دخيل السقم فى المفاصل

وكثير من الصحابة ومن التابعين رضوان الله تعالى عليهم أجمعين * أبو عائشة مسروق بن الاجدع وكان لأنس أخ صغير وله نغير يلعب به فمات فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فرآه حزينا فقال ماشأنه فقالوا مات نغيره فقال يا أبا عمير مافعل النغير * ونظر المأمون الى غلام حسن فى الموكب فسأله عن اسمه فقال لا أدرى فقال

تسميت لا أدرى فانك لاتدرى * بما فعل الحب المبرح فى صدرى

وعن على رضى الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم اذا سميتم الولد محمدا فأكرموه ووسعوا له فى المجلس ولا تقبحوا له وجها وعنه مامن قوم كان بينهم مشورة فحضر معهم من كان اسمه محمد أو أحمد فادخلوه فى مشورتهم الا كان خيرا لهم ومامن مائدة وضعت فحضر عليها من اسمه محمد أو أحمد الا قدس الله ذلك المنزل فى كل يوم مرتين كل ذلك ببركة هذا الاسم الشريف (ومما جاء فى مدح الاسماء منظوما) قال بعضهم فى مليح اسمه ابراهيم

رأيت حبيبى فى المنام معانقى * وذلك للمهجور مرتبة عليا
وقد رق لى من بعد هجر وقسوة * وماضر ابراهيم لو صدق الرؤيا

(وفيه أيضا) لازال بابك كعبة محجوجة * وترابها فوق الجباه وسيم
حتى ينادى فى البقاع بأسرها * هذا المقام وأنت ابراهيم

(وفيه أيضا) ياسمى الخليل ان فؤادى * فيه من لوعة الغرام جحيم
وعجيب ياقاتلى ان قلبى * فيه نار وأنت فيه مقيم

(ولبعضهم فى مليح اسمه عمر)

ياأعدل الناس اسما كم تجور على * فؤاد مضناك بالهجران والبين
أظنهم سرقوك القاف من قمر * وأبدلوها بعين خيفة العين

(وفيه أيضا) ماعليهم فى الهوى لو نظروا * حين سموك فقالوا عمر
أبدلوا قافك عينا غلطا * أخطؤا ما أنت الا قمر

(ولبعضهم فى مليح حامل شمعة موقودة اسمه عثمان)

وافى الى بشمعة وضياؤها * وضياؤه حكيا لنا القمرين
ناديته ما الاسم يا كل المنى * فأجابنى عثمان ذو النورين

(ولبعضهم فى مليح اسمه يوسف)

يامن سبى الشعراء ثمل عذاره * النجم يشهد لى بأنى مدنف
صيرت قلبى من صدودك فاطرا * فامنن على بزورة يايوسف

(وللصفى الحلى فيمن اسمه داود)

وثقت بان قلبى من حديد * وفيه على الهوى بأس شديد
فلان على هواك ولا عجيب * اذا داود لان له الحديد

(وله فيمن اسمه موسى) أتى موسى بآية خال خده * حوته صوارم الحدق المراض
فآية ذا بياض فى سواد * وآية ذاسواد فى بياض
فجا بضد ماقد جاء موسى * كليم الله فى الحقب المواضى

(وللقيراطى فى مليح اسمه بدر)

سموه بدرا وذاك لما * أن فاق فى حسنه وتما وأجمع الناس اذ رأوه * بانه اسم على مسمى

(ولمؤلفه رحمه الله تعالى) فى قاضى القضاة علم الدين صالح البلقينى

وعظ الانام امامنا الحبر الذى * سكب العلوم كبحر فضل طافح
فشفى القلوب بعلمه وبوعظه * والعلم يشفى ان يكن من صالح

وتوجهت مرة الى بلتاج لاجتمع بالحاج خليل بن منصور فى ضرورة فلم أجده ولم يقم أحد من اخوته بقضاء ماتوجهت بسببه فقلت خصال خليل كلهن حميدة * وأوصافه تزرى بكل جميل
فلا خير فى بلتاج ان لم يكن بها * ولا خير فى الدنيا بغير خليل

بحق سبعين من العباد
قاموا بدين الله فى البلاد
وأرشدوا الناس الى الرشاد
حتى اهتدى من لم يكن بهاد
بحق ثنتى عشرة من الامم
ساروا الى الاقطار يتلون الحكم
حتى اذا اصبح الهدى جلا الظلم
ساروا الى الله ففازوا بالنعم
بحق مافى محكم الانجيل
من منزل التحريم والتحليل
وخبر ذى نبأ جليل
يرويه جيل قدمضى عن جيل
بحق مرعيد التقى الصالح
بحق لوقا بالحكيم الراجح
والشهداء بالفلا الصحاصح
من كل غاد منهم ورائح
بحق معمودية الارواح
والمذبح المشهور فى النواحى
ومن به من لابس الامساح
من راهب بالٍ ومن نواح
بحق تقريبك فى الاعياد
وشربك القهوة كالفرصاد
عما بعينك من السواد
بطول تقطيعك للاكباد
بحق ماقدس شعيا فيه
بالحمد لله وبالتنزيه
بحق نسطور ومايرويه
عن كل ناموس له فقيه
شيخان كانا من شيوخ العلم
وبعض أركان التقى والحلم
لم ينطقا قط بغير الفهم
موتهما كان حياة الخصم
بحرمة الاسقف والمطران
والجاثليق العالم الربانى
والقس والشماس والديرانى
والبطرق الاكبر والرهبان
بحرمة المحبوس فى أعلى الجبل
ومارقولا حين صلى وابتهل
وبالكنيسات القديمات الأول
وبالمسيح المرتضى ومافعل
بحرمة الاسقوفيا والبيرم
وماحوى مغفر رأس مريم
بحرمة الصوم الكبير الأعظم
بحق كل بركة ومحرم

(وقال آخر في مقبل) يامن تحجب عن محب صادق * مازال عنه كل يوم يسأل
من لي بيوم فيه تسمح باللقا * ويقال لي هذا حبيبك مقبل

(ولبعضهم في مليح اسمه محسن)

وأهيف يعلو على عشاقه * برتبة من الجمال نالها
واسمه وهو الحبيب محسن * وكم دموع في الهوى أسالها

(صفي الدين الحلي في اسم حسين)

حبيبي وافر والشوق مني * طويل والهوى عندي مديد
وأعجب انني أهوى حسينا * وشوقي في محبته يزيد

(ومما قيل في أسماء النساء) في فاطمة

عجبت من فاتنة لم تزل * لمرتجي الوصل لها فاطمه
تنكر ما ألقاه من وجدها * وهي بشوقي والجوى عالمه

(ابن مكانس في اسم عائشة)

يادهر خبرني بحقك واشفني * فسهام فكري في أمورك طائشة
أيحل أني في المحبة ميت * وحبيبتي من بعد موتي عائشة

(شمس الدين البديري في اسم حليمة)

ولما رأتني في هواها متيما * أكابد من حر الغرام أليمه
فجادت بطيب الوصل منها ولم تجر * ومن أين تدري الجور وهي حليمه

(ولبعضهم في اسم بركة دوبيت)

لما نصب الهوى لقلبي شركه * ناديت وقلبي تارك من تركه
ياقلب أفق ولا تمل لشركه * تغنيك سنين ساعة من بركه

(مردوفا أيضا) لما نصب الهوى لقلبي شركه * في كل طريق
ناديت وقلبي تارك من تركه * لو كان يفيق * ياقلب أفق ولا تمل للشركه
ما الشرك يليق * تغنيك سنين ساعة من بركه * عن كل صديق

ولو تتبعت هذا المعنى لاحتجت الى مجلدات ولكن فيما ذكرته كفاية والله الموفق وأسأله العناية وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الخمسون فيما جاء في الاسفار والاغتراب وما قيل في الوداع والفراق والحث على ترك الاقامة بدار الهوان وحب الوطن والحنين اليه)

(أما ما جاء في الاسفار والحث على ترك الاقامة بدار الهوان)

فقد قال الله تعالى هو الذي جعل لكم الارض ذلولا الآية وفي الأثر سافروا تغنموا وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو يعلم الناس رحمة الله للمسافر لاصبح الناس على ظهر سفر وهو ميزان الاخلاق ان الله بالمسافر رحيم ويقال الحركة ولود والسكون عاقر وقال حكيم السفر يسفر عن أخلاق الرجال وكان بعضهم يريد السفر فيمنعه والده اشفاقا عليه فقال يوما

ألا خلني أمضي لشأني ولا أكن * على الاهل كلا ان ذا لشديد
تهيبني ريب المنون ولم أكن * لاهرب عما ليس منه محيد
فلو كنت ذا مال لقرب مجلسي * وقيل اذا أخطأت أنت رشيد
فدعني أجول الارض عمري لعله * يسر صديق أو يغاظ حسود

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليكم بالدلجة فان الارض تطوى بالليل ولا تطوى بالنهار وقال كعب بن مالك رضي الله تعالى عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكره أن يسافر الرجل في غير رفقة وقال صلى الله عليه وسلم الراكب شيطان والراكبان شيطانان والثلاثة ركب قال صلى الله عليه وسلم اذا خرج ثلاثة في

بحق يوم الذبح في الاشراق
وليلة الميلاد والتلاقي
والذهب الابريز لا الاوراق
بالفصح يامهذب الاخلاق
بكل قداس على قداس
قدسه القس مع الشماس
وقربوا يوم خميس الناس
وقدموا الكاس لكل حاس
الا رغبت في رضا أديب
باعده الحب عن الحبيب
فذاب من شوق الى المذيب
أعلى مناه أيسر التقريب
انظر أميري في صلاح أمري
محتسبا في عظيم الاجر
مكتسبا مني جميل الشكر
من نثر ألفاظ ونظم شعر
(قلت والشيء بالشيء يذكر) الشيخ مدرك ألجأته الضرورة الغرامية أن يتجشم المشاق ويتقرب الى محبوبه بأقسام لها عند أهل دين النصرانية محل عظيم الموقع كما ألجأت الشيخ مهذب الدين بن منير الطرابلسي الشاعر المشهور أن يترك التشيع وكان من كبار الشيعة ويرجح جانب السنة ويوهي أقوال الرافضة وموجب ذلك أن مهذب الدين المذكور هاجر الى بغداد بسبب مدح الشريف الموسوي نقيب الاشراف بها وكان الشريف أيضا من كبار الشيعة فلما دخل بغداد جهز الى الشريف هدية مع مملوكه بدل معشوقه تتر الذي سارت الركبان بغرامه فيه فأخذ الهدية وأعجبه المملوك فأخذه فلما وصل الخبر الى مهذب الدين بن منير أشرف على ذهاب روحه وكتب الى الشريف والى تتر
عذبت طرفي بالسهر
وأذبت قلبي بالفكر
ومزجت صفو مودتي
من بعد بعدك بالكدر
ومحت جسماني الضنا
وكحلت جفني بالسهر

ركب فليؤمر واحدهم (وقيل) أغار حذيفة بن بدر على هجان النعمان بن المنذر بن ماء السماء وسار فى ليلة مسافة ثمانى ليال فضرب به المثل وقال قيس بن الحطيم

هممنا بالاقامة ثم سرنا * مسير حذيفة الخير بن بدر

وسار ذكوان مولى عمر رضى الله تعالى عنه من مكة الى المدينة فى يوم وليلة وقال المأمون لاشئ ألذ من السفر فى كفاية وعافية لانك تحل كل يوم فى محلة لم تحل فيها وتعاشر قوما لم تعرفهم (ومما قيل فى ترك الاقامة بدار الهوان)

قال الفرزدق وفى الارض عن دار القلى متحول * وكل بلاد أوطنتك بلاد

(وقال آخر) وما هى الا بلدة مثل بلدتى * خيارهما ما كان عونا على دهرى

(وقال آخر) واذا البلاد تغيرت عن حالها * فدع المقام وبادر التحويلا

ليس المقام عليك فرضا واجبا * فى بلدة تدع العزيز ذليلا

(وقال الصفى الحلى)

تنقل فلذات الهوى فى التنقل * ورد كل صاف لا تقف عند منهل

ففى الارض أحباب وفيها منازل * فلا تبك من ذكرى حبيب ومنزل

ولا تستمع قول امرئ القيس انه * مضل ومن ذا يهتدى بمضال

(وقال عبد الله بن الجعدى)

فان تجف عنى أو تزرنى اهانة * أجد عنك فى الارض العريضة مذهبا

(ومما قيل فى الوداع والفراق والشوق والبكاء) قال جرير

لو كنت أعلم ان آخر عهدكم * يوم الرحيل فعلت مالم أفعل

وقيل لعمارة بن عقيل بن بلال بن جرير ما كان جدك صانعا فى قوله فعلت مالم أفعل قال كان يقلع عينيه حتى لا يرى مظعن أحبابه ثم أنشد يقول

وما وجد مغلول بصنعاء موثق * بساقيه من ماء الحديد كبول * قليل الموالى مسلم بجزيرة

له بعد نومات العيون أليل * يقول له الحداد أنت معذب * غداة غد أو مسلم فقتيل

بأكبر منى لوعة يوم راعنى * فراق حبيب ما اليه سبيل

(وقال الشاعر) وما أم خشف طول يوم وليلة * ببلقعة بيداء ظمآن صاديا

تهيم ولا تدرى الى أين تبتغى * مولهة حزنا تجوب الفيافيا * أضر بها حر الهجير فلم تجد

لعلتها من بارد الماء شافيا * اذا بعدت عن خشفها انعطفت له * فالفته ملهوف الجوانح طاويا

بأوجع منى يوم شدوا حمولهم * ونادى منادى البين أن لا تلاقيا

وقال عبد العزيز الماجشون وهو من فقهاء المدينة قال لى المهدى ياماجشون ما قلت حين فارقت أحبابك قال قلت ياأمير المؤمنين

لله باك على أحبابه جزعا * قد كنت أحذر هذا قبل أن يقعا * ما كان والله شؤم الدهر يتركنى

حتى يجرعنى من بعدهم جرعا * ان الزمان رأى إلف السرور لنا * فدب بالبين فيما بيننا وسعى

فليصنع الدهر بى ما شاء مجتهدا * فلا زيادة شئ فوق ما صنعا

فقال والله لاغنينك فأعطاه عشرة آلاف دينار (وقال آخر)

وقفت يوم النوى منهم على بعد * ولم أودعهم وجدا واشفاقا

انى خشيت على الاظعان من نفسى * ومن دموعى احراقا واغراقا

(وقال عمر بن أحمد) أتى الرحيل فجد ترحلت * مهج النفوس له عن الاجساد

من لم يبت والبين يصدع قلبه * لم يدر كيف تفتت الاكباد

وحكى بعضهم قال دخلنا الى دير هرقل فنظرنا الى مجنون فى شباك وهو ينشد شعرا فقلنا له أحسنت فأومأ بيده الى حجر يرمينا به وقال أمثلى يقال له أحسنت ففررنا منه فقال أقسمت عليكم الا ما رجعتم حتى أنشدكم فان أنا أحسنت فقولوا أحسنت وان أنا أسأت فقولوا أسأت فرجعنا اليه فأنشد يقول

وجفونه صبا ماله
عن حسن وجهك مصطبر
ياقلب ويحك كم تخا
دع بالغرور وكم تغر
والام تكلف بالاغن
ن من الظباء وبالاغر
ريم يفوق ان رما
ك بسهم ناظره النظر
تركتك أعين تركها
من بأسهن على خطر
ورمت فاصمت عن قسى
ى لا يناط بها وتر
جرحتك جرحا لا يخيـ
ـط بالخيوط ولا الابر
تلهو وتلعب بالعقو
ل عيون أبناء الخزر
فكأنهن صوالج * وكأنهن لها أكر
تخفى الهوى وتسره
وخفى سرك قد ظهر
أفهل لوجدك من مدى
يقضى اليه فينتظر
نفسى الفداء لشادن
أنا من هواه على خطر
رشأ تحاوله الحوا
طر ان تثنى أو خطر
عذل العذول وما رآ
ه فحين عاينه عذر
قمر يزين ضوء صبـ
ـح جبينه ليل الشعر
تدمى اللواحظ خده
فيرى لها فيه أثر
هو كالهلال ملثما
والبدر حسنا ان سفر
ويلاه ما أحلاه فى * قلبى الشقى وما أمر
نومى المحرم بعده * وربيع لذاتى صفر
بالمشعرين وبالصفا
والبيت أقسم والحجر
وبمن سعى فيه وطا
ف ولبى واعتمر
لأنا الشريف الموسوى
ابن الشريف أبى مضر

لما أناخوا قبيل الصبح عيسهم * وحملوها وسارت بالدمى الابل
وقبلت بخلال السجف ناظرها * يرنو الى ودمع العين ينهمل
وودعت ببنان زانه عنم * ناديت لاحملت رجلاك ياجمل
ياحادى العيس عرج كى أودعهم * ياحادى العيس فى ترحالك الاجل
انى على العهد لم أنقض مودتهم * ياليت شعرى لطول البعد ماعملوا

فقلنا له ماتوا فقال والله وأنا أموت ثم شهق شهقة فاذا هو ميت رحمه الله تعالى وقال آخر

لما علمت بان القوم قد رحلوا * وراهب الدير بالناقوس مشتغل
شبكت عشرى على رأسى وقلت له * ياراهب الدير هل مرت بك الابل
فحن لى وبكى بل رق لى ورثى * وقال لى يافتى ضاقت بك الحيل
ان الخيام التى قد جئت تطلبهم * بالامس كانوا اهنا والآن قد رحلوا

(وقال الشيخ الاكبر سيدى محيى الدين بن عربى رحمه الله تعالى)

مارحلوا يوم ساروا البزل العيسا * الاوقد حملوا فيها الطواويسا
من كل فاتكة الالحاظ مالكة * تخالها فوق عرش الدار بلقيسا
اذا تمشت على صرح الزجاج ترى * شمسا على فلك فى حجر ادريسا
أسقفة من بنات الروم عاطلة * ترى عليها من الانوار ناموسا
وحشية مالها أنس قد اتخذت * فى بيت خلوتها للذكر ناووسا
ان أومأت تطلب الانجيل تحسبهم * قساقسا أو بطاريقا شمامسا
ناديت اذ رحلوا للبين ناقتها * ياحادى العيس لاتحدو بها العيسا
عبيت أجناد صبرى يوم بينهم * على الطريق كراديسا كراديسا
ساروا وأصبحت أنعى الربع بعدهم * والوجد فى القلب لاينفك مغروسا

(وقال آخر) ولما تبدت للرحيل جمالنا * وجد بنا سير وفاضت مدامع
تبدت لنا مذعورة من خبائها * وناظرها باللؤلؤ الرطب دامع
أشارت باطراف البنان وودعت * وأومت بعينيها متى أنت راجع
فقلت لها والله مامن مسافر * يسير ويدرى ما به الله صانع
فشالت نقاب الحسن من فوق وجهها * فسالت من الطرف الكحيل مدامع
وقالت الهى كن عليه خليفة * فيارب ماخابت لديك الودائع

(وقال آخر) ياراحلا وجميل الصبر يتبعه * هل من سبيل الى لقياك يتفق
ما أنصفتك دموعى وهى دامية * ولا وفى لك قلبى وهو يحترق

(قال البغدادى) قالت وقد نالها للبين أوجعه * والبين صعب على الأحباب موقعه
اجعل يديك على قلبى فقد ضعفت * قواه عن حمل مافيه واضلعه
واعطف على المطايا ساعة فعسى * من شتت شمل الهوى بالبين يجمعه
كأنى يوم ولت حسرة وأسى * غريق بحر يرى الشاطى ويمنعه

(وقال ابن المديرى)

قفا حادبى ليلى فانى وامق * ولا تعجلا يوما على من يفارق * وزما مطاياها قليلا مسيرها
ليلتذ منها بالتزود عاشق * ولا تزجرا بالسوق أظعان عيسها * فان حبيبى للظعائن سائق
ولما التقينا والغرام يذيبنا * ونحن كلانا فى التفكر غارق
وقفنا ودمع العين يحجب بيننا * تسارقنى فى نظرة وأسارق
فلا تسألا ماحل بالبين بيننا * ولا تعجبا أنا مشوق وشائق

وقال أيضا تذكرت ليلى حين شط مزارها * وعادت منازلها خليات بلاقع

أيدى الجنود ولم يرد الى علو كى تثر
واليت آل أمية ال
طهر الميامين الغرر
وجحدت بيعة حيدر
وعدلت عنه الى عمر
واذا جرى ذكر الصحا
بة بين قوم واشتهر
قلت المقدم شيخ تيـ
م ثم صاحبه عمر
ماسل قط ظبا على * آل النبى ولا شهر
كلا ولا صد البتو
ل عن التراث ولا زجر
وأثابها الحسنى وما
شق الكتاب ولا بقر
وبكيت عثمان الشهيـ
د بكاء نسوان الحضر
وشرحت حسن صلاته
جنح الظلام المعتكر
وقرأت من أوراق مصـ
حفه البراءة والزمر
ورثيت طلحة والزبيـ
ر بكل شعر مبتكر
وأزور قبرهما وأز
جر من لحانى أوزجر
وأقول أم المؤمنيـ
ن عقوقها احدى الكبر
ركبت على جمل لتصـ
لح من بنيها فى زمر
وأتت لصلح بين جيـ
ش المسلمين على غرر
فأتى أبو حسن وسلـ
ل حسامه وسطا وكر
وأذاق اخوته الردى
وبعير أمهم عقر
ماضره لو كان كف * وعف عنهم اذ قدر
وأقول ان امامكم * ولى بصفين وفر
وأقول ان أخطا معا
وية فما أخطا القدر
هذا ولم يغدر معا * وية ولا عمرو مكر
بطل بسوأته يقا * تل لا بصارمه الذكر

بكيت عليها والقنا يقرع القنا * وسمر العوالى للنايا تشرع * وخالفت لوامى عليها وعذلى
وحالفت سهدى والخليون هجع * ولم أستطع يوم النوى رد عبرة * فؤادى أسى من حرها يتقطع

فقال خليلى اذ رأى الدمع دائما * يفيض دما من مقلتى ليس يدفع
لئن كان هذا الدمع يجرى صبابة * على غير ليلى فهو دمع مضيع

(وقال آخر) مددت الى التوديع كفا ضعيفة * وأخرى على الرمضاء فوق فؤادى
فلا كان هذا آخر العهد منكمو * ولا كان ذا التوديع آخر زادى

(وقال آخر) ولما وقفنا للوداع عشية * وطرفى وقلبى دامع وخفوق
بكيت فاضحكت الوشاة شماتة * كأنى سحاب والوشاة بروق

(ولمؤلفه رحمه الله تعالى)

ياسادة فى سويدا القلب مسكنهم * وفى منامى أرى أنى أعانقهم
أوحشتمونا وعز الصبر بعدكمو * يامن يعز علينا أن نفارقهم

(وقال آخر) لو أن مالك عالم بذرى الهوى * ومحله من أضلع العشاق
ما عذب العشاق الا بالهوى * واذا استغاثوا اغاثهم بفراق

(وقال ابن الوردى)

دهرنا أضحى ضنينا * باللقا حتى ضنينا * ياليالى الوصل عودى * إجمعينا أجمعينا

(وقال الشريف الرضى)

علانى بذكرهم واسقيانى * وامزجالى دمعى بكأس دهاق
وخذا النوم من جفونى فانى * قد خلعت الكرى على العشاق

(وقال آخر عند ذلك)

قالوا أترقد اذ غبنا فقلت لهم * نعم وأشفق من دمعى على بصرى
ما حق طرف هدانى نحو حسنكمو * أنى أعذبه بالدمع والسهر

(وقال الموصلى) فسدت لطول بعادكم أحلامنا * وعقولنا وجفا الجفون منام
والطيف قد وعد الجفون بزورة * ياحبذا ان صحت الأحلام

(ومما قيل فى البكاء) قال الشاعر

رجوت طيف خياله * وكيف لى بهجوع * والذاريات جفونى * والمرسلات دموعى

(وقال آخر) ارحم رحمت للوعتى * وابعث خيالك فى الكرى
ودموع عينى لا تسل * عن حالها يا ماجرى

(وقال آخر) ان عينى مذ غاب شخصك عنها * يأمر السهد فى كراها وينهى
بدموع كأنهن الغوادى * لا تسل ما جرى على الخد منها

(وقال آخر) ياقلب صبرا على الفراق ولو * روعت ممن تحب بالبين
وأنت يادمع ان ظهرت بما * يخفيه من قلبى سقطت من عينى

(وقال آخر) خاض العواذل فى حديث مدامعى * لما غدا كالبحر سرعة سيره
فحبسته لأصون سرهوا كمو * حتى يخوضوا فى حديث غيره

(وقال ابن المواز) رحت يوم الفراق أجرى دموعى * حسرة اذ قضى الفراق ببينى
قيل كم ذا تجرى دموعك تعمى * أوقف الدمع قلت من بعد عينى

(وقال آخر) لما لبست لبعده ثوب الضنى * وغدوت من ثوب اصطبارى عاريا
أجريت وقف مدامعى من بعده * وجعلته وقفا عليه جاريا

(وقال آخر) ولم أر مثلى غار من طول ليله * عليه كأن الليل يعشقه دمعى
ومازلت أبكى فى دجى الليل صبوة * من الوجد حتى ابيض من فيض أدمعى

وجنيت من رطب النوا
صب ما تمر واشمر
وأقول ذنب الخارجيه
ن على على مغتفر
لا ثار لقتالهم
فى النهروان ولا أثر
والاشعرى بما يؤ
ل اليه أمرهما شعر
قال انصبوا الى منبرا
فانا البرئ من الخطر
فعلا وقال خلعت صا
حبكم وأوجز واختصر
وأقول ان يزيد ما
شرب الخمور ولا فجر
والجيشه بالكف عن
أبناء فاطمة أمر
والشمر ما قتل الحسـ
ـين ولا ابن سعد ما غدر
وحلقت فى عشر المحر
رم ما استطال من الشعر
ونويت صوم نهاره
وصيام أيام أخر
ولبست فيه أجل ثو
ب للملابس يدخر
وسهرت فى طبخ الحبو
ب من العشاء الى السحر
وغدوت مكتحلا أصا
فح من لقيت من البشر
ووقفت فى وسط الطريـ
ـق أقص شارب من عبر
وأكلت جريجير البقو
ل بلحم جوفى الجفر
وجعلتها خير المآ
كل والفواكه والخضر
وغسلت رجلى كلها
ومسحت خفى فى السفر
وأمين أجهر فى الصلا
ة كن بها قبلى جهر
وأسن تسنيم القبو
ر لكل قبر يحتفر
واذا جرى ذكر الغديـ
ـر أقول ما صح الخبر
وسكنت جلق واقتديـ
ـت بهم وان كانوا بقر

(وقال الموصلي) عين أفاضت دموعي * لطول صد وبين
ووجنة الخد قالت * رأيت غسلي بعيني

(وقال آخر) وما فارقت ليلى من مراد * ولكن شقوة بلغت مداها
بكيت نعم بكيت وكل إلف * اذا ماتت حبيبته بكاها

وفي بعض الكتب السماوية ان مما عاقبت به عبادي أن ابتليهم بفراق الاحبة

﴿ومما جاء في الحنين الى الوطن﴾ أما محبة الوطن فمستولية على الطباع مستدعية أشد الشوق الهاروي ان أبان قدم على النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا أبان كيف تركت مكة قال تركت الاذخر وقد أعذق والثمام وقد أورق فاغرورقت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال بلال رضي الله تعالى عنه

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة * بواد وحولي اذخر وجليل
وهل أردن يوما مياه مجنة * وهل يبدون لي شامة وطفيل

وقيل من علامة الرشد أن تكون النفس الى بلدها تواقة والى مسقط رأسها مشتاقة ﴿ومن حب الوطن﴾ ما حكي أن سيدنا يوسف عليه الصلاة والسلام أوصى بان يحمل تابوته الى مقابر آبائه فمنع أهل مصر أولياءه من ذلك فلما بعث موسى عليه الصلاة والسلام وأهلك الله تعالى فرعون لعنه الله حمله موسى الى مقابر آبائه فقبره بالارض المقدسة * وأوصى الاسكندر رحمه الله تعالى أن تحمل رمته في تابوت من ذهب الى بلاد الروم حبا لوطنه * واعتل سابور ذو الاكتاف وكان أسيرا ببلاد الروم فقالت له بنت الملك وكانت قد عشقته ما تشتهي قال شربة من ماء دجلة وشمة من تراب اصطخر فأتته بعد أيام بشربة من ماء وقبضة من تراب وقالت له هذا من ماء دجلة ومن تربة أرضك فشرب واشتم بالوهم فنفعه من علته وقال الجاحظ كان النفر في زمن البرامكة اذا سافر أحدهم أخذ معه من تربة أرضه في جراب يتداوى به وما أحسن ما قال بعضهم

بلاد ألفناها على كل حالة * وقد يؤلف الشيء الذي ليس بالحسن
وتستعذب الارض التي لا هوى بها * ولا ماؤها عذب ولكنها وطن

ووصف بعضهم بلاد الهند فقال بحرها در وجبالها ياقوت وشجرها عود وورقها عطر وقال عبد الله بن سليمان في نهاوند أرضها مسك وترابها الزعفران وثمارها الفاكهة وحيطانها الشهد وقال الحجاج لعامله على أصبهان وقد وليتك على بلدة حجرها الكحل وذبابها النحل وحشيشها الزعفران وكان يقال البصرة خزانة العرب وقبة الاسلام لانتقال قبائل العرب اليها واتخاذ المسلمين بها وطنا ومركزا وكان أبو اسحق الزجاج يقول بغداد حاضرة الدنيا وما سواها بادية وأنا أقول مصر كنانة الله في أرضه والسلام

﴿ومما جاء في ذم السفر﴾ قيل لرجل السفر قطعة من العذاب فقال بل العذاب قطعة من السفر وقال بعضهم

كل العذاب قطعة من السفر * يا رب فارددنا على خير الحضر

وقيل لاعرابي ما الغبطة قال الكفاية مع لزوم الاوطان ومر اياس بن معاوية بمكان فقال أسمع صوت كلب غريب فقيل له بم عرفت ذلك قال بخضوع صوته وشدة نباح غيره وأراد اعرابي السفر فقال لامرأته

عدي السنين لغيبتي وتصبري * وذري الشهور فانهن قصار

(فأجابته) فاذكر صبابتنا اليك وشوقنا * وارحم بناتك انهن صغار

فأقام وترك السفر ويقال رب ملازم لمهنته فاز ببغيته (وقال ابن الهيثم)

لعمرك ما ضاقت بلاد بأهلها * ولكن أخلاق الرجال تضيق

وفيما ذكرته كفاية وأسأل الله التوفيق والهداية وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿الباب الحادي والخمسون في ذكر الغنى وحب المال والافتخار بجمعه﴾

قال الله تعالى المال والبنون زينة الحياة الدنيا وقيل الفقر رأس كل بلاء وداعية الى مقت الناس وهو مع ذلك مسلبة للمروءة مذهبة للحياء فمتى نزل الفقر بالرجل لم يجد بدا من ترك الحياء ومن فقد حياءه فقد مروءته ومن فقد مروءته مقت ومن مقت ازدري به ومن صار كذلك كان كلامه عليه لا له وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انك ان تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس وفي الحديث لا خير فيمن لا يحب

وأقول مثل مقالهم
بالفاشر يا قد فشر
مصطبتي مكسورة
وفطيرتي فيها قصر
بقرتي برئيسهم
طيش الظليم اذا نفر
وخفيفهم مستثقل
وصواب قولهم هذر
وطباعهم كجبالهم
خبثت وقدت من حجر
ما يدرك التشبيب تغ
ريدا البلابل في السحر
وأقول في يوم تحا
رله البصائر والبصر
والصحف ينشر طيها
والنار ترمي بالشرر
هذا الشريف أضلني
بعد الهداية والنظر
مالي مضل في الورى
الا الشريف أبو مضر
فيقال خذ بيد الشري
ف فمستقر كما سقر
لواحة تسطو فما * تبقي عليه ولا تذر
والله يغفر للمسي
ء اذا تنصل واعتذر
فاخش الاله بسوءه
لك واحتذر كل الحذر
واليكها بدوية * رقت لرقتها الحضر
شامية لو شامها
قس الفصاحة لافتخر
ودري وأيقن انني * بحر وألفاظي درر
حبرتها فغدت كزهـ
ـر الروض باكره المطر
والى الشريف بعثتها
لما قراها وانبهر
رد الغلام وما استمر
ر على الجحود ولا أصر
وأثابني وجزيته
شكرا وقال لقد صبر
﴿ومن لطائف المنقول﴾ ما نقله الشيخ الامام العالم العلامة الحبر زين الدين أبو حفص عمر ابن الوردي رحمه الله تعالى لما دخل دمشق

المال ليصل به رحمه ويؤدي به أمانته ويستغني به عن خلق ربه وقال علي كرم الله تعالى وجهه الفقر الموت الاكبر وقد استعاذ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكفر والفقر وعذاب القبر وقيل من حفظ دنياه حفظ الاكرمين دينه وعرضه قال الشاعر

لا تلمني اذا وقيت الاواقي * بالأواقي الماء وجهي واقي

وقال لقمان لابنه يا بني أكلت الحنظل وذقت الصبر فلم أر شيأ أمر من الفقر فان افتقرت فلا تحدث به الناس كيلا ينتقصوك ولكن اسأل الله تعالى من فضله فمن ذا الذي سأل الله فلم يعطه أو دعاه فلم يجبه أو تضرع اليه فلم يكشف ما به وكان العباس رضي الله تعالى عنه يقول الناس لصاحب المال ألزم من الشعاع للشمس وهو عندهم أعذب من الماء وأرفع من السماء وأحلى من الشهد وأزكى من الورد خطؤه صواب وسيآته حسنات وقوله مقبول يرفع مجلسه ولا يمل حديثه والمفلس عند الناس أكذب من لمعان السراب وأثقل من الرصاص لا يسلم عليه ان قدم ولا يسئل عليه ان غاب ان حضر ازدروه وان غاب شتموه وان غضب صفعوه مصافحته تنقض الوضوء وقراءته تقطع الصلاة وقال بعضهم طلبت الراحة لنفسي فلم أجد لها أروح من ترك ما لا يعنيها وتوحشت في البرية فلم أر وحشة أقر من قرين السوء وشهدت الزحوف وغالبت الاقران فلم أر قرينا أغلب للرجل من المرأة السوء ونظرت الى كل ما يذل القوي ويكسره فلم أر شيأ أذل له ولا أكسر من الفاقة

قال الشاعر وكل مقل حين يغدو لحاجة * الى كل ما يلقى من الناس مذنب
وكانت بنو عمي يقولون مرحبا * فلما رأوني معدما مات مرحب

(وقال آخر) المال يرفع سقفا لا عماد له * والفقر يهدم بيت العز والشرف

(وقال آخر) جروح الليالي ما لهن طبيب * وعيش الفتى بالفقر ليس يطيب
وحسبك أن المرء في حال فقره * تحمقه الأقوام وهو لبيب
ومن يغترر بالحادثات وصرفها * يبت وهو مغلوب الفؤاد سليب
وما ضرني ان قال أخطأت جاهل * اذا قال كل الناس أنت مصيب

(وقال آخر) الفقر يزري بأقوام ذوي حسب * وقد يسود غير السيد المال

(وقال آخر) لعمرك ان المال قد يجعل الفتى * سنيا وان الفقر بالمرء قد يزري
وما رفع النفس الدنية كالغنى * ولا وضع النفس النفيسة كالفقر

(وقال آخر) اذا قل مال المرء لانت قناته * وهان على الادنى فكيف الاباعد

(وقال ابن الاحنف) يمشي الفقير وكل شيء ضده * والناس تغلق دونه أبوابها
وتراه مبغوضا وليس بمذنب * ويرى العداوة لا يرى أسبابها * حتى الكلاب اذا رأت ذا ثروة
خضعت لديه وحركت أذنابها * واذا رأت يوما فقيرا عابرا * نبحت عليه وكشرت أنيابها

(وقال آخر) فقر الفتى يذهب أنواره * مثل اصفرار الشمس عند المغيب
والله ما الانسان في قومه * اذا بلي بالفقر الا غريب

(وقال آخر) ان الدراهم في المواطن كلها * تكسو الرجال مهابة وجمالا
فهي اللسان لمن أراد فصاحة * وهي السلاح لمن أراد قتالا

(وقال آخر) ما الناس الا مع الدنيا وصاحبها * فكلما انقلبت يوما به انقلبوا
يعظمون أخا الدنيا فان وثبت * يوما عليه بما لا يشتهي وثبوا

وقال بعض الفرس من زعم انه لا يحب المال فهو عندي كذاب

(وقال الكناني) أصبحت الدنيا لنا عبرة * فالحمد لله على ذلكا
قد أجمع الناس على ذمها * وما أرى منهم لها تاركا

(وقال الزمخشري) واذا رأيت صعوبة في مطلب * فاحمل صعوبته على الدينار
وابعثه فيما تشتهيه فانه * جبريل ين قوة الاحجار

قال الثوري رحمه الله تعالى لان أخلف عشرة آلاف درهم يحاسبني الله عليها أحب الي من أن أحتاج الى لئيم

المحروسة في أيام قاضي القضاة نجم الدين بن مصري الشافعي تغمده الله برحمته ورضوانه فأجلسه في صفة الشهود المعروفة بالشباك وكان الشيخ زين الدين يلبس زي أهل المعرة فاستزراه الشهود فحضر كتاب مشتري فقال بعضهم أعطوا المعري يكتبه فقال الشيخ زين الدين تريدون أكتبه نظما أو نثرا فازداد استهزاؤهم فقالوا نظما فاخذ القرطاس وكتب

بسم الاله الخلق هذا ما اشترى
محمد بن يونس بن سنقرا
من مالك بن أحمد بن الازرق
كلاهما قد عرفا من جلق
فباعه قطعة أرض واقعه
بكورة الغوطة وهي جامعه
اشجر مختلف الأجناس
والأرض في البيع مع الغراس
وذرع هذي الأرض بالذراع
عشرون في الطول بلا نزاع
وذرعها في العرض أيضا عشره
وهي ذراع باليد المعتبره
وحدها من قبلة ملك التقي
وحائز الرومي حد المشرق
ومن شمال ملك أولاد علي
والغرب ملك عامل بن جهبل
وهذه تعرف من قديم
بانها قطعة بيت الرومي
بيعا صحيحا لازما شرعيا
ثم شراء قاطعا مرعيا
بثمن مبلغه من فضه
وازنة جيدة مبيضه
جارية للناس في المعامله
ألفان منها النصف ألف كامله
قبضها البائع منه وافيه
فعادت الذمة منه خاليه
وسلم الارض الى من اشترى
فقبض القطعة منه وجرى
بينهما بالبدن التفرق
طوعا فلا لأحد تعلق
ثم ضمان الدرك المشهور
فيه على بائعه المذكور

وفى هذا المعنى قال الشاعر

احفظ عرى مالك تحظى به * ولا تفرط فيه تبقى ذليل * وان يقولوا باخل بالعطا
فالبخل خير من سؤال البخيل * واحفظ على نفسك من زلة * يرى عزيز القوم فيها ذليل

(وأما ما جاء فى الاحتراز على الأموال)

فقد قالوا ينبغى لصاحب المال أن يحترز ويتحفظ عليه من المطمعين والمبرطحين والمحترفين الموهمين والمتمسين (فأما المطمعون) فهم الذين يتلقون أصحاب الاموال بالبشر والاكرام والتحية والاعظام الى أن يأنسوا بهم ويعرفونهم بالمشاهدة وربما قضوا ما قدروا عليه من حوائجهم الى أن يألفوهم ويحصل بينهم سبب الصداقة ثم ان أحدهم يذكر لصاحب المال فى معرض المقال انه كسب فائدة كثيرة فى معيشته ثم يمشى معه فى الحديث الى أن يقول انى فكرت فيما عليك من المؤن والنفقات وهذا أمر يعود ضرره فى المستقبل ان لم تساعد بالمكاسب وغرضى التقرب اليك ونصحك وخدمتك وأريد أن أوجه اليك فائدة من المتجر بشرط أن لا أضع يدى لك على مال بل يكون مالك تحت يدك أو تحت يد أحد من جهتك ويخرج له فى صفة الناصحين المشفقين فاذا أجابه الى ذلك كان أمره معه على قسمين ان ائتمنه وجعل المال بيده أعطاه اليسير منه على صفة أنه من الربح وطاوله الاوقات ودفع اليه فى المدة الطويلة الشئ اليسير من ماله ثم يحتج عليه ببعض الآفات ويدعى الخسارة فان لزمه صاحب المال قابحه وبرطل من جملة المال صاحب جاه فيدفعه ويقول هذا رابانى فان روعى صاحب المال ووفق بينهما على أن يكتب عليه ببقية المال وثيقة فلا يستوفى ما فيها الا فى الآخرة وان هو لم يأتمنه وعوّل أن يكون القبض بيده والمتاع مخزونا لديه واطأ عليه البائعين والمشترين وحصل لنفسه وعمل ما يقول فيه فان حصل لصاحب المال أدنى ربح أوهمه أن مفاتيح الأرزاق بيده وان كسد المشترى أو رخص أحال الأمر على الأقدار وقال ليس لى علم بالغيب * ومن أشد المطمعين المتعرضون لصنعة الكيمياء وهم الطماعون المطمعون فى عمل الذهب والفضة من غير معدنهما فيجب أن يحذر التقرب منهم والاستماع لهم فى شئ من حديثهم فان كذبهم ظاهر وذلك أنهم يوهمون الغير أنهم ينيلونهم خيرا ويطلعونهم على صنعتهم ابتداء منهم لا لحاجة وهذا يستحيل ويحتجون بأن ما يلجئهم الى ذلك الا عدم الامكان وتعذر المكان فمنهم من يكون شوقه الى أن يدخل الى المكان ويترك عنده عدة لها قيمة فيأخذها ويذهب ومنهم من يشترط أن عمله لا ينتهى الى مدة فيقنع فى تلك المدة بالاكل غدوة وعشية وسبيله بعد ذلك ان كان معروفا قال فسد على العمل من جهة كيت وكيت ويقول للذى ينفق عليه هل لك فى المعاودة فان حمله الطمع ووافقه كان هذا له أتم غرض ثم يحتال آخر المدة على الفراق بأى سبب كان وان كان مذكورا اغافل صاحب المكان وخرج هاربا * ومن المطمعين قوم يجعلون فى الجبال أمارات من ردم وحجر ويأتون الى أصحاب الاموال يقولون انا نعرف علم كنز فيه من الامارات كيت وكيت ثم يوقفونهم على ورقة متصنعة ويقولون نريد أن تأخذ لنا عدة وتنفق علينا ومهما حصل من فضل الله تعالى لنا ولك فيوافقهم على ذلك ويوطن نفسه على أن المدة تكون قريبة فيعملون يوما أو يومين فيظهر لهم أكثر الامارات فيزداد طمعا ويعتقد الصحة ثم يدرّجونه الى أن ينفق عليهم ما شاء الله تعالى ويكون آخر أمرهم كصاحب الكيمياء وان كانوا مذكورين ورغبتهم الطمعة فى قماشه أو فى العدة التى معه فربما قتلوه هنالك لاجل ذلك ومضوا فهذا أمر المطمعين (وأما أمر المبرطحين) فهم من الخونة والناس بهم أكثر غررا وذلك أنهم اذا ندب صاحب المال أحدا منهم لشراء حاجة سارع واحتاط فى جودتها وتوفير كيلها أو وزنها أو ذرعها ووضع من أصل ثمنها شيأ أوزنه من عنده سرا حتى يبيض وجهه عند صاحب المال ويعتقد نصحه وأمانته ونجح مساعيه وكذلك ان ندبه لشئ يبيعه استظهر واستجاد النقد ولا يزال هكذا دأبه حتى يلقى مقاليد أموره اليه فيستعطفه ويفوز به ثم يغير الحال الأول فى الباطن فينبغى لصاحب المال أن لا يغفل عنه (وأما المحترفون الموهمون) فهم الذين يتعرضون لذوى الأموال فيظهرون لهم الغنى والكفاية ويباسطونهم مباسطة الاصدقاء ويعتمدون جودة اللباس ويستعملون كثيرا من الطيب ثم ان أحدهم يذكر أنه يربح الارباح العظيمة فيما يعانيه ويذكر ذلك مع الغير ولا يزال كذلك حتى يثبت ويستقر فى ذهن صاحب المال أنه يكتسب فى كل سنة الجمل الكثيرة من المال وانه لا يبالى اذا أنفق أو أكل أو شرب فتشره نفس صاحب المال لذلك

وأشهدا عليهما بذاك فى
رابع عشر رمضان الاشرف
من عام سبعمائة وعشرة
من بعد خمس تلوها الهجرة
والحمد لله وصلى ربى
على النبى وآله والصحب
يشهد بالمضمون من هذا عمر
ابن المظفر المعرى اذ حضر
فلما فرغ الشيخ زين الدين وتأمل
الجماعة سرعة بديهته مع استيعاب
الشروط الشرعية اعترفوا بفضله
واعتذروا اليه لما علموا انه ابن
الوردى وأجلسوه فى الصدر ولكنهم
عجزوا عن رسم الشهادة نظما
وسألوه ذلك فكتب عن شخص
منهم الى جانبه يدعى ابن رسول
قد حضر العقد لذاك أحمد
ابن رسول وبذاك يشهد

(تحفة من فوائد كتاب الانشاء)

قال عبد الحميد كاتب مروان آخر ملوك بنى أمية لو كان الوحى ينزل على أحد بعد الانبياء انزل على كتاب الانشاء وقال البلاغة هى ما رضيته الخاصة وفهمته العامة ومن كلامه خير الكلام ما كان حلوا ومعناه بكرا (اسمعيل بن صبيح كاتب الرشيد) كتب الى يحيى بن خالد فى شكر ما تقدم من احسانك شاغل عن استبطاء ما تأخر منه جمع من الشكر والاستزادة بأبلغ عبارة وأوجز (عمرو بن مسعدة كاتب المأمون) كتب اليه كتابى هذا وأجناد أمير المؤمنين على أحسن ما تكون عليه طاعة جند تأخرت أرزاقهم واختلت أحوالهم فقال المأمون لاحمد بن يوسف لله در عمرو ما أبلغه ألا ترى الى ادماجه المسئلة فى الاخبار واعفائه من الاكثار (ابراهيم الصولى كاتب المعتصم والواثق والمتوكل) كان يقول التصفح للكتاب أبصر بمواقع الخلل من

فيقول له على سبيل المداعبة يافلان تريد الدنيا كلها لنفسك لم لا تشركنا في متاجرك هذه وأرباحك فيقول له أنت جبان يعز عليك اخراج الدينار وتظن انك ان أظهرته خطف منك ولا تدري انه مثل البازي ان أرسلته أكل وأطعمك وان أمسكته لم يصد شيأ واحتجت الى أن تطعمه والامات وأنا والله لو كان عندي علم انك تنبسط لهذا كنت فعلت معك خيرا كثيرا ولكن ما كان الا هكذا وما كان لا كلام فيه والعمل في المستأنف فيشكره صاحب المال ويسأله أخذ المال فيمطله بتسليمه فيزداد فيه رغبة الى أن يسلمه اليه فيكون حاله كحال المطمع اذا صار المال تحت يده (وأما المتنمسون) فهم أهل الرياء المظهرون التعفف والنسك ومجانبة الحرام ومواظبة الصلاة والصيام لكي يشتهر ذكرهم عند الخاص والعام ثم يلقون ذوي الاموال بالبشر والاكرام والتلطف في المقال ويمشون الى أبواب الملوك على صفة التهاني بالاعياد ويأتي معه بأحد من الاولاد ويظهرون النزاهة والغنى ويجعلون الدين سلما الى الدنيا وأكثر أغراضهم أن تودع عندهم الاموال وتفوض اليهم الوصايا ويجلهم العوام وتقبل شهادتهم الحكام وتندبهم الملوك الى الوصايا والاموال وهؤلاء أشر من اللصوص والقطاع وذلك أن شهرة اللصوص والقطاع تدعو الى الاحتراز منهم وتشبه هؤلاء باهل الخير يحمل الناس على الاغترار بهم قال الشاعر

صلى وصام لامر كان أمله * حتى حواه فما صلى ولا صاما

وقيل لافقير أفقر من غني يأمن الفقر قال الشاعر

ألم تر أن الفقر يرجى له الغنى * وأن الغني يخشى عليه من الفقر

وأوصى بعض الحكماء ولده فقال يا بني عليك بطلب العلم وجمع المال فان الناس طائفتان خاصة وعامة فالخاصة تكرمك للعلم والعامة تكرمك للمال وقال بعض الحكماء اذا افتقر الرجل اتهمه من كان به واثقا وأساء به الظن من كان ظنه به حسنا ومن نزل به الفقر والفاقة لم يجد بدا من ترك الحياء ومن ذهب حياؤه ذهب بهاؤه وما من خلة هي للغني مدح الا وهي للفقير عيب فان كان شجاعا سمي أهوج وان كان مؤثرا سمي مفسدا وان كان حليما سمي ضعيفا وان كان وقورا سمي بليدا وان كان لسنا سمي مهذارا وان كان صموتا سمي عييا قال ابن كثير

الناس اتباع من دامت له نعم * والويل للمرء إن زلت به القدم

المال زين ومن قلت دراهمه * حي كمن مات الا أنه صنم * لما رأيت اخلائي وخالصتي

والكل مستترعني ومحتشم * أبدوا جفاء واعراضا فقلت لهم * أذنبت ذنبا فقالوا ذنبك العدم

وكان ابن مقلة وزيرا لبعض الخلفاء فزور عنه يهودي كتابا الى بلاد الكفار وضمنه أمورا من أسرار الدولة ثم تحيل اليهودي الى أن وصل الكتاب الى الخليفة فوقف عليه وكان عند ابن مقلة حظية هويت هذا اليهودي فأعطته درجا بخطه فلم يزل يجتهد حتى حاكى خطه ذلك الخط الذي كان في الدرج فلما قرأ الخليفة الكتاب أمر بقطع يد ابن مقلة وكان ذلك يوم عرفة وقد لبس خلعة العيد ومضى الى داره وفي موكبه كل من في الدولة فلما قطعت يده وأصبح يوم العيد لم يأت أحد اليه ولا توجع له ثم أنفضحت القضية في أثناء النهار للخليفة انها من جهة اليهودي والجارية فقتلهما شر قتلة ثم أرسل الى ابن مقلة أموالا كثيرة وخلعا سنية وندم على فعله واعتذر اليه فكتب ابن مقلة على باب داره يقول

تحالف الناس والزمان * فحيث كان الزمان كانوا * عاداني الدهر نصف يوم

فانكشف الناس لي وبانوا * أيها المعرضون عني * عودوا فقد عاد لي الزمان

ثم أقام بقية عمره يكتب بيده اليسرى قال بعضهم

انما قوة الظهور النقود * وبها يكمل الفتى ويسود

كم كريم أزرى به الدهر يوما * ولئيم تسعى اليه الوفود

والاطباء يعلمون أمراضا من علاجها اللعب بالدينار وشرب الادوية والمساليق التي يغلى فيها الذهب قال الشاعر

احرص على الدرهم والعين * تسلم من العيلة والدين

فقوة العين بانسانها * وقوة الانسان بالعين

(واعلم) أن القلب عمود البدن فاذا قوي القلب قوي سائر البدن وليس له قوة أشد من المال وبالضد اذا

منشئه وكان يقول الخبز ليومه والطبيخ لساعته والنبيذ لسنته (ومن بديع نثره) ما كتبه عن أمير المؤمنين الى بعض الخارجين يتهددهم ويتوعدهم أما بعد فان لامير المؤمنين اناة فان لم تغن عقب بعدها وعيدا فان لم يغن أغنت عزائمه والسلام * وهذا الكلام وجازته في غاية الابداع وينشأ منه بيت شعر وهو

أناة فان لم تغن عقب بعدها
وعيدا فان لم يغن أغنت عزائمه

(وكان) يقول ما اتكلت في مكاتبتي الا على ما يتخيله خاطري ويجلس في صدري الا قولي وصارما يحرزهم يبرزهم وما كان بعقلهم يعتقلهم وقولي من أخرى فازلوه من معقل الى عقال وبدلوه آجالا من آمال فاني ألممته بقولي آجالا من آمال بقول مسلم بن الوليد الانصاري المعروف بصريع الغواني

موف على مهج في يوم ذي رهج
كأنه أجل يسعى الى أمل

وفي المعقل والعقال بقول أبي تمام

فان باشر الاصحار فالبيض والقنا
قراه وأحواض المنايا مناهله
وان تبن حيطانا عليه فانما
أولئك عقالاته لا معاقله
والا فاعلمه بانك ساخط
عليه فان الخوف لا شك قاتله

* ومن رقيق شعره * حين أحضر لمناظرته أحمد بن المدبر فقال ارتجالا

صدعني وصدق الاقوالا
وأطاع الوشاة والعذالا
أتراه يكون شهر صدود
وعلى وجهه رأيت الهلالا

فطرب المتوكل واهتز وخلع عليه (ومن رقيق شعره أيضا قوله)

دنت بأناس عن تناء زيارة
وشط بليلى عن دنو مزارها
وان مقيمات بمنعرج اللوى
لاقرب من ليلى وهاتيك دارها

(الحسن بن وهب سئل عن مبيته

ضعف من الفقر ضعف له البدن (وحكى) ان ملكا رأى شيخا قد وثب وثبة عظيمة على نهر فتخطاه والشاب يعجز عن ذلك فعجب منه فاستحضره فحادثه فى ذلك فاراه ألف دينار مربوطة على وسطه وقال لقمان لابنه يابنى شيآن اذا أنت حفظتهما لا تبالى بما صنعت بعدهما دينك لمعادك ودرهمك لمعاشك والكلام فى هذا المعنى كثير وقد اقتصرت منه على النزر اليسير وقد كان فى الناس من يتظاهر بالغنى ويراه مروأة وفخرا (فمن ذلك) ما حكى عن أحمد بن طولون أنه دخل يوما بعض بساتينه فرأى النرجس وقد تفتح زهره فاستحسنه فدعا بغدائه فتغدى ثم دعا بشرابه فشرب فلما انتشى قال على بألف مثقال من المسك فنثره على أوراق النرجس * ولنذكر الآن نبذة من الذخائر والتحف (حكى) الرشيد بن الزبير فى كتابه الملقب بالعجائب والظرف أن أبا الوليد ذكر فى كتابه المعروف بأخبار مكة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة عام الفتح فى سنة ثمان من الهجرة وجد فى الجب الذى كان فى الكعبة سبعين ألف أوقية من الذهب مما كان يهدى للبيت قيمتها ألف ألف وتسعمائة ألف وتسعون ألف دينار وباع زهرة التميمى يوم القادسية منطقة كان قتل صاحبها بثمانين ألف دينار ولبس سلبه وقيمته خمسمائة ألف وخمسون ألفا وأصاب رجل يوم القادسية راية كسرى فعوض عنها ثلاثين ألف دينار وكان قيمتها ألف ألف دينار ومائتى ألف ووجد المستورد بن ربيعة يوم القادسية ابريق ذهب مرصعا بالجوهر فلم يدر أحد ما قيمته فقال رجل من الفرس أنا آخذه بعشرة آلاف دينار ولم يعرف قيمته فذهب به الى سعد بن أبى وقاص فأعطاه اياه وقال لا تبعه الا بعشرة آلاف دينار فباعه سعد بمائة ألف دينار ولما أتت الترك الى عبد الله بن زياد ببخارى فى سنة أربع وخمسين كان مع ملكهم امرأته خاتون فلما هزمهم الله تعالى أعجلوها عن لبس خفها فلبست احدى فردتيه ونسيت الاخرى فاصابها المسلمون فقومت بمائتى ألف دينار ولما فتح قتيبة بن مسلم بخارى فى سنة تسع وثمانين وجد فيها قدور ذهب ينزل اليها بسلالم * ودفع مصعب بن الزبير حين أحس بالقتل الى زياد مولاه فصا من ياقوت أحمر وقال له انج به وكان قد قوم ذلك الفص بألف ألف درهم فاخذه زياد ورضه بين حجرين وقال والله لا ينتفع به أحد بعد مصعب * وذكر مصعب بن الزبير أن بعض عمال خراسان فى ولايته ظهر على كنز فوجد فيه حلة كانت لبعض الأكاسرة مصوغة من الذهب مرصعة بالدر والجوهر والياقوت الاحمر والاصفر والزبرجد فحملها الى مصعب بن الزبير فجمع من قومها فبلغت قيمتها ألفى ألف دينار فقال الى من أدفعها فقيل الى نسائك وأهلك فقال لا بل الى رجل قدم عندنا يدا وأولانا جميلا ادعوا لى عبد الله بن أبى دريد فدفعها اليه (ولما) صار موجود عماد الدولة فى قبضة أمير الجيوش وجد فى جملته دملج ذهب فيه جوهرة حمراء كالبيضة وزنها سبعة عشر مثقالا فانفذها أمير الجيوش الى المستنصر فقومت بتسعين ألف دينار ووجد فى بستان العباس بن الحسن الوزير مما أعد له من آلة الشرب يوم قتل سبعمائة صينية من ذهب وفضة ووجد له مائة ألف مثقال عنبر * وترك هشام بن عبد الملك بعد موته اثنى عشر ألف قميص وشى وعشرة آلاف تكة حرير وحملت كسوته لما حج على سبعمائة جمل وترك بعد وفاته أحد عشر ألف ألف دينار ولم تأت دولة بنى العباس الا وجميع أولاده فقراء لا مال لواحد منهم وبين الدولة العباسية ووفاة هشام سبع سنين (ولما) قتل الافضل بن أمير الجيوش فى شهر رمضان سنة خمس عشرة وخمسمائة خلف بعده مائة ألف ألف دينار ومن الدراهم مائة وخمسين أردبا وخمسة وسبعين ألف ثوب ديباج ودواة من الذهب قوم ما عليها من الجواهر واليواقيت بمائتى ألف دينار وعشرة بيوت فى كل بيت منها مسمار ذهب قيمته مائة دينار على كل مسمار عمامة لونا وخلف كعبة عنبر يجعل عليه ثيابه اذا نزعها وخلف عشرة صناديق مملوءة من الجوهر الفائق الذى لا يوجد مثله وخلف خمسمائة صندوق كبار لكسوة جسمه وخلف من الزبادى الصينى والبلور المحكم وسق مائة جمل وخلف عشرة آلاف ملعقة فضة وثلاثة آلاف ملعقة ذهب وعشرة آلاف زبدية فضة كبار وصغار وأربع قدور ذهبا كل قدر وزنها مائة رطل وسبعمائة جام ذهبا بفصوص زمرد وألف خريطة مملوءة دراهم خارجا عن الارادب فى كل خريطة عشرة آلاف درهم وخلف من الخدم والرقيق والخيل والبغال والجمال وحلى النساء ما لا يحصى عدده الا الله تعالى وخلف ألف حسكة ذهبا وألفى حسكة فضة وثلاثة آلاف نرجسة ذهبا وخمسة آلاف نرجسة فضة وألف صورة ذهبا وألف صورة فضة منقوشة عمل المغرب وثلثمائة تور ذهبا وأربعة آلاف تور فضة وخلف من البسط

(قال) شربت البارحة على عقد الثريا ونطاق الجوزاء فلما تنبه الصبح نمت فلم أستيقظ الا بلبس قميص الصبح (بديع الزمان الهمدانى) الحمد لله الذى يبيض القار وسماه الوقار وعسى الله أن يغسل الفؤاد كما غسل السواد (ومن انشائه البديع) قد يوحش اللفظ وكله ود ويكره الشئ وليس منه بد هذه العرب تقول لا أبا لك ولا يقصدون الذم ويل أمه لامر اذا هم وسبيل ذوى الالباب فى الدخول من هذا الباب أن ينظروا فى القول الى قائله فان كان وليا فهو الولاء وان خشن وان كان عدوا فهو البلاء وان حسن (ومن انشاء أبى القاسم على بن الحسن المعروف بالمغربى) وصلت الرقعة فاستخففت النسيم بالاضافة الى لطافتها واستثقلت عقود اللؤلؤ بالقياس الى خفة موقعها (ومن بديع انشائه) وغرقت فى هواجس الفكر ووساوس الذكر حتى نسيتكم من شدة التذكر أو لقيتكم من حدة التصور والله تعالى أسأل أن يسقط بيننا تشاكى ألم الفراق اسناد القلم بمشافهة الفم للفم (أبو الحسن بن بسام) من انشائه عارض اذا هم استوشلت البحار ونجم اذا طلع تضاءلت الشموس والاقمار وسابق لا يسع وجهه الا ميادين الغيوم وصارم لا يجلى غمده الا بافراد النجوم (ضياء الدين بن الاثير الجزرى) ودولته هى الضاحكة وان كان نسبها الى العباس وهى خير دولة أخرجت للدهر ورعاياها خير أمة أخرجت للناس ولم يجعل شعارها من لون الشباب الا تفاؤلا بأنها لا تهرم وانها لا تزال محبوة من أبكار السعادة بالوصل الذى لا يصرم * وله فى القلم فهو الملقب بالجواد المضمر واذا أخذت السوابق فى احضارها بلغ الغاية وما أحضر وله لون تحقق فيه

الرومية والأندلسية ماملأ به خزائن الايوان وداخل قصر الزمرذ وخلف من البقر والجاموس والأغنام مايباع لبنه في كل سنة بثلاثين ألف دينار وخلف من الحواصل المملوأة من الحبوب مالا يحصى (ولما) احتوى الناصر على ذخائر قصر العاضد وجد فيه طبلا كان بالقرب من موضع العاضد محتفظا به فلما رأوه سخروا منه فضرب عليه انسان فضرط فضحكوا منه ثم أمسكه آخر وضرب به فضرط فضحكوا عليه فكسروه استهزاء وسخرية ولم يدروا خاصيته وكانت الفائدة فيه أنه وضع للقولنج فلما أخبر بخاصيته ندموا على كسره * وقد جمعت الملوك من الأموال والذخائر والتحف كنوزا لا تحصى وبعد ذلك ماتوا ونفدت ذخائرهم وفنيت أموالهم فسبحان من يدوم ملكه وبقاؤه قال بعضهم

هب الدنيا تقاد اليك عفوا * أليس مصير ذلك للزوال

* فضمنت أنا هذا البيت وقلت *

أيا من عاش في الدنيا طويلا * وأفنى العمر في قيل وقال * وأتعب نفسه فيما سيفنى

وجمع من حرام أو حلال * هب الدنيا تقاد اليك عفوا * أليس مصير ذلك للزوال

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

* (الباب الثاني والثمانون في ذكر الفقر ومدحه) *

قد دل قوله تعالى كلا ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى على ذم الغنى ان كان سبب الطغيان وسئل أبو حنيفة رحمه الله تعالى عن الغنى والفقر فقال وهل طغى من طغى من خلق الله عز وجل الا بالغنى وتلا هذه الآية المتقدمة والمحققون يرون الغنى والفقر من قبل النفس لا في المال وكان الصحابة رضي الله تعالى عنهم يرون الفقر فضيلة وحدث الحسن رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يدخل فقراء أمتي الجنة قبل الأغنياء بأربعين عاما فقال جليس للحسن أمن الأغنياء أنا أم من الفقراء فقال هل تغديت اليوم قال نعم قال فهل عندك ما تتعشى به قال نعم قال فاذا أنت من الأغنياء وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما كان النبي صلى الله عليه وسلم يبيت طاويا الليالي ماله ولا لأهله عشاء وكان عامة طعامه الشعير وكان يعصب الحجر على بطنه من الجوع وكان صلى الله عليه وسلم يأكل خبز الشعير غير منخول هذا وقد عرضت عليه مفاتيح كنوز الأرض فأبى أن يقبلها صلوات الله وسلامه عليه وكان يقول اللهم توفني فقيرا ولا تتوفني غنيا واحشرني في زمرة المساكين وقال جابر رضي الله تعالى عنه دخل النبي صلى الله عليه وسلم على ابنته فاطمة الزهراء رضي الله تعالى عنها وهي تطحن بالرحى وعليها كساء من وبر الابل فبكى وقال تجرعي يا فاطمة مرارة الدنيا لنعيم الآخرة * قال الله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى وقال صلى الله عليه وسلم الفقر موهبة من مواهب الآخرة وهبها الله تعالى لمن اختاره ولا يختاره الا أولياء الله تعالى وفي الخبر اذا كان يوم القيامة يقول الله عز وجل الملائكته أدنوا الى أحبابي فتقول الملائكة ومن أحباؤك يا اله العالمين فيقول فقراء المؤمنين أحبائي فيدنونهم منه فيقول يا عبادي الصالحين اني ما زويت الدنيا عنكم لهوانكم علي ولكن لكرامتكم تمتعوا بالنظر الي وتمنوا ما شئتم فيقولون وعزتك وجلالك لقد أحسنت الينا بما زويت عنا منها ولقد أحسنت بما صرفت عنا فيأمر بهم فيكرمون ويحبرون ويزفون الى أعلى مراتب الجنان وقال صلى الله عليه وسلم هل تنصرون الا بفقرائكم وضعفائكم والذي نفسي بيده ليدخلن فقراء أمتي الجنة قبل أغنيائهم بخمسمائة عام والأغنياء يحاسبون على زكاتهم وقال عليه الصلاة والسلام رب أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه به لو أقسم على الله تعالى لأبره أي لو قال اللهم اني أسألك الجنة لأعطاه الجنة ولم يعطه من الدنيا شيأ وقال عليه الصلاة والسلام ان أهل الجنة كل أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه به الذين اذا استأذنوا على الأمير لا يؤذن لهم وان خطبوا النساء لم ينكحوا واذا قالوا لم ينصت لهم حوائج احدهم تتلجلج في صدره لو قسم نوره على الناس يوم القيامة لوسعهم وروى عن خالد بن عبد العزيز أنه قال كان حيوة بن شريح من البكائين وكان ضيق الحال جدا فجلست اليه ذات يوم وهو جالس وحده يدعو فقلت له يرحمك الله لو دعوت الله تعالى ليوسع عليك في معيشتك قال فالتفت يمينا وشمالا فلم ير أحدا فأخذ حصاة من الارض وقال اللهم اجعلها ذهبا فاذا هي تبرة في كفه ما رأيت أحسن منها قال فرمى بها الي وقال هو أعلم بما يصلح عباده فقلت ما أصنع بهذه قال أنفقها على عيالك فهبته والله ان أردها عليه وقال

القول النبوي لو جمعت الحيل في صعيد لسبقها الاشقر (ومن انشاء القاضي تاج الدين بن الاثير) والمنجنيقات تفوق اليهم قسيها وتخيل لهم انها ساعية بحبالها اليهم وعصيها وهي للحصون من آكد الخصوم واذا أمت حصنا حكم بأنه ليس بامام معصوم ومتى امترى خلق في آلات الفتوح لم يكن فيها أحد من الممترين واذا نزلت بساحة قوم فساء صباح المنذرين تدعى الى الوغى فتسكم بما أقيمت صلاة حرب عند حصن الا كان ذلك الحصن ممن يسجد ويسلم (ولقد) سهوت عن الصابي وكان في هذا الفن أمة وهو أبو اسحق ابراهيم بن هلال صاحب الرسائل المشهورة والنظم البديع كان كاتب الانشاء ببغداد عند الخليفة وعند معز الدولة بن بويه وكان متشددا في دينه واجتهد معز الدولة أن يسلم فلم يفعل وكان يصوم شهر رمضان ويحفظ القرآن الكريم أحسن حفظ واستعمله في رسائله والصابي عند العرب من خرج عن دين قومه (قيل) للصابي ان الصاحب بن عباد قال ما بقي من أوطاري وأغراضي الا أن أملك العراق وأتصدر ببغداد وأستكتب الصابي ويكتب عني وأغير عليه فقال الصابي ويغير علي وان أصبت (ومن انشائه) ما كتب به الى أبي الخير عن رقعة وصلت تتضمن انه أهدى اليه جملا وصلت رقعتك ففضضتها عن بلاغة يعجز عنها عبد الحميد في بلاغته وسحبان في خطابته وتصرف بين جد أمضى من القدر وهزل أرق من نسيم السحر الا أن الفعل قصر عن القول لانك ذكرت جملا جعلته لصفتك جملا وكان المعيدي ان تسمع لا أن تراه صغر عن الكبر وكبر عن القدم يعجب العاقل من حلول الحياة به ومن تأتي الحركة فيه لانه عظم مجلد

عون بن عبد الله صحبت الأغنياء فلم أجد فيهم أحدا أكثر مني هما لاني كنت أرى ثيابا أحسن من ثيابي ودابة أحسن من دابتي ثم صحبت الفقراء بعد ذلك فاسترحت قال بعضهم

وقد يهلك الانسان كثرة ماله * كما يذبح الطاوس من أجل ريشه

(وقال عبد الله بن طاهر)

ألم تر أن الدهر يهدم ما بني * و يأخذ ما أعطى و يفسد ما أسدى
فمن سره أن لا يرى ما يسوؤه * فلا يتخذ شيأ يخال به فقدا

وكان من دعاء السلف رضي الله تعالى عنهم اللهم اني أعوذ بك من ذل الفقر و بطر الغنى وقيل مكتوب على باب مدينة الرقة و يل لمن جمع المال من غير حقه و ويلان ان ورثه لمن لا يحمده وقدم على من لا يعذره (ولما) فتحت بلخ في زمن عمر رضي الله تعالى عنه وجد على بابها صخرة مكتوب فيها انما يتبين الفقير من الغني بعد الانصراف من بين يدي الله تعالى أي بعد العرض قال الشاعر

ومن يطلب الاعلى من العيش لم يزل * حزينا على الدنيا رهين غبونها
اذا شئت أن تحيا سعيدا فلا تكن * على حالة الا رضيت بدونها

(وقال آخر) ولا ترهبن الفقر ما عشت في غد * لكل غد رزق من الله وارد

﴿وقال هرون بن جعفر الطالبي﴾

بعدت همتي وقورب مالي * ففعالي مقصر عن مقالي * ما اكتسى الناس مثل ثوب اقتناع
وهو من بين ما اكتسوا سربالي * ولقد تعلم الحوادث أني * ذو اصطبار على صروف الليالي

وقال اعرابي من ولد في الفقر أبطره الغنى ومن ولد في الغنى لم يزده الا تواضعا فما أحسن الفقر وأكثر ثوابه وأعظم أجر من رضي به وصبر عليه اللهم اجعلنا من الصابرين برحمتك يا أرحم الراحمين يا رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

﴿الباب الثالث والخمسون في التلطف في السؤال وذكر من سئل فجاد﴾

(روى) الامام مالك في الموطأ عن زيد بن أسلم رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أعطوا السائل ولو جاء على فرس وما سئل عليه السلام شيأ قط فقال لا وأتى اعرابي على علي رضي الله تعالى عنه فسأله شيأ فقال والله ما أصبح في بيتي شئ فضل عن قوتي فولى الاعرابي وهو يقول والله ليسألنك الله عن موقفي بين يديك يوم القيامة فبكى علي رضي الله تعالى عنه بكاء شديدا وأمر برده وقال يا قنبر ائتني بدرعي الفلانية فدفعها الى الاعرابي وقال لا تخدعن عنها فطالما كشف بها الكرب عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قنبر يا أمير المؤمنين كان يجزيه عشرون درهما فقال يا قنبر والله ما يسرني ان لي زنة الدنيا ذهبا وفضة فتصدقت به وقبل الله مني ذلك وانه يسألني عن موقف هذا بين يدي وقال علي رضي الله تعالى عنه ان لكل شئ ثمرة وثمرة المعروف تعجيل السراح وقال مسلمة لنصيب سلني فقال كفك بالعطية أبسط من لساني بالمسئلة فقال لحاجبه ادفع اليه ألف دينار * وسأل رجل الحسن رضي الله تعالى عنه فقال له ما وسيلتك قال وسيلتي اني أتيتك عام أول فبررتني فقال مرحبا بمن توسل الينا بنا ثم وصله وأكرمه ويقال الكريم اذا سئل ارتاح واللئيم اذا سئل ارتاع (ولما) وفد المهدي من الري الى العراق امتدحه الشعراء فقال أبو دلامة

اني نذرت لئن رأيتك قادما * أرض العراق وأنت ذو وفر
لتصلين على النبي محمد * ولتملأن دراهما حجري

فقال المهدي صلى الله على محمد فقال أبو دلامة ما أسرعك للاولى وأبطأك عن الثانية فضحك وأمر ببدرة فصبت في حجره * وسمع الرشيد أعرابية بمكة تقول

طحنتنا كلاكل الاعوام * وبرتنا طوارق الايام * فأتينا كوغدا أكفا
لالتقام من زادكم والطعام * فاطلبوا الاجر والمثوبة فينا * أيها الزائرون بيت حرام

فبكى الرشيد وقال ان معك سألتكم بالله تعالى الا ما دفعتم اليها صدقاتكم فالقوا عليها الثياب حتى وارتها كثرة وملؤا حجرها دراهم ودنانير * وسأل اعرابي بمكة وأحسن في سؤاله فقال أخ في الله وجار في بلد الله وطالب خير

قد طال السكلا فقده و بعد بالمرعى عهده لم ير القت الا نائما ولا عرف الشعير الا حالما وقد كنت ملت الى استبقائه لما تعرفه من محبتي للتوفير ورغبتي في التثمير فلم أجد فيه مستبقى لبقاء ولا مدفعا للعناء لانه ليس بأنثى فتلد ولا بفتي فينسل ولا بصحيح فيرعى ولا بسليم فيبقى فقلت اذبحه ليكون وظيفة للعيال وأقيمه رطبا مقام قديد الغزال فأنشدني وقد أضرمت النار وحددت الشفار

أعيذها نظرات منك صادقة * أن تحسب الشحم فيمن شحمه ورم

ولست بذي لحم فاصلح للاكل لان الدهر قد أكل لحمي ولا بذي جلد يصلح للدباغ لان الايام قد مزقت أدمي ولا بذي صوف يصلح للغزل لان الحوادث قد حصت وبري الا أن تطالبني بذحل أو بيني و بينك دم فوجدته صادقا في مقالته ناصحا في مشورته ولم أعلم من أي أمريه أعجب أمن مطالبته الدهر بالبقاء أم من صبره على الضر والبلاء أم من قدرتك عليه مع عدم مثله أم من هديتك اياه للصديق مع خساسة قدره و ياليت شعري ما كنت مهديا لو أني رجل من عرض الكتاب كأبي علي وأبي الخطاب ما كنت مهديا الا كلبا أجرب أو قردا أحدب والسلام (وله من رسالة) هو أخفض قدرا ومكانة وأظهر عجزا ومهانة من أن يستقل به قدم في مطاولتنا أو تطمئن له ضلوع في منابذتنا وهو في نشوزه عنا وطلبنا اياه كالضالة المنشودة والظلامة المردودة وكان له عبد اسمه عين وكان يهواه وله فيه المعاني البديعة فمن ذلك قوله فيه

قد قال عين وهو أسود للذي
ببياضه استعلى علوا لخائن
ما فخر وجهك بالبياض وهل ترى
ان قد أفدت به مزيد محاسن
ولو ان مني فيه خالا زانه
ولو ان منه في خالا شانني

من عند الله فهل من أخ يواسيني في الله قال الشاعر

ليس في كل وهلة وأوان * تتهيأ صنائع الاحسان
فاذا أمكنت فبادر اليها * حذرا من تعذر الامكان

وقال البصري

أضحت حوائجنا اليك مناخة * معقولة برجالك الوصال
أطلق فديتك بالنجاح عقالها * حتى تثور بنا بغير عقال

وعن علي رضي الله تعالى عنه قال يا كميل مر أهلك ان يروحوا في كسب المكارم ويدلجوا في حاجة من هو نائم فوالذي وسع سمعه الاصوات ما من أحد أودع قلبا سرورا الا خلق الله تعالى من ذلك السرور لطفا فاذا نابته نائبة جرى اليها كالماء في انحداره حتى يطردها عنه كما تطرد غريبة الابل وقال لجابر بن عبد الله يا جابر من كثرت نعم الله تعالى عليه كثرت حوائج الناس اليه فاذا قام بما يجب لله فيها فقد عرضها للدوام والبقاء ومن لم يقم بما يجب لله فيها عرض نعمه للزوالها وكان لبيد رحمه الله تعالى آلى على نفسه كلما هبت الصبا أن ينحر ويطعم ور بما ذبح العناق اذا ضاق الخناق فخطب الوليد بن عتبة يوما فقال قد علمتم ما جعل أبو عقيل على نفسه فأعينوه على مروأته ثم بعث اليه بخمس من الابل وبهذه الأبيات

أرى الجزار يشحذ مديتيه * اذا هبت رياح بني عقيل
طويل الباع أبلج جعفري * كريم الجد كالسيف الصقيل
وفى ابن الجعفري بما نواه * على العلات بالمال القليل

فدعا لبيد بنتا له خماسية وقال يا بنية اني تركت قول الشعر فأجيبي الأمير عني فقالت

اذا هبت رياح بني عقيل * تداعينا لهبتها الوليدا
طويل الباع أبلج عبشمي * أعان على مروأته لبيدا
بأمثال الهضاب كان راعيا * عليها من بني حام قعودا
أبا وهب جزاك الله خيرا * نحرناها وأطعمنا الثريدا
فعد ان الكريم له معاد * وظني في ابن عتبة أن يعودا

فقال لقد أحسنت والله يا بنية لولا أنك سألت وقلت عد فقالت يا أبت ان الملوك لا يستحيا منهم في المسئلة فقال والله لانت في هذا أشعر مني * ووفد رجل من بني ضبة على عبد الملك فانشده

والله ما ندري اذا ما فاتنا * طلب اليك من الذي نتطلب
ولقد ضربنا في البلاد فلم نجد * أحدا سواك الى المكارم ينسب
فاصبر لعادتك التي عودتنا * أولا فارشدنا الى من نذهب

فأمر له بالف دينار فعاد اليه من قابل وقال يا أمير المؤمنين ان الروى لينازعني وان الحياء يمنعني فأمر له بالف دينار وقال والله لو قلت حتى تنفد بيوت الأموال لاعطيتك * وقيل ان رجلا عرض للمنصور فسأله حاجة فلم يقضها فعرض له بعد ذلك فقال له المنصور أليس قد كلمتني مرة قبل هذه قال نعم يا أمير المؤمنين ولكن بعض الأوقات أسعد من بعض وبعض البقاع أعز من بعض فقال صدقت وقضى حاجته وأحسن اليه * وروى أن أبا دلامة الشاعر كان واقفا بين يدي السفاح في بعض الأيام فقال له سلني حاجتك فقال كلب صيد فقال اعطوه اياه فقال ودابة أصيد عليها فقال اعطوه دابة فقال وغلاما يقود الكلب ويصيد به قال أعطوه غلاما قال وجارية تصلح لنا الصيد وتطعمنا منه قال أعطوه جارية فقال هؤلاء يا أمير المؤمنين عيال ولا بد لهم من دار يسكنونها قال أعطوه دارا تجمعهم قال فان لم يكن لهم ضيعة فمن أين يعيشون قال قد أقطعته عشر ضياع عامرة وعشر ضياع غامرة فقال ما الغامرة يا أمير المؤمنين قال ما لا نبات فيها قال قد أقطعتك يا أمير المؤمنين مائة ضيعة غامرة من فيافي بني أسد فضحك وقال اجعلوها كلها عامرة فانظر الى حذقه بالمسئلة ولطفه فيها كيف ابتدأ بكلب صيد فسهل القضية وجعل يأتي بمسئلة بعد مسئلة على ترتيب وفكاهة حتى سأل ما سأله ولو سأل ذلك بديهة لما وصل اليه (وحكى) عن المأمون أنه قال ليحيى بن أكثم يوما سر بنا نتفرج فسارا فبينما هما في الطريق واذا بقصبة خرج منها رجل بقصبة للمأمون يتظلم له فنفرت دابته فالقته على الأرض صريعا فأمر بضرب ذلك الرجل فقال يا أمير المؤمنين ان المضطر يرتكب الصعب من الأمور وهو عالم به ويتجاوز حد الأدب وهو كاره لتجاوزه ولو أحسنت الايام مطالبتي لأحسنت مطالبتك ولانت على رد ما لم تفعل أقدر من رد ما قد فعلت قال فبكى المأمون وقال بالله أعد علي ما قلت فأعاده فالتفت المأمون الى يحيى بن أكثم وقال أما تنظر الى

(الصاحب بن عباد) من بلاغاته المخترعة انه قيل له ما هو أحسن السجع قال ما خف على السمع قيل مثل ماذا قال مثل هذا * وسئل ابن العميد عن بغداد فقال بغداد في البلاد كالاستاذ في العباد (وله جواب كتاب) وصل كتاب مولاي فكانت فاتحته أحسن من كتاب الفتح وواسطته أنفس من واسطة العقد وخاتمته أشرف من خاتم الملك (ومن شعره) يرثي كثير بن أحمد الوزير

يقولون قد أودى كثير بن أحمد
وذلك رزء في الانام جليل
فقلت دعوني والعلا نبكه معا
فمثل كثير في الرجال قليل

(القاضي الفاضل أبو علي عبد الرحيم) علم المتقدمين والمتأخرين وزير السلطان صلاح الدين بن أيوب الملقب بالملك الناصر تمكن منه غاية التمكن وبرز في صناعة الانشاء على المتقدمين قال ابن خلكان في تاريخه أخبرني أحد الفضلاء الثقات المطلعين على حقيقة أمره أن مسودات رسائله اذا جمعت ما تقصر عن مائة مجلد وهو مجيد في أكثرها (وذكر) ابن خلكان في تاريخه أيضا ان العماد الكاتب قال في الخريدة هو كالشريعة المحمدية التي نسخت الشرائع وكانت ولادته خامس عشر جمادى الآخرة سنة تسع وعشرين وخمسمائة مدينة عسقلان وولي أبوه القضاء ببيسان فلهذا نسبوه اليها (وقال) الفقيه عمارة اليمني في كتاب النكت العصرية في أخبار الوزراء المصرية في ترجمة العادل بن الصالح بن رزيك ومن أيامه الحسنة التي لا توازى بل هي اليد البيضاء التي لا تجازى خروج أمره الى والي الاسكندرية باحضار القاضي الفاضل الى الباب واستخدامه بحضرته في الديوان فانه عروس الدولة بل للملة شجرة مباركة

مخاطبة هذا الرجل باصغريه والنبي صلى الله عليه وسلم يقول المرء باصغريه قلبه ولسانه والله لا وقفت لك الا وأنا قائم على قدمي فوقف وأمر له بصلة جزيلة واعتذر اليه فلما هم المأمون بالانصراف قال الرجل يا أمير المؤمنين بيتان قد حضراني ثم أنشد يقول

ماجاد بالوفر الا وهو معتذر * ولا عفا قط الا وهو مقتدر
وكلما قصدوه زاد نائله * كالنار يؤخذ منها وهي تستعر

(وقيل) ان بعض الحكماء لزم باب كسرى في حاجة دهرا فلم يوصل اليه فكتب أربعة أسطر في ورقة ودفعها للحاجب فكان في السطر الاول العديم لا يكون معه صبر على المطالبة وفي السطر الثاني الضرورة والامل أقدماني عليك وفي السطر الثالث الانصراف من غير فائدة شماتة الاعداء وفي السطر الرابع أما نعم فثمرة وأما لا فريحة فلما قرأها كسرى دفع له في كل سطر ألف دينار (وحكى) أن رجلا كان جارا لابن عبيد الله فأصاب الناس قحط بالعراق حتى رحل أكثر الناس عنه فعزم جار ابن عبيد الله على الخروج من البلاد في طلب المعيشة وكانت له زوجة لا تقدر على السفر فلما رأت زوجها تهيأ للسفر قالت له اذا سافرت من ينفق علينا قال ان لي على ابن عبيد الله دينا ومعي به اشهاد عليه شرعي فخذي الاشهاد وقدميه اليه فاذا قرأه أنفق عليك مما عنده حتى أحضر ثم ناولها رقعة كتب فيها هذه الابيات يقول

قالت وقد رأت الاحمال محدجة * والبين قد جمع المشكو والشاكي
من لي اذا غبت في ذا المحل قلت لها * الله وابن عبيد الله مولاك

فمضت اليه المرأة وحكت له ما قال زوجها وأخبرته بسفره وناولته الرقعة فقرأها وقال صدق زوجك وما زال ينفق عليها ويواصلها بالبر والاحسان الى أن قدم زوجها فشكره على فضله واحسانه (وحكى) ان مطيع بن اياس مدح معن بن زائدة بقصيدة حسنة ثم أنشدها بين يديه فلما فرغ من انشاده أراد معن أن يباسطه فقال يا مطيع ان شئت أعطيناك وان شئت مدحناك كما مدحتنا فاستحيا مطيع من اختيار الثواب وكره اختيار المدح وهو محتاج فلما خرج من عنده معن أرسل اليه بهذين البيتين

ثناء من أمير خير كسب * لصاحب نعمة وأخي ثراء
ولكن الزمان برى عظامي * ومالي كالدراهم من دواء

فلما قرأهما معن ضحك وقال ما مثل الدراهم من دواء وأمر له بصلة جزيلة ومال كثير قال الشاعر

هززتك لا اني جعلتك ناسيا * لأمري ولا اني أردت التقاضيا
ولكن رأيت السيف من بعد سله * الى الهز محتاجا وان كان ماضيا

(وقال آخر)

ماذا أقول اذا رجعت وقيل لي * ماذا لقيت من الجواد الأفضل
ان قلت أعطاني كذبت وان أقل * بخل الجواد بماله لم يجمل
فاختر لنفسك ما أقول فانني * لا بد أخبرهم وان لم أسئل

(وقال آخر)

لنوائب الدنيا أتتك فانتبه * يا نائما من جملة النوام
أعلى الصراط تزيل لوعة كربتي * أم في المعاد تجود بالانعام

(ومما يستحسن الحاقه بهذا الباب ذكر شئ مما جاء في ذم السؤال والنهي عنه) روى عن عبد الرحمن بن عوف ابن مالك الاشجعي رضي الله تعالى عنه قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم تسعة أو ثمانية أو سبعة فقال ألا تبايعون رسول الله صلى الله عليه وسلم فبسطنا أيدينا وكنا حديثي عهد بالمبايعة فقلنا قد بايعناك يا رسول الله فعلام يا رسول الله نبايعك قال أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيأ وتقيموا الصلوات الخمس وتطيعوا الله وأسر كلمة خفية وهي ولا تسألوا الناس شيأ فلقد رأيت بعض أولئك النفر يسقط سوط أحدهم فما يسأل أحدا يناوله اياه رواه مسلم * وقال رجل لابنه اياك أن تريق ماء وجهك عند من لا ماء في وجهه وكان لقمان يقول لولده يا بني اياك والسؤال فانه يذهب ماء الحياء من الوجه وأعظم من هذا استخفاف الناس بك وأوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام لأن تدخل يدك في فم التنين الى المرفق خير لك من ان تبسطها الى غني قد نشأ في الفقر * وقيل لاعرابي ما السقم الذي لا يبرأ والجرح الذي لا يندمل قال حاجة الكريم الى اللئيم وقال أبو مجلم السعدي

اذا مارماك الدهر في الضيق فانتجع * قديم الغنى في الناس انك حامده

متزايدة النماء أصلها ثابت وفرعها في السماء (وتوفي الفاضل) في ليلة الاربعاء سابع ربيع الأول سنة ست وتسعين وخمسمائة ودفن في تربة بسفح المقطم في القرافة الصغرى (قال) ابن خلكان كان القاضي الفاضل من محاسن الدنيا وهيهات أن يخلف الزمان مثله (فمن انشائه المرقص المطرب قوله) وقد كان يقال ان الذهب الابريز لا تدخل عليه آفة وان يد الدهر البخيلة به كافة وأنتم يا بني أيوب أيديكم آفة نفائس الأموال كما ان سيوفكم آفة نفوس الابطال فلو ملكتم الدهر لا منتهيتم لياليه أداهم وقلدتم أيامه صوارم ووهبتم شموسه وأقماره دنانير ودراهم وأيام دولتكم اعراس وما تم فيها الا على الاموال مأتم والجود في أيديكم خاتم ونفس حاتم في نقش ذلك الخاتم (ومن انشائه في كاحل) كأنه فاسل يدخل الى انسان العين بخيوط من كحله الملعون لعلة المنون ويدرجه في كفن من الخرقة السوداء التي يلبسها سواد العيون ينقل العين الى بياض الثغور ويسلبها سواد الماء وما برحت عصيه مردودة ولديها عصا العمى قد انتهى الى فوق ما ضرب به المثل اذ قيل يسرق الكحل من العين فهذا يسرق العين من الكحل وهو لص من أكابر اللصوص وهموا كحالين وهم صاغة لما يركبون فوق العين من الفصوص قد أودع كحله حزن يعقوب فمن كحل منه ابيضت عيناه وجحد معجز القميص اليوسفي فلو مر وابه على ناظر انقرحت جفناه وهو من الذين اذا رفعوا أميالهم فانما هي لشمس العيون مزولة واذا أولج أحدهم الميل في المكحلة فهو أولى بالرجم ممن أولج الميل في المكحلة (ومن انشائه سقى الله ثراه) والجو يتنفس عن صدر

ولا

ولا تطابن الخير ممن أفاده * حديثا ومن لا يورث المجد والده

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مسئلة الناس من الفواحش ما أحل من الفواحش غيرها وقال عليه الصلاة والسلام لان يأخذ أحدكم حبله فيحتطب على ظهره خير له من أن يأتي رجلا فيسأله أعطاه أو منعه قال الشاعر

ما اعتاض باذل وجهه بسؤاله * عوضا ولو نال الغنى بسؤال
واذا السؤال مع النوال وزنته * رجح السؤال وخف كل نوال

(وقال أحمد الانبارى) لموت الفتى خير من البخل للفتى * وللبخل خير من سؤال بخيل
لعمرك ما شئ لوجهك قيمة * فلا تلق انسانا بوجه ذليل

(وقال سلم الخاسر) اذا أذن الله في حاجة * أتاك النجاح على رسله
فلا تسأل الناس من فضلهم * ولكن سل الله من فضله

ويقال أحب الناس الى الله من سأله وأبغض الناس الى الناس من احتاج اليهم وسألهم وفي هذا المعنى قيل

لا تسألن بني آدم حاجة * وسل الذي أبوابه لا تحجب
الله يغضب ان تركت سؤاله * وبني آدم حين يسئل يغضب

(وقال محمود الوراق) شاد الملوك قصورهم وتحصنوا * من كل طالب حاجة أو راغب
فارغب الى ملك الملوك ولا تكن * ياذا الضراعة طالبا من طالب

(وقال ابن دقيق العيد) وقائلة مات الكرام فمن لنا * اذا عضنا الدهر الشديد بنابه
فقلت لها من كان غاية قصده * سؤالا لمخلوق فليس بنابه
اذا مات من يرجى فمقصودنا الذي * ترجينه باق فلوذي ببابه

(وقال بعض أهل الفضل) لما افتقرت اصطبرت ماوجدتهمو * لجأت لله لباني وأغناني
واهالي بذل وجهي للورى سفها * فلو بذلت الى مولاي والاني

وسأل رجل رجلا حاجة فلم يقضها فقال سألت فلانا حاجة أقل من قيمته فردني ردا أقبح من خلقته وسأل عروة معها حاجة فلم يقضها فقال علم الله تعالى ان لكل قوم شيخا يفزعون اليه وأنا أفزع منك ويقال لا شئ أوجع للاخيار من الوقوف بباب الأشرار وقال الامام الشافعي رحمه الله تعالى

بلوت بني الدنيا فلم أرفيهم * سوى من غدا والبخل مل اهابه * فجردت من غمد القناعة صارما
قطعت رجائي منهم بذبابه * فلا ذا يراني واقفا في طريقه * ولا ذا يراني قاعدا عند بابه
غنى بلا مال عن الناس كلهم * وليس الغنى الا عن الشئ لا به * اذا ظالم يستحسن الظلم مذهبا
ولج عتوا في قبيح اكتسابه * فكله الى صرف الليالي فانها * ستبدي له مالم يكن في حسابه
فكم قد رأينا ظالما متمردا * يرى النجم تيها تحت ظل ركابه * فعما قليل وهو في غفلاته
أناخت صروف الحادثات ببابه * فأصبح لا مال ولا جاه يرتجى * ولا حسنات تلتقي في كتابه
وجوزي بالأمر الذي كان فاعلا * وصب عليه الله سوط عذابه

(وقال آخر) لا تسألن الى صديق حاجة * فيحول عنك كما الزمان يحول
واستغن بالشئ القليل فانه * ماصان عرضك لا يقال قليل * من عف خف على الصديق لقاؤه
وأخو الحوائج وجهه مملول * وأخوك من وفرت ما في كفه * ومتى علقت به فأنت ثقيل

(وقال آخر) ليس جودا أعطيته بسؤال * قد يهز السؤال غير جواد
انما الجود ما أتاك ابتداء * لم تذق فيه ذلة الترداد

(وقال آخر) لا تحسبن الموت موت البلى * انما الموت سؤال الرجال
كلاهما موت ولكن ذا * أخف من ذاك لذل السؤال

وقال الشافعي رضي الله تعالى عنه

قنعت بالقوت من زماني * وصنت نفسي عن الهوان * خوفا من الناس أن يقولوا

متحور كصدر المهجور والحرو صالية في هذا النحو جار ومجرور والمهامه قد نشرت فيها ملاءة السراب وزخرفيها بحر ماء ولذا لغير رشدة على غير فراش السحاب وحر الرمل قد منع حث الرمل ونحن في أكثر من جموع صفين الا أننا نخاف وقعة الجمل ووردنا ماء هذه العيون وهو كالمحابر يغترف منه المجرم مثل عمله ويرسله سهما فلا يخطئ ثغرة مقتله وهو مع هذا قليل كأنه مما جادت به الآماق في ساحات النفاق لا في ساعات الفراق فيالك من ماء لا تميز أوصافه من التراب ولا يرتفع به فرض التيمم كما لا يرتفع بالسراب ولا يعدوما وصف به أهل الجحيم في قوله تعالى وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه بئس الشراب فنحن حوله كالعوائد حول المريض يعللون عليلا لا يرد الجواب بل يندبون ميتا قد حال بينه وبينهم التراب يجهز للدفن ونعشه المراد ويحفر عليه ليقوم من قبره وذلك خلاف المعتاد * وفي غير من قد وارت الأرض فاطمع * على أنه لو كان دمعا لما بل الأجفان ولو كان مالا لما رفع كفة الميزان (ومن انشائه) الى أن يرد كتب العسكر وأعلامها من مدات ألفاته ورؤس العدا قطعات همزاته (ومنه) فبنت سنابك الخيل سماء من العجاج نجومها الأسنة وطارت اليهم عقبان الخيول قوادمها القوائم ومخالبها الأعنة تصوبت عيون السمر الى قلوبهم كأنما تطلب سوادها وقصدت أنهار السيوف صدورهم لتروي أكبادها (ومنه) وما أحسب الاقلام جعلت ساجدة الا لان طرسه محراب ولا أنها سميت خرسا الا قبل أن ينفث سيدنا في روعها رائع هذا الصواب ولا أنها اضطجعت الا ليبعثها ما ينفخ فيها من روحه من مرقدها ولا سودت

فضل فلان على فلان * من كنت عن ماله غنيا * فلا أبالى اذا جفانى
ومن رآنى بعين نقص * رأيته بالتى رآنى ومن رآنى بعين تم * رأيته كامل المعانى

والله سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الباب الرابع والخمسون فى ذكر الهدايا والتحف وما أشبه ذلك

قال الله تعالى واذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها فسرها بعضهم بالهدية وقال صلى الله عليه وسلم تهادوا تحابوا فانها تجلب المحبة وتذهب الشحناء وقال صلى الله عليه وسلم الهدية مشتركة وقال صلى الله عليه وسلم من سألكم بالله فاعطوه ومن استعاذ كم فأعيذوه ومن أهدى اليكم كراعا فاقبلوه وكان صلى الله عليه وسلم يقبل الهدية و يثيب عليها ما هو خير منها * وفى الأثر الهدية تجلب المودة الى القلب والسمع والبصر * ومن الامثال اذا قدمت من سفر فأهد لأهلك ولو حجرا وقال الفضيل بن سهل ما استرضى الغضبان ولا استعطف السلطان ولا سلبت السخائم ولا دفعت المغارم ولا استميل المحبوب ولا توقى المحذور بمثل الهدية وأتى فتح الموصلى بهدية وهى خمسون دينارا فقال حدثنا عطاء عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال من آتاه الله رزقا من غير مسئلة ورده فكأنما رده على الله تعالى وأهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم هدية الى عمر فردها فقال يا عمر لم رددت هديتى فقال رضى الله تعالى عنه انى سمعتك تقول خيركم من لم يقبل شيأ من الناس فقال يا عمر انما ذلك ما كان عن ظهر مسئلة فأما اذا اتاك من غير مسئلة فانما هو رزق ساقه الله إليك وقالت أم حكيم الخزاعية سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تهادوا فانه يضاعف الحب و يذهب بغوائل الصدور ويقال فى نشر المهاداة طى المعاداة

ذكر أنواع الهدايا للخلفاء وغيرهم ممن قصرت به قدرته فاهدى اليسير وكتب معه مكاتبة يعتذر بها

أهدى الى سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام ثمانية أشياء متباينة فى يوم واحد فيلة من ملك الهند وجارية من ملك الترك وفرس من ملك العرب وجوهرة من ملك الصين واستبرق من ملك الروم ودرة من ملك البحر وجرادة من ملك النمل وذرة من ملك البعوض فتأمل ذلك وقال سبحان القادر على جمع الاضداد * وأهدى ملك الروم الى المأمون هدية فقال المأمون أهدوا له ما يكون ضعفها مائة مرة ليعلم عز الاسلام ونعمة الله تعالى علينا ففعلوا ذلك فلما عزموا على حملها قال ما أعز الاشياء عندهم قالوا المسك والسمور قال وكم فى الهدية من ذلك قالوا مائتا رطل مسكا ومائتا فروة سمورا (وأهدت) قطر الندى الى المعتضد بالله فى يوم نيروز فى سنة اثنتين وثمانين ومائتين هدية كان فيها عشرون صينية ذهب فى عشرة منها مشام عنبر وزنها أربعة وثمانون رطلا وعشرون صينية فضة فى عشرة منها مشام صندل وزنها نيف وثلاثون رطلا وخمس خلع وشى قيمتها خمسة آلاف دينار * وعملت شمامات ليوم النيروز بلغت النفقة عليها ثلاثة عشر ألف دينار * وأهدى يعقوب بن الليث الصفار الى المعتمد على الله هدية فى بعض السنين من جملتها عشرة بازات منها باز أبلق لم ير مثله ومائة مهر وعشرون صندوقا على عشر بغال فيها طرائف الصين وغرائبه ومسجد فضة بدرابزين يصلى فيه خمسة عشر انسانا ومائة رطل من مسك ومائة عود هندى وأربعة آلاف ألف درهم * وأهدت برتا بنت الأوبارى ملكة افرنجة وما والاها الى المكتفى بالله فى سنة ثلاث وتسعين ومائتين خمسين سيفا وخمسين رمحا وعشرين ثوبا منسوجا بالذهب وعشرين خادما صقلبيا وعشرين جارية صقلبية وعشرة كلاب كبار لا تطيقها السباع وستة بازات وسبع صقور ومضرب حرير متلون بجميع الألوان كلون قوس قزح يتلون فى كل ساعة من ساعات النهار وثلاثة أطيار من الأطيار الافرنجية اذا نظرت الى الطعام أو الشراب المسموم صاحت صياحا منكرا وصفقت باجنحتها حتى يعلم بذلك وخرزا يجذب النصول بعد نبات اللحم عليها بغير وجع وحمارة وحشية عظيمة الخلقة فى قدر البغل وآذانها شبه آذان البغل وهى مخططة تخطيطا عاما لجميع خلقتها * وأهدى قسطنطين ملك الروم الى المستنصر بالله فى سنة سبع وثلاثين وأربعمائة هدية عظيمة اشتملت قيمتها على ثلاثين قنطارا من الذهب الأحمر كل قنطار منها عشرة آلاف دينار عربية قيمة ذلك ثلثمائة ألف دينار عربية (وحكى) أن الخيزران جارية المهدى كانت أديبة شاعرة فعزم المهدى على شرب دواء فأنفذت اليه جام بلور فيه شراب اختارته له مع وصيفة بكر بارعة الجمال

رؤسها الالأم الأقلام عماسية وتناولتها الحضرة بيدها الاكرم أنها تحامى الحمى وتسفك دما وتحقن دما وتشيع بهايده عنانا وترسلها فتعلم الفرسان ان فى الكتاب لفرسانا وتقوم الخطباء بما كتبت لتعلم الالسنة ان فى الايدى كما فى الأفواه لسانا (قلت ومن) مخترعاته قوله وان ادعى سحر البيان أنه يقضى أيسر حقوقه و يثمر ما يجب من شكر فروعه وعروقه كنت أفصح باطل سحره وأذيقه وبال أمره وأصب الخواطر السحارة على جذوع الأقلام وأعقد ألسنتها كما تعقد السحرة الالسنة عن الكلام (ومن انشائه فى وفاء النيل المبارك عن الملك الناصر صلاح الدين نور الله ضريحه) نعم الله سبحانه وتعالى من أضوئها بزوغا وأضفاها سبوغا وأصفاها ينبوعا وأسناها منفوعا وأمدها بحر مواهب وأضمنها حسن عواقب النعمة بالنيل المصرى الذى يبسط الآمال و يقبضها مده وجزره ويربى النبات بحره و يحيى مطلقه الحيوان ويجنى ثمرات الأرض صنوان وغير صنوان وينشر مطوى حريرها و ينشر مواتها ويوضح معنى قوله عز وجل و بارك فيها وقدر فيها أقواتها وكان وفاء النيل المبارك تاريخ كذا فاسفر وجه الارض وان كانت تنقب وأمن يوم بشراه من كان خائفا يترقب ورأينا الابانة عن لطائف الله التى حققت الظنون ووفت بالرزق المضمون ان فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون وقد أعلمناك لتوفى حقه من الاذاعه وتبعده من الاضاعه وتتعرف على ما يصرفك فى الطاعه وتشهر ما أورده البشير من البشرى باباتته وتعده باتصال رسمه مهنأ على عادته (ورسم لى فى الأيام المؤيدية وأنا منشئ الديوان

وكنت

وكتبت اليه تقول

اذا خرج الامام من الدواء * وأعقب بالسلامة والشفاء * وأصلح حاله من بعد شرب
بهذا الجام من هذا الطلاء * فيطعم للتي قد أنفذته * اليه بزورة بعد العشاء

فسر بذلك ووقعت الجارية معه أعظم موقع وزار الخيزران وأقام عندها يومين * وأهدى الصابي الى عضد الدولة اسطرلابا في يوم المهرجان وكتب اليه يقول

أهدى اليك بنو الاملاك واحتفلوا * في مهرجان جديد أنت تبليه
لكن عبدك ابراهيم حين رأى * سمو قدرك عن شئ يدانيه
لم يرض بالارض يهديها اليك وقد * أهدى لك الفلك الاعلى بما فيه

وأهدى رجل الى المتوكل قارورة ذهب وكتب معها ان الهدية اذا كانت من الصغير الى الكبير فكلما لطفت ودقت كانت أبهى وأحسن واذا كانت من الكبير الى الصغير فكلما عظمت وجلت كانت أوقع وأنفع * وأهدى مرة أبو الهذيل الى موسى بن عمران دجاجة ووصفها له بصفات جليلة ثم لم يزل يذكرها وكلما ذكر شئ بجمال أو سمن قال هو أحسن أو أسمن من الدجاجة التي أهديتها اليكم وان ذكر حادث قال ذلك قبل أن أهدى لكم الدجاجة بشهر وما كان بين ذلك وبين اهداء الدجاجة الا أيام قلائل فصارت مثلا لمن يستعظم الهدية ويذكرها قال الشاعر

وان امرأ أهدى الى صنيعة * وذكرنيها مرة للئيم

وقال سفيان الثوري اذا أردت أن تتزوج فاهد للام وكان سفيان يروي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما من أهديت اليه هدية وعنده قوم فهم شركاؤه فيها فأهدى اليه صديق له ثيابا من ثياب مصر وعنده قوم فذكروا الخبر فقال انما ذلك فيما يؤكل ويشرب أما في ثياب مصر فلا * وكتب الحمدوني الى جارية اسمها برهان وقد حج مواليها فقال

حجوا مواليك يا برهان واعتمروا * وقد أتتك الهدايا من مواليك
فاطرفيني بما قد أطرفوك به * ولا تكن طرفتي غير المساويك
ولست أقبل الا ما جلوت به * ثنيتك وما رددت في فيك

وكتب بعضهم الى صديقه وقد أهدى اليه هدية يسيرة يقول

تفضل بالقبول على اني * بعثت بما يقل العبد عندك

وأهدى بعضهم الى صديقه هدية في يوم نيروز وكتب اليه يقول هذا يوم جرت فيه العادة بالطاف العبيد للسادة وقدر الامير يجل عما تحيط به المقدرة وفي سودده ما يوجب التفضل ببسط المعذرة وقد وجهت ما حضر علما بانه لا يستكثر ما جل ولا يستقل لعبده ما قل فان رأى أن يتطول بقبول القليل كتطوله باهداء الجزيل فعل وجعل يقول

رأيت كثير ما يهدى اليكم * قليلا فاقتصرت على الدعاء

وبلغ الحسن بن عمارة ان الاعمش يقع فيه ويقول ظالم ولي المظالم فاهدى اليه هدية فدحه الاعمش بعد ذلك وقال الحمد لله الذي ولى علينا من يعرف حقوقنا فقيل له كنت تذمه ثم الآن تمدحه فقال حدثني خيثمة عن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جبلت القلوب على حب من أحسن اليها وبغض من أساء اليها وقال عبد الله بن مروان ثلاثة أشياء تدل على عقول أربابها الكتاب يدل على عقل كاتبه والرسول يدل على عقل مرسله والهدية تدل على عقل مهديها والله سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿الباب الخامس والخمسون في العمل والكسب والصناعات والحرف وما أشبه ذلك﴾

﴿أما العمل﴾ فقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال أفضل العمل أدومه وان قل وقال علي بن أبي طالب كرم الله تعالى وجهه قليل مدام عليه خير من كثير مملول وفي التوراة حرك يدك أفتح لك باب الرزق * وكان ابراهيم بن أدهم يسقي ويرعى ويعمل بالكراء ويحفظ البساتين والمزارع ويحصد بالنهار ويصلي بالليل * وعن علي رضي الله تعالى عنه قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ما ينفي عني حجة العلم قال العمل وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز

الشريف المؤيدي سنة تسع عشرة وثمانمائة) أن أنشئ رسالة بوفاء النيل المبارك لم أسبق اليها ممن تقدمني من المنشئين بالديار المصرية حتى ان المقر الاشرف المرحومي القاضوي الناصري محمد بن البارزي الجهني الشافعي سقى الله ثراه قرأ على المسامع الشريفة هذه الرسالة المسطرة ورسالة من انشاء الشيخ جمال الدين بن نباتة وكان غرضه في ذلك اختبار الالفاظ والمعاني من الرسالتين فانشأت بعد الاستعانة بالله * وتبدي لعلمه الكريم ظهور آية النيل الذي هاملنا فيه بالحسنى وزيادة وأجراه لنا في طرق الوفاء على أجمل عادة وخلق أصابعه ليزول الابهام فاعلن المسلمون بالشهادة كسر حسره فامسى كل قلب بهذا الكسر مجبورا وأتبعناه بنوروز وما برح هذا الاسم بالسعد المؤيدي مكسورا دق قفا السودان فالراية البيضاء من كل قلع عليه وقبل ثغور الاسلام وأرشفها ريقه الحلو فمالت أعطاف غصونها اليه وشبب خريره في الصعيد بالقصب ومد سبائكه الذهبية الى جزيرة الذهب فضرب الناصر بقوا اتصل بأم دينار وقلنا انه صبغ بقوة لما جاء وعليه ذلك الاحمرار وأطال الله عمر زيادته فتردد في الآثار وعمته البركة فأجرى سواقي مكة الى أن غدت جنة تجري من تحتها الانهار وحضن مشتهى الروضة في صدره وحنا عليها حنو المرضعات على الفطيم

وارشفنا على ظمأ زلالا
ألذ من المدامة للنديم

وراق مديد بحره لما انتظمت عليه تلك الابيات وسقى الارض سلافته الخمرية فخدمته بحلو النبات وأدخله الى جنات النخيل والاعناب فاق النوى والحب فأرضع حنين النبت

من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الامانى * وقال الاوزاعى اذا أراد الله بقوم سوأ أعطاهم الجدل ومنعهم العمل وأنشد يقول

وما المرء الاحيث يجعل نفسه * ففى صالح الاعمال نفسك فاجعل

وقال بعض الحكماء لاشئ أحسن من عقل زانه حلم ومن علم زانه علم ومن حلم زانه صدق ودخل بعض الخواص على ابراهيم بن صالح وهو أمير فلسطين فقال له عظنى فقال له الولى بلغنى رحمك الله ان أعمال الاحياء تعرض على أقاربهم الموتى فانظر ماذا تعرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم من عملك فبكى ابراهيم حتى سالت دموعه * وقيل من جد وجد وأنشدوا فى المعنى

انى رأيت وفى الايام تجربة * للصبر عاقبة محمودة الاثر

وقل من جد فى أمر يحاوله * واستصحب الصبر الافاز بالظفر

وتقول العرب فلان وثاب على الفرص وقال بعضهم

وانى اذا باشرت أمرا أريده * تدانت أقاصيه وهان أشده

وعن أنس رضى الله تعالى عنه يتبع الميت ثلاث يرجع اثنان ويبقى واحد يتبعه أهله وماله وعمله فيرجع أهله وماله ولا يرجع عمله * وقال بعضهم العمل سعى الاركان الى الله والنية سعى القلوب الى الله والقلب ملك والاركان جنود ولا يحارب الملك الا بالجنود ولا الجنود الا بالملك * وقيل الدنيا كلها ظلمات الا موضع العلم والعلم كله هباء الا موضع العمل والعمل كله هباء الا موضع الاخلاص هذا هو العمل (وأما الكسب) فقد جاء فى تفسير قوله تعالى وعلمناه صنعة لبوس لكم أى دروع من الحديد وذلك أن داود عليه الصلاة والسلام كان يدور فى الصحارى فاذا رأى من لا يعرفه تحدث معه فى أمر داود فاذا سمعه عابه بشئ يصلحه من نفسه فسمع يوما من يقول انى لا أجد فى داود عيبا الا أنه يأكل من غير كسبه فعند ذلك صلى داود عليه الصلاة والسلام فى محرابه وتضرع بين يدى الله تعالى وسأله أن يعلمه ما يستعين به على قوته فعلمه الله تعالى صنعة الحديد وجعله فى يده كالشمع فاحترفها واستعان بها على أمره وصار يحكم منها الدروع * وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل رزقى تحت ظل رمحى فكانت حرفته الجهاد وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يحب العبد المحترف وقال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يبغض العبد الصحيح الفارغ وقال عليه الصلاة والسلام من اكتسب قوته ولم يسأل الناس لم يعذبه الله تعالى يوم القيامة ولو تعلمون ما أعلم من المسئلة ما سأل رجل رجلا شيأ وهو يجد قوت يومه وليس عند الله أحب من عبد يأكل من كسب يده ان الله تعالى يبغض كل فارغ من أعمال الدنيا والآخرة وعن أنس رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم من بات كالا فى طلب الحلال أصبح مغفورا له وعن الحسن رحمه الله كسب الدرهم الحلال أشد من لقاء الزحف وقيل لمحمد بن مهران ان ههنا أقواما يقولون نجلس فى بيوتنا وتأتينا أرزاقنا فقال هؤلاء قوم حمقى ان كان لهم مثل يقين ابراهيم خليل الرحمن فليفعلوا وقال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه لا يقعدن أحدكم عن طلب الرزق ويقول اللهم ارزقنى فقد علمتم ان السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة وقال أيضا انى لارى الرجل فيعجبنى فأقول أله حرفة فان قالوا لا سقط من عينى واشترى سليمان وسقا من طعام وهو ستون صاعا فقيل له فى ذلك فقال ان النفس اذا أحرزت رزقها اطمأنت قال بعضهم فى السعى

خاطر بنفسك كى تصيب غنيمة * ان الجلوس مع العيال قبيح

وقيل ان أول من صنع لسان الميزان عبد الله بن عامر وكان الناس اغا يزنون بالشاهينى وعن أنس رضى الله عنه قال غلا السعر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله سعر لنا فقال ان الله الخالق القابض المسعر الرازق وانى لأرجو أن ألقى الله تعالى وليس أحد يطلبنى بظلمة ظلمته بها فى أهل ولا مال ﴿وأما ما جاء فى العجز والتوانى﴾ فقد روى عن على بن أبى طالب كرم الله تعالى وجهه أنه قال من أطاع التوانى ضيع الحقوق ومن العجز طلب ما فات مما لا يمكن استدراكه وترك ما أمكن مما تحمد عواقبه (قال الشاعر)

على المرء أن يسعى ويبذل جهده * ويقضى اله الخلق ما كان قاضيا

و أحياله أمهات العصف والاب وصالحته كفوف الموز فختمها بخواتمه العقيقية ولبس الورد تشريفه وقال أرجو أن تكون شوكتى فى أيامه قويه ونسى الزهر بحلاوة لقائه مرارة النوى وهامت به مخدرات الاشجار فأرخت ضفائر فروعها عليه من شدة الهوى واستوفى النبات ما كان له فى ذمة الرى من الديون ومازج الحوامض بحلاوته فهام الناس بالسكر والليمون وانجذب اليه الكباد وامتد ولكن قوى قوسه لما حظى منه بسهم لا يرد ولبس شربوش الاترج وترفع الى أن لبس بعده التاج وفتح منشور الارض لعلامته بسعة الرزق وقد نفذ أمره وراج فتناول مقالم الشنبر وعلم بأقلامها ورسم لجبوس كل سد بالافراج وسرح بطائق السفن فخفقت أجنحتها بخلق بشائره وأشار باصابعه الى قتل المحل فبادر الخصب الى امتثال أوامره وحظى بالمعشوق وبلغ من كل منية مناه فلا سكن على البحر الا تحرك ساكنه بعد ما تفقه واتقن باب المياه ومد شفاه أمواجه الى تقبيل فم الجسر وزاد بسرعته فاستحلى المصريون زائده على الفور ونزل فى بركة الحبش فدخل التكرور فى طاعته وحمل على الجهات البحرية فكسر المنصورة وعلا على الطويلة بشهامته وأظهر فى مسجد الخضر عين الحياة فاقر الله عينه وصار أهل دمياط فى برزخ بين المالح و بينه وطلب المالح رده بالصدر وطعن فى حلاوة شمائله فما شعر الا وقد ركب عليه ونزل فى ساحله وأمست واوات دوائره على وجنات الدهر عاطفة وثقلت أرداف أمواجه على خصور الجوارى فاضطربت كالخائفة ومال شبق النخيل اليه فلثم ثغر طلعه وقبل سالفه وأمست سود الجوارى كالحسنات فى حمرة

ومثله قوله على المرء أن يسعى لما فيه نفعه * وليس عليه أن يساعده الدهر

وقيل احذر مجالسة العاجز فانه من سكن الى عاجز أعداه من عجزه وأمده من جزعه وعوده قلة الصبر ونساه مافى العواقب وليس للعجز ضد الا الحزم وقال بعض العلماء من الخذلان مسامرة الامانى ومن التوفيق بغض التوانى وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال باكروا فى طلب الرزق والحوائج فان الغدو بركة ونجاح وقال الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه احرص على ماينفعك ودع كلام الناس فانه لاسبيل الى السلامة من ألسنة الناس وقال على رضى الله تعالى عنه التوانى مفتاح البؤس وبالعجز والكسل تولدت الفاقة ونتجت الهلكة ومن لم يطلب لم يجد وأفضى الى الفساد *وقال حكيم من دلائل العجز كثرة الاحالة على المقادير * وقال بعض الحكماء الحركة بركة والتوانى هلكة والكسل شؤم وكلب طائف خير من أسد رابض ومن لم يحترف لم يعتلف *وقيل من العجز والتوانى تنتج الفاقة قال هلال بن العلاء الرقاء هذين البيتين من جملة أبيات

كأن التوانى أنكح العجز بنته * وساق اليها حين زوجها مهرا
فراشا وطيئا ثم قال لها اتكى * فانكما لابد أن تلدا الفقرا

(وقال آخر)

توكل على الرحمن فى الامر كله * ولا ترغبن فى العجز يوما عن الطلب
ألم تر أن الله قال لمريم * وهزى اليك الجذع يساقط الرطب
ولو شاء أن تجنيه من غير هزه * جنته ولكن كل رزق له سبب

وسأل معاوية رضى الله تعالى عنه سعيد بن العاصى عن المروأة فقال العفة والحرفة وكان أيوب السختيانى يقول يافتيان احترفوا فانى لا آمن عليكم أن تحتاجوا الى القوم يعنى الامراء وقال رجل للحسن انى أنشر مصحفى فاقرؤه بالنهار كله فقال اقرأه بالغداة والعشى و يكون يومك فى صنعتك ومالابد منه ومر رحمه الله تعالى باسكاف فقال ياهذا اعمل وكل فان الله يحب من يعمل ويأكل ولا يحب من يأكل ولا يعمل وقال أبو تمام

أعاذلتى ما أخشن الليل مركبا * وأخشن منه فى الملمات راكبه
ذرينى وأهوال الزمان أقاسها * فأهواله العظمى تليها رغائبه
أرى عاجزا يدعى جليد الفقمة * ولو كلف التقوى لكلت مضاربه
وعفا يسمى عاجزا بعفافه * ولولا التقى ما أعجزته مذاهبه
وليس بعجز المرء أخطاه الغنى * ولا باحتيال أدرك المال كاسبه

(وقال آخر)

فلا تركن الى كسل وعجز * يحيل على المقادر والقضاء

وقال اعرابى العاجز هو الشاب القليل الحيلة الملازم للامانى المستحيلة و يقال فلان يخدعه الشيطان عن الحزم فيمثل له التوانى فى صورة التوكل ويريه الهوينا باحالته على القدر وقال لقمان لابنه يابنى اياك والكسل والضجر فانك اذا كسلت لم تؤد حقا واذا ضجرت لم تصبر على حق (قال أبو العتاهية)

اذا وضع الراعى على الارض صدره * فحق على المعزى بان تتبددا

فالتوانى هو الكسل وتضييع الحزم وعدم القيام على مصالح النفس وترك التسبب والاحتراف والاحالة على المقادير وهذا من أقبح الافعال (وأما التأنى) فانه خلاف التوانى وهو الرفق ورفض العجلة والنظر فى العواقب وقد قيل من نظر فى عواقب الامور سلم من آفات الدهور *ومما جاء فى ذلك قوله تعالى ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى اليك وحيه *وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أعطى حظه من الرفق أعطى حظه من الدنيا والآخرة وقال عليه الصلاة والسلام لعائشة عليك بالرفق فان الرفق لا يخالط شيأ الا زانه ولا يفارق شيأ الا شانه *وفى التوراة الرفق رأس الحكمة *وقالوا العقل أصله التثبت وثمرته السلامة *ووجد على سيف مكتوب التأنى فيما لا يخاف فيه الفوت أفضل من العجلة فى ادراك الامل * وقال بعض الحكماء اذا شككت فاجزم واذا استوضحت فاعزم وقالوا يد الرفق تجنى ثمرة السلامة و يد العجلة تغرس شجرة الندامة وأنشدوا فى ذلك

قد يدرك المتأنى بعض حاجته * وقد يكون مع المستعجل الزلل

وقالوا التأنى حصن السلامة والعجلة مفتاح الندامه وقالوا اذا لم يدرك الظفر بالرفق والتأنى فيماذا يدرك وقال المهلب أناة فى عواقبها درك خير من عجلة فى عواقبها فوت وقالوا من تأنى نال ماتمنى والرفق مفتاح النجاح وقال بعض الحكماء اياك والعجلة فانها تكنى أم الندامة لان صاحبها يقول قبل أن يعلم و يجيب قبل أن يفهم ويعزم

وجنانه وكلما زاد زاده الله فى حسناته فلا تقبر سده الا حصل له من فيض نعماه فتوح ولاميت خليج الا عاش به ودبت فيه الروح ولكنه احمرت عينه على الناس بزيادة وترفع فقال له المقياس عندى قبالة كل عين أصبع فنشر أعلام قلوعه وحمل وله على ذلك الجرير زمجره ورام ان يهجم على غير بلاده فبادر اليه عزم المؤيدى وكسره وقد أثرنا المقر بهذه البشرى التى عم فضلها برا و بحرا وحدثناه عن البحر ولا حرج وشرحنا له حالا وصدرا ليأخذ حظه من هذه البشارة البحرية بالزيادة الوافرة وينشق من طيبها انشرا فقد حملت له طيبات ذلك النسيم أنفاسا عاطره والله تعالى يوصل بشائرنا الشريفة بسمعه الكريم ليصير بها فى كل وقت مشنفا ولابرح من نيلها المبارك وانعامنا الشريف على كذا الحالين فى وفا (قلت) تقدم قولى ان الشئ بالشئ يذكر وقد ذكرت بوصف النيل المبارك هنا رسالتى البحرية التى كتبت بها الى علامة عصرنا الشيخ بدر الدين الدماميني فسح الله فى أجله من القاهرة المحروسة الى ثغر الاسكندرية المحروسة عند دخولى اليها من ثغر طرابلس الشام وقد عضت على أنياب الحرب بثغرها شائبا من أهوال برها و بحرها وذلك فى منتصف ربيع الآخر سنة اثنتين وثمانمائة (وهى) يقبل الارض التى سقى دوحها بنزول الغيث فاثمر الفوائد البدرية وطلع بدر كمالها من المغرب فسلمنا لمعجزاتها المحمدية وجرى لسان البلاغة فى ثغرها فسما على العقد بنظمه المستجاد وأنشد وقد ابتسم عن محاسنه التى لم يخلق مثلها فى البلاد

قبل أن يفكر ويحمد قبل أن يجرب وان تصحب هذه الصفة أحدا الا صحب الندامة وجانب السلامة

﴿ وأما الصناعات والحرف وما يتعلق بها ﴾ فقد روى عن سهل بن سعد رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عمل الابرار من الرجال الخياطة وعمل الابرار من النساء الغزل * وكان صلى الله عليه وسلم يخيط ثوبه ويخصف نعله ويحلب شاته ويعلف ناضحه وقال سعيد بن المسيب كان لقمان الحكيم خياطا وقيل كان ادريس عليه السلام خياطا * ووقف على بن أبى طالب كرم الله تعالى وجهه على خياط فقال له ياخياط ثكلتك الثوا كل صلب الخيط ودقق الدرور وقارب الغروز فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يحشر الله الخياط الخائن وعليه قميص ورداء مما خاط وخان فيه واحذروا السقاطات فان صاحب الثوب أحق بها ولا تتخذ بها الايادى وتطلب المكافأة وقال فيلسوف ان من القبيح أن يتولى امتحان الصناع من ليس بصانع * وفى الحديث أكذب أمتى الصوّاغون والصباغون * وكذب الدلال مثل وقالوا الكل أحد رأس مال ورأس مال الدلال الكذب وقال عبد الرحمن بن شبل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول التجار هم الفجار فقيل أليس الله تعالى قد أحل البيع قال نعم ولكن يحدثون فيكذبون ويحلفون فيحنثون وقال الفضيل بخس الموازين سواد فى الوجه يوم القيامة وانما أهلكت القرون الاولى لانهم أكلوا الربا وعطلوا الحدود ونقصوا الكيل والميزان وقال مجاهد فى قوله تعالى واتبعك الارذلون قيل هم الحاكة والاساكفة وقيل ان حائكا سأل ابراهيم الحربى ماتقول فيمن صلى العيد ولم يشتر ناطفا ما الذى يجب عليه فتبسم ابراهيم ثم قال يتصدق بدرهمين فلما مضى قال ماعلينا أن نفرح المساكين من مال هذا الاحمق وقيل لرجل هل فيكم حائك قال لا قيل فمن ينسج لكم ثيابكم قال كل منا ينسج لنفسه فى بيته وكان أردشير بن بابك لا يرتضى لمنادمته ذا صناعة رديئة كحائك وحجام ولو كان يعلم الغيب مثلا وقال كعب لا تستشير والحاكة فان الله تعالى سلب عقولهم ونزع البركة من كسبهم لان مريم عليها السلام مرت بجماعة من الحياكين فسألتهم عن الطريق فدلوها على غير الطريق فقالت نزع الله البركة من كسبكم (قال أبو العتاهية)

ألا انما التقوى هى العز والكرم * وحبك للدنيا هو الذل والسقم
وليس على عبد تقى نقيصة * اذا صحح التقوى وان حاك أو حجم

وهذا ما أردنا سياقه فى هذا الباب والله الموفق للصواب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿ الباب السادس والخمسون فى شكوى الزمان وانقلابه باهله والصبر على المكاره والتسلى عن نوائب الدهر وفيه ثلاثة فصول ﴾

﴿ الفصل الاوّل فى شكوى الزمان وانقلابه باهله ﴾ روى عن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه أنه قال مامن يوم ولا ليلة ولا شهر ولا سنة الا والذى قبله خير منه سمعت ذلك من نبيكم صلى الله عليه وسلم وكان معاوية رضى الله تعالى عنه يقول معروف زماننا منكر زمان قد مضى ومنكره معروف زمان لم يات وكانت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم العضباء لا تسبق فجاء اعرابى فسبقها فشق ذلك على الصحابة رضى الله تعالى عنهم فقال صلى الله عليه وسلم ان حقا على الله أن لا يرفع شيأ من هذه الدنيا الا وضعه (وحكى) عن شيخ من همدان قال بعثنى أهلى فى الجاهلية الى ذى الكلاع الحميرى بهدايا فمكثت شهرا لا أصل اليه ثم بعد ذلك أشرف اشرافة من كوة له فخر له من حول القصر سجدا ثم رأيته من بعد ذلك وقد هاجر الى حمص واشترى بدرهم لحما وسمطه خلف دابته وهو القائل هذه الابيات

أف للدنيا اذا كانت كذا * أنا منها فى بلاء وأذى
ان صفا عيش امرئ فى صبحها * جرعته ممسيا كأس الردى
ولقد كنت اذا ماقيل من * أنعم العالم عيشا قيل ذا

وقال يونس بن ميسرة لا يأتى علينا زمان الا بكينا منه ولا يتولى عنا زمان الا بكينا عليه (ومن ذلك قوله)

رب يوم بكيت منه فلما * صرت فى غيره بكيت عليه

(ومثله)

ومامر يوم أرتجى فيه راحة * فاخبره الا بكيت على أمسى

(ومن كلام ابن الاعرابى)

عن الايام عد فعن قليل * ترى الايام فى صور الليالى

لقد حسنت بك الايام حتى
كأنك فى فم الدهر ابتسام

فاكرم به مورد فضل مابرح منهله العذب كثير الزحام ومدينة علم تشرفت بالجناب المحمدى فعلى ساكنها السلام ومجلس حكم ما ثبت للباطل به حجة وعرفات أدب ان وقفت بها وقفة كنت على الحقيقة ابن حجة وأفق معال بالغ فى سمو بدره فلم يقنع بدون النجوم وعيدان هرشه تجول به فرسان الفصاحة من بنى مخزوم وتالله ما لفرسان الشعراء والا باق فى هذا الميدان مجال واذا اعترفوا بما حصل للفارس المخزومى عندهم من الفتح كفى الله المؤمنين القتال وينهى بعد أدعية مابرح المملوك منتصبا لرفعها وثغر ثلاثية ما سجع المطوق فى الاوراق النباتية حلاوة سجعها وأشواق برحت بالمملوك ولكن تمسك فى مصر بالآثار

وأبرح مايكون الدهر يوما
اذا دنت الديار من الديار

وصول المملوك الى مصر محتميا بكنانتها وهو بسهام البين مصاب مذعور لما شاهده من المصارع عند مقابلة الفرسان فى منازل الاحباب مكلما من ثغر طرابلس الشام باسنة الرماح محمولا على جناح غراب وقد حكم عليه البين أن لا يبرح من سفره على جناح

وكان فى البين ما كفانى
فكيف بالبين والغراب

(يامولانا) لقد قرعت سن هذا الثغر باصابع السهام وقلع منه ضرس الامن ولم يبق له بعد ما شعر به البين نظام وكشرت الحرب فى ثناياه عن أنياب واقتلعنا منه مع انهم لم يتركوا النافيه ثنية ولا ناب وأمست شهب الرماح قافية على آثارنا والسابق السابق منا الجواد ولزمت الروى من دمائنا لئلا يظهر لقافيتها عند نظم الحرب سناد

وقال علي رضي الله تعالى عنه ما قال الناس لشيء طوبى الا وقد خبأ له الدهر يوم سوء قال الشاعر

فما الناس بالناس الذين عهدتهم * ولا الدار بالدار التي كنت أعهد

ودخل داود عليه الصلاة والسلام غارا فوجد فيه رجلا ميتا وعند رأسه لوح مكتوب فيه أنا فلان بن فلان الملك عشت ألف عام وبنيت ألف مدينة وافتضضت ألف بكر وهزمت ألف جيش ثم صار أمري الى أن بعثت زنبيلا من الدراهم في رغيف فلم يوجد ثم بعثت زنبيلا من الجوهر فلم يوجد فدققت الجواهر واستففتها فمت مكاني فمن أصبح وله رغيف وهو يحسب أن على وجه الأرض أغنى منه أماته الله كما أماتني * وذكر أن عبد الرحمن بن زياد لما ولي خراسان حاز من الأموال ما قدر لنفسه انه ان عاش مائة سنة ينفق في كل يوم ألف درهم على نفسه انه يكفيه فرؤي بعد مدة وقد احتاج الى أن باع حلية مصحفه وأنفقها * وقال هيثم بن خالد الطويل دخلت على صالح مولى منارة في يوم شات وهو جالس في قبة مغشاة بالسمور وجميع فرشها سمور وبين يديه كانون فضة يبخر فيها بالعود ثم رأيته بعد ذلك في رأس الجسر وهو يسأل الناس (ولما) قتل عامر بن اسمعيل مروان بن محمد ونزل في داره وقعد على فرشه دخلت عليه عبدة بنت مروان فقالت يا عامر ان دهرا أنزل مروان عن فرشه واقعدك عليه لقد أبلغ في عظتك وقال مالك بن دينار مررت بقصر تضرب فيه الجواري بالدفوف ويقلن

ألا يا دار لا يدخلك حزن * ولا يغدر بصاحبك الزمان

فنعم الدار تؤوي كل ضيف * اذا ما ضاق بالضيف المكان

ثم مررت عليه بعد حين وهو خراب وبه عجوز فسألتها عما كنت رأيت وسمعت فقالت يا عبد الله ان الله يغير ولا يتغير والموت غالب كل مخلوق قد والله دخل بها الحزن وذهب بأهلها الزمان (وقال أبو العتاهية)

لئن كنت في الدنيا بصيرا فانما * بلاغك منها مثل زاد المسافر

اذا أبقت الدنيا على المرء دينه * فما فاته منها فليس بضائر

وقال عبد الملك بن عمير رأيت رأس الحسين رضي الله تعالى عنه بين يدي ابن زياد في قصر الكوفة ثم رأيت رأس ابن زياد بين يدي المختار ثم رأيت رأس المختار بين يدي مصعب ثم رأيت رأس مصعب بين يدي عبد الملك قال سفيان فقلت له كم بين أول الرؤس وآخرها قال اثنتا عشرة سنة وقال الشاعر

ان للدهر صرعة فاحذرنها * لا تبيتن قد أمنت الشرورا

قد يبيت الفتى معافى فيردى * ولقد كان آمنا مسرورا

وكان محمد بن عبد الله بن طاهر في قصره على الدجلة ينظر فاذا هو بحشيش في وسط الماء وفي وسطه قصبة على رأسها رقعة فدعا بها فاذا فيها مكتوب شعر اوهو للشافعي رضي الله تعالى عنه

تاه الاعيرج واستعلى به البطر * فقل له خير ما استعملته الحذر * أحسنت ظنك بالأيام اذ حسنت

ولم تخف سوء ما يأتي به القدر * وسالمتك الليالي فاغتررت بها * وعند صفو الليالي يحدث الكدر

قال فما انتفع بنفسه مدة وأعجب ما وجد في السير خبر القاهر أحد الخلفاء وقلعه من الملك وخروجه الى الجامع في بطانة جبة بغير ظهارة ومد يده يسأل الناس بعد أن كان ملكه لاقطار الأرض فتبارك الله يعز من يشاء ويذل من يشاء * وقيل كان لمحمد المهلبي قبل اتصاله بالسلطان حال ضعيف فبينما هو في بعض أسفاره مع رفيق له من أصحاب الحرث والحراث الا أنه من أهل الأدب اذ أنشده يقول

ألا موت يباع فأشتريه * فهذا العيش ما لا خير فيه

ألا رحم المهيمن نفس حر * تصدق بالوفاة على أخيه

قال فرثى له رفيقه وأحضر له بدرهم ما سد به رمقه وحفظ الأبيات وتفرقا ثم ترقى المهلبي الى الوزارة وأخنى الدهر على ذلك الرجل الذي كان رفيقه فتوصل الى ايصال رقعة اليه مكتوب فيها

ألا قل للوزير فدته نفسي * مقالا مذكرا ما قد نسيه

أتذكر اذ تقول لضنك عيش * ألا موت يباع فأشتريه

فلما قرأها تذكر فأمر له بسبعمائة درهم ووقع تحت رقعته مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة ثم قلده عملا يرتزق منه (ودخل) مسلمة بن زيد بن وهب على عبد الملك

وقد أنهام تلك الأبيات المنظومة على ذلك البحر المديد وبدلت جنتها بنار الحرب التي كم تقول لها هل امتلأت وتقول هل من مزيد ونفذ حكم القضاء وكم جرح خصم السيف في ذلك اليوم شهودا واتصل الحكم بقضاء القضاة فلم يسلم منهم الا من كان مسعودا ووقع غالبا في القبض من عروض حربهم الطويل وتبدلت محاسن طرابلس الشام بالوحشة فلم تفارقها على وجه جميل وتالله لم يدخلها الملوك في هذه الواقعة الا مكرها الابطال وكم قلت اسارية العزم لما كشف لي عن مضيق سهلها ياسارية الجبل ولم يطلق الملوك عروس حماته الاجبرا أظهروا به كسره والعلوم الكريمة محيطة كيف يكون طلاق المكره (يا مولانا)

بوادي حماة الشام من أعين الشط
وحقك تطوى شقة الهم بالبسط
بلادا اذا ما ذقت كوثر مائها
أهيم كأني قد ثملت باسفنط
ومن يجتهد في أن بالارض بقعة
تشا كلها قل أنت مجتهد مخطي
وصوب حديثي ماؤها وهواؤها
فان أحاديث الصحيحين ما تخطي
بعصيها ان دار ملوي سوارها
فما الشام بالخلخال او مصر بالقرط
تنظم بالشطين در ثمارها
عقودا لها العاصي رأيناه كالسمط
وترخي علينا الغصون ذوائبا
يسرحها كف النسيم بلا مشط
ومذ مد ذاك النهر ساقا مدملجا
وراح بنقش النبت يمشي على بسط
لو يناخلا خيل النواعير فالتوت
وأبدت انادورا على ساقط السقط
سقى سفحها ان قل دمعي سحابة
مطنبة بالدمع منهلة النقط
ويا أسطر النبت التي قد تسلسلت
بصفحتها لازلت واضحة الخط
ولا زال ذاك الخط بالطل معجما

ابن مروان فقال له أى الزمان أدركته أفضل وأى الملوك أكمل فقال أما الملوك فلم أر الا حامدا او ذاما وأما الزمان فيرفع أقواما و يضع آخرين وكلهم يذكر أنه يبلى جديدهم و يفرق عديدهم و يهرم صغيرهم و يهلك كبيرهم وقال حبيب بن أوس

لم أبك من زمن لم أرض خلته * الا بكيت عليه حين ينصرم

(وقال آخر) يامعرضا عنى بوجه مدبر * وو جوه دنياه عليه مقبله

هل بعد حالك هذه من حالة * أوغاية الا انحطاط المنزله

وقال عبدالله بن عروة بن الزبير

ذهب الذين اذا رأونى مقبلا * بشوا الى ورحبوا بالمقبل

و بقيت فى خلف كان حديثهم * ولغ الكلاب تهارشت فى المنزل

(وقال آخر فى معناه) يامنزلا عبث الزمان بأهله * فابادهم بتفرق لا يجمع

اين الذين عهدتهم بك مرة * كان الزمان بهم يضر و ينفع * أيام لا يغشى لذكرك مربع

الا وفيه للمكارم مرتع * ذهب الذين يعاش فى أكنافهم * و بقى الذين حياتهم لا تنفع

(وقال اسحق بن ابراهيم الموصلى)

وانى رأيت الدهر منذ صحبته * محاسنه مقرونة ومعايبه

اذا سرنى فى أول الامر لم أزل * على حذر من أن تذم عواقبه

(وقال بعضهم) ذهب الرجال المقتدى بفعالهم * والمنكرون لكل أمر منكر

و بقيت فى خلف يزين بعضه * بعضا ليدفع معور عن معور

حلف الزمان ليأتين بمثلهم * حنثت يمينك يازمان فكفر

وكان يقال اذا أدبر الامر أتى الشر من حيث يأتى الخير وكان يقال بتقلب الدهر تعرف جواهر الرجال و يقال زمام العافية بيد البلاء و رأس السلامة تحت جناح العطب وقال بعضهم نحن فى زمن لا يزداد الخير فيه الا ادبارا والشر الا اقبالا والشيطان فى هلاك الناس الا طمعا اضرب بطرفك حيث شئت هل تنظر لا فقيرا يكابد فقرا أوغنيا بدل نعمة الله كفرا أو بخيلا اتخذ بحق الله وفرا أو متمردا كأن بسمعه عن سماع المواعظ وقرا * وقال آخر نحن فى زمان اذا ذكرنا الموتى حييت القلوب واذا ذكرنا الاحياء ماتت القلوب و يؤيد ذلك قوله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر أخيه فيقول ياليتنى مكانه (و يقال) لا يقاوم عز الولاية بذل العزل (بيت)

ما من مسىء وان طالت اساءته * الا و يكفيك يوم من مساعيه

(وقال الامين) يانفس قد حق الحذر * أين المفر من القدر * كل امرئ مما يخا

ف و يرتجيه على خطر * من يرتشف صفو الزما * ن يغص يوما بالكدر

(وقال بعضهم) وقائلة ما بال وجهك قد نضت * محاسنه والجسم بان شحوبه

فقلت لها هاتى من الناس واحدا * صفا وقته والنائبات تنوبه

(وللامير أبى على بن منقذ)

أما والذى لا يملك الامر غيره * ومن هو بالسر المكتم أعلم * لئن كان كتمان المصائب مؤلما

لاعلانها عندى أشد وأعظم * و بى كل ما يبكى العيون أقله * وان كنت منه دائما أتبسم

قال على بن أبى طالب كرم الله تعالى وجهه وايم الله ما كان قوم قط فى خفض عيش فزال عنهم الا بذنوب اقترفوها لأن الله تعالى ليس بظلام للعبيد ولو أن الناس حين ينزل بهم الفقر و يزول عنهم الغنى فزعوا الى ربهم بصدق نياتهم لرد عليهم كل شارد واصلح لهم كل فاسد قال الشاعر

يقولون الزمان به فساد * وهم فسدوا وما فسد الزمان

وكفى بالقرآن واعظا قال الله تعالى ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿الفصل الثانى فى الصبر على المكاره ومدح التثبت وذم الجزع﴾ قد مدح الله تعالى الصبر فى كتابه العزيز

ومن شكل أنواع الازاهر فى ضبط
لويت عنانى فى حماها عن اللوى
وهمت بها لا بالمحصب والسقط
ولا عناق الفقرلى بفنائها
وفى غيرها لم أرض بالملك والرهط
منازل أحبابى ومنبت شعبتى
وأوطان أوطارى بها ورضا مخطى
نعمت بها دهرا ولكن سلبته
برغمى وهذا الدهر يسلب ما يعطى
وقد جاء شرط البين انى أغيب عن
حماها القدا وفى فؤادى بالشرط
وحط على الدهر عدا وشالنى
الى غيرها صبرا على الشمل والحط
وسبحة جمع الشمل كانت لنا بها
منظمة لكن قضى الدهر بالفرط
أمثل شوقا شكلها فى ضمائرى
فتنبع عينى ذلك الشكل بالنقط
وقد سار بى مشى الهم نحو رى بسرعة
فياليته لو كان فى مشيه يبطى
وأصبح نظمى راجعا بى الى ورا
كانى فى الديوان أكتب بالقبطى
(يامولانا) وأبثك ما لقيت من
أهوال هذا البحر وأحدث عنه
ولا حرج فكم وقع المملوك من
أعاريضه فى زحاف تقطع منه القلب
لما دخل الى دوائر اللج وشاهدت
منه سلطانا جائرا يأخذ كل سفينة
غصبا ونظرت الى الجوارى الحسان
وقد رمت أزرقا وعها وهى بين يديه
لقلة رجالها تسبى فتحققت
أن رأى من جاء يسعى فى الفلك جالسا
غير صائب واستصوبت هنا رأى
من جاء يمشى وهو راكب وزاد
الظما بالمملوك وقد اتخذ البحر سبيلا
وكم قلت من شدة الظما ياترى قبل
الحفرة هل أطوى من البحر هذه
الشقة الطويلة
وهل أبا كر بحر النيل منشرحا
وأشرب الحلو من أكواب ملاح
بحر تلاطمت علينا أمواجه حين
متنا من الخوف وحملنا على نعش
الغراب وقامت وأوات دوائر ومقامع
فنصبتنا للغرق لما استوت المياه

فى مواضع كثيرة وأمر به وجعل أكثر الخيرات مضافا الى الصبر وأثنى على فاعله وأخبر أنه سبحانه وتعالى معه وحث على التثبت فى الاشياء ومجانبة الاستعجال فيها فمن ذلك قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة ان الله مع الصابرين فبدأ بالصبر قبل الصلاة ثم جعل نفسه مع الصابرين دون المصلين وقوله تعالى انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب وقوله تعالى وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وقوله تعالى وتمت كلمة ربك الحسنى على بنى اسرائيل بما صبروا وبالجملة فقد ذكر الله سبحانه وتعالى الصبر فى كتابه العزيز فى نيف وسبعين موضعا وأمر نبيه صلى الله عليه وسلم به فقال تعالى فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ولا تستعجل لهم وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم فى ذلك أخبار كثيرة فمن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم النصر فى الصبر وقوله عليه الصلاة والسلام بالصبر يتوقع الفرج وقوله الاناة من الله تعالى والعجلة من الشيطان فمن هداه الله تعالى بنور توفيقه ألهمه الصبر فى مواطن طلباته والتثبت فى حركاته وسكناته وكثيرا ما أدرك الصابر مرامه أو كاد وفات المستعجل غرضه أو كاد * وقال الاشعث بن قيس دخلت على أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه فوجدته قد أثر فيه صبره على العبادة الشديدة ليلا ونهارا فقلت يا أمير المؤمنين الى كم تصبر على مكابدة هذه الشدة فما زادنى الا أن قال

اصبر على مضض الادلاج فى السحر * وفى الرواح الى الطاعات فى البكر
انى رأيت وفى الايام تجربة * للصبر عاقبة محمودة الاثر
وقل من جد فى أمر يؤمله * واستصحب الصبر الا فاز بالظفر

فحفظتها منه وألزمت نفسى الصبر فى الامور فوجدت بركة ذلك وعن أبى سعيد الخدرى وأبى هريرة رضى الله تعالى عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها الا حط الله بها من خطاياه وعن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة فى الدنيا واذا أراد الله بعبده الشر أمسك عنه بذنبه حتى يوافى به يوم القيامة وقال صلى الله عليه وسلم ان عظم الجزاء مع عظم البلاء وان الله تعالى اذا أحب قوما ابتلاهم فمن رضى فله الرضا ومن سخط فله السخط رواه الترمذى وقال حديث حسن وعن اسحق ابن عبد الله بن أبى فروة عن أنس بن مالك قال قال النبى صلى الله عليه وسلم الضرب على الفخذ عند المصيبة يحبط الاجر والصبر عند الصدمة الاولى وعظم الاجر على قدر المصيبة ومن استرجع بعد مصيبته جدد الله له أجرها كيوم أصيب بها وروى عن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه أنه قال احفظوا عنى خمسا اثنتين واثنتين وواحدة لا يخافن احد كم الا ذنبه ولا يرجو الا ربه ولا يستحى أحد منكم اذا سئل عن شئ وهو لا يعلم أن يقول لا أعلم واعلموا أن الصبر من الامور بمنزلة الرأس من الجسد اذا فارق الرأس الجسد فسد الجسد واذا فارق الصبر الامور فسدت الامور وأيما رجل حبسه السلطان ظلما فمات فى حبسه مات شهيدا فان ضرب به فمات فهو شهيد وروى فى الخبر لما نزل قوله تعالى من يعمل سوأ يجز به قال أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه يا رسول الله كيف الفرح بعد هذه الآية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم غفر الله لك يا أبا بكر أليس تمرض أليس يصيبك الاذى أليس تحزن قال بلى يا رسول الله قال فهذا ما تجزون به يعنى جميع ما يصيبك من سوء يكون كفارة لك وبهذا اتضح لك أن العبد لا يدرك منزلة الاخيار الا بالصبر على الشدة والبلاء * وروى عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه أنه قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى عند الكعبة وأبو جهل وأصحابه جلوس وقد نحرت جزور بالامس فقال أبو جهل لعنه الله أيكم يقوم الى سلا الجزور فيلقيه على كتفى محمد اذا سجد فانبعث أشقى القوم فأخذه وأتى به فلما سجد صلى الله عليه وسلم وضع بين كتفيه السلا والفرث والدم فضحكوا ساعة وأنا قائم أنظر فقلت لو كان لى منعة لطرحته عن ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم والنبى صلى الله عليه وسلم ساجد ما يرفع رأسه حتى انطلق انسان فأخبر فاطمة رضى الله تعالى عنها فجاءت فطرحته عن ظهره ثم أقبلت عليهم فسبتهم فلما قضى صلى الله عليه وسلم الصلاة رفع يديه فدعا عليهم فقال اللهم عليك بقريش ثلاث مرات فلما سمع القوم صوته ودعاءه ذهب عنهم الضحك وخافوا دعوته فقال اللهم عليك بأبى جهل وعتبة وشيبة وربيعة والوليد وأمية بن خلف فقال على رضى الله تعالى عنه والذى بعث محمدا بالحق رأيت الذين سماهم صرعى يوم بدر وكان الصالحون يفرحون بالشدة لاجل غفران الذنوب لان فيها كفارة السيآت ورفع

والاخشاب وقارن العبد فيه سوداء استرقت موالينا وهى جارية وغشيهم منها ما غشيهم فهل أتاك حديث الغاشية واقعها الحرب فحملت بنا ودخلها الماء فجاءها المخاض وانشق قلبها فقدر جالها وجرى ما جرى على ذلك القلب وفاض وتوشحت بالسواد فى هذا الماء ثم سارت على البحر وهى مثل وكم سمع للغاربة على ذلك التوشيح زجل برح ماب ولكن تعرب فى رفعها او خفضها عن النسر والحوت وتتشامخ كالجبال وهى خشب مسندة من تبطنها عد من المتصبرين فى تابوت تأتى بالطباق ولكن بالقلوب لان صغيرها كبير وبياضها سواد وتمشى على الماء وتطير مع الهواء وصلاحها عين الفساد ان نقر الموج على دفوفها لعبت أنامل قلوعها بالعود ورقص على آلتها الحدباء فتقوم قيامتنا من هذا الرقص الخارج ونحن قعود نتشاءم وهى كما قيل أنف فى السماء واست فى الماء وكم نطيل الشكوى الى قامة صار بها عند الميل وهى الصعدة الصماء فيها الهدى وليس لها عقل ولا دين وتتصابى اذا هبت الصبا وهى بنت أربعمائة وثمانين وتوقف أحوال القوم وهى تجرى بهم فى موج كالجبال وتدعى براءة الذمة وكم استغرقت لهم من أموال هذا وكم ضعف نحيل خصرها عن تثاقل أرادف الامواج وكم وجلت القلوب لما صار لاهداب مجاديفها فى مقلة البحر اختلاج وكم أسبلت على وجنته طرة قلعها فبالغ الريح فى تشويشها وكم مر على قريتها العامرة فتركها وهى خاوية على عروشها تتعاظم فتهزل الى أن ترى ضلوعها من السقم تعد ولقد رأيناها بعد ذلك قد تبت وهى حمالة الحطب فى جيدها حبل من مسد وخلص المملوك من كدر

الدرجات وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ثلاث من رزقهن فقد رزق خيرى الدنيا والآخرة الرضا بالقضاء والصبر على البلاء والدعاء فى الرخاء (وحكى) ان امرأة من بنى اسرائيل لم يكن لها الا دجاجة فسرقها سارق فصبرت وردت أمرها الى الله تعالى ولم تدع عليه فلما ذبحها السارق ونتف ريشها نبت جميعه فى وجهه فسعى فى ازالته فلم يقدر على ذلك الى أن أتى حبرا من أحبار بنى اسرائيل فشكاله فقال لا أجد لك دواء الا أن تدعو عليك هذه المرأة فارسل اليها من قال لها أين دجاجتك فقالت سرقت فقال لقد آذاك من سرقها قالت قد فعل ولم تدع عليه قال وقد فجعك فى بيضها قالت هو كذلك فما زال بها حتى أثار الغضب منها فدعت عليه فتساقط الريش من وجهه فقيل لذلك الحبر من أين علمت ذلك قال لانها لما صبرت ولم تدع عليه انتصر الله لها فلما انتصرت لنفسها ودعت عليه سقط الريش من وجهه فالواجب على العبد أن يصبر على ما يصيبه من الشدة ويحمد الله تعالى ويعلم أن النصر مع الصبر وأن مع العسر يسرا وان المصائب والرزايا اذا توالت أعقبها الفرج والفرج عاجلا * ومن أحسن ما قيل فى ذلك من المنظوم

واذا مسك الزمان بضر * عظمت دونه الخطوب وجلت * وأتت بعده نوائب أخرى
سئمت نفسك الحياة وملت * فاصطبر وانتظر بلوغ الامانى * فالرزايا اذا توالت تولت
واذا أوهنت قواك وجلت * كشفت عنك جملة وتخلت

(ولمحمد بن بشر الخارجى) ان الامور اذا استدت مسالكها * فالصبر يفتح منها كل مارتجا
لا تيأسن وان طالت مطالبة * اذا استعنت بصبر أن ترى فرجا

(ولزهير بن أبى سلمى)

ثلاث يعز الصبر عند حلولها * ويذهل عنها عقل كل لبيب
خروج اضطرار من بلاد يحبها * وفرقة اخوان وفقد حبيب

(وقال بعضهم) عليك باظهار التجلد للعدا * ولا تظهرن منك الذبول فتحقرا
أما تنظر الريحان يشمم ناضرا * ويطرح فى البيدا اذا ما تغيرا

(ولابن نباتة) صبرا على نوب الزما * ن وان أبى القلب الجريح
فلكل شئ آخر * اما جميل أو قبيح

(وقال أبو الاسود وأجاد) وان امرأ قد جرب الدهر لم يخف * تقلب عصريه لغير لبيب
وما الدهر والايام الا كما ترى * رزية مال أو فراق حبيب

ومن كلام الحكماء ما جوهد الهوى بمثل الرأى ولا استنبط الرأى بمثل المشورة ولا حفظت النعم بمثل المواساة ولا اكتسبت البغضاء بمثل الكبر وما استنجحت الامور بمثل الصبر (وقال نهشل)

ويوم كأن المصطلين بحره * وان لم يكن نار قيام على الجمر
صبرنا له صبرا جميلا وانما * تفرج أبواب الكريهة بالصبر

(وقال ابن طاهر)

حذرتنى وذا الحذر * ليس يغنى من القدر ليس من يكتم الهوى * مثل من باح واشتهر
انما يعرف الهوى * من على مره صبر يا نفس يا نفس فاصبرى * فاز بالصبر من صبر

وكان يقال من تبصر تصبر وكان يقال ان نوائب الدهر لا تدفع الا بعزائم الصبر وكان يقال لا دواء لداء الدهر الا بالصبر ولله در القائل الدهر أدبنى والصبر ربانى * والقوت أقنعنى واليأس أغنانى
وحنكتنى من الايام تجربة * حتى نهيت الذى قد كان ينهانى

(وما أحسن ما قال محمود الوراق)

انى رأيت الصبر خير معول * فى النائبات لمن أراد معولا * ورأيت أسباب القناعة أكدت
بعرى الغنى فجعلتها لى معقلا * فاذا نبا بى منزل جاوزته * وجعلت منه غيره لى منزلا
واذا غلا شئ على تركته * فيكون أرخص ما يكون اذا غلا

(وقال بعضهم) اذا ما أتاك الدهر يوما بنكبة * فافرغ لها صبرا ووسع لها صدرا

المالح الى النيل المبارك فوجده من أهل الصفا واخوان الوفا وتنصل من ذلك العدو الازرق ذى الباطن الكدر وجمع من عذوبة النيل ونضارة شطوطه بين عين الحياة والخضر وتلا لسان الحال على المملوك وأصحابه ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين وقضى الامر وقيل بعدا للقوم الظالمين (وبعد) فان المملوك يسأل الاقالة من عثرات هذه الرسالة فقد علم الله انها صدرت من فكر تركه البين مشتتا وأعضاء مع كثرة بردها قد خرجت من الهجر عارية فى فصل الشتا وليستر عوراتها بسائر الحلم وينظر اليها من الرحمة بعين وليكن ضربها بسيف النقد صفحا فقد كفى ما جرحت سيوف البين وتالله لم يسلك المملوك هذه الجادة الا ليجد له سبيلا الى نهلة من عذب تلك الموارد ويعود على الضعيف الذى قطعت صلاته من صفاء هذا المشرب عائد ويصير العبد مسعودا اذا عد لابواب العالية من جملة الخدام ويحصل لكبده الحراء من ذلك النسيم الغربى بردوسلام والله تعالى يقرب المثول بين يديه ليحصل للمملوك بعد التخلص من البين حسن الختام (القاضى السعيد هبة الله بن سناء الملك) وان الشوق بحر وقلبه والله الغريق بأمواجه وجمر وصدره المظلم بسراجه (ومن انشائه) فالاسلام من طلقائه والكفر مجاهد ولكن باتقائه وسيوفه تحسن فى الاجسام البسط وفى الارواح القبض ورماحه تكاد لطولها تمسك السماء أن تقع على الارض (ومن انشائه) وكيف لا يحمد المملوك تلك الاشواق وهى تقربه من المولى بالتخييل اذا أبعدته الايام وتمثل المقام الكريم فيقابله كل ساعة بالسجود ويشافهه بالسلام ويرفع ناظره فلولا نظره اليه لكانت عينه مطرقة وستور

فان تصاريف الزمان عجيبة * فيوما ترى يسرا ويوما ترى عسرا

(وقال بعضهم) وما مسنى عسر ففوضت أمره * الى الملك الجبار الا تيسرا

(وما أحسن ما قيل) الدهر لا يبقى على حالة * لا بد ان يقبل أو يدبرا

فان تلقاك بمكروهه * فاصبر فان الدهر لا يصبر

ونقل عن محمد بن الحسن رحمه الله تعالى قال كنت معتقلا بالكوفة فخرجت يوما من السجن مع بعض الرجال وقد زاد همي وكادت نفسي أن تزهق وضاقت علي الارض بما رحبت واذا برجل عليه آثار العبادة قد أقبل علي ورأى ما أنا فيه من الكآبة فقال ما حالك فاخبرته القصة فقال الصبر الصبر فقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال الصبر ستر للكروب وعون على الخطوب وروى عن ابن عمه علي رضي الله تعالى عنه أنه قال الصبر مطية لا تدبر وسيف لا يكل وأنا أقول

ما أحسن الصبر في الدنيا وأجمله * عند الاله وأنجا من الجزع

من شد بالصبر كفا عند مؤلمة * ألوت يداه بحبل غير منقطع

فقلت له بالله عليك زدني فقد وجدت بك راحة فقال ما يحضرني شئ عن النبي صلى الله عليه وسلم ولكني أقول

أما والذي لا يعلم الغيب غيره * ومن ليس في كل الامور له كفو

لئن كان بدء الصبر مرا مذاقه * لقد يجتني من بعده الثمر الحلو

ثم ذهب فسألت عنه فما وجدت أحدا يعرفه ولا رآه أحد قبل ذلك في الكوفة ثم أخرجت في ذلك اليوم من السجن وقد حصل لي سرور عظيم بما سمعت منه وانتفعت به ووقع في نفسي انه من الابدال الصالحين قيضه الله تعالى لي يوقظني ويؤدبني ويسليني وقيل ان رجلا كان يضرب بالسياط ويجلد جلدا بليغا ولم يتكلم ويصبر ولم يتأوه فوقف بعض مشايخ الطريقة فقال له أما يؤلمك هذا الضرب الشديد فقال بلى قال لم لا تصيح فقال ان في هؤلاء القوم الذين وقفوا على صديقا لي يعتقد في الشجاعة والجلادة وهو يرقبني بعينه فاخشى ان ضجيت يذهب ماء وجهي عنده ويسوء ظنه بي فأنا أصبر على شدة الضرب وأحتمله لاجل ذلك قال الشاعر

على قدر فضل المرء تأتي خطوبه * ويحمد منه الصبر مما يصيبه

فمن قل فيما يلتقيه اصطباره * لقد قل فيما يرتجيه نصيبه

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي الله تعالى عنها يا عائشة ان الله تعالى لم يرض من أولى العزم من الرسل الا بالصبر ولم يكلفني الا ما كلفوا به فقال عز وجل فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل واني والله لاصبرن كما صبروا فان النبي صلى الله عليه وسلم لما صبر كما أمر أسفر وجه صبره عن ظفره ونصره وكذلك الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين الذين هم أولو العزم لما صبروا ظفروا وانتصروا وقد اختلف أهل العلم فيهم على أقوال كثيرة فقال مقاتل رضي الله تعالى عنه هم نوح وابراهيم واسحق ويعقوب ويونس وأيوب صلوات الله عليهم وقال قتادة هم نوح وابراهيم وموسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام ويقال ما الذي صبروا عليه حتى سماهم الله تعالى أولى العزم فأقول أذكر ما صبروا عليه (أما نوح عليه الصلاة والسلام) فقد قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما كان نوح عليه الصلاة والسلام يضرب ثم يلف في لبد ويلقى في بيته يرون أنه قد مات ثم يعود ويخرج الى قومه ويدعوهم الى الله تعالى ولما أيس منهم ومن ايمانهم جاءه رجل كبير يتوكأ على عصاه ومعه ابنه فقال لابنه يا بني انظر الى هذا الشيخ واعرفه ولا يغرك فقال له ابنه يا أبت مكني من العصا فأخذها من أبيه وضرب بها نوحا عليه الصلاة والسلام شج بها رأسه وسال الدم على وجهه فقال رب قد ترى ما يفعل بي عبادك فان يكن لك فيهم حاجة فاهدهم والا فصبرني الى أن تحكم فأوحى الله تعالى اليه انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون واصنع الفلك قال يا رب وما الفلك قال بيت من خشب يجري على وجه الماء أنجي فيه أهل طاعتي وأغرق أهل معصيتي قال يا رب وأين الماء قال أنا على كل شئ قدير قال يا رب وأين الخشب قال اغرس الخشب فغرس الساج عشرين سنة وكف عن دعائهم وكفوا عن ضربه الا انهم كانوا يستهزؤن به فلما أدرك الشجر أمره بقطعها وجففها وقال يا رب كيف أتخذ هذا البيت قال اجعله على ثلاث صور وبعث الله له جبريل فعلمه وأوحى الله تعالى اليه أن عجل بعمل السفينة فقد اشتد غضبي على من عصاني فلما فرغت

أهدابه مسبلة وأبواب جفونه مغلقة ولولا اشتغالها بمطالعة طلعته لالتهب من دموعها عيناه محرقة فهو منها في نار وجنه مغلول بغله مطوق بعنه (ومن انشائه) ولقد أنساه فراق مولاه حروف المعجم فما يعرف منها حرفا وعاقب خاطره الذي كفر بالبلاد فاسقط عليه من سمائها كسفا شوق ما خطر مثله على قلب بشر ودمع ما مر على بصر الاومض كلمح بالبصر ولسان لا ينفك من الدعاء على يوم الفراق ومن دعا على ظالمه فقد انتصر (القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر) خليفة القاضي الفاضل (ومن انشائه قوله) نعلمه بفتوحات استطعم الايمان حلاوتها من أطراف المران واستنطق الاسلام عبارتها من ألسنة الخرسان وذلك بفتح حصن الاكراد الذي كان في حلق البلاد الشامية غصة لم تسغ بماء السيوف المجردة وشجى في صدرها لم تقومه أدوية العزائم المفردة (ومن انشائه بابطال الحشيش بعد الخمر) نعلمه ان المنكرات أمرنا أن تملأ الصحائف باجرها وتفرغ الصحاف وأن لا يخلو بيت من بيوتها من كسر أو زحاف وقد بلغنا الآن انها اختصرت وان كلمة الشيطان بالتعريض عنها ما قصرت وان أم الخبائث ما عقمت وأن الجماعة التي كانت ترضع ثدي الكاس عن ثديها ما فطمت وانها في النشوة ما خيب ابليس مسعاها وانها لما أخرج المنع عنها ماء الخمر أخرج لها من الحشيش مرعاها وانها استراحت من الخمار واستغنت بما تشتريه بدرهم عما كانت تبتاعه من الخمر بدينار وان ذلك فشا في كثير من الناس وعرف في عيونهم ما يعرف من الاحمرار في الكاس وصاروا كأنهم خشب مسندة سكرى واذا مشوا يقدمون

السفينة جاءه أمر الله سبحانه وتعالى بانتصار نوح ونجاته واهلاك قومه وعذابهم الا من آمن معه وفار التنور وظهر الماء على وجه الارض وقذفت السماء بامطار كافواه القرب حتى عظم الماء وصارت أمواجه كالجبال وعلا فوق أعلى جبل فى الارض أربعون ذراعا وانتقم الله سبحانه وتعالى من الكافرين ونصر نبيه نوحا عليه الصلاة والسلام وفى تمام قصته وحديث السفينة كلام مبسوط لاهل التفسير ليس هذا موضع شرحه وبسطه فهذا زبدة صبر نوح عليه الصلاة والسلام وانتصاره على قومه (وأما ابراهيم) عليه الصلاة والسلام فانه لما كسر أصنام قومه التى كانوا يعبدونها بالغوا فى قتله ونصرة آلهتهم أبلغ من احراقه فأخذوه وحبسوه ببيت ثم بنوا حائرا كالحوش طول جداره ستون ذراعا الى سفح جبل عال ونادى منادى ملكهم أن احتطبوا لاحراق ابراهيم ومن تخلف عن الاحتطاب أحرقه فلم يتخلف منهم أحد وفعلوا ذلك أربعين يوما ليلا ونهارا حتى كاد الحطب يساوى رؤس الجبال وسدوا أبواب ذلك الحائر وقذفوا فيه النار فارتفع لهيبها حتى كان الطائر يمر بها فيحترق من شدة لهيبها ثم بنوا بنيانا شامخا وبنوا فوقه منجنيقا ثم رفعوا ابراهيم على رأس البنيان فرفع ابراهيم عليه الصلاة والسلام طرفه الى السماء ودعا الله تعالى وقال حسبى الله ونعم الوكيل وقيل كان عمره يومئذ ستة وعشرين سنة فنزل اليه جبريل عليه الصلاة والسلام وقال ابراهيم ألك حاجة قال أما اليك فلا فقال جبريل سل ربك فقال حسبى من سؤالى علمه بحالى فقال الله تعالى يا نار كونى بردا وسلاما على ابراهيم فلما قذفوه فيها نزل معه جبريل عليه الصلاة والسلام فجلس به على الارض وأخرج الله له ماء عذبا قال كعب ما أحرقت النار غير كتافه وأقام فى ذلك الموضع سبعة أيام وقيل أكثر من ذلك ونجاه الله تعالى ثم أهلك نمروذ وقومه باخس الاشياء وانتقم منهم وظفر ابراهيم عليه الصلاة والسلام بهم فهذه ثمرة صبره على مثل هذه الحالة العظمى ولم يجزع منها وصبر وفوض أمره الى الله تعالى فى ذلك وتوكل عليه ووثق به ثم جاءته قصة ذبح ولده وأمره الله تعالى بذلك فقابل أمره بالتسليم والامتثال وسارع الى ذبحه من غير امهال ولا امهال وقصته مشهورة وتفاصيل القصة فى كتب التفسير مسطورة فلما اظهر صدقه ورضاه ومبادرته الى طاعة مولاه وصبر على ما قدره وقضاه عوضه الله تعالى عن ذبح ولده أن فداه واتخذه خليلا من بين خلقه واجتباه وأما الذبيح صلوات الله وسلامه عليه فانه صبر على بلية الذبح* وتلخيصها أن الله تعالى لما ابتلى ابراهيم عليه الصلاة والسلام بذبح ولده قال انى أريد أن أقرب قربانا فأخذ ولده والسكين والحبل وانطلق فلما دخل بين الجبال قال ابنه أين قربانك يا أبت قال ان الله تعالى قد أمرنى بذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدنى ان شاء الله من الصابرين يا أبت اشدد وثاقى كى لا أضطرب واجمع ثيابك حتى لا يصل اليها رشاش الدم فتراه أمى فيشتد حزنها وأسرع امرار السكين على حلقى ليكون أهون للموت على واذا لقيت أمى فاقرأ السلام عليها فاقبل ابراهيم عليه الصلاة والسلام على ولده يقبله ويبكى ويقول نعم العون أنت يا بنى على ما أمر الله تعالى قال مجاهد لما أمر السكين على حلقه انقلبت السكين فقال يا أبت اطعن بها طعنا وقال السدى جعل الله حلقه كصفيحة من نحاس لا تعمل فيها السكين شيأ فلما اظهر فيهما صدق التسليم نودى أن يا ابراهيم هذا فداء ابنك فأتاه جبريل عليه السلام بكبش أملح فاخذه وأطلق ولده وذبح الكبش فلا جرم ان جعل الذبيح نبيا بصبره وامتثاله لامره (وأما يعقوب عليه الصلاة والسلام) فانه لما ابتلى بفراق ولده وذهاب بصره واشتداد حزنه قال فصبر جميل وكذلك يوسف صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين لما ابتلاه الله تعالى بالقائه فى ظلمة الجب وبيعه كما تباع العبيد وفراقه لابيه وادخاله السجن وحبسه فيه بضع سنين وانه تلقى ذلك كله بصبره وقبوله فلا جرم أورثهما صبرهما جمع شملهما واتساع القدرة بالملك فى الدنيا مع ملك النبوة فى الآخرة (وأما أيوب عليه الصلاة والسلام) فانه ابتلاه الله تعالى بهلاك أهله وماله وتتابع المرض المزمن والسقم المهلك حتى أفضى أمره الى ما تضعف القوى البشرية عن حمله* ولنذكر شيأ مختصرا من ذلك وهو أن ملكا من ملوك بنى اسرائيل كان يظلم الناس فنهاه جماعة من الانبياء عن الظلم وسكت عنه أيوب عليه الصلاة والسلام فلم يكلمه ولم ينهه لاجل خيل كانت له فى مملكته فأوحى الله تعالى الى أيوب عليه الصلاة والسلام تركت نهيه عن الظلم لاجل خيلك لاطيلن بلاءك فقال ابليس لعنه الله يا رب سلطنى على أولاده وماله فسلطه فبث ابليس مردته من الشياطين فبث بعضهم الى دوابه ورعاتها فاحتملوها جميعا وقذفوها فى البحر وبعث بعضهم الى زرعه وجنانه فاحرقوها وبعث بعضهم الى منازله وفيها أولاده وكانوا ثلاثة عشر

ولدا

القساد هو لهم رجلا ويؤخرون أخرى ونحن نأمر بان تجتث أصولها وتقلع ويؤدب غارسها حتى يحصد الندامة ما زرع وتطهر منها المساجد والجوامع ويشهر مستعملها فى المحافل والمجامع حتى تنتبه العيون من هذا الوسن وحتى لا تشتهى بعدها خضراء ولا خضراء الدمن (ومن انشائه عن لسان الشريف الى الفرنج وقد أخذت شوانى السلطان) وفرق بين من يتصيد بالصقور من الخيل العراب وبين من اذا افتخر قال تصيدت بغراب فلئن أخذتم لنا قرية مكسورة فكم أخذنا لكم قرية معمورة وقد قال الملك فقلنا وعلم الله أن قولنا من الصحيح واتكل واتكلنا واين من اتكل على الله ممن اتكل على الريح (ومن انشاء الصدر عز الدين بن سينا) فى بشارة بكسر عساكر الفرنج عن الملك الصالح نجم الدين أيوب سنة اثنتين وأربعين وستمائة فلا روضة الادرع ولا جدول الاحسام ولا غمامة الانقع ولا وبل الاسهام ولا مدامة الادم ولا نغم الاصايل ولا معربد الاقاتل ولا سكران الاقتيل حتى أنبت كافور الرمال شقيقا واستحال بلور الصفاء عقيقا وازدحمت الجنائب فى الفضاء فجعلته مضيقا او ضرب النقع فى السماء طريقا (شعر)

وضاقت الارض حتى كاد هاربهم
اذا رأى غير شئ ظنه رجلا

(قلت) ذكرت بهذا التلاعب المطرب من انشاء الصدر عز الدين تلاعب القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر فى شفاعة ما نسج على منوالها (وهى) أدام الله نعمة مولانا ولا زال علم علمه مرفوعا أبدا وبناء مجده منصوبا بخفض العدا ولا برحت أقلامه لافعال الشك جازمة ولا صدائه متعدية ولآرائه

ولداوخدمه وأهله فزلزلوها فهلكوا ثم جاء ابليس الى أيوب عليه الصلاة والسلام وهو يصلى فتمثل له فى صورة رجل من غلمانه فقال ياأيوب أنت تصلى ودوابك ورعاتك قد هبت عليها ريح عظيمة وقذفت الجميع فى البحر وأحرقت زرعك وهدمت منازلك على أولادك وأهلك فهلك الجميع ماهذه الصلاة فالتفت اليه وقال الحمد لله الذى أعطانى ذلك كله ثم قبله منى ثم قام الى صلاته فرجع ابليس ثانيا فقال يارب سلطنى على جسده فسلطه فنفخ فى ابهام رجله فانتفخ ولا زال يسقط لحمه من شدة البلاء الى أن بقى أمعاؤه تبين وهو مع ذلك كله صابر محتسب مفوض أمره الى الله تعالى وكان الناس قد هجروه واستقذروه وألقوه خارجا عن البيوت من نتن ريحه وكانت زوجته رحمة بنت يوسف الصديق قد سلمت فترددت اليه متفقدة فجاءها ابليس يوما فى صورة شيخ ومعه سخلة وقال لها يذبح أيوب هذه السخلة على اسمى فيبرأ فجاءته فاخبرته فقال لها ان شفانى الله تعالى لأجلدنك مائة جلدة تأمرينى أن أذبح لغير الله تعالى فطردها عنه فذهبت وبقى ليس له من يقوم به فلما رأى أنه لا طعام له ولا شراب ولا أحد من الناس يتفقده خر ساجدا لله تعالى وقال رب انى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين فلما علم الله تعالى منه ثباته على هذه البلوى طول هذه المدة وهى على ما قيل ثمان عشرة سنة وقيل غير ذلك وانه تلقى جميع ذلك بالقبول وما شكا الى مخلوق ما نزل به عاد الله تعالى بالطافه فقال تعالى فكشفنا ما به من ضر وآتيناه أهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وأفاض عليه من نعمه ما أنساه بلوى نقمه ومنحه من أقسام كرمه أن أفتاه فى يمينه بتحلة قسمه ومدحه فى نص الكتاب فقال تعالى وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث انا وجدناه صابرا نعم العبد انه أواب فلو لم يكن الصبر من أعلى المراتب وأسنى المواهب لما أمر الله تعالى به رسله ذوى الحزم وسماهم بسبب صبرهم أولى العزم وفتح لهم بصبرهم أبواب مرادهم وسؤالهم ومنحهم من لدنه غاية أمرهم ومأمولهم ومرامهم فما أسعد من اهتدى بهداهم واقتدى بهم وان قصر عن مداهم * وقيل العسر يعقبه اليسر والشدة يعقبها الرخاء والتعب يعقبه الراحة والضيق يعقبه السعة والصبر يعقبه الفرج وعند تناهى الشدة تنزل الرحمة والموفق من رزقه صبرا وأجرا والشقى من ساق القدر اليه جزعا ووزرا (ومما) شنف السمع من فجع هذه الاشارة وأتحف النفع فى نهج هذه العبارة ما روى عن الحسن البصرى رضى الله تعالى عنه قال كنت بواسط فرأيت رجلا كأنه قد نبش من قبر فقلت ما دهاك ياهذا فقال أكتم على أمرى حبسنى الحجاج منذ ثلاث سنين فكنت فى أضيق حال وأسوإ عيش وأقبح مكان وأنا مع ذلك كله صابر لا أتكلم فلما كان بالامس أخرجت جماعة كانوا معى فضربت رقابهم وتحدث بعض أعوان السجن أن غدا تضرب عنقى فأخذنى حزن شديد وبكاء مفرط وأجرى الله تعالى على لسانى فقلت الهى اشتد الضر وفقد الصبر وأنت المستعان ثم ذهب من الليل أكثره فأخذتنى غشية وأنا بين اليقظان والنائم اذ أتانى آت فقال لى قم فصل ركعتين وقل يامن لا يشغله شئ عن شئ يامن أحاط علمه بما ذرأ وبرأ أنت عالم بخفيات الامور ومحصى وساوس الصدور وأنت بالمنزل الاعلى وعلمك محيط بالمنزل الادنى تعاليت علوا كبيرا يامغيث أغثنى وفك أسرى واكشف ضرى فقد نفد صبرى فقمت وتوضأت فى الحال وصليت ركعتين وتلوت ما سمعته منه ولم تختلف على منه كلمة واحدة فما تم القول حتى سقط القيد من رجلى ونظرت الى أبواب السجن فرأيتها قد فتحت فقمت فخرجت ولم يعارضنى أحد فأنا والله طليق الرحمن وأعقبنى الله بصبرى فرجا وجعل لى من ذلك الضيق مخرجا ثم ودعنى وانصرف يقصد الحجاز * وفيما يروى عن الله تعالى أنه أوحى الى داود عليه الصلاة والسلام ياداود من صبر علينا وصل الينا وقال بعض الرواة دخلت مدينة يقال لها ذفار فبينما أنا أطوف فى خرابها اذ رأيت مكتوبا بباب قصر خراب بماء الذهب واللازورد هذه الابيات

يامن ألح عليه الهم والفكر * وغيرت حاله الايام والغير
أما سمعت لما قد قيل من مثل * عند الاياس فأين الله والقدر
ثم الخطوب اذا أحداثها طرقت * فاصبر فقد فاز أقوام بما صبروا
وكل ضيق سيأتى بعده سعة * وكل فوت وشيك بعده الظفر

(ولما حبس) أبو أيوب فى السجن خمس عشرة سنة ضاقت حيلته وقل صبره فكتب الى بعض اخوانه يشكو اليه طول حبسه وقلة صبره فرد عليه جواب رقعته يقول

لازمه (أما بعد) فان فلانا حذف وادعى أنه رخم فى غير النداء وجزم والجزم لا يدخل فى الاسماء واستثنى من غير موجب بخفض والخفض من أدوات الاستثناء وذكر أن العامل الذى دخل عليه منعه من الصرف ولزمه لزوم البناء واجتمع معه فى الشرط وأفرده بالجزاء والمأثور من مكارم مولانا نصب محله على المدح لا على الاغراء ورفع اسمه المعرى من العوامل على الابتداء ففيه من التمييز والظرف ما يوجب العطف ومن المعرفة والعدل ما يمنعه من الصرف لا زال مولانا بابا للعطف والصلة وما آثر مكارمه متصلة لا منفصلة (قلت) قد انتهت الغاية هنا الى التحلى بالقطر النباتى وقد عن لى أن أورد هنا حظيرة الانس الى حضرة القدس فانها من بديع انشائه وهى فى رحلته الى القدس الشريف مع الصاحب أمين الدين (وهى) الحمد لله حافظ سر الملك بأمينه وحامى حماه بمن قسم الشكر والاجر بين دنياه ودينه ومن اذا رفعت راية مجد تلقاها عرابة براعته بيمينه واذا امتدت اليه أجياد الممالك حلاها من عقد التدبير بثمينه واذا نوى فى السيادة فعلا أمضى العزم السنى قبل دخول سينه واذا حمل بنانه القلم روينا عن ابن بحر كتاب بيانه فى الفضل وتبيينه وصلى الله على سيدنا محمد الذى أيد بالروح الامين وعضد بوزراء آله وصحبه الغر الميامين وسلم عليه وعليهم سلاما باقيا الى يوم الدين (أما بعد) فان الله سبحانه وتعالى لما يريد من صلاح عباده وانتظام هذا العالم الارضى فى سلك سداده وتمام أمر هذا السواد الاعظم بمديره تماما يحفظ الطرس بسواده جعل لكل دولة قائمة وزيرا قائما بتدبيرها مفرغا فص القلم بتثميرها منفذا أمر سلطانها ومبلغا

صبرا أبا أيوب صبر مبرح * واذا عجزت عن الخطوب فمن لها * ان الذى عقد الذى انعقدت به
عقد المكاره فيك يملك حلها * صبرا فان الصبر يعقب راحة * ولعلها أن تنجلى ولعلها

فأجابه أبو أيوب يقول

صبرتنى ووعظتنى وأنا لها * وستنجلى بل لا أقول لعلها
ويحلها من كان صاحب عقدها * كرما به اذ كان يملك حلها

فما لبث بعد ذلك أياما حتى أطلق مكرما (وأنشدوا)

اذا ابتليت فثق بالله وارض به * ان الذى يكشف البلوى هو الله * اليأس يقطع أحيانا بصاحبه
لا تيأسن فان الصانع الله * اذا قضى الله فاستسلم لقدرته * فما ترى حيلة فيما قضى الله

﴿الفصل الثالث من هذا الباب فى التأسى فى الشدة والتسلى عن نوائب الدهر﴾ قال الثورى رحمه الله تعالى لم يفقه عندنا من لم يعد البلاء نعمة والرخاء مصيبة وقيل الهموم التى تعرض للقلوب كفارات للذنوب وسمع حكيم رجلا يقول لآخر لا أراك الله مكروها فقال كأنك دعوت عليه بالموت فان صاحب الدنيا لابد له أن يرى مكروها وتقول العرب ويل أهون من ويلين وقال ابن عيينة الدنيا كلها غموم فما كان فيها من سرور فهو ربح وقال العتبى اذا تناهى الغم انقطع الدمع بدليل أنك لا ترى مضروبا بالسياط ولا مقدما لضرب العنق يبكى (وقيل) تزوج مغن بنائحة فسمعها تقول اللهم أوسع لنا فى الرزق فقال لها ياهذه انما الدنيا فرح وحزن وقد أخذنا بطرفى ذلك فان كان فرح دعونى وان كان حزن دعوك * وقال وهب بن منبه اذا سلك بك طريق البلاء سلك بك طريق الأنبياء وقال مطرف ما نزل بى مكروه قط فاستعظمته الا ذكرت ذنوبى فاستصغرته * وعن جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنه يرفعه يود أهل العافية يوم القيامة ان لحومهم كانت تقرض بالمقاريض لما يرون من ثواب الله تعالى لأهل البلاء وروى أبو عتبة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال اذا أحب الله عبدا ابتلاه فاذا أحبه الحب البالغ اقتناه قالوا وما اقتناه قال لا يترك له مالا ولا ولدا * ومر موسى عليه الصلاة والسلام برجل كان يعرفه مطيعا لله عز وجل قد مزقت السباع لحمه وأضلاعه وكبده ملقاة على الارض فوقف متعجبا فقال أى رب عبدك ابتليته بما أرى فأوحى الله تعالى اليه انه سألنى درجة لم يبلغها بعمله فأحببت أن أبتليه لأبلغه تلك الدرجة (وكان) عروة بن الزبير صبورا حين ابتلى * حكى أنه خرج الى الوليد بن يزيد فوطئ عظما فما بلغ الى دمشق حتى بلغ به كل مذهب فجمع له الوليد الأطباء فأجمع رأيهم على قطع رجله فقالوا له اشرب مرقدا فقال ما أحب أن أغفل عن ذكر الله تعالى فأحمى له المنشار وقطعت رجله فقال ضعوها بين يدى ولم يتوجع ثم قال لئن كنت ابتليت فى عضو فقد عوفيت فى أعضاء فبينما هو كذلك اذ أتاه خبر ولده أنه اطلع من سطح على دواب الوليد فسقط بينها فمات فقال الحمد لله على كل حال لئن أخذت واحدا لقد أبقيت جماعة وقدم على الوليد وفد من عبس فيهم شيخ ضرير فسأله عن حاله وسبب ذهاب بصره فقال خرجت مع رفقة مسافرين ومعى مالى وعيالى ولا أعلم عبسيا يزيد ماله على مالى فعرسنا فى بطن واد فطرقنا سيل فذهب ما كان لى من أهل ومال وولد غير صبى صغير وبعير فشرد البعير فوضعت الصغير على الأرض ومضيت لآخذ البعير فسمعت صيحة الصغير فرجعت اليه فاذا رأس الذئب فى بطنه وهو يأكل فيه فرجعت الى البعير فحطم وجهى برجليه فذهبت عيناى فأصبحت بلا عينين ولا ولد ولا مال ولا أهل فقال الوليد اذهبوا به الى عروة ليعلم أن فى الدنيا من هو أعظم مصيبة منه * وقيل الحوادث الممضة مكسبة لحظوظ جليلة اما ثواب مدخر أو تطهير من ذنب أو تنبيه من غفلة أو تعريف لقدر النعمة

قال البحترى يسلى محمد بن يوسف على حبسه

وما هذه الايام الا منازل * فمن منزل رحب الى منزل ضنك * وقد هذبتك الحادثات وانما
صفا الذهب الابريز قبلك بالسبك * أما فى نبى الله يوسف أسوة * لمثلك محبوس عن الظلم والافك
أقام جميل الصبر فى السجن برهة * فآل به الصبر الجميل الى الملك

﴿وقال على بن الجهم لما حبسه المتوكل﴾

قالوا حبست فقلت ليس بضائرى * حبسى وأى مهند لا يغمد * والشمس لولا أنها محجوبة
عن ناظريك لما أضاء الفرقد * والنار فى أحجارها مخبوءة * لا تصطلى ان لم تثرها الأزند

أحكام عدلها واحسانها يثنى على الكهاء لى الابسال من أقلامه ويحوط أطرافها احاطة الزهر بكامه ويتحفها باوصاف وزيرية يعقد عليها العدل خنصره ويتضح بها وجه الاستحقاق من ابهامه (وكان) صاحب هذه الدولة التى خضعت لها الدول وفاضل أمرها الجليل وراسخ دوحها الذى ما مال مع الهوى وقديم صحائفها الذى تلا تسديده ما ضل صاحبكم وما غوى وضابط أمورها الذى طال ما استشرفت اليه أسماع وأبصار وانتصرت به تقديم هجرته فلا غرو ان صار من المهاجرين بها والانصار المقر الاشرف الصاحبى الوزيرى الامينى أعلى الله تعالى أبدا شأنه ورفع على فرق الفرقدين مكانه وزان باقلامه أقاليم مصر فهذه سهام وهذه كنانة عن استدعته رواة المحافل وتردد فى المناصب العلية تردد الاقمار فى المنازل وجمع الاوصاف الوزيرية جمع أبى جاد للحروف وتنبه قلبه ونامت ملء أجفانها السيوف وعرف بالسيادة والزهد فعلى كلا الحالين هو السرى وقدره معروف وكنت أود لو نقلت الشهادة بصفاته عن الخبر الى المعاينة وجمعت بين لازم مقره الشريف الظاهر الوصف باطنه ورويت الاخبار عن لسنه وجنيت الورد من غصنه بل التبر من معدنه هذا وأشغاله بتدبير الدول شاغله وأيام البعد عند فراغه بينى وبين القصد حائله (فلما) عزم بدمشق المحروسة سنة خمس وثلاثين على زيارة القدس الشريف اطلع رأيه الشريف على ما فى خاطرى وأمرنى بالمسير فى ظل ركابه فسر على الحقيقة سائرى وكاشف ولا ينكر التكشف لمن كثرت زواياه فى البلاد وثظر لحالى ولا ينكر النظر فى الاحوال لسيد الوزراء والزهاد وكان له فى

والحبس مالم تغشه لدنية * شنعاء نعم المنزل المتودد
بيت يجدد للكريم كرامة * ويزار فيه ولا يزور ويحمد
لولم يكن فى الحبس الا أنه * لا تستذلك بالحجاب الاعبد
غير الليالى باديات عود * والمال عارية يعار وينفد
ولكل حال معقب ولربما * أجلى لك المكروه عما يحمد
لا يؤيسنك من تفرج نكبة * خطب رماك به الزمان الانكد
كم من عليل قد تخطاه الردى * فنجا ومات طبيبه والعود
صبرا فان اليوم يعقبه غد * ويد الخلافة لا تطاولها يد

قال وأنشد اسحق الموصلى ابراهيم بن المهدى حين حبس

هى المقادير تجرى فى أعنتها * فاصبر فليس لها صبر على حال
يوما تريك خسيس الأصل ترفعه * الى العلا ويوم تخفض العالى

فما أمسى حتى وردت عليه الخلع السنية من المأمون ورضى عنه وقال ابراهيم بن عيسى الكاتب فى ابراهيم بن المدنى حين عزل

ليهن أبا اسحق أسباب نعمة * مجددة بالعزل والعزل أنبل
شهدت لقد منوا عليك وأحسنوا * لانك يوم العزل أعلى وأفضل

(وقال آخر) قد زادملك سليمان فعاوده * والشمس تحط فى المجرى وترتفع

وقال أبو بكر الخوارزمى لمعزول الحمد لله الذى ابتلى فى الصغير وهو المال وعافى فى الكبير وهو الحال

ولا عار ان زالت عن الحر نعمة * ولكن عارا أن يزول التجمل

وقيل المال حظ ينقص ثم يزيد وظل ينحسر ثم يعود * وسئل بزرجمهر عن حاله فى نكبته فقال عولت على اربعة أشياء أولها أنى قلت القضاء والقدر لابد من جريانهما الثانى أنى قلت ان لم أصبر فما أصنع الثالث أنى قلت قد كان يجوز أن يكون أعظم من هذا الرابع أنى قلت لعل الفرج قريب والله تعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿ الباب السابع والخمسون ماجاء فى اليسر بعد العسر والفرج بعد الشدة والفرح والسرور ونحو ذلك مما يتعلق بهذا الباب ﴾

(فما) يليق بهذا الباب من كتاب الله عز وجل قوله تعالى سيجعل الله بعد عسر يسرا وقوله تعالى وهو الذى ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته وهو الولى الحميد وقوله تعالى حتى اذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجى من نشاء ويروى عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لو كان العسر فى جحر لدخل عليه اليسر حتى يخرجه وقال عليه الصلاة والسلام عند تناهى الشدة يكون الفرج وعند تضايق البلاء يكون الرخاء وقال على رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أفضل عبادة أمتى انتظارها فرج الله تعالى وقال الحسن لما نزل قوله تعالى فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا قال النبى صلى الله عليه وسلم أبشروا فلن يغلب عسر يسرين ومن كلام الحكماء ان تيقنت لم يبق هم

وقال أبو حاتم

اذا اشتملت على البؤس القلوب * وضاق بما به الصدر الرحيب
وأوطنت المكاره واطمأنت * وأرست فى مكامنها الخطوب
ولم تر لانكشاف الضر وجها * ولا أغنى بحيلته الأريب
أتاك على قنوط منك غوث * يمن به اللطيف المستجيب

(وقال آخر)

عسى الهم الذى أمسيت فيه * يكون وراءه فرج قريب
فيأمن خائف ويغاث عان * ويأتى أهله النائى الغريب

(وقال آخر)

تصبر أيها العبد اللبيب * لعلك بعد صبرك ما تخيب
وكل الحادثات اذا تناهت * يكون وراءها فرج قريب

(وقال ابراهيم بن العباس)

ولرب نازلة يضيق بها الفتى * ذرعا وعند الله منها المخرج

استصحابى مقصد تقبل الله عمله الصالح ومتجره الرابح وذلك أنى كنت لابسا ثياب الحزن على ولدى مقيما بين المقابر اقامة تفتت حبة قلبى على قطعة كبدى ساقيا روض الحزن بغمائم الجفون باكيا على دينار وجهه عاجلته الايام بصرف المنون أطلب قلبى فى التراب وأنشده وأطارح صوت الصدا فينشدنى وأنشده شعر يالهف قلبى على عبد الرحيم ويا شوقى اليه ويا شجوى ويا دائى فى شهر كانون وافاه الحمام لقد أحرقت بالنار يا كانون أحشائى

(وقال أيضا)

آها لعقد وهى سلكه
وكان نادرة بعبد الرحيم
فليتنى لاقيت عنه الردى
وهاذاك الدردرا يتيم

فاقتضى تدقيق النظر الصاحبى فى أسداء العوارف وابداء عواطف الفضل وفضل العواطف ان ينزع عنى بمحبة ركابه الكريم لباس الباس ويشغلنى بمشافهة الانس القابل ألا هكذا فليصنع الناس وينهضنى بالانعام من حوادث الزمن ويقرب مثلى قربانا لا يفطن لمثله الا من زمن فيالها سفرة قابلها وجه الاقبال بالسفور وتلا فضلها الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور ومد فيها الانعام على ظلا ظليلا وملأ يدى وعينى دقيقا وجليلا وأمرنى أن أصف له المنازل والطرق وصفا كقصده الجميل جميلا فسرنا وأيدى السعد قد ذللت الطرق بل طوتها وقدمت وعود الآمال بل أنجزتها والأرض قد شرعت فى لباس حليها وحللها ومراعى الربيع قد وعدت حتى الشمس لتسمين حملها والشتاء قد آن أن يقوض الخيام والافق قد شمر للانصراف

ضاقت فلما استحكمت حلقاتها * فرجت وكان يظنها لا تفرج

(وقال آخر)

لئن صدع البين المشتت شملنا * فللبين حكم في الجموع صدوع
وللنجم من بعد الرجوع استقامة * وللشمس من بعد الغروب طلوع
وان نعمة زالت عن الحر وانقضت * فان لها بعد الزوال رجوع
فكن واثقا بالله واصبر لحكمه * فان زوال الشر عنك سريع

﴿ولنذكر نبذة ممن حصل له الفرج بعد الشدة﴾

روى ان الوليد بن عبد الملك كتب الى صالح بن عبد الله عامله على المدينة المنورة أن أخرج الحسن بن الحسن بن علي من السجن وكان محبوسا واضربه في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسمائة سوط فأخرجه الى المسجد واجتمع الناس وصعد صالح ية رأعليهم الكتاب ثم نزل يأمر بضربه فبينما هو يقرأ الكتاب اذ جاء علي ابن الحسين عليه السلام فافرج له الناس حتى أتى الى جنب الحسن فقال يا ابن العم مالك ادع الله تعالى بدعاء الكرب يفرج الله عنك قال ماهو يا ابن العم فقال لا اله الا الله الحليم الكريم لا اله الا الله العلي العظيم سبحان رب السموات السبع ورب العرش العظيم الحمد لله رب العالمين ثم انصرف عنه وأقبل الحسن يكررها فلما فرغ صالح من قراءة الكتاب ونزل قال أراه في سجنه مظلوما أخروه وأنا أراجع أمير المؤمنين في أمره فاطلق بعد أيام وأتاه الفرج من عند الله تعالى * وقال الربيع لما حبس المهدي موسى بن جعفر رأى في المنام عليا رضي الله تعالى عنه وهو يقول يا محمد فهل عسيتم ان توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم قال الربيع فأرسل المهدي الي ليلا فراعني ذلك فجئته فاذا هو يقرأ هذه الآية وكان حسن الصوت فقص على الرؤيا ثم قال ائتني بموسى بن جعفر فجئته به فعانقه وأجلسه الى جانبه وقال يا أبا الحسن رأيت أمير المؤمنين يقرأ على كذا فما هدني أن لا تخرج علي ولا على أحد من ولدي فقال والله ماذاك من شأني فقال صدقت ثم قال يا ربيع اعطه ثلاثة آلاف دينار ورده الى أهله بالمدينة قال الربيع فاحكمت أمره ليلا فما أصبح الا على الطريق وقال اسمعيل بن بشار

وكل حزن وان طالت بليته * يوما تفرج غماه وتنكشف

(وقال) مسلم بن الوليد كنت يوما جالسا عند خياط بازاء منزلي فرأيت انسانا أعرفه فقمت اليه وسلمت عليه وجئت به الى منزلي لاضيفه وليس معي درهم بل كان عندي زوج أخفاف فارسلتهما مع جاريتي لبعض معارفه فباعهما بتسعة دراهم واشترى بها ما قلته لها من الخبز واللحم فجلسنا نأكل واذا بالباب يطرق فنظرت من شق الباب واذا بانسان يسأل هذا منزل فلان ففتحت الباب وخرجت فقال أنت مسلم بن الوليد قلت نعم واستشهدت له بالخياط على ذلك فاخرج لي كتابا وقال هذا من الأمير يزيد بن مزيد فاذا فيه قد بعثنا لك بعشرة آلاف درهم لتكون في منزلك وثلاثة آلاف درهم تتجمل بها لقدومك علينا فادخلته الى داري وزدت في الطعام واشتريت فاكهة وجلسنا فأكلنا ثم وهبت لضيفي شيأ يشتري به هدية لاهله وتوجهنا الى باب يزيد بالرقة فوجدناه في الحمام فلما خرج استؤذن لي عليه فدخلت فاذا هو جالس على كرسي وبيده مشط يسرح به لحيته فسلمت عليه فرد أحسن رد وقال ما الذي أقعدك عنا قلت قلة ذات اليد وأنشدته قصيدة مدحته بها قال أتدري لم أحضرتك قلت لا أدري قال كنت عند الرشيد منذ ليال أحادثه فقال لي يا يزيد من القائل فيك هذه الابيات

سل الخليفة سيفا من بني مضر * يمضي فيخترق الأجسام والهاما
كالدهر لا ينثني عما يهم به * قد أوسع الناس انعاما وارغاما

فقلت والله لا أدري يا أمير المؤمنين فقال سبحان الله أيقال فيك مثل هذا ولا تدري من قاله فسألت فقيل لي هو مسلم بن الوليد فأرسلت اليك فانهض بنا الى الرشيد فسرنا اليه واستؤذن لنا فدخلنا عليه فقبلت الارض وسلمت فرد علي السلام فأنشدته مالي فيه من شعر فأمر لي بمائتي ألف درهم وأمر لي يزيد بمائة وتسعين ألف درهم وقال ما ينبغي لي أن أساوي أمير المؤمنين في العطاء فانظر الى هذا التيسير الجسيم بعد العسر العظيم وما أحسن ما قيل

الأمن والخوف أيام مداولة * بين الانام وبعد الضيق تتسع

ذيل الغمام ومبدأ الروض أحق بقول أبي الطيب المتنبي

لقد حسنت بك الايام حتى
كأنك في فم الدهر ابتسام

فأتممنا الكسوة فلبستها منها الأسرة ثيابا سابغة الذيول وطفنا منها بكعبة الفضل طوافا واضح الاقبال والقبول ووقفنا للقاصد تباشرى بالحظوة ولعيون الاقبال تأملي فما أحسن الكعبة في الكسوة ومررنا والخيل تجمز جمزا وحزنا بالصفين فهمت أن تفخر بمواطئ خيلنا على اللات والعزى وصعدنا منزلة رأس الماء فكاد الطرب يهزه هزا ورأينا بينها وبين منزلة المغير رضا قد اخضر جنابها وطرزت بأنوار طرف ثيابها فأمرت بالقول فقلت سقى الله أرضا طرقها مثل طرزها وساترها برد من الوشي أخضر تذكرت أحبابي عشوى بريدها فعيني رأس الماء وجسمي المغير ووافينا الحصين وقد راغت الخيل روغان أبيه وتلقتنا بالبشر والبشرى وجوه أهليه وسألونا أن نريح عندهم الركاب من الاين وعجلوا بالضيافة على الفتوح ولا ينكر تعجيل الفتوح للحصين ووجدنا هنالك فقيرا مغربيا حسن التلاوة وقد عجز عن المسير وارتدى طرف قصده عن القدس خاسئا وهو حسير فأمرت له الصدقات الصاحبة بمركوب ونفقة تعينه على السفر والاقامة ولحقه في ذلك فقير عجمي ينشد لسان حاله بي مثل ما بك يا حمامة فلم أر مثلها صدقات تجود من الزاد والراحلة بالغيث والبرق ولا مثله متصدقا يجلس لحظة واحدة فيركض نداه في الغرب والشرق وجئنا يجعلون خشير الناس لدينا ضحى وجاء أهل المدينة يستبشرون فرحا وارتفعت الأصوات بالأدعية الوافية وأردنا ان نكتم دخولنا البلد

(ولما) وجه سليمان بن عبد الملك محمد بن يزيد الى العراق ليطلق أهل السجون ويقسم الأموال ضيق على يزيد بن أبي مسلم فلما ولي يزيد بن عبد الملك الخلافة ولى يزيد بن أبي مسلم أفريقية وكان محمد بن يزيد واليا عليها فاستخفى محمد بن يزيد فطلبه يزيد بن أبي مسلم وشدد في طلبه فأتى به اليه في شهر رمضان عند المغرب وكان في يد يزيد بن أبي مسلم عنقود عنب فقال لمحمد بن يزيد حين رآه يا محمد بن يزيد قال نعم قال طالما سألت الله أن يمكنني منك فقال وأنا والله طالما سألت الله أن يجيرني منك فقال والله ما أجارك ولا أعاذك وان سبقني ملك الموت الى قبض روحك سبقته والله لا آكل هذه الحبة العنب حتى أقتلك ثم أمر به فكتف ووضع في النطع وقام السياف فأقيمت الصلاة فوضع العنقود من يده وتقدم ليصلي وكان أهل أفريقية قد أجمعوا على قتله فلما رفع رأسه ضربه رجل بعمود على رأسه فقتله وقيل لمحمد بن يزيد اذهب حيث شئت فسبحان من قتل الأمير وفك الأسير (وقال) اسحق بن ابراهيم الموصلي رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم وهو يقول أطلق القاتل فارتعت لذلك ودعوت بالشموع ونظرت في أوراق السجن واذا ورقة انسان ادعى عليه بالقتل وأقر به فأمرت باحضاره فلما رأيته وقد ارتاع فقلت له ان صدقتني أطلقتك فحدثني انه كان هو وجماعة من أصحابه يرتكبون كل عظيمة وان عجوزا جاءت لهم بامرأة فلما صارت عندهم صاحت الله الله وغشي عليها فلما أفاقت قالت أنشدك الله في أمري فان هذه العجوز غرتني وقالت ان في هذه الدار نساء صالحات وأنا شريفة جدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمي فاطمة وأبي الحسين بن علي فاحفظوهم فيّ فقمت دونها وناضلت عنها فاشتد على واحد من الجماعة وقال لا بد منها وقاتلني فقتلته وخلصت الجارية من يده فقالت سترك الله كما سترتني وسمع الجيران الصيحة فدخلوا علينا فوجدوا الرجل مقتولا والسكين بيدي فامسكوني وأتوا بي اليك وهذا أمري فقال اسحق قد وهبتك لله ولرسوله فقال وحق اللذين وهبتني لهما لا أعود الى معصية أبدا وأمر الحجاج باحضار رجل من السجن فلما حضر أمر بضرب عنقه فقال أيها الأمير أخرني الى غد قال وأي فرج لك في تأخير يوم واحد ثم أمر برده الى السجن فسمعه الحجاج وهو راجع الى السجن يقول

عسى فرج يأتي به الله انه * له كل يوم في خليقته أمر

فقال الحجاج والله ما أخذوه الا من كتاب الله وهو قوله تعالى كل يوم هو في شان وأمر باطلاقه (وقال) بعض جلساء المعتضد كنا بين يديه ليلة فخفق رأسه بالنعاس فقال لا تبرحوا حتى أغفي سويعة فغفا ساعة ثم أفاق جزعا مرعوبا وقال امضوا الى السجن وائتوني بمنصور الجمال فجاؤا به فقال له كم لك في السجن قال سنة ونصف قال على ماذا قال أنا جمال من أهل الموصل وضاق علي الكسب ببلدي فأخذت جملي وتوجهت الى بلد غير بلدي لأعمل عليه فوجدت جماعة من الجند قد ظفروا بقوم غير مستقيمي الحال وهم مقدار عشرة أنفس وجدوهم يقطعون الطريق فدفع واحد منهم شيأ للأعوان فأطلقوه وأمسكوني عوضه وأخذوا جملي فناشدتهم الله فأبوا وسجنت أنا والقوم فأطلق بعضهم ومات بعضهم وبقيت أنا فدفع له المعتضد خمسمائة دينار وأجرى له ثلاثين دينارا في كل شهر وقال اجعلوه على جمالنا ثم قال أتدرون ما سبب فعلي هذا قلنا لا قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول أطلق منصورا الجمال من السجن وأحسن اليه * وأخذ الطاعون أهل بيت فسد بابه ففضل فيه طفل يرضع لم يشعر به أحد ففتح الباب بعد شهر فوجدوا الطفل قد عطف الله عليه كلبة ترضعه مع جروها فسبحان القادر على كل شئ لا اله غيره ولا معبود سواه قال الشاعر

اذا تضايق أمر فانتظر فرجا * فاضيق الامر أدناه الى الفرج

(وقال آخر) فلا تجزعن ان أظلم الدهر مرة * فان اعتكار الليل يؤذن بالفجر

(وقال آخر) لعمرك ما كل التعطيل ضائرا * ولا كل شغل فيه للمرء منفعه

اذا كانت الارزاق في القرب والنوى * عليك سواء فاغتنم لذة الدعه

فان ضقت فاصبر يفرج الله ما ترى * ألا رب ضيق في عواقبه سعه

وقال الرياشي ما اعتراني هم فانشدت قول أبي العتاهية حيث قال

هي الايام والغير * وأمر الله ينتظر * أتيأس أن ترى فرجا * فأين الله والقدر

الا سري عني وهبت ريح الفرج ويروى أن سلطان صقلية أرق ذات ليلة ومنع النوم فارسل الى قائد البحر

وكيف تكتمنا وهي ذات عين صافية ثم نزلنا بالخيام في مرجتها الخضراء تحت قلعتها الغراء وهي في معارج السحب صاعدة شائدة في الجو كأنها في السحر على عمود الصبح قاعدة مضيئة بين عقود الأنجم كأنها درتها اليتيمة جالسة على سرير الليل تنادم الفرقدين كأنها جزيئة فنظر في المصالح ومن بالعدل بين الصالح والطالح وعجل من عجلون المسير فلم ينظر الغادي الذي هو رائح وأشرفنا على بركات القصد المنجية واقتحمنا الى الغور عقبة سهلها السعد فلا تقل ما أدراك ما العقبة واستقصينا المزارات التي نوينا قصدها وطوينا غورها ونجدها فشهد صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أبو عبيدة بن الجراح رضي الله تعالى عنه فترامينا اليه بالعزم الفاخر وزار أمين هذه الأمة الأول أمينها الآخر وأجرى أمر مشهده على سنن الصلاح ونظر في مرتبه بعين العدل وأعانه بيد السماح وجعل والي الناحية عبيدة وما جعل لشاهده المعروف بالجراح وسلكنا جانب الغور المطور فاجتنبنا ورواه وكنا نظن الماء فيه غورا فوجدنا الغور ماء وخضنا في حديثه وخاضت الخيل وتركنا عقباته كالمغلقة وملنا الى السهل كل الميل وتلقينا كل ذي قصد ببشر الصباح ولم نقل أهلك والليل ومازلنا كذلك لا نعبر وادا الا أتت مع الابتهال بطول العمر ماله وأرامله ولا ناديا الا قامت للدعاء رجاله وأطفاله وحلائله ولا بولاية الا ارتج غدرها ولا بلدة الا زها على التي بين السماكين بدرها ولا ماش الا حمله المعروف ولا عابر سبيل الا آنسه من النعماء صنوف ولا جائز الا شملته جائزة ولا منقطع بمفازة الا وعقباه فائزة ولا ظبية

وقال له انفذ الآن مركبا الى أفريقية يأتونى بأخبارها وعمد القائد الى مقدم مركب وأرسله فلما أصبحوا اذا بالمركب فى موضعه كأنه لم يبرح فقال الملك لقائد البحر أليس قد فعلت ما أمرتك به قال نعم قد امتثلت أمرك وأنفذت مركبا فرجع بعد ساعة وسيحدثك مقدم المركب فأمر باحضاره فجاء ومعه رجل فقال له الملك مامنعك أن تذهب حيث أمرت قال ذهبت بالمركب فبينما أنا فى جوف الليل والرجال يجدفون اذا بصوت يقول يا الله يا الله يا غياث المستغيثين يكررها مرارا فلما استقر صوته فى أسماعنا ناديناه مرارا لبيك لبيك وهو ينادى يا الله يا الله يا غياث المستغيثين فجدفنا بالمركب نحو الصوت فلقينا هذا الرجل غريقا فى آخر رمق من الحياة فطلعنا به المركب وسألناه عن حاله فقال كنا مقلعين من أفريقية فغرقت سفينتنا منذ أيام وأشرفت على الموت ومازلت أصيح حتى أتانى الغوث من ناحيتكم فسبحان من أسهر سلطانا وأرقه فى قصره لغريق فى البحر حتى استخرجه من تلك الظلمات الثلاث ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة الوحدة فسبحانه لا اله غيره ولا معبود سواه (وحكى) سيدى أبو بكر الطرطوشى فى كتابه سراج الملوك قال أخبرنى أبو الوليد الباجى عن أبى ذر قال كنت أقرأ على الشيخ أبى حفص عمر بن أحمد بن شاهين ببغداد جزأ من الحديث فى حانوت رجل عطار فبينما أنا جالس معه فى الحانوت اذ جاء رجل من الطوافين ممن يبيع العطر فى طبق يحمله على يده فدفع اليه عشرة دراهم وقال له اعطنى بها أشياء سماها له من العطر فأعطاه اياها فأخذها فى طبقه وأراد أن يمضى فسقط الطبق من يده فانكب جميع مافيه فبكى الطواف وجزع حتى رحمناه فقال أبو حفص لصاحب الحانوت لعلك تعينه على بعض هذه الأشياء فقال سمعا وطاعة فنزل وجمع له ماقدر على جمعه منها ودفع له ماعدم منها وأقبل الشيخ على الطواف يصبره ويقول له لا تجزع فأمر الدنيا أيسر من ذلك فقال الطواف أيها الشيخ ليس جزعى لضياع ماضاع لقد علم الله تعالى أنى كنت فى القافلة الفلانية فضاع لى هميان فيه أربعة آلاف دينار ومعها فصوص قيمتها كذلك فما جزعت لضياعها حيث كان لى غيرها من المال ولكن ولد لى ولد فى هذه الليلة فاحتجنا الأمه ماتحتاج النفساء ولم يكن عندى غير هذه العشرة دراهم فخشيت أن أشترى بها حاجة النفساء فأبقى بلا رأس مال وأنا قد صرت شيخا كبيرا لا أقدر على التكسب فقلت فى نفسى أشترى بها شيأ من العطر فأطوف به صدر النهار فعسى أستفضل شيأ أسد به رمق أهلى ويبقى رأس المال أتكسب به واشتريت هذا العطر فحين انكب الطبق علمت أنه لم يبق لى الا الفرار منهم فهذا الذى أوجب جزعى قال أبو حفص وكان رجل من الجند جالسا الى جانبى يستوعب الحديث فقال للشيخ أبى حفص ياسيدى أريد أن تأتى بهذا الرجل الى منزلى فظننا أنه يريد ان يعطيه شيأ قال فدخلنا الى منزله فاقبل على الطواف وقال له عجبت من جزعك فاعاد عليه القصة فقال له الجندى وكنت فى تلك القافلة قال نعم وكان فيها فلان وفلان فعلم الجندى صحة قوله فقال وما علامة الهميان وفى أى موضع سقط منك فوصف له المكان والعلامة قال الجندى اذا رأيته تعرفه قال نعم فاخرج الجندى له هميانا ووضعه بين يديه فحين رآه صاح وقال هذا هميانى والله وعلامة صحة قولى ان فيه من الفصوص ماهو كيت وكيت ففتح الهميان فوجده كما ذكر فقال الجندى خذ مالك بارك الله لك فيه فقال الطواف ان هذه الفصوص قيمتها مثل الدنانير وأكثر فخذها وأنت فى حل منها ونفسى طيبة بذلك فقال الجندى ما كنت لآخذ على أمانتى مالا وأبى أن يأخذ شيأ ثم دفعها الطواف جميعها فأخذها ومضى ودخل الطواف وهو من الفقراء وخرج وهو من الاغنياء اللهم أغن فقرنا ويسر أمرنا برحمتك يا أرحم الراحمين (وحكى) ان الملك ناصر الدولة من آل حمدان كان يشكو وجع القولنج حتى أعيا الأطباء دواؤه ولم يجدوا له شفاء فدسوا على قتله وارصدوا له رجلا ومعه خنجر فلما كان فى بعض دهاليز القصر وثب عليه ذلك الرجل وضربه بالخنجر فجاءت الضربة أسفل خاصرته فلم تخط المعى الذى فيه القولنج فخرج مافيه من الخلط فعافاه الله تعالى وبرئ أحسن ما كان * وبضد هذا ماحكاه أبو بكر الطرطوشى قال حدثنا القاضى أبو مروان الدارانى بطرطوشة قال نزلت قافلة بقرية خربة من اعمال دانية فأووا الى دار خربة هنالك فاستكنوا فيها من الرياح والأمطار واستوقدوا نارهم وسووا معيشتهم وكان فى تلك الخربة حائط مائل قد أشرف على الوقوع فقال رجل منهم ياهؤلاء لا تقعدوا تحت هذا الحائط ولا يدخلن أحد فى هذه البقعة فأبوا الا دخولها فاعتزلهم ذلك الرجل وبات خارجا عنهم ولم يقرب ذلك المكان فأصبحوا فى عافية وحملوا على دوابهم فبينما هم كذلك اذ دخل ذلك الرجل الى الدار ليقضى حاجته فخر عليه الحائط

من طيبات دمشق الاو المكارم ثواليها وتواليها وتوجدها فى القفار كما توجدها أولياء الله فيها الى أن قدمنا القدس الشريف ونحن والغمام وسبقنا اليه طرة الصبح تحت أذيال الظلام وخفف بنا جناح الشوق والسوق حين دنت الخيام من الخيام وألقينا بباب حرمه عصى السفر وألقت هنالك رحالها ركائب المطر وزرنا باب الرحمة من الارض وزارنا باب الرحمة من السماء وصرنا من الصالحين عند زيارة الاقصى فمشينا على الماء وحمدنا الاوطان والأقطار واستمرت السحب حتى عادت الصخرة كحجر موسى تتفجر منها الأنهار وأقمنا فى بيوت أذن الله أن يرفع شأنها ويسبح فيها بالغدو والآصال سكانها وكان معنا شخص يلقب بالجلد سكن بيتا حسنا وغمض عينه على الرواق تغميضا بينا (فقال) مولانا الصاحب ماتقول فى بيته فقلت ما أقول فى جنة الخلد وشكا قوم عشرة هذا الرجل فكتبت على ورقتهم اصبروا على ما يفعلون وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون ثم دخل الناس على الابواب الصاحبية أفواجا وماترك أحد منهم منها جاذا ناحية الا منها جا ومكثنا فى البيوت الى أن صحا الأفق من مدامة غمامه وحسر عن وجهه للابصار فضل لثامه وقفنا البقية المشاهد قاصدين ولتلك المبانى المعظمة شاهدين ومشاهدين فعاودنا الصخر بقلوب قد لانت ونثرنا على مواطئ القدم دموعا عزت بلسها ولا نقول هانت ونظرنا آثارا قديمة تذهل عيون النظارة وآثارا متجددة فى هذه الدولة القاهرة تقصر عنها العبارة ومحاسن يقف فى طريق الزيارة متأملها ووقفة فى الطريق نصف الزيارة فمنها ما هو مخصوص بالحرم الشريف نستلم

نبات لوقته * قال وأخبرني أبو القاسم بن حبيش بالموصل قال لقد جرت في هذه الدار وأشار الى دار هنالك قصة
عجيبة قلت وما هي قال كان يسكن هذه الدار رجل من التجار ممن يسافر الى الكوفة في تجارة الخز فاتفق أنه جعل
جميع ما معه من الخز في خرج وحمله على حماره وسار مع القافلة فلما نزلت القافلة أراد انزال الخرج عن الحمار
فثقل عليه فأمر انسانا هنالك فأعانه على انزاله ثم جلس يأكل فاستدعى ذلك الرجل ليأكل معه فسأله عن
أمره فأخبره انه من أهل الكوفة وأنه خرج لحاجة عرضت له بغير نفقة ولا زاد فقال له الرجل كن رفيقي آنس
بك وتعينني على سفري ونفقتك ومؤنتك علي فقال له الرجل وأنا أيضا أختار صحبتك وأرغب في مرافقتك
فسار معه في سفره وخدمه أحسن خدمة الى أن وصلا الى تكريت فنزل الرفقة خارج المدينة ودخل الناس
الى قضاء حوائجهم فقال التاجر لذلك الرجل احفظ حوائجنا حتى أدخل المدينة وأشتري ما نحتاج اليه
ثم دخل المدينة وقضى جميع حوائجه ورجع فلم يجد القافلة ولا صاحبه ورحلت الرفقة ولم ير أحدا فظن انه
لما رحلت الرفقة رحل ذلك الخادم معهم فلم يزل يسير ويجد السير في المشي الى أن أدرك القافلة بعد جهد
عظيم وتعب شديد فسألهم عن صاحبه فقالوا ما رأيناه ولا جاء معنا ولكنه ارتحل على أثرك فظننا انك
أمرته فكر الرجل راجعا الى تكريت وسأل عن الرجل فلم يجد له أثرا ولا سمع له خبرا فيئس منه ورجع
الى الموصل مسلوب المال فوصلها نهارا فقيرا جائعا عريانا مجهودا فاستحى أن يدخلها نهارا فتشمت به الاعداء
نعوذ بالله من شماتتهم وخشي أن يحزن الصديق اذا رآه على تلك الحالة فاستخفى الى الليل ثم عاد الى داره فطرق
الباب فقيل له من هذا قال فلان يعني نفسه فاظهروا له سرورا عظيما وحاجة اليه وقالوا الحمد لله الذي جاء بك
في هذا الوقت على ما نحن فيه من الضرورة والحاجة فانك أخذت مالك معك وما تركت لنا نفقة كافية وأطلت
سفرك واحتجنا وقد وضعت زوجتك اليوم والله ما وجدنا ما نشتري به شيأ للنفساء فأتنا بدقيق ودهن نسرج
به علينا فلا سراج عندنا فلما سمع ذلك ازداد غما على غمه وكره أن يخبرهم بحالة فيحزنهم بذلك فأخذ وعاء له
للدهن ووعاء للدقيق وخرج الى حانوت أمام داره وكان فيه رجل يبيع الدقيق والزيت والعسل ونحو ذلك
وكان البياع أطفأ سراجه وأغلق حانوته ونام فناداه فعرفه فأجابه وشكر الله على سلامته فقال له افتح
حانوتك وأعطنا ما نحتاج اليه من دقيق وعسل ودهن فنزل البياع الى حانوته وأوقد المصباح ووقف يزن له
ما طلب فبينما هو كذلك اذ حانت من التاجر التفاتة الى قعر الحانوت فرأى خرجه الذي هرب به صاحبه فلم
يملك نفسه أن وثب اليه والتزمه وقال يا عدو الله ائتني بمالي فقال له البياع ما هذا يا فلان والله ما علمتك
متعديا وأنا أبدا ما جنيت عليك ولا على غيرك فما هذا الكلام قال هذا خرجي هرب به خادم كان يخدمني
وأخذ حماري وجميع مالي فقال البياع والله ما لي علم غير أن رجلا ورد علي بعد العشاء واشترى مني عشاء
وأعطاني هذا الخرج فجعلته في حانوتي وديعة الى حين يصبح والحمار في دار جارنا والرجل في المسجد نائم قال له
احمل معي الخرج وامض بنا الى الرجل فرفع الخرج على عاتقه ومضى معه الى المسجد فاذا الرجل نائم في
المسجد فوكزه برجله فقام الرجل مرعوبا فقال مالك قال أين مالي يا خائن قال ها هو في خرجك فوالله
ما أخذت منه ذرة قال فأين الحمار وآلته قال هو عند هذا الرجل الذي معك فعفا عنه وخلى سبيله ومضى
بخرجه الى داره فوجد متاعه سالما فوسع على أهله وأخبرهم بقصته فازداد سرورهم وفرحهم وتبركوا بذلك
المولود فسبحان من لا يخيب من قصده ولا ينسى من ذكره (ولنلحق بهذا الباب ذكر شيء مما جاء في التهنئة
والبشائر) كتب بعضهم الى أخيه وقد أتاه خبر استبشر به سمعت عنك خبرا سارا كتب في الالواح وامتزج
بالارواح وعد في جملة البشائر العظام وجرى في العروق وتمشى في العظام وكان خالد بن عبد الله القسري أخا
هشام بن عبد الملك من الرضاع وكان يقول له اني لارى فيك آثار الخلافة ولا تموت حتى تليها فقال له ان أنا وليتها
فلك العراق فلما ولي أتاه فقام بين الصفين وقال يا أمير المؤمنين أعزك الله بعزته وأيدك بملائكته وبارك لك فيما
والاك ورعاك فيما استرعاك وجعل ولايتك على أهل الاسلام نعمة وعلى أهل الشرك نقمة لقد كانت الولاية
اليك أشوق منك اليها وأنت لها أزين منها لك وما مثلها ومثلك الا كما قال الاحوص هذه الابيات

وان الدر زاد حسن وجوه * كان للدر حسن وجهك زينا
وتزيدن أطيب الطيب طيبا * ان تمسنه أين مثلك أينا

كالحجاج أركانه وتقلب وجوهنا في
سماء سقف يكاد يقطر علينا لجينه
وعقيانه ونشاهد درجا ما بلغ في
الحسن والمحل الاقصى في الاقصى
وعمت به في بهجة المكان زيادة تخالف
قول النحاة ان في الترخيم نقصا فأما
المياه التي تجري في الحرم على رأسها
وتطوف على مواضع المنافع بنفسها
فتلك نعمة عظيمة يكافي الله عنها
في دار المقامة وحسنة في المعنى
والصورة جارية الى يوم القيامة ومن
المباني المذكورة ما هو خصيص
بمولانا مالك الامراء أعز الله أنصاره
وأبقاه سيفا يقف كل ذي قدر
عند حده فلا يجاوز مقداره من
مدرسة علم يدرس ولا يدرس معهده
ودار حديث يروي فيروي الاسماع
الظامئة موردة وخانقاه تضيء
عليها أنوار البركات الكوامل
ورباط ومكتب هما كما قيل
ثمال اليتامى عصمة للارامل
وقلت فيها
بنيت رباطا للنساء ومكتبا
يدير على الايتام سحب الفواضل
فلله من هذا وذاك كما ترى
ثمال اليتامى عصمة للارامل
فجنينا من تلك المحاسن بساتين
دانية القطوف ولحظنا من الظلال
السيفية جنة نشأت وكذلك الجنة
تحت ظلال السيوف وشرعت
صدقات السر والجهر وقوبل السؤال
بجبر لا يسمع عنده نهر وغص
بفقرائهم المكان والطريق وجاؤا
رجالا ونساء وعلى كل ضامر من
العصي يأتين من كل فج عميق فوضع
في مواضع النوال وقد درت
الكساوي حتى على المستورين
والاطفال هذا وكم ثياب صوف
أعرض اشراقها عن مقال اللاحين
واتخذ الفقراء والاغنياء من
أصوافها أثاثا ومتاعا الى حين
وجاءت الدراهم بعد التفاصيل
بالجمل وقال جودها الحاتم هذي التي

(ودخل) على المهدى اعرابى فقال له فيم جئت قال أتيتك برسالة قال هاتها قال أتانى آت فى منامى فقال ائت أمير المؤمنين فأبلغه هذه الابيات

لكم ارث الخلافة من قريش * تزف اليكم وأبدا عروسا
الى هرون تهدى بعد موسى * تميس ومالها أن لا تميسا

فقال المهدى ياغلام على بالجواهر فحشا فاه حتى يكاد ينشق ثم قال اكتبوا هذه الابيات واجعلوها فى مخانق صبياننا (وقال) ابراهيم الموصلى فى تهنئة الرشيد بالخلافة

ألم تر أن الشمس كانت مريضة * فلما أتى هرون أشرق نورها
تلبست الدنيا جمالا بملكه * فهرون واليها ويحيى وزيرها

وغناه بهما من وراء الحجاب فوصله بمائة ألف دينار ويحيى بخمسين ألفا *ودخل عطاء بن أبى صيفى على يزيد ابن معاوية وهو أول من جمع بين التهنئة والتعزية فقال رزئت خليفة الله وأعطيت خلافة الله قضى معاوية نحبه فغفر الله ذنبه ووليت الرياسة وكنت أحق بالسياسة فاحتسب عند الله أعظم الرزية واشكر الله على أعظم العطية *ومر عمر بن هبيرة بعد اطلاقه من السجن بالرقة فاذا امرأة من بنى سليم على سطح لها تحادث جارة لها ليلا وهى تقول لا والذى أسأله أن يخلص عمر بن هبيرة مما هو فيه ما كان كذا فرمى اليها بصرة فيها مائة دينار وقال قد خلص الله عمر بن هبيرة فطيبى نفسا وقرى عينا والله سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿الباب الثامن والخمسون فى ذكر العبيد والاماء والخدم وفيه فصلان﴾

﴿الفصل الاول فى مدح العبيد والاماء والاستيصاء بهم خيرا﴾ عن على رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أول من يدخل الجنة شهيد وعبد أحسن عبادة ربه ونصح لسيده وعن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما رفعه ان العبد اذا نصح لسيده وأحسن عبادة ربه فله أجره مرتين وكان زيد بن حارثة خادما لخديجة رضى الله تعالى عنها اشترى لها بسوق عكاظ فوهبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء أبوه يريد شراءه منه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان رضى بذلك فعلت فسئل زيد فقال ذل الرق مع صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب الى من عز الحرية مع مفارقته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اختارنا اخترناه فاعتقه وزوجه أم أيمن وبعدها زينب بنت جحش وعن على رضى الله تعالى عنه قال كان آخر كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم أوصيكم بالصلاة واتقوا الله فيما ملكت أيمانكم وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه لا يقولن أحدكم عبدى وأمتى كلكم عبيد الله وكل نسائكم اماء الله ولكن ليقل غلامى وجاريتى وفتاى وفتاتى وعن ابن مسعود الانصارى قال ضربت غلاما لى فسمعت من خلفى صوتا اعلم أبا مسعود ان الله أقدر عليك منك عليه فالتفت فاذا هو النبى صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله هو حر لوجه الله فقال اما انك لو لم تفعل للفحتك النار وروى عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله كم تعفو عن الخادم ثم أعاد عليه فصمت فلما كانت الثالثة قال له أعفو عنه كل يوم سبعين مرة وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال حدثنى أبو القاسم نبى التوبة صلى الله عليه وسلم من قذف مملوكه وهو برىء مما قال جلد له يوم القيامة حدا وقيل أراد رجل بيع جاريته فبكت فقال لها مالك فقالت لو ملكت منك ما ملكت منى ما أخرجتك من يدى فاعتقها وتزوجها وقال أبو اليقظان ان قريشا لم تكن ترغب فى أمهات الاولاد حتى ولدن ثلاثة هم خير أهل زمانهم على بن الحسين والقاسم بن محمد وسالم بن عبد الله وذلك أن عمر رضى الله تعالى عنه اتى ببنات يزدجرد بن شهريار بن كسرى مسبيات فأراد بيعهن فاعطاهن للدلال ينادى عليهن بالسوق فكشف عن وجه احداهن فلطمته لطمة شديدة على وجهه فصاح واعمراه وشكا اليه فدعاهن عمر وأراد أن يضربهن بالدرة فقال على رضى الله تعالى عنه يا أمير المؤمنين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اكرموا عزيز قوم ذل وغنى قوم افتقر ان بنات الملوك لا يبعن ولكن قوموهن فقومهن وأعطاه أثمانهن وقسمهن بين الحسن بن على ومحمد بن أبى بكر وعبد الله بن عمر فولدت هؤلاء الثلاثة وقيل استبق بنو عبد الملك فسبقوا مسلمة وكان ابن أمة فتمثل عبد الملك بقول عمرو العبدى

نهيتكموا

لا ناقة لك فيها ولا جمل

﴿ومما قلت فى ذلك﴾

لله حال امرىء مقتر
قضيت فى القدس بتنفيسه
ودرهم ولى ولكنه
قد أخذ الاجر على كيسه

ثم تليت الختمات التى شرف الله تعالى ذكرها ومواعيد التفاسير والرقائق التى أجرت الأوقات الصاحبية أجرها وشرع فى بناء الرواق على سطح الزاوية الصاحبية بباب الحرم الشريف وأخذ راقم الرخام فى التوشيع والتفويف قبالها الواحا كتب فيها من الحسن كل شىء واطرد ماء رونقها فكان العين منها فى ماء وفىء وياله رواقا شاق وصفه وراق ورفع محله فقال لسان المتصوف حبذا رفاهى الرواق ثم رتب للشيخ والفقراء ما يحتاجون اليه من كل نوع فريد وأصبح كل أحد وهو النزول عند ذلك الشيخ مريد وبرزنا فى اليوم السابع من الاقامة وقد قدمنا نقصد الخليل صلوات الله عليه بالنية الجلية وطربنا لتلك المنازل وكيف لا نطرب لها وهى الخليلية وزرنا قبر يونس عليه السلام فى طريقنا ورفعنا لانواره الجفون وتملى عند الزيارة ذا العين بذى النون ثم نزلنا من محل الخليل على محل القرى وحمدنا عند صباح ذلك الوجه السرى واستقبلنا بمقام ابراهيم أمانا واستلمنا من ضريح شائد الركن ومن ضرائح أهله اركانا وأكلنا من شهى عدسه لونا ووجدنا من الهناء الوانا وقلنا لانفاس الشوق كونى بردا وسلاما على ابراهيم ووردنا مورد اللقاء نشفى ظما ابراهيم وفرقت الهبات وتليت الختمات وجرت المواعيد على عوائدها المحكيات فقلت

قصدنا خليل الله فى ظل صاحب
جلى العلى والمكرمات جليل

نهيتكمو أن تحملوا فوق خيلكم * هجينا الكم يوم الرهان فيدرك
فتعثر كفاه ويسقط سوطه * ويخدر ساقاه فما يتحرك
وهل يستوي المرآن هذا ابن حرة * وهذا ابن أخرى ظهرها متشرك

فقال له مسلمة يغفر الله لك يا أمير المؤمنين ليس هذا مثلي ولكن كما قال ابن المعمر هذه الابيات

فما أنكحونا طائعين بناتهم * ولكن خطبناهم بأرماحنا قسرا
فما زاد نافيها السباء مذلة * ولا كلفت خبزا ولا طبخت قدرا
وكم قد ترى فينا من ابن سبية * اذا لقي الابطال يطعنهم شزرا
ويأخذ رايات الطعان بكفه * فيوردها بيضا ويصدرها حمرا

فقبل رأسه وعينيه وقال أحسنت يا بني ذاك والله أنت وأمرت له بمائة ألف درهم مثل ما أخذ السابق والله أعلم

﴿الفصل الثاني في ذم العبيد والخدم﴾ روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال بئس المال في آخر الزمان المماليك وقال مجاهد اذا كثرت الخدم كثرت الشياطين وقال لقمان لابنه لا تأمنن امرأة على سر ولا تطأ خادما تريدها للخدمة *ووصف بعضهم عبدا فقال يأكل فارها ويعمل كارها ويبغض قوما ويحب نوما وقيل لبعضهم ألك غلام فقال

ومالي غلام فادعو به * سوى من أبوه أخو عمتي

وقال أكثم الحر حر وان مسه الضر والعبد عبد وان ألبسته الدر *ودعا بعض أهل الكوفة اخوانه وله جارية فقصرت فيما ينبغي لهم من الخدمة فقال

اذا لم يكن في منزل المرء حرة * رأى خللا فيما تولي الولائد
فلا يتخذ منهن حرقعيدة * فهن لعمر الله بئس القعائد

وكان لرجل غلام من أكسل الناس فأرسله يوما يشتري له عنبا وتينا فأبطأ عليه حتى عيل صبره ثم جاء باحدهما فضربه وقال ينبغي لك اذا استقضيتك حاجة أن تقضي حاجتين فمرض الرجل فأمر الغلام أن يأتيه بطبيب فغاب ثم جاء بالطبيب ومعه رجل آخر فسأله عنه فقال أما ضربتني وأمرتني أن أقضي حاجتين في حاجة فجئتك بالطبيب فان شفاك الله تعالى والا حفر لك هذا قبرك فهذا طبيب وهذا حفار وقيل كان عمرو الأعجمي يلي حكم السند فكتب الى موسى الهادي ان رجلا من أشراف أهل الهند من آل المهلب بن أبي صفرة اشترى غلاما أسود فرباه وتبناه فلما كبر وشب اشتد به هوى مولاته فراودها عن نفسها فأجابته فدخل مولاه يوما على غفلة منه من حيث لا يعلم فاذا هو على صدر مولاته فعمد اليه فجب ذكره وتركه يتشحط في دمه ثم أدركته عليه رقة وندم على ذلك فعالجه الى أن برئ من علته فأقام الغلام بعدها مدة يطلب أن يأخذ ثاره من مولاه ويدبر عليه أمرا يكون فيه شفاء غليله وكان لمولاه ابنان أحدهما طفل والآخر يافع كأنهما الشمس والقمر فغاب الرجل يوما عن منزله لبعض الأمور فأخذ الأسود الصبيين فصعد بهما على ذروة سطح عال فنصبهما هنالك وجعل يعللهما بالمطعم مرة وباللعب أخرى الى أن دخل مولاه فرفع رأسه فرأى ابنيه في شاهق مع الغلام فقال ويلك عرضت ابني للموت قال أجل والله الذي لا يحلف العبد بأعظم منه لئن لم تجب ذكرك مثل ما جببتني لأرمين بهما فقال الله الله يا ولدي في تربيتي لك قال دع هذا عنك فوالله ماهي الا نفس واني لأسمح بها في شربة ماء فجعل يكررعليه ويتضرع له وهو لا يقبل ذلك ويذهب الوالد يريد الصعود اليه فيدليهما من ذلك الشاهق فقال أبوهما ويلك فاصبر حتى أخرج مدية وأفعل ما أردت ثم أسرع وأخرج مدية فجب نفسه وهو يراه فلما رأى الأسود ذلك رمى الصبيين من ذلك الشاهق فتقطعا وقال ان جبك لنفسك ثاري وقتل أولادك زيادة فيه فأخذ الأسود وكتب بخبره لموسى الهادي فكتب موسى لصاحب السند عمرو الأعجمي بقتل الغلام وقال ما سمعت بمثل هذا قط وأمر أن يخرج من مملكته كل أسود فما ترى أردأ من العبيد ولا أقل خيرا منهم وأكثرهم داء المولدون لو أحسنت الى أحدهم الدهر كله بكل ما تصل يدك اليه أنكره كأن لم ير منك شيأ وكلما أحسنت اليه تمرد وان أسأت اليه خضع وذل وقد جربت أنا ذلك كثيرا وما أحسن ما قيل

اذا أنت أكرمت الكريم ملكته * وان أنت أكرمت اللئيم تمردا

فهذه الدنيا نار وهذه الدينا
فيا حبذا من صاحب وخليل
وسرنا في ظل الصاحب من الخليل
وكادت دمشق تمد أيدي اعطائها
لجاذبة ركابه ومصر تتضرع بأصابع
نيلها طمعا في اقترابه وترضع ثدي
هرمها داعية الى الله بعوده اليها
واياه وهم شباك الوزارة أن يتلقى
صاحب فتحه وصدر الخزائن أن
يعانق ما اعتاده من رأي عطفه
ومنحه فانه ما جلس فيه أبهر وأبهى
من الطلعة الامينية باجماع الآملين
المتأملين والخزائن التي كم قال لها
تدبيره اني حفيظ عليم فقال الملك
وانك لدينا مكين أمين ثم عطفتنا
الاقدار الى جهة الرملة وجاءت الوفود
كالرمل وخفت أكياس دراهم
الصلات وثقلت أكياس دراهم
الحمل وأقمنا ثلاثة أيام نكاد ننشد
خرجنا على أن المقام ثلاثة
فطاب لنا حتى أقمنا بها عشرا
ورأينا مسجدا يعرف بالركني قد
غير الزمان محاسنه الأنيقة وهدم
الخراب والموت ركنيه على الحقيقة
فأمر مولانا الصاحب بعمارة ما منه
اندثر ولحظت لآراء عمارتها المنقضة
فتبين أن السعادة تلحظ الحجر ولقد
صنع في هذه المنزلة من المعروف
ما لا صنع ذوو الدهر الطويل مثله
وبنى من المكرمات ما ثبت ولولا
ابداع سعادته ما ثبت البناء فوق
الرملة ورحلنا عن الرملة بنية الزيارة
لمشهد زكريا ويحيى عليهما الصلاة
والسلام فررنا في طريقنا بجملة
خير معترضة وبنية في وجهة القبول
مبيضة تحتوي على قبر بنيامين
أخي يوسف عليهما السلام
فالحقناه بالزيارة بأخيه وتوكلنا على
الله في القبول توكل أبيه وتيممنا
بنيامين وقرعنا أبواب السماء
بادعية فاتحة فقال النجح عقيب
الفاتحة آمين وسرنا والصدور

وقيل ان العبد اذا شبع فسق وان جاع سرق وكان جدي لأمي يقول شر المال تربية العبيد والمولدون منهم الأم من الزنوج وأرد الآن المولد لا يعرف له أبا وربما يعرف الزنجي أبويه ويقال في المولد بغل لأنه مجنس والبغل تكون أمه فرسا وأبوه حمارا او بالعكس فلا تثق بمولد لانه قل أن يكون فيه خير وان كان فذاك نادر والنادر لا حكم له وأنا أستغفر الله العظيم وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿الباب التاسع والخمسون في أخبار العرب الجاهلية وأوابدهم وذكر غرائب من عوائدهم وعجائب من أكاذيبهم﴾

للعرب أوابد وعوائد كانوا ينتحلونها وقد دل على بعضها القرآن العظيم وأكذب الله دعاويهم فيها فمن ذلك قوله تعالى ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون * قال أهل اللغة البحيرة ناقة كانت اذا انتجت خمسة أبطن وكان الآخر ذكرا بحروا أذنها أي شقوا أذنها وامتنعوا من ذكاتها ولا تمنع من ماء ولا مرعى * وكان الرجل اذا أعتق عبدا وقال هو سائبة فلا عقد بينهما ولا ميراث * وأما الوصيلة ففي الغنم كانت الشاة اذا ولدت أنثى فهي لهم وان ولدت ذكرا جعلوه لآلهتهم فان ولدت ذكرا وأنثى قالوا وصلت أخاها فلا يذبح الذكر لآلهتهم * وأما الحام فالذكر من الابل كانت العرب اذا انتج من صلب الفحل عشرة أبطن قالوا حمى ظهره فلا يحمل عليه ولا يمنع من ماء ولا مرعى * وقال تعالى انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون فالخمر ما خامر العقل ومنه سميت الخمر خمرا والميسر القمار والأنصاب حجارة كانت لهم يعبدونها وهي الأوثان واحدها نصب والازلام سهام كانت لهم مكتوب على بعضها أمرني ربي وعلى بعضها نهاني ربي فاذا أراد الرجل سفرا أو أمرا يهتم به ضرب بتلك القداح فاذا خرج الامر مضى لحاجته واذا خرج النهي لم يمض * ومن أوابدهم وأد البنات أي دفنهن أحياء كانوا في الجاهلية اذا رزق أحدهم أنثى وأدها واذا بشر بها ضاق صدره وكظم وجهه وهو قوله تعالى واذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم وقال تعالى ولا تقتلوا أولادكم خشية املاق نحن نرزقهم واياكم وقد قيل انهم كانوا يقتلونهن خوف العار وعلة جبل يقال له أبو دلامة كانت قريش تئد فيه البنات * وقيل ان صعصعة جد الفرزدق كان يشتري البنات ويفديهن من القتل كل بنت بناقتين عشراوين وجمل وفاخر الفرزدق رجلا عند بعض خلفاء بني أمية فقال أنا ابن محيي الموتى فأنكر الرجل ذلك فقال ان الله تعالى يقول ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا (وأما الرفادة في الحج) فكانت خرجا تخرجه قريش في كل موسم من أموالهم الى قصي فيصنع به طعاما للحاج فيأكله من لم يكن له سعة ولا زاد وذلك أن قصيا فرضه على قريش فقال لهم حين أمرهم به يا معشر قريش انكم جيران الله وأهل بيته وأهل الحرم وان الحجاج ضيوف الله وزوار بيته وهم أحق الضيف بالكرامة فاجعلوا لهم طعاما وشرابا أيام الحاج حتى يصدروا عنكم ففعلوا وكانوا يخرجون ذلك كل عام من أموالهم فيدفعونه اليهم * وقيل أول من أقام الرفادة عبد المطلب وهو الذي حفر بئر زمزم وكانت مطمومة واستخرج منها الغزالين الذهب اللذين عليهما الدر والجوهر وغير ذلك من الحلي وسبعة أسياف وخمسة دروع سوابغ فضرب من الأسياف باب الكعبة وجعل أحد الغزالين الذهب صفائح الذهب وجعل الآخر في الكعبة

﴿واعلم﴾ وفقني الله واياك انه لم يسمع بعجب أعظم من عجب سعيد بن زرارة وعبد الله بن زياد التميمي وابن سماك الأسدي الذين ضرب بهم المثل * فأما سعيد بن زرارة فقيل انه مرت به امرأة فقالت له يا عبد الله كيف الطريق الى مكان كذا فقال لها يا هنتاه مثلي يكون من عبيد الله * وأما عبد الله بن زياد التميمي فقيل انه خطب الناس بالبصرة فأحسن وأوجز فنودي من نواحي المسجد كثر الله فينا مثلك فقال لقد كلفتم الله شططا وأما ابن سماك فانه أضل راحلته فالتمسها فلم توجد فقال والله لئن لم يرد راحلتي علي لا صليت له أبدا فوجدت وقد تعلق زمامها ببعض أغصان الشجر فقيل له قد رد الله عليك راحلتك فصل فقال انما كانت يميني يمينا قصدا فانظر رحمك الله الى هذا العجب كيف ذهب بهم حتى أفضى بهم الى الكفر وصاروا حديثا مستبشعا ومثلا بين العالمين مستشنعا نعوذ بالله من الخذلان المؤدي الى النيران ولا حول ولا قوة

متشرحة والطريق الى خير الدارين متضحة وجئنا المشهد وقد ظهرت عليه بضريحين كريمين بهجة الدين والدنيا وتلا مزارها القادم أنا نبشرك بيحيى وبتنا ليلة طيبة نحييها وغبت النوم ونعمي بالسهر أمره فاله سلطان على أعين القوم وأصبحنا وقد امتلأت القلوب سرورا والأعين نورا وقوينا على قصد جنى الجنان واستقبلنا محاسن بيسان وختمنا الزيارة بمشهد معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه فأنقذت أنواره القلوب من الهم أي انقاذ وكدنا نفتتن بالانس حتى نقول أفتان أنت يا معاذ وأمسكنا عنده من الدعاء بعروة لا تنفصم وأوينا من طوفان الذنوب الى جبل يحمي من به يعتصم وأمرنا بما يحتاج اليه من تجديد عمارة وانشاء طهارة وألحق بكل مزار وردنا عليه في هذه السيارة فانا لا نفارقه الا عن اقامة صلاة وصلات وتجديد آثار يزين به وجه القبول كاتب الحسنات ثم نهضنا على الفور نخوض ليله الملبد وجزنا مقسمين فما بكينا بكاء لبيد يوم فراقه أربد وانتشقنا من تلقاء طيبة الاسم أطيب العرف وسلكنا بحرف واديها مستبشرين فكانت طيبة الاسم والفعل والحرف ثم عاودنا المنازل التي قدمنا ذكرها ورجعنا كما تسترجع منازل الافق زهرها وتنسمنا أرواح دمشق حتى كدنا نتنشق من ذيل الكسوة عطرها واستقبلنا الديار على هذا السعي الجليل وفاصلنا السفر على كل وجه لفضل جميل وقطعنا بالكسوة ليلا طالا نداوه كل ليل للعاشقين طويل وفي تلك الليلة كان دخولنا الى دمشق المحروسة كدخولنا الى القدس الشريف سائرين سري النجوم في الليل سابقين لغرة الصباح بغرر الخيل موفرين لخواطر

الا بالله العلى العظيم ﴿ذكر﴾ عن الحجاج بن يوسف الثقفي انه قيل له كيف وجدت منزلك بالعراق قال خير منزل ان الله أظفرني باناس بلغني الأمل فيهم وأعانني على الانتقام منهم فكنت أتقرب اليه بدمائهم فقيل له من هم فذكر هؤلاء الثلاثة وذكر حديثهم ولا محالة أنها من محاسن الحجاج وان قلت في جنب سيئاته والله تعالى أعلم

﴿ذكر أديان العرب في الجاهلية﴾ كانت النصرانية في ربيعة وغسان و بعض قضاعة وكانت اليهودية في حمير و بني كنانة و بني الحرث بن كعب وكندة وكانت المجوسية في بني تميم منهم زرارة بن عدي وابنه على وكان تزوج ابنته ثم ندم ومنهم الأقرع بن حابس كان مجوسيا وكانت الزندقة في قريش أخذوها من الحيرة وكانت بنوحنيفة اتخذوا في الجاهلية صنما من حيس فعبدوه دهرا طويلا ثم أدركتهم مجاعة فأكلوه وقد قيل ان أول من غير الحنيفية عمرو بن لحي أبو خزاعة وهو انه رحل الى الشام فرأى العماليق يعبدون الأصنام فأعجبه ذلك فقال ما هذه الأصنام التي أراكم تعبدونها قالوا هذه أصنام نستمطرها فتمطرنا ونستنصرها فتنصرنا فقال اعطوني منها صنما أسير به الى أرض العرب فيعبدونه فأعطوه صنما يقال له هبل فقدم به مكة فنصبه وأمر الناس بعبادته وتعظيمه * وقيل ان أول ما كانت عبادة الأحجار في بني اسمعيل وسبب ذلك انه كان لا يظعن من مكة ظاعن منهم حتى ضاقت عليهم وتفرقوا في البلاد وما من أحد الا حمل معه حجرا من حجارة الحرم تعظيما للحرم فحيثما نزلوا وضعوه وطافوا به كطوافهم بالكعبة وأفضى ذلك بهم الى أن عبدوا ما استحسنوه من الحجارة ثم خلفت الخلوف ونسوا ما كانوا عليه من دين اسمعيل فعبدوا الأوثان وصاروا الى ما كانت عليه الأمم قبلهم من الضلال وكانت قريش قد اتخذت صنما على بئر في جوف الكعبة يقال له هبل وأيضا اتخذوا اسافا ونائلة على موضع زمزم فيحرون عندها ويطعمون وكان اساف ونائلة رجلا وامرأة فوقع اساف على نائلة في الكعبة فمسخهما الله حجرين واتخذ أهل كل دار في دارهم صنما يعبدونه فاذا أراد الرجل سفرا تمسح به حين يركب وكان ذلك آخر ما يصنع اذا توجه الى سفره واذا قدم من سفره بدأ به قبل أن يدخل الى أهله واتخذت العرب الأصنام وانهمكوا على عبادتها وكانت لقريش و بني كنانة العزى وكان حجابها بني شيبة وكانت اللات لثقيف بالطائف وكان حجابها بني مغيث من ثقيف وكانت مناة للاوس والخزرج ومن دان بدينهم * وأما يغوث ويعوق ونسر فقيل انهم كانوا أسماء أولاد آدم عليه الصلاة والسلام وكانوا أتقياء عبادا فمات أحدهم فحزنوا عليه حزنا شديدا فجاءهم الشيطان وحسن لهم أن يصوروا صورته في قبلة مسجدهم ليذكروه اذا نظروه فكرهوا ذلك فقال اجعلوه في مؤخر المسجد ففعلوا وصوروه من صفر ورصاص ثم مات آخر ففعلوا ذلك الى أن ماتوا كلهم فصوروهم هناك وأقام من بعدهم على ذلك الى أن تركوا الدين وحسن لهم الشيطان عبادة شئ غير الله فقالوا له من نعبد قال آلهتكم المصورة في مصلاكم فعبدوها الى أن بعث الله نوحا عليه الصلاة والسلام فنهاهم عن عبادتها فقالوا كما أخبر الله عنهم لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا الآية ولما عم الطوفان الأرض طمها وعلا عليها التراب زمانا طويلا فاخرجها الشيطان لمشركي العرب فعبدوها وذكر الواحدي في الوسيط أن هذه أسماء قوم صالحين كانوا بين آدم ونوح عليهما الصلاة والسلام فسول الشيطان لقومهم بعد موتهم أن يصوروا صورهم ليكون أنشط لهم وأشوق للعبادة كما رأوهم ففعلوا ثم نشأ بعدهم قوم جهال بالاحوال فحسن لهم عبادتها وأن من سبقهم من قومهم عبدوها فسموها بأسمائهم وقال الواقدي كان ود على صورة رجل وسواع على صورة امرأة و يغوث على صورة أسد و يعوق على صورة فرس ونسر على صورة نسر والله تعالى أعلم أي ذلك كان

﴿ذكر أوابدهم﴾ الرتم شجر معروف كانت العرب اذا خرج أحدهم الى سفر عمد الى شجرة منه فيعقد غصنا منها فاذا عاد من سفره ووجده قد انحل قال قد خانتني امرأتي وان وجده على حالته قال لم تخني * الرتيمة ناقة كانت العرب اذا مات واحد منهم عقلوا ناقته عند قبره وسدوا عينيها حتى تموت يزعمون انه اذا بعث من قبره ركبها * التعمية والتفقئة كان الرجل اذا بلغت ابله ألفا قلع عين الفحل يقولون ان ذلك يدفع عنها العين فاذا زادت على الالف فقأ عينه الاخرى * العر داء يصيب الابل شبه الجرب كانوا يكوون السليمة و يزعمون أن ذلك يبرئ داء العر * ضرب الثور عن البقر كانت البقر اذا امتنعت عن الشرب ضربوا الثور يزعمون أن الجن

المتقين وهيهات وقد سال منهم السيل نازلين من دمشق جنة قد تبسمت لقدومنا عن ثغور الازهار وأجرت أمام ركابنا الأنهار ولبست من وشي البديع حللا لها من أوائل ما انعقد من الثمار أزرار فائزين من الثناء والثواب بفوق الارادة داعين لمن فضله لنا جامع مترقبين لرتبة باب الزيارة وتمت هذه السفرة على أحسن ما يكون واشتملت من وجوه المحاسن على عيون قضيت المهمات بها بالنهار وقضيت في الليل المذاكرة والتقطت من الفوائد الوزيرية ما كنت أرتقب جواهره وأزاهره وأردت أن أذكرها في هذه الخطبة لأنها جواهر وأضمنها بعض العلم في هذه الأوراق فانها أزاهر فكثرت على هذا اللفظ المسجوع واقتضى الحال أن أجمعها في سفر يقال فيه ثالث رحلة وهذا تاريخ مجموع وقد علم الله أن هذه النبذة من القول وردت من قريحة مسها فقد الولد بفرح وأي فرح وقال تفكرها الذي كان حائك الكلام لست اليوم من ذلك الطرح فليبسط الواقف على هذه الرحلة عذري و يعلم السبب في كونها ليست عادة نظمي ونثري واذا كانت القريحة في بقايا قروحها فليت شعري أينهض مجي وشعري والله تعالى المسؤل أن يجعل في ابقاء الصاحب سلوة عن كل فقيد و يصل أسبابنا أبدا بحبره الوافر وظله المديد ويرزقنا في شكر نعمه لسانا لفظه ذهب وذهنا بصره حديد (قلت) ذكرت برحلة الشيخ جمال الدين رحمه الله تعالى الى القدس الشريف صحبة الركاب الصاحبي الاميني رحلتي صحبة الركاب الشريف السلطاني المؤيدي سقى الله ثراه الى البلاد الرومية وبروز أمره الشريف بذكر الفتوحات بها وتسمية البلاد

ركبون الثيران فيصدون البقر عن الشرب * الهامة كانوا يزعمون أن الانسان اذا قتل ولم يؤخذ بثاره يخرج من رأسه طائر يسمى الهامة وهو كالبومة فلا يزال يصيح على قبره اسقونى الى أن يؤخذ بثاره * وكان للعرب مذاهب فى الجاهلية فى النفس وتنازع فى كيفياتها فمنهم من زعم أن النفس هى الدم وأن الروح الهواء الذى فى باطن جسم الانسان الذى منه نفسه وقالوا ان الميت لا يوجد فيه الدم وانما يوجد فى الحياة مع الحرارة والرطوبة لان كل حى فيه حرارة ورطوبة فاذا مات ذهبت حرارته وحل به اليبس والبرودة وطائفة منهم يزعمون أن النفس طائر ينشط من جسم الانسان اذا مات أو قتل ولا يزال متصورا فى صورة الطائر يصرخ على قبره مستوحشا له وفى ذلك يقول بعضهم

سلط الموت والمنون عليهم * فلهم فى صدى المقابر هام

ثم جاء الاسلام والعرب ترى صحة أمر الهام حتى قال النبي صلى الله عليه وسلم لا عدوى ولا طيرة ولا صفر ولا هام وزعموا أن هذا الطائر يكون صغيرا ويكبر حتى يصير كضرب من البوم ويتوحش ويصرخ ويوجد فى الديار المعطلة والنواويس ومصارع القتلى ويزعمون أن الهامة لا تزال عند ولد الميت لتعلم ما يكون من خبره فتخبر الميت * الصفر زعموا أن الانسان اذا جاع عض على شرسوفه الصفر وهى حية تكون فى البطن * تثنية الضربة زعموا أن الحية تموت فى أول ضربة فاذا ثنيت عاشت * الغيلان والتغول للعرب فى الغيلان والتغول أخبار وأقاويل يزعمون أن الغول يتغول لهم فى الخلوات فى أنواع الصور فيخاطبونها وتخاطبهم وزعمت طائفة من الناس أن الغول حيوان مشؤم وانه خرج منفردا لم يستأنس وتوحش وطلب القفار وهو يشبه الانسان والبهيمة ويتراءى لبعض السفار فى أوقات الخلوات وفى الليل (وحكى) أن سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه رآه فى سفره الى الشأم فضربه بالسيف * وقال الجاحظ الغول كل شئ يتعرض للسيارة ويتلون فى ضروب من الصور والثياب وفيه خلاف وقالوا انه ذكر وأنثى الا أن أكثر كلامهم انه أنثى * وأما القطرب فى قولهم فهو نوع من الأشخاص المشيطنة يعرف بهذا الاسم فيظهر فى أكناف اليمن وصعيد مصر فى أعاليه وربما انه يلحق الانسان فينكحه فيدود دبره فيموت وربما فزع على الانسان وأمسكه ويقول أهل تلك النواحى التى ذكرناها أمنكوح هو أو مذعور فان كان قد نكحه أيسوا منه وان كان قد ذعر سكن روعه وشجع قلبه واذا رآه الانسان وقع مغشيا عليه ومنهم من يظهر له فلا يكترث به لشهامته وثبات قلبه

﴿ذكر الهواتف﴾ أما الهواتف فقد كانت كثرت فى العرب وكان أكثرها أيام مولد سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وان من حكم الهواتف أن تهتف بصوت مسموع وجسم غير مرئى ﴿ومن عجيب ما حكى من أمر الهواتف﴾ ما حكاه أبو عمرو بن العلاء قال خرجنا حجاجا فصاحبنا رجل وجعل يقول فى طريقه

ياليت شعرى هل بغت على * فلما انصرفنا من مكة قال الهاتف بعض الطريق فاجابه صوت فى الظلام * نعم نعم وناكها حبيبه * وهو رجل أحمر ضخم فى قفاه كيه * فسكت الرجل فلما سرنا الى البصرة أخبرنا ذلك الرجل قال دخل جيرانى يسلمون على فاذا فيهم رجل أحمر ضخم فى قفاه كية فقلت لأهلى من هذا قالت رجل كان ألطف جيراننا بنا فجزاه الله خيرا فسألتها عن اسمه فقالت حبيبة فقلت الحقى باهلك (وأما) بكاء المقتول فكانت النساء لا يبكين المقتول حتى يؤخذ بثاره فاذا أخذ بثاره بكينه (وأما) رمى السن فكانوا يزعمون أن الغلام اذا اثغر فرمى سنه فى عين الشمس بسبابته وابهامه وقال ابدلينى باحسن منها فانه يأمن على اسنانه العوج والفلج (وأما) خضاب النحر فكانوا اذا أرسلوا الخيل على الصيد فسبق واحد منها خضبوا صدره بدم الصيد علامة (وأما) نصب الراية فكانت العرب تنصب الرايات على أبواب بيوتها التعرف بها (وأما) جز النواصى فكانوا اذا اسروا رجلا ومنوا عليه وأطلقوه جزوا ناصيته (وأما) الالتفات فكانوا يزعمون أن من خرج سفرا والتفت وراءه لم يتم سفره فان التفت تطيروا له * وكانوا يقولون من علق عليه كعب الأرنب لم تصبه عين ولا سحر وذلك أن الجن تهرب من الأرنب لانها تحيض وليست من مطايا الجن ويزعمون أن المرأة اذا أحبت رجلا وأحبها ثم لم يشق عليها رداءه وتشق عليه برقعها فسد حبهما ويزعمون أن الرجل اذا قدم قرية فخاف وباءها فوقف على بابها قبل أن يدخلها ونهق كما ينهق الحمير لم يصبه وباؤها ويزعمون أن الحرقوص وهو دويبة أكبر من البرغوث تدخل فى فروج الأبكار فتفتضهن ويزعمون أن الرجل اذا ضل فقلب ثيابه اهتدى وكانوا

يزعمون

واستيعاب الرحلة الشريفة فى البشارة المجهزة الى الديار المصرية وأن لا يقرأها بالجوامع المطهرة غير مولانا شيخ الاسلام قاضى القضاة شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلانى الشافعى عظم الله شأنه فقرأها بالجامع المؤيدى والأزهر فى شهر رجب الفرد سنة ست عشرة وثمانمائة وقد عن لى أن أقرنها بالرحلة النباتية فانهما رحلتان (وهى) ضاعف الله تعالى نعمة الجناب العالى ولا زالت طرف أخبارها السارة تسر خاطره وتشنف سمعه وترفه بنسمات قربنا وتجاور كريم سمعه لياخذها بالشفعة وان حصل بينه وبين المسرة لبعدنا طلاق فانالنا الشريف بشره بالرجعة (صدرت) هذه المكاتبة تهدى اليه من أوراقها ثمرات الفتح ليتفكه بالفواكه الفتحية وتعرب عما أبدته عربياتنا من شواهد التسهيل فى فتح البلاد الرومية فانها رحلة مؤيدة تشد اليها الرحال وان كانت دول الاسلام حلة على أعطاف الدهر فوشى لها من أطهر الأذيال ونبدى لكريم علمه تجلى مخدرات الحصون بكل وجه حسن تحت عصابتها المؤيدية واستقرار سيس فى هذه الحلبة على قديم عادتها بين الجنائب الحلبية وفتح قلعتها وقد حرك بابها مصراعى شفتيه وأعلن بسورة الفتح جهرا وتلت أقفاله بعدما عسرت على الغير فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا وصعدت أنفاس الأدعية من أفواه مرامبها فرحا بنا وسرورا وبدلت صوامعها وتلك البيع بمساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا وأخلصت الطاعة لشيخ ملوك الأرض طائفتها الارمينية وانقطعوا فى زوايا الطاعة مريدين لهذه المشيخة الشريعية الصوفية ورغب ابن

يزعمون أن الناقة اذا نفرت وذكر اسم أمها فانها تسكن وكانت لهم خرزة يزعمون أن العاشق اذا حكها وشرب مايخرج منها صبر وتسمى السلوان * ونكاح المقت من سننهم وهو أن الرجل اذا مات قام ولده الا كبر فالقى ثوبه على امرأة أبيه فورث نكاحها فان لم يكن له بها حاجة زوجها بعض اخوته بمهر جديد فكانوا يرثون النكاح كما يرثون المال ولهم حكايات عجيبة وأحوال غريبة والله تعالى أعلم بالصواب واليه المرجع والمآب وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم

﴿ الباب الستون في الكهانة والقيافة والزجر والعرافة والفال والطيرة والفراسة والنوم والرؤية وما أشبه ذلك ﴾

(أما الكهانة) فكانت فاشية في الجاهلية حتى جاء الاسلام فلم يسمع فيه بكاهن وكان ذلك من معجزات النبوة وآياتها وللكهنة أخبار (فمنهم) سطيح ورد عليه عبد المسيح وهو يعالج الموت وأخبره على ما يزعمون بما جاء لأجله وذلك أن الموبذان رأى ابلا صعابا تقود خيلا عرابا قد قطعت دجلة وانتشرت في بلادها فلما أصبح أعلم كسرى بذلك فتصبر كسرى تشجعا ثم رأى أن لا يكتم ذلك عن وزرائه ورؤساء مملكته فلبس تاجه وقعد على سريره وجمع وزراءه ورؤساء مملكته فأخبرهم بالخبر فبينما هم كذلك اذ ورد عليهم كتاب بخمود النيران وارتجاس الايوان فازدادوا غما على غمهم فكتب كسرى كتابا الى النعمان بن المنذر أما بعد فوجه الى رجلا عالما بما أريد أن أسأله عنه فوجه اليه عبد المسيح الغساني فقال له كسرى أعندك علم بما أريد أن أسألك عنه قال ليخبرني الملك فان كان عندي علم منه والا أخبرته بمن يعلمه فأخبره بما رآه الموبذان فقال علم ذلك عند كاهن يسكن مشارف الشام يقال له سطيح قال فأته فاسأله عما سألتك وائتني بالجواب فركب عبد المسيح وتوجه الى سطيح فوجده قد أشرف على الضريح فسلم عليه وحياه ولم يخبره عبد المسيح بما جاء بسببه غير أنه أنشده شعرا يذكر فيه أنه جاء برسالة من قبل ملك العجم ولم يذكر له السبب فرفع رأسه وقال عبد المسيح على جمل يسيح الى سطيح بعثك ملك بني ساسان لارتجاس الايوان وخمود النيران ورؤيا الموبذان رأى ابلا صعابا تقود خيلا عرابا قد قطعت الدجلة وانتشرت في بلادها يا عبد المسيح اذا كثرت التلاوه وفاض وادي سماوه وغاضت بحيرة ساوه وخمدت نار فارس فليس الشام لسطيح شاما ولا العجم لعبد المسيح مقاما يرتفع أمر العرب وأظن ان وقت ولادة محمد قد اقترب يملك منهم ملوك وملكات بعدد الشرافات وكل ما هو آت آت ثم قضى سطيح مكانه فثار عبد المسيح الى راحلته وعاد فأخبر كسرى بذلك (وحكى) أن ربيعة بن مضر اللخمي رأى مناما هاله فأراد تفسيره فقال له أهل مملكته ما يفسره الا شق وسطيح فأحضرهما وقال لسطيح اني رأيت مناما هالني فان عرفته فقد أصبت تفسيره فقال رأيت جمجمة خرجت من ظلمة فوقعت بأرض تهمة فأكل منها كل ذات جمجمة فقال له الملك ما أخطأت شيأ فما تفسيره قال ليهبطن بأرضك الحبش وتملك ما بين أبين الى جرش فقال الملك ان هذا الغائظ موجع فتى هو كائن أفي زماني أم بعده قال بل بعده بحين أكثر من ستين أو سبعين تمضي من السنين ثم يقتلون بها أجمعين ويخرجون منها هاربين قال ومن ذا الذي يملك بعدهم قال أراه ذا يزن يخرج عليهم من عدن فما يترك منهم أحدا باليمن قال الملك فيدوم ذلك أم ينقطع قال بل ينقطع قال ومن يقطعه قال نبي زكي يأتيه الوحي من العلى قال وعمن يكون هذا النبي قال من ولد عدنان بن فهر بن مالك بن النضر يكون في قومه الملك الى آخر الدهر قال وهل للدهر من آخر قال نعم يوم يجمع فيه الأولون والآخرون ويسعد فيه المحسنون ويشقى المسيؤن قال أوحق ما تخبر قال والشفق والقمر اذا اتسق ان ما نبأتك به لحق ثم دعا بشق فقال مثل ما قال سطيح * ومن ذلك ما حكى ان أمية بن عبد شمس دعا هاشم بن عبد مناف الى المفاخرة فقال له هاشم أفاخرك على خمسين ناقة سود الحدق تنحر بمكة فرضي أمية بذلك وجعلا بينهما الخزاعي الكاهن حكما فخبآ له شيأ وخرجا اليه ومعهما جماعة من قومهما فقالوا قد خبأنا لك خبيأ فان علمته تحا كمنا اليك وان لم تعلمه تحا كمنا الى غيرك فقال لقد خبأتم لي كيت وكيت قالوا صدقت احكم بين هاشم بن عبد مناف وبين أمية بن عبد شمس أيهما أشرف بيتا ونسبا ونفسا فقال والقمر الباهر والكوكب الزاهر والغمام الماطر وما بالجو من طائر وما اهتدى بعلم مسافر لقد سبق هاشم أمية الى المآثر ولأمية أواخر فأخذ هاشم الابل ونحرها وأطعمها من حضر وخرج أمية الى

زمضان في طاعتنا الشريفة فجعلنا له في ربيع حلاوة الرغائب ورفعنا قواعد بيته الابراهيمي وأدنيناه من أرمنة فدنا منها الى أعلى المراتب وتلمظت سيوفنا بحلاوة الفتح ورشفت بألسنتها في كل قطر قطرها ففتحت اياس من بعيد لهذه الحلاوة ثغرها وانسجمت أبياتها المانظمت على بسيط الطاعة بحرها ومص حصن مصيصة من رحيق هذه الطاعة فامسى ثغره بأفواه الشكر يقبل وبسط جبين جسره لمواطئ خيلنا فرحة وتهلل وجانس الفتح بين اياس وبانياس ولم ينتظم لبني كند بيت علطية يقام له وزن ويظهر منه اقتباس وانعكس هذا الاسم بعد الاستحالة وان كان مما لا يستحيل بالانعكاس وتسجر كافرهم وقد أضرم به النار فخاطبته بلسان جمر لا يفهم

وماهو الا كافر طال عمره

فجاءته لما استبطأته جهنم

وفر الى ملك عثمان فكمنا بقتله في تلك الارض علما أن الجهاد في أعداء الدين عند العصابة المحمدية من الفرض وسمع العصاة بطرسوس زئير آسادنا من بعيد فأدبر مقبلهم وتخيل ان الموت أقرب اليه من حبل الوريد وأعربت أبوابها بعد كسرة عن الفتح وقال أهلها ادخلوها بسلام آمنين وأوى العصاة الى جبل القلعة لما رأوا بعد القتال هذا الفتح المبين وصفع مقبلهم وجهه فبصقت فيه أفواه المدافع وحكم عليه القضاء بالاعتقال ولم يأت عند ذلك الحكم بدافع وشاهد القرمانيون من سيوفنا شدة القرم فخشى كل منهم أن يصير لحما على وضم ورأوا ألسن السهام في أفواه تلك المرامى برأينا الصائب ناطقة وما أظهروا على سماء برج غيوم ستائر الا لمعت فيها من بوارق نفوطنا بارقة فخرقوا الاطواق من الحنق فطوقناهم

الشام وأقام بها عشر سنين ويقال انها أول عداوة وقعت بين بني هاشم وبين أمية ﴿وحكى﴾ ان هند بنت عتبة بن ربيعة كانت تحت الفاكه بن المغيرة وكان الفاكه من فتيان قريش وكان له بيت ضيافة خارجا عن البيوت تغشاه الناس من غير اذن فخلا البيت ذات يوم واضطجع فيه هو وهند ثم نهض لحاجة فأقبل رجل ممن كان يغشى البيت فولجه فلما رأى هندا رجع هاربا فلما نظره الفاكه دخل عليها فضربها برجله وقال لها من هذا الذي خرج من عندك قالت ما رأيت أحدا قط وما انتبهت حتى أنبهتني قال فارجعي الى بيت أبيك وتكلم الناس فيها فقال أبوها يا بنية ان الناس قد أكثروا فيك الكلام فان يكن الرجل صادقا فادسيت عليه من يقتله لينقطع كلام الناس وان يك كاذبا حاكمته الى بعض كهان اليمن فقالت له لا والله ما هو علي بصادق فقال له يا فاكه انك قد رميت ابنتي بأمر عظيم فحاكمني الى بعض كهان اليمن فخرج الفاكه في جماعة من بني مخزوم وخرج أبوها في جماعة من بني عبد مناف ومعهم هند ونسوة فلما شارفوا البلاد قالوا غدا نرد على هذا الرجل فتغيرت حالة هند فقال لها أبوها اني أرى حالك قد تغير وما هذا الا لمكروه عندك فقالت لا والله ولكن أعرف أنكم تأتون بشرا يخطىء ويصيب ولا آمنه أن يسمني بسيما تكون علي سبة فقال لها الا تخشي فسوف أختبره فصفر لفرسه حتى أدلى ثم أدخل في احليله حبة حنطة وربطه فلما أصبحوا قدموا على الرجل فأكرمهم ونحر لهم فلما تغدوا قال له عتبة قد جئناك في أمر وقد خبأنا لك خبيئة نختبرك بها قال خبأتم لي ثمرة في كمرة قال اني أريد أبين من هذا قال حبة بر في احليل مهر قال فانظر في أمر هؤلاء النسوة فجعل يأتي الى كل واحدة منهن ويضرب بيده على كتفها ويقول لها انهضي حتى بلغ هندا فقال انهضي غير رسحاء ولا زانية وستلدين ملكا اسمه معاوية فنهض اليها الفاكه فأخذ بيدها فجذبت يدها من يده وقالت اليك عني فوالله اني لأحرص أن يكون ذلك من غيرك فتزوجها أبو سفيان فولدت منه أمير المؤمنين معاوية رضي الله تعالى عنه ﴿وأما القيافة﴾ فهي على ضربين قيافة البشر وقيافة الأثر * فأما قيافة البشر فالاستدلال بصفات أعضاء الانسان وتختص بقوم من العرب يقال لهم بنو مدلج يعرض على أحدهم مولود في عشرين نفرا فيلحقه بأحدهم ﴿وحكي﴾ عن بعض أبناء التجار أنه كان في بعض أسفاره راكبا على بعيره يقوده غلام أسود فمر بهؤلاء القبيلة فنظر اليه واحد منهم وقال ما أشبه الراكب بالقائد قال ولد التاجر فوقع في نفسي من ذلك شيء فلما رجعت الى أمي ذكرت لها القصة فقالت يا ولدي ان أباك كان شيخا كبيرا ذا مال وليس له ولد فخشيت أن يفوتنا ماله فمكنت هذا الغلام من نفسي فحملت بك ولولا ان هذا شيء ستعلمه غدا في الدار الآخرة لما أعلمتك به في الدنيا * وأما قيافة الاثر فالاستدلال بالأقدام والحوافر والخفاف وقد اختص به قوم من العرب أرضهم ذات رمل اذا هرب منهم هارب أو دخل عليهم سارق تتبعوا آثار قدمه حتى يظفروا به ومن العجب انهم يعرفون قدم الشاب من الشيخ والمرأة من الرجل والبكر من الثيب والغريب من المستوطن ويذكر ان في قطية وثغر البرلس أقواما بهذه الصفة وقد وقعت من قريش حين خرج النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر الى الغار على صخر صلد وأحجار صم ولا طين ولا تراب تبين فيه الاقدام فحجبهم الله تعالى عن نبيه صلى الله عليه وسلم بما كان من نسج العنكبوت وما لحق القائف من الحيرة وقوله الى ههنا انتهت الاقدام هذا ومعهم الجماعة من قريش وأبصارهم سليمة ولولا ان هنالك لطيفة لا يتساوى الناس فيها يعني في علمها لما استأثر بعلم ذلك طائفة دون أخرى وقيل ان القيافة لبني مدلج في أحياء مضر واختلف رجلان من القافة في أمر بعير وهما بين مكة ومنى فقال أحدهما هو جمل وقال الآخر هي ناقة وقصدا يتبعان الاثر حتى دخلا شعب بني عامر فاذا بعير واقف فقال أحدهما لصاحبه أهو ذا قال نعم فوجداه خنثى فأصابا جميعا * ومنهم من كان يخط الرمل في الارض ويقول فيوافق قوله ما يأتي بعد وقال رجل شردت لي ابل فجئت الى خراش فسألته عنها فأمر بنته أن تخط لي في الارض فخطت ثم قامت فضحك خراش ثم قال أتدري قيامها لأي شيء قلت لا قال قد علمت انك تجد ابلك وتتزوجها فاستحييت ثم خرجت فوجدت ابلي ثم تزوجتها * وخرج عمرو بن عبد الله بن معمر ومعه مالك بن خراش الخزاعي غازيين فمرا بامرأة وهي تخط للناس في الارض فضحك منها مالك هزؤا وقال ما هذا فقالت أما والله لا تخرجن من سجستان حتى تموت ويتزوج عمرو هذا زوجتك فكان كما ذكرت (وأما الزجر والعرافة) فأحسنه ما روى ان كسرى ابرويز بعث الى النبي صلى الله عليه وسلم حين بعث زاجرا ومصورا

بالحديد وأحيينا الفتح المأمول برأينا الرشيد وما خفي عن كريم علمه وقوع انتقامنا الشريف في الغادر ابن الغادر لما أدبر وقطع الله دابره وظهور السر الابراهيمي لما ادعى انه نمروذ تلك الفئة الغادرة كلمه بسيوفنا فأخرسه وتخبطه شيطان الرعب بمسه ورأى فيه تلك الهمة العالية فنجا من تلك الوقعة بفرسه ونفسه وأوى من قبل الى جبل ليعصمه فقال له لا عاصم اليوم من أمر الله ورماه من شاهقه في بحر عساكرنا بعدما عض عليه بثناياه وسمع الرعد من سيف ابراهيم ففر وقد شاهد من أصيب بصواعقه من عصاة التركمان وصدقت فيه عزائم أتراكنا وما روي أحد في ذلك اليوم من الترك مان وسقوا وعار تلك الجبال من دمائهم فكادت أحجارها أن تورق وتخضب بعد المحل وجنوا بالعسال على النصر وغنموا من الانعام ما زاد في عدد أجناسه على المحل ونفرت عنهم أوانس تلك الظباء والمتيم ينشد * لهفي لظبية أنس منكم نفرت * وانفطرت كبده لما رأى كواكب الحي من أفلاك تلك الصدور قد انتثرت وسن المقر الصارمي فيهم عزمه فقطع بهذا الصارم من عواتقهم أوصالا وحميت نار حربه فسبكت أوانيهم من الذهب والفضة تحت حوافر خيله نعالا ورخصت أنواع الديباج فكم من معدني صارمع دفلان قبورهم بعثرت وتلا لسان حال الكسب على السمور وغيره من أصناف الوبر واذا الوحوش حشرت وانقادت ركائبهم الينا وبدور مواطئها في بروج تلك الجبال قد أشرقت والتناظر يتلو متعجبا أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت وكانت نار حرب القوم على المقر الابراهيمي بردا وسلاما فانه رفع قواعد بيته في ذلك اليوم

فقال للزاجر انظر ماترى فى طريقك وعنده وقال للمصور ائتنى بصورته فلما عاد اليه أعطاه المصور صورته صلى الله عليه وسلم فوضعها كسرى على وسادته ثم قال للزاجر ماذا رأيت قال ما رأيت ما أزجر به الا أنه سيعلو أمره عليك لانك وضعت صورته على وسادتك * وبعث صاحب الروم الى النبى صلى الله عليه وسلم رسولا وقال له انظر اليه ومل الى جانبه وانظر الى ما بين كتفيه حتى ترى الخاتم والشامة فقدم الرسول فرأى النبى صلى الله عليه وسلم على نشز عال واضعا قدميه فى الماء وعن يمينه على رضى الله تعالى عنه فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له تحول فانظر ما أمرت به فنظر الرسول فلما رجع الى صاحبه أخبره الخبر فقال ليعلون أمره وليملكن ما تحت قدمى فتفاءل بالنشز العلو وبالماء الحياة * وقال المداينى وقع الطاعون بمصر فى ولاية عبد العزيز بن مروان حين أتاها فخرج هاربا ونزل بقرية من قرى الصعيد فقدم عليه حين نزلها رسول لعبد الملك بن مروان فقال للرسول ما اسمك قال طالب بن مدرك فقال أوّاه ما أظن أنى أرجع الى الفسطاط فمات ولم يرجع وكانت نائلة بنت عمار الكلبى تحت معاوية فقال لفاختة بنت قرظة اذهبى فانظرى اليها فذهبت ونظرت فقالت ما رأيت مثلها ولكنى رأيت تحت سرتها خالا ليوضعن معه رأس زوجها فى حجرها فطلقها معاوية وتزوجها بعده رجلان حبيب بن مسلمة والنعمان بن بشير فقتل أحدهما ووضع رأسه فى حجرها وبينما مروان بن محمد جالس فى ايوانه يتفقد الأمور اذ تصدعت زجاجة من الايوان فوقعت منها الشمس على منكب مروان وكان هناك عراف وقيل قياف فقام فتبعه ثوبان مولى مروان فسأله فقال صدع الزجاج صدع السلطان ستذهب الشمس بملك مروان بقوم من الترك أو خراسان ذلك عندى واضح البرهان فما مضى غير شهرين حتى مضى ملك مروان (وروى) المداينى ان عليا رضى الله تعالى عنه بعث معقلا فى ثلاثة آلاف ليقيم بالرقة وذلك فى وقعة صفين فسار حتى نزل الحديبية فبينما هو ذات يوم جالس اذ نظر الى كبشين ينتطحان فجاء رجلان فأخذ كل واحد منهما كبشا فذهب به فقال شداد بن أبى ربيعة الخثعمى الزاجر انكم لتنصرفون من وجهكم هذا لا تغلبون ولا تغلبون أما ترى الكبشين كيف انتطحا حتى حجز بينهما فافترقا ولا فضل لاحدهما على الآخر (وحكى) أن الاسكندر ملك بعض البلاد فدخل فيها فوجد امرأة تنسج ثوبا فلما رأته قالت له أيها الملك قد أعطيت ملكا ذا طول وعرض ثم دخل عليها بعد ذلك فقالت ستعزل من الملك قال فغضب عند ذلك فقالت له لا تغضب فانك فى المرة الأولى دخلت على والشقة بيدى أدير طولها وعرضها ودخلت على الآن والشقة فى يدى أريد قطعها لأنى قد فرغت من نسجها فلا تغضب فان النفوس تعلم أشياء بعلامات قال الراوى فكان كذلك (وحكى) أن سيف بن ذى يزن لما استنجد كسرى على قتال الحبشة بعث اليه بجيش عظيم فخرج اليهم ملك الحبشة وهو مسروق بن أبرهة فى مائة ألف من الحبشة وكان بين عينيه ياقوتة حمراء بعلاقة من الذهب على تاجه تضىء كالنور وهو على فيل عظيم قال وكان فى عسكر ذى يزن رجل يقال له زهير فتأمل ذلك منه ثم قال لأميره اصبر لننظر ما يكون من أمره قال فتحول مسروق من الفيل الى جمل فقال اصبر فتحول بعد ذلك الى فرس ثم الى بغل ثم الى حمار وكأنه أنف من مقاتلتهم على شىء من ذلك الا على حمار لما أنه استصغرهم واستحقرهم وتفرس ذلك الرجل فيه من الانتقال من أعلى الى أدنى وقال احملوا عليهم فان ملكهم قد ذهب فانه انتقل من كبير الى صغير فحملوا عليهم فكسروهم وقتل الملك (وحكى) أنه كان عراف من الطرقيين ببغداد يخبر بما يسئل عنه فلم يخطئ فسأله رجل عن شخص محبوس هل ينطلق قال نعم ويخلع عليه قال فقلت له بأى شىء عرفت ذلك فقال انك لما سألتنى التفت يمينا وشمالا فوجدت رجلا على ظهره قربة ماء ففرغها ثم حملها على كتفه فأوّلت الماء بالمحبوس وتفريغه بالانطلاق ووضعها على كتفه بالخلعة قال وكان الأمر كذلك (وأما الفال) فقد روى أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يحب الفأل الصالح والاسم الحسن وروى أنه صلى الله عليه وسلم لما نزل المدينة على كلثوم دعا غلامين له يا بشار ويا سالم فقال صلى الله عليه وسلم لأبى بكر رضى الله تعالى عنه ابشر يا أبا بكر فقد سلمت لنا الدار وقال الأصمعى سألت ابن عون عن الفال فقال هو أن يكون مريضا فيسمع يا سالم أو طالب حاجة فيسمع يا واجد وما أشبه ذلك (وأما الطيرة) فقد كان صلى الله عليه وسلم يحب الفال ويكره الطيرة وقيل ذكرت الطيرة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من عرض له من هذه الطيرة شىء فليقل اللهم لا طير الا طيرك ولا خير الا خيرك ولا اله غيرك ولا حول ولا قوة الا بالله

وكسرنا منه الثنيه وأمست حلق مراميها كالخواتم فى أصابع سهامنا المستويه وخرجت ظاهرها فركبنا عليه سفن جسور على الزحف جاسرة وأقلعنا الى خشب سفنها المسندة فزقنا قلوع سائرها وخربنا قريتها العامرة هذا مع أن الملك خطبها لنفسه وأراد أن يعرج اليها فترفعت عليه ولم ترضه لنقص العرج أن يعلو عليها فرحل عنها ولم يحظ من ديوان وصلها بسموح ولكن ساعة رؤيتها قالت بكارتها مرحبا بأبى النصر وأبى الفتوح وتعلق سكانها باذيال الامان فامناهم ولكن كانوا فى صدرها غلا فنزعناهم وجاءت مفاتيح جندروس قبل التخاص منها بأربعة فأحسنا الختام بدرندة وألقينا كسر الدافع على حجرها الذى كان غير مكرم وأحسنا التدبير فى الصناعة وسمعت كرت برت بذلك فألقت من بها من بشر معطلة وزهت فرحة بقصرها المشيد ووصلت مفاتيحها يوم هذا الفتح مهنئة بلسانها الحديد وغارت عروس بهنتان من ذلك فخطبتنا بجمالها البارع وجهزت كتابها يشهد لها بالخلو من الموانع وهى أيضا ممن خطبها الملك لنفسه فتمنعت وأراد السمو الى أفقها العالى فاستسفلته وترفعت وعوت كلابه فلقمتهم ما ثقل وزنه من أحجارها الثقال خلافا لمن أصبح الصخر عنده مثقالا بمثقال وعلم طغرق أن سهامنا فى كل عضو من أعضاء العصاة جارحه وأفواه مدافعنا فى أعراض الصخور من سائر القلاع قادحة فقبث يداه عن المنع وجنح الى الاخلاص فسابقه باب القلعة ورفع صوته فى الفاتحة وضحك ناموس ملكنا الشريف على من ادعى بكختا وكركر ولكن أبكتهم سهامنا دما جرى من محاجر القلعتين ولم يتعثر وقلل حصن كختان

العلى العظيم وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال ليس منا من تطير أو تطير له أو تكهن أو تكهن له وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما رفعه من اقتبس علما من النجوم اقتبس شعبة من السحر وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه رفعه من أتى كاهنا فصدقه فيما يقول أو أتى امرأته حائضا أو أتى امرأته فى دبرها فقد برئ مما نزل على محمد وأنشد المبرد هذه الابيات يقول

لا يعلم المرء ليلا ما يصبحه * الا كواذب ما يجرى به الفال
والفال والزجر والكهان كلهم * مضللون ودون الغيب اقفال

(وقال لبيد) لعمرى ما تدرى الطوارق بالحصى * ولا زاجرات الطير ما الله صانع

(وقال آخر) تعلم أنه لا طير الا * على متطير وهو الثبور
بلى شئ يوافق بعض شئ * أحايينا وباطله كثير

وكانت العرب تتطير بأشياء كثيرة منها العطاس وسبب تطيرهم منه ان دابة يقال لها العاطوس كانوا يكرهونها وكانوا اذا أرادوا سفرا خرجوا من الغلس والطير فى أوكارها على الشجر فيطيرونها فان أخذت يمينا أخذوا يمينا وان أخذت شمالا أخذوا شمالا ومنه قول امرئ القيس

وقد اغتدى والطير فى وكناتها * بمنجرد قيد الأوابد هيكل
مكر مفر مقبل مدبر معا * كجلمود صخر حطه السيل من عل

والعرب أعظم ما تتطير منه الغراب فالقول فيه أكثر من أن يطلب عليه شاهد ويسمونه حاتما لأنه يحتم عندهم بالفراق ويسمونه الأعور على جهة التطير اذ كان أصح الطير بصرا وفيه يقول بعضهم

اذا ما غراب البين صاح فقل له * ترفق رماك الله يا طير بالبعد
لأنت على العشاق أقبح منظر * وأبشع فى الأبصار من رؤية اللحد
تصيح ببين ثم تعثر ماشيا * وتبرز فى ثوب من الحزن مسود
متى صحت صح البين وانقطع الرجا * كأنك من يوم الفراق على وعد

وأعرض بعضهم عن الغراب وتطير بالابل وسبب ذلك لكونها تحمل أثقال من ارتحل وفى ذلك قال بعضهم مفردا وأجاد

زعموا بأن مطيهم سبب النوى * والمؤذنات بفرقة الأحباب

وقالوا من تطير من شئ وقع فيه (وحكى) عن ابراهيم بن المهدى قال أرسل الى محمد بن زبيدة فى ليلة من ليالى الصيف مقمرة يقول يا عم انى مشتاق اليك فاحضر الآن عندنا فجئته وقد بسط له على سطح زبيدة وعنده سليمان بن أبى جعفر وجارية نعيم فقال لها غنينا شيأ فقد سررت بعمومتى فغنت وهى تقول هذه الابيات

هم قتلوه كى يكونوا مكانه * كما فعلت يوما بكسرى مرازبه
بنى هاشم كيف التواصل بيننا * وعند أخيه سيفه ونجائبه

قال فغضب وتطير وقال لها ما قصتك ويحك انتبهى وغنى ما يسرنى فغنت تقول

كليب لعمرى كان أكثر ناصرا * وأكثر جرما منك ضرج بالدم

فقال لها ويحك ما هذا الغناء فى هذه الليلة غنى غير هذا فغنت تقول هذه الابيات

مازال يعدو عليهم ريب دهرهم * حتى تفانوا وريب الدهر عداء
تبكى فراقهم عينى فأرقها * ان التفرق للمشتاق بكاء

قال فانتهرها وقال لها قومى الى لعنة الله فقالت والله يا مولاى لم يجر على لسانى غير هذا وما ظننت الا أنك تحبه ثم انها قامت من بين يديه وكان بين يديه قدح بلور كان أبوه يحبه فأصابه طرف ردائها فانكسر قال ابراهيم بن المهدى فالتفت الى وقال يا عمى أرى ان هذا آخر أمرنا فقلت كلا بل يبقيك الله يا أمير المؤمنين ويسرك فسمعت هاتفا يقول قضى الأمر الذى فيه تستفتيان فقال لى أسمعت ما سمعت يا عم فقلت ما سمعت شيأ وما هذا الا توهم فاذا الصوت قد علا فقال يا عم اذهب الى بيتك فمحال أن يكون بعد هذا اجتماع قال فانصرفت من عنده وكان هذا آخر عهدى به * وخرج أبو الشمقمق مع خالد بن يزيد بن مزيد وقد تقلد الموصل فلما أراد الدخول اليها اندق لواؤه فى أول درب منها فتطير لذلك فأنشده أبو الشمقمق يقول

وعلمنا ان الله قد جعل لابراهيم فى هذا البيت الشريف مقاما ورقاه فى عمر الابدار الى بروج الكمال فابدر فيها وسرى وأنشد لسان الحال بهذا المقال

وقد ظهرت فلا تخفى على أحد
الا على أكمه لا يعرف القمرا

وان كان شبلا فهو فى الخبر كاسده ومصارع ليوث الحرب قد جعلها الله من صغره تحت يده ورفع له فى هذا المبتدا وسيره فى الآفاق خبرا وعلم الأعداء ان دمعهم يجرى عند لقائه دما وكذا جرى وهذه المقابلة تليق بابن الغادر على قبح سريرته وغدره فانه أخرج أهل تلك البلاد من أرضهم بظلمه لا بسهره وسأل التأهيل لذلك فى ولده وقد كره العود اليه وألف أبوتنا الشريفة وتوطن فرددناه الى أمه كى تقر عينها ولا تحزن عليه فخالف نص الكتاب ومشى فى ظلم الطغيان ولم يعمل بقوله تعالى هل جزاء الاحسان الا الاحسان فقابلته سطواتنا الشريفة على قوله وفعله وما حاق المكر السيئ الا بأهله وحل ركابنا الشريف بالابلستين فى العشرين من ربيع الآخر فجمعنا بحصنها الزاهر بين ربيعين وتممناها بعشر الاقامة لاستيفاء ما النا فى ذمة جيرانها من الدين فرحبت بنا وبسطت بساطها الاخضر وقالت على الرأس والعين وألقتنا الى درندة وما العيان من صنع الله فى أخذها كالخبر وقررنا صدع صخورها باختلاف الآلات فجاء ما قررناه نقشا على حجر وادعت ان صخرها أصم فأسمعناه من آذات المرامى تنقير المدافع وتحريك الوتر وطلعت فى ظهر الجبل كدمل فطار كل جارح من سهامنا بريشه الى فكها وظنت صون من بها العلو وذلك السفح فطالت سيوفنا الى دماء القوم وسفحها وقرعنا جبلها بسبابات المدافع

ما كان منـدق اللواء لريبـة * تخشى ولا أمر يكون مبـذلا
لـكن هذا الرمح ضعف متنه * صغر الولاية فاستقل الموصلا

فسر خالد وأمر لابى الشمقمق بعشرة آلاف درهم * ودخل الحجاج الكوفة متوجها الى عبد الملك فصعد المنبر فانكسر تحت قدمه لوح فعلم أنهم قد تطيروا له بذلك فالتفت الى الناس قبل أن يحمد الله تعالى فقال شاهت الوجوه وتبت الايدى وبؤتم بغضب من الله اذا انكسر عود جذع ضعيف تحت قدم أسد شديد تفاءلتم بالشؤم وانى على أعداء الله تعالى لانكد من الغراب الابقع وأشأم من يوم نحس مستمر وانى لاعجب من لوط وقوله لو أن لى بكم قوة أو آوى الى ركن شديد فأى ركن أشد من الله تعالى أوما علمتم ما أنا عليه من التوجه الى أمير المؤمنين وقد وليت عليكم أخى محمد بن يوسف وأمرته بخلاف ما أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذا فى أهل اليمن فانه أمره أن يحسن الى محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم وقد أمرته أن يسىء الى محسنكم وأن لا يتجاوز عن مسيئكم وأنا أعلم أنكم تقولون بعدى لا أحسن الله له الصحابة وأنا معجل لكم الجواب لا أحسن الله عليكم الخلافة أقول قولى هذا وأستغفر الله العظيم لى ولكم * وخرج بعض ملوك الفرس الى الصيد فاوّل من استقبله أعور فضربه وأمر بحبسه ثم ذهب للصيد فاصطاد صيدا كثيرا فلما عاد استدعى بالاعور فأمر له بمال فقال لا حاجة لى به ولكن ائذن لى فى الكلام فقال تكلم فقال أيها الملك انك لقيتنى فضربتنى وحبستنى ولقيتك فصدت وسلمت فاينا أشأم صباحا على صاحبه فضحك منه وأمر له بصلة ﴿وحكى﴾ أيضا أن صاحب قرطبة أصابه وجع فأمر بعض جواريه أن تغنيه ليلهو عن وجعه فقالت مفردا

هذى الليالى علمنا أن ستطوينا * فشعشعيها بماء المزن واسقينا

قال فتطير من ذلك وأمرها بالانصراف ولم يقم بعد ذلك غير خمسة أيام ومات ﴿وحكى﴾ أن نور الدين محمودا وهمام الدين ركبا فى يوم عيد وخرجا للتفرج فتجاولا فى الكلام ثم قال محمود يا من درى هل نعيش الى مثل هذا اليوم فقال له همام الدين قل هل نعيش الى آخر هذا الشهر فان العام كثير قال فاجرى الله على منطقهما ما كان مقدرا فى الازل فمات أحدهما قبل تمام الشهر ومات الآخر قبل تمام العام ﴿وأما الفراسة﴾ فقد قال الله تعالى ان فى ذلك لآيات للمتوسمين وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله وقال على رضى الله تعالى عنه ما أضمر أحد شيأ الا ظهر فى فلتات لسانه وصفحات وجهه وقيل أشار ابن عباس رضى الله تعالى عنهما على على رضى الله تعالى عنه بشئ فلم يعمل به ثم ندم فقال يرحم الله ابن عباس كأنما ينظر الى الغيب من ستر رقيق ﴿وحكى﴾ أبو سعيد الخراز انه كان فى الحرم فقير ليس عليه الا ما يستر عورته فانفت نفسى منه فتفرس ذلك منى فقرأ واعلموا أن الله يعلم ما فى أنفسكم فاحذروه فندمت واستغفرت الله فى قلبى فتفرس ذلك أيضا فقرأ وهو الذى يقبل التوبة عن عباده ﴿وحكى﴾ عن الشافعى ومحمد بن الحسن انهما رأيا رجلا فقال أحدهما انه نجار وقال الآخر انه حداد فسألاه عن صنعته فقال كنت حدادا وأنا الآن نجار ﴿وحكى﴾ أن شخصا من أهل القرآن سأل بعض العلماء مسئلة فقال له اجلس فانى أشم منك لامك رائحة الكفر فاتفق بعد ذلك أنه سافر السائل فوصل الى القسطنطينية فدخل فى دين النصرانية قال من رآه واقد رأيته متكئا على دكة وبيده مروحة يروّح بها عليه فقلت السلام عليك يا فلان فسلم على وتعارفنا ثم قلت له بعد ذلك هل القرآن باق على حاله أم لا فقال له لا أذكر منه الا آية واحدة وهى قوله تعالى ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين قال فبكيت عليه وتركته وانصرفت وكان الحسن بن السقاء من موالى بنى سليم ولم يكن فى الارض أحزر منه كان ينظر الى السفينة فيحزر ما فيها فلا يخطئ وكان حزره للمكيول والموزون والمعدود سواء كان يقول فى هذه الرمانة كذا وكذا حبة وزنتها كذا وكذا ويأخذ العود الآس فيقول فيه كذا وكذا ورقة فلا يخطئ وقالوا اذا رأيت الرجل يخرج بالغداة ويقول لشئ وما عند الله خير وأبقى فاعلم ان فى جواره وليمة ولم يدع اليها واذا رأيت قوما يخرجون من عند قاض وهم يقولون ما شهدنا الا بما علمنا فاعلم أن شهادتهم لم تقبل واذا قيل للمتزوج صبيحة البناء على أهله كيف ما قدمت عليه فقال الصلاح خير من كل شئ فاعلم أن امرأته قبيحة واذا رأيت انسانا يمشى ويلتفت فاعلم انه يريد أن يحدث واذا رأيت فقيرا يعدو ويهرول فاعلم انه فى حاجة غنى واذا رأيت رجلا خارجا من عند الوالى وهو يقول يد الله فوق أيديهم فاعلم انه صفع

كانت قلعة نجم عقابا فى عقاب فالنسر الطائر يخفق تحت قادمتى أجنحته أو كان الهلال قلامة لاظفارها التى علاها من الاصيل خضاب فكف الخضيب يتيمم تربى ويمسح بياض جبهته فأنا الهيكل الذى ذاب قلب الاصيل على تذهيبه وود دينار الشمس أن يكون من تعاويذه والشجرة التى لولا سموّ فرعها تفكهت بحبات الثريا وانتظمت فى سلك عناقيده وتشامخ هذا الحصن ورفع أنف جبله وتشامم فارمدنا عيون مراميه بدم القوم وأميال سهامنا على تكحيلها تتزاحم ووصل النقب بتنقيبه عن مقاتلهم الى الصواب وأيقنوا ان بعده لم يضرب بيننا بسور له باب وكان منهل ماتهم عذبا فأكثرنا على منبعه الزحام وتطفلوا على رضاع ثدى دلوه فلم ترض أم المنع بغير الفطام وأمسى دلوهم كدلو أبى زيد السروجى لا يرجع ببله ولا يجاب نقع غله وحكم المدفع الكبير على سور القلعة فقال له السور دائم النفوذ والاحكام وانقلبوا صاغرين الى الطاعة وقد قابلنا أنف جبلهم بالارغام ورجعوا عن خليلهم الكردى لما قام لهم على جهله الدليل وقالوا طاعة السلطنة الشريفة ما يراعى فيها من العصاة خليل وسألونا الصفح عن حديث جهلهم القديم وسلموا القلعة لرضا خواطرنا الشريفة فجمعوا بذلك بين الرضا والتسليم وتنكرت أكراد كركر بسور القلعة فعرفناهم بلامات القسى وألفات السهام وعطست أنوف مراميهم باصوات مدافعنا كان بها زكام وتبرموا من خليلهم الكردى لما شاهدا الخطب جليلا وقال كل منهم يا ليتنى لم أتخذ فلانا خليلا وأورت عاديات المدافع بالقلعة قدحا فأمست بالزلزلة مهددة

و يقال عين المرء عنوان قلبه وكانوا يقولون عظم الجبين يدل على البله وعرضه يدل على قلة العقل وصغره يدل على لطف الحركة واذا وقع الحاجب على العين دل على الحسد والعين المتوسطة في حجمها دليل الفطنة وحسن الخلق والمروءة والتي يطول تحديقها يدل على الحمق والتي يكسر طرفها تدل على خفة وطيش والشعر في الاذن يدل على جودة السمع والاذن الكبيرة المنتصبة تدل على حمق وهذيان وكانت الفرس تقول اذا فشا الموت في الوحوش دل على ضيقة واذا فشا في الفار دل على الخصب واذا نعق غراب فجاوبته دجاجة عمر الخراب واذا قوقت دجاجة فجاوبها غراب خرب العمار والله أعلم بكل شيء عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين ﴿وأما النوم والسهر وما جاء فيهما﴾ فقد روى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال أشراف أمتي حملة القرآن وأصحاب الليل وروى ان أم سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام قالت له يا بني لا تكثر النوم بالليل فان صاحب النوم يجيء يوم القيامة مفلسا وكان زمعة بن صالح يصلي ليلا طويلا فاذا أسحر نادى أهله

يا أيها الركب المعرسونا * أ كل هذا الليل ترقدونا

فيتواثبون بين باك وداع ومتضرع فاذا أصبح نادى * عند الصباح يحمد القوم السرى * (وأنشدوا)

يا أيها الراقد كم ترقد * قم يا حبيبي قد دنا الموعد * وخذ من الليل وساعاته

حظا اذا ما هجع الرقد * من نام حتى ينقضي ليله * لم يبلغ المنزل أو يجهد

قل لذوي الالباب أهل التقى * قنطرة الحشر لكم موعد

وقيل ان نومة الضحى تورث الغم والخوف ونومة العصر تورث الجنون وأنشد بعضهم مفردا

ألا ان نومات الضحى تورث الفتى * غموما ونومات العصير جنون

وعن العباس بن عبد المطلب أنه مر يوما بابنه وهو نائم نومة الضحى فوكزه برجله وقال له قم لا أنام الله عينك أتنام في ساعة يقسم الله تعالى فيها الرزق بين العباد أوما سمعت ما قالت العرب انها مكسلة مهزلة منسية للحاجة * والنوم على ثلاثة أنواع نومة الخرق ونومة الخلق ونومة الحمق فنومة الخرق نومة الضحى ونومة الخلق هي التي أمر النبي صلى الله عليه وسلم بها أمته فقال قيلوا فان الشياطين لا تقيل ونومة الحمق النومة بعد العصر لا ينامها الا سكران أو مجنون وكان هشام بن عبد الملك يقول لولده لا تصطجع بالنوم فانه شؤم ونكد وقال الثوري لطبيب دلني على شيء اذا أردت النوم جاءني فقال ادهن رأسك وأكثر من ذلك واتق الله وكان طاوس يقول لان تختلف السياط على ظهري أحب الي من أن أنام يوم الجمعة والامام يخطب وكان شداد بن أوس يتلوى على فراشه كالحبة على المقلى ويقول اللهم ان النار منعتني النوم وأنشدوا في المعنى

غيرت موضع مرقدي * يوما ففارقني السكون قل لي فأول ليلتي * في حفرتي أني أكون

وأنشد أبو دلف) أما لكتي ردي على رقاديا * ونومي فقد شردته عن وساديا

أما تتقين الله في قتل عاشق * أمت الكرى عنه فاحيا اللياليا

﴿وأنشد أبو غانم الثقفي مفردا﴾

رقدت رقاد الهيم حتى لوانني * يكون رقادي مغنما الغنيت

فقيل لمن هذا فقال لرقاد من رقاد العرب وقيل ان نوم عبود يضرب به المثل وكان عبود هذا عبدا أسود قيل انه نام أسبوعا وقيل انه تماوت على أهله وقال اندبوني لاعلم كيف تندبوني اذا أنا مت فسجى ونام وندب فاذا هو قد مات ﴿وأما الرؤيا﴾ فقد قيل فيها أقاويل وهو أنهم قالوا ان النوم هو اجتماع الدم وانحداره الى الكبد ومنهم من رأى أن ذلك هو سكون النفس وهدو الروح ومنهم من زعم ان ما يجده الانسان في نومه من الخواطر انما هو من الأطعمة والأغذية والطبائع وذهب جمهور الأطباء الى أن الأحلام من الاخلاط وان ذلك بقدر مزاج كل واحد منها وقوته فالذي يغلب عليه الصفراء يرى بحورا وعيونا ومياها كثيرة ويرى انه يسبح ويصيد سمكا ومن غلبت على مزاجه السوداء رأى في منامه أجداثا وأمواتا مكفنين بسواد وبكاء وأشياء مفزعة ومن غلب على مزاجه الدم رأى الخمر والرياحين وأنواع الملاهي والثياب المصبغة والذي يقع عليه

وفروا من سطوات الشريفة الى البروج فادركهم الموت في بروجهم المشيدة وسألنا كرديهم في جزيل ماله ليغدو بنفسه الخبيثة ويروح فلم نرض منه على كفره الا بالمال والروح وسجناه في قلعته وقد أيقن بالموت وارتفع النزاع وجهز المفتاح لتخليص دينه فحصل على سجنه الاجماع وأمسى بها

* كريشة في مر الريح ساقطة *

وتمام البيت معروف عند من له عليه اطلاع وجاءت مفاتيح كل من ديار بكر وقد أزهرت باسمنا الشريف أغصان منابرها وسألت قلعتها التشريف برسول يدوس بنعله محاجرها فاجبناها الى ذلك وأمست بنا بعد التنكير معرفة وصارت أبراجها بالنسبة المؤيدية مشرفة وجهز قرا عثمان مفاتيح الرها وآمد وسأل تشريفه بتشريفهما بتقليدين يرفعان لهما في الشرف محلا فحليناه بذلك وكان من العواطل فحلت المطابقة بالعاطل المحلى والتهب ابن الغادر بحرارة المعصية ففر الى برد الطاعة من غير فترة وهز جزع مراحمنا الشريفة واعترف انه جهل الفرق بين التمرة والجمرة وأقر بذنوبه وقال التوبة تجب ما قبلها ودوحة المراحم الشريفة قد مد الله على الخافقين ظلها وعلم أنه ما أحسن البيان عن درنة في تخليص ذلك المفتاح وسأل أن يحظى من بيان عفونا الشريف باستجلاء عروس الافراح فأذقناه حلاوة قربنا بعد ما ذاق مرارة بينه وألبسناه تشريفه بنيابة الابلستين فباس الارض وهو لا يصدق أنه يرى محاجر تلك العين بعينه وجهزنا ولده داود بدروع من الامن ليأمن بها من يد داود ويتفيأ بظلال جبرنا ويصير بعد حر المعصية في ظل ممدود وقد تقدم سؤال قيسارية أن يقام بها

التحقيق ان الرؤيا الصالحة كما قد جاء جزء من ستين جزأ من النبوة وكان النبي صلى الله عليه وسلم أول ما بدئ به من الوحى الرؤيا الصالحة فكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح * والرؤيا على ضربين فمنهم من يرى رؤيا تجيء على حالها لا تزيد ولا تنقص ومنهم من يرى الرؤيا في صورة مثل ضرب له (فمن ذلك ما حكى) ان النبي صلى الله عليه وسلم رأى في الجنة غرفا فقال لمن هذه فقيل لابي جهل بن هشام فقال مالابي جهل والجنة والله لا يدخلها أبدا قال فأتاه عكرمة ولده مسلما فتأولها به وكذلك تأول في قتل الحسين لما رأى ان كلبا أبقع يلغ في دمه وكان ذلك بعد رؤياه عليه الصلاة والسلام بخمسين عاما وكذلك حين قال لابي بكر رضي الله تعالى عنه انى رأيتك انى رقيت أنا وأنت درجا في الجنة فسبقتك بدرجتين ونصف فقال أبو بكر رضي الله تعالى عنه يارسول الله أقبض بعدك بسنتين ونصف فكان كذلك ورأت عائشة رضي الله تعالى عنها سقوط ثلاثة أقمار في حجرتها فأولها أبوها بموته وموت النبي صلى الله عليه وسلم وموت عمر رضي الله تعالى عنهما ودفنهم في حجرتها فكان الأمر كذلك (وحكى) أن أم الشافعي رضي الله تعالى عنه لما حملت به رأت كأن المشترى خرج من فرجها وانقض بمصر ثم تفرق في كل بلد قطعة فأول بعالم يكون بمصر وينتشر علمه بأكثر البلاد فكان كذلك (وحكى أيضا) ان عاملا أتى عمر رضي الله تعالى عنه فقال رأيت الشمس والقمر اقتتلا فقال له عمر مع من كنت قال مع القمر فقال مع الآية الممحوة والله لا وليت لي عملا فعزله ثم اتفق ان عليا رضي الله تعالى عنه وقع بينه وبين معاوية ما وقع فكان ذلك الرجل مع معاوية (وأما) من مهر في تعبير الرؤيا فهو ابن سيرين جاء رجل فقال له رأيت كأنى أسقى شجرة زيتون زيتا فاستوى حالسا فقال ما التي تحتك قال علجة اشتريتها وفي رواية جارية وأنا أطؤها فقال أخاف أن تكون أمك فكشف عنها فوجدها أمه * وجاء رجل فقال رأيت كأن في يدى خاتما أختم به فروج النساء وأفواه الرجال فقال له أنت مؤذن تؤذن بالليل فتمنع الرجال والنساء من الاكل والوطء وجاء رجل فقال رأيت جارة لى قد ذبحت في بيت من دارها فقال هي امرأة نكحت في ذلك البيت وكانت امرأة لصديق ذلك الرجل فاغتم لذلك ثم بلغه ان الرجل قدم في تلك الليلة وجامع زوجته في ذلك البيت وجاء رجل ومعه جراب فقال له رأيت في النوم كأني أسدا لزقاق سدا وثيقا شديدا فقال له أنت رأيت هذا قال نعم فقال لمن حضره ينبغي أن يكون هذا الرجل يخنق الصبيان ورعا يكون في جرابه آلة الخنق فوثبوا عليه وفتشوا الجراب فوجدوا فيه أوتارا وحلقا فسلموه الى السلطان * وجاءته امرأة وهو يتغدى فقالت له رأيت في النوم كان القمر دخل في الثريا ونادى مناد من خلفى ان ائتى ابن سيرين فقصى عليه فتقلصت يده وقال ويلك كيف رأيتى هذا فأعادت عليه فقال لاخته هذه تزعم ان أموت لسبعة أيام وأمسك يده على فؤاده وقام يتوجع ومات بعد سبعة أيام * وجاء رجل فقال رأيت كأنى آخذ البيض وأقشره فآكل بياضه وألقى صفاره فقال ان صدق منامك فأنت نباش الموتى فكان كذلك (وحكى) ان ابن سيرين رأى الجوزاء قد تقدمت على الثريا فعمل بوصى وقال يموت الحسن وأموت بعده وهو أشرف منى فمات الحسن ومات بعده بمائة يوم (وحكى) أن رجلا رأى عيسى عليه السلام فقال له يانبى الله صلبك حق قال نعم فعبره على بعضهم فقال تكذب رؤياك بقوله تعالى وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم ولكن هو عائد على الرائى فكان كذلك * وأتى ابنة مغيث آت في المنام فقال لها

لك البشرى بولد * أشبه شئ بالاسد * اذا الرجال في كبد

تغالبوا على بلد * كان له حظ الاسد

فولدت المختار بن أبي عبيد وذلك في عام الهجرة * وقال رجل لسعيد بن المسيب رأيت كأنى بلت خلف المقام أربع مرات قال كذبت لست صاحب هذه الرؤيا قال هو عبد الملك فقال يلى أربعة من صلبه الخلافة وقال الشافعي رضي الله تعالى عنه رأيت عليا رضي الله تعالى عنه في المقام فقال لى ناولنى كتبك فناولته اياها فأخذها وبددها فاصبحت أخا كآبة فأتيت الجعد فأخبرته فقال سيرفع الله شأنك وينشر علمك وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من رآنى في منامه فقد رآنى حقا فان الشيطان لا يتمثل بى وجاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال رأيت كأن رأسي قد قطع وأنا أنظر اليه فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال بأى عين كنت تنظر الى رأسك فلم يلبث رسول الله صلى الله عليه وسلم أن توفى

سوق الامان فاجتناها وسعرت بها نار الخوف بعد ما غلت فجهزنا اليها بضائع الأمن وأرخصناها وأيقن أهلها انهم ان مشوا في حدائق عدلنا على غير هذه الطريقة صارع لى سوسنة كل سنان من دمائهم شقيقة فأزلنا عنهم بايناس عدلنا الوحشة وأمست قياسريتهم في أيامنا الزاهرة هشه وصعدت خطباء منابرها باسمنا الشريف والدهر يهتز فرحة ويترنم

ولم يخل من أسمائنا عود منبر

ولم يخل دينار ولم يخل درهم

وتقارب الاشتقاق بين سيواس وسيس فتجانسا للطاعة ومات العصيان بتلك البلاد فقالت ارزبكار الصلاة جامعة وصلت طائفة مع الجماعة فلا قلعة الا افتضضنا بكارتها بالفتح وابتذلنا من ستائرها الحجاب ولا كاس برج اترعوه بالتحصين الا توجنا رأسه من مدافعنا بالحباب حتى فصلت في الروم لعساكرنا التى هى عدد النمل قصص وعدنا فكان العود أحمد اذا لم يبق بتلك البلاد ما تعده القدرة على الفتح من الفرص وجاءت رسل ملوك الشرق بالاذعان لطاعتنا التى اتخذوها اشرفها قبلة وود كل منهم أن يحظى من جبهات أعتابنا بقبلة وتنوعوا من الهدايا باجناس صدقت من كل نوع مقبول وبالغوا في الرقة وأهدوا من الرقيق ما قام له عندنا سوق القبول وأسفر قرا يوسف من الجمال اليوسفى ونور الطاعة عن بهجتين واظهر كتاب الطهارة بتطهير الارض عن ذنبنا اليه من أعداء الدولتين ودنت الديار من الديار فكانت سيوفنا في القرب له حصنا وملاذا ولم يباشر في اخلاص الطاعة عما يقال له بسببه يوسف أعرض عن هذا وجاءت هداياه التى هبت نسمات

وأولوا رأسه بنبيه ونظره اليه باتباع سنته وقال رجل لعلي بن الحسين رأيت كأني أبول في يدي فقال تحتك محرم فنظروا فاذا بينه وبين امرأته رضاع وقال أبو حنيفة رضي الله تعالى عنه رأيت كأني نبشت قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فضممت عظامه الى صدري فهالني ذلك فسألت ابن سيرين فقال ما ينبغي لاحد من أهل هذا الزمان أن يرى هذه الرؤيا قلت أنا رأيتها قال ان صدقت رؤياك لتحيين سنة نبيك صلى الله عليه وسلم * وقال النبي صلى الله عليه وسلم الرؤيا الصالحة بشارة للمؤمن عماله عند الله من الكرامة في الدنيا والآخرة وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال تضرعت الى ربي سنة أن يريني أبي في النوم حتى رأيته وهو يمسح العرق عن جبينه فسألته فقال لولا رحمة الله لهلك ابوك انه سألني عن عقال بعير الصدقة فسمع بذلك عمر بن عبد العزيز فصاح وضرب بيده على رأسه وقال فعل هذا بالتقي الطاهر فكيف بالمقترف عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنهم أجمعين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿ الباب الحادي والستون في الحيل والخدائع المتوصل بها الى بلوغ المقاصد والتيقظ والتبصر ﴾

الحيلة من فوائد الآراء المحكمة وهي حسنة مالم يستبح بها محظور وقد سئل بعض الفقهاء عن الحيل في الفقه فقال علم الله ذلك فانه قال وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث وكان صلى الله عليه وسلم اذا أراد غزوة ورّى بغيرها وكان يقول الحرب خدعة ولما أراد عمر رضي الله تعالى عنه قتل الهرمزان استسقى ماء فأتوه بقدح فيه ماء فامسكه في يده واضطرب فقال له عمر لا بأس عليك حتى تشربه فالقى القدح من يده فامر عمر بقتله فقال أولم تؤمني قال كيف أمنتك قال قلت لا بأس عليك حتى تشربه وقولك لا بأس عليك أمان ولم أشربه فقال عمر قاتلك الله أخذت مني أمانا ولم أشعر به وقيل كان دهاة العرب أربعة كلهم ولدوا بالطائف معاوية وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة والسائب بن الاقرع وكان يقال الحاجة تفتح أبواب الحيل * وكان يقال ليس العاقل الذي يحتال للامور اذا وقع فيها بل العاقل الذي يحتال للامور أن لا يقع فيها وقال الضحاك بن مزاحم لنصراني لو أسلمت فقال مازلت محبا للاسلام الا أنه يمنعني منه حبي للخمر فقال اسلم واشربها فلما أسلم قال له قد أسلمت فان شربتها حددناك وان ارتددت قتلناك فاختر لنفسك فاختار الاسلام وحسن اسلامه فأخذه بالحيلة (وقيل) دليت من السماء سلسلة في أيام داود عليه الصلاة والسلام عند الصخرة التي في وسط بيت المقدس وكان الناس يتحاكمون عندها فمن مد يده اليها وهو صادق نالها ومن كان كاذبا لم ينلها الى أن ظهرت فيهم الخديعة فارتفعت وذلك ان رجلا أودع رجلا جوهرة فخبأها في مكانه في عكازة ثم ان صاحبها طلبها من الذي أودعها عنده فانكرها فتحاكما عند السلسلة فقال المدعي اللهم ان كنت صادقا فلتدن مني السلسلة فدنت منه فمسها فدفع المدعى عليه العكازة للمدعي وقال اللهم ان كنت تعلم اني رددت الجوهرة اليه فلتدن مني السلسلة فدنت منه فمسها فقال الناس قد سوّت السلسلة بين الظالم والمظلوم فارتفعت بشؤم الخديعة وأوحى الله تعالى الى داود عليه الصلاة والسلام أن احكم بين الناس بالبينة واليمين فبقي ذلك الى قيام الساعة وكان المختار بن أبي عبيد الثقفي من دهاة ثقيف وثقيف دهاة العرب قيل انه وجه ابراهيم بن الاشتر الى حرب عبيد الله بن زياد ثم دعا رجلا من خواصه فدفع اليه حمامة بيضاء وقال له ان رأيت الامر عليكم فارسلها ثم قال للناس اني لاجد في محكم الكتاب وفي اليقين والصواب أن الله ممددكم بملائكة غضاب صعاب تاتي في صور الحمام تحت السحاب * فلما كادت الدائرة تكون على أصحابه عمد ذلك الرجل الى الحمامة فارسلها فتصايح الناس الملائكة الملائكة وحملوا فانتصروا وقتلوا ابن زياد * وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال خرجت امرأتان ومعهما صبيان فعدا الذئب على صبي احداهما فأكله فاختصما في الصبي الباقي الى داود عليه الصلاة والسلام فقال كيف أمركما فقصتا عليه القصة فحكم به للكبرى منهما فاختصما الى سليمان عليه الصلاة والسلام فقال ائتوني بسكين أشق الغلام نصفين لكل منهما نصف فقالت الصغرى أتشقه يا نبي الله قال نعم قالت لا تفعل ونصيبي فيه للكبرى فقال خذيه فهو ابنك وقضى به لها وجاء رجل الى سليمان بن داود عليه الصلاة والسلام وقال يا نبي الله ان لي جيرانا يسرقون أوزي فلا أعرف السارق فنادى الصلاة جامعة ثم خطبهم وقال في خطبته وان أحدكم

القبول على اقبالها وجنينا منها ثمار المحبة وجمل التفاصيل التي وسعها سناء الملك ببهجته ولم يترك لابنه في دار الطراز رتبة والنمورة التي عجم ابن فهد عن وصفها اذا قابل منها السواد والبياض بالمقلتين فانها جمعت لنا من ليلها الحالك ونهارها الساطع بين الآيتين والجواد الذي تميز باوصاف ما صاحب مجرى السوابق من الفحول التي تجاريها فانه غرة في جباه الخيل التي قال قائد الغر المحجلين ان الخير معقود بنواصيها والسروج التي سمت عندنا على السروجي بمقاماتها العالية ورأينا اهلة تغني عن الفجر فخصصنا كل سرج منها بالغاشية والجوارح التي تخشى النسر الطائر أن يصير منها واقعا وصدق فيما تفرس وخافت الشمس لما تسمت بالغزالة وانف سرحان الافق ذنبه على خيشومه ولم يتنفس والقوس الذي أصاب به أغراض المحبة ونال منها أوفر سهم ونصيب وجاء عبارة عن رأي مهديه وكل عندنا بحمد الله مصيب وهو من الاشياء التي وقعت في محلها ونحن نقيم دلائل ذلك وبرهانه فان القوس اذا القى سهامه بنصره علم أنه وصل الى الكنانه وبالغ المقر الجمالي في نظم بديع الهدايا ونسخ الجفاء بكثرة رقيقه وادار من أواني الصيني كؤسا ترعها الود بسلاف رحيقه ودخلنا حلب المحروسة وأوصلناها ما استحق لها من ديون الفتح علينا ورددنا ما اغتصب منها فقالت هذه بضاعتنا ردت الينا وقد آثرنا الجناب بكرامة هذه البشارة التي استبشر بها وجه الزمان بعد قطوبه وتبسم فان ركن هذا البيت الشريف ونسيب مدحه المقدم فيما أخذ منها حظه ويثلج صدر البرايا ففيها لهم برد وسلام ويرعاهم بعين الرعاية ليضوع فيهم عرف

ليسرق أوزجاره ثم يدخل المسجد والريش على رأسه فمسح الرجل رأسه فقال سليمان خذوه فهو صاحبكم
وخطب المغيرة بن شعبة وفتى من العرب امرأة وكان شابا جميلا فأرسلت اليهما أن يحضرا عندها فحضرا
وجلست بحيث تراهما وتسمع كلامهما فلما رأى المغيرة ذلك الشاب وعاين جماله علم أنها تؤثره عليه فأقبل
على الفتى وقال لقد أوتيت جمالا فهل عندك غير هذا قال نعم فعدد محاسنه ثم سكت فقال له المغيرة كيف
حسابك مع أهلك قال ما يخفى على منه شئ وانى لاستدرك منه أدق من الخردل فقال المغيرة لكنى أضع البدرة
فى بيتى فينفقها أهلى على ما يريدون فلا أعلم بنفادها حتى يسألونى غيرها فقالت المرأة والله لهذا الشيخ الذى
لا يحاسبنى أحب الى من هذا الذى يحصى على مثقال الذرة فتزوجت المغيرة * وبلغ عضد الدولة ان قوما من
الاكراد يقطعون الطريق ويقيمون فى جبال شامخة ولا يقدر عليهم فاستدعى بعض التجار ودفع اليه بغلا
عليه صندوقان فيهما حلاوى مسمومة كثيرة الطيب فى ظروف فاخرة ودنانير وافرة وأمره أن يسير مع القافلة
ويظهر أن هذه هدية لأحد نساء الأمراء ففعل التاجر ذلك وسار أمام القافلة فنزل القوم فأخذوا الامتعة
والأموال وانفرد أحدهم بالبغل وصعد به الجبل فوجد به الحلوى فقبح على نفسه أن ينفرد بها دون أصحابه
فاستدعاهم فأكلوا على مجاعة فماتوا عن آخرهم وأخذ أرباب الأموال أموالهم * وأتى لبعض الولاة
برجلين قد اتهما بسرقة فأقامهما بين يديه ثم دعا بشربة ماء فجيء له بكوز فرماه بين يديه فارتاع أحدهما وثبت
الآخر فقال للذى ارتاع اذهب الى حال سبيلك وقال للآخر أنت أخذت المال وتلذذت به وتهدده فاقر فسئل
عن ذلك فقال ان اللص قوى القلب والبرىء يجزع ولو تحرك عصفور لفزع منه * وقصد رجل الحج فاستودع
انسانا مالا فلما عاد طلبه منه فجحده المستودع فأخبر بذلك القاضى اياسا فقال أعلم بأنك جئتنى قال لا قال فعد
الى بعد يومين ثم ان القاضى اياسا بعث الى ذلك الرجل فاحضره ثم قال له اعلم انه قد تحصلت عندى أموال كثيرة
لأيتام وغيرهم وودائع للناس وانى مسافر سفرا بعيدا وأريد أن أودعها عندك لما بلغنى من دينك وتحصين
منزلك فقال حبا وكرامة قال فاذهب وهيئ موضعا للمال وقوما يحملونه فذهب الرجل وجاء صاحب الوديعة
فقال له القاضى اياس امض الى صاحبك وقل له ادفع الى مالى والا شكوتك للقاضى اياس فلما جاء وقال له ذلك
دفع اليه ماله واعتذر اليه فأخذه وأتى الى القاضى اياس فأخبره ثم بعد ذلك أتى الرجل ومعه الحمالون لطلب
الاموال التى ذكرها له القاضى فقال له القاضى بعد أن أخذ الرجل ماله منه بدا لى ترك السفر امض لشأنك
لا أكثر الله فى الناس مثلك * ولما أراد شيرويه قتل أبيه ابرويز قال ابرويز للداخل عليه ليقتله انى لأدلك على
شئ فيه غناك لوجوب حقك على قال وما هو قال الصندوق الفلانى فلما قتله ذهب الى شيرويه وأخبره الخبر
فأخرج الصندوق فاذا فيه حق فيه حب ورقعة مكتوب فيها من تناول منه حبة واحدة افتض عشرة أبكار
وكان لشيرويه غرام فى الباه فتناول منه حبة فهلك من ساعته فكان ابرويز أول مقتول أخذ بثاره من قاتله
* ولما بايع الرشيد لاولاده الثلاثة بولاية العهد تخلف رجل مذكور من الفقهاء فقال له الرشيد لم تخلفت فقال
عاقنى عائق فقال اقرؤا عليه كتاب البيعة فقال يا أمير المؤمنين هذه البيعة فى عنقى الى قيام الساعة فلم يفهم
الرشيد ما أراد وظن أنه الى قيام الساعة يوم الحشر وما أراد الرجل الا قيامه من المجلس * وقال المغيرة بن شعبة لم
يخدعنى غير غلام من بنى الحرث بن كعب فانى ذكرت امرأة منهم لأتزوجها فقال أيها الأمير لا خير لك فيها فقلت
ولم قال رأيت رجلا يقبلها فأعرضت عنها فتزوجها الفتى فلمته وقلت ألم تخبرنى أنك رأيت رجلا يقبلها قال نعم
رأيت أباها يقبلها وأتى رجل الى الاحنف فلطمه فقال ما حملك على هذا فقال جعل لى جعل على أن ألطم سيد
بنى تميم فقال لست بسيدهم عليك بحارثة بن قدامة فانه سيدهم فمضى اليه فلطمه فقطعت يده (وقال) الشعبى
وجهنى عبد الملك الى ملك الروم فقال لى من أهل بيت الخلافة أنت قلت لا ولكنى رجل من العرب فكتب الى
عبد الملك رقعة ودفعها الى فلما قرأها عبد الملك قال لى أتدرى ما فيها قلت لا قال فيها العجب لقوم فيهم مثل هذا
كيف يولون أمرهم غيره قال أتدرى ما أراد بهذا قلت لا قال حسدنى عليك فأراد أن أقتلك فقلت انما كبرت
عنده يا أمير المؤمنين لانه لم يرك ولم يترك شيأ الا سألنى عنه وأنا أجيبه فبلغ ملك الروم ما قاله عبد الملك للشعبى
فقال لله أبوه ما عدا ما فى نفسى * ولما ولى عبد الملك بن مروان أخاه بشرا الكوفة وكان شابا طريفا غزلا بعث معه
روح بن زنباع وكان شيخا مستورا فثقل على بشر مرافقته فذكر ذلك لندمائه فتوصل بعض ندمائه الى أن دخل

العدل وتصير مسكا لهذا الختام والله
تعالى يمتعه فى ليله ونهاره من أخبارنا
السارة بالاعياد والمواسم ويجعل
له من سابغة أنعامه ان شاء الله
حسن الخواتم (قلت) وذكرت بهذه
الرحلة أيضا رحلتى من الديار
المصرية الى دمشق المحروسة المحمية
سنة احدى وتسعين وسبعمائة
والملك الناصر قد خرج من الكرك
ونزل عليها وتصدى لحصارها وقد
اجتمعت عليه العساكر المصرية
والشامية وحدث بدمشق المحروسة
ما حدث من القتال والحصار
والحريق فكتبت الى المقر المرحومى
الفخرى القاضى ابن مكانس
فى شرح ذلك رسالة لم ينسج على
منوالها ولم تسمع على غلبة الظن
قريحة بمثالها (وهى) يقبل
المملوك أرضا من يممها أو تيمم
بثراها حصل له الفخر والمجد فلا برح
هيام الوفود الى أبوابها أكثر من
هيام العرب العرباء بنجد ولا زالت
خيول الشعراء تطلق أعنة لفظها
فتركض فى ذلك المضمار وتهيم
بواديها الذى يجب أن ترفع فيه على
أعمدة المدائح بيوت الاشعار وينهى
بعد أشواق أمست الدموع بها
فى محاجر العين معثرة ولولم يقرا انسانها
بمراسلات الدمع لقلت قتل الانسان
ما أكفره وصول المملوك الى دمشق
المحروسة فيا ليته قبض قبل ما كنت
عليه ذلك الوصول ودخوله اليها
ولقد والله تمنى خروج الروح عند
ذلك الدخول فنظر المملوك الى قبة
يلبغا وقد طار بها طير الحمام وحفت
حولها تلك الاسود الضارية فتطيرت
فى ذلك الوقت من القبة والطير
وتعوذت بالغاشية ودخلت بعد ذلك
الى القبيبات التى صغر اسمها لاجل
التحبب فوجدتها وقد خلا منها كل
منزل كان آنسا بحبيبه فانشد به
لسان الحال قفا نبك من ذكرى حبيب
ونظرت بعد القباب الى المصلى وما

بيت روح بن زنباع ليلا فى خفية فكتب على حائط قريب من مجلسه هذه الابيات

يا روح من لبنيات وأرملة * اذا نعاك لاهل المغرب الناعى
ان ابن مروان قد حانت منيته * فاحتل بنفسك يا روح بن زنباع

فتخوف من ذلك وخرج من الكوفة فلما وصل الى عبد الملك أخبره بذلك فاستلقى على قفاه من شدة الضحك وقال نقلت على بشر وأصحابه فاحتالوا لك ﴿ومن الحيل الظريفة﴾ ما حكى أن النبى صلى الله عليه وسلم لما فتح خيبر وأعرس بصفية وفرح المسلمون جاءه الحجاج بن علاط السلمى وكان أول من أسلم فى تلك الايام وشهد خيبر فقال يا رسول الله ان لى بمكة مالا عند صاحبتى ام شيبة ولى مال متفرق عند تجار مكة فأذن لى يا رسول الله فى العود الى مكة عسى أسبق خبر اسلامى اليهم فانى أخاف ان علموا باسلامى أن يذهب جميع مالى بمكة فأذن لى لعلى أخلصه فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله انى أحتاج أن أقول فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم قل وأنت فى حل قال الحجاج فخرجت فلما انتهيت الى الثنية ثنية البيضاء وجدت بها رجالا من قريش يتسمعون الاخبار وقد بلغهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سار الى خيبر فلما أبصرونى قالوا هذا العمر الله عنده الخبر أخبرنا يا حجاج فقد بلغنا أن القاطع يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم قد سار الى خيبر قال قلت انه قد سار الى خيبر وعندى من الخبر ما يسركم قال فاحدقوا حول ناقتى يقولون ايه يا حجاج قال فقلت هزم هزيمة لم تسمعوا بمثلها قط وأسر محمد وقالوا لا نقتله حتى نبعث به الى مكة فيقتلونه بين أظهرهم بمن كان أصاب من رجالهم قال فصاحوا بمكة قد جاءكم الخبر وهذا محمد انما تنتظرون أن يقدم به عليكم فيقتل بين أظهركم قال فقلت أعينونى على جمع مالى من غرمائى فانى أريد أن أقدم خيبر فاغنم من نفل محمد وأصحابه قبل ان يسبقنى التجار الى هنالك فقاموا معى فجمعوا الى مالى كأحسن ما أحب فلما سمع العباس بن عبد المطلب الخبر أقبل على حتى وقف الى جانبى وأنا فى خيمة من خيام التجار فقال يا حجاج ما هذا الخبر الذى جئت به قال فقلت وهل عندك حفظ لما أودعه عندك من السر فقال نعم والله قال قلت استأخر عنى حتى ألقاك على خلاء فانى فى جمع مالى كما ترى فانصرف عنى حتى اذا فرغت من جمع كل شئ كان لى بمكة وأجمعت على الخروج لقيت العباس فقلت له احفظ على حديثى يا أبا الفضل فانى أخشى أن يتبعونى فاكتم على ثلاثة أيام ثم قل ما شئت قال لك على ذلك قال قلت والله ما تركت ابن أخيك الا عروسا على ابنة ملكهم يعنى صفية وقد افتتح خيبر وغنم ما فيها وصارت له ولاصحابه قال أحق ما تقول يا حجاج قال قلت اى والله ولقد أسلمت وما جئت الا مسلما الا خذ مالى خوفا من أن أغلب عليه فاذا مضت ثلاثة فاظهر أمرك فهو والله على ما تحب قال فلما كان فى اليوم الرابع لبس العباس حلة له وتخلق بالطيب وأخذ عصاه ثم خرج حتى أتى الكعبة فطاف بها فلما رأوه قالوا يا أبا الفضل هذا والله هو التجلد لحر المصيبة قال كلا والذى حلفتم به لقد افتتح محمد خيبر وترك عروسا على ابنة ملكهم وأحرز أموالهم وما فيها فاصبحت له ولاصحابه قالوا من جاءك بهذا الخبر قال الذى جاءكم بما جاءكم به ولقد دخل عليكم مسلما وأخذ ماله وانطلق ليلحق محمدا وأصحابه ليكون معهم قالوا تفلت عدو الله أما والله لو علمنا به لكان لنا وله شأن قال ولم يلبثوا أن جاءهم الخبر بذلك فتوصل الحجاج بفطنته واحتياله الى تخليصه وتحصيل ماله ❊ ولما اجتمعت الاحزاب على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الخندق وقصدوا المدينة وتظاهروا وهم فى جمع كثير وجم غفير من قريش وغطفان وقبائل العرب وبنى النضير وبنى قريظة من اليهود ونازلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من المسلمين واشتد الامر واضطرب المسلمون وعظم الخوف على ما وصفه الله تعالى فى قوله تعالى اذ جاؤكم من فوقكم ومن أسفل منكم واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا فجاء نعيم ابن مسعود بن عامر الغطفانى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله انى قد أسلمت وان قومى لم يعلموا باسلامى فمرنى بما شئت فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم خذل عنا ان استطعت فان الحرب خدعة فخرج نعيم بن مسعود حتى أتى بنى قريظة وكان نديما لهم فى الجاهلية فقال يا بنى قريظة قد علمتم ودى اياكم وخاصة ما بينى وبينكم قالوا صدقت لست عندنا بمتهم فقال لهم ان قريشا وغطفان ليسوا كأنتم فان البلد بلدكم وبه أموالكم وأبناؤكم ونساؤكم لا تقدرون على أن تحولوا منه الى غيره وان قريشا

وغطفان

فعلت به سكان تلك الخيام والتفت الى بديع بيوته التى حسن بناء تأسيسها وقد فسد منها النظام فسال وقد وقعت عقيق دمعى على أرض المصلى والقباب ونظرت الى ذلك الوادى الفسيح وقد ضاق من الحريق بسكانه الفضا فتوهمت أن وادى المصلى قد تبدل بوادى الغضا

فسقى الغضا والساكنيه وان هم
شبوه بين جوانح وقلوب

واصطليت النار وقد أرادت سبى ذلك النادى فشنت عليه من فوارس لهيبها الغارة وركضت فى ميدان الحمى فوجدت أركانه كما قال تعالى وقودها الناس والحجارة ودخلت قصر الحجاج وقد مدت النار به من غير ضرورة فى موضع القصر وأصبح أهله فى خسر وكيف لا وقد صاروا عبرة لاهل العصر وتأملت تلك الالسن الجرية وقد انطلقت فى ثغور تلك الربوع تكلم السكان وتطاولت بالسنة الاسنة الاتراك فاندهل أهل دمشق وقد كلموا بكل لسان ووصل الملوك بعد الفجر الى البلد وقد تلا بعد زخرفه فى سورة الدخان فوجب أن أجرى الدموع على وجيب كل ربع وأنشد وقد دخل صبرى بعد ان كان فى خبر كان

❊ دمع جرى فقضى فى الربع ما وجبا ❊

ووقفت أندب عرصاتها التى قمحت بالبين فخابت من أهلها الظنون وكم داروا بقمصها خيفة من طاحون النار فلم يسلم فصدقت المثل بان القمح يدور ويجى الى الطاحون وتطرقت بعد ذلك الى الحدادين وقد نادتهم النار بلسانها من مكان بعيد آتونى زبر الحديد ولقد كان يوم حريقها يوما عبوسا قطريرا أصبح المسلمون فيه من الخيفة وقد راوا سلاسل وأغلالا وسعيرا هذا وكلما أصليت نار الحريق وشبت نار الحرب ذكرت ما أشار به مولانا على الملوك

وغطفان قد جاؤا لحرب محمد وأصحابه وقد ظاهرتموهم عليه وأموالهم وأولادهم ونساؤهم بغير بلدكم وليسوا مثلكم لانهم ان رأوا فرصة اغتنموها وان كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل ببلدكم ولا طاقة لكم به ان خلا بكم فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رهنا من أشرافهم يكون بأيديكم ثقة لكم على أن تقاتلوا معهم محمدا قالوا أشرت بالرأى ثم أتى قريشا فقال لابى سفيان بن حرب وكان اذ ذاك قائد المشركين من قريش ومن معه من كبراء قريش قد علمتم ودى لكم وفراقى محمدا وانه قد بلغنى أمر وأحببت أن أبلغكموه نصحا لكم فاكتموه على قالوا انعم قال اعلموا ان معشر يهود بنى قريظة قد ندموا على ما فعلوا فيما بينهم وبين محمد وقد أرسلوا اليه يقولون انا قد ندمنا على نقض العهد الذى بيننا وبينك فهل يرضيك أن نأخذ لك من القبيلتين من قريش وغطفان رجالا أشرافهم فنسلمهم اليك فتضرب رقابهم ثم نكون معك على من بقى منهم فنستأصلهم فارسل يقول نعم فان بعث اليكم يهود يلتمسون منكم رهائن من رجالكم فلا تدفعوا اليهم منكم رجلا واحدا ثم خرج حتى أتى غطفان فقال لهم مثل ما قال لقريش وحذرهم فلما كانت ليلة السبت أرسل أبو سفيان رؤس بنى غطفان الى بنى قريظة يقولون لهم انا لسنا بدار مقام وقد هلك الخف والحافر فاعتدوا للقتال حتى نناجز محمدا ونفرغ فيما بيننا وبينه فارسلوا يقولون لهم ان اليوم يوم السبت وهو يوم لا نعمل فيه شيأ ولسنا مع ذلك بالذين نقاتل محمدا حتى تعطونا رهنا من رجالكم يكونون بأيدينا ثقة لنا حتى نناجز محمدا فانا نخشى ان دهمتكم الحرب واشتد عليكم القتال أن تشمروا الى بلادكم وتتركونا والرجل فى بلدنا ولا طاقة لنا به فلما رجعت اليهم الرسل بما قالت بنو قريظة قالت قريش وغطفان والله ان الذى حدثكم به نعيم بن مسعود لحق فارسلوا الى بنى قريظة يقولون انا لا ندفع اليكم رجلا واحدا من رجالنا فان كنتم تريدون القتال فاخرجوا وقاتلوا فقالت بنو قريظة حين انتهت اليهم الرسل ان الكلام الذى ذكره نعيم بن مسعود لحق وما يريد القوم الا أن تقاتلوا فان رأوا فرصة انتهزوها وان كان غير ذلك شمروا الى بلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل فى بلدكم فارسلوا الى قريش وغطفان انا لا نقاتل معكم حتى تعطونا رهنا فابوا عليهم فخذل الله تعالى بينهم وأرسل عليهم الريح فتفرقوا وارتحلوا وكان هذا من لطف الله تعالى أن ألهم نعيم بن مسعود هذه الفتنة وهداه الى اليقظة التى عم نفعها وحسن وقعها

﴿وأما ما جاء فى التيقظ والتبصر فى الامور﴾ فقد قالت الحكماء من أيقظ نفسه وألبسها لباس التحفظ أيس عدوه من كيده له وقطع عنه أطماع الماكرين به وقالوا اليقظة حارس لا ينام وحافظ لا ينسام وحاكم لا يرتشى فمن تدرع بها أمن من الاختلال والغدر والجور والكيد والمكر وقيل ان كسرى أنوشروان كان اشد الناس تطلعا فى خفايا الأمور وأعظم خلق الله تعالى فى زمانه تفحصا وبحثا عن أسرار الصدور وكان يبث العيون على الرعايا والجواسيس فى البلاد ليقف على حقائق الاحوال ويطلع على غوامض القضايا فيعلم المفسد فيقابله بالتأديب والمصلح فيجازيه بالاحسان ويقول متى غفل الملك عن تعرف ذلك فليس له من الملك الا اسمه وسقطت من القلوب هيبته (وروى) عن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه أنه قال خرج أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فى ليلة من الليالى يطوف يتفقد أحوال المسلمين فرأى بيتا من الشعر مضروبا لم يكن قد رآه بالامس فدنا منه فسمع فيه أنين امرأة ورأى رجلا قاعدا فدنا منه وقال له من الرجل فقال له رجل من البادية قدمت الى أمير المؤمنين لأصيب من فضله قال فما هذا الانين قال امرأة تتمخض قد أخذها الطلق قال فهل عندها أحد قال لا قال فانطلق عمر والرجل لا يعرفه فجاء الى منزله فقال لامرأته أم كلثوم بنت على بن أبى طالب بنت فاطمة الزهراء رضى الله تعالى عنهما هل لك فى أجر قد ساقه الله تعالى لك قالت وما هو قال امرأة تتمخض ليس عندها أحد قالت ان شئت قال فخذى معك ما يصلح للمرأة من الخرق والدهن وائتينى بقدر وشحم وحبوب فجاءت به فحمل القدر ومشت خلفه حتى أتى البيت فقال ادخلى الى المرأة ثم قال للرجل أوقد لى نارا ففعل فجعل عمر ينفخ النار ويضرمها والدخان يخرج من خلال لحيته حتى أنضجها وولدت المرأة فقالت أم كلثوم رضى الله تعالى عنها بشر صاحبك يا أمير المؤمنين بغلام فلما سمعها الرجل تقول يا أمير المؤمنين ارتاع وخجل وقال واخجلتاه منك يا أمير المؤمنين أهكذا تفعل بنفسك قال يا أخا العرب من ولى شيأ من أمور المسلمين ينبغى له أن يتطلع على صغير أمورهم وكبيره فانه عنها مسؤل ومتى غفل عنها خسر الدنيا

من الاقامة بمصر فانشدت من شدة الكرب

آها لمصر وأين مصر وكيف لى
بديار مصر مراتعا وملاعبا

والدهر سلم كيفما حاولته
لا مثل دهرى فى دمشق محاربا

يا مولانا لقد لبست دمشق فى هذا المأتم السواد وطبخت قلوب أهلها كما تقدم على نارين وسلقوا من الاسنة بألسنة حداد ولقد نشفت عيونهم من الحريق واستسقوا فلم ينشقوا رائحة الغادية وكم رؤى فى ذلك اليوم وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة تصلى نارا حامية وكم رجل تلا عند لهيب بيته تبت يدا أبى لهب وخرج هاربا وامرأته حمالة الحطب وشك الناس من شدة الوهج وهم فى الشتاء وصاروا من هذا الامر يتعجبون فقال لهم لسان النار أتعجبون من الوهج والحريق وأنتم فى كانون ولعمرى لو عاش ابن نباتة ورأى هذا الحال وما تم على أهل دمشق فى كانون الترك رثاه ولده عبد الرحيم وقال

يا لهف قلبى على وادى دمشق ويا
حزنى عليه ويا شجوى ويا دائى

فى شهر كانون وافاه الحريق لقد
أحرقت بالنار يا كانون احشائى

ونظرت بعد ذلك الى القلعة المحروسة وقد قامت قيامة حربها حتى قلنا أزفت الآزفة وستروا بروجها من الطارق بتلك الستائر وهم يتلون ليس لها من دون الله كاشفة واستجليت عروس الطارقة عند زفها وقد تجهزت للحرب وما لها غير الارواح مهر وعقدت على رأسها تلك العصائب وتوشحت بتلك الطوارق وأدارت على معصمها الابيض سوار النهر وغازلت بحواجب قسيها فرمت القلوب من عيون مراميها بالنبال وأهدت الى العيون من مكاحل نارها أكحالا كانت السهام لها أميالا وطلبها كل

والآخرة ثم قام عمر رضي الله تعالى عنه وأخذ القدر من على النار وحملها الى باب البيت وأخذتها أم كلثوم وأطعمت المرأة فلما استقرت وسكنت طلعت أم كلثوم فقال عمر رضي الله تعالى عنه للرجل قم الى بيتك وكل ما بقي في البرمة وفي غد ائت الينا فلما أصبح جاءه فجهزه بما أغناه به وانصرف وكان رضي الله تعالى عنه من شدة حرصه على تعرّف الأحوال واقامة قسطاس العدل وازاحة أسباب الفساد واصلاح الامة يعس بنفسه ويباشر أمور الرعية مرافى كثير من الليالي حتى انه في ليلة مظلمة خرج بنفسه فرأى في بعض البيوت ضوء سراج وسمع حديثا فوقف على الباب يتجسس فرأى عبدا أسود قدامه اناء فيه مزر وهو يشرب ومعه جماعة فهم بالدخول من الباب فلم يقدر من تحصين البيت فتسوّر على السطح ونزل اليهم من الدرجة ومعه الدرة فلما رأوه قاموا وفتحوا الباب وانهزموا فمسك الاسود فقال له يا أمير المؤمنين قد أخطأت واني تائب فاقبل توبتي فقال أريد أن أعزرك على خطيئتك فقال يا أمير المؤمنين ان كنت قد أخطأت في واحدة فأنت قد أخطأت في ثلاث فان الله تعالى قال ولا تجسسوا وأنت تجسست وقال تعالى وأتوا البيوت من أبوابها وأنت أتيت من السطح وقال تعالى لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها وأنت دخلت وما سلمت فهب هذه بهذه وأنا تائب الى الله تعالى على يدك أن لا أعود فاستتوبه واستحسن كلامه وله رضي الله تعالى عنه وقائع كثيرة مثل هذه وكان معاوية بن أبي سفيان رضي الله تعالى عنه قد سلك طريق أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه في ذلك وكان زياد بن أبيه يسلك مسلك معاوية في ذلك حتى نقل عنه أن رجلا كلمه في حاجة له وجعل يتعرف اليه ويظن أن زيادا لا يعرفه فقال أنا فلان بن فلان فتبسم زياد وقال له أتتعرف الى وأنا أعرف بك منك بنفسك والله انى لاعرفك وأعرف أباك وأعرف أمك وأعرف جدك وجدتك وأعرف هذه البردة التي عليك وهي لفلان وقد أعارك اياها فبهت الرجل وارتعد حتى كاد يغشى عليه ثم جاء بعدهم من اقتدى بهم وهو عبد الملك بن مروان والحجاج ولم يسلك بعدهما ذلك الطريق واقتفى آثار ذلك الفريق الا المنصور ثاني خلفاء بني العباس ولى الخلافة بعد أخيه السفاح وهي في غاية الاضطراب فنصب العيون وأقام المتطلعين وبث في البلاد والنواحي من يكشف له حقائق الامور والرعايا فاستقامت له الامور ودانت له الجهات ولو ابتلى في خلافته بأقوام نازعوه وأرادوا خلعه وتمردوا عليه وتكاثروا فلولا أن الله تعالى أعانه بتيقظه وتبصره ما ثبت له في الخلافة قدم ولا رفع له مع قصد أولئك القاصدين علم لكنه بث العيون فعرف من انطوى على خلافه فعالجه باتلافه واطلع على عزائم المعاندين فقطع رؤس عنادهم بأسيافه وكان لكمال يقظته يتلافى المحذور بدفعه دون رفعه ويعاجل المخوف بتفريق شمله قبل جمعه فذلت له الرقاب ولانت الخلافة الصعاب وقرّر قواعدها وأحكمها بأوثاق الاسباب فمن آثار يقظته وفطنته ما نقله عنه عقبة الازدي قال دخلت مع الجند على المنصور فارتابني فلما خرج الجند أدناني وقال لي من أنت فقلت رجل من الازد وأنا من جند أمير المؤمنين قدمت الآن مع عمر بن حفص فقال اني لأرى لك هيبة وفيك نجابة واني أريدك لامر وأنابه معنى فان كفيتنيه رفعتك فقلت اني لأرجو أن أصدق ظن أمير المؤمنين في فقال أخف نفسك واحضر في يوم كذا قال فغبت عنه الى ذلك اليوم وحضرت فلم يترك عنده أحدا ثم قال لي اعلم ان بني عمنا هؤلاء قد أبوا الا كيد ملكنا واغتياله ولهم شيعة بخراسان بقرية كذا يكاتبونهم ويرسلون اليهم بصدقات أموالهم وألطاف بلادهم فخذ معك عينا من عندي وألطافا وكتبا واذهب حتى تأتي عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب فاقدم عليه متخشعا والكتب على ألسنة أهل تلك القرية والالطاف من عندهم اليه فاذا رآك فانه سيردك ويقول لا أعرف هؤلاء القوم فاصبر عليه وعاوده وقل له قد سيروني سرا وسيروا معي ألطافا وعينا وكلما جبهك وأنكر اصبر عليه وعاوده والا كشف باطن أمره قال عقبة فأخذت كتبه والعين والألطاف وتوجهت الى جهة الحجاز حتى قدمت على عبد الله بن الحسن فلقيته بالكتب فأنكرها ونهرني وقال ما أعرف هؤلاء القوم قال عقبة فلم أنصرف وعاودته القول وذكرت له اسم القرية وأسماء أولئك القوم وان معي ألطافا وعينا فأنس بي وأخذ الكتب وما كان معي قال عقبة فتركته ذلك اليوم ثم سألته الجواب فقال أما كتاب فلا أكتب الى أحد ولكن أنت كتابي اليهم فاقرئهم السلام وأخبرهم أن ابني محمدا وابراهيم خارجان لهذا الأمر وقت كذا وكذا قال عقبة فخرجت من عنده وسرت حتى قدمت على المنصور فأخبرته بذلك فقال لي المنصور اني

من الحاضرين وقد علا دست الحرب وسمع وهو على فرسه بنفسه الغالية وراموا كشفها وهم في رقعة الارض كأنهم لم يعلموا بان الطارقة عالية وتالله لقد حرست بقوم لم يتدرعوا بغير آية الحرص في الاسحار وقد استيقظوا لحل قسيهم ولم تنم أعينهم عن الاوتار فاعيذ رواسيها التي هي كالجبال الشامخة عن أس رواسي المحجوج وأحصنها قلعة بالسماء ذات البروج وتطاولت الى السور المشرف وقد فضل في علم الحرب وحفظ أبوابها المقفلات فيا وقفنا على باب الا وجدناه لم يترك خلفه لصاحب المفتاح تلخيصا لما أبداه من المشكلات وما أحقه بقول القائل

فضائله سور على المجد حائط
و بالعلم هذا السور أضحى مشرفا

كم حلوا عليه وفاتوا في طريق حملتهم نصرا ونصبوا دست الحرب ولم يعلموا بانه قد طبخ لهم على كل باب قدرا فلا وأبيك لو نظرته يوم الحرب قد تصاعدت فيه أنفاس الرجال لقلت ونفخ في الصور ذلك يوم الوعيد والى المحاصرين وقد جاؤا راجلا وفارسا ليشهدوا القتال لقلت وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد والى كواكب الأسنة وقد انتثرت والى قبور الشهداء وهي من تحت أرجل الخيل قد بعثرت والى كر الفوارس وفرها لقلت علمت نفس ما قدمت وأخرت والى نار النفط وقد نفطت من غيضها والى ذكور السيوف وقد وضعت لنايا السعود وتعذرت من شدة الدماء لكثرة حيضها

ومن العجائب أن بيض سيوفهم
تلد المنايا السود وهي ذكور

والى فارس الغبار وقد ركب صهوات الجوّ ولحق بعنان السماء والى أهداب السهام وقد بكت لما تخضبت بالدماء والى كل هارب سلب عقله وكيف لا وخصمه له تابع والى كل

أريد الحج فاذا مررت بمكان كذا وكذا وتلقاني بنو الحسن وفيهم عبد الله فاني أعظمه وأكرمه وأرفعه وأحضر الطعام فاذا فرغ من أكله ونظرت اليه فتمثل بين يدي وقف قدامه فانه سيصرف وجهه عنك فدر حتى تقف من ورائه واغمز ظهره بابهام رجلك حتى يملأ عينيه منك ثم انصرف عنه واياك أن يراك وهو يأكل ثم خرج المنصور يريد الحج حتى اذا قارب البلاد تلقاه بنو الحسن فاجلس عبد الله الى جانبه وحادثه فطلب الطعام للغداء فأكلوا معه فلما فرغوا أمر برفعه فرفع ثم أقبل على عبد الله بن الحسن وقال يا أبا محمد قد علمت أن مما أعطيتني من العهود والمواثيق انك لا تريدني بسوء ولا تكيد لي سلطانا قال فأنا على ذلك يا أمير المؤمنين قال عقبة فلحظني المنصور بعينه فقمت حتى وقفت بين يدي عبد الله بن الحسن فاعرض عني فدرت من خلفه وغمزت رجله بابهام رجلي فرفع رأسه وملأ عينيه مني ثم وثب حتى جثا بين يدي المنصور وقال أقلني يا أمير المؤمنين أقالك الله فقال له المنصور لا أقالني الله ان لم أقتلك وأمر بحبسه وجعل يتطلب ولديه محمدا وابراهيم ويستعمل أخبارهما * قال علي الهاشمي صاحب غدائه دعاني المنصور يوما فاذا بين يديه جارية صفراء وقد دعا لها بانواع العذاب وهو يقول لها ويلك أصدقيني فوالله ما أريد الا الالفة ولئن صدقتيني لأصلن رحمه ولأتابعن البر اليه واذا هو يسألها عن محمد بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب وهي تقول لا أعرف له مكانا فأمر بتعذيبها فلما بلغ العذاب منها أغمي عليها فقال كفوا عنها فلما رأى أن نفسها كادت تتلف قال ما دواء مثلها قالوا شم الطيب وصب الماء البارد على وجهها وأن تسقى السويق ففعلوا بها ذلك وعالج المنصور بعضه بيده فلما أفاقت سألها عنه فقالت لا أعلم فلما رأى اصرارها على الجحود قال لها أتعرفين فلانة الحجامة فلما سمعت منه ذلك تغير وجهها وقالت نعم يا أمير المؤمنين تلك في بني سليم قال صدقت هي والله أمتي ابتعتها بمالي ورزقي يجري عليها في كل شهر وكسوة شتائها وصيفها من عندي سيرتها وأمرتها أن تدخل منازلكم وتحجمكم وتتعرف أحوالكم وأخباركم ثم قال لها أتعرفين فلانا البقال قالت نعم يا أمير المؤمنين هو في بني فلان قال صدقت هو والله غلامي دفعت اليه مالا وأمرته أن يبتاع به ما يحتاج اليه من الأمتعة وأخبرني ان أمة لكم يوم كذا وكذا جاءت اليه بعد صلاة المغرب تسأله حناء وحوايج فقال لها ما تصنعين بهذا قالت كان محمد بن عبد الله بن الحسن في بعض الضياع بناحية البقيع وهو يدخل الليلة وأردنا هذا ليتخذ النساء ما يحتجن اليه عند دخول أزواجهن من المغيب فلما سمعت الجارية هذا الكلام من المنصور ارتعدت من شدة الخوف وأذعنت له بالحديث وحدثته بكل ما أراد والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب واليه المرجع والمآب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿الباب الثاني والستون في ذكر الدواب والوحوش والطير والهوام والحشرات وما أشبه ذلك مرتبا على حروف المعجم﴾

﴿حرف الهمزة﴾

(الأسد) من السباع والأنثى أسدة وله أسماء كثيرة فمن أشهرها أسامة والحرث وقسور والغضنفر وحيدرة والليث والضرغام ومن كناه أبو الأبطال وأبو شبل وأبو العباس وهو أنواع * منها ما وجهه وجه انسان وشكل جسده كالبقر وله قرون سود نحو شبر ومنها ما هو أحمر كالعناب وغير ذلك وتلده أمه قطعة لحم وتستمر تحرسه ثلاثة أيام ثم يأتي أبوه فينفخ فيه فتنفرج أعضاؤه وتتشكل صورته ثم ترضعه وتستمر عيناه مغلقة سبعة أيام ثم تفتح ويقيم على تلك الحالة بين أبيه وأمه الى ستة أشهر ثم يتكلف الكسب بعد ذلك وله صبر على الجوع والعطش وعنده شرف نفس يقال انه لا يعاود فريسته ولا يأكل من فريسة غيره ولا يشرب من ماء ولغ فيه كلب وفي ذلك يقول بعضهم

سأترك حبكم من غير بغض * وذاك لكثرة الشركاء فيه
اذا وقع الذباب على طعام * رفعت يدي ونفسي تشتهيه
وتجتنب الأسود ورود ماء * اذا كان الكلاب يلغن فيه

واذا أكل نهش نهشا وريقه قليل جدا ولذلك يوصف بالبخر وعنده شجاعة وجبن وكرم فمن شجاعته الاقدام على الأمور وعدم الاكتراث بالغير ومن جبنه أنه يفر من صوت الديك والسنور والطست ويتحير عند رؤية النار ومن كرمه أنه لا يقرب المرأة خصوصا اذا كانت حائضا وقيل أربع عيون تضيء بالليل عين

مدفع وماله عند حكم القضاء دافع
والى قامات أقلام الخط وقد صار لها في طروس الأجسام مشق فاستصوبت عند ذلك رأي من قال عرج ركابك عن دمشق ونظرت بعد ذلك الى العشر وقد استحل في ذي الحجة المحرم وحمل كل قيسي عانيا وتقدم فخرج النساء وقد أنكرن منهم هذا الامر العسير فقلت
وغير بدع للنسا * اذا تنكرن العشير
وتصفحت بعد ذلك فاتحة باب النصر فعوذته بالاخلاص وزدت لله شكرا وحمدا وتأملت أهل الباب وهم يتلون لاهل البلد في سورة الفتح وللحاصرين وجعلنا من بين أيديهم سدا كم طلبوا فتحه فلم يجدوا لهم طاقة وضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب ونظرت الى ما قصت القلعة من أسواق التجار فوجدت كلا قد محت النار آثاره وأهله يتلون قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة فمنهم من همه شأنه على صاحبته وبنيه وآخر قد استغنى بشأن نفسه فهم كما قال الله لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه فوقفت أنشد في تلك الاسواق وقد سعرت
* ألا موت يباع فاشتريه *
ونظرت الى المؤمنين الركع السجود وهم يتلون على من ترك في بيوتهم أخدودا من وقود النار وقعد لحربهم في ذلك اليوم المشهود قتل أصحاب الاخدود النار ذات الوقود اذهم عليها قعود وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود هذا وكم مؤمن قد خرج من دياره حذر الموت وهو يقول النجاة وطلب الفرار وكلما دعاه قومه لمساعدتهم على الحريق ناداهم وقد عدم الاصطبار ويا قوم مالي أدعوكم

الأسد وعين النمر وعين السنور وعين الأفعى ❊ وروى أنه لما تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم والنجم اذا هوى قال عتبة بن أبي لهب كفرت برب النجم يعني نفسه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم سلط عليه كلبا من كلابك ينهشه فخرج من أصحابه في عير الى الشام حتى اذا كانوا بمكان يقال له الزرقاء زأر الأسد فجعلت فرائصه ترتعد فقالوا له من أى شئ ترتعد فرائصك فوالله ما نحن وأنت الا سواء فقال ان محمدا دعا على ووالله ما أظلت السماء من ذى لهجة أصدق من محمد ثم وضعوا العشاء فلم يدخل يده فيه ثم جاء النوم فحاطوا أنفسهم بمتاعهم وجعلوه بينهم وناموا فجاء الأسد يتهمس وشمهم رجلا رجلا حتى انتهى اليه فضغطه ضغطة كانت اياها فسمع وهو بآخر رمق يقول ألم أقل لكم ان محمدا أصدق الناس ولبعضهم في الأسد

عبوس شموس مصلخد مكابد ❊ جرئ على الاقران للقرن قاهر ❊ براثنه شثن وعيناه في الدجى
كجمر الغضي في وجهه الشر ظاهر ❊ بذيل بأنياب حداد كأنها ❊ اذا قلص الأشداق عنها خناجر

❊فائدة❊ اذا أقبلت على واد مسبع فقل أعوذ بدانيال والجب من شر الأسد وسبب ذلك على ما قيل ان بختنصر رأى في نومه أن هلاكه يكون على يده ولود فجعل يأمر بقتل الأطفال فخافت أم دانيال عليه فجاءت الى بئر فألقته فيه فأرسل الله له أسدا يحرسه وقيل ان بختنصر توهم ذلك في دانيال فضرى له أسدين وجعلهما في الجب وألقاه عليهما فلم يؤذياه وصارا يبصبصان حوله ويلحسانه فأقام ما شاء الله تعالى أن يقيم ثم اشتهى الطعام والشراب فأوحى الله تعالى الى أرمياء بالشام أن اذهب الى أخيك دانيال بجب كذا بمكان كذا قال أرمياء فسرت الى ذلك الموضع فلما وقفت على رأس ذلك الجب ناديته فعرفني فقال من أرسلك الى قلت أرسلني اليك ربك بطعام وشراب فقال الحمد لله الذى لا ينسى من ذكره والحمد لله الذى لا يخيب من قصده والحمد لله الذى من وثق به لا يكله الى غيره والحمد لله الذى يجزى بالاحسان احسانا وبالصبر نجاة وغفرانا والحمد لله الذى يكشف ضرنا بعد كربنا والحمد لله الذى هو ثقتنا حين تسوء ظنوننا بأعمالنا والحمد لله الذى هو رجاؤنا حين تنقطع الحيل عنا قال ثم صعد به أرمياء من الجب وأقام عنده مدة ثم فارقه ورجع (وحكى) أن يحيى بن زكريا عليهما الصلاة والسلام مر بقبر دانيال عليه الصلاة والسلام فسمع منه صوتا يقول سبحان من تعزز بالقدرة وقهر العباد بالموت قال بعض الصالحين من قال هذه الكلمات استغفر له كل شئ (وحكى) أن ابراهيم بن أدهم كان في سفره ومعه رفقته فخرج عليهم الأسد فقال لهم قولوا اللهم احرسنا بعينك التى لا تنام واحفظنا بركنك الذى لا يرام وارحمنا بقدرتك علينا فلا نهلك وأنت رجاؤنا يا ألله يا ألله يا ألله قال فولى الأسد هاربا ❊ وقيل لما حمل نوح عليه الصلاة والسلام في سفينته من كل زوجين اثنين قال أصحابه كيف نطمئن ومعنا الأسد فسلط الله عليه الحمى وهى أول حمى نزلت في الأرض ثم شكوا اليه العذرة فأمر الله تعالى الخنزير فعطس فخرج منه الفار فلما كثر وزاد ضرره شكوا ذلك لنوح عليه الصلاة والسلام فأمر الله سبحانه وتعالى الأسد فعطس فخرج منه الهر فخبب الفأر عنهم ويحرم أكل السبع لنهيه عليه الصلاة والسلام عن أكل كل ذى ناب من السباع وكل ذى مخلب من الطير (خواصه) فمن خواصه ان صوته يقتل التماسيح وشحمه من طلى به يده لم يقربه سبع ومرارة الذكر منه تحل المعقود ولحمه ينفع من الفالج واذا وضعت قطعة من جلده في صندوق لم يقربه سوس ولا أرضة واذا وضع على جلد غيره من السباع تساقط شعره وهو من الحيوان الذى يعيش ألف سنة على ما ذكر وعلامة ذلك كثرة سقوط أسنانه (الابل) قيل ما خلق الله شيأ من الدواب خيرا من الابل ان حملت أثقلت وان سارت أبعدت وان حلبت أروت وان نحرت أشبعت وفى حديث الابل عز لأهلها والغنم بركة والخيل معقود بنواصيها الخير الى يوم القيامة وهى من الحيوان العجيب وان كان عجيبه قد سقط لكثرة مخالطته الناس وقد أطاعها الله للآدمى وغيره حتى قيل ان قطارا كان ببعض حبله دهن فمرت فأرة فجذبته فسار معها القطار بواسطة جذبها له وهى مراكب البر ولذلك قرنها الله تعالى بالسفن فقال تعالى وعليها وعلى الفلك تحملون ولما كانت مراكب البر والبر فيه ماؤه قليل وماؤه كثير جعل الله تعالى لها صبرا على العطش حتى قيل انه يرتفع ظمؤها الى عشر وفى الحديث لا تسبوا الابل فانها من نفس الله تعالى أى مما وسع به على الناس حكاه ابن سيده والذى يعرف لا تسبوا الريح فانها من نفس الرحمن قال أصحاب الكلام في طبائع الحيوان ليس لشئ من الفحول مثل ما للجمل عند هيجانه فانه يسوء خلقه فيظهر زبده ويقل رغاؤه فلو حمل عليه ثلاثة

الى النجاة وتدعونني الى النار ونظرت ضواحى البلد وقد اسودت في وجوههم المذاهب وما لهم من الضيق مخرج وضاقت عليهم الأرض بما رحبت لما غلق في وجوههم باب الفرج فقلت اللهم اجعل لهم من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا ولعدم أموالهم من كل عسر يسرا ولانتهاك مخدراتهم من كل فاحشة سترا واقطع اطماعهم الى كل خير سبيل فانك حسبنا ونعم الوكيل هذا وكم نظرت الى سماء ربع غربت شمسه بعد الاشراق فانشدت وقد ازددت كربا من شدة الاحتراق

فديناك من ربع وان زدتنا كربا
فانك كنت الشرق للشمس والغربا

وانتهيت الى الطواقين وقد أسبل عليهم الحريق شدته فكشفوا الرؤس لعالم السرائر وكم ذات ستر خرجت بفرق مكشوف ورمت العصائب وبعلها بعينه دائر هذا وكم شاهدت

أسبلن من فوق النهود ذوائبا
فتركن حبات القلوب ذوائبا

ووصلت الى ظاهر الفراديس وقد قام كل الى فردوس بيته فاطلع فرآه في سواء الجحيم واندهشت لتلك الانفس التى ماتت من شدة الخوف وهى تستغيث للذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم ونظرت الى ظاهر باب السلامة وقد أخفت النار أعلامه ولقد كان أهله من صحة أجسامهم ومن اسمه كما يقال بالصحة والسلامة والى الشلاحة وقد لبست ثياب الحزن وذابت من أهلها الكبود وقعدوا بعد تلك الربوع على أديم الأرض ونضجت منهم الجلود ولقد والله عدمت لذات الحواس الخمس وضاقت على الجهات الست فلم ترق لى دمعة وأكلت الأنامل من الأسف لما سمعت بحريق أطراف السبعة

أضعاف عادته حمل ويقل أكله ويخرج له عند رفائه شقشقة لا تعرف من أي شيء هي من أجزائه وهو من الاحرار حتى قيل انه لا ينزو على أمه ولا على أخته حتى قيل ان بعض العرب ستر ناقة بثوب ثم أرسل عليها ولدها فلما عرف ذلك عمد الى احليله فأكله ثم حقد على صاحبه حتى قتله وليس له مرارة ولذلك كثر صبره وقيل يوجد على كبده شيء رقيق يشبه المرارة ينفع الغشاوة في العين كحلا وفي معدته قوة حتى انها تهضم الشوك وتستطيبه ويحل أكله بالنص والاجماع وأما تحريم يعقوب عليه الصلاة والسلام أكلها فباجتهاد منه وذلك انه كان يسكن البوادي فاشتكى عرق النسا فلم يجد ما يلائمه الا ترك أكل لحومها فلذلك حرمها * وأما انتقاض الوضوء بأكل لحمها فاختلف العلماء في ذلك فذهب الاكثرون الى انه لا ينقض وعليه الخلفاء الأربعة وابن مسعود وأبي وابن عباس وأبو الدرداء وأبو طلحة وعامر بن أبي ربيعة وأبو أمامة وجماهير التابعين وبه أخذ مالك والشافعي وأبو حنيفة وأصحابهم وخالف في ذلك أحمد واسحق ويحيى بن يحيى بن المنذر وابن خزيمة واختاره البيهقي وهو مذهب الشافعي القديم (خواصه) قال ابن زهر وغيره أكل لحمه يزيد في الباه وفي الانعاظ بعد الجماع وبوله يفيق السكران ووبره اذا أحرق وذر على دم سائل قطعه وقراده اذا ربط على كم عاشق يزول عشقه (الأرضة) بفتح الهمزة والراء دويبة صغيرة كنصف العدسة تأكل الخشب والورق ولما كان فعلها في الارض أضيف اسمها اليها قال القزويني اذا أتى على الارضة سنة نبت لها جناحان طويلان تطير بهما ويقال انها الدابة التي دلت الجن على موت سليمان عليه الصلاة والسلام ومن شأنها أنها تبني لنفسها بيتا من عيدان تجمعها مثل بيت العنكبوت مخروطا من أسفله الى أعلاه وله في احدى جهاته باب مربع ومنه تعلم الاوائل وضع النواويس لموتاهم والنمل عدوها وهو أصغر منها فيأتي من خلفها ويحملها ويمشي بها الى جحره لانه اذا أتاها مستقبلا لا يغلبها (الارنب) حيوان يشبه العناق قصير اليدين طويل الرجلين يطأ الارض على مؤخر قدميه وهو اسم يطلق على الذكر والانثى وله شدة شبق وربما تسفد وهي حبلى ويكون عاما ذكرا وعاما أنثى * ومن عجائبها انها تنام وعيناها مفتوحتان فيأتي الصياد فيظنها مستيقظة قيل من رأى أرنبا عند خروجه من بيته أول ما يخرج أو رآه عند قيامه من نومه واصطبح به لم تقض له حاجة في ذلك اليوم ومن عجيب أمره أن تحمل الانثى منه باثنين وثلاثة وأربعة ولا تلد الا تحت الارض خوفا على أولادها من الانسان وتحفر تحت الارض الحفائر القوية حتى انها تخرب الجدران وعند ولادتها ينتحل شعرها وهي تحضن الاولاد الى عشرين يوما ومن طبعه انه أبله وفيه قوة وشدة وفي سفاده حالة نزوه يصرخ الذكر والانثى كالسنانير فاذا وقع منه الانزال وقع على الارض قليل الحركة وعند سفاده تديرله وجهها فاذا ملكها بعد ذلك فانها تجري به وهو راكب عليها يجري معها * فائدة * ذكر ابن الاثير في الكامل أن صديقا له اصطاد أرنبا وله أنثيان وذكر وفرج * وقيل التقطت الأرنب تمرة فاختلسها الثعلب فأكلها فانطلقا يختصمان الى الضب فقالت الارنب يا أبا حسل فقال سميعا دعوت قالت أتيناك لنختصم قال عادلا حكيما قالت فاخرج الينا قال في بيته يؤتى الحكم قالت اني وجدت تمرة حلوة قال فكليها قالت قد اختلسها الثعلب قال لنفسه بغى الخير قالت فلطمته قال بحقك أخذت قالت فلطمني قال اقتص قالت فاقض بيننا قال قد قضيت فذهبت أقواله أمثالا (ومن ذلك) ما حكي ان عدي بن ارطاة أتى شريحا القاضي في مجلس حكمه فقال له أين أنت قال بينك وبين الحائط قال فاسمع مني قال للاستماع جلست قال اني تزوجت امرأة قال بالرفاء والبنين قال فشرط أهلها أن لا أخرجها من بينهم قال أوف لهم بالشرط قال فأنا أريد الخروج قال الشرط أملك قال أريد أن أذهب قال في حفظ الله قال فاقض بيننا قال قد فعلت قال فعلى من قضيت قال على ابن أمك قال بشهادة من قال بشهادة ابن أخت خالتك (الخواص) قال الجاحظ من علق عليه كعب أرنب لم تضره عين ولا سحر وأكل دماغه يبرئ من الارتعاش العارض من البرد وان شربت المرأة الحامل أنفحة الذكر ولدت ذكرا وان شربت أنفحة الانثى ولدت أنثى وان علقت عليها زبلها لم تحمل والارنب البحري من السموم فلا يحل أكله (سقنقور) دابة شكلها كالوزغة اذا أخذت وسلخت وملحت وشرب منها مثقال زاد في الباه وهو من الاشياء النفيسة عند أهل الهند يقال انه يهدى اليهم فيذبحونه بسكين من الذهب ويحشونه من ملح مصر فاذا وضعوا منه مثقالا على لحم أو بيض نفع نفعا عظيما (الافعى) الانثى من الحيات والذكر أفعوان وهو

فأعيذ ما بقي من السبعة بالسبع المثاني والقرآن العظيم فكم رأينا بها يعقوب حزن رأى سواديته فاصفر لونه وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم وتغربت الى ظاهر الباب الشرقي فتشرقت بالدمع من شدة الالتهاب فلقد كان أهله من دار عينيه وكرومه الكريمة في جنتين من نخيل وأعناب وتوسلت الى ظاهر باب كيسان فانفقت كيس الصبر لما افتقرت من دنانير تلك الأزهار والدراهم رباها وسمعت بعد ذلك بالعين واستخدمت فقلت بسم الله مجراها وكابرت الى أطراف الباب الصغير فوجدت فاضل النار لم يغادر منها صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها فيالهفي على عروس دمشق التي لم تذكر محاسنها أسماء ولا الجيداء لقد كانت ست الشام فاستعبدها مالك النار حتى صارت جارية سوداء ولقد وقفت بين ربوعها وقد التهبت أحشاؤها بالاضطرام وفطم جنين نبتها عن رضاع ثدي الغمام فاستسقيت لها بقول ابن أسعد حيث قال

سقى دمشق وأياما مضت فيها
مواطر السحب ساريها وغاديها
ولا يزال جنين النبت ترضعه
حوامل المزن في احشا أراضيها
فما نضا حبها قلبي لنيريها
ولا قضى نحبه ودي لواديها
ولا تسليت عن سلسال ربوتها
ولا نسيت مبيتي جار جاريها

هذا وكم خائف قبل اليوم آويناه بها الى ربوة ذات قرار وكم كان بها مطرب طير خرج بعد ما كان يطرب على عود وطار وبطل الجنك لما انقطعت أوتار أنهاره فلم يبق له مغني وكسر الدف لما خرج نهر المغنية عن المغنى واستسمع الناس من قال

يعيش ألف سنة على مايقال ويعرف بالشجاع والأسود وهو أشر الحيات وأشرها حيات وأفاعي سجستان ومن أعجب مايحكى عنها أنها الدغت انسانا في رجله فانصدعت جبهته ﴿وحكى﴾ انها نهشت ناقة وفصيلها يرتضع فمات قبل أمه وقيل لما دخل شبيب بن شبة على المنصور قال له ياشبيب أدخلت سجستان فقال له نعم قال صف لي أفاعيها قال ياامير المؤمنين هي دقاق الأعناق صغار الاذناب مقلطحة الرؤس رقش برش كأنما كسين أعلام الحبرات كبارهن حتوف وصغارهن سيوف وقيل انها تندفن في التراب أربعة أشهر في البرد ثم تخرج وقد أظلمت عيناها فتمر بشجر الرازيانج وهو الشمر الأخضر فتحك عينيها به فيرجع اليها بصرها فسبحان من ألهمها ذلك وقال الزمخشري اذا عميت الافعى بعد ألف سنة ألهمها الله تعالى أن تأتي البساتين وتلقي نفسها على هذه الشجرة وتحك عينيها بها فتبصر وقيل اذا قطع ذنبها عاد كما كان واذا اقلع نابها عاد بعد ثلاثة أيام وهي أعدى عدو للانسان وقال بعضهم رأيت حية قد ابتلعت كبشا عظيم القرنين فجعلت تضرب به الحجارة يمنة ويسارا حتى كسرت القرنين وابتلعته وقرنيه والله تعالى أعلم وقيل اذا قطع ذنب الحية تعيش ان سلمت من الذر وقيل ان بالحبشة حيات لها أجنحة تطير بها وقيل ان جلدها ينسلخ عنها في كل سنة مرة وقيل ان الجلد لاينسلخ وانما الذي ينسلخ قشر فوق الجلد وغلاف يخلق لها كل عام وهي تبيض على عدد أضلاعها أي ثلاثين بيضة فيجتمع عليها النمل فيفسدها بقدرة الله تعالى الا نادرا ﴿ومن عجيب أمرها أنها لاترد الماء ولاتريده ولكنها اذا شمت رائحة الخمر فلاتكاد تصبر عنه مع انه سبب هلاكها لانها اذا شربت سكرت فتعرضت للقتل والذكر لايقيم في الموضع وانما تقيم الانثى لاجل فراخها حتى تكتسب قوة فاذا قويت أخذتهم وانسابت فأي جحر وجدته دخلت فيه وأخرجت صاحبه منه وعينها لاتدور واذا اقلعت عادت ﴿ومن عجيب أمرها انها تهرب من الرجل العريان وتفرح بالنار وتقرب منها وتحب اللبن حبا شديدا واذا دخلت بصدرها في جحر لايستطيع أقوى الناس اخراجها منه ولو قطعت قطعا وليس لها قوائم ولا أظفار وانما تقوى بظهرها لكثرة أضلاعها (وحكى) عمر بن يحيى العلوي قال كنا في طريق مكة فأصاب رجلا منا استسقاء فاتفق أن العرب سرقوا منا قطار جمال على أحدها ذلك الرجل قال ثم بعد أيام جمعتنا المقادير فوجدته قد برئ فسألناه عن حاله فقال ان العرب لما أخذوني جعلوني في أواخر بيوتهم فكنت في حالة أتمنى فيها الموت وبينما أنا كذلك اذ أتوا يوما بأفاعي اصطادوها وقطعوا رؤسها وأذنابها وشووها بعد ذلك فقلت في نفسي هؤلاء اعتادوها فلاتضرهم فلعلي ان أكلت منها مت فاسترحت فاستطعمتهم فأطعموني واحدة فلما استقرت في بطني أخذني النوم فنمت نوما ثقيلا ثم استيقظت وقد عرقت عرقا شديدا واندفعت طبيعتي نحو مائة مرة فلما أصبحت وجدت بطني قد ضمر وقد انقطع الالم فطلبت منهم ماكولا فأكلت وأقمت عندهم أياما فلما نشطت ووثقت من نفسي بالحركة أخذت في الطريق مع بعضهم وأتيت الكوفة ﴿فائدة﴾ قيل ان الريحان الفارسي لم يكن قبل كسرى وانما وجد في زمانه وسببه ان كسرى كان ذات يوم جالسا في بعض متفرجاته اذ جاءته حية فانسابت بين يديه وتمرغت وصارت تتعلق مثل الذي يشتكي فاراد بعض الجند قتلها فمنعهم الملك ثم قال لهم انظروا أمرها فلما سمعت ذلك انسابت بين يديه فأمرهم أن يتبعوها الى المكان الذي تريده قال فجاءت الى بئر وصارت تنظر فيه قال فنظروا فاذا فيه حية عظيمة وعلى ظهرها عقرب أسود فنخسوا بعضهم برمح فقتلها وتركوها ورجعوا فأخبروا الملك بذلك فلما كان الغد جاءت الحية للملك وفي فمها بزر فنثرته بين يدي الملك وذهبت فقال الملك انها أرادت مكافأتنا اجعلوه في الارض لننظر مايكون من أمره قال ففعلوا ذلك فطلع منه الريحان قال فلما انتهى أمره أتوا به الى الملك قال وكان به زكام فشمه فبرئ ﴿لطيفة﴾ من غريب مااتفق لعماد الدولة انه لما ملك شيراز اجتمع عليه أصحابه وطلبوا منه مالا ولم يكن عنده مايرضيهم به فاغتم لذلك ونام مستلقيا على قفاه مفكرا في ذلك واذا بحية عظيمة خرجت من سقف ذلك المجلس ودخلت في سقف آخر قال فطلب سلما وصعد لينظر المكان الذي خرجت منه فلما رآه وجد كوة فنظر في داخلها فاذا هي مطمورة فدخلها فوجد فيها صندوقا فيه خمسمائة ألف دينار فأمر باخراجه وانفاقه على عسكره (ومن ألطف مااتفق له أيضا) أنه كان ببلاد خياط أطروش وكان الملك الذي قبله قد أودع عنده وديعة مال قال فطلبه عماد الدولة ليخيط له على عادته لانه هو الذي يخيط

انهض الى الربوة مستمتعا
تجد من اللذات مايكفي
فالطير قد غنى على عوده
في الروض بين الجنك والدف
واصبحت أوقات الربوة بعد ذلك العيش الخضل واليسر عسيره وأقفر
كان أهلها في ظل ممدود وماء مسكوب وفاكهة كثيرة فعبس بعد ذلك ثغر روضها الباسم وضاع من غير تورية عطره الناسم ولم ينتظر لزهره المنثور على ذلك الوشي المرقوم رسالة من النسيم بهربه وكيف لا وقد محى سجع المطوق من طروس تلك الأوراق النباتية هذا وكم عروس روض سور معصمها النقش فلما انقطع نهرها صح أنها كسرت السوار وكم دولاب نهر بطل غناؤه على تشبيب النسيم بالقصب وعطلت نوبته من تلك الأدوار فوقفت أندب ذلك العيش الذي كان بذلك التشبيب موصولا وأنشد ولم أجد بعد تلك النوبة المطربة الى مغنى الربوة دخولا
لم لا أشبب بالعيش الذي انقرضت
أوقاته وهو باللذات موصول
ونقص يزيد فاحترق ولا ينكر
ايزيد الحريق على صنعه وانقطع ظهر ثور فأهلك الحرث والنسل بقطعه وذاب بردى وحمى مزاجه لما شعر بالحريق ولم يبق في ثغره الاشنب برد حصبائه مايبل الريق وانقطع وقد امتل من فيضه بانياس ولم يظهر عند قطعه خلاف ولا بان آس وجرى الدم من شدة الطعن بالقنوات وكسرت قناة المرجة فذاقت مر العيش بعد حلاوة تلك القطوف الدانيات وكسر الخلخال لما قام الحرب على ساقه وسقط رأس كل غصن على الجبهة فهاجت البلابل على أوراقه وخر نهر حمص خاضعا وتكدر بعدما كان يصفي لناقليه وافتقر أغنياء غصونه من حبات تلك الثمار فصاروا لايملكون

للملوك قال فتوهم الاطروش أنه غمز عليه بسبب الوديعة فلما حضر بين يدى عماد الدولة قال له ان فلانا المالك لم يدع عندى سوى اثنى عشر صندوقا ولم أدر ما فيها فأمر باحضارها فاحضرها فأخذها عماد الدولة ووسع بها على جنده وتعجب من هاتين القضيتين فكانت هذه الاسباب من دلائل السعادة له * وأمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتل الحيات بعد أن تنذر ثلاث مرات وقيل ثلاثة أيام وأما سكان البيوت فالانذار لها متعين وفى الحديث من قتل حية فكأنما قتل مشركا ومن لبس خفا فلينفضه ومن آوى الى فراشه فلينظفه (الخواص) يقال ان دمها يجلو البصر وقلبها اذا علق على انسان لا يؤثر فيه السحر وضرسها اذا علق على من به وجع الضرس سكن الايمن للايمن والايسر للايسر ولحمها قال بقراط الحكيم من أكله أمن من الامراض الصعبة (الانيس) وتسميه الرماة الانيسة لانه من طيور الواجب عندهم وهو طير له لون حسن غذاؤه الفاكهة ومأواه الانهار والبساتين والغياض وله صوت حسن كالقمرى (الاوز) طير يحب السباحة وفراخه تخرج من البيضة تسبح (الخواص) فى جوفه حصاة تنفع المبطون ودهنه ينفع من ذات الجنب وداء الثعلب اذا طلى به ولسانه ينفع اقطار البول وغذاؤه جيد الا انه بطىء الهضم (الايل) بتشديد الياء المكسورة ذكر الوعل وله أسماء باختلاف اللغات وهو يشبه بقر الوحش واذا خاف من الصياد رمى بنفسه من رأس الجبل ولا يتضرر بذلك واذا لسعته حية ذهب الى البحر فأكل السرطان فيشفى (خواصه) أن السمك يحب رؤيته وهو يحب ذلك ولذلك أكثر ما يكون بقرب البحر والصيادون يعرفون ذلك فيلبسون جلده ليراهم السمك فيأتى لهم وهو مولع بأكل الحيات ورعا السعته فتسيل دموعه تحت محاجر عينيه حتى تصير نقرتين من كثرة ذلك ثم تجمد تلك الدموع فتصير كالشمع فتؤخذ وتجعل دواء للسم وهو الذى يسمى بالبزهير الحيوانى وأجوده الاصفر وأكثر ما يكون ببلاد الهند والسند وفارس واذا وضع على لسعة الحيات أبرأها وان وضعه الملسوع فى فيه نفعه وهذا الحيوان لا تنبت قرناه الا بعد سنتين وينبتان فى أول الامر مستقيمين ثم بعد ذلك يحصل فيهما التشعب ولا يزال يزيد الى ست سنين فحينئذ يصيران كالنخلتين ثم بعد ذلك يلقيهما فى كل سنة مرة ثم ينبتان قال ارسطو وهذا النوع يصاد بالصفير والاصوات المطربة فانه يحب الطرب والصيادون يشغلونه بذلك ويأتونه من ورائه فاذا رأوه قد استرخت أذناه وثبوا عليه وقرنه مصمت واحليله من عصب لا عظم فيه ولا لحم وهو من الحيوانات الذى يزيد فى السمن فاذا حصل له ذلك فر من مكانه خوفا من الصيادين وحكمه حل أكله (الخواص) اذا بخر بقرنه البيت طرد الهوام التى فيه واذا أحرق واستاك به الذى به صفرة الاسنان زال ذلك عنه ومن علق عليه شىء منه ذهب نومه ومن خواصه ان دمه يفتت الحصاة التى بالمثانة شربا والله سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿حرف الباء الموحدة﴾

(باز) كنيته أبو الاشعث وهو من أشد الحيوان تكبرا وأضيقها خلقا قال القزوينى انها لا تكون الا أنثى وذكرها من غيرها اما من جنس الحدأة أو الشواهين ولاجل ذلك تختلف ألوانها وهو أصناف منها البازى والباشق والشاهين والبيدق والصقر والبازى أحرها مزاجا لانه لا يصبر على العطش فلذلك لا يفارق الماء والاشجار المتسعة والظل الظليل وهو خفيف الجناح سريع الطيران تكثر أمراضه من كثرة طيرانه لانه كلما طار انحط لحمه وهزل وأحسن أنواعه ما قل ريشه واحمرت عيناه مع حدة فيهما قال الشاعر

لو استضاء المرء فى ادلاجه * بعينه كفته عن سراجه

ودونه الأزرق الاحمر العينين والاصفر دونهما * ومن صفاته المحمودة أن يكون طويل العنق عريض الصدر بعيد ما بين المنكبين شديد الانحطاط من الجو غليظ الذراعين مع قصر فيهما ﴿لطيفة﴾ من عجيب أمره أن الرشيد خرج ذات يوم للصيد فارسل بازا فغاب قليلا ثم أتى وفى فمه سمكة فاحضر الرشيد العلماء وسألهم عن ذلك فقال مقاتل يا أمير المؤمنين روينا عن جدك ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه قال ان الجو معمور بأمم مختلفة الخلق وفيه دواب تبيض وتفرخ على هيئة السمك لها أجنحة ليست بذوات ريش فأجاز مقاتلا على ذلك وأكرمه (بالة) سمكة عظيمة قال القزوينى يقال ان طولها يبلغ خمسمائة ذراع وقال غيره خمسون ويقال لها العنبر وهى تظهر فى بعض الاحايين لاصحاب المراكب فاذا رأوها طبلوا بالطبول حتى انها تنفر لان لها جناحين كالقناطر اذا نشرتهما أغرقتهم فاذا بغت على حيوان البحر وزاد شرها أرسل الله عليها سمكة نحو

حنطا لما كان أهله فاكهين ولكنهم اعترفوا بذنوبهم فقالوا وكنا نخوض مع الخائضين وذلت عوارض تلك الجزيرة التى كانت على وجنات شطوطه مستديره فقلنا بعد عروس دمشق وحماتها لا حاجة لنا بحمص والجزيرة فيا لهفى على منازل الشرف وذلك الوادى الذى نعق به غراب البين ويا شوقى الى رأس تلك المرجة التى كانت تحلسنا قبل اليوم على الرأس والعين هذا وقد اسودت الشقراء فامست كابية لما حصل على ظهرها من الجولان وجانسها العكس فاضحت باكية على فراق الابلق واخضر ذلك الميدان يا مولانا لقد بكى الملوك من الاسف بدمعة حمراء على ما جرى من أهل الشهباء هل فى الميدان على الشقراء حتى كذب الناس من قال

قل للذى قايس بين حلب
وجلق بمقتضى عيانها
ما تلحق الشهباء فى حلبتها
تعثر الشقراء فى ميدانها

فقال لسان الحال والله ما كذب ولكنه قد يخبو الزناد وقد يكبو الجواد وقد يصاب الفارس بالعين التى تغمز قناته غمزا وأنشد

ومن ظن أن سيلاقى الحروب
وأن لا يصاب فقد ظن عجزا

ودخلت بعد ذلك الى البلد فوجدت على أهله من دروع الصبر سكينه فقلت يا رب مكة والحرم انظر الى أحوال أهل المدينة ولكن ما دخلت بها الى حمام الا وجدته قد ذاق لقطع الماء عنه حماما واعلم القوام والقاعدون بأرضه انها ساءت مستقرا ومقاما وتلا على بيت ناره قلنا يا نار كونى بردا وسلاما فحسن ان أنشد قول ابن الجوزى (من كان وكان)

والحار عندك بارد
والنهر أمسى منقطع

الذراع تلتصق باذنها ولا خلاص لها منها فتنزل الى قعر البحر وتضرب رأسها به حتى تموت ثم تطفو بعد ذلك فيقذفها الريح الى الساحل فيأخذها أهله ويشقون جوفها ويستخرجون منها العنبر (ببغاء) هي أصناف كثيرة منها الاخضر والرمادى والاصفر والابيض يتخذها الملوك والرؤساء لحسن لونها وصوتها وفصاحتها (حكى) أنه أهدى لمعز الدولة درة بيضاء سوداء الرجلين والمنقار ويقال ان نوعا منها يقرأ القرآن (الخواص) من أكل لسانها تفصح واذا جفف دمها وجعل بين الصديقين حصلت بينهما الخصومة وزبلها يخلط بماء الحصرم ويكتحل به ينفع من الرمد وظلمة البصر (بجع) طائر أبيض اللون يميل الى صفرة طويل المنقار كبير البطن أكثر أكله السمك (بح) طائر لطيف يأوى أطراف الماء وهو خلقة شريفة لم يوجد غالبا الا اثنين فقط (براق) هو الدابة التى ركبها النبى صلى الله عليه وسلم وهو دون البغل وفوق الحمار أبيض اللون (برذون) نوع من الخيل دون الفرس العربى وفى الحديث أن النبى صلى الله عليه وسلم ركبه وكذا عمر رضى الله تعالى عنه فلما ركبه عمر جعل يتخطل به فنزل عنه وضرب وجهه وقال لا علم الله من علمك هذه الخيلاء ولم يركب برذونا قبله ولا بعده وكنيته أبو الاخطل لطول ذنبه وأنشد السراج الوراق فى ذم البراذين يقول

لصاحب الاحباس برذونة * بعيدة العهد عن القرط * اذا رأت خيلا على مربط
تقول سبحانك يا معطى * تمشى الى خلف اذا ما مشت * كأنما تكتب بالقبطى

(الخواص) اذا شربت امرأة دمه لم تحبل أبدا وزبله يخرج المشيمة والجنين الميت واذا جفف وذر منه على من به الرعاف انقطع رعافه وكذا الجرح (برغوث) تفتح منه الباء وتضم وكنيته أبو طامر وأبو عدى وأبو وثاب وهو يثب الى ورائه ﴿وحكى﴾ أنه يعرض له الطيران كالنمل وهو يطيل السفاد ويبيض ويفرخ وأصله أولا من التراب لا سيما فى الاماكن المظلمة وسلطانه فى أواخر الشتاء وأول فصل الربيع ويقال انه على صورة الفيل وله أنياب وخرطوم وقال بعضهم دبيبها من تحتى أشد من عضها وليس ذلك بدبيب ولكن البرغوث خبيث يستلقى على ظهره ويرفع قوائمه فيزغزغ بها فيظن من لا علم له أنه يمشى تحت جنبيه وكان أبو هريرة رضى الله تعالى عنه يفلى ثوبه فيلتقط البراغيث ويدع القمل فقال له أنس فى ذلك فقال ابدأ بالفرسان وأكر على الرجالة وأنشد أعرابى

ليل البراغيث أعيانى وأنصبنى * لابارك الله فى ليل البراغيث
كأنهن وجلدى اذ خلون به * قضاة سوء أغاروا فى المواريث

﴿وقال أبو الرماح الازدى﴾

تطاول بالفسطاط ليلى ولم يكن * بوادى الغضى ليلى على يطول * تؤرقنى حدب قصار أذلة
وان الذى يؤذينه لذليل * اذا جلت بعض الليالى منهن جولة * تعلقن فى رجلى حيث أجول
اذا ما قتلنا هن أضعفن كثرة * علينا ولا ينعى لهن قتيل
ألا ليت شعرى هل أبيتن ليلة * وليس لبرغوث على سبيل

﴿وقال ابن أيبك الصفدى﴾

أشكو الى الرحمن ما نالنى * من البراغيث الخفاف الثقال
تعصبوا بالليل لما دروا * أنى تقنعت بطيف الخيال

ولا يسب البرغوث لما ورد أن النبى صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يسب برغوثا فقال لا تسبه فانه أيقظ نبيا الى صلاة الفجر ﴿فائدة﴾ سئل مالك عن البرغوث من يقبض روحه فقال أله نفس قيل نعم قال الله يتوفى الانفس حين موتها * ولقد شكا عامل افريقية الى عمر بن عبد العزيز شر الهوام فكتب اليه اذا أوى أحدكم الى فراشه فليقرأ وما لنا أن لا نتوكل على الله الآية وقال حنين بن اسحق الحيلة فى دفع البرغوث أن تأخذ شيأ من الكبريت فتدخن به فى البيت فانها تفر من ذلك وقيل يرش البيت بماء السذاب وقيل مشاق المراكب يحرق فى البيت مع قشور النارنج ﴿بعوض﴾ قيل انه على خلقة الفيل الا انه أكثر أعضاء منه فان للفيل أربعة أرجل وللبعوض ستة ويزيد عليه بأربعة أجنحة وله خرطوم مجوف نافذ فاذا طعن به جسد انسان استقى الدم وقذف به الى جوفه فهو له كالبلعوم والحلقوم ومما ألهمه الله تعالى أنه اذا جلس على

عضو

والعين لا ماء فيها
ماحيـلة القوام
وأتيت بعد ذلك الى الجامع الاموى فاذا هو لاشتات المحاسن جامع وآيته طالما لبديع حسنه فظفرت بالاستضاءة والاقتباس من ذلك النور الساطع وتمسكت باذيال حسنه لما انشقت تلك النفحات السحريه وتشوقت الى النظم والنثر لما نظرت الى تلك الشذور الذهبيه وآنست من جانب طوره نارا فرجع الى ضياء حسى واندهشت لذلك الملك السليمانى وقدها بالبساط والكرسى وقلت هذا ملك سعد من وقف فى خدمته خاشعا وشقى من لم يدس بساطه ويأته طائعا ولقد صدق من قال

أرى الحسن مجموعا بجامع جلق
وفى صدره معنى الملاحة مشروح
فان يتغالى بالجوامع معشر
فقل لهم باب الزيادة مفتوح

معبدله قصبات السبق ولكن كسرت عند قطع الماء قناته ورأيته فى القبلة من شدة الظما وقد قويت من ضجيج المسلمين اناته وخفض النسر جناح الذل وودبان يكون النسر الطائر وطمست مقل تلك المصابيح فاندهش لذلك الناظر هذا وكم نظرت الى بحر مكرم ليس له بعد اكسير الماء جابر واختفت نجوم تلك الاطباق التى كانت كالقلائد فى جيد الغسق ومرت حلاوة نارها بعد ما ركبت طبقا عن طبق وأصبح دوحه وهو بعد تلك النضارة والنعيم ذابل وكادت قناديله وقد سلبت لفقد الماء ان تقطع السلاسل ولم تشر الناس باصابعها الى فصوص تلك الخواتم المذهبه ولم يبق على ذلك الغصن طلاوة بعد الماء وحلاوة سكبها الطيبه وتذكر المنبر عند قطع الماء أوقاته بالروضه وتكدرت أفراحه لما ذكر أيامه بتلك الغيضه

عضو انسان يتتبع مسام العروق فانه أرق وأسرع له فى اخراج الدم وعنده شره فى مصه حتى قيل انه لا يمص شيأ فيتركه باختياره الا أن ينشق أو يطار * ومن عجيب أمره أنه ربما قتل البعير وغيره من ذوات الاربع فيتركه طريحا وقال الجاحظ من علم البعوض ان وراء جلد الجاموس دما وأن ذلك الدم غذاء لها وأنها اذا طعنت فى ذلك الجلد الغليظ نفذ فيه خرطومها مع ضعفه ولو انك طعنت فيه بمسلات شديدة المتن رهيفة الحد لانكسرت فسبحان من رزقها على ضعفها بقوته وقدرته قال بعضهم

أقول لنازل البستان طوبى * لعيشك لم تنلك فيه البعوض
عجلت له فليس له قرار * ويثخنه فليس له نهوض
حماه قرصه وطنينه وأن * يبيت وعينه فيها الغموض
كأنك حين تهدى بالأغانى * تكرر فى مسامعك العروض

ومن الحكم التى أودعها الله تعالى اياها أن جعل الله فيها قوة الحافظة والفكر وحاسة اللمس والبصر والشم ومنفذ الغذاء وجوفا ومخا وعروقا وعظاما فسبحان من قدر فهدى ولم يترك شيأ سدى وقال الزمخشرى فى تفسير سورة البقرة فى ذلك

يا من يرى مد البعوض جناحها * فى ظلمة الليل البهيم الأليل
ويرى مناط عروقها فى نحرها * والمخ من تلك العظام النحل
ويرى خرير الدم فى أوداجها * متنقلا من مفصل فى مفصل
ويرى وصول غذا الجنين ببطنها * فى ظلمة الاحشا بغير تعقل
ويرى مكان الوطء من أقدامها * فى سيرها وحثيثها المستعجل
ويرى ويسمع حس ما هو دونها * فى قاع بحر مظلم متهول
امنن على بتوبة تمحو بها * ما كان منى فى الزمان الاول

﴿بغل﴾ معروف وكنيته أبو قوص وأبو حرون وله كنى غير ذلك كثيرة وهو مركب من الفرس والحمار ولذلك صار له صلابة الحمار وعظم الخيل وهو عقيم لا نسل له روى ابن عساكر فى تاريخ دمشق عن على كرم الله وجهه أنها كانت تتناسل فدعا عليها ابراهيم الخليل لانها كانت تسرع فى نقل الحطب لنار المجنيق فقطع الله نسلها وهو أشر الطباع لانه تجاذبه الاعراق المتضادة والاخلاق المتباينة والعناصر المتباعدة ومن العجب أن كل عضو فرضته منه كان بين الفرس والحمار (الخواص) يقال ان حافر البغلة السوداء ينفع لطرد الفار اذا بخر به البيت واذا سحق حافره بعد حرقه وخلط بدهن الآس وجعل على رأس الاقرع نبت شعره وزبله اذا شمه المزكوم زال زكامه على ماذكر ﴿بقر﴾ حيوان شديد القوة خلقه الله تعالى لمنفعة الانسان وهو أنواع منها الجواميس وهى أكثرها ألبانا وكل حيوان اناثه أرق أصواتا من ذكوره الا البقر وأنثاه يضربها الفحل فى السنة مرة واذا اشتدت شبقها تركت المرعى وذهبت واذا اطلع عليها الفحل التوت تحته اذا أخطأ المجرى لشدة صلابة ذكره قال المسعودى رأيت بالرى البقر تحمل كالبعير فتبرك على ركبتيها ثم تثور بالحمل (عجيبة) حكى فى الاحياء ان شخصا كان له بقرة وكان يشوب لبنها بالماء ويبيعه فجاء السيل فى بعض الاودية وهى واقفة ترعى فرعليها فغرقها فجلس صاحبها يندبها فقال له بعض بنيه يا أبت لا تندبها فان المياه التى كنا نخلطها بلبنها اجتمعت فغرقتها ﴿فائدة﴾ ذكر ابن الفضل فى كتابه عن وهب بن منبه أنه قال لما خلق الله تعالى الارض ماجت واضطربت كالسفينة فخلق الله تعالى ملكا فى نهاية العظم والقوة وأمره أن يدخل تحتها ويجعلها على منكبيه فدخل وأخرج يدا من المشرق ويدا من المغرب وقبض على أطراف الارض وأمسكها ثم لم يكن لقدميه قرار فخلق الله تعالى صخرة من ياقوتة حمراء فى وسطها سبعة آلاف ثقب يخرج من كل ثقب بحر لا يعلم عظمه الا الله تعالى ثم أمر الصخرة أن تدخل تحت قدمى الملك ثم لم يكن للصخرة قرار فخلق الله تعالى ثورا عظيما يقال له كيوثاء له أربعة آلاف عين ومثلها أنوف وآذان وأفواه وألسنة وقوائم ما بين كل قائمتين منها مسيرة خمسمائة عام وأمر الله تعالى هذا الثور فدخل تحت الصخرة وحملها على ظهره وقرونه ثم لم يكن للثور قرار فخلق الله تعالى حوتا يقال له بهموت ثم أمره الله تعالى أن يدخل تحته ثم جعل الحوت على ماء ثم جعل الماء على الهواء ثم جعل الهواء على ماء أيضا ثم جعل الماء على الثرى ثم الثرى على الظلمة ثم انقطع علم الخلائق (الخواص) شحم البقر اذا خلط بزرنيخ أحمر طرد العقارب واذا طلى به اناء اجتمعت البراغيث اليه واذا شرب لبنها زاد فى الانعاظ وقرنها اذا سحق وجعل فى طعام صاحب الحمى فاكله زالت الحمى ومرارتها اذا خلطت بماء الكراث نفعت من

وأنشد لسان حاله

لو ان مشتاقا تكلف فوق ما * فى وسعه لسعى اليك المنبر

وودت العروس أن تكون مجاورة لجاتها التبل ريقها رحيق الامن اذا نظرت الى عاصى المحمدية وقد دخل جناتها ونظرت الى فوار أبى نواس وقد انقطع قلبه بعدما كان يثب ويتجرأ وكاد أن ينشد من شعره لعدم الماء ألا فاسقنى خمرا ودخلت الى الكناسة وقد علا بها غبار الحزن فتنهدت من الأسف على كل ناهده ورثت للنساء وقد فقدن بعد تلك الأنعام المائدة واستطردت الى باب البريد فوجدت خيول الماء الجارية قد انقطعت عن تلك المراكز ونظرت الى السراج الأكبر وقد انعقد لسانه لما شعر من مد ح الماء بعدم تلك الجوائز ونظرت الى أهل الصلاة وعليهم فى هذه الواقعة من الصبر دروع وقد استمدوا بسهام من الأدعية أطلقوها عن قسى الركوع مريشة بالهدب من جفن ساهر متصلة أطرافها بدموع ونظرت الى الريان من العلم وقد اشتد لفقد الماء ظماه وتبلد ذهنه حتى صار ما يعرف من أين الطريق الى باب المياه ومشيت بحكم القضاء الى الشهود فوجدت كلا منهم قد راجع سهاده وطلق وسنه وتأملت أهل الساعات وقد صار عليهم كل يوم بسنة ونزلت فى ذلك الوقت من الساعات الى الدرج فى دقيقة فانتهيت الى مجاز طريق الفوار فوجدته كأن لم يكن له حقيقة كموردته وهو كأنه سنان يطعن فى صدر الظماء أو شجرة كذناه تقول انها طوبى لما ظهرت وأصلها ثابت وفرعها فى السماء أو مغترف بيده الماء وقد أفاض عليه عطاياه فيضا فرفع له لأجل ذلك فوق قناته راية بيضا أو عمود وفاء أشارت

البواسير طلاء واذا طلى به على الاثر الاسود فى البدن أزاله وخصية القنفذ اذا جففت وسحقت وجعلت فى عسل وأكلت فانها تزيد فى الباه وشعرها اذا أحرق واستيك به نفع من وجع الاسنان واذا خلط مع السكنجبين وشرب نفع من الطحال على ماذكر (بومة) وكنيتها أم الخراب وأم الصبيان ومن طبعها أن تدخل على كل طير فى وكره وتأكل افراخه ولمعاداة الطيور لها يجعلها الصيادون فى أشراكهم حتى يقع عليها الطير ونقل المسعودى عن الجاحظ أن البومة لاتخرج بالنهار خوفا من العين لانها تظن انها احسنها وهى أصناف وكلها تحب الخلوة بنفسها (الخواص) من خواصها أنها تنام باحدى عينيها والاخرى مفتوحة فاذا أخذت المفتوحة وجعلت تحت فص خاتم فمن لبسه لم ينم مادام فى يده وعكسها المغموضة واذا أردت معرفة ذلك فالقهما فى الماء فالراسبة للنوم والطافية لليقظة واذا أخذ قلب البومة وجعل على اليد اليسرى من المرأة وهى نائمة تحدثت بجميع مافعلته فى نومها (بوقير) طير أبيض يأتى منه فى كل سنة طائفة الى جبل بالصعيد يقال له جبل الطير فيه كوة فتدخل من تلك الكوة فيمسك منها شئ فان أمسكت واحدة كان ذلك العام متوسط الخصب وان أمسكت ثنتين كان كثير الخصب وان لم تمسك شيأ كانت السنة مجدبة وأهل تلك الناحية تعرف ذلك وهذا الجبل بالقرب من بلدة مارية أم ابراهيم ولد النبى صلى الله عليه وسلم

حرف التاء

(تمساح) حيوان عجيب على صورة الضب له فم واسع وفيه ستون نابا وقيل ثمانون وبين كل نابين سن صغيرة وهى أنثى فى ذكر اذا أطبق فمه على شئ لا يفلته حتى يخلعه من موضعه وله لسان طويل وظهر كالسلحفاة ولا يعمل الحديد فيه وله أربعة أرجل وذنب طويل وهو لا يوجد الا بنيل مصر وقال المسافرون انه يوجد ببحر الهند وطوله فى الغالب ستة أذرع الى عشرة فى عرض ذراعين أو ذراع ويقيم فى البحر تحت الماء أربعة أشهر لا يظهر وذلك فى زمن الشتاء ويتغوط من فيه فى الغالب ويحصل فى فيه الدود فيؤذيه فيلهمه الله تعالى فيخرج الى بعض الجزائر ويفتح فاه فيرسل الله تعالى له طيرا يقال له القطقاط فيدخل فى فيه فيأكل كل مافيه من الدود فيحصل له راحة فعند ذلك يطبق فمه على الطير ليأكله فيضربه بريشتين خلقهما الله تعالى فى جناحيه كريشة الفصاد فيؤلمه فيفتح فاه فيخرج ولذلك يضرب به المثل فيقال جازاه مجازاة التمساح وزعم بعض الباحثين عن أحوال التمساح أن له ستين نابا وستين عرقا ويسفد ستين مرة ويبيض ستين بيضة ويحضن ذلك ستين يوما ويعيش ستين سنة فاذا أفرخ فما صعد الجبل صار ورلا وما نزل البحر صار تمساحا وفكه الأسفل لا يستطيع تحريكه لان فيه عظما متصلا بصدره واذا أراد السفاد أخذ أنثاه وطلع بها الى البر وقلبها وجامعها فاذا قضى حاجته قلبها ثانيا الا انه لو تركها على تلك الحالة بقيت حتى تموت وما ذلك الا انها لا تستطيع الانقلاب ليبوسة ظهرها وصلابته وقد سلط الله تعالى عليه أضعف الحيوان وهو كلب الماء يقال انه يتلطخ بالطين ويتغافل التمساح ويقذف بنفسه فى فيه فيبتلعه لنعومته فاذا حصل فى جوفه ذاب ماعليه من خشونة بطنه فيعمد الى أمعائه فيقطعها ويقطع مراق بطنه فيقتله (الخواص) عينه تشد على من به رمد اليمنى لليمنى واليسرى لليسرى وشحمه اذا قطر فى أذن من به صمم نفعه (تنين) ضرب من الحيات وهو طويل كالنخلة السحوق وجسده كالليل أحمر العينين لهما بريق واسع الفم والجوف يبتلع الحيوان وأول أمره يكون حية متمردة ثم تطغى وتتسلط على حيوان البر فيستغيث منها فيأمر الله تعالى ملكا فيحملها ويلقيها فى البحر فتقيم فيه مدة ثم تتسلط على حيوان أيضا فيستغيث منها الى ربه فيأمر الله تعالى بالقائها فى النار فيعذب بها الكافرين وقيل يأمر الله تعالى بالقائها على يأجوج ومأجوج وروى ابن أبى شيبة عن أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يسلط الله على الكافر فى قبره تسعة وتسعين تنينا تنهشه وتلدغه حتى تقوم الساعة ولو أن تنينا منها نفخ على الارض ما نبتت فيها خضراء

حرف الثاء

(ثعلب) وهو معروف ذو مكر وخديعة وله حيل فى طلب الرزق * فمن ذلك انه يتماوت وينفخ بطنه ويرفع قوائمه حتى يظن أنه مات فاذا قرب منه حيوان وثب عليه وصاده وحيلته هذه لا تتم على كلب الصيد * ومن حيلته انه اذا تعرض للقنفذ نفش القنفذ شوكه فيسلح هو عليه فيلم شوكه فيقبض على مراق بطنه ويأكله وسطه أنتن

الناس اليه بالاصابع أو ملك طالب السماء بودائع حتى كأنا كايل الجوزاء له من جملة الودائع أو أبيض طائر علا حتى قلنا انه يلتقط حبات النجوم الثواقب أو شجاع ذو همة عالية يحاول ثارا عند بعض الكواكب فغيض لفقد الماء مناره وخفى بعد ما كان به أشهر من علم وجدع أنفه وطالما ظهر وفى عرنينه شمم فقلت لست أنسى الفوار وهو ينادى غيض مائى وعطل الدهر حالى فتمنيت من لهيبى بانى أشترى غيضه بروحى ومالى فلا والله ما كانت الا يسير مدة حتى رجع الماء الى مجاريه وابتسم ثغر دمشق عن شنب الرى بعد ما نشف ريقه فى فيه هذا وقد خمدت نار الحرب وقعدت بعد ماقامت على ساق وقدم وبطلت آلتها التى كانت لها على تحريك الاوتار وجس العيدان نغم واعتقل الرمح بسجن السلم وعلى رأسه لواء الحرب معقود وهجعت مقل السيوف فى أجفانها لما علمت أن الزيادة فى الحد نقص فى المحدود وفاضت غدران الرحمة على رياض الأمن فظهر لها من المسرة نبات حسن فالحمد لله الذى أذهب عنا الحزن * وبعد فالمعذرة من فهاهة هذه الرسالة التى فى هى فى رياض الادب باقليه والصفح عن طولها أو قصر بلاغتها بين يدى تلك المواقف السحبانية وليكون معولا على متن الحلم كالاعتماد الموضوع فقد علم الله أنها صدرت من قلب مكسور وفؤاد مصدوع وذهن ضعيف وليس لكسير ضعفه عاصم ولا نافع وراحلة فكر أمست وهى عند سيرها الى غايات المعانى ضالع فسير واعلى سيرى فانى ضعيفكم وراحلتى بين الرواحل ضالع (هذا) وكم تولد للملوك فى طريق

من سلح الحبارى (ومن) لطيف أمره انه اذا تسلطت عليه البراغيث حملها وجاء الى الماء وقطع قطعة من صوفه وجعلها فى فيه ونزل فى الماء والبراغيث تطير قليلا حتى تجتمع فى تلك الصوفة فيلقيها فى الماء ويخرج وفروه أدفأ الفراء وفيه الأبيض والرمادى وغير ذلك * وذكر فى عجائب المخلوقات انه أهدى الى أبى منصور السمانى ثعلب له جناحان من ريش اذا قرب الانسان منه نشرهما واذا ابعد ألصقهما ﴿لطيفة﴾ ذكر ابن الجوزى فى آخر كتاب الأذكياء والحافظ أبو نعيم فى حلية الأولياء عن الشعبى انه قال مرض الاسد فعادته السباع والوحوش ما خلا الثعلب فنم عليه الذئب فقال الاسد اذا حضر فأعلمنى فلما حضر الثعلب أعلمه الذئب بذلك وكان قد أخبر بما قاله الذئب فقال الاسد أين كنت يا أبا الفوارس قال كنت أتطلب لك الدواء قال وأى شئ أصبته قال قيل لى خرزة فى عرقوب أبى جعد قال فضرب الاسد بيده فى ساق الذئب فأدماه ولم يجد شيأ فخرج ودمه يسيل على رجله وانسل الثعلب فمر به الذئب فناداه يا صاحب الخف الاحمر اذا قعدت عند الملوك فانظر ما يخرج منك فان المجالس بالامانات * وقيل خرج الاسد والثعلب والذئب يتصيدون فاصطادوا حمار وحش وظبيا وغزالا ثم جلسوا يقتسمون فقال الاسد للذئب اقسم علينا فقال حمار الوحش لى والغزال لابى الحرث والضب للثعلب فضربه الاسد فى رأسه فرضخها فقال الثعلب أنا أقسم حمار الوحش لابى الحرث يتغدى به والغزال لابى الحرث يتعشى به والضب لابى الحرث يتنفل به فيما بين ذلك فقال له الاسد لله درك من فرضى ما أعلمك بالفرائض من علمك هذا قال علمنى التاج الأحمر الذى ألبسته هذا وأشار الى الذئب ﴿وحكى﴾ أن الثعلب مر فى السحر بشجرة فرأى فوقها ديكا فقال له أما تنزل نصلى جماعة فقال ان الامام نائم خلف الشجرة فأيقظه فنظر الثعلب فرأى الكلب فضرط وولى هاربا فناداه أما تأتى لنصلى فقال قد انتقض وضوئى فاصبر حتى أجدد لى وضوأ وأرجع * ومن العجيب فى قسمة الارزاق ان الذئب يصيد الثعلب فيأكله والثعلب يصيد القنفذ فيأكله والقنفذ يصيد الافعى فيأكلها والافعى تصيد العصفور والعصفور يصيد الجراد والجراد يصيد الزنابير والزنابير تصيد النحل والنحل يصيد الذباب والذباب يصيد البعوض والبعوض يصيد النمل والنمل يأكل كل ما تيسر من صغير وكبير فتبارك الله الذى أتقن ما صنع (الخواص) رأسه اذا ترك فى برج حمام هرب الحمام منه ونابه يشد على الصبى يحسن خلقه ومرارته يجعل منها فى أنف المصروع يبرأ ولحمه ينفع من اللقوة والجذام وخصيته تشد على الصبى تنبت أسنانه وفروه أنفع شئ للمربوط ودمه اذا جعل على رأس أقرع نبت شعره اذا كان دون بلوغ وطحاله يشد على من به وجع الطحال يبرأ ﴿ثعبان﴾ هو الكبير من الحيات ذكرا كان أو أنثى وهو عجيب الشان فى هلاك بنى آدم يلتوى على ساق الانسان فيكسرها وليس له عدو الا النمس ولولا النموس لأكلت الثعابين أهل مصر ﴿لطيفة﴾ قيل ان عبد الله بن جدعان كان فى ابتداء أمره صعلوكا وكان شريرا يفتك ويقتل وكان أبوه يعقل عنه فضجر من ذلك وأراد قتله فخرج هاربا على وجهه فتوصل لجبل فوجد فيه شقا فدخل فيه فوجد فى صدره شيأ كهيئة الثعبان فدنا منه وقال لعله يثب على فيقتلنى وأستريح قال فدنا منه فوجده مصنوعا من ذهب وعيناه ياقوتتان ثم وجد من داخله بيتا فيه جثث طوال بالية على أسرة الذهب والفضة وعند رؤسهم لوح مكتوب فيه تاريخهم واذا بهم رجال من جرهم وفى وسط البيت كوم من الياقوت الاحمر والزمرذ والذهب والفضة واللؤلؤ فأخذ منه قدر ما يحمل وعلم الشق وذهب الى قومه فأغناهم ورجع فلم يدر مكان الشق قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد كنت أستظل بجفنة عبد الله بن جدعان من الهجير قالت عائشة يا رسول الله هل ينفعه ذلك شيأ قال لا لانه لم يقل رب اغفر لى خطيئتى يوم الدين

﴿حرف الجيم﴾

﴿جراد﴾ حيوان معروف وليس له جهة مخصوصة وانما يكون هائما طيارا واذا أراد أن يبيض ذهب الى بعض الصخور فضربها بذنبه فتنفرج له فيلقى بيضه فيها وله ستة أرجل وأطراف أرجله كالمنشار وهو ألوان عديدة وفيه خلقة عشرة من الجبابرة وجه فرس وعينا فيل وعنق ثور وقرنا ايل وصدر أسد وبطن عقرب وجناحا نسر وفخذ جمل ورجلا نعامة وذنب حية وهو من الحيوان الذى ينقاد الى رئيسه كالعسكر اذا ظعن أميره تتابع خلفه وفى الحديث ان جرادة وقعت بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا مكتوب على جناحها بالعبرانية نحن جند الله الاكبر ولنا تسعة وتسعون بيضة ولو تمت لنا المائة لا كلنا الدنيا بما فيها فقال عليه الصلاة

الرمل من عقله وكم ذاق من قطاع الطريق أنكادا حتى ظن انه لعدم النصرة ليس له الى الاجتماع وصله وكلما زعق عليه غراب تالم لسهام البين وفقد مصر التى هى نعم الكنانة وانشد وقد تحير فى الرمل لفراق ذلك التخت الذى أعز الله سلطانه من زعقة الغراب بعد الملتقى

فارقت مصرا وبها أحبابى
وفى طريق الرمل صرت حائرا
مروعا من زعقة الغراب

واستقبل المملوك بعد ذلك بلاد الشام فبئس الحال وبئس الاستقبال فوالرحمن ما وصل بها الى مكان الا وجده قد وقعت فيه الواقعة واشتد القتال وحصد واستبدل الرشاد فدرست فلا أعيد اعيد حرمهم دروس وأداروا رحى الحرب بقلوب كالاحجار فطحنت عند ذلك الرؤس وأنشد لسان الحال

من كل عاد كعاد فى تجبره
من فوق ذات عماد شادها إرم
لا يجمعون على غير الحرام اذا
تجمعوا كحباب الراح وانتظموا

وانتهت الغاية بالمملوك الى أنه شلح بقرب الكسوة فى الشتاء وانتظرت ملك الموت وقد أمست لى مهجة فى النازعات وعبرة فى المرسلات وفكرة فى هل أتى (هذا) والليل قد انطفأت مصابيح أنواره وعسعس حتى أيقنت بموت الصبح وقلت لو كان فى قيد الحياة تنفس فذهب المملوك وقد تزود عند قسم الغنيمة بسهم فخرج ولم يجد له تعديلا ولكنه صبر على الالم بعد ما كاد يدمى من الوهم ولم يلق له مجيرا لما قوى ألمه وضعف منه الحيل الا انه دخل تحت ذيل الليل فوصل الى البلد وقد ود يومه لو تبدل بالامس ولم يسلم له فى وقعة الحرب غير الفرس والنفس ولكنه أنشد

والسلام اللهم أهلك الجراد اللهم اقتل كبارها وأمت صغارها وأفسد بيضها وسد أفواهها عن مزارع المسلمين وعن معايشهم انك سميع الدعاء قال فجاءه جبريل فقال انه قد استجيب لك في بعضها وفي الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى خلق ألف أمة ستمائة منها في البحر وأربعمائة في البر وان أول هلاك هذه الامة الجراد فاذا اهلك الجراد تتابعت الامم مثل الدر اذا قطع سلكه قيل كان طعام يحيى بن زكريا عليهما الصلاة والسلام الجراد وقلوب الشجر وكان يقول من أنعم منك يا يحيى وقد أجمع المسلمون على أكل لحمه ومن خواصه أن الانسان اذا تبخر به نفعه من عسر البول (جرو) بكسر الجيم وفتحها وضمها وهو الصغير من أولاد الكلاب والسباع وقد كان صلى الله عليه وسلم أمر بقتل الكلاب وسببه أن جبريل عليه السلام وعده ليأتيه فتأخر قال فلقيه النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك فقال ما أخرك عن وعدك فقال ما تأخرت ولكن لا ندخل بيتا فيه صورة ولا كلب فامر بقتلها وروى مسلم والطبراني عن خولة بزيادة ولفظها ان جروا دخل تحت سرير في بيته صلى الله عليه وسلم فمات فمكث النبي صلى الله عليه وسلم أياما لا يأتيه الوحي قال لعله حدث في البيت شئ فخرج للمسجد فنزل عليه الوحي قالت خولة فقممت البيت فوجدت الكلب تحت السرير (عجيبة) حكي أن رجلا لم يولد له ولد فكان يأخذ أولاد الناس فيقتلهم فنهته زوجته عن ذلك وقالت يؤاخذك الله بذلك فقال لو آخذ افعل في يوم كذا وصار يعدد أفعاله لها فقالت له ان صاعك لم يمتلئ ولو امتلأ آخذك قال فخرج ذات يوم واذا بغلامين يلعبان ومعهما جرو فأخذهما الرجل ودخل البيت فقتلهما وطرد الجرو قال فطلبهما أبوهما فلم يجدهما فانطلق الى نبي لهم فأخبره بذلك فقال ألهما لعبة كانا يلعبان بها قال جرو كلب قال ائتني به فأتاه به فجعل خاتمه بين عينيه ثم قال له اذهب خلفه فأي بيت دخله ادخل معه فان أولا دك فيه قال فجعل الجرو يجوز الدروب والحارات حتى دخل بيت القاتل فدخل الناس خلفه واذا بالغلامين متعفران بدمهما وهو قائم يحفر لهما مكانا يدفنهما فيه فأمسكوه وأتوا به لنبيهم فأمر بصلبه فلما رأته زوجته على الخشبة قالت ألم أحذرك هذا اليوم وتقول ما تقول الآن امتلأ صاعك وسيأتي الكلام على الكلب في حرف الكاف ان شاء الله تعالى

﴿جعل﴾ دويبة معروفة تسمى أبا جعران والزعقوق يعض البهائم في فروجها فتهرب منه وهو أكبر من الخنفساء شديد السواد في بطنه لون حمرة للذكر قرنان يوجد كثيرا في مراح البقر والجاموس قيل انه يتولد من أخثائها ومن شأنه جمع الروث وادخاره ومن عجيب أمره أنه اذا شم الورد مات ويعيش بعوده للروث وله جناحان لا يكادان يريان الا اذا طار وله ستة أرجل وسنام مرتفع جدا وهو يمشي القهقرى ومن طبعه أنه يحرس النيام فاذا قام أحدهم يتغوط تبعه لياكل من رجيعه وذلك من شدة شهوته للغائط

﴿حرف الحاء﴾

(حجل) طير فوق الحمامة أغبر اللون أحمر المنقار والرجلين يسمى دجاج البر وهو صنفان نجدي وتهامي النجدي أغبر والتهامي أبيض وله شدة الطيران واذا تقاتل ذكران تبعت الأنثى الغالب وله شدة شبق وأفراخه تخرج من البيض كاسية ويعمر في الغالب عشرين سنة واذا قوى على غيره أخذ بيضه فحضنه ومن سر الله تعالى انه اذا أفرخ ذلك البيض تبع الفرخ أمه التي باضته ومن طبعه أنه يخدع غيره في قرقرته ولذلك يتخذه الصيادون في أشراكهم ﴿غريبة﴾ قيل ان أبا نصر بن مروان أكل مع بعض مقدمي الاكراد فأتى على سماطه بحجلتين مشويتين فلما رآهما ضحك فقال لم تضحك قال كنت أقطع الطريق في عنفوان شبابي فرأيت تاجرا فأخذته فلما أردت قتله تضرع الى فلم أقله فلما علم أنه لا بد لي من قتله التفت يمينا وشمالا فرأى حجلتين كانتا بقربنا فقال اشهدا الى أنه قاتلي ظلما فقتلته فلما رأيت هاتين الحجلتين تذكرت حمقه في استشهاده بهما فقال أبو نصر والله لقد شهدا عليك عند من أقادك بالرجل ثم أمر به فضربت عنقه (الخواص) لحمها جيد معتدل الهضم ومرارتها تنفع الغشاوة في العين واذا اسعط بها انسان في كل شهر مرة جاد ذهنه وقل نسيانه وقوى بصره (حدأة) بكسر الحاء وفتح الدال مع همزة أخس الطير وتبيض بيضتين وربما باضت ثلاثا وتحضن عشرين يوما ومن ألوانها الاسود والرمادي وهي لا تصيد الا خطفا وفي طبعها أنها تقف في الطيران وهي أحسن مجاورة لانها اذا جاعت لا تأكل افراخ جارها ويقال انها طرشاء وفي طبعها أنها لا تخطف من الجهة اليمنى لانها عسراء وهي سنة ذكر وسنة أنثى كالارنب (عجيبة) روى

ما يفعل الجاهل في نفسه

فأعاذ الله مولانا وبلاده من هذه القيامة القائمة وبدأبه في الدنيا ببراعة الامن وفي الآخرة بحسن الخاتمة (قلت) قد استوعبت هنا تراجم كتاب الانشاء ونبذة من فوائدهم ونبذة مما تخيرته من انشائهم وقد تعين أن أذكر بعد ذلك ما يحتاج اليه المنشئ الكامل الادوات من المحاسن اللائقة به وبالله المستعان ﴿قال أبو حيان التوحيدي﴾ يجب على المنشئ أن يكون حافظا لكتاب الله لينتزع من آياته الشريفة وأن يعرف كثيرا من السنة والاخبار والتواريخ والسير ويحفظ كثيرا من الرسائل والكتب ويكون متناسب الالفاظ متشاكل المعاني عارفا بما يحتاج اليه ماهرا في نظم الشعر نظيف الثوب لطيف المركب ظريف الغلام لبق الدواة حاد السكين متوددا الى الناس مخالطهم غير متكبر عليهم دمث الاخلاق رقيق الحواشي ترف الاطراف عذب السجايا حسن المحاضرة مليح النادرة غير قنف ولا متجرف ولا متكلف الألفاظ الغريبة ولا متعسف اللغة العويصة ﴿آداب الكتابة﴾ روى الشعبي أنه قال كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة كتب أولها باسمك اللهم فنزلت سورة هود وفيها بسم الله مجراها ومرساها فكتب بسم الله ثم نزلت سورة بني اسرائيل وفيها قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن فكتب بسم الله الرحمن ثم نزلت سورة النمل وفيها انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم فكتبها (وروى) ان فصل الخطاب الذي أعطيه داود عليه السلام أما بعد (وروى) أن أول من قالها كعب بن لؤى وهو أول من سمى يوم الجمعة (وعن) جابر بن

الحافظ النسفي في فضائل الاعمال أن عاصم بن أبي النجود شيخ القراء في زمانه قال أصابتني خصاصة فجئت الى بعض اخواني فاخبرته بأمري فرأيت في وجهه الكراهة فخرجت من منزله الى الجبانة فصليت ماشاء الله ثم وضعت رأسي على الارض وقلت يامسبب الاسباب يافاتح الأبواب ياسامع الاصوات يامجيب الدعوات ياقاضي الحاجات اكفني بحلالك عن حرامك واغنني بفضلك عن سواك قال فوالله مارفعت رأسي حتى سمعت وقعة بقربي فاذا بحدأة قد طرحت كيسا أحمر فقمت فاخذته فاذا فيه ثمانون دينارا وجوهرة ملفوفة في قطن قال فاتجرت بذلك واشتريت لي عقارا وتزوجت (الخواص) مرارتها تجفف في الظل وتنقع في اناء زجاج فمن لسع قطر منها في ذلك الموضع واكتحل بها الجهة اللسع ثلاثة أميال أبرأته ودمها اذا خلط بقليل من المسك وماء الورد وشرب على الريق نفع من ضيق النفس واذا وضع في بيت لم تدخله حية ولا عقرب (حرباء) دويبة صغيرة على هيئة السمك ورأسها تشبه رأس العجل اذا رأت الانسان انتفشت وكبرت ولها أربعة أرجل وسنام كهيئة الجمل ولها كنى كثيرة منها أم قرة ويقال لها جمل اليهود وهي أبدا تطلب الشمس فمن أجل ذلك يقال انها مجوسية وتستقبلها بوجهها وتدور معها كيفما دارت فاذا غابت الشمس أخذت في كسبها ومعاشها ويقال ان لسانها طويل نحو ذراع وهو مطوي في حلقها فاذا تخطف به ما بعد عنها من الذباب وتبتلعه والانثى من هذا النوع تسمى أم حبين ويقال ان الصبيان ينادونها أم حبين انشري برديك ان الامير ناظر اليك وضارب بسوطه جنبيك فاذا زادوا عليها نشرت جناحيها وانتصبت على رجليها فاذا زادوا عليها أيضا نشرت أجنحة أحسن من تلك ملونة واذا مشت تطأطئ برأسها وتتلون ألوانا ولذا يقال يتلون كالحرباء

﴿حمار أهلي﴾ معروف ليس في الحيوان من ينزو على غير جنسه الا هو والفرس وينزو بعد تمام ثلاثين شهرا وكنيته أبو محمود وأبو جحش وغير ذلك وهو أنواع فمنه ماهو لين الاعطاف سريع الحركة ومنه ماهو بضد ذلك ويوصف بالهداية الى سلوك الطريق (لطيفة) في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه لما فتح خيبر أصاب حمارا أسود فكلمه فقال ما اسمك فقال يزيد بن شهاب أخرج الله تعالى من نسل جدي ستين حمارا كلها لا يركبها الا نبي ولم يبق من الانبياء غيرك وكنت أتوقعك لتركبني وأنا عند يهودي يجيع بطني ويضرب ظهري وكنت أعثر به عمدا فسماه النبي صلى الله عليه وسلم يعفورا وقال له أتشتهي الاناث قال لا وكان صلى الله عليه وسلم يركبه في حوائجه واذا أراد حاجة عند انسان أرسله اليه فيدفع الباب برأسه فيخرج صاحب البيت فيعرفه و يقضي حاجته فلما مات النبي صلى الله عليه وسلم ذهب الى بئر كانت لابي الهيثم فتردى فيها جزعا على النبي صلى الله عليه وسلم فكانت قبره وقيل هذا الحديث منكر وقد ذكره السهيلي في التعريف والاعلام وللناس في ذمه ومدحه أقوال متباينة بحسب الاغراض ﴿ فمن مدحه أن أبا صفوان وجدرا كبا على حمار فقيل له في ذلك فقال عير يهني من نسل الاكراد يحمل الرحل ويبلغ العقبة ويمنعني أن أكون جبارا في الارض وقال آخر هو أقل الدواب مؤنة وأكثرها معونة وأخفضها مهوى وأقربها مرتعا وكان حمار أبي يسارة مثلا في الصحة والقوة وهو حمار أسود حمل الناس عليه من منى الى المزدلفة أربعين سنة وكان خالد ابن صفوان والفضل بن عيسى الرقاشي يختاران ركوب الحمار ويجعلان أبا يسارة قدوة لهما وحجة ﴾ ومن ذمه ما نقل عن عبد الحميد الكاتب أنه قال لاتركب الحمار فان كان فارها أتعب يدك وان كان بليدا أتعب رجلك وقيل ما ينبغي لمركب الدجال أن يكون مركبا للرجال وقال أعرابي الحمار بئس المطية ان أوقفته أدلى وان تركته ولى كثير الروث قليل الغوث سريع الى الفرارة بطيء في الغارة لا ترقى به الدماء ولا تمهر به النساء ولا يحلب في الاناء قال الزمخشري

ان الحمار ومن فوقه ＊ حماران شرهما الراكب

ومن العرب من لا يركبه أبدا ولو بلغت به الحاجة والجهد (قيل) كان لرجل بالبادية حمار وكلب وديك فالديك يوقظه للصلاة والكلب يحرسه اذا نام والحمار يحمل أثاثه اذا ارتحل قال فجاء الثعلب فأكل الديك فقال عسى أن يكون خيرا ثم أصيب الكلب بعد ذلك فقال لاحول ولا قوة الا بالله العلي العظيم عسى أن يكون خيرا ثم جاء الذئب فبقر بطن الحمار فقال عسى أن يكون خيرا قال ثم ان جيرانه من الحي أغير عليهم فأخذوا فأصبح ينظر الى منازلهم وقد خلت فقيل له انما أخذوا بأصوات دوابهم فقال انما كانت الخيرة في هلاك ماعندي فمن

عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا كتب أحدكم كتابا فليتربه فان التراب مبارك وهو أنجح (وروى) عنه عليه الصلاة والسلام انه كتب كتابين الى قريتين فاترب أحدهما ولم يترب الآخر فاسلمت القرية التي أترب كتابها (وقال الحسن بن وهب) كاتب رئيسك بما يستحق ومن دونك بما يستوجب وكاتب صديقك بما تكاتب به حبيبك فان غزل المودة أرق من غزل الصبابة (ورأيت) في تذكرة الوداعي ان القاضي تاج الدين بن بنت الأعز كان اذا كتب كتابا بدأ في ترسله بالبسملة لتعم بركتها سائر الكتاب ورمله ويحترز ذلك الرمل ويحترز عليه (وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما) في قوله تعالى اني ألقي الي كتاب كريم قال مختوم وفض الكتاب اذا كسر ختمه (والعنوان) فيه خمس لغات أفصحها عنوان وجمعه عناوين وعلوان وعلاوين والعنوان الاثر وهو أثر الكتاب عن والى من هو كما قيل

＊ضحوا بأشمط عنوان السجود به＊

(والقلم) لا يقال له قلم الا اذا بري والا فهو أنبوبة (ومن بديع ما سمعته في وصف القلم من النظم) قول الفاضل شمس الدين بن الصاحب موفق الدين علي بن الآمدي منقول من خط الوداعي

تمشي البراعة والمداد وراءها
ظل على شمس الطروس ينوع
عوض الغواني لو تلوح لمسلم
هذي المعاني راح وهو صريع
لولم تكن ألفاظه خطية
ماراح سرب اللفظ وهو منيع
ألفاظه رقت بوجنة طرسه
فكأنهن وقد جرين دموع
قلم مسيحي الخطاب لنطقه
في المهد من عناه وهو رضيع

عرف لطف الله رضي بفعله ﴿حمام﴾ هو أنواع كثيرة والكلام في الذى ألف البيوت وهو قسمان أحدهما برى وهو الذى يوجد فى القرى والآخر أهلى وهو أنواع وأشكال فمنه الرواعب والمراعيش والشداد والغلاب والمنسوب ومن طبعه أنه يطلب وكره ولو كان فى مسافة بعيدة ولاجل ذلك يحمل الاخبار ومنه من يقطع عشرة فراسخ فى يوم واحد دور بما صيد وغاب عن وطنه عشر سنين وهو على ثبات عقله وقوة حفظه حتى يجد فرصة فيطير و يعود الى وطنه وسباع الطير تطلبه أشد الطلب وخوفه من الشاهين أشد من غيره وهو أطير منه لكن اذا أبصره يعتريه ما يعترى الحمار اذا رأى الاسد والشاة اذا رأت الذئب والفأر اذا رأى الهر ومن طبعه أنه لا يريد الاذ كره الى أن يهلك أو يفقد أحدهما ويحب الملاعبة والتقبيل و يسفد لتمام أربعة أشهر و يحمل أربعة عشر يوما و يبيض بيضتين ويحضن عشرين يوما ويخرج من احدى البيضتين ذكر والاخرى أنثى واتخاذها فى البيوت لا بأس به غير أنه لا يجوز تطييرها والاشتغال بها والارتقاء بها على الاسطحة وعليه حمل أهل العلم قوله عليه الصلاة والسلام شيطان يتبع شيطانة حين رأى شخصا يتبع حمامة فان لم يحصل شئ مما ذكر جاز اتخاذها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتخذوا الحمام فى بيوتكم فانها تلهى الجن عن صبيانكم واللعب بها من عمل قوم لوط وقال النخعى من لعب بالحمام لم يمت حتى يذوق ألم الفقر ولم يوجد شئ أبله من الحمام فانه تؤخذ أفراخه فتذبح فى مكان ثم يعود فى ذلك المكان ويبيض فيه ويفرخ * وقال الجاحظ وللحمام من الفضيلة والفخر أن الحمامة قد تباع بخمسمائة دينار ولم يبلغ ذلك القدر شئ من الطير غيره وهو المبادر الذى جاوز الغاية قالوا ولولا خات بغداد والبصرة وجدت ذلك بلا معاناة ولو حدثت أن برذونا أو فرسا بيع بخمسمائة دينار لكان ذلك سمرا وقد تباع البيضة الواحدة من بيض ذلك الحمام بخمسة دنانير والفرخ بعشرين فمن كان له زوج منه قام فى الغلة مقام ضيعة وأصحابه يبنون من أثمانه الدور والحوانيت وهو مع ذلك ملهى عجيب ومنظر أنيق ﴿الخواص﴾ دمه ينفع الجراحات العارضة للعين والغشاوة ويقطع الرعاف ويبرئ حرق النار اذا خلط بالزيت منه وزبل الاحمر ينفع للسع العقرب اذا وضع عليه واذا شرب منه مقدار درهمين مع ثلاثة دراهم دارصينى نفع من الحصاة

﴿حرف الخاء﴾

(الخطاف) أنواع كثيرة فمنه نوع دون العصفور رمادى اللون يسكن ساحل البحر ومنه ما لونه أخضر وتسميه أهل مصر الخطار ونوع طويل الاجنحة رقيق يألف الجبال ونوع أصغر منه يألف المساجد يسميه الناس السنونو وزعم بعضهم أنه الطير الابابيل ويقال ان آدم عليه الصلاة والسلام لما أهبط الى الارض حصل له وحشة فخلق الله له هذا الطير يؤنسه فلاجل ذلك لا تجدها تفارق البيوت وهى تبنى بيتها فى أعلى مكان بالبيت وتحكم بنيانه وتطينه فان لم تجد الطين ذهبت الى البحر فتمرغت فى التراب والماء وأتت فطينته وهى لا تزيل داخله بل على حافته أو خارجا عنه وعنده ورع كثير لانه وان ألف البيوت لا يشارك أهلها فى أقواتهم ولا يلتمس منهم شيأ ولقد أحسن واصفه حيث يقول

كن زاهدا فيما حوته يد الورى * تبقى الى كل الانام حبيبا
وانظر الى الخطاف حرم زادهم * أضحى مقيما فى البيوت ربيبا

ومن شأنه انه لا يفرخ فى عش عتيق بل يجدد له عشا وأصحاب اليرقان يلطخون أفراخه بالزعفران فيذهب فيأتى بحجر اليرقان ويلقيه فى عشه لتوهمه أن اليرقان حصل لاولاده وهو حجر صغير فيه خطوط يعرفه غالب الناس فعند ذلك يأخذه من به اليرقان و يحكه و يستعمله ومن عجيب أمره انه يكاد يموت من صوت الرعد واذا عمى ذهب الى شجرة يقال لها عين شمس فيتمرغ فيها فيفيق من غشاوته و يفتح عينيه ﴿لطيفة﴾ قيل ان خطافا وقف على قبة سليمان وتكلم مع خطافة وراودها عن نفسها فامتنعت فقال لها تمنعين منى ولو شئت قلبت هذه القبة قال فسمع سليمان فدعاه وقال ما حملك على ما قلت فقال يا نبى الله ان العشاق لا يؤاخذون بأقوالهم ﴿الخواص﴾ مرارته تسود الشعر ولحمه يورث السهر وقلبه يهيج الباه اذا أكل جافا ودمه يسكن الصداع ﴿خفاش﴾ طير يوجد فى الأماكن المظلمة وذلك بعد الغروب وقبل العشاء لانه لا يبصر نهارا ولا فى ضوء القمر وقوته البعوض وهذا الوقت هو الذى يخرج فيه البعوض أيضا الطالب رزقه

وغدا كليما وقد ضاهى العصا
فغدا روق بفعله ويروع
بالنقط حاكته الشموع وبالضيا
حاكته فى حلك المداد شموع
قد لازم القرطاس وهو منور
والطل يهوى الروض وهو مريع
نور ونور خطه وكلامه
هذا يضىء به وذاك يضوع
(وقال فيه وأجاد الى الغاية)
اينا ذو طرف كحيل اذا بكى
تبسم ثغر الخط من دمعه عجبا
وقد راح مشقوق اللسان متى جرى
بثغر الدوى المعسول أبدى اللمى العذبا
(وقلت من قصيدة رائية)
له يراع سعيد فى تقلبه
ان خط خطا أطاعته المقادير
بحر وبحر يرالعلوم اذا
جرى يرى منه تحرير وتحبير
غصن عليه طيور العلم عاكفة
وجانس النور من أوراقه النور
وأشقر يده البيضاء غرته
له الى الرزق فوق الطرس تيسير
بل أسمر عينه السوداء تحظنا
وهدب أجفانها تلك الشعاشير
أو سهم علم باطراف السطور غدا
مريشا وله فى الضد تأثير
كذا محابره سود العيون فان
دانت أياديه فهى الاعين الحور
(ويعجبنى قول الشيخ شمس الدين ابن المزنى فى الدواة)
أنا دواة يضحك الجود من
بكاى اهى جل من قد براه
دلوا على مثلى من شفه
داء من الفقر فانى دواه
(وقلت فيما يكتب على دواة فولاذ)
كنانة الفضل دواتى ولما
سهم يراعى نصله نفاذ
وأسمر الخط لديها قاصر
لانها على الحجى فولاذ
﴿قلت﴾ ويتعين بعد وصف أقلام المنشئين والدواة وصف السكين فانهم أنشؤا فى وصف السيف

فيأ كله الخفاش فيتسلط طالب رزق على طالب رزق وهو من الحيوان الشديد الطيران قيل انه يطير الفرسخين في ساعة وهو يعمر مثل النسر وتعاديه الطيور فتقتله لانه قيل ان عيسى عليه الصلاة والسلام لما سأله النصارى في طير لا عظم فيه صنع لهم ذلك باذن الله تعالى فهى تكرهه لانه مباين لخلقتها ومن طبعه الحنو على ولده حتى قيل انه يرضعه وهو طائر ﴿خنزير﴾ حيوان معروف وله كنى كثيرة منها أبو جهم وأبو زرعة وأبو دلف وهو مشترك بين البهيمة والسبع لانه ذو ناب ويأكل العشب والعلف وهو كثير الشبق حتى قيل انه يجامع الانثى وهى سائرة فيرى فى مشيها ستة أرجل فيتوهم الرائى انه حيوان بستة أرجل وليس كذلك والذكر منها يطرد الذكر مثله فمن غلب استقل بالنزو على الانثى وتحرك أذنابها فى زمن هيجانها وتطأطئ رأسها وتغير أصواتها وتحبل من نزوة واحدة وتحمل ستة أشهر وتضع عشرين ولدا وينزو الذكر اذا بلغ ستة أشهر وقيل أربعة باختلاف البلاد وقيل ثمانية واذا بلغت الانثى خمس عشرة سنة لا تحمل وهذا الجنس افسد الحيوان والذكر أقوى الفحول وليس لذوات الاربع ما للخنزير فى نابه من القوة حتى قيل انه يضرب به السيف والرمح فينقطع ما لاقاه واذا التقى ناباه من الطول مات لانه ما حينئذ يمنعانه من الاكل ومن عجيب أمره أنه يأكل الحيات ولا يؤثر فيه سمها واذا عض كلبا سقط شعره واذا مرض وأطعم السرطان يفيق ومن عجيب أمره انه اذا ربط على ظهره حمار وبال الحمار وهو على ظهره مات ولا يسلخ جلده الا بالقلم مع شئ من لحمه على ما ذكروا ﴿خنفساء﴾ دويبة تتولد من عفونات الارض وبينها وبين العقرب مودة وكنيتها أم فسو لان كل من وضع يده عليها يشم رائحة كريهة ﴿فائدة﴾ قيل ان رجلا رأى خنفساء فقال ما يصنع الله بهذه فابتلاه الله تعالى بقرحة عجز الاطباء فيها فبينما هو ذات يوم واذا بطرقى يقول من به وجع كذا الى أن قال من به قرحة فخرج اليه ذلك الرجل فلما رأى ما به قال ائتونى بخنفساء فضحك منه الحاضرون فقال ائتوه بالذى يطلب فأتوه بها فاخذها فاحرقها وأخذ رمادها وجعل منه على تلك القرحة فبرئت فعلم ذلك المقروح ان الله تعالى ما خلق شيأ سدى وأن فى أخس المخلوقات أهم الأدوية فسبحان القادر على كل شئ ﴿الخواص﴾ اذا قطعت رؤس الخنافس وجعلت فى برج الحمام كثر الحمام فى ذلك البرج والاكتحال بما فى جوفها من الرطوبة يحد البصر ويجلو الغشاوة والبياض واذا بخر المكان بورق الدلب هربت الخنافس على ما ذكر ﴿خيل﴾ جماعة الافراس وسميت بذلك لانها تختال فى مشيتها وهى من الحيوان المشرف ولقد مدحها الله تعالى ووصى بها النبى عليه الصلاة والسلام فقال الخير معقود بنواصى الخيل الى يوم القيامة وقال عليكم باناث الخيل فان ظهورها عز وبطونها كنز وروى عن ابن عباس أو على رضى الله تعالى عنهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما أراد الله تعالى خلق الخيل أوحى الى الريح الجنوب وقال انى خالق منك خلقا فاجتمعى فاجتمعت فاتى جبريل فاخذ منها قبضة فخلق الله منها فرسا كميتا وقال خلقتك عربيا وفضلتك على سائر البهائم فالرزق بناصيتك والغنائم تقاد على ظهرك وبصهيلك أرهب المشركين وأعز المؤمنين ثم وسمه بغرة وتحجيل فلما خلق الله تعالى آدم قال له يا آدم اختر أى الدابتين الفرس أو البراق فقال الفرس يا رب فقال الله تعالى اخترت عزك وعز أولادك وفى الحديث ما من فرس الا ويقول فى كل يوم اللهم من جعلتنى له فاجعلنى أحب أهله اليه وقيل الخيل ثلاثة فرس للرحمن وهى المغزو عليها وفرس لك وهى التى تسابق عليها وفرس للشيطان وهى التى جعلت للخيلاء وفى الحديث ان الملائكة لا تحضر شيأ من اللهو الا فى مسابقة الخيل وملاعبة الرجل أهله ولقد سابق النبى صلى الله عليه وسلم على الخيل وقيل ان الذكر من الخيل أقوى من الانثى ولا يرد علينا ركوب جبريل فى قصة موسى وفرعون الانثى لان ذلك من حكمة الله تعالى حتى تبعها أحصنتهم فأغرقوا لان الحصان اذا رأى الحجرة تبعها وقيل ان الله تعالى أمر نبيه موسى عليه الصلاة والسلام أن يعبر البحر فعبره وهم خلفه فأعمى أعينهم عن الماء فكانوا يرونه بلقعا والخيل تراه ماء فلولا دخول جبريل البحر بفرسه لما دخلت خيلهم وهى أصناف منها الصافنات وهى التى اذا ربطت فى مكان وقفت على احدى رجليها وقلبت بعض الأخرى فى الوقوف وقيل غير ذلك وكانت الصافنات ألف فرس لسليمان عليه الصلاة والسلام فعرضها يوما ففاتته الصلاة قيل صلاة العصر فامر بعقرها فعوضه الله عنها الريح فكانت فرسه وقيل انما عقرها على وجه القربى كالهدى وقيل ان الفرس لا يحب الماء الصافى ولا يضرب فيه بيده كما يضرب بها فى الماء الكدر فرحا به فانه يرى شخصه

والقلم وما ألوا بها وهى أحق بذلك من غيرها القربها من القلم وقد تقدم ان أبا طاهر كمال الدين اسمعيل بن عبد الرزاق الاصفهانى انفرد برسالة القوس والشيخ جمال الدين بن نباتة انفرد برسالة السيف والقلم وقد انفردت برسالة السكين (وهى) يقبل الأرض التى قامت حدود مكارمها وقطعت عنا مكروه الفقر بسنون عزائمها وينهى وصول السكين التى قطع بها أوصال الجفا وأضافها الى الادوية تحصل بها البرء والشفا وتالله ما غابت الا بلغت الأقلام من تعثرها الى الجفا زرقاء وكم شاهدت منها البيض ألوان خرساء ومن العجائب أن لها لسانا لسكل عنوان ما شاهدها موسى الا سجد فى محراب النصاب وذل بعد ما خضعت له الرؤس والرقاب كم أيقظت طرف القلم بعد ما خط وعلى الحقيقة ما روى مثلها قط وكم وجد بها الصاحب فى المضايق نفعا وحكم بصدق صحبتها قطعا ماضية العزم قاطعة السن فيها حدة الشباب من وجهين لانها بالناب والنصاب معلقة من الطرفين أغلة صبح تقمصت بسواد الدجى ولسان برق امتد فى لهوات الليل فتشكرت أشعة الأنجم حتى ما عرف منها سهيل هذا وتقطيعها موزون اذ لم يتجاوز فى عروض ضربها الحد ومعلوم أن السيف والرمح لم يعرفا غير الجزر والمد من أجلنا تدخل فى مضايق

ليس لسيف قط فيها مدخل

وكلما تفعله تو حزه

والرمح فى تعقيده يطول

ان هيعت بجفنها كانت أمضى من الطيف وكم لها من خاصة جازت بها الحد على السيف تنسى حلاوة العسال فلا يظهر لطوله طائل وتغنى عن آلة الحرب بايقاع ضربها الداخل ان مرت بشكلها المحلى تركت المعادن عاطلة ولم يسمع للحديد

فى الماء الصافى فيفزعه ولا يراه فى الماء الكدر وقد قيل فى الحث على حب الخيل

أحبوا الخيل واصطبروا عليها * فان العز فيها والجمالا * اذا ما الخيل ضيعها أناس
ربطناها فأشركت العيالا * نقاسمها المعيشة كل يوم * وتكسبنا الأباعر والجمالا

حرف الدال

(دابة) اسم لكل ما دب على الأرض وأما التى ذكرها الله تعالى فى سورة سبأ فقيل الارضة وقيل السوسة وسبب ذلك أن سليمان عليه الصلاة والسلام كان قد أمر الجن ببناء صرح فبنوه ودخل فيه وأراد أن يصفو له يوم واحد من دهره فدخل عليه شاب فقال له كيف دخلت من غير استئذان فقال أذن لى رب البيت فعلم سليمان أن رب البيت هو الله تعالى وان الشاب ملك الموت أرسل ليقبض روحه فقال سبحان الله هذا اليوم طلبت فيه الصفاء فقال طلبت ما لم يخلق قال وكان قد بقى من بناء المسجد الأقصى بقية فقال له يا أخى يا عزرائيل امهلنى حتى يفرغ قال ليس فى أمر ربى مهلة قال فقبض روحه وكان من عادته الانقطاع فى التعبد شهرين وثلاثة ثم يأتى فينظر ما صنعت الجن فلما قبض كان متوكئا على عصاه واستمر ذلك مدة والجن تتوهم أنه مشرف عليها فتعمل كل يوم بقدر عشرة أيام حتى أراد الله ما أراد فسلط على العصا الارضة فأكلتها فخر ميتا فتفرقت الجن عنه وقيل ان واحدا منهم مر عليه فسلم فلم يجبه فدنا منه فلم يجد له نفسا فحركه فسقطت العصا فاذا هو ميت قال وكان عمره ثلاثا وخمسين سنة والعصا التى اتكأ عليها من خرنوب قال الله تعالى فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا فى العذاب المهين قال فشكرت الجن الارضة حتى قيل انهم كانوا يأتونها بالماء حيث كانت * وأما الدابة التى من أشراط الساعة فاختلف فى أمرها فقيل تخرج من الصفا وهو الصحيح وقيل من الطائف وقيل من الحجر وطولها ستون ذراعا ذات قوائم وهى مختلفة الألوان وذلك فى ليلة يكون الناس مجتمعين بنى أو سائرين الى منى ومعها عصا موسى وخاتم سليمان لا يدركها طالب ولا يفوتها هارب تلحق المؤمن فتضربه بالعصا فتكتب فى وجهه مؤمن وتدرك الكافر فتسمه بالخاتم وتكتب فى وجهه كافر وروى أنها تخرج اذا انقطع الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وقل الخير (داجن) هو ما يربيه الناس فى البيوت من صغار الغنم والحمام والدجاج وغير ذلك وفى حديث الافك ما نعلم لها نقيصة غير انها جارية حديثة السن تعجن وتنام فتأتى الداجن فتأكل العجين (دب) من السباع وكنيته أبو جهينة وأبو جهل وغير ذلك ولا يخرج زمن الشتاء حتى يطيب الهواء واذا جاع يمص يديه ورجليه فيندفع جوعه وهو كثير الشبق وينعزل بانثاه وتضع جروا واحدا وتصعد به الى أعلى شجرة خوفا عليه من النمل لانها تضعه قطعة لحم ثم لا تزال تلحسه وترفعه فى الهواء أياما حتى تنفرج أعضاؤه وتخشن ويصير له جلد وفى ولادتها صعوبة وربما ماتت منها وقد تلده ناقص الخلق شوقا منها الى السفاد وهى من الحيوان الذى يدعو الانسان للفعل به وقيل ان الدب يقيم أولاده تحت شجرة الجوز ثم يصعد فيرميها بالجوز اليها الى أن تشبع وربما قطع من الشجرة الغصن العتل الضخم الذى لا يقطع الا بالفاس والجهد ثم يشد به على الفارس فلا يضرب أحدا الا قتله (دجاجة) وكنيتها أم ناصر الدين وأم الوليد وغير ذلك واذا هرمت لم يبق لبيضها مح وتوصف بقلة النوم قيل ان نومها بقدر ما تتنفس وعندها خوف فى الليل ولأجل ذلك تطلب وقت الغروب مكانا عاليا وتخشى الثعلب قيل انها اذا رأته ألقت نفسها اليه من شدة الخوف ولا تخشى من بقية السباع وقيل يعرف الذكر من الأنثى بامساك منقاره فان تحرك فذكر والا فانثى ومن الدجاج ما يبيض فى اليوم مرتين وهو من أسباب موتها ويستكمل خلق البيضة فى بطن الدجاجة فى عشرة أيام وفى الحديث أن النبى صلى الله عليه وسلم أمر باتخاذ الغنم للاغنياء وباتخاذ الدجاج للفقراء ومن العجيب فى صنعة الله تعالى أن خلق الفروج من البياض وجعل الصفار غذاء له كما خلق الطفل من المنى وجعل دم الحيض غذاء له فتبارك الله أحسن الخالقين (الخواص) لحم الدجاج الفتى يزيد فى العقل ويصفى اللون ويزيد فى المنى ويقيم الباه والمداومة عليه تورث النقرس والبواسير على ما ذكر (دج) طير كبير أغبر يكون بساحل البحر كثيرا وبالقرب من الاسكندرية والناس يصطادونه ويأكلونه (دود) اسم جنس ومنه دود القز ويقال لها الهندية ومن عجيب أمرها أنها تكون أولا مثل بزر التين ثم تصير دودا وذلك فى أوائل فصل الربيع ويكون عند خروجه مثل الذر فى قدره ولونه ويخرج فى الأماكن الدافئة اذا كان مصرورا

فى هذه الواقعة مجادلة أشهد الرفع بعد التأمل انها أقرب للصواب وحكم بصحة ذلك قبل أن يتكامل لها النصاب ما طال فى رأس القلم شعرة الا سرحتها باحسان ولا طالعت كتابا الا أزالت غلطه بالكشط من رأس اللسان تعقد عليها الخناصر لانها عدة وعده وتالله ما وقعت فى قبضة الأطالت لسانها وكامت بحده ان أدخلت الى القراب كانت قد سبقت على الدخول أو أبرزت من غمده كان على طلعتها الهلالية قبول تطرف باشعتها الباهرة عين الشمس وباقامتها الحد حافظت الاقلام على مواظبة الخمس وكم لها من عجائب تركت جدول السيف وهو فى بحر غمده غريق ولو تعلم بها من قبل ضربه ما حل التطريق فلو عاصرها الكامل امرك من قوسه الاذنين وقال له جددت رسالتك ياذا القرنين فان جذبت الى مقاومتها كانت لك يد تمتد وصلت السكين منك العظم وصار عليك قطع وانتهى أمرك الى ذا الحد وهل تعاند السكين صورة ليس لها من تركيب النظم الا ما حلت ظهورها أو الحوايا أو ما اختلط بعظم ولو لمحها الفاضل تحقق قوله ان خاطر سكينه كل أو أدركها ابن نباتة ما أقر برسالة السيف وقل وقال لقلم رسالته أطلق لسانك بشكر مواليك وأخلص الطاعة لباريك ولم يقصد الملوك الايجاز فى رسالة السكين ونظمها الا لتكون مختصرة لهم الا زالت صدقات مهديها تتحف بما يبهج فقرى وتأتى فى كل وقت بما يبرى من داء الاحتياج ويبرى (قلت وعلى ما وقع من الغريب فى رسالة السكين) يتعين ان نورد ما وقع من غريب النظم فى السيف فان الشيخ جمال الدين بن نباتة ذكر من نثره

فى حق وربما تأخر خروجه فتجعله النساء تحت ثديهن بصرته فيخرج وغذاؤه ورق التوت الأبيض قال ولا يزال يكبر حتى يصير بقدر أصبع وينتقل من السواد الى البياض وكل ذلك فى مدة ستين يوما قال ثم يأخذ فى النسج بما يخرجه من فيه الى أن ينفد ما فى جوفه ثم يخرج شيأ كهيئة الفراش له جناحان لا يسكنان من الاضطراب وعند خروجه يهيج الى السفاد و يلصق الذكر مؤخره الى مؤخر الأنثى و يلتحمان مدة ثم يفترقان قال و يكون قد فرش لهما خرقة بيضاء فينثران البزر عليها ثم يموتان هذا اذا أريد منهما البزر وان اريد الحرير ترك فى الشمس بعد فراغهما من النسج فيموت وهو سريع العطب حتى انه ليخشى عليه من صوت الرعد والعطاس ومس المرأة الحائض والرجل الجنب ورائحة الدخان والحر الشديد والبرد الشديد ونحو ذلك قال أبو الفتح البستى

ألم تر أن المرء طول حياته * معنى بأمر لا يزال يعالجه
كذلك دود القز ينسج دائما * ويهلك غما وسط ما هو ناسجه

(وقال آخر) يفنى الحريص بجمع المال مدته * وللحوادث ما يبقى وما يدع
كدودة القز ما تبنيه يهلكها * وغيرها بالذى تبنيه ينتفع

﴿ديك﴾ وكنيته أبو حسان وأبو حماد وغير ذلك و يسمى الأنيس المؤانس من طبعه لا يألف زوجة واحدة وهو أبله الطبيعة لأنه اذا سقط من بيت أصحابه لا يهتدى الى الرجوع اليه وفيه من الخصال الحميدة ما لا يحصر منها أنه يساوى بين أزواجه فى الطعمة و يذكر الله تعالى فى الليل حتى قيل أنه ليوقته و يقسمه وربما لا يخرم فى توقيته وفى الصحيح اذا سمعتم صياح الديك فاذكروا الله تعالى فانه يصيح بصياح ديك العرش وروى الغزالى عن ميمون بن مهران أن لله ملكا تحت العرش على صورة الديك فاذا مضى ثلث الليل الأول ضرب بجناحيه وقال ليقم المسلمون فاذا مضى الثلث الثانى ضرب بجناحيه وقال ليقم الذاكرون فاذا كان السحر وطلع الفجر ضرب بجناحيه وقال ليقم الغافلون وعليهم أوزارهم وفى الحديث ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ان لله ديكا أبيض له جناحان موشحان بالزبرجد والياقوت واللؤلؤ جناح بالمشرق وجناح بالمغرب ورأسه تحت العرش وقوائمه فى الهواء فاذا كان ثلث الليل الأول خفق بجناحيه وقال سبحان الملك القدوس فاذا كان الثلث الثانى خفق بجناحيه وقال قدوس قدوس فاذا كان الثلث الثالث خفق بجناحيه وقال ربنا الرحمن الرحيم لا اله الا هو وروى الثعلبى باسناده عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ثلاثة أصوات يحبها الله تعالى صوت الديك وصوت قارئ القرآن وصوت المستغفر بالأسحار وفى الحديث لا تسبوا الديك فانه يوقت للصلاة وزعم أهل التجربة أن الرجل اذا ذبح الديك الأبيض الأفرق لم يزل ينكب فى أهله وماله ﴿نادرة﴾ قيل كان لابراهيم بن هرمة ديك وكان كريما عليه فجاء العيد وليس عنده شئ يضحى عليه فأمر امرأته بذبحه واتخاذ طعام منه وخرج الى المصلى فأرادت المرأة تمسكه ففر فتبعته فصار يخترق من سطح الى سطح وهى تتبعه فسألها جيرانها وهم قوم هاشميون عن موجب ذبحه فذكرت لهم حال زوجها فقالوا أما نرضى أن يبلغ الاضطرار بأبى اسحق الى هذا القدر فأرسل اليه هذا شاة وهذا شاتين وهذا بقرة وهذا كبشا حتى امتلأت الدار فلما جاء ورأى ذلك قال ما هذا فقصت عليه زوجته القصة فقال ان هذا الديك لكريم على الله فان اسمعيل نبى الله فدى بكبش واحد وهذا فدى بما أرى

﴿حرف الذال﴾

﴿ذباب﴾ وكنيته أبو جعفر وهو أصناف كثيرة يتولد من العفونة ومن عجيب أمره أنه يلقى رجيعه على الأبيض يسود وعلى الأسود يبيض ولا يقعد على شجرة الدباء وفى الحديث اذا وقع الذباب فى اناء أحدكم فليغمسه فان فى احدى جناحيه دواء وفى الأخرى داء وان من طبعه أن يلقى نفسه بالجناح الذى فيه الداء ﴿وحكى﴾ أن المنصور كان جالسا فألح عليه الذباب حتى أضجره فقال انظروا من بالباب من العلماء فقالوا مقاتل بن سليمان فدعا به ثم قال له هل تعلم لأى حكمة خلق الله الذباب قال ليذل به الجبابرة قال صدقت ثم أجازه ومن خصائص النبى صلى الله عليه وسلم انه كان لا يقع عليه ذباب قط وقال المأمون قالوا ان الذباب اذا دلك به موضع لسعة الزنبور سكن ألمه فلسعنى زنبور فحككت على موضعه أكثر من عشرين ذبابة فما سكن له ألم فقالوا هذا كان حتما قاضيا ولولا هذا العلاج لقتلك وقال الجاحظ من منافع الذباب أنها تحرق وتخلط

فى رسالة السيف بدائع ولكنها مشهورة لتنقيب الناس عنها والاقتباس منها ﴿قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه﴾ لعمرو بن معديكرب كيف تقول فى الرمح قال أخوك وربما خانك فانقصف قال فالترس قال هو المجن وعليه تدور الدوائر قال فالنبل قال منه ما يخطئ وما يصيب قال فما تقول فى الدرع قال مثقلة للراجل مشغلة للفارس وانها حصن حصين قال فما تقول فى السيف قال هنالك لا أم لك يا أمير المؤمنين فعلاه عمر بالدرة وقال لم تقول لا أم لك قال الحمى صرعتنى يا أمير المؤمنين ﴿الشريف البياضى﴾ شعر

وانا اذا الأرواح ذابت مخافة
فتحنا بأشطان الرماح ركابها
متى ما أردنا أن يذاق حديدنا
خلقنا بحد المشرفية أفواها

﴿وقال أبو العلاء المعرى﴾

غراراه لسانا مشرفى
يقول غرائب الموت ارتجالا
ودبت فوقه حمر المنايا
ولكن بعدما مسخت نمالا
يذيب الرعب منه كل عضب
فلولا الغمد يمسكه لسالا

﴿وقال النامى﴾

ذو مدمع من غير ما مستعبر
وتبسم من ثغره متوالى
يريك من لألائه متوقدا
حنق المنون به على الآجال

﴿وقال الغنوى﴾

كان على افرنده موج لجة
تقاطر فى حافاته وتجول
حسام غداة الروع حتى كأنه
من الله فى قبض النفوس رسول

﴿وقال وحيد الدين بن الذروى﴾

فتحت بأجساد الأسود لواحظا
رنت للمنايا عن عيون الثعالب
وأنطقت أفواها على قمم العدا
بألسنة البيض الرقاق المضارب

بالكحل فاذا اكتحلت به المرأة كانت عينها أحسن ما يكون وقيل ان الماشطة تستعمله وتأمرن به العرائس وقيل ان الذباب اذا مات وألقي عليه برادة الحديد عاش واذا بخر البيت بورق القرع هرب منه الذباب (ذئب) حيوان معروف وكنيته أبو جعدة وأبو جاعد وأبو ثمامة لونه رمادي وهو من الحيوان الذي ينام باحدى عينيه ويحرس بالاخرى حتى تمل فيغمضها ويفتح الأخرى كما قال بعض واصفيه

ينام باحدى مقلتيه ويتقي * بأخرى المنايا فهو يقظان هاجع

واذا أراد السفاد اختفى ويطول في سفاده كالكلب واذا جاع عوى فتجتمع الذئاب حوله فمن هرب منها أكلوه واذا خاف منه الانسان طمع فيه وليس في الارض أسد يعض على عظم الا ويسمع لتكسيره صوت بين لحييه الا الذئب فان لسانه يبرى العظم برى السيف ولا يسمع له صوت وقيل اذا أدماه الانسان فشم الذئب رائحة الدم لا يكاد ينجو منه وان كان أشد الناس قلبا وأتمهم سلاحا كما ان الحية اذا خدشت طلبها الذر فلا تكاد تنجو منه وكالكلب اذا عض الانسان يطلبه الفأر فيبول عليه فيكون في ذلك هلاكه فيحتال له بكل حيلة قيل ولا يعرف الالتحام عند السفاد الا في الكلب والذئب واذا هجم الصياد على الذئب والذئبة وهما يتسافدان قتلهما كيف شاء والله أعلم

﴿حرف الراء﴾

﴿رخ﴾ طير عظيم الخلقة يوجد بجزائر الصين قال أبو حامد الاندلسي ذكر لي بعض المسافرين في البحر أنهم أرسوا بجزيرة فلما أصبحوا وجدوا في طرفها المعانا وبريقا فتقدموا اليه واذا هم بشيء مثل القبة قال فجعلوا يضربون فيه بالفوس الى أن كسروه فوجدوه كهيئة البيضة وفيه فرخ عظيم قال فتعلقوا بريشه وجروه ونصبوا القدور وخرجوا يحتطبون من تلك الجزيرة حطبا يقال له حطب الشباب فلما أكلوا ذلك الطعام اسودت لحية ولمة كل ذي شيب قال فلما أصبحوا جاءهم الرخ فوجدهم قد صنعوا بفرخه ما صنعوا فذهب وأتى في رجليه بحجر عظيم وتبعهم بعدما ساروا في البحر وألقاه على سفينتهم فسبقت السفينة وكانت مشرعة بتسع قلوع ووقع الحجر في البحر فنجاهم الله تعالى منه وكان ذلك من لطف الله تعالى بهم قال وقد كان بقي معهم أصل ريشة قيل انهم كانوا يجعلون فيها الماء فتسع مقدار قربة فسبحان الخالق الاكبر ﴿رخم﴾ طير أغبر أصفر المنقار معروف وهو من أشر الطيور ويقال انها صماء وسبب ذلك ما قيل في بعض الحكايات أن موسى عليه الصلاة والسلام لما مات تكلمت بموته وكانت تعرف مكانه فاصمها الله تعالى حتى لا ترشد أحدا الى موضعه

﴿حرف الزاي﴾

﴿زرافة﴾ حيوان غريب الخلقة ولما كان مأكولها ورق الشجر خلق الله تعالى يديها أطول من رجليها وهي ألوان عجيبة يقال انها متولدة من ثلاث حيوانات الناقة الوحشية والبقرة الوحشية والضبع فينزو الضبع على الناقة فتأتي بذكر فينزو ذلك الذكر على البقرة فتتولد منه الزرافة والصحيح أنها خلقة بذاتها ذكروأنثى كبقية الحيوانات لأن الله تعالى لم يخلق شيأ الا بحكمة ﴿زنبور﴾ حيوان فوق النحل له ألوان وقد أودعه الله حكمة في بنيانه بيته وذلك أنه يبنيه مربعا له أربعة أبواب كل باب مستقبل جهة من الرياح الاربع فاذا جاء الشتاء دخل تحت الارض ويبقى الى أيام الربيع فينفخ الله تعالى فيه الروح فيخرج ويطير وفي طبعه التهافت على الدم واللحم ومن خاصيته انه اذا وضع في الزيت مات وفي الخل عاش ولسعته تزال بعصارة الملوخية

﴿حرف السين﴾

﴿سعلاة﴾ نوع من المتشيطنة قال السهيلي هو حيوان يتراءى للناس بالنهار ويغول بالليل وأكثر ما يوجد بالغياض واذا انفردت السعلاة بانسان وأمسكته صارت ترقصه وتلعب به كما يلعب القط بالفأر قال وربما صادها الذئب وأكلها وهي حينئذ ترفع صوتها وتقول أدركوني فقد أخذني الذئب وربما قالت من ينقذني منه وله ألف دينار وأهل تلك الناحية يعرفون ذلك فلا يلتفتون الى كلامها ﴿سمندل﴾ حيوان يوجد بارض الصين ومن عجيب أمره انه يبيض في النار ويفرخ فيها ويؤخذ وبره فينسج ويعمل منه المناشف وهذه المناشف اذا اتسخت جعلت في النار فتأكل النار وسخها ولا تحرقها (حكى) أن شخصا بل واحدة من هذه المناشف بالزيت وجعلت في النار وأوقدت ساعة ولم تحترق ﴿سنجاب﴾ حيوان كهيئة الفار يوجد في بلاد الترك على قدر اليربوع اذا أبصر الانسان هرب منه وشعره كشعر الفار وهو ناعم فيؤخذ

ويسلخ

فحيث الوغى روض تغني ذبابه
وسال على نور الطلا كالمذانب
وقد رشفت ورد الكلوم صغاره
وما شربت الا دماء الترائب

﴿وله﴾

سكران من شربه خمر الدماء فان
حياه نور الطلا غنى لها هزجا

(لسان الدين بن الخطيب)

وخليج هند راق حسن صفائه
حتى يكاد يعوم فيه الصيقل
غرقت بصفحته النمال فاوشكت
تبغي النجاة فاوثقتها الارجل
فالصرح منه ممرد والصفح منه
مورد والشط منه مهدل

﴿القاضي الفاضل﴾

غدا الى الاعداء منه لماصما
فترجع من ماء الكلى باساور

(وله من أخرى)

ولرب هاتفة دعتهم للوغى
جملوا صليل المرهفات صداها
هي في بحار يديه أمواج ترى
ونفوس من قتلته من غرقاها

(وقال ابن قلاقس وأجاد)

أسهرتهم وشهرتها فيهم وهم
مذ أحرمت في راحتيك حرام
وكلاهما جفن منعت قراره
لكن ذا عضب وذاك سنام

(وقال ابن سناء الملك)

له منصل لا ينقضي فرض حجه
فما الضرب الي حين بالنسك أحرما
تنسك بالاسلام لكن رأيته
يحل له في الشرع أن يشرب الدما
فكم سل لما سل من بطن غمده
لسان دم من ضربة خلقت فما

(مجير الدين بن تميم)

لما قنيت من الصوارم أعوجا
يجري القضاء بنهره المتموج
جنبت القفار وما حملت أوانيا
للماء من ثقتي بنهر الاعوج

(وقال الغزي)

وقد سلب الطعن الاسنة لونها
فعصفر في اللبات ما كان أزرقا

ويسلخ جلده ويجعل فروا يلبس وطبعه موافق لكل طبع وأحسنه الازرق ﴿سنور﴾ حيوان متواضع ألوف خلقه الله تعالى لدفع الفأر والحشرات كذاه وأسماؤه كثيرة ﴿حكى﴾ ان اعرابيا صاد سنورا فرآه شخص فقال ماتصنع بهذا القط ولقيه آخر فقال ماتصنع بهذا الخيدع ولقيه آخر فقال ماتصنع بهذا الخيطل ولقيه آخر فقال ماتصنع بهذا الهر قال أبيعه قال له بكم قال بمائة درهم فقال انه يساوي نصف درهم قال فرمى به وقال لعنه الله ما أكثر أسماءه وأقل قيمته وهذا الحيوان يهيج في زمان الشتاء في شهرين منه وتراهن يترددن صارخات في طلب السفاد فكم من حرة خجلت وذي غيرة هاجت حميته وعزب تحركت شهوته وطيب فم السنور كطيب فم الكلب في النكهة وقيل ان الهرة تحمل خمسين يوما وهو يجمع بين العض بالناب والخمش بالمخلاب وليس كل سبع كذلك وهو يناسب الانسان في بعض الاحوال فيعطس ويتمطى ويغسل وجهه بلعابه ويلطخ ولده بلعابه حتى يصير كأن الدهن يسري في جلده وقيل اذا بال الهر شم بوله ودفنه قيل لاجل الفأر فاذا شمه علم أن هناك هرا فلم يخرج وأما سنور الزباد فهو بارض الهند ويوجد الزباد تحت ابطيه وفخذيه ﴿سوس﴾ هو دود الحبوب والفاكهة * ومن الفوائد التي تكتب في الحبوب فلا تسوس أسماء الفقهاء السبعة الذين كانوا بالمدينة وقد نظمها بعضهم فقال

ألا كل من لايقتدي بأئمة * فقسمته ضيزى عن الحق خارجه
فخذهم عبيد الله عروة قاسم * سعيد أبو بكر سليمان خارجه

﴿حرف الشين﴾

﴿شادهوار﴾ حيوان يوجد بأرض الترك يقال ان له قرنا عليه اثنتان وسبعون شعبة مجوفة فاذا هبت الريح سمع لها تصويت عجيب يكاد يدهش وربما قيل ان فيه شعبة يورث سماعها البكاء والحزن وأخرى تورث الفرح والضحك وانه أهدى الى بعض الملوك شئ من شعبها فرأى فيه ذلك ويقال ان من الحيوان شيأ يوجد بالغياض في قصبة أنفه اثنا عشر ثقبا اذا تنفس يسمع له صوت كصوت المزمار فتأتيه الحيوانات لتسمعه فتدهش فيغفل بعضها من الطرب فيثب عليه فيأخذه ويأكله وهي تعلم ذلك منه وتحترز فاذا اعيسك منها شيأ ضاق خلقه وصاح بها صيحة فتهرب وتتركه ﴿شاهين﴾ طير يكون كهيئة الصقر الا أنه عظيم الهامة واسع العينين ومزاجه أيبس من مزاج الصقر وحركته من العلو الى أسفل أقوى ولذلك ينقض على الطير بشدة فربما يخطئه فيضرب نفسه بالارض بشدة فيموت وقيل أول من صاد به قسطنطين وذلك انه قد جعل له الحكماء الشواهين تظله من الشمس اذا سار فاتفق في بعض الايام أنه ركب فدارت الشواهين عليه وسار قال فطار واحد منها وانقض على صيد فأخذه فأعجب الملك ذلك وصار يتصيد به ﴿شحرور﴾ طير أسود فوق العصفور يصوت باصوات عجيبة مطربة

﴿حرف الصاد﴾

﴿صرد﴾ حيوان يسمى الصرصار على قدر الخنفساء له جناحان ويقال له الصوام لأنه أول طير صام يوم عاشوراء ﴿صعو﴾ طير من صغار العصافير أحمر الرأس

﴿حرف الضاد﴾

﴿ضأن﴾ نوع من الحيوانات ذوات الاربع وهو من الحيوانات المباركة تحمل الانثى منه بواحد واثنين وفيها البركة وغيرها تحمل بالسبعة والتسعة وليس فيها بركة واذا رعت زرعا نبت عوضه وذلك لبركتها بخلاف ذوات الشعر ومن عجيب أمرها أنها اذا رأت الذئب تخور وتخاف منه ولا تخاف من سائر السباع قال بعض القصاص مما أكرم الله تعالى به الكبش أن خلقه مستور العورة من قبل ومن دبر ومما أهان به التيس أن خلقه مهتوك الستر مكشوف العورة من قبل ومن دبر ويقال الضأن من دواب الجنة وهي صفوة الله من البهائم ويقال في المدح هو كبش من الكباش وفي الذم هو تيس من التيوس وأهدى بعضهم الى صديقه شاة هزيلة فقال

تقول لي الاخوان حين طبختها * أتطبخ شطرنجا عظاما بلا لحم

ومن العجب انه يأتي غنم من الهند للكبش منها ألية في صدره وأليات في كتفه وألية على ذنبه وربما تكبر ألية الضأن حتى تمنعه من المشي ومن عجيب أمرها انها اذا تسافدت وقت المطر لاتحمل وعند هبوب

وأسيافنا في السابغات كأنها
جداول تجري بين زهر تفتقا
(ابن خفاجة)
موسد تحت ظل السيف تحسبه
مستلقيا فوق شاطئ جدول غلا
(جمال الدين بن نباتة)
وصارم كعباب الموج ملتطم
يكاد يغرق رائيه ويحترق
لما غدا جدولا يسقي المنون به
أضحى يشف على حافاته العلق
﴿برهان الدين القيراطي﴾
قوم مناديلهم بيض فكم مسحت
رقاب أعدائهم تلك المناديل
(وقلت)
وسيف له في الحرب حسن تغزل
اذا ما رآني قد علوت على نهد
فكم خد خدا فوق صدر مدرع
فبان احمرار الورد في ذلك الخد
وكم مال قدا في اوغى ميل معجب
فقد لله ذاك المهند بالقد
وكم أعجموا ألفاظهم ساعة اللقا
فكلمهم ذاك المهند بالهندي
﴿وقلت﴾
وقد وجب ان نذكر هنا ماوقع بعد السيف من غريب النظم في الرمح
﴿ذكر القاضي الرشيدي ابن الزبير﴾
في كتابه العجائب والطرف انه كان في خزانة السلاح أيام السفاح خمسون ألف درع وخمسون ألف سيف وثلاثون ألف جوشن ومائتا ألف رمح
﴿وقال الفضل بن الربيع﴾
لما ولي الامين الخلافة سنة ثلاث وتسعين ومائة أمرني ان أحضر ما في خزانة السلاح فكان فيها من السيوف المحلات بالذهب عشرة آلاف وخمسون ألف سيف للشاكرية والغلمان ومائة وخمسون ألف رمح ومائة ألف قوس وألف درع محلاة وألف درع عامة وعشرون ألف بيضة وعشرون ألف جوشن ومائة ألف وخمسون

الريح ان كانت شمالية حملت ذكرا أو جنوبية حملت أنثى والله أعلم (ومن خواصها) أن لحمها ينفع للسوداء ويزيد فى المنى والباه واذا تحملت المرأة بصوفها قطع حبلها واذا غطى اناء العسل بصوف الضان الابيض منع وصول النمل اليه واذا دفن قرن كبش تحت شجرة كثر حملها على ماذكر والله أعلم

(ضب) حيوان يجعل جحره فى الارض الصلدة وعنده بله فرعا لايهتدى لجحره اذا خرج منه فلذلك لايحفره الا بقرب كدية أو اشارة وهو من الحيوان الذى يعمر قيل انه يعيش سبعمائة سنة ومن طبعه أنه يصبر على الماء يقال انه لايشرب فانه يبول فى كل أربعين يوما قطرة والانثى تبيض سبعين بيضة وأكثر وتجعلها فى الارض وتتعاهدها فى كل يوم الى أربعين يوما فيخرج وبيضها قدر بيض الحمام وهذا الحيوان شديد الخوف من الآدمى ولذلك يجعل العقارب فى جحره حتى يمتنع بها واذا خرج من جحره كليل البصر فيستقبل الشمس فيحصل له بذلك حدة فى بصره واذا عطش تنشق النسيم فيروى به وبين الافاعى مناسبة وذلك أنه لايخرج زمن الشتاء (فائدة) قيل ان اعرابيا أتى النبى صلى الله عليه وسلم وفى كمه ضب قد صاده وقال لولا أن تسمينى العرب عجولا لقتلتك وسررت الناس بقتلك فقال عمر دعنى يارسول الله أقتله فقال عليه الصلاة والسلام مهلا ياعمر أما علمت أن الحليم كاد أن يكون نبيا قال ثم أقبل الاعرابى على النبى صلى الله عليه وسلم وقال والله لا آمنت بك الا أن يؤمن بك هذا الضب وأخرجه من كمه قال فعند ذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم ياضب فأجابه بلسان فصيح لبيك وسعديك يارسول رب العالمين فقال من تعبد قال الذى فى السماء عرشه وفى الارض سلطانه وفى البحر سبيله وفى الجنة رحمته وفى النار عذابه فقال من أنا ياضب قال رسول رب العالمين قد أفلح من صدقك وقد خاب من كذبك قال فقال الاعرابى عند ذلك ياويلاه ضب اصطدته بيدى من البرية يشهد لك بالرسالة أنا أولى منه بذلك هات يدك أشهد أن لا اله الا الله وانك رسول الله حقا ولقد أتيتك وما على وجه الارض أحد أكثر بغضا منى اليك ولقد صرت الآن أذهب من عندك وما على وجه الارض أحد أكثر محبة منى اليك ولانت الساعة أحب الى من أهلى وولدى وما تملك يدى فقد آمن بك شعرى وبشرى وداخلى وخارجى وسرى وعلانيتى فقال النبى صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذى هداك لهذا الدين الذى يعلو ولا يعلى عليه ولكن لا يقبله الله الا بصلاة ولا يقبل الصلاة الا بقراءة قال فعلمنى ياحبيبى قال فعلمه سورة الفاتحة وسورة الاخلاص وقال من قرأها ثلاث مرات فكأنما قرأ القرآن قال الهنا يقبل اليسير ويعفو عن الكثير ثم سأله ألك مال فقال ياحبيبى ليس فى بنى سليم أفقر منى فقال لاصحابه اعطوه فاعطوه حتى أثقلوه فقال عبد الرحمن بن عوف يارسول الله عندى ناقة عشارية أعطيها له فقال ان الله يعطيك ناقة فى الجنة من درة قوائمها من الزبرجد الاخضر وعيناها من الياقوت الاحمر وعليها هودج من السندس تخطف بك من الصراط كالبرق قال فخرج الاعرابى من عنده فتلقاه ألف فارس من المشركين كلهم يريدون قتل النبى صلى الله عليه وسلم فأخبرهم بقصته فأسلموا عن آخرهم وأمر النبى صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد عليهم وهذه القصة ذكرها الدارقطنى بتمامها والبيهقى والحاكم وابن عدى (الخواص) قلبه يذهب الحزن والخفقان وشحمه يطلى به الذكر يزيد فى الباه وكعبه يشد على وجع الضرس يبرأ واذا جعل على وجه فرس لايسبقه شئ وبعره يذهب البرص والكلف طلاء ومن أكل لحمه لا يعطش زمانا طويلا

(ضبع) حيوان معروف ومن كناه أم عامر ومن طبعه حب لحم الآدمى حتى قيل انه ينبش القبور واذا مر بانسان نائم حفر تحت رأسه ووثب عليه وبقر بطنه وشرب دمه (الخواص) من شرب دمه ذهب وسواسه ومن علق عليه عينه أحبه الناس واذا جعلها فى خل سبعة أيام ثم جعلها تحت فص خاتم فكل من كان به سحر وجعل الخاتم فى قليل ماء وشربه زال سحره

(ضفدع) حيوان يتولد من المياه الضعيفة الجرى ومن العفونات وعقيب الأمطار وأول مايظهر مثل الحب الاسود ثم ينمو ثم تتشكل له الاعضاء واذا نعق جعل فكه الاسفل فى الماء والاعلى من خارج وفى صوته حدة قال سفيان ليس من الحيوان أكثر ذكرا لله تعالى من الضفدع وفى الآثار ان داود عليه الصلاة والسلام قال لاسبحن الله تعالى بتسبيح ماسبحه أحد قبلى فنادته ضفدعة ياداود تمن على الله تعالى بتسبيحك وأنا لى تسعون سنة ماجف لسانى عن ذكر الله تعالى قال فما تقولين فى تسبيحك قالت أقول سبحان من هو مسبح بكل لسان سبحان من هو مذكور بكل مكان فقال داود وما عسى أن أقول

ألف ترس وأربعة آلاف سرج
محلاة بالذهب وثلاثون ألف سراج
عامة انتهى

(قلت ويعجبنى قول القاضى الفاضل فى بيت من قصيدة)

أمنصل الرمح الطويل بكوكب
من ذا يطاعن والسماك سنان

(ومثله فى الحسن قول ابن سناء الملك)

ملوك يحوزون الغنائم عنوة
بسمر العوالى أو ببيض القواضب
ورماح بأيديهم طوال كأنما
أرادوا بها تثقيب در الكواكب

(ابن قلاقس وأجاد)

وقد كحلت بأميال العوالى
أساة الحرب أحداق الدروع
وشب الباس نيران المواضى
وأسبل غيث أمواه النجيع
فللفرسان من محل وحل
حديث عن مضيف أو ربيع

(ويعجبنى أيضا قول القاضى الفاضل من قصيدة)

فياعجبا للملك قر قراره
بمختلفات من قتال السواهر
طواعن أسرار القلوب نواظر
كأنك قد نصلتها بنواظر

(ذو الوزارتين لسان الدين بن الخطيب وأجاد)

وبكل أزرق ان شكت ألحاظه
مرة العيون فبالعجاجة تكحل
متأود أعطافه فى نشوة
مما يعل من الدماء وينهل
عجبا له ان النجيع بطرفه
رمد ولا يخفى عليه مقتل

(السيد الفاضل شمس الدين بن الصاحب موفق الدين بن الآمدى)

غصون بها طير النفوس تنافرت
وعهدى ان الطير للغصن يألف
فلا ورق الا من التبر حولها
ولا زهر الا من النصر يقطف

(ابن نباتة السعدى)

وولوا عليها يقدمون رماحنا
وتقدمها أعناقهم والمناكب

وقال

وقال بعضهم انها كانت تأخذ الماء بفيها وتمجه على نار ابراهيم الخليل والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿حرف الطاء﴾

(طاوس) طير مليح ذو ألوان عجيبة وعنده الزهو فى نفسه والعجب ومن طبعه العفة وهو من الطير كالفرس من الحيوان والأنثى تبيض حين يمضى لها من العمر ثلاث سنين وفى ذلك الأوان يكمل ريش الذكر ويتم لونه وتبيض الأنثى مرة واحدة فى كل سنة فى السنة اثنتا عشرة بيضة أو أقل أو أكثر ويفسد الذكر فى أيام الربيع ويرمى ريشه فى أيام الخريف كالشجرة فاذا ابتدأ طلوع الورق طلع ريشه ومدة حضنه ثلاثون يوما ﴿فائدة﴾ قيل ان آدم لما غرس الكرمة جاء ابليس لعنه الله فذبح عليها طاوسا فشربت دمه فلما طلعت أوراقها ذبح عليها قردا فشربت دمه فلما طلعت ثمرتها ذبح عليها أسدا فشربت دمه فلما انتهت ثمرتها ذبح عليها خنزيرا فشربت دمه فمن أجل ذلك تجد شارب الخمر أول ما يشرب بها وتدب فيه يزهو بنفسه ويمس عجبا كالطاوس فاذا جاء مبادى السكر لعب وصفق بيديه كالقرد فاذا قوى سكره قام وعربد كهيئة الاسد فاذا انتهى سكره انقبض كما ينقبض الخنزير ثم يطلب النوم والناس تتشاءم باقامته بالدور وقيل لانه كان سببا لدخول ابليس الجنة وخروج آدم منها والله على كل شئ قدير

﴿حرف الظاء﴾

﴿ظبي﴾ واحد الغزلان وهو ثلاثة أصناف الاول الآرام وهو ظباء الرمل ولونها رمادى وهى سمينة العنق والثانى العفر ولونها أحمر وهى قصيرة العنق والثالث الادم وهى طويلة العنق وتوصف بحدة البصر وقيل ان الظبي يقضم الحنظل قضما ويمضغه مضغا وماؤه يسيل من شدقيه ويرد الماء الملح فيشرب الماء الاجاج ويغمس خرطومه فيه كما تغمس الشاة لحيها فى الماء العذب فأى شئ أعجب حيوان يستعذب ملوحة البحر ويستحلى مرارة الحنظل (الخواص) لسانه يجفف ويطعم للمرأة السليطة تزول سلاطتها وبعره وجلده يحرقان ويسحقان ويجعلان فى طعام الصبي يزيد ذكاؤه ويصير فصيحا ذاقا حافظا (ظربان) دويبة فوق جرو الكلب منتنة الريح تزعم العرب ان من صادها وفست فى ثوبه لا تزول الرائحة منه حتى يبلى الثوب ويحكى من شؤمها أنها تأتى بيت الظبي فتفسو فيه ثلاث مرات فتقتل ما فيه وتأكله بعد ذلك

﴿حرف العين﴾

(عجل) حيوان معروف وهو ذكر البقر وسمى بذلك لاستعجال بنى اسرائيل بعبادته والسبب فى ذلك أن موسى عليه الصلاة والسلام وقت الله له ثلاثين ليلة ثم أتمها بعشر وكان فيهم شخص يسمى موسى بن ظفر السامرى فى قلبه من حب عبادة البقر شئ فابتلى الله به بنى اسرائيل فقال ائتونى بحلى قال فأتوه بجميع حليهم فصنع منه عجلا جسدا وألقى عليه قبضة من التراب الذى كان أخذه من أثر فرس جبريل عليه السلام فصار له خوار كما أخبر الله تعالى فعكفوا على عبادته من دون الله تعالى وكانوا يأتون اليه ويرقصون حوله ويتواجدون فيخرج منه تصويت كهيئة الكلام فيتعجبون من ذلك ويظنون أنه تكلم وانما فعل ذلك باغواء ابليس لعنه الله حتى يطغيهم ﴿فائدة﴾ نقل القرطبي عن سيدى ابى بكر الطرطوشى رحمهما الله أنه سئل عن قوم يجتمعون فى مكان فيقرؤن من القرآن ثم ينشد لهم الشعر فيرقصون ويطربون ثم يضرب لهم بعد ذلك بالدف والشبابة هل الحضور معهم حلال أم حرام فقال مذهب الصوفية ان هذه بطالة وجهالة وضلالة وما الاسلام الا كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأما الرقص والتواجد فأول من أحدثه أصحاب السامرى لما اتخذوا العجل فهذه الحالة هى حالة عباد العجل وانما كان النبي صلى الله عليه وسلم مع أصحابه فى جلوسهم كأنما على رؤسهم الطير مع الوقار والسكينة فينبغى لولاة الأمر وفقهاء الاسلام أن يمنعوهم من الحضور فى المساجد وغيرها ولا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يحضر معهم ولا يعينهم على باطلهم هذا مذهب الشافعى وأبى حنيفة ومالك وأحمد بن حنبل رحمهم الله تعالى ﴿عقرب﴾ هو من الحشرات قال الجاحظ انها تلد من فيها مرتين وتحمل اولادها على ظهرها وهم كهيئة القمل كثيروا العدد وقال غيره اذا حملت تسلط عليها اولادها فأكلوا بطنها وخرجوا كهيئة الذر ثم يكبرون ويطوفون بالأرض ولها ثمانية أرجل ومن عجيب أمرها أنها لا تضرب النائم الا اذا تحرك شئ منه والخنافس تأوى اليها وربما لسعت التنين العظيم فقتلته (غريبة) قال ذو النون المصرى بينما أنا فى بعض سياحتى اذ مررت بشاطئ البحر فرأيت عقربا أسود قد أقبل

خلقنا بأطراف القنا لظهورهم
عيونا لها وقع السيوف حواجب

﴿قلت﴾ رسم كافل المملكة الشريفة الشامية وهو المقر المرحومى العلائى تغمده الله برحمته ورضوانه للفضلاء بدمشق المحروسة وغيرهم من الفضلاء بالبلاد الشامية أن ينظموا أبياتا تكتب على أسنة الرماح وتكون عدة الابيات أربعة ﴿فنظم المقر المرحومى الفتحى بن الشهيد قوله﴾

اذا الغبار علا فى الجو عثيره
فأظلم الجو ما للشمس أنوار
هذا سنانى نجم يستضاء به
كأنه علم فى رأسه نار
والسيف ان نام مل‌ء الجفن فى غلق
فاننى بارز للحرب خطار
ان الرماح لاغصان وليس لها
سوى النجوم على الميدان أزهار

(ونظم الرئيس شمس الدين بن المزين)

أنا أسمر والراية البيضاء لى
لا للسيوف وسل من الشجعان
لم يحل بى عيش العداة لاننى
نوديت يوم الجمع بالمران
واذا تفاءهت الكماة بجحفل
كلمتهم فيه بكل لسان
فتخالهم غنما تساق الى الردى
قهر المعظم سطوة الجوبان

﴿ونظم المقر المرحومى وهو اذ ذاك كاتب السر بحمص المحروسة﴾

عروس سنانى حين تجلى على العدا
وتظهر تبدى ما لهم من بواطن
وقد صيغ من هم فمن صدورهم
مجال له رحب فسيح المواطن
سيلقون يوم الجمع غبن الموتهم
بطعنى ويوم الجمع يوم التغابن
وان شهدوا بالجور فى وعدلوا
فانى قد بينت فيهم مطاعنى

(ونظم قاضى القضاة صدر الدين ابن الآمدى سامحه الله)

الى أن جاء الى شاطئ البحر فظننت أنه يشرب فقمت لأنظرها فاذا بضفدع قد خرج من الماء وأتاه فحمله على ظهره وذهب الى ذلك الجانب قال ذو النون فاتزرت بمئزرى وعمت خلفه حتى اذا صعد من ذلك الجانب صعدت وسرت وراءه فما زال حتى جاء الى شجرة فوجدت تحتها غلاما نائما من شدة السكر قد أقبل عليه تنين عظيم قال فلصقت العقرب برأس التنين ولسعته فقتلته ثم رجعت الى ظهر الضفدع فعبر بها الى الماء وسار بها الى المكان الذى جاءت منه قال ذو النون فتعجبت من ذلك وأنشدت

يا راقدا والجليل يحفظه * من كل سوء يكون فى الظلم
كيف تنام العيون عن ملك * يأتيك منه فوائد النعم

ثم أيقظت الغلام وأخبرته بذلك قال فلما سمع ذلك قال أشهدك على أنى قد تبت عن هذه الخصلة ثم جررنا ذلك التنين ورميناه فى البحر ولبس ذلك الغلام مسحا وساح الى أن مات رحمة الله تعالى عليه وما أحسن ما قال بعضهم

اذا لم يسالمك الزمان فحارب * وباعد اذا لم تنتفع بالاقارب
ولا تحتقر كيد الضعيف فربما * تموت الأفاعى من سموم العقارب
فقد هدّ قدما عرش بلقيس هدهد * وخرب فأر قبل ذا سد مأرب
اذا كان رأس المال عمرك فاحترز * عليه من التضييع فى غير واجب
فبين اختلاف الليل والصبح معرك * يكر علينا جيشه بالعجائب

﴿فائدة﴾ اذا لدغ أحد فاقرأ عليه هذه الكلمات وهى سلام على نوح فى العالمين وصلى الله على سيدنا محمد فى المرسلين من حاملات السم أجمعين لا دابة بين السماء والارض الا ربى آخذ بناصيتها كذلك يجزى عباده المحسنين ان ربى على صراط مستقيم نوح قال لكم من ذكرنى لا تلدغوه ان ربى بكل شئ عليم وصلى الله على سيدنا محمد الكريم * وقال بعض العلماء من قال عقدت زبان العقرب ولسان الحية ويد السارق بقول أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله أمن من العقرب والحية والسارق وفى البخارى أن رجلا جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله ماذا لقيت من عقرب لدغتنى البارحة فقال له النبى صلى الله عليه وسلم أما انك لو قلت اذا أمسيت أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم تضرك وروى الترمذى أن من قال حين يمسى أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق ثلاث مرات ثم قال سلام على نوح فى العالمين لم تضره الحية والعقرب والسر فى ذكر نوح دون غيره هو أنه لما ركب فى السفينة سألته الحية والعقرب أن يحملهما معه فشرط عليهما أنهما لا يضران من ذكر اسمه بعد ذلك فشرطا له ذلك ﴿الخواص﴾ من بخر البيت بزرنيخ أحمر وشحم بقر هربت منه العقارب ومن شرب مثقالين من حب الاترج أبرأه من سمها ومن علق عليه شئ من ورق الزيتون برئ أيضا ولوقته ﴿عقعق﴾ طير ذو لونين طويل الذنب قدر الحمامة على شكل الغراب وجناحاه أكبر من جناحى الحمامة وهو لا يأوى الا الاماكن العالية واذا باض جعل حول بيضه ورق الدلب خوفا عليه من الخفاش لا يفسده ﴿الخواص﴾ دمه اذا جعل على قطن وألصق على موضع النصل والشوكة الغائبة فى البدن أخرجه ﴿علق﴾ دود أحمر وأسود يكون بالماء يعلق بالخيل والآدمى فاذا علقت بك فرش عليها ماء وملحا واذا علقت بفرس فبخره بوبر الثعلب فانه ينفصل من رائحة دخانه * ومن خواصه ان البيت اذا بخر به هرب ما فيه من البق والبعوض واذا جفف وسحق وقلع الشعر وطلى به مكانه منع نباته ﴿عنقاء﴾ واختلف فيها فقال بعضهم هو طائر عظيم الخلقة له وجه انسان وفيه من كل حيوان لون وقال بعضهم هو طير غريب الشكل يبيض بيضا كالجبال ويبعد فى طيرانه وسميت بذلك لانه كان فى عنقها طوق أبيض قال القزوينى انها تخطف الفيلة لعظمها وكبر جثتها كما تخطف الحدأة الفار قال وكانت فى قديم الزمان بين الناس الى أن خطفت عروسا بحليها فذهب أهلها الى نبى ذلك الزمان فشكوها اليه فدعا عليها فذهب بها الى بعض الجزائر التى خلف خط الاستواء وهى جزيرة لا يصل اليها أحد وجعل لها فيها ما تقتات به من السباع كالفيل والكركند وغير ذلك وقال أصحاب التواريخ ان هذا الطير يعمر حتى قيل انه يعيش ألفى سنة ويتزوج اذا مضى عليه خمسمائة ﴿وحكى﴾ الزمخشرى فى ربيع الابرار ان الله تعالى خلق فى زمن موسى عليه الصلاة والسلام طيرا يقال له العنقاء له وجه كوجه الانسان وأربعة أجنحة من كل جانب وخلق له أنثى مثله ثم أوحى الله تعالى

النصر مقرون بضرب أسنة
لمعانها كوميض برق يشرق
سبكت لتسبك كل خصم مارد
وتطرقت لمعاند يتطرق
زرق تفوق البيض فى الهيجاء اذ
يحمر من دمه العدو الازرق
ينسخن يوم الحرب كل كتيبة
تحت الغبار فنسخهن محقق

﴿وقلت﴾

أنا رمح ورامح الافق يخشى
من سموى اليه يوم الطعان
واذا أنكر واعد القد منى
يوم حكم جرحتهم بلسانى
وسنانى كالبرق بل صارمنه
قلب سيف البرق فى خفقان
رمحه للردين ينسب لكن
صاح لما علاه بالسنان

﴿مجير الدين بن تميم﴾

لو كنت تشهدنى وقد حمى الوغا
فى موقف ما الموت فيه بمعزل
لترى أنابيب القناة على يدى
تجرى دما من تحت ظل القسطل

﴿ابن شرف القيروانى﴾

وقد وخطت أرماحهم مفرق الدجى
فبان باطراف الاسنة شائبا

(ذكر) الثعالبى فى لطائف المعارف ان أول من عمل السنان من حديد ذو يزن الحميرى واليه تنسب الرماح اليزنية وانما كانت أسنة العرب من صياصى البقر ﴿قلت﴾ لم يبق بعد السيف والرمح غير القوس ولو أن رسالة القوس مشتملة بكمالها على اصابة الغرض لا ثبتها هنا ولكن جمع فى نظم عقدها بين الجوهر والعرض وبراعة استهلالها غاية لا تدرك ﴿وهى﴾ ويسألونك عن ذى القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكرا انا مكنا له فى الارض وآتيناه من كل شئ سببا فاتبع سببا (ومن غاياتها بعد ذلك قوله منها صورة مركبة ليس لها من تركيب النظم) الا ما حملت ظهورها أو الحوايا أو ما

الى موسى انى خلقت خلقا كهيئة الطير وجعلت رزقه الوحوش والطير التى حول بيت المقدس قال فتناسلا وكثر نسلهما فلما توفى موسى عليه الصلاة والسلام انتقلت الى نجد والعراق فلم تزل تأكل الوحوش وتخطف الصبيان الى أن تنبأ خالد بن سنان العبسى فشكوها اليه فدعا عليها فانقطعت وانقطع نسلها وانقرضت

﴿عنكبوت﴾ دويبة لها ثمانية أرجل وستة عيون وهى من الحيوان الذى صيده الذباب وولده يخرج قويا على النسج من غير تعليم ولا تلقين ويخرج أولاده دودا صغيرا ثم يتغير ويصير عنكبوتا وتكمل صورته

﴿فائدة﴾ قيل ان امرأة ولدت جارية ثم قالت لخادم لها اقتبس لنا نارا فخرج فوجد بالباب سائلا فقال له ما ولدت سيدتك فقال بنتا فقال لا تموت حتى تبغى بألف رجل ويتزوجها خادمها ويكون موتها بالعنكبوت فقال الخادم وأنا أصبر لهذه حتى يحصل منها ما يحصل فصبر حتى قامت أمها لتقضى بعض شؤنها وعمد الى البنت فشق بطنها بسكين وهرب قال فجاءت أمها فوجدتها على تلك الحالة فدعت من يعالجها حتى شفيت فلما كبرت بغت قال ثم انها سافرت وأتت مدينة على ساحل من سواحل البحر فاقامت هنالك تبغى قال وأما الرجل فانه صار من التجار وقدم الى تلك المدينة ومعه مال كثير فقال لامرأة عجوز هنالك اخطبى لى امرأة حسنة أتزوج بها قال فوصفتها له وقالت ليس هنا أحسن منها ولكنها تبغى فقال للعجوز ائتينى بها قال فذهبت وأخبرتها بالقصة فقالت لها حبا وكرامة فانى قد تبت عن البغى فتزوج الرجل بها وأحبها حبا شديدا وأقام معها أياما وكان يود أن يراها متجردة فلم يمكنه ذلك حتى اذا كان فى بعض الايام خرج على عادته لقضاء أشغاله ودخلت هى الحمام وعرضت له حاجة فرجع الى الدار وصعد الى قصرها فلم يرها فسأل عنها فقيل له هى فى الحمام فدخل عليها فرآها متجردة ورأى فى بطنها أثرا كالخياطة فقال ما هذا قالت له لا أعلم الا أن أمى أخبرتنى أنه كان لنا خادم وأنه يوم ولادتى غافل أمى وشق بطنى بسكين وهرب وانها حين رأتنى كذلك دعت بعض الاطباء فخاط بطنى وعالجنى حتى اندمل جرحى وشفيت وبقى هذا الاثر فقال لها أنا ذلك الخادم وحكى لها السبب وأن ذلك السائل أخبره أنها تموت بالعنكبوت ثم انه اهتم بأمرها وجمع مهندسى البلدة التى هم فيها وسألهم أن يبنوا له بناء لا ينسج عليه العنكبوت فقالوا كل بناء ينسج عليه الا أن يكون البلور لنعومته لا ينسج عليه فأمرهم أن يصنعوا لها قصرا من البلور وبذل لهم ما أرادوا فعملوه وفرشه وأمرها أن تقيم فيه ولا تخرج منه خوفا عليها من العنكبوت قال فبينما هو ذات يوم اذ رأى عنكبوتا قد نسج فى ذلك القصر فقام اليه فرماه وقال لها هذا الذى يكون موتك منه قال فداسته بابهامها وقالت كالمستهزئة أهذا الذى يقتلنى فشدختهُ فتعلق بطرف ابهامها من مائه شئ فعمل بها حتى ورمت ساقها ثم وصل الورم الى قلبها فقتلها فما أفاده قصره ولا صرحه شيأ قال الله تعالى أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة ﴿فائدة﴾ نسج العنكبوت على ثلاثة مواضع على غار النبى صلى الله عليه وسلم وعلى غار عبد الله بن أنيس لما بعثه النبى صلى الله عليه وسلم لخالد الهذلى فقتله وحمل رأسه ودخل به فى غار خوفا من أهله ونسج على عورة زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم لما صلب عريانا وقيل انها نسجت مرتين على داود حين كان جالوت يطلبه ﴿الخواص﴾ نسجها ان وضع على الجراح الطرية يقطع دمها ويجلو الفضة اذا دلكت به والذى يوجد من نسجها فى بيت الخلاء ينفع المحموم اذا تبخر به

﴿ابن عرس﴾ حيوان معروف وهو بارض مصر كثير ويسمى العرسة وهو عدو للفار وعنده الحيل قيل انه عدا خلف فأر فصعد منه على شجرة فصعد خلفه وأمر انثاه أن تقف تحت الشجرة ثم قطع الغصن الذى كان عليه الفار فسقط فأخذته أنثاه ﴿ومما يحكى عنه أنه يحب الذهب فيسرقه ويلد عليه ﴿عجيبة﴾ قيل ان رجلا صاد فرخا من أولاده وحبسه تحت طاسة فجاء أبوه فوجده فذهب وأتى بدينار فوضعه فلم يفلته ثم ذهب وأتى بآخر وما زال كذلك حتى أتى بخمسة دنانير فلم يفلته ثم أتى بخرقة فلم يفلته فاراد ابن عرس أن يأخذ ما برطله به فلما علم الرجل ذلك فهم أنه لم يبق عنده شئ فافلته له

﴿حرف الغين﴾

﴿غراب﴾ وكنيته أبو حاتم وله كنى غير ذلك وهو أنواع كثيرة منها الاكحل وغراب الزرع والازرق وهذا النوع يحكى جميع ما سمعه والعرب تتفاءل بصياح الغراب فتقول اذا صاح مرتين فشر واذا صاح ثلاثة فخير وهو كالانسان عند الجماع وفى طبعه الاستتار عن الناس عند مجامعته والانثى تبيض ثلاثا أو أربعا أو خمسا

اختلاط بعظم ﴿ومن أصاب الغرض بالغازه فى القوس﴾ الشهاب الاعزازى بقوله

ما عجوز كبيرة بلغت عمـ
ـرا طويلا وتتقيها الرجال
قد علا جسمها اصفرار ولم تشـ
ـك سقاما ولا عراها هزال
ولها فى البنين سهم وقسم
وبنوها كبار قدر نبال

﴿صفى الدين الحلى ملغزا فيه﴾

وما اسم سراه فى البروج وانما
يحل به المريخ دون الكواكب
اذا قدر البارى عليه مصيبة
عدته وحلت فى صدور الكتائب

﴿الشيخ بدر الدين بن الصاحب﴾

لله علوك اذا
ما قام فى الشغل اعترض
لكنه فى ساعة
يحصل لك الغرض

﴿ومن الغايات التى لا تدرك ألغز قاضى القضاة صدر الدين بن الآدمى رحمه الله تعالى فى الكشتوان﴾

ما رفيق وصاحب لك تلقا
ه معينا على بلوغ المرام
هو للعين واضح وجلى
وتراه فى غاية الابهام

﴿قلت ومن نظمى فى القوس﴾

قوسى اذا جذبته يطربنى
بجس عوده وتحريك الوتر
ونجم ذلك السهم ان فوقته
يرى له فى طاره البدر أثر

(الشيخ جمال الدين بن نباتة)

فديتك أيها الرامى بقوس
ولحظ يا ضنى قلبى عليه
لقوسك نحو حاجبك انجذاب
وشبه الشئ منجذب اليه

﴿قلت﴾ لم يبق بعد وصف آلة الحرب وصف غير الخيول المسومة التى لا بد لفحول كتاب الانشاء من الجولان فى ميدان وصفها ومجرى السوابق الذى جمعته فى هذا الباب قد تقدم فى الجزء الاول من بلوغ المراد ولكن اذا كنت منشئ دواوين

وتحضن ذلك والاب لايسعى فى طعمتها الى أن تفرخ فاذا فرخت خرجت افراخها قبيحة المنظر فتتفرق منها وتتركها وتغيب فيرسل الله لها البعوض فتتغذى به ثم لاتزال تتعاهدها حتى ينبت لها الريش فتأتيها ومنه قول الحريرى يارازق العناب فى عشه * وجابر العظم الكسير المهيض

ومن طبعه انه لايتعاطى الصيد بل ان وجد رمة أكل منها ويقم من الارض ماوجد ويسمى بالفاسق لانه لما أرسله نوح عليه السلام ليكشف عن الماء وجد فى طريقه رمة فسقط عليها وترك ماأرسل اليه ويسمى بالبين لانه اذا رحل العرب من مكان نزل فيه و زعق فى أثرهم * ومن الغرائب أن بين الغراب و بين الذئب ألفة وذلك انه اذا رأى الذئب بقر بطن شاة سقط وأكل منها معه والذئب لايضره ﴿الخواص﴾ اذا غمس الغراب فى الخل ثم جفف وسحق ريشه وطلى به الشعر سوده واذا علق منقاره على انسان زالت عنه العين وزبل الغراب الأبقع ينفع الخوانيق والخناز يرطلاء وان صر فى خرقة على من به السعال زال ﴿غرغر﴾ دجاج بنى اسرائيل يقال ان فرقة من بنى اسرائيل كانت بتهامة فطغت و بغت وتجبرت وكفرت فعاقبهم الله تعالى بأن جعل رجالهم القردة وكلابهم الأسود وعنبهم الأراك وجوزهم المقل ودجاجهم الغرغر وهو دجاج الحبشة فلاينفع لحمها لمحته الكريهة وهذا مشاهد فى زماننا هذا الآن على مانقل والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿حرف الفاء﴾

﴿فاختة﴾ طير أغبر من ذوات الاطواق بقدر الحمام لها حسن الصوت يحكى أن الحيات تهرب من صوتها وفى طبعها الانس فمن أجل ذلك تتخذ بيتها فى البيوت وهى من الحيوان الذى يعمر وقد ظهر منها ماعاش خمسا وعشرين سنة ﴿الخواص﴾ دمها ينفع من الآثار فى العين من ضربة أو قرحة اذا قطر فيها ﴿فارة﴾ وكنيتها أم خراب وغير ذلك وتسمى بالفويسقة وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم انتبه ليلة فوجدها قد جذبت الفتيلة وأحرقت طرف سجادته فقتلها وأمر بقتلها وهى التى قطعت حبل سفينة نوح وأذاها لايكاد ينحصر ومنها أنها تأتى الى اناء الزيت فتشرب منه فاذا انتقص صارت تشرب بذنبها فاذا لم تصل اليه ذهبت وأتت فى فيها بماء وأفرغته فيه حتى يعلو لها الزيت فتشرب وربما وضعت فيه حجرا فكسرته ويقال انها من بقايا الممسوخين الذين كانوا ايهودا ومن أراد أن يعلم ذلك فليضع لها لبن ناقة فى اناء فان لم تشربه فهى منهم ﴿الخواص﴾ عينه تشد على الماشى يسهل تعبه واذا بخر البيت بزبل الذئب أو الكلب ذهب منه الفار ﴿فرس البحر﴾ حيوان يوجد بالنيل أفطس الوجه ناصيته كالفرس ورجلاه كالبقر وذنبه قصير يشبه ذنب الخنزير وجلده غليظ ووجهه أوسع من وجه الفرس يصعد البر و يرعى الزرع وربما قتل الانسان وغيره ﴿فهد﴾ حيوان شرس الاخلاق قال ارسطو هو متولد من الاسد والنمر وفى طبعه مشابهة بطبع الكلب ونومه ثقيل وفى طبعه الحنو على انثاه وقيل ان أول من صاد به كليب بن وائل وأول من حمله على الخيل يزيد بن معاوية وأكثر من اشتهر باللعب به أبو مسلم الخراسانى ﴿فيل﴾ حيوان يوجد بارض الهند وكنيته أبو الحجاج والانثى أم سبل وهو ينزو على أنثاه اذا بلغ من العمر خمس سنين وتحمل أنثاه سنتين ثم تضع ولا يقربها الذكر فى مدة حملها ولا بعد بثلاث سنين ولايلقح الا ببلاده واذا أرادت الوضع دخلت النهر لان رجليها لاينثنيان فتخاف عليه والذكر يحرسها خوفا على ولده من الحيات فانها تأكله وهو عند شدة غلمته كالجمل و يهيج فى زمن الربيع وزعم أهل الهند ان لسانه مقلوب ولولا ذلك لكان يتكلم اشد ذكائه وقيل ان ثدييه فى صدره كالانسان وهو أضخم الحيوان وأعظمه جرما وماظنك بخلق ربما كان نابه أكثر من ثلثمائة من وهو مع ذلك أملح وأظرف من كل خفيف الجسم رشيق وربما مر الفيل مع عظم بدنه خلف القاعد فلا يشعر برجله ولايحس بمروره لخفة جسمه واحتمال بعض جسده لبعض وأهل الهند يزعمون أن أنياب الفيل قرناه يخرجان مستبطنين حتى يخرقان وخرطوم الفيل أنفه و يده و به يتناول الطعام الى جوفه و به يقاتل و به يصيح وصياحه ليس فى مقدار جرمه وقيل ان الفيل جيد السباحة واذا سبح رفع خرطومه كما يغيب الجاموس جميع بدنه الا منخريه و يقوم خرطومه مقام عنقه والخرق الذى فى خرطومه لاينفذوا نما هو وعاء اذا ملأه من طعام أو ماء أولجه فى فيه لانه قصير العنق لاينال ماء ولا مرعى وأهل الهند تجعله فى القتال وهو أيضا يقاتل مع جنسه فمن غلب دخلوا تحت أمره وقيل جعل الله فى طبع الفيل الهرب من السنور ﴿حكى﴾ عن هرون مولى الازد أنه خبأ معه هرا ومضى بسيف الى الفيل فلما دنا منه رمى بالهر فى

الانشاء الشريف بالممالك الاسلامية المحروسة يتعين على أن أورد هنا لكتاب الانشاء من فقه هذا الفن مايحتاجون الى معرفته (قلت) السجع مأخوذ من سجع الحمام واختلف فيه هل يقال فى فواصل القرآن أسجاع أم لا فمنهم من منعه ومنهم من أجازه والذى منع تمسك بقوله تعالى كتاب فصلت آياته فقال قد سماه فواصل فليس لنا أن نتجاوز ذلك والسجع ينقسم الى أربعة أقسام المرصع والمطرف والمتوازى والمشطر (فالمرصع) عبارة عن مقابلة كل لفظة من صدر البيت أو فقرة النثر بلفظة على وزنها ورويها وهو مأخوذ من مقابلة العقد فى ترصيعه * ومن أمثلته النثرية فى الكتاب العزيز ان الابرار لفى نعيم وان الفجار لفى جحيم * ومثله قوله تعالى ان الينا ايابهم ثم ان علينا حسابهم ومنه قول الحريرى فى المقامات يطبع الاسجاع بجواهر لفظه ويقرع الاسماع بزواجر وعظه (والمطرف) هو أن يأتى المتكلم فى آخر كلامه أو فى بعضه باسجاع غير متزنة بزنة عروضية ولا محصورة فى عدد معين بشرط أن يكون روى الاسجاع روى القافية كقوله تعالى مالكم لاترجون لله وقارا وقد خلقكم أطوارا (وكقولهم) جنابه محط الرحال ومخيم الآمال (ومن أمثلته الشعرية قول أبى تمام)

تجلى به رشدى وأثرت به يدى
وفاض به ثمدى وأورى به زندى

(الثالث المتوازى) وهو أن تتفق اللفظة الاخيرة من القرينة مع نظيرتها فى الوزن والروى كقوله تعالى فيها سرر مرفوعة وأكواب موضوعة (ومنه) قول النبى صلى الله عليه وسلم اللهم أعط منفقا خلفا وأعط ممسكا تلفا (ومنه) قول الحريرى فى المقامات وأودى بى

وجهه فأدبرهار باوكبر المسلمون وظنوا أنه هرب منه قال أبو الشمقمق

ياقوم انى رأيت الفيل بعدكم * تبارك الله لى فى رؤية الفيل
رأيت بيتا له شئ يحركه * فكدت أفعل شيأ فى السراويل

وقيل اذا اغتلم الفيل لم يكن لسواسه هم الا الهرب بانفسهم و يتركونه *ومن عجيب أمره ان سوطه الذى به يحث و يضرب محجن حديد أحد طرفيه فى جبهته والآخر فى يد راكبه فاذا أراد شيأ غمزه به فى لحمه وأول شئ يؤدبون به الفيل يعلمونه السجود للملك ﴿قيل﴾ خرج كسرى أبرويز لبعض الاعياد وقد صفوا له ألف فيل وأحدق به ثلاثون ألف فارس فلما رأته الفيلة سجدت له فما رفعت رؤسها حتى جذبت بالمحاجن وراضتها الفيالون وتزعم أهل الهند أن جبهة الفيل تعرق كل عام عرقا غليظا سائلا أطيب من رائحة المسك ولا يعرض ذلك العرق الا فى بلادها خاصة وان عظام الفيل كلها عاج الا أن جوهر نابه أكرم وأثمن ولولا شرف العاج وقدره لما فخر الاحنف بن قيس على أهل الكوفة فى قوله نحن أكثر منكم عاجا وساجا وديباجا وخراجا وقيل ان الفيلة لا تتسافد فى غير بلادها ﴿فائدة﴾ من قرأ سورة الفيل ألف مرة فى كل يوم عشرة أيام متوالية ثم جلس على ماء جار وقال اللهم أنت الحاضر المحيط بمكنونات الضمائر اللهم عز الظالم وقل الناصر وأنت المطلع العالم اللهم ان فلانا ظلمنى وأساءنى ولا يشهد بذلك غيرك أنت مالكه فأهلكه اللهم سر بله سربال الهوان وقمصه قميص الردى اللهم اقصمه ست مرات اللهم اخفضه مرتين فأخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق فان الله يستجيب له مالم يكن ظالما ﴿الخواص﴾ جلده اذا بخر به بيت هرب بقه واذا سقى انسان من وسخ أذنه نام نومة طويلة واذا علق من نابه شئ على شجرة لم تثمر واذا عمل من جلده ترس يكون أصلب من كل ترس

﴿حرف القاف﴾

﴿قاقم﴾ دويبة تشبه السنجاب الا أنه أبرد منه مزاجا وهو أبيض يقق وجلده أعز قيمة من السنجاب
﴿قاوند﴾ طير يكون بساحل البحر يبيض فى الرمل و يحضن بيضه سبعة أيام ثم تخرج أفراخه بعد ذلك فيزقها بعد سبعة أيام ويقال ما يمسك الله البحر فى هيجانه عن أن يفيض على الساحل الا اكراما له لأنه يقال انه يبر والديه ﴿خواصه﴾ انه يقيم المقعد ويحلل البلاغم المزمنة وينفع الامراض الباردة وأوجاع الأعصاب
﴿قرد﴾ حيوان معروف وكنيته أبو خالد وغير ذلك وهو قبيح المنظر مليح الذكاء سريع الفهم يتعلم الصنائع قيل انه أهدى للمتوكل قرد خياط وآخر صائغ وأهل اليمن يعلمون القردة البيع والجلوس فى الدكاكين حتى قيل انه يخرز النعل و يصر القرطاس وهو ذو غيرة وعنده لواط حتى قيل انه يعدو خلف المليح من شدة المحبة والتفت ابن الرومى يوما الى أبى الحسن الاخفش وهو يحاكى مشية القرد فقال

هنيئا يا أبا الحسن المفدى * بلغت من الفضائل كل غايه
شركت القرد فى قبح وسخف * وما قصرت عنه فى الحكايه

﴿قنفذ﴾ بالذال المعجمة وكنيته أبو سفيان ومن عجيب أمره أنه يصعد الكرم فيرمى العنقود ثم ينزل فيأكل منه ما أطاق فان كان له أفراخ تمرغ فى الباقى فيتعلق بشوكه فيذهب به الى أولاده وهو مولع بأكل الافاعى فاذا لدغته لا يؤثر فيه سمها لدفع ذلك بشوكه واذا تأذى منها ذهب فأكل السعتر البرى فيزول أذاها وهو من الحيوان الذى يسفد مباطنة كالرجل وله خمسة أرجل

﴿حرف الكاف﴾

﴿كركند﴾ حيوان يوجد ببلاد الهند والنوبة وهو دون الجاموس وله قرن واحد عظيم لا يستطيع رفع رأسه منه لثقله وهو مصمت قوى يقاتل به الفيل فيغلبه ولا تعمل أنيابه شيأ معه وعرض قرنه شبران وليس بطويل جدا وهو محدود الرأس شديد الاسنة واذا نشر قرنه ظهرت فى معاطفه صور عجيبة كالطواويس والغزلان وأنواع الطير والشجر وبنى آدم ولذلك يتخذ منه صفائح الاسرة والمناطق للملوك و يتغالون فى ثمنها بحيث تبلغ المنطقة أربعة آلاف أو أكثر والانثى تحمل ثلاث سنين ويخرج ولدها نابت الاسنان والقرون قوى الحافر و يقال انها اذا قاربت الوضع أخرج الولد رأسه من بطنها وصار يرعى أطراف الشجر فاذا شبع أدخل رأسه فى بطن أمه و يزعم أهل الهند أنه اذا كان ببلاد لم يدع فيها من الحيوان شيأ حتى يكون بينها و بينه مائة فرسخ من جميع الجهات هيبة له وهربا منه ويسمى الحمار الهندى وهو شديد العداوة للانسان

الناطق والصامت ورفق الحاسد والشامت انتهى (القسم الرابع) السجع المشطر وهو أن يكون لكل نصف من البيت قافيتان مغايرتان لقافيتى النصف الآخر لكن هذا القسم مختص بالنظم كقول أبى تمام يمدح أمير المؤمنين المعتصم رحمهما الله تعالى

تدبير معتصم بالله منتقم
لله مرتغب فى الله مرتقب

انتهى باب السجع قلت وقالت علماء هذا الفن ان قصر الفقرات فى الانشاء يدل على قوة المنشى وأقل ما تكون من كلمتين كقوله تعالى يا أيها المدثر قم فأنذر وربك فكبر وثيابك فطهر وأمثال ذلك كثيرة فى الكتاب العزيز لكن الزائد على ذلك هو الاكثر (وكان) بديع الزمان يكثر من ذلك كقوله كميت نهد كان راكبه فى مهد يلطم الارض بزبر وينزل من السماء بخبر لكن قالوا التذاذ السامع بما زاد على ذلك أكثر لتشوقه الى ما يرد منه متزايدا على سمعه انتهى (وأما الفقر المختلفة) فالاحسن أن تكون الثانية أزيد من الاولى بقدر غير كثير لئلا يبعد على السامع وجود القافية فتذهب اللذة فان زادت القرائن على اثنتين فلا يضر تساوى القرينتين الاولين وزيادة الثالثة عليهما وان زادت الثانية على الاولى يسيرا والثالثة على الثانية فلا بأس ولكن لا يكون أكثر من المثل مثاله فى القرينتين قوله تعالى وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيأ ادّا تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا فالثانية أطول من الاولى (ومثاله) فى الثالثة قوله تعالى وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا اذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا واذا ألقوا منها مكانا ضيقا مقرنين دعوا هنالك ثبورا

تتبعه اذا سمع صوته فيقتله ولا يأكل منه شيأ ﴿كروان﴾ طير معروف لا ينام غالب الليل خصوصا فى القمر وعنده ذكاء قيل انه يتكلم بجميع ما يبصره ولا يحتمل المغابنة ﴿كركى﴾ طير محبوب للملوك وله مشتى ومصيف فمشتاه بأرض مصر ومصيفه بأرض العراق وهو من الحيوان الرئيس قيل انه اذا نزل بمكان اجتمع حلقة ونام وقام عليه واحد يحرسه وهو يصوت تصويتا لطيفا حتى يفهم انه يقظان فاذا تمت نوبته أيقظ غيره لنوبته قال القزوينى واذا مشى وطئ الارض باحدى رجليه وبالاخرى قليلا خوفا من أن يحس به واذا طار صار سطرا يقدمه واحد كهيئة الدليل ثم تتبعه البقية ﴿كلب﴾ معروف وهو نوعان أهلى وسلوقى وهذان النوعان سواء الا أن أنثى السلوقى أسرع فى التعلم من ذكره وهذا الحيوان حليم وعنده رياضة وفى طبعه اكرام الاجلاء من الناس ﴿حكى﴾ أن رجلا عزم جماعة فتخلف شخص منهم فى منزله ودخل على زوجة صاحب المنزل فضاجعها فوثب الكلب عليهما فقتلهما فرجع صاحب المنزل فوجدهما قتيلين فأنشد يقول

وما زال يرعى ذمتى ويحوطنى * ويحفظ عهدى والخليل يخون

فواعجبا للخل يهتك حرمتى * وواعجبا للكلب كيف يصون

﴿وحكى﴾ أبو عبيدة قال خرج رجل الى الجبانة ومعه أخوه وجاره لينظروا الى الناس فتبعه كلب له فضربه ورماه بحجر فلم ينثن ولم يرجع فلما قعد ربض الكلب بين يديه فجاء عدوله فى طلبه فلما رآه خاف على نفسه فاذا ببئر هنالك قريبة القعر فنزل فيها وأمر أخاه وجاره أن يملا عليه التراب ثم ذهب أخوه وجاره الى سبيلهما وصار الكلب ينبح حوله فلما انصرف العدو أتاه الكلب فما زال يبحث فى التراب الى أن كشفه عن رأسه فتنفس الرجل ومر به أناس فتناولوه وردوه الى أهله فلما مات ذلك الكلب عمل له قبرا ودفنه فيه وجعل عليه قبة وسمى ذلك قبر الكلب وفى ذلك قيل

تفرق عنه جاره وشقيقه * وما حاد عنه كلبه وهو ضاربه

﴿ومن ذلك﴾ ما حكى أن رجلا قتل ودفن وكان معه كلب فصار يأتى كل يوم الى الموضع الذى دفن فيه وينبح وينبش ويتعلق برجل هناك فقال الناس ان لهذا الكلب شأنا فكشفوا عن ذلك وحفروا ذلك الموضع فوجدوا قتيلا فقبضوا على ذلك الرجل الذى ينبح عليه الكلب وضربوه فأقر بقتله فقتل وهو من الحيوان الذى يعرف الحسنة وقيل ان الانثى تحيض فى كل شهر سبعة أيام وأكثر ما تضع اثنا عشر جروا وذلك فى النادر والغالب خمسة أو ستة وربما ولدت واحدا ويعيش الكلب فى الغالب عشر سنين وربما بلغ عشرين سنة ووصف للمتوكل كلب بأرمينية يفترس الاسد فأرسل من جاء به اليه فجوع أسدا وأطلقه عليهما نهارا شاوتواثبا حتى وقعا ميتين وقيل كلب الصياد يشبه به الفقير المجاور للغنى لانه يرى من نعمته ويؤس نفسه ما يفتت كبده وقيل لرجل ما بال الكلب يرفع رجله اذا بال قال يخاف أن يلوث ذراعيه قيل أولا كلب ذراعان قال هو يتوهم ذلك ﴿فائدة﴾ حكى ان الامام أحمد بن حنبل رضى الله عنه سمع أن شخصا من وراء النهر يروى أحاديث مثلثة فسار اليه ودخل عليه فوجده يطعم كلبا وهو مشتغل به قال الامام أحمد فأخذت فى نفسى وأضمرت أن أرجع اذ لم يلتفت الرجل الى ثم قال حدثنى أبو الزناد عن الاعرج عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قطع رجاء من ارتجاه قطع الله رجاءه يوم القيامة فلم يلج الجنة وان أرضنا هذه ليست بأرض كلاب وقد قصدنى هذا الكلب فخشيت أن أقطع رجاءه قال فقال الامام أحمد رحمه الله هذا الحديث يكفينى ثم رجع قافلا الى أهله ﴿فائدة أخرى﴾ قال الترمذى لما أهبط الله تعالى آدم الى الارض سلط عليه ابليس السباع وكان أشدها الكلب قال فنزل عليه جبريل عليه السلام وأمره أن يضع يده عليه ففعل واطمأن اليه وألفه وصار يحرسه وبقيت الالفة فيه لأولاده الى يوم القيامة وقيل ان أول من اتخذ الكلب بعد آدم نوح عليهما الصلاة والسلام وذلك لان قومه كانوا يعمدون بالليل فيفسدون ما صنعه فى السفينة بالنهار فأمره الله أن يتخذ كلبا حارسا ففعل قال فكان الكلب اذا أتاه مفسد قام عليه فيتيقظ نوح عليه الصلاة والسلام فيدفعه ﴿فائدة أخرى﴾ قيل كان كلب أهل الكهف أحمر واسمه قطمير وقيل أصفر وقيل خلنجى اللون وليس فى الحيوان ما يدخل الجنة الا هو وكبش اسمعيل وناقة صالح وحمار العزير وبراق النبى صلى الله عليه وسلم

(ومن فوائد الانشاء) أن تكون كل فاصلة مخالفة لنظيرتها فى المعنى لان اللفظ اذا كان من القرينة بمعنى نظيره من الاخرى لم يحسن كقول الصاحب بن عباد فى وصف منهزمين طاروا واقين بظهورهم صدورهم وبأصلابهم نحورهم فالظهور بمعنى الاصلاب والصدور بمعنى النحور (ومنه) قول الصابئ يسافر رأيه وهو دان لا يبرح ويسير وهو باق لا ينزح فلا يبرح ولا ينزح بمعنى واحد ويسافر ويسير كذلك (ومن فوائد الانشاء) التى يتسع فيها المجال على المنشئ ان السجع مبنى على الوقف وكلمات الاسجاع موضوعة على أن تكون ساكنة الاعجاز موقوفا عليها لان الغرض أن يجانس المنشئ بين القرائن ويزاوج ولا يتم له ذلك الا بالوقف اذ لو ظهر الاعراب لفات ذلك الغرض وضاق المجال على قاصده فان قافية السجعة اذا كانت فى محل نصب وأختها فى محل رفع ساوى بينهما السكون وصار الاعراب مستترا فلو أثبتوا الاعراب فى قول من قال ما أبعد ما فات وما أقرب ما هو آت للزم أن تكون التاء الاولى مفتوحة والثانية مكسورة منونة فيفوت غرض المنشئ (ومن ذلك) ان السجع مبنى على التغيير فيجوز أن يغير لفظ القافية الفاصلة لتوافق أختها فيجوز فيها حالة الازدواج ما لا يجوز فيها حالة الانفراد (فمن ذلك) الامالة فقد يكون فى الفواصل ما هو من ذوات الياء وما هو من ذوات الواو فتمال التى هى من ذوات الواو وتكتب بالياء حملا على ما هو من ذوات الياء لاجل الموافقة (كقوله تعالى) والضحى فالضحى أميلت وكتبت بالياء حملا على ما فى السورة الشريفة من ذوات الياء لاجل الموافقة (وكذلك سورة والشمس

﴿فائدة أخرى﴾ اذا نبح عليك كلب وخفت منه فاقرأ يا معشر الجن والانس ان استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والارض فانفذوا لا تنفذون الا بسلطان وقل بعد ذلك لا اله الا الله فان ذلك تكفاه

﴿حرف اللام﴾

﴿لغلغ﴾ طير معروف قيل انه من طيور الفواخت ويأتي الى أرض مصر في أيام الشتاء فيأكل ما قسم الله له من الرزق ويأكل منه من له فيه رزق ثم يرحل الى بلاده

﴿حرف الميم﴾

﴿مالك الحزين﴾ طير يوجد بالضحاضاح غذاؤه السمك وسمي بذلك لانه قيل انه لا يشرب حتى يروى خوفا من أن ينقص الماء واذا نشف الضحضاح حزن لانه لا يستطيع العوم ونظيره دويبة بأرض فارس معروفة عندهم يقال ان غذاءها التراب فاذا أكلت لا تشبع خوفا من أن يفرغ

﴿حرف النون﴾

﴿نمل﴾ قال عليه الصلاة والسلام ألا تنظرون الى صغير ما خلق الله كيف أحكم خلقه وأتقن تركيبه وفلق له السمع والبصر وسوى له العظم والبشر انظروا الى النملة في صغر جثتها ولطافة هيئتها لا تكاد تنال بلحظ البصر ولا بمستدرك الفكر كيف دبت على الارض وسعت في مناكبها وطلبت رزقها تنقل الحبة الى جحرها تجمع في حرها لبردها وفي وردها لصدرها لا يغفل عنها المنان ولا يحرمها الديان ولو فكرت في مجاري أكلها في علوها وسفلها وما في الجوف من شراسيف بطنها وما في الرأس من عينها وأذنها لقضيت من خلقها عجبا ولقيت من وصفها تعبا فتعالى الذي أقامها على قوائمها وبناها على دعائمها لم يشركه في فطرتها فاطر ولم يعنه على خلقها قادر لا اله الا هو ولا معبود سواه وقيل اذا خافت على حبها أن يعفن أخرجته الى ظاهر الارض ليجف وقيل انها تفلق الحبة نصفين خوفا من أن تنبت فتفسد الا الكزبرة فانها تفلقها أرباعا لانها من دون الحب ينبت نصفها وليس كل أرباب الفلاحة يعرف هذا فسبحان من ألهمها ذلك وقيل انها تشم رائحة الشيء من بعيد ولو وضعته على أنفك لم تجد له رائحة واذا عجزت عن حمل شيء استعانت برفقتها فيحملونه جميعا الى باب جحرها وقيل اذا انفتح باب قرية النمل فجعلت فيه زرنيخا أو كبريتا هجرتها والله أعلم

﴿نحل﴾ حيوان ليس له نظر في العواقب وله معرفة بفصول السنة وأوقاتها وأوقات المطر وفي طبعه الطاعة لأميره والانقياد له ومن شأنه في تدبير معاشه أنه يبني له بيتا من الشمع شكلا مسدسا لا يوجد فيه اختلاف كالقطعة الواحدة واذا طار ارتفع في الهواء وحط على الأماكن النظيفة وأكل نوار الزهر والاشياء الحلوة وشرب من الماء الصافي وأتى فأخرج ذلك فأول ما يخرج الشمع ليكون كالوعاء ثم العسل وقيل انه يقسم الأعمال فبعضه يعمل البيوت وبعضه يعمل الشمع وبعضه يعمل العسل وفي طبعه النظافة فيجعل رجيعه خارج الخلية وما مات منه أخرجه ورماه وعنده الطرب فيحب الأصوات اللذيذة وله آفات تقطعه كالظلمة والغيم والريح والمطر والدخان والنار وكذلك المؤمن له آفات تقطعه منها ظلمة الغفلة وغيم الشك وريح الفتنة ودخان الحرام ونار الهوى ﴿فائدة﴾ قيل مرض شخص فقال ائتوني بماء وعسل فأتوه بذلك فخلط الجميع وشربه فشفي * وروى أن شخصا شكا للنبي صلى الله عليه وسلم بطن أخيه فأمره بشرب العسل فشربه ثم جاء ثانيا فأمره بشربه ثم جاء في الثالثة فقال يا رسول الله ان بطنه لم يزل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صدق الله وكذب بطن أخيك اسقه عسلا فسقاه الثالثة فشفي ﴿نادرة﴾ قيل ان بعضهم حضر مجلس المنصور فقال بعض الحاضرين المراد من قوله تعالى يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس أهل البيت فانهم النحل والشراب القرآن فقال له بعض من حضره من اللطفاء جعل الله طعامك وشرابك مما يخرج من بطون بني هاشم فضحك الحاضرون عليه وأبهته ﴿الخواص﴾ اذا خلط العسل الخالص بمسك خالص واكتحل به نفع من نزول الماء في العين والتلطخ به يقتل القمل ولعقه علاج لعضة الكلب والمطبوخ منه نافع للسموم

﴿نسر﴾ هو سيد الطيور ويعمر طويلا قيل انه يعيش ألف سنة وله قوة على الطيران حتى قيل انه يقطع من المشرق الى المغرب في يوم وجثته عظيمة حتى قيل انه يحمل أولاد الفيلة وله قوة حاسة الشم حتى قيل انه يشم رائحة الجيفة من مسيرة أربعمائة فرسخ واذا سقط على جيفة تباعدت عنها الطيور هيبة له حتى يفرغ من الاكل

وضحاها أميلت فيها ذوات الواو وكتبت بالياء حملا على ما فيها من ذوات الياء (ومن) ذلك حذف المفعول نحو قوله تعالى ما ودعك ربك وما قلى الاصل وما قلاك ولكن حذفت الكاف لتوافق الفواصل (ومن ذلك) صرف ما لا ينصرف كقوله تعالى قواريرا صرفه بعض القراء السبعة ليوافق فواصل السورة الشريفة ولو تتبع المتأمل ذلك في الكتاب العزيز لوجده كثيرا (ومما) جاء من ذلك في الحديث قوله صلى الله عليه وسلم أعيذه من الهامة والسامة ومن كل عين لامة الأصل عين ملمة (ومنه) قوله صلى الله عليه وسلم مأزورات غير مأجورات الأصل موزورات بالواو لانه من الوزر ولكن همز ليوافق مأجورات (ومنه) قوله صلى الله عليه وسلم دعوا الحبشة ما ودعوكم واتركوا الترك ما تركوكم الاصل ما وادعوكم ولكن حذفت الألف لتحصل الموافقة (قلت) وهذا نوع من المشاكلة لان المشاكلة في اللغة هي المماثلة وهي في المصطلح ذكر الشيء بغير لفظه لموافقة القرائن ومشاكلتها كقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها فالجزاء عن السيئة في الحقيقة غير سيئة والأصل وجزاء سيئة عقوبة (ومنه قوله تعالى) تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك والأصل تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما عندك لان الحق تعالى وتقدس لا تستعمل لفظة النفس في حقه الا أنها استعملت هنا للمماثلة والمشاكلة كما تقدم (ومنه قوله تعالى) ومكروا ومكر الله والاصل وأخذهم الله (وفي الحديث) قوله صلى الله عليه وسلم فان الله لا يمل حتى تملوا الأصل فان الله لا يقطع عنكم فضله حتى تملوا من مسئلته فوضع لا يمل موضع لا يقطع لاجل

وعنده شره قيل انه يأكل حتى يضعف عن الحركة بحيث ان أضعف الناس لو أراد امساكه في تلك الحالة أمسكه واذا باض ذهب وأتى بورق الدلب فجعله في عشه خوفا من الخفاش أن يفسد بيضه وهو لا يحضن البيض وانما يبيض في الاماكن العالية ويبقيه في الشمس فتكون حرارتها له بمنزلة الحضن ومن طبعه انه لو شم الطيب مات وعنده الحزن على فراق إلفه حتى قيل انه ليموت كمدا ويقال للانثى منه أم قشعم وفي الحديث أتاني جبريل عليه الصلاة والسلام فقال يا محمد لكل شيء سيد فسيد البشر آدم وسيد ولد آدم أنت وسيد الروم صهيب وسيد فارس سلمان وسيد الحبش بلال وسيد الطيور النسر وسيد الشهور رمضان وسيد الايام الجمعة وسيد الكلام العربي وسيد العربي القرآن وسيد القرآن سورة البقرة ﴿الخواص﴾ اذا أخذ قلب النسر وجعل في جلد ذئب وعلق على شخص كان مهيبا عند الناس مقضي الحاجة واذا عسر على المرأة الوضع جعل تحتها من ريشه يسهل وضعها ﴿نعام﴾ يذكر ويؤنث وتسمى الانثى بام البيض والذكر بالظليم ومن عجيب أمرها انها تبيض بيضا طوالا متساوية القدر وتجعلها أثلاثا ثلثا للحضن وثلثا تأكلها في حضنها وثلثا تكسره وتفتحه فيتعفن ويدوّد فيكون منه غذاء أولادها وعندها الحمق يقال انها تخرج من حضنها فتجد بيض غيرها فتحضنه وتترك بيض نفسها ﴿فائدة﴾ روى كعب الاحبار رضي الله تعالى عنه ان الله تعالى لما خلق القمح وأنزله على آدم كان على قدر بيض النعام وقال له هذا رزقك ورزق أولادك قم فاحرث وازرع قال ولم يزل الحب على ذلك مدة ثم نزل الى بيض الدجاجة ثم الحمامة ثم النبق وكان في زمن العزير على قدر الحمص وقيل كل حيوان اذا كسرت رجله مشى بالأخرى الا النعام فانه يبرك الى ان يموت وخلق الله تعالى له قوة الشم البليغ حتى قيل انه يشم رائحة القناص من مسيرة نصف ميل وهي لا تشرب الماء كالضب ويقال ان القناص اذا أدركها أدخلت رأسها في شيء اما شعب أو جحر تظن أنها قد استترت منه ولها معدة قوية تقطع الحديد والصوان والجمر وفي طبعها الأذى يقال انها تخطف الحلق من أذن الصغير وقيل ان الذئب لا يتعرض لبيض النعام وأفراخه مادام الأبوان حاضرين لانهما اذا رأياه ركضه الذكر الى ان يسلمه الى الانثى فتركضه الى ان تسلمه الى الذكر ولا يزالان به حتى يقتلاه أو يعجزهما هربا وقيل أشد ما يكون عدوها اذا استقبلت الريح وتقول العرب صنفان من الحيوان أصمان لا يسمعان النعام والافاعي وسأل أبو عمرو الشيباني بعض العرب عن الظليم هل يسمع فقال يعرف بعينيه وأنفه ولا يحتاج معهما الى سمع (نمر) حيوان أغبر وكنيته أبو الصعب وهو صنفان صنف عظيم الجثة صغير الذنب والآخر بالعكس قال الجاحظ وهو يحب الشراب وعنده شراسة في خلقه ويقال ان أنثاه لا تدع ولدها الامطوّقا بحية ولا يضره نهشها وذلك لاجل الصياد حتى لا يظفر به واذا مرض أكل الفار فيبرأ وفي طبعه عداوة الأسد وعنده شرف في نفسه يقال انه لا يأكل جيفة ولا يأكل من صيد غيره ولا يملك نفسه عند الغضب وأدنى وثبته عشرون ذراعا وأكثرها أربعون ﴿الخواص﴾ من حمل من جلده شيأ صار مهيبا عند الناس ومن كان به بواسير فجلس على جلده زالت بواسيره

﴿حرف الهاء﴾

﴿هدهد﴾ طير معروف وهو من رسل سليمان عليه الصلاة والسلام وعنده حدة البصر حتى قيل انه يرى الماء تحت الارض وسبب غيابه عن خدمة سليمان عليه الصلاة والسلام حين سأل عنه ولم يجده هو أن هدهدا من سبأ أخبره أن عرش بلقيس صفته كذا وكذا فذهب لينظره فدخلت الشمس من مكانه فرآها سليمان عليه الصلاة والسلام فتفقده وطلبه فلما حضر قال يا نبي الله اني رأيت كيت وكيت وقص عليه القصة ويقال انه قال لسليمان عليه الصلاة والسلام لما أراد تعذيبه يا نبي الله اذكر وقوفك بين يدي الله تعالى فارتعد سليمان من هذا الكلام وأطلقه ﴿الخواص﴾ اذا بخر البيت بريشه طرد الهوام عنه وعينه اذا علقت على صاحب النسيان ذكر ما نسيه وريشه اذا حمله انسان وخاصم غلب خصمه وقضيت حاجته وظفر بما يريد ولحمه اذا أكل مطبوخا نفع من القولنج وان بخر بجمعه برج حمام لم يقربه شيء يؤذيه ومن علق عليه لحيه الأسفل أحبه الناس والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿حرف الواو﴾

﴿ورشان﴾ طير يتولد بين الحمام والفاختة وهو حسن شديد الحنو يقال انه يكاد يقتل نفسه اذا أمسك القناص أولاده من شدة حنوه قال بعضهم انه يقول في صياحه * لدوا للموت وابنوا للخراب * والهدهد يقول

المشاكلة وهو مما وقع فيه لفظ المشاكلة أولا (ومنه قول الشاعر)
قالوا اقترح شيأ نجد لك طبخه
قلت اطبخوا الى جبة وقميصا
أراد خيطوا الى جبة وقميصا وذكره بلفظ اطبخوا لوقوعه في صحبة طبخه انتهى (قلت) ومن غايات الانشاء البلاغة في المقاصد والبلاغة هي أن يبلغ المتكلم بعبارته كنه مراده مع ايجاز بلا اخلال واطالة من غير املال (والفصاحة) خلوص الكلام من التعقيد وقيل البلاغة في المعاني والفصاحة في الالفاظ يقال معنى بليغ ولفظ فصيح والفصاحة خاصة تقع في المفرد يقال كلمة فصيحة ولا يقال كلمة بليغة ففصاحة المفرد خلوصه من التعقيد وتنافر الحروف والفصاحة أعم من البلاغة لان الفصاحة تكون صفة الكلمة والكلام يقال كلمة فصيحة وكلام فصيح والبلاغة لا يوصف بها الا الكلام فيقال كلام بليغ ولا يقال كلمة بليغة واشتركا في وصف المتكلم بهما فيقال متكلم فصيح بليغ (فمن الانشاء البليغ الفصيح) قول عبد الحميد عند ظهور الخراسانية بشعار السواد فاثبتوا ريثما تنجلي هذه الغمرة وتصحو من هذه السكرة فسينضب السيل وتمحى آية الليل (ومثله) قول أبي نصر العتبي دب الفشل في تضاعيف أحشائهم وسرى الوهن في تفاريق أعضائهم فجيوب الاقطار عنهم مزروره وذيول الخذلان عليهم مجروره (ومثله) قول الصابي نزغ به شيطانه وامتدت في الغي أشطانه (ومثله) قول بديع الزمان كتابي الى البحر وان لم أره فقد سمعت خبره والليث وان لم ألقه فقد تصورت خلقه ومن رأى من السيف أثره فقد رأى أكثره (ومثله) قول القاضي

اذا نزل القضاء عمى البصر والفاختة تقول ليت هذا الخلق ما خلقوا وليتهم اذ خلقوا علموا لماذا خلقوا وليتهم عملوا بما علموا والخطاف يقول قدموا خيرا تجدوه عند ربكم والحمامة تقول سبحان ربى الاعلى والبازى يقول سبحان ربى وبحمده والسرطان يقول سبحان المذكور بكل لسان والدراج يقول الرحمن على العرش استوى والعقاب يقول البعد عن الناس رحمة ومن الطيور من يقرأ الفاتحة كالدرة ويمد صوته فى الضالين كالقارئ

حرف الياء

(يأجوج ومأجوج) هو اسم لذلك الكثير وقيل بل هو اسم أعجمى غير مشتق قال مقاتل هم ولد يافث ابن نوح عليه الصلاة والسلام وقول من قال ان آدم نام فاحتلم فالتصق منيه بالتراب فتولد منه هذا الحيوان مردود بعدم احتلام الانبياء عليهم الصلاة والسلام وفى الحديث يأجوج ومأجوج أمة عظيمة لا يموت احدهم حتى يرى من صلبه ألف نسمة انتهى وهم أصناف منهم ما طوله عشرون ذراعا وما طوله ذراع وأقل وأكثر وعن على بن أبى طالب كرم الله وجهه أن لهم مخالب الطير وأنياب السباع وتداعى الحمام وتسافد البهائم ولهم شعور تقيهم الحر والبرد واذا مشوا فى الارض كان أولهم بالشام وآخرهم بخراسان يشربون مياه المشرق الى بحيرة طبرية ويمنعهم الله تعالى من دخول مكة والمدينة وبيت المقدس ويأكلون كل شئ يمرون به ومن مات منهم أكلوه ويقال ان صنفا منهم له أذنان احداهما صلدة والاخرى وبرة فهو يلتحف باحداهما ويفترش الأخرى وفى الحديث انه عليه الصلاة والسلام سئل هل بلغتهم الدعوة فقال عليه الصلاة والسلام دعوتهم ليلة أسرى بى فلم يجيبوا فهم خلق النار وفى الحديث أيضا ان الله عز وجل اذا كان يوم القيامة قال يا آدم أرسل بعث النار فيقول يا رب وما بعث النار فيقول الله تعالى من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون للنار وواحد للجنة قال فاشتد الأمر على المسلمين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابشروا فان من يأجوج ومأجوج ألفا ومنكم واحدا وفى الحديث ان رجلا جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم فاخبره بالردم فقال صفه فقال يا رسول الله انطلقت الى أرض ليس لأهلها الا الحديد يعملونه فدخلت فى بيت فلما كان وقت الغروب سمعت ضجة عظيمة أفزعتنى فارتعدت منها قال فقال صاحب البيت لا بأس عليك ان هذه الضجة أصوات قوم يذهبون هذه الساعة من خلف هذا الردم أتريد أن تنظر اليه فاذا لبنه مثل الصخر ومساميره مثل جذوع النخل كله من حديد كأنه البرد المحبر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سره أن ينظر الى من رأى الردم فلينظر هذا الرجل قال المفسرون وهذا هو السد الذى بناه ذو القرنين وهذه الامة خلفه تطلب المجئ الى هذه الجهة تنقبه كل يوم فيعيده الله كما كان الى أن يقضى الله أمره ثم يسلط الله عليهم بعد ذلك دودا يطلع فى حلاقيمهم فيهلكهم الله به والاخبار فى ذلك كثيرة

(يحمور) دابة وحشية لها قرنان طويلان كأنهما منشاران تنشر بهما الشجر وقيل هو كالابل يلقى قرنيه فى كل سنة وهما صامتتان وقال الجوهرى هو الحمار الوحشى

(نادرة) قيل ترافق رجلان فى طريق فلما قربا من مدينة من المدن قال أحدهما للآخر قد صار لى عليك حق وانى رجل من الجان ولى اليك حاجة قال وما هى قال اذا وصلت الى المكان الفلانى من هذه المدينة فهنالك عجوز عندها ديك فاشتره منها واذبحه فقال له الآخر وأنا أيضا لى اليك حاجة قال وما هى قال اذا ركب الجنى انسانا ما يعمل له قال تشد ابهاميه بسير من جلد اليحمور وتقطر فى أذنيه من ماء السذاب فى اليمنى أربعا وفى اليسرى ثلاثا فان الراكب له يموت ثم تفرقا ودخل الانسى ففعل ما أمره به الجنى من شراء الديك وذبحه فلم يشعر بعد أيام الا وقد أحاط به أهل صبية من تلك البلدة وقالوا له أنت ساحر ومن حين ذبحت الديك سلبت من صبية عندنا عقلها فلا نفلتك الا الى صاحب المدينة قال فقلت لهم ائتونى بسير من جلد اليحمور وقليل من ماء السذاب ودخلت على الصبية فربطت ابهاميها وقطرت ماء السذاب فى أذنيها فسمعت صوتا يقول آه علمتك على نفسى ثم مات من ساعته وشفى الله تلك الشابة

فصل فى خواص الطير والحيوان على الاجمال

الضب والخنزير لا يلقيان شيأ من أسنانهما أبدا وكل حيوان يعوم بالطبع الا الانسان والقرد وكل ذى عين فان أهداب عينه فى الجهة العليا فقط الا الانسان فانه من الجهتين والفرس لا طحال له والبعير لا مرارة له

الفاضل وواقيناقلعة نجم وهى نجم فى سحاب وعقاب فى عقاب وهامة لها الغمام عمامه وأغلة اذا خضبها الاصيل كان الهلال لها قلامه (قلت) ويعجبنى فى هذا الباب من انشاء الشهاب محمود قوله فى وصف مقدم سرية كشف الازرار فى مقاصده أخف من وطأة ضيف وفى مطالبه أخفى من زورة طيف وفى تنقله أسرع من سحابة صيف وأروع للعدا من سلة سيف (ومثله فى الحسن قوله) فى صدر مثال شريف سلطانى أصدرناها والسيوف قد أنفت من الغمود ونفرت من قربها والاسنة قد ظمئت الى موارد القلوب وتشوقت الى الارتواء من قلبها والحماة ما منهم الا من استظهر بامكان قوته وقوة امكانه والابطال ليس فيهم من يسأل عن عدد عدوه بل عن مكانه (ومثله فى الحسن) ما كتب به جوابا عن مولانا السلطان الملك المؤيد سقى الله ثراه الى قرا يوسف ملك العراق يتضمن خطاب الايناس نظير ما خاطب فى مكاتبته (فمن) الجواب قولى وهذه ألفة خولتنا فى نعم الله وزمام الاخوة منقاد الينا وقد تعين على القران يقول أنا يوسف وهذا أخى قد من الله علينا وقد سرتنا الاشارة الكريمة بالتمكن من أرض العدا ومطابقة الطول بالعرض وهذا الاسم قد شملته العناية قديما بقوله تعالى وكذلك مكنا ليوسف فى الارض وأما قرا عثمان فقل سيوفنا ما غمضت عنه فى أجفانها وأنامل أسنتنا ما ذكرت توبته الا شرعت فى جس عيدانها وجوارح سهامنا ما برحت تنفض ريش أجنحتها للطيران اليه وان كان معنى سالا فلا بد لأجل القران نخيم عليه وينزل سلطان قهرنا بارضه ويغرس فيها عيدان

والظليم لامخ لعظمه والحيات لاألسنة لها والسمكة لارئة لها الانها تتنفس من كبدها وكل حيوان لا حافر له فله قرن ومالا قرن له فله حافر والحيوان المتهم باللواط القرد والخنزير والحمار والسنور والعيون التى تضئ بالليل عين الاسد والنمر والافعى والسنور والذى يدخر القوت من الحيوان الانسان والفار والغراب والنحل والنمل والذى يحيض من الحيوان الانسان والفرس والكلب والارنب والضبع والخفاش ويقال أيضا الرعاد من السمك فتبارك الله أحسن الخالقين ❊ وهذا آخر ماقصدت ايراده فى هذا الباب والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب

﴿الباب الثالث والستون فى ذكر نبذة من عجائب المخلوقات وصفاتهم﴾

ذكر المسعودى فى كتابه عن بعض العلماء أن الله سبحانه وتعالى خلق فى الارض قبل آدم ثمانيا وعشرين أمة على خلق مختلفة وهى أنواع منها ذوات أجنحة وكلامهم قرقعة ومنها ماله أبدان كالاسود ورؤس كالطيور ولهم شعور وأذناب وكلامهم دوى ومنها ماله وجهان واحد من قبله والآخر من خلفه وأرجل كثيرة ومنها مايشبه نصف الانسان بيد ورجل وكلامهم مثل صياح الغرانيق ومنها ماوجهه كالآدمى وظهره كالسلحفاة وفى رأسه قرن وكلامهم مثل عوى الكلاب ومنها ماله شعر أبيض وذنب كالبقر ومنها ماله أنياب بارزة كالخناجر وآذان طوال ويقال ان هذه الامم تناكحت وتناسلت حتى صارت مائة وعشرين أمة ولم يخلق الله تعالى أفضل ولا أحسن ولا أجمل من الانسان وقال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه خلق الله تعالى ألف أمة وعشرين أمة منها ستمائة فى البحر وأربعمائة وعشرون فى البر وفى الانسان من كل خلق فلذلك سخر الله له جميع الخلق واستجمعت له جميع اللذات وعمل بيده جميع الآلات وله النطق والضحك والبكاء والفكرة والفطنة واختراعات الأشياء واستنباط جميع العلوم واستخراج المعادن وعليه وقع الامر والنهى والوعد والوعيد والنعيم والعذاب واياه خاطب وله قرب وخلق الله تعالى اسرافيل عليه السلام على صورة الانسان وهو أقرب الملائكة اليه وفى الحديث لاتضربوا الوجوه فانها على صورة اسرافيل وآيات الله تعالى فى البشر أكثر من أن تحصر فتبارك الله أحسن الخالقين وقال الشيخ عبد الله صاحب كتاب تحفة الألباب دخلت الى باشقرد فرأيت قبور عاد فوجدت سن أحدهم طوله أربعة أشبار وعرضه شبران وكان عندى فى باشقرد نصف ثنية أخرجت لى من فك أحدهم الأسفل فكان نصف الثنية شبرين ووزنها ألف ومائتا مثقال وكان دور فك ذلك العادى سبعة عشر ذراعا وطول عظم عضد أحدهم ثمانية أذرع وعرض كل ضلع من أضلاعهم ثلاثة أشبار كلوح الرخام قال ولقد رأيت فى بلغار سنة ثلاثين وخمسمائة من نسل عاد رجلا طويلا طوله أكثر من سبعة وعشرين ذراعا كان يسمى دنقى أودبقى كان يأخذ الفرس تحت ابطه كما يأخذ الانسان الولد الصغير وكان من قوته يكسر بيده ساق الفرس ويقطع جلده وأعضاءه كما يقطع باقة البقل وكان صاحب بلغار قد اتخذ له درعا تحمل على عجلة وبيضة عادية لرأسه كأنها قطعة من جبل وكان يأخذ فى يده شجرة من البلوط كالعصا لو ضرب بها الفيل لقتله وكان خيرا متواضعا كان اذا لقينى يسلم على ويرحب بى ويكرمنى وكان رأسى لايصل الى ركبته رحمه الله تعالى عليه ولم يكن فى بلغار حمام يمكنه دخولها الاحمام واحدة وكانت له أخت على طوله ورأيتها مرات فى بلغار وقال لى قاضى بلغار يعقوب بن النعمان ان هذه المرأة العادية قتلت زوجها وكان اسمه آدم وكان أقوى أهل بلغار قيل انها ضمته اليها فكسرت أضلاعه فمات من ساعته (وروى) عن وهب بن منبه فى عوج بن عنق أنه كان من أحسن الناس وأجملهم الا أنه كان لايوصف طوله قيل انه كان يخوض فى الطوفان فلم يبلغ ركبتيه ويقال ان الطوفان علا على رؤس الجبال أربعين ذراعا وكان يجتاز بالمدينة فيتخطاها كما يتخطى أحد كم الجدول الصغير وعمره الله دهرا طويلا حتى أدرك موسى عليه السلام وكان جبارا فى أفعاله يسير فى الارض برا وبحرا ويفسد ماشاء ويقال انه لما حضر بنو اسرائيل فى التيه ذهب فأتى بقطعة من جبل على قدرهم واحتملها على رأسه ليلقيها عليهم فبعث الله له طيرا فى منقاره حجر مدور فوضعه على الحجر الذى على رأسه فانثقب من وسطه وانخرق فى عنقه وأخبر الله عز وجل نبيه موسى عليه الصلاة والسلام بذلك فخرج اليه وضربه بعصاه فقتله ويقال ان موسى عليه الصلاة والسلام كان طوله عشرة أذرع وعصاه عشرة

ما أنزل الله بها من سلطان ولم يهمل الا لاشتغال الدولتين بالدخول فى تطهير الارض من الخوارج وايقاع الضرب الداخل من جنس الميدان فى كل خارج ويدهشه من ابن أبى النصر أبناء حرب شرف فى انسان الوقائع جدهم ورد الجموع العظيمة الى التكسير فردهم واذا كثرت الحدود وتوردت بالدماء عذرت بورق الحديد الاخضر مردهم واذا امتدوا الى آمد تلا لهم حصنها فى سورة الفتح قبل القتال فانهم مريدون ولهم شيخ منحه الله بكثرة الفتوح والاقبال واذا صرفوا الهمم المؤيدية لم تكن حصونهم عند ذلك الصرف مانعه ولم يسمع لسكانها مجادلة اذا صدموا بالحديد وتلت حصونهم فى الواقعة وماخفى عن كريم علمه ماجمعه الناصر من الجموع التى فرقها الله أيدى سبأ وكم سئل سائل وقد رآهم فى النازعات عن ذلك العصر بالنبأ وقد أشار منشى دولتنا الشريفة الى ذلك فى قصيد كامل بحره مديد والقصد هنا من أبيات ذلك القصيد قوله

يا حامى الحرمين والاقصى ومن
لولاه لم يعمر بمكة سامر
والله ان الله نحوك ناظر
هذا ومافى العالمين مناظر
زحف على المجنون نظم عسكرا
وأطاعه فى النظم بحر وافر
فأنبت منه زحافه فى وقعة
يامن بأحوال الوقائع شاعر
وجميع هاتيك البغاة بأسرهم
دارت عليهم من سطاك دوائر
وعلى ظهور الخيل ماتوا خيفة
فكأن هاتيك السروج مقابر

(وما) خفى عن علمه الكريم أمر الذين نقضوا بيعتنا واشتروا الضلالة بالهدى ودعوا سيوفهم

أذرع وقفز فى الهواء عشرة أذرع وضرب به فلم يصل الى عرقوبه فتبارك الله أحسن الخالقين ومن ذلك
ماقيل عن أمه عنق بنت آدم عليه الصلاة والسلام وكانت مفردة بغير أخ وكانت مشوهة الخلقة لها رأسان
وفى كل يد عشرة أصابع ولكل أصبع ظفران كالمنجلين وقال على بن أبى طالب كرم الله وجهه هى أول
من بغى فى الارض وعمل الفجور وجاهر بالمعاصى واستخدم الشياطين وصرفهم فى وجوه السحر وكان قد
أنزل الله تعالى على آدم عليه الصلاة والسلام أسماء عظيمة تطيعه الشياطين بها وأمره أن يدفعها الى حواء
لتحترز بها فاغفلتها عنق وسرقتها واستخدمت بها الشياطين وتكلمت بشئ من الكهانة فدعا عليها آدم
وأمنت على ذلك حواء فأرسل الله عليها أسدا أعظم من الفيل فهجم عليها وقتلها وذلك بعد ولادتهما عوجا
بسنتين (ومن ذلك) ماحكى عن بعض فقهاء الموصل أنه شاهد ببلاد الاكراد الحمدية فى جبل من جبال
الموصل انسانا طوله تسعة أذرع وهو صبى لم يبلغ الحلم وكان يأخذ بيده الرجل القوى ويرميه خلف ظهره فأراد
صاحب الموصل استخدامه فقيل له فى عقله خبل فتركه (وروى) عن الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه
أنه قال دخلت بلدة من بلاد اليمن فرأيت بها انسانا من وسطه الى أسفله بدن واحد ومن وسطه الى أعلاه
بدنان مفترقان برأسين ووجهين وأربع أيد وهما يأكلان ويشربان ويتقاتلان ويتلاطمان ويصطلحان
قال ثم غبت عنهما قليلا ورجعت فقيل لى أحسن الله عزاءك فى أحد الشقين فقلت وكيف صنع به فقيل ربط
فى أسفله حبل وثيق وترك حتى ذبل ثم قطع ورأيت الجسد الآخر بالسوق ذاهبا وراجعا (ومنه) ماأرسله
بطارقة الارمن الى ناصر الدولة وهو رجلان فى جسد واحد فاحضر الاطباء وسألهم عن انفصال أحدهما
عن الآخر فسألوهما هل تجوعان معا وتعطشان معا قالا نعم فقالوا له لا يمكن فصلهما ويقال انه أحضر
أباهما فسأله عن حالهما فأخبر أنهما يختصمان فى بعض الاحيان وانه يصلح بينهما (ومن ذلك) ماذكر أنه
أهدى الى أبى منصور السامانى فرس له قرنان وثعلب له جناحان اذا قرب منه انسان نشرهما واذا بعد ألصقهما
وذكر القاضى عياض رحمه الله تعالى عليه أنه ولد له مولود على أحد جنبيه مكتوب لا اله الا الله محمد رسول الله
وهذا لا يبعد فانه يوجد كثيرا فى السنور الدبركى وذكر أنه ولد بالقاهرة غلام له أربعة أرجل ومثلها
أيد وذكر أنه كان لبعض ولاة مصر مملوك يدعى طفطو فولاه قوص من أعمال الصعيد فتزوج بها وولدله
ولد ثم انقلب امرأة فتزوج بها وولدت ولدين وأما كبش بأربعة قرون ودجاجة بأربعة أرجل وحيوان
برأسين ومخرج واحد فكثير وعجائب الله تعالى فى مصنوعاته غير متناهية فلله الحمد على ما أنعم به علينا
لا نحصى ثناء عليه (ومن ذلك) انسان الماء وهو حيوان يشبه الآدمى وفى بعض الأوقات يطلع بحر
الشام شيخ بلحية بيضاء ويستبشر الناس برؤيته فى تلك السنة بالخصب (ومن ذلك) بنات الماء وهم أمة ببحر
الروم يشبهن النساء ذوات شعور وثدى وفروج ولهن حسان ولهن كلام لا يفهم وضحك ولعب ولهن رجال
من جنسهن ويقال ان الصيادين يصطادونهن ويجامعونهن فيجدون لذة عظيمة لا توجد فى غيرهن من النساء
ثم يعيدونهن فى البحر ثانيا ويقال ان هذا الصنف يوجد بالبرلس ورشيد على ماذكر (وحكى) عن
الشيخ أبى العباس الحجازى قال حدثنى بعض التجار أنه فى سنة من السنين خرجت اليه سمكة عظيمة فثقبوا
أذنها وجعلوا فيها الحبال وأخرجوها فانفتحت أذنها فخرجت جارية حسناء جميلة بيضاء سوداء الشعر حمراء
الخدين نجلاء العينين من أحسن مايكون من النساء ومن سرتها الى نصف ساقها شئ كالثوب يستر قبلها
ودبرها ودائر عليها كالازار فأخذها الرجال الى البر فصارت تلطم وجهها وتنتف شعرها وتعض يدها
وتصيح كما تصيح النساء حتى ماتت فى أيديهم فألقوها فى البحر فتبارك الله أحسن الخالقين (وحكى) القزوينى
عن بعض البحريين أن الريح ألقتهم على جزيرة ذات أشجار وأنهار فأقاموا بها مدة وكانوا اذا جاء الليل
يسمعون بها همهمة وأصواتا وضحكا ولعبا فخرج من المركب جماعة وكمنوا فى جانب البحر فلما جاء الليل خرج
بنات الماء على عادتهن فوثبوا عليهن فأخذوا منهن ثنتين فتزوج بهما شخصان فأما أحدهما فوثق بصاحبته
فأطلقها فوثبت فى البحر وأما الآخر فبقى مع صاحبته زمانا وهو يحرسها حتى ولدت له ولدا كأنه القمر فلما
طاب الهواء وركبوا البحر ووثق بها اذا طلقها فاغفلته وألقت نفسها فى البحر فتأسف عليها تأسفا عظيما
فلما كان بعد أيام ظهرت من البحر ودنت من المركب وألقت لصاحبها صدفا فيه در وجوهر فباعه وصار

الصقيلة لما حاق بهم المكر السيئ
فاجابهم الصدى ولم يكن فى حرارة
عزمنا الشريف عند عصيانهم
البارد فتره حتى أظهرنا بألوان
الشام من دمائهم على تدبيج الدروع
الوان البصرة وأخذوا اسريعا بشبان
حرب ماشابت عوارضهم الا بغبار
الوقائع وحكم برشدهم ولم يخرجوا
من تحت حجر المعامع وقد أسبغ الله
ظلال الملك وخيم به على الدولتين ولم
يظهر لمحراب بهجة الا بهاتين
القبلتين ولو صلت السيوف لغيرهما
ماقبلت أو صرفت العوامل الى غير
نحوهما ماعملت فقد فهمنا كريم
الالتفات الى أن تدار كؤس الانشاء
بيننا ممزوجة بصافى الموده وعلمنا أنها
أحكام صحيحة فى شرع الاخوه
ولهذه الأحكام عندنا عمده وقد
سابق القصد اليوسفى بسهام مراده
الى الغرض وقضى حاجة فى نفس
يعقوب المحبة ليس عنها عوض ولم
يبق الا اتصال شمل الأوصال بكل
رسالة سطورها فى رقاع الاخوة
محققه وتصديق ماتصه فى كريم
جوابه فان القصة اليوسفية مابرحت
مصدقه والله تعالى يمتع الأبصار
والأسماع بمشاهدة أمثلته وطيب
أخباره ويفكهنا من بين أوراقها
بشهى ثماره ان شاء الله تعالى
انتهى مادنت قطوفه من ثمرات
الاوراق وحلا فى الأذواق السليمة
وراق

﴿ وهذا ذيل ثمرات الاوراق ﴾
للامام تقى الدين بن حجة رحمه الله
تعالى وهى محاضرات لا يستغنى
عنها وعليها يعول فلذلك ألحقت
بالاصل فى الطبع وجعلت تتمة
للاول

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾
(يحكى) ان هرون الرشيد حج ماشيا
وان سبب ذلك ان أخاه موسى الهادى
كانت له جارية تسمى غادر وكانت
أحظى الناس عنده وكانت

من التجار (ونظير هذه الحكاية) ما ذكره ابن زولاق فى تاريخه أن رجلا من الأندلس من الجزيرة الخضراء صاد جارية من أحسن النساء الوجه سوداء الشعر حمراء الخدين نجلاء العينين كأنها البدر ليلة التمام كاملة الأوصاف فأقامت عنده سنين وأحبها حبا شديدا وأولدها ولدا ذكرا وبلغ من العمر أربع سنين ثم انه أراد السفر فاستصحبها معه ووثق بها فلما توسطت البحر أخذت ولدها وألقت نفسها فى البحر فكاد أن يلقى نفسه خلفها حسرة عليها فلم يمكنه أهل المركب من ذلك فلما كان بعد ثلاثة أيام ظهرت له وألقت له صدفا كثيرا فيه در ثم سلمت عليه وتركته فكان ذلك آخر العهد بها فتبارك الله ما أكثر عجائب خلقه وما لم نشاهده ونسمع به أكثر فسبحان القادر على كل شئ لا اله الا هو ولا معبود سواه فالعاقل يعرف الجائز والمستحيل ويعلم أن كل مقدور بالاضافة الى قدرة الله تعالى قليل واذا سمع عجبا جائزا استحسنه ولم يكذب قائله والجاهل اذا سمع ما لم يشاهده قطع بتكذيب قائله وتزييف ناقله وذلك لقلة عقله وقد وصف الله تعالى الجاهل بعدم العقل بقوله تعالى أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون وقد أودع الله تعالى من عجائب المصنوعات فى الآفاق والسموات ما يدل عليه قوله تعالى وكأين من آية فى السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون فلا تكن منكر العجائب فكل الأشياء من آياته

فيا عجبا كيف يعصى الالـه أم كيف يجحده الجاحد
وفى كل شئ له آية ✱ تدل على أنه الواحد

ومن شاهد حجر المغناطيس وجذبه للحديد وكذلك حجر الماس الذى يعجز عن كسره الحديد ويكسره الرصاص ويثقب الياقوت والفولاذ ولا يقدر على ثقب الرصاص يعلم أن الذى أودعه هذا السر قادر على كل شئ فلا تكن مكذبا بما لا تعلم وجه حكمته فان الله تعالى قال بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله قال صاحب تحفة الألباب ان فى بلاد السودان أمة لا رؤس لهم وقد ذكرهم الشعبى فى كتاب سير الملوك وذكر أن فى بلاد المغرب أمة من ولد آدم كلهم نساء ولا يعيش فى أرضهم ذكر وأن هؤلاء النساء يدخلن فى ماء عندهن فيحبلن من ذلك الماء وتلد كل امرأة منهن بنتا ولا يلدن ذكرانا أبدا وقيل ان ولد تبع اليمانى وصل اليهم لما أراد أن يصل الى الظلمات التى دخلها ذو القرنين وأن ولد تبع هذا كان اسمه افريقش وهو الذى بنى افريقية وسماها باسمه وأنه وصل الى وادى السبت وهو واد يجرى فيه الرمل كما يجرى السيل لا يمكن أن يدخل فيه حيوان الا هلك فلما رآه استعجل الرجوع وذو القرنين لما وصل اليه أقام الى يوم السبت فسكن جريانه فعبره الى أن وصل الى الظلمات فيما يقال والله سبحانه وتعالى أعلم وتلك الأمة التى لا رؤس لهم أعينهم فى مناكبهم وأفواههم فى صدورهم وهم كثيرون كالبهائم يتناسلون ولا مضرة على أحد منهم ✱ وأما الملك العظيم والعدل الكثير والنعم الجزيلة والسياسة الحسنة والرخاء والامن الذى لا خوف معه ففى بلاد الهند وبلاد الصين وأهل الهند أعلم الناس بعلم الطب وعلم النجوم والهندسة والصناعات العجيبة التى لا يقدر أحد سواهم على أمثالها وفى بلادهم وجزائرهم ينبت العود وشجر الكافور وجميع أنواع الطيب كالقرنفل والسنبل والدارصينى والكبابة والبسباسة وأنواع العقاقير والأدوية وعندهم حيوان المسك وهو حيوان كالغزال يجتمع المسك فى سرته وعندهم حيوان الزباد وهو حيوان كالسنور يخرج منه عرق كالقطران أسود ثخين يسيل من جسده وتزيد رائحته بالتغرب تكون أذكى من المسك الاذفر ويخرج من بلادهم أنواع اليواقيت وأكثرها فى جزيرة سرنديب وعلى جبلها نزل آدم عليه الصلاة والسلام من الجنة فيما يقال (وحكى) أنه كان ببابل سبع مدائن كل مدينة فيها أعجوبة كان فى احداها تمثال الأرض فاذا التوى على الملك بعض أهل مملكته وامتنعوا عن القيام بالخراج خرق أنهارها عليهم فى التمثال فلا يطيق أهل تلك الناحية سد الماء حتى يعتدلوا وما لم يسد فى التمثال لا يسد فى ذلك البلد وفى الثانية حوض اذا أراد الملك أن يجمعهم لطعامه أتى كل واحد بما أحب من الشراب فصبه فى ذلك الحوض فاختلطت الأشربة فكل من سقى من ذلك الحوض كان شرابه الذى جاء به وفى الثالثة طبل اذا أرادوا أن يعلموا حال الغائب عن أهله قرعوه فان كان حيا سمع له صوت وان كان ميتا لم يسمع له صوت وفى الرابعة مرآة اذا أرادوا أن يعلموا حال الغائب نظروا فيها فابصروه على أى حالة هو عليها كأنهم يشاهدونه وفى الخامسة أوزة من نحاس فاذا دخل فيها الغريب صوتت

من أحسن النساء وجها وغناء فغنت يوما وهو مع جلسائه على الشراب اذ عرض له سهو وفكر وتغير لونه وقطع الشراب فقال الجلساء ما شأنك يا أمير المؤمنين قال قد وقع فى قلبى ان جاريتى غادر يتزوجها أخى هرون بعدى فقالوا يطيل الله بقاء أمير المؤمنين وكلنا فداؤه فقال ما يزيل هذا ما فى نفسى وأمر باحضار هرون وعرفه ما خطر بباله فاستعطفه وتكلم بما ينبغى أن يتكلم به فى تطييب نفسه فلم يقنع بذلك وقال لا بد أن تحلف لى قال أفعل وحلف له بكل يمين يحلف بها الناس من طلاق وعتاق وحج وصدقة وأشياء مؤكدة فسكن ثم قام فدخل على الجارية فاحلفها بمثل ذلك ولم يلبث الا شهرا ثم مات فلما أفضت الخلافة الى هرون أرسل الى الجارية يخطبها فقالت يا سيدى كيف بأيمانك وأيمانى فقال احلف بكل شئ حلفت به من الصدقة والعتق وغيرهما الا تزوجتك فتزوجها وحج ماشيا ليمينه وشغف بها أكثر من أخيه حتى كانت تنام فيضجع رأسها فى حجره ولا يتحرك حتى تنتبه فبينما هى ذات ليلة نائمة اذ انتبهت فزعة فقال لها مالك قالت رأيت أخاك فى المنام الساعة وهو يقول

أخلفت وعدك بعدما
جاورت سكان المقابر
ونسيتنى وحنثت فى
أيمانك الكذب الفواجر
فظللت فى أهل البلا
د وغدوت فى الحور الغرائر
ونكحت غادرة أخى
صدق الذى سماك غادر
لا يهنك الالف الجدي
د ولا تدر عنك الدوائر
ولحقت بى قبل الصبا
ح وصرت حيث غدوت صائر

والله يا أمير المؤمنين فكأنها

الاوزة صوتا يسمعه أهل المدينة وفي السادسة قاضيان جالسان على الماء فيأتي الخصمان فيمشي المحق على الماء حتى يجلس مع القاضيين ويقع المبطل في الماء وفي السابعة شجرة ضخمة لا تظل الا ساقها فان جلس تحتها أحد أظلته الى ألف شخص فاذا زادوا على الألف واحدا جلسوا في الشمس كلهم ولو بسطت المقال في ذلك لا تسع المجال * وقد اقتصرت في ذلك على ما ذكرت والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب واليه المرجع والمآب وصلى الله على سيدنا محمد النبي الامي وعلى آله وصحبه وسلم

﴿الباب الرابع والستون في خلق الجان وصفاتهم﴾

روي عن الشيخ عبد الله صاحب تحفة الالباب أنه قال قرأت في بعض الكتب المتقدمة المأثورة عن العلماء رحمهم الله تعالى ان الله تعالى لما أراد أن يخلق الجان خلق نار السموم وخلق من مارجها خلقا سماه جانا كما قال الله تعالى والجان خلقناه من قبل من نار السموم وقال الله تعالى في موضع آخر وخلق الجان من مارج من نار وقيل ان الله تعالى خلق الملائكة من نور النار والجان من لهبها والشياطين من دخانها وقد جاء في بعض الاخبار ان نوعا من الجن في قديم الزمان قبل خلق آدم عليه الصلاة والسلام كانوا سكانا في الارض قد طبقوها برا وبحرا سهلا وجبلا وكان فيهم الملك والنبوة والدين والشريعة وكانوا يطيرون الى السماء ويسلمون على الملائكة ويستعلمون منهم خبر ما في السماء وكثرت نعم الله عليهم الى ان بغوا وطغوا وتركوا وصايا أنبيائهم فارسل الله تعالى عليهم جندا من الملائكة فحصل بينهم مقتلة عظيمة وغلبوا الجن وطردوهم الى أطراف البحار وأسروا منهم أمما كثيرة وذكر المسعودي أن الفرس واليونان قالوا كان الجن بالارض قبائل منهم من يسترق السمع ومنهم من ينط مع لهب النار ومنهم من يطير ولكل قبيلة ملك وكان من جملتهم ابليس لعنه الله ثم بعد خمسة آلاف سنة افترقوا وملكوا عليهم ملوكا وأقاموا على ذلك مدة طويلة ثم تحاسدوا على الملك وأغار بعضهم على بعض وجرت بينهم وقائع وحروب وكان ابليس لعنه الله يصعد الى السماء ويختلط بالملائكة فبعثه الله تعالى بجيوش من الملائكة فهزم الجن وقتلهم وملك الارض مدة طويلة الى أن خلق آدم عليه الصلاة والسلام واتفق له معه ما اتفق وأهبط آدم الى الارض وعظم شأنه فعند ذلك انتقل ابليس الى البحر المحيط وسكن هنالك ثم ألقى عليه قوة شهوة السفاد فهو لا يلد لكنه يلقح كالطير ويبيض ويفرخ قيل انه يخرج من كل بيضة ستون ألف شيطان فيسلطهم على الخلق وأقربهم اليه وأدناهم منه ومن مجلسه أكثرهم ايذاء للخلق وفي الحديث ان ابليس لعنه الله قال يارب أنزلتني الى الارض وطردتني وجعلتني رجيما فاجعل لي مسكنا قال مسكنك الاسواق قال فاجعل لي طعاما قال ما لم يذكر اسمي عليه قال فاجعل لي شرابا قال كل مسكر قال فاجعل لي مؤذنا قال المزامير قال فاجعل لي صيدا أو قال مصايد قال النساء

﴿فصل في مكايده لعنه الله﴾ (منها) أنه كان في بني اسرائيل عابد يدعى برصيصا وله جار له بنت فحصل لها مرض فقال له جيرانه لو حملتها الى جارك برصيصا ليدعو لها قال فجاء ابليس الى العابد وقال ان لجارك عليك حق الجوار وان له بنتا مريضة فما ضرك لو جعلتها عندك في جانب البيت ودعوت الله لها عقب عبادتك فعسى أن تشفى من مرضها قال فلما أتاه جاره بالبنت قال له العابد دعها وانصرف قال فتركها عنده مدة حتى شفيت فجاء له ابليس ووسوس له حتى وطئها فحملت منه فلما حملت جاء له ابليس لعنه الله فقال له اقتلها لئلا تفتضح قال فقتلها ودفنها قال فعند ذلك ذهب الشيطان الى أهلها وأعلمهم بذلك فجاؤا الى العابد وكشفوا عن قضيته ثم أخذوه ومضوا ليقتلوه فعارضه ابليس اللعين في الطريق فقال له ان سجدت لي خلصتك منهم فسجد له فعند ذلك تبرأ منه ومات الرجل كافرا اللهم اعصمنا من مكايد الشيطان برحمتك يا أرحم الراحمين (ومن ذلك) ما اتفق أن بني اسرائيل اتخذوا شجرة وكانوا يعبدونها فجاء بعض عبادهم بفاس ليقطعها فعارضه ابليس لعنه الله وقال له تركت عبادتك وجئت لشئ لا يعود عليك نفعه ولم يزل به حتى تقاتل معه فصرعه العابد وجلس على صدره ثم رجع ولم يزل يعمل معه ذلك في كل يوم الى ثلاثة أيام فلما رآه لا يرجع قال له اترك قطعها وأنا أجعل لك في كل يوم دينارين تستعين بهما على نفقتك وعبادتك وعاهده على ذلك فرجع قال فجعل له تحت وسادته دينارين ثم دينارين ثم قطع ذلك عنه فأخذ العابد الفاس وذهب الى قطع الشجرة فعارضه ابليس في الطريق وتحاور معه وتجاذبا فصرعه ابليس وجلس على صدره وقال له ان لم ترجع عن قطعها والا

مكتوبة في قلبي ما انسبت منها كلمة فقال الرشيد هذه أضغاث أحلام فقالت كلا والله ما أملك نفسي وما زالت ترتعد حتى ماتت بعد ساعة (وحكى) ابن أبي حجلة في كتابه سلوك السنن الى وصف السكن أخبرني شمس الدين محمد بن فراج الحسيني أخبرنا شيخنا أثير الدين أبو حيان أنبأنا فتح الدين بن الدمياطية قال رأيت في المنام شيخا حسن الصورة والمشية وعليه مزدوجة وكانا نمشي في طريق وأنا راكب دابة فقلت له رافقني فقال ليس الماشي برفيق الراكب فقلت اركب أنت وأمشي أنا فقال المسئلة بحالها ثم أفضنا في الحديث فسألني ما صنعتك فقلت كاتب فقال كاتب احسان أو كاتب انشاء فقلت شئ من هذا وشئ من هذا فقال ما يدعى دعواك عبد الرحيم ولا عبد الحميد ثم قال هل تنظم الشعر قلت نعم قال أنشدني كنت قد عملت قصيدا حجازيا وكنت أستجيده فأنشدته الى أن بلغت قولي

تركوا بماء النيل ماء سلسلا
وترشفوا ماء الثمار مكدرا

فقال لي لا شئ فقلت لم قلت ذلك وما عيب هذا البيت فقال لو قلت صافيا لكان حسنا وكان طباقا لان الكدر يقابله الصافي قلت له هذا حسن فمن أنت يرحمك الله قال أبو مرة قلت لا خير ولا مير قال بك ثم بعد ذلك بشهر رأيته في المنام على الهيئة المتقدمة فسلم على سلام من يعرفني ثم قال هل تعرف من الشعر المشوم شيئا قلت نعم قال فانشدني وكنت قد عملت قطعة شعر جال ضعفي بالنزلة فانشدته اياها

لله ما أشكوه من نزلة
قد ضرمنها ضيق أنفاسي
ومن صداع ضقت ذرعا به
باتت يدي منه على راسي

ذبحتك فقال له العابد خل عنى وأخبرنى كيف غلبتنى فقال له لما غضبت لله غلبتنى ولما غضبت لنفسك غلبتك
* ومنها أشياء كثيرة ليس هذا محل استيفائها قال الله تعالى واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه أفتتخذونه وذريته أولياء من دونى وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا

فصل فى الشيطنة وهم أنواع كثيرة

* منها الولهان يوجد فى جزائر البحار على صورة الانسان (حكى) بعض المسافرين أنه عرض لمركب * وهو راكب على نعامة يريد أخذ المركب وصاح بهم صيحة عظيمة فخروا منها على وجوههم وأخذ بعض من فى المركب * ومنها السعلاة يحكى أن صنفا منها يتزيا بزى النساء ويتراءى للرجال (وحكى) أن بعضهم تزوج امرأة منهن وهو لا يعلم فأقامت معه مدة وولدت منه أولادا ذكورا واناثا فلما كانت ذات ليلة صعدت منه السطح فنظرت فرأت نارا من بعد عند الجبانة فاضطربت وقالت ألم تر نيران السعالى وتغير لونها وقالت بنوك وبناتك أوصيك بهم خيرا ثم طارت ولم تعد اليه * ومنها نوع يقال له المذهب يخدم العباد ومقصوده بذلك أن يعجبوا بانفسهم (حكى) أن بعض العباد نزل صومعة يتعبد فيها فأتاه شخص بسراج وطعام فتعجب العابد من ذلك فقال له شخص بالصومعة انه المذهب يريد أن يخيل لك أن ذلك من كرامتى والله انى لاعلم انه شيطان وقال بعض الصوفية المذهب أصناف منهم من يحمل الفانوس بين يدى الشيخ ومنهم من يأتيه بالطعام والشراب وغير ذلك ومنهم من ينشد الشعر * وقال بعض المسافرين أبق لى غلام فخرجت فى أثره فاذا أنا باربعة يتناشدون شعر الفرزدق وجرير قال فدنوت منهم وسلمت عليهم فقالوا ألك حاجة قلت لا فقال بعضهم تريد غلامك قلت وما علمك بغلامى قال كعلمى بجهلك قلت أوجاهل أنا قال نعم وأحمق قال ثم غاب وأتانى بالغلام مقيدا فلما رأيته غشى على فلما أفقت قال انفخ فى يده ففعلت فانفرج القيد عنه وصرت لا أنفخ فى شئ من ذلك ولا فى وجع من الاوجاع الا برئ وخلص صاحبه * ومنها نوع يقال له العفريت يختطف النساء يقال ان رجلا اختطفت ابنته فى زمن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه (وقال) بعض المسافرين بينما نحن سائرون ذات ليلة اذ عرض لى قضاء الحاجة فانفردت عن رفقتى وضللت عنهم فبينما أنا سائر فى أثرهم اذ رأيت نارا عظيمة وخيمة فجئت الى جانبها واذا أنا بجارية جميلة جالسة فيها فسألتها عن حالها فقالت أنا من فزارة اختطفنى عفريت يقال له ظليم وجعلنى ههنا فهو يغيب عنى بالليل ويأتينى بالنهار فقلت لها امضى معى فقالت أهلك أنا وأنت فانه يتبعنا ويأتينا فيأخذنى ويقتلك فقلت لا يستطيع أخذك ولا قتلى ومازلت أرددها الحديث حتى رضيت فأنخت لها ناقتى فركبتها وسرت بها حتى طلع الفجر فالتفت فاذا أنا بشخص عظيم مهول قد أقبل ورجلاه تخطان فى الارض فقالت ها هو قد أتانا فأنخت ناقتى وخططت حولها خطا وقرأت آيات من القرآن وتعوذت بالله العظيم فتقدم وأنشأ يقول

يا ذا الذى للحين يدعوه القدر * خل عن الحسناء رسلا ثم سر * وان تكن ذا خبرة فينا اصطبر

قال فاجبته

يا ذا الذى للحين يدعوه الحمق * خل عن الحسناء رسلا وانطلق * ما أنت فى الجن باول من عشق

قال فتبدى لى فى صورة أسد وجاذبته وجاذبنى ساعة فلم يظفر أحدنا بصاحبه فلما أيس منى قال هل لك فى جز ناصيتى أو احدى ثلاث خصال قلت وما هن قال مائتان من الابل أو أخدمك أيام حياتى أو ألف دينار الساعة وخل بينى وبين الجارية فقلت لا أبيع دينى بدنياى ولا حاجة لى بخدمتك فاذهب من حيث أتيت قال فانطلق وهو يتكلم بكلام لا أفهمه وسرت بالجارية الى أهلها وتزوجت بها وجاءنى منها أولاد * وقيل لما سخر الله تعالى الجن لسليمان عليه الصلاة والسلام نادى جبريل عليه السلام أيها الجن والشياطين أجيبوا نبى الله سليمان ابن داود باذن الله تعالى قال فخرجت الجن والشياطين من الجبال والكهوف والغيران والاودية والفلوات والآجام وهم يقولون لبيك لبيك والملائكة تسوقهم سوق الراعى للغنم حتى حشرت بين يدى سليمان عليه الصلاة والسلام طائعة ذليلة وكانوا اذ ذاك أربعا وعشرين فرقة فنظر الى ألوانها فاذا هى سود وشقر وبلق وبيض وصفر وخضر وعلى صور جميع الحيوانات ومنهم من رأسه رأس الأسد وبدنه بدن الفيل ومنهم من له خرطوم وذنب ومنهم من له قرون وحوافر وغير ذلك من الانواع قال فعند ذلك تعجب نبى الله سليمان عليه

فقال هذا والله الشعر ثم قال أضف اليهما

فأعجب الى داء بن قد عززا * بثالث من داء افلاس

(وحكى) فى مرآة الزمان وغيرها فى ترجمة شمس الدين توران شاه ابن أيوب أخى السلطان صلاح الدين قال محمد بن على الحكيم الاديب رأيت شمس الدولة بعد موته فدحته بأبيات فلف كفنه ورمى به الى وقال

لا تستقلن معروفا سمحت به * ميتا فأمسيت منه عارى البدن
ولا تظنن جودا شانه بخل * من بعد بذلى ملك الشام واليمن
انى خرجت من الدنيا وليس معى * من كل ما ملكت كفى سوى الكفن

(حكى) انه كان ببغداد شخص يعرف بأبى القاسم الطنبورى صاحب نوادر وحكايات وله مداس له مدة سنين كلما انقطع منه موضع جعل عليه رقعة الى أن صار فى غاية الثقل وصار يضرب به المثل فيقال أثقل من مداس أبى القاسم الطنبورى فاتفق أنه دخل سوق الزجاج فقال له سمسار يا أبا القاسم قد وصل تاجر من حلب ومعه حمل زجاج مذهب قد كسد فابتعه منه وأنا أبيعه لك بعد مدة بكسب المثل مثلين فابتاعه بستين دينارا ثم دخل سوق العطارين فقال له سمسار آخر قد ورد تاجر من نصيبين بماورد فى غاية الحسن والرخص ابتعه منه وأنا أبيعه لك بفائدة كثيرة فابتاعه بستين دينارا أخرى ثم جعله فى الزجاج المذهب ووضعه على رف فى صدر البيت ثم دخل الحمام يغتسل فقال له بعض أصدقائه يا أبا القاسم أشتهى أن تغير مداسك فانه فى غاية الوحاشة وأنت ذو مال فقال السمع والطاعة ولما خرج من الحمام ولبس ثيابه وجد الى جانب مداسه

الصلاة والسلام من هذه الاشكال وسجد شكرا لله تعالى وقال الهى ألبسنى هيبة من عندك وجعل يسألهم عن طباعهم وعن طعامهم وشرابهم وهم يجيبونه ثم فرقهم فى الصناعات من قطع الصخور والاحجار والاشجار والغوص فى البحار وأبنية الحصون وفى استخراج المعادن والجواهر قال الله تعالى هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب ونكتفى من ذلك بهذا القدر اليسير والله المسؤل فى تيسير كل عسير وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿الباب الخامس والستون فى ذكر البحار وما فيها من العجائب وذكر الانهار والآبار وفيه فصول﴾

﴿الفصل الاول فى ذكر البحار﴾ روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه قال لما أراد الله تعالى أن يخلق الماء خلق ياقوتة خضراء لا يعلم طولها وعرضها الا الله سبحانه وتعالى ثم نظر اليها بعين الهيبة فذابت وصارت ماء فاضطرب الماء فخلق الريح ووضع عليها الماء ثم خلق العرش ووضعه على متن الماء وعليه قوله تعالى وكان عرشه على الماء ﴿واعلم﴾ أن بحر الظلمات لا يدخله شمس ولا قمر وان بحر الهند خليج منه وبحر اللاذقية خليج منه وبحر الصين خليج منه وبحر الروم خليج منه وبحر فارس خليج منه وكل هذه البحار التى ذكرتها أصلها من البحر الاسود الذى يقال له البحر المحيط وأما بحر الخزر وبحر خوارزم وبحر أرمينية والبحر الذى عند مدينة النحاس وغير ذلك من البحار الصغار فهى منقطعة عن البحر الاسود ولذلك ليس فيها جزر ولا مد وقيل سئل النبى صلى الله عليه وسلم عن الجزر والمد فقال هو ملك عال قائم بين البحرين ان وضع رجله فى البحر حصل له المد واذا رفعها حصل له الجزر وقيل انما سمى البحر الاسود لان ماءه فى رأى العين كالحبر الاسود فان أخذ منه الانسان فى يده شيأ رآه أبيض صافيا الا أنه أمر من الصبر مالح شديد الملوحة فاذا صار ذلك الماء فى بحر الروم تراه أخضر كالزنجار والله تعالى يعلم لاى شئ ذلك وكذلك يرى فى بحر الهند خليج أحمر كالدم وبحر أصفر كالذهب وخليج أبيض كاللبن تتغير هذه الالوان فى هذه المواضع والماء فى نفسه أبيض صاف وقيل ان تغير الماء بلون الارض (وأما) ما يخرج من البحر من السمك وغيره فقد روى عن جابر ابن عبد الله رضى الله تعالى عنهما قال بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ساحل البحر وأمر علينا أبا عبيدة رضى الله تعالى عنه نتلقى عير قريش وزودنا جرابا من تمر لم يجد لنا غيره فكان أبو عبيدة يعطينا تمرة تمرة نمصها ثم نشرب عليها الماء فتكفينا يومنا الى الليل فاشرفنا على ساحل البحر فرأينا شيأ كهيئة الكثيب الضخم فاتيناه فاذا هو دابة من دواب البحر تدعى العنبر فاقمنا شهرا نأكل منها ونحن ثلثمائة حتى سمنا ولقد رأيتنا نغترف من الدهن الذى فى وقب عينها بالقلال ونقطع منه القطعة كالثور ولقد أخذ منا أبو عبيدة ثلاثة عشر رجلا فاقعدهم فى وقب عينها وأخذ ضلعا من أضلاعها فاقامها ثم رحل أعظم بعير معنا فمر من تحتها وتزودنا من لحمها فلما قدمنا المدينة ذكرنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك فقال هو رزق أخرجه الله لكم فهل معكم شئ من لحمها فتطعمونا فارسلنا اليه منه فاكله وقيل يخرج من البحر سمكة عظيمة فتتبعها سمكة أخرى أعظم منها لتأكلها فتهرب منها الى مجمع البحرين فتتبعها فيضيق عليها مجمع البحرين لعظمها وكبرها فترجع الى البحر الاسود وعرض مجمع البحرين مائة فرسخ فتبارك الله رب العالمين (وقال) صاحب تحفة الالباب ركبت فى سفينة مع جماعة فدخلنا الى مجمع البحرين فخرجت سمكة عظيمة مثل الجبل العظيم فصاحت صيحة عظيمة لم أسمع قط أهول منها ولا أقوى فكاد قلبى ينخلع وسقطت على وجهى أنا وغيرى ثم ألقت السمكة نفسها فى البحر فاضطرب البحر اضطرابا شديدا وعظمت أمواجه وخفنا الغرق فنجانا الله تعالى بفضله وسمعت الملاحين يقولون هذه سمكة تعرف بالبغل قال ورأيت فى البحر سمكة كالجبل العظيم ومن رأسها الى ذنبها عظام سود كاسنان المنشار كل عظم أطول من ذراعين وكان بيننا وبينها فى البحر أكثر من فرسخ فسمعت الملاحين يقولون هذه السمكة تعرف بالمنشار اذا صادفت أسفل السفينة قصمتها نصفين ولقد سمعت أناسا يقول ان جماعة ركبوا سفينة فى البحر فارسوا على جزيرة فخرجوا الى تلك الجزيرة فغسلوا ثيابهم واستراحوا ثم أوقدوا نارا ليطبخوا فتحركت الجزيرة وطلبت البحر واذا بها سمكة فسبحان القادر على كل شئ لا اله الا هو ولا معبود سواه وقيل ان فى البحر سمكة تعرف بالمنارة لطولها يقال انها تخرج من البحر الى جانب السفينة فتلقى نفسها عليها فتحطمها وتهلك من فيها فاذا أحس بها أهل السفينة صاحوا وكبروا

مداسا جديدا فلبسه ومضى الى بيته وكان القاضى دخل الحمام يغتسل ففقد مداسه فقال الذى لبس مداسى ما ترك عوضه شيأ فوجدوا مداس أبى القاسم فانه معروف فكبسوا بيته فوجدوا مداس القاضى عنده فاخذ منه وضرب أبو القاسم وحبس وغرم جملة مال حتى خرج من الحبس فاخذ المداس وألقاه فى الدجلة فغاص فى الماء فرمى بعض الصيادين شبكة فطلع فيها المداس فقال هذا مداس أبى القاسم والظاهر أنه سقط منه فحمله الى بيت أبى القاسم فلم يجده فرماه من الطاق الى بيته فسقط على الرف الذى عليه الزجاج فتبدد ماء الورد وانكسر الزجاج فلما رأى أبو القاسم ذلك لطم على وجهه وصاح وافقراه أفقرنى هذا المداس ثم قام يحفر له فى الليل حفرة فسمع الجيران حس الحفرة فظنوا أنه نقب فشكوه الى الوالى فارسل اليه من اعتقله وقال له تنقب على الناس حائطهم اسجنوه ففعلوا فلم يخرج من السجن الى أن غرم جملة مال فاخذ المداس ورماه فى مستراح الخان فسد قصبة المستراح وفاض فكشف الصناع ذلك حتى وقفوا على موضع السد فوجدوا مداس أبى القاسم فحملوه الى الوالى وحكوا له ما وقع فقال غرموه المصروف جملة فقال ما بقيت أفارق هذا المداس وغسله وجعله على السطح حتى يجف فرآه كلب ظنه رمة فحمله وعبر به الى سطح آخر فسقط على امرأة حامل فارتجفت وأسقطت ولدا ذكرا فنظروا ما السبب فاذا مداس أبى القاسم فرفع الى الحاكم فقال يجب عليه غرة فابتاع لهم غلاما وخرج وقد افتقر ولم يبق معه شئ فاخذ المداس وجاء به الى القاضى وحكى له جميع ما اتفق له فيه وقال أشتهى أن يكتب مولانا القاضى بينى وبين

وضجوا وضربوا الطبول ونقروا الطسوت والسطول والاخشاب لانهم اذا سمعت تلك الاصوات رجعا صرفها الله تعالى عنهم بفضله ورحمته * وقال الشيخ عبد الله صاحب تحفة الالباب كنت يوما في البحر على صخرة فاذا أنا بذنب حية صفراء منقطة بسواد طولها مقدار باع فطلبت أن تقبض على رجلي فتباعدت عنها فاخرجت رأسها كأنه رأس أرنب من تحت تلك الصخرة فسللت خنجرا كبيرا كان معي فطعنت به رأسها فقارفيه فلم أقدر على خلاصه منها فامسكت نصابه بيدي جميعا وجعلت أجره حتى ألصقتها بباب الجحر فتركت الجحر وخرجت من تحت الصخرة فاذا هي خمس حيات في رأس واحد فتعجبت من ذلك وسألت من كان هنالك عن اسم هذه الحية فقال هذه تعرف بام الحيات وذكروا أنها تقبض على الآدمي في الماء فتمسكه حتى يموت وتأكله وأنها تعظم حتى تكون كل حية أكثر من عشرين ذراعا وانها تقلب الزوارق وتأكل من قدرت عليه من أصحابها وأن جلدها أرق من جلد البصل ولا يؤثر فيها الحديد شيأ قال ورأيت مرة في البحر صخرة عليها شئ كثير من النارنج الاحمر الطري الذي كأنه قطع من شجره فقلت في نفسي هذا قد وقع من بعض السفن فذهبت اليه فقبضت منه نارنجة فاذا هي ملتصقة بالحجر فجذبتها فاذا هي حيوان يتحرك ويضرب في يدي فلففت يدي بكم ثوبي وقبضت عليه وعصرته فخرج من فيه مياه كثيرة وضمر فلم أقدر أن أقلعه من مكانه فتركته عجزا عنه وهو من عجائب خلق الله تعالى وليس له عين ولا جارحة الا الفم والله سبحانه وتعالى أعلم لاي شئ يصلح ذلك * قال ولقد رأيت يوما على جانب البحر عنقود عنب اسود كبير الحب أخضر العرجون كأنما قطف من كرمه فاخذته وكان ذلك في أيام الشتاء وليس في تلك الارض التي كنت فيها عنب فرمت أن آكل منه فقبضت على حبة منه وجذبتها فلم أقدر أن أقلعها من العنقود حتى كأنها من الحديد قوة وصلابة فجذبتها جذبة أقوى من الاولى فانقشرت قشرة من تلك الحبة كقشر العنب وفي داخلها عجم كعجم العنب فسألت عن ذلك فقيل لي هذا من عنب البحر ورائحته كرائحة السمك وفي البحر أيضا حيوان رأسه يشبه رأس العجل وله أنياب كانياب السباع وجلده له شعر كشعر العجل وله عنق وصدر وبطن وله رجلان كرجلي الضفدع وليس له يدان يعرف بالسمك اليهودي وذلك أنه اذا غابت الشمس ليلة السبت يخرج من البحر ويلقي نفسه في البر ولا يتحرك ولا يأكل ولو قتل ولا يدخل البحر حتى تغيب الشمس ليلة الاحد فحينئذ يدخل البحر ولا تلحقه السفن لخفته وقوته وجلده يتخذ منه نعل لصاحب النقرس فلا يجد له ألما مادام لم ذلك الجلد عليه وهو من العجائب وقيل ان في بحر الروم سمكا طويلا طول السمكة مائة ذراع وأكثر وله أنياب كانياب الفيل تؤخذ وتباع في بلاد الروم وتحمل الى سائر البلاد وهي أحسن وأقوى من أنياب الفيل واذا شق الناب منها يظهر فيه نقوش عجيبة ويسمونه الجوهر ويتخذون منه نصب السكاكين وهو مع قوته وحسن لونه ثقيل الوزن كالرصاص وفي البحر أيضا سمك يسمى الرعاد اذا دخل في شبكة فكل من جر تلك الشبكة أو وضع يده عليها أو على حبل من حبالها تأخذه الرعدة حتى لا يملك من نفسه شيأ كما يرعد صاحب الحمى فاذا رفع يده زالت عنه الرعدة فان أعادها عادت اليه الرعدة وهذا أيضا من العجائب فسبحان الله جلت قدرته وقال صاحب تحفة الألباب حدثني الشيخ أبو العباس الحجازي قال حدثني رجل يعرف بالهاروني من ولد هرون الرشيد أنه ركب سفينة في بحر الهند فرأى طاوسا قد خرج من البحر أحسن من طاوس البر وأجمل ألوانا قال فكبرنا الله فجعل يسبح وينظر لنفسه وينشر أجنحته وينظر الى ذنبه ساعة ثم غاص في البحر وفي البحر دابة يقال لها الدرفين تنجي الغريق لانها تدنو منه حتى يضع يده على ظهرها فيستعين بالاتكاء عليها ويتعلق بها فتسبح به حتى ينجيه الله بقدرته فسبحان من دبر هذا التدبير اللطيف وأحكم هذه الحكمة البالغة وزعموا ان السمك يتبع نحو الغناء والصوت الحسن ويصبو لاستماعه وربما قيل ان بعض الصيادين يحفرون في البحر حفائر ثم يجلسون فيضربون بالمعازف وآلات الطرب فيجتمع السمك ويقع في تلك الحفائر وقيل ان الدرفين وأنواع السمك اذا سمعت صوت الرعد هربت الى قعر البحر وقيل ان خيل البحر توجد بنيل مصر وهي صفة خيل البر وقيل انها تأكل التماسيح وربما خرجت فرعت الزرع واذا رأى أهل مصر أثر حوافرها حكموا ان ماء النيل ينتهي في طلوعه الى ذلك المكان وقيل ان في البحر المحيط شيأ يتراءى كالحصون فيرتفع على وجه الماء ويظهر منه صور كثيرة ويغيب ومن عجيب ما حكي ان فيه جزيرة فيها ثلاث مدن عامرة وهي كثيرة الامطار وأهلها يحصدون زرعها قبل جفافه لقلة طلوع الشمس عندهم

وبجعلونه

هذا المداس مبارأة بأنه ليس مني
واستمنه واني بريء منه ومهما
فعله يؤاخذ به ويلزمه فقد أقعرني
فضحك القاضي ووصله بشئ
ومضى انتهى

هذه قصيدة ليزيد بن معاوية وهي عزيزة الوجود

وسرب كعين الديك ميل الى الصبا
روائع بالحادي سود المدامع
سمعن غناء بعد ما عن نومة
من الليل يعلهن فوق المضاجع
أيا دهر هل شرخ الشبيبة راجع
مع الخفرات البيض أو غير راجع
فنعت بزور من خيال بعثنه
وكنت بوصل منهم غير قانع
اذا رمت من ليلى على البعد نظرة
لتطفي جوى بين الحشا والاضالع
تقول رجال الحي تطمع ان ترى
لليلى وصالا من بدء المطامع
وكيف ترى ليلى بعين ترى بها
سواها وما طهرتها بالمدامع
أجلك يا ليلى عن العين انما
أراك بقلب خاضع للتخاشع
وما سر ليلى ما حييت بذائع
وما عهد ليلى ان تناءت بضائع

ومن غريب ما يحكى أن عاتكة بنت يزيد بن معاوية ابن أبي سفيان والدة يزيد بن عبد الملك بن مروان حرمت على اثنى عشر من الخلفاء من بني أمية معاوية جدها ويزيد أبوها ومروان أبو زوجها والوليد وسليمان وهشام بنو عبد الملك أولاد زوجها والوليد بن يزيد ابن ابنها ويزيد بن الوليد ابن زوجها وابراهيم بن مروان بن الوليد ابن زوجها أيضا ويزيد بن عبد الملك ابنها ومعاوية بن يزيد بن معاوية أخوها وزوجها عبد الملك بن مروان ولم يتفق ذلك لامرأة غيرها انتهى *وجد بخط قاضي القضاة شهاب الدين أحمد بن حجر حافظ العصر* قال وجد بخط

ويجعلونه في بيت ويوقدون حوله النيران حتى يجف وعجائبه لاتحصى ولايمكن حصرها ويقال ان الاسكندر لما سار الى بحر الظلمات مر بجزيرة بها أمة رؤسهم مثل رؤس الكلاب يخرج من أفواههم مثل لهب النار وخرجوا الى المراكب وحاربوه ثم تخلص منهم وسار فرأى صورا متلونة بألوان شتى وسمكا طوله مائة ذراع وأكثر وأقل فسبحان الله تعالى ما أكثر عجائب خلقه ويقال انه مر في بعض الجزائر على قصر مصنوع من البلور على قلعة محكمة البناء وحولها قناديل لاتطفأ ومن جزائر البحر جزيرة القمر يقال ان بها شجرا طول الشجرة مائتا ذراع ودور ساقها مائة وعشرون ذراعا وبها طوائف من السودان عرايا الأبدان يلتحفون بورق الشجر وهو ورق يشبه ورق الموز لكنه أسمك وأعرض وأنعم ويقال ان هذه الجزيرة بالقرب من نيل مصر وان هذه الأمة التي بها يتمذهبون بمذهب الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه وهم في غاية اللطافة من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبالقرب منهم معدن الذهب والياقوت وبها الفيلة البيض وحيوانات مختلفة الاشكال من الوحوش وغيرها وبها العود القماري والآبنوس والطواويس وبها مدن كثيرة ومنها جزيرة الواق خلف جبل يقال له اصطفيون داخل البحر الجنوبي ويقال ان هذه الجزيرة كانت ملكتها امرأة وان بعض المسافرين وصل اليها ودخلها ورأى هذه الملكة وهي جالسة على سرير وعلى رأسها تاج من ذهب وحولها أربعمائة وصيفة كلهن أبكار وفي هذه الجزيرة من العجائب شجر يشبه شجر الجوز وخيار الشنبر ويحمل حملا كهيئة الانسان فاذا انتهى سمع له تصويت يفهم منه واق واق ثم يسقط وهذه الجزيرة كثيرة الذهب حتى قيل ان سلاسل خيلهم ومقاود كلابهم وأطواقها من الذهب ومنها جزيرة الصين يقال ان بها ثلثمائة مدينة ونيفا سوى القرى والاطراف وأبوابها اثنا عشر بابا وهي جبال في البحر بين كل جبلين فرجة وهذه الجبال تمر بها المراكب مسيرة سبعة أيام واذا جاوزت السفينة الأبواب سارت في ماء عذب حتى تصل الى الموضع الذي تريده وفيها من الأودية والاشجار والأنهار مالا يمكن وصفه فتبارك الله رب العالمين وقيل ان الاسكندر لما فرغ من بناء سده حمد الله وأثنى عليه ثم نام واذا بحيوان عظيم صعد من البحر الى أن علا وسد الأفق فظن من حول الملك انه يريد ابتلاعهم ففزعوا فانتبه فقال مالكم فقالوا له انظر ماحل بنا فقال ما كان الله ليأخذ نفسا قبل انقضاء أجلها وقد منعني من العدو فلا يسلط علي حيوانا من البحر قال فاذا بالحيوان قد دنا من الملك وقال أيها الملك أنا حيوان من هذا البحر وقد رأيت هذا السد بني وخرب سبع مرات ولم يزد على ذلك ثم غاب في البحر فتبارك من له هذا الملك العظيم لااله الا هو العزيز الحكيم وقيل ان بجزيرة النسناس باليمن مدينة بين جبلين وليس لها ماء يدخل فيها الا من المطر ولها نحو ستة فراسخ وهي حصينة ذات كروم ونخيل وأشجار وغير ذلك واذا أراد انسان الدخول فيها حثي في وجهه التراب فان أبى الا الدخول خنق أو صرع وقيل انها معمورة بالجان وقيل يخلق من النسناس ويقال انهم من بقايا عاد الذين أهلكهم الله بالريح العقيم وكل واحد منهم شق انسان ونقل عن بعض المسافرين أنه قال بينما نحن سائرون اذ أقبل علينا الليل فبتنا بواد فلما أصبح الصباح سمعنا قائلا يقول من الشجرة ياأبا بحير الصبح قد أسفر والليل قد أدبر والقناص قد حضر فالحذر الحذر قال فلما ارتفع النهار أرسلنا كلبين كانا معنا نحو الشجرة فسمعت صوتا يقول ناشدتك قال فقلت لرفيقي دعهما قال فلما وتقامنا زلا هار بين فتبعهما الكلبان وجدا في الجري فامسكا شخصا منهما قال فادركناه وهو يقول

الويل لي مما به دهاني * دهري من الهموم والاحزان
قفا قليلا أيها الكلبان * الى متى الى متى تجريان

قال فأخذناه ورجعنا فذبحه رفيقي وسواه فعفته ولم آكل منه شيأ فتبارك الله ما أكثر عجائب خلقه لااله الا هو ولامعبود سواه

(الفصل الثاني في ذكر الانهار والآبار والعيون)

قال الله تعالى ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الأرض قال المفسرون هو المطر ومعنى سلكه أدخله في الأرض وجعله عيونا ومسايل ومجاري كالعروق في الجسد فمن الأنهار ماهو من الأمطار المجتمعة ولهذا ينقطع عند فراغ مادته ومنها ماينبع من الأرض وأطول مايكون من الأنهار ألف فرسخ وأقصره عشرة فراسخ الى اثنين وثلاثة وبين ذلك وكلها

الشيخ شهاب الدين أحمد بن يحيى ابن أبي حجلة التلمساني قال أنشدني القاضي فخر الدين عبد الوهاب المصري لنفسه في الاهرام سنة خمس وخمسين وسبعمائة

وأجاد * أمباني الاهرام كم من واعظ
صدع القلوب ولم يفه بلسانه
أذكرتني قولا تقادم عهده
أين الذي الهرمان من بنيانه
هن الجبال الشامخات تكاد أن
تمتد فوق الافق عن كيوانه
لو أن كسرى جالس في سفحها
لاجل مجلسه على ايوانه
ثبتت على حر الزمان وبرده
مددا ولم تأسف على حدثانه
والشمس في احراقها والريح عنـ
ـد هبوبها والسيل في جريانه
هل عابد قد خصها بعبادة
فمباني الاهرام من أوثانه
أو قائل يقضي برجعة نفسه
من بعد فرقته الى جثمانه
فاختارها للكنوز ولجسمه
قبرا ليأمن من أذى طوفانه
أو انها للسائرات مراصد
يختار راصدها أعز مكانه
أو انها وضعت بيوت كواكب
أحكام فرس الدهر أو يونانه
أو انهم نقشوا على حيطانها
علما يحار الفكر في تبيانه
في قلب رائيها العليم نقشها
فكر يعض عليه طرف بنانه

(يحكى) أن القاضي أبا الحسن علي ابن عبد العزيز الجرجاني كان يمر على الناس ولا يسلم عليهم فلامه بعض أصحابه في ذلك فقال

يقولون لي فيك انقباض وانما
رأوا رجلا عن موقف الذل أحجما
أرى الناس من داناهم هان عندهم
ومن أكرمته عزة النفس أكرما
واني اذا مافاتني الأمر لم أكن
أقلب كفي اثره متندما
ولم أقض حق العلم ان كان كلما
بدا مطمع صيرته لي سلما

تبتدئ من الجبال وتنتهي الى البحار والبطائح وفي ممرها تسقي المدن والقرى وما فضل منها ينصب في البحر الملح ويختلط به ولا يمكن استيفاء عددها لكنا نشير الى بعضها فنقول ﴿النيل المبارك﴾ ليس في الأنهار أطول منه لانه مسيرة شهرين في بلاد الاسلام وشهرين في بلاد النوبة وأربعة في الخراب وقيل ان مسافته من منبعه الى أن ينصب في البحر الرومي ألف وسبعمائة فرسخ وثمانية وأربعون فرسخا قال ذلك صاحب مباهج الفكر ومناهج العبر * واختلف في زيادته فقيل ان الأنهار والعيون تمده في الوقت الذي يريده الله تعالى وفي الحديث انه من أنهار الجنة وقال أهل الاثر ان الانهار التي من الجنة تخرج من أصل واحد من قبة في أرض الذهب ثم تمر بالبحر المحيط وتشق فيه قالوا ولولا ذلك لكانت أحلى من العسل وأطيب رائحة من الكافور ﴿نهر الفرات﴾ يوجد بأرض أرمينية فضائله كثيرة والنيل أصدق حلاوة منه وبه من السمك الأبيض ما تكون الواحدة قنطارا بالدمشقي وطول هذا النهر من حين يخرج من عند ملطية الى أن يأتي الى بغداد ستمائة وثلاثون فرسخا وفي وسطه مدن وجزائر تعد من أعمال الفرات ﴿جيحون﴾ نهر عظيم تتصل به أنهار كثيرة ويمر على مدن كثيرة حتى يصل الى خوارزم ولا ينتفع به شيء من البلاد سوى خوارزم لأنها متسفلة عنه ثم ينصب في بحيرة بينها وبين خوارزم ستة أيام وهو يجمد في الشتاء خمسة أشهر والماء يجري من تحت الجمد فيحفر أهل خوارزم منه لهم أماكن ليستقوا منها واذا اشتد جموده مروا عليه بالقوافل والجمال المحملة ولا يبقى بينه وبين الأرض فرق ويعلوه التراب ويبقى على ذلك شهرين ﴿سيحون﴾ نهر عظيم قيل ان مبداه من حدود الترك ويجري حتى يتصل ببلاد الفرغانة وربما يجتمع مع جيحون في بعض الأماكن ﴿الدجلة﴾ نهر بغداد وله أسماء غير ذلك وماؤه أعذب المياه بعد النيل وأكثرها نفعا قيل مقداره ثلثمائة فرسخ وفي بعض الأوقات يفيض حتى قيل انه يخشى على بغداد الغرق منه وهو نهر مبارك كثيرا ما يحوغريقه (حكى) انه وجد به غريق فيه الروح فلما أفاق سألوه عن حاله فاخبرهم أنه لما غلب على نفسه رأى كان أحدا يحمله ويصعد به وروى في الأثر أن الله تعالى أمر دانيال عليه الصلاة والسلام أن يحفر لعباده ما يستقون منه وينتفعون به فكان كلما مر بأرض ناشده أهلها أن يحفر ذلك عندهم الى أن حفر دجلة والفرات * وأما الانهار الصغار فكثيرة ولكنا نذكر منها طرفا فنقول ﴿نهر حصن المهدي﴾ قال صاحب تحفة الالباب انه بين البصرة والاهواز وانه يرتفع منه في بعض الاوقات شيء يشبه صورة الفيل ولا يعرف أحد شأنه ﴿نهر أذربيجان﴾ قيل ان بالقرب منه نهرا يجري فيه الماء سنة ثم ينقطع ثمان سنين ثم يعود في التاسعة وقيل انه ينعقد حجرا ويستعمل منه اللبن ويبني به وقيل ان في تلك الأرض بحيرة تجف فلا يوجد فيها ماء ولا سمك ولا طين سبع سنين ثم يعود الماء والسمك والطين فتبارك الله الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير ﴿نهر صقلاب﴾ يجري فيها الماء يوما واحدا في كل أسبوع ثم ينقطع ستة أيام ﴿نهر العاصي﴾ بأرض حماة وقيل بحمص وهو نهر معروف وفيه يقول بعضهم

مدينة حمص كعبة القصف أصبحت * يطوف بها الداني ويسعى لها القاصي
بها روضة من حسنها سندسية * تعلق في أكناف أذيالها العاصي

﴿نهر العمود﴾ بارض الهند عليه شجرة نابتة من حديد وقيل من نحاس وتحتها عمود من نحاس وقيل من حديد طوله من فوق الماء نحو عشرة أذرع وعرضه ذراع وعلى رأسه ثلاث شعب مسنونة محدودة وعنده رجل يقرأ كتاب الله تعالى ويقول يا عظيم البركة طوبى لمن صعد هذه الشجرة وألقى بنفسه على هذا العمود فيدخل الجنة وقال أهل تلك الناحية من يريد ذلك فيصعد على تلك الشجرة ويلقي نفسه فيتقطع (نهر باليمن) قال صاحب تحفة الالباب انه عند طلوع الشمس يجري من المشرق الى المغرب وعند غروبها يجري من المغرب الى المشرق (نهر ببلاد الحبشة والسودان) يجري الى المشرق يشبه النيل في زيادته ونقصانه وأرضه بها الخصب والبركة وبها شجر كالاراك يحمل ثمرا كالبطيخ داخله شيء يشبه القند في الحلاوة ولكن فيه بعض حموضة وهذا النهر يجري في بلادهم ثمانية أشهر ثم ينصب في البحر المحيط فسبحان من دبر هذا التدبير وأحكم هذه الصنعة لا اله الا هو الحكيم الخبير

﴿الفصل الثاني في ذكر الآبار﴾ قال مجاهد كنت أحب أن أرى كل شيء غريب فسمعت أن ببابل بئر هاروت

وما كل برق لاح لي يستفزني
ولا كل من في الارض أرضاه منعما
اذا قيل هذا منهل قلت قد أرى
ولكن نفس الحر تحتمل الظما
انهنهها عن بعض ما لا يشينها
مخافة أقوال العدا فيم أولما
ولم ابتذل في خدمة العلم مهجتي
لأخدم من لاقيت لكن لاخدما
أأشقى به غرسا وأجنيه ذلة
اذا فاتباع الجهل قد كان أحزما
ولو أن أهل العلم صانوه صانهم
ولو عظموه في النفوس لعظما
ولكن أهانوه فهان ودنسوا
محياه بالاطماع حتى تجهما

قال شيخ الاسلام تاج الدين عبد الوهاب ابن شيخ الاسلام تقي الدين السبكي الشافعي سقى الله عهده لقد صدق هذا القائل لو عظموا العلم عظمهم قال وأنا اقرأ قوله لعظما بفتح العين فان العلم اذا عظم تعظم وهو في نفسه عظيم ولكن أهانوه فهانوا ولكن الرواية فهان وعظم بضم العين والأحسن ما أشرت اليه انتهى (قال) الشيخ الامام العالم العلامة تاج الدين عبد الوهاب ابن السبكي في أجوبته عن الاعتراضات التي على جمع الجوامع ومن ظريف ما يستفاد قول أبي نواس

أباح العراقي النبيذ وشربه
وقال حرامان المدامة والسكر
وقال الحجازي الشرابان واحد
فحلت لنا من بين قوليهما الخمر
سآخذ من قوليهما طرفيهما
واشربها لا فارق الوازر الوزر

وقد سألني الأديب صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي رحمه الله عن معنى هذه الأبيات ومعناها أن العراقي وهو أبو حنيفة رحمه الله أباح النبيذ وحرم المدامة وهي الخمر أسكرت أم لم تسكر وحرم أيضا المسكر من كل شيء وأن الحجازي وهو الشافعي رحمه الله قال الشرابان

و ماروت فسرت اليها فلما وصلت الى ذلك المكان وجدت عنده بيوتا فدخلت فى بعضها فوجدت شخصا فسلمت عليه فرحب بى وسألنى عن حاجتى فذكرت له غرضى فامر يهوديا يذهب معى فيوقفنى على البئر و يطلعنى على الملكين قال فسرنا الى البئر ففتح سردابا ونزلنا فامرنى أن لا أذكر اسم الله تعالى قال فلما رأيت الملكين رأيت شيأ كالجبلين العظيمين منكسين على رؤسهما وعليهما الحديد من أعناقهما الى ركبهما قال مجاهد فلما رأيت ذلك ذكرت الله تعالى قال فاضطربا اضطرابا شديدا حتى كادا يقطعان السلاسل قال ففر اليهودى فتعلقت به فقال أما أمرتك أن لا تذكر اسم الله تعالى كدنا والله نهلك ❊بئر برهوت❊ بقرب حضرموت وهى التى قال النبى صلى الله عليه وسلم انها تجمع أرواح الكفار قال على كرم الله وجهه أبغض البقاع الى الله تعالى بئر برهوت ماؤها أسود منتن تأوى اليها أرواح الكفار والموكل بها ملك يسمى دومة ❊بئر عسفان❊ ماؤها يستشفى به قيل ان النبى صلى الله عليه وسلم تفل فيها قالت أسماء بنت أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنهما كنا نغسل المريض منها فيعافى وقيل ان النبى صلى الله عليه وسلم توضأ منها ❊بئر معروفة بارض حلب❊ خاصيتها أنه اذا شرب منها المكلوب زال كلبه ما لم يجاوز الاربعين و بنيسابور آبار كثيرة وهى معادن الفيروزج وانما يمنع الناس عنها كثرة عقاربها ❊ و بارض فارس بئر ينبع منها ماء فى وقت من السنة فيرتفع على وجه الارض لحة واحدة و يجرى فينتفع به فى سقى الزرع ثم يعود الى ما كان وعجائب الله كثيرة لا تكاد تحصر لا اله الا هو ولا معبود سواه

❊الباب السادس والستون فى ذكر عجائب الارض وما فيها من
الجبال والبلدان وغرائب البنيان وفيه فصول❊

❊الفصل الاول فى ذكر الارض وما فيها من العمران والخراب❊ روى وهب بن منبه رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ان الله تعالى ثمانية عشر الف عالم الدنيا منها عالم واحد وما العمران فى الخراب الا كخردلة فى كف أحدكم وقال رواة الاثر ان لله عز وجل دابة فى مرج من مروجه فى غامض علمه رزقها فى كل يوم بقدر رزق العالم بأسره و جميع مدائن الدنيا أربعة آلاف مدينة وخمسمائة وست وخمسون مدينة وقيل غير ذلك ❊ وأقاليم الارض سبعة الاقليم الاول الهند الثانى الحجاز الثالث اقليم مصر الرابع اقليم بابل الخامس اقليم الروم والشام السادس اقليم الترك السابع اقليم الصين وأوسط الاقاليم اقليم بابل وهو أعمرها وفيه جزيرة العرب وفيه العراق الذى هو سرة الدنيا و بغداد فى وسط هذا الاقليم فلاعتداله اعتدلت ألوان أهله فسلموا من شقرة الروم وسواد الحبشة وغلظ الترك و جفاء أهل الجبال ودمامة أهل الصين ❊ والممالك المشهورة التى ضبطت عدتها فى زمن المأمون ثلثمائة وثلاث وأربعون مملكة أوسعها ثلاثة أشهر وأضيقها ثلاثة أيام وقال أهل الهيئة انه يكون عند خط الاستواء ربيعان وصيفان وخريفان وشتا آن فى سنة واحدة وانه يكون فى بعض البلاد ستة أشهر ليل وستة أشهر نهار و بعضها حر و بعضها برد فسبحان من خلق كل شئ فاتقنه لا اله الا هو ولا معبود سواه

❊الفصل الثانى فى ذكر الجبال❊ قيل ان الله تعالى لما خلق الارض ماجت واضطربت فخلق الجبال وأرساها بها فاستقرت ومجموع ما عرف بالاقاليم السبعة من الجبال مائة وثمانية وتسعون جبلا فمنها ما طوله عشرون فرسخا ومنها ما طوله مائة فرسخ الى ألف فرسخ ❊ ولنذكر منها ما هو مشهور معروف بين الناس (فمن أعجبها جبل سرنديب) وطوله مائتان ونيف وستون ميلا وفيه أثر قدم آدم عليه الصلاة والسلام حين أهبط وحوله الياقوت وفى أوديته الماس الذى يقطع به الصخور و يثقب به اللؤلؤ وفيه العود والفلفل ودابة المسك ودابة الزباد (جبل الروم) الذى فيه السد طوله سبعمائة فرسخ و ينتهى الى بحر الظلمات (جبل أبى قبيس) سمى بذلك لأن آدم عليه الصلاة والسلام كناه بذلك حين اقتبس منه النار التى بين أيدى الناس وقيل غير ذلك (جبل القدس) جبل شريف مبارك فيه غار يضئ بالليل من غير سراج و يزوره الناس (جبل أروند بهمدان) برأسه عين تخرج من صخرة أياما معدودة فى السنة تقصد من كل وجه يستشفى بها (جبل بالشأم) لونه أسود كالفحم وترابه أبيض تبيض به الثياب (جبل الاندلس) فيه غار اذا دهنت فتيلة وأدخلتها فيه أوقدت و بها جبل به عينان احداهما باردة والأخرى حارة والمسافة التى بينهما مقدار شبر و جبل

واحد فاخذ أبو نواس بالموجب فكأنه قال انهما واحد ولكن فى الحل لا فى الحرمة واليه الاشارة بقوله فخل لنا من بين قوليهما الخمر ❊ ثم هذا انما ذكره أبو نواس على عادة الشعراء فى الكيس والظرافة ولا يقصد حقيقته فانه لا يقول به أحد ولعله أشار بقوله سآخذ من قوليهما طرفيهما الى آخره انه لا يعتقده بل هو شاعر كما يقول ولا يفعل كذلك لا يعتقد فهو على ما زعم يشربها وان لم يعتقد الحل اذ كيف يعتقد ما لم يقله مسلم وكيف يمكن أن يقال انه يعتقد الحل وقد قال لا افارق الوازر الوزر فهذا ان شاء الله معنى هذه الأبيات وهى على كل حال من كلمات الشعراء التى لا يحتج بها فى دين الله تعالى (اعتل) ذو الرياستين الفضل بن سهل بخراسان مدة طويلة ثم أبل واستقبل وجلس للناس فدخلوا اليه وهنؤه بالعافية فانصت لهم حتى انقضى كلامهم ثم اندفع فقال ان فى العلل لنعما لا ينبغى للعقلاء أن يجهلوها منها تمحيص الذنوب وثواب الصبر وايقاظ من الغفلة واذكار بالنعمة فى حال الصحة واستدعاء للتوبة وحض على الصدقة ورضاء بقضاء الله وقدره فانصرف الناس بكلامه ونسوا ما قاله غيره اه (وحكى) عن ابن المبارك أنه قال حججت الى بيت الله الحرام فبينما أنا فى الطواف اذ عييت فجلست أستريح ووضعت رأسى على ركبتى فغلبنى النوم فرأيت النبى صلى الله عليه وسلم وهو يقول يا ابن المبارك اذا أنت قضيت حجك وحللت عقدك ورجعت الى أرض العراق ودخلت دار السلام فاقصد المحلة التى بها بهرام المجوسى فاذا لقيته فاخبره أن النبى العربى محمدا صلى الله عليه وسلم

به معدن الكبريت والزئبق والزنجفر (جبل سمرقند) يقطر منه ماء فى الصيف يصير جلدا وفى الشتاء يحرق من حرارته (جبل الصور) بكرمان يكسر حجره فيخرج منه كصور الآدميين قائمين وقاعدين ومضطجعين واذا سحق وطرح فى الماء يرى كذلك (جبل الارجان) بطبرستان يقطر منه ماء كل قطرة تصير حجرا مسدسا أو مثمنا (جبل هرمز) ينزل منه ماء الى وهدة فان صاح انسان صيحة وقف فان ثنى جرى (جبل الطير) باقليم الصعيد يجتمع عنده الطير فى كل سنة مرة ويدخل فى كوة هناك فتمسك الكوة على واحدة وتطير البقية ويكون ذلك علامة الخصب فى تلك السنة ولنقتصر على ذلك ومن أراد الوقوف على جميعها فعليه بتاريخ مرآة الزمان

﴿الفصل الثالث فى ذكر المبانى العظيمة وغرائبها وعجائبها﴾ قال أهل التواريخ ونقلة الأخبار ان أول بناء بنى على وجه الأرض الصرح الذى بناه نمروذ الأكبر بن كوش بن حام بن نوح عليه الصلاة والسلام وبقيته بكوثى من أرض بابل وبه الى عصرنا أثر ذلك البناء كأنه جبال شاهقات قالوا وكان طوله خمسة آلاف ذراع بناه بالحجارة والرصاص والشمع واللبان ليمتنع هو وقومه من طوفان ثان فأخرب الله تعالى ذلك الصرح فى ليلة واحدة بصيحة فتبلبلت بها ألسنة الناس فسميت أرض بابل (ارم ذات العماد) التى لم يخلق مثلها فى البلاد (حكى) الشعبى فى كتاب سير الملوك أن شداد بن عاد ملك جميع الدنيا وكان قومه قوم عاد الأولى زادهم الله بسطة فى الأجسام وقوة حتى قالوا من أشد منا قوة قال الله تعالى أولم يروا أن الله الذى خلقهم هو أشد منهم قوة وأن الله تعالى بعث اليهم هودا نبيا عليه الصلاة والسلام فدعاهم الى الله تعالى فقال له شداد ان آمنت بالملك فماذا لى عنده قال يعطيك فى الآخرة جنة مبنية من ذهب ويواقيت ولؤلؤ وجميع أنواع الجواهر قال شداد أنا أبنى مثل هذه الجنة ولا أحتاج الى ما تعدنى به قال فأمر شداد ألف أمير من جبابرة قوم عاد أن يخرجوا ويطلبوا أرضا واسعة كثيرة الماء طيبة الهواء بعيدة من الجبال ليبنى فيها مدينة من ذهب قال فخرج أولئك الامراء ومع كل أمير ألف رجل من خدمه وحشمه فساروا فى الأرض حتى وصلوا الى جبل عدن فرأوا هنالك أرضا واسعة طيبة الهواء فأعجبتهم تلك الارض فأمروا المهندسين والبنائين فخطوا مدينة مربعة الجوانب دورها أربعون فرسخا من كل جهة عشرة فحفروا الاساس الى الماء وبنوا الجدران بحجارة الجزع اليمانى حتى ظهر على وجه الارض ثم أحاطوا به سورا ارتفاعه خمسمائة ذراع وغشوه بصفائح الفضة المموهة بالذهب فلا يكاد يدركه البصر اذا أشرقت الشمس وكان شداد قد بعث الى جميع معادن الدنيا فاستخرج منها الذهب واتخذه لبنا ولم يترك فى يد أحد من الناس فى جميع الدنيا شيأ من الذهب الا غصبه واستخرج الكنوز المدفونة ثم بنى داخل المدينة مائة ألف قصر بعدد رؤساء مملكته كل قصر على عمد من أنواع الزبرجد واليواقيت معقودة بالذهب طول كل عمود مائة ذراع وأجرى فى وسطها أنهارا وعمل منها جداول لتلك القصور والمنازل وجعل حصاها من الذهب والجواهر واليواقيت وحلى قصورها بصفائح الذهب والفضة وجعل على حافات الأنهار أنواع الأشجار جذوعها من الذهب وأوراقها وثمرها من أنواع الزبرجد واليواقيت واللآلى وطلى حيطانها بالمسك والعنبر وجعل فيها جنة مزخرفة وجعل أشجارها الزمرذ واليواقيت وسائر أنواع المعادن ونصب عليها أنواع الطيور المسموعة الصادح والمغرد وغير ذلك ثم بنى حول المدينة مائة ألف منارة برسم الحراس الذين يحرسون المدينة فلما كمل بناؤها أمر فى مشارق الارض ومغاربها أن يتخذوا فى البلاد بسطا وستورا وفرشا من أنواع الحرير لتلك القصور والغرف وأمر باتخاذ أوانى الذهب والفضة فاتخذوا جميع ما أمر به فلما فرغوا من ذلك جميعه خرج شداد من حضرموت فى أهل مملكته وقصد مدينة ارم ذات العماد فلما أشرف عليها ورآها قال قد وصلت الى ما كان هود يعدنى به بعد الموت وقد حصلت عليه فى الدنيا فلما أراد دخولها أمر الله تعالى ملكا فصاح بهم صيحة الغضب وقبض ملك الموت أرواحهم فى طرفة عين فخروا على وجوههم صرعى قال الله تعالى وأنه أهلك عادا الأولى وذلك قبل هلاك عاد بالريح العقيم وأخفى الله تعالى تلك المدينة عن أعين الناس فكانوا يرون بالليل فى تلك البرية التى بنيت فيها معادن الذهب والفضة واليواقيت تضىء كالمصابيح فاذا وصلوا اليها لم يجدوا هنالك شيأ * وقد نقل أن رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقال له عبد الله بن قلابة الانصارى دخل اليها وذلك أنه ضلت له ابل فخرج فى طلبها فوصل اليها فلما

يسلم عليك وهو يقول لك أبشر فان قصرك فى الجنة غدا من أقرب القصور الى قصرى قال عبد الله فانتبهت لذلك فزعا مرعوبا وتفكرت ساعة فغلبنى النوم ثانيا فرأيت النبى صلى الله عليه وسلم أيضا يقول يا ابن المبارك لا تشك فى منامك فهو حق والشيطان لا يتمثل بصورتى قط فاذا قضيت حجك وحللت عقدك وانصرفت الى العراق فاطلب هذا المجوسى بهرام وبشره بما قلت لك فانتبهت أيضا فزعا مرعوبا واستعذت بالله واستغفرته وتفكرت ساعة فغلبنى النوم فنمت فرأيت النبى صلى الله عليه وسلم ثالث مرة وهو يقول يا ابن المبارك أنا محمد رسول الله فلا ترتبك فى ذلك وامتثل أمرى فهو حق فقلت يا رسول الله أريد بذلك علامة ألقاه بها فأخذ رسول الله كفى بيمينه ثم قال يا ابن المبارك هذا المجوسى شيخ زمن قد أتى عليه مائة وأربعون سنة وقد ضعف بصره وثقل سمعه وابيض شعره ودق عظمه ويبس عصبه وجلده فاذا أتيته وسلمت عليه وبشرته بما قلت لك وطلب منك علامة فامسح بيدك هذه التى أخذتها بيمينى على رأسه وامررها على وجهه وسائر جسده وبدنه فانه يعود شابا ويرجع اليه بصره وسمعه ويسود شعره ويطرى جسده ويقوى عصبه وتعود اليه قوته فانتبهت وأنا كالولهان فلما أن قضيت حجى وحللت عقدى وانصرفت الى العراق ودخلت بغداد سألت عن دار المجوسى فقلت يا غلام استأذن لى على مولاك فقال الغلام أغريب أنت قلت أجل قال ادخل ليس هنا من يحجبك قال فدخلت الى دار لم أر مثلها واذا بكهنة ومجوس وصبيان يقعدون وهم يتضون

رآه ادهش وبهت ورأى ما أذهله وحيره وقال فى نفسه هذه تشبه الجنة التى وعد الله بها عباده المتقين فى الآخرة فقصد بابا من أبوابها فلما وصل اليه أناخ راحلته ودخل المدينة فرأى تلك القصور والاثمار والاشجار ولم ير فى المدينة أحدا فقال أرجع الى معاوية وأخبره بهذه المدينة وما فيها ثم حمل معه شيأ من تلك الجواهر واليواقيت فى وعاء وجعله على راحلته وعلم على المدينة علامة وقال قربها من جبل عدن كذا ومن الجهة الفلانية كذا ثم انصرف عنها بعد ما ظفر بابله ثم دخل على معاوية رضى الله تعالى عنه بدمشق وأخبره بجميع ما رآه فقال له معاوية فى اليقظة رأيتها أم فى المنام قال بل فى اليقظة وقد حملت معى من حصبائها وأخرج له شيأ مما حمله من الجواهر واليواقيت فتعجب معاوية من ذلك ثم أرسل الى كعب الاحبار رضى الله تعالى عنه فلما دخل عليه قال له معاوية يا أبا اسحق هل بلغك ان فى الدنيا مدينة من ذهب قال نعم يا أمير المؤمنين وقد ذكرها الله عز وجل فى القرآن لنبيه صلى الله عليه وسلم بقوله عز من قائل ألم تر كيف فعل ربك بعاد إرم ذات العماد التى لم يخلق مثلها فى البلاد وقد أخفاها الله تعالى عن أعين الناس وسيدخلها رجل من هذه الامة يقال له عبد الله بن قلابة الانصارى ثم التفت فرأى عبد الله بن قلابة فقال ها هو يا أمير المؤمنين وصفته واسمه فى التوراة ولا يدخلها أحد بعده الى يوم القيامة وقيل ان ذلك كان فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه وان الرجل الذى دخلها حكى ذلك لعمر بن الخطاب فلم ينكره ولا من كان حاضرا بل قال ان النبى صلى الله عليه وسلم قال يدخلها بعض أمتى والله سبحانه وتعالى أعلم ﴿ومن المبانى العجيبة الخورنق﴾ الذى بناه النعمان بن امرئ القيس وهو النعمان الاكبر بناه فى عشرين سنة فلما انتهى أعجبه فخشى أن يبنى لغيره مثله فأمر أن يلقى بانيه من أعلاه فألقوه فتقطع واسم بانيه سنمار فصارت العرب تضرب به المثل يقولون جزاه جزاء سنمار قال الشاعر

جزى بنوه أبا الغيلان عن كبر * وحسن فعل كما يجزى سنمار

﴿ومن المبانى العجيبة حائط العجوز﴾ واسمها دلوك القبطية وسبب بنائها الذلك أنها ولدت ولدا فأخذت له الرصد فقيل لها يخشى عليه من التمساح فلما شب الغلام خافت عليه فبنت الحائط وجعلته من العريش الى أسوان شاملا لكورة مصر من الجانب الشرقى وقيل بنته خوفا على مصر وأهلها بعد غرق فرعون أن يطمع الملوك فيها وقد قيل انها أرادت أن تخوف ولدها من التمساح حتى لا ينزل البحر فصورت له صورة التمساح فرآه شكلا مهولا فأذهله وأخذه الفزع والهم فضعف وانسل الى أن مات لامفر من قضاء الله تعالى ﴿ومن المبانى العجيبة الاهرام﴾ وهى بالجانب الغربى من مصر مشاهدة فى زماننا هذا قيل ان دور الهرم الاكبر من الثلاثة ألف ذراع من كل جهة خمسمائة ذراع وعلوه خمسمائة ذراع وقد ذهب المأمون الى مصر حتى شاهدها على ما ذكر وتعجب من بنيانها وصفتها قيل ان كل حجر من حجارتها ثلاثون ذراعا فى عرض عشرة أذرع وقد أحكم الصاقه ونحته وتسويته ولا يقدر النجار الصانع أن يتخذ من خشب صندوقا صغيرا على احكامه وهى من عجائب الدنيا قال بعضهم

أين الذى الهرمان من بنيانه * ما قومه ما يومه ما المصرع

تتخلف الآثار عن سكانها * حينا ويدركها الفناء فتصرع

وزعم قوم أن الاهرام الموجودة بمصر قبور لملوك عظام أرادوا أن يتميزوا بها عن الناس بعد مماتهم كما تميزوا عنهم فى حياتهم ورجوا أن يبقى ذكرهم بسببها على تطاول الدهور وتراخى العصور * ولما وصل المأمون الى مصر أمر بنقبها فنقب أحدها بعد جهد شديد وعناء طويل فوجد داخله مزاليق ومهاوى يهول أمرها ويعسر السلوك فيها ووجد فى أعلاه بيت وفى وسطه حوض من رخام مطبق فلما كشف غطاؤه لم يوجد فيه الا رمة بالية فعند ذلك أمر المأمون بالكف عما سواه ويقال ان الذى بناها اسمه سوريد بن سهراق بن سرياق لرؤيا رآها وهى آفة تنزل من السماء وهى الطوفان فقالوا انه بناها فى ستة أشهر وقال قل لمن يأتى بعدنا يهدمها فى ستمائة سنة والهدم أيسر من البنيان وكسوناها الديباج الملون فليكسها حصرا والحصر أهون من الديباج والامر فيها عجيب جدا والله سبحانه وتعالى أعلم ﴿ومن المبانى العجيبة منارة الاسكندرية﴾ التى بناها ذو القرنين قيل انها كانت مبنية بحجارة مهندسة مغموسة فى الرصاص فيها نحو

الرهون ويعطون الدنانير والدراهم فقلت يا قوم أفيكم بهرام فقيل ادخل الدار الثانية فدخلتها فاذا ليس بينها وبين الدار الاولى نسبة بل تفاوت واذا بشيخ قاعد على دست ومرتبة على الصفة التى وصفها رسول الله صلى الله عليه وسلم وحوله جماعة من الكتاب والحساب وبين أيديهم الدنانير والدراهم كالبيادر الصغار وهم فى الحساب فسلمت كما أمرنى النبى صلى الله عليه وسلم فرد على السلام وكان قد شد حاجبه بعصابة فرفعها عن عينه ثم قال من الرجل قلت عبد الله بن المبارك فقال مرحبا بك لقد شممت بك رائحة زال بها الهم عن قلبى ادن منى فجلست الى جانبه فقال هل لك من حاجة قلت نعم قال وما هى قلت أرى أن أخلو بك ساعة فقال نعم وأمر من هنالك بالخروج فتهيؤا ثم خرجوا فبقيت أنا وهو وثلاثة شبان قلت هؤلاء اصرفهم يا بهرام كم تعد من السنين قال أعد مائة وأربعين سنة قلت فهل تعرف أنك عملت شيأ استوجبت به من الله الجنة قال لا أدرى الا أنى رزقت ثلاثة بنين وثلاث بنات فزوجت بعضهم من بعض وأعطيت مهورهن من عندى وأفردت لكل واحد منهم مالا ودارا وعقارا قلت لا تستوجب الجنة بل تستوجب النار فهل عملت شيأ صالحا لآخرتك قال قسمت ليلى ثلاثة أجزاء أما الجزء الاول فانى أقعد للسامرة وتقرأ على سير الاول فانفرج بذلك والجزء الثانى أعبد فيه النار وأسجد لها من دون الله الواحد القهار والجزء الثالث أتفكر فيه فى أمر معاشى ومعادى وأمنع نفسى عن النوم فى ذلك الجزء فان النوم فيه جهل وخمول ودناءة الا لضرورة فقلت هل لك فعل غير هذا قال لا

من ثلثمائة بيت تصعد الدابة بحملها الى كل بيت وللبيوت طاقات تطل على البحر ويقال ان طولها كان ألف ذراع وفي أعلاها تماثيل من نحاس منها تمثال رجل قد أشار بيده الى البحر فاذا صار العدو على نحو ليلة منه سمع له تصويت يعلم به أهل المدينة مجىء العدو فيستعدون له ومنها تمثال كلما مضى من الليل ساعة صوت صوتا مطربا ويقال انه كان باعلاها مرآة من الحديد الصيني عرضها سبعة أذرع كانوا يرون فيها المراكب بجزيرة قبرس وقيل كانوا يرون فيها من يخرج من البحر من جميع بلاد الروم فان كانوا أعداء تركوهم حتى يقربوا من المدينة فاذا مالت الشمس للغروب أداروا المرآة مقابلة الشمس واستقبلوا بها السفن فيقع شعاعها بضوء الشمس على السفن فتحرق في البحر ويهلك كل من فيها وكانت الروم تؤدي الخراج ليأمنوا بذلك من احراق السفن ولم تزل كذلك الى زمن الوليد بن عبد الملك * قال المسعودي قيل ان ملكا من الروم تحيل على الوليد وأظهر أنه يريد الاسلام وأرسل اليه تحفا وهدايا وأظهر له بواسطة حكماء كانوا عنده أن ببلاده دفائن وأرسل له بذلك قسيسين من خواصه وأرسل معهم أموالا قيل انهم حفروا بقرب المنارة ودفنوا تلك الاموال وقالوا للوليد ان تحت المنارة كنوزا لا تنفد وبازائها خبيئة بها كذا وكذا ألف دينار فامرهم باستخراج ما بالقرب من المنارة فان كان ذلك حقا استخرجوا ما تحت المنارة بعد هدمها فحفروا واستخرجوا ما دفنوه بايديهم فعند ذلك أمر الوليد بهدم المنارة واستخراج ما تحتها فهدموها فلم يجدوا تحتها شيأ وهرب أولئك القسيسون فعلم الوليد أنها مكيدة عليه فندم على ذلك غاية الندم ثم أمر ببنائها بالآجر ولم يقدروا أن يرفعوا اليها تلك الحجارة فلما أتموها نصبوا عليها المرآة كما كانت فصدئت ولم يروا فيها شيأ مثل ما كانوا يرون أولا وبطل احراقها فندموا على ما فعلوا وفاتهم من جهلهم وطمعهم نفع عظيم ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وقد عملت الجن لسليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام في الاسكندرية مجلسا على أعمدة من الجزع اليماني المصقول كالمرآة اذا نظر الانسان اليها يرى من يمشي خلفه لصفائها وفي وسط ذلك المجلس عمود من الرخام طوله مائة واحد عشر ذراعا وفي تلك الاعمدة عمود واحد يتحرك شرقا وغربا بطلوع الشمس وغروبها يشاهد الناس ذلك ولا يعلمون ما سببه * وفي مدينة حمص مدينة أخرى تحت المدينة المسكونة العليا فيها من عجائب البنيان والبيوت والغرف والماء الجاري في كل طريق من طرقها ما لا يعلمه الا الله تعالى * وعند حوران مدينة عظيمة يقال لها اللجأة فيها من البنيان ما يعجز عن وصفه ألسنة العقلاء كل دار منها مبنية من الصخر المنحوت ليس في الدار خشبة واحدة بل أبوابها وغرفها وسقوفها وبيوتها من الصخر المنحوت الذي لا يستطيع أحد أن يعمله من الخشب وفي كل دار بئر وطاحون وكل دار مفردة لا يلاصقها دار أخرى وكل دار كالقلعة الحصينة اذا خاف أهل تلك النواحي من العدو دخلوا الى تلك المدينة فينزل كل انسان في دار بجميع عياله وخيله وغنمه وبقره ويغلق بابه ويجعل خلف الباب حصاة فلا يقدر أحد على فتح ذلك الباب لاحكامه وفي هذه المدينة أكثر من مائتي ألف دار فيما يقال ولا يعلم أحد من بناها وسمتها العرب اللجأة لانهم يلجؤن اليها عند الخوف (ومن المباني العجيبة ايوان كسرى أنوشروان) بناه سابور ذو الاكتاف في نيف وعشرين سنة وطوله مائة ذراع في عرض خمسين بناه بالآجر والجص وجعل طول كل شرافة من شرافاته خمسة عشر ذراعا ولما ملك المسلمون المدائن أحرقوا هذا الايوان فاخرجوا منه ألف ألف دينار ذهبا (وحكى) أن المنصور لما أراد بناء بغداد عزم على هدمه وأن يجعل آلته في بنائها فقيل له ان نقضه يتكلف بقدر العمارة فلم يسمع وهدم شرافة وحسب ما أنفق عليها فوجد الامر كذلك وقيل ان بعض رؤساء مملكته قال له لما أراد هدمه هو آية الاسلام فلا تهدمه (وحكى) أنه كان بمدينة قيسارية كنيسة بها مرآة اذا اتهم الرجل امرأته بزنا نظر في تلك المرآة فيرى صورة الزاني فاتفق أن بعض الناس قتل غريمه فعمد أهله اليها فكسروها والله سبحانه وتعالى أعلم وقد اقتصرت من ذلك على هذا القدر اليسير وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الباب السابع والستون في ذكر المعادن والاحجار وخواصها

المعادن لا تكاد تحصى لكن منها ما يعرفونه الناس ومنها ما لا يعرفونه وهي مقسومة الى ما يذوب والى ما لا يذوب والذي اشتهر بين الناس من المعادن سبعة وهي الذهب والفضة والنحاس والحديد والقصدير والاسرب والخارصيني * ولنبدأ أولا بذكر الذهب فقيل طبعه حار لطيف ولشدة اختلاط أجزائه المائية بالترابية قيل ان

قلت يفعل الله ما يشاء ويحكم ما يريد فبم استحقيت يا بهرام الجنة قال ويحك يا ابن المبارك أتقطع لي بالجنة وأنت عالم المسلمين من أخبرك بذلك قلت أخبرني الصادق الامين الذي لا ينطق عن الهوى صلى الله عليه وسلم قال فما القصة فحدثته بالمنام الذي رأيته وبما قاله النبي صلى الله عليه وسلم مرارا فقال يا ابن المبارك وهل لذلك علامة ظاهرة قلت نعم ادن مني فدنا فمسحت بيدي رأسه ووجهه وصدره وبدنه وأولاده ينظرون فصار شابا حسنا طريا سميعا بصيرا واسود شعره وابيضت بشرته فلما رأى ذلك قال امدد يدك يا شيخ أنا أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ثم قال يا شيخ أخبرك السبب الذي أوجب الله لي به هذه المنزلة قلت نعم قال كنت من مدة قد أولمت وليمة عامة للمسلمين والنصارى واليهود والمجوس على خاصة فأكلوا وانصرفوا وانقضت الوليمة فلما كان في بعض الليل طرق طارق الباب وقد هدأ الناس ونام الخدام لما أصابهم من التعب بسبب الوليمة وأنا جالس منتبه فقلت من بالباب فقالت يا بهرام أنا امرأة من جيرانك فاوقد لي هذا السراج قال بهرام والمجوس لا ترى اخراج النار من بيوتهم ليلا فتحيرت في أمري وقمت ولم أنبه أحدا فاسرجت لها السراج فانصرفت وأطفأت السراج وعادت وقالت يا بهرام قد انطفأ فاسرجه لي فلما أسرجته قالت يا بهرام والله ما جئتك لاجل سراج ولكن جئتك من أجل ثلاث بنات شممن روائح طعامك فهن ملقيات على وجوههن يتضاورن كالمرأة الثكلى أو كالحية في المقلى فان كان قد بقي في دارك فضل طعام فاعطني فانك ان شاء الله تملك بذلك الجنة فقلت حبا وكرامة

النار لا تقدر على تفريق أجزائه فلا يحترق ولا يبلى ولا يصدأ وهو أبيض براق حلو الطعم أصفر اللون فالصفرة من نار يته والليونة من دهنيته والبراقة من صفاء مائيته * خواصه يقوي القلب ويدفع الصرع تعليقا ويمنع الفزع والخفقان ويقوي العين كحلا ويجلوها اذا كان ميلا ويحسن نظرها واذا ثقبت به الاذن لم تلتحم واذا كوي به لم ينفط ويبرأ سريعا وامساكه في الفم يزيل البخر ﴿الفضة﴾ قريبة منه وتصدأ وتحترق وتبلى بالتراب واذا أصابتها رائحة الرصاص والزئبق تكسرت أو رائحة الكبريت اسودت ومن خواصها أنها تزيل البخر من الفم اذا وضعت فيه واذا أذيبت مع الزئبق وطلي بها البدن نفع ذلك من الحكة والجرب وعسر البول ﴿النحاس﴾ قريب منها لكنه أيبس وأغلظ في الطبع ومن خواصه اذا اصدئ وطلي بالحامض زال صدؤه والاكل في آنيته يولد أمراضا لا دواء لها ﴿الحديد﴾ كثير الفائدة اذ ما من صنعة الا وله فيها مدخل (ومن خواصه) أنه يمنع غطيط النائم اذا علق عليه وحمله يقوي القلب ويزيل الخوف والافكار والاحلام الرديئة وييسر النفس وصدؤه ينفع أمراض العين كحلا والبواسير تحملا (القصدير) صنف من الفضة دخل عليه آفات من الارض (ومن خواصه) أنه اذا ألقي في قدر لم ينضج ما فيها (الاسرب) هو الرصاص (ومن خواصه) أنه يكسر الماس ومن خواص الماس الدخول في كل شيء واذا شد من الرصاص قطعة على الخنازير والغدد أبرأتها ﴿الخارصيني﴾ حجر لونه أسود يعطي حمرة ومن خواصه اذا عمل منه مرآة ونظر فيها في الظلمة نفعت للقوة واذا نتف الشعر بلقاط منه لم ينبت

﴿الاحجار الجوهرية﴾ أصل الجوهر وهو الدر على ما قيل ان حيوانا يصعد من البحر على ساحله وقت المطر ويفتح أذنه يلتقط بها المطر ويضمها ويرجع الى البحر فينزل الى قراره ولا يزال طابقا أذنه على ما فيها خوفا أن يختلط بأجزاء البحر حتى ينضج ما فيها ويصير درا فان كانت القطرة صغيرة كانت الدرة صغيرة وان كانت كبيرة فكبيرة فان كان في بطن هذا الحيوان شيء من الماء المر كانت الدرة كدرة وان لم يكن كانت صافية وقيل غير ذلك الدر نوعان كبير وصغير قيل انه تصل الواحدة الى مثقال (خواصه) أنه يفرح القلب ويبسط النفس ويحسن الوجه ويصفي دم القلب واذا خلط مع الكحل شد عصب العين ﴿الياقوت﴾ سيد الاحجار وأصول ألوانه أربعة الاحمر والاصفر والازرق والاسمانجوني ويتولد منها ألوان كثيرة وأعدلها الاحمر الخالص الرماني الشبيه بحب الرمان الأحمر ودونه الأحمر المشرب ببياض ثم الوردي ثم الخمري ثم العصفري وأردؤه الازرق الذي لونه يشبه زهر السوسن وأقله قيمة الابيض * خواصه أنه لا يعمل فيه الفولاذ ولا حجر الماس ولا تدنسه النار ويورث لابسه مهابة ووقارا ويسهل قضاء الحوائج ويدر الريق في الفم ويقطع العطش ويدفع السم ويقوي القلب وجميعه ينفع للمصروع تعليقا والابيض منه يبسط النفس ويوجد من الاصفر ما وزنه ثلاثون مثقالا على ما قيل (البلخش) هو مقارب للياقوت في القيمة ودونه في الشرف (ومن خواصه) أنه يورث قبض النفس وسوء الخلق والحزن وهو ألوان أحمر وأخضر وأصفر (البنفش) أصناف أحمر مفتوح اللون صاف وأحمر قوي الحمرة وأسود يعلوه حمرة مطوسة بزرقة خفيفة ثم أصفر مفتوح اللون (عين الهر) حجر يتكون من معدن الياقوت والغالب عليه البياض الناصع باشراق مفرط ومائيته رقيقة شفافة وفي مائيته سر اذا حرك يمينا تحركت يسارا وبالعكس (ومن خواصه) اذا علق على العين أمن عليها من الجدري على ما قيل (الماس) يوجد بواد بالهند يقال انه مشحون بالحيات فيأتي من يريد استخراجه من ذلك الوادي فيضع في الوادي مرآة كبيرة فتأتي الحيات فتنظر الى خيالها في المرآة فتنفر من ذلك الجانب فينزل فيأخذ ما له فيه رزق وقيل انهم ينحرون الجزر ويلقون لحمها في ذلك الوادي فيلتصق الماس وغيره باللحم فتأتي الطير فتختطف اللحم وتصعد به الى الجبال فتأكل اللحم وتترك الحجر فيأخذه صاحب اللحم وقيل ان الحيات لها مشتى ستة أشهر في مكان ومصيف ستة أشهر في مكان آخر فاذا ذهبت الى مشتاها ومصيفها أخذ الحجر في غيبتها والله أعلم بصحة ذلك * ومن عجيب أمره أنه اذا أريد كسره جعل في أنبوبة قصب وضرب فانه يتفتت وكذا اذا جعل في شمع أو قار واذا جعل عليه دم تيس وقرب من النار ذاب (ومن خواصه) أن الملوك يتخذونه عندهم لشرفه وهو من السموم القاتلة القطعة الصغيرة منه اذا حصلت في الجوف ولو بقدر السمسمة خرقت الامعاء (ومن خواصه الجليلة) أنه يعرف عند وجوده السم أو الطعام المسموم (الزمرد) ويسمى الزبرجد وهو ألوان أخضر وزنجاري وصابوني ويكون الحجر منه خمسة مثاقيل وأقل

فأخذت منديلا كبيرا فجعلت فيه من كل شيء كان في البيت من الحلو والحامض وأخرجت كيسا فيه ألف دينار وكيسا فيه ستة آلاف درهم وستة أثواب من ديباج وستة أثواب مروزية وشددت الجميع وقلت احملي هذا الى عيالك واقسمي عليهم فمدت يدها فلم تطق حمله لضعفها فقالت يا بهرام أعني أعانك الله على الوقوف بين يديه وخفف عليك الحساب في ذلك اليوم الشديد فقلت ياهذه كيف أفعل وأنا شيخ كبير وقد مضى علي مائة ونيف وثلاثون سنة ثم تفكرت لحظة وطاب لذلك قلبي فقلت لها شيلي على رأسي فشالته واستقل على رأسي فسال لذلك عرقي حتى صرت في منزلها فحططت الطعام ووضعت الرزمة وجعلت ألقم البنات الى أن شبعن ونشطن ثم قسمت عليهن الثياب والدراهم والدنانير ففرحن وتبسمن فلما أردت القيام قلن بأجمعهن يا بهرام أصلح الله لك أمورك وأدام سرورك كما أصلحت أمورنا وأدمت سرورنا وفرحك يوم القيامة كما فرحتنا وختم لك بخير وأنزلك أقرب قصر من قصر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم في دار الجنان وأنا أقول آمين ومازلت أرجو استجابة دعائهن قلت يا بهرام أبشر فان الله حقق لك ذلك ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم لا تحقرن من المعروف شيأ ولو أنك تفرغ من دلوك في اناء أخيك ماء قال عبد الله بن المبارك فتصدق بهرام في ذلك اليوم بمائة ألف درهم ومائة ألف دينار ومائة ألف ثوب مروزيات وبألفي ثوب ديباج وفرق سائر أمواله على أولاده وبناته وأسلموا جميعا وفرق الاخوة عن الاخوات وزوج أولاده بالمسلمات وبناته بالمسلمين وأسلم في ذلك اليوم خلق كثير من المجوس ثم انفرد عن

(ومن خواصه) أنه يدفع العين و يفرح القلب و يقوى البصر و يصفى الذهن و ينشط النفس (الفيروزج) نوعان اسحاقى وخلنجى وأجوده الاسحاقى الازرق الصافى (خواصه) النظر فيه يجلو البصر و يقويه و ينشط النفس ولا يصيب المتختم به آفة من قتل أو غرق وقال جعفر الصادق رضى الله تعالى عنه ما افتقرت يد تختمت بفيروزج واذا مضى له بعد خروجه من معدنه عشرون سنة نقص لونه ولا يزال كذلك حتى ينطفئ (العقيق) معدن بأرض صنعاء باليمن وهو ألوان و يوجد عليه غشاوة و يحمى عليه ببعر الابل ثم يبرد و يكسر وقيل يوجد بالهند ولكن اليمنى أجود (خواصه) التختم به وحمله يورث الحلم والاناة وتصويب الراى و يسر النفس و يكسب حامله وقارا وحسن خلق و يسكن الحدة عند الخصومة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تختم بالعقيق لم يزل فى بركة (الجزع) هو حجر أيضا يؤتى به من اليمن والصين وألوانه كثيرة والناس يكرهونه لانه يورث الهم والاحلام الرديئة وسوء الخلق وتعسر قضاء الحوايج ويكثر بكاء الصبى وسيلان لعابه و يثقل اللسان اذا سحق وشرب ماؤه واذا وضع بين قوم لا علم لهم به حصلت بينهم العداوة ولكنه يسهل الولادة تعليقا (البلور) هو صنف من الزجاج يحكى أن ببلاد كيسان جبلين أحدهما بلور واذا أريد قطع البلور فى ذلك الموضع قطع فى الليل لانه فى النهار يكون له شعاع عظيم (خواصه) النظر فيه يشرح القلب و يبسط النفس و يسكن وجع الضرس (المرجان) هو واسطة بين النبات والمعدن لانه بتشجره يشبه النبات و بتحجره يشبه المعدن ولا يزال لينا فى معدنه فاذا فارقه تحجر و يبس (خواصه) النظر فيه يشرح الصدر و يبسط النفس و يفرح القلب و يذهب بالداء المحتبس فى العين و يسكن الرمد وسحاقته المخلوطة بالخل تجلو قلح الاسنان واذا وضع على الجرح منعه من الانتفاخ وأنواعه كثيرة أحمر وأزرق وأبيض وأصله من البحر قيل انه شجر ينبت وقيل انه من حيوانه (حجر المناطيس) هو حجر هندى لا يعمل فيها الحديد والبيت الذى يكون فيه لا يدخله السحر ولا الجن ولاجل ذلك كان الاسكندر يحمله فى عسكره (الحجر الماهانى) من تختم به أمن من الروع والهم والحزن والغم ولونه أبيض وأصفر و يوجد بأرض خراسان (حجر مراد) يوجد بناحية الجنوب (وخاصيته) أن الجن تتبع حامله وتعمل له ما أراد (الدهنج) خاصيته انه اذا سقى انسان من حكه يفعل فعل السم واذا سقى شارب السم منه نفعه واذا مسح به موضع اللدغ سكن و ينفع من خفقان القلب واذا طلى بحكاكته بياض البرص أزاله وان علق على انسان غلب عليه الباه (السبج) خواصه أنه يقوى النظر الضعيف من الكبر أو نزول الماء ولبسه ينفع عسر البول وادمان النظر فيه يحد البصر وسحاقته تجلو البصر واذا علق على من به صداع زال عنه (المغناطيس) يوجد فى بحر الهند وهناك لا يتخذ فى السفن حديد و يوجد ببلاد الاندلس أيضا وأجود أنواعه ما كان أسود يضرب الى الحمرة (خواصه) الاكتحال بسحاقته يورث ألفة بين المكتحل و بين من يحبه و يسهل الولادة تعليقا ومن تختم به كانت حاجته مقضية وتعليقه فى العنق يزيد فى الذهن واذا سحق وشرب من سحاقته من به سم بطل سمه واذا أصابته رائحة الثوم بطلت خاصيته واذا غسل بالخل عاد الى حالته وأجود ما جذب نصف مثقال من حديد (حجر الخطاف) الخطاف يوجد فى عشه حجران أحدهما أحمر والآخر أبيض فالاحمر اذا علق على من يفزع فى نومه زال فزعه والابيض اذا علق على من به صرع زال عنه (حجر الزاج) اذا دخن البيت بسحاقته هرب منه الفأر والذباب (حجر الزنجفر) أصله من الزئبق واستحال (وخاصيته) أنه يدمل الجراحات و ينبت اللحم (حجر الملح) هو أنواع وأجوده ما يوجد بأرض سدوم بالقرب من بحر لوط وقد جعله الله قوام الدنيا (ومن خاصيته) أنه يحسن الذهب و يزيد فى صفرته وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال يا على ابدأ بالملح واختم به فان فيه شفاء من سبعين داء (حجر النطرون) قال ارسطو ينفع الارحام التى غلبت عليها الرطوبة ينشفها و يقويها واذا ألقى فى العجين طيبه و بيضه ونشفه وهو نوعان أبيض وأحمر (حجر اللازورد) مشهور قال ارسطو من تختم به عظم فى أعين الناس و ينفع من السهر والله أعلم * ومن أراد التعمق فى ذلك فعليه بالكتب الموضوعة له ولكن قد ذكرنا ما هو معروف والحمد لله على كل حال وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

* الباب الثامن والستون فى الاصوات والألحان وذكر الغناء واختلاف الناس فيه ومن كرهه ومن استحسنه *

أهله ولزم المحراب يعبد الله فلم يلبث الا قليلا حتى توفى رحمة الله عليه ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم (روى عن سعد ابن سعيد) أنه قال كان فى جوار معروف الكرخى رجل مجوسى من أبناء الأغنياء و جد الخليفة عليه فصادره وأخذ منه ألف ألف دينار فافتقر بعد الغنى وذل بعد العز وكان له أعداء وحساد فقالوا للخليفة انه قد بقى له مال جسيم فلا تظن انه عديم فأمر بمصادرته ثانيا فلما علم المجوسى ذلك دخل بيت النار وقصد ما كان يعبد من دون الجبار وقال ان لم تخلصينى آمنت برب معروف فلم يجبه أحد ولم ينتفع بسجوده للنار ولا للنور فلما جن عليه الليل اغتسل وأتى مسجد معروف الكرخى فلم يجده فى المسجد فرفع رأسه وقال يا اله ابراهيم وعيسى ومحمد واله معروف و يا من لا اله الا هو تحققت أن ما عبدته من دونك باطل لا يضر ولا ينفع وانى جئتك تائبا مما فعلت متبرئا مما عبدت منفصلا عما اعتقدت موقنا بك شاهدا بأن لا اله الا أنت إله الأولين والآخرين وأنت المعبود الحق تفعل ما تشاء ولا يكون الا ما تريد انك على كل شئ قدير فاغفر لى ما تقدم من ذنبى وجهلى واسرافى ولا تنظر الى سوء عملى ومعصيتى واصرف شر الخليفة وأعوانه عنى فقد وجهت وجهى اليك ثم قال أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله يا محمد تشفعت بك الى الله فاقبلنى ثم سجد وأطال سجوده وهو يناجى ربه و يبكى فأتى معروف المحراب فرآه كذلك فبقى متفكرا فى أمره لا يتحقق من هو واذا هو بغلام من خواص الخليفة قد دخل المسجد يسأل عن المجوسى باسمه ونسبه فقال معروف بيته فى موضع كذا

وماذكرت ذلك الا انى كرهت أن يكون كتابى هذا بعد اشتماله على فنون الأدب والتحف والنوادر والأمثال عاطلا من هذه الصناعة التى هى مراد السمع ومرتع النفس وربيع القلب ومجال الهوى ومسلاة الكئيب وأنس الوحيد وزاد الراكب لعظم موقع الصوت الحسن من القلب وأخذه بمجامع النفس

﴿فصل فى الصوت الحسن﴾ قال بعض أهل التفسير فى قوله تعالى يزيد فى الخلق ما يشاء هو الصوت الحسن وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال أتدرون متى كان الحداء قالوا لا بأبينا أنت وأمنا يا رسول الله قال ان أباكم مضر خرج فى طلب مال له فوجد غلاما له قد تفرقت ابله فضربه على يده بالعصا فعدا الغلام فى الوادى وهو يصيح وايداه فسمعت الابل صوته فعطفت عليه فقال مضر لو اشتق من الكلام مثل هذا لكان كلاما تجتمع عليه فاشتق الحداء وقال النبى صلى الله عليه وسلم لابى موسى الاشعرى رضى الله تعالى عنه لما أعجبه حسن صوته لقد أوتيت مزمارا من مزامير آل داود وقيل ان داود عليه الصلاة والسلام كان يخرج الى صحراء بيت المقدس يوما فى الاسبوع ويجتمع عليه الخلق فيقرأ الزبور بتلك القراءة الرخيمة وكان له جاريتان موصوفتان بالقوة والشدة فكانتا يضبطان جسده ضبطا شديدا خيفة أن تتخلع أوصاله مما كان ينتحب وكانت الوحوش والطير تجتمع لاستماع قراءته قال مالك بن دينار رحمه الله تعالى بلغنا أن الله تعالى يقيم داود عليه الصلاة والسلام يوم القيامة عند ساق العرش فيقول يا داود مجدنى اليوم بذلك الصوت الحسن الرخيم وقال سلام الحادى للمنصور وكان يضرب المثل بحدائه مر يا أمير المؤمنين بان يظمؤا الابل ثم يوردوها الماء فانى آخذ فى الحداء فترفع رؤسها وتترك الشرب وزعم أهل الطب أن الصوت الحسن يجرى فى الجسم مجرى الدم فى العروق فيصفو له الدم وتنمو له النفس ويرتاح له القلب وتهتز له الجوارح وتخف له الحركات ولهذا كرهوا للطفل أن ينام على أثر البكاء حتى يرقص ويطرب وزعمت الفلاسفة ان النغم فضل بقى من النطق لم يقدر اللسان على استخراجه فاستخرجته الطبيعة بالالحان على الترجيع لا على التقطيع فلما ظهر عشقته النفس وحنت اليه الروح الا ترى الى أهل الصناعات كلها اذا خافوا الملالة والفتور على أبدانهم ترنموا بالالحان واستراحت اليها أنفسهم وليس من أحد كائنا من كان الا وهو يطرب من صوت نفسه ويعجبه طنين رأسه ولو لم يكن من فضل الصوت الحسن الا أنه ليس فى الارض لذة تكتسب من مأكل ولا مشرب ولا ملبس ولا نكاح ولا صيد الا وفيها معاناة على البدن وتعب على الجوارح ما خلا السماع فانه لا معاناة فيه على البدن ولا تعب على الجوارح وقد يتوصل بالالحان الحسان الى خيرى الدنيا والآخرة فمن ذلك انها تبعث على مكارم الاخلاق من اصطناع المعروف وصلة الأرحام والذب عن الاعراض والتجاوز عن الذنوب وقد يبكى الرجل بها على خطيئته ويتذكر نعيم الملكوت ويمثله فى ضميره ولأهل الرهبانية نغمات وألحان شجية يمجدون الله تعالى بها ويبكون على خطاياهم ويتذكرون نعيم الآخرة وكان أبو يوسف القاضى يحضر مجلس الرشيد وفيه الغناء فيجعل مكان السرور به بكاء كأنه يتذكر نعيم الآخرة وقد تحن القلوب الى حسن الصوت حتى الطير والبهائم وكان صاحب الفلاحات يقول ان النحل أطرب الحيوان كله على الغناء قال الشاعر

والطير قد يسوقه للموت ✽ اصغاؤه الى حنين الصوت

وزعموا ان فى البحر دواب ربما زمرت أصواتا مطربة ولحونا مستلذة يأخذ السامعين الغشى من حلاوتها فاعتنى بها واضعة الالحان بأن يشبهوا بها أغانيهم فلم يبلغوا وربما يغشى على سامع الصوت الحسن للطافة وصوله الى الدماغ وممازجته للقلب ألا ترى الى الأم كيف تناغى ولدها فيقبل بسمعه على مناغاتها أو يتلهى عن البكاء والابل تزداد فى نشاطها وقوتها بالحداء فترفع آذانها وتلتفت يمنة ويسرة وتتبختر فى مشيتها وزعموا أن السماكين بنواحى العراق يبنون فى جوف الماء حفائر ثم يضربون عندها بأصوات شجية فيجتمع السمك فى الحفائر فيصيدونه وقد نبهت على ذلك فى باب ذكر البحار وما فيها من العجائب والراعى اذا رفع صوته ونفخ فى يراعته تلقته الغنم بآذانها وجدت فى رعيها والدابة تعاف الماء فاذا سمعت الصفير بالغت فى الشرب وليس شئ مما يستلذ به أخف مؤنة من السماع قال أفلاطون من حزن فليسمع الأصوات الحسنة فان النفس اذا حزنت خمدت نارها فاذا سمعت ما يطربها ويسرها اشتعل منها ما خمد وما زالت ملوك فارس تلهى المحزون بالسماع وتعلل به المريض وتشغله عن التفكر ومنهم أخذت العرب حتى قال ابن نفيلة الشيبانى

وكذا فقال من هناك جئت وقيل لى انه فى مسجد معروف فوالله لا بأس عليه فان الخليفة قد بعثنى اليه برسالة لطيفة تسر قلبه وهو منتظره على ان يؤمنه ويرد عليه ما أخذه منه وكفى بالله شهيدا فقال معروف لست أرى فى المسجد أحدا يشبه من تذكره الا هذا الساجد لله المناجى لربه فاصبر له حتى يرفع رأسه فوقف صاحب الخليفة على رأسه ساعة ثم قال يا هذا ارفع رأسك ولا تبك أمير المؤمنين قد قضى حاجتك وبعثنى برسالة لطيفة لتصير اليه حتى يرد عليك ما أخذه منك فرفع رأسه واذا معروف واقف فقال يا معروف ما أكرم هذا الباب وما أحلم صاحبه وما أقربه الى من دعاه ثم قال يا معروف امدد يدك انى أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله وانى رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا ورسولا وان القرآن كلام الله جاء به محمد بن عبد الله وأنا مؤمن بذلك كله ثم تبع الرسول وذهب معروف الكرخى معه فلما وصلوا الى دار الخليفة واذا به واقف على الباب فاستقبلهما وسلم عليهما وصافح كلا منهما ومشى معهما الى مجلسه واقعدهما الى جانبه وأقبل يعتذر اليهما مما وقع منه وأمر بالاموال التى أخذت من المجوسى فاحضرت بين يديه عن آخرها ثم قال له تأمل هذه الاموال أليست هى التى أخذت منك قال نعم قال فخذها بارك الله لك فيها واجعلنى فى حل مما وقع منى واستغفر الله لى فقال يغفر الله لك ثم قال يا أمير المؤمنين أما الأموال فهى لك حلال بعد أن هدانى الله الى دين الاسلام ولكن أعلمنى ما الذى دعاك الى طلبى فى هذا الوقت ورد هذا المال على قال نعم كنت نائما واذا أنا

وسماع مسمعة يعللنا * حتى ننام تناوم العجم

(وحكى) أن البعلبكى مؤذن المنصور رجع فى أذانه ليلة وجارية تصب الماء على يد المنصور فارتعدت حتى وقع الابريق من يدها فقال له المنصور خذ هذه الجارية فهى لك ولا تعد ترجع هذا الترجيع وقال عبد الرحمن بن عبد الله بن أبى عمار فى قينة

ألم ترها لا أبعد الله دارها * اذا رجعت فى صوتها كيف تصنع
تدير نظام القول ثم ترده * الى صلصل من صوتها يترجع

(وبعد) فهل خلق الله شيأ أوقع بالقلوب وأشد اختلاسا للعقول من الصوت الحسن لاسيما اذا كان من وجه حسن كما قال الشاعر

رب سماع حسن * سمعته من حسن * مقرب من فرح
مبعد من حزن * لا فارقانى أبدا * فى صحة من بدن

وهل على الارض من جبان مستطار الفؤاد يغنى بقول جرير

قل للجبان اذا تأخر سرجه * هل أنت من شرك المنية ناجى

الا شاش وشجعت نفسه وقوى قلبه أم هل على الارض من بخيل قد انقبضت أطرافه يوما يغنى بقول حاتم الطائى

يرى البخيل سبيل المال واحدة * ان الجواد يرى فى ماله سبلا

الا انبسطت أنامله ورشحت أطرافه * واختلف الناس فى الغناء فاجازه عامة أهل الحجاز وكرهه عامة أهل العراق فن حجة من اجازه ماروى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لحسان شن الغطاريف على بنى عبد مناف فوالله لشعرك عليهم أشد من وقع السهام فى غلس الظلام واحتجوا فى اباحة الغناء واستحسانه بقول النبى صلى الله عليه وسلم لعائشة رضى الله تعالى عنها أهديتم الفتاة الى بعلها قالت نعم قال فبعثتم معها من يغنى قالت لم نفعل قال أوما علمت أن الانصار قوم يعجبهم الغزل ألا بعثتم معها من يقول

أتيناكم أتيناكم * فحيونا نحييكم * ولولا الحبة السمرا * لم نحلل بواديكم

ولا بأس بالغناء اذا لم يكن فيه أمر محرم ولا يكره السماع عند العرس والوليمة والعقيقة وغيرها فان فيه تحريكا لزيادة سرور مباح أو مندوب ويدل عليه ماروى من انشاد النساء بالدف والألحان عند قدوم النبى صلى الله عليه وسلم حيث قلن

طلع البدر علينا * من ثنيات الوداع * وجب الشكر علينا
مادعا لله داع * أيها المبعوث فينا * جئت بالامر المطاع

ويدل عليه ماروى عن عائشة رضى الله تعالى عنها أنها قالت رأيت النبى صلى الله عليه وسلم يسترنى بردائه وأنا أنظر الى الحبشة يلعبون فى المسجد الحرام حتى أكون أنا التى أسأمه ويدل عليه أيضا ماروى فى الصحيحين من حديث عقيل عن الزهرى عن عروة عن عائشة رضى الله تعالى عنها أن أبا بكر دخل عليها وعندها جاريتان فى أيام منى يدففان ويضربان والنبى صلى الله عليه وسلم متغش بثوبه فانتهرهما أبو بكر فكشف النبى صلى الله عليه وسلم عن وجهه وقال دعهما ياأبا بكر فانها أيام عيد وعن قرة بن خالد بن عبد الله بن يحيى قال قال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه للنابغة الجعدى أسمعنى بعض ماعفا الله لك عنه من هناتك فاسمعه كلمة فقال له وانك لقائلها قال نعم قال طالما غنيت بها خلف جمال الخطاب وعن عبد الله بن عوف قال أتيت باب عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فسمعته يغنى بالركابية يقول

فكيف ثوائى بالمدينة بعدما * قضى وطرا منها جميل بن معمر

وكان جميل بن معمر من أخصاء عمر قال فلما استأذنت عليه قال لى أسمعت ماقلت قلت نعم قال انا اذا خلونا قلنا مايقول الناس فى بيوتهم وقد أجازوا تحسين الصوت فى القراءة والأذان فان كانت الألحان مكروهة فالقراءة والاذان أحق بالتنزيه عنها وان كانت غير مكروهة فالشعر أحوج اليها لاقامة الوزن وما جعلت العرب الشعر موزونا الا لمد الصوت والدندنة ولولا ذلك لكان الشعر المنظوم كالخبر المنثور ومن حجة من كره الغناء انه قال انه ينفر القلوب ويستفز العقول ويبعث على اللهو ويحض على الطرب وهذا باطل فى اصله وتأولوا فى ذلك قوله تعالى ومن الناس من يشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزوا وأخطأ من أول هذا التأويل انما نزلت هذه الآية فى قوم كانوا يشترون الكتب من أخبار السير والاحاديث القديمة

تر رسول الله صلى الله عليه وسلم قد دخل على ومعه صف من الملائكة وصف من الصحابة فسلم على وقال ان الله تبارك وتعالى يقرئك السلام ويقول لك ان عبدنا فلانا المجوسى كنا قد دعوناه فى الذر فاجابنا وكان فى المجوسية مستترا ولنا معه عناية وقد جاء الآن الينا تائبا وعما كان منه تائبا وهو فى مسجد معروف الكرخى مستجير ابجنابنا منك فابعث فى طلبه ورد عليه ما أخذ منه ولا تقطع المعاملة بيننا فانتبهت مرعوبا فأرسلت فى طلبك وها هو مالك قد رددناه عليك ودفعناه اليك فخر الرجل ساجدا لله تعالى ثم رفع رأسه وبكى وقال واندماه واأسفاه والهفاه كيف تركت عبادة الرحمن الرحيم واشتغلت بعبادة النيران وضيعت العمر والزمان ثم قال ياأمير المؤمنين لا حاجة لى فى هذا المال خذه فهو حلال لك فقال أمير المؤمنين لا أرجع بشئ أمرنى ربى باخراجه فقال ياأمير المؤمنين لا حاجة لى فى المال أشهدك انى قد جعلته صدقة فى فقراء المسلمين لا حظ لى فيه ولا لاحد من أهلى فقال الخليفة يامعروف بقى الامر اليك فاحمل المال وتصدق به على الفقراء والمساكين وأبناء السبيل والايتام والارامل فدعا له معروف وأخذ بيد الرجل وحمل المال على البغال وصافحهما أمير المؤمنين وسأل الرجل أن يحالله عما وقع منه ولازم الرجل معروفا الكرخى الى أن مات تغمده الله برحمته ﴿وحكى عن معن بن زائدة الشيبانى﴾ ان شاعرا قصده فأقام مدة يريد الدخول اليه فلم يتهيأ له ذلك فلما أعياه ذلك قال لبعض خدمه اذا دخل الامير البستان فعرفنى فلما دخل معن البستان عرفه الخادم عنه فكتب الشاعر بيتا من الشعر على خشبة وألقاها فى الماء الداخل الى البستان

ويضاهون بها القرآن ويقولون انها أفضل منه وليس من سمع الغناء يتخذ آيات الله هزؤا وقال رجل للحسن البصري ماتقول فى الغناء يا أبا سعيد فقال نعم العون على طاعة الله تعالى يصل الرجل به رحمه ويواسى به صديقه قال ليس عن هذا أسألك قال وعم سألتنى قال أن يغنى الرجل قال وكيف يغنى فجعل الرجل يلوى شدقيه ويفتح منخريه فقال الحسن والله يا ابن أخى ماظننت أن عاقلا يفعل بنفسه هذا أبدا فلم ينكر الحسن عليه الا تشويه وجهه وتعويج فمه وسمع ابن المبارك سكران يغنى هذا البيت

أذلنى الهوى فأنا الذليل * وليس الى الذى أهوى سبيل

قال فاخرج دواة وقرطاسا وكتب البيت فقيل له أتكتب بيت شعر سمعته من رجل سكران فقال أما سمعتم المثل رب جوهرة فى مزبلة * وكان لابى حنيفة جار من الكيالين مغرم بالشراب وكان يغنى على شرابه بقول العرجى

أضاعونى وأى فتى أضاعوا * ليوم كريهة وسداد ثغر

قال فاخذه العسس ليلة وحبسه ففقد أبو حنيفة صوته واستوحش له فقال لاهله مافعل جارنا الكيال قالوا أخذه العسس وهو فى الحبس فلما أصبح أبو حنيفة توجه الى عيسى بن موسى فاستأذن عليه فاسرع اذنه وكان أبو حنيفة قليلا ما يأتى أبواب الملوك فاقبل عليه عيسى بن موسى وسأله عما جاء بسببه فقال أصلح الله الامير ان لى جارا من الكيالين أخذه عسس الامير ليلة كذا فوقع فى حبسه فامر عيسى بن موسى باطلاق كل من فى الحبس اكراما لابى حنيفة فاقبل الكيال على أبى حنيفة يتشكر له فلما رآه أبو حنيفة قال له هل أضعناك يافتى يعرض له بشعره الذى ينشده قال لا والله ولكنك بررت وحفظت * وكان عروة بن أدية ثقة فى الحديث روى عنه مالك بن أنس وكان شاعرا مجيدا لبقا غزلا وكان يصوغ ألحان الغناء على شعره وينحلها للمغنين قيل انه وقفت عليه امرأة يوما وحوله التلامذة فقالت له أنت الذى يقال فيك الرجل الصالح وأنت تقول

اذا وجدت أوار الحب فى كبدى * عمدت نحو سقاء القوم ابترد

هبنى بردت ببرد الماء ظاهره * فمن لنار على الاحشاء تتقد

وكان عبد الملك ابن الملقب بالقس عند أهل مكة بمنزلة عطاء بن أبى رباح فى العبادة قيل انه مر يوما بسلامة وهى تغنى فقام يسمع غناءها فرآه مولاها فقال له هل لك أن تدخل وتسمع فأبى فلم يزل به حتى دخل فغنته فاعجبته ولم يزل يسمعها ويلاحظها النظر حتى شغف بها فلما شعرت بلحظه اياها غنته

رب رسولين لنا بلغا * رسالة من قبل أن نبرحا

الطرف للطرف بعثناهما * فقضيا حاجا وماصرحا

قال فاغمى عليه وكاد يهلك فقالت له انى والله أحبك قال وأنا والله أحبك قالت وأحب أن أضع فمى على فمك قال وأنا والله كذلك قالت فما يمنعك من ذلك قال أخشى أن تكون صداقة مابينى وبينك عداوة يوم القيامة أما سمعت قوله تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين ثم نهض وعاد الى طريقته التى كان عليها وانشأ يقول

قد كنت أعذل فى السفاهة أهلها * فاعجب لما تأتى به الأيام

فاليوم أعذرهم وأعلم أنما * سبل الضلالة والهدى أقسام

(وقدم) عبد الله بن جعفر على معاوية بالشام فانزله فى دار عياله وأظهر من اكرامه مايستحقه فغاظ ذلك فاختة بنت قرظة زوج معاوية فسمعت ذات ليلة غناء عند عبد الله بن جعفر فجاءت الى معاوية فقالت هلم فاسمع مافى منزل الذى جعلته من لحمك ودمك وأنزلته بين حرمك فجاء معاوية فسمع شيأ حركه وأطربه فقال والله انى لاسمع شيأ تكاد الجبال أن تخر له ثم انصرف فلما كان فى آخر الليل سمع معاوية قراءة عبد الله بن جعفر وهو قائم يصلى فنبه فاختة وقال لها أسمعى مكان ما أسمعتنى هؤلاء قومى ملوك بالنهار ورهبان بالليل ثم ان معاوية أرق ذات ليلة فقال لخادمه اذهب فانظر من عند عبد الله بن جعفر وأخبره انى قادم عليه فذهب وأخبره فاقام عبد الله كل من كان عنده فلما جاء معاوية لم ير فى المجلس غير عبد الله فقال مجلس من هذا قال عبد الله هذا مجلس فلان يا أمير المؤمنين فقال معاوية مره فليرجع الى مجلسه حتى لم يبق الا مجلس رجل واحد قال مجلس من هذا قال مجلس رجل يداوى الآذان يا أمير المؤمنين قال ان أذنى عليلة فمره أن يرجع الى مجلسه وكان مجلس بديح المغنى فامره عبد الله بن جعفر فرجع الى موضعه فقال له معاوية داو أذنى من علتها فتناول العود وغنى

فاتفق ان معنا كان جالسا فى ذلك الوقت على رأس الماء فمرت به فاخذها فاذا فيها كتابة فقرأها وهى

أيا جود معن ناج معنا بحاجتى
فمالى الى معن سواك شفيع

فقال من صاحب هذه فدعى بالرجل فقال له كيف قلت فانشد البيت فامر له بمائة ألف درهم فاخذها وأخذ الامير الخشبة فوضعها تحت بساطه فلما كان اليوم الثانى قرأها ودعا بالرجل فدفع له مائة ألف درهم على العادة ثم دعاه ثالث مرة فقرأ البيت ودفع له مائة ألف درهم فلما أخذ الجائزة الثالثة خشى الشاعر أن يندم فيأخذ منه مادفع اليه فسافر فلما كان فى اليوم الرابع طلبه معن فلم يجده فقال معن حق على لو مكث لاعطينه حتى لا يبقى فى بيتى درهم ولا دينار (وحكى عنه أيضا) أنه أتى بجملة من الاسرى فعرضهم على السيف فقال له بعضهم أصلح الله الامير نحن أسراك وبنا جوع وعطش فلا تجمع علينا الجوع والعطش والقتل فامر لهم بطعام وشراب فاكلوا وشربوا ومعن ينظر اليهم فلما فرغوا قال الرجل أصلح الله الامير كنا أسراك ونحن الآن أضيافك فانظر ماتصنع باضيافك قال قد عفوت عنكم فقال الرجل أيها الامير ماندرى أى يوم أشرف يوم ظفرك بنا أو يوم عفوك عنا فامر لهم بمال وكسوة (وحكى) ان المنصور أهدر دم رجل كان يسعى فى فساد دولته مع الخوارج من أهل الكوفة وجعل لمن دل عليه وجاء به مائة ألف درهم ثم انه ظهر ببغداد فبينما هو يمشى مختفيا فى بعض نواحيها اذ بصر به رجل من أهل الكوفة فعرفه فاخذ بمجامع ثيابه وقال هذا بغية أمير المؤمنين فبينما الرجل على تلك الحالة اذ سمع وقع حوافر الخيل

وقال		ودّع سعاد فان الركب مرتحل * وهل تطيق وداعاً أيها الرجل

قال فحرك عبد الله بن جعفر رأسه فقال له معاوية لم حركت رأسك يا ابن جعفر قال أريحية أجدها يا أمير المؤمنين لو لقيت لابليت ولو سئلت لاعطيت وكان معاوية قد خضب قال فقال ابن جعفر لبديح هات غير هذا وكان عند معاوية جارية أعز جواريه عليه وكانت تتولى خضابه فغنى بديح وقال

أليس عندك شكر للتي جعلت * ما ابيض من قادمات الرأس كالحمم

وجددت منك ما قد كان أخلقه * صرف الزمان وطول الدهر والقدم

فطرب معاوية طرباً شديداً وجعل يحرك رجله فقال له ابن جعفر يا أمير المؤمنين انك سألتني عن تحريك رأسي فأجبتك وأخبرتك وأنا أسألك عن تحريك رجلك فقال كل كريم طروب ثم قام وقال لا يبرح أحد منكم حتى يأتي له اذني ثم ذهب فبعث الى ابن جعفر بعشرة آلاف دينار ومائة ثوب من خاصة كسوته والى كل رجل منهم بألف دينار وعشرة أثواب * وحدث ابن الكلبي والهيثم بن عدي قالا بينما عبد الله بن جعفر في بعض أزقة المدينة اذ سمع غناء فاصغى اليه فاذا صوت رقيق لقينة تغني وتقول

قل للكرام ببابنا يلجوا * ما في التصابي على الفتى حرج

فنزل عبد الله عن دابته ودخل على القوم بلا اذن فلما رأوه قاموا اجلالاً له ورفعوا مجلسه فاقبل عليه صاحب المجلس وقال يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم أتدخل مجلسنا بلا اذن وليس هذا من شأنك فقال عبد الله لم أدخل الا باذن قال ومن أذن لك قال قينتك هذه سمعتها تقول * قل للكرام ببابنا يلجوا * فولجنا فان كنا كراماً فقد أذن لنا وان كنا لئاماً خرجنا مذمومين فقبل صاحب المنزل يده وقال جعلت فداك والله ما أنت الا من أكرم الناس فبعث عبد الله الى جارية من جواريه فحضرت ودعا بثياب وطيب فكسا القوم وطيبهم ووهب الجارية لصاحب المنزل وقال هذه أحذق بالغناء من جاريتك * وسمع سليمان بن عبد الملك مغنياً في عسكره فقال اطلبوه فجاؤا به فقال أعد علي ما غنيت به فغنى واحتفل وكان سليمان أغير الناس فقال لاصحابه كأنها والله جرجرة الفحل في الشول وما أظن أنثى تسمع هذا الاصبت اليه ثم أمر به فخصي *(أصل الغناء ومعدنه)* قال أبو المنذر هشام الغناء على ثلاثة أوجه النصب والسناد والهزج فأما النصب فغناء الفتيان والركبان وأما السناد فالثقيل الترجيع الكثير النغمات وأما الهزج فالخفيف كله وهو الذي يستفز القلوب ويهيج الحليم وقيل كان أصل الغناء ومعدنه في أمهات القرى فاشيا ظاهراً وهي المدينة والطائف وخيبر وفدك ووادي القرى ودومة الجندل واليمامة وهذه القرى مجامع أسواق العرب ويقال ان أول من صنع العود لامك بن قابن بن آدم وبكى به على ولده ويقال ان صانعه بطليموس صاحب الموسيقى وهو كتاب اللحون الثمانية والله سبحانه وتعالى أعلم بحقيقة ذلك وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب التاسع والستون في ذكر المغنين والمطربين وأخبارهم ونوادر الجلساء في مجالس الرؤساء)

(قيل) ان أول من غنى في العرب قينتان للنعمان يقال لهما الجرادتان ومن غنائهما

ألا يا قيل ويحك قم فهينم * لعل الله يسقينا غماما

وانما غنتا هذا حين حبس الله عنهم المطر وقيل أول من غنى في الاسلام الغناء الرقيق طويس وهو الذي علم ابن سريج والدلال نوبة الضحى وكان يكنى أبا عبد النعيم ومن غنائه وهو أول صوت غني به في الاسلام هذا البيت		قد براني الشوق حتى * كدت من وجدي أذوب

ثم نجم بعد طويس ابن طنبور وأصله من اليمن وكان أهزج الناس وأخفهم غناء ومن غنائه

وفتيان على شرب جميعاً * دلفت لهم بباطية هدور

فلا تشرب بلا طرب فاني * رأيت الخيل تشرب بالصفير

ومنهم حكم الوادي ومن غنائه

أمدح الكاس ومن أعملها * واهج قوماً قتلونا بالعطش

انما الراح ربيع باكر * فاذا ما وافت المرء انتعش

فالتفت فاذا معن بن زائدة فقال يا أبا الوليد أجرني أجارك الله فوقف وقال للرجل المتعلق به ما شأنك قال بغية أمير المؤمنين الذي أهدر دمه وجعل ان دل عليه وأتى به مائة ألف درهم فقال دعه يا غلام انزل عن دابتك واحمل الرجل عليها فصاح الرجل بالناس وقال أيحال بيني وبين من طلبه أمير المؤمنين فقال له معن اذهب اليه وأخبره انه عندي فانطلق الى باب المنصور فأخبره فأمر المنصور باحضار معن فلما أتى الرسول الى معن دعا أهل بيته ومواليه وقال أعزم عليكم لا يصل الى هذا الرجل مكروه وفيكم عين تطرف ثم سار الى المنصور فدخل عليه وسلم عليه فلم يرد عليه السلام وقال يا معن أتتجرأ علي قال نعم يا أمير المؤمنين قال ونعم أيضاً واشتد غضبه فقال يا أمير المؤمنين مضت أيام كثيرة قد عرفتم فيها حسن بلائي في خدمتكم فما رأيتموني أهلاً ان يوهب الى رجل واحد استجار بي بين الناس وتوسم أني عند أمير المؤمنين من بعض عبيده وكذلك أنا فمر بما شئت ها أنا بين يديك فأطرق المنصور ساعة ثم رفع رأسه وقد سكن ما به من الغضب وقال قد أجرنا من أجرت يا معن قال فان رأى أمير المؤمنين أن يجمع بين الاجرين فيأمر له بصدقة فيكون قد أحياه وأغناه قال قد أمرنا له بخمسين ألف درهم قال يا أمير المؤمنين ان صلات الخلفاء على قدر جنايات الرعية وان ذنب الرجل عظيم فاجزل له الصلة قال قد أمرنا له بمائة ألف درهم قال عجلها يا أمير المؤمنين فان خير البر تعجيله فانصرف معن بالمال للرجل وقال له خذ صلتك والحق باهلك واياك ومخالفة خلفاء الله في أمورهم (حكى الجاحظ) قال أخبرني فتى من أصحاب الحديث

وكان لهرون الرشيد جماعة من المغنين منهم ابراهيم الموصلي وابن جامع السهمي وغيرهما وكان له زمر يقال له برصوما وكان ابراهيم أشدهم تصرفا في الغناء وابن جامع أحلاهم نغمة فقال الرشيد يوما لبرصوما ماتقول في ابن جامع قال يا أمير المؤمنين وما أقول في العسل الذي من حيثما ذقته فهو طيب قال فابراهيم الموصلي قال بستان فيه جميع الأزهار والرياحين وكان ابن محرز يغني كل انسان بما يشتهيه كأنه خلق من قلب كل انسان * وغنى رجل بحضرة الرشيد بهذه الأبيات

وأذكر أيام الحمى ثم أنثني * على كبدي من خشية ان تصدعا * فليست عشيات الحمى براجع
عليه ولكن خل عينيك تدمعا * بكت عيني اليسرى فلما نهيتها * عن الجهل بعد الحلم أسبلتا معا

قال فاستخف الرشيد الطرب فأمر له بمائة ألف درهم * وحدث ابن الكلبي عن أبيه قال كان ابن عائشة من أحسن الناس غناء وأنبههم فيه وكان من أضيق الناس خلقا اذا قيل له غن قال ألمثلي يقال غن علي عتق رقبة ان غنيت يومي هذا فلما كان في بعض الأيام سال وادي العقيق فلم يبق في المدينة مخبأ ولا مخدرة ولا شاب ولا كهل الا خرج يبصره وكان فيمن خرج ابن عائشة المغني وهو معتجر بفضل ردائه فنظر اليه الحسن بن الحسن ابن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهم وكان الحسن فيمن خرج الى العقيق وبين يديه عبدان أسودان كأنهما سار يتان عشيان أمام دابته فقال لهما أقسم بالله ان لم تفعلا ما آمركما به لأنكلن بكما فقالا يامولانا قل ما تأمرنا به فلو أمرتنا أن نقتحم النار فعلنا قال اذهبا الى ذلك الرجل المعتجر بفضل ردائه فامسكاه فان لم يفعل ما آمره به والا فاقذفا به في العقيق قال فمضيا والحسن يقفوهما فلم يشعر ابن عائشة الا وهما آخذان بمنكبيه فقال من هذا فقال له الحسن أنا هذا يا ابن عائشة فقال لبيك وسعديك بأبي أنت وأمي قال اسمع مني ما أقول لك واعلم انك مأسور في أيديهما وقد أقسمت ان لم تغن مائة صوت ليطرحانك في العقيق قال فصاح ابن عائشة واويلاه واعظم مصيبتاه فقال له الحسن دعنا من صياحك وخذ فيما ينفعنا قال اقترح وأقم من يحصي ثم أقبل يغني فترك الناس العقيق وأقبلوا عليه فلما تمت أصواته مائة كبر الناس بلسان واحد تكبيرة ارتجت لها أقطار الارض وقالوا للحسن صلى الله على جدك حيا وميتا فما اجتمع لاحد من أهل المدينة سرور قط الا بكم أهل البيت فقال له الحسن ما فعلت هذا بك يا ابن عائشة الا لاخلاقك الشرسة فقال ابن عائشة والله ما مرت بي شدة أعظم من هذه لقد بلغت أطراف أعضائي فكان ابن عائشة بعد ذلك اذا قيل له ما أشد يوم مر عليك يقول يوم العقيق * وحدث أبو جعفر البغدادي قال حدثني عبد الله بن محمد كاتب بغداد عن أبي عكرمة قال خرجت يوما الى المسجد الجامع فمررت بباب أبي عيسى بن المتوكل فاذا على بابه المشدود وهو أحذق خلق الله تعالى بالغناء فقال أين تريد يا أبا عكرمة قلت المسجد الجامع لعلي أستفيد حكمة أكتبها فقال ادخل بنا الى أبي عيسى قلت أمثل أبي عيسى في قدره وجلالته يدخل عليه بلا اذن فقال للحاجب أعلم أمير المؤمنين بمكان أبي عكرمة فما لبث الا ساعة واحدة حتى خرج الغلمان الي فحملوني حملا فدخلت الى دار ما رأيت أحسن منها بناء ولا أظرف منها هيئة فلما نظرت الى أبي عيسى قال لي يا بغيض من يحتشم اجلس فجلست فأتينا بطعام كثير فلما انقضى أتينا بشراب وقامت جارية تسقينا شرابا كالشعاع في زجاجة كأنها كوكب دري فقلت أصلح الله الامير وأتم عليه نعمه ولا سلبه ما وهبه قال فدعا أبو عيسى بالمغنين وهم المشدود ودبيس ورقيق ولم يكن في ذلك الزمان أحذق من هؤلاء الثلاثة بالغناء فابتدأ المشدود وغنى يقول

لما استقل بأرداف تجاذبه * واخضر فوق بياض الدر شاربه * وأشرق الورد من نسرين وجنته
واهتز أعلاه وارتجت حقائبه * كلمته بجفون غير ناطقة * فكان من رده ما قال حاجبه

ثم سكت وغنى دبيس

الحب حلو أمرته عواقبه * وصاحب الحب صب القلب ذائبه * استودع الله من بالطرف ودعني
يوم الفراق ودمع العين ساكبه * ثم انصرفت وداعي الشوق يهتف بي * ارفق بقلبك قد عزت مطالبه

ثم سكت وغنى رقيق

بدر من الانس حفته كواكبه * قد لاح عارضه واخضر شاربه * ان يوعد الوعد يوما فهو مخلفه
أو ينطق القول يوما فهو كاذبه * عاطيته كدم الأوداج صافية * فقام يشدو وقد مالت جوانبه

قال دخلت ديرا في بعض المنازل لما ذكر لي ان به راهبا حسن المعرفة باخبار الناس وأيامهم فسرت له لاسمع كلامه فوجدته في حجرة معتزلة بالدير وهو على أحسن هيئة في زي المسلمين فكلمته فوجدت عنده من المعرفة أكثر مما وصفوا فسألت عن سبب اسلامه فحدثني أن جارية من بنات الروم كانت في هذا الدير نصرانية كثيرة المال بارعة الجمال بديعة الشكل والمثال فاحبت غلاما مسلما خياطا وكانت تبذل له مالها ونفسها والغلام يعرض عن ذلك ولا يلتفت اليها وامتنع عن المرور بالدير فلما أعيتها الحيلة فيه طلبت رجلا ماهرا في التصوير وأعطته مائة دينار على أن يصور لها صورة الغلام في دائرة على شكله وهيئته ففعل المصور فلم تخط الصورة شيأ منه غير النطق وأتى بها الى الجارية فلما أبصرتها أغمى عليها فلما أفاقت أعطت المصور مائة دينار أخرى وأخرج الراهب لي الصورة فرأيتها فكاد ان يزل عقلي فلما خلت الجارية بالصورة رفعتها الى حائط حجرتها ومازالت كل يوم تأتي الصورة وتقبلها وتلثم ما تصب منها ثم تجلس بين يديها وتبكي فاذا أمست قبلتها وانصرفت فمازالت على تلك الحال شهرا فمرض الغلام ومات فعملت الجارية مأتما وعزاء سار ذكره في الآفاق وصارت مثلا بين الناس ثم رجعت الى الصورة وصارت تلثمها وتقبلها الى أن أمست فباتت الى جانبها فلما أصبحنا دخلنا عليها لنأخذ من خاطرها فوجدناها ميتة ويدها ممدودة الى الحائط نحو الصورة وقد كتب عليه هذه الأبيات

ياموت حسبك نفسي بعد سيدها
خذها اليك فقد أودت بما فيها
أسلمت وجهي الى الرحمن مسلمة
ومت موت حبيب كان يحييها

ثم سكت وابتدأ المشدود يقول

يادير حنة من ذات الاكيراح * من يصح عنك فانى لست بالصاحى

ثم سكت وغنى دبيس دع البساتين من آس وتفاح * واعدل هديت الى شيخ الاكيراح

واعدل الى فتية ذابت لحومهم * من العبادة الا نضوأشباح

وخمرة عتقت فى دنها حقبا * كأنها دمعة فى جفن سباح

ثم سكت وغنى رقيق لاتحفلن بقول الدائم اللاحى * واشرب على الورد من مشمولة الراح

كأسا اذا انحدرت فى حلق شاربها * أغناه لألاؤها عن كل مصباح

مازلت أسقى نديمى ثم ألثمه * والليل ملتحف فى ثوب أمساح

فقام يشدو وقد مالت سوالفه * يادير حنة من ذات الاكيراح

ثم أقبل أبو عيسى على المشدود وقال له غن لى شعرى فغناه

يالجة الدمع هل للغمض مرجوع * أم الكرى من جفون العين ممنوع

ماحيلتى وفؤادى هائم دنف * بعقرب الصدغ من مولاى ملسوع

لا والذى تلفت نفسى بفرقته * فالقلب من فرق الاحزان مصدوع

ماأرق العين الاحب مبتدع * ثوب الجمال على خديه مخلوع

قال أبو عكرمة فوالله لقد حضرت من المجالس مالايحصى عدده الاالله تعالى فما حضرت مثل ذلك المجلس ولولا أن أباعيسى قطعهم ماانقطعوا (وحكى) عن الرشيد أنه قال يوما للفضل بن الربيع من بالباب من الندماء قال جماعة فيهم هاشم بن سليمان مولى بنى أمية وأمير المؤمنين يشتهى سماعه قال فأذن له وحده فدخل فقال هات ياهاشم فغناه من شعر جميل حيث يقول

اذا ماتراجعنا الذى كان بيننا * جرى الدمع من عينى بثينة بالكحل

فياويح نفسى حسب نفسى الذى بها * وياويح عقلى ماأصيب به أهلى

خليلى فيما عشتما هل رأيتما * قتيلا بكى من حب قاتله قبلى

قال فطرب الرشيد طربا شديدا وقال أحسنت لله أبوك ثم قلده عقدا نفيسا فلما رآه هاشم ترقرقت عيناه بالدموع فقال له الرشيد مايبكيك ياهاشم فقال ياأمير المؤمنين ان لهذا العقد حديثا عجيبا ان أذن لى أمير المؤمنين حدثته به قال قد أذنت لك قال ياأمير المؤمنين قدمت يوما على الوليد وهو على بحيرة طبرية ومعه قينتان لم ير مثلهما جمالا وحسنا فلما وقعت عينه على قال هذا اعرابى قد ظهر من البوادى ادعوا به فنسخر به فدعانى فسرت اليه ولم يعرفنى فغنت احدى الجاريتين بصوت هولى فاخطأته الجارية فقلت لها أخطأت ياجارية فضحكت ثم قالت ياأمير المؤمنين ألم تسمع مايقول هذا الاعرابى يعيب علينا غناءنا فنظر الى كالمنكر فقلت ياأمير المؤمنين أنا أبين لك الخطأ فلتصلح وتر كذا وتترك كذا ففعلت وغنت شيأ ماسمعته منها الا فى هذا اليوم فقامت الجارية مكبة على وقالت أستاذى هاشم ورب الكعبة فقال الوليد أهاشم بن سليمان أنت قلت نعم ياأمير المؤمنين وكشفت عن وجهى وأقمت معه بقية يومنا فأمر لى بثلاثين ألف درهم فقالت الجارية ياأمير المؤمنين أتأذن لى فى بر أستاذى فقال الوليد ذلك اليك فحلت ياأمير المؤمنين هذا العقد من عنقها ووضعته فى عنقى وقالت هولك ثم قربوا اليه السفينة ليرجع الى موضعه فركب فى السفينة وطلعت معه احدى الجاريتين واتبعتها صاحبتى فارادت أن ترفع رجلها وتطلع السفينة فسقطت فى الماء فغرقت لوقتها وطلبت فلم يقدر عليها فاشتد جزع الوليد عليها وبكى بكاء شديدا وبكيت أنا عليها أيضا بكاء شديدا فقال لى ياهاشم ماترجع عليك عاوهبناه لك ولكن نحب أن يكون هذا العقد عندنا نتذكرها به فبعنى اياه فعوضنى عنه ثلاثين ألف درهم فلما وهبتنى العقد ياأمير المؤمنين تذكرت قضيته وهذا سبب بكائى فقال الرشيد لاتعجب فان الله كما ورثنا مكانهم ورثنا أموالهم * وقال على بن سليمان النوفلى غنى دحمان الاشقر عند الرشيد يوما فأنشده

اذا نحن أدلجنا وأنت أمامنا * كفى لمطايانا برؤياك هاديا

ذكرتك بالديرين يوما فأشرفت * بنات الهوى حتى بلغن التراقيا

لعلها فى جنان الخلد يجمعها

بمن تحب غدا فى العشار بها

مات الحبيب وماتت بعده كمدا

محبة لم تزل تشقى محبيها

قال الراهب فشاع الخبر وحملها المسلمون ودفنت الى جانب قبر الغلام فلما أصبحنا دخلنا حجرتها فرأينا تحت شعرها مكتوبا

أصبحت فى راحة مما جنته يدى

وصرت جارة رب واحد صمد

محا الاله ذنوبى كلها وغدا

قلبى خليا من الاحزان والكمد

لما قدمت الى الرحمن مسلمة

وقلت انك لم تولد ولم تلد

أتانى رحمة منه ومغفرة

وأنعما باقيات آخر الأبد

(قيل) اجتمع الصوفية الى أبى القاسم الجنيد وقالوا ياأستاذ نخرج ونسعى فى طلب الرزق قال لهم ان علمتم أين هو فاطلبوه قالوا فنسأل الله أن يرزقنا قال ان علمتم انه ينسا كم فذكروه قالوا فنجلس اذا ونتوكل قال التجربة شك قالوا فما الحيلة قال ترك الحيلة (قيل) اجتمع اربعة من الأئمة الشافعى وأحمد بن حنبل وأبو ثور ومحمد بن الحكم رضى الله تعالى عنهم عند أحمد بن حنبل يتذاكرون فصلوا صلاة المغرب وقدموا الشافعى ثم مازالوا يصلون فى المسجد الى أن صلوا العتمة ثم دخلوا بيت أحمد بن حنبل ودخل أحمد على امرأته ثم خرج على أصحابه وهو يضحك فقال الشافعى مم تضحك ياأباعبد الله قال خرجت الى الصلاة ولم يكن فى البيت لقمة من طعام والآن فقد وسع الله علينا قال الشافعى فما سببه قال أحمد قالت لى أم عبد الله انكم لما خرجتم الى الصلاة جاء رجل عليه ثياب بيض حسن الوجه عظيم الهيئة ذكى الرائحة فقال ياأحمد بن حنبل فقلنا لبيك فقال ها كم خذوا هذا فسلم الينا زنبيلا

اذا ما طواك الدهر يا أم مالك * فشأن المنايا القاضيات وشانيا

قال فطرب الرشيد طربا شديدا واستعاده منه مرات ثم قال له تمن على قال أتمنى المهني والمري وهما ضيعتان غلتهما اربعون ألف دينار في كل سنة فامر له بهما فقيل له يا أمير المؤمنين ان هاتين الضيعتين من جلالتهما يجب أن لا يسمح بمثلهما فقال الرشيد لا سبيل الى استرداد ما أعطيت ولكن احتالوا في شرائهما منه فساوموه فيهما حتى وقفوا معه على مائة ألف دينار فرضي بذلك فقال الرشيد ادفعوها له فقالوا يا أمير المؤمنين في اخراج مائة ألف دينار من بيت المال طعن ولكن نقطعها له فكان يوصل بخمسة آلاف وثلاثة آلاف حتى استوفاها (ومن ذلك) ما حكى اسحق الموصلي قال كان الواثق بن المعتصم أعلم الناس بالغناء وكان يضع الالحان العجيبة ويغني بها شعره وشعر غيره فقال له يوما يا أبا محمد لقد فقت أهل العصر في كل شيء فغنني شعرا أرتاح اليه وأطرب عليه يومي هذا قال اسحق فغنيته هذه الأبيات

ما كنت أعلم ما في البين من حرق * حتى تنادوا بان قد جيء بالسفن
قامت تودعني والدمع يغلبها * فهمهمت بعض ما قالت ولم تبن
مالت الي وضمتني لترشفني * كما يميل نسيم الريح بالغصن
وأعرضت ثم قالت وهي باكية * يا ليت معرفتي اياك لم تكن

قال فخلع على خلعة كانت عليه وأمر لي بمائة ألف درهم قال وغنيته يوما

قفي ودعينا يا سعاد بنظرة * فقد حان منا يا سعاد رحيل
فيا جنة الدنيا ويا غاية المنى * ويا سؤل نفسي هل اليك سبيل
وكنت اذا ما جئت جئت لعلة * فافنيت علاتي فكيف أقول
فما كل يوم لي بارضك حاجة * ولا كل يوم لي اليك وصول

فقال والله لا سمعت يومي غيره وألقى على خلعة من ثيابه وأمر لي بصلة ما أمر لي قبلها بمثلها (ومن حكايات الخلفاء ومكارم أخلاقهم) ما حكى عن ابراهيم بن المهدي قال قال جعفر بن يحيى يوما لبعض ندمائه اني قد استأذنت أمير المؤمنين في الخلوة غدا فهل من مساعد فقلت جعلت فداك أنا أسعد بمساعدتك وأسر بمشاهدتك فقال بكر بكور الغراب قال فأتيته عند الفجر فوجدت الشموع قد أوقدت بين يديه وهو ينتظرني في الميعاد فما زلنا في أطيب عيش الى وقت الضحى فقدمت الينا موائد الاطعمة عليها من أفخر الطعام وأطيبه فأكلنا وغسلنا أيدينا ثم خلعت علينا ثياب المنادمة وضمخنا بالخلوق وانتقلنا الى مجلس الطرب ومدت الستائر وغنت القينات فظللنا بأنعم يوم ثم انه داخله الطرب فدعا بالحاجب وقال له اذا أتى أحد يطلبنا فأذن له ولو كان عبد الملك ابن صالح بنفسه فاتفق بالامر المقدر ان عم الرشيد عبد الملك بن صالح قدم علينا في ذلك الوقت وكان صاحب جلالة وهيبة ورفعة وعنده من الورع والزهد والعبادة ما لا مزيد عليه وكان الرشيد اذا جلس مجلسا لهؤلاء لا يطلعه على ذلك لشدة ورعه فلما قدم دخل به الحاجب علينا فلما رأيناه رمينا ما في أيدينا وقمنا اجلالا له نقبل يده وقد ارتعنا لذلك وخجلنا وزادنا الحياء فقال لا بأس عليكم كونوا على ما أنتم عليه ثم صاح بغلام فدفع له ثيابه ثم أقبل علينا وقال اصنعوا بنا ما صنعتم بانفسكم قال فما كان باسرع من أن طرحت عليه ثياب خز معلم وقدمت اليه موائد الطعام والشراب فطعم وشرب الشراب لساعته ثم قال خففوا عني فانه شيء والله ما فعلته قط قال فتهلل وجه جعفر ثم التفت الى عبد الملك فقال له جعلت فداك قد علوت علينا وتفضلت فهل من حاجة تبلغها قدرتي وتحيط بها نعمتي فاقضيها لك مكافأة لك على ما صنعت قال بلى ان في قلب أمير المؤمنين بعض تغير علي فتسأله الرضا عني فقال جعفر قد رضي عنك أمير المؤمنين قال وعلي عشرة آلاف دينار فقال جعفر هي حاضرة لك من مالي ولك من مال أمير المؤمنين مثلها قال وأريد أن أشد ظهر ابني ابراهيم بمصاهرة من أمير المؤمنين قال قد زوجه أمير المؤمنين بابنته الغالية قال وأحب أن تخفق الالوية على رأسه قال وقد ولاه أمير المؤمنين مصر فانصرف عبد الملك ابن صالح وبقيت متعجبا من اقدام جعفر على ذلك من غير استئذان وقلت عسى أن يجيبه أمير المؤمنين الى ما سأله من الولاية والمال والرضا عنه الا المصاهرة قال فلما كان من الغد بكرت الى باب الرشيد لانظر ما يكون من أمرهم فدخل جعفر فلم يلبث ان دعي بابي يوسف القاضي ثم بابراهيم بن عبد الملك بن صالح فخرج ابراهيم وقد عقد نكاحه بالغالية بنت الرشيد وعقد له على مصر والرايات والالوية تخفق على رأسه وخرج

أبيض وعليه منديل طيب الرائحة وطبق مغطى بمنديل آخر وقال كلوا من رزق ربكم واشكروا له فقال الشافعي يا أبا عبد الله فما في الزنبيل والطبق فقال عشرون رغيفا قد عجنت باللبن واللوز المقشور أبيض من الثلج وأذكى من المسك ما رأى الراؤن مثله وخروف مشوي مزعفر حار وملح في سكرجة وخل في قارورة على الطبق وبقل وحلواء متخذة من سكر طبرزذ ثم أخرج الكل ووضعه بين أيديهم فتعجبوا من شأنه وأكلوا ما شاء الله قال فلم تذهب حلاوة ذلك الطعام والحلواء مدة طويلة وكل من أكل من ذلك الطعام ما احتاج الى طعام غيره مدة شهر فلما أن فرغوا من الأكل حمل أحمد ما بقي منه وأدخله الى أهله فأكلوا وشبعوا وبقي منه شيء فاجمع رأيهم على أن الطعام كان من غيب الله وان الرسول كان ملكا من الملائكة قال صالح بن أحمد بن حنبل ما أصابتنا مجاعة قط ما دام ذلك الزنبيل في بيتنا وكان يأتينا الرزق من حيث لا نحتسب رضي الله تعالى عنهم وأعاد علينا من بركاتهم (قيل) ان عبد الله بن معمر القيسي كان أميرا من أمراء العرب وكان بطلا شجاعا جوادا ذا مروءة وافرة قال حججت سنة من السنين الى بيت الله الحرام وصحبت مالا كثيرا ومتجرا عزيزا فلما اقضيت حجي عدت لزيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم فبينما أنا ذات ليلة بين القبر والمنبر في الروضة اذ سمعت أنينا عاليا وحسا باديا فانصت اليه فاذا هو يقول

أشجاك نوح حمائم الدر
فأهجن منك بلابل الصدر
أم ذادنومك ذكر غانية
أهدت اليك وساوس الفكر
في ليلة نام الخلي بها
وخلفت بالاحزان والذكر

كل من في القصر معه الى بيت عبد الملك بن صالح قال ثم بعد ذلك خرج الينا جعفر وقال أظن ان قلوبكم تعلقت بحديث عبد الملك بن صالح وأحببتم سماع ذلك قلنا هو كما ظننت قال لما دخلت على أمير المؤمنين ومثلت بين يديه قال كيف كان يومك يا جعفر بالأمس فقصصت عليه القصة حتى بلغت الى دخول عبد الملك بن صالح فكان متكئا فاستوى جالسا وقال لله أبوك ما سألك قلت سألني رضاك عنه يا أمير المؤمنين قال بم أجبته قلت قد رضي عنك أمير المؤمنين قال قد رضيت عنه ثم ماذا قلت وذكر ان عليه عشرة آلاف دينار قال فبم أجبته قلت قد قضاها عنك أمير المؤمنين قال وقد قضيتها عنه ثم ماذا قلت ورغب أن يشد أمير المؤمنين ظهر ولده ابراهيم بمصاهرة منه قال فبم أجبته قلت قد زوجه أمير المؤمنين بابنته الغالية قال قد أجبته الى ذلك ثم ماذا قلت قال وأحب أن تخفق الألوية على رأسه قال فبم أجبته قلت قد ولاه أمير المؤمنين مصر قال قد وليته اياها ثم أنجزله جميع ذلك من ساعته قال ابراهيم بن المهدي فوالله ما أدري أي الثلاثة أكرم وأعجب فعلا ما ابتدأ عبد الملك بن صالح من المنادمة ولم يكن فعل ذلك قط أم اقدام جعفر على الرشيد أم امضاء الرشيد جميع ما حكم به جعفر فهكذا تكون مكارم الاخلاق * وحكى أبو العباس عن عمر الرازي قال أقبلت من مكة أريد المدينة فجعلت أسير في جدد من الأرض فسمعت غناء لم أسمع مثله فقلت والله لاتوصلن اليه فاذا هو عبد أسود فقلت له أعد علي ما سمعت فقال والله لو كان عندي قرى أقريكه لفعلت ولكني أجعله قراك فاني والله ربما غنيت بهذا الصوت وأنا جائع فاشبع وربما غنيته وأنا كسلان فانشط أو عطشان فأروى ثم اندفع يغني ويقول

وكنت اذا ما جئت سعدى أزورها * أرى الأرض تطوى لي ويدنو بعيدها

من الخفرات البيض ودّ جليسها * اذا ما انقضت أحدوثة لو تعيدها

قال عمر فحفظته منه ثم تغنيت به على الحالات التي وصفها لي فاذا هي كما ذكر والله سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الباب السبعون في ذكر القينات والأغاني

(حكى) علي بن الجهم قال لما أفضت الخلافة الى أمير المؤمنين المتوكل أهدى اليه عبد الله بن طاهر من خراسان جارية يقال لها محبوبة كانت قد نشأت بالطائف فبرعت في الجمال والادب وأجادت قول الشعر وحذاقة الغناء فشغف بها أمير المؤمنين المتوكل حتى كانت لا تفارق مجلسه ساعة واحدة ثم انه حصل منه عليها بعد ذلك جفاء فهجرها قال علي بن الجهم فبينما نائم عنده ذات ليلة اذ أيقظني فقال يا علي قلت لبيك يا أمير المؤمنين قال قد رأيت الليلة في منامي كأني رضيت على محبوبة وصالحتها فقلت خيرا رأيت يا أمير المؤمنين أقر الله عينك انما هي جاريتك والرضا والجفاء بيدك فوالله انا في حديثها اذ جاءت وصيفة فقالت يا أمير المؤمنين سمعت صوت عود من حجرة محبوبة فقال قم بنا يا علي ننظر ما تصنع فنهضنا حتى أتينا حجرتها فاذا هي تضرب بالعود وتقول

أدور في القصر لا أرى أحدا * أشكو اليه ولا يكلمني

كأنني قد أتيت معصية * ليس لها توبة تخلصني

فهل شفيع لنا الى ملك * قد زارني في الكرى وصالحني

حتى اذا ما الصباح لاح لنا * عاد الى هجره وصارمني

قال فصاح أمير المؤمنين فلما سمعته تلقته وأكبت على رجليه تقبلهما فقال ما هذا قالت يا مولاي رأيت في منامي هذه الليلة كأنك قد رضيت عني فأنشدت ما سمعت قال وأنا والله رأيت مثل ذلك ثم قال يا علي هل رأيت أعجب من هذا الاتفاق ثم أخذ بيدها ومضى الى حجرتها وكان من أمرهما ما كان * قيل وكان أمير المؤمنين الواثق اذا شرب رقد في موضعه الذي شرب فيه ومن كان معه من ندمائه وشرب رقد ولم يخرج فشرب يوما وخرج من كان عنده الا مغنيا واحدا أظهر التراقد فترك وكانت مغنية من حظايا الخليفة نائمة فلما خلا المجلس كتب المغني رقعة ورمى بها اليها فاذا فيها

اني رأيتك في المنام ضجيعتي * مسترشفا من ريق فيك البارد وكأن كفك في يدي وكأننا * بتنا جميعا في لحاف واحد

ثم انتبهت ومنكباك كلاهما * في راحتي وتحت خدك ساعدي

فقطعت يومي كله متراقدا * لأراك في نومي ولست براقد

فكتبت اليه على ظهرها تقول

يا ليلة طالت على دنف
يشكو الغرام وقلة الصبر
أسلمت من يهوى لحر جوى
متوقد كتوقد الجمر
فالبدر يشهد انني كلف
بجمال حب مشبه البدر
قال ثم انقطع الصوت ولم أر من أين جاء فبهت حائرا واذا به قد أعاد البكاء والنحيب وهو يقول
أشجاك من ريا خيال زائر
والليل مسود الذوائب عاكر
واعتاده مهجتك الهوى فأبادها
واهتاج مقلتك المنام الباتر
ناديت ليلى والظلام كأنه
يم تلاطم فيه موج زاخر
والبدر يسري في السماء كأنه
ملك تبدى والنجوم عساكر
واذا تعرضت الثريا خلتها
كأسا بها حث السلافة دائر
وترى يد الجوزاء ترقص في الدجا
رقص الحبيب علاه سكر ظاهر
يا ليل طلت على حبيب ماله
الا الصباح موازر ومسامر
فأجابني مت حتف انفك واعلمن
أن الهوى لهو الهوان الحاضر
قال عبد الله فنهضت عند ابتدائه بالابيات أؤم الصوت فما انتهى الى آخرها الا وأنا عنده فرأيت غلاما جميلا قد نزل عذاره لكن قد علا محاسنه الاصفرار والدموع تجري على خده كالامطار فقال نعمت ظلاما من الرجل قلت عبد الله بن معمر القيسي فقال ألك حاجة يا فتى قلت اني كنت جالسا في الروضة فما راعني في هذه الليلة الا صوتك فبنفسي أقيك وبروحي أفديك وعالي أواسيك ما الذي تجد قال ان كان ولابد فاجلس فجلست فقال أنا عتبة بن الحباب بن المنذر بن الجموح الانصاري غدوت الى مسجد الاحزاب ولم أزل فيه راكعا ساجدا ثم اعتزلت غير بعيد فاذا نسوة يتهادين كأنهن القطا وفي وسطهن

خبرا رأيت وكل ما أملته * ستناله مني برغم الحاسد
وتبيت بين خلاخلي ودمالجي * وتقل بين مراشفي ونواهدي
ونكون أنعم عاشقين تعاطيا * ملح الحديث بلا مخافة راصد

فلما مدت يدها لترمي اليه بالرقعة رفع الواثق رأسه فأخذها من يدها وقال ما هذا الخلفاء انه لم يجر بينهما قبل ذلك كلام ولا كتاب ولا رسول الا ان العشق قد خامرهما قال فاعتقها من وقتها وزوجها به وقال خذها ولا تقربنا بعد اليوم *وكان لاسماء بنت المهدي جارية يقال لها كاعب وكانت بكرا ناهدا بنت ثلاث عشرة سنة قال فتلاعب عليها أبو نواس فتمنعت فوقع في قلبه منها ما وقع وأحبته هي أيضا فجعل أبو نواس كلما أمسكها تمنعت فظفر بها ليلة من الليالي في ناحية من القصر فأمسكها فبكت وقالت له يا سيدي الموت دون ذلك فقال أبو نواس هذا جزع الابكار فاتفق انه خرج يوما من القصر وقد ترقرق الدجا فوجدها نائمة في سدلة وهي سكرى لا تفيق فتقرب منها وحل سراويلها ووقع عليها فاذا هي خالية من البكارة فارتاع وظن أن يكون أتاها آدم فلم يجد فقام عنها وندم على ما كان منه وأنشد يقول

وناهدة الثديين من خدم القصر * مرقرقة الخدين ليلية الشعر
كلفت بها دهرا على حسن وجهها * طويلا وما صب الكواعب من أمري
فمازلت بالأشعار حتى خدعتها * ورَوَّضتها والشعر من خدع السحر
أطالبها شيئا فقالت بعبرة * أموت ولا هذا ودمعتها تجري
فلما تعارضنا توسطت لجة * غرقت بها يا قوم في لجج البحر
فصحت أغثني يا غلام فجاءني * وقد زلقت رجلي وصرت الى الصدر
ولولا صياحي بالغلام وانه * تداركني بالحبل صرت الى القعر
فأقسمت عمري لا ركبت سفينة * ولا سرت طول الدهر الا على ظهر

ومن ذلك ما حدث الشيباني قال كان عند رجل بالعراق قينة وكان أبو نواس يختلف اليها وكانت تظهر له أنها لا تحب غيره وكان كلما دخل اليها وجد عندها شابا يجالسها ويحادثها فقال فيها هذه الأبيات

ومظهرة لخلق الله ودا * وتلقى بالتحية والسلام
أتيت فنائها أشكو اليها * فلم أخلص اليها من الزحام
فيا من ليس يكفيها خليل * ولا ألفا خليل كل عام
أراك بقية من قوم موسى * فهم لا يصبرون على طعام

(وقال) أبو سويد حدثني أبو زيد الأسدي قال دخلت على سليمان بن عبد الملك وهو جالس في ايوان مبلط بالرخام الاحمر مفروش بالديباج الاخضر في وسط بستان ملتف قد أثمر وأينع وعلى رأسه وصائف كل واحدة منهن أحسن من صاحبتها وقد غابت الشمس وغنت الأطيار فتجاوبت وصفقت الرياح على الأشجار فتمايلت فقلت السلام عليك أيها الامير ورحمة الله وبركاته وكان مطرقا فرفع رأسه وقال أبا زيد في مثل هذا الحين تصاحبنا فقلت أصلح الله الأمير أوقامت القيامة قال نعم على أهل المحبة ثم أطرق مليا ورفع رأسه وقال أبا زيد ما يطيب في يومنا هذا فقلت أصلح الله الأمير قهوة حمراء في زجاجة بيضاء تناولها غادة هيفاء مضمومة لفاء أشرب بها من كفها وأمسح فمي بخدها فأطرق سليمان مليا لا يرد جوابا تنحدر من عينيه عبرات بلا شهيق فلما رأت الوصائف ذلك تنحين عنه ثم رفع رأسه فقال أبا زيد حضرت في يوم فيه انقضاء أجلك ومنتهى مدتك وتصرم عمرك والله لأضربن عنقك أو لتخبرني ما أثار هذه الصفة من قلبك قلت نعم أصلح الله الأمير كنت جالسا عند دار أخيك سعيد بن عبد الملك فاذا أنا بجارية قد خرجت من باب القصر كأنها غزال انفلت من شبكة صياد عليها قميص سكب اسكندراني يبين منه بياض بدنها وتدوير سرتها ونقش تكتها وفي رجليها نعلان صراران قد أشرق بياض قدميها على حمرة نعليها بذؤابتين تضربان الى حقويها ماصدغان كأنهما نونان وحاجبان قد قوسا على محاجر عينيها وعينان مملوءتان سحرا وأنف كأنه قصبة بلور وفم كأنه جرح يقطر دما وهي تقول عباد الله من لي بدواء ما لا يشتكى وعلاج ما لا يسمى طال الحجاب وأبطأ الجواب والقلب طائر والعقل عازب والنفس والهة والفؤاد مختلس والنوم محتبس رحمة الله على قوم عاشوا تجلدا وماتوا كمدا ولو كان الى الصبر حيلة أو الى ترك الغرام سبيل لكان أمرا جميلا ثم أطرقت

جارية بديعة الجمال في نشرها أرجة الكمال في عصرها نورها ساطع يتشعشع وطيبها عاطر يتضوع فوقفت علي وقالت يا عتبة ما تقول في وصل من طلب وصلك ثم تركتني وذهبت فلم أسمع لها خبرا ولا أقفوت لها أثرا فأنا حيران أنتقل من مكان الى مكان ثم صرخ صرخة عظيمة وأكب على الأرض مغشيا عليه ثم أفاق بعد ساعة وكأنما صبغت ديباجة خده بورس وأنشد يقول

أراك بقلبي من بلاد بعيدة * تراكم تروني بالقلوب على بعد
فؤادي وطرفي يأسفان عليكم * وعندكم روحي وذكركم عندي
ولست ألذ العيش حتى أراكم * ولو كنت في الفردوس أو جنة الخلد

قال فقلت يا أخي تب الى ربك واستقل من ذنبك واتق هول المطلع وسوء المضجع فقال هيهات هيهات ما أنا بسال حتى يكون ما يكون ولم أزل به الى طلوع الصباح فقلت له قم بنا الى مسجد الأحزاب فلعل الله أن يكشف عنك ما بك قال أرجو ذلك ببركة طلعتك ان شاء الله فنزلنا الى أن وردنا مسجد الأحزاب فسمعته يقول

يا للرجال ليوم الأربعاء أما * ينفك يحدث لي بعد النهى طربا
ما ان يزال غزال فيه يظلمني * يهوي الى مسجد الأحزاب منتقبا
يخبر الناس أن الأجر همته * وما أتى طالبا للأجر محتسبا
لو كان يبغي ثوابا ما أتى ظهرا * مضمخا بفتيت المسك مختضبا

فجلسنا ثم حتى صلينا به الظهر فاذا النسوة أقبلن وما الجارية بينهن فلما بصرن به قلن يا عتبة وما ظنك بطالبة وصالك وكاسفة بالك قال وما لها قلن قد أخذها أبوها وارتحل بها الى السماوة فسألتهن عن الجارية فقلن هي ريا ابنة الغطريف السلمي فرفع الشاب رأسه

طويلا ورفعت رأسها فقلت لها أيتها الجارية انسية أنت أم جنية سماوية أنت أم أرضية فقد أعجبني ذكاء عقلك وأذهلني حسن منطقك فسترت وجهها بكمها كأنها لم ترني ثم قالت أعذر أيها المتكلم فما أوحش الساعد بلا مساعد والمقاساة لصب معاند ثم انصرفت فوالله ما أكلت طعاما طيبا الا غصصت به لذكرها ولا رأيت حسنا الا سمج في عيني لحسنها فقال سليمان أبا زيد كاد الجهل يستفزني والصبا يعاودني والحلم يعزب عني لشجو ما سمعت اعلم أبا زيد أن تلك التي رأيتها هي الذلفاء التي قيل فيها

انما الذلفاء ياقوتة * أخرجت من كيس دهقان

شراؤها على أخي ألف ألف درهم وهي عاشقة لمن باعها والله ان مات ما يموت الا بحبها ولا يدخل القبر الا بغصتها وفي الصبر سلوة وفي توقع الموت نهبة قم أبا زيد في دعة الله تعالى ثم قال يا غلام نفله ببدرة فأخذتها وانصرفت قال فلما أفضت الخلافة اليه صارت الذلفاء اليه فأمر بفسطاط فأخرج على دهناء الغوطة وضرب في روضة خضراء مونقة زهراء ذات حدائق بهجة تحتها أنواع الزهر ما بين أصفر فاقع وأحمر قاني وأبيض ناصع وكان لسليمان مغن يقال له سنان به يأنس واليه يسكن فأمره أن يضرب فسطاطه بالقرب منه وكانت الذلفاء قد خرجت مع سليمان الى ذلك المنتزه فلم يزل سنان يومه ذلك عند سليمان في أكمل سرور وأتم حبور الى أن انصرف من الليل الى فسطاطه فنزل به جماعة من اخوانه فقالوا له نريد قراء أصلحك الله قال وما قراكم قالوا أكل وشرب وسماع قال أما الأكل والشرب فمباحان لكم وأما السماع فقد عرفتم شدة غيرة أمير المؤمنين ونهيه عنه الا ما كان في مجلسه قالوا لا حاجة لنا بطعامك وشرابك ان لم تسمعنا قال فاختاروا صوتا واحدا أغنيكموه قالوا غننا صوت كذا فرفع صوته يغني بهذه الأبيات

محجوبة سمعت صوتي فأرقها * من آخر الليل لما نبه السحر
في ليلة البدر ما يدري مضاجعها * أوجهها عنده أبهى أم القمر
لم يحجب الصوت احراس ولا غلق * فدمعها لطروق الصوت منحدر
لو مكنت لمشت نحوي على قدم * تكاد من لينها في المشي تنفطر

قال فسمعت الذلفاء صوت سنان فخرجت الى صحن الفسطاط تسمع فجعلت لا تسمع شيأ من حسن خلق ولطافة قد الا رأت ذلك كله في نفسها وهيئتها فحرك ذلك ساكنا من قلبها فهملت عيناها وعلا نحيبها فانتبه سليمان فلم يجدها معه فخرج الى صحن الفسطاط فرآها على تلك الحالة فقال ما هذا يا ذلفاء فقالت

ألا رب صوت رائع من مشوه * قبيح المحيا واضع الأب والجد
يروعك منه صوته ولعله * الى أمة يعزى معا والى عبد

قال سليمان دعيني من هذا فوالله لقد خامر قلبك منه ما خامر ثم قال يا غلام علي بسنان فدعت الذلفاء خادما لها فقالت له ان سبقت رسول أمير المؤمنين الى سنان فحذرته فلك عشرة آلاف درهم وأنت حر لوجه الله تعالى فخرج الرسولان فسبق رسول أمير المؤمنين سليمان فلما أتى به قال يا سنان ألم أنهك عن مثل هذا قال يا أمير المؤمنين حملني على ذلك حلمك وأنا عبد أمير المؤمنين وغرس نعمته فان رأى أمير المؤمنين أن يعفو عن عبده فليفعل قال قد عفوت عنك ولكن أما علمت ان الفرس اذا صهل ودقت له الحجرة وأن الفحل إذا هدر ضبعت له الناقة وان الرجل إذا تغنى أصغت له المرأة اياك اياك والعود الى ما كان منك فيطول غمك (وحكى) أن الرشيد فصد يوما فأرسلت اليه بعض حظاياه قدحا فيه شراب مع وصيفة لها حسنة الوجه جميلة الطلعة بديعة المحيا وغطته بمنديل مكتوب عليه هذه الابيات

فصدت عرقا تبتغي صحة * ألبسك الله به العافيه
فاشرب بهذا الكاس يا سيدي * واهنأ به من كف ذي الجاريه
واجعل لمن أنفذه خلوة * تحظى بها في الليلة الآتيه

قال فنظر الرشيد الى الوصيفة التي جاءت بالقدح فاستحسنها فافتضها ثم أرسلها فعلمت مولاتها بذلك فكتبت اليه رقعة تقول فيها هذه الابيات .

بعثت الرسول فأبطا قليلا * على الرغم مني فصبرا جميلا
وكنت الخليل وكان الرسولا * فصرت الرسول وصار الخليلا
كذا من يوجه في حاجة * الى من يحب رسولا جميلا

اليوم وأنشد يقول
خليلي ربا قد أجد بكورها
وسار الى أرض السماوة عيرها
خليلي ما تقضي به أم مالك
على فيا يعدو على أميرها
خليلي اني قد خشيت من البكا
فهل عند غيري مقلة أستعيرها
فقلت يا عتبة طب قلبا وقر عينا فقد وردت الحجاز بمال جزيل وطرف وتحف وقماش ومتاع أريد به أهل السفر ووالله لأبذلنه أمامك وبين يديك وفيك وعليك حتى أوصلك الى المنى وأعطيك الرضا وفوق الرضا فقم بنا الى مجلس الانصار فقمنا حتى أشرفنا على ناديهم فسلمت فأحسنوا الرد ثم قلت أيها الملأ الكرام ما تقولون في عتبة وأبيه قالوا اخيران من سادات العرب قلت فانه قد رمي بفؤاده الجوى وما أريد منكم الا المعونة فركبنا وركب القوم حتى أشرفنا على منازل بني سليم من السماوة فقلنا أين منزل الغطريف فخرج بنفسه مبادرا فاستقبلنا استقبال الكرام وقال حييتم بالاكرام والرحب والانعام قلنا وأنت حييت ثم حييت أتيناك أضيافا فقال نزلتم أفضل معقل ثم نادى يا معشر العبيد أنزلوا القوم وسارعوا الى الاكرام ففرشت في الحال الانطاع والنمارق والزرابي فنزلنا وأرحنا ثم ذبحت الذبائح ونحرت النحائر وقدمت الموائد فقلنا يا سيد القوم لسنا بذائقين لك طعاما حتى تقضي حاجتنا وتردنا بسرتنا قال وما حاجتكم أيها السادة قلنا نخطب عقيلتك الكريمة لعتبة بن الحباب بن المنذر الطيب العنصر العالي المفخر فأطرق وقال يا اخوتاه ان التي تخطبونها أمرها الى نفسها وها أنا داخل اليها أخبرها ثم نهض مغضبا فدخل على ريا وكانت كاسمها فقالت يا أبتاه اني أرى الغضب

قال فاستحسن الرشيد ذلك منها وأرسل اليها أنا عندك الليلة * وأهدى داود بن روح المهلبي الى المهدى جارية فحظيت عنده فواعدته المبيت عنده ليلة فمنعها الحيض فكتب اليها يقول

لأهجرن حبيبا خان موعده * وكان منه لصفو العيش تكدير

فارسلت اليه تجيبه

لا تهجرن حبيبا خان موعده * ولا تذمن وعدا فيه تأخير
ما كان حبسي الا من حدوث أذى * لا يستطاع له بالقول تفسير

وقال محمد بن مروان يصف جارية له

أمست تباع ولو تباع بوزنها * دار بكى أسفا عليها البائع

وكان للمأمون جويرية من أحسن الناس وأسبقهم الى كل نادرة فحظيت عنده فحسدها الجوارى وقلن لا حسب لها فنقشت على خاتمها حسبي حسني فازداد بها المأمون عجبا فسمتها الجوارى فماتت فجزع عليها المأمون جزعا شديدا وقال

اختلست ريحانتى من يدى * أبكى عليها آخر الأبد
كانت هى الانس اذا استوحشت * نفسى من الأقرب والأبعد
وروضة كان بها مرتعى * ومنهلا كان بها موردى
كانت يدى كان بها قوتى * فاختلس الدهر يدى من يدى

(وللمتوكل فى قينة)

أمازحها فتغضب ثم ترضى * فكل فعالها حسن جميل
فان غضبت فاحسن ذى دلال * وان رضيت فليس لها عديل

وحدث أبو عبد الله بن عبد البر قال حدثنى اسحق بن ابراهيم عن الهيثم بن عدى قال كان فى المدينة رجل من بنى هاشم وكان له قينتان يقال لاحداهما رشا وللاخرى جوذر وكان بالمدينة رجل مضحك لا يكاد يغيب عن مجلس المستظرفين فارسل الهاشمى اليه ذات يوم ليسخر به فلما أتاه قال له أضحك الله انك لى لذلك ولا لذة لى قال وما لذلك قال تحضر لى نبيذا فانه لا يطيب لى عيش الا به فأمر الهاشمى باحضار نبيذ وأمر أن يطرح فيه سكر العشر فلما شرب به المضحك تحرك عليه بطنه فتناوم الهاشمى وغمز جاريتيه عليه فلما ضاق عليه الأمر واضطر الى التبرز قال فى نفسه ما أظن هاتين المغنيتين الا يمانيتين وأهل اليمن يسمون الكنف بالمراحيض فقال لهما يا حبيبتى أين المرحاض فقالت احداهما لصاحبتها ما يقول سيدنا قالت يقول غنيانى

رحضت فؤادى فخليتنى * أهيم من الحب فى كل وادى

فاندفعتا تغنيانه فقال فى نفسه والله أظنهما ما فهمتا عنى وما أظنهما الا مكيتين وأهل مكة يسمونها المخارج فقال يا حبيبتى أين المخرج فقالت احداهما لصاحبتها ما يقول سيدنا قالت يقول غنيانى

خرجت لهما من بطن مكة بعدما * أقام المنادى بالعشى فاعتما

فاندفعتا يغنيانه فقال فى نفسه لم يفهما عنى وما أظنهما الا شاميتين وأهل الشام يسمونها المذاهب فقال يا حبيبتى أين المذهب فقالت احداهما لصاحبتها ما يقول حبيبنا قالت يقول غنيانى

ذهبت من الهجران فى كل مذهب * ولم يك حقا كل هذا التجنب

فغنتاه الصوت فقال لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم لم يفهما عنى وما أظن القحبتين الا مدنيتين وأهل المدينة يسمونها بيت الخلاء فقال يا حبيبتى أين بيت الخلاء فقالت احداهما لصاحبتها ما يقول سيدنا قالت يقول غنيانى

خلا على بقاع الأرض اذ ظعنوا * من بطن مكة واستر عانى الحزن

قال فغنتاه فقال انا لله وانا اليه راجعون ما أظن الفاسقتين الا بصريتين وأهل البصرة يسمونها الحشوش فقال يا حبيبتى أين الحشوش فقالت احداهما لصاحبتها ما يقول سيدنا قالت يقول غنيانى

أوحشونى وعز صبرى فيهم * ما احتيالى وما يكون فعالى

قال فاندفعتا تغنيانه فقال ما أراهما الا كوفيتين وأهل الكوفة يسمونها الكنف فقال لهما يا حبيبتى أين الكنيف فقالت احداهما لصاحبتها ويعش سيدنا ما رأيت أكثر اقتراحا من هذا الرجل قالت ما يقول قالت يسأل أن نغنى له

تكنفنى الهوى طفلا * فشيبنى ولا كهلا

فقال واويلاه واعظم مصيبتاه هذا والهاشمى يتقطع ضحكا فقال لهما يا زانيتان ان لم تعلمانى به أنا أعلمكما ثم رفع ثيابه وسلح عليهما وعلى الفراش فانتبه الهاشمى وقد غشى عليه من شدة الضحك وقال ويلك ما هذا

بنا عليك فالخبر قال لما ورد الأنصار يخطبونك منى قالت سادات كرام وأبطال عظام استغفر لهم النبى صلى الله عليه وسلم فلمن الخطبة منهم قال لفتى يعرف بعتبة بن الحباب قالت بالله لقد سمعت عن عتبة هذا انه يفى بما وعد ويدرك اذا قصد ويأكل ما وجد ولا يأسف على ما فقد قال الغطريف أقسم بالله لا أزوجك به أبدا فقد نمى الى بعض حديثك معه فقالت ما كان ذلك ولكن اذا أقسمت فان الأنصار لا يردون مردا قبيحا فأحسن لهم الرد وادفع بالتى هى أحسن قال بأى فأى شئ أقول قالت اغلظ لهم المهر ما استطعت فانهم يرجعون ولا يجيبون وقد أبررت قسمك وبلغت ما ربك وراعيت أضيافك قال ما أحسن ما قلت ثم خرج مبادرا فقال يا اخوتاه ان فتاة الحى قد أجابت ولكن أريد لها مهر مثلها فمن القائم به قال عبد الله فقلت أنا القائم بما تريد فقال أريد ألف مثقال من الذهب الأحمر قلت لك ذلك قال وخمسة آلاف درهم من ضرب هجر قلت لك ذلك قال ومائة ثوب من الابراد والحبر قلت لك ذلك قال وعشرين ثوبا من الوشى المطرز قلت لك ذلك قال وأريد خمسة أكرشة من العنبر قلت لك ذلك قال وأريد مائة نافجة من المسك الأذفر قلت لك ذلك قال فهل أجبت قلت أجل ثم أجل قال عبد الله فانفذت نفرا من الأنصار أتوا بجميع ما ضمنته وذبحت النعم والغنم واجتمع الناس لأكل الطعام فاقمنا هنالك نحو أربعين يوما على هذا الحال ثم قال الغطريف يا قوم خذوا فتاتكم وانصرفوا مصاحبين السلامة ثم حملها فى هودج وجهز معها ثلاثين راحلة عليها التحف والطرف ثم ودعنا ورجع فسرنا

تسلم على وطائى فقال الرجل حياة نفسى أعز على من وطائك وقيل انه لما قيل له وبلك ماهذا قال فى ذلك هذه الأبيات

تكنفنى الملاح واضجرونى * على مابى بنيات الزوانى
فلما قل عن ذاك اصطبارى * قذفت به على وجه الغوانى

قال فانبسط الهاشمى ودفع اليه مالا ومضى الى سبيله (وقال) على بن الجهم قلت لقينة

هل تعلمين وراء الحب منزلة * تدنى اليك فان الحب أقصانى

﴿ قالت تأتى من باب الذهب وأنشدت ﴾

اجعل شفيعك منقوشا تقدمه * فلم يزل مدنيا من ليس بالدانى

وكان أشعث يختلف الى قينة بالمدينة فجلس عندها يوما يطارحها الغناء فلما أراد الخروج قال لها ناولينى خاتمك أذكرك به قالت انه ذهب وأخاف أن تذهب ولكن خذ هذا العود فلعلك أن تعود وناولته عودا من الأرض وكان بعض القينات من الجمال والحسن بجانب ثم أصابتها علة فتغير حالها فكانت تنشد

ولى كبد مقروحة من يبيعنى * بها كبدا ليست بذات قروح
أباها على الناس لا يشترونها * ومن يشترى ذا علة بصحيح

وكان المعتصم يحب قينة من حظاياه فاتفق أنه خرج الى مصر وتركها فذكرها فى بعض الطريق فاشتاق اليها فقلبه الوجد فدعا مغنياله وقال ويحك قد ذكرت جاريتى فلانة فاقلقنى الشوق اليها فعسى أن تغنينى شيأ فى معنى ماذكرته لك فأطرق مليا ثم غناه شعرا

وددت من الشوق المبرح أننى * أعار جناحى طائر فاطير
فما النعيم ليس فيه بشاشة * وما لسرور ليس فيه سرور
وان امرأ فى بلدة نصف قلبه * ونصف بأخرى غيرها الصبور

والحكايات فى معنى ذلك كثيرة ولو أردت بسطها لاحتجت الى مجلدات ولكن ماقل وجل خير من كثير عل وفيما ذكرته كفاية والله المسؤل أن يمدنى منه باللطف والعناية ونسأله التوفيق والهداية وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿ الباب الحادى والسبعون فى ذكر العشق ومن بلى به والافتخار بالعفاف
وأخبار من مات بالعشق ومافى معنى ذلك وفيه فصول ﴾

﴿ الفصل الأول فى وصف العشق ﴾ قال الجاحظ العشق اسم لما فضل عن المحبة كما أن السرف اسم لما جاوز الجود وقال اعرابى العشق خفى أن يرى وجلى أن يخفى فهو كامن ككمون النار فى الحجر ان قدحته أورى وان تركته توارى وقيل أول العشق النظر وأول الحريق الشرر وكان العشاق فيما مضى يشق الرجل برقع حبيبته والمرأة تشق رداء حبيبها و يقولون انهما اذا لم يفعلا ذلك عرض البغض بينهما وقال عبد بنى الحسحاس

وكم قد شققنا من رداء محبر * ومن برقع عن طفلة غير عانس
اذا شق برد شق بالبرد برقع * من الحب حتى كلنا غير لابس

وقيل لاعرابى مابلغ من حبك لفلانة قال انى لاذكرها وبينى وبينها عقبة الطائف فاجد من ذكرها رائحة المسك وقيل رأى شبيب أخو بثينة جميلا عندها فوثب عليه وآذاه ثم ان شبيبا أتى مكة وجميل فيها فقيل لجميل دونك شبيبا فخذ بثارك منه فقال

وقالوا ياجميل أتى أخوها * فقلت أتى الحبيب أخو الحبيب

﴿ وأنشد الاخفش الحداد يقول ﴾

مطارق الشوق منها فى الحشى أثر * يطرقن سندان قلب حشوه الفكر
ونار كور الهوى فى الجسم موقدة * ومبرد الحب لا يبقى ولا يذر

وفى الجليس الأنيس لأبى العالية الشامى قال سأل أمير المؤمنين المأمون يحيى بن أكثم عن العشق ماهو فقال هو سوانح تسنح للمرء فيهيم بها قلبه وتؤثرها نفسه وقال ثمامة العشق جليس ممتع واليف مؤنس وصاحب ملك مسالكه ضيقة ومذاهبه غامضة وأحكامه جائرة ملك الأبدان وأرواحها والقلوب وخواطرها والعيون ونواظرها والعقول وآراءها وأعطى عنان طاعتها وقوة تصريفها توارى عن الابصار مدخله

حتى اذا بقى بيننا وبين المدينة مرحلة واحدة خرجت علينا خيل تريد الغارة وأحسب أنهم من بنى سليم فحمل عليها عتبة بن الحباب فقتل منها عدة من رجالها وردها وانحرف راجعا وبه طعنة تفور دما حتى سقط الى الأرض فلم يلبث عتبة أن قضى نحبه فقلنا واعتباه فسمعت الجارية فألقت نفسها عليه وجعلت تقبله وتصيح بحرقة وتقول

تصبرت لا أنى صبرت وانما
أعلل نفسى انها بك لاحقه
ولو أنصفت نفسى لكانت الى الردى
أمامك من دون البرية سابقه
فما واحد بعدى و بعدك منصف
خليلا ولا نفس لنفس مصادقه

ثم شهقت شهقة واحدة قضت فيها نحبها فاخترنا لهما مكانا وجدثا وواريناهما فيه ورجعت الى ديار قومى وأقمت سبع سنين بعدها ثم عدت الى الحجاز ووردت الى زيارة قبر النبى صلى الله عليه وسلم فقلت والله لاعودن الى قبر عتبة فأزوره فأتيت الى القبر فاذا عليه شجرة نابتة عليها أوراق حمر وصفر وخضر وبيض فقلت لأرباب الجهة مايقال لهذه الشجرة فقالوا الشجرة العروسين فاقمت عند القبر يوما وليلة وانصرفت (حكى) ان شخصا جاء الى الشيخ عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام الشافعى رحمه الله تعالى سلطان العلماء فقال رأيتك فى المنام تنشد

وكنت كذى رجلين رجل صحيحة
ورجل رمى فيها الزمان فشلت

قال فسكت ثم قال أعيش ثلاثا وثمانين سنة فان هذا الشعر لكثير عزة وقد نظرت فلم أجد بينى وبينه نسبة فانى سنى وهو شيعى وطويل وهو قصير وشاعر ولست بشاعر وأنا سلمى وهو خزاعى وشامى وهو حجازى فلم يبق الا السن

وخفى فى القلوب مسلكه وكان شيخ بخراسان له أدب وحسن معرفة بالأمور قال لسليمان بن عمرو ومن معه أنتم أوباء وقد سمعتم الحكمة ولكم حداء ونغم فهل فيكم عاشق قالوا لا قال اعشقوا فان العشق يطلق اللسان ويفتح جبلة البليد والبخيل ويبعث على التلطف وتحسين اللباس وتطييب المطعم ويدعو الى الحركة والذكاء وتشريف الهمة وقال المجنون

قالت جننت على ذكرى فقلت لها * الحب أعظم مما بالمجانين

الحب ليس يفيق الدهر صاحبه * وانما يصرع المجنون فى الحين

قال ذوالرياستين ان بهرام جور كان له ابن وكان قد رشحه للأمر من بعده فنشأ الفتى ناقص الهمة ساقط المروأة خامل النفس سيء الأدب فغمه ذلك فوكل به من المؤدبين والمنجمين والحكماء من يلازمه ويعلمه وكان يسألهم عنه فيحكون له ما يغمه من سوء فهمه وقلة أدبه الى أن سأل بعض مؤدبيه يوما فقال له المؤدب قد كنا نخاف سوء أدبه فحدث من أمره ما صيرنا الى الرجاء فى فلاحه قال وماذاك الذى حدث قال رأى ابنة فلان المرزبان فعشقها فغلبت عليه فهو لا يهدأ الا بها ولا يتشاغل الا بها فقال بهرام الآن رجوت فلاحه ثم دعا بأبى الجارية فقال له انى مسر اليك سرا فلا يعدونك فضمن له ستره فأعلمه ان ابنه قد عشق ابنته وانه يريد أن ينكحها اياه وأمره أن يأمرها باطماعه فى نفسها ومراسلته من غير أن يراها أو تقع عينه عليها فاذا استحكم طمعه فيها تجنبته وتهجره فان استعلمها أعلمته أنها لا تصلح الا للملك ثم لتعلمنى خبرها وخبره ولا تطلعها على ما أسره اليك فقبل أبوها ذلك منه وقال للمؤدب الموكل بأدبه حضه وشجعه على مراسلته المرأة ففعل ذلك وفعلت المرأة كما أمرها أبوها فلما انتهت الى التجنى عليه وعلم الفتى السبب الذى كرهته لأجله أخذ فى الأدب وطلب الحكمة والعلم والفروسية والرماية وضرب الصولجان حتى مهر فى ذلك ثم رفع الى أبيه انه محتاج الى الدواب والآلات والمطاعم والملابس والندماء وما أشبه ذلك فسر الملك بذلك وأمر له بما طلب ثم دعا مؤدبه فقال له ان الموضع الذى وضع به ابنى نفسه من حب هذه المرأة لا يزرى به فتقدم اليه ومره أن يرفع أمرها الى ويسألنى أن أزوجه اياها ففعل المؤدب ذلك فرفع الفتى ذلك لأبيه فدعا بأبيها وزوجه اياها وأمر بتعجيلها اليه وقال له اذا اجتمعت أنت وهى فلا تحدث شيأ حتى أصير اليك فلما اجتمعا صار اليه فقال يا بنى لا يضعن قدرها عندك مراسلتها اياك وليست فى خبائك فانى أمرتها بذلك وهى أعظم الناس منة عليك بما دعتك اليه من طلب الحكمة والتخلق بأخلاق الملوك حتى بلغت الحد الذى تصلح معه للملك من بعدى فزدها من التشريف والاكرام بقدر ما تستحق منك ففعل الفتى وعاش مسرورا بالجارية وعاش أبوه مسرورا به وأحسن ثواب أبيها ورفع منزلته بصيانة سره وأحسن جائزة المؤدب لامتثال ما أمره به * وكان * عبد الله بن عبيدة الريحانى يهوى جارية فزارته يوما فأقام يحدثها ويشكو اليها ألم الفراق فحان وقت الظهر فناداه انسان الصلاة يا أبا الحسن فقال رويدك حتى تزول الشمس أى حتى تقوم الجارية * وقالت ليلى العامرية فى قيسها

لم يكن المجنون فى حالة * الا وقد كنت كما كانا

لكنه باح بسر الهوى * واننى قد ذبت كتمانا

وقال احمد بن عثمان الكاتب

وانى ليرضينى المر ببابها * وأقنع منها بالشتيمة والزجر

وقال الفتح بن خاقان صاحب المتوكل

أيها العاشق المعذب صبرا * فخطايا أخى الهوى مغفوره

زفرة فى الهوى أحط لذنب * من غزاة وحجة مبروره

وقال عمر بن أبى ربيعة كنت بين امرأتين هذه تسارزنى وهذه تعضنى فما شعرت بعضة هذه من لذة هذه وأنشد شيبان العذرى يقول

لوحز بالسيف رأسى فى محبتها * لطار يهوى سريعا نحوها رأسى

وقال يحيى بن معاذ الرازى لو أمرنى الله أن أقسم العذاب بين الخلق ماقسمت للعاشقين عذابا

* الفصل الثانى من هذا الباب فيمن عشق وعف والافتخار بالعفاف * روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من عشق فعف فمات فهو شهيد وقال صلى الله عليه وسلم عفوا تعف نساؤكم * وقال بعضهم رأيت امرأة مستقبلة البيت فى غاية الضعف والنحافة رافعة يديها تدعو فقلت لها هل من حاجة فقالت حاجتى أن تنادى فى الموقف بقول

فأعيش مثله فكان كذلك انتهى (ومن ظرف ما يحكى) ان الجاحظ قال عبرت يوما على معلم كتاب فوجدته فى هيئة حسنة وقماش مليح فقام الى وأجلسنى معه ففاتحته فى القرآن فاذا هو ماهر ففاتحته فى شئ من النحو فوجدته ماهرا ثم أشعار العرب واللغة فاذا به كامل فى جميع ما يراد منه فقلت قد وجب على تقطيع دفتر المعلمين فكنت كل قليل أتفقده وأزوره قال فأتيت بعض الايام الى زيارته فوجدت الكتاب مغلقا فسألت جيرانه فقالوا مات عنده ميت فقلت أروح أعزيه فجئت الى بابه فطرقته فخرجت الى جارية وقالت ما تريد قلت مولاك فقالت مولاى جالس وحده فى العزاء ما يعطى لأحد الطريق قلت قولى له صديقك فلان يطلب يعزيك فدخلت وخرجت وقالت بسم الله فعبرت اليه فاذا هو جالس وحده فقلت أعظم الله أجرك لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة وهذا سبيل لا بد منه فعليك بالصبر ثم قلت أهذا الذى توفى ولدك قال لا قلت فوالدك قال لا قلت فأخوك قال لا قلت فمن قال حبيبتى فقلت فى نفسى هذا أول المناحس وقلت له سبحان الله تجد غيرها وتقع عينك على أحسن منها فقال وكأنى بك وقد ظننت أنى رأيتها فقلت فى نفسى هذه منحسة ثانية ثم قلت وكيف عشقت من لا رأيته فقال اعلم انى كنت جالسا واذا رجل عابر يغنى وهو يقول

يا أم عمرو جزاك الله مكرمة
ردى على فؤادى أينما كانا

فقلت فى نفسى لولا ان أم عمرو هذه ما فى الدنيا مثلها ما كان الشعراء يتغزلون فيها فلما كان بعد يومين عبر على ذلك الرجل وهو يغنى ويقول

تزوّد كل الناس زادا بقهم * ومالى زاد والسلام على نفسى

فناديت كما أمرتنى واذا بفتى نحيل الجسم قد أقبل الى فقال أنا الزاد فضيت به اليها فما زاد على النظر والبكاء ثم قالت له انصرف بسلام فقلت ما علمت ان القاء كما يقتصر على هذا فقالت أمسك يا هذا أما علمت أن ركوب العار ودخول النار شديد قال ابراهيم بن محمد المهلبى

كم قد ظفرت بمن أهوى فيمنعنى * منه الحياء وخوف الله والحذر
وكم خلوت بمن أهوى فتقنعنى * منه الفكاهة والتأنيس والنظر
أهوى الملاح وأهوى أن أجالسهم * وليس لى فى حرام منهم وطر
كذلك الحب لا اتيان معصية * لا خير فى لذة من بعدها سقر

وقال بعض بنى كلاب

ان أكن طامح اللحاظ فانى * والذى علك الفؤاد عفيف

ونحو ذلك قول القائل

فقالت بحق الله الا أتيتنا * اذا كان لون الليل شبه الطيالس
فجئت ومافى القوم يقظان غيرها * وقد نام عنها كل واش وحارس
فبتنا بليل طيب نستلذه * جميعا ولم أقلب لها كف لامس

ونزل رجل على صديق له مستترا خائفا من عدوله فأنزله فى منزله وتركه فيه وسافر لبعض حوائجه وقال لامرأته أوصيك بضيفى هذا خيرا فلما عاد بعد شهر قال لها كيف ضيفنا قالت ما أشغله بالعمى عن كل شئ وكان الضيف قد أطبق عينيه فلم ينظر الى امرأة صاحبه ولا الى منزله الى أن عاد من سفره وكان عمر بن أبى ربيعة عفيفا يصف ويعف ويحوم ولا يرد * ودخلت بثينة على عبد الملك بن مروان فقال لها يا بثينة ما أرى فيك شيأ مما كان يقوله جميل فقالت يا أمير المؤمنين انه كان يرنو الى بعين ليستا فى رأسك قال فكيف رأيتيه فى عشقه قالت كان كما قال الشاعر

لا والذى تسجد الجباه له * مالى بما تحت ذيلها خبر
ولا بفيها ولا هممت بها * ما كان الا الحديث والنظر

وقد قدمت هذين البيتين فى الجزء الأول فيما جاء فى الكتابة على سبيل الرمز * وعن أبى سهل الساعدى قال دخلت على جميل وبوجهه آثار الموت فقال لى يا أبا سهل ان رجلا يلقى الله ولم يسفك دما ولم يشرب خمرا ولم يأت فاحشة أفترجو له الجنة قلت أى والله فمن هو قال انى لأرجو أن أكون ذلك فذكرت له بثينة فقال انى لفى آخر يوم من الدنيا وأول يوم من الآخرة لا نالتنى شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم ان كنت حدثت نفسى بريبة قط * وعن عبد الله بن عبد المطلب أبى النبى صلى الله عليه وسلم أنه دعته بغى الى نفسها وبذلت له مالا وكانت تتكهن وتسمع باتيان رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت جميلة فارادت أن تخدع عبد الله رجاء أن يكون النبى صلى الله عليه وسلم منها للنور الذى رأته بين عينيه فأبى وقال

أما الحرام فالحمام دونه * والحل لا نأبى ونستدينه
فكيف بالامر الذى تبغينه * يحمى الكريم عرضه ودينه

(وقال آخر)

وأحور مخضوب البنان محجب * دعانى فلم أعرف الى ما دعا وجها
بخلت بنفسى عن مقام يشينها * ولست مريدا ذاك طوعا ولا كرها

وراود شاب ليلى الأخيلية عن نفسها فاشمأزت وقالت

وذى حاجة قلنا له لا تبح بها * فليس اليها ما حييت سبيل
لنا صاحب لا ينبغى أن نخونه * وأنت لأخرى صاحب وخليل

وقال ابن ميادة

موانع لا يعطين حبة خردل * وهن دوان فى الحديث أوانس
ويكرهن أن يسمعن فى اللهو ريبة * كما كرهت صوت اللجام الشوامس

(وقال آخر)

حور حرائر ماهمن بريبة * كظباء مكة صيدهن حرام
يحسبن من لين الكلام فواسقا * ويصدهن عن الخنى الاسلام

وكان الأصمعى يستحسن بيتى العباس بن الأحنف

أتأذنون لصب فى زيارتكم * فعندكم شهوات السمع والبصر

اذا ذهب الحمار بأم عمرو
فلا رجعت ولا رجع الحمار

فعلمت أنها ماتت فحزنت عليها وقعدت فى العزاء منذ ثلاثة أيام فقال الجاحظ فعادت عزيمتى وقويت على كتابة الدفتر لحكاية أم عمرو (ومن غريب ما يحكى) ما حكاه القاضى أبو على المحسن بن على التنوخى فى كتاب الفرج بعد الشدة ان منارة صاحب الخلفاء قال رفع الى هرون الرشيد أن رجلا بدمشق من بقايا بنى أمية عظيم المال كثير الجاه مطاع له فى البلدان جماعة وأولاد ومماليك وموال يركبون الخيول ويحملون السلاح ويغزون الروم وانه سمح جواد كثير البذل والضيافة وانه لا يؤمن من فتق يبعد رتقه فعظم ذلك على الرشيد قال منارة وكان وقوف الرشيد على هذا وهو بالكوفة فى بعض حججه فى سنة ١٨٦ وقد عاد من الموسم وبايع للامين والمأمون والمؤتمن أولاده فدعانى وهو خال وقال انى دعوتك لأمر يهمنى وقد منعنى النوم فانظر كيف تعمل ثم قص على خبر الأموى وقال اخرج الساعة فقد أعددت لك الجائزة والنفقة والآلة ويضم اليك مائة غلام واسلك البرية وهذا كتابى الى أمير دمشق وهذه قيود فادخل فابدأ بالرجل فان سمع وأطاع فقيده وجئنى به وان عصى فتوكل به أنت ومن معك وانفذ هذا الكتاب الى نائب الشام ليركب فى جيشه ويقبضوا عليه وجئنى به وقد أجلتك لذهابك ستا ولمجيئك ستا وهذا محمل تجعله فى شقه اذا قيدته وتقعد أنت فى الشق الآخر ولا تكل حفظه الى غيرك حتى تأتينى به فى اليوم الثالث عشر من خروجك فاذا دخلت داره فتفقدها وجميع ما فيها وأهله وولده وحشمه وغلمانه وقدر

لا يظهر الشوق ان طال الجلوس به * عف الضمير ولكن فاسق النظر

واختفى ابراهيم بن المهدى فى هربه من المأمون عند عمته زينب بنت أبى جعفر وكانت بخدمته جارية لها اسمها ملك وكانت واحدة زمانها فى الحسن والادب طلبت منها بخمسمائة ألف درهم فهويها ابراهيم وكره أن يراودها عن نفسها فغنى يوما وهى قائمة على رأسه

يا غزالا لى اليه * شافع من مقلتيه
أنا ضيف وجزاء الضيف احسان اليه

ففهمت الجارية ما أراد فحكت ذلك لمولاتها فقالت اذهبى فأعلميه أنى قد وهبتك له فعادت اليه فلما رآها أعاد البيتين فأكبت عليه فقال لها كفى فلست بخائن فقالت قد وهبتنى لك مولاتى وأنا الرسول فقال أما الآن فنعم

وأنشد المبرد

ما ان دعانى الهوى لفاحشة * الا نهانى الحياء والكرم
فلا الى فاحش مددت يدى * ولا مشت بى لزلة قدم

(وقال آخر)

يقولون لا تنظر فذلك بلية * بلى كل ذى عينين لابد ناظر
وهل باكتحال العين بالعين ريبة * اذا عف فيما بينهن السرائر

وكان بعض الخلفاء قد نذر على نفسه أن لا ينشد شعرا ومتى أنشد بيت شعر فعليه عتق رقبة قال فبينما هو فى الطواف يوما اذ نظر الى شاب يتحدث مع شابة جميلة الوجه فقال له ياهذا اتق الله أفى مثل هذا المكان فقال يا أمير المؤمنين والله ماذاك الخنى ولكنها ابنة عمى وأعز الناس على وان أباها منعنى من تزوجها لفقرى وفاقتى وطلب منى مائة ناقة ومائة أوقية من الذهب ولم أقدر على ذلك قال فطلب الخليفة أباها ودفع اليه ما اشترطه على ابن أخيه ولم يقم من مقامه حتى عقد له عليها ثم دخل الخليفة الى بيته وهو يترنم ببيت من الشعر فقالت له جارية من حظاياه أراك اليوم يامولاى تنشد الشعر أفنسيت ما نذرت أم نزالك قد هويت فأنشدها هذه الابيات يقول

تقول وليدتى لما رأتنى * طربت وكنت قد أسليت حينا
أراك اليوم قد أحدثت عهدا * وأورثك الهوى داء دفينا
بحقك هل سمعت لها حديثا * فشاقك أو رأيت لها جبينا
فقلت شكا الى أخ محب * كمثل زماننا اذ تعلمينا
وذو الشجو القديم وان تعزى * محب حين يلقى العاشقينا

ثم عد الأبيات فاذا هى خمسة أبيات فأعتق خمس رقاب ثم قال لله درك من خمسة أعتقت خمسة وجمعت بين رأسين فى الحلال * وروى عن عثمان الضحاك قال خرجت أريد الحج فنزلت بخيمة بالأبواء فاذا بجارية جالسة على باب الخيمة فأعجبنى حسنها فتمثلت بقول نصيب

بزينب ألمم قبل أن يرحل الركب * وقل لا تملينا فما ملك القلب

فقالت ياهذا أتعرف قائل هذا البيت قلت بلى هو نصيب فقالت أتعرف زينبه قلت لا قالت أنا زينبه قلت حياك الله وحباك قالت أما والله ان اليوم موعده وعدنى العام الأول بالاجتماع فى هذا اليوم فعلك أن لا تبرح حتى تراه قال فبينما هى تكلمنى اذا أنا براكب قالت ترى ذلك الراكب قلت نعم قالت انى لاحسبه اياه فأقبل فاذا هو نصيب فنزل قريبا من الخيمة ثم أقبل فسلم ثم جلس قريبا منها فسألته أن ينشدها فأنشدها فقلت فى نفسى محبان قد طال التنائى بينهما فلابد أن يكون لاحدهما الى صاحبه حاجة فقمت الى بعيرى لأشد عليه فقال على رسلك انى معك فجلست حتى نهض معى فسرنا وتسايرنا فقال لى أقلت فى نفسك محبان التقيا بعد طول تناء فلا بد أن يكون لاحدهما الى صاحبه حاجة قلت نعم قد كان ذلك قال ورب هذا البيت منذ أحببتها ما جلست منها مجلسا هو أقرب من مجلسى هذا فتعجبت لذلك وقلت والله هذه هى العفة فى المحبة * وعن محمد بن يحيى المدنى قال سمعت بعض المدنيين يقول كان الرجل اذا أحب الفتاة يطوف حول دارها حولا يفرح أن يرى من يراها فان ظفر منها بمجلس تشاكيا وتناشدا الاشعار واليوم هو يشير اليها وتشير اليه ويعدها وتعده فان التقيا لم يتشاكيا حبا ولم يتناشدا شعرا بل يقوم اليها ويجلس بين شعبتيها كأنه أشهد على نكاحها أبا هريرة وقال الاصمعى قلت لاعرابية ما تعدون العشق فيكم قالت الضمة والغمزة والقبلة ثم أنشأت تقول

ما الحب الا قبلة * وغمز كف وعضد
ما الحب الا هكذا * ان نكح الحب فسد

النعمة والجمال والحلل واحفظ ما يقوله الرجل حرفا بحرف من ألفاظه من حين وقوع طرفك عليه الى أن تأتينى به واياك أن يشذ عنك شئ من أمره انطلق قال منارة فودعته وخرجت وركبت الابل وسرت أطوى المنازل أسير الليل والنهار ولا أنزل الا للجمع بين الصلاتين والبول وتنفيس النفس قليلا الى أن وصلت دمشق فى أول الليلة السابعة وأبواب البلد مغلقة فكرهت الدخول ليلا فنمت بظاهر البلد الى أن فتح الباب فدخلت على هيئتى حتى أتيت دار الرجل وعليها صف عظيم وحاشية كثيرة فلم أستأذن ودخلت بغير اذن فلما رأى القوم ذلك سألوا بعض غلمانى فقالوا هذا منارة رسول أمير المؤمنين الى صاحبكم فلما صرت فى صحن الدار نزلت ودخلت مجلسا رأيت فيه قوما جلوسا فظننت أن الرجل فيهم فقاموا ورحبوا بى فقلت أفيكم فلان قالوا لا نحن أولاده وهو فى الحمام فقلت استعجلوه فمضى بعضهم يستعجله وأنا أتفقد الدار والاحوال والحاشية فوجدتها قد ماجت بأهلها وحاشيتها فلم أزل كذلك حتى خرج الرجل بعد أن طال واسترابت به واشتد قلقى وخوفى من أن يتوارى الى أن رأيت شيخا بزى الحمام يمشى فى الصحن وحواليه جماعة كهول وأحداث وصبيان وهم أولاده وغلمانه فعلمت انه الرجل فجاء حتى جلس فسلم على سلاما خفيفا وسألنى عن أمير المؤمنين واستقامة أمر حضرته فأخبرته كما وجب وما قضى كلامه حتى جاؤا بأطباق فاكهة فقال تقدم يا منارة فكل معنا فقلت مالى الى ذلك من حاجة فلم يعاودنى وأقبل يأكل هو ومن عنده ثم غسل يديه ودعا بالطعام فجاؤا بمائدة عظيمة لم

ثم قالت كيف تعدون أنتم العشق قلت نغمك بقرنيها ونفرق بين رجليها قالت لست بعاشق أنت طالب ولد ثم أنشأت تقول

قد فسد العشق وهان الهوى * وصار من يعشق مستعجلا
يريد أن ينكح أحبابه * من قبل أن يشهد أو ينحلا

وقيل لرجل وقد زفت عشيقته على ابن عم لها أيسرك أن تظفر بها الليلة قال نعم والذى أمتعنى بحبها وأشقانى بطلبها قيل فما كنت صانعا بها قال كنت أطيع الحب فى اثمها وأعصى الشيطان فى اغوائها ولا أفسد عشق عشرين سنة بما يبقى ذميم عاره وينشر قبيح أخباره انى اذن للئيم لم يلدنى كريم * ومر سيدنا عمر رضى الله تعالى عنه ليلة فى بعض سكك المدينة فسمع امرأة تقول

ألا طال هذا الليل وازور جانبه * وليس الى جنبى خليل ألاعبه
فوالله لولا الله تخشى عواقبه * لحرك من هذا السرير جوانبه
مخافة ربى والحياء يعفنى * واكرام بعلى ان تنال مراتبه

قال فسأل عمر رضى الله تعالى عنه عنها فقيل له انها امرأة فلان وله فى الغزاة ثمانية أشهر فأمر عمر رضى الله تعالى عنه أن لا يغيب الرجل عن امرأته أكثر من أربعة أشهر (ومن ذلك) ماذكره ابن الجوزى فى كتاب تلقيح فهوم الاثر عن محمد بن عثمان بن أبى خيثمة السلمى عن أبيه عن جده قال بينما عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه يطوف ذات ليلة فى سكك المدينة اذ سمع امرأة تقول

هل من سبيل الى خمر فاشربها * أم من سبيل الى نصر بن حجاج
الى فتى ماجد الاعراق مقتبل * سهل المحيا كريم غير ملجاج
تنميه اعراق صدق حين تنسبه * أخى وفاء عن المكروب فراج

فقال عمر رضى الله تعالى عنه لا أرى معى بالمدينة رجلا تهتف به العواتق فى خدورهن على بنصر بن حجاج فلما أصبح أتى بنصر بن حجاج فاذا هو من أحسن الناس وجها وأحسنهم شعرا فقال عمر عزيمة من أمير المؤمنين لتأخذن من شعرك فأخذ من شعره فخرج من عنده وله وجنتان كأنهما شقتا قمر فقال له اعتم فاعتم فافتتن الناس بعمته فقال له عمر والله لا تساكننى فى بلدة أنا فيها فقال يا أمير المؤمنين ماذنبى قال هو ما أقول لك ثم سيره الى البصرة وخشيت المرأة التى سمع منها عمر ما سمع أن يبدر من عمر اليها شئ فدست اليه المرأة أبياتا وهى

قل للامام الذى تخشى بوادره * مالى وللخمر أو نصر بن حجاج
لا تجعل الظن حقا أن تبينه * ان السبيل سبيل الخائف الراجى
ان الهوى زم بالتقوى فتحبسه * حتى يقر بالجام واسراج

قال فبكى عمر رضى الله تعالى عنه وقال الحمد لله الذى زم الهوى بالتقوى قال وطال مكث نصر بن حجاج بالبصرة فخرجت أمه يوما بين الاذان والاقامة متعرضة لعمر فاذا هو قد خرج فى ازار ورداء وبيده الدرة فقالت له يا أمير المؤمنين والله لاقفن أنا وأنت بين يدى الله تعالى وليحاسبنك الله أيبيتن عبد الله وعاصم الى جنبيك وبينى وبين ابنى الفيافى والاودية فقال انها ان ابنى لم تهتف بهما العواتق فى خدورهن ثم أرسل عمر الى البصرة بريدا الى عتبة ابن غزوان فأقام أياما ثم نادى عتبة من أراد أن يكتب الى أمير المؤمنين فليكتب فان البريد خارج فكتب نصر بن حجاج بسم الله الرحمن الرحيم سلام عليك يا أمير المؤمنين أما بعد فاسمع منى هذه الابيات

لعمرى لئن سيرتنى أو حرمتنى * وما نلت من عرضى عليك حرام
فأصبحت منفيا على غير ريبة * وقد كان لى بالمكتين مقام
لئن غنت الذلفاء يوما بمنية * وبعض أمانى النساء غرام
ظننت بى الظن الذى ليس بعده * بقاء ومالى جرمة فألام
فيمنعنى مما تقول تكرمى * وآباء صدق سالفون كرام
ويمنعها مما تقول صلاتها * وحال لها فى قومها وصيام
فهاتان حالانا فهل أنت راجعى * فقد جب منى كاهل وسنام

قال فلما قرأ عمر رضى الله تعالى عنه هذه الابيات قال أما ولى السلطان فلا وأقطعه دارا بالبصرة فى سوقها فلما مات عمر ركب راحلته وتوجه نحو المدينة والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿الفصل الثالث من هذا الباب فى ذكر من مات بالحب والعشق﴾ حدث أبو القاسم بن اسمعيل بن عبد الله المأمون قال حدثنى أبى قال كانت بالمدينة قينة من أحسن الناس وجها وأكملهم عقلا وأكثرهم

أرمثلها الا الخليفة فقال تقدم يامنارة
فساعدنا على الاكل لا يزيدنى على
أن يدعونى باسمى كما يدعونى الخليفة
فامتنعت عليه فما اودنى وأكل هو
ومن عنده وكانوا تسعة من أولاده
فتأملت أكله فى نفسه فوجدته
أكل الملوك ووجدت جاشه رابضا
وذلك الاضطراب الذى فى داره قد
سكن ووجدتهم لا يرفعون من بين
يديه شيأ قد وضع على المائدة الا انهبا
وقد كان غلمانه أخذوا المال لما
نزلت الدار جمالى وجميع غلمانى
بالمنع من الدخول فما أطاقوا ممانعتهم
وبقيت وحدى ليس بين يدى الا
خمسة أو ستة غلمان وقوف على
رأسى فقلت فى نفسى هذا جبار
عنيد وان امتنع على من الشخوص
لم أطق اشخاصه بنفسى ولا بمن معى
ولا أطيق حفظه الى أن يلحقنى أمير
البلد فجزعت جزعا شديدا ورابنى منه
استخفافه بى فى الاكل ولا يسألنى
عما جئت به ويأكل مطمئنا وأنا
مفكر فى ذلك فلما افرغ من أكله
وغسل يديه دعا ببخور فتبخر وقام
الى الصلاة فصلى الظهر وأكثر من
الدعاء والابتهال فرأيت صلاته
حسنة فلما انفتل من المحراب أقبل
على وقال ما أقدمك يامنارة فقلت
أمر لك من أمير المؤمنين وأخرجت
الكتاب ودفعته اليه فقرأه فلما
استتم قراءته دعا أولاده وحاشيته
فاجتمع منهم خلق كثير فلم أشك انه
يريد أن يوقع بى فلما تكاملوا ابتدأ
يحلف أيمانا غليظة فيها الطلاق
والعتاق والحج وأمرهم أن ينصرفوا
ويدخلوا منازلهم ولا يجتمع منهم
اثنان فى مكان واحد ولا يظهروا الى
أن يظهر لهم أمر يعملون عليه وقال
هذا كتاب أمير المؤمنين يأمرنى
بالتوجه اليه ولست أقيم بعد نظرى
فيه لحظة واحدة فاستوصوا بمن
ورائى من الحرم خيرا ومابى حاجة

أدبا قد قرأت القرآن ورويت الأشعار وتعلمت العربية فوقعت عند يزيد بن عبد الملك فأخذت بمجامع قلبه فقال لها ذات يوم ويحك أمالك قرابة أو أحد تحبين أن أضيفه وأسدي اليه معروفا قالت يا أمير المؤمنين أما قرابة فلا ولكن بالمدينة ثلاثة نفر كانوا أصدقاء لمولاي وأحب أن ينالهم خير مما صرت اليه فكتب الى عامله بالمدينة في احضارهم اليه وأن يدفع الى كل واحد منهم عشرة آلاف درهم فلما وصلوا الى باب يزيد استؤذن لهم في الدخول عليه فأذن لهم وأكرمهم غاية الاكرام وسألهم عن حوائجهم فأما اثنان منهم فذكرا حوائجهما فقضاها وأما الثالث فسأله عن حاجته فقال يا أمير المؤمنين مالي حاجة قال ويحك أولست أقدر على حوائجك قال بلى يا أمير المؤمنين ولكن حاجتي ما أظنك تقضيها فقال ويحك فاسألني فانك لا تسألني حاجة أقدر عليها الا قضيتها قال فلي الأمان يا أمير المؤمنين قال نعم قال ان رأيت يا أمير المؤمنين أن تأمر جاريتك فلانة التي أكرمتنا بسببها أن تغني ثلاثة أصوات أشرب عليها ثلاثة أرطال فافعل قال فتغير وجه يزيد ثم قام من مجلسه فدخل على الجارية فأعلمها فقالت وما عليك يا أمير المؤمنين فأمر بالفتى فأحضر وأمر بثلاثة كراسي من ذهب فنصبت فقعد يزيد على أحدها والجارية على الآخر والفتى على الثالث ثم دعا بصنوف الرياحين والطيب فوضعت ثم أمر بثلاثة أرطال فملئت ثم قال للفتى سل حاجتك فقال تأمرها يا أمير المؤمنين أن تغني بهذا الشعر

لا أستطيع سلوا عن مودتها * أو يصنع الحب بي فوق الذي صنعا
أدعو الى هجرها قلبي فيسعدني * حتى اذا قلت هذا صادق نزعا

فأمرها فغنت وشرب يزيد وشرب الفتى وشربت الجارية ثم أمر بالارطال فملئت وقال للفتى سل حاجتك فقال مرها يا أمير المؤمنين أن تغني بهذا الشعر

تخيرت من نعمان عود أراكة * لهند ولكن من يبلغه هندا
ألا عرجابي بارك الله فيكما * وان لم تكن هند لأرضكما قصدا

فأمرها فغنت وشرب يزيد وشرب الفتى وشربت الجارية ثم أمر بالارطال فملئت ثم قال للفتى سل حاجتك قال تأمرها يا أمير المؤمنين أن تغني بهذا الشعر

مني الوصال ومنكم الهجر * حتى يفرق بيننا الدهر والله لا أسلوكم أبدا * ما لاح بدر أو بدا فجر

فأمرها فغنت قال فلم تتم الابيات حتى خر الفتى مغشيا عليه فقال يزيد للجارية قومي انظري ما حاله فقامت اليه فحركته فاذا هو ميت فقال لها يزيد ابكيه فقالت لا أبكيه يا أمير المؤمنين وأنت حي فقال لها ابكيه فوالله لو عاش ما انصرف الا بك فبكت الجارية وبكى أمير المؤمنين وأمر بالفتى فجهز ودفن وأما الجارية فلم تمكث بعده الا أياما قلائل وماتت ﴿وحكى﴾ عن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه أنه قدم على عبد الملك بن مروان فجلس ذات ليلة يسامره فتذاكر الغناء والجواري المغنيات والعشق فقال عبد الملك لعبد الله حدثني بأعجب ما مر لك في هذه الاغاني وما رأيت من الجواري قال نعم يا أمير المؤمنين اشتريت جارية مولدة بعشرة آلاف درهم وكانت حاذقة مطبوعة فوصفت ليزيد بن معاوية فكتب الي في شأنها فكتبت اليه والله لا تخرج مني ببيع ولا هبة فأمسك عني فكانت عندي على تلك الحالة لا أزداد فيها الا حبا فبينما أنا ذات ليلة اذ أتتني عجوز من عجائزنا فذكرت لي أن بعض اعراب المدينة يحبها وتحبه ويراها وتراه وأنه يجيء كل ليلة متنكرا فيقف بالباب فيسمع غناءها ويبكي شغفا وحبا فراعيت ذلك الوقت الذي قالت عليه العجوز فاذا به قد أقبل مقنعا رأسه وقعد مستخفيا فلم أدع بها في تلك الليلة وجعلت أتأمل موضعها وموضعه فاذا بها تكلمه وبكاها ولم أر بينهما الا عتبا ولم يزالا كذلك حتى ابيض الصبح فدعوت بها وقلت لقيمة الجواري أصلحي فلانة بما يمكنك فأصلحتها وزينتها فلما جاءت بها قبضت على يديها وفتحت الباب وخرجت فمشت الى الفتى فحركته فانتبه مذعورا فقلت لا بأس عليك ولا خوف هي هبة مني اليك فدهش الفتى ولم يجبني فدنوت الى أذنه وقلت قد أظفرك الله تعالى ببغيتك فقم وانصرف بها الى منزلك فلم يردجوابا فحركته فاذا هو ميت فلم أر شيأ قط كان أعجب من أمره قال عبد الملك لقد حدثتني بعجب فما صنعت الجارية قلت ماتت والله بعده بأيام بعد نحول عظيم وتعليل وماتت كمدا ووجدا على الغلام * وقيل ان عبد الله بن عجلان الهندي رأى أثر كف عشيقته في ثوب زوجها فمات (وذكر) محمد بن واسع الهيتي أن عبد الملك بن مروان بعث كتابا الى الحجاج بن يوسف الثقفي يقول فيه بسم الله

من أن يحبني غلام هات قيودك بالمنارة فدعوت بها وكانت في سفط فأحضر حدادا فقد ساقيه فقيدته وأمرت غلماني حمله في المحمل وركبت في الشق الآخر وسرت من وقتي ولم ألق أمير البلد ولا غيره فسرت بالرجل ليس معه أحد الى أن صرنا بظاهر دمشق فابتدأ يحدثني بانبساط حتى انتهينا الى بستان حسن في الغوطة فقال لي ترى هذا قلت نعم قال انه لي وقال ان فيه من غرائب الاشجار كيت وكيت ثم انتهى الى آخر فقال مثل ذلك ثم انتهى الى مزارع حسان وقرى سنية وقال هذه لي فاشتد غيظي منه فقلت له اعلم أني شديد التعجب منك قال ولم تعجب قلت أليس تعلم أن أمير المؤمنين قد أهمه أمرك حتى أرسل اليك من انتزعك من بين أهلك ومالك وولدك وأخرجك عن جميع مالك فريدا وحيدا مقيدا ما تدري الى ما يصير اليه أمرك ولا كيف يكون وأنت فارغ القلب من هذا تصف ضياعك وبساتينك هذا وقد رأيتك وقد جئت وأنت لا تعلم فيم جئت وأنت ساكن القلب قليل الفكر لقد كنت عندي شيخا فاضلا فقال لي مجيبا انا لله وانا اليه راجعون أخطأت فراستي فيك ظننتك رجلا كامل العقل وانك ما حللت من الخلفاء هذا المحل الا بعد أن عرفوك بذلك فأنا والله رأيت عقلك وكلامك يشبه كلام العوام وعقلهم والله المستعان أما قولك في أمير المؤمنين وازعاجه واخراجه اياي الى بابه على صورتي هذه فاني على ثقة من الله عز وجل الذي بيده ناصيتي ولا يملك أمير المؤمنين لنفسه ولا لغيره نفعا ولا ضرا الا باذن الله ومشيئته ولا ذنب لي عند أمير المؤمنين أخافه وبعد فاذا عرف أمري وعلم سلامتي وصلاحي

الرحمن الرحيم من عبد الملك بن مروان الى الحجاج بن يوسف أما بعد اذا ورد عليك كتابي هذا وقرأته فسر لي ثلاث جوار مولدات أبكار يكون اليهن المنتهى في الجمال واكتب لي بصفة كل جارية منهن ومبلغ ثمنها من المال فلما ورد الكتاب على الحجاج دعا بالنخاسين وأمرهم بما أمره به أمير المؤمنين وأمرهم أن يسيروا الى أقصى البلاد حتى يقعوا بالغرض وأعطاهم المال وكتب لهم كتبا الى كل الجهات فساروا يطلبون ما أراد أمير المؤمنين فلم يزالوا من بلد الى بلد ومن اقليم الى اقليم حتى وقعوا بالغرض ورجعوا الى الحجاج بثلاث جوار مولدات ليس لهن مثيل قال وكان الحجاج فصيحا فجعل ينظر الى كل واحدة منهن ومبلغ ثمنها فوجدهن لا يقام لهن بقيمة وان ثمنهن ثمن واحدة منهن ثم كتب كتابا الى عبد الملك بن مروان يقول فيه بعد الثناء الجميل وصلني كتاب أمير المؤمنين أمتعني الله تعالى ببقائه يذكر فيه أني أشتري له ثلاث جوار مولدات أبكارا وأن أكتب له صفة كل واحدة منهن وثمنها فاما الجارية الاولى أطال الله تعالى بقاء أمير المؤمنين فانها جارية عيطاء السوالف عظيمة الروادف كحلاء العينين حمراء الوجنتين قد أنهدت نهداها والتفت فخذاها كأنها ذهب شيب بفضة وهي كما قيل

بيضاء فيها اذا استقبلتها دعج * كأنها فضة قد شابها ذهب

وثمنها يا أمير المؤمنين ثلاثون ألف درهم وأما الثانية فانها جارية فائقة في الجمال معتدلة القد والكمال تشفي السقيم بكلامها الرخيم وثمنها يا أمير المؤمنين ستون ألف درهم وأما الثالثة فانها جارية فاترة الطرف لطيفة الكف عظيمة الردف شاكرة للقليل مساعدة للخليل بديعة الجمال كأنها خشف الغزال وثمنها يا أمير المؤمنين ثمانون ألف درهم ثم أطنب في الشكر والثناء على أمير المؤمنين وطوى الكتاب وختمه ودعا النخاسين فقال لهم تجهزوا للسفر بهؤلاء الجواري الى أمير المؤمنين فقال أحد النخاسين أيد الله الامير اني رجل كبير ضعيف عن السفر ولي ولد ينوب عني أفتأذن لي في ذلك قال نعم فتجهزوا وخرجوا في بعض مسيرهم نزلوا يوما ليستريحوا في بعض الاماكن فنامت الجواري فهبت الريح فانكشفت بطن احداهن وهي الكوفية فبان نور ساطع وكان اسمها مكتوم فنظر اليها ابن النخاس وكان شابا جميلا ففتن بها الساعة فأتاها على غفلة من أصحابه وجعل يقول

أمكتوم عيني لا تمل من البكا * وقلبي بأسهام الاسى يترشق

أمكتوم كم من عاشق قتل الهوى * وقلبي رهين كيف لا أتعشق

(فاجابته تقول) لو كان حقا ما تقول لزرتنا * ليلا اذا هجعت عيون الحسد

قال فلما جن الليل انتضى الفتى ابن النخاس سيفه وأتى نحو الجارية فوجدها قائمة تنتظر قدومه فاخذها وأراد أن يهرب ففطن به أصحابه فأخذوه وكتفوه وأوثقوه بالحديد ولم يزل مأسورا معهم الى أن قدموا على عبد الملك ابن مروان فلما مثلوا بالجواري بين يديه أخذ الكتاب ففتحه وقرأه فوجد الصفة وافقت اثنتين من الجواري ولم توافق الثالثة ورأى في وجهها صفرة وهي الجارية الكوفية فقال للنخاسين ما بال هذه الجارية لم توافق حليتها التي ذكرها الحجاج في كتابه وما هذا الاصفرار الذي بها والانتحال فقالوا يا أمير المؤمنين نقول ولنا الامان قال ان صدقتم أمنتم وان كذبتم هلكتم فخرج أحد النخاسين وأتى بالفتى وهو مصفد بالحديد فلما قدموه بين يدي أمير المؤمنين بكى بكاء شديدا وأيقن بالعذاب ثم أنشأ يقول

أمير المؤمنين أتيت رغما * وقد شدت الى عنقي يديا * مقرا بالقبيح وسوء فعلي
ولست بما رميت به بريا * فان تقتل ففوق القتل ذنبي * وان تعفو فمن جود عليا

فقال عبد الملك يا فتى ما حملك على ما صنعت استخفاف بنا أم هوى الجارية قال وحق رأسك يا أمير المؤمنين وعظم قدرك ما هو الا هوى الجارية فقال هي لك بما أعددته لها فاخذها الغلام بكل ما أعده لها أمير المؤمنين من الحلي والحلل وسار بها فرحا مسرورا الى نحو أهله حتى اذا كانا ببعض الطريق نزلا بمرحلة ليلا فتعانقا وناما فلما أصبح الصباح وأراد الناس السير نبهوهما فوجدوهما ميتين فبكوا عليهما ودفنوهما بالطريق ووصل خبرهما الى عبد الملك فبكى عليهما وتعجب من ذلك (ومن ذلك) ماروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه أخرج خالد بن الوليد المخزومي رضي الله تعالى عنه الى مشركي خزاعة قال خالد فاخرجني اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في عشرة آلاف فارس من أهل النجدة والبأس قال فجد بنا المسير اليهم فسبق اليهم الخبر فخرجوا الينا فقاتلناهم قتالا شديدا حتى تعالى النهار وطار الشرار وهاجت الفرسان وتلاحمت الاقران فلولا أن الله

وبعد ناحيتي وان الحسدة والأعداء رموني عنده بما ليس في وتقولوا على الاباطيل الكاذبة لم يستحل دمي وتحلل من أذاي وازعاجي وردني مكرما وأقامني ببابه معظما وان كان سبق في علم الله عز وجل أنه يبدر الي منه بادرة سوء وقد حضر أجلي وكان سفك دمي على يده فلو اجتمعت الانس والجن والملائكة وأهل الارض وأهل السماء على صرف ذلك عني ما استطاعوه فلم أتعجل الغم وأتسلف الفكر فيما قد فرغ الله منه واني حسن الظن بالله عز وجل الذي خلق ورزق وأحيا وأمات وأحسن وأجمل وان الصبر والرضا والتفويض والتسليم الى من يملك الدنيا والآخرة أولى وقد كنت أحسب أنك تعرف هذا فاذ قد عرفت مبلغ فهمك فاني لا أكلمك بكلمة واحدة حتى تفرق حضرة أمير المؤمنين بيننا ان شاء الله تعالى قال ثم أعرض عني فما سمعت منه لفظة غير القرآن والتسبيح أو حاجة أو ما يجري مجراها حتى شارفنا الكوفة في اليوم الثالث عشر بعد الظهر والنجب قد استقبلتني على فراسخ من الكوفة يتجسسون خبري فحين رأوني رجعوا عني بالخبر الى أمير المؤمنين فانتهينا الى الباب في آخر النهار فحططت ودخلت على الرشيد فقبلت الارض بين يديه ووقفت فقال هات ما عندك يا منارة واياك أن تغفل منه لفظة واحدة فسقت الحديث من أوله الى آخره حتى انتهيت الى ذكر الفاكهة والطعام والغسل والبخور والصلاة وما حدثت به نفسي من امتناعه والغضب يظهر في وجه الرشيد ويتزايد حتى انتهيت الى فراغ الاموي من الصلاة والتفاته ومسئلته عن سبب قدومي ودفعي الكتاب اليه

تعالى أيدنا بنصره لكادت الدائرة أن تكون علينا ولكن تداركنا الله برحمة منه فهزمناهم وقتلناهم قتلا ذريعا ولم ندع لهم فارسا الا قتلناه ثم طلبنا البيوت فنهبنا وسبينا فلما هدأ القتال والنهب أمرت أصحابي بجمع السبايا لنقدم بهن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما خرجنا وأحصيناهم خرج منهم غلام لم يراهق الحلم ولم يجر عليه القلم وهو ماسك بشابة جميلة فقلنا له يا غلام انعزل عن النساء فصاح صيحة مزعجة وهجم علينا فوالله لقد قتل منا في بقية نهارنا مائة رجل قال خالد فرأيت أصحابي قد كرهوا قتاله وتأخروا عنه فلانه منهم جوادا وعلا على ظهره ونادى البراز يا خالد قال فبرزت اليه بنفسي بعد أن أنشدت شعرا فوالله لم يمهلني حتى أتم شعري بل حمل على فتطاعنا حتى تكسرت القنا وتضاربنا بالسيوف حتى تفللت فوالله لقد اقتحمت الاهوال ومارست الابطال فما رأيت أشد من حملاته ولا أسرع من هجماته فبينما نحن نعترك اذ كبا به فرسه فصار بين قوائمه فوثبت عليه وعلوت على صدره وقلت له افد نفسك بقول أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله وأنا أردك من حيث جئت قال يا خالد ما أنصفتني اتركني حتى أجد من نفسي القوة قال خالد فتركته وقلت لعله أن يسلم ثم شددته وثاقا وصفدته بالحديد وأنا أبكي اشفاقا على حسن شبابه ثم أوثقته على بعير لي فلما علم أن لا خلاص له قال يا خالد سألتك بحق الملك الا ما شددت ابنة عمي على ناقة أخرى الى جانبي قال خالد فأخذتها وشددتها على ناقة أخرى الى جانبه ووكلت بهما جماعة من أشد القوم بالقواضب والرماح وسرنا فلما استقامت مطايا هما جعل الغلام والجارية يتناشدان الاشعار ويبكيان الى آخر الليل فسمعته يذكر قصيدة يسب فيها الاسلام ويذكر أن لا يسلم أبدا فأخذت السيف وضربته فرميت رأسه فصاحت الجارية وأكبت صارخة فحركتها فوجدتها ميتة فأبركنا الأباعر وحفرنا ودفناهما فلما قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبلنا نحدثه بعجيب ما رأينا مع الغلام فقال لا تحدثوني شيأ أنا أحدثكم به فقلنا من أعلمك به يا رسول الله قال أخبرني جبريل عليه السلام وتعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم من موافقتهما وموافقة أجلهما (ومن ذلك) ما حكاه الثوري قال حدثني جبلة بن الأسود وما رأيت شيخا أصبح ولا أوضح منه قال خرجت في طلب ابل لي ضلت فما زلت في طلبها الى أن أظلم الظلام وخفيت الطريق فصرت أطوف وأطلب الجادة فلا أجدها فبينما أنا كذلك اذ سمعت صوتا حسنا بعيدا وبكاء شديدا فشجاني حتى كدت أسقط عن فرسي فقلت لاطلبن الصوت ولو تلفت نفسي فما زلت أقرب اليه الى أن هبطت واديا فاذا راع قد ضم غنمه الى شجرة وهو ينشد ويترنم

وكنت اذا ما جئت سعدى أزورها ✱ أرى الارض تطوى لي ويدنو بعيدها
من الخفرات البيض ود جليسها ✱ اذا ما انقضت أحدوثة لو تعيدها

قال فدنوت منه وسلمت عليه فرد على السلام وقال من الرجل فقلت منقطع به المسالك أتاك يستجير بك ويستعينك قال مرحبا وأهلا انزل على الرحب والسعة فعندي وطاء وطي وطعام غير بطي فنزلت فنزع شملته وبسطها تحتي ثم أتاني بتمروز بد ولبن وخبز ثم قال اعذرني في هذا الوقت فقلت والله ان هذا الخير كثير ثم مال الى فرسي فربطه وسقاه وعلفه فلما أكلت توضأت وصليت واتكأت واني لبين النائم واليقظان اذ سمعت حس شئ واذا بجارية قد أقبلت من كبد الوادي فضحت الشمس حسنا فوثب قائما اليها ومازال يقبل الارض حتى وصل اليها وجعلا يتحادثان فقلت هذا رجل عربي ولعلها حرمة له فتناومت وما بت نوم فما زالا في أحسن حديث ولذة مع شكوى وزفرات الا أنهما لم يهم أحدهما لصاحبه بقبيح فلما طلع الفجر عانقها وتنفسا الصعداء وبكى وبكت ثم قال لها يا ابنة العم سألتك بالله لا تبطئي عني كما أبطأت الليلة قالت يا ابن العم أما علمت أني انتظر الواشين والرقباء حتى يناموا ثم ودعته وسارت وكل واحد منهما يلتفت نحو الآخر ويبكي فبكيت رحمة لهما وقلت في نفسي والله لا أنصرف حتى أستضيفه الليلة وأنظر ما يكون من أمرهما فلما أصبحنا قلت له جعلني الله فداءك الاعمال بخواتيمها وقد نالني أمس تعب شديد فأحب الراحة عندك اليوم فقال على الرحب والسعة لو أقمت عندي بقية عمرك ما وجدتني الا كما تحب ثم عمد الى شاة فذبحها وقام الى نار فأججها وشواها وقدمها الى فأكلت وأكل معي الا أنه أكل من لا يريد الا كل فلم أزل معه نهاري ذلك ولم أر أشفق منه على غنمه ولا ألين جانبا ولا أحلى كلاما الا أنه كالولهان ولم أعلمه بشئ مما رأيت فلما أقبل الليل وطأت وطائي فصليت وأعلمته أني أريد الهجوع لما بي من التعب بالامس فقال لي

ومبادرته الى احضار ولده وأهله وحلفه عليهم أن لا يتبعه أحد منهم وصرفه اياهم ومدر جليه حتى قيدته فما زال وجه الرشيد يسفر حتى انتهيت الى ما خاطبني به عند تو بيخه اياي لما تركنا المحمل قال صدق والله ما هذا الا رجل محسود على النعمة مكذوب عليه ولعمري لقد أزعجناه وآذيناه وروعنا أهله فبادر بنزع قيوده عنه وائتني به قال فخرجت فنزعت قيوده وأدخلته الى الرشيد فما هو الا ان رآه حتى رأيت ماء الحياء يجول في وجه الرشيد فسأله عن حاله ثم قال بلغنا عنك فضل هيئة وأمور أحببنا معها أن نراك ونسمع كلامك ونحسن اليك فاذكر حاجتك فأجاب الاموي جوابا جميلا وشكر ودعا فقال مالي الا حاجة واحدة قال مقضية ما هي قال يا أمير المؤمنين تردني الى بلدي وأهلي وولدي قال نحن نفعل ذلك ان شاء الله تعالى ولكن سل ما تحتاج اليه في مصالح جاهك ومعاشك فان مثلك لا يخلو أن يحتاج الى شئ من هذا فقال عمال أمير المؤمنين منصفون وقد استغنيت بعدله عن مسئلته فاموري منتظمة وأحوالي مستقيمة وكذلك أمور أهل بلدي بالعدل الشامل في ظل أمير المؤمنين فقال الرشيد انصرف محفوظا الى بلدك واكتب الينا بامر ان عرض لك فودعه فلما ولى خارجا قال الرشيد يا منارة احمله من وقتك وسر به راجعا الى أهله كما جئت به حتى اذا أوصلته الى محله الذي أخذته منه فدعه فيه وانصرف ففعلت والله أعلم (وحكى) في الكتاب المذكور قال حدثني أبو الربيع سليمان بن داود قال كان في جوار القاضي قديما رجل انتشرت عنه حكاية وظهر في يده مال جليل بعد فقر طويل وكنت أسمع أن أبا عمر

ثم هنيأ فأظهرت النوم ولم انم وقام ينتظرها الى هنيهة من الليل فأبطأت عليه فلما حان وقت مجيئها اقلق قلقا شديدا وزاد عليه الامر فبكى ثم جاء نحوى فحركنى فاوهمته انى كنت نائما فقال يا أخى هل رايت الجارية التى كانت تتعهدنى وجاءتنى البارحة قلت قد رايتها قال فتلك ابنة عمى واعز الناس على وانى لها محب ولها عاشق وهى أيضا محبة لى أكثر من محبتى لها وقد منعنى ابوها من تزويجها الى الفقرى وفاقتى وتكبر على فصرت راعيا بسببها فكانت تزورنى فى كل ليلة وقد حان وقتها الذى تأتى فيه واشتغل قلبى عليها وحدثتنى نفسى أن الاسد قد افترسها ثم انشأ يقول

ما بال مية لا تأتى كعادتها * أعاقها طرب ام صدها شغل
نفسى فداؤك قد أحللت بى سقما * تكاد من حره الاعضاء تنفصل

قال ثم انطلق فغاب عنى ساعة وأتى بشئ فطرحه بين يدى فاذا هى الجارية قد قتلها الاسد وأكل أعضاءها وشوه خلقتها ثم اخذ السيف وانطلق فابطأ هنيهة وأتى ومعه رأس الاسد فطرحه ثم أنشأ يقول

الا ايها الليث المدل بنفسه * هلكت لقد جرت حقا لك الشرا
وخلفتنى فردا وقد كنت آنسا * وقد عادت الايام من بعدها غبرا

ثم قال بالله يا اخى الا ما قبلت ما أقول لك فانى اعلم أن المنية قد حضرت لا محالة فاذا أنا مت فخذ عباءتى هذه فكفنى فيها وضم هذا الجسد الذى بقى منها معى وادفنا فى قبر واحد وخذ شويهاتى هذه وجعل يشير اليها فسوف تأتيك امرأة عجوز هى والدتى فاعطها عصاى هذه وثيابى وشويهاتى وقل لها مات ولدك كدا بالحب فانها تموت عند ذلك فادفنها الى جانب قبرنا وعلى الدنيا منى السلام قال فوالله ما كان الا قليل حتى صاح صيحة ووضع يده على صدره ومات لساعته فقلت والله لاصنعن له ما أوصانى به فغسلته وكفنته فى عباءته وصليت عليه ودفنته ودفنت باقى جسدها الى جانبه وبت تلك الليلة باكيا حزينا فلما كان الصباح أقبلت امرأة عجوز وهى كالوالهة فقالت لى هل رأيت شابا يرعى غنما فقلت لها نعم وجعلت أتلطف بها ثم حدثتها بحديثه وما كان من خبره فاخذت تصيح وتبكى وانا الاطفها الى أن اقبل الليل ومازالت تبكى بحرقة الى أن مضى من الليل برهة فقصدت نحوها فاذا هى مكبة على وجهها وليس لها نفس يصعد ولا جارحة تتحرك فحركتها فاذا هى ميتة فغسلتها وصليت عليها ودفنتها الى جانب قبر ولدها وبت الليلة الرابعة فلما كان الفجر قمت فشددت فرسى وجمعت الغنم وسقتها فاذا أنا بصوت هاتف يقول

كنا على ظهرها والدهر يجمعنا * والشمل مجتمع والدار والوطن
ففرق الدهر بالتفريق ألفتنا * وصار يجمعنا فى بطنها الكفن

قال فأخذت الغنم ومضيت الى الحى لبنى عمهم فاعطيتهم الغنم وذكرت لهم القصة فبكى عليهم اهل الحى بكاء شديدا ثم مضيت الى أهلى وانا متعجب مما رأيت فى طريقى (ومن ذلك) ما حكى ان زوج عزة أراد أن يحج بها فسمع كثير الخبر فقال والله لاحجن لعلى أفوز من عزة بنظرة قال فبينما الناس فى الطواف اذ نظر كثير لعزة وقد مضت الى جملها خفيته ومسحت بين عينيه وقالت له حييت يا جمل فبادر ليلحقها ففاتته فوقف على الجمل وقال

حيتك عزة بعد الحج وانصرفت * فحى ويحك من حياك يا جمل
لو كنت حييتها ما كنت ذا سرف * عندى ولا مسك الادلاج والعمل

قال فسمعه الفرزدق فتبسم وقال له من تكون يرحمك الله قال أنا كثير عزة فمن انت يرحمك الله قال انا الفرزدق ابن غالب التميمى قال أنت القائل

رحلت جمالهم بكل اسيلة * تركت فؤادى هائما مخبولا * لو كنت أملكهم اذا لم يرحلوا
حتى اودع قلبى المتبولا * ساروا بقلبى فى الحدوج وغادروا * جسمى يعالج زفرة وعويلا

فقال الفرزدق نعم فقال كثير والله لولا انى بالبيت الحرام لاصيحن صيحة افزع هشام بن عبد الملك وهو على سرير ملكه فقال الفرزدق والله لاعرفن بذلك هشاما ثم تواد عا وافترقا فلما وصل الفرزدق الى دمشق دخل الى هشام ابن عبد الملك فعرفه بما اتفق له مع كثير فقال له اكتب اليه بالحضور عندنا لنطلق عزة من زوجها ونزوجه اياها فكتب اليه بذلك فخرج كثير يريد دمشق فلما خرج من حيه وسار قليلا رأى غرابا على بانة وهو يفلى نفسه وريشه

نهاه من السلطان فسألته عن الحكاية فاطرق طويلا ثم حدثنى قال ورثت مالا جزيلا فاسرعت فى اتلافه وأتلفته حتى أفضيت الى بيع أبواب دارى وسقوفها ولم يبق لى حيلة وبقيت مدة لا قوت لى الا من بيع والدتى لما تغزله وتطعمنى وتأكل منه فتمنيت الموت فرأيت ليلة فى منامى كأن قائلا يقول لى غناك بمصر فاخرج اليها فبكرت الى دار أبى عمر القاضى وتوسلت اليه بالجوار وبالخدمة وكان أبى قد خدمه أياما وسألته أن يزودنى كتابا الى مصر لا تصرف فيها ففعل وخرجت فلما حصلت بمصر أوصلت الكتب وسألت التصرف فسد الله على باب الرزق حتى لم أظفر بتصرف ولا لاح لى شغل ونفدت نفقتى فبقيت متفكرا فى أن أسأل الناس فلم أستجع المسئلة ولم يحملنى الجوع عليها وأنا ممتنع الى أن مضى من الليل صدر صالح فلقينى الطائف فقبض على ووجدنى غريبا فانكر حالى فسألنى فقلت رجل ضعيف فلم يصدقنى وبطحنى وضربنى مقارع فصحت وقلت أنا أصدقك فقال هات فقصصت عليه قصتى من أولها الى آخرها وحديث المنام فقال ما رأيت أحمق منك والله لقد رأيت منذ كذا وكذا سنة فى النوم كأن رجلا يقول لى ببغداد فى الشارع الفلانى فى المحلة الفلانية قال فذكر شارعى ومحلتى وأصغيت فتمم الشرطى الحديث فقال دار يقال لها دار فلان فذكر دارى واسمى وفيها بستان وفيه سدرة تحتها مدفون ثلاثون ألف دينار فامض وخذها فما فكرت فى هذا الحديث ولا التفت اليه وأنت يا أحمق فارقت وطنك وجئت الى مصر بسبب منام قال فقوى قلبى وأطلقنى الطائف فبت فى مسجد وخرجت من الغد من مصر وقدمت بغداد

يتساقط فاصفر لونه وارتاع من ذلك وجد فى السير ثم انه مال ليسقى راحلته من حى بنى فهد وهم زجرة الطير فبصر به شيخ من الحى فقال يا ابن أخى أرأيت فى طريقك شيأ فراعك قال نعم يا عم رأيت غرابا على بانة ينتفلى و ينتف ريشه فقال له الشيخ أما الغراب فانه اغتراب والبانة بين والتفلى فرقة فازداد كثير حزنا على حزنه لما سمع من الشيخ هذا الكلام وجد فى السير الى أن وصل الى دمشق ودخل من أحد أبوابها فرأى الناس يصلون على جنازة فنزل وصلى معهم فلما انقضت الصلاة صاح صائح لا اله الا الله ما أغفلك يا كثير عن هذا اليوم فقال ما هذا اليوم يا سيدى فقال ان هذه عزة قد ماتت وهذه جنازتها فخر مغشيا عليه فلما أفاق أنشأ يقول

فما أعرف الفهدى لا در دره * وأزجره للطير لا عز ناصره
رأيت غرابا قد علا فوق بانة * ينتف أعلى ريشه و يطايره
فقال غراب اغتراب من النوى * وبانة بين من حبيب تعاشره

ثم شهق شهقة فارقت روحه الدنيا ومات من ساعته ودفن مع عزة فى يوم واحد ﴿وحكى الاصمعى﴾ قال بينما أنا أسير فى البادية اذ مررت بحجر مكتوب عليه هذا البيت

أيا معشر العشاق بالله خبروا * اذا حل عشق بالفتى كيف يصنع

فكتبت تحته يدارى هواه ثم يكتم سره * ويخشع فى كل الامور و يخضع

ثم عدت فى اليوم الثانى فوجدت مكتوبا تحته

فكيف يدارى والهوى قاتل الفتى * وفى كل يوم قلبه يتقطع

فكتبت تحته اذا لم يجد صبرا لكتمان سره * فليس له شئ سوى الموت أنفع

ثم عدت فى اليوم الثالث فوجدت شابا ملقى تحت ذلك الحجر ميتا فقلت لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وقد كتب قبل موته سمعنا أطعنا ثم متنا فبلغوا * سلامى على من كان للوصل يمنع

(وحكى) أيضا عن الاصمعى رحمه الله تعالى أنه قال بينما أنا نائم فى بعض مقابر البصرة اذ رأيت جارية على قبر تندب وتقول بروحى فتى أوفى البرية كلها * وأقواهم فى الحب صبرا على الحب

قال فقلت لها يا جارية بم كان أوفى البرية وبم كان أقواها فقالت يا هذا انه ابن عمى هوينى فهويته فكان ان باح عنفوه وان كتم لاموه فانشد بيتى شعر ومازال يكررهما الى أن مات والله لا ندبنه حتى أصير مثله فى قبر الى جانبه فقلت لها يا جارية فما البيتان قالت

يقولون لى ان بحت قد غرك الهوى * وان لم أبح بالحب قالوا تصبرا
فما لامرئ يهوى و يكتم أمره * من الحب الا أن يموت فيعذرا

ثم انها شهقت شهقة فارقت روحها الدنيا رحمة الله تعالى عليها والحكايات فى ذلك كثيرة وفى الكتب مشهورة ولولا الاطالة والخوف من الملالة لجمعنا فى هذا المعنى أشياء كثيرة ولكن اقتصرنا على هذه النبذة اليسيرة والله سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿الباب الثانى والسبعون فى ذكر رقائق الشعر والمواليا والدو بيت وكان وكان والموشحات والزجل والحماق والقومة والالغاز ومدح الاسماء والصفات وما أشبه ذلك وفيه فصول﴾

﴿الفصل الاول فى الشعر﴾ قد قسم الناس الشعر خمسة أقسام مرقص كقول أبى جعفر طلحة وزير سلطان الاندلس والشمس لا تشرب خمر الندى * فى الروض الا من كؤس الشقيق

ومطرب كقول زهير تراه اذا ما جئته متهللا * كأنك تعطيه الذى أنت سائله

ومقبول كقول طرفة بن العبد

ستبدى لك الايام ما كنت جاهلا * و يأتيك بالأخبار من لم تزود

ومسموع مما يقام به الوزن دون أن يمجه الطبع كقول ابن المعتز

سقى المطيرة ذات الظل والشجر * ودير عبدون هطال من المطر

ومتروك وهو ما كان كلا على السمع والطبع كقول الشاعر

تقلقلت بالهم الذى قلقل الحشى * قلاقل هم كلهن قلاقل

وقد قسم الناس فنون الشعر الى عشرة أبواب حسب ما بوب أبو تمام فى الحماسة وقال عبد العزيز بن أبى

فقلعت السقرة وأثرت مكانها فوجدت جرابا فيه ثلاثون ألف درهم فأخذتها وأمسكت يدى ودبرت أمرى وأنا أعيش من تلك الدنانير ومن فضل ما ابتعته منها من ضياع وعقار الى الآن (وحكى القاضى أبو على المحسن بن على التنوخى فى كتابه فى أخبار المذاكرة ونشوان المحاضرة) قال حدثنى أبو محمد يحيى ابن محمد بن فهمة قال حدثنى بعض الكتاب قال سافرت أنا وجماعة من أصدقائى نريد مصر للتصرف فلما حصلنا بدمشق وكان معنا عدة بغال عليها ثقل غلمان لنا ونحن على دوابنا اقبلنا نخترق الطرق لا ندرى اين ننزل فاجتزنا برجل شاب حسن الوجه جالس على باب دار شاهقة و بناء فسيح وغلمان بين يديه فقام الينا وقال أظنكم سفرا وردتم الآن فقلنا نحن كذلك قال فتنزلون علينا وألح علينا فاستحيينا من محله وحسن ظاهره وهيئته فحططنا على بابه ودخلنا وأقبل أولئك الغلمان يحملون ثقلنا و يدخلونه الدار ولا يدخلون أحدا من غلماننا يخدمنا حتى حملوه بأسره فى أسرع وقت وجاؤنا بالطسوت والاباريق فغسلنا و جوهنا وأجلسونا فى مجلس حسن مفروش بأنواع الفرش التى لم نر مثلها واذا الدار فى نهاية الحسن والفخر والكبر وفيها دور و بستان عظيم وصاحب الدار يخدمنا بنفسه وعرض علينا الحمام فقلنا نحن اليه محتاجون فأدخلنا الى الحمام فى الدار فى غاية السرور ودخل الينا غلمان أمردان وصبيان فى نهاية الحسن فخدمونا بدلا من القيم وأخرجنا من الحمام الى غير ذلك المجلس فقدم الينا مائدة حسنة جليلة عليها من الحيوان وفاخر الطعام والألوان ونادر الخبز وغريب البوادر من كل شئ واذا

الاصبع الذى" وقع لى أن فنون الشعر ثمانية عشر فنا وهى غزل ووصف وفخر ومدح وهجاء وعتاب واعتذار وأدب وزهد وخمريات ومراث وبشارة وتهانى ووعيد وتحذير وتحريض وملح وباب مفرد للسؤال والجواب * ولنذكر ان شاء الله تعالى من ذلك ما تيسر على سبيل الاختصار ولنبدأ من ذلك بذكر الغزل المذكر (ابن نباتة)

أأغصان بان ما أرى أم شمائل * وأقمار تم ما تضم الغلائل * وبيض رقاق من جفون فواتر
وسمر دقاق أم قدود قواتل * وتلك نبال أم لحاظ رواشق * لها هدف منى الحشى والمقاتل
بروحى أفدى شادنا قد ألفته * فعدوت وبى شغل من الوجد شاغل * أمير جمال والملاح جنوده
يجور علينا قده وهو عادل * له حاجب عن مقلتى حجب الكرى * وناظره الفتان فى القلب عامل
رفعت اليه قصة الدمع شاكيا * فوقع يجرى فهو فى الخد سائل * شكوت فما ألوى وقلت فاصغى
وجد بقلبى حبه وهو هازل * طويل التوانى دله متواتر * مديد التجنى وافر الحسن كامل
أطارحه بالنحو يوما تعللا * فيبدو وللاعراب فيه دلائل * ويرفع وصلى وهو مفعول بالهوى
وينصب هجرى عامدا وهو فاعل * تفقهت فى عشقى له مثل ما غدا * خبيرا باحكام الخلاف يجادل
فيا مالكى ما ضر لو كنت شافعى * بوصلك فافعل بى كما أنت فاعل
فانى حنيفى الهوى متحنبل * بعشقك لا أصغى وان قال قائل

﴿ كمال الدين بن النبيه ﴾

الله أكبر كل الحسن فى العرب * كم تحت لمة ذا التركى من عجب * صبح الجبين بليل الشعر منعقد
والخد يجمع بين الماء واللهب * تنفست عن عبير الراح ريقته * وافتر مبسمه الشهدى عن حبب
لا فى العذيب ولا فى بارق غزلى * بل فى جنى فمه أو ريقه الشنب * كأنه حين يرمى عن جنيته
بدر رمى عن هلال الافق بالشهب * يا جاذب القوس تقريبا لوجنته * والها ثم الصب منها غير مقترب
ألبس من نكد الايام يحرمها * فى ويلثمها سهم من الخشب * من لى بأغيد قاسى القلب مبتسم
لاعن رضا معرض عنى بلا غضب * فكم له فى وجود الذنب من سبب * وليس لى فى قيام العذر من سبب
تميل أعطافه تيها بطرته * كما تميل رماح الخط بالعذب * أشار نحوى وجنح الليل معتكر
بمعصم بشعاع الكاس مختضب * بكر جلاها أبوها قبل ما جليت * فى حجرة الدن أو فى قشرة العنب

(البهازهير) يعاهدنى لا خانني ثم ينكث * وأحلف لا كلمته ثم أحنث
وذلك دأبى لا يزال ودأبه * فيا معشر العشاق عنا تحدثوا * أقول له صلنى يقول نعم غدا
ويكسر جفنا هازئا بى ويعبث * وما ضر بعض الناس لو كان زارنى * وكنا خلونا ساعة نتحدث
أمولاى انى فى هواك معذب * وحتام أبقى فى الغرام وأمكث * فخذ مرة روحى ترحنى ولا أرى
أموت مرارا فى النهار وأبعث * فانى لهذا الضيم منك لحامل * ومنتظر لطفا من الله يحدث
أعيذك من هذا الجفاء الذى بدا * خلائقك الحسنى أرق وأدمث * تردد ظن الناس فى وأكثروا
أحاديث فيها ما يطيب ويخبث * وقد كرمت فى الحب منى شمائل * ويسأل عنى من أراد ويبحث

(النابلسى) ما كنت أعلم والضمائر تصدق * ان المسامع كالنواظر تعشق
حتى سمعت بذكركم فهويتكم * وكذاك أسباب المحبة تعلق * ولقد قنعت من اللقاء بساعة
ان لم يكن لى للدوام تطرق * قد ينعش العطشان بلة ريقه * ويغص بالماء الكثير ويشرق
فعسى عيونى أن ترى لك سيدى * وجها يكاد الحسن فيه ينطق

﴿ أبو الحسين الجزار ﴾

فى خده من بقايا اللثم تخميش * وبى لتشويش ذاك الصدغ تشويش * ظبى من الترك أغنته لواحظه
عن ساحرته من النبل التراكيش * اذا تثنى فقلت الغصن منكسر * وان تبدى فطرف البدر مدهوش
يا عاذلى ان تكن عن حسن صورته * أعمى فانى عما قلت أطروش * كم ليلة بات يسقينى المدام على
روض له بثياب الغيم ترقيش * والغيث كالجيش يرقم الوجود له * والبرق رايته والرعد جاويش

بغلامين أمردين فى نهاية الحسن والزى قد دخلوا الينا فغمزوا أرجلنا فلحقنا من ذلك مع الغربة وطول العهد بالجماع عنت فأمرناهم بالانصراف وفينا من لم يستحل التعرض لهم وتعففنا عن ذلك لنزولنا على صاحبهم ثم انتهينا الى مجلس فى بستان حسن وأخرج الينا من آلات النبيذ كل ظريف وأحضر من الانبذة كل شئ طيب حسن وشربنا أقداما يسيرة ثم ضرب بيده على ستارة ممدودة واذا جوار خلفها فقال غنين فغنت الجوارى اللواتى كن خلفها أحسن غناء وأطيبه فلما توسطنا الشرب قال ما هذا الاحتشام لاضيافنا أعزهم الله أخرجن وهتك الستارة قال فخرج علينا جوار لم ير قط أحسن ولا أملح ولا أظرف منهن ما بين عوادة وطنبورية زامرة وصناجة ورقاصة ودفافة بفاخر الثياب والحلى فغنيننا واحتطن بنا فى المجلس فاشتدت محبتنا ولكن ضبطنا أنفسنا فلما كدنا أن ننسكر ومضى قطعة من الليل أقبل صاحب الدار علينا وقال يا سادة ان تمام الضيافة وحقها الوفاء بشرطها وان يقوم الضيف بحق الضيف فى جميع ما يحتاج اليه من طعام وشراب وجماع وقد أنفذت اليكم نصف النهار الغلمان فأخبرونى بعفافكم عنهم فقلت هم أصحاب نساء فأخرجت هؤلاء فرأيت من انقباضكم عن ممازحتهن ما لو خلوتم بهن كانت الصورة واحدة فما هذا فقلنا يا سيدى أجللناك عن تبذل ما فى دارك وفينا من لم يستحل الحرام فقال هؤلاء مماليكى وهن أحرار لوجه الله تعالى ان كان بد من أن يأخذ كل واحد منكم بيد واحدة يتمتع بها الليلة فمن شاء زوجته بها ومن شاء غير ذلك فهو أبصر لأكون قد قضيت حق الضيافة

في

في مجالس ضحكت ارجاؤه طربا * لانه ببديع الزهر مفروش

(سيدي أبو الفضل بن أبي الوفاء)

ترى مني من فتور اللحظ ينتشط * من قلبه بحبال الشعر مرتبط * قد رق لي خصره المضنى فناسبني
فقلت خير الامور الانسب الوسط * وقد خفي الردف عني من تثاقله * فقلت هذا على ضعفي هو الشطط
وصدره الرحب قد عانقته سحرا * والقلب منبعث الآمال منبسط * وفيه تلك النهود المشتهاة ترى
رمانها فيه قلبي أمره فرط * ان الصواب لتعجيل السرور فقم * قبل الفوات فاوقات الهنا غلط

(القاضي مجد الدين بن مكانس)

أهدى تحيته وجاد بوعده * أفديه من قمر بدا في سعده * بدر جرى ماء الحياة بثغره
وترددت فضلاته في خده * أسكنته قلبي فاوقد خده * نيران أحشائي عليه ووجده
من لي به حلو الشمائل أهيف * روت العوالي عن مثقف قده * ياعاذلي في حبه لو أبصرت
عيناك فوق الردف مسبل جعده * اعذرت كل متيم في حبه * وعلمت أن ضلاله في رشده
وحق موتي في هواه صبابة * وحياة مبسمه الشهي وبرده * ماجاد غيث الدمع الا من هوى
خلع القلوب ببرقه ورعده * قم يارسول وابلغ العشاق ما * ألقاه من جور الحبيب وبعده
واذا سألتك أن تؤدي في الهوى * خبري فصف فعل الغرام وأبده

(عز الدين الموصلي) (والصحيح أن هذه الابيات لابن نباتة لانها في ديوانه)

نفس عن الحب ما أغفت وما غفلت * باي ذنب وقالك الله قد قتلت * دعها ومدمعها الجاري لقد لقيت
ماقدمت من أسى قلبي وما عملت * أفديك من ناشط الاجفان في تلفي * والسحر يوهم طرفي أنها كسلت
واوضح الحسن لو شاءت ذوائبه * في الافق وصل دجا الظلماء لاتصلت * معسول بنعاس في لواحظه
أماراتها الى كل القلوب حلت * من لي بالحاظ ظبي يدعي كسلا * وكم ثياب ضنى حاكت وكم غزلت
وحمرة فوق خديه ومرشفه * هذي محاسنها تزهو وذي ذبلت * أما كفاني تكحيل الجفون أسى
حتى المراشف منه باللمى كحلت * أستودع الله أعطافا شوت كبدي * وكلما رمت تجديد الوصال قلت
ومهجة لي كم ألقت بمسمعها * الى الملام ولا والله ماقبلت

(غيره للفاضل) شرخ الشباب بحبكم أفنيته * والعمر في كلف بكم قضيته
وأنا الذي لو مر بي من نحوكم * داع وكنت بحفرتي لبيته * كيف التعرض للسلو وحبكم
حب بأيام الشباب شريته * لله داء في الفؤاد أجنه * يزداد نكسا كلما داويته
قالوا حبيبك في التجني مسرف * قاس على العشاق قلت فديته * أأروم من كافي عليه تخلصا
لا والذي بطحاء مكة بيته * ولو استطعت بكل اسم في الورى * من لذة الذكرى به سميته

(وللشيخ بدر الدين الدماميني)

سل سيفا من الجفون صقيلا * مذ تصدى جلاه رحت قتيلا * صح عن جفنه حديث فتور
وهو مازال من قديم عليلا * مر أبدى لنا من الخصر ردفا * فأرانا مع الخفيف ثقيلا
ذو قوام كأنه الغصن لكن * بالهوى نحو وصلنا لن يميلا * كامل الحسن وافر ظل وجدي
فيه ياعاذلي مديدا طويلا * فاتك الجفن ذو جمال كثير * أتلف العاشقين الا قليلا
قلت اذ لاح طرفه ولماه * فاتر اللحظ بكرة وأصيلا
كيف حالي وهل اصب اليه * من سبيل فقال لي سل سبيلا

(وقال آخر)
لو ان قلبك لي يرق ويرحم * مابت من ألم الجوى أتألم
ومن العجائب أنني لاسهم لي * من ناظريك وفي فؤادي أسهم
ياجامع الضدين في وجناته * ماء يرق عليه نار تضرم
عجبي لطرفك وهو ماض لم يزل * فعلام يكسر عند ما تتكلم
ومن المروأة ان تواصل مدنفا * والدهر سمح والحوادث نوم

فلما سمعنا هذا وقد انتشينا طربا أخذ كل واحد منا بيد واحدة فاجلسها الى جانبه وأقبل يقبلها ويقرصها ويمازحها فتزوجت أنا بواحدة منهن وغيري عن رغب في ذلك وبعضنا لم يفعل وجلس معنا بعد ذلك ساعة ثم نهض فاذا بخدم قد جاؤا فادخلوا كل واحد وصاحبته الى بيت في نهاية الحسن والطيب مفروش بفاخر الفرش الوطيئة فبخرونا عليها وغنوا الجواري الى جنوبنا وتركوا معنا شمعة في البيت وما نحتاج اليه من آلة البيت وأغلقوا علينا وانصرفوا فبتنا في أرغد عيش ليلتنا فلما كان السحر بادر الخدم فقالوا مارأيكم في الحمام فقد أصلح فقمنا ودخلنا ودخل المردان معنا فنامن أطلق نفسه معهم فيما كان امتنع منه بالامس وخرجنا فبخرنا بالند الفتيق وأعطينا الماورد والمسك والكافور وقدمت الينا المرآة المجلاة وأخبرنا غلماننا أن صورتهم في ليلتهم كصورتنا وأنهم أتوا بجواري الخدمة الروميات فوطؤهن فاقبل بعضنا على بعض يعجب من قضيتنا وبعضنا يقول هذا في النوم نراه ونحن في الحديث اذ أقبل صاحب الدار فقمنا اليه وعظمناه فاكبر ذلك وأخذ يسألنا عن ليلتنا فوصفناها له وسألنا عن خدمة الجواري لنا فاجبناه بحسنها فقال أيما أحب اليكم الركوب الى بعض البساتين للتفرج الى أن يدرك الطعام أو اللعب بالشطرنج والنرد أو النظر في الدفاتر فقلنا أما الركوب فلا نؤثره ولكن الشطرنج والنرد والدفاتر فاحضر لنا ذلك وتشاغل كل منا بما اختاره ولم يكن الا ساعتان أو ثلاثة من النهار حتى أحضر لنا مائدة كالمائدة الامسية فاكلنا وقمنا الى الفرش وجاء المردان فغمزونا وغمزهم منا من كان يدخل

(وقال آخر) تصدق بوعدان دمعي سائل * وزود فؤادي نظرة فهو راحل
نخدك مو جود به التبر دائما * وحسنك معدوم لديه المماثل
أيا قمرا من شمس طلعة وجهه * وظل عذاريه الدجا والأصائل
تنقلت من طرف القلب مع الهوى * وها تيك للبدر المنير منازل
جعلتك للتمييز نصبا لخاطري * فهلا رفعت الهجر والهجر فاعل

(وقال ابن صابر) قبلت وجنته فألفت جيده * خجلا ومال بعطفه المياس
فانهل من خديه فوق عذاره * عرق يحاكي الطل فوق الآس
فكأنني استقطرت ورد خدوده * بتصاعد الزفرات من أنفاسي

(وقال آخر) وغزال كل من شبهه * بهلال أو ببدر ظلمه
قال اذ قبلت وهنا فمه * قد تعديت وأسرفت فمه

(وقال آخر) بأبي غلام لست غير غلامه * مذجادلي بسلامه وكلامه
ذو حاجب ما ان رأيت كنونه * أبدا وصدغ ما رأيت كلامه

(وقال جمال الدين بن مطروح)

ذكر الحمى فصبا وكان قد ارعوى * صب على عرش الغرام قد استوى
تجري مدامعه ويخفق قلبه * مهما جرى ذكر العقيق مع اللوى
واذا تألق بارق من بارق * فهنالك ينشر من هواه ما انطوى
نخذوا أحاديث الهوى عن صادق * ماضل في شرع الغرام وما غوى
وبمهجتي رشأ أطالت عذلي * فيه الملام وقد حوى ما قد حوى
قالوا أفيه سوى رشاقة قده * وفتور عينيه وهل موقي سوى
ما أبصرته الشمس الا وا كتست * خجلا ولا غصن النقا الا التوى
يروي الاراك محاسنا عن ثغره * يا طيب ما نقل الاراك وما روى

(وقال آخر) هبت النسيم بقده فتأودا * وجرى الحياء بخده فتوردا
رشأ تفرد فيه قلبي بالهوى * لما غدا بجماله متفردا
قاسوه بالغصن الرطيب بجهالة * تالله قد ظلم المشبه واعتدى
حسن الغصون اذا اكتست أوراقها * وتراه أحسن ما يكون مجردا

(وقال غيره)

يا حسنا ما اللثم تحسن * الى قلوب في الهوى متعبه
أرقت بالورد وبالسوسن * صفحة خد بالسنا مذهبه
وقد أبى خدك أن أجتني * منه وقد ألسعني عقربه
يا حسنه اذ قال ما أحسني * ويا لذاك اللفظ ما أعذبه
قلت له كالك عندي سني * وكل ألفاظك مستعذبه
ففوق السهم ولم يخطني * ومذ رآني ميتا أعجبه
وقال كم من عاشق حبني * وحبه اياي قد أتعبه
يرحمه الله على أنني * قتلته لم أدر ما أوجبه

(وقال آخر) مليح يغار الغصن عند اهتزازه * ويخجل بدر التم عند شروقه
فما فيه معنى ناقص غير خصره * وما فيه شئ بارد غير ريقه

(وقال يحيى بن أكثم)

دنا ها جري نحوي بمقلته الكحلا * فلما رأى ذلي ثنى عطفه دلا
فتيمني شوقا وأنحلني أسى * وأفقدني صبرا وأعدمني عقلا
شكوت فما ألوى ولي وما لوى * وأعرض مزورا فسل الحشى سلا
اذا ما دعاه فرط سقمي لزورة * يناديه فرط العجب من عطفه كلا

(وقال أيضا) بأبي غزالا غازلته مقلتي * بين العذيب وبين شطي بارق
وسألت منه زورة تشفي الجوى * فأجابني عنها بوعد صادق
بتنا ونحن من الدجا في خيمة * ومن النجوم الزهر تحت سرادق
عاطيته والليل يسحب ذيله * صهباء كالمسك الذكي لناشق
وضممته ضم الكمي لسيفه * وذؤابتاه حمائل في عاتقي
حتى اذا مالت به سنة الكرى * زحزحته عني وكان معانقي
أبعدته عن أضلع تشتاقه * كيلا ينام على فراش خافق
لما رأيت الليل آخر عمره * قد شاب في لممه ومفارق

في ذلك وزالت المراقبة فلما انتبهنا حملنا الى الحمام وخرجنا فتحضرنا وجلسنا في مجالسنا بالامس وجاء أولئك الجواري ومعهن غيرهن ممن هو أحسن منهن وقصدت كل واحدة صاحبها بالامس بغير احتشام وشربنا الى نصف الليل وحملوا معنا الى الفراش وكانت هذه منادمة الاسبوع فقلت لاصحابي وهكم أرى الامر متصلا ومن المحال أن يقول لنا الرجل ارحلوا عني وقد استطبتم أنتم مواضعكم وانقطعتم عن سفركم في هذا فقالوا ما ترى فقلت أرى أن نستأنس الرجل فنظر أي شئ هو فان كان ممن يقبل هدية أو براعلمنا على تكرمته وارتحلنا عنه وان كان بخلاف ذلك كنا معتقدين له المكافأة في وقت ثان وسألناه أن يحضر لنا من نكرى منه ويرحلنا فتقرر رأينا على ذلك فلما جلسنا ثالث الليلة على الشرب قلنا له قد طال لمقامنا عندك وما أضاف أحد أحدا أحسن مما أضفتنا ونريد الرحيل الى مصر لما أردناه من طلب التصرف وأنا فلان بن فلان فعرفته نفسي والجماعة وقد حملتنا من أياديك ومننك ما لا يسعنا معه أن نجهلك ونحب أن تعرفنا بنفسك لنأتي بشكرك ونقضي حقك ونعمل على الرحيل فقال أنا فلان بن فلان أحد أهل دمشق فلم نعرفه فقلنا ان رأيت تزيدنا في الشرح فقال جعلت فداكم ان لقادتي خبرا أطرف مما شاهدتموه فقلت ان رأيت أن تخبرنا فقال نعم أنا رجل كان أبي تاجرا عظيم النعمة والاموال وانتهت النعمة اليه وكان ممسكا مكثرا ونشأت له فكنت مخرقا مبذرا محبا للفساد والنساء والمغنيات والشراب فأتلفت مالا عظيما من مال أبي الا أنه لم يؤثر في ماله لعظمه ثم اعتل وأيس من نفسه فدعاني فقال يا بني انى قد

ودعت من أهوى وقلت تأسفا * صعب على بان أراك مفارقى

(وقال ابن نباتة)
بدا وزنت لواحظه دلالا * فما أبهى الغزالة والغزالا
وأسفر عن سنا قمر منير * ولكن قد وجدت به الضلالا
صقيل الخد أبصر من رآه * سواد العين فيه فخال خالا
وممنوع الوصال اذا تبدى * وجدت له من الألفاظ لالا
عجبت لثغره البسام أبدى * لنا درا وقد سكن الزلالا
شهدت بشهد ريقته لأنى * رأيت على سوالفه نمالا
فيا عجبا لحسن قد حواه * وقد أهدى الى قلبي الوبالا
سأشكو الحسن ما بقيت حياتى * وأشكر من صنائعه الجمالا

(القاضي فخر الدين بن مكانس)
يا غصنا في الرياض مالا * حملتني في هواك مالا
يا راشقا بعد أن سباني * حسبك رب السما تعالى

(وله أيضا)
أجارك الله قد رثت لى * مما ألاقى عدا وحسد
وعاذلى مذ رأى ضلوعى * تعقد سقما بكى وعدد

ابن رفاعة
يقولون هل من الحبيب بزورة * ومنا كم المطلوب قلنا الهم منا
فقالوا الناغوص وأعلى قده وما * يحاكى اذا ما اهتز قلنا الهم غصنا

(الشيخ برهان الدين القيراطى)
وردى خد نرجسى لواحظ * مشايخ علم السحر عن لحظه رووا
وواوات صدغيه حكين عقاربا * من المسك فوق الجلنار قد التووا
ووجنته الحمرا تلوح كجمرة * عليها قلوب العاشقين قد اكتووا
وودى له باق ولست بسامع * لقول حسود والعواذل اذ عووا
و والله ما أسلو ولو صرت رمة * فكيف واحشائى على حبه انطووا

(وللشيخ برهان الدين القيراطى أيضا)
شبه السيف والسنان بعيني * من لقتلى بين الانام استحلا
فأبى السيف والسنان وقالا * حد نادون ذاك حاشى وكلا

(وقال أيضا)
بأبى أهيف المعاطف لدن * حسد الاسمر المثقف قده
ذو جفون مذ رمت منها كلاما * كلمتنى سيوفهن بحده

(وقال آخر)
غلالة رق شادن قد هويته * من الهند معسول اللمى أهيف القد
أقول لصحبى حين يرنو بطرفه * خذوا حذركم قد سل صارمه الهندى

(ومما قيل في الغزل المؤنث للشيخ شمس الدين بن البديرى)
خيال سلمى عن الاجفان لم يغب * وطيفها عن عيانى غير محتجب
وذكرها أنس روحى وهى نائية * والقلب ما زال عنها غير منقلب
لم أصغ فيها للاحى راح يعذلنى * ولا لواش خلى بات يلعب بى
عذابها في الهوى عذب ألذ به * ومر هجرانها أحلى من الضرب
فان نأت أو دنت وجدى كما علمت * تشيب فيه الليالى وهو لم يشب
دعها فأمر هوى المحبوب متبع * وغير طاعته في الحب لم يجب

(وقال عفا الله عنه)
سقى طللا حلته سلمى معاهد * وحياه من دمعى مذاب وجامد * فربع به سلمى مصيف ومربع
وأرض نأت عنها قفار جلامد * وحيث ثوت أرضا فاعذب مورد * ولو كدرت منها على الموارد
رعى الله دهرا ساءلتنى صروفه * وظلت لياليه بسلمى تساعد * وقد غفل الواشون عنى ولم أزل
ويقظان طرف البين عنى راقد * وأيامنا بالقرب بيض أزاهر * وأوقاتنا بالوصل خضر أمالد
وأرواحنا ممزوجة وقلوبنا * ونحن كأنا في الحقيقة واحد * وكم قدمر جنا في مروج صبابة

خلفت لك النعمة وقيمتها مائة ألف
دينار بعد أن أتلفت على خمسين
ألف دينار وأن الانفاق لا آخر له
اذا لم يكن بازائه داخل ولو أردت أن
أتلف هذا المال عليك في حياتى
أو الآن حتى لا تصل الى شئ منه
لفعلت ولكن هو ذا أتركه عليك
فاقض حقى بحاجة تقضيها الى لا ضرر
عليك فيها فقلت افعل فقال أنا أعلم
أنك ستتلف المال في مدة يسيرة
فعرفنى اذا افتقرت ولم يبق معك شئ
أتقتل نفسك ولا تعيش في الدنيا
فقلت لا قال فعرفنى من أين تعيش
قال ففكرت ساعة فلم يقع لى الا أن
قلت أصير قوادا قال فبكى ساعة ثم
مسح عينيه وقال لست بصارف
عنك هذه الصناعة فانها ما جرت
على لسانك الا وقد دارت في فكرك
ولا دارت في فكرك الا وأنت
لا تنصرف عنها أبدا بعدى ولكن
أخبرنى كيف يتم لك المعاش منها
فقلت قد تدبرت بكثرة دعواتى
القحبات والمغنيات ومعاشرتى
اشراب النبيذ فأجمعهم على الرسم
فيقيمون في بيتى ويعملون
ما يريدون وآخذ أنا منهم الدراهم
وأعيش بها فقال اذا يبلغ السلطان
خبرك في جمعة فيحلقون رأسك
ولحيتك وينادى عليك ويفرق
جمعك ويبطل معاشك ويقول
أهل بلدك انظروا الى فلان كيف
ينادى عليه وقد صار بعد موت
أبيه قوادا ولكن اذا أردت هذه
الصناعة فانا أعلمك وان كنت
لا أحسنها فلا تستغنى فيها ولا تفتقر
ولا يتطرق عليك السلطان بشئ
فقلت افعل قال اذا أنا مت فاعمل على
أنك قد أنفقت جميع مالك وافتقرت
وتكون قوادا ولك ضياع وعقار
وأثاث ودور وجوار وآلة وقماش
وخدم وجاه وتجارات واعمل على ما
كان في نفسك أن تعمله اذا افتقرت
فاعمله وأنت مستظهر على زمانك

ولم يطرد فينا من البين طارد * تجر ذيول اللهو في قص الهوى * تلوح علينا للغرام شواهد
ولم يخطر التفريق منا بخاطر * ولم نحسب الأيام فينا تعاند * فهل أنت يا سلمى وقد حكم الهوى
كما كنت لي أم حاد بالقلب حائد * وهل ودنا باق والا تغيرت * على عادة الأيام منك العوائد
وهل محيت آثار رسم حديثنا * وأنساك حفظ الود هذا التباعد * وهل تذكرين العهد اذ نحن باللوى
وقولك لا عاش الخؤن المعاهد * وهل أنت غيرت الذى أنا حافظ * وهل أنت أحللت الذى أنا عاقد
وهل بدلت منك المودة بالجفا * وفيك يقيني بالوفا منك شاهد * واني ما بدلت عهدك في الهوى
ولا اختلفت فيما علمت العوائد * ولا بت مسرورا وعيشك ليلة * وكيف سلوى والحبيب مباعد
فان كنت حبل الود صرمت طرفه * فودى طريف في هواك وتالد * وان قلت ان الحب غيره النوى
لعمرى وجدى بالحشاشة وافد * وان أوردوا يوما صبابة عاشق * فبي يضرب الامثال من هو وارد
فما شئت كونى انني بك مدنف * صبور على البلوى شكور وحامد * ومنك تساوى عندى الوصل والجفا
وفيك لقد هانت على الشدائد * ولو رمت ألوى عن هواك أعنتي * لقادزمامي نحو حبك قائد
نصبت شراك الحب صدت حشاشتي * فكيف خلاصي والهوى منك صائد
بعدت وقلت البين يسلى أخا الهوى * وهل يسل ذا الاشجان هذا التباعد
وما غير التفريق ما تعهدينه * وسوق سلوى في المحبين كاسد
وجل مناى القرب منك وانما * اذا عظم المطلوب قل المساعد

(وقال عفا الله عنه)

تهددني بتبريح وبين * وتوعدني بتفريق وصد * وتحلف لي لتلبسني سقاما
تهي جلدى به وتذيب جلدى * وترميني بنبل من جفون * فتضنيني وتصميني وتردى
وتحرقني بنار الصد حتى * تذيب حشاشتي كمدا وكبدى * فقلت لها ودمعي في انسكاب
يفيض دما على صفحات خدى * ومن لى أن يقال قتيل وجد * واذكر في هوى الشولو بصدى

(وقال عفا الله عنه)

سلوى عنك شئ ليس يروى * وحبي فيك سار مع الركاب
ولم يمرر سواك على ضميرى * ووجدى فيك أيسره عذابى * ومالك عن سواد العين يوما
ومالسواد قلبي من حجاب * وما خضرت دواعى الشوق الا * هززت اليك أجنحة التصابى

(وقال عفا الله عنه)

قفا نبك دارا شط عنا مزارها * وأخلنا بعد البعاد اذكارها * وعوجا باطلال محتها يد النوى
فاظلم بالنأى المشت نهارها * فقد نام ارعا من الانس ان رنت * بمقلتها تصمى القلوب احورارها
تصيد قلوب العاشقين أنيسة * ويحسن منها صدها ونفارها * ويهزأ بالاغصان لين قوامها
اذا مال فوق الغصن منها اخمارها * وليس لبدر التم قامة قدها * وما هو الا حلها وسوارها
منازلها مني الفؤاد وان نأى * عن العين مثواها ففي القلب دارها * يمثلها بالوهم فكرى لناظرى
وأكثر ما يضنى النفوس افتكارها * وهيج دمعي حر نار صبابتى * وما خمدت بالدمع مني نارها
وساعدت بالايك ليلا حمائم * تهاتف شجوا لا يقر قرارها
بكين ولم تسفح لهن مدامع * وعيني فاضت بالدموع بحارها

(وأؤلفه رحمه الله تعالى) وهو قول ضعيف على قدر حاله لكنه يسأل الواقف عليه من افضاله ستر ما يراه من عيوبه وان يدعو له بمغفرة ذنوبه

نسيم الصبا بلغ سليمى رسائلى * بلطف وقل عن حال صبك سائلى * فقد صار بالاسقام صبا معذبا
قريح جفون من دموع هوامل * صبورا على حر الغرام وبرده * حليف الضنى لم يصغ يوما لعاذل
يبيت على جمر الغضى متقلبا * يحن غراما فارحميه وواصلى * الا يا سليمى قد أضربي الهوى
وهاجت بتبريح الغرام بلابلى * رميت بسهم من لحاظك قاتل * فلم يخط قلبي والحشى ومقاتلى

كتمتع

عاملك وهمه عند اخوانك واعمل آنك قد أنفقته واجعل معيشتك ما تريد أن تعمله اذا افتقرت فانك تستفيد بذلك أمورا منها أنك تبتدئ أمرك بهذا فلا ينكر عليك في آخره ومنها أنك تفعل ذلك بجاه وعقار وضياع وأحوال قوية فلا يطمع فيك سلطان وان طمع فيك سلطان بذلت وأعطيت من نوالك فتخلصت فقلت كيف أفعل قال تجلس اذا أنا مت ثلاثة أيام للعزاء الى ان تنقضى المصيبة فاذا انقضت نفذت وصيتي وتجملت بذلك عند الناس وقضيت حقي ثم تظهر أنك قد تركت اللعب وانك تريد حفظ مالك مع ضرب من اللذة ثم تبتدئ فتشترى من الجوارى المغنيات والسرارى كل لون ومن الغلمان المردان والخدم السود والبيض ما تحتاج اليه وتشتهيه ودارك كم تصب في السرور وتنوف على سرور من تريد أن تعاشره ولا تدخل الا الامير والعاقل وادعهما مرة في شهر أو شهرين وهادهما أيام الاعياد بالالطاف الحسنة والقهما في كل أسبوع مرة واجتهد أن تعاشرهما على النبيذ في دورهما والقهما بالسلام وقضاء الحاجة واتخذ في كل يوم مائدة حسنة وادع القوم ومن يتفق معهم وليكن ذلك بعقل وترتيب فان ذلك أولا لا يظهر مدة فاذا ظهر صدق به أعداؤك وكذب به اخوانك وقالوا هذه على سبيل المجون والشهوة على طريق التخالع أو مساعدة الاخوان والا فأى لذة له في ذلك وليس هو مجنونا ولا مخنثا ولا فقيرا ولا محتاجا الى هذا فيبقى الخلاف فيك مدة أخرى وقد اتصلت مع سلطانك وأهل العشرة بينك كما قد وقعت فيسب تدعى مغنياتك ويسمعون في منزله فيصير لك عناد معه رسم وجاهك باق بلا فاتك لهم فهم يحتاجون اليك ويحافظ

كتمت غرامى فى هواك ولم أبح * بسر فباحت أدمعى برسائلى * سلى سلى ماقد جرى لى من النوى
فقد عاذلى حال له رق عاذلى * لعل تجودى للكئيب وتسمحى * بوعد وبعد الوعد ان شئت ماطلى
عسى تنطفى بالوعد نارى وأشتفى * فبالسقم أعضائى وهت ومفاصلى * خفيت عن العواد لولا تأوهى
وعظم أنينى لايرانى مسائلى * فرقى فقد رقت عداى لذاتى * وفاضت على حالى عيون عواذلى
قطعت زمانى فى عسى ولعلها * ومافزت فى الايام منك بطائل * فما آن أن ترضى على وترحمى
نحيف جسدى فالوجد لاشك قاتلى * توسلت بالمختار فى جمع شملنا * نبى له فضل على كل فاضل

(ولهُ رحمه الله تعالى)

يا ربة الحسن من بالصد أوصاكى * حتى قتلت بفرط الهجر مضناكى
ويافتاة بفتان القوام سبت * من فى الورى ياترى بالقتل أفتاكى
لقد جننت غراما مذ رأى نظرى * فى النوم طيف خيال من محياكى
ومذ رآه جفا طيب المنام وقد * أضحى عليلا حزينا لم يزل باكى
عذبتنى بالتجنى وهو يعذب لى * فهل ترى تسمحى يوما برؤياكى
ان كنت لم تذكرينا بعد فرقتنا * فالله يعلم أنا ما نسيناكى
ما آن أن تعطفى جودا على فقد * أضحى فؤادى أسير الحظ عيناكى
ما كنت أحسب أن العشق فيه ضنى * ولا عذاب نفوس قبل أهواكى
حتى تولع قلبى بالغرام فما * أمسى أسيرا سوى فى حسن معناكى
رقى لعبدك جودا واعطفى رذرى * ولا تطيلى بحق الله جفواكى
ياهند رفقا بقلب ذاب فيك أسى * ومهجة تلفت ياهند ما أقساكى
رق العذول لحالى فى الهوى ورثى * وأنت ياهند لا ترثى لمضناكى
والله لومت ما أسلاك ياأملى * ولو فنيت غراما لست أنساكى

(وقال آخر) كأن فؤادى يوم سرت دليل * يسير أمام العيس وهو ذليل
فصرت عقيب الظاعنين لكى أرى * فؤادى سرى فى الركب وهو عجول * وقائلة لى كيف حالك بعدنا
لتعلم ماهذا اليه يؤل * فقلت لها قد مت قبل ترحلى * فمن باب أولى أن يجد رحيل
وقالت فليلى طال همافا نشدت * ومازال ليل العاشقين طويل * فقلت وجسمى لم يزل مترجفا
فقالت وجسم العاشقين نحيل * فقلت لها لو كنت أدرى فراقنا * بيوم وداع ماليه سبيل
قلعت لعينى فى هواك بأصبعى * لكيلا أرى يوما على ثقيل

(وقال الوأواء الدمشقى عفا الله عنه)

يامن نفت عنى لذيذ رقادى * مالى ومالك قد أطلت سهادى * فبأى ذنب أم بأية حالة
أبعدتنى ولقد سكنت فؤادى * وصددت عنى حين قد ملك الهوى * روحى وقلبى والحشا وقيادى
ملكت لحاظك مهجتى حتى غدا * قلبى أسيرا ماله من فادى * لاغرو أن قتلت عيونك مغرما
فلكم صرعت بها من الآسادى * يامن حوت كل المحاسن فى الورى * والحسن منها ما كف فى بادى
رفقا بمن أسرت عيونك قلبه * ودعى السيوف تقر فى الاغمادى * وتعطفى جودا على بقبلة
فبهم مبسمكى شفاء الصادى * ماتت أطال الله عمرك سلوتى * ولقد فنى صبرى وعاش سهادى
ومن المنى لو دام لى فيك الضنى * ياحبذا الأراك من عوادى * وأجيل منك نواظرى فى ناضر
من خدك المترقرق الوقاد * وأقول ماشئت اصنعى يامنيتى * مالى سواك ولو حرمت مرادى
الا مديح المصطفى هو عدتى * وبه سألقى الله يوم معادى

(وقال البهاء زهير)

اذا جن ليلى هام قلبى بذكركم * أنوح كما ناح الحمام المطوق * وفوقى سحاب يمطر الهم والأسى
وتحتى بحار بالجوى تتدفق * سلوا أم عمرو كيف بات أسيرها * تفك الأسارى دونه وهو موثق

عليك الأمر فتصير فى مراتب ندمائه وفى جملته وتصير قيادتك نفعا عليك بغير ضرر وتخرج عن حد القواد المحض الذين يؤذون وتكبس منازلهم قال فاعتقدت فى الحال أن الصواب ماقاله ومات فى علته فجلست ثلاثة أيام ثم أنفذت وصيته وفرقتها كما أمرنى ثم بيضت الدور وهى هذه وزدت فيها ما اشتهيت واستزدت فى الآلات والفرش والأبنية كما أردت وابتعت هذه الجوارى والغلمان والخدم من بغداد ودبرت أمرى على ماقاله لى من غير مخالفة لشئ منه وأنا أفعل هذا منذ سنين كثيرة مالحقنى منه ضرر ولا خسران ولا فيه أكثر من اسقاط المروءة وقلة الاكتراث بالعيب وأنا أعيش أطيب عيش وأهناه وأمر معاشى عليهم ودخلى بهم أكثر من خرجى ونعمتى الموروثة باقية بأسرها ما بعت منها شيأ بحبة قط فما فوقها وقد اشتريت من هذه الصناعة عقارا جليلا أضفته الى ماخلف على وأمرى يمشى كما ترون فقلنا ياهذا فرجت والله عنا وأريتنا طريقا الى قضاء حقك وأخذنا نمازحه ونقول فضلك فى هذه الصناعة غير مدفوع لانك قواد ابن قواد وما كان الشيخ ليدبر لك هذا الامر الا وهو بالقيادة أحذق منك فضحك وضحكنا وكان الفتى أديبا خفيف الروح وبتنا ليلتنا على تلك الحالة فلما كان من الغد جمعنا له من بيننا ثلثمائة دينار وحملناها اليه ورحلنا عنه (وحكى أحمد بن يحيى بن فضل العمرى) فى كتابه المسمى مسالك الابصار فى ممالك الامصار فى ترجمة صفى الدين عبد المؤمن بن يوسف بن فاخر الموسيقى قال ذكر المحسن الاربلى فى تاريخه قال جلست مع صفى الدين عبد المؤمن بالمدرسة المستنصرية وجرى ذكر واقعة بغداد فاخبرنى

فلا أنا مقتول ففى القتل راحة * ولا أنا ممنون عليه فيعتق

﴿مجنون ليلى﴾

وقد خبرونى أن تيماء منزل * لليلى اذا ما الليل ألقى المراسيا * فهذى شهور الصيف عنا ستنقضى
فما للنوى يرمى بليلى المراميا * أعد الليالى ليلة بعد ليلة * وقد عشت دهرا لا أعد اللياليا
وأخرج من بين البيوت لعلنى * أحدث عنك النفس بالليل خاليا * ألا أيها الركب اليمانون عرجوا
علينا فقد أمسى هوانا يمانيا * يمينا اذا كانت يمينا فان تكن * شمالا ينازعنى الهوى عن شماليا
أصلى فما أدرى اذا ما ذكرتها * اثنتين صليت الضحى أم ثمانيا * خليلى لا والله لا أملك الهوى
اذا علم من أرض ليلى بداليا * خليلى لا والله لا أملك الذى * قضى الله فى ليلى ولا ما قضى ليا
قضاها لغيرى وابتلانى بحبها * فهلا بشئ غير ليلى ابتلانيا * ولو أن واش باليمامة داره
ودارى بأعلى حضرموت اهتدى ليا * وددت على حبى الحياة لوانه * يزاد لها فى عمرها من حياتيا
على أننى راض بأن أحمل الهوى * وأخلص منه لا على ولا ليا * اذا ما شكوت الحب قالت كذبتنى
فمالى أرى الأعضاء منك كواسيا * فلا حب حتى يلصق الجلد بالحشى * وتخرس حتى لا تجيب المناديا

(وقال آخر) قالت لطيف خيال زارنى ومضى * بالله صفه ولا تنقص ولا تزد
فقال خلفته لو مات من ظمأ * وقلت قف عن ورود الماء لم يرد
قالت عهدت الوفا والصدق شيمته * يابرد ذاك الذى قالت على كبدى

﴿كمال الدين بن النبيه﴾

أما وبياض مبسمك النقى * وسمرة مسكة اللعس الشهى * ورمان من الكافور تعلو
عليه طوالع الند الندى * وقد كالقضيب اذا انثنى * خشيت عليه من ثقل الحلى
لقد أسقمت بالهجران جسمى * وأعطشنى وصالك بعد رى * الى كم أكتم البلوى ودمعى
يبوح بمضمر السر الخفى * وكم أشكو للاهية غرامى * فويل للشجى من الخلى

﴿صفى الدين الحلى﴾

أبت الوصال مخافة الرقباء * وأتتك تحت مدارع الظلماء * أصفتك من بعد الصدود مودة
وكذا الدواء يكون بعد الداء * أحيت بزورتها النفوس وطالما * ضنت بها فقضت على الأحياء
أمت بليل والنجوم كأنها * در ببساطن خيمة زرقاء * أمست تعاطينى المدام وبيننا
عتب غنيت به عن الصهباء * آبت الى جسدى لتنظر ما انتهت * من بعدها فيه يد البرحاء
ألفت به وقع الصفاح فراعها * جزعا وما نظرت جراح حشائى * أمصيبة منا بنبل لحاظها
ما أخطأته أسنة الأعداء * أعجبت مما قد رأيت وفى الحشا * أضعاف ما عاينت فى الأعضاء
أمسى ولست بسالم من طعنة * نجلاء أو من مقلة نجلاء

﴿وله رحمه الله تعالى﴾

قفى ودعينا قبل وشك التفرق * فما أنا من يحيا الى حين نلتقى * قضيت وما أودى الحمام بمهجتى
وشبت وما حل البياض بمفرقى * قنعت أنا بالذل فى مذهب الهوى * ولم تفرقى بين المنعم والشقى
قرنت الرضا بالسخط والقرب بالنوى * ومزقت شمل الوصل كل ممزق * قبلت وصايا الهجر من غير ناصح
وأحببت قول الهجر من غير مشفق * قطعت زمانى بالصدود وزرتنى * عشية زمت للترحل أينق
قضى الدهر بالتفريق فاصطبرى له * ولا تذمى أفعاله وترفقى

﴿وقال عفا الله عنه﴾

جاءت لتنظر ما أبقت من المهج * فعطرت سائر الأرجاء بالأرج * جلت علينا محيا وجلت له لنا
فى ظلمة الليل أغنتنا عن السرج * حورية الخد تحمى ورد جنتها * بحارس من نبال الغنج والدعج
جزت اساءة أفعالى بمغفرة * فكان غفرانها يغنى عن الحجج * جادت لعرفانها أنى المريض بها
فعاملى اذا أذنبت من حرج * جست يدى لترى ما بى فقلت لها * كفى فذاك جوى لولاك لم يهج

أنه هلاكو طلب رؤساء البلد وعرفاءها وطلب منهم أن يقسموا دروب بغداد ومحالها وبيوت ذوى يسارها على أمرائه دولته فقسموها وجعلوا كل محلة أو محلتين أو سوقين باسم أمير كبير فوقع الدرب الذى كنت أسكنه فى سهمة أمير مقدم على عشرة آلاف فارس اسمه قانونوين وكان هلاكو قد رسم لبعض الامراء أن يقتل ويأسر وينهب مدة ثلاثة أيام ولبعضهم يومين ولبعضهم يوما واحدا على حسب طبقاتهم فلما دخل الامراء الى بغداد كان أول درب جاء اليه الامير الدرب الذى أنا ساكنه وقد اجتمع فيه خلق كثير من ذوى اليسار واجتمع عندى نحو خمسين جارية من أرباب المغانى وذوات الحسن والجمال فوقف قانونوين على باب الدرب وهو متترس بالاخشاب والتراب وطرقوا الباب وقالوا افتحوا لنا وادخلوا فى الطاعة ولكم الامان والا أحرقنا الباب وقتلناكم ومعه النجارون وخلافهم وأصحابه بالسلاح قال صفى الدين عبد المؤمن فقلت السمع والطاعة أنا أخرج اليه ففتحت الباب وخرجت اليه وحدى وعلى أثواب وسخة وأنا أنتظر الموت فقبلت الارض بين يديه فقال للترجمان قل له أنت كبير هذا الدرب فقلت نعم فقال ان أردتم السلامة من الموت فاحملوا لنا كذا وكذا وطلب شيأ كثيرا فقبلت الارض مرة ثانية وقلت كل ما طلبه الامير يحضر وصار كل ما فى هذا الدرب بحكمك ومن تريد من خواصك فانزل لأجمع لك كل ما طلبت فشاور أصحابه ونزل فى نحو ثلاثين رجلا من خواصه فأتيت به دارى وفرشت له الفرش الخليفية الفاخرة والسرر المطرزة بالزركش وأحضرت له فى الحال أطعمة فاخرة وشواء وحلواء وجعلتها بين يديه فلما فرغ

جفونى

جفوني فرأيت الصبر أجمل بي * واصمت في الحب أولى بي من اللهج
جارت لحاظك فينا غير راحمة * ولذة الحب جور الناظر الغنج

(وقال ابن نباتة) رقت لنا حين هم السفر بالسفر * وأقبلت في الدجى تسعى على حذر
راض الهوى قلبها القاسي لحادلنا * وكان أجفل من عوز بالمطر * رأت غداة النوى نار الكليم وقد
شبت فلم تبق من قلبي ولم تذر * رشيقة لو تراها عندما سفرت * والبدر ساء اليها سهوه معتذر
رأيت بدرين من وجه ومن قمر * في ظل جنحين من ليل ومن شعر * رشفت درا لحيا من مقبلها
اذ نبهتني اليها نسمة السحر * رنت نجوم الدجى نحوى فما نظرت * من يرشف الراح قبلي من فم القمر
راق العتاب وابدت لي سرائرها * في ليلة الوصل بل في غرة القمر

(وقال ابن الساعاتي) قبلتها ورشفت خمرة ريقها * فوجدت نار صبابة في كوثر
ودخلت جنة وجهها فاباحني * رضوانها المرجو شرب المسكر

(وقال آخر) بكت للفراق وقد راعها * بكاء المحب لبعد الديار
كأن الدموع على خدها * بقية طل على جلنار

﴿الوأواء الدمشقي تضمين﴾

قالت متى الظعن يا هذا فقلت لها * اما غدا زعموا أولا فبعد غد
فامطرت لؤلؤا من نرجس وسقت * وردا وعضت على العناب بالبرد

(لابن نباتة) هذه لي لست أسمع منه قولا * على غيداء مثل البدر تما
له طرف ضرير عن سناها * ولي أذن عن الفحشاء صما

(وقال آخر) ورب ليال في هواها سهرتها * أراعي نجوم الليل فيها الى الفجر
حديثي عال في السهاد لانني * رويت أحاديث السهاد عن الزهر

﴿السراج الوراق﴾

يا لائمي في هواها * أسرفت في اللوم جهلا * ما يعلم الشوق الا * ولا الصبابة الا

(وقال آخر) وعدت أن تزور ليلا فالوت * وأتت في النهار تسحب ذيلا
قلت هلا صدقت في الوعد قالت * كيف صدقت أن ترى الشمس ليلا

(لعز الدين الموصلي) قد سلونا عن الغزال بخود * ذات وجه بها الجمال تفنن
ورجعنا عن الهتك فيه * ودفعناه بالتي هي أحسن

(وقال آخر) قالت وناولتها سواكا * سادبغها عن الأراك
سواي ما ذاق طعم ريق * قلت لها ذاقه سواكى

(وقال آخر) سألتها ان تعيد لفظا * قالت محب دعوه يعذر
حديثها سكر شهى * وأحسن السكر المكرر

(ابن نباتة) وملولة في الحب لما أن رأت * أثر السقام بجسمي المنهاض
قالت تغيرنا فقلت لها نعم * أنا بالسقام وأنت بالاعراض

﴿وقال أبو الطيب المتنبي﴾

بابي الشموس الجانحات غواربا * اللابسات من الحرير جلاببا * الناهبات عيوننا وقلوبنا
وجناتهن الناهبات الناهبا * الناعمات القاتلات المحييا * ت المبديات من الدلال غرائبا
حاولن تفديتي وخفن مراقبا * فوضعن أيديهن فوق ترائبا * و بسمن عن برد خشيت أذيبه
من حر انفاسي فكنت الذائبا * يا حبذا المتحملون وحبذا * واد لثمت به الغزالة كاعبا
كيف الرجاء من الخطوب تخلصا * من بعد ان انشبن في مخالبا

﴿وله أيضا من جملة قصيدة﴾

ولما التقينا والنوى ورقيبنا * غفولان عنا ظلت ابكي وتبسم

من الأكل عملت له مجلسا ملوكيا وأحضرت الاواني المذهبة من الزجاج الحلبي وأواني فضة فيها شراب مروق فلما دارت الاقداح وسكر قليلا أحضرت عشر مغنيات كل واحدة تغني على ملهاة غير ملهاة الاخرى فغنين كان فارتج المجلس وطرب وانبسطت نفسه فضم واحدة من المغنيات أعجبته فواقعها في المجلس ونحن نشاهده وأتم يومه في غاية الطيبة فلما كان وقت العصر وحضر أصحابه بالنهب والسبايا قدمت له ولاصحابه الذين كانوا معه تحفا جليلة من أواني الذهب والفضة ومن النقود ومن الأقمشة الفاخرة شيأ كثيرا سوى العليق ووهبت له الغواني التي كن بين يديه واعتذرت من التقصير وقلت جاء الأمير على غفلة لكن غدا ان شاء الله تعالى أعمل للامير دعوة أحسن من هذه فركب وقبلت ركابه ورجعت لجمعت أهل الدرب من ذوي النعمة واليسار وقلت لهم انظروا لانفسكم هذا الرجل غدا عندي وكذا بعد غد وكل يوم أزيد أضعاف اليوم المتقدم فجمعوا الي من بينهم ما يساوي خمسين ألف دينار من أنواع الذهب والأقمشة الفاخرة والسلاح فلما طلعت الشمس الا وقد وافاني فرأى ما أذهله وجاء في هذا اليوم ومعه نساؤه فقدمت له ولنسائه من الذخائر والذهب النقد ما قيمته عشرون ألف دينار وقدمت له في اليوم الثالث لآلئ نفيسة وجواهر ثمينة و بغلة جليلة بآلات خليفية وقلت هذه من مراكب الخليفة وقدمت لجميع من معه وقلت هذا الدرب صار بحكمك وان تصدقت على أهله بأرواحهم فيكون لك وجه أبيض عند الله وعند الناس فما بقي عندهم سوى أرواحهم فقال قد عرفت ذلك من أول يوم

فلم أر بدرا ضاحكا قبل وجهها * ولم ترقبلي ميتا يتكلم

(الشريف الرضي)

وعيس بين مزعفر ومعصفر * ومعنبر ومعسك ومصندل * هيفاء ان قال الشباب لها انهضي
قالت روادفها اقعدي وتمهلي * واذا سألت الوصل قال جمالها * جودي وقال دلالها لا تفعلي

(ابن اسرائيل)

وعدت بوصل والزمان مسوّف * حوراء ناظرها حسام مرهف * نشوانة خصبا منهل ثغرها
درور يقتها سلاف قرقف * وتخال بين البدر منها والنقا * غصنا يميس به النسيم مهفهف
لا تحسبن الخلف شيمة مثلها * وعدت ولكن الزمان يسوّف * يا بانة قد أطلعت أغصانها
وردا جنيا بالا واحظ يقطف * وغزالة يحكي الغزالة وجهها * ويعير ناظرها الحسام الاوطف
ماتأمرين المغرم تسطو به * أجفانك المرضى ولا تستعطف * قسما بوجهك وهو صبح مشرق
وسواد شعرك وهو ليل مسدف * ويهز غصن البان منك على النقا * مالي الى أحد سواك تشوف

(ولنذكر) ان شاء الله تعالى في هذا الباب نبذة من ملح النظم ورقائق الشعر من غير تبويب ولا ترتيب

(للشيخ شمس الدين بن البديري)

ولما نأت سلمى وشط بها النوى * وأيقنت أني بالغرام أذوب * علقت بأخرى غيرها متلاهيا
ليطفي ضرام في الحشا ولهيب * وكان هيامي والهوى وصبابتي * لمن هو في الاولى الي حبيب

(وله في المعنى) تلاهيت عنها في الغرام بغيرها * وقلت لقلبي هذه هي زينب
وقبلت فاها بردا لصبابتي * فاضرمت نارا في الحشا تتلهب
فكنت كن أضحى غريقا بلجة * تمسك بالموج الذي يتقلب

(وقال أيضا) سألت القلب هل ميل لليلى * وهل عند الفؤاد لها التفات
فقال الآن لا لكن تأني * فقلت الحب فيه تقلبات * فان الحب يهجم بعد يأس
ويعتاد المحب تغيرات * فلا تظهر لها يوما سلوا * فتفضحك التصابي الواردات
وترمي بالصدود وبالتجني * وتخلك الوعود الكاذبات
فكن جلدا ولا تك ذا لجاج * فما يغنيك ان فات الفوات

(وقال البيطار) يقولون هذي أم عمرو قريبة * دنت بك أرض نحوها وسماء
ألا انما قرب الحبيب وبعده * اذا هو لم يوصل اليه سواء

(وقال غيره) وقالوا اسم حبيبك وابغ عنه * حبيبا آخر تحيا سعيدا
اذا كان القديم هو المصافي * وخان فكيف آمن الجديدا

(وقال آخر) لم أنس ان قلت من وجدي لها غلطا * ووجهها مشرق في حندس الظلم
سلوت عنك فقالت وهي ضاحكة * لتقرعن على السن من ندم

(وقال آخر) أمن المروأة أن أبيت مسهدا * قلقا أبل ملابسي بدموعي
وتبيت ريان الجفون من الكرى * وأبيت منك بليلة الملسوع

(وقال آخر) الى الله أشكو جور أهيف شادن * وقعت فمالي من يديه خلاص
جرحت بعيني خده وهو جارح * بعينيه قلبي والجروح قصاص

(وقال آخر) قد كنت أسمع بالهوى فأكذب * وأرى المحب وما يقول فأعجب
حتى رميت بحلوه وبمره * من كان يتهم الهوى فيجرب

(وقال آخر) سألتها التقبيل من خدها * عشرا وما زاد يكون احتساب
فمذ تلاقينا وقبلتها * غلطت في العد وضاع الحساب

(وقال آخر) يا من سقامي من سقام جفونه * وسوادحظي من سواد عيونه
قد كنت لا أرضى الوصال وفوقه * واليوم أقنع بالخيال ودونه

ووهبتهم أرواحهم وما حدثتني نفسي بقتلهم ولا سلبهم لكن أنت تجهز معي الى حضرة الامير فقد ذكرتك وقدمت له شيأ من المستظرفات التي قدمتها الي فأعجبته ورسم بحضورك نخفت على نفسي وعلى أهل الدرب وقلت هذا يخرجني الى خارج بغداد ويقتلني وينهب الدرب فظهر على الخوف وقلت ياخوند هلا كو ملك كبير وأنا رجل حقير مغن أخشى منه ومن هيبته فقال لا تخف ما يصيبك الا الخير فانه رجل يحب أهل الفضائل فقلت في ضمانك أنه لا يصيبني مكروه قال نعم فقلت لاهل الدرب ما عندكم من النفائس فائتوني بكل ما تقدرون عليه فاخذت معي من المغنيات الجليلة ومن النقد الكثير من الذهب والفضة وهيأت ما كل كثيرة طيبة وشرابا كثيرا عتيقا فائقا وأواني فاخرة كلها من الفضة المنقوشة بالذهب وأخذت معي ثلاث جوار مغنيات من أجل من كان عندي وأنفسهن للضرب ولبست بدلة من القماش الحليفي وركبت بغلة جليلة كنت أركبها اذا رحت الى الخليفة فلما رآني نانوين بهذه الحالة قال لي أنت وزير قلت لا أنا مغني الخليفة ونديمه ولكن لما خفت منك لبست القماش الوسخ ولما صرت من رعيتك أظهرت نعمتي وأمنت وهذا الملك هلا كو ملك عظيم وهو أعظم من الخليفة فما ينبغي ان أدخل عليه الا بالحشمة والوقار فأعجبه مني هذا وخرجت معه الى مخيم هلا كو فدخل عليه وأدخلني معه وقال لهلا كو هذا الرجل الذي ذكرته لك وأشار الى فلما وقعت عين هلا كو علي قبلت الأرض وجلست على ركبتي كما هو من عادة التتار فقال نانوين هذا كان مغني الخليفة وقد فعل معي كذا

(وقال آخر) صبحته عند المساء فقال لي * تهزى بقدري أو تريد مزاحا
فاجبته اشراق وجهك غرني * حتى توهمت المساء صباحا

(أبو عبد الله الغواص)

من عذيري من عذول في رشا * قامر القلب هواه فقمر
قر لم يبق مني حسنه * وهواه غير مقلوب قر

(وقال آخر) جاذبتها والريح تجذب برقعا * من فوق خد مثل قلب العقرب
وطفقت ألثم ثغرها فتحجبت * وتسترت عني بقلب العقرب

(وقال آخر) لومت من كثرة الاشواق وانبدلت * مدامعي بدم من كثرة السهر
ما اخترت عنك سلوا ولا نظرت * عيني لغير محياوجهك القمر

﴿ابراهيم بن العباس﴾

تمر الصبا صفحا بساكن ذي الغضى * ويسرع قلبي اذ يهب هبوبها
قريبة عهد بالحبيب وانما * هوى كل نفس أين حل حبيبها

(وقال النوفلي) اذا اختلجت عيني رأت من تحبه * فدام اعيني ما حييت اختلاجها
وماذقت كأسا مذ علقت بحبها * فأشربه الا ودمعي مزاجها

﴿وقال آخر رحمه الله تعالى﴾

ياذا الذي زار وما زارا * كأنه مقتبس نارا
قام بباب الدار من تيهه * ماضره لو دخل الدارا

(وقال آخر) ولقد جعلتك في الفؤاد محدثي * وأبحت مني ظاهري لجليسي
فالكل مني للجليس مؤانس * وحبيب قلبي في الفؤاد أنيسي

(ابن نباتة) أناشده الرحمن في جمع شملنا * فيقسم هذا لا يكون الى الحشر
اذا ما غدا مثل الحديد فؤاده * فوا العصران العاشقين لفي خسر

﴿أمين الدين بن أبي الوفاء﴾

يا نازلا مني فؤادا راحلا * ومن العجائب نازلا في راحل
أضرمت قلب متيم أهلكته * وسكنته والنار مثوى القاتل

(وقال آخر) يا عاذلي في هواه * اذا بدا كيف أسلو
يمر بي كل وقت * وكلما مر يحلو

(الحاجري) ملأت فؤادي من محبة فاتن * أميل اليه وهو كالظبي رائغ
وقلت لقلبي قم لتعشق شادنا * سواه فقال القلب ما أنا فارغ

(وقال ديك الجن) ولي كبد حرى ونفس كأنها * بكف عدو ما يريد سراحها
كأن على قلبي قطاة تذكرت * على ظمأ وردا فهزت جناحها

﴿وقال عبد الله بن طاهر﴾

أقام ببلدة ورحلت عنه * كلانا بعد صاحبه غريب
أقل الناس في الدنيا سرورا * محب قد نأى عنه الحبيب

(وقال آخر) ما اخترت ترك وداعكم يوم النوى * والله لا مللا ولا لتجنب
لكن خشيت بان أموت صبابة * فيقال أنت قتلته فتعاقبي

﴿وقال ابن المعتز﴾

هب لعيني رقادها * وانف عنها سهادها * وارحم المقلة التي
كنت فيها سوادها * كن صلاحا لها كما * كنت دهرا فسادها

(وقال آخر) وقالوا دع مراقبة الثريا * ونم فالليل مسود الجناح
فقلت وهل أفاق القلب حتى * أفرق بين ليلي والصباح

(وقال آخر) ولي فؤاد اذا طال النزاع به * طار اشتياقا الى لقياء معذبه

وكذا وقد أتاك بهدية فقال قد قبلتها فقبلت الأرض مرة ثانية ودعوت له وقدمت له ولخواصه الهدايا التي كانت معي فكلما قدمت شيأ منها يفرقه ثم فعل بالمأكول كذلك ثم قال لي أنت مغني الخليفة فقلت نعم فقال أي شيء أجود ما تعرف قلت أحسن أن أغني غناء اذا سمعه الانسان ينام فقال غن لي الساعة حتى أنام فندمت وقلت ان غنيت له ولم ينم قال هذا كذاب وربما قتلني ولابد من الخلاص منها بحيلة فقلت يا خوند الطرب باوتار العود لا يطيب الا بشرب الخمر ولا بأس بأن يشرب الامير قدحين أو ثلاثة حتى يقع الطرب في موقعه فقال انا مالي في الخمر رغبة لانه يشغلني عن مصالح ملكي ولقد أعجبني من نبيكم تحريمه ثم شرب ثلاثة أقداح كبار فلما احمر وجهه أخذت عودا وغنيته وكان معي مغنية اسمها ضياء لم يكن في بغداد أحسن منها صورة ولا أطيب منها صوتا فأصلحت أنغام العود وضربت ضروبا جالبة للنوم مع زمزمة ترخيم الصوت وغنيت فلم أتم النوبة حتى رأيته قد نعس فقطعت الغناء بغتة وقويت ضرب الاوتار فانتبه فقبلت الارض وقلت نام الملك فقال صدقت غن علي فقلت أغني على الملك أن يطلق لي السمكية قال وأي شيء هي السمكية قلت بستان للخليفة فتبسم وقال لاصحابه هذا مسكين مغن قصير الهمة وقال للترجمان قل له لم لا تمنيت قلعة أو مدينة أي شيء هذا البستان فقبلت الارض وقلت يا ملك العالم هذا البستان يكفيني وأنا ما يجيء مني صاحب قلعة ولا صاحب مدينة فرسم لي بالبستان وبجميع ما كان لي من الراتب في أيام الخليفة وزادني علوفة تشتمل على خبز ولحم وعليق دواب تساوي دينارين وكتب بذلك فرمانا

يفديك بالنفس صب لو يكون له * أعز من نفسه شئ فداك به

(وقال آخر) وما هجرتك النفس يا مى انها * قلتك ولا أن قل منك نصيبها

ولكنهم يا أحسن الناس أولعوا * بقول اذا ما جئت هذا حبيبها

(وقال المحاربى) اذا أنت لم توقن بما صنع الهوى * باهل الهوى فافقد حبيبا وجرب

ترى حرقات يلدغ القلب حرها * بأنضج من كى الغضى المتلهب

﴿وقال الاقرع بن معاذ﴾

أقول لمفت ذات يوم لقيته * بمكة والانضاء ملقى رحالها * بحقك أخبرنى أما تأثم التى

أضر بجسمى منذ مرخيالها * فقال بلى والله أو سيصيبها * من الله بلوى فى الزمان تنالها

فقلت ولم أملك سوابق عبرة * سريع على جيب القميص انهمالها

عفا الله عنها كل ذنب ولقيت * مناها وان كانت قليلا نوالها

(وقال آخر) بالله ربكما عوجا على سكنى * وعاتباه لعل العتب يعطفه

وعرضا بى وقولا فى حديثكما * ما ضر لو بوصال منك تسعفه * فان تبسم قولا عن ملاطفة

ما بال عبدك بالهجران تتلفه * وان بدا لكما من سيدى غضب * فغالطاه وقولا ليس نعرفه

﴿وقال عبد الله بن أبى الشيص﴾

ومعرضة تظن الهجر فرضا * تخال لحاظها للضعف مرضى

كانى قد قتلت لها قتيلا * فما منى بغير الهجر ترضى

﴿وقال الحسين بن الضحاك﴾

بعضى بنار الهجر مات حريقا * والبعض أضحى بالدموع غريقا

لم يشك عشقا عاشق فسمعته * الا ظننتك ذلك المعشوقا

(وقال آخر) وأجيل فكرى فى هوا * ك بلا لسان ناطق * أدعو عليك بحرقة * من غير قلب صادق

(وقال آخر) ياويح من خبل الاحبة قلبه * حتى اذا ظفروا به قتلوه

عزوا ومال به الهوى فاذله * ان العزيز على الذليل يتيه

أنظر الى جسد أضر به الهوى * لولا تقلب طرفه دفنوه

من كان خلوا من تباريح الهوى * فانا الهوى وحليفه وأخوه

(وقال أحمد بن طاهر) تقول العاذلات تسل عنها * وداو عليل صبرك بالسلو

فكيف ونظرة منها اختلاسا * ألذ من الشماتة بالعدو

﴿وقال اسحق مولى المهلب﴾

هبينى يا معذبتى أسأت * وبالهجران قبلكم بدأت فاين الفضل منك فدتك نفسى * على اذا أسأت كما أسأت

(وقال أبو العتاهية) يقول أناس لو نعت لنا الهوى * ووالله ما أدرى لهم كيف أنعت

سقام على جسمى كثير موسع * ونوم على عينى قليل مفوت

اذا اشتد ما بى كان أفضل حيلتى * له وضع كفى فوق خدى وأسكت

(وقال بشار) ياقرة العين انى لا أسميك * أكنى باخرى أسميها وأعنيك

أخشى عليك من الجارات حاسدة * أو سهم غيران يرمينى ويرميك

لولا الرقيبان اذ ودعت غادية * قبلت فاك وقلت النفس تفديك

يا أطيب الناس ريقا غير مختبر * الا شهادة أطراف المساويك

قد زرتنا مرة فى الدهر واحدة * بالله لا تجعليها بيضة الديك

(وقال آخر) ألم تعلمى يا أحسن الناس اننى * أحبك حبا مستكنا وباديا

أحبك ما لو كان بين قبائل * من الناس أعداء لجروا التصافيا

(وقال آخر) أقول لشادن فى الحسن أضحى * يصيد بطرفه قلب الكمى

مكمل الملائم وخرجت من بين يديه وأخذلى نانونوين أمير بخمسين فارسا ومعهم علم أسود هو كان علم هلاكو الخاص به برسم حماية دارى فجلس الامير على باب الدرب ونصب العلم الاسود على أعلى باب الدرب فبقى الامر كذلك الى أن رحل هلاكو عن بغداد قال الاربلى فقلت له كم نابك من المغارم فى الثانية قال أكثر من ستين ألف دينار وذهب أكثرها ممن كان انزوى الى دربى من ذوى اليسار والباقى من نعم موفرة كانت عندى من صدقات الخليفة فسألته عن المرتب والبستان فقال البستان أخذه منى أولاد الخليفة وقالوا هذا ارث من أبينا والعلوفة قطعها عنى الصاحب شمس الدين الجوينى وعوضنى عنها وعن البستان فى السنة مائة ألف درهم (وقال) كان بمدينة السلام مغن يعرف بالغيور وكان عنده من الجوارى عدد كثير ذوات حسن وكان خبره فاشيا يقصده المتصون وغيره فبلغ رجلا من الكتاب المشهورين خبره فتشوقت نفسه الى قصده ثم تجنبته لما شهر به فحمل نفسه على ان جعل بينه وبين الرجل حالا بان دعاه وبره ووصله وكان قصد الناس منزله آثر عندهم من دعاء من يدعونه من جوار به لما يجتمع لهم فيه قال الكاتب فكان يسألنى المصير اليه وأقشعر لشناعة لقبه الى ان لقينى بالقرب من منزله فخاف على أن لا أفارقه فكان ذلك صادف منى موافقة فمضيت معه فرأيت أحسن منزل وآلة فلما استقر بنا الجلوس قال لغلمانى اذا كان فى غد بكروا وجيئوا بالدواب فاستوحشت وقلت بلى يقيم بعضهم عندى ويعود الباقون ليلا للانصراف الى منزلى فابى وحلف فاتبعت ما أراد فاحضر أحسن

ملكت الحسن أجمع فى نصاب * فأدّ زكاة منظرك البهى * وذاك بأن تجود لمستهام
برشف من مقبلك الشهى * فقال أبو حنيفة لى امام * يرى أن لا زكاة على الصبى

(وقال آخر) سقى الله ربعا كنت أخلو بوجهكم * وثغر المنا فى روضة الحسن ضاحك
أقمنا زمانا والعيون قريرة * وأصبحت يوما والجفون سوافك

(وقال آخر) ألم تعلمى يا عذبة الماء أننى * أظل اذا لم اسق ماءك صاديا
ومازلت بى يا بين حتى لو اننى * من الوجد أستبكى الحمام بكى ليا

(أبو العباس الشهير بالنفيس)

يا راحلا وجميل الصبر يتبعه * هل من سبيل الى لقياك يتفق
ما أنصفتك جفونى وهى دامية * ولا وفى لك قلبى وهو يحترق

(الوزير ظهير الدين الملقب بأبى شجاع)

لأعذبن العين غير مفكر * فيها بكت بالدمع أو فاضت دما * ولأهجرن من الرقاد لذيذه
حتى يعود على الجفون محرّما * هى أوقعتنى فى حبائل فتنة * لو لم تكن نظرت لكنت مسلما
سفكت دمى فلأسفحن دموعها * وهى التى بدأت فكانت أظلما

(وقال العتبى) أضحت بخدى للدموع رسوم * أسفا عليك وفى الفؤاد كلوم
والصبر يحمد فى المواطن كلها * الا عليك فانه مذموم

(الرفا الاندلسى) ومهفهف كالغصن الا أنه * تحير الالباب عند لقائه
أضحى ينام وقد تكلل خده * عرقا فقلت الورد رش بمائه

(وقال آخر) اخضروا صفر لاعتلال * فصار كالنرجس المضعف * كأن نسرين وجنتيه
بشعر اصداغه مغلف * يرشح منه الجبين ماء * كأنه لؤلؤ منصف

(وقال آخر) مازال يثمل من صرف الطلا قرى * حتى غدت وجنتاه البيض كالشفق
وقام يخطر والارداف تقعده * طورا وحاول أن يسعى فلم يطق * فعاثل فعلت فعل الشمولية
فعل النسيم بغصن البانة الورق * جاذبته لعناقى فانثنى خجلا * وكللت وجنتاه الحمر بالعرق
وقال لى بفتور من لواحظه * ان العناق حرام قلت فى عنقى

(وقال آخر) باركات هذا البيت انى لطائف * وفى الكون أسرار وفيه لطائف
رعى الله أياما وناسا عهدتهم * جيادا ولكن الليالى صيارف * وبى ذهبى اللون صيغ لمحنتى
يريد امتحانى وما أنا زائف * يذيب فؤادا وهو لا غش عنده * فيا ذهبى اللون انك حائف

(وقال آخر) أسنى ليالى الدهر عندى ليلة * لم أخل فيها الكاس من أعمالى
فرقت فيها بين جفنى والكرى * وجمعت بين القرط والخلخال

(ومما قيل فى الرقباء) لو أن لى فى الحب أمرا نافذا * وملكت بسط الامر فى التعذيب
لقطعت ألسنة العواذل كلها * ولكنت أقلع عين كل رقيب

(وقال اعرابى) بسهم الحب كلم فى فؤادى * ولا كالكلم من عين الرقيب
تمكن ناظره به وأضحى * مكان الكاتبين من الذنوب * ومن حذر الرقيب اذا التقينا
نسلم كالغريب على الغريب * ولولاه تشاكينا جميعا * كما يشكو المحب الى الحبيب

(وقال آخر) من عاش فى الدنيا بغير حبيب * فحياته فيها حياة غريب
عين الرقيب غرقت فى بحر العمى * لا أنت لا بل عين كل رقيب

(وقال احمد بن أبى سلمة) يعذلنى فيه جميع الورى * كأننى جئت بأمر عجيب
أظن نفسى لو تعشقتها * بليت فيها بملام الرقيب
وأنا الغريب فلا ألام على البكا * ان البكا حسن بكل غريب

(وقال آخر) وما فارقت سعدى عن قلاها * ولكن شقوة بلغت مداها

طعام وألطفه وأكلنا وأتى بأنواع
الاشربة والفواكه والرياحين
وأخذنا فى أمرنا وخرجت وجوه
كالشموس وكنت عند دخولى الى
الدار قد رأيت على بعض الابواب
طبلا معلقا فظننته لبعض الجوارى
فلم أسأل عنه فلما صرنا على حالنا
وأخذ النبيذ منا أحضر عمودا فجعله
بين يديه فأوحشنى جدا وقلت رجل
غيور كما لقب وجوار حسان ونبيذ
شديد وألست آمن أن أعبث بهن
فيضربنى بالعمود قال أخبرك
يا أخى انى رجل غيور كما قد بلغك
ويحضر منزلى قوم معهم سوء أدب
فما هو الا أن تغنى الجارية حتى أرى
الواحد منهم قد لاحظها وضحك
فى وجهها وضحكت فى وجهه
فأقول أقوم بهذا العمود فأعطى
ضربة له وضربة لها فاقتلهما
وأستريح الا انى على ماترى رجل
معى تأن شديد فأقول شرب الرجل
فسر وضحك ولعله بعد يعرفها وتعرفه
فضحكت اليه وضحك اليها قال
فلما ذكر هذا الحديث طابت نفسى
وأصغيت الى حديثه فقلت ثم ماذا
قال ثم ان الامر يزيد حتى أراه قد
دنا فسارها وسارته فتقوم على
القيامة وأقول ضحك اليها
وضحكت اليه للمعرفة فما وضع
السر ثم أهم بالعمود والتأنى الذى
فى يقول لعله طالبها بصوت تغنيه
فامسك فلا يطول الامر بينهما حتى
أراه قد أدخل يده فى ثوبها فقرصها
وعبث بثديها فتداخلنى الغيرة
وأقول ما بعد هذا شئ وأهم
بضربهما بالعمود لكن على ماترى
عندى تأن فأقول بعد لم يبلغ الامر
بهما الى القتل وهى أوائل وسيكون
لها أواخر فان أتى بما يوجب القتل
قتلتهما فاسترحت فامسك فيطول
الامر حتى أرى الواحدة قد قامت
وقام الرجل فى أثرها فيدخلان ذلك
البيت وبابه وثيق جدا فاسقى

بكيت نعم بكيت وكل إلف * اذا بانت حبيبته بكاها

(وقال آخر) وقائلة ما بال دمعك أبيض * فقلت لها يا علو هذا الذي بقى

ألم تعلمي أن البكا طال عمره * فشابت دموعي عند ما شاب مفرقي

وعما قليل لا دموع ولا دما * ولم يبق الا لوعتي وتحرقي

(وقال آخر) ولم أرمثلي غارمن طول ليله * عليه لان الليل يعشقه معى

ومازلت أبكي في دجا الليل صبوة * من الوجد حتى ابيض من فيض أدمعى

(وقال آخر) رجوت طيف خيال * وكيف لى بهجوع

والذاريات جفوني * والمرسلات دموعي

(وقال آخر) يا نازح الطيف من نومي يعاودني * فقد بكيت لفرط النازحين دما

أو جبت غسلا على عيني بأدمعها * فكيف وهي التي لم تبلغ الحلما

(وقال آخر) ارحم رحمت للوعتي * وابعث خيالك في الكرى

ودموع عيني لا تسل * عن حالها يا ما جرى

(وقال آخر) أملت ان تتعطفوا بوصالكم * فرأيت من هجرانكم ما لا أرى

وعلمت أن فراقكم لا بدأن * يجرى به دمعي دما وكذا جرى

(وقال آخر) ان عيني مذ غاب شخصك عنها * يأمر السهد في كراها وينهى

بدموع كأنهن الغوادى * لا تسل ما جرى على الخد منها

(وقال آخر) يقولون لى والدمع قرح مقلتي * بنار أسى من حبة القلب تقدح

أدمعك جمر قلت لا تعجبوا * فكل وعاء بالذى فيه ينضح

(وقال البدر الذهبي) قالوا تباكى بالدموع وما بكى * بدم على عيش تصرم وانقضى

فأجبتهم هو من دمي لكنه * لما تصاعد صار يقطر أبيضا

(قال ابن مطروح في الغيرة)

ولو أمسى على تلفي مصرا * لقلت معذبي بالله زدني

ولا تسمح بوصلك لى فاني * أغار عليك منك فكيف مني

(وقال آخر) أغار عليك من نظرى ومني * ومنك ومن مكانك والزمان

ولو انى خبأتك في جفوني * الى يوم القيامة ما كفاني

(المظفر بن عمر الآمدي)

قل للذين جفوني اذ لهجت بهم * دون الانام وخير القول أصدقه

أحبكم وهلاكى في محبتكم * كعابد النار يهواها وتحرقه

(وقال غيره) لم أنس أيام الصبا والهوى * لله أيام الصبا والنجاح

ذاك زمان مر حلو الجنى * ظفرت فيه بحبيب وراح

(الشريف الرضى) عللاني بذكرهم واسقياني * وامزجالى دمعي بكأس دهاق

وخذا النوم من جفوني فاني * قد خلعت الكرى على العشاق

(وقال آخر) قالوا أترقد مذ غبنا فقلت لهم * نعم وأشفق من دمعي على بصرى

ما حق طرف هداني نحو حسنكم * أني أعذبه بالدمع والسهر

(عز الدين الموصلي) فسدت لطول بعادكم أحلامنا * وعقولنا وجفا الجفون منام

والطيف قد وعد الجفون بزورة * يا حبذا ان صحت الاحلام

(ومما قيل في السهر وطول الليل ونحو ذلك) قال الشاعر

ورب ليل سهرناه وقد طلعت * بقية البدر في أولى تسايره

كأنما أدهم الظلماء حين نجا * من أشهب الصبح ألقى نعل حافره

خلفهما بهذا العمود لاقتلهما البتة فسبقاني فيغلقان الباب وأبقى أنا خارجه وأنا غيور كما قد علمت فأقول متى علمت حركتهما مت أو قتلت نفسي فهلا يكون والله يا أخى لى اعتصام الا بذلك الطبل المعلق فاتناوله وأضعه في عنقي فلا أزال أضرب أبدا حتى يخرجا قال فقلت والله وأنا أرى أوفى منه قولا وفعلا (قال صلاح الدين الصفدى في الجزء الخامس والثلاثين من التذكرة ومن خطه نقلت) حجت جميلة الموصلية بنت ناصر الدولة أبي محمد ابن حمدان أخت أبي ثعلب سنة ست وثمانين وثلثمائة فسقت أهل الموسم كلهم السويق بالطبرزد والثلج واستصحبت البقول المزروعة في المراكب وعلى الجمال وأعدت خمسمائة راحلة للمنقطعين ونثرت على الكعبة عشرة آلاف دينار ولم تستصبح عندها وفيها الا بشموع العنبر وأعتقت ثلثمائة عبد ومائتى جارية وأغنت الفقراء والمجاورين * وحج عبد الله بن جعفر ومعه ثلاثون راحلة وهو يمشى على رجليه حتى وقف بعرفات فأعتق ثلاثين مملوكا وحملهم على ثلاثين راحلة وأمر لهم بثلاثين ألفا وقال أعتقهم لله تعالى لعل الله أن يعتقنى من النار (وكان) حكيم بن حزام رضي الله عنه يقيم عشية عرفة مائة بدنة ومائة رقبة فيعتق الرقاب عشية عرفة وينحر البدن يوم النحر وكان يطوف بالبيت ويقول لا اله الا الله وحده لا شريك له نعم الرب ونعم الاله أحبه وأخشاه (عمر بن ذر الهمداني) لما قضى مناسكه أسند ظهره الى الكعبة الشريفة ثم قال مودعا للبيت ما زلنا نحل لك عروة ونشد أخرى ونصعد أكمة ونهبط واديا وتخفضنا أرض وترفعنا أخرى حتى أتيناك غير محجوبين فليت شعرى بم يكون منصرفنا أبذنب

(وقال آخر) ليل المحبين مطوى جوانبه * مشمر الذيل منسوب الى قصر
ماذاك الا لأن الصبح نم بنا * فاطلع الشمس من غيظ على القمر

(وقال غيره) فلم أر مثل ليل ذوى التصابى * وكل يشتكيه بكل حال
فيشكو طوله أهل التجافى * ويشكو قصره أهل الوصال

(وقال آخر) ليلى وليلى سواء فى اختلافهما * قد صيرانى جميعا فى الهوى مثلا
يجود بالطول ليلى كلما بخلت * بالطول ليلى وان جادت به بخلا

(وقال آخر) ان الليالى للانام مناهل * تطوى وتنشر بينها الاعمار
فقصارهن مع الهموم طويلة * وطوالهن مع السرور قصار

(وقال غيره) رب ليل لم أذق فيه الكرا * حظ عينى فيه دمع وسهر
كلما هيج ليلى حرقى * صحت ياليلى أما فيك سحر

(وقال آخر) ياليل طل أولا تطل * لابدلى أن أسهرك * لو بات عندى قمرى * مابت أرعى قمرك

(وقال بشار بن برد) خليلى ما بال الدجى لا يزحزح * وما بال ضوء الصبح لا يتوضح
أضل النهار المستنير طريقه * أم الدهر ليل كله ليس يبرح

(وقال آخر) كأن الثريا راحة تشبر الدجى * لتعلم طال الليل ام قد تعرضا
فليل تراه بين شرق ومغرب * يقاس بشبر كيف يرجى له انقضا

(وقال ابن منقذ) لما رأيت النجم ساه طرفه * والقطب قد ألقى عليه سباتا
وبنات نعش فى الحداد سوافر * أيقنت أن صباحهم قد ماتا

(وقال آخر فى ليلة ممطرة) أقول والليل فى امتداد * وأدمع الغيث فى انسفاح
أظن ليلى بغير شك * قد بات يبكى على الصباح

(ومما جاء فى الاشعار الخمرية قول صفى الدين الحلى)

بدت لنا الراح فى تاج من الحبب * فمزقت حلة الظلماء باللهب * بكر اذا زوجت بالماء أولدها
أطفال در على مهد من الذهب * بقية من بقايا قوم نوح اذا * لاحت جلت ظلم الاحزان والكرب
بعيدة العهد بالمعصار لو نطقت * لحدثتنا عما فى سالف الحقب * يا كرتها برفاق قد زهت بهم
قبل السلاف سلاف العلم والادب * بكل متشح بالفضل مؤتزر * كان فى لفظه ضربا من الضرب
بل رب ليل غدا فى الاهاب غدت * تنقض فيه كؤس الراح كالشهب * بذلت عقلى صداقا حين بت به
أزوج ابن سحاب بابنة العنب * بتنا بكاساتها صرعى ومطربنا * يعيد أرواحنا من شدة الطرب
بعث ألم فلم نعلم لفرحتنا * من نفخة الصور أم من نفخة القصب
بروضة طل فيها الطل أدمعه * والزهر مبتسم عن ثغره الشنب

(وقال أيضا) تاب الزمان من الذنوب فوات * واغنم لذيذ العيش قبل فوات
تم السرور فقم بنا ياصاحى * نستدرك الماضى بنهب الآتى * توج بكاسات الطلا هام الربا
فى روضة مطلولة الزهرات * تغدو سلاف القطر دائرة بها * والكاس دائرة بكف سقاة
تلف النضار على العقار غنيمتى * وفراغ راحاتى على الراحات * تركى لا كياس النضار جهالة
من ذا أحق بها من الكاسات * تبت يدا من تاب عن رشف الطلا * والكاس متقد كخد فتاة
تابع الى أوقاتها داعى الصبا * واعجب لما فيها من الآيات
تم بها نقص السرور فانها * عند الكرام تتمة اللذات

(وقال أيضا) حى الرفاق وطف بكاس الراح * واطرز بكاسك حلة الافراح
حث الكؤس على جسوم أصبحت * فيها المدام شريكة الارواح * حاش الانام وعاطنى مشمولة
ضمنت فسادى وهى عين صلاحى * حمراء لو ترك السقاة مزاجها * أغنى تلألؤها عن المصباح
حبب تظل به الكؤس كانها * خصر الفتاة ممنطق بوشاح * حجب الحباب شعاعها فكأنه

مغفور فأعظم بها من نعمة أم بعمل مردود فأعظم بها من مصيبة فيا من اليه خرجنا واليه قصدنا وبحرمه أنخنا ارحم املاق الوفد لغناك فقد أتيناك بعيسنا معراة جلودها ذابلة أسنمتها نقبة أخفافها وان أعظم الرزية أن نرجع وقد اكتنفتنا الخيبة اللهم وان للزائر بن حقا فاجعل حقنا غفران ذنوبنا فانك جواد ماجد لا ينقصك نائل ولا يحفيك سائل (ونقلت) من خط الشيخ صلاح الدين الصفدى من الجزء الثامن والثلاثين من تذكرته ما صورته نقلت من خط شيخنا الشيخ الامام الحافظ علم الدين البرزلى رحمه الله تعالى ما صورته قرأت فى بعض الكتب الواردة من القاهرة المحروسة أنه لما كان بتاريخ يوم الخميس رابع جمادى الآخرة فى سنة اثنين وسبعمائة ظهرت دابة عجيبة من بحر النيل الى أرض المنوفية صفة لونها لون الجاموس بلا شعر وآذانها كآذان الجمال وعيناها وفرجها مثل الناقة يغطى فرجها ذنب طوله شبر ونصف طرفه كذنب السمكة ورقبتها مثل غلظ التيس المحشو تبنا وفمها وشفاهها مثل الكربال ولها أربعة أنياب اثنان من فوق واثنان من أسفل طولهن دون الشبر وعرض أصبعين وفى فمها ثمانية وأربعون ضرسا وسنا مثل بيادق الشطرنج وطول يدها من باطنها الى الأرض شبران ونصف ومن ركبتها الى حافرها مثل بطن الثعبان أصفر مجعدود وحافرها مثل السكرجة بأربعة أظافير مثل أظافير الجمل وعرض ظاهرها مقدار ذراعين ونصف وطولها من فمها الى ذنبها خمسة عشر قدما وفى بطنها ثلاث كروش ولحمها أحمر وزفرته مثل السمك وطعمه كطعم الجمل وغلظ جلدها أربعة أصابع ما تعمل فيه

شفق تلهب تحت ذيل صباح * حكم لزمان وغض عناظرفه * ياصاح لاتقنع بانك صاح

(وقال آخر) قدقلت اذ أضحى يعبس كلما * دارت عليه بالمدام الاكوس
بالله ما أنصفتها ياسيدي * تأتيك باسمة وأنت تعبس

(عز الدين الموصلي) لئن شبه الساقي المدام بعسجد * فقد مال بالتشبيه عن صيغة الادب
ولكن رآها جوهرا سميت طلا * فيزما قد حلت الكاس بالذهب

(يزيد بن معاوية) وشمسة كرم برجها قعر دنها * ومطلعها الساقي ومغربها في
مدام كتبر في اناء كفضة * وساق كبدر مع ندامى كانجم

(وقال آخر) كان الندامى والسقاة ودننا * وكاساتنا في الروض تعلى وتشرب
شموس وأقمار وفلك وأنجم * ونور ونوار وشرق ومغرب

(وقال آخر) فكانها وكان حامل كاسها * اذا قام يجلوها على الندماء
شمس الضحى رقصت فنقط وجهها * بدر الدجى بكواكب الجوزاء

(وقال كشاجم) صدح الديك في الدجى فاسقنيها * خمرة تترك الحليم سفيها
لست أدري من رقة وصفاء * هي في الكاس أم هي والكاس فيها

(كمال الدين بن النبيه)

قم يا غلام ودع مقالة من نصح * فالديك قد صدع الدجى لما صدح * خفيت تباشير الصباح فأسقني
ماضل في الظلماء من قدح القدح * صهباء مالمعت بكف مديرها * لقطب الا تهلل وانشرح
تالله مامزج المدام بمائها * لكنه مزج المسرة بالفرح * هي صفوة الكرم الكريم فاسرت
سراؤها في باخل الاسمح * من كف فتان اللحاظ بوجهه * عذر لمن خلع العذار أوافتضح

(وقال غيره) وليلة أوسعتني * حسنا ولهوا وأنسا مازلت أثم بدرا * بها وأشهد شمسا

(عبد الله بن محمد العطار وقيل يزيد بن معاوية)

وكاس يرينا آية الصبح في الدجى * فأولها شمس وآخرها بدر
مقطبة مالم يزرها مزاجها * فان جاءها جاء التبسم والبشر
فيا عجبا للدهر لم يخل مهجة * من العشق حتى الماء يعشقه الخمر

(وقال ابن تميم) وليلة بت أسقى من غياهبها * راحا تسل شبابي من يد الهرم
مازلت أشرب بها حتى نظرت الى * غزالة الصبح ترعى نرجس الظلم

(ابن مكانس) نزل الطل بكرة * وسروري تجددا * والندامى تجمعوا * فاجل كاسي على الندى

(الشيخ شهاب الدين الحجازي)

كاسنا يا صاح صرفا * جليت بين الندامى لم نجد ماء لمزج * فقنعنا بالندامى

(صفي الدين الحلي) كيف لاتخضع العقول لديها * وهي سلطان سائر المسكرات
ألفوا في الكؤس اذ مزجوها * بين ماء الحيا وماء الممات

غيره صبها في الكاس صرفا * غلبت ضوء السراج ظنها في الكاس نارا * فطفاها بالمزاج

(مجد الدين بن تميم)

نديمي لاتسقني * سوى الصرف فهو الهني ودع كاسها أطلسا * ولاتسقني مع دني

(تقي الدين بن حجة) حيا بها عاصرها في كاسها * مشرقة باسمة كالثغر
وقال هذي تحفة في عصرنا * قلت اسقنيها يا امام العصر

(أبو الطيب المتنبي) ياصاحبي امزجا كاس المدام لنا * كيما يضيء لنا من أفقها الغسق
خمرا اذا ماندِيمي هم يشربها * أخشى عليه من اللألاء يحترق
لوراح يحلف أن الشمس ماغربت * في فيه كذبه في وجهه الشفق

(وقال آخر) بنت كرم يتموها أمها * وأهانوها بدوس بالقدم

السيوف وحمل جلدها على خمسة جمال في مقدار ساعة من ثقله على جمل بعد جمل وأحضروه الى القلعة المعمورة بحضرة السلطان وحشوه تبنا وأقاموه بين يديه (ونقلت منه أيضا) كتب الي زين الدين الرحبي انه وجد بالقاهرة بالقرب من المشهد كلبة ميتة ولها جرو ان يرضعان مقدار عشرين يوما بعد موتها ويلعبان حولها واللبن يخرج من أبزازها من الجانب الأعلى وأما الجانب الأسفل فانه يبس وكان الناس يمرون بها ويتعجبون فسبحان من لايعجزه شيء وهو على كل شيء قدير (وذكر الشيخ في حوادث سنة ٧٢٦) قال قال شيخنا علم الدين رحمه الله تعالى نقلت من خط الصدر بدر الدين الفرازي قال في السابع من ذي الحجة سنة (٧٢١) أخبرني شخص أن كلبة ولدت بالقاهرة ثلاثين جروا وأنها أحضرت بين يدي السلطان فلما رآها أعجب من أمرها وسأل المنجمين عن ذلك فاعترفوا أنهم ليس لهم علم بذلك (يحكى) أن المهدي خرج يتصيد فلقيه الحسين بن مطير الاسدي فأنشده

أضحت يمينك من جود مصورة
لا بل يمينك منها صورة الجود
من حسن وجهك تضحى الارض مشرقة
ومن بنانك يجري الماء في العود

فقال المهدي كذبت يافاسق وهل تركت في شعرك موضعا لاحد مع قولك في معن بن زائدة

ألما بمعن ثم قولا لقبره
سقتك الغوادي مربعا ثم مربعا
فيا قبر معن كنت أول حفرة
من الارض خطت للمكارم مضجعا
ويا قبر معن كيف واريت جوده
وقد كان منه البر والبحر مترعا

ثم داروا حكموها فيهم * ويا لهم من جور مظلوم حكم

(وقال آخر) عناقيد على قضب تدلت * حكى منظومها عقد اللآلى
اذا عصرت بدا فى الكاس منها * دوالى قد تربت فى دوالى

(برهان الدين بن المعمار) يا كرلكرم العنب المجتنى * واستجنه من عند عنابه
واعصره واستخرج لنا ماءه * لكى تزيل الهم عنا به

(جولان العاذلى) اذا ما الخمر فى الكاسات صبت * رأيت لها شموسا فى بروج
وان جليت على الندمان يوما * تزاحمت الهموم على الخروج

(وقال فى الشراب المطبوخ)
يا من يعذب ماء الكرم يحرقه * بالنار فى أى شئ تظلم العنبا
ان التى طبختها الشمس أنفع لى * ولست أخصر لا قدرا ولا حطبا

(وقال أيضا) وعتيقة رقت وراق مزاجها * لطفا وأنحلها الزمان الغابر
لم يبق منها غير نور ساطع * لا يستطيع يجول فيه الناظر
ترنو اليك من الحباب باعين * خلقت ولم تخلق لهن محاجر

(وقال غيره) لا تعصرن زبيبا واعتصر عنبا * فبين هذين فرقنا بتصريح
هذا من الحى للاحياء معتصر * وذاك يعصر من جسم بلا روح

(وقال غيره) هبوا على مداما * أخرتم الصبوح واستنكروها وقالوا * فقلت قلت روحى

(وقال آخر فى الشراب على الرعد والبرق)

أماترى الرعد بكى فاشتكى * والبرق قد أومض فاستضحكا * فاشرب على غيم كصبغ الدجى
أضحك وجه الروض لما بكى * وانظر لماء النيل فى مده * كأنه صندل أو مسكا

(وقال آخر) يا ليلة جمعت لنا الاحبابا * لو شئت دام لنا النعيم وطابا
بتنا بها نسقى سلافا قرقفا * يذر الصحيح بعقله مرتابا
من كف غانية كأن بنانها * من فضة قد قمعت عنابا

(وقال آخر) أماترى الغيث كالباكى بادمعه * والارض تضحك والازهار فى فرح
فقم فديتك نشكو ما نكابده * من الزمان وما نلقى الى القدح

(ابن نباتة) أماترى الليل قد ولت غياهبه * وعارض الفجر بالاشراق قد طلعا
فاشرب على وردة وردية قدمت * كأنها خد ريم ريم فامتنعا

(ومن شعر عضد الدولة) طربت الى الصبوح مع الصباح * وشرب الراح والغرر الملاح
وكان الثلج كالكافور نثرا * ونارى بين نارنجى وراحى * فشموى ومشروبى ونارى
ونجى والصباح مع الصباح * لهيب فى لهيب فى لهيب * صباح فى صباح فى صباح

(ابن وكيع) وصفراء من ماء الكروم كأنها * فراق عدو أو لقاء صديق
كأن الحباب المستدير بطوقها * كواكب در فى سماء عقيق
صببت عليها الماء حتى تعوضت * قميص بهار من قميص شقيق

(وقال آخر) وحمراء قبل المزج صفراء بعده * أتت بين ثوبى نرجس وشقائق
حكت وجنة المعشوق صرفا فسلطوا * عليها مزاجا فاكتست لون عاشق

(وقال آخر) اذا الكروان صاح على الرمال * وحل البدر فى برج الكمال
وجعدو جه بركتنا هبوب * تمر به الجنوب مع الشمال * وحركت الغصون فشابهتها
قدود سقاتنا فى كل حال * فهات الكاس مترعة ودعنى * أبادر لذتى قبل ارتحالى
فكل جماعة لا شك يوما * يفرق بينهم صرف الليالى

(وقال آخر فى الشراب على الغيم)

ولكن حويت الجود والجود ميت
ولو كان حيا ضقت حتى تصدعا
وما كان الا الجود صورة وجهه
فعاش ربيعا ثم ولى فودعا
فلما مضى معن مضى الجود والندى
وأصبح عرنين المكارم أجدعا
فأطرق الحسين وقال يا أمير المؤمنين
وهل معن الا حسنة من حسناتك
فرضى عنه وأمر له بألفى دينار
(قال سعيد بن مسلم) لما ولى المنصور
معن بن زائدة أذربيجان قصده قوم
من أهل الكوفة فلما صاروا ببابه
استأذنوا عليه فدخل الآذن فقال
أصلح الله الامير وفد من أهل العراق
قال من أى أهل العراق قال من
الكوفة قال ائذن لهم فدخلوا عليه
فنظر اليهم معن فى هيئة مزرية فوثب
على أريكته وأنشد يقول
اذا نوبة نابت صديقك فاغتنم
مرمتها فالدهر بالناس قلب
فأحسن ثوبيك الذى هو لابس
وأفره مهريك الذى هو راكب
وبادر بمعروف اذا كنت قادرا
زوال اقتدار أو غنى عنك يعقب
قال فوثب اليه رجل من القوم فقال
أصلح الله الامير ألا أنشدك أحسن
من هذا فقال لمن قال لابن عمك هرمة
قال هات فأنشد يقول
وللنفس تارات تحل بها العرى
وتسخو عن المال النفوس الشحائح
اذا المرء لم ينفعك حيا فنفعه
أقل اذا ضمت عليك الصفائح
لاية حال يمنع المرء ماله
غدا فغدا والموت غاد ورائح
فقال معن أحسنت والله وان كان
الشعر لغيرك يا غلام اعطهم أربعة
آلاف يستعينون بها على أمورهم
الى أن يتهيأ لنا فيهم ما نريد فقال
الغلام أجعلها دنانير أم دراهم
فقال معن والله لا تكون همتك
أرفع من همتى (مدح) مطيع بن
اياس معن بن زائدة فقال له معن ان

أرى فيما تؤلفه جنوب * ويوشك أن يوافقنا بـرطل
فوجه الرأى أن تدعو برطل * فتشرب به وتدعو لى برطل

(وقال آخر) فيا بكر باكر بكرة بكر كرمة * تفز ببكور يا كرتك بها بكر
وداو خمار الخمر بالخمر راغما * دواء خمار الخمر من دائها الخمر

(الصنوبرى) لا تبكين على الأطلال والدمن * ولا على منزل أقوى من السكن
وقم بنا نصطبح صهباء صافية * تنفى الهموم ولا تبقى على الحزن * بكرا معتقة عذراء واضحة
تبدو فتخبرنا عن سالف الزمن * حمراء وقت صفراء فاقعة * كأنما مزجت من طرفك الوسنى
يسعى بها غنج فى خده ضرج * فى ثغره فلج ينمى الى اليمن * فى ريقه عسل قلبى به خبل
فى مشيه ميل أربى على الغصن * كأنه قمر ما مثله بشر * فى طرفه حور يرنو فيجرحنى
سبحان خالقه يا ويح عاشقه * يهدى لرائقه صنفا من الشجن * فى روضة زهرت بالنبت قد حسنت
كأنما افترشت من وجهها الحسن * يا طيب مجلسنا والطير يطربنا * والعود يسعدنا مع منشد لسن

(كمال الدين بن النبيه)

طاب الصبوح لنا فهاك الوهات * واشرب هنيأ يا أخا اللذات * كم ذا التوانى والزمان مساعد
والدهر سمح والحبيب مواتى * قم واغتبق من شمس كأسك واصطبح * بكواكب طلعت من الكاسات
حمراء صافية توقد نورها * فعجبت للنيران فى الجنات * ينسل فى قار الظروف حبابها
والدر مجتلب من الظلمات * عذراء واقعها المزاج أما ترى * منديل عذرتها بكف سقاة
يسعى بها عبل الروادف أهيف * خنث الشمائل شاطر الحركات * يهوى فتسبقه ذوائب شعره
ملتفة كأساود الحيات * لو قسمت أرزاقنا بيمينه * عدل الزمان على ذوى الحاجات

(وقال أيضا) باكر صبوحك أهنى العيش باكره * فقد ترنم فوق الأيك طائره
والليل تجرى الدرارى فى مجرته * كالروض تطفو على نهر أزاهره * وكوكب الصبح نجاب على يده
مخلق تملأ الدنيا بشائره * فانهض الى ذوب ياقوت لها حبب * تنوب عن ثغر من تهوى جواهره
حمراء من وجنة الساقى لها شبه * فهل جناها من العنقود عاصره * ساق تكون من صبح ومن غسق
فابيض خداه واسودت غدائره * بيض سوالفه لعس مراشفه * نعس نواظره خرس أساوره
مفلج الثغر معسول اللمى غنج * مؤنث الجفن فحل اللحظ شاطره * مهفهف القد يبدى حسنه ترفا
مخصر الخصر عبل الردف وافره * تعلمت بانة الوادى شمائله * وزودت سحر عينيه جآذره
كأنه بسواد اللحظ مكتحل * ورکبت فوق صدغيه محاجره * فلو رأت مقلتا هاروت آيته الـ
كبرى لآمن بعد الكفر ساحره * خذ من زمانك ما أعطاك مغتنما * وأنت ناه لهذا الدهر آمره
فالعمر كالكأس تستحلى أوائله * لكنه ربما مرت أواخره
واصبر على فرص اللذات محتقرا * عظيم ذنبك ان الله غافره

(وقال آخر) شربنا بالبواطى ثم رحنا * نعال بالكؤس وبالقنانى
ولولا ضيقة الاحرام قلنا * اسقنيها أدرها بالدنان

(برهان الدين القيراطى) أرى جرار الخمر تغلو وقد * عزت وبالافلاس حالى عجيب
جئنا لخمار وقلنا له * احمل الينا جرة كى نطيب * قال زبيبا تريدون أم
خمرا فان الكل منى قريب * قلنا له خمرا فنادى زنوا * فى جرة عشرين قلنا الزبيب

(وقال أيضا) صرف الزبيب لصرف همى * نص على نفعه طبيبى
آها على سكرة لعلى * أن أخاط الهم بالزبيب

(وقال) قالوا اترك الخمر واجتنبها * لا تتعمد الحرام حدا
قلت أراها للروح قوتا * وطالب القوت ما تعدى

﴿ومما قيل فى شرب الفقهاء﴾

شئت مدحتك وان شئت أثنيك
فاسمحى من اختيار الثواب وكره
اختيار المدح فقال
ثناء من أمير خير كسب
لصاحب مغنم وأخى ثراء
ولكن الزمان برى عظامى
وما مثل الدراهم من دواء
فامر له بألف دينار (وأيضا) قدم
معن بن زائدة أتاه الناس فأتاه ابن
أبى جفنة فاذا المجلس غاص باهله
فدق بعصاه الباب ثم قال
وما أحجم الاعداء عنك تقية
عليك ولكن لم يروا فيك مطمعا
له راحتان الجود والحتف فيهما
أبى الله الا أن يضر وينفعا
فقال معن تحكم يا أبا السمط فقال
عشرة آلاف فقال معن ونزيدك
ألفا (أتى) اعرابى الى معن بن زائدة
ومعه نطع فيه صبى حين ولد
فاستأذن عليه فلما دخل جعل
الصبى بين يديه وقال
سميت معن بمعن ثم قلت له
هذا سمى فتى فى الناس محمود
أنت الجواد ومنك الجود نعرفه
ومثل جودك فينا غير معهود
أمست يمينك من جود مصورة
لا بل يمينك منها صورة الجود
قال كم الابيات قال ثلاثة قال
أعطوه ثلثمائة دينار ولو كنت
زدتنا لزدناك قال حسبك ما سمعت
وحسبى ما أخذت (أخبرنا) الشيخ
الجليل العدل الاصيل شهاب
الدين أبو العباس أحمد بن ابراهيم
ابن غانم بن وافد المهدى قال أخبرنا
المشايخ الثلاثة الامام فخر الدين أبو
الحسن على بن أحمد بن عبد الواحد
البخارى وأبو العباس أحمد بن
شيبان بن تغلب الشيبانى وأم حميد
زينب بنت مكى بن على بن كامل
الحرانى قال أخبرنا أبو حفص عمر
ابن عمر بن محمد بن أبى نصر الحميدى
قال انشدنى أبو غالب محمد
ابن سهل النحوى الواسطى

يحمون بالفقه عرض الدين من سفه * علما بتصريف أحوال وتحقيق
وبعضهم يكرع الصهباء مغتنما * تحت الظلام بأفواه الاباريق

﴿فيمن يطيل الحديث والكاس في يده﴾

وشادن نطقه جار اذا شفعت * في مجلس الشرب كاسات بطاسات
يظل يحكي وكاس الراح في يده * حكاية عرضها عرض السموات

﴿ومما قيل في كريم السكر لئيم الصحو﴾

اذا هز اللئيم السكر يوما * بدا في بذل مال فيه ضنا
يجود عباله في الشرب سكرا * ويأكل كفه في الصحو حزنا

﴿وقيل في شجاع السكر﴾ اذا شرب الجبان الخمر يوما * أعارته الشجاعة باللسان
وعند الصحو تلقاه جزوعا * اذا اشتد اللقا يوم الطعان

(وفيه أيضا) يقول جبان القوم في حال سكره * وقد شرب الصهباء هل من مبارز
وأين الخيول الاعوجيات في الوغى * أناقل فيها كل ليث مناهز * ومن لي بحرب ليس تخمد نارها
لعمري اني لست فيها بعاجز * ففي السكر قيس وابن معدي وعامر * وفي الصحو تلقاه كبعض العجائز

(وقال في شرب الثلاثة) ثلاثة في مجلس طيب * وعيشهم ما فيه تكدير
هذا يغني ذا وهذا الذي * يسقي وذا بالشرب مسرور

(وقيل في شرب الأربعة) ألا انما خير المجالس مجلس * به وله صفو الزمان مساعد
فتاة وساق والمغني وصاحب * وخامسهم هم على الكل زائد

﴿وقيل في شرب الستة﴾

خير المجالس خمسة أو ستة * أو سبعة وعلى الكثير ثمانيه * فاذا تعدى صار شغلا شاغلا
وتكسرت بين الرجال الآنيه * فاهرب اذا ما كنت تاسع مجلس * واذا أتيت به فاملك زانيه

﴿ومما قيل في الشرب مع التجار﴾

شربت مع التجار وكان يوما * جعلت حضورنا فيه وداعا
فذاك يقول كم أطلقت بيعا * ورفيت الذي بعت الذراعا
وهذا قال عندي كل شئ * ولكن لا أبيع ولا أباعا
فلا تجعلهمو أبدا ندامى * فتكسب من مجالسهم صداعا

(فيمن أكل على الشراب) وندمان اذا ما الكاس دارت * بغير الأكل ارتعدت يداه
نديم دأبه في الشرب أكل * فلا يبقي على شئ يراه

(وقيل في قدح) غرامي ووجدي بالذي كان في الثرى * مهانا فاضحى في المجالس حاكما
قضى ما عليه من ورود جهنم * فصار لجنات النعيم ملازما

محمد بن جعفر الانصاري يستدعي بعض أصدقائه الى الشراب

بساط الأرض مسك أو عبير * وزهر الروض وشي أو حرير * وقد صفى الدنان الخمر حتى
لقد عادت لدينا وهي نور * ومن يرد السرور يعش هنيأ * اذا العيش الهني هو السرور
وعندي اليوم فتيان كرام * وجوههمو شموس أو بدور * وقطب الأمر أنت وهل لأمر
بغير القطب فيه رحى تدور * فرأيك في الحضور فحق يومي * عليك وقد دعاك له الحضور

(وقال آخر) باكر صبوحك واشرب ما مشعشعة * واهنأ بعيش حميد غير مذموم
حمراء من بعد ما احمرت موردة * طافت علينا فسرت كل مهموم * كأن في كاسها والماء يقرعها
أكارع النمل أو نقش الخواتيم * لا صاحبتني يد لم تفن ألف يد * ولم ترد القنا حمر الخياشيم
بادر بجودك بادر قبل عائقه * فان خاف الفتى عندي من اللوم

(سيف الدولة بن حمدان في ساق)

وساق صبيح للصبوح دعوته * فقام وفي أجفانه سنة الغمض * يطوف بكاسات العقار كأنجم

المعروف بابن شبران بواسط قال أنشدني الأمير أبو الهيجاء محمد بن عمران بن شاهين قال أنشدني علي ابن زريق الكاتب البغدادي لنفسه هذه القصيدة الى آخرها وقد أنشدنيها جماعة بالمغرب وقال لي أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد وغيره يقال من تختم بالعقيق وقرأ لأبي عمرو وحفظ قصيدة ابن زريق فقد استكمل الظرف وهي

لا تعذليه فان العذل يوجعه
قد قلت حقا ولكن ليس يسمعه
جاوزت في لومه حدا أضر به
من حيث قدرت أن اللوم ينفعه
فاستعملي الرفق في تأنيبه بدلا
من عنفه فهو مضنى القلب موجعه
قد كان مضطلعا بالبين يحمله
فضلعت بخطوب البين أضلعه
يكفيه من لوعة التفنيد أن له
من النوى كل يوم ما يروعه
ما آب من سفر الا وأزعجه
رأي الى سفر بالرغم يتبعه
كأنما هو في حل ومرتحل
موكل بفضاء الأرض يذرعه
اذا الزماع أراه بالرحيل غنى
ولو الى السد أضحى وهو يزمعه
تأبى المطامع الا أن تجشمه
للرزق كدا وكم ممن يودعه
وما مجاهدة الانسان واصلة
رزقا ولا دعة الانسان تقطعه
والله قسم بين الناس رزقهم
لم يخلق الله مخلوقا يضيعه
لكنهم ملئوا حرصا فلست ترى
مسترزقا وسوى الغايات تقنعه
والحرص في المرء والأرزاق قد قسمت
بغي ألا ان بغي المرء يصرعه
والدهر يعطي الفتى ما ليس يطلبه
حقا ويطمعه من حيث يمنعه
أستودع الله في بغداد لي قمرا
بالكرخ من فلك الأزرار مطلعه
ودعته وبودي لو يودعني
طيب الحياة وأني لا أودعه

فما بين منقض علينا ومنفض * وقد نشرت أيدى النجوم مطارفا * على الجو كأوالحواشي على الارض
يطرزها قوس السماء بأصفر * على أحمر فى أخضر تحت مبيض
كأذيال خود اقبلت فى غلائل * مصبغة والبعض أقصر من بعض
(ابن نباتة) سقى و واعدنى وصلا ألذبه * عند المنام ولا والله ما وصلا
قبله لله من ساق مواعده * كانت مواعيد عرقوب لها مثلا
(وقال آخر فى ساق) وساق كالهلال سعى بكاس * لربه نرجس فسقى وحيا
فقلت تأملوا بدرا منيرا * سقى شمسا وحيا بالثريا
(وفيه لابن النبيه) ساق صحيفة خده ما سودت * عبثا بلام عذاره و بنونه
جحد الذى بيمينه فى خده * وجرى الذى فى خده بيمينه
(فى جارية ساقية) نديمتى جارية ساقيه * ونزهتى ساقية جاريه
جارية أعينها جنة * وجنة أعينها جاريه
(فيمن حبس الكاس فى يده) قالوا الذى تهواه يحبس كاسه * فى كفه من غير ذنب موجب
فأجبتهم كفوا الملام فانه * قمر ينزه طرفه فى كوكب

﴿وقال آخر فى مجلس أنس﴾

ومجلس راق من واش يكدره * ومن رقيب له باللوم ايلام
مافيه ساع سوى الساقى وليس له * على الندامى سوى الريحان نمام
(صفى الدين الحلى فى عود) وعود به عاد السرور لأنه * حوى اللهو قدما وهو ريان ناعم
يغرب فى تغريده فكأنه * يعيد لنا ما لقنته الحمائم
(وقال آخر فى زامرة) وناطقة بالنفخ عن روح ربها * تعبر عما دوننا وتترجم
سكتنا وقالت للقلوب فاطربت * فنحن سكوت والهوى يتكلم
(ومما قيل فى فانوس لابن تميم) انظر الى الفانوس تلق متيما * ذرفت على فقد الحبيب دموعه
يبدو تلهب جسمه لنحوله * وتعد من تحت القميص ضلوعه
(وفيه لابن قزل) وكأنما الفانوس فى غسق الدجى * دنف براه شوقه وسهاده
أضلاعه خفيت و رق أديمه * وجرت مدامعه وذاب فؤاده
(ولبعضهم فى شمعة) حكتنى وقد أودى بى السقم شمعة * وان كنت صبا دونها متوجعا
ضنى وسهادا واصفرارا ورقة * وصبرا وصمتا واحتراقا وأدمعا

﴿ومما قيل فى الربيع والرياض والبساتين والمياه والنواعير ونحو ذلك﴾ قال الشاعر

هذا الربيع وهذه أزهاره * تتجاوب فى أيكه أطياره * و بدا البنفسج والشقائق مونق
والورد يضحك بينها و بهاره * فاشرب على وجه الحبيب وغن لى * هذا هواك وهذه آثاره
(وقال غيره) غدونا على الروض الذى طله الندى * سحيرا وأوداج الأباريق تسفك
فلم نر شيأ كان أحسن منظرا * من النور يجرى دمعه وهو يضحك
(وقال آخر) أما ترى الأرض قد أعطتك زهرتها * بخضرة واكتسى بالنور عاريها
فللسماء بكاء فى جوانبها * وللربيع ابتسام فى نواحيها
(غيره) ان السماء اذا لم تبك مقلتها * لم تضحك الأرض عن شىء من الزهر
والارض لا تنجلى أنوارها ابدا * الا اذا رمدت من شدة المطر
(وقال ابن قرناص) أيا حسنها من رياض غدا * جنونى فنونا بافنانها
مشى الماء فيها على رأسه * لتقبيل أقدام أغصانها
(وقال آخر) انظر الى الاغصان كيف تعانقت * وتفارقت بعد التعانق رجعا
كالصب حاول قبلة من إلفه * فرأى المراقب فانثنى متوجعا

كم قد تشفع بى أن لا أفارقه
وللضرورات حال لا تشفعه
وكم تشبث بى يوم الرحيل ضحى
وأدمعى مستهلات وأدمعه
لا أكذب الله ثوب العذر منخرق
عنى بفرقته لكن أرقعه
انى أوسع عذرى فى جنايته
بالبين عنه وقلبى لا يوسعه
أعطيت ملكا فلم أحسن سياسته
كذاك من لا يسوس الملك يخلعه
ومن غدا لابسا ثوب النعيم بلا
شكر عليه فان الله ينزعه
اعتضت من وجه خلى بعد فرقته
كاسا تجرع منها ما أجرعه
كم قائل لى ذنب البين قلت له
الذنب والله ذنبى لست أدفعه
الا أقمت مكان الرشد أجمعه
لو أننى يوم بان الرشد أتبعه
أن لا أقطع أياما وأنفذها
بحسرة منه فى قلبى تقطعه
عن اذا هجع النوام بت به
بلوعة منه ليلى لست أهجعه
لا يطمئن بجنبى مضجع وكذا
لا يطمئن له مذ بنت مضجعه
ما كنت أحسب ريب الدهر يفجعنى
به ولا أظن بى الأيام تفجعه
حتى جرى البين فيما بيننا بيد
عسراء تمنعنى حظى وتمنعه
وكنت من ريب دهرى جازعا فرقا
فلم أوق الذى قد كنت أجزعه
بالله يا منزل الانس الذى درست
آثاره وعفت مذ بنت أربعه
هل الزمان معيد فيك لذتنا
أم الليالى التى أمضته ترجعه
فى ذمة الله من أصبحت منزله
وجاد غيث على مغناك يمرعه
من عنده لى عهد لا يضيع كما
عندى له عهد ود لا أضيعه
ومن يصدع قلبى ذكره واذا
جرى على قلبه ذكرى يصدعه
لأصبرن لدهر لا يمتعنى
به ولا بى فى حال يمتعه

(وقال ابن تميم) وحديقة ينساب فيها جدول * طرفي برونق حسنها مدهوش
يبدو خيال غصونها في مائه * فكأنما هو معصم منقوش

(وقال أيضا عفا الله عنه) لم لا أهيم الى الرياض وحسنها * وأظل منها تحت ظل ضافي
والزهر حياني بثغر باسم * والماء وافاني بقلب صافي

(وقال آخر) قد سعينا نبتغي زيارة دوح * قد حبانا باللطف والاكرام
نا ولتنا أيدي الغصون ثمارا * أخرجتها النا من الاكمام

﴿وما قيل في الازهار والثمار﴾ قال بعضهم في الورد
يا راقدا ونسيم الصبح منتبه * في روضة القصف والأطيار تنتحب * الورد ضيف فلا تجهل كرامته
فهاتها قهوة في الكأس تلتهب * سقيا له زائرا تحيا النفوس به * يجود بالوصل شهرا ثم يحتجب

(وقال آخر فيه) طاب الزمان وجاء الورد فاصطبحا * ما دام للورد أنوار وأزهار
واستقبلا عيشنا بالكأس مترعة * لا طولت لئام الناس أعمار

(وقال آخر) اشرب على الورد من حمراء صافية * شهرا وعشرا وخمسا بعدها عددا
واستوف بالكأس من لهو ومن طرب * فلست تأمن صرف الحادثات غدا

(وقال آخر) اشرب على ورد الخدود فانها * أيام ورد والصبوح يطيب
ما الورد أحسن منظرا من وجنة * حمراء جاد بها عليك حبيب

(وقال بعضهم) ولقد رأيت الورد يلطم خده * ويقول وهو على البنفسج يحنق
لا تقربوه وان تضوع نشره * من بينكم فهو العدو الازرق

﴿وما قيل في البنفسج﴾ قال ابن المعتز
ولازوردية وافت بزورتها * بين الرياض على زرق اليواقيت
كأنها فوق طاقات صففن بها * أوائل النار في أطراف كبريت

(وقال آخر) اشرب على زهر البنفسج قهوة * تهدي السرور لكل صب مكمد
فكأنه قرص بخد مهفهف * أو أعين زرق كحلن بأثمد

(ولبعضهم في الورد) للورد فضل على زهر الربيع سوى * ان البنفسج أزكى منه في المهج
كأنه وعيون الناس ترمقه * آثار قرص بدا في خد ذي غنج

(وقال آخر) يا مهديا الى بنفسجا ارجا * يرتاح صدري له وينشرح
بشرني عاجلا مصحفه * بأن ضيق الامور ينفسح

(وقال غيره في النرجس) وقضب زمرد تعلو عليها * عيون لم تذق طعم الغماض
توهمت الغمام لها رقيبا * فنكست الرؤس الى الرياض

(وقال آخر فيه) أنت يا نرجس روض * لزهور الارض ست
ودليل القول فيك * ان أوراقك ست

(وقال آخر) أقول وطرف النرجس الغض شاخص * الي وللنمام حولي المام
أيا رب حتى في الحدائق أعين * علينا وحتى في الرياحين نمام

(وقال أيضا فيه) لما تعادى الورد في زهره * وراح من اعجابه يرأس
تلون المنثور عما به * واصفر من غيظ به النرجس

﴿وما قيل في اللينوفر لابن المعز المصري﴾
وبركة تزهو بلينوفر * نسيمه يشبه نشر الحبيب * مفتح الاجفان في نومه
حتى اذا الشمس دنت للغيب * اطبق جفنيه على خده * وغاص في البركة خوف الرقيب

﴿وقال تميم بن المعز المصري﴾
رأيت في البركة لينوفرا * فقلت ما شأنك وسط البرك * فقال لي غرقت في أدمعي

علما بأن اصطباري معقب فرجا
فأضيق الامر ان فكرت أوسعه
عسى الليالي التي أضنت بفرقتنا
جسمي ستجمعني يوما وتجمعه
وان تنل أحدا منا منيته
فما الذي بقضاء الله يصنعه
(يحكى) أنه وقع في ليلة الجمعة خامس عشر المحرم سنة (٨٣١) أن حضرت صلاة العشاء بالجامع النوري بحماة فتقدم امامه للصلاة بعد الاقامة وكبر تكبيرة الافتتاح وقرأ دعاء الافتتاح والفاتحة ثم قرأ الم السجدة ولما أتى على آية السجدة سجد ثم أتمها الى آخرها وركع وسجد السجدتين ثم قام الى الركعة الثانية وقرأ الفاتحة ثم قرأ سورة النحل وبني اسرائيل والكهف ومريم وجانبا من طه فارتج عليه فركع ثم اعتدل واقفا ثم سجد السجدتين وتشهد وسلم على رأس الركعتين (حكى) الدينوري في المجالسة في ترجمة أبي عبد الله سعيد بن يزيد المناجي قال سمعت أبي يقول قال قال خالي أحمد بن محمد بن يوسف سمعت محمد ابن يوسف يقول كان أبو عبد الله المناجي مجاب الدعوة وله آيات وكرامات بينما هو في بعض أسفاره اما حاجا واما غازيا على ناقة وكان في الطريق رجل عائن قلما ينظر الى شئ الا أتلفه وأسقطه وكانت ناقة أبي عبد الله ناقة فارهة فقيل له احفظها من العائن فقال أبو عبد الله ليس له الى ناقتي سبيل فاخبر العائن بقوله فتحين غيبة أبي عبد الله فجاء الى رحله وعان ناقته فاضطربت وسقطت تضطرب فأتى عبد الله فقيل قد عان ناقتك وهي كما تراها تضطرب قال دلوني على العائن فدل عليه فقال بسم الله حبس حابس وحجر يابس وشهاب قابس رددت عين العائن عليه وعلى أحب الناس اليه في

وصادنى ظبي الفلا بالشرك * فقلت ما بال اصفرار بدا * فيك وما هذا الذى غيرك
فقال لى ألوان أهل الهوى * صفر ولوذقت الهوى صفرك

(ومما قيل فى البان) قد أقبل الصيف وولى الشتا * وعن قليل تسأم الحرا
أما ترى البان باغصانه * قد قلب الفروالى برا

(وقال آخر فيه) أماترى البان الذى يزهو على * كل الغصون بقده المياس
وافى يبشر بالربيع وقربه * يختال فى السنجاب والبرطاس

(وقال فى الشقيق) حييته بشقائق فى مجلس * ورأى الرقيب فشق ذا عليه
فاحمر من خجل فانبت خده * أضعاف ما حملت يداى اليه

(وقال آخر) لولم أعانق من أحب بروضة * أحداق نرجسها الينا تنظر
ما انشق جيب شقيقها حسدا ولا * بات النسيم بذيله يتعثر

وقيل ان ابن الرومى الشاعر زار قبر أخيه يوما فوجد الشقائق قد نبتت على قبره فانشد يقول
قالت شقائق قبره * ولرب أخرس ناطق فارقته ولزمته * فانا الشقيق الصادق

(ومما قيل فى المنثور) تخال منثورها فى الدوح منتثرا * كأنما صيغ من در وعقيان
والطير ينشد فى أغصانه سحرا * هذا هو العيش الا أنه فانى

(وقال آخر) قد أقبل المنثور ياسيدى * كالدر والياقوت فى نظمه
ثمالك لازال كأنفاسه * ومخ من يشنا الثمل اسمه

(ولبعضهم فيه) ولقد خلوت مع الاحبة مرة * فى روضة للزهر فيها معرك
ما بين منثور أقام ونرجس * مع اقحوان وصفه لا يدرك
هذا يشير بأصبع وعيون ذا * ترنو اليه وثغر هذا يضحك

(ومما قيل فى الياسمين) والأرض تبسم عن ثغور رياضها * والافق يسفر تارة ويقطب
وكان مخضر الرياض ملاءة * والياسمين لها طراز مذهب

(وقال آخر) رأيت الفأل بشرنى بخير * وقد أهدى الى الياسمين
فلا تحزن فان الحزن شين * ولا تيأس فان اليأس مين

﴿ومما قيل فى السوسن للاخطل الاهوازى﴾
سقيا لأرض اذا ما نمت نبهنى * بعد الهدو بها قرع النواقيس
كأن سوسنها فى كل شارقة * على الميادين أذناب الطواويس

﴿ومما قيل فى الاقحوان لعبد القادر بن مهنا المغربى﴾
أفدى الذى زارنى سرا فاتحفنى * باقحوان حكى ثغرا مبتسم
فبت من فرحى أفنى مقبله * لثما وأرشف من ريق له شبم

(ولبعضهم فيه) ان فاه ثغر الاقاحى فى تشبهه * بثغر حبك واستولى به الطرب
فقل له عندما يحكيه مبتسما * لقد حكيت ولكن فاتك الشنب

﴿ومما قيل فى الجلنار﴾ وجلنار مشرق * على أعالى شجره * كأنه فى غصنه
أحمره وأصفره * قراضة من ذهب * فى خرقة معصفره

﴿ومما قيل فى الآس﴾ أهديت مشبه قدك المياس * غصنا نضيرا ناعما من آس
فكأنما يحكيك فى حركاته * وكأنما تحكيه فى الانفاس

(ومما قيل فى الريحان) وغصن من الريحان أخضر ناضر * نما بين غصنى نرجس وشقائق
يريك اذا كف الصبا عبثت به * شمائل معشوق وذلة عاشق

(وفيه أيضا) وريحان يميس بحسن قد * يلذ بشمه شرب الكؤس
كسودان لبسن ثياب خز * وقد قاموا مكاشيف الرؤس

كليثيه رشيق وفى ماله يليق
فارجع البصر هل ترى من فطور
ثم ارجع البصر كرتين ينقلب
اليك البصر خاسئا وهو حسير
نخرجت حدقة العاشق وقامت الناقة
لا بأس بها (وله فى أسماء الولائم)
وليمة اعراس وخرس ولادة
عقيقة مولود نقيعة قادم
وضيمة حزن والبناء وكيرة
عذيرة ختن مأدبات المكارم
(وله أيضا فى أسماء أيام العجوز على الترتيب)
بصن وصنبر ووبر معلل
بمطفئ جمر آمر نعم مؤتمر
تولت عجوز ثم أعقب بعدها
شباب بربيع زهره يانع نضر
﴿ولغيره فى أسماء خيل الحلبة﴾
سبق المجلى والمصلى والمسلى بعد تاليه ترى المرتاحا
وبعاطف وبفسكل وحظيه
حلب اللطيم على الكميت صباحا
﴿لابى العلاء المعرى﴾
سألن فقلت مقصدنا سعيد
فكان اسم الامير لهن فالا
اذا ما الغيم لم يمطر بلادا
فان له على يدك اتكالا
ولو أن الرياح تهب غربا
وقلت لها هلا هبت شمالا
وأقسم لو غضبت على ثبير
لازمع عن محلته ارتحالا
(نبذة لغوية يفتقر كل متأدب اليها) (البلج) هو أن ينقطع الحاجبان فلا يكون بينهما اتصال للشعر وكانت العرب تمدح البلج ويقال رجل أبلج وامرأة بلجاء (ثم العين) فحملة العين المقلة وهى الشحمة التى تجمع البياض والحدقة والناظر وهو موضع البصر وفيه الانسان والانسان ليس بخلق له حجم والحجم ما وجدت مسه والعين كالمرآة اذا استقبلتها بشئ رأيت شخصه فيها وفيها الناظران وهما

(وقال

(وقال آخر) قضيب من الريحان شاكل لونه * اذا ما بدا للعين لون الزبرجد
فشبهته لما بدا متجعدا * عذارا تبدى فى سوالف أغيد

(ومما قيل فى الفواكه والثمار على اختلافهما فى الاترج) قال ابن الرومى
كل الخلال التى فيكم محاسنكم * تشابهت منكم الاخلاق والخلق
كأنكم شجر الاترج طاب معا * حملا ونشرا وطاب العود والورق

(ولبعضهم فيه) حيا الذى من تهوى باترجة * ناعمة مقدودة غضه
جلدها من ذهب أصفر * وجسمها الناعم من فضه

(وقال آخر) ياحبذا أترجة * تحدث للنفس الطرب كأنها كافورة * لها غشاء من ذهب

(فى الليمون قول أبى الحسن رئيس الرؤساء)
ياحسن ليمونة حيا بها قمر * حلو المقبل المى بارد الشنب
كأنها كرة من فضة خرطت * واستودعوها غلافا صيغ من ذهب

(وفيه أيضا) وصاحب نادمته * والطير لم يغرد * انهض الى الراح ولا
ترضى بعيش نكد * واشرب سلافا قرقفا * من كف ساق أغيد
قد اكتست تلهبا * من خده المورد ولا تدع مجتهدا * لذة يوم لغد
أما ترى الليمون فى * غصن من الزبرجد كأكرة من فضة * مملوأة من عسجد

(فى النارنج لعبد الله بن المعتز)
نظرت الى نارنجة فى يمينه * كجمرة نار وهى باردة اللمس
فقربها من خده فتآلفت * فشبهتها المريخ فى دارة الشمس

(وقال آخر) ونارنجة بين الرياض نظرتها * على غصن رطب كقامة أغيد
اذا ميلتها الريح مالت كأكرة * بدت ذهبا فى صولجان زبرجد

(وقال آخر) ونارنج يلوح على غصون * ومنه ما ترى كالصولجان
أشبهها ثديا ناهدات * غلائلها صبغن بزعفران

(وقال آخر) وأشجار نارنج كأن ثمارها * حقاق عقيق قد ملئن من الدر
فطالعها بين الغصون كأنها * قدود عذارى فى ملاحفها الخضر
أتت كل مشتاق بريا حبيبه * فهاجت له الأشجان من حيث لا يدرى

(فى التفاح لبعضهم) ولما بدا التفاح أحمر مشرقا * دعوت بكاسى وهى ملأى من الشفق
وقلت لساقيها أدرها فعندنا * خدود الأغانى قد جمعن على طبق

(وقال آخر فى تفاحة) وتفاحة من سندس صيغ نصفها * ومن جلنار نصفها وشقائق
كأن الهوى قد ضم من بعد فرقة * بها خد معشوق الى خد عاشق

(ولبعضهم فيه) تفاحة كسيت لونين خلتهما * خدى محب ومحبوب قد التصقا
تعانقا فبدا واش فراعهما * فاحمر ذا خجلا واصفر ذا فرقا

(وقال آخر) وتفاحة وردية ذهبية * تجلى عن المهموم ليل همومه
كأن سلاف الخمر روى أديمها * بحمر جلت باحمرار أديمه
تذكرنى شكل الحبيب وحسنه * وتورد خديه وطيب نسيمه

(وقال آخر) حمرة التفاح فى خضرته * أشبه الألوان من قوس قزح
فعلى التفاح فاشرب قهوة * واسقنيها بنشاط وفرح

(وفيه أيضا) أهدى لنا التفاح من كفه * من لم يزل يجنيه من خده
وخط بالمسك على بعضها * قد عطف المولى على عبده

(وقيل فى السفرجل) حاز السفرجل لذات الورى فغدا * على الفواكه بالتفضيل مشهورا

عرقان على حرف الأنف يسيلان من الموقين الى الوجه وفيها الاجفان وهى غطاء المقلة من أعلى وأسفل وفيها الأشفار وهى حروف الأجفان التى تلتقى عند الغمض الواحد شفر والشفر الذى ينبت فيه الهدب الواحد هدب فاذا طالت الاهداب قيل رجل أهدب وامرأة هدباء ورجل أوطف وامرأة وطفاء وكذلك أذن هدباء اذا كانت كثيرة الشعر ووطفاء والكل دليل على الطول والمحجر ما خرج من النقاب من الرجل والمرأة من الجفن الاسفل وفى العين الحماليق والواحد حملاق والحماليق النواحى وفيها اللحاظ وهى مؤخرها الذى يلى الصدغ والموق طرفها الذى يلى الانف وهو مخرج الدمع وفى العين الحوص وهو ضيق فى مؤخرها يقال رجل أحوص وامرأة حوصاء وفيها النجل وهو سعة العين وعظم المقلة وكثرة البياض وفيها الخنس وهو ضعف فى النظر وفيها الكحل وهو سواد العين بين الحمرة والسواد والدعج السواد فى العين بين الحمرة والسواد والشهل أن يشوب سوادها زرقة يقال رجل أشهل وامرأة شهلاء ويقال نظر الى شزرا وذلك اذا نظر عن يمينه أو عن شماله ولم يستقبله بنظره وفى النظر الاغضاء وهو أن يطبق جفنه على حدقته فيقال رأيته مغضيا (ثم الفم) وفى الفم الثنايا والرباعيات والضواحك والارحاء والنواجذ فالضواحك أربعة أضراس تلى الانياب الى جنب كل ناب من أسفل الفم وأعلاه ضاحك وأما الارحاء فهى ثمانية أضراس من أسفل الفم وأعلاه وفى الاسنان الظلم ساكن وهو ماء الاسنان وفى الاسنان الشنب وهو برد وعذوبة فى المذاق والفلج تباعد ما بين الاسنان (ثم اللثة) وهو اللحم ينبت

كالراح طعما وشم المسك رائحة * والتبر لونا وشكل البدر تدويرا

(وقال آخر) سفرجلة صفراء تحكى بلونها * محيا شجاه للحبيب فراق
اذا شمها المشتاق شم ريحها * بريح حبيب لذ منه عناق
وطيبة عند المذاق كطعمها * كريق حبيب طاب منه مذاق

(وقال آخر) سفرجلة جمعت أربعا * فكان لها كل معنى عجيب
صفار النضار وطعم العقار * ولون المحب وريح الحبيب

﴿وقيل فى الكمثرى﴾ وكمثرى لذيذ الطعم حلو * شهى جاء من دوح الجنان
مناقير الطيور اذا اقتلنا * معبرة بلون الزعفران

(ابن برغش متغزلا) وكمثرى سبانى منه طعم * كطعم الشهد شيب بماء ورد
لذيذ خلقه لما أتانا * نهود السمر فى معنى وقد

(ومما قيل فى المشمش) بدا مشمش الأشجار يذ كوشهابه * على غصن أغصان من الروض ميد
حكى وحكت أشجاره فى اخضراره * جلاجل تبر فى قباب زبرجد

(ما قيل فى الأجاص) أنظر الى شجر الأجاص قد حملت * أغصانه ثمرا ناهيك من ثمر
تراه فى أخضر الاوراق مستترا * كما اختبى الزنج فى خضر من الازر

﴿ما قيل فى الخوخ﴾ أهدى الى الصديق خوخا * منظره منظر أنيق
من كل مخصوصة بحسن * معناه فى مثلها دقيق * حمراء صفراء مستعير
بهجتها التبر والعقيق * كوجنة مسها خلوق * قزال عن بعضها الخلوق

(ما قيل فى الفستق) تفكرت فى معنى الثمار فلم أجد * لها ثمرا يبدو بحسن مجرد
سوى الفستق الرطب الجنى فانه * زها عمان ز ينت بتجرد
غلالة مرجان على جسم فضة * وأحشاء ياقوت وقلب زبرجد

﴿ما قيل فى البندق﴾ ولقد شربت مع الحبيب مدامة * حمراء صافية بغير مزاج
فتفضل الظبى البهى ببندق * شبهته ببنادق من ساج
فكسرته فوجدت ثوبا أحمرا * قد لف فيه بنادق من عاج

(ومما قيل فى النبق) وسدرة كل يوم * من حسنها فى فنون * كأنما النبق فيها
وقد حلا فى العيون * جلاجل من نضار * قد علقت فى الغصون

﴿مما قيل فى اللوز﴾ ومهد الينا لوزة قد تضمنت * لمبصرها قلبين فيها التصقا
كأنهما حبان فاز بخلوة * على رقبة فى مجلس فتعانقا

﴿فى العنب لبعضهم﴾ هدية شرفتنا من أخ ثقة * نعم الهدية اذ وافتك من يده
نوعان من عنب جا آعلى طبق * كان طيبهما من طيب محتده
فأبيض العين يحكى لون أبيضه * وأسود العين يحكى لون أسوده

(فى قصب السكر) ورماح لغير طعن وضرب * بل لأكل ومص لب ورشف
كملت فى استوائها واستقامت * باعتدال وحسن قد ولطف

﴿ومما قيل فى البطيخ الاصفر﴾

أتانا غلام فاق حسنا على الورى * ببطيخة صفراء فى لون عاشق
فشبهته بدرا بقد أهلة * من الشمس ما بين النجوم بمارق

(وقال آخر) وبطيخة وافى بها فوق كفه * الينا غلام فاق كل غلام
تخيل لى شمس الاصيل أهلة * يقطعها بالبرق بدر تمام

﴿ومما قيل فى البطيخ الاخضر﴾

وظبى أتى فى الكف منه بهدية * وقد لاح فى خديه شبه شقيق * فمال الى بطيخة ثم شقها

وبرقها

فيه الاسنان وفى اللثة التى وهو سمرة تضرب الى سواد وكذلك الحوة واللهاة اللحمة الحمراء المعلقة على الحنك (نقلت من الجزء الثالث والعشرين من التذكرة للصفدى) ان شهاب الدين أحمد الحموى النقاش ورد الى القاهرة سنة ٧٣٢ وكتب الختمة الشريفة على خوصة من أولها الى آخرها منفصلة الاجزاء والسور وأخبرنى بذلك السوالى السادة الموقعون بالباب الشريف وقدمها لمولانا السلطان الملك الصالح وسألته عن مولده فقال فى سنة ٦٩٩ وله نظم رائق عن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه عشر تورث النسيان كثرة الهم والحجامة فى النقرة والبول فى الماء الراكد وأكل التفاح الحامض وأكل الكسفرة وأكل سؤر الفأرة وقراءة ألواح القبور والنظر الى المصلوب والمشى بين القطارين والقاء القملة حية والله أعلم هذا آخر التذييل

﴿وهذا تذييل آخر﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

أما بعد حمد الله على نعمائه والصلاة والسلام على خير أنبيائه * فيقول العبد الفقير الى عفو مولاه الكريم ابراهيم ابن الحاج على الاحدب قد رأيت أن أذيل الثمرات بما جنيته من الثمار الدانية والفوائد العالية وبالله التوفيق (فمن ذلك ما يحكى) ان الصاحب بدر الدين وزير اليمن كان له أخ بديع الجمال وكان شديد الحرص عليه فأتى له بشيخ ذى دين وعفة وهيبة وعقل ليعلمه فأسكنه فى منزل قريب منه فأقام على ذلك مدة ثم ان الشيخ امتحن بمحبة ذلك الشاب وقوى غرامه فيه فشكا يوما حاله فقال له ما حيلتى وأنا لا أستطيع مفارقة أخى لا ليلا ولا نهارا أما الليل فانه يرى بجانب سريره وأما النهار فكما ترى

وفرقها ما بين كل صديق * فشبهتها لما بدت فى أكفهم * وقد عملت فيهم كؤس رحيق
صفائح بلور بدت فى زبرجد * مرصعة فيها فصوص عقيق
(وقال آخر) وبطيخة خضراء فى كف أغيد * أتانا بها فارتاح ذو الهم وابتهج
وأقبل يفريها بحديدة وقد * فرى طرفه الساجى القلوب مع المهج
(ومما قيل فى القثاء) انظر اليها أنابيبا منضدة * من الزمرذ خضرا ما لها ورق
اذا اقلبت اسمها بانت ملاحتها * وصار فى عكسه انى بكم أثق
(ومما قيل فى الباذنجان) وكأنما الباذنج سود حمائم * أوكاره خلل الربيع المبكر
نقرت مناقره الزمرذ شمسا * فاستودعته حواصلا من عنبر

(ومما قيل فى الانهار والبرك والنواعير)

أما ترى البركة الغراء قد كسيت * نورا من الشمس فى حافاتها طلعا
والنهر من فوق يلهيك منظره * شهب سماويه فارتج والتمعا
كأنه السيف مصقولا يقلبه * كف الكمى الى ضرب الكماة سعى
(وقال آخر فى البركة) يا من يرى البركة الحسناء رؤيتها * والآنسات اذا لاحت معانيها
فلو غربها بلقيس عن عرض * قالت هى الصرح تمثيلا وتشبيها
كأنما الفضة البيضاء سائلة * من السبائك تجرى فى مجاريها
اذا علتها الصبا أبدت لها حبكا * مثل الجواشن مصقولا حواشيها
فحاجب الشمس أحيانا يضاحكها * ورونق الغيث أحيانا يباكيها
اذا النجوم تراءت فى جوانبها * ليلا حسبت سماء ركبت فيها
(وقال آخر) وبركة للعيون تبدو * فى غاية الحسن والصفاء
كأنها اذا صفت وراقت * فى الارض جزء من السماء

(وقال محمد بن سارة المغربى)

النهر قد رقت غلالة صبغه * وعليه من صبغ الأصيل طراز
تترقرق الامواج فيه كأنها * عكن الخصور تهزها الاعجاز
(وقال آخر) يوم لقيا بالنيل مختصر * ولكل وقت مسرة قصر
فكأنما أمواجه عكن * وكأنما داراته سرر

(وقال آخر فى نهر يسبح فيه الغلمان)

خليج كالحسام له صقال * ولكن فيه للرائى مسره
رأيت به الملاح تجيد عوما * كأنهم نجوم فى المجره

(وقال آخر فى النيل)

النيل قال وقوله * اذ قال مل مسامعى
فى غيظ من طلب العلا * عم البلاد منافعى
وعيونهم بعد الوفا * قلعتها بأصابعى
(وقال آخر) كأن النيل ذو فهم ولب * لما يبدو لعين الناس منه
فيأتى عند حاجتهم اليه * ويمضى حين يستغنون عنه
(وقال آخر) وفت أصابع نيلنا * وطغت وطافت فى البلاد
وأتت بكل مسرة * ماذى أصابع ذى أيادى
(وقال آخر) سد الخليج بكسره جبر الورى * طرا فكل قد غدا مسرورا
والماء سلطان فكيف تواترت * عنه البشائر اذ غدا مكسورا
(وقال آخر) ونهر خالف الاهواء حتى * غدت طوعا له فى كل أمر
اذا عصفت على الاغصان ألقت * اليه بها فيأخذها ويجرى
(وقال آخر فى ناعورة) وكريمة سقت الرياض بدرها * فغدت تنوب عن الغمام الهامع
بلسان محزون ومدمع عاشق * ومسير مشتاق وانة جازع

تلازمنا فقال الشيخ ان منزلى ملاصق لداركم فيمكن اذا غمضت عين أخيك أن تقوم لتستعمل ماء فتأتى الى الحائط وأنا أتناولك من وراء الجدار فتجلس عندى لحظة لطيفة من غير أن يشعر أخوك بشئ فقال السمع والطاعة وتواعدا على ليلة فهيأ له الشيخ من التحف والظرف ما يليق بمقامه فلما نام الصاحب واستغرق فى النوم وأمن انتباهه قام الشاب وتمشى خطوات وفتح بابا يتوصل منه الى الحائط فوجد شخصا واقفا ينتظره فتناوله وصار عنده فى المنزل وكانت ليلة البدر وتنادما ودارت بينهما كؤس الشراب ممزوجة ببرد الرضاب وانتشى الشيخ وأخذ فى الغناء وقد رمى القمر جرمه عليهما وانتبه الصاحب فلم يجد أخاه فقام فزعا مرعوبا ووجد الباب الذى استطرق منه أخوه مفتوحا فقال من ههنا جاء الشر فدخل منه وصعد الحائط فوجد نورا ساطعا من البيت ونظر فرآهما على هذه الحالة والكاس بيد الشيخ وهو ينشد بأحسن صوت

سقانى خمرة من ريق فيه
وحيا بالعذار وما يليه
وبات معانقا خدا بخد
غزال فى الانام بلا شبيه
وبات البدر مطلعا علينا
سلوه لا ينم على أخيه

فكان من لطافة الصاحب أن قال والله لا أنم عليكما وتركهما وانصرف انتهى (ومن بديع ذلك ما حكاه ابن خلكان فى تاريخه) فى ترجمة شرف الدين المعروف بابن المستوفى قال قد وصل الى أربل بعض الشعراء وهو الشريف عبد الرحمن بن أبى الحسين بن عيسى بن على بن يعرب فى سنة ثمان وعشرين وستمائة وشرف الدين يومئذ يرفع شيرله مثلوما على يد شخص كان فى خدمته يقال له الكمال بن الشعار الموصلى

(وقال آخر) وناعورة قالت وقد حال لونها * وأضلاعها كادت تعد من السقم
أدور على قلبي لاني فقدته * وأما دموعي فهي تجري على جسمي

(وفيها أيضا) وحنانة من غير شوق ولا وجد * يفيض لها دمع كمنتثر العقد
أحن اذا حنت وأبكي اذا بكت * فليس لنا من ذلك الفعل من بد * ولكنها تبكي بغير صبابة
وأبكي بافراط الصبابة والوجد * وأدمعها من جدول مستعارة * ودمعي من عيني يفيض على خدي

(وفيها أيضا قال الخطيري)
رب ناعورة كأن حبيبا * فارقته فقد غدت لي تحكي أبدا هكذا تئن بشجو * وعلى الفها تدور وتبكي

(ابن تميم) تأمل الى الدولاب والنهر اذ جرى * ودمعهما بين الرياض غدير
كأن نسيم الجو قد ضاع منهما * فأصبح ذا يجري وذاك يدور

﴿فصل في ذكر أرباب الصنائع والحرف والاسماء وما أشبه ذلك﴾

(لابن عفيف في قاض مليح) ورب قاض لنا مليح * يعرب عن منطق لذيذ
اذا رنا لي بسهم لحظ * قلنا له دائم النفوذ

(وقال في فقيه مليح) وبمهجتي ظبي غدا متفقها * وهو المهذب في الرشاقة والحور
أمسى بسيط الشعر منه مطولا * لكن وجيز الخصر منه المختصر

(وقال في محدث مليح) علقته محدثا * شرد عن جفني الوسن
حديثه ووجهه * كلاهما عندي حسن

(وقال في امام) جاء يسعى الى الصلاة بوجه * يخجل البدر في ليالي السعود
فتمنيت أن وجهي أرض * حين يومي بوجهه للسجود

(ابن الرومي في عروضي وأجاد) بي عروضي مليح * موتتي فيه حياة
عاذلاتي في هواه * فاعلات فاعلات

(في مؤذن مليح) ومؤذن أضحى كريما وجهه * لكنه بالوصل أي شحيح
أبدا أموت بهجره لكنني * من بعد ذاك أعيش بالتسبيح

(لابن عربي) وبنفسي مؤذن قد سباني * لم يفدني شكوى الغرام اليه
كيف يصغي لما يقول حبيب * واضع أصبعيه في أذنيه

(وقال آخر في مريد)
مراد قلبي مريد * مخبأ في الزوايا وليس ذا بعجيب * ففي الزوايا خبايا

(وفي فقير مليح) بي فقير يتغني * بسناوجه منير لا تلمني في افتضاحي * فغرامي بالفقير

(في أمير شكار لابن دانيال) بي من أمير شكار * وجد يذيب الجوارح
لما حكى الظبي حسنا * حنت اليه الجوارح

(في مليح مغن) أضحى يخر لوجهه قمر الدجا * وغدا يلين لحسنه الجلمود
فاذا بدا فكأنما هو يوسف * واذا شدا فكأنه داود

(في مليح عواد) غنى على العود ظبي سهم ناظره * أمسى به قلبي المضنى على خطر
دنا الي وجست كفه وترا * فراحت الروح بين السهم والوتر

(في مليح كاتب) بروحي كاتبا كالبدر حسنا * بديعا ما رأينا منه أجمل
على ريحان عارضه المفدى * بوجنته غدا دمعي مسلسل

(غيره) ورّاقنا ذا المفدى * فيه تزايد عشقي فلو يجود بوصل * لكان مالك رقي

(وفيه أيضا) يا حسن وراق أرى خده * قد راق في التقبيل عندي ورق
تميل في الدكان أعطافه * ما أحسن الأغصان بين الورق

(للسيد الشريف صلاح الدين الاسيوطي فيه أيضا)

فديتك

صاحب التاريخ والمثلوم عبارة عن دينار يقطع منه قطعة صغيرة وقد جرت عادتهم في العراق وتلك البلاد أن يفعلوا مثل هذا الا انهم يتعاملون بالقطع الصغار ويسمونها القراضة ويتعاملون أيضا بالمثلوم وهذا كثير الوجود بأيديهم فجاء النكال الى ذلك الشاعر وقال له الصاحب يقول لك اتفق الساعة هذا حتى يجهز لك شيأ فتوهم الشاعر ان النكال يكون قد قرض القطعة من الدينار وان شرف الدين ما سيره الا كاملا وقصد استعلام الحال من جهة شرف الدين فكتب اليه

يا أيها المولى الوزير ومن به
في الجود حقا تضرب الامثال
أرسلت بدر التم عند كماله
حسنا فوافى العبد وهو هلال
ما غاله النقصان الا أنه
بلغ الكمال كذلك الآجال

فأعجب شرف الدين بهذا المعنى وحسن الاتفاق وأجاز الشاعر وأحسن اليه انتهى (ومنه ما حكى) ان ابراهيم بن سهل الأشبيلي كان يهوديا سلم وحسن اسلامه حتى انه مدح النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يسلم وكان يقرأ مع المسلمين ويخالطهم وكان يحب يهوديا اسمه موسى وأكثر شعره فيه فلما أسلم أحب شابا اسمه محمد وترك هوى اليهودي فقيل له في ذلك فأنشد

تركت هوى موسى بحب محمد
هديت ولولا الله ما كنت أهتدي
وما عن قلى تركي هواه وانما
شريعة موسى عطلت بمحمد

وكان ابراهيم هذا شاعرا مجيدا اتفق له في صباه أن الهيثم نظم قصيدة مدح بها المتوكل على الله ابن يوسف بن هود ملك الاندلس وقد كانت أعلامه سودا لانه كان بايع الخليفة ببغداد فأرسل اليه بالتولية والالوية والنيابة ولا يعلم أحد من ملوك الاندلس قبله

فديتك أيها الوراق قلبي * لطلك بالوصال يكاد يبلى
وقد طلب الوفاء وغير بدع * محب يسأل الوراق وصلا

(في مليح صيرفي) ياسائلا عن حالتي ما حال من * أمسى بعيد الدار فاقد الفه
بي صيرفي لا يرق لحالتي * قدمت من جور الزمان وصرفه

(في مليح بخانقي) تسلطني في الملاح بخانقي * ولا يرضى بيدر التم نائب
وقد صفت له الاتراك جندا * وأصبحوا كما تحت العصائب

(في مليح فراء) فقلت لفرافري أدبي * وزاد صدا وطال هجرا
قد فرنوني وفر صبري * فقال لما عشقت فرا

(سيدي أبو الفضل بن أبي الوفاء في مزين)

حبي المزين وافى * بعد البعاد بنشطه * ومص دمل قلبي * بكاس راح وبطه

(في مليح قصاص) أشكو الى الله قصاصا يجرعني * بالهجر والصد أنواعا من الغصص
ان تحسن القص عناه فقلت له * أيضا تقص علينا أحسن القصص

(في مليح صياد) ومولع بفخاخ * يمدها وشراك
قالت له العين ماذا * تصيد قال كراكي

(في مليح رامي بندق) وأهيف القد ذي دلال * طائر قلبي عليه واجب
كالشمس في كفه هلال * يرمي الى البدر بالكواكب

(وقال آخر في راع) أفديه من راع كبدر الدجى * قوامه فاق الغصون الرشاق
ضيفني بالجدي ناديته * ما القصد يا مولاي الا العناق

(القيراطي في مليح طحان)

حسن طحان سباني * بلحاظ وبقامه
خاف من واش فاضحى * يجعل الغمزة لامه

(القاضي بدر الدين البلقيني في تراب)

رب تراب مليح * أورث القلب عذابا
قلت لما أن بدا لي * ليتني ترابا

(وقال آخر في مليح عوام) يا حسن عوام كغصن النقا * يبخل بالوصل لمن هاما
وتقنع العشاق منه بأن * يرهم الارداف ان عاما

(ابن نباتة في مليح حبشي) بروحي مشروطا على الخد أسمرا * دناوو في بعد التجنب والسخط
وقال على الاثم اشترطنا فلا تزد * فقبلته الفا على ذلك الشرط

(وله أيضا) ومن عجب تدعى للطفك سنبلا * ونشرك كافور وذكرك عنبر
وسعدك اقبال وحسنك مرشد * وخلقك ريحان ولفظك جوهر

(وقال آخر في من به صفرة) قالوا به صفرة شانت محاسنه * فقلت ماذاك من عيب به نزلا
عيناه مطلوبة في ثار من قتلت * فلست تلقاه الا خائفا وجلا

(للشيخ شهاب الدين بن حجر في مليح اسمه زائد)

وزائر قال قلبي * للطرف يا طرف شاهد
مدحته فتيمني * تيها على بزائد

(وقال آخر في مليح أرمد) شكا رمدا فقلت الآن كانت * لواحظه من الفتكات فينا
وقالوا سيف مقلته تصدى * فقلت نعم لقتل العاشقينا

(لمجد الدين بن مكانس فيه) تورمت مقلة المحبوب من رمد * وبات يشكو لهيب القلب والالما
وبات يرمي محبيه باسهمه * فياله من حبيب قد شكا ورما

(لابن أبي حجلة في أعور) ماشان من أهواه عين أصبحت * مقلوعة بمحاسن متزايده
لولا استخف العالمين بأسرهم * ماظل ينظرهم بعين واحده

(وقال آخر في مليح راهب)

رأيته يضرب الناقوس قلت له * من علم البدر ضربا بالنواقيس
وقلت للنفس أي الضرب يؤلمكي * ضرب النواقيس أم ضرب النوى قيسي

ولا بعده بايع بني العباس قط فوقف ابراهيم بن سهل والهيثم ينشد قصيدته لبعض أصحابه فقال ابراهيم للهيثم زد بين البيت الفلاني والبيت الفلاني

أعلامه السود اعلام بسودده
كأنهن بخد الملك خيلان

فقال الهيثم أهذا البيت شئ ترويه أم نظمته فقال بل نظمته الساعة فقال الهيثم ان عاش هذا الغلام فسيكون أشعر أهل الاندلس (ومنه ما اتفق) سنة ثمان وستمائة ان الملك المعظم عيسى سار الى أخيه الملك الأشرف فاستعطفه على أخيه الكامل محمد وكان في نفسه موجدة عليه فأزالها وسارا جميعا نحو الديار المصرية لمعاونة الكامل على الافرنج الذين قد أخذوا دمياط واستحكم أمرهم هناك من سنة أربع عشرة بعد حروب كثيرة يطول شرحها حتى عرض عليهم في بعضها أن يرد عليهم بيت المقدس وجميع ما كان صلاح الدين فتحه في الساحل ويتركوا دمياط فامتنعوا من ذلك فقدر الله سبحانه وتعالى ان قدمت عليهم مراكب فيها ميرة لهم فأخذتها مراكب المسلمين وأرسلت من أراضي دمياط المياه من كل ناحية فلم يمكن الافرنج أن ينصرفوا بأنفسهم وحصرهم المسلمون من الجهة الأخرى حتى اضطروهم الى أضيق الأماكن فعند ذلك أنابوا الى المصالحة من غير مفاوضة فجاء مقدمهم الى الملك الكامل وعنده أخواه المذكوران وكانا قائمين بين يديه وكان يوما مشهودا وأمرا محمودا فوقع الصلح على ما أراد الكامل محمد وملوك الافرنج والعساكر كلها واقفة بحضرته ومد سماطا عظيما اجتمع عليه المؤمن والكافر والبر والفاجر فقام الحلي الشاعر وأنشد

﴿القيراطي في مليح اسمه بدر﴾

سموه بدرا وذاك لما * أن فاق في حسنه وتما
وأجمع الناس اذ رأوه * بأنه اسم على مسمى

(آخر في مليح اسمه حمزة)
متى يبدو لحمزة ما بقلبي * ويرثي لي وينظر في بلائي
وأشفي بالبرد من الماء * وأجمع بين حمزة والكسائي

(وقال آخر)
كلفت به ولم أبلغ مرادي * غزال قد تحكم في قيادي
فتصحيف اسمه في وجنتيه * وفي معسول فيه وفي فؤادي

(في مليح سروجي)
فتنت به سروجيا بديعا * به قد ذبت وجدا من ضجيجي
اذا جذب الغرام له عناني * يلذ لي الركوب على السروج

(وقال آخر في مليح محموم)
قالوا حبيبك محموم فقلت لهم * أنا الذي كنت في حمائه السببا
عانقته ولهيب النار في كبدي * فأثرت فيه تلك النار فالتهبا

(لابي نواس في مليح ألثغ)
ومهفهف دنف الصباذي لثغة * تصبو اليه ذوو العقول الرجح
قبلت فاه فقال لي متخوفا * من كاشح متدللا بالثا فتحي

(وقال في مليح خباز)
ان خبازنا المليح المفدى * في حشا الصب من جفاه كلوم
خلت دكانه البديع سماه * وهو بدر والخبز فيه نجوم

(وقال في مليح حائك)
وحائك يا صاح أبصرته * كالبدر في كفيه ماسوره
فلم أرح الاوروحي لما * عاينت في كفيه ماسوره

(وقال في مليح لاعب شطرنج)

لعبت بالشطرنج مع أهيف * رشاقة الاغصان من قده
أحل عقد البند من خصره * وألثم الشامات من خده

(وفيه أيضا قال)
تلاعبت بالشطرنج مع من أحبه * فنادمني حتى سكرت من الوجد
وأنشدني مالي أراك مفكرا * تدور على الشامات وهي على الخد

(في مليح خياط)
خياطنا الفاتن المفدى * بديع حسن فريد شكل
فصل للجسم ثوب سقم * لما جفاني وكف وصلي

(وقال غيره)
فتنت بخياط بديع ملاحة * له طلعة أبهى ضياء من الشمس
تراه على الكرسي للثوب خائطا * فتقسم حقا أنه آية الكرسي

(الصفي الحلي في مليح قلع ضرسه)
لحا الله الطبيب لقد تعدى * وجاء لقلع ضرسك بالمحال
أعاق الظبي في كلتا يديه * وسلط كلبتين على غزال

(وقال في مليح سلم عليه)

تنبأ فيك قلبي فاسترابت * به قوم وعمهم الضلال
وصدهم الهوى أن يؤمنوا بي * وقالوا ان معجزه محال
ومذ سلمت سلمت البرايا * الى وقيل كلمه الغزال

(وقال في مليح يرمي بالسهام)
وظبي بشعر فوق طرف مفوق * بقوس رمى في النقع وحشا بأسهم
كبدر بأفق فوق برق بكفه * هلال رمى في الليل جنا بأنجم

(وقال في مليح يضرب بالعود)
فتن الانام بعوده وبشدوه * شاد تجمعت المحاسن فيه
حتى كأن لسانه بيمينه * وكأن ما بيمينه في فيه

(وقال أيضا فيه)
وأغن قد أبدى لنا من عوده * نغما أصح به القلوب وأمرضا
يدا اذا سخطت على أوتاره * نال الرفاق بسخطها عين الرضا

(وقال في مليح مشبب)
يا نافخ الصور بل يا باعث الصور * من رقدة السكر لا من رقدة الحفر
قرنت حسنك بالاحسان فيه لنا * فكان فيك مراد السمع والبصر
ضمنت للصب اقبال السرور كما * ضمنت نايك نأي الهم والفكر

هنيئا فان السعد راح مخلدا
وقد أنجز الرحمن بالنصر موعدا
حبانا اله الخلق فتحا به الى
مبينا وانعاما وعزا مؤيدا
تهلل وجه الارض بعد قطوبه
وأصبح وجه الشرك بالظلم أسودا
ولما طغا البحر الخضم باهله الطـ
طغاة وأضحى بالمراكب مزبدا
أقام بهذا الدين من سل عزمه
صقيلا كما سل الحسام مجردا
فلم ينج الا كل شلو مجدل
ثوى منهم أو من تراه مقيدا
ونادى لسان الكون في الارض رافعا
عقيرته في الخافقين مشيدا
أعباد عيسى ان عيسى وقومه
وموسى جميعا يخدمون محمدا
قال الشيخ شهاب الدين أبو شامة بلغني انه وقت الانشاد أشار عند قوله عيسى الى المعظم وعند قوله موسى الى الاشرف وعند قوله محمد الى الكامل وهذا من أحسن الاتفاق انتهى (ومنه ما حكى عن جمال الدين) كاتب سر الملك المعظم عيسى انه كان بينه وبين السلطان مداعبة ومنادمة فاتفق أنه حضر في بعض الليالي عنده فلما رجع الى منزله قالت له زوجته أين انعام السلطان فقال ما أنعم على الليلة بشيء فقالت أنا أعوض عنه وقامت اليه هي وجواريها في الحال وتناولته بالخفاف الثقال الى أن ألانت أعطافه وأدارت في حانة الصفع سلافه فكتب للمعظم رقعة في ذلك منها
وتضافرت بيض الاكف كأنها التـ
تصفيق عند مجالس الاعراس
وتتابعت سود الخفاف كأنها
وقع المطارق من يدي نحاس
وقال أجب عنها فاجابه عما في آخره
فاصبر على أخفافهن ولا تكن
مخلقا الا بخلق الناس

صوت بسيط به أرواحنا انبسطت * اذ جئت فى اللفظ والمعنى على قدر

﴿وقال فى مليح ساق﴾ وساق من بنى الاتراك طفل * أتيه به على جمع الرفاق
أملكه قيادى وهو رقى * وأفديه بعينى وهو ساقى

﴿وقال أيضا فى رسول مليح أتاه من عند من يحبه﴾

من كنت أنت رسوله * كان الجواب قبوله * ياطلعة الشمس الذى
جاء الصباح دليله * لم يبد وجهك قبله * الا ارتقبت وصوله
فلذاك اذ واجهتنى * بل الفؤاد غليله

(فى مليح قارئ) نفسى الفداء لشادن شاهدته * يوم الزيارة قارئا فى المصحف
فتن الانام ببهجة وبلهجة * تسبى وتضنى كل صب مدنف
فتلا مليا جل سورة يوسف * وجلا محيا مثل صورة يوسف

﴿وقال آخر فى مليح مكتمل العذار﴾ وكامل العارض قبلته * فصدنى وازور من قبلتى
وقال كم أنهاك عن مثل ذا * وأنت ما تفكر فى لحيتى

﴿وقال آخر فى مليح حجام﴾ كلفت بحجام تحكم طرفه * فغدا على سفك الدماء يواطى
أضحى كثير الاشتطاط ولم تكن * منه اللحاظ كليلة المشراط

﴿فصل فى الالغاز﴾

(فى غزال) اسم من قد هويته * ظاهر فى حروفه فاذا زال ربعه * زال باقى حروفه

(فى كوز فقاع) ومحبوس بلا ذنب جناه * له فى السجن ثوب من رصاص
اذا أطلقته وثب ارتفاعا * يقبل فاك من فرح الخلاص

(فى زرموزة) مطية فارسها راجل * تحمله وهو لها حامل
واقفة بالباب مزبولة * لا تشرب الدهر ولا تأكل

﴿وقال فى طاحون﴾ ومسرعة فى سيرها طول دهرها * تراها مدى الايام تمشى ولا تتعب
وفى سيرها ما تقطع الا كل ساعة * وتأكل مع طول المدى وهى لا تشرب
وما قطعت فى السير خمسة أذرع * ولا ثلث شبر من ذراع ولا أقرب

(فى دواة) ومرضعة أولادها بعد ذبحهم * لها لبن ما الذقط لشارب
وفى بطنها السكين والثدى رأسها * وأولادها مذخورة للنوائب

(فى دواة أيضا) وما أم يجامعها بنوها * وليس عليهم تجب الحدود
كأنهم اذا ولجوا حشاها * أفاع فى أما كنها قعود

(فى قلم) وأهيف مذبوح على صدر غيره * يترجم عن ذى منطق وهو أبكم
تراه قصيرا كلما طال عمره * ويضحى بليغا وهو لا يتكلم

(وفيه أيضا) بصير بما يوحى اليه وماله * لسان ولا قلب ولا هو سامع
كأن ضمير القلب باح بسره * اليه اذا ما حركته الاصابع

(وفيه أيضا) وأصفر رمار أضل السقم جسمه * يتشقق شمل الخطب وهو جموع
حمى الجيش مفطوما كما كان تحتمى * به الاسد فى الغابات وهو رضيع

(وفيه أيضا) وذى نحول راكع ساجد * أعمى بصير دمعه جارى
ملازم الخمس لأوقاتها * مجتهد فى طاعة البارى

(فى مرملة) معشوقة لذوات العز قد سنعت * حزينة ما تراها قط تبتسم
كأنها من صروف الدهر خائفة * تبكى دماء على ما سطر القلم

(فى كتاب) وذى أوجه لكنه غير بائح * بسر وذو الوجهين للسر يظهر
تناجيك بالاسرار أسرار وجهه * فتسمعها بالعين ما دمت تبصر

واعلم ان اختلفت عليك بأنه
مافى وقوفك ساعة من باس
(وضمنه أبو جعفر الاندلسى فقال)
ومورد الوجنات دب عذاره
فكأنه خط على قرطاس
لما رأيت عذاره مستعجلا
قد رام يخفى الورد منه بآس
ناديته قف كى أودع ورده
مافى وقوفك ساعة من باس
(ومن البديع ما يحكى) ان الشيخ ابن كثير صاحب التاريخ كان له صفة على باب داره يجلس ويطالع فيها استئناسا بالمارة لسآمة الوحدة والى جواره جار له رث الثياب وكان اذا رأى الشيخ جالسا على الصفة يجئ ويركب أكتافه فتفوح منه رائحة فيتأذى منها ويستحى أن يصرفه فاشتد غيظه يوما فقال له ياشيخ أما تستحى كلما ترانى جالسا تجئ تركب أكتافى وأنت لست تعرف ما أطالعه ولا لك شعور به فلما أخجله بهذا التعنيف قال له ياسيدى الشيخ ما هذا الذى تطالع فيه من العلوم فقال شئ فى الاقتباس فقال له أنشدنى منه شيأ فافكر ابن كثير ساعة واقتبس فى مطالعة الحال وقال
كيد حسودى وهنا * ولى سرور وهنا
الحمد لله الذى * أذهب عنا الحزنا
فلم افرغ من انشاده قال له هذا الذى أفكرت فيه وتتكثر به اسمع ما أقول فانشد ارتجالا من غير وقفة
قلبى الى الرشد يسير
وعنده النظم يسير
الحمد لله الذى * فضلنا على كثير
فقام الشيخ له اجلالا وأجلسه واعتذر له وقال له اياك أن تزدرى باحد فان مواهب الله تعالى فى الصدور لا فى الثياب اه (ومن اللطائف ما حكى) أن بعض الملوك حاصر مليكا وأطال فى حصاره فلما

﴿في سلطان حسن لابن أبي حجلة﴾

ما اسم محب للقلوب لانه * حسن الحروف يجود بالاحسان * تصحيفه أمسى حبيبا كلما
صحفت أحرفه بحسن بيان * لو جادلي يوما برؤيته وجهه * نلت المراد وعشت بالسلطان

(في شبابة) وما صفراء شاجية ولكن * تزينها النضارة والشباب
مكتبة وليس لها بنان * منقبة وليس لها نقاب * تصيح لها اذا قبلت فاها
أحاديث تلذ وتستطاب * ويحلو المدح والتشبيب فيها * وليست لاسعاد ولا الرباب

(وفيها أيضا) ومقروحة الاجفان مثلي شجية * تناءت عن الاهلين أسقمها البعد
تزوجها عشر وذلك محرم * ولا حرج كلا ولا وجب الحد
اذا ما وطيها القوم تصرخ صرخة * يلين اليها القلب لو أنه صلد

(وفيها أيضا) منقبة مهما خلت مع محبها * يزودها لثما و ينظرها شزرا
وتصحيفها في كف حاملها فقل * اذا شئت في اليمنى وان شئت في اليسرى

(في دملج) الى النساء يلتجي * وعندهن يوجد الجسم منه فضة * والقلب منه جلد

(في خلخال) أيا عجبا من صابر صامت ولم * يفه بكلام قط في ساعة الضرب
أقام ولم يبرح مكانا نوى به * على أنه أضحى يدور على الكعب

(في شعر اللحية) وذي عدد كالرمل سام محله * جميل على كل الملاح له حق
يحاذر من موسى و يرهب باسمه * وفي قلب هرون له الهلك والمحق

(في التين) أي شئ لذ طعما * ناعم اللمس واين كيف لا يبدو وضوحا * وهو في التصحيف بين

(في الموز) ما اسم لشئ حسن شكله * تلقاه عند الناس موزونا
تراه معدودا فان زدته * واوا ونونا صار موزونا

(في حمزة) من لي بمعتدل القوام مهفهف * أزرى بغصن البان لين قده
في فيه تصحيف اسمه وبخده * وبقلب عاشقه لشدة صده

(وفيه أيضا) اسم الذي أنا أهواه وأعشقه * وطول دهري أخشى من تجنيه
تصحيفه في فؤادي دائما أبدا * يبدو وفي خده أيضا وفي فيه

(في ساقية) و جارية لولا الحوافر ما جرت * أشاهدها تجري وليس لها رجل
وترضع أطفالا ولا هي أمهم * وليس لها ثدى وليس لها بعل

(وفيها أيضا) وجارية تبكي اذا الليل جنها * بلا ألم فيها ولا ضرب ضارب
عليها رجال شنقوا بعد حرقهم * وما كان شنق القوم الا بواجب

(في زر وعروة) وما أخت يجامعها أخوها * وليس عليهما فيه جناح
ترى بجوازه الحكام طرا * وفي أعناقهم ذاك النكاح

(في راوية) وسوداء تشرب من رأسها * وان شئت تسقيك من فرديد
ولون لها مثل لون اختها * وثنتاهما واحد في العدد
وتحبل في الوقت هي واختها * وفي ساعة يضعان الولد

(في شطرنج) ياذا النهى ما اسم له حالة * يحار فيها الذهن والفكر
له حروف خمسة انما * ثلاثة منها له شطر

(في فيل) أيما اسم تركيبه من ثلاث * وهو ذو أربع تعالى الاله
حيوان والقلب منه نبات * لم يكن عند جوعه يرعاه
فيك تصحيفه ولكن اذا ما * رمت عكسا يكون لي ثلثاه

(في جمع) ما طائر في قلبه * يلوح للناس عجب منقاره في بطنه * والعين منه في الذنب
(في نار) وما اسم ثلاثي به النفع والضرر * له طلعة تغني عن الشمس والقمر

اشتدت به المحاصرة استدعى بوزرائه فقال ما ترون وقد تأخرت بنا هذه الحال هل نسلمه أم نخرج عليه ليلا و يفعل الله بنا ما يشاء فقال بعض وزرائه قد بدا لي رأي أرى انهم ينصرفون به عنا من غير قتال فقال ما هو قال يجمع مولاي ما في خزائنه من الذهب و يحضره فلما أحضره استدعى بالصياغ وأمرهم ان يصوغوه جميعه سهاما زنة كل سهم قدر معلوم فعملت على الامر المذكور فكتب الوزير على كل نصل سطرين ثم أمر ان تركب السهام فلما ركبت أمر حاشية الملك بان يأخذ كل واحد سهما وأمرهم أن يرموها عن قوس واحد على العسكر المحتاط بهم فتلألأ لمعان نصالها حتى أدهش العيون فأمر الملك أن تجمع فلما اجتمعت بين يديه أمر أن يقرأ ما عليها فاذا هو مكتوب

ومن جوده يرمي العفاة باسهم
من الذهب الابريز صيغت نصولها
لينفقها المجروح في دوائه
و يشتري الاكفان منها قتيلها

فلما سمع ذلك أمر بالرحيل من ساعته وقال مثل هذا الا يحاصر ولا يقاتل (ومن ذلك ما يحكي) ان الشيخ شمس الدين المعروف بالدجوى رحمه الله تعالى كان يتعشق مليحا فرآه بعد مدة وهو يتوجع من دمل طلعت في دبره فسأله فقال دمل في ذلك المحل فضحك الشيخ ضحكا شديدا وقال ما رأيت أعجب من هذا الدمل فقال له الشاب ولم قال الدمامل تطلع في أضيق المواضع وهذا على غير القياس جاء في أوسع المواضع فتبسم الشاب خجلا ومضى انتهى (لطيفة) يحكي أن نقيب الاشراف ببغداد كان يهوى غلاما اسمه صدقة فاخذه بن المنير الطرابلسي يوما وأضافه وجلس في طبقة له

وليس له وجـه وليس له قفا * وليس له سمع وليس له بصر * عدلسانا يختشى الرمح بأسه
ويمزأيوم الضرب بالصارم الذكر * يموت إذا ماقت تسقيه عامدا * و يأكل مايلقى من النبت والشجر
فياقارئ الابيات دونك شرحها * والافسم عنها ونبه لشاعر

(وفيها أيضا) وآكلة بغير فم و بطن * لها الاشجار والحيوان قوت
اذا أطعمتها انتعشت وعاشت * وان أسقيتها ماء تموت

(فى يد الهاون) قل لى فاشئ يرى ناعما * منتصب القامة طول الزمان
أطول من شبر له حزة * مفيشل الرأس قوى الجنان
يسمع فى القعر له رنة * و يظهر الصفق بأعلى مكان

(وفيه أيضا) خبرونى أى شئ * أوسع مافيه فمه * وابنه فى بطنه
يرفسه و يلكمه * وقد علا صياحه * ولم يجد من يرحمه

(فى خشخاش) وماقبة مبنية فوق شاهق * لها لم يحكى اللاحة بالظرف
وأولادها فى بطنها فى جماعة * يكونون الفا أويزيدون عن ألف
ويأخذها الطفل الصغير بجهله * و يقلبها عسفا على راحة الكف

(فى كوززير) وذى أذن بلا سمع * له قلب بلا لب
اذا استولى على صب * فقل ماشئت فى الصب

(فى اسم على) اسم الذى أعشقه * أوله فى ناظره ان فاتنى أوله * فان لى فى آخره

(فى موسى الصفدى) وماشئ له حد وخد * يكلم من يلامسه بحلقه
وكل حلقه من تحت رأس * وهذا الرأس صارت تحت حلقه

(فى حلب لابن الفارض رحمه الله تعالى)

مابلدة بالشام قلب اسمها * تصحيفه أخرى بأرض العجم
وثلثه ان زال من قلبه * وجدته طيرا شجى النغم

(وقال فى سمرقندى) ومااسم سداسى اذا ماتحته * ترى فيه أجزاء تذم وتشكر
له ثلث يأتى به الموت فجأة * وثلث مع الكتاب يطوى وينشر * وثلث رعاك الله ياصاحبى له
على مدى الايام نشر معطر * وفى نصفه ماتحرك بعضه * حديث شهى فى الليالى يذكر
وفى نصفه الثانى اذا ماأعدته * الى النار للتحليل والعقد سكر
ففسر لنا ذا اللغز ان كنت ذاحجى * فليس على ذى العقل لغز معسر

(وقال فى كمون) ياأيها العطار أعرب لنا * عن اسم شئ قل فى سومك
تراه بالعينين فى يقظة * كماترى بالقلب فى نومك

(وقال فى قالب الطوب)

وما آكل فى قعدة ألف لقمة * ولقمته أضعاف أضعاف وزنه
اذا نزل المأكول جنبيه لم يقم * سوى لحظة أو لحظتين ببطنه

(فى العين) و باسطة بلا عصب جناحا * وتسبق مايطير ولاتطير
اذا ألقمتها الجراط مأنت * وتجزع أن يباشرها الحرير

ويكفى من ذلك ماأشرت اليه وما نبهت من هذا الفن عليه وقد مضى القول من الفنون السبعة على فن الشعر القريض ومافيه من الفنون المتقدم ذكرها (ولنذكر) ان شاء الله تعالى بقية الفنون السبعة على وجه الاختصار والفنون السبعة المذكورة عند الناس هى الشعر القريض والموشح والدوبيت والزجل والمواليات والكان وكان والقوما ومنهم من جعل الحماق من السبعة وفى ذلك اختلاف وعند جميع المحققين أن هذه الفنون السبعة منها ثلاثة معربة أبدا لايغتفر اللحن فيها وهى الشعر القريض والموشح والدوبيت ومنها ثلاثة ملحونة أبدا وهى الزجل والكان وكان والقوما ومنها واحد وهو البرزخ بينهما و يحتمل الاعراب واللحن وهو المواليا

وذهب اليهم على خفية وقال
يامن هم فى الطبقه
هل عندكم من شفقه
لسائل متيم * يطلب منكم صدقه

فاجابه ابن المنير ارتجالا فى الحال بقوله

يامن أتانا سرقه * بهجية محترقه
جدك ياذا العجز * أخذك منا صدقه

فخجل الشريف وذهب انتهى (ومن المستعذب ما يحكى عن الفضل) قال دخلت على الرشيد و بين يديه طبق ورد وعنده جارية مارية وكانت تحسن الشعر والادب مع الحسن والجمال فقال يافضل قل فى هذا الورد فانشدته بديها

كأنه فم محبوب يقبله
فم الحبيب وقد أبدى به خجلا

فقال الرشيد ماتقولين يامارية فأنشدته

كأنه لون خدى حين تدفعنى
كف الرشيد لامر يوجب الغسلا

فقال الرشيد قم يافضل فقد هيجتنى هذه الماجنة فقمت وقد أرخيت الستور اه (ومن الغايات التى لاتدرك) ماحكاه الشريف المقرى فى شرح بديعته ان صائغا نصرانيا اسمه نجم صاغ خاتما لبعض أولاد وزراء بيت المقدس وكان اسمه يحيى فنقش عليه نجم عشق يحيي ودفعه له فلما قرأه طاش عقله وامتلأ غيظا وذهب الى أبيه وقال له اقرأ ماعلى هذا الخاتم فلما قرأه حصل فى نفسه تأثر فأرسل خلفه وعقد مجلسا لدى القاضى وأراد قتله فلما حضر أعلم بذلك فقال ماذنبي وأنتم تروون عن نبيكم من قتل ذميا كنت خصمه يوم القيامة فقيل له أو تتكلم وخطك يشهد عليك كيف تكتب نجم عشق يحيي فقال والله ما كتبت الا ماتتبركون به فى كتابكم فكتبت نجم عشق يحيي فطرب المجالس لذلك واستحسنوا ذكاءه وأشاروا عليه بالاسلام فهذا من الاتفاق العجيب اه

وقيل لا يكون البيت منه بعض ألفاظه معربة وبعضها ملحونة فان هذا من أقبح العيوب التى لا تجوز وانما يكون المعرب منه نوعا مفرده ويكون الملحون فيه ملحونا لا يدخله الاعراب وقد أوضح قاعدة الجميع وأمثلتها صفى الدين أبو المحاسن الحلى فى ديوانه وسماه بالعاطل الحالى والمرخص الغالى ولو بسطت المقال لاتسع المجال وكثر القال ولكن الاختصار يذهب الاوجال والحمد لله رب العالمين على كل حال

﴿فصل فى بيان الفن الثانى وهو الموشح﴾

(لابن المبارك) قد أنحل الجسم أسمر أكحل * وأوحل القلب فيه مذحل

(دور) أميل له فلا يميل * يحول وعنه لا أحول * أقول اذا زاد بى النحول

أما حل عقد الصدود يحل * ويرحل عن نجم المزحل

(دور) كم أبعدوكم أبيت مكمد * ويعمد بهجره لافقد * وأجهد لارتصاد من قد

تحمل والحاسدون رحل * عجل والوعد منه ماحل

(دور) متوج بالحسن هذا الابلج * مدبج عذاره البنفسج * مفلج وطرفه ذا الادعج

مكحل وثغره مكحل * مخلخل بعنبر معجل

(دور) برغمى من يستحل ظلمى * ويرمى بهجره لسلمى * وجسمى من التزام سقمى

منحل وقد غدا مرحل * فمن حل سفك دمى وماحل

(دور) قلانى واشتط ذا الفلانى * غزانى بطرفه اليمانى * ترانى أنشد ان يرانى

قد أنحل الجسم أسمر أكحل * وأوحل القلب فيه مذحل

(لابن سناء الملك) كللى يا سحب تيجان الربا بالحلى * واجعلى سوارك منعطف الجدول

(دور) يا سما فيك وفى الارض نجوم وما * كلما أخفيت نجما أظهرت أنجما

وهى ما تمطل الا بالطلى والدما

فاهطلى على قطوف الكرم كى تمتلى * وانقلى للدن طعم الشهد والفوفل

(دور) تنعقد كالكوكب الدرى لارتصد * يعتقد فيها المجوسى بما يعتقد

فاتئد يا ساقى الراح بها واعتمد

وامل لى حتى ترانى عنك فى معزل * قال فالراح كالعشق ان يزد يقتل

(دور) لا أليم فى شرب صهبا وفى عشق ريم * فالنعيم عيش جديد ومدام قديم

لا أهيم الا بهذين فقم يا نديم

واجل لى من اكؤس صيرت من فوفل * ألذلى من نكهة العنبر والمندل

(دور) خذهنى واعطنى كاسى مثل كاسك هنى * واسقنى على رضاب القطن الملسن

والهنى ببعض ماصيغ من الالسن

لو تلى مدح سناه مع رشا أكحل * لذلى على سنا الصهباء والسلسل

(دور) أزهرت ليلتنا بالوصل مذ أسفرت * أصدرت بزورة المحبوب اذ بشرت

أخرت فقلت للظلماء مذ قصرت

طولى يا ليلة الوصل ولا تنجلى * واسبلى سترك فالمحبوب فى منزلى

(دور) من ظلم فى دولة الحسن اذا ما حكم * فالالم يجول فى باطنه والندم

والقلم يكتب فيه عن لسان الامم

من لى فى دولة الحسن ولم يعدل * يعزى لالحاظ الرشا الاكحل

(وله أيضا) ترى هل يشتفى منك الغليل * ويشفى من صبابته العليل

(دور) لقد أسرفت فى هجرى وصدى * بلا سبب سوى كلفى ووجدى * وماذا فى سلوهنك يجدى

خضاب الوجد ليس له نصول * وأسياف الهوى فينا تصول

دور) لئن شحيت عنى بالسلام * وطيفك قد جفا لجفا المنام * فقد جادت باربعة سجام

(ومثل ذلك) قول أبى نواس يهجو خالصة جارية الرشيد

لقد ضاع شعرى على بابكم
كما ضاع در على خالصه

فلما بلغ الرشيد أنكر عليه وهدده فقال لم أقل الا ضاء فاستحسن مواربته وقال بعض من حضر هذا البيت قلعت عينه فابصر اه (حكى) عن أبى العيناء أنه قال رأيت جارية مع النخاس وهى تحلف أن لا ترجع لمولاها فسألتها عن ذلك فقالت يا سيدى انه يواقعنى من قيام ويصلى من قعود ويشتمنى باعراب ويلحن فى القرآن ويصوم الخميس والاثنين ويفطر رمضان ويصلى الضحى ويترك الفرض فقلت لا أكثر الله مثله فى المسلمين اه (وقيل) زنى رجل بجارية فأحبلها فقيل له يا عدو الله هلا اذا ابتليت بفاحشة عزلت قال قد بلغنى أن العزل مكروه قالوا فما بلغك أن الزنا حرام (وقيل) لاعرابى كان يتعشق قينة ما يضرك لو اشتريتها ببعض ما تنفق عليها قال فمن لى اذ ذاك بلذة الخلسة ولقاء المسارقة وانتظار الموعد (وحكى) أن علية بنت المهدى كانت تهوى غلاما خادما اسمه طل فحلف الرشيد أن لا تكلمه ولا تذكره فى شعرها فاطلع الرشيد يوما عليها وهى تقرأ فى سورة البقرة فان لم يصبها وابل فالذى نهى عنه أمير المؤمنين (قيل) دخلت امرأة على هرون الرشيد وعنده جماعة من وجوه أصحابه فقالت يا أمير المؤمنين أقر الله عينك وفرحك بما آتاك وأتم سعدك لقد حكمت فقسطت فقال لها من تكونين أيتها المرأة فقالت من آل برمك ممن قتلت رجالهم وأخذت أموالهم وسلبت نوالهم فقال أما الرجال فقد مضى فيهم أمر الله ونفذ فيهم قدره وأما المال فمردود اليك ثم التفت الى الحاضرين من أصحابه فقال أتدرون ما قالت

جفون بالبكا كادت تحول * على خد أشف به النحول

(دور) لقد أرسلت فى طى النسيم * حديث هوى عن الوجد القديم * فعادت وهى عاطرة الشميم
تخبر أن ظعنهم نزول * بدار لا يلم لها نزيل

(دور) تلقته الموالى والموالى * بألحاظ وزرق من نصال * وأعطاف وسمر من عوالى
فكم بطل هناك وكم قبيل * بسيف من لواحظه قتيل

(وله أيضا) شمس المحيا أم القمر * أم بارق الثغر يا بشر أم البهاء حفه الخفر * بطرز خديك مستطر

(سلسلة) قم تباها عاتباها ولا تلاها

(قفلة) فكل أحبابنا حضر * والعود شجيك والوتر

(الدور) أفديك بالسمع والبصر * يا أهيف وصله وطرى
بدر بدا فى دجى الشعر * قد لذ فى حبه سهرى

(سلسلة) اذا تجلى وقد تحلى عليك يجلى

(قفلة) تحير فى وصفه الفكر * والعقل والسمع والنظر

(الدور) فهاك حدث عن الطرب * وعن سلاف ابنة العنب
اذا سقاها مع الضرب * بدر بأفق الجمال ربى

(سلسلة) فى ظل بان على المثانى من غير ثانى

(قفلة) الا الندامى اذا سكروا * والروض والماء والشجر

﴿وقال رحمه الله تعالى﴾

وانسيم السحر هل لك خبر * عن عريب هم بالمنحنى * فارقونى ولم أقض الوطر
من لقاهم ولا نلت المنى * قلت يا قلب صبرا ما صبر * والنبى ما الهوى الا عنا
ما كتمت الهوى الاظهر * من شهود المدامع والضنى

(دور) ليش تمنع وصالك يا حبيب * عن محبك ولا يعشق سواك
راقب الله وارجع من قريب * قبل يبلى جسمه فى هواك * لست ألقى لدائى من طبيب
غير رشف فى حبيبى من لماك * لو رأى حالى العاذل عذر * حينما ينظر جمالك والسنا

(دور) يا قمر فوق غصن من نقا * أهلكتنا مطالك والصدود * يا رعى الله لو يلات اللقا
ليتها يا خل يوما لى تعود * ليلة السعد ما فيها شقا * كيف تشقى وطالعها سعود
صفوها الاعاز جه كدر * بالمسرات وأوقات الهنا

(غيره) حملت مذ سارت الحمول * وجدا مضى العمر وهو باقى

(دور) ساروا وسار الفؤاد لكن * جسمى مقيم على المساكن * وعن الحب صار ظاعن
مالى الى وصله وصول * لو سرت بالبرق والبراق

(دور) وغادة كالقضيب قدا * والورد والياسمين خدا * كأنها البدر اذ تبدى
وشعرها أسود طويل * كأنه ليلة الفراق

(دور) هونا أتتنا تميل ميلا * سحابة كالسحاب ذيلا * فقلت شمس تزور ليلا
ومادرى كاشح عذول * فذاك من أعجب اتفاق

(دور) وسدتها ساعدى لسعدى * وبت أرعى رياض ورد * وخمر ريق كذوب شهد
لو ذاقها مدنف عليل * لعاش والروح فى التراقى

(دور) لما رأتنى أذوب سقما * ومن ورود الرضاب أظما * قالت كامت الخدود لثما
ما يشتفى منك ذا الغليل * بغير نومى وشيل ساقى

﴿فصل فى الفن الثالث وهو الدوبيت﴾

﴿لسيدى شرف الدين بن الفارض رحمه الله تعالى﴾

المرأة فقالوا ما تراها قالت الاخرى قال ما أظنكم فهمتم ذلك أما قولها أقر الله عينك أى أسكنها عن الحركة واذا اسكنت العين عن الحركة عميت وأما قولها وفرحك بما آتاك فأخذته من قوله تعالى حتى اذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة وأما قولها وأتم الله سعدك فأخذته من قول الشاعر

اذا تم أمر بدا نقصه * ترقب زوالا اذا قيل تم

وأما قولها لقد حكمت فقسطت فأخذته من قوله تعالى وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا فتعجبوا من ذلك (وحكى) أن المأمون ولى عاملا على بلاد وكان يعرف منه الجور فى حكمه فارسل اليه رجلا من أرباب دولته ليمتحنه فلما قدم عليه أظهر له أنه قدم فى تجارة فى نفسه ولم يعلمه أن أمير المؤمنين عنده علم منه فأكرم نزله وأحسن اليه وسأله أن يكتب كتابا الى أمير المؤمنين المأمون يشكر سيرته عنده ليزداد فيه أمير المؤمنين رغبة فكتب كتابا فيه بعد الثناء على أمير المؤمنين أما بعد فقد قدمنا على فلان فوجدناه آخذا بالعزم عاملا بالحزم قد عدل بين رعيته وساوى فى أقضيته أغنى القاصد وأرضى الوارد وأنزلهم منه منازل الاولاد وأذهب ما بينهم من الضغائن والاحقاد وعمر منهم المساجد الداثرة وأفرغهم من عمل الدنيا وشغلهم بعمل الآخرة يعنى أن الكل صاروا فقراء لا يملكون شيأ من الدنيا بدون النظر الى وجه أمير المؤمنين أى ليشكو حالهم وما نزل بهم فلما جاء الكتاب الى المأمون عزله عنهم لوقته وولى عليهم غيره (وحكى) أن بعض الملوك طلع يوما الى أعلى قصره يتفرج فلاحت منه التفاتة فرأى امرأة على سطح دار الى جانب قصره لم ير الراؤن أحسن

أهـوى قرا له المعانى رق * من صبح جبينه أضاء الشرق
تدرى بالله ما يقول البرق * ما بـين ثناياه و بـينى فـرق

(وقال أيضا) أهوى رشا كل الاسى لى بعثا * مذ غاب عنه تصبرى ما لبثا
ناديت وقد فكرت فى خلقته * سبحانك ما خلقت هذا عبثا

(وقال أيضا) عرج بطويلع فـلى ثم هوى * واذكر خبر الغرام واسنده الى
وافصص قصصى عليهم وابك على * قل مات ولم يحظ من الوصل بشى

(وقال أيضا) روحى لك يا زائر الليل فدا * يا مؤنس وحدتى اذا الليل هدا
ان كان فراقنا مع الصبح بدا * لا أسفر بعد ذاك صبح أبدا

(وقال آخر) يا شمس ضحى جبينه وضاح * ساعات وصالك كلها أفـراح
عشاقك لو نعلت ما شئت بهم * ماتوا كمدا و بالهوى ما باحوا

(وقال آخر) أهواه مهفهفا ثقيـل الردف * كالبدر يجل حسنه عن وصف
ما أحسن واوصدغه حين بدت * يارب عسى تكون واو العطف

(وقال التلعفرى) قلبى ذهبت لبعدكم راحته * ما الصبر على بعادكم عادته
بنتم فـرقى لما به شامتـه * لا كان فراقكم ولا ساعته

(وقال المنشد) احسانك طول الدهر لا أنساه * لا أذكر بعد خالقى الاهو
ان أبعدك الزمان عنى حسدا * مولاى خليفتى عليك الله

(وقال آخر) ان جئت ربا الحمى ولاحت نجد * فاذكر ولهى وما جناه البعد
قد كنت أقاسى الصد حتى رحلوا * يا ليتهم عادوا وعاد الصد

فصل فى الفن الرابع وهو الزجل

(زجل للغبارى) قل لغزلان وادى مصر والشام يقصروا اذا النفار
لهم اجعل حشاشتى مرعى وفـؤادى قفار

(دور) مصر والشام فيهما ملاح أقمار بالمحاسن تسود
دا أبيض وذا أحمـر وذا مليح أسمر له عيون نجل سود   وذا غزال صار يفوق على الغزلان و يصيد الاسود
وذا غصـن بان أهيف قوام قدو قد الاغصان جهار   وذا بدر الكمل قد ظهـر فى الليـل وذا شمس النهار

(دور) تدر بالله ايش قالت ملاح الشام بعد ذاك الصدود
قد سمينا بصحة الابدان واعتـدال القدود   وتخضب تفاحنا الاحمر فوق بياض الخدود
وأنتم يا عشاق اكم قلنا والحسـود راح بنار   أنتم التفاح وما نقصـد منكم الا الخيار

(دور) وملاح مصر قالت احنا أصحاب الوجوه الملاح
والحلاوة وطيبـة الاخـلاق فى الخلائق مباح   احنا أقمار واحنا بدور الليل وشموس الصباح
وفى الالفاظ والظرف والمعنى ليس لنا حد صار   وورثنا الحسن من يوسف وا كتسبنا الفخار

(دور) حسن حبى الفرار جى فرخه بدر فى السعد لاح
فرخ ناجب خرج من القشره فاق ملاح الملاح   كلما أعمل على رضاه يفسـد بجفاه الصلاح
ومن البيضـة قد خرج نافر رد جفـنى بنار   وجفانى وخد بياض جسمى خلطوا بالصفار

(دور) * وقع الطل خط بالابيض فى اخضرار الطروس
قم يا ساقى عـلى بساط زهـرى تحت ظل الغروس   هاتها شمس راح شمول فـرقف بكر عذراء عروس
عروس طاصفو النسيم ولطف الما وابتهاج الثـمار   قد جلوها فى كاس زجاج أبيض فا كتسى باحمرار

(دور) خرفيه سر لو جعل أشياف رد الاعمى بصير
اقطع القطف أسود كما كى الليل شفق أحمر بصير   ياترى ذا السر فى كرمه أو يكون فى العصير

منها فالتفت الى بعض جواريه فقال لها من هـذه فقالت يا مولاى هـذه زوجة غلامك فيروز قال فنزل الملك وقد خامره حبها وشغف بها فاستدعى بفيروز وقال له خذ هذا الكتاب وامض به الى البلد الفلانية وائتنى بالجواب فأخذ فيروز الكتاب وتوجه الى منزله فوضع الكتاب تحت رأسه فلما أصبح ودع أهله وسار طالبا لحاجة الملك ولم يعلم بما قد دبره الملك فانه لما توجه فيروز قام مسرعا وتوجه مختفيا الى دار فيروز فقرع الباب قرعا خفيفا فقالت امرأة فيروز من بالباب قال أنا الملك سيد زوجك ففتحت له فدخل و جلس فقالت له أرى مولانا اليوم عندنا فقال جئت زائرا فقالت أعوذ بالله من هذه الزيارة وما أظن فيها خيرة فقال لها ويحك انى أنا الملك سيد زوجك وما أظنك عرفتنى فقالت يا مولاى لقد علمت أنك الملك ولكن سبقتك الاوائل فى قولهم

سأترك ماءكم من غير ورد
وذاك لكثرة الوارد فيـه
اذا سقط الذباب على طعام
رفعت يدى ونفسى تشتهيه
وتجتنب الاسود ورود ماء
اذا كان الكلاب ولغن فيه
ويرتجع الكريم خميص بطن
ولا يرضى مساهمة السفيه

وما أحسن يا مولاى قول الشاعر

قل للذى شفه الغرام بنا
وصاحب الغدر غير مصحوب
والله لا قال قائل أبدا
قد أكل الليث فضلة الذيب

ثم قالت أيها الملك تأتى الى موضع شرب كلبك تشرب منه فاستحى الملك من كلامها وخرج وتركها فنسى نعله فى الدار هذا ما كان من الملك وأما فيروز فانه لما خرج وسار تفقد الكتاب فلم يجده معه فى رأسه فتذكر أنه نسيه تحت فراشه فرجع الى داره فوافق وصوله عقب

وترى النور داعليه يلمع ذاك من ابش استنار   وكذا الكاس يحاكى ياميرمن كساه جلنار
(دور)   فهو عطار عندو شراب هندى   وبرانى جفاء
كل من مض من لسانور يقو يلتقى فيه شفاه   ورد خدو وحبتو سواد شبه خال فى صفاء
حبل آس عارضو أسرقلبي والكبار والصغار   فى المحاغار وا على حسنو وكل من حب غار
(دور)   دوّرونى الملاح على كعبي   ونصوا نصوص
بلادعوى التف اف البسير فى هواهم خصوص   وعليا صار نقشهم قاعد مثل نقش الفصوص
والبساط انطوى وحين ماراوا خلف له همه ولو اصطبار   قرونى فى عشق هذا القمر والمحبة قمار
(دور)   لحبيبي ثغر من جوهر   والشفيفات عقيق
وعوارض ماضرهم عارض غير نبات الشقيق   وخدودورد من غير غش ووصفنا عن حقيق
يحرس الورد خال عنبر تحت أهداب غزار   فى صفا وجهوأنزه طرف عند خلع العذار
(دور)   فى رياض صفوف من الازهار   قابلتها صفوف
كيف لا ترقص والنسيم اموصول وورقها دفوف   واعجب من النهر اذا صفق لومن الموج كفوف
والغيوم نقطت وحين جا النسيم طار على مطار   باختلاف الالحان يهز فى الروض صاح على عود وطار
(دور)   أشرف الخلق بين الاسلام   والهدى والضلال
والشرايع والحق والباطل والحرام والحلال   نبي من بين أصابعه تحقيق نبع الماء الزلال
ولو أن النبات جميعه أقلام والمداد البحار   والخلائق تكتب مديحو تاه كل كاتب وحار
(دور)   خالف استاذ فى الفن ما ينطاق   ذاق عداه المنون
ما يعيبو فى الفن غير ناقص عقل زايد جنون   شيخ مصدر لبيب قيم فى جميع الفنون
باتضاع مع الصغار مرفوع فوق روس الكبار   وأهل الفنون تجرى وما تلحق لاغبارى غبار

(غيره لناصر الغيطى)

كنز روضى طالبو يسعد يا خليع قم فى دجى الاسحار   تلتقى در الندى يرهج فوق فصوص غرائب النوار
(دور)   كنز روضى نزهة الطالب   جوهر وبين الندى يرهج
ولجين الماء يتكسر باخليع هيا تعا تفرج   بين عنابر تلتقى فى الخلع كل أحد مع إلفو يدرج
وامش فى عرض الرياض وارتع بين أغصان وما واطيار   فوق بساط زمردوقضبان كل وردة حكت لغادينار
(دور)   وترى الياسمين بحال فضه   ضربت لاهل النزه صلبان
والشحار يلابسين أسود وقلانس كنهم رهبان   وكذا السكان وهو اصفر بعد ما تهزرق للناس بان
والنجات بين القسوس فى الحان وعلينا دارها الخمار   والقطيع الراهبي يحكى اشماس لابس الزنار
(دور)   الفراق نار والوصال جنه   والخلائق بعضهم يعشق
داحبيب قلبو عليه راضى وداحبوبو عليه يشفق   ولهيب الهجر يتوقد والوصال من الملاح يشتق
والمليح عندى وأنا طمن وسط روض ازهرها معطار   فى نعيم مع حور ومع ولدان والعذول مسكين صبح فى نار
(دور)   وعل فى الروض سماع باكر   بين الأغصان والزهور أنغام
والنسيم شبب والغدير صفق والخليع من كتر وجدوهام   والنخيل باكامها ترقص واقبل الريحان بحال أعجام
والعصافير شيخهم زيق لوطريق بين الازاهر طار   والبلبل بالغناء يشجى فكأنو ناى أو مزمار
(دور ناصر الغيطى)   يا أخلايا صحبت انسان   أنكر الصحبه وعادانى
و بغضنى حين بقيت مسمى والاله بالفضل أسمانى   فى بلاد قبلى وأرض الشام يشكرونى ساير أقرانى
والشجيع الشاطر المذكور فى جميع الارض لو تذكار   والبلط يوقع لوتعلق مايحصل شئ مع الشطار
(للغبارى)   جارحبيبي فقلت ذا الحجاج   جا يجور أو يزيد
لوعدل عشت بو مسرور   ويكون الرشيد
(دور)   اقلم القلب فى هوى العشاق   والدموع فى انحدار

خروج الملك من داره فوجد نعل الملك فى الدار فطاش عقله وعلم أن الملك لم يرسله فى هذه السفرة الا لامر يفعله فسكت ولم يبد كلاما وأخذ الكتاب وسار الى حاجة الملك فقضاها ثم عاد اليه فانعم عليه بمائة دينار فمضى فيروز الى زوجته فسلم عليها وقال لها قومى الى زيارة بيت أبيك قالت وماذاك قال ان الملك أنعم علينا وأريد أن تظهرى لاهلك ذلك قالت حبا وكرامة ثم قامت من ساعتها الى بيت أبيها ففرحوا بها وبما جاءت به معها فأقامت عند أهلها مدة أشهر فلم يذكرها زوجها ولا ألم بها فأتى اليه أخوها وقال له يافيروز اما أن تخبرنا بسبب غضبك واما أن تحاكما الى الملك فقال ان شئتم الحكم فافعلوا فما تركت لها على حقا فطلبوه الى الحكم فاتى معهم وكان القاضى اذذاك عند الملك جالسا الى جانبه فقال أخو الصبية أيد الله مولانا قاضى القضاة انى أجرت هذا الغلام بستانا سالم الحيطان ببئر ماء معين عامرة وأشجار مثمرة فأكل ثمرة وهدم حيطانه وأخرب بئره فالتفت القاضى الى فيروز وقال له ماتقول ياغلام فقال فيروز أيها القاضى قد استلمت هذا البستان وسلمته اليه أحسن ما كان فقال القاضى هل سلم اليك البستان كما كان قال نعم ولكن أريد منه السبب لرده قال القاضى ماقولك قال والله يامولاى مارددت البستان كراهية فيه وانما جئت يوما من الايام فوجدت فيه أثر الأسد فخفت أن يغتالنى فحرمت دخول البستان اكراما للاسد قال وكان الملك متكئا فاستوى جالسا وقال يافيروز ارجع الى بستانك آمنا مطمئنا فوالله ان الأسد دخل البستان ولم يؤثر فيه أثرا ولا التمس

و بحو رالهوى اذاهاجت ليس لهامن قرار كنت أحسب قلبي معو ريس فـرتودى البحار
صحت لمارحلت يامحبوب بحر عشقك يزيد خفت فيه الغرق فقال افرح من غرق مات شهيد
(دور) أنا يوم في الغبوق باتفرج على شط الغدير
اذ رأيت عالشط واحدواقف شب صياد صغير نظرت مقلتي الى منظر ما لحسنو نظير
قلت ياعين ان غرك الصياد بالجمال المصيد يوقعك في فخاخ شباك عشقو وكراكي يصيد
(دور) من محبوجد بحبيب قلبي يوم صدفتو صدف
قلت لين ياقاسي لمن دمعو سال وحالو وقف دار وقال لي ما الاسم ياعليل قلت اسمي خلف
قال علينا يكتب ومن يسمع ذا الكلام يستفيد في الحقيقة من لا يكون داود ما يلين لو الحديد
(دور) لك عوارض في الخد مرقومه ليس لهامن مثال
وجفاك صار حاق و باب وصلك كانو كان ياغزال وأنت دوبيت موشح القاما ياعزيز الدلال
ولك ألفاظ صارت مواليا بالزجل والنشيد و بشعرك متوج القاما وأنت بيت القصيد
(دور) عن محرم شرابنا صفنا ونفطر بالثمار
حين وجدنا سفرجل البستان يذهب الاصفرار وغنا الطير به الجاد يطرب وكذا الجلنار
في ربيع حين رأى الثمر قاعد فيه تعاليق عقيد حسب الروض النص من شعبان صار يقيد فيه وقيد
(دور) من لهيب مدمعي جرى الطوفان للهيب ماطفى
وانا هو الغباري في العشاق ماجرى لي كفى حين علي بالصدو الهجران والبعاد والجفا
جار حبيبي فقلت ذا الحجاج جاير او يزيد لو عدل عشت بو مسرور ويكون الرشيد
(غيره) حين سكنت القلب ياعيسى أمسي من بعدك الحزين فرحان
وتقدس بك ولكنو ماجرت فيه يا ابن عين سلوان
(دور) عارضو لماعشق خدو غرت من وجدي بقيت حاير
جيت الى طرفو وناديت لو أحرسو وكون عليه ناظر بعد حين نظرت في خدو النقي العارض وهو داير
وعليه قد دب بالسرقة جيت اطرفو قلت يا كسلان هكذا في عادة الحراس قال لي اعذرني أنا نعسان
(دور) بدر شعبان منيتي لما في بروج السعد لاح نجمو
قلت لو قضى بفيض دمعي اطلقوا اجراه على رسمو قلت لو دام الله اطلاقك فالحزين قلبو المشوم قسمو
ايش قد أذنب حين قطرتو داعغلط قول بالبهتان
قال لي صوم عن الوصال ناديت ليش أصوم يابدر في شعبان
(دور) حين تدبج احمرار خدو باخضرار العارض أسباني
ضحك فابيض وابتسم واسود اد شعرو أبكاني وحين أضحيت باصفرار لوني أشعث أغبر في هواه عاني
قال لي لونك قد صبح حايل وقد أبصر مدمعي طوفان ذقت تبريح الغرام ناديت في هواك ذقت الهوان ألوان
(دور) قلت لو حين عني تخلف الله كن يارشيد مهدي
قد تلون دمعي من بعدك ويجري اليوم على خدي دار انسان مقلتي قال لو أنت ما عندك نظر بعدي
ماترى ما قد جرى منك على الخدود قال لو أيا فتان جرى الماء تحت من بعدك راقب الله فينا ياانسان
(دور) ذا الغزال النافر الانسي للغزالة قد أعار النور
كسر قلبي كسير جفنو فاعجبوا الكاسر المكسور وبخمر الدن قد عربد وادعى أني أنا المخمور
وابتسم لي عن نقا ثغرو وخطر والبشر فيا بان صحت ياقلبي صفا وردك أنت ما بين النقا والبان
(للصفي الحلي) أنت ياقبلة الكرام زينة المال والبنين
الله يعطيك فوق ذا المقام و يعيدك على السنين
(دور) أنت شاما بين الانام الله يحرس شمايلك
ويزيدك بالدوام كي نعيش في فواضلك ماينطوي ذكر الكرام لما تنشر فضايلك

منثورقا ولا تغرا ولا شيأ ولم يلبث فيه غير لحظة يسيرة وخرج من غير بأس و والله ما رأيت مثل بستانك ولا أشد احترازا من حيطانه على شجره قال فرجع غير و زالي داره ورد زوجته ولم يعلم القاضي ولا غيره بشيء من ذلك اه (وحكى) ان الحجاج سأل يوما الغضبان بن القبعثرى عن مسائل يمتحنه فيها من جملتها أن قال له من أكرم الناس قال أفقههم في الدين وأصدقهم لليمين وأبذلهم للمسلمين وأكرمهم للمهانين وأطعمهم للمساكين قال فمن ألأم الناس قال المعطي على الهوان المقتر على الاخوان الكثير الألوان قال فمن شر الناس قال أطولهم جفوة وأدومهم صبوة وأكثرهم خلوة وأشدهم قسوة قال فمن أشجع الناس قال أضربهم بالسيف وأقراهم للضيف وأتركهم للحيف قال فمن أجبن الناس قال المتأخر عن الصفوف المنقبض عن الزحوف المرتعش عند الوقوف المحب ظلال السقوف الكاره لضرب السيوف قال فمن أثقل الناس قال المتفنن في الملام الضنين بالسلام المهذار في الكلام المقبقب على الطعام قال فمن خير الناس قال أكثرهم احسانا وأقومهم ميزانا وأدومهم غفرانا وأوسعهم ميدانا قال لله أبوك فكيف يعرف الرجل الغريب أحسيب هو أم غير حسيب قال أصلح الله الأمير ان الرجل الحسيب يدلك أدبه وعقله وشمائله وعزة نفسه وكثرة احتماله وبشاشته وحسن مداراته على أصله فالعاقل البصير بالاحساب يعرف شمائله والنذل الجاهل يجهله فمثله كمثل الدرة اذا وقعت عند من لا يعرفها ازدراها واذا نظر اليها العقلاء عرفوها وأكرموها فهي عندهم لمعرفتهم

ونهنيك لكل عام والخلائق تقول آمين   قد بقينا بك في أمان الله يحييك طول السنين

(دور) مارأينا تحت ذا الفلك من ندى كفك أعم

كل من جا يسألك ليس تقول له سوى نعم   أملك أنت أوملك ضاعف الله لك النعم

أنت في الجود كالغمام وسحابك فوق ماردين   درغيثك في انسجام عم كل السائلين

(دور) لاعدمنا كل صوم ذا السحور فيك والهنا

كل ليلة وكل يوم ينشر الذكر والثنا   الله يحييك من خير قوم بالغ القصد والمنى

(دور) حتى تقضي ذا الصيام ويليه باقي السنين   وتعيش ياذا الهمام بين ولدان وعين

(غيره) خال عبد الرحيم نقطة حبر من غير قاف ولام وميم   ثغر معشوق الفتان نون وعين وميم

شال السعد فوق راسو عين ولام وميم   دا اللي قد هواه قلبي صاد وبا ويا

مليح مارأيت مثله ظا وبا ويا   ما أحلاه عند ما يلبس قاف وبا ويا

ذقت من صدود حبي غين وصاد وصاد   لما رأيت صبري نون وقاف وصاد

النوم من جفون عيني خا ولام وصاد   وأصبحت وجود فكري عين ودال وميم

قلت يوم أن كان لي سين ونون ودال   اعدل في الذي صبرو نون وفا ودال

ولا تهجر العشاق با وعين ودال   ما أفلح قط ياناس من ظا ولام وميم

(حل في الألغاز)

(المطلع في العين)

وما طير أكلوا لحم يا كرام * وجوهر حبابه يفسد اهل الصلاح

واس الحر يرذويه وريش النعام * يصول بين جناحين سود كبيض الصفاح

(دور في السراج) وما جرماه وما في الليل يزيد * وينقص ولا هو خوض ولا هو غريق

وفيه شيء صفات حيه بلا وكرا ستفيد * لها جوهره في فهايا رفيق

بلا شك ينظره القريب والبعيد * ويخفى ويظهر كل يوم عن حقيق

يغيب في النهار لكن اذا جا الظلام * تشوفو يضي بين الوجوه الصباح

ويسهر بحال عاشق حليف الغرام * قتيل الهوى بين الربا والبطاح

(دور في جوزة الكنافة)

وماهي التي تركب على ستين ألف * وما مثل ذاك فسر لنا يا خبير * مليحه قصيفه وتلبس ترف

وتعمل وتوضع كل يوم في السعير * لها عشرة أعوان حالهم مختلف * يشيلوا أودها الكبير والصغير

لها الكل يخدموا عليه السلام * يعادى سراها في المجي والرواح

وأكثر تعبها في ليالي الصيام * وذا اللغز قلته ومن غير مزاح

(دور في الغربال)

وما هو الذي ياسعد كله عيون * ولا يعتلم ضو الظلام والضيا

وهو بين خشب مصلوب لتلك الفتون * وميت وهو يحيي أصول الحيا

اذا غاب عن أهله فرد يوم مايهون * ولا حد يعوض موضعه لو عيا

وكم من رقيص في صنعته باهتمام * مكابد يحاجه في المسا والصباح

ويحتاج له الناس كل يوم في الدوام * على شان فنونه دول فنون ملاح

(الفن الخامس في المواليا وله وزن واحد وأربع قوافي فن تلك الاربعة واحدة (لصفي الدين الحلي)

يا طاعن الخيل والابطال قد غارت * والخصب الربع والامواه قد غارت

هواطل السحب من كفيك قد غارت * والشهب مذ شاهدت أضواك قد غارت

(وقال أيضا) سل مقاتيك الكحايل عن سلاسلها * ومر شفيك من رشف منها سلاسلها

وعارضيك التي مدت سلاسلها * كم من أسود ضواري في سلاسلها

بها حسنة عظيمة فقال الحجاج لله أبوك فمن العاقل والجاهل قال أصلح الله الامير العاقل الذي لا يتكلم هذرا ولا ينظر شزرا ولا يضمر غدرا ولا يطلب عذرا والجاهل هو المهذار في كلامه المنان بطعامه الضنين بسلامه المتطاول على امامه الفاحش على غلامه قال لله أبوك فمن الحازم الكيس قال المقبل على شأنه التارك لما لا يعنيه قال فمن العاجز قال المعجب بآرائه الملتفت الى ورائه قال هل عندك من النساء خبر قال أصلح الله الامير اني بشأنهن خبير ان شاء الله ان النساء من أمهات الاولاد بمنزلة الاضلاع ان عدلتها انكسرت ولهن جوهر لا يصلح الا على المداراة فمن داراهن انتفع بهن وقرت عينه ومن شاورهن كدرن عيشته وتكدرت عليه حياته وتنغصت لذاته فأكرمهن أعفهن وأفخر أحسابهن العفة فاذا زلن عنها فهن أنتن من الجيفة فقال له الحجاج ياغضبان اني موجهك الى ابن الاشعث وافدا فماذا أنت قائل له قال أصلح الله الامير أقول ما يرديه ويؤذيه ويضنيه فقال اني أظنك لا تقول له ما قلت وكأني بصوت خلاخلك يجلجل في قصري هذا قال كلا أصلح الله الامير سأحدد له لساني وأجريه في ميداني فعند ذلك أمره بالمسير الى كرمان فلما توجه الى ابن الاشعث وهو على كرمان بعث الحجاج عينا عليه أي جاسوسا وكان يفعل ذلك مع جميع رسله فلما قدم الغضبان على ابن الاشعث قال له ان الحجاج قد هم بخلعك وعزلك فخذ حذرك وتغد به قبل أن يتعشى بك فأخذ حذره عند ذلك ثم أمر للغضبان بجائزة سنية وخلع فاخرة فأخذها وانصرف راجعا فأتى الى رملة كرمان في شدة الحر والقيظ وهي رملة شديدة الرمضاء

(وقال آخر) قدأوعدونا الغضابا أننا نخلو * فى ظل بستان حافف بالثمر نخلو
والطل من فوقنا قد بلنا نخلو * ومن كلام الأعادى قط ما نخلو

(وقال آخر) قسماو بالله مفرقها وجامعها * ومن أمرنا بسجدها وجامعها
لوحل مع بغيتى عابدو جامعها * كان افتتن فى محاسنها وجامعها

(ومن اثنين واثنين قال آخر)
قوم اسقنى ما تبقى فى أباريقو * أما ترى الصبح قدلاحت أباريقو
مع شادن كلما دارت شقاريقو * سقى المداما وان عزت سقى ريقو

(وقال) البارحه ريت بعينى فى الدجاجيين * اثنين مثل البدوره فى الدجى جبين
ناديتهم فين كنتم يا خفاجيين * قالوا الى قد وعدنا فى الخفاجيين

(وقال) قدزدت هجرك فخذ بالعفو عن صبك * وارحم خضوعى وخف فى قتلتى ربك
يكفيك تهجر تكدر قلب من حبك * ما ظن فى الناس أقسى قلب من قلبك

(غيره خمرى عاطل)
كاس الطلا اطلاها طال لامر * وصار لماحوى خمرا كال در
مدام لوطعم كاه حلوماهو مر * ماحل عملوك الاصار مالك حر

(غيره حربى) لك يا امام الوفا فى كل موقع حرب * سماع يطرب له السامع و ينفى الكرب
هذا ولك كلما دارت رحاة الحرب * سيوف تفنى وكفك لايمل الضرب

(الصفى الحلى فى المدح)
أغنت وأفنت كفوفك فى الندى والحرب * فى القرب والبعد من فى شرقها والغرب
وفيض جودك وسيفك بالعطا والضرب * ذا الكرب فرج وهذا قد رمى فى الكرب

(وقال أيضا) من قال جودة كفوفك والحيا مثلين * أخطا القياس وفى قوله جمع ضدين
ما جدت الا وثغرك مبتسم يا زين * وذاك ما جاد الا وهو باكى العين

﴿وقال فى التهنئة﴾
رأيت ذا العيد أول يوم فى عصرك * وريت ذا اليوم مع ذا الشهر فى نصرك
وريت ذا الشهر مع ذا العام طوع أمرك * والكل بالكل أول مبتدا عمرك

(فى المعاتبة) عنى تسليت وأسياف الجفا سليت * ومذ توليت عن طرق الوفا وليت
لما تمليت بالاعمال لى مليت * اذا تخليت تعرف قدر من خليت

(وقال أيضا) ياقلب ان غدروا فاغدر وان خانوا * نحن وان هم قسوا فاقسو وان لانوا
فلن وان قربوا فاقرب وان بانوا * فبن وكن لى معاهم كيفما كانوا

(وقال آخر) حالف عليا حكاره أن يقاطعنى * وصدعنى واقسم ما يطاوعنى
كم ذا يصد وكم يرجع يصدعنى * ان كنت أنا المطاق لا يراجعنى

﴿(وقال آخر هجوا)﴾
قطع قفا ابن اخت خالك وابن اخو عمك * والحق يصفع أبو بنتك أو ابن أمك
وان تكلمت تصفع بل يسيل دمك * وان كنت تسكت يبول الكلب فى فمك

(وقال آخر) ان ردت تسلم بطول الدهر ما تبرح * لا تيأسن ولا تقنط ولا تفرح
واستعمل الصبر لا تحزن ولا تفرح * وان ضاق صدرك ففكر فى ألم نشرح

(وقال آخر) ان كنت عاقل ورب بالتقى برك * ادفع أذاك وهات خيرك ودع شرك
وان تعدى حسودك والحسد ضرك * ناديه يا أيها الانسان ما غرك

(وقال آخر) ياقلب ان خانك المحبوب لا تدبر * عنو وعن قصة السلوان لا تخبر
واستعمل الصبردا ثم للمدا تقهر * فان والله ما خاب الذى يصبر

فضرب قبته فيها وحط عن رواحله فبينما هو كذلك اذا باعرابى من بنى بكر بن وائل قد أقبل على بعير قاصدا نحوه وقد اشتد الحر وحميت الغزالة وقت الظهيرة وقد ظمئ ظمأ شديدا فقال السلام عليك ورحمة الله و بركاته فقال الغضبان هذه سنة وردها فريضة فاز قائلها وخسر تاركها ما حاجتك يا أعرابى قال أصابتنى الرمضاء وشدة الحر والظمأ فتيممت قبتك أرجو بركتها قال الغضبان فهلا تيممت قبة أكبر من هذه وأعظم قال أيتهن تعنى قال قبة الامير بن الاشعث قال تلك لا يوصل اليها قال ان هذه أمنع منها فقال الاعرابى ما اسمك يا عبد الله قال آخذ فقال وما تعطى قال أكره أن يكون لى اسمان قال بالله من أين أنت قال من الارض قال فاين تريد قال أمشى فى مناكبها فقال الاعرابى وهو يرفع رجلا ويضع أخرى من شدة الحر أتقرض الشعر قال انما يقرض الشعر الفار فقال أفتسجع قال انما تسجع الحمامة فقال يا هذا ائذن لى أن أدخل قبتك قال خلفك أوسع لك فقال قد أحرقتنى الشمس قال مالى عليها من سلطان فقال الرمضاء أحرقت قدمى قال بل عليها تبرد فقال انى لا أريد طعامك ولا شرابك قال لا تتعرض لما لا تصل اليه ولو طلعت روحك فقال الاعرابى سبحان الله قال نعم من قبل أن تطلع أضراسك فقال الاعرابى ما رأيت رجلا أقسى منك أتيتك مستغيثا فحجبتنى وطردتنى هلا أدخلتنى قبتك وطارحتنى القريض قال مالى بمحادثتك من حاجة فقال الاعرابى بالله ما اسمك ومن أنت فقال أنا الغضبان ابن القبعثرى فقال اسمان منكران خلقا من غضب قال قف متوكئا على باب قبتى

﴿الفن السادس كان وكان﴾ له وزن واحد وقافية واحدة ولكن الشطر الاول من البيت أطول من الثانى فمنه هذه الوعظيات

ياقاسى القلب مالك تسمع وماعندك خبر ومن حرارة وعظى قدلانت الاحجار
أفنيت مالك وحالك فى كل مالا ينفعك ليتك على ذى الحاله تقلع عن الاصرار
تحضر ولكن قلبك غايب وذهنك مشتغل فكيف يامخالف تحسب من الحضار
ويحك تنبه فتى وافهم مقالى واستمع ففى المجالس محاسن تحجب عن الابصار
يحصى دقائق فعلك وغمز لحظك يعلمه وكيف تعزب عنه غوامض الاسرار
تلوت قولى ونصحى لمن تدبر واستمع مافى النصيحه فضيحه كلاولا انكار

﴿وقال أيضا﴾

صرح بذكر المحبه مافى المعمى فائده وقل نعم أنا عاشق صادق بلا تمويه
ودع حديث العواذل ليس الخبر مثل النظر أنا عاشق لحبيب كل المعانى فيه
من أين للبدر حسن يحكيه أوشمس الضحى حاشالذاك المحيا من مشبه يحكيه
ان غبت فهو أنيسى وان حضرت نديمى وان شربت مدامى فالكاس هو ساقيه
فنفسه روحى وراحى اذا سكرت وراحتى وفيه عزى وذلى بمهجتى أفديه
قولوا لمن يلحانى فى الحب قصر واعتبر هذا الذى قدعشقته قد حار وصفى فيه

(الصفى الحلى)

شاهدت فى الليل طيرى وقت حتى انصب شركى ما كل صيد يحصل يفرح الصياد
طيرى الذى كان آلفى لوردت مثله ماحصل وهو على معود وأنا عليه معتاد
قد كان شرطى وخلفى لبرج غيرى ماعرف كاننا فى الصحبه جيناعلى ميعاد
من قبل ماأبصبص له يجى ويدخل قصورى وأنا أرصده فى مطاره خائف عليه ينصاد

(وقال آخر)

ماذقت عمرى جرعه أمر من طعم الهوى الله يصبر قلبى على الذى يهواه
الناس تعلم منى حال الجلاده والقوى وما أطيق التجلد على أليم جفاه
لى حب مثل الخوخه لولون وطعم وريحه ماأكثر مغا بن حبيبى وماأقل وفاه
أنا عرفته وحظى وكل ماأحسن لو يسى لو كنت أعشق ظلى ما كنت قط أراه

(وله فى الفراقيات)

ياسادة هجرونى وهم نزول بخاطرى لاأوحش الله منكم فى سائر الأوقات
أوحشتم العين منى وأنستم فى خاطرى والقلب فى النور منكم والعين فى ظلمات
قد انتهى الصبر منى ومابقى فيارمق هيهات انى أحيا من بعدكم هيهات
لم يبق غير خيالى يلوح كالشبح الخفى أعد بين الاحيا وأنا مع الاموات
ودعتمونى وسرتم والقلب يتبع ركبكم ايش ضر لوكان جسمى من جملة التبعات
مامر مارأيت ضدى يقول لى من فرحته هنا تشق المرابر وتسكب العبرات
لولم أسل روحى وأرض نفسى بالمنى لكان قلبى تقطع من بعدكم حسرات
وقفت لمارحلتم حيران بين أظعانكم أخفض جناح المذله وأرفع الاصوات
طول الليالى أساهر كنى أريد الكيميا أقطع الدمع منى وأصعد الزفرات
ماأطول ليالى جفا كم ساعاتها مثل السنه وما أقصر أيام وصلى كأنها ساعات
مالى أرى حسناتى بالسيآت تبدلت وسيآت الاعادى ابدلت حسنات
خالفتمونى وعمرى مازلت أتبع أمركم كذا العبيد تتابع أوامر السادات
أسكت وأصبر عنكم ويفعل الله مايشا والدهر من عاداته يقلب الحالات

ترجلك هذه العوجاء فقال قطعها الله ان لم تكن خيرا من رجلك هذه الشنعاء فقال الغضبان لو كنت حاكما لجرت فى حكومتك لان رجلى فى الظل قاعدة ورجلك فى الرمضاء قائمة فقال الاعرابى انى لاظنك حروريا قال اللهم اجعلنى عن يتحرى الخير ويريده فقال انى لاظن عنصرك فاسدا قال ماأقدرنى على اصلاحه فقال الاعرابى لاأرضاك الله ولا حياك ثم ولى وهو يقول

لابارك الله فى قوم تسودهم
انى أظنك والرحمن شيطانا
أتيت قبته أرجو ضيافته
فأظهر الشيخ ذو القرنين حرمانا

فلماقدم الغضبان على الحجاج وقد بلغه الجاسوس ماجرى بينه وبين ابن الاشعث وبين الاعرابى قال له الحجاج ياغضبان كيف وجدت أرض كرمان قال أصلح الله الامير أرض يابسة الجيش بها ضعاف هزلاء ان كثروا جاعوا وان قلوا ضاعوا فقال له الحجاج ألست صاحب الكلمة التى بلغتنى انك قلتها لابن الاشعث تغد بالحجاج قبل أن يتعشى بك فوالله لاحبسنك عن الوساد ولانزلنك عن الجياد ولاشهرنك فى البلاد قال الأمان أيها الأمير فوالله ماضرت من قيلت فيه ولا نفعت من قيلت له فقال له ألم أقل لك كأنى بصوت خلاخلك تجلجل فى قصرى هذا اذهبوا به الى السجن فذهبوا به فقيدوه وسجن فمكث ماشاء الله ثم ان الحجاج ابتنى الخضراء بواسط فأعجب بها فقال لمن حوله كيف ترون قبتى هذه وبناءها فقالوا أيها الأمير انها حصينة مباركة منيعة نضرة بهجة قليل عيبها كثير خيرها قال لم لم تخبرونى بنصح قالوا لا يصفها لك الا الغضبان فبعث الى الغضبان فاحضره وقال كيف ترى قبتى هذه وبناءها قال أصلح الله الامير

﴿الفن السابع من القوما﴾ قيل أول من اخترعه ابن نقطة برسم الخليفة الناصر والصحيح أنه مخترع من قبله وكان الناصر يطرب له وكان لابن نقطة ولد صغير ماهر في نظم القوما فلما مات أبوه أراد أن يعرف الخليفة بموت أبيه ليجريه على مفروضه فتعذر عليه ذلك فصبر الى دخول شهر رمضان ثم أخذ أتباع والده من المسحرين ووقف أول ليلة من الشهر تحت الطيارة وغنى القوما بصوت رقيق فأصغى الخليفة اليه وطرب له فكان أول ما قاله قوله

ياسيد السادات * لك بالكرم عادات أنا بني ابن نقطة * تعيش أبويامات

فأعجب الخليفة منه هذا الاختصار فاستحضره وخلع عليه وفرض له ضعفي ما كان لأبيه

(ومنه اللصفي الحلي)

من كان يهوى البدور * ووصل بيض الخدور بالبيض والصفر يسخو * وقد جلس في الصدور
من حب بيض الخدور * ورام لزوم الصدور يسمح والا فيبقى * من بينهم مهدور
كم بين يحف الخدور * من عاشق مصدور يرعى الكواكب لعلو * يرى جمال البدور
بين الحلل والخدور * وجوه مثل البدور اشراقها في المعاجز * وغربها في الصدور
قد كنت فوق الصدور * بين الظبا والبدور فسرت أحسد من أبصر * خيامهم والخدور
نوائب المقدور * مثل الكواكب تدور من بعد طيب الخواطر * يقضي بضيق الصدور
غيري يلازم الصدور * وانا عليكم أدور وأصطلي الصد وانا * من بينهم مهدور

(وقال أيضا)

حال الهوى مجبور * يريد جلد صبور يصون سره والا * يبقى من اهل القبور
من كان هواه مستور * يحظى برفع الستور ومن هتك سره بو * يمحى من الدستور
ابذل لبيض النحور * أموال مثل البحور ان ردت تملك وتظفر * بولدانهم والحور
قم وابذل المذخور * وفي العطا لا تجور تريد هذي المحبه * قلوب مثل الصخور
كم حول تلك الخدور * من عاشق مغدور مثل الدواليب تجري * دموعها وتدور
من يركب المحذور * هو في الهوى معذور يظفر بحبه ويبلغ * قصده ويوفي النذور
كن بالهوى مسرور * ولا تبيت مغرور واجعل تراب اعتابهم * لأجفان عينك ذرور
طرق المحبه وعور * كم بينها مذعور من فتك بيض السوالف * على سواد الشعور
كم عاشق مذعور * في حب بيض الثغور يغار قلبه ولكن * مدامعه ما تغور
كم بينهم يعفور * كالظبي آنس نفور من أهل بدر فديته * ايش ما عمل مغفور

(ومن ذلك) ما نظمه بعضهم ليسحر بعض الخلفاء في رمضان

لازال سعدك جديد * دائم وجدك سعيد ولا برحت مهنى * بكل صوم وعيد
في الدهر أنت الفريد * وفي صفاتك وحيد والخلق شعر منقح * وأنت بيت القصيد
يامن جنابه شديد * ولطف رأيه سديد ومن يلاقي الشدائد * بقلب مثل الحديد
لازلت في تأييد * في الصوم والتعييد ولا برحت مهني * بكل عام جديد
نحن لذكرك نشيد * بقولنا والنشيد ونبعث أوصاف مدحك * على خيول البريد
ظلك علينا مديد * ما فوق جودك مزيد وكم غمرت بفضلك * قريبنا والبعيد
لازلت في كل عيد * تحظى بجد سعيد عمرك طويل وقدرك * وافر وظلك مديد
لازال قدرك مجيد * وظل جودك مديد ولا برحت موقى * كما يوقى الوليد
مازال برك يزيد * على أقل العبيد ومابرح جود كفك * منا كحبل الوريد
لازال برك مزيد * دائم وبأسك شديد ولا عدمناك نوالك * في صوم فطر وعيد

﴿ومما قيل في فن الحماق﴾

أنا ماعبوري الحمام * لجسمي لكي ينظف الا لدمع جاري * على الماولا يوقف

بينهما في شبر بلدك لا لك ولا لولدك لا تدوم لك ولا تسكنها وارثك ولا تبقى لك وما أنت لها بباق فقال الحجاج قد صدق الغضبان ردوه الى السجن فلما حملوه قال سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين فقال أنزلوه فلما أنزلوه قال رب أنزلني منزلا مباركا وأنت خير المنزلين فقال اضربوا به الأرض فلما ضربوا به الأرض قال منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى فقال جروه فاقبلوا يجرونه وهو يقول بسم الله مجراها ومرساها ان ربي لغفور رحيم فقال الحجاج ويلكم اتركوه فقد غلبني دهاء وخبثا ثم عفا عنه وأنعم عليه وخلى سبيله (وقيل) بينما كثير عزة مار بالطريق يوما اذا هو بعجوز عمياء على قارعة الطريق تمشي فقال لها تنحي عن الطريق فقالت له ويحك من تكون قال أنا كثير عزة قالت قبحك الله وهل مثلك يتنحى له عن الطريق قال ولم قالت ألست القائل

وما روضة بالحسن طيبة الثرى
يمج الندى جثجاثها وعرارها
باطيب من أردان عزة موهنا
اذا أوقدت بالمجمر اللدن نارها

ويحك ياهذا لو تبخر بالمجمر اللدن مثلي ومثل أمك لطاب ريحهما لا قلت مثل سيدك امرئ القيس

وكنت اذا ما جئت بالليل طارقا
وجدت بها طيبا وان لم تطيب

فقطعته ولم يرد جوابا (حكى عبد الله بن المبارك رحمه الله تعالى) قال خرجت حاجا الى بيت الله الحرام وزيارة نبيه عليه الصلاة والسلام فبينما أنا في الطريق اذا أنا بسواد على الطريق فتميزت ذلك فاذا هي عجوز عليها درع من صوف وخمار من صوف فقلت السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقالت سلام قولا من رب رحيم قال

وديك الجارى تجرى * ودمعى يسابقها
تقول الانام فى الحمام * له أحباب فارقها

(وقال آخر) نرى كل من نعشقه * علينا يقيم أنفه
فاسلاه واترك هواه * وسد الطريق خلفه

وان زاد علىّ عشقه * وزادنى الهوى والذل
تركته ولو كان حبى * لأهل القبور الكل

وقد انتهى الكلام فيما أشرت اليه من الفنون السبعة وذكرت منها ما تبتهج به النفوس وتقر به العيون واختصرت ذلك الى الغاية فجاء بتوفيق الله فى الحسن نهاية وأسأل الله التوفيق بمنه وكرمه والمزيد من بره ونعمه وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الثالث والسبعون فى ذكر النساء وصفاتهن ونكاحهن وطلاقهن وما يحمد ويذم من عشرتهن وفيه فصول)

(الفصل الأول فى النكاح وفضله والترغيب فيه) قال الله تعالى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع الآية وقال تعالى وأنكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم وقال تعالى ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء أو أكننتم فى أنفسكم الآية وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم استوصوا بالنساء خيرا فانهن عوار عندكم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوجوا الودود الولود فانى مكاثر بكم الامم يوم القيامة وقال صلى الله عليه وسلم سوداء ولود خير من حسناء عقيم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن النساء بركة أحسنهن وجها وأرخصهن مهرا فينبغى للرجل اذا أراد أن يتزوج أن يرغب فى ذات الدين وأن يختار الشرف والحسب كما حكى أن نوح بن مريم قاضى مرو أراد أن يزوج ابنته فاستشار جاراله مجوسيا فقال سبحان الله الناس يستفتونك وأنت تستفتينى قال لا بد أن تشير على قال ان رئيسنا كسرى كان يختار المال ورئيس الروم قيصر كان يختار الحسب والنسب ورئيسكم محمدا كان يختار الدين فانظر أنت بايهم تقتدى وقال رجل للحسن ان لى ابنة فمن ترى ان أزوجها له قال زوجها ممن يتقى الله عز وجل فان أحبها أكرمها وان أبغضها لم يظلمها وقيل لرجل من الحكماء فلان يخطب فلانة فقال أموسر من عقل ودين فقالوا نعم قال فزوجوها اياه ويستحب أن يختار البكر لقوله صلى الله عليه وسلم عليكم بالأبكار فانهن أطيب أفواها وأنتق أرحاما وقالوا أشهى المطى مالم يركب وأحب اللآلى مالم يثقب وأنشد بعضهم

قالوا نكحت صغيرة فاجبتهم * أشهى المطى الىّ مالم يركب
كم بين حبة لؤلؤ مثقوبة * نظمت وحبة لؤلؤ لم تثقب

(فأجابته امرأة)
ان المطية لا يلذ ركوبها * حتى تذلل بالزمام وتركبا
والدر ليس بنافع أربابه * حتى يؤلف بالنظام ويثقبا

(قال خالد بن صفوان)
عليك اذا ما كنت فى الناس ناكحا * بذات الثنايا الغر والأعين النجل

وقيل استشار رجل داود عليه السلام فى التزويج فقال له سل سليمان واخبرنى بجوابه فصادفه ابن سبع سنين وهو يلعب مع الصبيان راكبا قصبة فسأله فقال عليك بالذهب الاحمر أو الفضة البيضاء واحذر الفرس لا يضربك فلم يفهم الرجل ذلك فقال له داود عليه الصلاة والسلام الذهب الأحمر البكر والفضة البيضاء الثيب الشابة ومن وراءهما كالفرس الجموح وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تخيروا لنطفكم وقال صلى الله عليه وسلم انظر فى أى شئ تضع ولدك فان العرق دساس وقال عليه الصلاة والسلام اياكم وخضراء الدمن قالوا وما خضراء الدمن يارسول الله قال المرأة الحسناء فى المنبت السوء وأنشدوا فيه

اذا تزوجت فكن حاذقا * واسأل عن الغصن وعن منبته

(وقال بعضهم)
وأول خبث الماء خبث ترابه * وأول خبث القوم خبث المناكح

وعن على رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لا تسترضعوا الحمقاء ولا العمشاء فان اللبن يعدى وقيل ان جعفر بن سليمان بن على غاب يوما على أولاده وأنهم ليسوا كما يحب فقال له ولده أحمد بن جعفر انك عمدت الى فاسقات مكة والمدينة واماء الحجاز فاوعيت فيهن نطفك ثم تريد أن ينجبن وانما نحن كصاحبات الحجاز

فقلت لها رحمك الله ما تصنعين فى هذا المكان قالت ومن يضلل الله فلا هادى له فعلمت أنها ضالة عن الطريق فقلت لها أين تريدين قالت سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى فعلمت انها قد قضت حجها وهى تريد بيت المقدس فقلت لها أنت منذ كم فى هذا الموضع قالت ثلاث ليال سويا فقلت ما أرى معك طعاما تأكلين قالت هو يطعمنى ويسقين فقلت فبأى شئ تتوضئين قالت فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا فقلت لها ان معى طعاما فهل لك فى الاكل قالت ثم أتموا الصيام الى الليل فقلت قد أبيح لنا الافطار فى السفر قالت وأن تصوموا خير لكم ان كنتم تعلمون فقلت لم لا تكلميني مثل ما أكلمك قالت ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد فقلت فمن أى الناس أنت قالت ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤلا فقلت قد أخطأت فاجعلينى فى حل قالت لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم فقلت فهل لك أن أحملك على ناقتى فتدركى القافلة قالت وما تفعلوا من خير يعلمه الله قال فأنخت الناقة قالت قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم فغضضت بصرى عنها وقلت لها اركبى فلما أرادت أن تركب نفرت الناقة فمزقت ثيابها فقالت وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم فقلت لها اصبرى قالت سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون قال فأخذت بزمام الناقة وجعلت أسعى وأصيح فقالت واقصد فى مشيك واغضض من صوتك فجعلت أمشى رويدا رويدا وأترنم بالشعر فقالت فاقرؤا ما تيسر من القرآن فقلت لها لقد أوتيت خيرا كثيرا قالت وما يذكر الا أولو الالباب فلما مشيت بها قليلا

هلا فعلت فى ولدك مافعل أبوك فيك حين اختارك عقيلة قومها فتزوجها الك وأنشدوا

صفات من يستحب الشرع خطبتها * جلوتها لأولى الألباب مختصرا
صبية ذات دين زانه أدب * بكر ولود حكت فى نفسها القمرا
غريبة لم تكن من أهل خاطبها * تلك الصفات التى أجلو لمن نظرا
فيها أحاديث جاءت وهى ثابتة * أحاط علما بها من فى العلوم قرا

(وقال آخر)
مطيات السرور فويق عشر * الى العشرين ثم قف المطايا
فان جزت المسير فسر قليلا * و بنت الأربعين من الرزايا

(وقال آخر)
فاياك ايالك العجوز وطأها * فما هو الا مثل سم الاراقم

واعلم أن العيش كله مقصور على الحليلة الصالحة والبلاء كله موكل بالقرينة السوء التى لا تسكن النفس الى عشرتها ولا تقر العيون برؤيتها وفى حكمة سليمان بن داود عليهما السلام المرأة العاقلة تعمر بيت زوجها والمرأة السفيهة تهدمه وروى أنه لما حضر أبو طالب نكاح رسول الله صلى الله عليه وسلم على خديجة بنت خويلد رضى الله عنها ومعه بنو هاشم ورؤساء مضر خطب فقال الحمد لله الذى جعلنا من ذرية ابراهيم وزرع اسمعيل وعنصر مضر و جعلنا حضنة بيته وسوّاس حرمه و جعل لنا بيتا محجوجا وحرما آمنا و جعلنا الحكام على الناس ثم ان محمد بن عبد الله ابن أخى من لا يوزن به رجل من قريش الا رجح به برا وفضلا وكرما ومجدا ونبلا فان كان فى المال قل فالمال ظل زائل ورزق حائل وقد خطب خديجة بنت خويلد و بذل لها من الصداق ما عاجله وآجله من مالى كذا وكذا وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطر جليل * ولما خطب عمرو بن حجر الكندى الى عوف بن محلم الشيبانى ابنته أم اياس وأجابه الى ذلك أقبلت عليها أمها ليلة دخوله بها توصيها فكان مما أوصتها به أن قالت أى بنية انك مفارقة بيتك الذى منه خرجت وعشك الذى منه درجت الى رجل لم تعرفيه وقرين لم تألفيه فكونى له أمة ليكون لك عبدا واحفظى له خصالا عشرا يكن لك ذخرا فأما الأولى والثانية فالرضا بالقناعة وحسن السمع له والطاعة وأما الثالثة والرابعة فالتفقد لمواقع عينيه وأنفه فلا تقع عينه منك على قبيح ولا يشم أنفه منك الا أطيب الريح وأما الخامسة والسادسة فالتفقد لوقت طعامه ومنامه فان شدة الجوع ملهبة وتنغيص النوم مغضبة وأما السابعة والثامنة فالاحراز لماله والارعاء على حشمه وعياله وأما التاسعة والعاشرة فلا تعصى له أمرا ولا تفشى له سرا فانك ان خالفت أمره أوغرت صدره وان أفشيت سره لم تأمنى غدره واياك ثم اياك والفرح بين يديه اذا كان مهتما والكآبة لديه اذا كان فرحا فقبلت وصية أمها فانجبت وولدت له الحرث بن عمرو جد امرئ القيس الملك الشاعر * وعن الهيثم بن عدى الطائى عن الشعبى قال لقينى شريح فقال لى يا شعبى عليك بنساء بنى تميم فانى رأيت لهن عقولا فقلت وما رأيت من عقولهن قال أقبلت من جنازة ظهرا فمررت بدورهن واذا أنا بعجوز على باب دار والى جانبها جارية كأحسن ما رأيت من الجوارى فعدلت اليها واستسقيت ومابى عطش فقالت لى أى الشراب أحب اليك قلت ما تيسر قالت ويحك يا جارية ائتيه بلبن فانى أظن الرجل غريبا فقلت للعجوز ومن تكون هذه الجارية منك قالت هى زينب بنت جرير احدى نساء بنى حنظلة قلت هى فارغة أم مشغولة قالت بل فارغة قلت أتزوجينيها قالت ان كنت كفأ (ولم تقل كفوا) وهى لغة بنى تميم فتركتها ومضيت الى منزلى لاقيل فيه فامتنعت منى القائلة فلما صليت الظهر أخذت بيد اخوانى من العرب الاشراف علقمة والاسود والمسيب ومضيت أريد عمها فاستقبلنا وقال ما شأنك أبا أمية قلت زينب ابنة أخيك قال ما بها عنك رغبة فزوجنيها فلما صارت فى حبالى ندمت وقلت أى شىء صنعت بنساء بنى تميم وذكرت غلظ قلوبهن فقلت أطلقها ثم قلت لا ولكن أدخل بها فان رأيت ما أحب والا كان ذلك فلو شهدتنى يا شعبى وقد أقبلت نساؤها يهدينها حتى أدخلت على فقلت ان من السنة اذا دخلت المرأة على زوجها أن يقوم ويصلى ركعتين ويسأل الله تعالى من خيرها ويتعوذ من شرها فتوضأت فاذا هى تتوضأ بوضوئى وصليت فاذا هى تصلى بصلاتى فلما قضيت صلاتى أتتنى جواريها فأخذن ثيابى وألبسنى ملحفة قد صبغت بالزعفران فلما خلا البيت دنوت منها فمددت يدى الى ناصيتها فقالت على رسلك أبا أمية ثم قالت الحمد لله أحمده وأستعينه وأصلى على محمد وآله أما بعد فانى امرأة غريبة لا علم لى بأخلاقك فبين لى ما تحب فآتيه وما تكره فأجتنبه فانه قد كان لك منكح فى قومك ولى فى

قلت ألك زوج قالت يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم فسكت ولم أكلمها حتى أدركت بها القافلة فقلت لها هذه القافلة فمن لك فيها فقالت المال والبنون زينة الحياة الدنيا فعلمت ان لها أولادا فقلت وما شأنهم فى الحج قالت وعلامات وبالنجم هم يهتدون فعلمت أنهم أدلاء الركب فقصدت بها القباب والعمارات فقلت هذه القباب فمن لك فيها قالت واتخذ الله ابراهيم خليلا وكلم الله موسى تكليما يا يحيى خذ الكتاب بقوة فناديت يا ابراهيم يا موسى يا يحيى فاذا أنا بشباب كأنهم الاقمار قد أقبلوا فلما استقر بهم الجلوس قالت فابعثوا أحدكم بورقكم هذه الى المدينة فلينظر أيها أزكى طعاما فليأتكم برزق منه فمضى أحدهم فاشترى طعاما فقدموه بين يدى فقالت كلوا واشربوا هنيأ بما أسلفتم فى الايام الخالية فقلت الآن طعامكم على حرام حتى تخبرونى بأمرها فقالوا هذه أمنا لها منذ أربعين سنة لم تتكلم الا بالقرآن مخافة أن تزل فيسخط عليها الرحمن فسبحان القادر على ما يشاء فقلت ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ﴿قيل﴾ ان معن بن زائدة دخل على المنصور فقال له هيه يا معن تعطى مروان بن أبى حفصة مائة ألف درهم على قوله

معن بن زائدة الذى زادت به
شرفا على شرف بنو شيبان

فقال كلا يا أمير المؤمنين انما أعطيته على قوله

مازلت يوم الهاشمية معلنا
بالسيف دون خليفة الرحمن
فمنعت حوزته وكنت وقاءه
من وقع كل مهند وسنان

فقال أحسنت والله يا معن وأمر له بالجوائز والخلع ﴿ووفد﴾ ابن أبى

قومي مثل ذلك ولكن اذا قضى الله أمرا كان مفعولا وقد ملكت فاصنع ما أمرك الله تعالى به اما امساك بمعروف أو تسريح باحسان أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولك ولجميع المسلمين قال فأحوجتني والله يا شعبي الى الخطبة في ذلك الموضع فقلت الحمد لله أحمده وأستعينه وأصلي على محمد وعلى آله أما بعد فانك قد قلت كلاما ان ثبت عليه يكن ذلك حظا لي وان تدعيه يكن حجة عليك أحب كذا وأكره كذا وما رأيت من حسنة فابثثيها وما رأيت من سيئة فاستريها فقالت كيف محبتك لزيارة الاهل قلت ما أحب أن يملني اصهاري قالت فمن تحب من جيرانك يدخل دارك آذن له ومن تكرهه أكرهه قلت بنو فلان قوم صالحون وبنو فلان قوم سوء قال فبت معها يا شعبي بأنعم ليلة ومكثت معي حولا لا أرى منها الا ما أحب فلما كان رأس الحول جئت من مجلس القضاء واذا أنا بعجوز في الدار تأمر وتنهى قلت من هذه قالوا فلانة أم حليلتك قلت مرحبا وأهلا وسهلا فلما جلست أقبلت العجوز فقالت السلام عليك يا أبا أمية فقلت وعليك السلام ومرحبا بك وأهلا قالت كيف رأيت زوجتك قلت خير زوجة وأوفق قرينة لقد أدبت فأحسنت الادب وريضت فأحسنت الرياضة فجزاك الله خيرا فقالت أبا أمية ان المرأة لا يرى أسوأ حالا منها في حالتين قلت وما هما قالت اذا ولدت غلاما أو حظيت عند زوجها فان رابك مريب فعليك بالسوط فوالله ما حاز الرجال في بيوتهم أشر من الروعاء المدللة فقلت والله لقد أدبت فأحسنت الادب وريضت فأحسنت الرياضة قالت كيف تحب أن يزورك أصهارك قلت ما شاؤا فكانت تأتيني في رأس كل حول فتوصيني بتلك الوصية فمكثت معي يا شعبي عشرين سنة لم أعب عليها شيأ وكان لي جار من كندة يفزع امرأته ويضربها فقلت في ذلك

رأيت رجالا يضربون نساءهم * فشلت يميني يوم تضرب زينب
أأضربها من غير ذنب أتت به * فما العدل مني ضرب من ليس يذنب
فزينب شمس والنساء كواكب * اذا طلعت لم يبد منهن كواكب

وخطب الحجاج بن يوسف الى عبد الله بن جعفر ابنته أم كلثوم على ألفي ألف في السر وخمسمائة ألف في العلانية فأجابه الى ذلك وحملها الى العراق فاقامت عنده ثمانية أشهر فلما خرج عبد الله بن جعفر الى عبد الملك ابن مروان وانما نزل بدمشق فأتاه الوليد بن عبد الملك على بغلة ومعه الناس فاستقبله ابن جعفر بالترحيب فقال له الوليد لكنك أنت لا مرحبا بك ولا اهلا قال مهلا يا ابن أخي فلست أهلا لهذه المقالة منك قال بلى والله وبشر منها قال وفيم ذلك قال لانك عمدت الى عقيلة نساء العرب وسيدة نساء بني عبد مناف فعرضتها على عبد ثقيف يتفخذها قال وفي هذا عتبت علي يا ابن أخي قال نعم فقال عبد الله والله ما أحق الناس أن لا يلومني في هذا الا أنت وأبوك لان من كان قبلكم من الولاة يصلون رحمي ويعرفون حقي وانك وأباك منعتماني رفدكما حتى ركبني الدين أما والله لو أن عبدا حبشيا مجدعا أعطاني بها ما أعطاني عبد ثقيف لزوجتها منه انما فديت بها رقبتي فما راجعه كلمة حتى عطف عنانه ومضى حتى دخل على عبد الملك فقال مالك يا أبا العباس قال انك سلطت عبد ثقيف وملكته حتى تفخذ نساء بني عبد مناف فادركت عبد الملك غيرة فكتب الى الحجاج يقسم عليه أن لا يضع كتابه من يده حتى يطلقها ففعل قال ولم يكن يقطع الحجاج عنها رزقا ولا كرامة يجريها عليها حتى خرجت من الدنيا وما زال واصلا لعبد الله بن جعفر حتى مات وما كان يأتي عليه حول الا وعنده عير مقبلة من عند الحجاج عليها أموال وكسوة وتحف (وحكى) أن المغيرة بن شعبة لما ولي الكوفة سار الى دير هند بنت النعمان وهي فيه عمياء مترهبة فاستأذن عليها فقالت من أنت قال المغيرة بن شعبة الثقفي قالت ما حاجتك قال جئت خاطبا قالت انك لم تكن جئتني لجمال ولا مال ولكنك أردت أن تتشرف في محافل العرب وتقول تزوجت بنت النعمان بن المنذر والا فأي خير في اجتماع عمياء واعور * وكان عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهما قد تزوج عاتكة بنت عمرو بن نفيل وكانت من أجمل نساء قريش وكان عبد الرحمن من أحسن الناس وجها وأبرهم بوالديه فلما دخل بها غلبت على عقله وأحبها حبا شديدا فثقل ذلك على أبيه فمر به أبو بكر يوما وهو في غرفة له فقال يا بني اني ارى هذه المرأة قد أذهلت رأيك وغلبت على عقلك فطلقها قال لست أقدر على ذلك فقال أقسمت عليك الا طلقتها فلم يقدر على مخالفة أبيه فطلقها فجزع عليها جزعا شديدا وامتنع من الطعام والشراب فقيل لابي بكر أهلكت عبد الرحمن فمر به يوما وعبد الرحمن لا يراه وهو مضطجع في الشمس ويقول هذه الابيات

محجن على معاوية فقام خطيبا فاحسن فحسده معاوية فقال له أنت الذي أوصاك أبوك بقوله

اذا مت فادفني الى جنب كرمة
تروي عظامي بعد موتي عروقها
ولا تدفنني في الفلاة فانني
أخاف اذا مامت أن لا أذوقها

قال بل أنا الذي يقول أبي

لا تسأل الناس ما مالي وكثرته
وسائل الناس ما جودي وما خلقي
أعطي الحسام غداة الروع حصته
وعامل الرمح أرويه من العلق
وأطعن الطعنة النجلاء عن عرض
وأكتم السر فيه ضربة العنق
ويعلم الناس أني من سراتهم
اذا سما بصر الرعديد بالفرق

فقال له معاوية أحسنت والله يا ابن أبي محجن وأمر له بصلة وجائزة (وقيل) دخل مجنون الطاق يوما الى الحمام وكان بغير مئزر فرآه أبو حنيفة رضي الله تعالى عنه وكان في الحمام فغمض عينيه فقال له المجنون متى أعماك الله فقال منذ هتك سترك * (ومن ذلك) ما يحكى أن الحجاج خرج يوما متنزها فلما فرغ من نزهته انصرف عنه أصحابه وانفرد بنفسه فاذا هو بشيخ من بني عجل فقال له من أين أيها الشيخ قال من هذه القرية قال كيف ترون عمالكم قال شر عمال يظلمون الناس ويستحلون أموالهم قال فكيف قولك في الحجاج قال ذاك ما ولي العراق شر منه قبحه الله وقبح من استعمله قال أتعرف من أنا قال لا قال أنا الحجاج قال جعلت فداءك أوتعرف من أنا قال لا قال أنا فلان بن فلان مجنون بني عجل أصرع في كل يوم مرتين قال فضحك الحجاج منه وأمر له بصلة * وحكى أبو محمد الحسين ابن محمد الصالحي * قال كنا حول سرير المعتضد بالله ذات يوم نصف النهار فنام بعد أن أكل فانتبه

فوالله ما أنسالك ماذر شارق * وماناح قمرى الحمام المطوق * فلم أر مثلى طلق اليوم مثلها
ولا مثله فى غير شئ يطلق * لها خلق عف ودين ومحتد * وخلق سوى فى الحياء ومنطق

فسمعه أبوه فرق له وقال له راجعها يابنى فراجعها وأقامت عنده حتى قتل عنها يوم الطائف مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أصابه سهم فقتله فجزعت عليه جزعا شديدا وقالت ترثيه

فآليت لا تنفك نفسى حزينة * عليك ولا ينفك جلدى أغبرا
فني طول عمرى ما أرى مثله فتى * أكر وأحمى فى الهياج وأصبرا
اذا شرعت فيه الاسنة خاضها * الى القرن حتى يترك الرمح أحمرا

ثم تزوجها بعده عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى خلافته ودعا الناس الى وليمته فأتوه فلما فرغ من الطعام وخرج الناس قال له على بن أبى طالب رضى الله عنه يا أمير المؤمنين ائذن لى فى كلام عاتكة حتى أهنيها وأدعو لها بالبركة فذكر عمر ذلك لعاتكة فقالت ان أبا الحسن فيه مزاح فائذن له يا أمير المؤمنين فاذن له فرفع جانب الخدر فنظر اليها فاذا ما بدا من جسدها مضمخ بالخلوق فقال لها يا عاتكة ألست القائلة

فآليت لا تنفك نفسى حزينة * عليك ولا ينفك جلدى أغبرا

وقيل ان عمر لما قتل جزعت عليه جزعا شديدا وتزوجت بعده الزبير بن العوام وكان رجلا غيورا وكانت تخرج الى المسجد كعادتها مع أزواجها فشق ذلك عليه وكان يكره أن ينهاها عن الخروج الى الصلاة لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تمنعوا اماء الله مساجد الله فعرض لها ليلة فى ظهر المسجد وهى لا تعرفه فضرب بيده عجيزتها ثم انصرف فقعدت بعد ذلك عن الخروج الى المسجد وكان يقول لها ألا تخرجين يا عاتكة فتقول كنا نخرج اذ الناس ناس وما بهم من باس وأما الآن فلا ثم قتل عنها الزبير قتله عمرو بن جرموز بوادى السباع وهو نائم ثم تزوجها بعده محمد بن أبى بكر فقتل عنها بمصر فقالت لا أتزوج بعده أبدا انى لأحسب انى لو تزوجت جميع أهل الارض لقتلوا عن آخرهم (وحكى) عن الحرث بن عوف بن أبى حارثة أنه قال لخارجة بن سنان أترى أنى أخطب الى أحد فيردنى قال نعم قال ومن هو قال أوس بن حارثة بن لام الطائى قال اركب بنا اليه فركبنا اليه حتى أتينا أوس بن حارثة فى بلاده فوجدناه فى فناء منزله فلما رأى الحرث بن عوف قال مرحبا بك يا حارث ثم قال ما جاء بك قال جئت خاطبا قال لست هناك فانصرف ولم يكلمه فدخل أوس على امرأته مغضبا فقالت له من الرجل الذى سلم عليك فلم تطل معه الوقوف ولم تكلمه فقال ذاك سيد العرب الحرث بن عوف فقالت فما لك لا تستنزله قال انه استحمقنى قالت وكيف قال لانه جاءنى خاطبا قالت ألست تزعم انه سيد العرب قال نعم قالت اذا لم تزوج سيد العرب فى زمانه فمن تزوج قال قد كان ذلك قالت فتدارك ما كان منك قال فبماذا قالت بان تلحقه فترده قال وكيف وقد فرط منى اليه ما فرط قالت تقول له انك لقيتنى وأنا مغضب لامر فلك المعذرة فيما فرط منى فارجع ولك عندى كل ما طلبت قال فركب فى أثرهما قال خارجة ابن سنان فوالله انا لنسير اذ حانت منى التفاتة فرأيته فقلت للحرث وهو ما يكلمنى هذا أوس فى أثرنا فقال ما أصنع به فلما رآنا لا نقف قال يا حارث أربع على فوقفنا له وكلمه بذلك الكلام فرجع مسرورا قال خارجة ابن سنان فبلغنى أن أوسا لما دخل منزله قال لزوجته ادعى لى فلانة أكبر بناته فأتته فقال لها أى بنية هذا الحرث بن عوف سيد من سادات العرب جاءنى خاطبا وقد أردت أن أزوجك منه فما تقولين قالت لا تفعل قال ولم قالت لان فى خلقى رداءة وفى لسانى حدة ولست بابنة عمه فيراعى رحمى ولا هو بجارك فى البلد فيستحى منك ولا آمن أن يرى منى ما يكره فيطلقنى فيكون على بذلك مسبة قال لها قومى بارك الله فيك ثم دعا بابنته الاخرى فقال لها مثل قوله لاختها فاجابته بمثل جوابها فقال لها قومى بارك الله فيك ثم دعا بالثالثة وكانت أصغرهن سنا فقال لها مثل ما قال لاختيها فقالت له أنت وذاك فقال لها انى عرضت ذلك على أختيك فأبتاه ولم يذكر لها مقالتهما فقالت له والله انى الجميلة وجها الرفيعة خلقا الحسنة رأيا فان طلقنى فلا أخلف الله عليه فقال لها بارك الله فيك ثم خرج اليه فقال زوجتك يا حارث بابنتى هنيسة قال قد قبلت نكاحها وأمر أمهاتها تهيئها وتصلح شأنها ثم أمر ببيت فضرب له وأنزله اياه ثم بعثها اليه فلما دخلت عليه لبث هنيهة ثم خرج الى فقلت له أفرغت من شأنك قال لا والله قلت وكيف ذلك قال لما مددت يدى اليها قالت مه أعند أبى واخوتى

بمزعجا وقال يا خدم فأسرعنا الجواب فقال ويلكم أعينونى والحقوا بالشط فأول ملاح ترونه منحدرا فى سفينة فارغة فاقبضوا عليه وائتونى به ووكلوا بالسفينة من يحفظها فاسرعنا فوجدنا ملاحا فى سفينة فجئنا به المعتضد فلما رآه الملاح كاد يتلف فصاح عليه صيحة عظيمة كادت روحه تذهب منها وقال أصدقنى يا ملعون عن قضيتك مع المرأة التى قتلتها اليوم والا ضربت عنقك قتلعثم وقال نعم كنت سحرا فى المشرعة الفلانية فنزلت امرأة لم ار مثلها عليها ثياب فاخرة وحلى كثير وجواهر فطمعت فيها واحتلت عليها حتى سددت فاها وغرقتها وأخذت جميع ما كان عليها ثم طرحتها فى الماء ولم أجسر على حمل سلبها الى دارى لئلا يفشو الخبر على فعولت على الهروب والانحدار الى واسط فصبرت الى أن خلا الشط فى هذه الساعة من الملاحين فاخذت فى الانحدار فتعلق بى هؤلاء القوم فحملونى اليك فقال أين الحلى والسلب قال فى صدر السفينة تحت البوارى قال المعتضد على به الساعة فحضروا به فامر بتغريق الملاح ثم أمر أن ينادى ببغداد من خرجت له امرأة الى المشرعة الفلانية سحرا وعليها ثياب فاخرة وحلى فليحضر فحضر فى اليوم الثانى أهلها وأعطوا صفاتها وصفة ما كان عليها فسلم ذلك اليهم قال فقلت يا مولاى من أعلمك أأوحى اليك بهذه الحالة وأمر هذه الصبية فقال بل رأيت فى منامى رجلا شيخا أبيض الرأس واللحية والثياب وهو ينادى يا أحمد أول ملاح ينحدر الساعة فاقبض عليه وقرره على المرأة التى قتلها اليوم ظلما وسلبها ثيابها وأقم عليه الحد ولا يفتك فكان ما شهدتم (وحكى) ان بهرام الأخرج

هذا

هذا والله لا يكون ثم أمر بالرحلة فارتحلنا بها معنا وسرنا ما شاء الله ثم قال لي تقدم فتقدمت فعدل عن الطريق فما لبث ان لحقني فقلت أفرغت من شأنك قال لا والله قالت ولم قال قالت تفعل بي كما يفعل بالأمة السبية الأخيذة لا والله حتى تنحر الجزر والغنم وتدعو العرب وتعمل ما يعمل مثلك لمثلي فقلت والله اني لارى همة وعقلا فقال صدقت قال وأرجو الله أن تكون المرأة النجيبة فوردنا الى بلادنا فاحضر الابل والغنم ونحر وأولم ثم دخل عليها وخرج الي فقلت أفرغت من شأنك قال لا والله قلت ولم ذاك قال دخلت عليها أريدها فقلت لها قد أحضرت من المال ما ترين قالت والله لقد ذكرت من الشرف ما ليس فيك قلت ولم ذاك قالت أتستفرغ لنكاح النساء والعرب يقتل بعضها بعضا وكان ذلك في أيام حرب قيس وذبيان قلت فماذا تقولين قالت أخرج الى القوم فاصلح بينهم ثم ارجع الى أهلك فلن يفوتك ما تريد فقلت والله اني لارى عقلا ورأيا سديدا قال فاخرج بنا فخرجنا حتى أتينا القوم فمشينا بينهم بالصلح فاصطلحوا على أن يحسبوا القتلى ثم تؤخذ الدية فحملنا عنهم الديات فكانت ثلاثة آلاف بعير فانصرفنا بأجمل ذكر ثم دخل عليها فقالت له أما الآن فنعم فأقامت عنده في ألذ عيش وأطيبه وولدت له بنين وبنات وكان من أمرهما ما كان والله أعلم بالصواب (وحكى) الفضل أبو محمد الطيبي قال حدثنا بعض أصحابنا ان رجلا من بني سعد مرت به جارية لأمية بن خالد بن عبد الله بن أسد ذات ظرف وجمال وكان شجاعا فارسا فلما رآها قال طوبى لمن كان له امرأة مثلك ثم أتبعها رسولا يسألها ألها زوج ويذكره لها وكان جميلا فقالت للرسول وما حرفته فابلغه الرسول ذلك فقال ارجع اليها وقل لها شعر

وسائلة ما حرفتي قلت حرفتي * مقارعة الابطال في كل شارق
اذا عرضت خيل لخيل رأيتني * امام رعيل الخيل أحمي حقائقي
أصبر نفسي حين لم أر صابرا * على ألم البيض الرقاق البوارق

فلحقها الرسول فأنشدها ما قال فقالت له ارجع اليه وقل له أنت أسد فاطلب لك لبوة فلست من نسائك وأنشدته تقول

ألا انما أبغي جوادا بماله * كريما محياه كثير الصدائق
فتى همه مذ كان خود خريدة * يعانقها في الليل فوق النمارق

وحدث يحيى بن عبد العزيز عن محمد بن عبد الحكم عن الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه قال تزوج رجل امرأة جديدة على امرأة قديمة فكانت جارية الجديدة تمر على بيت القديمة فتقول

وما يستوي الرجلان رجل صحيحة * واخرى رمى فيها الزمان فشلت

ثم تعود وتقول

وما يستوي الثوبان ثوب به البلى * وثوب بأيدي البائعين جديد

فمرت جارية القديمة على باب الجديدة يوما وقالت

نقل فؤادك ما استطعت من الهوى * ما الحب الا للحبيب الأول
كم منزل في الأرض يألفه الفتى * وحنينه أبدا لأول منزل

قال عمرو بن العلاء وكان أعلم الناس بالنساء

فان تسألوني بالنساء فانني * بصير بأدواء النساء طبيب
اذا شاب رأس المرء أو قل ماله * فليس له في ودهن نصيب

وسئل المغيرة بن شعبة عن صفة النساء فقال بنات العم أحسن مواساة والغرائب أنجب وما ضرب رؤس الاقران مثل ابن السوداء وقال عبد الملك بن مروان من أراد أن يتخذ جارية للتمتع فليتخذها بربرية ومن أراد أن يتخذها للولد فليتخذها فارسية ومن أراد أن يتخذها للخدمة فليتخذها رومية قال الشاعر

لا تشتمن امرأ من أن يكون له * أم من الروم أو سوداء عجماء
فانما أمهات القوم أوعية * مستودعات وللانساب آباء

وقال الأصمعي أتاني رجل من قريش يستشيرني في امرأة يتزوجها فقلت يا ابن أخي أقصيرة النسب أم طويلته فلم يفهم عني فقلت يا ابن أخي أما القصيرة النسب فالتي اذا ذكرت أباها اكتفت به والطويلة النسب فهي التي لا تعرف حتى تطيل في نسبها فاياك أن تقع مع قوم قد أصابوا كثيرا من الدنيا مع دناءة فيهم فتضيع نسبك فيهم وخرج رجل من أهل الكوفة في غزاة فكسب جارية وفرسا وكان مملكا على ابنة عمه فكتب اليها يغيرها ويقول

ألا بلغوا أم البنين بأننا * غنينا وأغنتنا الغطارفة المجد

يوما الصيد فانفرد عن أصحابه فرأى صيدا فتبعه طامعا في لحاقه حتى بعد عن عسكره فنظر الى راع تحت شجرة فنزل عن فرسه يبول وقال للراعي احفظ علي فرسي حتى أبول فعمد الراعي الى العنان وكان ملبسا ذهبا كثيرا فاستغفل بهرام وأخرج سكينا فقطع أطراف اللجام وأخذ الذهب الذي عليه فرفع بهرام نظره اليه فرآه فغض بصره وأطرق برأسه الى الارض وأطال الجلوس حتى أخذ الرجل حاجته ثم قام بهرام فوضع يده على عينيه وقال للراعي قدم الي فرسي فانه قد دخل في عيني من سافي الريح فلا أقدر على فتحهما فقدمه اليه فركب وسار الى أن وصل الى عسكره فقال لصاحب مراكبه ان أطراف اللجام قد وهبتها فلا تتهمن بها أحدا (قيل) مرض أحمد بن أبي دؤاد فعاده المعتصم وقال نذرت ان عافاك الله تعالى أن أتصدق بعشرة آلاف دينار فقال له أحمد يا أمير المؤمنين فاجعلها في أهل الحرمين فقد لقوا من غلاء الاسعار شدة فقال نويت أن أتصدق بها على من ههنا وأطلق لاهل الحرمين مثلها فقال أحمد متع الله الاسلام وأهله بك يا أمير المؤمنين فانك كما قال النميري لابيك الرشيد رحمة الله تعالى عليه

ان المكارم والمعروف أودية
أحلك الله منها حيث تجتمع
من لم يكن بأمين الله معتصما
فليس بالصلوات الخمس ينتفع

﴿ومن محاسن الاخلاق﴾

ما حكي عن القاضي يحيى بن أكثم قال كنت نائما ذات ليلة عند المأمون فعطش فامتنع أن يصيح بغلام يسقيه وأنا نائم فينغص علي نومي فرأيته قد قام يمشي على أطراف أصابعه حتى أتى موضع الماء وبينه وبين المكان الذي فيه الكيزان نحو من ثلثمائة خطوة فأخذ منها

بعيد مناط المنكبين اذا جرى * وبيضاء كالتمثال زينها العقد
فهذا لايام العدو وهذه * لحاجة نفسي حين ينصرف الجند

فلما وردعليها كتابه وقرأته قالت ياغلام هات الدواة وكتبت جوابه تقول

ألا اقره مني السلام وقل له * غنينا أوغنتنا غطارفة المرد
اذا شئت أغناني غلام مرجل * ونازعته في ماء معتصر الورد
وان شاء منهم ناشئ مد كفه * الى عكن ملساء أوكفل نهد
فاكنتم تقضون حاجة أهلكم * شهودا فتقضوها على النأى والبعد
فعجل الينا بالسراح فانه * منانا ولاندعو الك الله بالرد
فلاقفل الجند الذي أنت فيهم * وزادك رب الناس بعدا على بعد

فلما وردعليه كتابها لم يزد على أن ركب الفرس وأردف الجارية خلفه ولحق بابنة عمه فكان أول شئ بدأها به بعد السلام أن قال لها بالله عليك هل كنت فاعلة ذلك فقالت له الله في قلبي أعظم وأجل وأنت في عيني أذل وأحقر من أن أعصي الله فيك فكيف ذقت طعم الغيرة فوهب لها الجارية وانصرف الى الغزاة والله تعالى أعلم بالصواب

﴿الفصل الثاني في صفات النساء المحمودة﴾ كتب الحجاج الى الحكم بن أيوب أن اخطب لعبد الملك بن مروان امرأة جميلة من بعيد مليحة من قريب شريفة في قومها ذليلة في نفسها مؤاتية لبعلها فكتب اليه قد أصبتها لولا عظم ثدييها فكتب اليه لا يكمل حسن المرأة حتى يعظم ثدياها فتدفي الضجيع وتروي الرضيع وقال عبد الملك بن مروان لرجل من غطفان صف لي أحسن النساء قال خذها يا أمير المؤمنين ملساء القدمين ردماء الكعبين ناعمة الساقين ضخماء الركبتين لفاء الفخذين ضخمة الذراعين خصبة الكفين ناهدة الثديين حمراء الخدين كحلاء العينين زجاء الحاجبين لمياء الشفتين بلجاء الجبين شماء العرنين شنباء الثغر محلولكة الشعر غيداء العنق مكسرة البطن فقال ويحك وأين توجد هذه قال تجدها في خالص العرب وفي خالص فارس * وقال حكيم عليكم بمن تربت في النعيم ثم أصابتها فاقة فأثر فيها الغنى وأدبها الفقر * وقال رجل لخاطب ابغ لي امرأة لا تؤنس جارا ولا توطن دارا يعني لا تدخل على الجيران ولا تدخل الجيران عليها وفي مثل هذه قال الشاعر

هيفاء فيها اذا استقبلتها صلف * عيطاء غامضة الكعبين معطار
خود من الخفرات البيض لم يرها * بساحة الدار لا بعل ولا جار

(قال الأعشى)
لم تمش ميلا ولم تركب على جمل * ولم تر الشمس الا دونها الكلل

وكانت امرأة عمران بن حطان من أجمل الناس وجها وكان هو من أقبح الناس وجها فقال لها يوما أنا واياك في الجنة ان شاء الله تعالى فقالت له وكيف ذلك فقال لاني أعطيت مثلك فشكرت وأعطيت مثلي فصبرت والصابر والشاكر في الجنة وقال بعضهم رأيت في طريق مكة اعرابية ما رأيت أحسن منها وجها فقعدت أنظر اليها وأتعجب من جمالها فجاء شيخ قصير فأخذ بردائها وسار بها ومضى فلقيتها مرة أخرى فقلت لها من هذا الشيخ قالت زوجي قلت كيف يرضى مثلك بمثله فانشدت

أيا عجبا للخود يجري وشاحها * تزف الى شيخ بأقبح تمثال
دعاني اليه أنه ذو قرابة * يعز علينا من بني العم والخال

وسمع بعضهم قائلا يقول شعرا

ومن لا يرد مدحي فان مدائحي * توافق عند الاكرمين نوامي
توافق عند المشتري الحمد بالندى * نفاق بنات الحرث بن هشام

فقال يا ابن أخي ما بلغ من نفاق بنات الحرث بن هشام قال كن من أجمل الناس وجوها وكان أبوهن اذا زوجهن يسوقهن ومهورهن الى بيوتهن فقال يا ابن أخي لو فعل هذا ابليس ببناته لتنافست فيهن الملائكة المقربون * وقال عبد الملك لابن أبي الرقاع كيف علمك بالنساء قال أنا والله أعلم الناس بهن وجعل يقول

قضاعية الكعبين كندية الحشا * خزاعية الاطراف طائية الفم
لها حكم لقمان وصورة يوسف * ومنطق داود وعفة مريم

كوزا فشرب ثم رجع على أطراف أصابعه حتى قرب من الفراش الذي أنا عليه تخطاه خطوات خائفا لئلا ينبهني حتى صار الى فرشه ثم رأيته آخر الليل قام يبول وكان يقوم في أول الليل وآخره فقعد طويلا يحاول ان أتحرك فيصيح بالغلام فلما تحركت وثب قائما وصاح ياغلام وتأهب للصلاة ثم جاءني فقال لي كيف أصبحت يا أبا محمد وكيف كان مبيتك قلت خير مبيت جعلني الله فداءك يا أمير المؤمنين قد خصك الله تعالى بأخلاق الانبياء وأحب لك سيرتهم فهناك الله تعالى بهذه النعمة وأتمها عليك فأمر لي بألف دينار فأخذتها وانصرفت (قال) وبت عنده ذات ليلة فانتبه وقد عرض له السعال حتى غلبه فسعل وأكب على الارض لئلا يعلو صوته فانتبه (وكنت) معه يوما في بستان ندور فيه فجعل يغمر بالريحان فيأخذ منه الطاقة والطاقتين ويقول لقيم البستان أصلح هذا الحوض ولا تغرس في هذا الحوض شيأ من البقول قال يحيي ومشينا في البستان من أوله الى آخره وكنت أنا مما يلي الشمس والمأمون مما يلي الظل فكان يجذبني أن أتحول أنا في الظل ويكون هو في الشمس فامتنع من ذلك حتى بلغنا آخر البستان فلما رجعنا قال يا يحيي والله لتكونن في مكاني ولاكونن في مكانك حتى آخذ نصيبي من الشمس كما أخذت نصيبك وتأخذ نصيبك من الظل كما أخذت نصيبي فقلت والله يا أمير المؤمنين لو قدرت ان اقيك يوم الهول بنفسي لفعلت فلم يزل بي حتى تحولت الى الظل وتحول هو الى الشمس ووضع يده على عاتقي وقال بحياتي عليك الا وضعت يدك على عاتقي مثل ما فعلت انا فانه لا خير في صحبة من لا ينصف اه (وحكي) ان أحمقين اصطحبا في طريق فقال احدهما

وقالوا الوجه الحسن أحمر وقد تضرب فيه الصفرة مع طول المكث في الكن والتضمخ بالطيب وقالوا ان الوجه الرقيق البشرة الصافي الاديم اذا خجل يحمر واذا فرق يصفر ومنه قولهم ديباج الوجه يريدون تلونه من رقته قال علي بن زيد في وصفه

حمرة خلط صفرة في بياض * مثل ما حاك حائك ديباجا

(وقال علي بن عبد ربه) بيضاء يحمر خداها اذا خجلت * كما جرى ذهب في صفحتي ورق

وقالوا ان الجارية الحسناء تتلون بتلون الشمس فهي بالضحى بيضاء وبالعشي صفراء فقال ذو الرمة

بيضاء صفراء قد تنازعها * لونان من فضة ومن ذهب

قالوا ليس المرأة الجميلة التي تأخذ ببصرك جملة على بعد فاذا دنت منك لم تكن كذلك بل الجميلة التي كلما كررت بصرك فيها زادتك حسنا وقالوا ان أردت أن ينجب ولدك فاغضبها ثم قع عليها قال الشاعر

ممن حملن به وهن عواقد * حبك النطاق فعاش غير مهبل

حملت به في ليلة مزؤودة * كرها وعقد نطاقها لم يحلل

(الفصل الثالث في صفة المرأة السوء نعوذ بالله تعالى منها) في حكمة داود عليه السلام أن المرأة السوء مثل شرك الصياد لا ينجو منها الا من رضي الله تعالى عنه وقيل المرأة السوء غل يلقيه الله تعالى في عنق من يشاء من عباده وقيل لاعرابي كان ذا تجربة للنساء صف لنا شر النساء فقال شرهن النحيفة الجسم القليلة اللحم المحياض الممراض المصفرة الميشومة العسرة المبشومة السلطة البطرة النفرة السريعة الوثبة كأن لسانها حربة تضحك من غير عجب وتبكي من غير سبب وتدعو على زوجها بالحرب أنف في السماء واست في الماء عرقوبها حديد منتفخة الوريد كلامها وعيد وصوتها شديد تدفن الحسنات وتفشي السيا ت تعين الزمان على بعلها ولا تعين بعلها على الزمان ليس في قلبها عليه رأفة ولا عليها منه مخافة ان دخل خرجت وان خرج دخلت وان ضحك بكت وان بكى ضحكت كثيرة الدعاء قليلة الارعاء تأكل لما وتوسع ذما ضيقة الباع مهتوكة القناع صبيها مهزول وبيتها مزبول اذا حدثت تشير بالاصابع وتبكي في المجامع بادية من حجابها نباحة عند بابها تبكي وهي ظالمة وتشهد وهي غائبة قد دلي لسانها بالزور وسال دمعها بالفجور ابتلاها الله بالويل والثبور وعظائم الامور ويقال ان المرأة اذا كانت مبغضة لزوجها فان علامة ذلك أن تكون عند قربها منه مرتدة الطرف عنه كأنها تنظر الى انسان غيره من ورائه وان كانت محبة له لا تقلع عن النظر اليه قال بعضهم

لقد كنت محتاجا الى موت زوجتي * ولكن قرين السوء باق معمر

فيا ليتها صارت الى القبر عاجلا * وعذبها فيه نكير ومنكر

(وقال زيد بن عمير) أعاتبها حتى اذا قلت أقلعت * أبى الله الا خزيها فتعود

فان طمثت قادت وان طهرت زنت * فهاتيك تزني دائما وتقود

وقال داود عليه الصلاة والسلام المرأة السوء على بعلها كالحمل الثقيل على الشيخ الكبير والمرأة الصالحة كالتاج المرصع بالذهب كلما رآها قرت عينه برؤيتها والله أعلم

(الفصل الرابع في مكر النساء وغدرهن وذمهن ومخالفتهن) في حكمة داود عليه الصلاة والسلام وجدت في الرجال واحدا في ألف ولم أجد واحدة في جميع النساء وقيل ان عيسى عليه الصلاة والسلام لقي ابليس وهو يسوق أربعة أحمرة عليها أحمال فسأله فقال أحمل تجارة وأطلب مشترين فقال ما احدها قال الجور قال من يشتريه قال السلاطين قال فما الثاني قال الحسد قال فمن يشتريه قال العلماء قال فما الثالث قال الخيانة قال فمن يشتريها قال التجار قال فما الرابع قال الكيد قال فمن يشتريه قال النساء وقال حكيم النساء شر كلهن وشر ما فيهن قلة الاستغناء عنهن وقالت الحكماء لا تثق بامرأة ولا تغتر بمال وان كثر وقال النساء حبائل الشيطان قال الشاعر

تمتع بها ما ساعفتك ولا تكن * جزوعا اذا بانت فسوف تبين

وخنها وان كانت تفي لك انها * على قدم الايام سوف تخون

وان هي اعطتك الليان فانها * لغيرك من طلابها ستلين

وان حلفت ان ليس تنقض عهدها * فليس لمخضوب البنان يمين

ثم قال نتمن على الله فان الطريق تقطع بالحديث فقال أحدهما أنا أتمنى قطائع غنم أنتفع بلبنها ولحمها وصوفها وقال الآخر أنا أتمنى قطائع ذئاب أرسلها على غنمك حتى لا تترك منها شيأ قال ويحك أهذا من حق الصحبة وحرمة العشرة فتصايحا واشتدت الخصومة بينهما حتى تماسكا بالاطواق ثم تراضيا على أن أول من يطلع عليهما يكون حكما بينهما فطلع عليهما شيخ بحمار عليه زقان من عسل فحدثاه بحديثهما فنزل بالزقين وفتحهما حتى سال العسل على التراب ثم قال صب الله دمي مثل هذا العسل ان لم تكونا أحمقين

(وقال الاصمعي) بينما أنا أطوف بالبيت ذات ليلة اذ رأيت شابا متعلقا بأستار الكعبة وهو يقول

يا من يجيب دعا المضطر في الظلم
يا كاشف الضر والبلوى مع السقم
قد نام وفدك حول البيت وانتبهوا
وأنت يا حي يا قيوم لم تنم
أدعوك ربي حزينا هائما قلقا
فارحم بكائي بحق البيت والحرم
ان كان جودك لا يرجوه ذو سفه
فمن يجود على العاصين بالكرم

ثم بكى بكاء شديدا وأنشد يقول

ألا أيها المقصود في كل حاجة
شكوت اليك الضر فارحم شكايتي
ألا يا رجائي أنت تكشف كربتي
فهب لي ذنوبي كلها واقض حاجتي
أتيت بأعمال قباح رديئة
وما في الورى عبد جنى كجنايتي
أتحرقني بالنار يا غاية المنى
فأين رجائي ثم أين مخافتي

ثم سقط على الارض مغشيا عليه فدنوت منه فاذا هو زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهم أجمعين فرفعت راسه في حجري وبكيت فقطرت دمعة من دموعي على خده ففتح عينيه وقال من هذا الذي يهجم علينا

وان سكبت يوم الفراق دموعها * فليس لعمر الله ذلك يقين

(وقال ابن بشار) رأيت مواعيد النساء كأنها * سراب لمرتاد المناهل حافل
ومنتظر الموعود منهن كالذى * يؤمل يوما أن تلين الجنادل

وقال بعض الحكماء لم تنه المرأة عن شئ قط الا فعلته وقال الغنوى

ان النساء متى ينهين عن خلق * فانه واقع لا بد مفعول

وقال النخعى من اقتراب الساعة طاعة النساء ويقال من أطاع عرسه فقد أضاع نفسه وقال على رضى الله تعالى عنه اياك ومشاورة النساء فان رأيهن الى فن وعزمهن الى وهن ا كفف أبصارهن بالحجاب فان شد الحجاب خير لهن من الارتياب وليس خروجهن باضر من دخول من لا يوثق به عليهن فان استطعت أن لا يعرفن غيرك فافعل وقال السمعانى

لا تأمنن على النساء ولو أخا * ما فى الرجال على النساء أمين
ان الأمين وان تحفظ جهده * لا بد أن بنظرة سيخون

(وقال غيره) لا تركنن الى النسا * ولا تثق بعهودهن فرضاؤهن جميعهن معلق بفروجهن

وقال على رضى الله تعالى عنه لا تطلعوا النساء على حال ولا تأمنوهن على مال ولا تذروهن الا لتدبير العيال ان تركن وما يردن أوردن المهالك وأفسدن الممالك ينسين الخير ويحفظن الشر يتهافتن فى البهتان ويتمادين فى الطغيان وقال أبو بكر رضى الله تعالى عنه ذل من أسند أمره الى امرأة * وقيل ان صيادا أتى أبرويز بسمكة فأعجبه حسنها وحسنها فأمر له بأربعة آلاف درهم فخطأته شيرين زوجته فقال لها ماذا أفعل فقالت له اذا جاءك فقل له أذكرا كانت أم أنثى فان قال لك ذكر فاطلب منه الانثى وان قال لك أنثى فاطلب منه الذكر فلما أتاه سأله فقال كانت أنثى فقال ائتنى بذكرها فقال عمر الله الملك كانت بكرا لم تتزوج فقال زه وأمر له بثمانية آلاف درهم وقال اكتبوا فى الحكمة الغدر ومطاوعة النساء يؤديان الى الغرم الثقيل وقال حكيم اعص النساء وهواك وافعل ما شئت وقال عمر رضى الله تعالى عنه أكثروا لهن من قول لا فان نعم تغريهن على المسئلة وقال استعيذوا بالله من شرار النساء وكونوا من خيارهن على حذر

* ومما قيل فى الباءة * ذكر الجماع عند الامام مالك بن أنس رضى الله تعالى عنه فقال هو نور وجهك ومخ ساقك فاقلل منه أو أكثر وقال معاوية رضى الله تعالى عنه ما رأيت نهما فى النساء الا عرفت ذلك فى وجهه وخلا تمام بجارية له فعجز عنها فقال ما أوسع حرك فأنشأت تقول

أنت الفداء لمن قد كان يملؤه * ويشتكى الضيق منه حين يلقاه

وقال آخر شفاء الحب تقبيل ولمس * وسحب بالبطون على البطون
ورهز تذرف العينان منه * وأخذ بالمناكب والقرون

وقالت امرأة من أهل الكوفة دخلت على عائشة بنت طلحة فسألت عنها فقيل هى مع زوجها فى القيطون فسمعت شهيقا ونخيرا لم أسمع مثله ثم خرجت الى وجبينها يتصبب عرقا فقلت لها ما ظننت حرة تفعل هذا بنفسها فقالت ان الخيل تشرب بالصفير وعاتبت امرأة زوجها على قلة اتيانها فأجابها يقول

أنا شيخ ولى امرأة عجوز * تراودنى على ما لا يجوز
وقالت رق أيرك مذ كبرنا * فقلت بل قد اتسع القفيز

وكان لرجل امرأة تخاصمه وكلما خاصمته قام اليها فواقعها فقالت ويحك كلما تخاصمنى تأتينى بشفيع لا أقدر على رده وأتى رجل الى على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه وقال ان لى امرأة كلما غشيتها تقول قتلتنى فقال اقتلها بهذه القتلة وعلى اثمها وقالوا من قل جماعه فهو أصح بدنا وأنقى جلدا وأطول عمرا ويعتبر ذلك بذكور الحيوان وذلك انه ليس فى الحيوان أطول أعمارا من البغال ولا أقصر أعمارا من العصافير وهى أكثرها سفادا والله تعالى أعلم بالصواب

* الفصل الخامس فى الطلاق وما جاء فيه * عن عبد الرحمن بن محمد بن أخى الأصمعى قال قال عمى للرشيد فى بعض حديثه يا أمير المؤمنين بلغنى أن رجلا من العرب طلق فى يوم واحد خمس نسوة قال وكيف ذلك

وانما

قلت عبدك الأصمعى سيدى ماهذا البكاء والجزع وأنت من أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة أليس الله تعالى يقول انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا قال هيهات هيهات يا أصمعى ان الله خلق الجنة لمن أطاعه ولو كان عبدا حبشيا وخلق النار لمن عصاه ولو كان حرا قرشيا أليس الله تعالى يقول فاذا نفخ فى الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم فى جهنم خالدون انتهى (وكان) أبو العباس السفاح يعجبه السمر ومنازعة الرجال بعضهم بعضا فحضر عنده ذات ليلة ابراهيم بن مخرمة الكندى وخالد بن صفوان ابن الأهيم فخاضوا فى الحديث وتذاكروا مضر واليمن فقال ابراهيم ابن مخرمة يا أمير المؤمنين ان أهل اليمن هم العرب الذين دانت لهم الدنيا ولم يزالوا ملوكا ورثوا الملك كابرا عن كابر وآخرا عن أول منهم النعمان والمنذر ومنهم عياض صاحب البحرين ومنهم من كان يأخذ كل سفينة غصبا وليس من شئ له خطر الا اليهم ينسب ان سئلوا أعطوا وان نزل بهم ضيف أقروه فهم العرب العاربة وغيرهم المتعربة فقال أبو العباس ما أظن التميمى رضى بقولك ثم قال ما تقول أنت يا خالد قال ان أذن لى أمير المؤمنين فى الكلام تكلمت قال تكلم ولا تهب أحدا قال اخطأ المقتحم بغير علم ونطق بغير صواب وكيف يكون ذلك لقوم ليس لهم ألسن فصيحة ولا لغة صحيحة نزل بها كتاب ولا جاءت بها سنة يفتخرون علينا بالنعمان والمنذر ونفتخر عليهم بخير الانام وأكرم الكرام سيدنا محمد عليه

والله لا يجوز للرجل غير أربعة قال يا أمير المؤمنين كان متزوجاً بأربعة فدخل عليهن يوماً فوجدهن متنازعات وكان شريراً فقال الى متى هذا النزاع ما أظن هذا الا من قبلك يا فلانة لامرأة منهن اذهبي فأنت طالق فقالت له صاحبتها عجلت عليها بالطلاق ولو أدبتها بغير ذلك لكان أصلح فقال لها وأنت أيضاً طالق فقالت له الثالثة قبحك الله فوالله لقد كانتا اليك محسنتين فقال لها وأنت أيضاً أيتها المعددة أياديهما طالق فقالت الرابعة وكانت هلالية ضاق صدرك الا أن تؤدب نساءك بالطلاق فقال لها وأنت طالق أيضاً فسمعته جارة له فأشرفت عليه وقالت له والله ما شهدت العرب عليك ولا على قومك بالضعف الا لما بلوه منكم ووجدوه فيكم أبيت الا طلاق نسائك في ساعة واحدة فقال لها وأنت أيتها المتكلمة فيما لا يعنيك طالق ان أجازني بعلك فأجابه زوجها قد أجزت لك فعجب الرشيد من ذلك وطلق رجل امرأته فلما أرادت الارتحال قال لها اسمعي وليسمع من حضراني والله اعتمدتك برغبة وعاشرتك بمحبة ولم أجد منك زلة ولم يدخلني عنك ملة ولكن القضاء كان غالباً فقالت المرأة جزيت من صاحب ومصحوب خيراً فما استقللت خيرك ولا شكوت صبرك ولا تمنيت غيرك ولا أجد لك في الرجال شبيهاً وليس لقضاء الله مدفع ولا من حكمه علينا ممنع وقال رجل لابن عباس رضي الله تعالى عنهما ما تقول في رجل طلق امرأته عدد نجوم السماء فقال يكفيه من ذلك عدد نجوم الجوزاء

﴿ذكر من طلق امرأته فتبعتها نفسه﴾ قال الهيثم بن عدي كانت تحت ابن الغربان بن الأسود بنت عم له فطلقها فتبعتها نفسه فكتب اليها يعرض لها بالرجوع فكتبت اليه تقول

ان كنت ذا حاجة فاطلب لها بدلا * ان الغزال الذي ضيعت مشغول

(فكتب اليها يقول) ان كان ذا شغل فالله يكلؤه * فقد لهونا به والحبل موصول

وقد قضينا من استطرافه وطرا * وفي الليالي وفي أيامها طول

وطلق الوليد بن يزيد زوجته سعدى فلما تزوجت اشتد ذلك عليه وندم على ما كان منه فدخل عليه أشعب فقال له هل لك ان تبلغ سعدى عني رسالة ولك عشرة آلاف درهم قال أقبضنيها فأمر له بها فلما اقبضها قال له هات رسالتك قال ائتها فأنشدها

أسعدى هل اليك لنا سبيل * ولا حتى القيامة من تلاق

بلى ولعل دهراً أن يؤاتي * بموت من خليلك أو فراق

قال فأتاها أشعب فاستأذن عليها فأذنت له فدخل فقالت له ما بدا لك في زيارتنا يا أشعب فقال يا سيدتي أرسلني اليك الوليد برسالة ثم أنشدها الشعر فقالت لجواريها عليكن بهذا الخبيث فقال يا سيدتي انه دفع الي عشرة آلاف درهم فهي لك وأعتقيني لوجه الله فقالت والله لا أعتقك أو تبلغ اليه ما أقول لك قال يا سيدتي فاجعلي لي جعلا قالت لك بساطي هذا قال قومي عنه فقامت فأخذه وألقاه على ظهره وقال هاتي رسالتك فقالت أتبكي على سعدى وأنت تركتها * فقد ذهبت سعدى فما أنت صانع

فلما بلغه الرسالة ضاقت عليه الأرض بما رحبت وأخذته كظمة فقال لأشعب اختر مني احدى ثلاث اما أن أقتلك واما أن أطرحك من هذا القصر واما أن ألقيك الى هذه السباع فتفترسك فتحير أشعب وأطرق مليا ثم قال يا سيدي ما كنت لتعذب عينا نظرت الى سعدى فتبسم وخلى سبيله * وممن طلق امرأته فتبعتها نفسه الفرزدق الشاعر طلق النوار ثم ندم على طلاقها وقال

ندمت ندامة الكسعي لما * غدت مني مطلقة نوار * فأصبحت الغداة ألوم نفسي

بأمر ليس لي فيه اختيار * وكانت جنتي فخرجت منها * كآدم حين أخرجه الضرار

ولو أني ملكت بها يميني * لكان علي للقدر الخيار

وممن طلق امرأته فتبعتها نفسه فندم قيس بن ذريح وكان أبوه أمره بطلاقها فطلقها وندم على ذلك فأنشد يقول

فقي صبري وعاودني رداعي * وكان فراق لبنى كالخداع

تكنفني الوشاة فأزعجوني * فيا للناس للواشي المطاع * فأصبحت الغداة ألوم نفسي

على أمر وليس بمستطاع * كمغبون يعض على يديه * تبين غبنه عند البياع

أفضل الصلاة والسلام فلله المنة علينا وعليهم فمنا النبي المصطفى والخليفة المرتضى ولنا البيت المعمور وزمزم والحطيم والمقام والحجابة والبطحاء وما لا يحصى من المآثر ومنا الصديق والفاروق وذو النورين والوصي والولي وأسد الله وسيد الشهداء وبنا عرفوا الدين وأتاهم اليقين فمن زاحمنا زاحمناه ومن عادانا اصطلمناه ثم أقبل خالد على ابراهيم فقال ألك علم بلغة قومك قال نعم قال فما اسم العين عندكم قال الجمجمة قال فما اسم السن قال الميدن قال فما اسم الاذن قال الصنارة قال فما اسم الأصابع قال الشناتر قال فما اسم الذئب قال الكنع قال أفعالم أنت بكتاب الله عز وجل قال نعم قال فان الله تعالى يقول انا أنزلناه قرآنا عربيا وقال بلسان عربي مبين وقال تعالى وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه فنحن العرب والقرآن بلساننا أنزل ألم تر أن الله تعالى قال والعين بالعين ولم يقل والجمجمة بالجمجمة وقال تعالى والسن بالسن ولم يقل والميدن بالميدن وقال تعالى والأذن بالأذن ولم يقل والصنارة بالصنارة وقال تعالى يجعلون أصابعهم في آذانهم ولم يقل شناترهم في صناراتهم وقال تعالى فأكله الذئب ولم يقل فأكله الكنع ثم قال لابراهيم اني أسألك عن أربع ان أقررت بهن قهرت وان جحدتهن كفرت قال وما هن قال الرسول منا أو منكم قال منكم قال والقرآن أنزل علينا أو عليكم قال عليكم قال المنبر فينا أو فيكم قال فيكم قال فالبيت لنا أو لكم قال لكم قال فاذهب فما كان بعد هؤلاء فهو لكم بل ما أنت الا سائس قرد أو دابغ جلد أو ناسج برد قال فضحك أبو العباس وأمر لخالد وحباهما جميعا (وحكى) ان الحجاج

حدث العتبي قال جاء رجل بامرأة كأنها برج من فضة الى عبد الرحمن بن الحكم وهو على الكوفة فقال ان امرأتي هذه شجتني فسألها عبد الرحمن فقالت نعم يا مولاي غير متعمدة لذلك كنت أعالج طيبا فوقع الفهر من يدي على رأسه وليس عندي علم ولا تقوى بدني على القصاص فقال للرجل علام تمسكها وقد فعلت بك ما أرى فقال يا مولاي ان صداقها على أربعة آلاف درهم ولا تطيب نفسي بفراقها قال فان أعطيتك الاربعة آلاف درهم تفارقها قال نعم قال هي لك قال فهي اذن طالق فقال لها عبد الرحمن احبسي علينا نفسك وأنشأ يقول

يا شيخ يا شيخ من دلالك بالغزل * قد كنت يا شيخ عن هذا بمعتزل
رضت الصعاب فلم تحسن رياضتها * فاعمد لنفسك نحو القرح الذلل

والله سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿الباب الرابع والسبعون في تحريم الخمر وذمها والنهي عنها﴾

قد أنزل الله تعالى في الخمر ثلاث آيات الأولى قوله تعالى يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس الآية فكان من المسلمين من شارب ومن تارك الى أن شرب رجل فدخل في الصلاة فهجر فنزل قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون فشربها من شربها من المسلمين وتركها من تركها حتى شربها عمر رضي الله تعالى عنه فأخذ بلحي بعير وشج به رأس عبد الرحمن بن عوف ثم قعد ينوح على قتلى بدر بشعر الأسود بن يعفر يقول

وكائن بالقليب قليب بدر * من الفتيان والعرب الكرام
أيوعدني ابن كبشة أن سنحيا * وكيف حياة أصداء وهام
أيعجز أن يرد الموت عني * وينشرني اذا بليت عظامي
ألا من مبلغ الرحمن عني * باني تارك شهر الصيام
فقل لله يمنعني شرابي * وقل لله يمنعني طعامي

فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج مغضبا يجر رداءه فرفع شيأ كان في يده فضربه به فقال أعوذ بالله من غضبه وغضب رسوله فأنزل الله تعالى انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون فقال عمر رضي الله تعالى عنه انتهينا انتهينا * ومن الأخبار المتفق عليها في تحريمها قول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة مدمن خمر وقوله صلى الله عليه وسلم أول ما نهاني ربي بعد عبادة الأوثان عن شرب الخمر وملاحات الرجال * وممن تركها في الجاهلية عبد الله بن جدعان وكان جوادا من سادات قريش وذلك أنه شرب مع أمية بن أبي الصلت الثقفي فضربه على عينه فأصبحت عين أمية مخضرة يخاف عليها الذهاب فقال له عبد الله ما بال عينك فسكت فألح عليه فقال ألست ضاربها بالامس فقال أبلغ مني الشراب ما أبلغ معه الى هذا لا أشربها بعد اليوم ثم دفع له عشرة آلاف درهم وقال الخمر علي حرام لا أذوقها بعد اليوم أبدا * وممن حرمها في الجاهلية أيضا قيس بن عاصم وذلك أنه سكر ذات ليلة فقام لابنته أو لاخته فهربت منه فلما أصبح سأل عنها فقيل له أوما علمت ما صنعت البارحة فأخبر بالقصة فحرم الخمر على نفسه * وممن حرمها في الجاهلية أيضا العباس بن مرداس وقيس بن عاصم وذلك أن قيسا شرب ذات ليلة فجعل يتناول القمر ويقول والله لا أبرح حتى أنزله ثم يثب الوثبة بعد الوثبة ويقع على وجهه فلما أصبح وأفاق قال ما لي هكذا فأخبر بالقصة فقال والله لا أشربها أبدا وقيل للعباس بن مرداس لم تركت الشراب وهو يزيد في سماحتك فقال أكره أن أصبح سيد قومي وأمسي سفيههم * ودخل نصيب على عبد الملك بن مروان فانشده فأعجبه انشاده وشعره ووصله ثم عاد بالطعام فطعم منه فقال له عبد الملك يا نصيب هل لك فيما ينادم عليه قال يا أمير المؤمنين جلدي أسود وخلقي مشوه ووجهي قبيح وتكفيني مجالستك ومؤاكلتك ولم يوصلني الى ذلك الا عقلي وأنا أكره أن يدخل عليه ما ينقصه فأعجبه كلامه ووصله وقال الوليد بن عبد الملك للحجاج في وفدة وفدها عليه هل لك في الشراب فقال يا أمير المؤمنين لا خلاف لما أمرت ولكن أنا امنع أهل عملي منه وأكره أن أمنعهم عن شيء ولا أمتنع منه وقد قال الله تعالى وما أريد أن أخالفكم الى ما أنهاكم عنه وقال تعالى أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وقيل لاعرابي لم لا تشرب النبيذ فقال لا أشرب ما يشرب عقلي وقال الضحاك بن مزاحم لرجل ما تصنع بشرب

أخذ يزيد بن المهلب بن أبي صفرة وعذبه واستأصل موجوده وسجنه فتوصل يزيد بحسن تلطفه وأرغب السجان واستماله وهرب هو والسجان وقصد الشام الى سليمان ابن عبد الملك فلما وصل يزيد بن المهلب الى سليمان بن عبد الملك أكرمه وأحسن اليه وأقامه عنده فكتب الحجاج الى الوليد يعلمه أن يزيد هرب من السجن وانه عند سليمان بن عبد الملك أخي أمير المؤمنين وولي عهد المسلمين وان أمير المؤمنين أعلى رأيا فكتب الوليد الى أخيه سليمان بذلك فكتب سليمان الى أخيه يقول يا أمير المؤمنين اني ما أجرت يزيد بن المهلب الا لانه هو وأبوه واخوته من صنائعنا قديما وحديثا ولم أجر عدوا لأمير المؤمنين وقد كان الحجاج قصده وعذبه وغرمه أربعة آلاف ألف درهم ظلما ثم طالبه بثلاثة آلاف ألف درهم وقد صار الي واستجار بي فأجرته وأنا أغرم عنه هذه الثلاثة آلاف ألف درهم فان رأى أمير المؤمنين أن لا يخزيني في ضيفي فليفعل فانه أهل الفضل والكرم فكتب اليه الوليد انه لا بد أن ترسل الي يزيد مغلولا مقيدا فلما ورد ذلك على سليمان أحضر ولده أيوب فقيده ودعا يزيد بن المهلب فقيده ثم شد قيد هذا الى قيد هذا بسلسلة وغلهما جميعا بغلين وأرسلهما الى أخيه الوليد وكتب اليه أما بعد يا أمير المؤمنين فقد وجهت اليك يزيد وابن أخيك أيوب بن سليمان ولقد هممت ان أكون ثالثهما فان هممت يا أمير المؤمنين بقتل يزيد فبالله عليك ابدأ بأيوب من قبله ثم اجعل يزيد ثانيا واجعلني اذا شئت ثالثا والسلام فلما دخل يزيد بن المهلب وأيوب بن سليمان في سلسلة واحدة أطرق الوليد

النبيذ قال يهضم طعامى قال أما انه يهضم من دينك وعقلك أكثر وقال ابن أبى أوفى لقومه حين نهوا عن الخمر

ألا يا قومى ليس فى الخمر رفعة * فلا تقربوا منها فلست بفاعل
فانى رأيت الخمر شينا ولم يزل * أخو الخمر دخالا لشر المنازل

وقال الحسن لو كان العقل يشترى لتغالى الناس فى ثمنه فالعجب ممن يشترى بماله ما يفسده وقال عليه السلام حب الدنيا رأس كل خطيئة والنساء حبائل الشيطان والخمر داعية الى كل شر وقال بعضهم

بلوت نبيذ الخمر فى كل بلدة * فليس لاخوان النبيذ حفاظ
اذا دارت الارطال أرضوك بالمنى * وان فقدوها فالوجوه غلاظ

وقال حكيم اياك واخوان النبيذ فبينما أنت متوج عندهم مخدوم مكرم معظم اذ زلت بك القدم فجروك على شوك اسلم فاحفظ قول القائل فيه

وكل أناس يحفظون حريمهم * وليس لاصحاب النبيذ حريم
فان قلت هذا لم أقل عن جهالة * ولكننى بالفاسقين عليم

(وللاعرج الطائى) تركت الشعر واستبدلت منه * اذا داعى صلاة الصبح قاما
كتاب الله ليس له شريك * وودعت المدامة والنداما

(وقال الصفدى) دع الخمر فالراحات فى ترك راحها * وفى كأسها للمرء كسوة عار
وكم ألبست نفس الفتى بعد نورها * مدارع قار فى مدار عقار

(نكتة) اجتمع نصرانى ومحدث فى سفينة فصب النصرانى خمرا من زق كان معه فى شربة وشرب ثم صب فيها وعرض على المحدث فتناولها من غير فكر ولا مبالاة فقال النصرانى جعلت فداءك انما هى خمر قال من أين علمت أنها خمر قال اشتراها غلامى من يهودى وحلف انها خمر فشربها المحدث عن عجل وقال للنصرانى يا أحمق نحن أصحاب الحديث نضعف مثل سفيان بن عيينة ويزيد بن هرون أفنصدق نصرانيا عن غلامه عن يهودى والله ما شربتها الا لضعف الاسناد * ومن المجون فى ذلك ما حكى أن سكرانا استلقى على طريق فجاء كلب فلحس شفتيه فقال خدمك بنوك ولا عدموك فبال على وجهه فقال وماء حار أيضا بارك الله فيك وقيل جاءت السكارى ثلاثة قرد حرك رأسه فرقص وكلب هارش فنبح وحية تزويت فنامت ومر عقال الناسك بن رداس بن خدام الاسدى فاستسقاه ابنا فصب له خمرا وعلاه بابن فشربه وسكر ولم يتحرك ثلاثة أيام فقال

سقيت عقالا بالعشية شربة * فمالت بعقل الكاهلى عقال
قرعت بأم الخل حبة قلبه * فلم ينتعش منها ثلاث ليالى

ويقال الخمر مصباح السرور ولكنها مفتاح الشرور اللهم تب علينا وعلى العصاة والمذنبين برحمتك يا أرحم الراحمين آمين

﴿الباب الخامس والسبعون فى المزاح والنهى عنه وما جاء فى الترخيص فيه والبسط والتنعم وفيه فصول﴾

﴿الفصل الأول فى النهى عن المزاح﴾ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المزاح استدراج من الشيطان واختلاع من الهوى وعن على ما مزح أحد مزحة الا مج الله من عقله مجة وعنه اياك أن تذكر من الكلام ما يكون مضحكا وان حكيت ذلك عن غيرك وكتب عمر رضى الله تعالى عنه الى عماله امنعوا الناس من المزاح فانه يذهب بالمروءة ويوغر الصدور وقال بعض الحكماء تجنب سوء المزح ونكد الهزل فانهما بابان اذا فتحا لم يغلقا الا بعد غم وقال آخر لكل شئ بذر وبذر العداوة المزاح وعن محمد بن المنكدر قال قالت لى أمى لا تمازح الصبيان تهن عندهم وخرج اعرابى بالليل فاذا بجارية جميلة فراودها فقالت أما لك زاجر من عقلك اذا لم يكن لك واعظ من دينك فقال والله ما يرانا الا الكواكب فقالت له يا هذا وأين مكوكبها فأخجله كلامها فقال لها انما كنت مازحا فقالت

فاياك اياك المزاح فانه * يجرى عليك الطفل والرجل النذلا
ويذهب ماء الوجه بعد بهائه * ويورث بعد العز صاحبه ذلا

وقال الأحنف كثرة الضحك تذهب الهيبة وكثرة المزاح تذهب المروءة ومن لزم شيأ عرف به ومما روى عن

استحياء وقال لقد أسأنا الى أبى أيوب اذ بلغنا به هذا المبلغ فأخذ يزيد ليتكلم ويحتج لنفسه فقال له الوليد ما نحتاج الى الكلام فقد قبلنا عذرك وعلمنا ظلم الحجاج ثم انه أحضر حدادا وازال عنهما الحديد وأحسن اليهما ووصل أيوب ابن أخيه بثلاثين ألف درهم ووصل يزيد بن المهلب بعشرين ألف درهم وردهما الى سليمان وكتب كتابا الى الحجاج يقول له لا سبيل لك على يزيد ابن المهلب فاياك ان تعاودنى فيه بعد اليوم فسار يزيد الى سليمان بن عبد الملك وأقام عنده فى أعلى المراتب وأرفع المنازل انتهى

﴿وحكى أبو على المصرى﴾ قال كان لى جار شيخ يغسل الموتى فقلت له يوما حدثنى بأعجب ما رأيت من الموتى فقال جاءنى شاب فى بعض الأيام مليح الوجه حسن الثياب فقال لى أتغسل لنا هذا الميت قلت نعم فتبعته حتى أوقفنى على باب فدخل هنيهة فاذا بجارية هى أشبه الناس بالشاب قد خرجت وهى تمسح عينيها فقالت أنت الغاسل قلت نعم قالت بسم الله ادخل ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم فدخلت الدار واذا بالشاب الذى جاءنى يعالج سكرات الموت وروحه فى لبته وقد شخص بصره وقد وضع كفنه وحنوطه عند رأسه فلم أجلس اليه حتى قبض فقلت سبحان الله هذا ولى من أولياء الله تعالى حيث عرف وقت وفاته فأخذت فى غسله وأنا أرتعد فلما أدرجته أتت الجارية وهى أخته فقبلته وقالت أما انى سألحق بك عن قريب فلما أردت الانصراف شكرتنى وقالت أرسل الى زوجتك ان كانت تحسن ما تحسنه أنت فارتعدت من كلامها وعلمت أنها لاحقة به فلما فرغت من دفنه جئت أهلى فقصصت عليها

الصحابة رضوان الله عليهم أنهم كانوا يتحادثون و يتناشدون الاشعار فاذا جاء ذكر الله انقلبت حماليقهم كأنهم لم يعرفوا أحدا

﴿الفصل الثاني فيما جاء في الترخيص في المزاح والبسط والتنعم﴾ لا بأس بالمزاح مالم يكن سفها والله تعالى وعد في اللمم بالتجاوز والعفو فقال الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم وقيل ان يحيى بن زكريا لقي عيسى عليه الصلاة والسلام فقال مالي أراك لاهيا كأنك آمن فقال له عيسى مالي أراك عابسا كأنك آيس فقال لا تبرح حتى ينزل علينا الوحي فأوحى الله اليهما ان أحبكما الى أحسنكما ظنا بي ويروى ان أحبكما الى الطلق البسام وقال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه لجارية خلقني خالق الخير وخلقك خالق الشر فبكت الجارية فقال لا بأس عليك فان الله خالق الخير والشر قال الشاعر

ان الصديق يريد بسطك مازحا * فاذا رأى منك الملالة يقصر
وترى العدو اذا تيقن أنه * يؤذيك بالمزح العنيف يكثر

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمزح ولا يقول الا حقا فمن مزحه صلى الله عليه وسلم أنه جاء رجل فقال يارسول الله احملني على جمل فقال عليه الصلاة والسلام لا أحملك الا على ولد الناقة فقال يارسول الله انه لا يطيقني فقال له الناس ويحك وهل الجمل الا ولد الناقة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لامرأة من الانصار الحقي زوجك ففي عينيه بياض فسعت الى زوجها مرعوبة فقال لها مادهاك قالت ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لي ان في عينيك بياضا فقال نعم والله وسوادا وأتته أيضا عجوز أنصارية فقالت يارسول الله ادع الله أن يدخلني الجنة فقال لها يا أم فلان ان الجنة لا يدخلها عجوز فولت المرأة تبكي فتبسم صلى الله عليه وسلم وقال لها أما قرأت قوله تعالى انا أنشأناهن انشاء فجعلناهن أبكارا عربا أترابا وقالت عائشة رضي الله تعالى عنها سابقت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسبقته فلما كثر لحمي سابقته فسبقني فضرب بكتفي وقال هذه بتلك وعنها أيضا قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل وأنا ألعب مع صويحباتي ولا يعيب علي وسئل النخعي هل كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحكون قال نعم والايمان في قلوبهم مثل الجبال الرواسي وكان نعيمان الصحابي من أولع الناس بالمزاح والضحك قيل انه يدخل الجنة وهو يضحك فمن مزحه انه مر يوما بمخرمة بن نوفل الزهري وهو ضرير فقال له قدني حتى أبول فأخذ بيده حتى أتى به الى المسجد فاجلسه في مؤخره فصاح به الناس انك في المسجد فقال من قادني قالوا نعيمان قال لله علي نذر أن أضربه بعصاي هذه ان وجدته فبلغ ذلك نعيمان فجاء اليه وقال له يا أبا المسور هل لك في نعيمان قال نعم قال ها هو قائم يصلي وأخذ بيده وجاء به الى عثمان بن عفان وهو يصلي وقال هذا نعيمان فعلاه بعصاه فصاح الناس أمير المؤمنين فقال من قادني قالوا نعيمان فقال والله لا تعرضت له بسوء بعدها وقال عطاء بن السائب كان سعيد بن جبير يقص علينا حتى يبكينا وربما لم يقم حتى يضحكنا وكان رجل يسمى تاج الوعظ يعظ الناس ويقص عليهم حتى يبكيهم ثم لم يقم حتى يضحكهم ويبسط آمالهم فمن لطائفه أنه حكى يوما بعدما فرغ من ميعاده قال سمعت الناس يتكلمون في التصحيف وكنت لا أعرفه فوقع في قلبي أن أتعلمه فدخلت في سوق الكتبية واشتريت كتابا في التصحيف فأول ما تصفحته وجدت فيه سكباج تصحيفه شك تاج فرميت الكتاب من يدي وحلفت أني لا أشتغل به أبدا فضحك الناس حتى غشي عليهم ودخل عبد الله بن جعفر على عبد الملك بن مروان فوجده يتأوه فقال يا أمير المؤمنين لو أدخلت عليك من يؤنسك بأحاديث العرب ويباسطك استرحت فقال لست بصاحب لهو فقال ما الذي تشكوه يا أمير المؤمنين قال هاج بي عرق النسا في ليلتي هذه فبلغ مني ما ترى فقال ان بديحا مولاي أرقى الخلق منه فأمر باحضاره فلما مثل بين يديه قال له عبد الملك يا بديح ارق رجلي فقال يا مولاي أنا أرقى الناس لها ثم وضع يده عليها وجعل يقول مالا يسمع فقال عبد الملك قد وجدت راحة بهذه الرقية أين فلانة ائتوني بها اكتبيها لئلا يهيج بي الوجع بالليل فقال بديح الطلاق يلزمه ما أكتبها الا بتعجيل جائزتي فأمر له بأربعة آلاف درهم فقال يا أمير المؤمنين الطلاق يلزمه ما أكتبها حتى تحمل جائزتي الى بيتي قال تحمل فحملت فقال يا أمير المؤمنين الطلاق يلزمه ما رقيت رجلك الا مباسطة بقول نصيب حيث قال

الا ان ليلى العامرية أصبحت * على البعد مني ذنب غيري تنقم

فقال

القصة وأتيت بها الى تلك الجارية فوقفت بالباب واستأذنت فقالت بسم الله تدخل زوجتك فدخلت زوجتي فاذا بالجارية مستقبلة القبلة وقد ماتت فغسلتها زوجتي وأنزلتها على أخيها رحمة الله عليهما

أحبابنا بنتم عن الدار فاشتكت
لبعدكم آصالها وضحاها
وفارقتم الدار الأنيسة فاستوت
رسوم مبانيها وفاح كلاها
كأنكم يوم الفراق رحلتم
بنومي فعيني لا تصيب كراها
وكنت شحيحا من دموعي بقطرة
فقد صرت سمحا بعدكم بدماها
يراني بساما خليلي يظن بي
سرورا وأحشائي السقام ملاها
وكم ضحكة في القلب منها حرارة
يشب لظاها لو كشفت غطاها
رعى الله أياما بطيب حديثكم
تقضت وحياها الحيا وسقاها
فما فات ايما بعدها المسامر
من الناس الا قال قلبي آها

قيل لقيس بن سعد هل رأيت قط أسخى منك قال نعم نزلنا بالبادية على امرأة فجاء زوجها فقالت له انه نزل بنا ضيفان فجاء بناقة فنحرها وقال شأنكم فلما كان من الغد جاء بأخرى فنحرها وقال شأنكم فقلنا ما أكلنا من التي نحرت البارحة الا القليل فقال اني لا أطعم ضيفاني الغاب فبقينا عنده أياما والسماء تمطر وهو يفعل كذلك فلما أردنا الرحيل وضعنا مائة دينار في بيته وقلنا للمرأة اعتذري لنا اليه ومضينا فلما ارتفع النهار اذا برجل يصيح خلفنا قفوا فوقفنا فلما دنا منا قال خذوا دنانيركم فاني لا آخذ على اكرامي ثمنا وان لم تأخذوها طعنتكم برمحي هذا فأخذناها وانصرفنا (وكان) يزيد بن المهلب من الاجواد الأسخياء وله أخبار في الجود

فقال و يلك ما تقول فقال الطلاق يلزمه ما رقيتك الا به افقال اكتمها على فقال كيف وقد سارت به الركبان الى أخيك بمصر فضحك حتى فحص برجليه وأعجبه هذا البسط وروى أن ابن سيرين كان ينشد قول الشاعر

أنبئت أن فتاة كنت أخطبها * عرقوبها مثل شهر الصوم فى الطول

ثم يضحك حتى يسيل لعابه (ومما جاء فى الشطرنج واللعب به والنهى عنه والترخيص فيه) أما النهى عنه فقد قيل ان عليا كرم الله وجهه مر بقوم يلعبون الشطرنج فقال لهم ماهذه التماثيل التى أنتم لها عاكفون وكان أبو القاسم الكسروى يقول لاترى شطرنجيا غنيا الا بخيلا ولا فقيرا الا طفيليا ولا تسمع نادرة باردة الا على الشطرنج * واحتضر شطرنجى فصار يقول شاه مات شاه مات مكان الشهادتين حتى مات * وأما الترخيص فيه فقد سئل الشعبى عن اللعب بالشطرنج فقال لا بأس به اذا لم يكن هناك تقامر وتبادل وقال بعضهم كنا فى السجن مع ابن سيرين فكان يرانا ونحن نلعب بالشطرنج فيقوم فيأتى و يقول ارفع الفرس ارفع كذا افعل كذا ولا يعيب علينا وعن سعيد بن المسيب قال كنت ألعب بالشطرنج مع صديق فى بيته حين خفت الحجاج ومما قيل لعلى بن الجهم فى الشطرنج وقيل للمأمون

أرض مربعة حمراء من أدم * ما بين حرين معروفين بالكرم
تذكرا الحرب فاحتالا لها فطنا * من غير أن يأثما فيها بسفك دم
هذا يغير على هذا وذاك على * هذا يغير وعين الحزم لم تنم
فانظر الى همم جاشت بمعركة * فى عسكرين بلا طبل ولا علم

قالوا ان سبب وضع الشطرنج أن ملوك الهند ما كانوا يرون بقتال فاذا تنازع ملكان فى كورة أو مملكة تلاعبا بالشطرنج فيأخذها الغالب من غير قتال وقيل انه كان لبعض ملوك الفرس شطرنج من ياقوت أحمر وأصفر القطعة منه بثلاثة آلاف دينار * ومما جاء فى لعب الغلمان * ما حكى أن غلمانا من اهل البحرين خرجوا يلعبون بالصوالجة وأسقف البحرين قاعد فوقعت الاكرة على صدره فأخذها فجعلوا يطلبونها منه فأبى فقال غلام منهم سألتك بحق محمد صلى الله عليه وسلم الا رددتها علينا فأبى لعنه الله وسب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقبلوا عليه بصوالجهم فمازالوا يخبطونه حتى مات لعنة الله عليه فرفع ذلك الى عمر رضى الله تعالى عنه فوالله ما فرح بفتح ولا غنيمة كفرحته بقتل الغلمان لذلك الاسقف وقال الآن عز الاسلام ان أطفالا صغارا شتم نبيهم فغضبوا له وانتصروا وأهدر دم الاسقف والله سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

* الباب السادس والسبعون فى النوادر وفيه فصول *

* الفصل الأول من هذا الباب فى نوادر العرب * خرج المهدى يتصيد فغار به فرسه حتى وقع فى خباء اعرابى فقال يا اعرابى هل من قرى فأخرج له قرص شعير فأكله ثم أخرج له فضلة من لبن فسقاه ثم أتاه بنبيذ فى ركوة فسقاه فلما شرب قال أتدرى من أنا قال لا قال أنا من خدم أمير المؤمنين الخاصة قال بارك الله لك فى موضعك ثم سقاه مرة أخرى فشرب فقال يا اعرابى أتدرى من أنا قال زعمت أنك من خدم أمير المؤمنين الخاصة قال لا أنا من قواد أمير المؤمنين قال رحبت بلادك وطاب مرادك ثم سقاه الثالثة فلما فرغ قال يا اعرابى أتدرى من أنا قال زعمت أنك من قواد أمير المؤمنين قال لا ولكنى أمير المؤمنين قال فأخذ الاعرابى الركوة فوكاها وقال اليك عنى فوالله لو شربت الرابعة لادعيت أنك رسول الله فضحك المهدى حتى غشى عليه ثم أحاطت به الخيل ونزلت اليه الملوك والاشراف فطار قلب الاعرابى فقال له لا بأس عليك ولا خوف ثم أمر له بكسوة ومال جزيل ووجد اعرابى يأكل ويتغوط ويفلى ثوبه فقيل له فى ذلك فقال أخرج عتيقا وأدخل جديدا وأقتل عدوا * وقيل لبعض الاعراب ان شهر رمضان قدم فقال والله لا بددنه بالاسفار * وسمع اعرابى قارئا يقرا القرآن حتى أتى على قوله تعالى الأعراب أشد كفرا ونفاقا فقال لقد هجانا ثم بعد ذلك سمعه يقرأ ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر فقال لا بأس هجا ومدح هذا كما قال شاعرنا

هجوت زهيرا ثم انى مدحته * ومازالت الأشراف تهجى وتمدح

وحضر اعرابى على مائدة يزيد بن مزيد فقال لأصحابه افرجوا لأخيكم فقال الاعرابى لا حاجة لى بافراجكم

عجيبة من ذلك ما حكاه عقيل بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه قال لما أراد يزيد بن المهلب الخروج الى واسط أتيته فقلت أيها الأمير ان رأيت أن تأذن لى فأصحبك قال اذا قدمت واسطا فأتنا ان شاء الله تعالى فسافر وأقمت فقال لى بعض اخوانى اذهب اليه فقلت كان جوابه فيه ضعف قال أتريد من يزيد جوابا أكثر مما قال فسرت حتى قدمت عليه فلما كان فى الليل دعيت الى السمر فتحدث القوم حتى ذكروا الجوارى فالتفت الى يزيد وقال ايه يا عقيل فقلت

أفاض القوم فى ذكر الجوارى
فأما الأعزبون فلن يقولوا

قال انك لا تبقى عزبا فلما رجعت الى منزلى اذا أنا بخادم قد أتانى ومعه جارية وفرش بيت وبدرة عشرة آلاف درهم وفى الليلة الثانية كذلك فمكثت عشر ليال وأنا على هذه الحالة فلما رأيت ذلك دخلت عليه فى اليوم العاشر فقلت أيها الأمير قد والله أغنيت وأقنيت فان رأيت أن تأذن لى فى الرجوع فأكبت عدوى وأسر صديقى فقال انما أخيرك بين خلتين اما أن تقيم فنوليك أو ترحل فنغنيك فقلت أولم تغننى أيها الأمير قال انما هذا أثاث المنزل ومصلحة القدوم فنالنى من فضله مالا أقدر على وصفه (وحدث) أبو اليقظان عن أبيه قال حج يزيد ابن المهلب فطلب حلاقا يحلق رأسه فجاؤه بحلاق فحلق رأسه فأمر له بخمسة آلاف درهم فتحير الحلاق ودهش وقال آخذ هذه الخمسة آلاف وأمضى الى أم فلان أخبرها أنى قد استغنيت فقال أعطوه خمسة آلاف أخرى فقال امرأته طالق ان حلقت رأس أحد بعدك (وقيل) ان الحجاج حبسه على خراج وجب عليه مبلغه مائة ألف درهم

ان أطنابي طوال يعني سواعده فلما مد يده ضرط فضحك يزيد فقال يا أخا العرب ظن أن طنبا من أطنابك قد انقطع * وروي اعرابي يغطس في البحر ومعه خيط وكلما اغطس فطس فعقد عقدة فقيل له ما هذا قال جنابات الشتاء أقضيها في الصيف * وسرق اعرابي غاشية من على سرج ثم دخل المسجد يصلي فقرأ الامام هل أتاك حديث الغاشية فقال يا فقيه لا تدخل في الفضول فلما قرأ وجوه يومئذ خاشعة قال خذوا غاشيتكم ولا يخشع وجهي لا بارك الله لكم فيها ثم رماها من يده وخرج * وحضر اعرابي مجلس قوم فتذاكروا قيام الليل فقيل له يا أبا امامة أتقوم الليل فقال نعم قالوا ما تصنع قال أبول وأرجع أنام * وسرق اعرابي صرة فيها دراهم ثم دخل المسجد يصلي وكان اسمه موسى فقرأ الامام وما تلك بيمينك يا موسى فقال الاعرابي والله انك لساحر ثم رمى الصرة وخرج

(وحكى) الأصمعي قال ضلت لي ابل فخرجت في طلبها وكان البرد شديدا فالتجأت الى حي من أحياء العرب واذا بجماعة يصلون وبقربهم شيخ ملتف بكساء وهو يرتعد من البرد وينشد

أيا رب ان البرد أصبح كالحا * وأنت بحالي يا الهي أعلم
فان كنت يوما في جهنم مدخلي * ففي مثل هذا اليوم طابت جهنم

قال الأصمعي فتعجبت من فصاحته وقلت له يا شيخ أما تستحي تقطع الصلاة وأنت شيخ كبير فأنشد يقول

أيطمع ربي أن أصلي عاريا * ويكسو غيري كسوة البرد والحر
فوالله لا صليت ما عشت عاريا * عشاء ولا وقت المغيب ولا الوتر
ولا الصبح الا يوم شمس دفيئة * وان غيمت فالويل للظهر والعصر
وان يكسني ربي قميصا وجبة * أصلي له مهما أعيش من العمر

قال فأعجبني شعره وفصاحته فنزعت قميصا وجبة كانا علي ودفعتهما اليه وقلت له البسهما وقم فصل فاستقبل القبلة وصلى جالسا وجعل يقول

اليك اعتذاري من صلاتي جالسا * على غير طهر موميا نحو قبلتي
فمالي ببرد الماء يا رب طاقة * ورجلاي لا تقوى على ثني ركبتي
ولكنني أستغفر الله شاتيا * وأقضيكها يا رب في وجه صيفتي
وان أنا لم أفعل فأنت محكم * بما شئت من صفعي ومن نتف لحيتي

قال فعجبت من فصاحته وضحكت عليه وانصرفت وصلى اعرابي مع قوم فقرأ الامام قل أرأيتم ان أهلكني الله ومن معي أو رحمنا فقال الاعرابي أهلكك الله وحدك أيش كان ذنب الذين معك فقطع القوم الصلاة من شدة الضحك وقيل دخلت أعرابية على قوم يصلون فقرأ الامام فانكحوا ما طاب لكم من النساء وجعل يرددها فجعلت الاعرابية تعدو وهي هاربة حتى جاءت لأختها فقالت يا اختاه ما زال الامام يأمرهم أن ينكحوا حتى خشيت أن يقعوا علي وصلى اعرابي خلف امام فقرأ الامام ألم نهلك الأولين وكان في الصف الأول فتأخر الى الصف الآخر فقرأ ثم نتبعهم الآخرين فتأخر فقرأ كذلك نفعل بالمجرمين وكان اسم البدوي مجرما فترك الصلاة وخرج هاربا وهو يقول والله ما المطلوب غيري فوجده بعض الاعراب فقال له مالك يا مجرم فقال ان الامام أهلك الأولين والآخرين وأراد أن يهلكني في الجملة والله لا رأيته بعد اليوم * وجلس بعض الاعراب يشرب مع ندمائه فاحتاج الى بيت الخلاء فدلوه عليه فلما دخل جعل يضرط ضراطا شنيعا فضحكوا عليه فانشد يقول

اذا ما خلا الانسان في بيت غائط * تراخت بلا شك مصاريع فقحته
فمن كان ذا عقل فيعذر ضارطا * ومن كان ذا جهل ففي وسط لحيته

وكان لسابور ملك فارس نديم مضحك يسمى مرزبان فظهر له من الملك جفوة فلما زاد ذلك عليه تعلم نبيح الكلاب وعوي الذئاب ونهيق الحمير وصهيل الخيل وصوت البغال ثم احتال حتى دخل موضعا بقرب خلوة الملك وأخفى أمره فلما خلا الملك بنفسه نبح نبيح الكلاب فلم يشك الملك في أنه كلب فقال انظروا ما هذا فعوى عوي الذئاب فنزل الملك عن سريره فنهق نهيق الحمير فمضى الملك هاربا ومضت الغلمان يتبعون الصوت فلما دنوا منه صهل صهيل الخيل فاقتحموا عليه وأخرجوه عريانا فلما وصلوا به الى الملك ورآه مرزبان ضحك الملك ضحكا شديدا وقال له ما حملك على ما صنعت ان الله عز وجل مسخني كلبا وذئبا وحمارا وفرسا لما غضب على الملك

خشعت له وهو في السجن فجاءه الفرزدق يزوره فقال للحاجب استأذن لي عليه فقال انه في مكان لا يمكن الدخول عليه فيه فقال الفرزدق انما أتيت متوجعا لما هو فيه ولم آت ممتدحا فاذن له فلما أبصره قال

أيا خالد ضاقت خراسان بعدكم
وقال ذوو الحاجات أين يزيد
فما قطرت بالشرق بعدك قطرة
ولا اخضر بالمروين بعدك عود
وما لسرور بعد عزك بهجة
وما لجواد بعد جودك جود

فقال يزيد للحاجب ادفع اليه المائة ألف درهم التي جمعت لنا ودع الحجاج ولحمي يفعل فيه ما يشاء فقال الحاجب للفرزدق هذا الذي خفت منه لما منعتك من دخولك عليه فأخذها وانصرف (ومر) يزيد بن المهلب عند خروجه من سجن عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه بعجوز أعرابية فذبحت له عنزا فقال لابنه ما معك من النفقة قال مائة دينار قال ادفعها اليها فقال هذه يرضيها اليسير وهي لا تعرفك قال ان كان يرضيها اليسير فانا لا أرضى الا بالكثير وان كانت لا تعرفني فأنا أعرف نفسي (وقال أبو العيناء) تذاكروا السخاء فاتفقوا على آل المهلب في الدولة المروانية وعلى البرامكة في الدولة العباسية ثم اتفقوا على ان أحمد بن داود أسخى منهم جميعا وأفضل (وسئل) اسحق الموصلي عن سخاء أولاد يحيى بن خالد فقال أما الفضل فيرضيك فعله وأما جعفر فيرضيك قوله وأما محمد فيفعل بحسب ما يجد وفي يحيى يقول القائل

سألت الندى هل أنت حر فقال لا
ولكنني عبد ليحيى بن خالد
فقلت شراء قال لا بل وراثة
توارثني عن والد بعد والد

(وفي الفضل يقول القائل)

قال فأمر الملك أن يخلع عليه وأن يرد الى مرتبته الاولى ومن الملح قول بعض الشعراء

أيا من فاق حسنا واعتدالا * ووبخ في عطيته السبايا
أما في مال ردفك من زكاة * فتدخل فيه لي هذا النصايا

(وحكى) الاصمعي ان عجوزا من الاعراب جلست في طريق مكة الى فتيان يشربون نبيذا فسقوها قدحا فطابت نفسها فتبسمت فسقوها قدحا آخر فاحمر وجهها وضحكت فسقوها ثالثا فقالت خبروني عن نسائكم بالعراق أيشربن من النبيذ قالوا نعم قالت زنين ورب الكعبة والله ان صدقتم ما فيكم من يعرف أباه وصلى اعرابي خلف امام فقرأ انا أرسلنا نوحا الى قومه ثم وقف وجعل يرددها فقال الاعرابي أرسل غيره يرحمك الله وأرحنا وأرح نفسك وصلى آخر خلف امام فقرأ فلن أبرح الارض حتى يأذن لي أبي ووقف وجعل يرددها فقال الاعرابي يا فقيه اذا لم يأذن لك أبوك في هذا الليل نظل نحن وقوفا الى الصباح ثم تركه وانصرف ولزم اعرابي سفيان بن عيينة مدة يسمع منه الحديث فلما ان جاء ليسافر قال له سفيان يا اعرابي ما أعجبك من حديثنا قال ثلاثة أحاديث حديث عائشة رضي الله تعالى عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يحب الحلوى والعسل وحديثه عليه الصلاة والسلام اذا وضع العشاء وحضرت الصلاة فابدؤا بالعشاء وحديث عائشة عنه أيضا ليس من البر الصوم في السفر وقيل لاعرابية ما صفة الاير عندكم قالت عصبة ينفخ فيها الشيطان فلا يرد أمرها وانفرد الرشيد وعيسى بن جعفر ومعه الفضل بن يحيى فاذا هو بشيخ من الاعراب على حمار وهو رطب العينين فقال له الفضل هل أدلك على دواء لعينيك قال ما أحوجني الى ذلك قال خذ عيدان الهواء وغبار الماء فصيره في قشر بيض الذروا كتحل به ينفعك فاتكى الشيخ وضرط ضرطة قوية وقال خذ هذه في لحيتك أجرة وصفتك وان زدت زدناك فضحك الرشيد حتى استلقى على ظهر دابته *وخرج معن بن زائدة في جماعة من خواصه للصيد فاعترضهم قطيع ظباء فتفرقوا في طلبه وانفرد معن خلف ظبي حتى انقطع عن أصحابه فلما ظفر به نزل فذبحه فرأى شيخا مقبلا من البرية على حمار فركب فرسه واستقبله فسلم عليه فقال من أين والى أين قال أتيت من أرض لي لها عشرون سنة مجدبة وقد أخصبت في هذه السنة فزرعتها مقثأة فطرحت في غير وقتها فجمعت منها ما استحسنته وقصدت به معن بن زائدة لكرمه المشكور وفضله المشهور ومعروفه المأثور واحسانه الموفور قال وكم أملت منه قال ألف دينار قال فان قال لك كثير قال خمسمائة قال فان قال لك كثير قال ثلثمائة قال فان قال لك كثير قال مائة قال فان قال كثير قال خمسين قال فان قال لك كثير قال فلا أقل من الثلاثين قال فان قال لك كثير قال أدخل قوائم حماري في حر أمه وأرجع الى أهلي خائبا فضحك معن منه وساق جواده حتى لحق بأصحابه ونزل في منزله وقال لحاجبه اذا أتاك شيخ على حمار بقثاء فادخل به علي فأتى بعد ساعة فلما دخل عليه لم يعرفه لهيبته وجلالته وكثرة حشمه وخدمه وهو متصدر في دسته والخدم والحفدة قيام عن يمينه وشماله وبين يديه فلما سلم عليه قال ما الذي أتى بك يا أخا العرب قال أملت الامير وأتيته بقثاء في غير أوان فقال كم أملت فينا قال ألف دينار قال كثير فقال والله لقد كان ذلك الرجل ميشوما علي ثم قال خمسمائة دينار قال كثير فما زال الى أن قال خمسين دينارا فقال له كثير فقال لا أقل من الثلاثين فضحك معن فعلم الاعرابي انه صاحبه فقال يا سيدي ان لم تجب الى الثلاثين فالحمار مربوط بالباب وها معن جالس فضحك معن حتى استلقى على فراشه ثم دعا بوكيله فقال أعطه ألف دينار وخمسمائة دينار وثلثمائة دينار ومائة دينار وخمسين دينارا وثلاثين دينارا ودع الحمار مكانه فتسلم الاعرابي المال وانصرف

﴿الفصل الثاني في نوادر القراء والفقهاء﴾ عن محمد بن عبد الله قال كنا في دهليز عثمان بن شيبة فخرج الينا فقال ن والقلم في أي سورة *ومر بعضهم بقارئ يقرأ الم غلبت الترك في أدنى الارض فقال له الروم فقال له كلهم أعداؤنا قاتلهم الله وكان جماعة يجلسون الى أبي العيناء وفيهم رجل لا يتكلم فقيل له يوما كيف علمك بكتاب الله قال أنا عالم به فقيل له هذه الآية في أي سورة الحمد لله لا شريك له فقال له في سورة الحمد فضحكوا عليه * وجاء رجل الى فقيه فقال أفطرت يوما في رمضان فقال اقض يوما مكانه قال قضيت وأتيت أهلي وقد عملوا مامونية فسبقتني يدي اليها فأكلت منها فقال اقض يوما آخر مكانه قال قضيت وأتيت أهلي وقد عملوا هريسة فسبقتني يدي اليها فقال أرى أن لا تصوم الا ويدك مغلولة الى عنقك * وجاء رجل الى بعض الفقهاء

اذا نزل الفضل بن يحيى ببلدة
رأيت بها غيث السماحة ينبت
فليس بسعال اذا سيل حاجة
ولا بمكب في ثرى الارض ينكت
(وفي محمد يقول القائل)
سألت الندى والجود ما لي أراكما
تبدلتما عزا بذل مؤبد
وما بال ركن المجد أمسى مهدما
فقالا أصبنا بابن يحيى محمد
فقلت فهلا متما بعد موته
وقد كنتما عبديه في كل مشهد
فقالا أقمنا كي نعزى بفقده
مسافة يوم ثم نتلوه في غد
وقال علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه وكرم الله تعالى وجهه من كانت له الي حاجة فليرفعها الي في كتاب لاصون وجهه عن المسئلة (وجاءه) رضي الله تعالى عنه اعرابي فقال له يا أمير المؤمنين ان لي اليك حاجة الحياء يمنعني أن أذكرها فقال خطها في الارض فكتب اني فقير فقال يا قنبر اكسه حلتي فقال الاعرابي
كسوتني حلة تبلى محاسنها
فسوف أكسوك من حسن الثنا حللا
ان نلت حسن ثنائي نلت مكرمة
ولست تبغي بما قدمته بدلا
ان الثناء ليحيي ذكر صاحبه
كالغيث يحيي نداه السهل والجبلا
لا تزهد الدهر في عرف بدأت به
كل امرئ سوف يجزى بالذي فعلا
فقال يا قنبر زده مائة دينار فقال يا أمير المؤمنين لو فرقتها في المسلمين لاصلحت بها من شأنهم فقال رضي الله تعالى عنه صه يا قنبر فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اشكروا لمن أثنى عليكم واذا أتاكم كريم قوم فاكرموه (وسئل) اسحق الموصلي عن المخلوع فقال كان أمره كله عجبا كان لا يبالي أين يقعد مع جلسائه وكان عطاؤه عطاء من لا يخاف الفقر كان عنده سليمان بن أبي جعفر يوما فأراد الرجوع الى أهله فقال له سيدي أحب البيلة

فقال له أنا أعبد الله على مذهب ابن حنبل وانى توضأت وصليت فبينما أنا فى الصلاة اذ أحسست ببلل فى سراويلى يتلزق فشممته فاذا رائحته كريهة خبيثة قال الفقيه عافاك الله خريت باجماع المذاهب * وجاء رجل الى فقيه قال أنا رجل أفسو فى ثيابى حتى تفوح روائحى فهل يجوز لى أن أصلى فى ثيابى قال نعم لكن لا كثر الله فى المسلمين مثلك * ووقع بين الاعمش وبين امرأته وحشة فسأل بعض أصحابه من الفقهاء أن يرضيها او يصلح بينهما فدخل اليها وقال ان أبا محمد شيخ كبير فلا يزهدنك فيه عمش عينيه ودقة ساقيه وضعف ركبتيه ونتن ابطيه وبخر فيه وجمود كفيه فقال له الاعمش قم قبحك الله فقد أريتها من عيوبى مالم تكن تعرفه * وسكن بعض الفقهاء فى بيت سقفه يقرقع فى كل وقت فجاءه صاحب البيت يطلب الأجرة فقال له اصلح السقف فانه يقرقع قال لا تخف فانه يسبح الله تعالى قال اخشى أن تدركه رقة فيسجد

﴿الفصل الثالث فى نوادر القضاة﴾ كان لبعض القضاة بغلة فقرأ يوما فى المصحف ومامن دابة فى الارض الا على الله رزقها فقال لغلامه اطلق البغلة ورزقها على الله فصارت البغلة تدور فى الاسواق والازقة وتأكل قشور الباذنجان وقشور الرمان وقشور البطيخ وقمامات الطريق فماتت فأمر الغلام باحضار المشاعلية ليحملوها لظاهر المدينة فاحضرهم فطلبوا من القاضى عشرة دراهم أجرة حملها وقالوا اليس لنا شئ نرتزق منه الا من مثل هذا وسيدنا رجل غنى وله أشياء كثيرة العدالة والتزويج والعقود والورقة والسجن والاطلاق وجامكية الحكم وأجرة اليمين والتدريس والاوقاف فقال لهم القاضى المثل يقال هذا وأنتم لكم اثنا عشر بابا من المنافع منها الوسخ والزفر والملع والولع وبيت النبذة وشركة النفوس وجباية الاسواق وحرق النار وسلب الشطار ولكم الصياح وثمن الاصلاح وماتروحون من هذه البغلة بلا شئ جلدها للدباغين وذنبها للغرابلية ومعرفتها للشعار وتطبيقتها للبيطار قال فتقدم أحدهم اليه وقال بحق من تاب عليك ورد عاقبتك الى خير وأراحك من هذا المعاش تصدق علينا بشئ ولا تدعنا نروح بلاش * تفسير هذه الالفاظ الزفر النساء الزانيات والوسخ المراحيض والملع جباية الاسواق والولع القمار وبيت النبذة محل المزر وشركة النفوس كل من حمل ميتا ولحقوه قبل أن يخرج من باب البلد كانوا شركاءه وسلب الشطار كل من شنقوه لهم سلبه * وولى يحيى بن أكثم قاضيا على أهل جبلة فبلغه ان الرشيد انحدر الى البصرة فقال لاهل جبلة اذا اجتاز الرشيد فاذكرونى عنده بخير فوعدوه بذلك فلما جاء الرشيد تقاعدوا عنه فسرح القاضى لحيته وكبر عمته وخرج فرأى الرشيد فى الحراقة ومعه أبو يوسف القاضى فقال يا أمير المؤمنين نعم القاضى قاضى جبلة عدل فينا وفعل كذا وكذا وجعل يثنى على نفسه فلما رآه أبو يوسف عرفه فضحك فقال له الرشيد مم تضحك فقال يا أمير المؤمنين المثنى على القاضى هو القاضى فضحك الرشيد حتى فحص برجله الارض ثم أمر بعزله فعزل * وأحضر رجل ولده الى القاضى فقال يامولانا ان ولدى هذا يشرب الخمر ولا يصلى فانكر ولده ذلك فقال أبوه ياسيدى أفتكون صلاة بغير قراءة فقال الولد انى أقرأ القرآن فقال له القاضى اقرأ حتى أسمع فقال

علق القلب الربابا * بعدما شابت وشابا ان دين الله حق * لا أرى فيه ارتيابا

فقال أبوه انه لم يتعلم هذا الا البارحة سرق مصحف الجيران وحفظ هذا منه فقال القاضى وأنا الآخر أحفظ آية منها وهى

فارحمى مضنى كئيبا * قد رأى الهجر عذابا

ثم قال القاضى قاتلكم الله يعلم أحدكم القرآن ولا يعمل به * وتقدم اثنان الى أبى صمصامة القاضى فادعى أحدهما على الآخر طنبورا فأنكر فقال للمدعى ألك بينة فقال لى شاهدان فاحضر رجلين شهدا له فقال المدعى عليه سلهما ياسيدى عن صناعتهما فاخبر أحدهما انه نباذ وقال الآخر انه قواد فالتفت القاضى الى المدعى عليه وقال أتريد على طنبور أعدل من هذين ادفع اليه طنبوره * وتحاكم الرشيد وزبيدة الى أبى يوسف القاضى فى الفالوذج واللوزينج أيهما أطيب فقال أبو يوسف أنا لا أحكم على غائب فامر الرشيد باحضارهما وقدما بين يدى أبى يوسف فجعل يأكل من هذا مرة ومن هذا مرة حتى نصف الجامين ثم قال يا أمير المؤمنين ما رأيت أعدل منهما كلما أردت أن أحكم لأحدهما اتى الآخر بحجته * وأتى بعض المجان لبعض القضاة فقال ياسيدى ان امرأتى قحبة فقال له القاضى طلقها فقال عشقانا فقال قوادها انا * وادعى رجل عند قاضى على امرأة حسناء بدين فجعل القاضى يميل اليها بالحكم فقال الرجل أصلح الله القاضى حتى

أم سفر البحر قال البحر الذى على فقال أوقروا له زورقه ذهبا وأمر له بألف ألف درهم (وشكا) سعيد بن عمرو بن عثمان بن عفان موسى بن شهوان الى سليمان بن عبد الملك وقال قد هجانى يا أمير المؤمنين فاستحضره سليمان وقال لا أم لك تهجو سعيدا قال يا أمير المؤمنين أخبرك الخبر عشقت جارية مدنية وأتيت سعيدا فقلت انى أحب هذه الجارية ومولاتها أعطيت فيها مائتى دينار وقد أتيتك فقال لى بورك فيك قال فأتيت يا أمير المؤمنين سعيد بن خالد فذكرت له حالى فقال يا جارية هاتى مطرفا فأتته بمطرف خز فصر لى فى زوايته مائتى دينار فخرجت وأنا أقول

أبا خالد أعنى سعيد بن خالد
أخا العرف لا أعنى ابن بنت سعيد
ولكننى أعنى ابن عائشة الذى
أبو أبويه خالد بن أسيد
عقيد الندى ما عاش يرضى به الندى
فان مات لم يرض الندى بعقيد
ذروه ذروه انكم قد رقدتمو
وما هو عن احسانكم برقود

فقال سليمان قل ما شئت وكتب كلثوم بن عمر الى بعض الكرماء رقعة فيها

اذا اتكرهت أن تعطى القليل
ولم تقدر على سعة لم يظهر الجود
بث النوال ولا تمنعك قلته
فكل ما سد فقرا فهو محمود

فشاطره ماله حتى بعث اليه بنصف خاتمه وفرد نعله (ودخل) طلحة بن عبد الله بن عوف السوق يوما فوافق فيه الفرزدق فقال يا أبا فراس اختر عشرا من الابل ففعل فقال ضم اليها مثلها فلم يزل يقول مثل ذلك حتى بلغت مائة فقال هى لك فقال

ياطلح أنت أخو الندى وعقيده
ان الندى ما مات طلحة ماتا

أوضح من هذا النهار فقال له القاضي اسكت يا عدو الله فان الشمس أوضح من النهار قم لا حق لك عليها فقالت المرأة جزاك الله عن ضعفي خيرا فقد قويته فقال الرجل لا جزاك الله عن قوتي خيرا فقد أوهيتها * ورفعت امرأة زوجها الى القاضي تبغي الفرقة وزعمت أنه يبول في الفراش كل ليلة فقال الرجل للقاضي يا سيدي لا تعجل علي حتى أقص عليك قصتي اني أرى في منامي كأني في جزيرة في البحر وفيها قصر عال وفوق القصر قبة عالية وفوق القبة جمل وأنا على ظهر الجمل وان الجمل يطأطئ برأسه ليشرب من البحر فاذا رأيت ذلك بلت من شدة الخوف فلما سمع القاضي ذلك بال في فراشه وثيابه وقال يا هذه أنا قد أخذني البول من هول حديثه فكيف بمن يرى الأمر عيانا ﴿وحكي﴾ أن تاجرا عبر الى حمص فسمع مؤذنا يقول أشهد أن لا اله الا الله وأن أهل حمص يشهدون أن محمدا رسول الله فقال والله لأمضين الى الامام وأسأله فجاء اليه فرآه قد أقام الصلاة وهو يصلي على رجل ورجله الأخرى ملوثة بالعذرة فمضى الى المحتسب ليخبره بهذا الخبر فسأل عنه فقيل انه في الجامع الفلاني يبيع الخمر فمضى اليه فوجده جالسا وفي حجره مصحف وبين يديه باطية مملوءة خمرا وهو يحلف للناس بحق المصحف أن الخمرة صرف ليس فيها ماء وقد ازدحمت الناس عليه وهو يبيع فقال والله لأمضين الى القاضي وأخبره فجاء الى القاضي فدفع الباب فانفتح فوجد القاضي نائما على بطنه وعلى ظهره غلام يفعل فيه الفاحشة فقال التاجر قلب الله حمص فقال القاضي لم تقول هذا فأخبره بجميع ما رأى فقال يا جاهل أما المؤذن فان مؤذننا مرض فاستأجرنا يهوديا صبيا يؤذن مكانه فهو يقول ما سمعت وأما الامام فانهم لما أقاموا الصلاة خرج مسرعا فتلوثت رجله بالعذرة وضاق الوقت فأخرجها من الصلاة واعتمد على رجله الأخرى ولما فرغ غسلها وأما المحتسب فان ذلك الجامع ليس له وقف الا كرم وعنبه ما يؤكل فهو يعصره خمرا ويبيعه ويصرف ثمنه في مصالح الجامع وأما الغلام الذي رأيته فان أباه مات وخلف مالا كثيرا وهو تحت الحجر وقد كبر وجاء جماعة شهدوا عندي انه بلغ فأنا أمتحنه فخرج التاجر من البلد وحلف أنه لا يعود اليها أبدا

﴿الفصل الرابع في نوادر النحاة﴾ وقف نحوي على بياع يبيع أرزا بعسل وبقلا بخل فقال بكم الأرز بالأعسل والأخال بالأبقل فقال بالأصفع في الاروس والأضرط في الأذقن * ووقع نحوي في كنيف فجاءه كناس ليخرجه فصاح به الكناس ليعلم أهو حي أم لا فقال له النحوي اطلب لي حبلا دقيقا وشدني شدا وثيقا واجذبني جذبا رفيقا فقال الكناس امرأته طالق ان أخرجتك منه ثم تركه وانصرف وكان لبعضهم ولد نحوي يتقعر في كلامه فاعتل أبوه علة شديدة أشرف منها على الموت فاجتمع عليه أولاده وقالوا له ندعوا لك فلانا أخانا قال لا ان جاءني قتلني فقلنا نحن نوصيه أن لا يتكلم فدعوه فلما دخل عليه قال له يا أبت قل لا اله الا الله تدخل بها الجنة وتفوز من النار يا أبت والله ما أشغلني عنك الا فلان فانه دعاني بالأمس فاهرس وأعدس واستبذج وسكبج وطهبج وأفرج ودجج وأبصل وأمضر ولوزج وافلوزج فصاح أبوه غمضوني فقد سبق ابن الزانية ملك الموت الى قبض روحي * وجاء نحوي يعود مريضا فطرق بابه فخرج اليه ولده فقال كيف وجدت أباك قال يا عم ورمت رجليه قال لا تلحن قل رجلاه ثم ماذا قال ثم وصل الورم الى ركبتاه قال لا تلحن قل الى ركبتيه ثم ماذا قال مات وأدخله الله في بظر عيالك وعيال سيبويه ونفطويه وبخشويه * وعاد بعضهم نحويا فقال ما الذي تشكوه قال حمى جاشية نارها حامية منها الأعضاء واهية والعظام بالية فقال له لا شفاك الله بعافية يا ليتها كانت القاضية

﴿الفصل الخامس في نوادر المعلمين﴾ قال الجاحظ مررت بمعلم صبيان وعنده عصا طويلة وعصا قصيرة وصولجان وكرة وطبل وبوق فقلت ما هذه فقال عندي صغار أوباش فأقول لأحدهم اقرأ لوحك فيصفر لي بضرطة فاضربه بالعصا القصيرة فيتأخر فاضربه بالعصا الطويلة فيفر من بين يدي فاضع الكرة في الصولجان وأضربه بها فأشجه فتقوم الى الصغار كلهم بالالواح فاجعل الطبل في عنقي والبوق في في وأضرب الطبل وأنفخ في البوق فيسمع أهل الدرب ذلك فيسارعون الي ويخلصوني منهم ﴿وحكى﴾ الجاحظ أيضا قال مررت على خربة فاذا بها معلم وهو ينبح نبيح الكلاب فوقفت أنظر اليه واذا بصبي قد خرج من دار فقبض عليه المعلم وجعل يلطمه ويسبه فسألت عن خبره فقال هذا صبي لئيم يكره التعليم ويهرب ويدخل الدار ولا يخرج وله

ان الذي ألقى اليك رحاله
فبحيث بت من المنازل باتا

(ووفد أبو الشمقمق) الى مدينة سابور يريد محمد بن عبد السلام فلما دخلها توجه الى منزله فوجده في دار الخراج يطالب فدخل عليه يتوجع فلما رآه محمد قال

ولقد قدمت على رجال طالما
قدم الرجال عليهم فتمولوا
أخنى الزمان عليهم فكأنما
كانوا بأرض أقفرت فتحولوا

فقال أبو الشمقمق

الجود أفلسهم وأذهب مالهم
فاليوم ان راموا السماحة يبخلوا

قال فخلع محمد ثوبه وخاتمه ودفعهما اليه فكتب بذلك مستوفي الخراج الى الخليفة فوقع الى عامله باسقاط الخراج عن محمد بن عبد السلام تلك السنة واسقاط ما عليه من البقايا وأمر له بمائة ألف درهم معونة على مروءته (وحكي عن أبي العيناء أنه قال) حصلت لي ضيقة شديدة فكتمتها عن أصدقائي فدخلت يوما على يحيى بن أكثم القاضي فقال ان أمير المؤمنين المأمون جلس للمظالم وأخذ القصص فهل لك في الحضور قلت نعم فمضيت معه الى دار أمير المؤمنين فلما دخلنا عليه أجلسه وأجلسني ثم قال يا أبا العيناء بالالفة والمحبة ما الذي جاء بك في هذه الساعة فانشدته

لقد رجوتك دون الناس كلهم
وللرجاء حقوق كلها تجب
ان لم يكن لي أسباب أعيش بها
ففي العلا لك أخلاق هي السبب

فقال يا سلامة انظر أي شيء في بيت مالنا دون مال المسلمين فقال بقية من مال قال فادفع له مائة ألف درهم وابعث له بمثلها في كل شهر فلما كان بعد أحد عشر شهرا مات المأمون فبكى عليه أبو العيناء حتى تقرحت أجفانه فدخل عليه بعض أولاده فقال يا أبتاه بعد ذهاب

كلب يلعب به فاذا سمع صوتى ظن انه صوت الكلب فيخرج فامسكه وجاءت امرأة الى المعلم بولدها تشكوه فقال له اما أن تنتهى والا فعلت بأمك فقالت يا معلم هذا صبي ما ينفع فيه الكلام فافعل ما شئت اما له ينظر بعينه و يتوب فقام وفعل بها أمام ولدها *وقال الجاحظ رأيت معلما فى الكتاب وحده فسألته فقال الصغار داخل الدرب يتصارعون فقلت أحب ان أراهم فقال ما أشير عليك بذلك فقلت لابد قال فاذا جئت الى رأس الدرب اكشف رأسك لئلا يعتقدوك المعلم فيصفعوك حتى تعمى وقال بعضهم رأيت معلما وقد جاء صغيران يتماسكان فقال أحدهما هذا عض أذنى فقال الآخر لا والله يا سيدنا هو الذى عض أذن نفسه فقال المعلم يا ابن الزانية هو كان جمل يعض أذن نفسه *وقال بعضهم رأيت معلما وهو يصلى العصر فلما ركع أدخل رأسه بين رجليه ونظر الى الصغار وهم يلعبون وقال يا ابن البقال قد رأيت الذى عملت وسوف أكافؤك اذا فرغت من الصلاة

(وحكى) عن الجاحظ أنه قال ألفت كتابا فى نوادر المعلمين وما هم عليه من التغفل ثم رجعت عن ذلك وعزمت على تقطيع ذلك الكتاب فدخلت يوما مدينة فوجدت فيها معلما فى هيئة حسنة فسلمت عليه فرد على أحسن رد ورحب بى فجلست عنده وباحثته فى القرآن فاذا هو ماهر فيه ثم فاتحته فى الفقه والنحو وعلم المعقول وأشعار العرب فاذا هو كامل الآداب فقلت هذا والله مما يقوى عزمى على تقطيع الكتاب قال فكنت أختلف اليه وأزوره فجئت يوما لزيارته فاذا باب الكتاب مغلق ولم أجده فسألت عنه فقيل مات له ميت فحزن عليه وجلس فى بيته للعزاء فذهبت الى بيته وطرقت الباب فخرجت الى جارية وقالت ما تريد فقلت سيدك فدخلت وخرجت وقالت باسم الله فدخلت اليه واذا به جالس فقلت عظم الله أجرك لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة كل نفس ذائقة الموت فعليك بالصبر ثم قلت له هذا الذى توفى ولدك قال لا قلت فوالدك قال لا قلت فأخوك قال لا قلت فزوجتك قال لا فقلت وما هو منك قال حبيبتى فقلت فى نفسى هذه أول المناحس فقلت سبحان الله النساء كثير وستجد غيرها فقال أتظن انى رأيتها قلت وهذه منحسة ثانية ثم قلت وكيف عشقت من لم تر فقال اعلم انى كنت جالسا فى هذا المكان وأنا أنظر من الطاق اذ رأيت رجلا عليه برد وهو يقول

يا أم عمرو جزاك الله مكرمة * ردى على فؤادى أينما كانا
لا تأخذين فؤادى تلعبين به * فكيف يلعب بالانسان انسانا

فقلت فى نفسى لولا أن أم عمرو هذه ما فى الدنيا أحسن منها ما قيل فيها هذا الشعر فعشقتها فلما كان منذ يومين مر ذلك الرجل بعينه وهو يقول

لقد ذهب الحمار بأم عمرو * فلا رجعت ولا رجع الحمار

فعلمت انها ماتت فحزنت عليها وأغلقت المكتب وجلست فى الدار فقلت يا هذا انى كنت ألفت كتابا فى نوادركم معشر المعلمين وكنت حين صاحبتك عزمت على تقطيعه والآن قد قويت عزمى على ابقائه وأول ما أبدأ بك ان شاء الله تعالى

(الفصل السادس فى نوادر المتنبئين) ادعى رجل النبوة فى أيام الرشيد فلما مثل بين يديه قال له ما الذى يقال عنك قال انى نبى كريم قال فأى شئ يدل على صدق دعواك قال سل عما شئت قال أريد أن تجعل هذه المماليك المرد الساعة بلحى فاطرق ساعة ثم رفع رأسه وقال كيف يحل أن أجعل هؤلاء المرد بلحى وأغير هذه الصورة الحسنة وانما أجعل أصحاب هذه اللحى مردا فى لحظة واحدة فضحك منه الرشيد وعفا عنه وأمر له بصلة * وتنبأ انسان فطالبوه بحضرة المأمون بمعجزة فقال أطرح لكم حصاة فى الماء فتذوب قالوا رضينا فأخرج حصاة معه وطرحها فى الماء فذابت فقالوا هذه حيلة ولكن نعطيك حصاة من عندنا ودعها تذوب فقال لستم أجل من فرعون ولا أنا أعظم حكمة من موسى ولم يقل فرعون لموسى لم أرض بما تفعله بعصاك حتى أعطيك عصا من عندى تجعلها ثعبانا فضحك المأمون وأجازه * وتنبأ رجل فى أيام المعتصم فلما حضر بين يديه قال أنت نبى قال نعم قال والى من بعثت قال اليك قال أشهد انك لسفيه أحمق قال انما يبعث الى كل قوم مثلهم فضحك المعتصم وأمر له بشئ * وتنبأ رجل فى أيام المأمون وادعى انه ابراهيم الخليل فقال له المأمون ان ابراهيم كانت له معجزات وبراهين قال وما براهينه قال أضرمت له نار وألقى فيها فصارت عليه بردا وسلاما ونحن نوقد لك نارا ونطرحك فيها فان كانت عليك كما كانت عليه آمنا بك قال أريد واحدة أخف من هذه

العين ماذا ينفع البكاء فانشأ أبو العيناء يقول

شيآن لو بكت الدماء عليهما
عيناى حتى يؤذنا بذهاب
لم يبلغا المعشار من حقيهما
فقد الشباب وفرقة الاحباب

(وقال الاعمش) كانت عندى شاة فرضت وفقدت الصبيان لبنها فكان خيثمة بن عبد الرحمن يعودها بالغداة والعشى ويسألنى هل استوفت علفها وكيف صبر الصبيان منذ فقدوا لبنها وكان تحتى لبد أجلس عليه فكان اذا خرج يقول خذ ما تحت اللبد حتى وصل الى من علة الشاة أكثر من ثلثمائة دينار من بره حتى تمنيت أن الشاة لم تبرأ (وحكى أبو القدامة العشيرى) قال كنا مع يزيد بن مزيد يوما فسمع صائحا يقول يا يزيد بن مزيد فطلبه فأتى به اليه فقال ما حملك على هذا الصياح قال فقدت دابتى ونفدت نفقتى وسمعت قول الشاعر

اذا قيل من للجود والمجد والندى
فناد بصوت يا يزيد بن مزيد

فأمر له بفرس أبلق كان معجبا به وبمائة دينار وخلعة سنية فأخذها وانصرف (ومن الغرائب) ما حكى أن قوما من العرب جاؤا الى قبر بعض أسخيائهم يزورونه فباتوا عند قبره فرأى رجل منهم صاحب القبر فى المنام وهو يقول له هل لك أن تبيعنى بعيرك بنجيبى وكان الميت قد خلف نجيبا وكان للرائى بعير سمين فقال نعم وباعه فى النوم بعيره بنجيبه فلما وقع بينهما عقد البيع عمد صاحب القبر الى البعير فنحره فى النوم فانتبه الرائى من نومه فوجد الدم يسيح من نحر بعيره فقام وأتم نحره وقطع لحمه وطبخوه وأكلوه ثم رحلوا وساروا فلما كان اليوم الثانى وهم فى الطريق سائرون استقبلهم ركب فتقدم

قال فبراهين موسى قال وما براهينه قال أتى بعصاه فاذا هى حية تسعى وضرب بها البحر فانفلق وأدخل يده فى جيبه فاخرجها بيضاء قال وهذه على أصعب من الاولى قال فبراهين عيسى قال وما هى قال احياء الموتى قال مكانك قد وصلت أنا أضرب برقبة القاضى يحيى بن أكثم وأحييه لكم الساعة فقال يحيى أنا أول من آمن بك وصدق * وتنبأ آخر فى زمن المأمون فقال المأمون أريد منك بطيخا فى هذه الساعة قال أمهلنى ثلاثة أيام قال ما أريده الا الساعة قال ما أنصفتنى يا أمير المؤمنين اذا كان الله تعالى الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام ما يخرجه الا فى ثلاثة أشهر فما تصبر أنت على ثلاثة أيام فضحك منه ووصله * وتنبأ آخر فى زمن المأمون فلما مثل بين يديه قال له من أنت قال أنا أحمد النبى قال لقد ادعيت زورا فلما رأى الاعوان قد أحاطت به وهو ذاهب معهم قال يا أمير المؤمنين أنا أحمد النبى فهل تذمه أنت فضحك المأمون منه وخلى سبيله * وتنبأ آخر فى زمن المتوكل فلما احضر بين يديه قال له أنت نبى قال نعم قال فما الدليل على صحة نبوتك قال القرآن العزيز يشهد بنبوتى فى قوله تعالى اذا جاء نصر الله والفتح وأنا اسمى نصر الله قال فما معجزتك قال ائتونى بامرأة عاقر أنكحها فتحمل بولد يتكلم فى الساعة ويؤمن بى فقال المتوكل لوزيره الحسن بن عيسى اعطه زوجتك حتى تبصر كرامته فقال الوزير أما أنا فاشهد انه نبى الله وانما يعطى زوجته من لا يؤمن به فضحك المتوكل وأطلقه * وادعى رجل النبوة فى زمن خالد بن عبد الله القسرى وعارض القرآن فأتى به الى خالد فقال له ما تقول قال عارضت القرآن قال بماذا قال قال الله تعالى انا أعطيناك الكوثر الآية وقلت انا أعطيناك الجماهر فصل لربك وجاهر ولا تطع كل ساحر فأمر به خالد فضرب عنقه وصلب فمر به خلف بن خليفة الشاعر فضرب بيده على الخشبة وقال انا أعطيناك العود فصل لربك من قعود وأنا ضامن لك أن لا تعود * وأتى المأمون برجل ادعى النبوة فقال له ألك علامة قال علامتى انى أعلم ما فى نفسك قال وما فى نفسى قال فى نفسك انى كاذب قال صدقت ثم أمر به الى السجن فأقام فيه أياما ثم أخرجه فقال هل أوحى اليك بشئ قال لا قال ولم قال لان الملائكة لا تدخل الحبوس فضحك منه وخلى سبيله وأتى بامرأة تنبأت فى أيام المتوكل فقال لها أنت نبية قالت نعم قال أتؤمنين بمحمد قالت نعم قال فانه صلى الله عليه وسلم قال لا نبى بعدى قالت فهل قال لا نبية بعدى فضحك المتوكل وأطلقها * وتنبأ رجل يسمى نوحا وكان له صديق نهاه فلم يقبل فأمر السلطان بقتله فصلب فمر به صديقه فقال له يا نوح ما حصلت من السفينة الا على الصارى

﴿ الفصل السابع فى نوادر السؤال ﴾ وقف اعرابى بباب يسأل فقال له صغير من باب الدار بورك فيك فقال قبح الله هذا الفم لقد تعلمت الشر صغيرا * ووقف سائل على باب فقال يا أصحاب المنزل فبادر صاحب الدار قبل أن يتم كلامه وقال فتح الله عليك فقال السائل يا قرنان كنت تصبر الى حتى أدعوك الى وليمة * وقال أبو عثمان الجاحظ وقف سائل بقوم فقال انى جائع فقالوا له كذبت فقال جربونى برطلين من الخبز ورطلين من اللحم * ووقف سائل على باب فقالوا يفتح الله لك فقال كسرة فقالوا ما نقدر عليها قال فقليل من بر أو فول أو شعير قالوا لا نقدر عليه قال فقطعة دهن أو قليل زيت أو لبن قالوا لا نجده قال فشربة ماء قالوا وليس عندنا ماء قال فما جلوسكم ههنا قوموا فاسألوا فانتم أحق منى بالسؤال

﴿ الفصل الثامن فى نوادر المؤذنين ﴾ قيل لمؤذن ما نسمع أذانك فلو رفعت صوتك فقال انى أسمع صوتى من مسيرة ميل * وقال بعضهم رأيت مؤذنا اذن ثم عدا يهرول فقلت له الى أين فقال أحب ان أسمع اذانى أين بلغ * واختصم رجلان فى جارية فأردعاها عند مؤذن فلما أصبح وفرغ من الأذان قال لا اله الا الله ذهبت الامانة من الناس فقالوا له كيف ذهبت الامانة من الناس قال هذه الجارية التى وضعت عندى قيل انها بكر فلما أتيتها وجدتها ثيبا * وسمع مؤذن حمص يقول فى سحور رمضان تسحروا فقد أمرتكم وعجلوا فى أكلكم قبل أن أؤذن فيسخم الله وجوهكم * وشوهد مؤذن يؤذن من رقعة فقيل له ما تحفظ الاذان فقال سلوا القاضى فأتوه فقالوا السلام عليكم فاخرج دفترا وتصفحه وقال وعليكم السلام فعذروا المؤذن * وسمعت امرأة مؤذنا يؤذن بعد طلوع الشمس ويقول الصلاة خير من النوم فقالت النوم خير من هذه الصلاة * ومر سكران بمؤذن ردىء الصوت فجلد به الارض وجعل يدوس بطنه فاجتمع اليه الناس فقال والله ما بى رداءة صوته ولكن شماتة اليهود والنصارى بالمسلمين

منهم شاب فنادى هل فيكم فلان ابن فلان فقال صاحب البعير نعم ها أنا فلان بن فلان فقال هل بعت من فلان الميت شيأ قال نعم بعته بعيرى بنجيبه فى النوم فقال هذا نجيبه نخذه وأنا ولده وقد رأيته فى النوم وهو يقول ان كنت ولدى فادفع نجيبى الى فلان فانظر الى هذا الرجل الكريم كيف أكرم أضيافه بعد موته (قيل) ان شاعرا قصد خالد ابن يزيد فأنشد شعرا يقول فيه

سألت الندى والجود حران أنتما
فقالا يقينا اننا العبيد

فقلت ومن مولا كما فتطاولا
الى وقالا خالد ويزيد

فقال يا غلام اعطه مائة ألف درهم وقل له ان زدتنا زدناك فانشد يقول

كريم كريم الامهات مهذب
تدفق كفاه الندى وشمائله

هو البحر من أى الجهات أتيته
فلجته المعروف والجود ساحله

جواد بسيط الكف حتى لو انه
دعاها القبض لم تجبه أنامله

فقال يا غلام اعطه مائة ألف درهم وقل له ان زدتنا زدناك فأنشد يقول

تبرعت لى بالجود حتى نعشتنى
وأعطيتنى حتى حسبتك تلعب

وأنبت ريشا فى الجناحين بعدما
تساقط منى الريش أو كاد يذهب

فأنت الندى وابن الندى وأخو الندى
حليف الندى ما للندى عنك مذهب

فقال يا غلام اعطه مائة ألف درهم وقل له ان زدتنا زدناك فقال حسب الأمير ما سمع وحسبى ما أخذت وانصرف (وجاء) الى خالد بن عبد الله بعض الشعراء ورجله فى الركاب يريد الغزو فقال له انى قلت فيك بيتين من الشعر فقال فى مثل هذا الحال قال نعم فقال هاتهما فانشد يقول

يا واحد العرب الذى
ما فى الانام له نظير

﴿الفصل التاسع فى نوادر النواتية﴾ حكى ان بعض النواتية تولى أحد الكراسى السلطانية لمساعده الزمان فبينما هو جالس فى داره اذ سمع صوتا وراء الباب فقال لزوجته انى اسمع غاغة فى البرحلى قاوعى واعملى أسفيرتى على جامورى وقدمى الى اسقالة الرجل وقيمنى بعدرة فامتثلت كلامه فنزل وجلس على مصطبته وقدعلت مرتبته واصطفت المقدمون بين يديه ووقفت الحبرتية حواليه واذا بشيخ قد أقبل وثيابه مقطعة وعمامته فى حلقه والدم نازل من أنفه وهو يصيح بصوت عال انا بالله وبالوالى فقال له تعال ياشيخ مالى أرى أرطمونك فى حلقك وشبورتك مكسورة وأنت بترابع ماء متغير وتقسيم المهيلا فى الساحل دخل عليك شرد غربى والادخلت على بواجى فقال الشيخ والله ياسيدى بعض نواتية البحر عمل بى هذا فقال يا أولاد جيبوا غريمو بخنسواعدته وقشطوا ظهره وجروه على مقدمه فامتثلوا كلام الامير وجاؤا بالغريم فلما مثل بين يديه قال له ويلك هو أنت بغنوس بسفر البحر أنت الذى قطعت القلس وخرجت فى الشعت حتى لقيت هذا الرجل نطحت مخطمته وكسرت اسقالته لو انصلح كنت عملتك فى بدراوة وعلقتك فى الصارى فلما سمع الرجل كلام الوالى علم أنه من أولاد المعيشة فقال له بحترة النواتية والله ياخوندهو كارزنى فى معاشى احصطن على الوحسة وأنا عايم فى الليل الاوشرد جانى من الشرق كابس هز أطرافى وكسر شاورتى وقطع لبانى وهاهو بحمد الله على بر السلامة وان كان انصلح فيه شئ فأنا برسوم الامير أجيب له القلفاط أسد فقه وأعيدله وسقه وأخليه يروح فى طريقه فقال له الوالى أنت بتقدف فى وجهى وتطرح مقاديفك حتى تعبر على الحجر يا رجالة الصارى سلسلوا أطرافه وعروا مقاديفه وبلوا شينة اللبان وانزلوا عليه واوسقوا الجنبين والظهر حتى تلعب الميه على بطونسته هياقوا ملك خلوا جنب براو جنب جوا قدام الحن وراء الصارى فأكل علقة من كعبه الى أذنه فقالت النواتيه ياخوندهو خنفست عليه الطميه البحرية قال مدراتين وقيموه فلما أقاموه باس يد الامير وقال ياخوند سألتك بهبوب الرياح وطيب النسيم الرب لا يبليك بجر اللبان فى الحلاقى وأنت حافى فى الصيافى ويكفيك شر الاربعينيات قال فرق عليه قلب الامير وقال له وحق من ضرب القلع باللبان الحلفاء عند بخنسة الريح وفروغ الزاد بعيد من البلاد وعياط الركاب عند قيام الموجة وبعد البر فى أيام النيل لولا شفاعة الركاب لكنت اهدا سقالتك وأقعد فى زوايدك حتى أخلى ظهرك جيفة فقال له والله ياخوند ما بقى جنبى يحمل هذا الوسق العظيم ولكن ان عدت أعبر لهذا الوجه اخسف من أضلاعى لوح وغرقنى بالعايم فقال له الامير احمد الله على السلامة واخرج فى دى الطيابة وكتب له مرسوم وعلم عليه علامة الرياس البحرية للنواتية الله لك الله لى يا عملات على ابوس

﴿الفصل العاشر فى نوادر جامعة﴾ سمعت امرأة فى الحديث أن صوم يوم عاشوراء كفارة سنة فصامت الى الظهر ثم أفطرت وقالت يكفينى كفارة ستة أشهر منها شهر رمضان * وأسلم مجوسى فى شهر رمضان فثقل عليه الصيام فنزل الى سرداب وقعد يأكل فسمع ابنه حسه فقال من هذا فقال أبوك الشقى يأكل خبز نفسه ويفزع من الناس * وسئل بعض القصاص عن نصرانى قال لا اله الا الله لا غير اذا مات أين يدفن قال يدفن بين مقابر المسلمين والنصارى ليكون مذبذبا لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء وأهدى الى سائل القصاص خاتم بلا فص فقال ان صاحب هذا الخاتم يعطى فى الجنة غرفة بلا سقف * وبنى بعض المغفلين نصف دار وبنى رجل آخر النصف الآخر فقال المغفل يوما قد عولت على بيع النصف الذى لى وأشترى به النصف الآخر لتكمل لى الدار كلها * وسئل جامع الصيدلانى عن عمر ابنته فقال لا أدرى الا أن أمها ذكرت أنها ولدتها فى أيام البراغيث * وقيل لطفيلى أى سورة تعجبك فى القرآن قال المائدة قال فأى آية قال ذرهم يأكلوا ويتمتعوا قيل ثم ماذا قال آتنا غداءنا قيل ثم ماذا قال ادخلوها بسلام آمنين قيل ثم ماذا قال وماهم منها بمخرجين وقيل لعثمان بن دارج الطفيلى يوما كيف تصنع بدار العرس اذا لم يدخلك اصحابها قال أنوح على بابهم فيتطيرون من ذلك فيدخلونى وقيل له أتعرف بستان فلان قال أى والله انه الجنة الحاضرة فى الدنيا قيل لم لا تدخله وتأكل من ثماره وتستظل بأشجاره وتسبح فى أنهاره قال لان فيه كلبا لا يتمضمض الا بدماء عراقيب الرجال وقيل له يوما ما هذه الصفرة التى فى لونك قال من الفترة بين الصحنين وقال مرت بنا جنازة يوما ومعى ابنى ومع الجنازة امرأة تبكى وتقول الآن يذهبون بك الى بيت لا فراش فيه ولا غطاء ولا وطاء ولا خبز ولا ماء فقال ابنى

ما كان فى الدنيا فقير

فقال يا غلام أعطه عشرين ألف دينار فأخذها وانصرف (وحيث ذكرنا) نبذة من أخبار الكرماء فلنذكر نبذة من أخبار البخلاء (فمن ذلك) ان رجلا من البخلاء اشترى دارا وانتقل اليها فوقف ببابه سائل فقال له فتح الله عليك ثم وقف ثان فقال له مثل ذلك ثم وقف ثالث فقال له مثل ذلك ثم التفت الى ابنته فقال لها ما أكثر السؤال فى هذا المكان فقالت يا أبت مادمت متمسكا لهم بهذه الكلمة فما تبالى كثروا أم قلوا (وألأم اللئام وأبخلهم) حميد الارقط الذى يقال له هجاء الاضياف وهو القائل فى ضيف له يصف أكله من قصيدة

ما بين لقمته الاولى اذا انحدرت
وبين أخرى تليها قيد أظفور

(وقال فيه أيضا)

تجهز كفاه ويحدر حلقه
الى الزور ما ضمت عليه الأنامل

(وأكل) اعرابى مع أبى الاسود رطبا فأكثر ومد أبو الاسود يده الى رطبة ليأخذها فسبقه الاعرابى اليها فسقطت منه فى التراب فأخذها أبو الاسود وقال لا أدعها للشيطان يأكلها فقال الاعرابى والله ولا لجبريل وميكائيل لو نزلا من السماء ماتركتها (وقال اعرابى)

انذيل نزل به نزلت بواد غير ممطور
وبحل بك غير مسرور ورفاقم بعدم
أوارحل بندم ﴿والحمدونى﴾
رأيت أبا زرارة قال يوما

لحاجبه وفى يده الحسام
لئن وضع الخوان ولاح شخص

لاختطفن رأسك والسلام
فقال سوى أبيك فذاك شيخ

بغيض ليس يردعه الكلام
فنام وقال من خنق عليه

ببيت لم يرد فيه القيام

ياأبت الى بيتنا والله يذهبون (وحكى) عن هرون الرشيد أنه أرق ذات ليلة أرقا شديدا فقال لوزيره جعفر بن يحيى البرمكي انى أرقت فى هذه الليلة وضاق صدرى ولم أعرف ما أصنع وكان خادمه مسرور واقفا امامه فضحك فقال له ما يضحكك استهزاء بى أم استخفافا فقال وقرابتك من سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم ما فعلت ذلك عمدا ولكن خرجت بالامس أتمشى بظاهر القصر الى أن جئت الى جانب الدجلة فوجدت الناس مجتمعين فوقفت فرأيت رجلا واقفا يضحك الناس يقال له ابن المغازلى فتفكرت الآن فى شئ من حديثه وكلامه فضحكت والعفو يا أمير المؤمنين فقال له الرشيد ائتنى الساعة به فخرج مسرور مسرعا الى أن جاء الى ابن المغازلى فقال له أجب أمير المؤمنين فقال سمعا وطاعة فقال له بشرط أنه اذا أنعم عليك بشئ يكون لك منه الربع والبقية لى فقال له بل أجعل لى النصف ولك النصف فأبى فقال الثلث لى ولك الثلثان فأجابه الى ذلك بعد جهد عظيم فلما دخل على الرشيد سلم فأبلغ وترجم فأحسن ووقف بين يديه فقال له أمير المؤمنين ان أنت أضحكتنى أعطيتك خمسمائة دينار وان لم تضحكنى أضربك بهذا الجراب ثلاث ضربات فقال ابن المغازلى فى نفسه وما عسى أن تكون ثلاث ضربات بهذا الجراب وظن فى نفسه أن الجراب فارغ فوقف يتكلم ويتمسخر وفعل أفعالا عجيبة تضحك الجلمود فلم يضحك الرشيد ولم يتبسم فتعجب ابن المغازلى وضجر وخاف فقال له الرشيد الآن استحقيت الضرب ثم انه أخذ الجراب ولفه وكان فيه أربع زلطات كل واحدة وزنها رطلان فضربه ضربة فلما وقعت الضربة فى رقبته صرخ صرخة عظيمة وافتكر الشرط الذى شرطه عليه مسرور فقال العفو يا أمير المؤمنين اسمع منى كلمتين قال قل ما بدا لك قال ان مسرورا اشترط على شرطا واتفقت أنا واياه على مصلحة وهو أن ما حصل لى من الصدقات يكون له فيه الثلثان ولى فيه الثلث وما أجابنى الى ذلك الا بعد جهد عظيم وقد شرط على أمير المؤمنين ثلاث ضربات فنصيبى منها واحدة ونصيبه اثنتان وقد أخذت نصيبى وبقى نصيبه قال فضحك الرشيد ودعا مسرورا فضربه فصاح وقال يا أمير المؤمنين قد وهبت له ما بقى فضحك الرشيد وأمر لهما بألف دينار فأخذ كل واحد منهم خمسمائة ورجع ابن المغازلى شاكرا والله سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿الباب السابع والسبعون فى الدعاء وآدابه وشروطه وفيه فصول﴾

﴿الفصل الأول فى الدعاء وآدابه﴾ قال الله تعالى واذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان * اختلف فى سبب نزولها فقال مقاتل ان عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه واقع امرأته بعد ما صلى العشاء فى رمضان فندم على ذلك وبكى وجاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بذلك ورجع مغتما وكان ذلك قبل الرخصة فنزلت هذه الآية واذا سألك عبادى عنى فانى قريب وروى الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس قال قالت اليهود كيف يسمع ربنا دعاءنا وأنت تزعم أن بيننا وبين السماء خمسمائة عام وغلظ كل سماء مثل ذلك فنزلت هذه الآية وقال الحسن ان قوما قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه فنزلت هذه الآية قوله تعالى أجيب دعوة الداع اذا دعان اى أقبل عبادة من عبدنى فالدعاء بمعنى العبادة والاجابة بمعنى القبول وقال قوم ان الله تعالى يجيب كل الدعاء فاما أن يعجل الاجابة فى الدنيا واما أن يكفر عن الداعى واما أن يدخر له فى الآخرة لما رواه أبو سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها اثم ولا قطيعة رحم الا أعطاه الله بها احدى ثلاث اما أن يعجل له دعوته واما أن يدخر له ثوابها واما أن يكف عنه من السوء مثلها وروى أنه اذا كان يوم القيامة واستقر أهل الجنة فى الجنة فبينما العبد المؤمن فى قصره واذا الملائكة من عند ربه يأتونه بتحف من عند الله فيقول ما هذا أليس الله قد أنعم على وأكرمنى فيقول ألست كنت تدعو الله فى الدنيا هذا دعاؤك الذى كنت تدعوه قد ادخر لك ﴿واعلم﴾ أن اجابة الدعاء لا بد لها من شروط فشرط الداعى أن يكون عالما بأن لا قادر الا الله وان الوسائط فى قبضته ومسخرة بتسخيره وأن يدعو بنية صادقة وحضور قلب فان الله تعالى لا يستجيب دعاء من قلب لاه وأن يكون مجتنبا لاكل الحرام ولا يمل من الدعاء ومن شروط المدعو فيه أن يكون من الامور الجائزة الطلب والفعل شرعا كما قال عليه الصلاة والسلام ما لم يدع باثم أو قطيعة رحم فيدخل فى الاثم كل ما يأثم به من الذنوب ويدخل فى الرحم جميع حقوق المسلمين ومظالمهم قال ابن عطاء الله ان للدعاء أركانا وأجنحة

أبى وابنا أبى والكلب عندى
بمنزلة اذا حضر الطعام
وقال له أبن لى يا ابن كلب
على خبزى أصادرا أو أضام
اذا حضر الطعام فلا حقوق
على لوالدى ولا ذمام
فما فى الارض أقبح من خوان
عليه الخبز يحضره الزحام
(ويعجبنى قول بعضهم)
زففت الى نبهان من صفو فكرتى
عروسا غدا بطن الكتاب لها صدرا
فقبلها عشرا وهام بحبها
فلما ذكرت المهر طلقها عشرا
(ومن أخبار البخلاء)
ما حكاه بعضهم قال كنت فى سفر فضللت فى الطريق فرأيت بيتا فى الفلاة فأتيته فاذا به اعرابية فلما رأتنى قالت من تكون قلت ضيف قالت أهلا ومرحبا بالضيف انزل على الرحب والسعة قال فنزلت فقدمت لى طعاما فأكلت وماء فشربت فبينما أنا على ذلك اذ أقبل صاحب البيت فقال من هذا فقالت ضيف فقال لا أهلا ولا مرحبا ما لنا وللضيف فلما سمعت كلامه ركبت من ساعتى وسرت فلما كان من الغد رأيت بيتا فى الفلاة فقصدته فاذا فيه اعرابية فلما رأتنى قالت من تكون قلت ضيف قالت لا أهلا ولا مرحبا بالضيف ما لنا وللضيف فبينما هى تكلمنى اذ أقبل صاحب البيت فلما رآنى قال من هذا قالت ضيف قال مرحبا وأهلا بالضيف ثم أتى بطعام حسن فأكلت وماء فشربت فتذكرت ما مر بى بالامس فتبسمت فقال مم تبسمك فقصصت عليه ما اتفق لى مع تلك الاعرابية وبعلها وما سمعت منه ومن زوجته فقال لا تعجب ان تلك الاعرابية التى رأيتها هى أختى وان بعلها أخو امرأتى هذه فغلب على كل طبع أهله (وقال عمر بن ميمون) مررت

وأسبابا وأوقاتا فان وافق أركانه قوي وان وافق أجنحته طار الى السماء وان وافق مواقيته فاز وان وافق أسبابه نجح فأركانه حضور القلب والخشوع وأجنحته الصدق ومواقيته الاسحار وأسبابه الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ومن شروط الدعاء أن يكون سليما من اللحن كما قال بعضهم

ينادي ربه باللحن ليث * كذاك اذا دعاه لا يجاب

وقيل ان الله تعالى لا يستجيب دعاء عريف ولا شرطي ولا جاب ولا عشار ولا صاحب عرطبة وهي الطنبور ولا صاحب كوبة وهي الطبل الكبير الضيق الوسط * ومن آداب الدعاء أن يدعو الداعي مستقبل القبلة ويرفع يديه لما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله ربكم حيي كريم يستحي من عبده اذا رفع يديه اليه أن يردهما صفرا وأن يمسح بهما وجهه بعد الدعاء لما روي عن عمر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مد يديه في الدعاء لم يردهما حتى يمسح بهما وجهه وأن لا يرفع بصره الى السماء لقوله صلى الله عليه وسلم لينتهين أقوام عن رفع أبصارهم الى السماء عند الدعاء أو لتخطفن الله أبصارهم وأن يخفض الداعي صوته بالدعاء لقوله تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفية وعن أبي عبد الرحمن الهمداني قال صليت مع أبي اسحق الغداة فسمع رجلا يجهر في الدعاء فقال كن كزكريا اذ نادى ربه نداء خفيا وينبغي للداعي أن لا يتكلف وأن يأتي بالكلام المطبوع غير المسجوع لقوله صلى الله عليه وسلم اياكم والسجع في الدعاء بحسب أحدكم أن يقول اللهم اني أسألك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل وأعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل وقيل ادعوا بلسان الذلة والاحتقار ولا تدعوا بلسان الفصاحة والانطلاق وكانوا لا يزيدون في الدعاء على سبع كلمات فادونها كما في آخر سورة البقرة وعن سفيان بن عيينة لا يمنعن أحدكم من الدعاء ما يعلم من نفسه فقد أجاب الله دعاء شر الخلق ابليس اذ قال رب أنظرني الى يوم يبعثون وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا سئل أحدكم مسئلة فتعرف الاجابة فليقل الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ومن أبطأ عليه من ذلك شيء فليقل الحمد لله على كل حال وعن سلمة بن الاكوع قال ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يستفتح الدعاء الا قال سبحان ربي الاعلى الوهاب وعن أبي سليمان الداراني من أراد أن يسأل الله حاجة فليبدأ بالصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وينبغي للمؤمن أن يجتهد في الدعاء وأن يكون على رجاء من الاجابة ولا يقنط من رحمة الله لانه يدعو كريما * وللدعاء أوقات وأحوال يكون الغالب فيها الاجابة وذلك وقت السحر ووقت الفطر وما بين الأذان والاقامة وعند جلسة الخطيب بين الخطبتين الى أن يسلم من الصلاة وعند نزول الغيث وعند التقاء الجيش في الجهاد في سبيل الله تعالى وفي الثلث الاخير من الليل لما جاء في الحديث ان في الليل ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله شيأ الا أعطاه وفي حالة السجود لقوله عليه الصلاة والسلام أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء وما بين الظهر والعصر في يوم الاربعاء وأوقات الاضطرار وحالة السفر والمرض هذا كله جاءت به الآثار قال جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنه دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد الفتح ثلاثة أيام يوم الاثنين ويوم الثلاثاء واستجيب له يوم الاربعاء بين الصلاتين فعرفت السرور في وجهه قال جابر ما نزل بي أمر مهم غليظ الا توخيت تلك الساعة فأدعو فيها فأعرف الاجابة وفي بعض الكتب المنزلة يا عبدي اذا سألت فاسألني فاني غني واذا طلبت النصرة فاطلبها مني فاني قوي واذا أفشيت سرك فأفشه الي فاني وفي واذا أقرضت فأقرضني فاني ملي واذا دعوت فادعني فاني حفي وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ينزل ربنا كل ليلة الى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الاخير فيقول من يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له وقال وهب ابن منبه بلغني أن موسى مر برجل قائم يبكي ويتضرع طويلا فقال موسى يا رب أما تستجيب لعبدك فأوحى الله تعالى اليه يا موسى لو أنه بكى حتى تلفت نفسه ورفع يديه حتى بلغ عنان السماء ما استجبت له قال يا رب لم ذلك قال لان في بطنه الحرام * ومر ابراهيم بن أدهم بسوق البصرة فاجتمع الناس اليه وقالوا يا أبا اسحق ما لنا ندعو فلا يستجاب لنا قال لان قلوبكم ماتت بعشرة أشياء الأول أنكم عرفتم الله فلم تؤدوا حقه الثاني زعمتم أنكم تحبون رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم تركتم سنته الثالث قرأتم القرآن ولم تعملوا به الرابع أكلتم نعمة الله ولم تؤدوا شكرها الخامس قلتم ان الشيطان عدوكم ووافقتموه السادس قلتم ان

ببعض طرق الكوفة فاذا أنا برجل يخاصم جارا له فقلت ما بالكما فقال أحدهما ان صديقا لي زارني فاشتهى رأسا فاشتريته وتغدينا وأخذت عظامه فوضعتها على باب داري أتجمل بها فجاء هذا فأخذها ووضعها على باب داره يوهم الناس أنه هو الذي اشترى الرأس (وقال) رجل من البخلاء لأولاده اشتروا لي لحما فاشتروه فأمر بطبخه فلما استوى أكله جميعه حتى لم يبق في يده الا عظمة وعيون أولاده ترمقه فقال ما أعطي أحدا منكم هذه العظمة حتى يحسن وصف أكلها فقال ولده الأكبر أمششها يا أبت وأمصها حتى لا أدع للذر فيها مقيلا قال لست بصاحبها فقال الاوسط ألوكها يا أبت وألحسها حتى لا يدري أحد أ لعام هي أم لعامين قال لست بصاحبها فقال الاصغر يا أبت أمصها ثم أدقها وأسفها سفا قال انك صاحبها وهي لك زادك الله معرفة وحزما (وقيل) خرج اعرابي فدولاه الحجاج بعض النواحي فأقام بها مدة طويلة فلما كان في بعض الأيام ورد عليه اعرابي من حيه فقدم اليه الطعام وكان اذ ذاك جائعا فسأل عن أهله وقال ما حال ابني عمير قال على ما تحب قد ملأ الارض والحي رجالا ونساء قال فما فعلت أم عمير قال صالحة أيضا قال فما حال الدار قال عامرة بأهلها قال وكلبنا ايقاع قال قد ملأ الارض نباحا قال فما حال جملي زريق قال على ما يسرك قال فالتفت الى خادمه وقال ارفع الطعام فرفعه ولم يشبع الاعرابي ثم أقبل عليه يسأله وقال يا مبارك الناصية أعد علي ما ذكرت قال سل عما بدا لك قال فما حال كلبي ايقاع قال مات قال وما الذي أماته قال اختنق بعظمة من عظام جملك زريق فمات قال أو مات جملي زريق قال نعم قال وما

الجنة فلم تعملوا لها السابع قلتم ان النار حق ولم تهربوا منها الثامن قلتم ان الموت حق فلم تستعدوا له التاسع انتبهتم من النوم واشتغلتم بعيوب الناس وتركتم عيوبكم العاشر دفنتم موتاكم ولم تعتبروا بهم وكان يحيى ابن معاذ يقول من أقر لله باساءته جاد الله عليه بمغفرته ومن لم يمن على الله بطاعته أوصله الى جنته ومن أخلص لله فى دعوته من الله عليه باجابته وقال على رضى الله تعالى عنه ارفعوا أفواج البلايا بالدعاء وعن أنس رضى الله تعالى عنه يرفعه لا تعجزوا عن الدعاء فانه لن يهلك مع الدعاء أحد

﴿الفصل الثانى فى الأدعية وما جاء فيها﴾ كان من دعاء شريح رحمه الله تعالى اللهم انى أسألك الجنة بلا عمل عملته وأعوذ بك من النار بلا ذنب تركته ودعت اعرابية عند البيت فقالت الهى لك أذل وعليك أدل وكان من دعاء بعض الصالحين اللهم ان كنا عصيناك فقد تركنا من معاصيك أبغضها اليك وهو الاشراك وان كنا قصرنا عن بعض طاعتك فقد تمسكنا بأحبها اليك وهو شهادة أن لا اله الا أنت وان رسلك جاءت بالحق من عندك * ومن دعاء سلام بن مطيع اللهم ان كنت بلغت أحدا من عبادك الصالحين درجة ببلاء فبلغنيها بالعافية وقيل لفتح الموصلى ادع الله لنا فقال اللهم هبنا عطاءك ولا تكشف عنا غطاءك وكان من دعاء بعض السلف اللهم لا تحرمنى خير ما عندك لشر ما عندى فان لم تقبل تعبى ونصبى فلا تحرمنى أجر المصاب على مصيبته اللهم لا تكلنا الى أنفسنا ولا الى الناس فنضيع وقال الحسن من دخل المقابر فقال اللهم رب الارواح الفانية والأجساد البالية والعظام النخرة التى خرجت من الدنيا وهى بك مؤمنة أدخل عليها روحا من عندك وسلاما منى كتب الله له بعدد من مات من لدن آدم الى أن تقوم الساعة حسنات ﴿وحكى﴾ عن معروف القاضى ان قوما كانوا يجتهدون فى الدعاء وفيهم رجل من الترك كان ساكتا لا يحسن أن يدعو فخشع قلبه وبكى فقال بلغته اللهم انك تعلم انى لا أحسن شيأ من الدعاء فأسألك ما يطلبون منك فرأى بعض الصالحين فى منامه ان الله قبل حج الناس بدعوة ذلك التركى لما نظر الى نفسه بالفقر والفاقة وقال الأصمعى حسدت عبد الملك على كلمة تكلم بها عند الموت وهى اللهم ان ذنوبى وان كثرت وجلت عن الصفة فانها صغيرة فى جنب عفوك فاعف عنى وركب ابراهيم بن أدهم فى سفينة فهاجت الريح وبكى الناس وأيقنوا بالهلاك وكان ابراهيم نائما فى كساء فاستوى جالسا وقال أريتنا قدرتك فأرنا عفوك فذهب الريح وسكن البحر وقال الثورى كان من دعاء السلف اللهم زهدنا فى الدنيا ووسع علينا فيها ولا تزوها عنا ولا ترغبنا فيها وكان بعض الاعراب اذا أوى الى فراشه قال اللهم انى أكفر بكل ما كفر به محمد وأومن بكل ما آمن به ثم يضع رأسه وسمعت بدوية تقول فى دعائها يا صباح يا منفاح يا مطعم يا عريض الجفنة يا أبا المكارم فزجرها رجل فقالت دعنى أصف ربى وأمجده بما تستحسنه العرب وقال الزمخشرى فى كتابه ربيع الابرار سمعت أنا من يدعو من العرب عند الركن اليمانى يا أبا المكارم يا أبيض الوجه وهذا ونحوه مما يقصدون به الثناء على الله تعالى بالكرم والنزاهة على القبيح عن طريق الاستعارة لانه لا فرق عندهم بين الكريم وأبى المكارم ولا بين الجواد والعريض الجفنة ولا بين المنزه ولا بيض الوجه وقيل لاعرابى أتحسن أن تدعو ربك قال نعم ثم قال اللهم انك أعطيتنا الاسلام من غير أن نسألك فلا تحرمنا الجنة ونحن نسألك وذكر عبد السلام بن مطيع أن الرجل تصيبه البلوى فيدعو فتبطئ عنه الاجابة فقال بلغنى أن الله تعالى يقول كيف أرحمه من شئ به أرحمه وقال طاوس بينما أنا فى الحجر ذات ليلة اذ دخل على بن الحسين فقلت رجل صالح من أهل بيت الخير لأسمعن دعاءه فسمعته يقول عبيدك بفنائك مسكينك بفنائك فقيرك بفنائك فما دعوت بها فى كرب الا فرج عنى ودعا أعرابى فقال اللهم انا نبات نعمتك وقال ابن المسيب سمعت من يدعو بين القبر والمنبر اللهم انى أسألك عملا بارا ورزقا دارا وعيشا قارا فدعوت به فما وجدت الا خيرا ودعت اعرابية بالموقف فقالت أسألك سترك الذى لا تزيله الرياح ولا تخرقه الرماح وقيل اتقوا مجانيق الضعفاء أى دعواتهم ودعا أعرابى فقال اللهم امح ما فى قلبى من كذب وخيانة واجعل مكانه صدقا وأمانة وصلى رجل الى جنب عبد الله بن المبارك وبادر القيام فجذب ثوبه وقال أمالك الى ربك حاجة وقال سفيان الثورى سمعت اعرابيا يقول اللهم ان كان رزقى فى السماء فأنزله وان كان فى الأرض فأخرجه وان كان بعيدا فقربه وان كان قريبا فيسره وان كان قليلا فكثره وان كان كثيرا فبارك لى فيه (وقال أبو نواس)

الذى أماته قال كثرة نقل الماء الى قبر أم عمير قال أوماتت أم عمير قال نعم قال وما الذى أماتها قال كثرة بكائها على عمير قال أومات عمير قال نعم قال وما الذى أماته قال سقطت عليه الدار قال أوسقطت الدار قال نعم قال فقام له بالعصا ضاربا فولى من بين يديه هاربا (وقال دعبل) كنا عند سهل بن هرون فلم نبرح حتى كدنا نموت من الجوع فقال ويلك يا غلام آتنا غداءنا فأتى بقصعة فيها ديك مطبوخ تحته ثريد قليل فتأمل الديك فرآه بغير رأس فقال للغلام وأين الرأس فقال رميته فقال والله انى لأكره من يرمى برجله فكيف برأسه ويحك أما علمت ان الرأس رئيس الأعضاء ومنه يصيح الديك ولولا صوته ما أريد وفيه فرقه الذى يتبرك به وعينه التى يضرب بها المثل فيقال شراب كعين الديك ودماغه عجيب لوجع الكلية ولم نر عظما قط أهش تحت الاسنان من عظم رأسه وهبك ظننت أنى لا آكله ما قلت عنده من يأكله انظر فى أى مكان رميته فأتنى به فقال لا أعرف أين رميته فقال لكنى أنا أعرف أين رميته قد رميته فى بطنك الله حسبك (واشتكى رجل مروزى) صدره من سعال فوصف له سويق اللوز فاستثقل النفقة ورأى الصبر على الوجع أخف عليه من الدواء فبينما هو يماطل الأيام ويدفع الآلام أتاه بعض أصدقائه فوصف له ماء النخالة وقال له انه يجلو الصدر فأمر بالنخالة فطبخت له وشرب من مائها فجلا صدره ووجده يعصم فلما حضر غداؤه أمر به فرفع الى العشاء وقال لامرأته اطبخى لاهل بيتنا النخالة فانى وجدت ماءها يعصم ويجلو الصدر فقالت لقد جمع الله لك بهذه النخالة بين دواء وغذاء فالحمد لله على هذه النعمة (ومن

أحببت من شعر بشار وكلمته * بيتا لهجت به من شعر بشار
يا رحمة الله حلى في منازلنا * وجاور بنا فدتك النفس من جار

وكان بشار يعني بذلك جارية بصرية كان يحبها ويتغزل فيها ويكني بها عنها رحمة الله التي وسعت كل شيء وسمع علي بن أبي طالب رضي الله عنه رجلا يقول وهو متعلق بأستار الكعبة يا من لا يشغله سمع عن سمع ولا تغلطه المسائل ولا يبرمه الحاح الملحين أذقني برد عفوك وحلاوة مغفرتك فقال علي والذي نفسي بيده لو قلتها وعليك مل‌ء السموات والأرض من الذنوب لغفر لك * ومن دعائه رضي الله عنه اللهم صن وجهي باليسار ولا تبذل جاهي بالاقتار فاسترزق طالبي رزقك من غيرك وأستعطف شرار خلقك وأبتلى بحمد من أعطاني وأفتتن بذم من منعني وأنت من وراء ذلك كله ولي الاجابة والمنع * وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما انتهيت الى الركن اليماني قط الا وجدت جبريل قد سبقني اليه يقول قل يا محمد اللهم اني أعوذ بك من الكفر والفقر والفاقة ومن مواقف الخزي وهبط جبريل على يعقوب فقال يا يعقوب ان الله تعالى يقول لك قل يا كثير الخير يا دائم المعروف رد على ابني فقالها فأوحى الله تعالى اليه وعزتي لو كانا ميتين لنشرتهما لك وكان أبو مسلم الخراساني اذا نابه أمر قال يا مالك يوم الدين اياك نعبد واياك نستعين وقال جعفر بن محمد ما المبتلى الذي اشتد بلاؤه بأحق بالدعاء من المعافى الذي لا يؤمن وقوع البلاء وكان الزهري يدعو بعد الحديث بدعاء جامع فيقول اللهم اني أسألك من خير ما أحاط به علمك في الدنيا والآخرة وأعوذ بك من شر ما أحاط به علمك في الدنيا والآخرة وعن عقبة بن عبد الغافر دعوة في السر أفضل من سبعين دعوة في العلانية واعلم ان التوحيد والدعاء عند نوازل الملمات هو سفينة النجاة من الحوادث المهلكات وعن أبي الدرداء قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم العصر فرينا كاب فما بلغت يده رجله حتى وقع ميتا فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلاته قال من الداعي على الكلب آنفا قال رجل من القوم أنا يا رسول الله قال لقد دعوت الله باسمه الذي اذا دعي به أجاب واذا سئل به أعطى كيف دعوت الله قال قلت اللهم اني أسألك بان لك الحمد لا اله الا أنت المنان بديع السموات والأرض يا ذا الجلال والاكرام وقيل انه دخلت أذن رجل من أهل البصرة حصاة فعالجها الأطباء فلم يقدروا عليها حتى وصلت الى صماخه فأتى الى رجل من أصحاب الحسن فشكا له ما أصابه من الحصاة فدعا له بدعاء العلاء بن الحضرمي وهو يا علي يا عظيم يا حليم يا عليم قال الراوي فما برحنا حتى خرجت الحصاة من أذنه ولها طنين حتى ضربت الحائط وعن أنس اذا قال العبد يا رب يا رب يا رب يقول الله عز وجل لبيك عبدي وعنه قال مر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل وهو يقول يا أرحم الراحمين فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم سل حاجتك فقد نظر الله اليك وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا فتح الله على عبد الدعاء فليكثر فان الله يستجيب له وروي عن علي بن أبي زفر عن أخ له وكان فاضلا صالحا فقال دعوت الله أن يريني الاسم الأعظم الذي اذا دعي به أجاب فقمت ليلة أصلي فسمعت قعقعة في سقف البيت ثم هبط نور حتى صار تلقاء وجهي واذا مكتوب بالنور فقرأته يا ألله يا رحمن يا ذا الجلال والاكرام ومن دعاء الكرب ما روي عن وهب أن ابن عباس رضي الله عنهما قال له هل تجد فيما تقرأ من الكتب دعاء تدعو به عند الكرب قال نعم اللهم اني أسألك يا من يملك حوائج السائلين ويعلم ضمير الصامتين فان لكل مسئلة منك سمعا حاضرا وجوابا عتيدا ولكل صامت منك علما ناطقا محيطا أسألك بمواعيدك الصادقة وأياديك الفاضلة ورحمتك الواسعة أن تفعل بي كذا وكذا فقال ابن عباس هذا دعاء علمته في النوم ما كنت أرى أن أحدا يحسنه وعن وهب أيضا قال لما أهبط الله تعالى آدم من الجنة الى الأرض استوحش لفقد أصوات الملائكة فهبط اليه جبريل وقال يا آدم هل أعلمك شيأ تنتفع به في الدنيا والآخرة قال بلى قال قل اللهم اتم النعمة حتى تهنيني المعيشة اللهم اختم لي بخير حتى لا تضرني ذنوبي اللهم اكفني مؤنة الدنيا وكل هول في القيامة حتى تدخلني الجنة معافى وعن معروف الكرخي قال اجتمعت اليهود أخزاهم الله على قتل عيسى عليه الصلاة والسلام بزعمهم وأهبط الله تعالى عليه جبريل وفي باطن جناحيه مكتوب اللهم اني أدعوك باسمك الأجل الاعز وأدعوك اللهم باسمك الأحد الصمد وأدعوك اللهم باسمك العظيم الوتر وأدعوك اللهم باسمك الكبير المتعالي الذي ملأ الاركان كلها أن تكشف عني ضر

وقال أبان بن صبيح قال دخلت على رجل من أهل خراسان ليلا فأتانا بسرجة فيها فتيلة في غاية الرقة وقد علق فيها عودا بخيط فقلت له ما بال هذا العود مربوطا قال قد شرب الدهن واذا ضاع ولم نحفظه احتجنا الى غيره فلا نجد الا عودا عطشان ويغشني أن يشرب الدهن قال بينما أنا أتعجب وأسأل الله العافية اذ دخل علينا شيخ من أهل مرو فنظر الى العود فقال للرجل يا فلان لقد فررت من شيء ووقعت فيما هو شر منه أما علمت أن الريح والشمس يأخذان من سائر الأشياء وينشفان هذا العود لم لا تخذت مكان هذا العود ابرة من حديد فان الحديد أملس وهو مع ذلك غير نشاف والعود أيضا ربما تعلق به شعرة من قطن الفتيلة فينقصها فقال له الرجل الخراساني أرشدك الله ونفع بك فلقد كنت في ذلك من المسرفين (وقال الهيثم ابن عدي) نزل على أبي حفصة الشاعر رجل من اليمامة فأخلى له المنزل ثم هرب مخافة ان يلزمه قراه في هذه الليلة فخرج الضيف واشترى ما احتاج اليه ثم رجع وكتب له

يا أيها الخارج من بيته
وهاربا من شدة الخوف
ضيفك قد جاء بزاد له

فارجع وكن ضيفا على الضيف

وكان أبو العتاهية ومروان بن أبي حفصة بخيلين يضرب ببخلهما المثل قال مروان ما فرحت بشيء أشد مما فرحت بمائة ألف درهم وهبها الى المهدي فوزنتها فرجحت درهما واشترى بالدرهم لحما فلما وضعه في القدر دعاه صديقه فرد اللحم على القصاب بنقصان دانقين فجعل القصاب ينادي على اللحم ويقول هذا لحم مروان * واجتاز يوما باعرابية فأضافته فقال ان وهب لي أمير المؤمنين مائة ألف درهم

ماأصبحت وأمسيت فيه فأوحى الله عز وجل الى جبريل أن ارفع عبدي الى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه عليكم بهذا الدعاء ولا تستبطؤا الاجابة فان ما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون اسناده هذا متصل الى معروف الكرخي ثم هو منقطع ولو لم يكن فيه من البركة الا رواية معروف لكان كافيا في قبوله والعمل به * حدث عبد الله بن أبان الثقفي رضي الله عنه قال وجهني الحجاج بن يوسف في طلب أنس بن مالك فظننت أنه يتوارى عني فأتيت بخيلي ورجلي فاذا هو جالس على باب داره مادا رجليه فقلت له أجب الأمير فقال أي الأمراء فقلت أبو محمد الحجاج فقال غير مكترث به قد أذله الله ما أراني أعزه لأن العزيز من عز بطاعة الله والذليل من ذل بمعصية الله وصاحبك قد بغى وطغى واعتدى وخالف كتاب الله والسنة والله لينتقم الله منه فقلت له أقصر عن الكلام وأجب الأمير فقام معنا حتى حضر بين يدي الحجاج فقال له أنت أنس بن مالك قال نعم قال أنت الذي تدعو علينا وتسبنا قال نعم قال ومم ذاك قال لأنك عاص لربك مخالف لسنة نبيك تعز أعداء الله وتذل أولياء الله فقال له أتدري ما أريد أن أفعل بك قال لا قال أريد أن أقتلك شر قتلة قال أنس لو علمت ان ذلك بيدك لعبدتك من دون الله قال الحجاج ولم ذاك قال لان رسول الله صلى الله عليه وسلم علمني دعاء وقال من دعا به في كل صباح لم يكن لأحد عليه سبيل وقد دعوت به في صباحي هذا فقال الحجاج علمنيه فقال معاذ الله أن أعلمه لأحد مادمت أنت في الحياة فقال الحجاج خلوا سبيله فقال الحاجب أيها الأمير لنا في طلبه كذا وكذا يوما حتى أخذناه فكيف نخلي سبيله قال رأيت على عاتقه أسدين عظيمين فاتحين أفواههما ثم ان أنسا رضي الله عنه لما حضرته الوفاة علم الدعاء لاخوانه وهو * بسم الله الرحمن الرحيم بسم الله خير الأسماء بسم الله الذي لا يضر مع اسمه أذى بسم الله الكافي بسم الله المعافي بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم بسم الله على نفسي وديني بسم الله على أهلي ومالي بسم الله على كل شيء أعطانيه ربي الله أكبر الله أكبر الله أكبر أعوذ بالله مما أخاف وأحذر الله ربي لا أشرك به شيأ عز جارك وجل ثناؤك وتقدست أسماؤك ولا اله غيرك اللهم اني أعوذ بك من شر كل جبار عنيد وشيطان مريد ومن شر قضاء السوء ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها ان ربي على صراط مستقيم *وهذا دعاء مشهور الاجابة وله شرح طويل تركناه لطوله وهو* اللهم كما لطفت في عظمتك دون اللطفاء وعلوت بعظمتك على العظماء وعلمت ماتحت أرضك كعلمك بما فوق عرشك وكانت وساوس الصدور كالعلانية عندك وعلانية القول كالسر في علمك وانقاد كل شيء لعظمتك وخضع كل ذي سلطان لسلطانك وصار أمر الدنيا والآخرة كله بيدك لا بيد غيرك اجعل لي من كل هم وغم أصبحت أو أمسيت فيه فرجا ومخرجا انك على كل شيء قدير اللهم ان عفوك عن ذنوبي وتجاوزك عن خطيئتي وسترك على قبيح عملي أطمعني ان أسألك مالا استوجبه منك مما قصيته لي أدعوك آمنا وأسألك مستأنسا لا خائفا ولا وجلا لانك أنت المحسن الي وأنا المسيء الى نفسي فيما بيني وبينك تتودد الي بالنعم مع غناك عني وأتبغض اليك بالمعاصي مع فقري اليك فلم أر مولى كريما أعطف منك على عبد لئيم مثلي لكن الثقة بك حملتني على الجراءة على الذنوب فاسألك بجودك وكرمك واحسانك وطولك أن تصلي على محمد وآله وأن تفتح لي باب الفرج بطولك وتحبس عني باب الهم بقدرتك ولا تكلني الى نفسي طرفة عين فأعجز ولا الى الناس فأضيع برحمتك يا أرحم الراحمين * وروى الحافظ النسفي باسناده عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال مر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل ساجد وهو يقول في سجوده اللهم اني أستغفرك وأتوب اليك من مظالم كثيرة لعبادك قبلي فأيما عبد من عبادك أو أمة من امائك كانت له قبلي مظلمة ظلمتها اياه في مال أو بدن أو عرض علمتها أو لم أعلمها ولم أستطع أن أحللها فاسألك أن ترضيه عني بما شئت وكيف شئت ثم تهبها لي من لدنك انك واسع المغفرة ولديك الخير كله يارب ماتصنع بعذابي ورحمتك وسعت كل شيء فلتسعني رحمتك فاني لاشيء وأسألك يارب أن تكرمني برحمتك ولا تعذبني بذنوبي وما عليك أن تعطيني الذي سألتك يارب ياالله فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ارفع رأسك فقد غفر الله لك ان هذا دعاء أخي شعيب عليه السلام * وقال صالح المري قال لي قائل في منامي اذا أحببت أن يستجاب لك فقل اللهم اني أسألك باسمك المخزون المكنون المبارك الطيب الطاهر المطهر المقدس فما دعوت به في شيء الا تعرفت الاجابة (وقيل) ان هذا الدعاء فيه اسم الله الأعظم وهو بسم الله الرحمن الرحيم اللهم اني

وهبت لك درهما فوهبه سبعين ألف درهم فوهبها أربعة دوانق *ومن الموصوفين بالبخل آل مرو* يقال ان من عادتهم اذا ترافقوا في سفر ان يشتري كل واحد منهم قطعة لحم ويشكها في خيط ويجمعون اللحم كله في قدر ويمسك كل واحد منهم طرف خيطه فاذا استوى جر كل منهم خيطه وأكل لحمه وتقاسموا المرق *وكان* عمر بن يزيد الأسدي بخيلا جدا أصابه القولنج في بطنه فحقنه الطبيب بدهن كثير فانحل مافي بطنه في الطست فقال الغلامه اجمع الذي نزل من الحقنة وأسرج به *وكان* المنصور شديد البخل جدا مر به مسلم الحادي في طريقه الى الحج فحداله يوما بقول الشاعر

أغر بين الحاجبين نوره
يزينه حياؤه وخيره
ومسكه يشوبه كافوره
اذا تغدى رفعت ستوره

فطرب حتى ضرب برجله المحمل وقال ياربيع أعطه نصف درهم فقال نصف درهم ياأمير المؤمنين والله لقد حدوت لهشام فأمر لي بثلاثين ألف درهم فقال تأخذ من بيت مال المسلمين ثلاثين ألف درهم ياربيع وكل به من يتخلص منه هذا المال قال الربيع فمازلت أمشي بينهما وأروضه حتى شرط مسلم على نفسه ان يحدوله في ذهابه وايابه بغير مؤنة واخبار البخلاء كثيرة وفيما أوردناه كفاية *نادرة* قيل لأبي الحرث ماتقول في الفالوذجة قال وددت لو أنها وملك الموت اختلجا في صدري والله لو أن موسى لقي فرعون بالفالوذجة لآمن به ولكنه لقيه بعصا *ودخل* ابن قزعة يوما على عز الدولة وبين يديه طبق فيه موز فتأخر عن استدعائه فقال مابال مولانا ليس يدعوني الى الفوز بأكل

أسألك بالعزة التي لا ترام والملك الذي لا يضام والعين التي لا تنام والنور الذي لا يطفأ وبالوجه الذي لا يبلى وبالديمومية التي لا تفنى وبالحياة التي لا تموت وبالصمدية التي لا تقهر وبالربوبية التي لا تستذل أن تجعل لنا في أمورنا فرجا ومخرجا حتى لا نرجو غيرك يا أرحم الراحمين * وقال سعيد بن المسيب دخلت المسجد في ليلة مقمرة وأظن اني قد أصبحت واذا الليل على حاله فقمت أصلي وجلست أدعو واذا بهاتف يهتف من خلفي يا عبد الله قل قلت ما أقول قال قل اللهم اني أسألك بأنك مالك وأنت على كل شيء قدير وما تشاء من أمر يكون قال سعيد فما دعوت به قط في شيء الا رأيت نجحه * وعن الشيخ كمال الدين الدميري قال روينا عن قاضي القضاة عز الدين بن جماعة قال أنبأنا الشيخ شرف الدين أبو العباس أحمد بن ابراهيم بن سباع الفزاري خطيب دمشق قال أنبأنا الشيخ زين الدين أبو البقاء خالد بن يوسف النابلسي بقراءتي عليه قال أنبأنا الحافظ بهاء الدين ناصر السنة محمد بن الامام أبي محمد بن الحافظ أبي القاسم علي بن الحسين بن هبة الله بن عساكر قراءة عليه وأنا أسمع قال رويت بالاسناد وذكر اسناده الى الامام الحجة التابعي الجليل محمد بن سيرين قال نزلنا بنهر تيرا فأتانا أهل ذلك المنزل فقالوا النار رحلوا فانه لم ينزل هذا المنزل أحد الا أخذ متاعه فرحل أصحابه وتخلفت فلما أمسينا قرأت آيات فما نمت حتى رأيت أقواما قد أقبلوا وجاؤا الي جهتي أكثر من ثلاثين نفرا وقد جردوا سيوفهم فلم يصلوا الي فلما أصبحت رحلت فلقيني شيخ على فرس ومعه قوس عربية فقال لي يا هذا انسي أنت أم جني فقلت بل أنا من بني آدم قال فما بالك لقد تينالك في هذه الليلة أكثر من سبعين مرة وفي كل ذلك يحال بيننا وبينك بسور من حديد قلت حدثني ابن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال من قرأ في ليلة ثلاثا وثلاثين آية لم يضره في تلك الليلة لص طارق ولا سبع ضار وعوفي في نفسه وأهله وماله حتى يصبح فنزل عن فرسه وكسر قوسه وأعطى الله تعالى عهدا أن لا يعود لهذا الأمر وهذه الآيات * وهي أن تقرأ بعد الفاتحة الم ذلك الكتاب الى قوله المفلحون وآية الكرسي الى قوله هم فيها خالدون وآمن الرسول الى آخر السورة وان ربكم الله الذي الى قوله المحسنين وقل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن الى آخر السورة والصافات صفا الى قوله تعالى لازب ويا معشر الجن والانس ان استطعتم الى قوله فلا تنتصران ولو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا الى آخرها وأنه تعالى جد ربنا الى قوله شططا زاد البوني الى قوله شهابا رصدا والله من ورائهم محيط الى قوله محفوظ قال محمد بن سيرين فذكرت هذا الحديث لشعيب بن حرب فقال كنا نسميها آيات الحرز ويقال ان فيها شفاء من مائة داء وعد وامنها الجذام وغير ذلك قال محمد بن علي قرأتها على شيخ لنا فد أفلج فأذهب الله تعالى عنه ذلك الفلج قال البوني هذه الآيات شرفها مشهور وفضلها مذكور لا ينكرها الا غبي أو غيور وقد جربها المشايخ وعرف سرها من له في العلم قدم راسخ وقدر شامخ وهي على ما رويناه بل ما رأيناه أولها الفاتحة ثم أول البقرة الى آخر الآيات وقال أبو العباس أحمد القسطلاني سمعت الشيخ أبا عبد الله القرشي يقول سمعت أبا زيد القرطبي يقول في بعض الآثار من قال لا اله الا الله سبعين ألف مرة كانت فداءه من النار فعملت ذلك رجاء بركة الوعد ففعلت منها لأهلي وعملت أعمالا ادخرتها لنفسي وكان اذ ذاك يبيت معنا شاب يكاشف بالجنة والنار وكانت الجماعة ترى له فضلا على صغر سنه وكان في قلبي منه شيء فاتفق أن استدعانا بعض الاخوان الى منزله فنحن نتناول الطعام والشاب معنا اذ صاح صيحة منكرة واجتمع في نفسه وهو يقول يا عم هذه أمي في النار وهو يصيح بصياح عظيم لا يشك من سمعه أنه عن أمر فلما رأيت ما به من الانزعاج قلت اليوم أجرب صدقه فألهمني الله تعالى السبعين ألفا ولم يطلع على ذلك الا الله تعالى فقلت في نفسي الأثر حق والذين رووه لنا صادقون اللهم ان هذه السبعين ألفا فداء أم هذا الشاب من النار فما استتممت هذا الخاطر في نفسي ان قال يا عم هذه أمي أخرجت من النار والحمد لله فحصل عندي فائدتان امتحاني لصدق الأثر وسلامتي من الشاب وعلمي بصدقه ومن خاف انسانا فليصل ركعتين بعد صلاة المغرب ثم يضع جبهته على التراب ويقول يا شديد المحال يا عزيز أذللت بعزتك جميع من خلقت صل على محمد وآله واكفني فلانا بما شئت كفاه الله تعالى شره وروى الثقفي رحمه الله تعالى باسناده الى محمد بن علي بن الحسين رضي الله تعالى عنه انه كان يقول لولده يا بني من أصابته مصيبة في الدنيا أو نزلت به نازلة فليتوضأ وليحسن الوضوء وليصل أربع ركعات أو ركعتين فاذا انصرف من صلاته يقول يا موضع كل شكوى ويا سامع كل نجوى ويا شاهد كل بلوى ويا منجي موسى والمصطفى محمد

والخليل

الموز فقال صفه حتى أطعمك فقال ما الذي أصف من حسن لونه فيه سبائك ذهبية كأنها حشيت زبدا وعسلا وأطيب التمر كأنه مخ الشحم سهل المقشر لين المكسر عذب المطعم بين الطعوم سلس في الحلقوم ثم مد يده وأكل ﴿وسمع﴾ رجلا يذم الزبد فقال له ما الذي ذممت منه سواد لونه أم بشاعة طعمه أم صعوبة مدخله أم خشونة ملمسه ﴿وقيل﴾ له ما تقول في الباذنجان قال أذناب المحاجم وبطون العقارب وبزور الزقوم قيل له انه يحشى باللحم فيكون طيبا فقال لو حشي بالتقوى والمغفرة ما أفلح (وصنع) الحجاج وليمة واحتفل فيها ثم قال لزاذان هل عمل كسرى مثلها فاستعفاه فأقسم عليه فقال أولم عبد عند كسرى فأقام على رؤس الناس ألف وصيفة في يد كل واحدة ابريق من ذهب فقال الحجاج أف والله ما تركت فارس لمن بعدها من الملوك شرفا ﴿وقال﴾ معاوية لرجل على مائدته خذ الشعرة من لقمتك فقال وانك تراعيني مراعاة من يرى الشعرة في لقمتي لا أكلت لك طعاما أبدا (وحضر) اعرابي على مائدة بعض الخلفاء فقدم جدي مشوي فجعل الاعرابي يسرع في أكله منه فقال له الخليفة أراك تأكله بحرد كان أمه نطحتك فقال أراك تشفق عليه كأن أمه أرضعتك (ودعت) أبا الحرث صبية له فاد تته ساعة فجاع فطلب الأكل فقالت له أما في وجهي ما يشغلك عن الأكل قال جعلت فداك فلو أن جميلا وبثينة قعدا ساعة لا يأكلان لبصق كل منهما في وجه صاحبه وافترقا (وقال الشمردل) وكيل عمرو بن العاص قدم سليمان بن عبد الملك الطائف فدخل هو وعمر ابن عبد العزيز الي وقال يا شمردل ما عندك ما تطعمني قلت عندي

تجدى كأعظم مايكون سمنا قال عجل به فاتيته به كأنه عكة سمن فجعل يأ كل منه ولا يدع عرحتى اذا لم يبق منه الا شئ اذا قال هلم يا أبا جعفر فقال انى صائم فأ كله ثم قال يا شمردل و يلك أما عندك شئ قال ست دجاجات كأنهن أفخاذ نعام فأتيته بهن فأتى عليهن ثم قال يا شمردل أما عندك شئ قلت سويق كأنه قراضة الذهب فأتيته به فعبه حتى أتى عليه ثم قال يا غلام أفرغت من غدائنا قال نعم قال ما هو قال نيف وثلاثون قدرا قال ائتني بقدر قدر فأتاه بها ومعه الرقاق فأ كل من كل قدر ثلثه ثم مسح يده واستلقى على فراشه وأذن للناس فدخلوا وصف الخوان وأ كل مع الناس (ونزل رجل) بصومعة راهب فقدم اليه الراهب أربعة أرغفة وذهب ليحضر اليه العدس فحمله وجاء فوجده قد أ كل الخبز فذهب وأتى بخبز فوجده قد أ كل العدس ففعل معه ذلك عشر مرات فسأله الراهب أين مقصدك قال الى الاردن قال لماذا قال بلغني ان بها طبيبا حاذقا أسأله عما يصلح معدتي فاني قليل الشهوة للطعام فقال له الراهب ان لى اليك حاجة قال وماهى قال اذا ذهبت وأصلحت معدتك فلا تجعل رجوعك من ههنا (يحكى) أن زيادا أمر بضرب عنق رجل فقال أيها الامير ان لى بك حرمة قال وماهى قال ان أبي جارك بالبصرة قال ومن أبوك قال يا مولاى انى نسيت اسم نفسي فكيف لا أنسى اسم أبي فرد زياد كمه على فمه وضحك وعفا عنه (وحكى) عن جعفر الصادق رضى الله تعالى عنه ان غلاما له وقف يصب الماء على يديه فوقع الابريق من يد الغلام فى الطست فطار الرشاش فى وجهه فنظر جعفر اليه نظر مغضب فقال يا مولاى والكاظمين الغيظ قال قد كظمت غيظى قال والعافين عن الناس قال عفوت عنك قال والله يحب المحسنين قال اذهب فانت حر لوجه الله الكريم (وقيل) لما قدم نصر بن منيع بين يدى الخليفة وكان قد أمر بضرب عنقه قال يا أمير المؤمنين اسمع منى كلمات أقولهن قال قل فانشأ يقول

زعموا بأن الصقر صادف مرة * عصفور برساقه التقدير
فتكلم العصفور تحت جناحه * والصقر منقض عليه يطير
انى لمثلك لا أتمم لقمة * ولئن شويت فانني لحقير
فتهاون الصقر المدل بصيده * كرما وأفلت ذلك العصفور

قال فعفا عنه وخلى سبيله (وكتب) عبد الملك ابن مروان الى الحجاج يأمره يبعث اليه برأس عباد بن أسلم البكرى فقال له عباد أيها الامير أنشدك الله لا تقتلني فوالله انى لأعول أربعا وعشرين امرأة مالهن كاسب غيرى فرق له واستحضرهن فاذا واحدة منهن كالبدر فقال لها الحجاج ما أنت منه قالت أنا ابنته فاسمع يا حجاج منى ما أقول ثم قالت

أحجاج اما أن تمن بتركه * علينا واما أن تقتلنا معا
أحجاج لا تفجع به ان قتلته * ثمانا وعشرا واثنتين وأربعا
أحجاج لا تترك عليه بناته * وخالاته يندبنه الدهر أجمعا

فبكى الحجاج ورق له واستوهبه من أمير المؤمنين عبد الملك وأمر له بصلة

والخليل ابراهيم عليهم السلام أدعوك دعاء من اشتدت فاقته وضعفت حركته وقلت حيلته دعاء الغريب الغريق الفقير الذى لا يجد لكشف ما هو فيه الا أنت يا أرحم الراحمين لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين قال على بن الحسين رضى الله عنهما لا يدعو به مبتلى الا فرج الله عنه وقيل الاسم الاعظم هو بسم الله الرحمن الرحيم اللهم انى أسألك يا مؤنس كل وحيد يا قريبا غير بعيد يا شاهدا غير غائب يا غالبا غير مغلوب يا حى يا قيوم يا بديع السموات والارض يا ذا الجلال والاكرام أسألك باسمك بسم الله الرحمن الرحيم الحى القيوم الذى لا تأخذه سنة ولا نوم وأسألك باسمك بسم الله الرحمن الرحيم الذى عنت له الوجوه وخشعت له الاصوات ووجلت له القلوب أن تصلى على محمد وعلى آله وأن تعطينى كذا وكذا انك على كل شئ قدير * وهذه أبيات الفرج لاحمد بن حمزة البونى قيل ان فيها اسم الله الاعظم وهى هذه

انى لارجو عطفة الله ولا * أقول ان قيل متى ذاك متى
لا بد ان ينشر ما كان طوى * جودا وأن يعطر ما كان ذوى
وربما ينشر ما كان زوى * وربما قدر ما كان لوى
وكل شئ ينتهى الى مدى * والشئ يرجى كشفه اذا انتهى
لطائف الله وان طال المدى * كلمحة الطرف اذا الطرف رمى
كم فرج بعد اياس قد أتى * وكم سرور قد أتى بعد الاسى
من لاذ بالله نجا فيمن نجا * من كل ما يخشى ونال ما رجا
سبحان من نهفوا ويعفو دائما * ولم يزل مهما هفا العبد عفا
يعطى الذى يخطى ولا يمنعه * جلاله من العطا الذى الخطا

ومن المنظوم أيضا

يامن يرى مافى الضمير ويسمع * أنت المعد لكل ما يتوقع
يامن يرجى للشدائد كلها * يامن اليه المشتكى والمفزع
يامن خزائن رزقه فى قول كن * أمنن فان الخير عندك أجمع
مالى سوى فقرى اليك وسيلة * فبالافتقار اليك فقرى أدفع
مالى سوى قرعى لبابك حيلة * فلئن رددت فأى باب أقرع
ومن الذى أدعو وأهتف باسمه * ان كان فضلك عن فقيرك يمنع
حاشا لجودك أن تقنط عاصيا * الفضل أجزل والمواهب أوسع
ثم الصلاة على النبي وآله * خير الانام ومن به نتشفع

(وقال آخر)

ياخالق الخلق يارب العباد ومن * قد قال فى محكم التنزيل أدعونى
انى دعوتك مضطرا فخذ بيدى * ياجاعل الامر بين الكاف والنون
نجيت أيوب من بلواه حين دعا * بصبر أيوب ياذا اللطف نجينى
واطلق سراحى وامنن بالخلاص كما * نجيت من ظلمات البحر ذا النون

ثم يقرأ وذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن ان لن نقدر عليه فنادى فى الظلمات أن لا اله الا أنت سبحانك انى كنت

من الظالمين قال بعضهم

يارب مازال لطف منك يشملني * وقد تجدد بي ما أنت تعلمه
فاصرفه عني كما عودتني كرما * فمن سواك لهذا العبد يرحمه

(وقال آخر)

يامن اليه المشتكى * واليه أمر الخلق عائد
يامن تحل بذكره * عقد النوائب والشدائد
ياحي ياقيوم يا * صمد تنزه عن مضادد
أنت الرقيب على العبا * د وأنت في الملكوت واحد
أنت المعز لمن أطا * عك والمذل لكل جاحد
انى دعوتك والهمو * م جيوشها نحوى تطارد
فأفرج بحولك كربتى * يامن له حسن العوائد
نخفى لطفك يستعا * ن به على الزمن المعاند
أنت الميسر والمسبب والمسهل والمساعد
يسر لنا فرجا قريبا * يا الهى لا تباعد
كن راحمى فلقد يئست من الأقارب والأباعد
ثم الصلاة على النبى وآله الغر الأماجد
وعلى الصحابة كلهم * ماخر للرحمن ساجد

(دعاء عظيم مأثور)

اللهم انى أشكو اليك ضعف قوتى وقلة حيلتى وهوانى على الناس أنت رب المستضعفين وأنت ربى الى من تكلنى الى بغيض يتجهمنى أو الى قوى ملكته أمرى ان لم يكن بك غضب على فلا أبالى ولكن عافيتك أوسع لى أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من ان يحل بى غضبك او ينزل بى سخطك فلك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة لنا الا بك يارب العالمين

﴿ومما جاء فى أدعية الناس بعضهم لبعض﴾ دعا رجل لآخر فقال سرك الله بما ساءك ولا ساءك فيما سرك ودعا رجل لآخر فقال لا أخلاك الله تعالى من ثناء صادق باق ودعاء صالح واف * ودعا أعرابى لآخر فقال رحب واديك وعز ناديك ولا ألم بك ألم ولا طاف بك عدم وسلمك الله ولا أسلمك وسمعت بعض العرب يدعو لرجل و يقول سلمك الله تعالى من الرهق والوهق وعافاك الله تعالى من الوحل والزحل وسلمك الله من الشاردات والواردات وسلمك الله بين الاعنة والاسنة ودعا أعرابى لعبد الله بن جعفر رضى الله عنه فقال لا ابتلاك الله تعالى ببلاء يعجز عنه صبرك وأنعم عليك نعمة يعجز عنها شكرك وأبقاك ما تعاقب الليل والنهار وتناوحت الظلم والانوار * ودعا بعضهم لآخر فقال زودك الله تعالى الأمن فى سيرك والسعد فى مصيرك ولا أخلاك من شهر تستجده وخير من الله تستمده وعزى شبيب بن شبة يهوديا فقال أعطاك الله على مصيبتك أفضل ما أعطى أحدا من أهل ملتك

﴿ومما جاء فى الدعاء على الاعداء والظلمة ونحوهم﴾ دعا اعرابى على ظالم فقال لا ترك الله لك شفرا ولا ظفرا أى عينا ولا يدا ومن دعاء العرب قمه الله قمتا وحته حتا وجعل أمره شتى وخرج اعرابى الى سفر وكانت له امرأة

تكرهه

(وحكى) ان رجلا زور ورقة عن خط الفضل بن الربيع تتضمن أنه أطلق له ألف دينار ثم جاء بها الى وكيل الفضل فلما وقف الوكيل عليها لم يشك انها خط الفضل فشرع فى أن يبذل له الالف دينار واذا بالفضل قد حضر ليتحدث مع وكيله فى تلك الساعة فى أمر مهم فلما جلس أخبره الوكيل بأمر الرجل وأوقفه على الورقة فنظر الفضل فيها ثم نظر فى وجه الرجل فرآه كاد يموت من الوجل والخجل فأطرق الفضل بوجهه ثم قال للوكيل أتدرى لم أتيتك فى هذا الوقت قال لا قال جئت لاستنهضك حتى تعجل لهذا الرجل اعطاء المبلغ الذى فى هذه الورقة فاسرع عند ذلك الوكيل فى وزن المال وناوله الرجل فقبضه وصار متحيرا فى أمره فالتفت اليه الفضل وقال له طب نفسا فقال له سترتنى سترك الله فى الدنيا والآخرة ثم أخذ المال ومضى ﴿ومن اللطائف والغرائب الدالة على الوفاء بالذمم﴾ ما حكاه بعض خدم أمير المؤمنين المأمون قال طلبنى أمير المؤمنين ليلة وقد مضى من الليل ثلثه فقال لى خذ معك فلانا وفلانا وهما أحدهما على بن محمد والآخر دينار الخادم واذهب مسرعا لما أقول لك فانه قد بلغنى ان شيخا يحضر ليلا الى دور البرامكة وينشد شعرا و يذكرهم ذكرا كثيرا ويندبهم ويبكى عليهم ثم ينصرف فامض الآن أنت وعلى ودينار حتى تردوا هذه الخربات فاستتروا فى بعض الجدران فاذا رأيتم الشيخ قد جاء وبكى وندب وأنشد شيأ فائتونى به قال فاخذتهما ومضينا حتى أتينا الخربات واذا نحن بغلام قد أتى ومعه بساط وكرسى جديد واذا بشيخ وسيم له جمال وعليه مهابة ووقار قد أقبل فجلس على الكرسى وجعل يبكى و ينتحب ويقول

ولما رأيت السيف جندل جعفرا
ونادى مناد للخليفة فى يحيى
بكيت على الدنيا وزاد تأسفى
عليهم وقلت الآن لا تنفع الدنيا

مع أبيات أطالها ورددها فلما قبضنا عليه وقلنا له أجب أمير المؤمنين فزع فزعا شديدا وقال دعونى حتى أوصى وصية فانى لا أوقن بعدها بحياة ثم تقدم الى بعض الدكاكين فاستفتح وأخذ ورقة وكتب فيها وصية ودفعها الى غلامه ثم سرنا به فلما مثل بين يدى أمير المؤمنين زجره وقال له ومن أنت وبماذا استوجبت البرامكة منك ما تفعله فى خرائب دورهم وما تقوله فيها فقال يا أمير المؤمنين ان للبرامكة عندى أيادى خطيرة افتأذن لى أن أحدثك حديثى معهم قال قل قال يا أمير المؤمنين أنا المنذر بن المغيرة من أولاد الملوك وقد زالت عنى نعمتى كما تزول عن الرجال فلما ركبنى الدين واحتجت الى بيع مسقط رأسى ورؤس أهلى أشاروا على بالخروج الى البرامكة فخرجت من دمشق ومعى نيف وثلاثون امرأة وصبى وصبية وليس معنا ما يباع ولا ما يوهب حتى دخلنا بغداد ونزلنا فى بعض المساجد فدعوت بثويبات لى كنت قد أعددتها لاستمتع بها الناس فلبستها وخرجت وتركتهم جياعا لا شئ عندهم ودخلت شوارع بغداد سائلا عن دور البرامكة فاذا أنا بمسجد مزخرف وفيه مائة

تكرهه فاتبعته نواة وقالت شط نوالك ونأى سفرك ثم أتبعته روثة وقالت رثتك أهلك وورث خيرك ثم أتبعته حصاة وقالت حاص رزقك وحص أثرك ودعا اعرابي على آخر فقال أطفأ الله ناره وخلع نعليه أي جعله أعمى مقعدا ودعا اعرابي على آخر فقال سقاه الله دم جوفه أي قتل ابنه وأخذ ديته فشرب لبنها ودعا اعرابي على آخر فقال بعث الله عليه سنة قاشورة تحلقه كما يحلق الشعر بالنورة ردعا رجل على أمير فقال

أزال الله دولته سريعا * فقد ثقلت على عنق الليالى

(وقالت امرأة من بني ضبة في زوجها)

وما دعوت عليه حين ألعنه * الا وآخر يتلوه بآمين

فليته كان أرض الروم منزله * وليتني قبله قد صرت للصين

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في خطبته يوم الاحزاب اللهم أكل سلاحهم واضرب وجوههم ومزقهم في البلاد تمزيق الريح للجراد ودعا رجل فقال اللهم اكفنا أعداءنا ومن أرادنا بسوء فلتحط به ذلك السوء احاطة القلائد بترائب الولائد ثم ارسخه على هامته كرسوخ السجيل على هام أصحاب الفيل وحسبنا الله ونعم الوكيل *ولنختم هذا الباب بهذا الدعاء المبارك وهو اللهم انك عرفتنا ربوبيتك وغرقتنا في بحار نعمتك ودعوتنا الى دار قدسك ونعمتنا بذكرك وأنسك الهى ان ظلمة ظلمنا النفوس قد عمت وبحار الغفلة على قلوبنا قد طمت والعجز شامل والحصر حاصل والتسليم أسلم وأنت بالحال أعلم الهى ما عصيتك جهلا بعقابك ولا تعرضا لعذابك ولكن سولتها نفوسنا وأعانتنا شقوتنا وغرنا سترك علينا وأطمعنا في عفوك برك بنا فالآن من عذابك من ينقذنا وبحبل من نعتصم ان قطعت حبلك عنا واخجلتاه غدا من الوقوف بين يديك وافضيحتاه ان عرضت فعالنا القبيحة عليك اللهم اغفر ما علمت ولا تهتك ما سترت الهى ان كنا عصيناك بجهل فقد دعوناك بعقل حيث علمنا أن لنا ربا يغفر لنا ولا يبالى الهى أتحرق بالنار وجها كان لك مصليا ولسانا كان لك ذاكرا وداعيا لا بالذي دلنا عليك وأمرنا بالخشوع بين يديك وهو محمد صلى الله عليه وسلم خاتم أنبيائك وسيد أصفيائك فان حقه علينا أعظم الحقوق بعد حقك كما أن منزلته لديك أشرف المنازل سيد خلقك ومعدن أسرارك صل يا رب على محمد وآله وأصحابه وارحم عبادا غرهم طول امهالك وأطمعهم كثرة افضالك فقد ذلوا لعزك وجلالك ومدوا أكفهم لطلب نوالك ولولا ذلك لم يصلوا الى ذلك اللهم اغفر لنا ولوالدينا ولكل المسلمين أجمعين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿الباب الثامن والسبعون في القضاء والقدر وأحكامه والتوكل على الله عز وجل﴾

اعلم ان كل ما يجرى في العالم من حركة وسكون وخير وشر ونفع وضر وايمان وكفر وطاعة ومعصية فكل بقضاء الله وقدره وكذلك فلا طائر يطير بجناحيه ولا حيوان يدب على بطنه ورجليه ولا تطن بعوضة ولا تسقط ورقة

شيخ باهتز زي وزينة وعلى الباب خادمان فطمعت في القوم وولجت المسجد وجلست بين أيديهم وأنا أقدم وأؤخر والعرق يسيل مني لأنها لم تكن صناعتي واذا بخادم قد أقبل فدعا القوم فقاموا وأنا معهم فدخلوا دار يحيى بن خالد ودخلت معهم واذا بيحيى جالس على دكة له في وسط بستان فسلمنا وهو يعدنا مائة وواحدا وبين يديه عشرة من ولده واذا غلام أمرد قد عذر خداه أقبل من بعض المقاصير بين يديه مائة خادم ممنطقون في وسط كل خادم منطقة من ذهب يقرب وزنها من ألف مثقال ومع كل خادم مجمرة من ذهب في كل مجمرة قطعة من عود كهيئة الفهر قد قرن بها مثلها من العنبر السلطاني فوضعوه بين يدي الغلام الى جنب يحيى ثم قال يحيى للقاضي تكلم وزوج بنتي عائشة من ابن عمي هذا فخطب القاضي وزوجه وشهد أولئك الجماعة وأقبلوا علينا بالنثار ببنادق المسك والعنبر فالتقطت والله يا أمير المؤمنين ملء كمي ونظرت فاذا نحن في المكان ما بيني والمشايخ وولده والغلام مائة واثنا عشر رجلا فخرج الينا مائة واثنا عشر خادما مع كل خادم صينية من فضة عليها ألف دينار فوضعوا بين يدي كل رجل منا صينية فرأيت القاضي والمشايخ يصبون الدنانير في أكمامهم ويجعلون الصواني تحت آباطهم ويقوم الاول فالاول حتى بقيت وحدي بين يدي يحيى لا أجسر على أخذ الصينية فغمزني الخادم فجسرت وأخذتها وجعلت الذهب في كمي وأخذت الصينية في يدي وقمت وجعلت ألتفت الى ورائي مخافة أن أمنع من الذهاب بها فبينما أنا كذلك في صحن الدار ويحيى يلحظني اذ قال للخادم ائتني بذلك الرجل فرددت اليه فأمر بصب الدنانير والصينية وما كان في كمي ثم أمرني بالجلوس فجلست فقال لي من الرجل فقصصت عليه قصتي فقال للخادم ائتني بولدي موسى فأتى به فقال يا بني هذا رجل غريب فخذه اليك واحفظه بنفسك وبنعمتك فقبض موسى على يدي وأدخلني الى دار من دوره فأكرمني غاية الاكرام وأقمت عنده يومي وليلتي في ألذ عيش وأتم سرور فلما أصبح دعا بأخيه العباس وقال ان الوزير قد أمرني بالعطف على هذا الرجل وقد علمت اشتغالي في دار أمير المؤمنين فاقبضه اليك وأكرمه ففعل ذلك وأكرمني غاية الاكرام فلما كان من الغد تسلمني أخوه ثم لم أزل في أيدي القوم يتداولونني عشرة أيام لا أعرف خبر عيالي وصبياني في الاموات هم أم في الاحياء فلما كان اليوم الحادي عشر جاءني خادم ومعه جماعة من الخدم فقالوا لي قم فاخرج الى عيالك بسلام فقلت واويلاه سلبت الدنانير والصينية وأخرج الى عيالي على هذه الحالة انا لله وانا اليه راجعون فرفع الستر الأول ثم الثاني ثم الثالث ثم الرابع فلما رفع الخادم الستر الأخير قال لي مهما كان لك من الحوائج فارفعها الي فاني مأمور بقضاء جميع ما تأمرني به فلما رفع الستر رأيت حجرة كالشمس حسنا ونورا واستقبلني منها رائحة الند والعود ونفحات المسك واذا بصبياني وعيالي يتقلبون في الحرير والديباج وحمل الي ألف ألف درهم وعشرة آلاف دينار ومنشور بن

بضيعتين وثلاث الصينية التي كنت أخذتم ابعافيها من الدنانير والبنادق وأنت يا أمير المؤمنين مع البرامكة في دورهم ثلاث عشرة سنة لا يعلم الناس أمن البرامكة أنا أم رجل غريب اصطنعوني فلما جاءتهم البلية ونزل بهم من أمير المؤمنين الرشيد ما نزل أجحفني عمرو بن مسعدة وألزمني في هاتين الضيعتين من الخراج ما لا يفي دخلهما به فلما تحامل علي الدهر كنت في أواخر الليل أقصد خرابات القوم فاندبهم وأذكر حسن صنيعهم الي وأشكرهم على احسانهم فقال المأمون علي بعمرو بن مسعدة فلما أتى به قال له يا عمرو أتعرف هذا الرجل قال نعم يا أمير المؤمنين هو بعض صنائع البرامكة قال كم ألزمته في ضيعته قال كذا وكذا قال رد له كل ما استأديته منه في مدته ووقع له بهما يكونا له ولعقبه من بعده قال فعلا نحيب الرجل و بكاؤه فلما رأى المأمون كثرة بكائه قال له يا هذا قد أحسنا اليك فلم تبكي قال يا أمير المؤمنين وهذا أيضا من صنائع البرامكة اذ لو لم آت خرباتهم واندبهم حتى اتصل خبري بأمير المؤمنين ففعل بي ما فعل فمن أين كنت أصل الى أمير المؤمنين قال ابراهيم بن ميمون فلقد رأيت المأمون وقد دمعت عيناه وظهر عليه حزنه وقال لعمري هذا من صنائع البرامكة فعليهم فابك واياهم فاشكر ولهم فاوف ولاحسانهم فاذكر (ومن ذلك) انه خرج سليمان بن عبد الملك ومعه يزيد بن المهلب في بعض جبانات الشام فاذا امرأة جالسة على قبر تبكي قال سليمان فرفعت البرقع عن وجهها فحكت شمسا عن متون غمامة فوقفنا متحيرين ننظر اليها فقال لها يزيد بن المهلب يا أمة الله هل لك في أمير المؤمنين فنظرت الينا ثم أنشأت تقول

فان تسألاني عن هواي فانه
يحول بهذا القبر يا فتيان
واني لاستحييه والترب بيننا
كما كنت أستحييه وهو يراني

(ومن ذلك ما ذكره عبد الله ابن عبد الكريم) قال ان أحمد بن طولون وجد عند سقاية طفلا مطروحا فالتقطه ورباه وسماه أحمد وشهره باليتيم فلما كبر ونشأ كان أكثر الناس ذكاء وفطنة وأحسنهم   رسول
زيا وصورة فصار يرعاه ويعلمه حتى تهذب وتمرن فلما حضرت احمد بن طولون الوفاة أوصى ولده أبا الجيش خمرويه به فأخذه اليه فلما مات أحمد ابن طولون أحضره الامير أبو الجيش اليه وقال له أنت عندي بمكانة أرعاك بها ولكن عادتي اني آخذ العهد على كل أحد أعرفه أن لا يخونني في شيء فعاهده ثم حكمه في أمواله وقدمه في أشغاله فصار أحمد اليتيم مستحوذا على المقام حاكما على جميع الحاشية الخاص والعام والامير أبو الجيش بن طولون يحسن اليه فلما رأى أحواله متصفة بالنصح ومساعيه متسمة بالنجح ركن اليه واعتمد في أمور بيوته عليه فقال له يوما أحمد امض الى الحجرة الفلانية ففي المجلس حيث أجلس سبحة جوهر فائتني بها فمضى أحمد فلما دخل الحجرة وجد جارية من مغنيات الامير وحظاياه مع شاب من الفراشين ممن هم من الامير بمحل قريب فلما رآها خرج الفتى وجاءت الجارية الى أحمد وعرضت نفسها عليه ودعته الى قضاء وطره فقال لم

الا بقضائه وقدره وارادته ومشيئته كما لا يجري شيء من ذلك الا وقد سبق علمه به واعلم أن كل ما قضاه الله تعالى وقدره فهو كائن لا محالة كما أن ما في علم الله تعالى يكون فهو كائن قريب وما قدر الله وصوله اليك بعد الطلب فهو لا يصل اليك الا بالطلب والطلب أيضا من القدر فان تعسر شيء فبتقديره وان اتفق شيء فبتيسيره فمن رام أمرا من الأمور ليس الطريق في تحصيله أنه يغلق بابه عليه و يفوض أمره لربه و ينتظر حصول ذلك الامر بل الطريق أن يشرع في طلبه على الوجه الذي شرعه له فيه وقد ظاهر النبي صلى الله عليه وسلم بين درعين واتخذ خندقا حول المدينة حين تحزبت عليه الاحزاب يحترس به من العدو وأقام الرماة يوم أحد ليحفظوه من خالد بن الوليد وكان يلبس لامة الحرب و يهيئ الجيوش و يأمرهم و ينهاهم لما فيه من مصالحهم واسترقى وأمر بالرقية وتداوى وأمر بالمداواة وقال الذي انزل الداء انزل الدواء فان قيل قد روى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من استرقى أو اكتوى فهو بريء من التوكل قلنا أليس قد قال اعقلها وتوكل فان قيل فما الجمع بين ذلك قلنا معناه من استرقى أو اكتوى متكلا على الرقية أو الكي وأن البرء من قبلهما خاصة فهذا يخرجه عن التوكل وانما يفعله كافر يضيف الحوادث الى غير الله وقد أمرنا بالكسب والتسبب الا ترى ان الله قال لمريم عليها السلام وهزي اليك بجذع النخلة فهلا أمرها بالسكون وحمل الرطب اليها وأنشدوا في ذلك

ألم تر أن الله قال لمريم * وهزي اليك الجذع يساقط الرطب
ولو شاء أن تجنيه من غير هزها * جنته ولكن كل شيء له سبب

وقد تقدم هذا الشعر في باب الكسب والتسبب ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا فلم يحمل أرزاقها اليها في أوكارها بل ألهمها طلبه بالغدو والرواح وقد جمعوا بين الطلب والقدر فقالوا انهما كالعدلين على ظهر الدابة ان حمل في واحد منهما أرجح مما في الآخر سقط حمله وتعب ظهره وثقل عليه سفره وان عادل بينهما سلم ظهره ونجح سفره وتمت بغيته وضربوا فيه مثلا عجيبا فقالوا ان أعمى ومقعدا كانا في قرية بفقر وضر لا قائد للاعمى ولا حامل للمقعد وكان في القرية رجل يطعمهما قوتهما في كل يوم احتسابا لله تعالى فلم يزل بنعمة الله الى أن هلك ذلك الرجل فلبثا بعده أياما واشتد جوعهما و بلغ الضر منهما جهده فاجتمع رأيهما على ان الاعمى يحمل المقعد فيدله المقعد على الطريق ببصره فاشتغل الاعمى بحمل المقعد يدور به ويرشده الى الطريق وأهل القرية يتصدقون عليهما فنجح أمرهما ولولا ذلك لهلكا فكذلك القدر سببه الطلب والطلب سببه القدر وكل واحد منهما معين لصاحبه ألا ترى أن من طلب الرزق والولد ثم قعد في بيته لم يطأ زوجته ولم يبذر أرضه معتمدا في ذلك على الله واثقا به ان تلد امرأته من غير مواقعة وان ينبت الزرع من غير بذر كان عن المعقول خارجا ولامر الله كارها قال الغزالي أما المعيل فلا يخرج عن حد التوكل بادخار قوت سنة لعياله جبرا لضعفهم وتسكينا لقلوبهم وقد ادخر

فما معاذ الله أن أخون الأمير وقد أحسن الى وأخذ العهد على ثم تركها وأخذ السبحة وأسرع الى الأمير وسلمها اليه وبقيت الجارية شديدة الخوف من أحمد بعد ما أخذ السبحة وخرج من الحجرة لئلا يذكر حالها للامير فاقامت أياما لم تجد من الأمير ما غيره عليها ثم اتفق ان الأمير اشترى جارية وقدمها على حظاياه وغمرها بعطاياه واشتغل بها عمن سواها وأعرض لشغفه بها عن كل من عنده حتى كاد لا يذكر جارية غيرها ولا يراها وكان أولا مشغولا بتلك الجارية الخائنة العاهرة فلما أعرض عنها لاشتغاله بالجارية الجديدة وصرف بهجة محاسنها وكثرة آدابها وجهه عن ملاعبة أترابها وشغلته بعذوبة رضابها عن ارتشاف ضرب أضرابها وكانت تلك الجارية الأولى لحسنها متأمرة على تأمره لا تخاف من وليه ولا نصيره كبر عليها اعراضه عنها ونسبت ذلك الى أحمد اليتيم لاطلاعه على ما كان منها فدخلت على الأمير وقد ارتدت من الكآبة بجلباب نكرها وأعلنت بالبكاء بين يديه لاتمام كيدها ومكرها وقالت ان أحمد اليتيم راودني (٢١٣) عن نفسي فلما سمع الأمير ذلك استشاط غضبا وهم في الحال بقتله ثم عاوده حكم عقله فتأنى في فعله واستحضر خادما يعتمد عليه وقال له اذا أرسلت اليك انسانا ومعه طبق من ذهب وقال لك على لسانه املأ هذا الطبق مسكا فاقتل ذلك الانسان واجعل رأسه في الطبق وأحضره مغطى ثم ان الأمير أبا الجيش جلس لشربه وأحضر عنده ندماءه الخواص وأدناهم لمجلس قربه وأحمد اليتيم واقف بين يديه آمن في سربه لم يخطر بخاطره شئ فلما مثل بين يدي الأمير وأخذ منه الشراب شرع في التذكير فقال يا أحمد خذ هذا الطبق وامض به الى فلان الخادم وقل له يقول لك أمير المؤمنين املأ هذا الطبق مسكا فأخذه أحمد اليتيم ومضى فاجتاز في طريقه بالمغنين و بقية الندماء والخواص فقاموا اليه وسألوه الجلوس معهم فقال أنا ماض في حاجة الأمير أمرني باحضارها في هذا الطبق فقالوا له ارسل من ينوب عنك في احضارها وخذها أنت وادخل بها على الأمير فأدار عينيه فرأى الفتى الفراش الذي كان مع الجارية فأعطاه الطبق وقال له امض الى فلان الخادم وقل له يقول لك الأمير املأ هذا الطبق مسكا فمضى ذلك الفراش الى الخادم فذكر له ذلك فقتله وقطع رأسه وغطاه وجعله في الطبق وأقبل به فناوله لاحمد اليتيم فأخذه وليس عنده علم من باطن الأمر فلما دخل به على الأمير كشفه وتأمله وقال ما هذا فقص عليه خبره وقعوده مع المغنين و بقية الندماء وسؤالهم له الجلوس معهم وما كان من انفاذ الطبق وارساله مع الفراش وأنه لا علم عنده غير ما ذكر قال أتعرف لهذا الفراش خبرا يستوجب به ما جرى عليه فقال أيها الأمير ان الذي تم عليه بما ارتكبه من الخيانة وقد كنت رأيت الاعراض عن اعلام الأمير بذلك وأخذ أحمد يحدثه بما شاهده وما جرى له من حديث الجارية من أوله الى آخره لما أنفذه لاحضار السبحة الجوهر فدعا الأمير أبو الجيش بتلك الجارية واستقررها فاقرت بصحة ما ذكره أحمد فأعطاه اياها وأمره بقتلها ففعل وازدادت مكانته

رسول الله صلى الله عليه وسلم قوت سنة ونهى أم أيمن وغيرها ان تدخر شيأ وقال أنفق يا بلال ولا تخش من ذى العرش اقلالا وقال عبد الله بن الفرج اطلعت على ابراهيم بن أدهم وهو في بستان بالشام فوجدته مستلقيا على قفاه واذا حية في فمها باقة نرجس فما زالت تذب عنه حتى انتبه فحسبك توكل يؤدى الى هذا * وعن عبد الله الهروى قال كنا مع الفضيل بن عياض على جبل أبي قبيس فقال لو ان رجلا صدق في توكله على الله ثم قال لهذا الجبل اهتز لاهتز فوالله لقد رأيت الجبل اهتز وتحرك فقال له الفضيل رحمه الله تعالى لم أعنك رحمك الله فسكن * وفي الاسرائيليات ان رجلا احتاج الى أن يقترض ألف دينار فجاء الى رجل من المتمولين فسأله في ذلك وقال له تعول على بدينك الى أن أسافر الى البلد الفلاني فان لي مالا آتيك به وأوفيك منه وتكون مدة الاجل بيني و بينك كذا وكذا فقال له هذا غرر فأنا ما أعطيتك مالي الا أن تجعل لي كفيلا ان لم تحضر طلبته منه فقال الرجل الله كفيل على مالك وشاهد على أن لا أغفل عن وفائك فان رضيت فافعل فدخل الرجل خشية الله تعالى وحمله التوكل على أن دفع المال للرجل فأخذه ومضى الى البلد الذى ذكره فلما قرب الاجل الذى بينه و بين صاحبه جوز المال وقصد السفر في البحر فعسر عليه وجود مركب ومضت المدة و بعدها ايام وهو لا يجد مركبا فاغتم لذلك وأخذ الالف دينار وجعلها في خشبة وسمر عليها ثم قال اللهم انى جعلتك كفيلا بايصال هذه الى صاحبها وقد تعذر على وجود مركب وعزمت على طرحها في البحر وتوكلت عليك في ايصالها اليه ثم نقش على الخشبة رسالة الى صاحبها بصورة الحال وطرحها في البحر بيده وأقام في البلد مدة بعد ذلك الى أن جاءت مركب فسافر فيها الى صاحب المال فابتدأه وقال أنت سيرت الالف دينار في خشبة صفتها كيت وكيت وعليها منقوش كذا وكذا فقال نعم قال قد أوصلها الله تعالى الى والله نعم الكفيل فقال فكيف وصلت اليك قال لما مضى الاجل المقدر بيني و بينك بقيت أتردد الى البحر لاجل أو أجد من يخبرني عنك فوقفت ذات يوم الى الشط واذا بالخشبة قد استندت الى ولم أر لها طالبا فأخذها الغلام ليجعلها حطبا فلما كسرها وجد ما فيها فأخبرني بذلك فقرأت ما عليها فعلمت ان الله تعالى حقق أملك لما توكلت عليه حق التوكل وقيل ان سبب بداية ذى النون المصرى رحمه الله تعالى انه رأى طيرا أعمى بعيدا عن الماء والمرعى فبينما هو يتفكر في أمر ذلك الطائر فاذا هو بسكرجتين برزتا من الارض احداهما ذهب والاخرى فضة هذه فيها ماء والاخرى فيها قمح فلقط القمح وشرب الماء ثم غاب بعد ذلك فذهل ذو النون وانقطع الى الله تعالى من ذلك الوقت (وحكى) أن رجلا من أبناء الناس كانت له يد في صناعة الصياغة وكان أوحد أهل زمانه فساءت حاله وافتقر بعد غناه فكره الاقامة في بلده فانتقل الى بلد آخر فسأل عن سوق الصاغة فوجد كانا لمعلم السلطنة وتحت يده صناع كثيرة يعملون الاشغال للسلطنة وله سعادة ظاهرة ما بين مماليك وخدم وقماش وغير ذلك فتوصل الصائغ الغريب الى أن بقى من أحد الصناع الذين في دكان هذا المعلم وأقام يعمل عنده مدة وكلما فرغ

أحد عنده وعلت منزلته لديه وضاعف احسانه اليه وجعل أزمة جميع ما يتعلق به بيديه (قلت) و يقرب من ذلك ما حكى ان ملكا من ملوك الفرس يقال له ازدشير وكان ذا مملكة متسعة وجند كثير وكان ذا بأس شديد وقد وصف له بنت ملك بحر الأردن بالجمال البارع وان هذه البنت بكر ذات خدر فسير أزدشير من يخطبها من أبيها فامتنع من اجابته ولم يرض بذلك فعظم ذلك على أزدشير وأقسم بالأيمان المغلظة ليغزون الملك أبا البنت وليقتلنه هو وابنته شر قتلة وليمثلن بهما أخبث مثلة فسار اليه أزدشير في جيشه فقاتله فقتله أزدشير وقتل سائر خواصه ثم سأل عن ابنته المخطوبة فبرزت اليه جارية من القصر من أجمل النساء وأكمل البنات حسنا وجمالا وقدا واعتدالا فبهت أزدشير من رؤيتها اياها فقالت له أيها الملك انني ابنة الملك الفلاني ملك المدينة الفلانية وان الملك الذي قتلته أنت قد غزا بلادنا وقتل أبي وقتل سائر أصحابه قبل أن تقتله أنت وأنه أسرني في جملة الاسارى وأتى بي في هذا

القصر فلما رأتني ابنته التي أرسلت تخطبها أحبتني وسألت أباها أن يتركني عندها للتأنس بي فتركني لها فكنت أنا وهي كأننا روحان في جسد واحد فلما أرسلت تخطبها خاف أبوها عليها منك فأرسلها الى بعض الجزائر في البحر الملح عند بعض أقاربه من الملوك فقال أزدشير وددت لو أني ظفرت بها فكنت أقتلها شر قتلة ثم انه تأمل الجارية فرآها فائقة في الجمال فمالت نفسه اليها فأخذها للتسري وقال هذه أجنبية من الملك ولا أحنث في يميني بأخذها ثم انه واقعها وأزال بكارتها فحملت منه فلما ظهر عليها الحمل اتفق أنها تحدثت معه يوما وقد رأته منشرح الصدر فقالت له أنت غلبت أبي وأنا غلبتك فقال لها ومن أبوك فقالت له هو ملك بحر الاردن وأنا ابنته التي خطبتها منه واني سمعت انك أقسمت لتقتلني فتحيلت عليك بما سمعت والآن هذا ولدك في بطني فلا يتهيأ لك قتلي فعظم ذلك على أزدشير اذ قهرته امرأة وتحيلت عليه حتى تخلصت من بين يديه فانتهرها وخرج من عندها مغضبا وعول على قتلها ثم ذكر لوزيره ما اتفق له معها فلما رأى الوزير عزمه قويا على قتلها اختشى أن يتحدث الملوك عنه بمثل هذا وانه لا يقبل فيها شفاعة شافع فقال أيها الملك ان الرأى هو الذي خطر لك والمصلحة هى التى رأيتها أنت وقتل هذه الجارية في هذا الوقت أولى وهو عين الصواب لانه أحق من أن يقال ان امرأة قهرت رأى الملك وحنثته في يمينه لأجل شهوة النفس ثم قال أيها الملك ان صورتها مرحومة وحمل الملك معها وهي أولى في الستر ولا أرى في قتلها أهون ولا أستر عليها من الغرق فقال له الملك نعم ما رأيت خذها غرقها فأخذها الوزير ثم خرج بها ليلا لبحر الاردن ومعه ضوء ورجال وأعوان فتحيل الى أن طرح شيأ في البحر أوهمهم كأن معه أنها الجارية ثم انه أخفاها عنده فلما أصبح جاء الى الملك فأخبره انه غرقها فشكره على فعله ثم ان الوزير ناول الملك حقا مختوما وقال أيها الملك اني نظرت مولدي فرأيت أجلي قد دنا على ما يقتضيه حساب حكماء الفرس في النجوم وان لي أولادا وعندي مال قد ادخرته

النهار دفع له درهمين من فضة وتكون أجرة عمله تساوي عشرة دراهم فيكسب عليه ثمانية دراهم في كل يوم فاتفق أن الملك طلب المعلم وناوله فردة سوار من ذهب مرصعة بفصوص في غاية من الحسن قد عملت في غير بلاده كانت في يد احدى محاظيه فانكسرت فقال له ألحمها فأخذها المعلم وقد اضطرب عليه في عملها فلما أخذها وأراها الصناع الذين عنده وعند غيره فما قال له أحد انه يقدر على عملها فازداد المعلم لذلك غما ومضت مدة وهي عنده لا يعلم ما يصنع فاشتد الملك على احضارها وقال هذا المعلم نال من جهتنا هذه النعمة العظيمة ولا يحسن أن يلحم سوارا فلما رأى الصانع الغريب شدة ما نال المعلم قال في نفسه هذا وقت المروأة أعملها ولا أؤاخذه بخله على وعدم انصافه واعله يحسن الى بعد ذلك فحط يده في درج المعلم وأخذها وفك جواهرها وسبكها ثم صاغها كما كانت ونظم عليها جواهرها فعادت أحسن ما كانت فلما رآها المعلم فرح فرحا شديدا ثم مضى بها الى الملك فلما رآها استحسنها وادعى المعلم انها صنعته فأحسن اليه وخلع عليه خلعة سنية فجاء وجلس مكانه فبقى الصانع يرجو مكافأته عما عامله به فما التفت اليه المعلم ولما كان النهار مازاده على الدرهمين شيأ فما مضت الا أيام قلائل واذا الملك اختار أن يعمل زوجين أساور على تلك الصورة فطلب المعلم ورسم له بكل ما يحتاج اليه وأكد عليه في تحسين الصنعة وسرعة العمل فجاء الى الصانع وأخبره بما قال الملك فامتثل مرسومه ولم يزل منتصبا الى أن عمل الزوجين وهو لا يزيد شيأ على الدرهمين في كل يوم ولا يشكره ولا يعده بخير ولا يتجمل معه فرأى المصلحة أن ينقش على زوج منهما أبياتا يشرح فيها حاله ليقف عليها الملك فنقش في باطن أحدهما هذه الأبيات نقشا خفيفا يقول

مصائب الدهر كفى * ان لم تكفي فعفى خرجت أطلب رزقي * وجدت رزقي توفى
فلا برزقي أحظى * ولا بصنعة كفى كم جاهل في الثريا * وعالم متخفى

قال وعزم الصانع على انه ان ظهرت الأبيات للمعلم شرح له ما عنده وان غم عليه ولم يرها كان ذلك سبب توصله الى الملك ثم لفهما في قطن وناولهما للمعلم فرأى ظاهرهما ولم ير باطنهما لجهله بالصنعة ولما سبق له في القضاء وأخذهما المعلم ومضى بهما فرحا الى الملك وقدمهما اليه فلم يشك الملك في انهما صنعته فخلع عليه وشكره ثم جاء فجلس مكانه ولم يلتفت الى الصانع ومازاده في آخر النهار شيأ على الدرهمين فلما كان اليوم الثاني خلا خاطر الملك فاستحضر الحظية التي عمل لها السوارين الذهب فحضرت وهما في يديها فأخذهما ليعيد نظره فيهما وفي حسن صنعتهما فقرأ الأبيات فتعجب وقال هذا شرح حال صانعهما والمعلم يكذب فغضب عند ذلك وأمر باحضار المعلم فلما حضر قال له من عمل هذين السوارين قال أنا أيها الملك قال فما سبب نقش هذه الأبيات قال لم يكن عليهما أبيات قال كذبت ثم أراه النقش وقال ان لم تصدقني الحق لأضربن عنقك فاصدقه الحق فأمر الملك باحضار الصانع فلما حضر سأله عن حاله فحكى له قصته وما جرى له مع المعلم فرسم الملك بعزل المعلم وأن تسلب نعمته

نعمته وتعطى للصانع وان يكون عوضاعنه فى الخدمة ثم خلع عليه خلعة سنية وصار مقدما سعيدا فلما نال هذه الدرجة وتمكن عند الملك تلطف به حتى رضى عن المعلم الاول وصارا اثنين يكين ومكثا على ذلك الى آخر العمر ورحم الله من قال

اذا كان سعد المرء فى الدهر مقبلا * تدانت له الاشياء من كل جانب

(وقال آخر)

ماسلم الله هو السالم * ليس كما يزعمه الزاعم
تجرى المقادير التى قدرت * وأنف من لا يرتضى راغم

* وقال كعب بن زهير *

لو كنت أعجب من شئ لا عجبنى * سعى الفتى وهو مخبوء له القدر
يسعى الفتى لامور ليس يدركها * والنفس واحدة والهم منتشر
والمرء ماعاش ممدود له أمل * لا ينتهى ذاك حتى ينتهى العمر

روى فى الاسرائيليات أن نبيا من الانبياء عليهم الصلاة والسلام مر بفخ منصوب واذا بطائر قريب منه فقال له الطائر يانبي الله هل رأيت أقل عقلا ممن نصب هذا الفخ ليصيدنى به وأنا أنظر اليه قال فذهب عنه ذلك النبى صلى الله عليه وسلم ثم رجع واذا بالطائر فى الفخ فقال له عجبا لك ألست القائل كذا وكذا آنفا فقال يانبي الله اذا جاء الحين لم يبق أذن ولا عين * ويروى أن رجلا قال لبزرجمهر تعال نتناظر فى القدر قال وما تصنع بالمناظرة قال رأيت شيأ ظاهرا استدللت به على الباطن رأيت جاهلا مبرورا وعالما محروما فعلمت أن التدبير ليس للعباد * ولما قدم موسى بن نصر بعد فتح الاندلس على سليمان بن عبد الملك قال له يزيد بن المهلب أنت أدهى الناس وأعلمهم فكيف طرحت نفسك فى يد سليمان فقال ان الهدهد ينظر الى الماء فى الأرض على ألف قامة ويبصر القريب منه والبعيد على بعد فى التخوم ثم ينصب له الصبي الفخ بالدودة أو الحبة فلا يبصره حتى يقع فيه وأنشدوا فى ذلك

واذا خشيت من الامور مقدرا * وفررت منه فنحوه تتوجه

(وقال آخر)

أقام على المسير وقد أنيخت * مطاياه وغرد حاديها
وقال أخاف عادية الليالى * على نفسى وان ألقى رداها
مشيناها خطا كتبت علينا * ومن كتبت عليه خطا مشاها
ومن كانت منيته بأرض * فليس يموت فى أرض سواها

(ولما) قتل كسرى بزرجمهر وجد فى منطقته كتاب فيه اذا كان القضاء حقا فالحرص باطل واذا كان الغدر فى الناس طباعا فالثقة بكل أحد عجز واذا كان الموت بكل أحد نازلا فالطمأنينة الى الدنيا حمق وقال ابن عباس وجعفر بن محمد رضى الله تعالى عنهما فى قوله تعالى وكان تحته كنز لهما انما كان الكنز لوحا من ذهب مكتوب فيه بسم الله الرحمن الرحيم عجبت لمن يوقن بالقدر كيف يحزن وعجبت لمن يوقن بالرزق كيف ينصب وعجبت لمن يوقن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن يوقن بالحساب كيف يغفل وعجبت لمن يرى الدنيا وتقلبها باهلها

من نعمتك لخذه اذا مت ان رأيت وهذا الحق فيه جوهر أسأل الملك ان يقسمه بين أولادى بالسوية فانه ارثى الذى قد ورثته من أبى ولم يبق عندى شئ اكتسبته منه الا هذا الجوهر فقال له الملك يطول الرب فى عمرك ومالك ولا ولادك سواء كنت حيا أو ميتا فالح عليه الوزير أن يجعل الحق عنده وديعة فأخذه الملك وودعه عنده فى صندوق ثم مضت أشهر الجارية فوضعت ولدا ذكرا جميلا احسن الخلقة مثل القمر فلاحظ الوزير جانب الأدب فى تسميته فرأى انه ان اخترع له اسما وسماه به وظهر لوالده بعد ذلك فيكون قد أساء الأدب وان هو تركه بلا اسم لم يتهيأ له ذلك فسماه شاهبور ومعناه بالفارسية ابن الملك فان شاه ملك وبور ابن ولغتهم مبنية على تأخر المتقدم وتقديم المتأخر وهذه تسمية ليس فيها مؤاخذة ولم يزل الوزير يلاطف الجارية والولد الى أن بلغ الولد حد التعليم فعلمه كل مايصلح لأولاد الملوك من الخط والحكمة والفروسية وهو يوهم انه مولود له اسمه شاهبور الى أن راهق البلوغ هذا كله وأزدشير ليس له ولد وقد طعن فى السن وأقعده الهرم فرض وأشرف على الموت فقال للوزير أيها الوزير قد هرم جسمى وضعفت قوتى وانى أرى انى ميت لامحالة وهذا الملك يأخذه بعدى من قضى له به فقال الوزير لو شاء الله أن يكون للملك ولد كان قد ولى بعده الملك ثم ذكره بأمر بنت ملك بحر الاردن وحملها فقال الملك لقد ندمت على تغريقها ولو كنت أبقيتها حتى تضع فلعل حملها يكون ذكرا فلما شاهد الوزير من الملك الرضا قال أيها الملك انها عندى حية وقد ولدت ذكرا من أحسن الغلمان خلقا وخلقا فقال الملك أحق ماتقول فاقسم الوزير أن نعم ثم قال أيها الملك ان فى الولد روحانية تشهد بابوة الأب وفى الوالد روحانية تشهد ببنوة الابن لا يكاد ذلك ينخرم أبدا وانى آتى بهذا الغلام بين عشرين غلاما فى سنه وهيئته ولباسه وكلهم ذوو آباء معروفين خلا أباه وانى أعطى كل واحد منهم صولجانا وكرة وآمرهم أن يلعبوا بين يديك فى مجلسك هذا وتتأمل الملك صورهم وخلقهم وشمائلهم فكل من مالت اليه نفسك وروحانيتك فهو هو فقال الملك نعم التدبير الذى قلت فاحضرهم الوزير على هذه الصورة ولعبوا بين يدى الملك فكان الصبى فيهم اذا ضرب الكرة وقربت من مجلس الملك تمنعه الهيبة أن يتقدم ليأخذها الا شاهبور فانه كان اذا ضربها وجاءت عند مرتبة أبيه تقدم فأخذها ولا تأخذه الهيبة منه فلاحظ أزدشير ذلك منه مرارا فقال أيها الغلام ما اسمك قال شاهبور فقال له صدقت أنت ابنى حقا ثم ضمه اليه وقبله بين عينيه فقال له الوزير هذا ابنك أيها الملك ثم أحضر بقية الصبيان ومعهم عدول فأثبت لكل صبى منهم والدا بحضرة الملك فتحقق الصدق فى ذلك ثم جاءت الجارية وقد تضاعف حسنها وجمالها فقبلت يد الملك فرضى عنها فقال الوزير أيها الملك قد دعت الضرورة فى الوقت الى احضار الحق المختوم وأمر الملك باحضاره ثم أخذه الوزير وفتح ختمه وفتحه فاذا فيه ذكر الوزير وأنثياه مقطوعة مصانة فيه من قبل أن يتسلم الجارية من الملك أحضر عدولا من

الحكماء وهم الذين كانوا فعلوا به ذلك فشهدوا واعتقد الملك بأن هذا الفعل فعلناه به من قبل أن يتسلم الجارية بليلة واحدة قال فدهش الملك أزدشير وبهت لما أبداه هذا الوزير من قوة النفس فى الخدمة وشدة نصحه فزاد سروره وتضاعف فرحه لصيانة الجارية واثبات نسب الولد ولحوقه به ثم ان الملك عوفى من مرضه الذى كان به وصح جسمه ولم يزل يتقلب فى نعمه وهو مسرور بابنه الى أن حضرته الوفاة ورجع الملك الى ابنه شاه بور بعد موت أبيه وصار ذلك الوزير يخدم ابن الملك أزدشير وشاه بور يحفظ مقامه ويرى منزلته حتى توفاه الله تعالى (قلت ومن بديع ما جاء فى المكافأة على الصنيع) ما حكى عن الحسن بن سهل قال كنت عند يحيى بن خالد البرمكى وقد خلا فى مجلسه لاحكام أمر من أمور الرشيد فبينما نحن جلوس اذ دخل عليه جماعة من أصحاب الحوائج فقضاها لهم ثم توجهوا الشأنهم فكان آخرهم قياما أحمد بن أبى خالد الاحول فنظر يحيى اليه والتفت الى الفضل ابنه وقال يا بنى ان لابيك مع أبى هذا الفتى حديثا فاذا فرغت من شغلى هذا فأذكرنى أحدثك به فلما فرغ من شغله قال له ابنه الفضل أعزك الله يا أبى أمرتنى أن أذكرك حديث أبى خالد الاحول قال نعم يا بنى لما قدم أبوك من العراق أيام المهدى كان فقير الايملك شيأ فاشتد بى الامر الى أن قال لى من فى منزلى انا قد كتمنا حالنا وزاد ضررنا ولنا ثلاثة أيام ما عندنا شئ نقتاته قال فبكيت يا بنى لذلك بكاء شديدا وبقيت ولهان حيران مطرقا مفكرا ثم تذكرت منديلا كان عندى فقلت لهم ما حال المنديل فقالوا هو باق عندنا فقلت ادفعوه الى فأخذته ودفعته الى بعض أصحابى وقلت له بعه بما تيسر فباعه بسبعة عشر درهما فدفعتها الى أهلى وقلت أنفقوها الى أن يرزق الله غيرها ثم بكرت من الغد الى باب أبى خالد وهو يومئذ وزير المهدى فاذا الناس وقوف على داره ينتظرون خروجه فخرج عليهم راكبا فلما رآنى سلم على وقال كيف حالك فقلت يا أبا خالد ما حال رجل يبيع من منزله بالامس منديلا بسبعة عشر درهما فنظر الى نظرا شديدا وما أجابنى جوابا فرجعت الى أهلى كسير القلب وأخبرتهم بما اتفق لى مع أبى خالد فقالوا بئس والله ما فعلت توجهت الى رجل كان يرتضيك لامر جليل فكشفت له سرك وأطلعته على مكنون أمرك فازريت عنده بنفسك وصغرت عنده منزلتك بعد أن كنت عنده جليلا فما يراك بعد اليوم الا بهذه العين فقلت قد قضى الامر الآن بما لا يمكن استدراكه فلما كان من الغد بكرت الى باب الخليفة فلما بلغت الباب استقبلنى صاحب أبى خالد فقال لى أين تكون قد أمرنى أبو خالد باجلاسك الى أن يخرج من عند أمير المؤمنين فجلست حتى خرج فلما رآنى دعانى وأمر لى بمركوب فركبت وسرت معه الى منزله فلما نزل قال على بفلان وفلان الخياطين فاحضرا فقال لهما ألم تشتريا منى غلات السواد بثمانية عشر ألف ألف درهم قالا نعم قال ألم أشترط عليكما شركة رجل معكما قالا بلى قال هو هذا الرجل الذى

كيف يطمئن اليها لا اله الا الله محمد رسول الله (وحكى) الطرطوشى رحمه الله تعالى فى كتابه سراج الملوك قال من عجيب ما اتفق بالاسكندرية أن رجلا من خدم نائب الاسكندرية غاب عن خدمته أياما ففى بعض الايام قبض عليه صاحب الشرطة وحمله الى دار النائب فانفلت فى بعض الطرق وترامى فى بئر والمدينة اذ ذاك مسردبة بسرداب يمشى الماشى فيه قائما فما زال الرجل يمشى الى أن لاحت له بئر مضيئة فطلع منها فاذا البئر فى دار النائب فلما اطلع أمسكه النائب وأدبه فكان فيه المثل السائر الفار من القضاء الغالب كالمتقلب فى يد الطالب وأنشدوا فيه

قالوا اتقيم وقد أحا * ط بك العدو ولا تفر * لانلت خيرا ان بقيـ
ـت ولا عدانى الدهر شر * ان كنت أعلم أن غيـر الله ينفع أو يضر

الباب التاسع والسبعون فى التوبة والاستغفار

قد تظاهرت دلائل الكتاب والسنة واجماع الأمة على وجوب التوبة وأمر الله تعالى بالتوبة فقال وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون * ووعد بالقبول فقال تعالى وهو الذى يقبل التوبة عن عباده وفتح باب الرجاء فقال يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم *وروى فى الصحيح عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا أيها الناس توبوا الى الله تعالى فانى أتوب الى الله تعالى فى اليوم مائة مرة *وروى أحمد بن عبد الرحمن السلمانى قال اجتمع أربعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أحدهم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله تعالى يقبل التوبة من عبده قبل أن يموت بيوم فقال الثانى أنت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم قال وأنا سمعته يقول ان الله تعالى يقبل توبته قبل أن يموت بنصف يوم فقال الثالث أنت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم قال وأنا سمعته يقول ان الله تعالى يقبل توبة العبد قبل موته بضحوة أو قال بضجعة فقال الرابع أنت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم قال وأنا سمعته يقول ان الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر وفى الصحيحين من حديث ابن مسعود رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لله أفرح بتوبة عبده من رجل نزل بأرض دوية مهلكة معه راحلته فنام واستيقظ وقد ذهبت راحلته فطلبها حتى اذا أدركه الموت قال أرجع الى المكان الذى ضللتها فيه وأموت فأتى مكانه فغلبته عينه فاستيقظ واذا راحلته عند رأسه فيها طعامه وشرابه وزاده وما يصلحه فالله أشد فرحا بتوبة عبده المؤمن من هذا براحلته وزاده وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول والله انى لاستغفر الله وأتوب اليه فى اليوم أكثر من سبعين مرة رواه البخارى وعن أبى موسى عبد الله بن قيس الأشعرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى يبسط يده بالليل ليتوب مسىء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسىء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها رواه مسلم وعن أبى

هريرة

اشترطت شركته لكم ثم قال لي قم معهم فلما خرجنا قالا لي ادخل معنا بعض المساجد حتى نكلمك في أمر يكون لك فيه الربح المهنى فدخلنا مسجدا فقالا لي انك تحتاج في هذا الأمر الى وكلاء وأمناء وكيالين وأعوان ومؤن لم تقدر منها على شئ فهل لك أن تبيعنا شركتك بمال نعجله لك فتنتفع به ويسقط عنك التعب والكلف فقلت لهما وكم تبذلان لي فقالا مائة ألف درهم فقلت لا أفعل فما زالا يزيدانني وأنا لا أرضى الى أن قالا لي ثلثمائة ألف درهم ولا زيادة عندنا على هذا فقلت حتى أشاور أبا خالد قالا ذلك لك فرجعت اليه وأخبرته فدعا بهما وقال لهما هل وافقتماه على ما ذكر قالا نعم قال اذهبا فاقبضا المال الساعة ثم قال لي أصلح أمرك وتهيأ فقد قلدتك العمل فاصطلحت شأني وقلدني ما وعدني به فما زلت في زيادة حتى صار أمري الى ما صار ثم قال لولده الفضل يا بني فما تقول في ابن من فعل بأبيك هذا الفعل وما جزاؤه قال حق لعمري وجب عليك له فقال والله يا ولدي ما أجد له مكافأة غير أن أعزل نفسي وأوليه

فقـعل ذلك وهكذا تكون المكافأة

هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه رواه مسلم وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال كان فيمن قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفسا فسأل عن أعبد أهل الأرض فدل على راهب فأتاه فقال انه قتل تسعة وتسعين نفسا فهل له من توبة قال لا فقتله وكمل به المائة ثم سأل عن أعلم أهل الأرض فدل على رجل عالم فأتاه وقال له انه قد قتل مائة نفس فهل له من توبة قال نعم ومن يحول بينك وبين التوبة انطلق الى أرض كذا وكذا فان بها أناسا يعبدون الله تعالى فاعبد الله تعالى معهم ولا ترجع الى أرضك فانها أرض سوء فانطلق حتى كان نصف الطريق أدركه الموت فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فقالت ملائكة الرحمة جاء تائبا مقبلا بقلبه الى الله تعالى وقالت ملائكة العذاب انه لم يعمل خيرا قط فأتاهم ملك في صورة آدمي فحكموه بينهم فقال قيسوا ما بين الأرضين فالى أيتهما كان أدنى فهو أقرب لها فقاسوه فوجدوه أدنى الى الأرض التي أراد فقبضته ملائكة الرحمة متفق عليه وفي الصحيحين فكان أدنى الى أرض التوبة الصالحة بشبر فجعل من أهلها وعن أبي نجيد بضم النون وفتح الجيم عمران بن حصين الخزاعي رضي الله عنه ان امرأة من جهينة أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي حبلى من الزنا فقالت يا رسول الله أصبت حدا فأقمه علي فدعا نبي الله صلى الله عليه وسلم فشدت عليها ثيابها ثم أمر بها فرجمت ثم صلى عليها فقال عمر يا رسول الله تصلي عليها وقد زنت قال لقد تابت توبة لو قسمت بين سبعين من أهل المدينة لوسعتهم وهل وجدت أفضل ممن جادت بنفسها لله عز وجل رواه مسلم وعن أبي نضرة قال لقيت مولى لأبي بكر رضي الله عنه فقلت له سمعت من أبي بكر شيأ قال نعم سمعته يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أصر من استغفر ولو عاد الى الذنب في اليوم سبعين مرة (وحكي) أن نبهان التمار وكنيته أبو مقبل أتته امرأة حسناء تشتري تمرا فقال لها هذا التمر ليس بجيد وفي البيت أجود منه فذهب بها الى بيته وضمها الى نفسه وقبلها فقالت اتق الله فتركها وندم على ذلك فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر له ذلك فأنزل الله تعالى والذين اذا فعلوا فاحشة الى آخر الآية وعن أسماء بن الحكم الفزاري قال سمعت عليا يقول اني كنت رجلا اذا سمعت من رسول الله حديثا ينفعني الله منه بما شاء ينفعني واذا حدثني أحد من أصحابه استحلفته فاذا حلف لي صدقته وانه حدثني أبو بكر وصدق أبو بكر انه سمع رسول الله يقول ما من عبد يذنب ذنبا فيحسن الطهور ويصلي ثم يستغفر الله الا غفر له وروي في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا أذنب العبد ذنبا فقال يا رب أذنبت ذنبا فاغفره لي قال الله عز وجل علم عبدي ان له ربا يغفر الذنب ويأخذ به فغفر له ثم اذا مكث ما شاء الله وأصاب ذنبا آخر فقال يا رب أذنبت ذنبا فاغفره لي قال ربه علم عبدي ان له ربا يغفر الذنب ويأخذ به قد غفرت لعبدي فليفعل ما شاء وكان قتادة رضي الله تعالى عنه يقول القرآن يدلكم على دائكم ودوائكم أما دواؤكم فالاستغفار

﴿ومن ذلك ما حكي عن العباس صاحب شرطة المأمون﴾ قال دخلت يوما الى مجلس أمير المؤمنين ببغداد وبين يديه رجل مكبل بالحديد فلما رآني قال لي يا عباس قلت لبيك يا أمير المؤمنين قال خذ هذا اليك فاستوثق منه واحتفظ وبكر به الي في غد واحترز عليه كل الاحتراز قال العباس فدعوت جماعة فحملوه ولم يقدر أن يتحرك فقلت في نفسي مع هذه الوصية التي أوصاني بها أمير المؤمنين من الاحتفاظ به ما يجب الا أن يكون معي في بيتي فأمرتهم فتركوه في مجلس لي في داري ثم أخذت أسأله عن قضيته وعن حاله ومن أين هو فقال من دمشق فقلت جزى الله دمشق وأهلها خيرا فمن أنت من أهلها قال وعمن تسأل قلت أتعرف فلانا قال ومن أين تعرف ذلك الرجل فقلت وقع لي معه قضية

فقال ما كنت بالذي أعرفك خبره حتى تعرفني قضيتك معه فقال ويحك كنت مع بعض الولاة بدمشق فبغى أهلها وخرجوا علينا حتى أن الوالي تدلى في زنبيل من قصر الحجاج وهرب هو وأصحابه وهربت في جملة القوم فبينما أنا هارب في بعض الدروب واذا بجماعة يعدون خلفي فما زلت أعدو أمامهم حتى فتهم فمررت بهذا الرجل الذي ذكرته لك وهو جالس على باب داره فقلت أغثني أغاثك الله قال لا بأس عليك ادخل الدار فدخلت فقالت زوجته ادخل تلك المقصورة فدخلتها ووقف الرجل على باب الدار فما شعرت الا وقد دخل الرجال معه يقولون هو والله عندكم فقال دونكم الدار ففتشوها ففتشوها حتى لم يبق سوى تلك المقصورة وامرأته فيها فقالوا ها هنا فصاحت بهم المرأة ونهرتهم فانصرفوا وخرج الرجل وجلس على باب داره ساعة وأنا قائم أرجف ما تحملني رجلاي من شدة الخوف فقالت المرأة اجلس لا بأس عليك فجلست فلم ألبث حتى دخل الرجل فقال لا تخف قد صرف الله عنك شرهم وصرت الى الامن والدعة ان شاء الله تعالى فقلت له جزاك الله خيرا فما زال يعاشرني

وأما اوكم فالذنوب وكان على رضي الله تعالى عنه يقول العجب لمن هلك ومعه كلمة النجاة قيل وما هي قال الاستغفار وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال عشرا حين يصبح وحين يمسى أستغفر الله العظيم الذى لا اله الا هو الحى القيوم وأتوب اليه وأسأله التوبة والمغفرة من جميع الذنوب غفرت ذنوبه ولو كانت مثل رمل عالج ومن قال سبحانك ظلمت نفسى وعملت سوأ فاغفر لى ذنوبى فانه لا يغفر الذنوب الا أنت غفرت ذنوبه ولو كانت مثل دبيب النمل وقال أبو عبد الله الوراق لو كان عليك من الذنوب مثل عدد القطر وزبد البحر محيت عنك اذا استغفرت بهذا الاستغفار وهو هذا اللهم انى أسألك وأستغفرك من كل ذنب تبت اليك منه ثم عدت فيه وأستغفرك من كل ما وعدتك من نفسى ثم لم أوف لك وأستغفرك من كل عمل أردت به وجهك فخالطه غيرك وأستغفرك من كل نعمة أنعمت بها على فاستعنت بها على معصيتك يقول الله عز وجل ملائكته ويح ابن آدم يذنب الذنب ثم يستغفرنى فاغفر له ثم يذنب الذنب فيستغفرنى فاغفر له لا هو يترك الذنب من مخافتى ولا ييأس من مغفرتى أشهدكم يا ملائكتى انى قد غفرت له وقال بشر الحافى بلغنى ان العبد اذا عمل الخطيئة أوحى الله تعالى الى الملائكة الموكلين ترفقوا عليه سبع ساعات فان استغفرنى فلا تكتبوها وان لم يستغفرنى فاكتبوها ❊نكتة❊ قيل انقطع الغيث عن بنى اسرائيل فى زمن موسى عليه الصلاة والسلام حتى احترق النبات وهلك الحيوان فخرج موسى عليه الصلاة والسلام فى بنى اسرائيل وكانوا سبعين رجلا من نسل الانبياء مستغيثين الى الله تعالى قد بسطوا أيدى صدقهم وخضوعهم وقربوا قربان تذللهم وخشوعهم ودموعهم تجرى على خدودهم ثلاثة أيام فلم تمطر لهم فقال موسى اللهم أنت القائل ادعونى أستجب لكم وقد دعوتك وعبادك على ما ترى من الفاقة والحاجة والذل فأوحى الله تعالى اليه يا موسى ان فيهم من غذاؤه حرام وفيهم من يبسط لسانه بالغيبة والنميمة وهؤلاء استحقوا أن أنزل عليهم غضبى وأنت تطلب لهم الرحمة كيف يجتمع موضع الرحمة وموضع العذاب فقال موسى ومن هم يا رب حتى نخرجهم من بيننا فقال الله تعالى يا موسى لست بهتاك ولا غمام ولكن يا موسى توبوا كلكم بقلوب خالصة فعساهم يتوبون معكم فأجود بانعامى عليكم فنادى منادى موسى فى بنى اسرائيل أن اجتمعوا فاجتمعوا فأعلمهم موسى عليه الصلاة والسلام بما أوحى اليه والعصاة يسمعون فذرفت أعينهم ورفعوا مع بنى اسرائيل أيديهم الى الله عز وجل وقالوا الهنا جئناك من أوزارنا هاربين ورجعنا الى بابك طالبين فارحمنا يا أرحم الراحمين فما زالوا كذلك حتى سقوا بتوبتهم الى الله تعالى اللهم تب علينا وعلى سائر العصاة والمذنبين يا رب العالمين ❊ أوحى الله الى داود عليه الصلاة والسلام يا داود لو يعلم المدبرون عنى كيف انتظارى لهم ورفقى بهم وشوقى الى ترك معاصيهم لماتوا شوقا الى وتقطعت أوصالهم من محبتى يا داود هذه ارادتى فى المدبرين عنى فكيف ارادتى بالمقبلين على ولقد أحسن من قال

أسىء فيجزى بالاساءة افضالا ❊ وأعصى فيولينى جميلا وامهالا ❊ فحتى متى أجفوه وهو يبرنى

احسن معاشرة وأجلها وأفرد لى مكانا فى داره ولم يحوجنى الى شئ ولم يفتر عن تفقد أحوالى فأقمت عنده أربعة أشهر فى ارغد عيش وأهنئه الى أن سكنت الفتنة وهدأت وزال أثرها فقلت له أتأذن لى فى الخروج حتى أتفقد حال غلمانى فلعلى أقف منهم على خبر فآخذ على المواثيق بالرجوع فخرجت وطلبت غلمانى فلم أر لهم أثرا فرجعت اليه وأعلمته الخبر وهو مع هذا كله لا يعرفنى ولا يسألنى ولا يعرف اسمى ولا يخاطبنى الا بالكنية فقال لى على م تعزم فقلت قد عزمت على التوجه الى بغداد فقال ان القافلة بعد ثلاثة أيام تخرج وها أنا قد أعلمتك فقلت له انك قد تفضلت على هذه المدة ولك على عهد الله انى لا أنسى لك هذا الفضل ولا وفينك مهما استطعت قال فدعا غلاما له اسود وقال له أسرج الفرس الفلانى ثم جهز آلة السفر فقلت فى نفسى أظن انه يريد أن يخرج الى ضيعة له أو ناحية من النواحى فأقاموا يومهم ذلك فى كد وتعب فلما كان يوم خروج القافلة جاءنى فى السحر وقال لى يا فلان قم فان القافلة تخرج الساعة وأكره أن تنفرد عنها فقلت فى نفسى كيف أصنع وليس معى ما أتزود به ولا ما أكرى به مركوبا ثم قمت فاذا هو وامرأته يحملان بقجة من أفخر الملابس وخفين جديدين وآلة السفر ثم جاءنى بسيف ومنطقة فشدهما فى وسطى ثم قدم بغلا فحمل عليه صندوقين وفوقهما فرش ورفع الى نسخة ما فى الصندوقين وفيهما خمسة آلاف درهم وقدم الى الفرس الذى كان جهزه وقال اركب وهذا الغلام الاسود يخدمك ويسوس مركوبك وأقبل هو وامرأته يعتذران الى من التقصير فى أمرى وركب معى يشيعنى وانصرفت الى بغداد وانا أتوقع خبره لأفى بعهدى له فى مجازاته ومكافأته واشتغلت مع أمير المؤمنين فلم أتفرغ ان ارسل اليه من يكشف خبره فلهذا أنا أسأل عنه فلما سمع الرجل الحديث قال لقد أمكنك الله تعالى من الوفاء له ومكافأته على فعله ومجازاته على صنعه بلا كلفة عليك ولا مؤنة تلزمك فقلت وكيف ذلك قال أنا ذلك الرجل وانما الضر الذى أنا فيه غير عليك حالى وما كنت تعرفه منى ثم لم يزل يذكر لى تفاصيل الاسباب حتى أثبت معرفته فما تمالكت ان قمت وقبلت رأسه ثم قلت له فما الذى آل بك الى ما أرى فقال هاجت بدمشق فتنة مثل الفتنة التى كانت فى أيامك فنسبت الى وبعث أمير المؤمنين بجيوش فأصلحوا البلد وأخذت أنا وضربت الى أن أشرفت على الموت وقيدت وبعث بى الى أمير المؤمنين وأمرى عنده عظيم وخطبى لديه جسيم وهو قاتلى لا محالة وقد أخرجت من عند أهلى بلا وصية وقد تبعنى من غلمانى من ينصرف الى أهلى بخبرى وهو نازل عند فلان فان رأيت أن تجعل من مكافأتك لى ان ترسل من يحضره لى حتى أوصيه بما أريد فاذا أنت فعلت ذلك فقد جاوزت حد المكافأة ووفيت لى بوفاء عهدك قال العباس قلت يصنع الله خيرا ثم أحضرت حدادا فى الليل ففك قيوده وأزال ما كان فيه من الانكال وأدخله حمام داره وألبسه من الثياب ما احتاج اليه ثم أرسل

وأبعدعنه وهو يبدل ايصالا * وكم مرة قدزغت عن نهج طاعة * ولا حال عن ستر القبيح ولازالا

وهذا آخر مايسره الله تعالى فى هذا الباب والله أعلم بالصواب

﴿الباب الثمانون فيما جاء فى ذكر الأمراض والعلل والطب والدواء وماجاء فى السنة من العيادة وما أشبه ذلك وفيه فصول﴾

﴿الفصل الاول فى الامراض والعلل وماجاء فى ذلك من الاجر والثواب﴾ روى عن عبد الله بن أنيس رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال أيكم يحب أن يصح جسمه فلا يسقم فقالوا كلنا يارسول الله قال أتحبون أن تكونوا كالحمير الصوالة ألا تحبون أن تكونوا أصحاب بلايا وأصحاب كفارات والذى بعثنى بالحق نبيا ان الرجل لتكون له الدرجة فى الجنة فلا يبلغها بشئ من عمله فيبتليه الله تعالى ليبلغ درجة لا يبلغها بعمله وقال صلى الله عليه وسلم مامن مسلم يمرض مرضا الاحط الله من خطاياه كما تحط الشجرة ورقها وكان يقول لاتزال الاوصاب والمصائب بالعبد حتى تتركه كالفضة البيضاء النقية المصفاة وقيل ان الناس قدحموا فى فتح خيبر فشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أيها الناس ان الحمى رائد الموت وسجن الله فى الارض وقطعة من النار فاذا وجدتم ذلك فبردوا الماء الماء فى الشنان ثم صبوا عليكم بين المغرب والعشاء ففعلوا ذلك فزالت عنهم وعن أنس رضى الله تعالى عنه قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على شاب وهو فى الموت فقال له كيف تجدك فقال أرجوالله وأخاف ذنوبى فقال عليه الصلاة والسلام هما لايجتمعان فى قلب عبد فى هذا الموطن الا أعطاه الله مايرجو وآمنه مما يخاف وعن عفيرة بنت الوليد البصرية العابدة الزاهدة رحمها الله تعالى أنها سمعت رجلا يقول ما أشد العمى على من كان بصيرا فقالت له ياعبد الله عمى القلب عن الله أشد من عمى العين عن الدنيا والله لوددت ان الله وهب لى كنه معرفته ولم يبق منى جارحة الا أخذها * وكتب مبارك لاخيه سفيان الثورى يشكو اليه ذهاب بصره فكتب اليه أما بعد فقد فهمت كتابك فيه شكاية ربك فاذكر الموت يهن عليك ذهاب بصرك والسلام * وقيل لعطاء فى مرضه ماتشتهى قال ماترك خوف جهنم فى قلبى موضعا للشهوة وأصاب ابن أدهم بطن فتوضأ فى ليلة سبعين مرة وقيل لاعرابى فى مرضه ماتشتهى قال الجنة فقيل أفلا ندعو لك طبيبا قال طبيبى هو الذى أمرضنى

﴿الفصل الثانى من هذا الباب فى ذكر العلل كالبخر والعرج والعمى والصمم والرمد والفالج وغير ذلك نسأل الله العفو والعافية والمعافاة الدائمة فى الدنيا والآخرة﴾

قيل تسار رأبخر وأصم فقال له الاصم قدفهمت ثم فارقه فسأله رجل فقال والله لا أدرى أنه فسا فى أذنى وقيل ان عبد الملك بن مروان كان أبخر فعض يوما على تفاحة ورمى بها الى زوجته فدعت بسكين فقال ماتصنعين بها قالت أميط الاذى عنها فشق عليه ذلك منها فطلقها وسار رأبو الاسود الدؤلى سليمان بن عبد الملك وكان

من أحضر اليه غلامه فلما رآه جعل يبكى ويوصيه فاستدعى نائبه وقال على بالفرس الفلانى والبغلة الفلانية حتى عد عشرة ثم عشرة ومن الصناديق ومن الكسوة كذا وكذا ومن الطعام كذا وكذا قال ذلك الرجل وأحضر لى بدرة عشرة آلاف درهم وكيسا فيه خمسة آلاف دينار وقال لنائبه فى الشرط خذ هذا الرجل وشيعه الى حد الانبار فقلت له ان ذنبى عند أمير المؤمنين عظيم وخطبى جسيم وان أنت احتججت بأنى هربت بعث أمير المؤمنين فى طلبى كل من على بابه فأرادوا قتلى فقال لى انج بنفسك ودعنى أدبر أمرى فقلت والله لا أبرح من بغداد حتى أعلم مايكون من خبرك فان احتجت الى حضورى حضرت فقال لصاحب الشرطة ان كان الأمر على مايقول فليكن فى موضع كذا فان أنا سلمت فى غداة غد أعلمته وان أنا قتلت فقد وقيته بنفسى كما وقانى بنفسه وأنشدك الله أن لا يذهب من ماله درهم وتجتهد فى اخراجه من بغداد قال الرجل فأخذنى صاحب الشرطة وصيرنى فى مكان أثق به وتفرغ العباس لنفسه وتحنط وجهزله كفنا قال العباس فلم أفرغ من صلاة الصبح الا ورسل المأمون فى طلبى يقولون يقول لك أمير المؤمنين هات الرجل معك وقم قال فتوجهت الى دار أمير المؤمنين فاذا هو جالس عليه ثيابه وهو ينتظرنا فقال أين الرجل فسكت فقال ويحك أين الرجل فقلت ياأمير المؤمنين اسمع منى فقال لله على عهد ان ذكرت أنه هرب لاضربن عنقك فقلت لا والله ياأمير المؤمنين ماهرب ولكن اسمع حديثى وحديثه ثم شأنك وماتريد أن تفعله فى أمرى فقال قل فقلت ياأمير المؤمنين كان من حديثى معه كيت وكيت وقصصت عليه القصة جميعها وعرفته أننى أريد ان أوفى له وأكافئه على مافعله معى وقلت أنا وسيدى ومولاى أمير المؤمنين بين أمرين اما أن يصفح عنى فأكون قد وافيت وكافأت واما أن يقتلنى فأقيه بنفسى وقد تحنطت وها كفنى ياأمير المؤمنين فلما سمع المأمون الحديث قال ويلك لاجزاك الله عن نفسك خيرا انه فعل بك مافعل من غير معرفة وتكافئه بعد المعرفة والعهد بهذا الاغير هلا عرفتنى خبره فكنا نكافئه عنك ولا نقصر فى وفائك له فقلت ياأمير المؤمنين انه ههنا قد حلف أن لايبرح حتى يعرف سلامتى فان احتجت الى حضوره حضر فقال المأمون وهذه منة أعظم من الاولى اذهب الآن اليه فطيب نفسه وسكن روعه وائتنى به حتى أتولى مكافأته قال العباس فأتيت اليه وقلت له ليزول خوفك ان أمير المؤمنين قال كيت وكيت فقال الحمد لله الذى لايحمد على السراء والضراء سواه ثم قام فصلى ركعتين ثم ركب وجئنا فلما مثل بين يدى أمير المؤمنين اقبل عليه وأدناه منه وحدثه حتى حضر الغداء وأكل معه وخلع عليه وعرض عليه أعمال دمشق فاستعفى فأمر له المأمون بعشرة أفراس بسروجها ولجمها وعشرة بغال باحمالها وعشر بدر وعشرة آلاف دينار وعشرة مماليك بدوابهم وكتب الى عامله بدمشق بالوصية به واطلاق خراجه وأمره بمكاتبته بأحوال دمشق فصارت كتبه تصل

الى المأمون وكلما وصلت خريطة البريد وفيها كتابه يقول لي ياعباس هذا كتاب صديقك والله تعالى أعلم (ومن عجائب هذه الاسلوب وغرائبه) ما أورده محمد بن القاسم الانبارى رحمه الله تعالى أن سوارا صاحب رحبة سوار وهو من المشهورين قال انصرفت يوما من دار الخليفة المهدى فلما دخلت منزلى دعوت بالطعام فلم تقبله نفسي فأمرت به فرفع ثم دعوت جارية كنت أحبها وأحب حديثها وأشتغل بها فلم تطب نفسي فدخل وقت القائلة فلم يأخذني النوم فنهضت وأمرت ببغلة لى فأسرجت فركبتها فلما خرجت من المنزل استقبلني وكيل لى ومعه مال فقلت ماهذا فقال ألفا درهم جبيتها من مستغلات الجديد قلت أمسكها معك واتبعني وأطلقت رأس البغلة حتى عبرت الجسر ثم مضيت في شارع دار الرقيق حتى انتهيت الى الصحراء ثم رجعت الى باب الانبار وانتهيت الى باب دار نظيف عليه شجرة وعلى الباب خادم فعطشت فقلت للخادم أعندك ماء تسقينيه قال نعم ثم دخل وأحضر قلة نظيفة طيبة الرائحة عليها منديل فناولني فشربت وحضر وقت العصر فدخلت مسجدا على الباب فصليت فيه فلما قضيت صلاتى اذا أنا بأعمى يلتمس فقلت ماتريد ياهذا قال اياك أريد قلت فما حاجتك فجاء حتى جلس الى جانبي وقال شممت منك رائحة طيبة فظننت انك من أهل النعيم فاردت أن أحدثك بشئ فقلت قل قال ألا ترى الى باب هذا القصر قلت نعم قال هذا قصر كان لأبى فباعه وخرج الى خراسان وخرجت معه فزالت عنا النعم التى كنا فيها وعميت فقدمت هذه المدينة فأتيت صاحب هذه الدار لاسأله شيأ يصلني به وأتوصل الى سوار فانه كان صديقا لأبى فقلت ومن أبوك قال فلان ابن فلان فعرفته فاذا هو كان من أصدق الناس الى فقلت له ياهذا ان الله تعالى قد أتاك بسوار منعه من الطعام والنوم والقرار حتى جاء به فأقعده بين يديك ثم دعوت الوكيل فأخذت الدراهم منه فدفعتها اليه وقلت له اذا كان الغد فسر الى منزلى ثم مضيت وقلت ما أحدث أمير المؤمنين بشئ أظرف من هذه فأتيته فاستأذنت عليه فأذن لى فلما دخلت عليه حدثته بما جرى لى فأعجبه ذلك وأمر لى بألفى دينار فأحضرت فقال ادفعها الى الأعمى فنهضت لاقوم فقال اجلس فجلست فقال أعليك دين قلت نعم قال كم دينك قلت خمسون ألفا فحادثني ساعة وقال امض الى منزلك فمضيت الى منزلى فاذا أنا بخادم معه خمسون ألفا وقال يقول لك أمير المؤمنين اقض بها دينك قال فقبضت منه ذلك فلما كان من الغد أبطأ على الأعمى وأتانى رسول المهدى يدعونى فجئته فقال قد فكرت البارحة فى أمرك فقلت يقضى دينه ثم يحتاج الى القرض أيضا وقد أمرت لك بخمسين ألفا أخرى قال فقبضتها وانصرفت فجاءنى الأعمى فدفعت اليه الالفى دينار وقلت له قد رزقك الله تعالى بكرمه وكافأك على احسان أبيك وكافأنى على اسداء المعروف اليك ثم أعطيته شيأ آخر من مالى فأخذه وانصرف والله سبحانه وتعالى أعلم ﴿ومن ذلك ماحكاه

(وقال)

أبو الاسود أبخر فستر سليمان أنفه بكمه فعبر أبو الاسود وهو يقول لا يصلح للخلافة من لا يقدر على مناجاة الشيوخ البخر وقيل طول انطباق الفم يورث البخر وكل رطب الفم سائل اللعاب سالم منه وقيل ان الزنج أطيب الناس أفواها والسباع موصوفة بالبخر والمثل مضروب بالاسد والصقر في البخر والكلب من بينها ماطيب الفم وليس فى البهائم أطيب أفواها من الظباء ﴿وحكى﴾ أن أبخر تزوج بامرأة فلما ضاجعها عافته وتولت عنه بوجهها ثم أنشدت تقول

ياحب والرحمن انفاكا * أهلكني فوالني فاكا * اذا غدوت فاتخذ مسواكا
من عرفطان لم تجد أراكا * لا تقربني بالذى سواكا * انى أراك ماضغا خراكا

وفى ديوان المنثور كم من ذى عرج فى درج المعالى عرج وكم من صحيح قدم ليس له فى الخير قدم وقيل ان من الصمم من يسمع السر فاذا رفعت اليه الصوت لم يسمعه ورأيت من العمش من لا ينظر صورة الانسان من قريب ولكن يقرأ الخط الرقيق الحواشى وقيل ان طريفا الشاعر مدح عمرو بن هداب وكان أبرص فلما انتهى الى قوله *أبرص فياض اليدين مهذب* صاح به الناس وقالوا اقطع الله لسانك فقال عمرو مه ان البرص مما تتفاخر به العرب أما سمعتم قول سهل حيث قال

أيشتمنى زيد بأن كنت أبرصا * وكل كريم لا أبالك أبرص

(وقال)

كفى حزنا انى أعاشر معشرا * يخوضون فى بعض الحديث وأمسك
وماذاك من عى ولا من جهالة * ولكنه مافى للصوت مسلك
فان سد منى السمع والله قادر * على فتحه والله للعبد أملك

﴿ومما جاء فى العمى﴾ ماروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من عدم احدى كريمتيه ضمنت له على الله الجنة وكان أبو عبد الرحمن بن الحرث بن هشام يطعم الطعام وكان أعور فجعل اعرابى يطيل النظر اليه حابسا نفسه عن طعامه فكلمه المغيرة فى ذلك فقال له والله انى ليعجبني طعامك وتريبني عينك قال فما يريبك من عينى قال أعور وأراك تطعم الطعام وهذه صفة الدجال فقيل له ان عينه أصيبت فى فتح الروم فقال ان الدجال لا تصاب عينه فى سبيل الله وعن انس رضى الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من قاد أعمى أربعين خطوة لم تمسه النار وقال على كرم الله وجهه ربما أخطأ البصير قصده وأصاب الاعمى رشده وقال أبو على البصير

لئن كان يهدينى الغلام لوجهتى * ويقتادنى فى السير اذ أنا راكب
لقد يستضئ القوم بى فى وجوههم * ويخبو ضياء العين والقلب ثاقب

(وقال)

اذا عدمت طلابة العلم مالها * من العلم الا ما تسطر فى الكتب
غدوت بتشمير وجد عليهم * ومحبرتى سمعى ودفترى قلبى

القاضي يحيى بن أكثم رحمة الله تعالى عليه) قال دخلت يوما على الخليفة هرون الرشيد ولد المهدي وهو مطرق مفكر فقال لي أتعرف قائل هذا البيت الخير أبقى وان طال الزمان به * والشر أخبث ما أوعيت من زاد فقلت يا أمير المؤمنين ان لهذا البيت شأنا مع عبيد بن الأبرص فقال علي بعبيد فلما حضر بين يديه قال له أخبرني عن قضية هذا البيت فقال يا أمير المؤمنين كنت في بعض السنين حاجا فلما توسطت البادية في يوم شديد الحر سمعت ضجة عظيمة في القافلة ألحقت أولها بآخرها فسألت عن القصة فقال لي رجل من القوم تقدم ترما بالناس فتقدمت الى أول القافلة فاذا أنا بشجاع أسود فاغر فاه كالجذع وهو يخور كما يخور الثور ويرغو كرغاء البعير فهالني أمره وبقيت لا أهتدي الى ما أصنع في أمره فعدلنا عن طريقه الى ناحية أخرى فعارضنا ثانيا فعلمت انه لسبب ولم يجسر أحد من القوم أن يقربه فقلت أفدي هذا العالم بنفسي وأتقرب الى الله تعالى بخلاص هذه القافلة من هذا فأخذت قربة من الماء

تقلدتها وسللت سيفي وتقدمت فلما رآني قربت منه سكن وبقيت متوقعا منه وثبة يبتلعني فيها فلما رأى القربة فتح فاه فجعلت فم القربة في فيه وصببت الماء كما يصب في الاناء فلما فرغت القربة تسيب في الرمل ومضى فتعجبت من تعرضه لنا وانصرافه عنا من غير سوء لحقنا منه ومضينا لحجنا ثم عدنا في طريقنا ذلك وحططنا في منزلتنا تلك في ليلة مظلمة مدلهمة فأخذت شيأ من الماء وعدلت الى ناحية عن الطريق فقضيت حاجتي ثم توضأت وصليت وجلست أذكر الله تعالى فأخذتني عيني فنمت مكاني فلما استيقظت من النوم لم أجد للقافلة حسا وقد ارتحلوا وبقيت منفردا لم أر أحدا ولم اهتد الى ما أفعله وأخذتني حيرة وجعلت أضطرب فاذا بصوت هاتف أسمع صوته ولا أرى شخصه يقول

يا أيها الشخص المضل مركبه * ما عنده من ذي رشاد يصحبه
دونك هذا البكر منا تركبه * وبكرك الميمون حقا تجنبه
حتى اذا ما الليل غاب غيهبه * عند الصباح في الفلا تسيبه

فنظرت فاذا أنا ببكر قائم عندي وبكري الى جانبي فأنخته وركبته وجنبت بكري فلما سرت قدر عشرة أميال لاحت لي القافلة وانفجر الفجر ووقف البكر فعلمت انه قد حان نزولي فتحولت الى بكري وقلت

يا أيها البكر قد أنجيت من كرب * ومن هموم تضل المدلج الهادي
ألا تخبرني بالله خالقنا * من الذي جاء بالمعروف في الوادي
وارجع حميدا فقد أبلغتنا مننا * بوركت من ذي سنام رائح غادي

فالتفت البكر الي وهو يقول

أنا الشجاع الذي ألفيتني رمضا * والله يكشف ضر الحائر الصادي
فجدت بالماء لما ضن حامله * تكرما منك لم تمنن بانكاد
فالخير أبقى وان طال الزمان به * والشر أخبث ما أوعيت من زاد
هذا جزاؤك مني لا أمن به * فاذهب حميدا رعاك الخالق الهادي

فعجب الرشيد من قوله وأمر بالقصة والابيات فكتبت عنه وقال لا يضيع المعروف أين وضع (موعظة)

(وقال)
ان يأخذ الله من عيني نورهما * ففي لساني وسمعي منهما نور
قلبي ذكي وقلبي غير ذي غفل * وفي فمي صارم كالسيف مشهور

(وقال)
عزاءك أيها العين السكوب * وحقك انها نوب تنوب
وكنت كريمتي وسراج وجهي * وكانت لي بك الدنيا تطيب
على الدنيا السلام فما لشيخ * ضرير العين في الدنيا نصيب
يموت المرء وهو يعد حيا * ويخلف ظنه الامل الكذوب
اذا ما مات بعضك فابك بعضا * فان البعض من بعض قريب

(وحكى) أن ربيعة رمدت عينه فارسل الى امرأة كان يحبها ثم أنشد يقول

عيناي بيعة رمدا وان فاحتسبي * بنظرة منك تشفيه من الرمد
ان تكتحل بك عيناه فلا رمد * على ربيعة يخشى آخر الأمد

وعن عبد الرحمن بن قيس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال داء الانبياء الفالج واللقوة قال الجاحظ ومن المفاليج سيدنا ادريس عليه الصلاة والسلام وأكثر ما يعتري المتوسطين من الناس لان الشاب كثير الحرارة والشيخ كثير اليبس وقيل ان أبان بن عثمان كان أفلج حتى صار مثلا فكانت الناس تقول لا رماك الله بفالج ابن عثمان وكان معاوية الوقص وعبد الملك بن مروان أبخر وحسان أعمى وابن سيرين أصم وممن فلج ابن أبي داود قاضي قضاة المعتصم كان من الشرف والكرم بمنزلة عظيمة قد ضرب المثل بفالجه قال الشاعر في رجل ضرب غلامه

أتضرب مثله بالسوط عشرا * ضربت بفالج ابن أبي داود

وشجة عبد الحميد كانت مثلا في الحسن وهو عبد الحميد بن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنهم وكان بارعا في الحسن والجمال فزادته حسنا الى حسنه حتى ان النساء كن يخططن في وجوههن شجة عبد الحميد وكان يقال لعمر بن عبد العزيز أشج بني أمية وكان عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه يقول ان من ولدي رجلا بوجهه أثر في جبهته قال أصبغ الله اكبر هذا أشج بني أمية يملأ الارض عدلا وقال أعور لابي الاسود ما الشيء ونصف الشيء ولا شيء فقال أما الشيء فالبصير كان وأما لا شيء فالاعمى وأما نصف الشيء فانت يا أعور اللهم اكفنا شر العاهات برحمتك ومنك وكرمك آمين

(الفصل الثالث من هذا الباب في التداوي من الامراض والطب) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تداووا فان الذي أنزل الداء أنزل الدواء وقال صلى الله عليه وسلم ما أنزل الله داء الا وله دواء عرفه من عرفه وجهله من جهله وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الدواء والرقى هل يردان شيأ من قضاء الله تعالى قال هما من قدر الله تعالى وقال عبد الله بن عكرمة عجبت لمن يحتمي من الطعام خوف الداء ولا يحتمي من الذنوب

حكي أنه كان بمدينة بغداد رجل يعرف بأبي عبد الله الأندلسي وكان شيخا لكل من بالعراق وكان يحفظ ثلاثين ألف حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يقرأ القرآن بجميع الروايات فخرج في بعض السنين الى السياحة ومعه جماعة من أصحابه مثل الجنيد والشبلي وغيرهما من مشايخ العراق قال الشبلي فلم نزل في خدمته ونحن مكرمون بعناية الله تعالى الى أن وصلنا قرية من قرى الكفار فطلبنا ماء نتوضأ به فلم نجد فجعلنا ندور بتلك القرية واذا نحن بكنائس وبها شمامسة وقساقسة ورهبان وهم يعبدون الاصنام والصلبان فتعجبنا منهم ومن قلة عقلهم ثم انصرفنا الى بئر في آخر القرية واذا نحن بجوار يستقين الماء على البئر وبينهن جارية حسنة الوجه ما فيهن أحسن ولا أجمل منها وفي عنقها قلائد الذهب فلما رآها الشيخ تغير وجهه وقال هذه ابنة من فقيل له هذه ابنة ملك هذه القرية فقال الشيخ فلم لا يدللها أبوها ويكرمها ولا يدعها تستقي الماء فقيل له أبوها يفعل ذلك بها حتى اذا تزوجها رجل أكرمته وخدمته ولا تعجبها نفسها فجلس الشيخ ونكس رأسه ثم أقام ثلاثة أيام لا يأكل ولا يشرب ولا يكلم أحدا غير أنه يؤدي الفريضة والمشايخ واقفون بين يديه ولا يدرون ما يصنعون قال الشبلي فتقدمت اليه وقلت له يا سيدي ان أصحابك ومريديك يتعجبون من سكوتك ثلاثة أيام وأنت ساكت لم تكلم أحدا قال فأقبل علينا وقال يا قوم اعلموا ان الجارية التي رأيتها بالأمس قد شغفت بها حبا واشتغل قلبي بها وما بقيت أقدر أفارق هذه الارض قال الشبلي فقلت له يا سيدي أنت شيخ أهل العراق ومعروف بالزهد في سائر الآفاق وعدد مريديك اثنا عشر ألفا فلا تفضحنا واياهم بحرمة الكتاب العزيز فقال يا قوم جرى القلم بما حكم ووقعت في بحار العدم وقد انحلت مني عرى الولاية وطويت أعلام الهداية ثم انه بكى بكاء شديدا وقال يا قوم انصرفوا فقد نفذ القضاء والقدر فتعجبنا من أمره وسألنا الله تعالى أن يجيرنا من مكره ثم بكينا وبكى حتى أروى التراب ثم انصرفنا عنه راجعين الى بغداد فخرج الناس الى لقائه ومريدوه في جملة الناس فلم يروه فسألونا عنه فعرفناهم بما جرى فمات من مريديه جماعة كثيرة حزنا عليه وجعل الناس يبكون ويتضرعون الى الله تعالى أن يرده عليهم وأغلقت الرباطات والزوايا والخوانق ولحق الناس حزن عظيم فأقمنا سنة كاملة وخرجت مع بعض أصحابي نكشف خبره فأتينا القرية فسألنا عن الشيخ فقيل لنا انه في البرية يرعى الخنازير قلنا وما السبب في ذلك قالوا انه خطب الجارية من أبيها فأبى أن يزوجها الا من هو على دينها ويلبس العمامة ويشد الزنار ويخدم الكنائس ويرعى الخنازير ففعل ذلك كله وها هو في البرية يرعى الخنازير قال الشبلي فانصدعت قلوبنا وانهملت بالبكاء عيوننا وسرنا اليه واذا به قائم قدام الخنازير فلما رآنا نكس رأسه واذا عليه قلنسوة النصارى وفي وسطه زنار وهو متوكئ على العصا التي كان يتوكأ

خوف النار وقال ان الربيع بن خيثم لما مرض قالوا له ألا ندعو لك طبيبا فقال لهم ان مرضي من الطبيب وانه متى أراد عافاني ولا حاجة لي بطبيبكم وأنشد

فاصبحت لا أدعو طبيبا لطبه * ولكنني أدعوك يا منزل القطر

وعاد الفرزدق مريضا فقال

يا طالب الطب من داء تخوفه * ان الطبيب الذي أبلاك بالداء
فهو الطبيب الذي يرجى لعافية * لا من يذيب لك الترياق بالماء

قال ولما مرض بشر الحافي رحمه الله تعالى قالوا ندعو لك طبيبا فقال اني بعين الطبيب يفعل بي ما يريد فالح عليه أهله وقالوا لابد أن ندفع ماءك الى الطبيب فقال لاخته ادفعي اليهم الماء في قارورة وكان بالقرب منهم رجل ذمي وكان حاذقا في الطب فاتوه بمائه في القارورة فلما رآه قال حركوه فحركوه ثم قال ضعوه ثم قال ارفعوه فقالوا له ما بهذا وصفت انما قال وبم وصفت لكم قالوا بالحذق والمعرفة قال هو كما تقولون غير ان هذا الماء ان كان ماء نصراني فهو راهب قد فتتت كبده العبادة وان كان مسلما فهو ماء بشر الحافي فانه أوحد أهل زمانه في السلوك مع الله تعالى قالوا هو ماء بشر الحافي فاسلم النصراني وقطع زناره فلما رجعوا الى بشر قال لهم أسلم الطبيب فقالوا ومن أعلمك قال لما خرجتم من عندي هتف بي هاتف وقال يا بشر ببركة مائك أسلم الطبيب وصار من أهل الجنة * وفلج الربيع بن خيثم فقيل له هلا تداويت فقال قد عرفت أن الدواء حق ولكن عاد وثمود وقرون بين ذلك كثير كانت فيهم الاوجاع كثيرة والاطباء أكثر فلم يبق المداوي ولا المداوى وقد أبادهم الموت ثم قال هذا المفرد

هلك المداوي والمداوى والذي * جلب الدواء وباعه والمشتري

وقيل لجالينوس حين نهكته العلة أما تتعالج فقال اذا كان الداء من السماء بطل الدواء من الارض واذا نزل قضاء الرب بطل حذر المربوب ومر قوم بماء من مياه العرب فوصف لهم ثلاث بنات متطببات وهن من أجمل الناس فاحبوا أن يروهن فكواساق أحدهم حتى أدموها ثم قصدوهن فقالوا هذا جريح مريض فهل من طبيب فخرجت صغراهن وهي كأنها الشمس الطالعة فلما رأت جرحه قالت ليس هو بمريض بل خدشه عود بالت عليه حية فاذا طلعت الشمس مات فكان الامر كما قالت وقيل دواء كل مريض بعقاقير أرضه فان الطبيعة تتطلع لهوائها وقالوا من قدم الى أرض غير أرضه وأخذ من ترابها وجعله في مائها وشربه لم يعرض فيها وعوفي من وبائها واحتمى أحمد بن المعدل لعلة أصابته فبرئ فقال الحمية طالع الصحة لاهل الدنيا تبرئهم من المرض ولاهل الآخرة تبرئهم من النار وقيل ان الابدان المعتادة بالحمية آفتها التخليط والمعتادة بالتخليط آفتها الحمية لان الحكماء تقول عودوا كل جسد بما اعتاد وكان كسرى أنوشروان يمسك عما يميل اليه شهوته

ولا

فلما اذا قام فى الخطبة فسلمنا عليه فرد علينا السلام فقلنا ياشيخ ماذاك وماذا وما هذه الكروب والهموم بعد تلك الأحاديث والعلوم فقال ياخوانى ليس لى من الأمر شئ سيدى تصرف فى كيف شاء وحيث أراد أبعدنى عن بابه بعدان كنت من جملة أحبابه فالحذر الحذر يا أهل وداده من صده وابعاده والحذر الحذر يا أهل المودة والصفاء من القطيعة والجفاء ثم رفع طرفه الى السماء وقال يامولاى ما كان ظنى فيك هذا ثم جعل يستغيث و يبكى ونادى ياشبلى اتعظ بغيرك فنادى الشبلى بأعلى صوته بك المستعان وأنت المستغاث وعليك التكلان اكشف عنا هذه الغمة بحلمك فقد دهمنا أمر لا كاشف له غيرك قال فلما سمعت الخنازير بكاءهم وضجيجهم أقبلت اليهم وجعلت تمرغ وجوهها بين أيديهم وزعقت زعقة واحدة دوت منها الجبال قال الشبلى فظننت ان القيامة قد قامت ثم ان الشيخ بكى بكاء شديدا قال الشبلى فقلنا له هل لك أن ترجع معنا الى بغداد فقال كيف لى بذلك وقد استرعيت الخنازير بعدان كنت أرعى القلوب فقلت ياشيخ كنت تحفظ القرآن وتقرؤه بالسبع فهل بقيت تحفظ منه شيأ فقال نسيته كله الا آيتين فقلت وما هما قال قوله تعالى ومن يهن الله فماله من مكرم ان الله يفعل مايشاء والثانية قوله تعالى ومن يتبدل الكفر بالايمان فقد ضل سواء السبيل فقلت ياشيخ كنت تحفظ ثلاثين ألف حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فهل تحفظ منها شيأ قال حديثا واحدا وهو قوله صلى الله عليه وسلم من بدل دينه فاقتلوه قال الشبلى فتركناه وانصرفنا ونحن متعجبون من أمره فسرنا ثلاثة أيام واذا به أمامنا قد تطهر من نهر وطلع وهو يشهد شهادة الحق و يجدد اسلامه فلما رأيناه لم نملك أنفسنا من الفرح والسرور فنظر الينا وقال ياقوم اعطونى ثوبا طاهرا فأعطيناه ثوبا فلبسه ثم صلى وجلس فقلنا له الحمد لله الذى ردك علينا وجمع شملنا بك فصف لنا ماجرى لك وكيف كان أمرك فقال ياقوم لما وليتم من عندى سألته بالوداد القديم وقلت له يامولاى أنا المذنب الجانى فعفا عنى بجوده و بستره غطانى فقلت له بالله نسألك هل كان لمحنتك من سبب قال نعم لما وردنا القرية وجعلتم تدورون حول الكنائس قلت فى نفسى ماقدر هؤلاء عندى وأنا مؤمن موحد فنوديت فى سرى ليس هذا منك ولو شئت عرفناك ثم أحسست بطائر قد خرج من قلبى فكان ذلك الطائر هو الايمان قال الشبلى ففرحنا به فرحا شديدا وكان يوم دخولنا يوما عظيما مشهودا وفتحت الزوايا والرباطات والخوانق ونزل الخليفة للقاء الشيخ وأرسل اليه الهدايا وصار يجتمع عنده لسماع علمه أربعون ألفا وأقام على ذلك زمانا طويلا ورد الله عليه ما كان نسيه من القرآن والحديث وزاده على ذلك فبينما نحن جلوس عنده فى بعض الأيام بعد صلاة الصبح اذا بطارق يطرق باب الزاوية فنظرت من الباب فاذا شخص ملتف بكساء أسود فقلت له ما الذى تريد فقال قل لشيخكم ان الجارية الرومية التى تركتها بالقرية الفلانية قد جاءت لخدمتك قال فدخلت فعرفت الشيخ

ولا يتهمك عليه و يقول تركنا ما نحبه لنستغنى عن العلاج بما نكرهه وقال لقمان لاتطيلوا الجلوس على الخلاء فانه يورث الباسور وكانت هذه الحكمة مكتوبة على أبواب الحشوش أى الكنف وقيل كفى بالمرء عارا أن يكون صريع مأ كله وقتيل أنامله

فكم أكلة أكلت نفس حر * وكم أكلة جلبت كل ضر

وقيل من غرس الطعام أثمر الاسقام وعن بعض أهل البيت النبوى عليهم السلام انه كان اذا أصابته علة جمع بين ماء زمزم والعسل واستوهب من مهر أهله شيأ وكان يقول قال الله تعالى وأنزلنا من السماء ماء مباركا وقال تعالى فيه شفاء للناس وقال عليه الصلاة والسلام ماء زمزم لما شرب له وقال تعالى فان طبن لكم عن شئ منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا فن جمع بين ما بورك فيه و بين مافيه شفاء و بين الهنئ المرئ يوشك أن يلقى العافية وقيل خمسة من المهلكات دخول الحمام على الشبع والمجامعة على الشبع وأكل القديد وشرب الماء البارد على الريق ومجامعة المرأة العجوز وقال لاتنكح العجوز ولا تخرج الدم وأنت مستغن عن اخراجه وقال الامام على رضى الله عنه

توق مدى الايام ادخال مطعم * على مطعم من قبل هضم المطاعم
وكل طعام يعجز السن مضغه * فلا تقربنه فهو شر المطاعم
ووفر على الجسم الدماء فانها * لقوة جسم المرء خير الدعائم
واياك أن تنكح طاعن سنهم * فان لمسهما كسم الاراقم
وفى كل أسبوع عليك بقيئة * تكن آمنا من شر كل البلاغم

ومما يورث الهزال النوم على غير وطاء وكثرة الكلام برفع الصوت وقال النظام رحمه الله تعالى ثلاثة تخرب العقل طول النظر فى المرآة وكثرة الضحك والنظر الى النجوم وفى الحديث احتجم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أم غيث وهى وسط الرأس وكان صلى الله عليه وسلم يحتجم فى الاخدعين ونهى عن الحجامة فى نقرة القفا فانها تورث النسيان وأمر بالاستنجاء بالماء البارد فانه أمان من الباسور وخطب المأمون بمسجد مرو ان فوجد غالب اهل المسجد يشكون السعال فقال فى آخر خطبته من كان يشكو سعالا فليتمدا و بالخل ففعلوا فعافاهم الله وقال بعض الحكماء اياك أن تطيل النظر فى عين أرمد واياك أن تسجد على حصير جديدة قبل أن تمسها بيدك فرب شظية حقيرة قلعت عينا خطيرة وقيل كانت الادوية تنبت فى محراب سليمان عليه الصلاة والسلام و يقول كل دواء يانبى الله أنا دواء لكذا وكذا وقال جالينوس البطنة تقتل الرجال وتورث الفالج والاسهال الذريع والاقعاد وصنفا من الجذام يقال له الفهد لايسمع صاحبه ولا يبصر نسأل الله العفو والعافية وقيل البطنة تورث الصداع والحكة فى العينين والضربان فى الاذنين والقولنج فى البطن فعليك أيها

فاصفر لونه وارتعد ثم أمر بدخولها فلما دخلت عليه بكت بكاء شديدا فقال لها الشيخ كيف مجيئك ومن أوصلك الى ههنا قالت ياسيدى لما وليت من قربى تناجانى من أخبرنى بك فبت ولم يأخذنى قرار فرأيت فى منامى شخصا وهو يقول ان أحببت أن تكونى من المؤمنات فاتركى ماأنت عليه من عبادة الأصنام واتبعى ذلك الشيخ وادخلى فى دينه فقلت وما دينه قال دين الاسلام قلت وما هو قال شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فقلت كيف لى بالوصول اليه قال اغمضى عينيك واعطينى يدك ففعلت فمشى قليلا ثم قال افتحى عينيك ففتحتهما فاذا أنا بشاطئ دجلة فقال امضى الى تلك الزاوية واقرئى الشيخ منى السلام وقولى له ان أخاك الخضر يسلم عليك قال فادخلها الشيخ الى جواره وقال تعبدى ههنا فكانت أعبد أهل زمانها تصوم النهار وتقوم الليل حتى نحل جسمها وتغير لونها فمرضت مرض الموت وأشرفت على الوفاة ومع ذلك لم يرها الشيخ فقالت قولوا للشيخ يدخل على قبل الموت فلما بلغ الشيخ ذلك دخل عليها فلما رأته بكت فقال لها لا تبكى فان اجتماعنا غدا فى القيامة فى دار الكرامة ثم انتقلت الى رحمة الله تعالى فلم يلبث الشيخ بعدها الا أياما قلائل حتى مات رحمة الله تعالى عليه قال الشبلى فرأيته فى المنام وقد تزوج بسبعين حوراء وأول ماتزوج بالجارية وهما مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما اه (فليتأمل) العاقل فى ذلك ولا يرى له فضلا على أحد من خلق الله تعالى فهو الفاعل المختار يعطى من يشاء ويمنع فالكل منه واليه (موعظة) قيل عشش ورشان فى شجرة فى دار رجل فلما همت أفراخه بالطيران زينت امرأة ذلك الرجل له أخذ أفراخ ذلك الورشان ففعل ذلك مرارا وكلما خرج الورشان أخذ أفراخه فشكا الورشان ذلك الى سليمان عليه الصلاة والسلام وقال يارسول الله أردت أن يكون لى أولاد يذكرون الله تعالى من بعدى فيهم فأخذها الرجل بأمر امرأته ثم أعاد الورشان الشكوى فقال سليمان لشيطانين اذا رأيتماه يصعد الشجرة فشقاه نصفين فلما أراد الرجل أن يصعد الشجرة اعترضه سائل فأطعمه كسرة من خبز شعير ثم صعد وأخذ الأفراخ على عادته فشكا الورشان ذلك الى سليمان عليه الصلاة والسلام فقال للشيطانين ألم تفعلا ما أمرتكما به فقالا اعترضنا ملكان فطرحانا فى الخافقين اه (وكان الحسن بن صالح) اذا جاءه سائل فان كان عنده ذهب أو فضة أو طعام أعطاه فان لم يكن عنده من ذلك شئ أعطاه دهنا أو غيره مما ينتفع به فان لم يكن عنده شئ أعطاه كحلا أو أخرج ابرة وخيطا فرقع بهما ثوب السائل (وحكى) أن رجلا جلس يوما يأكل هو وزوجته وبين أيديهما دجاجة مشوية فوقف سائل ببابه فخرج اليه وانتهره فذهب فاتفق بعد ذلك ان الرجل افتقر وزالت نعمته وطلق زوجته وتزوجت بعده برجل آخر فجلس يأكل معها فى بعض الأيام وبين

الانسان بالطريقة الوسطى واتق الليل وطعامه جهدك وقال جالينوس الغم المفرط يميت القلب ويجمد الدم فى العروق فيهلك صاحبه والسرور المفرط يلهب حرارة الدم حتى يغلب الحرارة الغريزية فيهلك صاحبه وقيل انه وضع على مائدة المأمون فى يوم عيد أكثر من ثلاثين لونا فكان يصف وهو على المائدة منفعة كل لون ومضرته فقال يحيى بن أكثم ياأمير المؤمنين ان خضنا فى الطب فأنت جالينوس فى معرفته أو فى النجوم فأنت هرمس فى صناعته أو فى الفقه فأنت على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه فى علمه أو فى السخاء فأنت حاتم فى كرمه أو فى الحديث فأنت أبو ذر فى صدق لهجته أو فى الوفاء فأنت السموأل بن عادياء فى وفائه فسر بكلامه وقال ياأبا محمد انما فضل الانسان على غيره بالعقل ولولا ذلك لكانت الناس والبهائم سواء وقال طبيب الهند ان منفعة الحقنة للجسد كمنفعة الماء للشجر وقال سفيان بن عيينة أجمع أطباء فارس على أن الداء ادخال الطعام على الطعام وقالوا ادخال اللحم على اللحم يقتل السباع فى البر وقيل الشرب فى آنية الرصاص أمان من القولنج وعرض رجل على طبيب قارورته فقال له ماهى قارورتك لانه ماهى ميت وأنت حى تكلمنى فما فرغ من كلامه حتى خر الرجل ميتا وقيل ان ملكا من الملوك حصل عنده صداع فى رأسه فأحضر الطبيب فأمره أن يضع قدميه فى الماء الحار وكان عنده خصى فقال أين القدمان من الرأس فقال له الطبيب وأين وجهك من خصيتيك نزعتا فذهبت لحيتك وقيل ان المأمون حصل له صداع بطرسوس فأحضر طبيبا كان عنده فلم ينفعه علاجه فبلغ قيصر فأرسل اليه قلنسوة وكتب له بلغنى صداعك فضعها على رأسك يزل مابك فخاف أن تكون مسمومة فوضعها على رأس القاصد فلم يصبه شئ ثم انه أحضر رجلا به صداع فوضعها على رأسه فزال مابه فتعجب المأمون ثم انه فتقها فوجد فيها رقعة مكتوبا فيها بسم الله الرحمن الرحيم كم من نعمة لله تعالى فى عرق ساكن وغير ساكن حمعسق لا يصدعون عنها ولا ينزفون من كلام الرحمن خمدت النيران ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وقال على رضى الله تعالى عنه ادهنوا بالبنفسج فانه حار فى الشتاء بارد فى الصيف وقال أيضا رضى الله عنه عليكم بالزيت فانه يذهب البلغم ويشد العصب ويحسن الخلق ويطيب النفس ويذهب الغم وعنه رضى الله عنه ان لم يكن فى شئ شفاء ففى شرطة حاجم أو شربة من عسل وقال الحجاج لطبيبه أخبرنا بجوامع الطب فقال لا تنكح الا فتاة ولا تأكل من اللحم الا فتيا واذا تغديت فنم واذا تعشيت فامش ولو على الشوك ولا تدخلن بطنك طعاما حتى تستمرئ مافيه ولا تأوى الى فراشك حتى تدخل الخلاء وكل الفاكهة فى اقبالها وذرها فى ادبارها وأوصى حكيم خليفته وصية ووعده انه اذا لازمها لا يعرض له مرض الا مرض الموت فقال اياك أن تدخل طعاما على طعام ولا تمش حتى تعيا ولا تجامع عجوزا ولا تدخل حماما على شبع واذا جامعت فكن على حال وسط من الغذاء وعليك فى كل أسبوع بقيئة ولا تأكل الفاكهة الا فى أوان نضجها ولا تأكل القديد من اللحم واذا تغديت فنم واذا تعشيت فامش أربعين خطوة ونم على يسارك لتقع الكبد على المعدة

فيتهضم ما فيها وتستريح الكبد من حرارة المعدة ولا تنم على عينك فيبطئ الهضم ولا تأكل بشهوة عينيك بعد الشبع ولا تنم ليلا حتى تعرض نفسك على الخلاء ان احتجت الى ذلك أو لم تحتج واقعد على الطعام وأنت تشتهيه وقم عنه وأنت تشتهيه قال بعضهم

شره النفوس على الجسوم بلية * فتعوذوا من كل نفس تشره
ما من فتى شرهت له نفس وان * نال الغنى الا رأى ما يكره

وقال أبو الفيض القضاعي يمدح الفضل وقد فصد

أرقت دما لو تسكب المزن مثله * لأصبح وجه الارض أخضر زاهيا
دما طيبا لو يطلق الشرع شربه * لكان من الاسقام للناس شافيا

﴿الفصل الرابع فيما جاء في العيادة وفضلها﴾ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة في ظل العرش عائد المريض ومشيع الموتى وطائع والديه وفي رواية ومعزى الثكلى ومن السنة تخفيف الجلوس في العيادة * مرض بكر بن عبد الله المزني فعاده أصحابه فأطالوا الجلوس عنده فقال المريض يعاد والصحيح يزار قال الشاعر

يعدن مريضا هن هيجن داءه * ألا انما بعض العوائد دائيا

وقيل اذا دخل العوّاد على الملك فحقهم أن لا يسلموا عليه فيحوجوه الى ردّ السلام ويتعبوه فاذا علموا أنه لاحظهم دعوا له وانصرفوا * قيل مرض انسان فكتب اليه بعض أصدقائه كشف الله عنك ما بك من السقم وطهرك بالعلة من الخطايا ومتعك بانس العافية وأعقبك دوام الصحة * ومرض انسان فكتب اليه صديقه

باخوانك الادنين لا بك كل ما * شكوت الى اليوم من ألم الورد
فكل امرئ منهم بقدر احتماله * وان عجزوا عنه تحملته وحدي

(وقال آخر) بي السوء والمكروه لا بك كلما * أراد لك كان بي وكان لك الأجر

﴿وقال عبد الله بن مصعب﴾

مالي مرضت فلم يعدني عائد * منكم ويمرض كلبكم فأعود

فسمي بعد ذلك عائد الكلاب * وعاد مالك بن أنس رضي الله تعالى عنه بعض المرضى فقال

عادني مالك فلست أبالي * بعد من عادني ومن لم يعدني

(وقال علي بن الجهم) أراقد الليل مسرورا بأولِه...

أراقد الليل مسرورا اعدمت اذا * عيشي وأحمد يرعى ليله وصبا
الله يعلم أني قد نذرت له * صيام شهر اذا ما أحمد ركبا

(وقال آخر) اذا مرضتم أتيناكم نعودكم * وتذنبون فنأتيكم ونعتذر

(وقال آخر) أعاذك الله من أشياء أربعة * الموت والعشق والافلاس والجرب

أيديهما دجاجة مشوية واذا بسائل يطرق الباب فقال الرجل لزوجته ادفعي اليه هذه الدجاجة فخرجت بها اليه فاذا هو زوجها الأول فدفعت اليه الدجاجة ورجعت وهي باكية فسألها زوجها عن بكائها فأخبرته أن السائل كان زوجها وذكرت له قصتها مع ذلك السائل الذي انتهره زوجها الأول فقال لها أنا والله ذلك السائل (ومما وقفت عليه) ما حكي أن بعضهم قال دخلت البادية فاذا أنا بعجوز بين يديها شاة مقتولة والى جانبها جرو ذئب فقالت أتدري ما هذا فقلت لا قالت هذا جرو ذئب أخذناه صغيرا وأدخلناه بيتنا وربيناه فلما كبر فعل بشاتي ما ترى وانشدت

بقرت شويهتي وفجعت قلبي * وأنت لشاتنا ابن ربيب
غذيت بدرها ونشأت معها * فمن أنباك ان أباك ذيب
اذا كان الطباع طباع سوء * فلا أدب يفيد ولا أديب

(قيل) مر عمرو بن عبيد بجماعة وقوف فقيل ما هذا فقيل السلطان يقطع سارقا فقال لا اله الا الله سارق العلانية يقطع سارق السر (ومن ذلك ما حكي) أن رجلا من العرب دخل على المعتصم فقربه وأدناه وجعله نديمه وصار يدخل على حريمه من غير استئذان وكان له وزير حاسد فغار من البدوي وحسده وقال في نفسه ان لم أحتل على هذا البدوي في قتله أخذ بقلب أمير المؤمنين وأبعدني منه فصار يتلطف بالبدوي حتى أتى به الى منزله فطبخ له طعاما وأكثر فيه من الثوم فلما أكل البدوي منه قال له احذر أن تقرب من أمير المؤمنين فيشم منك رائحة الثوم فيتأذى من ذلك فانه يكره رائحته ثم ذهب الوزير الى أمير المؤمنين فخلا به وقال يا أمير المؤمنين ان البدوي يقول عنك للناس ان أمير المؤمنين أبخر وهلكت من رائحة فمه فلما دخل البدوي على أمير المؤمنين جعل كمه على فمه مخافة أن يشم منه رائحة الثوم فلما رآه أمير المؤمنين كتب كتابا الى بعض عماله يقول له فيه اذا وصل اليك كتابي هذا فاضرب رقبة حامله ثم دعا بالبدوي ودفع الكتاب اليه وقال له امض به الى فلان وائتني بالجواب فامتثل البدوي ما رسم به أمير المؤمنين وأخذ الكتاب وخرج به من عنده فبينما هو بالباب اذ لقيه الوزير فقال أين تريد قال أتوجه بكتاب أمير المؤمنين الى عامله فلان فقال الوزير هذا البدوي يحصل له من هذا التقليد مال جزيل فقال له يا بدوي ما تقول فيمن يريحك من هذا التعب الذي يلحقك في سفرك ويعطيك ألفي دينار فقال له أنت الكبير وأنت الحاكم ومهما أردت افعل فقال أعطني الكتاب فدفعه اليه فأعطاه الوزير ألفي دينار وسار بالكتاب الى المكان الذي هو قاصده فلما قرأ العامل الكتاب أمر بضرب رقبة الوزير فبعد أيام تذكر الخليفة في أمر البدوي وسأل عن الوزير فأخبر بأن له أياما ما ظهر وان البدوي بالمدينة مقيم فتعجب من ذلك وأمر باحضار البدوي فحضر فسأله عن حاله فأخبره بالقصة التي اتفقت له مع الوزير من أولها الى آخرها فقال له أنت قلت

للناس عني اني أجذر فقال يا أمير المؤمنين أنا أتحدث على اليس لي به علم اغا كان ذلك مكرا منه وحسدا وأعلمه كيف دخل به الى بيته وأطعمه الثوم وماجرى له معه فقال أمير المؤمنين قاتل الله الحسد ما أعدله بدأ بصاحبه فقتله ثم اتخذ البدوى وزيرا وراح الوزير بحسده انتهى (وحكى) أن معاوية بن أبي سفيان رضي الله تعالى عنه لما مرض مرضه الذى مات فيه دخل عليه بعض بنى هاشم ليعوده فلما استأذن عليه قام وجلس وأظهر القوة والتجلد وأذن للهاشمي فدخل عليه ثم قال متمثلا بقول أبي ذؤيب الهذلي من قصيدة رثى بها أولاده لما ماتوا بالطاعون * وتجلدى للشامتين أريهم * أني لريب الدهر لا أتضعضع فأجابه الهاشمي على الفور من القصيدة المذكورة بعينها وإذا المنية أنشبت أظفارها * ألفيت كل تميمة لا تنفع (ومما يشبه كل ذلك) ماحكاه لي سيدي ومولاي عمدة العلماء الأعلام ونتيجة قضايا الأدباء الفخام الشيخ عبد الغني أفندي الرافعي حفظه الله تعالى انه حكى له عبد الله (٢٢٦) أفندي ابن قاضي الموصل ان بعض علماء بغداد وفد على دار الخليفة العلية في أيام السلطان سليم بن السلطان عثمان خان ونزل في دار صاحب المشيخة العظمى اذ ذاك فاتفق له ان رأى السلطان سليمان في القائق بين أسكى دار واسلامبول فرقا ثق الشيخ بالقرب من قائق السلطان فلما وقع عليه نظر الملك ورأى عليه سيما أهل العلم أحب أن يداعبه فقال عندما ناداه

فيم اقتحامك لج البحر تركبه وأنت يكفيك منه مصة الوشل

(فأجابه على الفور من القصيدة)

أريد بسطة كف أستعين بها على قضاء حقوق للعلا قبلي

فعند ذلك سأله عن مكانه فأخبره انه نزيل شيخ الاسلام ثم مر كل منهما بقائقه وبعد أيام اجتمع السلطان سليم بشيخ الاسلام وسأله عن الشيخ وذكر له صفته ثم أمره ان يسأله عن مراده فسأله من غير أن يعلمه ان ذلك عن أمر الملك فقال بغيتي القرية الفلانية في محل كذا ان اقطعنيها كفتني ولا أريد سواها فأخبر الملك بذلك فأقطعه القرية وعاد وقد ربحت تجارته واسع ببضاعة أدبه (ومن هذا القبيل) ماوقع في عصرنا العوض بيك الاسعد رحمه الله تعالى انه حين بدا تغير ابراهيم باشا مع عسكر الدولة المصرية على بكوات عكا وكان جالسا على دكان في سوق العقادين من طرابلس الشام وكان أحد أمراء الألايات جالسا على دكان يقابله فكتب له أمير الألاي يهدده ضمنا بقول عنترة من قصيدة وأرسل يقول له انظر خطي وهو لي النفوس وللطير اللحوم * وللوحش العظام وللخيالة السلب فأجابه بقوله من القصيدة بعينها وأرسل يقول له انظر خط من أحسن ان كنت تعلم يانعمان ان يدى * قصيرة عنك فالأحوال تنقلب (وكتب العلامة زين الدين بن الوردى) الى قاضي القضاة الكمال البارزى وقد كان عزله من منصب القضاء وولى أخاه حملتني وأخي تباريح البلا * وتركتنا ضدين مختلفين يا أعجب عالم عصرنا وزماننا * ألك التصرف في دم الأخوين فأجابه بقوله أبا عمر انزجر عن مثل هذا *

وقيل ان حق العيادة يوم بعد يوم أو يوم بعد يومين وعلى الأول قول الشاعر

قالت مرضت فعدتها فتبرمت * فهي الصحيحة والعليل العائد
والله لو أن القلوب كقلبها * مارق للولد الصغير الوالد

﴿وعلى الثاني قول بعضهم﴾

حق العيادة يوم بعد يومين * وجلسة مثل خلس اللحظ بالعين
لا تبرمن عليلا في مساءلة * يكفيك من ذاك تسآل بحرفين

وفضل العيادة مشهور وشرفها مذكور وبها تعظم الأجور * وهذا ما انتهى الينا من هذا الباب والله الموفق للصواب

﴿الباب الحادي والثمانون في ذكر الموت ومايتصل به من القبر وأحواله﴾

(روى) عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مات لأحدكم ميت فحسنوا كفنه وعجلوا انجاز وصيته وأعمقوا له في قبره وجنبوه جار السوء قيل يارسول الله وهل ينفع الجار الصالح في الآخرة قال وهل ينفع في الدنيا قالوا نعم قال وكذلك في الآخرة ومن وصية على رضي الله عنه لأبي ذر زر القبور تذكر بها الآخرة ولا تزرها بالليل وغسل الموتى يتحرك قلبك وصل على الجنائز لعل ذلك يحزنك فان الحزين في ظل الله تعالى ويقال جزعك في مصيبة صديقك أحسن من صبرك وصبرك في مصيبتك أحسن من جزعك ونظر فيلسوف الى ميت يحمل الى قبره فقال حبيب تحمله أهله الى حبس الابد ودخل عمرو بن العاصي رضي الله عنه على معاوية في مرضة مرضها فقال له أعائد أنت أم شامت فقال له عمرو لم تقول هذا والله ما كافتني رهقا ولا أصعدتني زلقا ولا جرعتني علقا فلم أستطل حياتك ولم أستبطئ وفاتك فانشد معاوية يقول

فهل من خالدين اذا هلكنا * وهل في الموت بين الناس عار

ولما مرض معاوية رضي الله عنه مرضه الذى مات فيه وفد اليه الناس يعودونه فقال لأهله مهدوا الى فراشا واسندوني وأوسعوا رأسي دهانا ثم اكحلوا عيني بالاثمد ثم ائذنوا للناس يدخلوا ويسلموا على قياما ولا تجلسوا عندى أحدا ففعلوا ذلك فلما خرجوا من عنده أنشد يقول

وتجلدى للشامتين أريهم * أني لريب الدهر لا أتضعضع
واذا المنية أنشبت أظفارها * ألفيت كل تميمة لا تنفع

وقيل لما دنا منه الموت تمثل بهذا البيت

هو الموت لامنجى من الموت والذى * نحاذر بعد الموت أدهى وأفظع

قال ثم رفع يديه وقال اللهم أقل العثرة واعف عن الزلة وعد بحلمك على من لم يرج غيرك ولا يثق الا بك فانك

فأحمد بالولاية مطمئن فان بك فيك معرفة وعدل * فاحمد فيه معرفة ووزن (قال صاحب التالد والطريف) وأذكر لك هنا حكاية لطيفة فيها لفظ أمرع من كلام الحصيب أبي محمد أغرب فيه وأبدع كنت أقرأ عليه زمن الحداثة فذكرله انى أزن الشعر فاخبرني بكلام هذا نصه أدام الله عزك ان بيني و بينك ما شددت عليه من بعد ذلك راحتي و بحق ذا كم علينا فاعلوا من وذا أمرع والحمد لله وقال لى أخرج من هذا الكلام بيتين تامين فقلت له هذا الشعر من بحر الوافر وآخر البيت الاول حرف العين من بعده وآخره أمرع فقال أحسنت انتهى (وذكر ابن خلكان فى تاريخه) انه كان بين الملك العادل نور الدين و بين أبي الحسن سنان صاحب قلاع الاسماعيلية ومقدم الفرق الباطنية مكاتبات ومحاورات فكتب اليه نور الدين كتابا يهدده فيه و يتوعده بسبب اقتضى ذلك فشق على سنان فكتب جوابه نثرا وأبياتا منها
يا ذا الذى بقراع السيف هددنى * لا قام مصرع جنبي حين تصرعه قام الحمام الى البازى (٢٢٧) يهدده * واستيقظت لاسود البر أضبعه
وقفنا على تفصيله وجمله وعلمنا ما هددنا به من قوله وعمله فيالله العجب من ذبابة تطن فى أذن فيل و بعوضة تعض فى التماثيل ولقد قالها من قبلك قوم آخرون فدمرنا عليهم وما كان لهم ناصرون وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون وهى عجيبة طويلة غريبة (قال صاحب التالد والطريف) أنشدت بعض الاخوان الظرفاء بيتي ذى القرنين ابن حمدان الحمدانى وهما
انى لأحسد لا فى أسطر الصحف * اذا رأيت اعتناق اللام للالف
وما أظنهما طال اعتناقهما * الا لما لقيا من شدة الشغف
فلما سمعهما قال وقد وقع لى فى هذين البيتين حكاية لطيفة غريبة ظريفة وهى انى كنت أحب غلاما لطيفا أديبا ظريفا فكتبت له صورة لام ألف لا وقصدت بها ما قاله الشاعر فى البيتين فكتب لا مفترقين هكذا وقصد أذيتي بها وأرسلها الى كأنه يقول لا أملكك من عناقى أبدا فكتبت له لفظ لام هكذا وأردت مقلوب ذلك فكتب لا متصلة هكذا وأرسلها الى فعلمت بذلك رضاه وتعجبت من فهمه وحذقه فلما اجتمعنا عتب على وقال عميت الامر على وأتعبتنى قلت مثلك يصلح للمنادمة والمجالسة اه (قلت) وهذه الحكاية تشبه أن تكون عن أبي زيد السروجي أو من باب التجريد (قلت) مثل هذين البيتين المتقدمين قول القائل يا من اذا قرأ الانجيل ظل به * قلب الحريف عن الاسلام منحرفا انى رأيتك فى نومى تعانقنى * كما تعانق لام الكاتب الالفا وقولى من قصيدة
ان تنأعن بهانى فيك كل عنا * فحسبه صوب دمع للنوى وكفا بالحب صيرت لا ما قامتى أترى * يوما تعانق من أعطافك الالفا
(وما أرق قول بعضهم فى المعنى) حكت قامتى لاما وقامته منيتى * حكت ألفا للوصل قلت مسائلا اذا اجتمعت لامى مع الالف التى * حكتك قواما ما يصير فقال لا (ذكر ابن خلكان فى تاريخه) انه اجتمع الامام أبو بكر محمد بن الامام داود الظاهرى وأبو العباس بن سريج

واسع المغفرة وليس لذى خطيئة منك مهرب ومات رحمه الله تعالى * وذكر أبو العباس الشيبانى قال وفد على أبي دلف عشرة من أولاد على بن أبي طالب رضى الله عنه فى العلة التى مات فيها فأقاموا ببابه شهرا لا يؤذن لهم لشدة العلة التى أصيب بها ثم أفاق فقال لخادمه بشر ان قلبي يحدثنى ان بالباب قوما لهم الينا حوايج فافتح الباب ولا تمنعن أحدا قال فكان أول من دخل آل على رضى الله عنه فسلموا عليه ثم ابتدأ الكلام رجل منهم من ولد جعفر الطيار فقال أصلحك الله انا من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وفينا من ولده وقد حطمتنا المصائب وأجحفت بنا النوائب فان رأيت أن تجبر كسيرا او تغنى فقيرا لا علاك قطميرا فافعل فقال لخادمه خذ بيدى وأجلسنى ثم أقبل معتذرا اليهم ودعا بدواة وقرطاس وقال ليكتب كل منكم بيده انه قبض منى ألف دينار قالوا فبقينا والله متحيرين فلما أن كتبنا الرقاع ووضعناها بين يديه قال لخادمه على بالمال فوزن لكل واحد منا ألف دينار ثم قال لخادمه يا بشر اذا أنا مت فادرج هذه الرقاع فى كفنى فاذا لقيت محمدا صلى الله عليه وسلم فى القيامة كانت حجة لى أنى قد أغنيت عشرة من ولده ثم قال يا غلام ادفع لكل واحد منهم ألف درهم ينفقها فى طريقه حتى لا ينفق من الالف دينار شيأ حتى يصل الى موضعه قال فأخذناها ودعونا له وانصرفنا ثم مات رحمه الله وقيل لما دفن عمر بن عبد العزيز نزل عند دفنه مطر من السماء فوجدوا بردة مكتوبا فيها بالنور (بسم الله الرحمن الرحيم أمان لعمر بن عبد العزيز من النار) وقيل لاعرابى انك تموت قال والى أين أذهب قالوا الى الله تعالى فقال لا أكره أن أذهب الى من لا أرى الخير الا منه وبكى الخولانى عند موته فقيل له ما يبكيك قال أبكى لطول السفر وقلة الزاد وقد سلكت عقبة ولا أدرى الى أين أهبط والى أى مكان أسقط ودخل ملك الموت على داود عليه السلام فقال له من أنت قال أنا الذى لا يهاب الملوك ولا تمنع منه القصور ولا يقبل الرشا فقال اذن أنت ملك الموت وانى لم أستعد بعد فقال له يا داود أين فلان جارك أين فلان قريبك قال مات قال أما كان لك فى موت هؤلاء عبرة لتستعد بها ثم قبضه عليه السلام (وفى الخبر) من حديث حميد الطويل عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الملائكة تكتنف العبد وتحتبسه ولولا ذلك لكان يعدو فى الصحراء والبرارى من شدة سكرات الموت وقد أجمعت الامة على أن الموت ليس له زمن معلوم فليكن المرء على أهبة من ذلك * وقيل بينما احسان جالس وفى حجره صبي يطعمه الزبد بالعسل اذ شرق الصبي فمات فقال

اعمل وأنت صحيح مطلق فرح * مادمت ويحك يا مغرور فى مهل
يرجو الحياة صحيح ربما كمنت * له المنية بين الزبد والعسل

وقيل ان المأمون لما قربت وفاته دخل عليه بعض أصدقائه فوجده قد فرش له جلد دابة و بسط عليه الرماد وهو يتمرغ فيه ويقول يا من لا يزول ملكه ارحم من زال ملكه (ولما) احتضر عمرو بن العاصى دعا بغل وقيد وقال ألبسونى اياهما فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان التوبة مقبولة ما لم يغرغر ابن آدم

بنفسه ثم استقبل القبلة وقال اللهم انك أمرتنا فعصيناو نهيتنا فارتكبنا وهذا مقام العائذ بك فان تعف فأنت أهل العفو وان تعاقب فبما قدمت يداى لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين ثم مات وهو مغلول مقيد فبلغ ذلك الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنهما فقال استسلم الشيخ ولعلها تنفعه (ولما) احتضر المعتصم جعل وايم وتون عليه فقال هان على النظارة ما عبر بظهر المجلود * وسمع أبو الدرداء رجلا فى جنازة يقول من هذا فقال أنت فان كرهت فأنا وقيل مات عكرمة مولى ابن عباس رضى الله تعالى عنهما وكثير عزة فى يوم واحد فقال رجل اللهم كما جمعتهما فى زيارة القبور فلا تفرق بينهما يوم النشور فما بقى فى المدينة أحد الا استحسن كلامه (ولما) احتضر ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام قال هل رأيت خليلا يقبض روح خليله فأوحى الله اليه هل رأيت خليلا يكره لقاء خليله قال فاقبض روحى الساعة * وقيل اذا قضى الله لرجل أن يموت بأرض جعل له اليها حاجة فيسيره اليها وقال بعضهم

اذا ما حمام المرء كان ببلدة * دعته اليها حاجة فيطير

﴿حكى﴾ ان شابا تقيا من بنى اسرائيل كان يجتمع مع سليمان عليه السلام و يحضر مجالسه فبينما هو عند سليمان فى مجلسه اذ دخل ملك الموت عليه فلما رآه الشاب اصفر لونه وارتعدت فرائصه وقال يا نبى الله انى خفت من هذا الرجل فمر الريح أن تذهب بى الى الهند فأمر سليمان الريح فذهبت به فما كان الا قليل حتى دخل ملك الموت على سليمان وهو متعجب فقال له سليمان مم تعجب قال أعجب أنى أمرت بقبض روح الشاب الذى كان عندك بارض الهند ودخلت عليك فوجدته عندك فصرت متعجبا ثم توجهت الى الهند فرأيته هناك وقبضت روحه فهذا عجبى فقال له سليمان انه لما رآك خاف وانزعج وطلب منى أن تحمله الريح الى الهند فأمرتها بحمله وفى ذلك المعنى قال محمد بن الحسن

ومتعب الروح مرتاح الى بلد * والموت يطلبه فى ذلك البلد

وقيل ان الانسان يحصل له عند الموت قوة حركة نحو ما يحصل للسراج عند انطفائه من حركة سريعة وضياء ساطع وتسميها الاطباء النعشة الاخيرة والله أعلم * وقيل ان الرشيد ماتت له جارية وكانت من خواص محاظيه فجزع عليها جزعا شديدا فقال لبعض أصدقائه أما ترى ما بليت به ما أحببت أحدا الامات فقال يا أمير المؤمنين أحببنى فقال ويحك ان الحب ليس هو شئ يصنع انما هو شئ يقع فى القلب تسوقه الاسباب فقال قل أنا أحبك قال نعم أنا أحبك قال فمن وقته مات وفى الحديث المرفوع كسر عظم الميت ككسره فى حياته وقال يزيد بن أسلم لقد كان يمضى فى الزمن الاول أربعمائة سنة ما يسمع فيها بجنازة وعن ميمون بن مهران قال شهدت جنازة ابن عباس رضى الله عنه بالطائف فلما وضع ليصلى عليه جاء طائر أبيض حتى وقف على أكفانه ثم دخل فيها فالتمسناه فلم نجده ولما سوينا عليه التراب سمعنا من يسمع صوته ولا يرى شخصه يقول

فى مجالس الوزير الجراح فتناظرا فقال له ابن شريح أنت الذى تقول من كثرت لحظاته دامت حسراته أنا أبصر منك بالكلام فقال له أبو بكر لئن قلت ذلك فانى أقول أنزه فى روض المحاسن مقلتى * وأمنع نفسى أن تنال المحرما وأحمل من ثقل الهوى ما لوانه * يصب على الصخر الاصم تهدما و ينطق طرفى عن مترجم خاطرى * فلولا اختلاسى رده لتكلما رأيت الهوى دعوى من الناس كلهم * فما ان أرى حبا صحيحا مسلما فقال له ابن شريح ولم تفتخر على ولو شئت أنا أيضا لقلت ومسامر بالغنج من لحظاته * قد بت أمنعه لذيذ سناته ضنا بحسن حديثه وغنائه * وأكرر اللحظات فى وجناته حتى اذا ما الصبح لاح عموده * ولى بخاتم ربه وبراته فقال أبو بكر يحفظ الوزير عليه ذلك حتى يقيم شاهدى عدل أنه ولى بخاتم ربه فقال أبو العباس بن شريح يلزمنى من ذلك ما يلزمك فى قولك أنزه فى روض المحاسن مقلتى * وامنع نفسى أن تنال المحرما فضحك الوزير وقال جمعتما الطفا وظرفا وفهما وعلما اه (وذكر أبو بكر الخطيب) انه كان فى مدينة بغداد محلة تسمى باب الطاق كان بها سوق الطير يزعمون أنه من عسر عليه أمر أطلق طيرا فيتيسر أمره فمر عبد الله ابن طاهر وقد طال مكثه فى بغداد ولم يأذن له الخليفة بالذهاب فمر بذلك السوق فرأى قمرية تنوح فأمر بشرائها فامتنع صاحبها فدفع له بها خمسمائة درهم فاشتراها وأطلقها فى ذلك السوق وأنشد يقول

ناحت مطوقة بباب الطاق * فجرت سوابق دمعى المهراق
كانت تغرد بالاراك وربما * كانت تغرد فى فروع الساق
فرمى الفراق بها العراق فأصبحت * بعد الاراك تنوح فى الاسواق
فجعت بأفراخ فأسبل دمعها * ان الدموع تبوح بالاشواق
تعس الفراق وبت حبل متينه * وسقاه من سم الاساود ساقى
ماذا أراد بقصده قمرية * لم تدر ما بغداد فى الآفاق
بى مثل ما بك يا حمامة فاسألى * من فك أسرك أن يحل وثاقى

قيل انه فى ثانى يوم أطلق ورجع الى بلاده (وحكى عن خالد الكاتب) أنه قال جاءنى يوما رسول ابراهيم فسرت اليه فوجدته على فرش قد غاص فيها فاستجلى وقال أنشدنى من أجود شعرك فأنشدته

رأت منه عينى منظرين كما رأت * من الشمس والبدر المنير على الارض
عشية حيانى بورد كأنه * خدود أضيفت بعضهن الى بعض
ونازعنى كاسا كأن حبابها * دموعى لما صد عن مقلتى غمضى
وراح فكل الراح فى حركاته * كفعل نسيم الريح فى الغصن الغض

فزحف حتى صار فى ثلثى الفراش وقال يا فتى شبهوا الخدود بالورد وأنت شبهت الورد بالخدود فزدنى فأنشدته

عاتبت نفسى فى هوا * ك فلم أجدها تقبل
وأطعت داعيها اليـ * ك ولم أطع من يعذل
لا والذى جعل الوجو * ه بحسن وجهك تمثل
لا قلت ان الصبر عنـ * ك من الصبابة أجمل

فزحف حتى انحدر من الفراش واستخف طربا ثم قال لخادمه كم معك لنفقتنا قال عمائة

يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك الآية وقال ابن عباس رضي الله عنهما ان قبر آدم عليه السلام بمسجد الخيف بمنى وقال عطاء بلغني ان قبره تحت المنارة التي وسط الخيف وكان عثمان بن عفان رضي الله عنه اذا وقف على قبر بكى مالا يبكيه عند ذكر الجنة والنار فقيل له في ذلك فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول القبر أول منازل الآخرة فان نجا العبد منه فما بعده أيسر منه وعن معاذ بن رفاعة الزرقي قال أخبرني رجل من رجال قومي أن جبريل عليه السلام أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم في جوف الليل معتجرا بعمامة من استبرق فقال يا محمد من هذا الميت الذي فتحت له أبواب السماء واهتز له العرش فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم يجر ثوبه مبادرا الى سعد بن معاذ رضي الله عنه فوجده قد قبض وقال الحسن رضي الله عنه ما من يوم الا وملك الموت يتصفح وجوه الناس خمس مرات فمن رآه على لهو ولعب او معصية أو ضاحكا حرك رأسه وقال له مسكين هذا العبد غافل عما يراد به ثم يقول له اعمل ما شئت فان لي فيك غمزة أقطع بها وتينك وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه لرجاء بن حيوة يا رجاء اذا وضعت في لحدي فاكشف الثوب عن وجهي فان رأيت خيرا فاحمد الله وان رأيت غير ذلك فاعلم أن عمر قد هلك قال رجاء فلما دفناه كشفت عن وجهه فرأيت نورا ساطعا فحمدت الله تعالى أن قد صار الى خير وقال أيضا دخلت على عمر بن عبد العزيز وهو محتضر فقال يا رجاء اني أرى وجوها كراما ليست بوجوه انس ولا جان وهو يقلب طرفه يمينا وشمالا ثم رفع يده فقال اللهم أنت ربي أمرتني فقصرت ونهيتني فعصيت فان غفرت فقد مننت وان عاقبت فما ظلمت الا أني أشهد أن لا اله الا أنت وحدك لا شريك لك وأن محمدا عبدك ورسولك المصطفى ونبيك المرتضى بلغ الرسالة وأدى الامانة ونصح الامة فعليه السلام والرحمة ثم قضى نحبه رحمه الله وعن أسماء بنت عميس قالت كنت عند أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه بعد ما ضربه ابن ملجم اذ شهق شهقة بعد أن اغمي عليه ثم أفاق وقال مرحبا الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فقيل له ما ترى قال هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا أخي جعفر وعمي حمزة وأبواب السماء مفتحة والملائكة ينزلون علي يبشرونني بالجنة وهذه فاطمة قد أحاط بها وصائفها من الحور العين وهذه منازلي لمثل هذا فليعمل العاملون (ولما) احتضر عبد الملك بن مروان قال لابنه لو ليد اذا أنا مت اياك أن تجلس وتعصر عينيك كالمرأة الوكعاء لكن ائتزر وشمر والبس جلد النمر وضعني في حفرتي وخلني وشأني وعليك شأنك وادع الناس الى بيعتك فمن قال برأسه هكذا فقل له بسيفك هكذا ثم بعث الى محمد وخالد ابني يزيد بن معاوية فقال هل عندكما ندامة في بيعة الوليد فقالوا لا نعرف أحدا أحق منه بالخلافة فقال أما انكما لو قلتما غير هذا لضربت الذي فيه أعينكما ثم رفع كنار فراشه فاذا تحته سيف مسلول تحت عينيه كل هذا وروحه تتردد في حنجرته وهو يقول الحمد لله الذي لا يبالي أصغيرا أخذ أم كبيرا لا اله الا الله محمد رسول الله ثم بعد ساعة نفذت روحه فدخل عليه الوليد ومعه بناته يبكون فتمثل بقول الشاعر

وخمسون درهما فقال له اقسمها بيني وبين خالد فدفع لي نصفها واذهب مرفت (لطيفه) جاز بعض اللطفاء على باب دار فعزم شيخها وأدخله منزله وأجلسه في المكان منفردا ثم استدعى بجاريتين احداهما صفراء والاخرى سوداء ودفع لكل واحدة مزهرا وقال لهما اضربا له عليهما وغنياه وشاغلاه ثم ذهب الشيخ وبقي الضيف والجاريتان فلما اشتد به الجوع ومضى النهار ولم ير للطعام رائحة كتب في مكان الشيخ هذين البيتين

يا دعوة كانت عليه دعوة * عز الطعام بها وغيض الماء
سودا وصفرا كلما غنين لي * لعبت بي السوداء والصفراء

(يحكى) أن شهاب الدين الخفاجي المصري شرب الدخان هو وجماعة فاعترض عليهم شيخي زاده فكتب له الشهاب بقوله

اذا شرب الدخان فلا تلمنا * وجد بالعفو يا روض الاماني
تريد مهذبا لا عيب فيه * وهل عود يفوح بلا دخان

(فاجابه شيخي أفندي بقوله)

اذا شرب الدخان فلا تلمني * على لومي لابناء الزمان
أريد مهذبا من غير ذنب * كريح المسك فاح بلا دخان

(وحكى) عن شرف الدين ابن الشريجي أنه اجتمع هو وشهاب الدين في ليلة أنس عند الملك الناصر فاتفق ان قام شرف الدين الى الطهارة وعاد فامره الناصر بالاشارة أن يصفع شهاب الدين فلما صفعه أمسك التلعفري بذقن شرف الدين وأنشد سريعا وذقنه بيده

قد صفعنا بذا المحل الشريف * وهو ان كان يرتضي تشريفي
فارث للعبد من مصيف طباع * يا ربيع الندى والاخريفي

فانقلب المجلس ضحكا (وروى) أن ابن القطان الشاعر البغدادي دخل ذات يوم على الوزير الرضي وعنده الحيص بيص الشاعر المشهور فقال ابن القطان قد نظمت بيتين لا يمكن أن يعمل لهما ثالث لاني قد استوفيت المعنى فيهما فقال له الوزير ما هما فأنشده

زار الخيال بخيلا مثل مرسله * فاشفاني منه الضم والقبل
مازارني قط الا كي يوافقني * على الرقاد فينفيه ويرتحل

فقال الوزير للحيص بيص

وما درى أن نومي حيلة نصبت * لطيفه حين أعيا اليقظة الحيل

(ومع ايشا كل ذلك) ما اتفق للوزير القوصي وقد أنشد ابن المرصص بيتين بين يديه نظمهما في جارية حسناء كاملة المعاني والاوصاف وزعم انه لا ثالث لهما وهما

تمدت فهذا البدر منكسف بها * وحقك مثلي في دجى الليل حائر
وماست فشق الغصن غيظا ثيابه * ألست ترى أوراقه تتناثر

فاطرق الوزير يسيرا وقال

وفاحت فالقى العود في النار نفسه * كذا نقلت عنه الحديث المجامر

وقالت فغار الدر واصفر لونه * كذلك مازالت تغار الضرائر

وكان في المجلس النواجي الشاعر فأنشد ارتجالا

وغنت فظل الجنك يطرق نفسه * وجادت لها بالروح منها المزامر
ومن لحظها الهندي في غمده اختفى * وظبي الفلا في لفتة وهو نافر
ومن وجنتيها الورد راح بخجلة * ألست تراه أحمرا وهو فاتر
ومن ريقها الصهباء شكت نار شوقها * فاطفأه ابالماء ساق مسامر

ومستخبر عنا يريد بنا الردى * ومستخبرات والعيون سواكن

وقال محمد بن هرون

كأني باخواني على جنب حفرتي * يهيلون فوقي والعيون دما تجري

فيا أيها المذرى على دموعه * ستعرض في يومين عني وعن ذكري

عفا الله عني انزل القبر ثاويا * ازار فلا ادري وأجفى فلا أدري

وكان يزيد الرقاشي يقول من كان الموت موعده والقبر بيته والثرى مسكنه والدود أنيسه وهو مع هذا ينتظر الفزع الاكبر كيف تكون حالته ثم يبكي حتى يغشى عليه فيجب على العاقل أن يحاسب نفسه بنفسه على مافرط من عمره ويستعد لعاقبة أمره بصالح العمل ولا يغتر بالامل فان من عاش مات ومن مات فات وكل ماهو آت آت نسأل الله أن يلهمنا رشدنا ويوفقنا لاتباع أوامره واجتناب نواهيه وأن يجعل الموت خير غائب ننتظره وأن يختم لنا بالخير وأن يتغمدنا برحمته انه على مايشاء قدير وبالاجابة جدير وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿الباب الثاني والثمانون في الصبر والتأسي والتعازي والمراثي ونحو ذلك وفيه فصول﴾

﴿الفصل الأول في الصبر﴾ قال الله تعالى وبشر الصابرين الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون وقال صلى الله عليه وسلم مامن مسلم يصاب بمصيبة وان قل عهدها فاحدث استرجاعا الا أحدث الله له مثله وأعطاه مثل أجره ذلك يوم أصيب بها وعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أصبح حزينا أصبح ساخطا على ربه ومن أصبح يشكو مصيبته فكانما يشكو الله ومن تواضع لغني سأله مافي يده أحبط الله ثلثي عمله ومن أعطى القرآن ولم يعمل به وتهاون به حتى دخل النار أبعده الله عن رحمته لانه هو الذي فعل ذلك بنفسه حيث لم يعرف حرمة القرآن * وروى عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من مات له ثلاثة من الولد لم يلج النار الا تحلة القسم يعني قوله تعالى وان منكم الا واردها وعن أم سلمة رضي الله تعالى عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من أصيب بمصيبة فقال كما أمر الله انا لله وانا اليه راجعون اللهم اؤجرني في مصيبتي وأعقبني خيرا منها الا فعل الله به ذلك وروى أنه لما مات ابراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذرفت عيناه فقال له عبد الرحمن بن عوف يارسول الله ألم تنه عن البكاء قال انما نهيت عن الغناء والصوتين الاحمقين والندب ولكن هذه رحمة جعلها الله تعالى في قلوبنا ومن لا يرحم لا يرحم فان القلب يخشع والعين تدمع وانا بك ياابراهيم لمحزونون ولا نقول الا مايرضي الله ربنا انا لله وانا اليه راجعون وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أول شئ كتبه الله في اللوح المحفوظ انني أنا الله لا اله الا أنا محمد عبدي ورسولي من استسلم لقضائي وصبر على بلائي وشكر نعمائي كتبته صديقا وبعثته مع الصديقين ومن لم يستسلم لقضائي ولم يصبر على بلائي ولم يشكر نعمائي فليتخذ ربا سوائي وقال ابن المبارك ان المصيبة

﴿ذكر ابن شاكر الكتبي﴾ في تاريخه في ترجمة شمس الدين بن عفيف الدين التلمساني ان جماعة من أهل الادب اجتمعوا وعملوا سماعا وفيهم غلمان حسان فبعثوا منهم غلاما مليحا الى الشيخ عفيف الدين يطلبون شمس الدين للحضور فلما جاء الرسول كتب عفيف الدين على يده

أرسلتها الى رسولا في رسالته * حلو المراشف والاعطاف والهيف
وقد تمادى يسير اذ الذا نكبا * أوقدتما النار في أحشاء ذي دنف

فلما حضر والده شمس الدين وأخبره بالقضية كتب الى ولده

مولاي كيف انثني عنك الرسول ولم * تكن لوردة خديه بمقتطف
جاءتك من بحر ذاك الحسن لؤلؤة * فكيف ردت بلا ثقب الى الصدف

(ومما نقلته من التاريخ المذكور) ان علية بنت المهدي العباسية أخت أمير المؤمنين هرون الرشيد كانت من احسن خلق الله وجها وأظرف النساء واعقلهن ذات صيانة وأدب بارع تزوجها موسى بن عيسى العباسي وكان الرشيد يبالغ في اكرامها واحترامها ولها ديوان شعر عاشت خمسين سنة وتوفيت سنة عشر ومائتين وكان سبب موتها أن المأمون سلم عليها وضمها الى صدره وجعل يقبل رأسها ووجهها مغطى فشرقت من ذلك وماتت بعد أيام يسيرة وكانت تتغزل بشعرها في خادمين اسم الواحد طل والآخر رشا فمن قولها في طل وصحفت اسمه

أياسروة البستان طال تشوقي * فهل لي الى ظل لديك سبيل
متى يلتقي من ليس يقضى خروجه * وليس لمن يهوى اليه وصول

فبلغ الرشيد ذلك فحلف أنها لا تذكره أبدا ثم تسمع عليها الرشيد يوما فوجدها وهي تقرأ في آخر سورة البقرة حتى بلغت قوله تعالى فان لم يصبها وابل فقالت فان لم يصبها وابل فالذي نهى عنه أمير المؤمنين فدخل الرشيد وقبل رأسها وقال لها قد وهبتك طلا ولا منعتك بعد هذا عما تريدين وكانت من أعف الناس كانت اذا طهرت لازمت المحراب وان لم تكن طاهرة غنت ولما خرج الرشيد الى الري أخذها معه فلما وصل الى المرج نظمت قولها

ومغترب بالمرج يبكي لشجوه * وقد غاب عنه المسعدون على الحب
اذا ما أتاه الركب من نحو أرضه * تنشق يستشفي برائحة الركب

وغنت بهما فلما سمع الرشيد الصوت علم انها قد اشتاقت الى العراق وأهلها فأمر بردها ومن شعرها

اني كثرت عليه في زيارته * فمل والشئ مملول اذا كثرا
ورابني منه أني لا أزال أرى * في طرفه قصرا عني اذا نظرا

انتهى ﴿لطيفة﴾ يحكى أن عبد الملك بن مروان جمع عمر بن أبي ربيعة وكثير عزة وجميل بثينة وأحضر لديه ناقة موقرة دراهم وقال ينشد كل واحد منكم بيتا في الغزل فايكم كان أبدع فهي له بما عليها فقال جميل

ولو أن راقي الموت يرقى جنازتي * بمنطقها في العالمين حييت

وقال كثير

وسعى الى بعيب عزة نسوة * جعل الاله خدودهن نعالها

وقال عمر بن أبي ربيعة

فليت الثريا في المنام ضجيعتي * لدى الجنة الخضراء أو في جهنم

فقال له عبد الملك

المصيبة واحدة فاذا جزع صاحبها فهما اثنتان لان احداهما المصيبة بعينها والثانية ذهاب أجره وهو أعظم من المصيبة وعن العلاء بن عبد الرحمن أن النبي صلى الله عليه وسلم لما حضرته الوفاة بكت فاطمة فقال لا تبكي يا بنتاه قولي اذا امت انا لله وانا اليه راجعون فان لكل انسان مصيبة معوضة قالت ومنك يارسول الله قال ومني وعن عطاء بن رباح قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أصابته مصيبة فليذكر مصيبته بي فانها من أعظم المصائب وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أنه قال من أخذت حبيبتاه يعني عينيه فصبر واحتسب أدخله الله الجنة وقيل ان امرأة أيوب عليه الصلاة والسلام قالت له لو دعوت الله تعالى أن يشفيك فقال لها ويحك كنا في النعماء سبعين عاما أفلا نصبر على الضراء مثلها فلم يلبث الا يسيرا أن عوفي وقيل الصبر مفتاح الظفر والتوكل على الله تعالى رسول النجاح وقيل من لم يلق نوائب الدهر بالصبر طال عتبه عليه * وقيل ان معاوية رضي الله تعالى عنه خرج يوما ومعه عبد العزيز بن زرارة الكلابي وكان ذا منصب وشرف وعقل وأدب فقال له معاوية يا عبد العزيز أتاني نعي سيد شباب العرب فقال له ابني أو ابنك قال بل ابنك قال للموت تلد الوالدة ومما قيل اصبر لحكم من لا تجد معولا الا عليه ولا مفزعا الا اليه وقال سويد السدوسي

فأوصيكما يا ابني سدوس كلاكما * بتقوى الذي أعطاكما وبراكما
بشكر اذا ما أحدث الله نعمة * وصبر لامر الله فيما ابتلاكما

(وقال)
أيا صاحبي ان رمت أن تكسب العلا * وترقى الى العلياء غير مزاحم
عليك بحسن الصبر في كل حالة * فما صابر فيما يروم بنادم

(وقال آخر)
هو الدهر قد جربته وبلوته * فصبرا على مكروهه وتجلدا

وحدث الزبير قال قامت عائشة بعد ما دفن أبوها أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه فقالت نضر الله وجهك وشكر صالح سعيك فقد كنت للدنيا مذلا بادبارك عنها وللآخرة معزا باقبالك عليها ولئن كان رزؤك أعظم المصائب بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأكبر الأحداث بعده فان كتاب الله قد وعدنا بالثواب على الصبر في المصيبة وأنا تابعته له في الصبر فأقول انا لله وانا اليه راجعون ومستعيضة بأكثر الاستغفار لك فسلام الله عليك توديع غير قالية لحياتك ولا زارئة على القضاء فيك (ولما) مات ذر الهمداني جاء أبوه فوجده ميتا وكان موته فجأة وعياله يبكون عليه فقال ما لكم والله ما ظلمناه ولا قهرناه ولا ذهب لنا بحق ولا أصابنا فيه ما أخطأ من كان قبلنا الى مثله ولما وضعه في حفرته قال رحمك الله يا بني وجعل أجري فيك لك والله ما بكيت عليك وانما بكيت لك فوالله لقد كنت بي بارا ولي نافعا وكنت لك محبا ومابي اليك من وحشة ومابي الى أحد غير الله من فاقة وما ذهبت لنا بعزة وما أبقيت لنا من ذل ولقد شغلنا الحزن لك عن الحزن عليك يا ذر لولا هول المطلع لتمنيت ما صرت اليه فليت شعري ماذا قلت وماذا قيل لك ثم رفع رأسه الى السماء وقال اللهم انك وعدت الصابرين

خذها يا صاحب جهنم والثريا هي بنت علي بن عبد الله الاموية تزوجها سهيل بن عبد الرحمن بن عوف الزهري فقال فيه عمر

أيها المنكح الثريا سهيلا * عمرك الله كيف يلتقيان
هي شامية اذا ما استقلت * وسهيل اذا استقل يماني

وكان يشبب بذكرها كثيرا (حكي) أنها واعدته يوما فجاءت في الوقت الذي وعدته به فصادفت أخاه الحرث قد نام مكانه فلم يشعر الحرث الا والثريا قد ألقت نفسها عليه فانتبه وجعل يقول أعزب عني فلست بالفاسق أخزاكما الله فانصرفت فلما جاء عمر أخبره الحرث بذلك فاغتم لفواتها وقال له أيم الله لا تمسك النار أبدا وقد ألقت نفسها عليك فقال له الحرث عليك وعليها لعنة الله ومات عمر بعد أن تاب وأحسن التوبة وقد عاش ثمانين سنة ويقال انه تغزل أربعين سنة وتنسك أربعين سنة رحمه الله تعالى * روي أنه عرضت جارية على الرشيد ليشتريها فطلب بها البائع مبلغا جليلا فقال الرشيد أنا أعرض عليها بيتا ان أجابت عنه أعطيتك ما تقول وزدتك والتفت اليها وقال

ماذا تقولين فيمن شفه أرق * من أجل حبك حتى صار حيرانا

فقالت بديها

اذا رأينا محبا قد أضر به * أمر الصبابة أوليناه احسانا

فأعجبه جوابها واشتراها

(ومن اللطائف) ما حكي عن الشيخ يحيى السالحي انه لما قدم دمشق الشام وقرأ في الجامع الأموي نظر الى غلام بديع الجمال فوقع حبه في قلبه فافتتن به فسأل عنه فأخبر عن أبيه وكان ممن يتردد الى الشيخ فاجتمع معه وقال له لم لا تحضر ولدك يتعلم عندي العلم فقال له انه يحضر علم الحساب عند بعض المشايخ فقال أنا أقرأ قبل شيخه فاذا حضر عندي يكون محصلا للفضيلتين فأجابه لذلك وأمر ابنه بما ذكر فتوجه الغلام عند الشيخ يحيى فأجلسه بجانبه وأطال القراءة في ذلك اليوم أكثر من الأيام الماضية فلما انقضى الدرس وأراد الغلام الانصراف لقراءة علم الحساب دفع له الشيخ يحيى رقعة وقال ادفعها الى شيخك فلما حضر قال له ما أبطأك عن الحضور فأخبره بالقصة ودفع له الرقعة فاذا فيها

يا جاعلا علم الحساب وسيلة * تصطاد فيه فاتن الالباب
ان كنت في علم الحساب رزقته * فالله يرزقنا بغير حساب

فكتب له على ظهر الرقعة وأمره أن لا يحضر عنده بعدها فأخذ الغلام الرقعة ودفعها للشيخ يحيى فاذا فيها

لهوت به ظبيا غريرا مهفهفا * ومذ صار تيسا بعته للسالحي

(ومما نقلته) أن أحد أمراء العرب كان عنده جماعة من أجلاء العرب فقام صاحب المنزل الى الطهارة وعاد وهو قابض بيده على شئ من تحت ثوبه كهيئة المستبرئ من البول ودخل على الجماعة وهو على تلك الصفة وقال من يأخذ الذي بيدي الى زوجته فأطرق القوم خجلا فقام رجل منهم وقال زوجتي أولى به يا أمير العرب فأطلق الأمير يده وقال هولك خذه واذا بعقد جوهر في يده فبهت القوم وحسدوا الرجل فقال الأمير للرجل ما أجرأك على ذلك قال ثقتي انه لا يظهر منك الا الكمال فدفع له ألف دينار (ذكر ابن خلكان)

في تاريخه في ترجمة يحيى بن أكثم ما نصه رأيت في بعض المجاميع أنه أي يحيى بن أكثم مازح الحسن بن وهب وهو يومئذ صبي ثم جمشه فغضب الحسن فأنشده يحيى
أيا قمراً جمشته فتغضبا * وأصبح لي من تيهه متجنبا
اذا كنت للتجميش والعض كارها * فكن أبداً يا سيدي متنقبا
ولا تظهر الأصداغ للناس فتنة * وتجعل منها فوق خديك عقربا
فتقتل مشتاقاً وتفتن ناسكاً * وتترك قاضي المسلمين معذبا

﴿قال صاحب التالد والطريف﴾ أنشد الشيخ أبو اسحق الشيرازي امام الشافعية لنفسه
جاء الربيع وحسن ورده * ومضى الشتاء وقبح برده
فاشرب على وجه الحبيب ووجنتيه وحسن خده
قال ابن السمعاني قال لي المظفر شعيب بن الحسين القاضي أنشدني الشيخ أبو اسحق الشيرازي هذين البيتين لنفسه ثم بعد مدة كنت جالساً عند الشيخ فذكر بين يديه ان هذين البيتين أنشدا عند القاضي عين الدولة بحا كم صور بلد على ساحل بحر الروم فقال لغلامه أحضر ذاك الشأن يريد الشراب فقد أفتانا به الامام أبو اسحق فبكى الشيخ ودعا على نفسه وقال ليتني لم أقل هذين البيتين ثم قال لي كيف تردهما من أفواه الناس فقلت يا سيدي هيهات قد سار بهما الركبان أورد ذلك ابن النجار في تاريخه واسمه محمد ويلقب محب الدين انتهى (لطيفة) حكى الصفدي رحمه الله بالوافي بالوفيات أن أبا الحسين الجزار رحمه الله تعالى سأله طلبته يوما التنزه فقالوا له يا سيدي أنت أجدر بشراء اللحم منا فتقدم للجزار وأطلعه من مكانه ووقف هو وأخذ السكين وقطع قطعا ثم انه قطع قطعة رديئة فقالوا له يا سيدي هذه ليست جيدة فقال الشيخ معتذرا والله يا أولادي لما وقفت خلف القرمة أدركني لؤم الجزارين ﴿قصد﴾ ابن عيينة قبيصة المهلبي واستماحه فلم يسمح له بشيء فانصرف مغضبا فتوجه اليه داود بن يزيد بن حاتم فترضاه وأحسن اليه فقال في ذلك

داود محمود وأنت مذمم * عجباً لذاك وأنتما من عود
ولرب عود قد يشق لمسجد * نصفا وباقيه لحش يهودي
فالحش أنت وذاك في مسجد * كم بين موضع مسلح وسجود
(وله هجاء في خالد)
أبوك لنا غيث نعيش بوبله * وأنت جراد لست تبقي ولا تذر
له أثر في المكرمات يسرنا * وأنت تعفي دائماً ذلك الأثر
﴿ولما قتل﴾ جعفر بن يحيى بكى عليه أبو نواس فقيل له أتبكي على جعفر وأنت هجوته فقال كان ذلك لركوبه الهوى وقد بلغه والله اني قلت
ولست وان أطنبت في وصف جعفر * بأول انسان خرى في ثيابه
فكتب يدفع اليه عشرة آلاف درهم يغسل بها ثيابه (ودخل) أبو دلامة على المهدي وعنده اسمعيل بن علي وعيسى بن موسى والعباس بن محمد وجماعة من بني هاشم فقال له المهدي والله ان لم تهج واحدا ممن في هذا البيت لاقطعن لسانك فنظر الى القوم وتحير في أمره وجعل ينظر الى كل واحد فيغمزه بأن عليه رضاه قال أبو دلامة فازددت حيرة فما رأيت أسلم لي من أن أهجو نفسي فقلت

على المصيبة ثوابك ورحمتك اللهم وقد وهبت ما جعلت لي من الأجر الى ذر صلة مني له فلا تحرمني ولا تعرفه قبيحا وتجاوز عنه فانك رحيم بي وبه اللهم وقد وهبت لك أساءته لي فهب لي اساءته اليك فانك أجود مني وأكرم اللهم انك قد جعلت لك عليه حقا وجعلت لي عليه حقا قرنته بحقك فقلت اشكر لي ولوالديك الي المصير اللهم اني قد غفرت له ما قصر فيه من حقي فاغفر له ما قصر فيه من حقك فانك أولى بالجود والكرم فلما أراد الانصراف قال يا ذر قد انصرفنا وتركناك ولو أقمنا عندك ما نفعناك * وفي الحديث اذا مات ولد العبد يقول الله تعالى للملائكة ماذا قال عبدي عند قبض روح ولده وثمرة فؤاده فيقولون الهنا حمدك واسترجع فيقول الله تعالى أشهدكم يا ملائكتي أني بنيت له بيتا في الجنة وسميته بيت الحمد وعن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما أنه دفن ابناله وضحك عند قبره فقيل له أتضحك عند القبر قال أردت أن أرغم أنف الشيطان فينبغي للعبد أن يتفكر في ثواب المصيبة فتسهل عليه فاذا أحسن الصبر استقبله يوم القيامة ثوابها حتى يود لو أن أولاده وأهله وأقاربه ماتوا قبله لينال ثواب المصيبة وقد وعد الله تعالى في المصيبة ثوابا عظيما اذا صبر صاحبها واحتسب وقال تعالى ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين وقال تعالى ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين الآية اللهم رضنا بقضائك وصبرنا على بلائك واغفر لنا ولوالدينا ولكل المسلمين يا رب العالمين
﴿الفصل الثاني من هذا الباب في التعازي والتأسي﴾ روى الترمذي في كتاب السنن للبيهقي عن عبد الله ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من عزى مصابا فله مثل أجره وروينا في كتاب الترمذي أيضا بسند متصل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من عزى ثكلى كسي بردا في الجنة وروينا في سنن ابن ماجه والبيهقي باسناد حسن عن عمرو بن حزم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من مؤمن يعزي أخاه بمصيبته الا كساه الله من حلل الكرامة يوم القيامة ﴿واعلم﴾ ان التعزية هي التصبير وذكر ما يسلي صاحب الميت ويخفف حزنه ويهون مصيبته وهي مستحبة فانها مشتملة على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهي أيضا داخلة في قوله تعالى وتعاونوا على البر والتقوى وهي من أحسن ما يستدل به في التعزية وثبت في الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه * واعلم أن التعزية مستحبة قبل الدفن وبعده وتكره بعد ثلاثة أيام لان التعزية لتسكين قلب المصاب والغالب سكونه بعد ثلاثة أيام فلا يجدد الحزن هكذا قال الجماهير من أصحاب الشافعي رضي الله تعالى عنه وقيل انها لا تفعل بعد ثلاثة أيام الا في صورتين وهما اذا كان المعزي أو صاحب المصيبة غائبا حال الدفن فاتفق رجوعه بعد الثلاثة وأما لفظ التعزية فلا حجر فيه فبأي لفظ عزاه حصلت واستحب أصحاب الشافعي أن يقول في تعزية المسلم بالمسلم عظم الله أجرك وأحسن عزاءك وغفر لميتك وفي المسلم بالكافر أعظم الله أجرك وأحسن عزاءك وفي الكافر

بالكافر أخلف الله عليك ولا نقص لك عددا وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم فقد بعض أصحابه فسأل عنه فقالوا يارسول الله بنيه الذى رأيته هلك فلقيه النبي صلى الله عليه وسلم فسأل عن بنيه فقال يارسول الله هلك فعزاه فيه ثم قال يافلان أيما كان أحب اليك أن تتمتع به عمرك أولا تأتى غدا بابا من أبواب الجنة الاوجدته وقد سبقك اليه فيفتحه لك فقال يارسول الله يسبقنى الى باب الجنة أحب الى من التمتع به فى دار الدنيا قال ذلك لك وروى البيهقى باسناده فى مناقب الشافعى رحمهما الله أن الشافعى قد بلغه أن عبد الرحمن بن مهدى مات له ابن فجزع عليه جزعا شديدا فبعث اليه الشافعى رحمه الله يقول يا أخى عز نفسك بما تعزى به غيرك واستقبح من نفسك ماتستقبحه من غيرك واعلم ان أمض المصائب فقد سرور وحرمان أجر فكيف اذا اجتمعا مع اكتساب وزر ألهمك الله عند المصائب صبرا وأجزل لنا ولك بالصبر أجرا وروى عن ابن المبارك قال مات لى ابن فمر بى مجوسى وقال ينبغى للعاقل أن يفعل اليوم مايفعله الجاهل بعد خمسة أيام فقال اكتبوها منه وعن معاذ بن جبل أنه قال مات لى ابن فكتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى معاذ بن جبل سلام عليكم فانى أحمد الله الذى لا اله الا هو أما بعد فعظم الله لك الأجر وألهمك الصبر ورزقنا واياك الشكر ثم اعلم ان أنفسنا وأموالنا وأهلنا وأولادنا من مواهب الله تعالى الهنيئة وعواريه المستودعة يمتعنا بها الى أجل معدود ويقبضها لوقت معلوم ثم فرض الله تعالى علينا الشكر اذا أعطى والصبر اذا ابتلى وكان ابنك من مواهب الله الهنيئة وعواريه المستودعة متعك الله به فى غبطة وسرور وقبضه بأجر كبير ان صبرت واحتسبت فاصبر واحتسب واعلم أن الجزع لا يرد ميتا ولا يطرد حزنا وروى أن ابا بكر رضى الله تعالى عنه كان اذا عزى امرأ قال ليس مع العزاء مصيبة ولا مع الجزع فائدة والموت أشد مما قبله وأهون مما بعده فاذكر مصيبتك برسول الله صلى الله عليه وسلم تهن عليك مصيبتك وعزى الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه صديقا له فقال

انا نعزيك لا أنا على ثقة * من الحياة ولكن سنة الدين

فما المعزى بباق بعد ميته * ولا المعزى ولو عاشا الى حين

وكتب بعضهم الى أخ له يعزيه أنت يا أخى أعزك الله عالم بالدنيا وما خلقت له من الفناء وانها لم تعط الا أخذت ولم تسر الا أحزنت وان الموت سبيل محتوم على الأولين والآخرين لا دافع عنه ولا مؤخر لما قضى الله عز وجل منه وانا لله وانا اليه راجعون * وعزى رجل بعض الخلفاء بابن له فكتب اليه يقول

تعز أمير المؤمنين فانه * لما قد ترى يغدو الصغير ويولد

هل الابن الا من سلالة آدم * لكل على حوض المنية مورد

وكتب بعضهم الى صديق له وقد ماتت ابنته فقال

الموت أخفى سوأة للبنات * ودفنها يروى من المكرمات

أما رأيت الله سبحانه * قد وضع النعش بجنب البنات

وكتب بعضهم الى صديق له يعزيه بأخيه ويسليه ما تصنع يا أخى والقضاء نازل والموت حكم شامل وان لم تلذ بالصبر فقد اعترضت على مالك الأمر وأنت تعلم أن نوائب الدهر لا تدفع الا بعزائم الصبر فاجعل بين هذه اللوعة الغالبة والدمعة الساكبة حاجبا من فضلك وحاجزا من عقلك ودافعا من دينك ومانعا من يقينك فان المحن اذا لم تعالج بالصبر كانت كالنعم اذا لم تقابل بالشكر فصبرا صبرا فحول الرجال لا تستفزها الأيام بخطوبها كما أن متون الجبال لا تهزها العواصف بهبوبها فعزيز على أن أخاطب مولاى معزيا وأكاتبه مسليا عن كبير أو صغير مما يتعلق بخدمته أو ينتمى الى جملته فكيف بالصنو الاكرم والذخر الاعظم والركن الاشد والسهم الاسد والشهاب الاسطع والحسام الاقطع لكن التعزية سير سائرة وسنة ماضية غابرة وقدر الله هو المقدر وأجل الله اذا جاء لا يؤخر ولو أن الذكرى تنفع والتعزية يستوى فيها الاشرف والاوضع لاجللت مولاى أن أفاتحه معزيا وأخاطبه مسليا ولكن بحمد الله العالم لا يعلم والسابق لا يتقدم فمولاى يقتدى فى الصبر على النوائب وبنوره يهتدى فى مشكلات المذاهب وكل ما كان من الرزء أوجع كان الاجر عليه أوسع جعل الله مولاى من الصابرين على المصيبة وأعظم أجره وجعل الجنة نصيبه * وعزى رجل فتى عن أبيه فلم يجده كما احب فقال يابنى سوء الخلف أضر علينا من فقد السلف * ومات

الا ابلغ لديك أبادلامة

فلست من الكرام ولا كرامة

جمعت دمامة وجمعت لوما

كذاك اللوم تتبعه الدمامه

اذا لبس العمامة قلت قرد

وخنزير اذا نزع العمامه

فضحك القوم ولم يبق منهم أحد الا أجازه (وكان) لاعرابى امرأتان فولدت احداهما جارية والاخرى غلاما فرقصته أمه يوما وقالت معيرة لضرتها

الحمد لله الحميد العالى

أنقذنى اليوم من الجوالى

من كل شوهاء كشن بالى

لا تدفع الضيم عن العيال

فسمعتها ضرتها فاقبلت ترقص ابنتها وتقول

وما على أن تكون جارية

تغسل رأسى وتكون الفاليه

وترفع الساقط من خماريه

حتى اذا ما بلغت ثمانيه

أزرتها بنقبة يمانيه

أنكحتها مروان أو معاويه

أصهار صدق ومهور غاليه

قال فسمعها مروان فتزوجها على مائة ألف مثقال وقال ان أمها حقيقة أن لا يكذب ظنها ولا يخان عهدها فقال معاوية لولا مروان سبقنا اليها الا ضعفنا لها المهر ولكن لا تحرم الصلة فبعث اليها بمائة ألف درهم (قيل) ان رجلا قال لولده وهو فى المكتب فى أى سورة أنت فقال لا أقسم بهذا البلد ووالد بلا ولد فقال لعمرى من كنت ولده فهو بلا ولد (وأرسل) رجل ولده يشترى له رشاء للبئر طوله عشرون ذراعا فوصل الى نصف الطريق ثم رجع فقال يا أبت عشرون ذراعا فى عرض كم قال فى عرض مصيبتى فيك يابنى (وكان لرجل من الاعراب ولد اسمه حمزة) فبينما هو يوما يمشى مع أبيه اذا برجل يصيح بشاب ياعبد الله

لبعض ملوك كندة ابنة فوضع بين يديه بدرة من المال وقال من بالغ في تعزيته فهي له فدخل عليه اعرابي وقال عظم الله أجر الملك كفيت المؤنة وسترت العورة ونعم الصهر القبر فقال قد أبلغت وأوجزت ثم دفعها له * وعزت اعرابية قوما فقالت جافى الله عن ميتكم الثرى وأعانه على طول البلى وآجركم ورحمه * وكان لعلى ابن الحسين جليس مات له ابن فجزع عليه جزعا شديدا فعزاه على بن الحسين رحمه الله ووعظه فقال يا ابن رسول الله ان ابنى كان مسرفا على نفسه فقال لا تجزع فان من ورائه ثلاث خلال أولهن شهادة أن لا اله الا الله وأن سيدنا محمدا رسول الله والثانية شفاعة جدى صلى الله عليه وسلم والثالثة رحمة الله التى وسعت كل شئ فأين يخرج ابنك عن واحدة من هذه الخلال وقال سليمان بن عبد الملك عند موت ابنه لعمر بن عبد العزيز ورجاء بن حيوة ان فى كبدى جمرة لا يطفئها الا عبره فقال عمر اذكر الله يا أمير المؤمنين وعليك بالصبر فنظر الى رجاء كالمستريح بمشورته فقال رجاء أفضها يا أمير المؤمنين فما بذلك من بأس لقد دمعت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم على ابنه ابراهيم وقال ان العين لتدمع وان القلب ليخشع ولا نقول ما يسخط الرب وانا بك يا ابراهيم لمحزونون فارسل سليمان عينيه حتى قضى أربه ثم أقبل عليهم وقال لولا نزفت هذه العبرة لانصدع كبدى ثم انه لم يبك بعدها * وكتب الاسكندر الى أمه قبل وفاته بقليل اذا وصل اليك كتابى هذا فاجمعى أهل بلدك وأعدى لهم طعاما ووكلى بالابواب من يمنع من أصابته مصيبة فى أم أو أب أو أخ أو أخت أو ولد ففعلت فلم يدخل اليها أحد فعلمت أن الاسكندر عزاها فى نفسه * ولما قتل الفضل بن سهل دخل المأمون على أمه يعزيها فيه فقال لها يا أماه لا تحزنى على الفضل فانا خلف منه فقالت كيف لا أحزن على ولد عوضنى عنه خليفة مثلك فعجب المأمون من جوابها وكان يقول ما سمعت قط أحسن منه ولا أجلب للقلوب فقال لها عليك بالصبر فان فيه مزيد الأجر * وممن جزع على ولده جعفر بن علبة لما قتله الحرث قام نساء الحى يبكون عليه وقام أبوه الى ولد كل شاة وناقة فذبحه وألقاها بين أيديها وقال لها ابكين معى على جعفر فما زالت النوق ترغو والشياه تيعر والنساء يصرخن ويبكين وهو يبكى معهن فلم ير مأتم كان أوجع منه * وقال يحيى بن خالد التعزية بعد ثلاثة أيام تجديد الحزن والتهنئة بعد سنة تجديد الفرح ﴿ومما قيل فى التأسى والتسلى بالخلف عن السلف﴾ قيل عزى بعض الشعراء يزيد بن معاوية فى ولده فقال

اصبر يزيد فقد فارقت ذا ثقة * واشكر الهك من بالملك حاباكا

لا رزء أصبح فى الايام نعرفه * كما رزئت ولا عقبى كعقباكا

(وقال آخر) لا بد من فقد ومن فاقد * هيهات ما فى الناس من خالد

(وقال آخر) تبصر فلو أن البكا رد الكا * على أحد فاكثر بكاك على عمر

وكتب بعضهم الى أولاد صديقه يعزيهم ويسليهم فى والدهم فقال

فلو كان فيض الدمع ينفع باكيا * لعلمت غرب الدمع كيف يسيل

فان غاب بدر فالنجوم طوالع * ثوابت لا يقضى لهن أفول

يغاث بها فى ظلمة الليل حائر * ويسرى عليها بالرفاق دليل

(ودخل) عبد الملك بن صالح على الرشيد وقد مات له ولد وولد له فى تلك الليلة ولد فقال سرك الله يا أمير المؤمنين فيما ساءك ولا ساءك فيما سرك وجمع لك بين أجر الصابر وثواب الشاكر وقال بعضهم

أليس لهذا صار آخر أمرنا * فلا كانت الدنيا القليل سرورها

فلا تعجبى يا نفس مما ترينه * فكل أمور الناس هذا مصيرها

وسئل الاصمعى عن قول الخنساء فى نعيها صخرا حين مات ونعته فقالت

يذكرنى طلوع الشمس صخرا * وأندبه لكل غروب شمس

فقالوا له لماذا انها خصت الشمس دون القمر والكواكب فقال لكونه كان يركب عند طلوع الشمس يشن الغارات وعند غروبها يجلس مع الضيفان فذكرته بهذا مدحا لانه كان يغير على أعدائه ويتقيد بضيفه وقد رثته بعد البيت الاول بأبيات منها

ألا يا نفس لا تنسيه حتى * أفارق عيشى وأزور رمسى * ولولا كثرة الباكين حولى

على

فلم يجبه ذلك الشاب فقال ألا تسمع فقال يا عم كلنا عبيد الله فأى عبد الله تعنى فالتفت أبو حمزة اليه وقال يا حمزة فقال حمزة ابن الاعرابى كلنا حامي الله فأى حمزة تعنى فقال أبوه أعنيك يا من أخمد الله بذكر أبيه ﴿ويعجبنى قول الصفدى﴾

لولا شفاعة شعره فى صبه
ما كان زار ولا أزال سقاما
لكن تنازل فى الشفاعة عنده
وغدا على أقدامه يترامى

(وقال ابن الصائغ)

ثنى غصنا ومد عليه فرعا
كحظى حين أطلب منه وصلا
وبلبله على الارداف منه
فلم أر مثل ذاك الفرع أصلا

(وقول الآخر)

بدت ثريا قرطها وشعرها
متصل بكعبها كالثرى
يا عجبا الشعرها لما ابتدى
من الثريا فانتهى الى الثرى

(وقول ابن نباتة)

ويعجبنى رشا يميس قوامه
فكأنه نشوان من شفتيه
شغف العذار بخده ورآه قد
نعست لواحظه فدب عليه

(وقوله أيضا مضمنا)

وضعت سلاح الصبر عنه فماله
يغازل بالالحاظ من لا يغازله
وسال عذار فوق خديه سائل
على خده فليتق الله سائله

(ولبعضهم فى ذم العذار)

غدا لما التحى ليلا بهيما
وكان كأنه قمر منير
وقد كتب السواد بعارضيه
ان يقرا وجاءكم النذير

(وللآخر)

مازال ينتف ريحانا بعارضه
حتى استطال عليه صار يحلقه
كأنما طور سينا فوق عارضه
طول الزمان فموسى لا يفارقه

على أمواتهم لقتلت نفسي * ومايكون مثل أخي ولكن * أسلي النفس عنه بالتأسي

(وقال آخر) ولولا الاسى ماعشت فى الناس ساعة * ولكن اذا ناديت جاوبني مثلي

(وقال آخر) وهون وجدى عن خليلى أننى * اذا شئت لاقيت الذى أنا صاحبه

(وقال آخر) ومما يؤديني الى الصبر والعزا * تردد فكرى فى عموم المصائب

﴿الفصل الثالث فى المراثى﴾ لما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم رثاه جماعة من أصحابه وآله بمراث كثيرة *منها ماروى عن أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه فانه كان أقرب الناس اليه وهو أول من رثاه فقال

لما رأيت نبينا متجندلا * ضاقت على بعرضهن الدور * فارتاع قلبي عند ذاك لموته

والعظم منى ماحييت كسير * أعتيق ويحك ان خلك قد ثوى * والصبر عندك مابقيت يسير

ياليتنى من قبل مهلك صاحبى * غيبت فى لحد عليه صخور

فلتحدثن بدائع من بعده * تعيا بهن جوانح وصدور

(وقال آخر)

فقدت أرضنا هناك نبيا * كان يغدو به النبات زكيا * خلقا عاليا ودينا كريما

وصراطا يهدى الانام سويا * وسراجا يجلو الظلام منيرا * ونبيا مؤيدا عربيا

حازما عالما حليما كريما * عائدا بالنوال برا تقيا * ان يوما أتى عليك ليوم

كورت شمسه وكان خليا * فعليك السلام مناجيما * دائم الدهر بكرة وعشيا

ورثاه صلى الله عليه وسلم أبو سفيان بن الحرث فقال

أرقت فبات ليلى لايزول * وليل أخى المصيبة فيه طول * وأسعدنى البكاء وذاك فيما

أصيب المسلمون به قليل * لقد عظمت مصيبتنا وجلت * عشية قيل قد قبض الرسول

وأضحت أرضنا مما عراها * تكاد بنا جوانبها تميل * فقدنا الوحى والتنزيل فينا

يروح به و يغدو جبرئيل * وذاك أحق ماسالت عليه * نفوس الناس أو كادت تسيل

نبي كان يجلو الشك عنا * بما يوحى اليه ومايقول * ويهدينا فلانخشى ملاما

علينا والرسول لنا دليل * أفاطم ان جزعت فذاك عذر * وان لم تجزعى فهو السبيل

فقبر أبيك سيد كل قبر * وفيه سيد الناس الرسول

ولما مات) أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه رثاه عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه بهذه الابيات حين رجع من دفنه فقال ذهب الذين أحبهم * فعليك يادنيا السلام

لاتذكرن العيش لى * فالعيش بعدهم حرام انى رضيع وصالهم * والطفل يؤلمه الفطام

ورثى بعضهم محمد بن يحيى بعد موته فقال

سألت الندى والجود مالى أراكما * تبدلتما عزا بذل مؤبد * ومابال ركن المجد أمسى مهدما

فقالا أصبنا بابن يحيى محمد * فقلت فهلا متما بعد موته * وقد كنتما عبديه فى كل مشهد

فقالا أقمنا كى نعزى بفقده * مسافة يوم ثم نتلوه فى غد

(وقال آخر) ولا أرتجى فى الموت بعدك طائلا * ولا أتقى للدهر بعدك من خطب

﴿وفى المعنى لبعضهم﴾

لقد آمنت نفسى المصائب بعده * فأصبحت منها آمنا ان أروعا

فما أتقى للدهر بعدك نكبة * ولا أرتجى للعيش بعدك مرتعا

ورثى أشجع السلمى عبد الله بن سعيد فقال

مضى ابن سعيد حيث لم يبق مشرق * ولامغرب الا له فيه مادح * وما كنت أدرى مافواضل كفه

على الناس حتى غيبته الصفائح * وأصبح فى لحد من الارض ميتا * وكانت به حيا تضيق الصحاصح

سأبكيك مافاضت دموعى فان تغض * فحسبك منى ماتكن الجوانح * وما أنا من رزء وان جل جازع

ولا بسرور بعد فقدك فارح * لئن حسنت فيك المراثى بذكرها * فقد حسنت من قبل فيك المدائح

(برهان الدين القيراطى)

شبه السيف والسنان بعينى
من لقتلى بين الانام استحلا
فأبى السيف والسنان وقالا
حدنا دون ذاك حاشا وكلا

﴿ابن الصائغ﴾

لمثلى من لواحظها سهام
لها فى القلب فتك أى فتك
اذا رامت تشك به فؤادا
يموت المستهام بغير شك

(الصلاح الصفدى)

ياعاذلا لى على عين محجبة
خف سحر ناظرها فالسحر فيه خفى
وخذ فؤادى ودعه نصب مقلتها
لاترم نفسك بين السهم والهدف

(آخر)

أنفقت كنز مدامعى فى ثغره
وجمعت فيه كل معنى شارد
وطلبت منه جزاء ذلك قبلة
فمضى وراح تغزلى فى البارد

(عز الدين الموصلى)

كالزرد المنظوم أصداغه
وخده كالورد لما ورد
بالغت فى اللثم وقبلته
فى الخد تقبيلا يفك الزرد

(ابن نباتة)

انسية فى مثال الجن تحسبها
شمسا بدت بين تشريق وتغميم
شقت لها الشمس ثوبا من محاسنها
فالوجه للشمس والعينان للريم

(آخر)

بصدرها كوكبا در كأنهما
ركنان لم يدن شاء من لمس مستلم
صانتهما بستور من غلائلها
فالناس فى الحل والركنان فى الحرم

(الصلاح الصفدى)

تقول له الاغصان مذ هز عطفه
أتزعم ان اللين عندك ماقوى
فقم نحتكم للروض عند نسيمه
ليقضى على من مال منا الى الهوى

(وكانه ينظر الى قول السراج)

(وقال آخر) الى الله أشكو لا الى الناس انني * أرى الارض تبقى والاخلاء تذهب
أخلاى لو غير الحمام أصابكم * عتبت ولكن ما على الدهر معتب

﴿وقال عباس بن الاحنف﴾

اذا ما دعوت الصبر بعدك والبكا * أجاب البكا طوعا ولم يجب الصبر
فان ينقطع منك الرجاء فانه * سيبقى عليك الحزن ما بقي الدهر

﴿وقال آخر يرثى صديقه﴾

خليلى ما أزداد الا صبابة * اليك وما تزداد الا تنائيا * خليلى لو نفس فدت نفس ميت
فديتك مسرورا بنفسى وماليا * وقد كنت أرجو ان تعيش وان أمت * فحال قضاء الله دون رجائيا
ألا فليمت من شاء بعدك انما * عليك من الاقدار كان حذاريا

(أخذها بعضهم فقال) كنت السواد لمقلتى * يبكى عليك الناظر
من شاء بعدك فليمت * فعليك كنت أحاذر

﴿وقال آخر يرثى بعض أولاده﴾

وقاسمنى دهرى بنى مشاطرا * فلما تقضى شطره عاد فى شطرى * ألا ليت أمى لم تلدنى وليتنى
سبقتك اذ كنا الى غاية نجرى * وقد كنت ذا ناب وظفر على العدا * فأصبحت لا يخشون نابى ولا ظفرى

وقال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه للخنساء أخبرينى بأفضل بيت قلتيه فى أخيك فقالت

وكنت أعير الدمع قبلك من بكى * فأنت على من مات بعدك شاغله

ولابى المحاسن الشواء فى صديق له مات وسقط الثلج عقيب موته

لم أنسه و بنو الملوك أمامه * يدمون للاسف الاكف عضاضا
والثلج قد غطى الربا فكأنها * من حزنها لبست عليه بياضا

(وقال آخر) وليس صرير النعش ما تسمعونه * ولكنه أصلاب قوم تقصفوا
وليس نسيم المسك ريا حنوطه * ولكنه ذاك الثناء المخلف

﴿وقال مقاتل بن عطية يرثى الوزير نظام الملك﴾

كان الوزير نظام الملك لؤلؤة * يتيمة صاغها الرحمن من شرف
عزت ولم تعرف الايام قيمتها * فردها غيرة منه الى الصدف

(وقال آخر) وقبرت وجهك وانصرفت مودعا * بأبى وأمى وجهك المقبور
وأرى ديارك بعد وجهك قفرة * والقبر منك مشيد معمور * فالناس كلهم لفقدك واحد
فى كل بيت رنة وزفير * عجبا لاربع أذرع فى خمسة * فى جوفها جبل أشم كبير

وكان رجل توفى ولده فى يوم عيد فقال

لبس الرجال جديدهم فى عيدهم * ولبست حزن أبى الحسين جديدا * أيسرنى عيد ولم أر وجهه
فيه ألا بعدا لذلك عيدا * فارقته و بقيت أخلد بعده * لا كان ذاك بقا ولا تخليدا
من لم يمت جزعا لفقد حبيبه * فهو الخؤون مودة وعهودا * مت مع حبيبك ان قدرت ولا تعش
من بعده ذا لوعة مكمودا * ما أم خشف قد ملا أحشاءها * حذرا عليه وجفنها تسهيدا
ان نام لم تهجع وطافت حوله * فيبيت مكلوأ بها مرصودا * منى بأوجع اذ رأيت نواعشا
لابى الحسين وقد لطمن خدودا * ولقد عدمت أبا الحسين جلادتى * لما رأيت جمالك المفقودا
كنت الجليد على الرزايا كلها * وعلى فراقك لم أجد تجليدا * ولئن بقيت وما هلكت فان لى
أجلا وان لم أحصه معدودا * لا موت لى الا اذا الاجل انقضى * فهناك لا أتجاوز المحدودا
حزنى عليك بقدر حبك لا أرى * يوما على هذا وذاك مزيدا * ماهدركنى بالسنين وانما
أصبحت بعدك بالاسى مهدودا * ياليت انى لم أكن لك والدا * وكذاك أنت لم تكن مولودا
فلقد شقيت ورب عاشق الفتى * بفراق من يهوى وكان سعيدا * من ذم جفنا باخلا بدموعه

ومهفهف عنى يميل ولم يمل
يوما الى فقلت من ألم الجوى
لم لا تميل الى يا غصن النقى
فأجاب كيف وأنت من جهة الهوى

(أراد ملك الروم) أن يباهى أهل الاسلام فبعث الى معاوية برجلين أحدهما طويل والثانى قصير شديد القوة فدعا للطويل بقيس بن سعد بن عبادة فنزع قيس سراويله ورمى بها اليه فلبسها الطويل فبلغت ثدييه فلاموا قيسا على نزع السراويل فقال

أردت لكيما يعلم الناس أنها
سراويل قيس والوفود شهود
وكيلا يقولوا غاب قيس وهذه
سراويل عاد أحرزتها ثمود
وانى من القوم اليمانين سيد
وما الناس الا سيد ومسود

ثم دعا معاوية للرجل الشديد القوة بمحمد بن الحنفية فخيره بين أن يقعد فيقيمه أو يقوم فيقعده فغلبه فى الحالتين وانصرفا مغلوبين (وحكى الجاحظ) ما أخجلنى قط الا امرأة مرت بى الى صائغ فقالت له اعمل مثل هذا فبقيت مبهوتا ثم سألت الصائغ فقال هذه امرأة أرادت أن أعمل لها صورة شيطان فقلت لا أدرى كيف أصوره فأتت بك الى لاصوره على صورتك * وفى الجاحظ يقول بعضهم

لو يمسخ الخنزير مسخا ثانيا
ما كان الا دون قبح الجاحظ
رجل ينوب عن الجحيم بوجهه
وهو القذى فى عين كل ملاحظ
ولو ان مرآة جلت تمثاله
ورآه كان له كأعظم واعظ

(قيل) انه قدم تاجر الى المدينة بحمل من خمر العراق فباع الجميع الا السود فشكا الى الدارمى وقد تنسك وتعبد فعمل بيتين وأمر من يغنى بهما فى المدينة وهما

فعليك جفني لم يزل محمودا * فلأنظمن مراثيا مشهورة * تنسى الأنام كثيرا وابيدا
وجميع من نظم القريض مفارق * والداه أوصاحبا مفقودا

وقال الفقيه منصور بن اسمعيل المصري

سألت رسوم القبر عمن ثوى به * لأعلم مالاقى فقالت جوانبه
أتسأل عمن عاش بعد وفاته * باحبابه اخوانه وأقاربه

وقال الامام السبكي رحمه الله تعالى يرثي فضل الله العالم

مصاب ليس يشبهه مصاب * لذي الألباب اذ فقد الشهاب * امام قد حوى من كل علم
كنوزا نحوها يسعى الركاب * ليبكي كل ذي علم عليه * فكم علم له ضم التراب
وكم كاتم موانع قد أتته * ثناها وهي عاصية صعاب * فسلطان البلاغ بغير شك
شهاب الدين ما فيه ارتياب * سقى الله الكريم ثراه صوبا * له من كل رضوان رضاب

(وقال الصدفي) يا غائبا في الثرى تبلى محاسنه * الله يوليك غفرانا واحسانا
ان كنت جرعت كأس الموت واحدة * في كل يوم أذوق الموت ألوانا

(وقال محمد بن عبد الله العتبي يرثي ابناله)

أضحت بخدي للدموع رسوم * أسفا عليك وفي الفؤاد كلوم
والصبر يحمد في المواطن كلها * الا عليك فانه مذموم

وكتب أحمد بن يوسف الى عمر بن سعيد يرثي بنتاله فقال

عجبا للمنون كيف أتتها * وتخطت عبد الحميد أخاكا
شملتنا مصيبتان جميعا * فقدنا هذه ورؤية ذاكا

(وله يرثي الامير بليغا) ألا انما الدنيا غرور وباطل * فطوبى لمن كفاه منها تفرغا
وما عجبي الا لمن بات واثقا * بأيام دهر ما وهي حتى بليغا

وقال آخر) الى الله أشكو أن كل قبيلة * من الناس قد أفنى الحمام خيارها

وقال رجل يرثي صديقاله توفي وكان من الكرماء)

ما درى نعشه ولا حاملوه * ما على النعش من عفاف وجود

(ولبعض الكتاب في ابن مقلة) استشعر الكتاب فقدك سالفا * وقضت بصحة ذلك الايام
فلذاك سودت الدواة كآبة * أسفا عليك وشقت الاقلام

وقال الحسن بن مطير الاسدي يرثي معن بن زائدة رحمه الله تعالى

ألما الى معن وقولا لقبره * سقتك الغوادي مربعا ثم مربعا * فيا قبر معن كنت أول حفرة
من الارض خطت للسماحة مضجعا * ويا قبر معن كيف واريت جوده * وقد كان منه البر والبحر مترعا
بلى قد وسعت الجود والجود ميت * ولو كان حيا ضقت حتى تصدعا * فتى عاش في معروفه بعد موته
أناس لهم بالبر قد كان أوسعا * ولما مضى معن مضى الجود كله * وأصبح عرنين المكارم أجدعا

(وقال آخر) عجبت لصبري بعده وهو ميت * وقد كنت أبكيه دما وهو غائب

(وقال آخر) فديتك لم أصبر ولي فيك حيلة * ولكن دعاني اليأس منك الى الصبر

(وقالت ريطة بنت عاصم)

وقفت فأبكتني ديار عشيرتي * على رزئهن الباكيات الحواسر * غدوا كسيوف الهند وردادحومة
من الموت أعيا وردهن المصادر * فوارس حاموا عن حريمي وحافظوا * بدار المنايا والقنا متشاجر
ولو أن سلمى نالها مثل رزئنا * لهدت ولكن تحمل الرزء عامر

ولما قتل ابراهيم بن عبد الله بن الحسين وحمل رأسه الى المنصور أنفذها المنصور مع الربيع الى عمه ادريس ومحمد
وكانا في حبسه وكان أبوه قائما يصلي فقال له محمد أوجز أو حز وسلم فلما أتاه وضع الرأس في حجره فقال أهلا وسهلا
يا أبا القاسم تالله لقد كنت من الناس الذين قال الله تعالى في حقهم الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق

قل للمليحة في الخمار الأسود
ماذا فعلت بزاهد متعبد
قد كان شمر للعبادة ذيله
حتى وقفت له بباب المسجد
فشاع الخبر في المدينة ان الدارمي
رجع عن زهده وتعشق صاحبة
الخمار الاسود فلم تبق في المدينة
مليحة الا اشترت لها خمارا أسود
فلما أنفذ التاجر ما كان معه رجع
الدارمي الى تعبده وعمد الى ثياب
نسكه فلبسها (ومر) رجل أشمط
بامرأة عجيبة في الجمال فقال ياهذه
ان كان لك زوج فبارك الله لك فيه
والا فأعلمينا فقالت كأنك تخطبني
قال نعم فقالت ان في عيبا قال وما
هو قالت شيب في رأسي فثنى عنان
دابته فقالت على رسلك فوالله
ما بلغت عشرين سنة ولكنني
أحببت أن أعلمك اني أكره منك
مثل ما تكره مني (وقال عبد الله
الماجشون) وهو من فقهاء المدينة
قال لي المهدي يوما يا ماجشون
ما قلت حين فارقت أحبابك قال
قلت يا أمير المؤمنين
لله باك على أحبابه جزعا
قد كنت أحذر هذا قبل أن يقعا
ما كان والله شؤم الدهر يتركني
حتى يجرعني من بعدهم جزعا
ان الزمان رأى ألف السرور لنا
فدب بالبين فيما بيننا وسعى
فليصنع الدهر بي ما شاء مجتهدا
فلا زيادة شيء فوق ما صنعا
فقال والله لاغنينك فأعطاه عشرة
آلاف دينار (وحكى بعضهم) قال
دخلنا الى دير هرقل فنظرنا الى
مجنون في شباك وهو ينشد شعرا
فقلنا له أحسنت فأومأ بيده الى حجر
يرمينا به وقال المثلي يقال أحسنت
ففررنا منه فقال أقسمت عليكم
الا ما رجعتم حتى أنشدكم فان أنا
أحسنت فقولوا أحسنت وان أنا
أسأت فقولوا أسأت فرجعنا اليه

ثم قبله بين عينيه وأنشأ يقول

فتى كان يحميه من العار سيفه * ويكفيه سوآت الأمور اجتنابها

ثم قال للربيع قل لصاحبك المنصور قد مضى من بؤسنا أيام ومن نعمتك أيام والملتقى غدا بين يدى الله تعالى فكان ذلك فألا على المنصور ولم ير بعد ذلك اليوم راحة * وقيل لحسان ما بالك لم ترث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لم أر شيأ الا رأيته يقصر عنه والله أعلم بالصواب واليه المرجع والمآب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

* الباب الثالث والثمانون فى ذكر الدنيا وأحوالها وتقلبها بأهلها والزهد فيها *

قال الله تعالى قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى فوصف سبحانه وتعالى جميع الدنيا بانها متاع قليل وأنت أيها الانسان تعلم أنك ما أوتيت من القليل الا قليلا ثم ان القليل ان تمتعت به فهو لعب ولهو لقوله تعالى انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وقال تعالى وان الدار الآخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون فلا تبع أيها العاقل حياة قليلة تفنى بحياة كثيرة تبقى كما قال ابن عياض لو كانت الدنيا ذهبا يفنى والآخرة خزفا يبقى لوجب علينا ان نختار ما يبقى على ما يفنى ثم تأمل بعقلك هل آتاك الله من الدنيا مثل ما أوتى سليمان عليه الصلاة والسلام حيث ملكه الله تعالى جميع الدنيا من انس وجن وسخر له الريح والطير والوحوش ثم زاده الله تعالى أحسن منها حيث قال هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب فوالله ما عدها نعمة مثل ما عددتموها ولا حسبها رفعة مثل ما حسبتموها بل خاف أن يكون استدراجا من حيث لا يعلم فقال هذا من فضل ربى ليبلونى أأشكر أم أكفر وهذا فصل الخطاب لمن تدبر هذا وقد قال لك ولجميع أهل الدنيا فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون وقال تعالى وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أريك الدنيا جميعها بما فيها قلت بلى يا رسول الله فأخذ بيدى وأتى الى واد من أودية المدينة فاذا مزبلة فيها رؤس الناس وعذرات وخرق بالية وعظام البهائم فقال يا أبا هريرة هذه الرؤس كانت تحرص حرصكم وتأمل آمالكم وهى اليوم صارت عظاما بلا جلد ثم هى صائرة عظاما رميما وهذه العذرات ألوان أطعمتهم اكتسبوها من حيث اكتسبتموها فى الدنيا فأصبحت والناس يتحامونها وهذه الخرق البالية رياشهم أصبحت والرياح تصفقها وهذه العظام عظام دوابهم التى كانوا ينتجعون عليها أطراف البلاد فمن كان باكيا على الدنيا فليبك قال فما برحنا حتى اشتد بكاؤنا وروى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه دخل على النبى صلى الله عليه وسلم وهو على سرير من الليف وقد أثر الشريط فى جنبه فبكى عمر رضى الله تعالى عنه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يبكيك يا عمر فقال تذكرت كسرى وقيصر وما كانا فيه من سعة الدنيا وأنت رسول الله وقد أثر الشريط بجنبيك فقال صلى الله عليه وسلم هؤلاء قوم عجلت لهم طيباتهم فى حياتهم الدنيا ونحن قوم أخرت لنا طيباتنا فى الآخرة وروى عن الضحاك قال لما أهبط الله آدم وحواء الى الأرض ووجدا ريح الدنيا وفقدا ريح الجنة غشى عليهما أربعين يوما من نتن الدنيا وعن ابن معاذ قال الحكمة تهوى من السماء الى القلوب فلا تسكن فى قلب فيه أربع خصال ركون الى الدنيا وهم غد وحسد أخ وحب شرف وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال لعلى يا على أربع خصال من الشقاء جمود العين وقسوة القلب وبعد الأمل وحب الدنيا وروى ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال يؤتى بالدنيا يوم القيامة على صورة عجوز شمطاء زرقاء العينين أنيابها بادية مشوهة الخلق لا يراها أحد الا هرب منها فتشرف على الخلائق أجمعين فيقال لهم أتعرفون هذه فيقولون لا نعوذ بالله من معرفة هذه فيقال هذه الدنيا التى تفاخرتم بها وتقاتلتم عليها وعن الفضيل بن عياض أنه قال جعل الخير كله فى بيت واحد وجعل مفتاحه الزهد فى الدنيا وجعل الشر كله فى بيت واحد وجعل مفتاحه حب الدنيا وقيل ان الدنيا مثل ظل الانسان ان طلبته فر وان تركته تبعك وفيه قال بعضهم

انما الرزق الذى تطلبه * يشبه الظل الذى يمشى معك

أنت لا تدركه متبعا * وهو ان وليت عنه تبعك

* وقد شبهها بعضهم بخيال الظل فقال *

فأنشد يقول

لما أناخوا قبيل الصبح عيسهم

وحملوها وسارت بالدمى الابل

وقلبت بخلال السجف ناظرها

ترنو الى ودمع العين ينهمل

وودعت ببنان زانها عنم

ناديت لا حملت رجلاك يا جمل

يا حادى العيس عرج كى أودعهم

يا حادى العيس فى ترحالك الأجل

انى على العهد لم أنقض مودتهم

يا ليت شعرى لطول البعد ما فعلوا

فقلنا له ماتوا فقال وأنا والله أموت ثم شهق شهقة فاذا هو ميت (قيل) لما وفد المهدى من الرى الى العراق امتدحه الشعراء فقال أبو دلامة

انى نذرت لئن رأيتك قادما

أرض العراق وأنت ذو وفر

لتصلين على النبى محمد

ولتملأن دراهما حجرى

فقال المهدى صلى الله على محمد فقال أبو دلامة ما أسرعك للاولى وأبطأك عن الثانية فضحك وأمر ببدرة فصبت فى حجره (وتزوج) مغن بناضحة فسمعها تقول اللهم أوسع لنا فى الرزق فقال لها يا هذه انما الدنيا فرح وحزن وقد أخذنا بطرفى ذلك فان كان فرح دعونى وان كان حزن دعولة (وكان عروة بن الزبير صبورا حين يبتلى) حكى أنه خرج الى الوليد بن يزيد فوطئ عظما فما بلغ دمشق حتى بلغ به كل مذهب فجمع له الوليد الاطباء فاجمع رأيهم على قطع رجله فقالوا له اشرب مرقدا فقال ما أحب أن أغفل عن ذكر الله تعالى فاحمى له المنشار وقطعت رجله فقال ضعوها بين يدى ولم يتوجع ثم قال لئن كنت ابتليت فى عضو فقد عوفيت فى أعضاء فبينما هو كذلك اذ أتاه خبر ولده انه اطلع من سطح على دواب الوليد فسقط بينها فمات فقال الحمد لله على كل حال لئن

رأيت خيال الظل أعظم عبرة * لمن كان في علم الحقائق راقي * شخوصا وأصواتا يخالف بعضها
لبعض واشكالا بغير وفاق * تجيء وتقضي بابة بعد بابة * وتفنى جميعا والمحرك باقي

(وما أحسن ما قال سليمان بن الضحاك)

ما أنعم الله على عبده * بنعمة أوفى من العافيه * وكل من عوفي في جسمه
فانه في عيشة راضيه * والمال حلو حسن جيد * على الفتى لكنه عاريه
ما أحسن الدنيا ولكنها * مع حسنها غدارة فانيه

وتوفي رجل من كندة فكتب على قبره هذه الأبيات

ياواقفين ألم تكونوا تعلموا * ان الحمام بكم علينا قادم * لو تنزلون بشعبنا لعرفتم
أن المفرط في التزود نادم * لا تستعزوا بالحياة فانكم * تبنون والموت المفرق هادم
ساوى الردى ما بيننا في حفرة * حيث المخدم واحد والخادم

(وقال آخر) عن قليل أصير كوم تراب * وتقول الرفاق هذا فلان
صار تحت التراب عظما رميما * وجفاه الأصحاب والخلان

(وما أحسن ما قال عبد الله بن طاهر)

أليس الى ذا صار آخر أمرنا * فلا كانت الدنيا القليل سرورها
فلا تعجبي يا نفس مما تريته * فكل أمور الناس هذا مصيرها

(وقال شرف الدين بن أسد)

يامن تملك ملكا لا بقاء له * حملت نفسك آثاما وأوزارا
هل الحياة بذي الدنيا وان عذبت * الا كطيف خيال في الكرى زارا

(وقال بعضهم) وغاية هذي الدار لذة ساعة * ويعقبها الأحزان والهم والندم
وهاتيك دار الأمن والعز والتقى * ورحمة رب الناس والجود والكرم

(وقال غيره) حسنت ظنك بالأيام اذ حسنت * ولم تخف سوء ما يأتي به القدر
وسالمتك الليالي فاغتررت بها * وعند صفو الليالي يحدث الكدر

(وقال آخر) فان كنت لا تدري متى الموت فاعلمن * بأنك لا تبقى الى آخر الدهر

ابن آدم أين الأولون والآخرون أين نوح شيخ المرسلين أين ادريس رفيع رب العالمين أين ابراهيم خليل الرحمن أين موسى الكليم من بين سائر النبيين أين عيسى روح الله وكلمته رأس الزاهدين وامام السائحين أين محمد خاتم النبيين أين أصحابه الأبرار أين الأمم الماضية أين الملوك السالفة أين القرون الخالية أين الذين نصبت على مفارقهم التيجان أين الذين قهروا الأبطال والشجعان أين الذين دانت لهم المشارق والمغارب أين الذين تمتعوا باللذات والمشارب أين الذين تاهوا على الخلائق كبرا وعتيا أين الذين راحوا في الحلل بكرة وعشيا أين الذين اغتروا بالاجناد أين أصحاب الوزراء والقواد أين أصحاب السطوة والأعوان أين أصحاب الامرة والسلطان أين أصحاب الأعمال والولايات أين الذين خفقت على رؤسهم الألوية والرايات أين الذين قادوا الجيوش والعساكر أين الذين عمروا القصور والدساكر أين الذين أعطوا النصر في مواطن الحروب والمواقف أين الذين أمنوا بسطوتهم كل خائف أين الذين ملؤا ما بين الخافقين فخرا وعزا أين الذين فرشوا القصور حريرا وقزا أين الذين تضعضعت لهم الأرض هيبة وعزا هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا أفناهم مفني الأمم وأبادهم مبيد الرمم وأخرجهم من سعة القصور الى ضيق القبور تحت الجنادل والصخور فأصبحوا لا ترى الا مساكنهم لم ينفعهم ما جمعوا ولا أغنى عنهم ما اكتسبوا أسلمهم الأحباء والأولياء وهجرهم الاخوان والأصفياء ونسيهم الأقرباء والبعداء لو نطقوا لأنشدوا

مقيم بالحجون رهين رمس * وأهلي راحلون بكل واد
كأني لم أكن لهمو حبيبا * ولا كانوا الأحبة في السواد
فعوجوا بالسلام فان أبيتم * فأوموا بالسلام على البعاد

أخذت واحدا فقد أبقيت جماعة

(وقدم) على الوليد وفد من عبس فيهم شيخ ضرير فسأله عن حاله وسبب ذهاب بصره فقال خرجت مع رفقة مسافرين ومعي مالي وعيالي ولا أعلم عبسيا يزيد ماله على مالي فعرسنا في بطن واد فطرقنا سيل فذهب ما كان لي من أهل ومال وولد غير صبي صغير وبعير فشرد البعير فوضعت الصغير على الأرض ومضيت لآخذ البعير فسمعت صيحة الصغير فرجعت اليه فاذا رأس الذئب في بطنه وهو يأكل فيه فرجعت الى البعير فحطم وجهي برجليه فذهبت عيناي فأصبحت بلا عينين ولا ولد ولا مال ولا أهل فقال الوليد اذهبوا به الى عروة ليعلم ان في الدنيا من هو أعظم مصيبة منه (ومما نقلته) ما حكي عن مسلم ابن الوليد انه قال كنت يوما جالسا عند خباء لي بازاء منزلي فمر بي انسان أعرفه فقمت اليه وسلمت عليه وجئت به الى منزلي لأضيفه وليس معي دراهم بل كان عندي زوج أخفاف فأرسلتهما مع جاريتي لبعض معارفي فباعهما بتسعة دراهم واشترى بها ما قلته لها من الخبز واللحم فجلسنا نأكل واذا بالباب يطرق فنظرت من شق الباب واذا بانسان يسأل هذا منزل فلان ففتحت الباب وخرجت فقال أنت مسلم بن الوليد قلت نعم واستشهدت له بالضيف على ذلك فأخرج لي كتابا وقال هذا من الأمير يزيد بن مزيد فاذا فيه قد بعثنا لك بعشرة آلاف درهم لتكون في منزلك وثلاثة آلاف درهم تتجمل بها القدومك علينا فأدخلته الى داري وزدت في الطعام واشتريت فاكهة وجلسنا فأكلنا ثم وهبت لضيفي شيأ يشتري به هدية لأهله وتوجهنا الى باب يزيد

وقالوا الآخر فيما يزول ولا غنى فيما لا يبقى وهل الدنيا الا كما قال بعض الحكماء المتقدمين قدر يغلى وكنيف يملى وفي هذا المعنى قال الشاعر

واقد سألت الدار عن أخبارهم * فتبسمت عجبا ولم تبدى
حتى مررت على الكنيف فقال لى * أموالهم ونوالهم عندى

ولقد أصاب ابن السماك حيث قال للرشيد لما قال له عظنى وكان بيده شربة ماء فقال له يا أمير المؤمنين لو حبست عنك هذه الشربة أكنت تفديها بملكك قال نعم قال يا أمير المؤمنين لو شربتها وحبست عن الخروج أكنت تفديها بملكك قال نعم فقال له لا خير فى ملك لا يساوى شربة ولا بولة وقال ابن شبرمة اذا كان البدن سقيما لم ينفعه الطعام واذا كان القلب مغرما لم تنفعه الموعظة له وروى أن أبا العتاهية مر بدكان وراق واذا بكتاب فيه

لا ترجع النفس عن غيها * ما لم يكن منها لها زاجر

فقال لمن هذا البيت فقيل لأبى نواس قاله للخليفة هرون حين نهاه عن حب الجمال وعشق الملاح فقال وددت أنه لى بنصف شعرى (وممن) استبصر من أبناء الملوك فرأى عيب الدنيا وتقضيها وزوالها ابراهيم بن أدهم بن منصور وكان من أبناء ملوك خراسان من كورة بلخ لما زهد الدنيا زهد فى ثمانين سريرا قال ابن بشار سألت ابراهيم بن أدهم كيف كان بدء أمرك حتى صرت الى هذا فقال كان أبى من ملوك خراسان وكان قد حبب الى الصيد فبينما أنا راكب فرسى وكلبى معى اذ رأيت ثعلبا أو أرنبا فحركت فرسى نحوه فسمعت نداء من ورائى يا ابراهيم ما لهذا خلقت ولا بهذا أمرت فوقفت أنظر يمنة ويسرة فلم أر شيأ فقلت لعن الله الشيطان ثم حركت فرسى فسمعت نداء أعلى من الأول يا ابراهيم ما لهذا خلقت ولا بهذا أمرت فوقفت أنظر يمنة ويسرة فلم أر شيأ فقلت لعن الله الشيطان ثم حركت فرسى فسمعت النداء من قربوس سرجى يا ابراهيم ما لهذا خلقت ولا بهذا أمرت فوقفت وقلت هيهات جاءنى النذير من رب العالمين والله لا عصيت ربى ما عصمنى بعد يومى هذا فتوجهت الى أهلى وخلفت فرسى وجئت الى بعض رعاة أبى فأخذت جبته وكساءه وألقيت اليه ثيابى فلم أزل أرض تقلنى وأرض تضعنى حتى صرت الى العراق فعملت بها أياما فلم يصف لى شئ من الحلال فسألت بعض المشايخ عن الحلال فقال عليك بالشام قال فانصرفت الى بلد يقال لها المنصورية فعملت بها أياما فلم يصف لى شئ من الحلال فسألت بعض المشايخ فقال ان أردت الحلال فعليك بطرسوس فان المباحات بها والعمل فيها كثير فانصرفت اليها قال فبينما أنا قاعد على باب البحر اذ جاءنى رجل فاكترانى أنظر له بستانا فتوجهت معه فأقمت فى البستان أياما كثيرة فاذا بخادم له قد أقبل ومعه أصحاب له ولو علمت ان البستان لخادم ما نظرته فقعد فى مجلسه ثم قال يا ناطورنا فجئته قال اذهب فأتنا بأكبر رمان تقدر عليه وأطيبه فأتيته برمان فكسر الخادم واحدة فوجدها حامضة فقال يا ناطورنا أنت منذ كذا وكذا فى بستاننا تأكل من فاكهتنا ورماننا ولا تعرف الحلو من الحامض فقلت والله ما أكلت من فاكهتكم شيأ ولا أعرف الحلو من الحامض قال فغمز الخادم أصحابه وقال ألا تعجبون من هذا ثم قال لو كنت ابراهيم بن أدهم ما كنت بهذه الصفة قال ثم تحدث الناس بذلك وجاؤا الى البستان فلما رأيت كثرة الناس اختفيت والناس داخلون وأنا هارب منهم وكان يأكل من كسب يده وكان يحصد ويحفظ البساتين ويعمل فى الطين فبينما هو يوما يحرس كرما اذ مر به جندى فقال اعطنا من هذا العنب فقال له ان صاحبه لم يأذن لى فضربه بالسوط فطأطأ رأسه وقال اضرب رأسا طالما عصى الله يا سيدى الجندى فاستحى الرجل وتركه ومضى *وروى ان داود عليه الصلاة والسلام بينما هو يسيح فى الجبال اذ مر على غار فيه رجل عظيم الخلقة من بنى آدم ملقى على ظهره وعند رأسه حجر محفور مكتوب فيه أنا دوسم الملك ملكت ألف عام وفتحت ألف مدينة وهزمت ألف جيش وافتضيت ألف بكر من بنات الملوك ثم صرت الى ما ترى التراب فراشى والحجر وسادى فمن رآنى فلا تغره الدنيا كما غرتنى *وقال وهب بن منبه خرج عيسى عليه الصلاة والسلام ذات يوم مع أصحابه فلما ارتفع النهار مروا بزرع قد أفرك فقالوا يا نبى الله انا جياع فأوحى الله تعالى اليه أن ائذن لهم فى قوتهم فأذن لهم فتفرقوا فى الزرع يفركون ويأكلون فبينما هم كذلك اذ جاء صاحب الزرع يقول زرعى وأرضى ورثتها من أبى وجدى فبأذن من تأكلون يا هؤلاء قال فدعا عيسى ربه أن يبعث جميع من ملكها من لدن آدم الى تلك الساعة فاذا عند كل سنبلة ما شاء الله من رجل وامرأة يقولون

بالرقة فوجدناه فى الحمام فلما خرج استؤذن لى عليه فدخلت فاذا هو جالس على كرسى وبيده مشط يسرح به لحيته فسلمت عليه فرد أحسن رد وقال ما الذى أقعدك عنا قلت ذات اليد وأنشدته قصيدة مدحته بها قال أتدرى لم أحضرتك قلت لا أدرى قال كنت عند الرشيد منذ ليال أحدثه فقال لى يا يزيد من القائل فيك هذه الأبيات

سل الخليفة سيفا من بنى مضر
يمضى فيخترق الاجسام والهاما
كالدهر لا ينثنى عما يهم به
قد أوسع الناس انعاما وارغاما

فقلت والله لا أدرى يا أمير المؤمنين فقال سبحان الله أيقال فيك مثل هذا ولا تدرى من قاله فسألت فقيل لى هو مسلم بن الوليد فأرسلت اليك فانهض بنا الى الرشيد فسرنا اليه واستؤذن لنا فدخلنا عليه فقبلنا الارض وسلمت فرد على السلام فأنشدته ما لى فيه من شعر فأمر لى بمائتى ألف درهم وأمر ليزيد بمائة وتسعين ألف درهم وقال ما ينبغى لى أن أساوى أمير المؤمنين فى العطاء انتهى (نادرة) قيل ترافق رجلان فى طريق فلما قربا من مدينة من المدن قال أحدهما للآخر قد صار لى عليك حق وانى رجل من الجان ولى اليك حاجة قال وما هى قال اذا وصلت الى المكان الفلانى من هذه المدينة فهنالك عجوز عندها ديك فاشتره منها واذبحه فقال له الآخر وأنا أيضا لى اليك حاجة قال وما هى قال اذا ركب الجنى انسانا ما يعمل له قال تشد ابهاميه بسير من جلد اليحمور وتقطر فى أذنيه من ماء السذاب أربعا وفى اليسرى ثلاثا فان الراكب له يموت ثم تفرقا ودخل الانسى ففعل ما أمره به الجنى من شراء الديك وذبحه

أرضنا ورثناها عن آبائنا وأجدادنا ففر الرجل منهم وكان قد بلغه أمر عيسى والكن لا يعرفه فلما عرفه قال معذرة اليك يا نبي الله انى لم أعرفك زرعى ومالى حلال لك فبكى عيسى عليه الصلاة والسلام وقال ويحك هؤلاء كلهم ورثوها وعمروها ثم ارتحلوا عنها وأنت مرتحل عنها ولاحق بهم ليس لك أرض ولا مال * ولما مات اسكندر قال ارسطاطاليس أيها الملك لقد حركتنا بسكونك وقال بعض الحكماء من أصحابه لقد كان الملك أمس أنطق منه اليوم وهو اليوم أوعظ منه أمس أخذه أبو العتاهية فقال

كفى حزنا بدفنك ثم انى * نفضت تراب قبرك من يديا
وكانت فى حياتك لى عظات * وأنت اليوم أوعظ منك حيا

(وقال عبد الله بن المعتز)

نسير الى الآجال فى كل ساعة * فأيامنا تطوى وهن مراحل
ولم أر مثل الموت حتى كأنه * اذا ما تخطته الأمانى باطل
وما أقبح التفريط فى زمن الصبا * فكيف به والشيب فى الرأس شاعل
ترحل من الدنيا بزاد من التقى * فعمرك أيام تعد قلائل

(وقال) عبد الله بن المعلم خرجنا من المدينة حجاجا فاذا أنا برجل من بنى هاشم من بنى العباس بن عبد المطلب قد رفض الدنيا وأقبل على الآخرة فجمعتنى واياه الطريق فأنست به وقلت له هل لك ان تعادلنى فان معى فضلا من راحلتى فجزانى خيرا وقال لو أردت هذا لكان سهلا ثم أنس الى فجعل يحدثنى فقال أنا رجل من ولد العباس كنت أسكن البصرة وكنت ذا كبر شديد ونعمة طائلة ومال كثير وبذخ زائد فأمرت يوما خادما لى أن يحشو لى فراشا من حرير ومخدة بورد نثير ففعل فانى لنائم اذا بقمع وردة قد نسيه الخادم فقمت اليه فأوجعته ضربا ثم عدت الى مضجعى بعد اخراج القمع من المخدة فأتانى آت فى منامى فى صورة فظيعة فهزنى وقال أفق من غشيتك وانتبه من رقدتك ثم أنشأ يقول

يا خل انك ان توسد لينا * وسدت بعد اليوم صم الجندل
فامهد لنفسك صالحا تسعد به * فلتندمن غدا اذا لم تفعل

فانتبهت مرعوبا وخرجت من ساعتى هاربا الى ربى كما ترانى ثم أنشأ يقول

من كان يعلم أن الموت يدركه * والقبر مسكنه والبعث يخرجه * وانه بين جنات مزخرفة
يوم القيامة أو نار ستنضجه * فكل شئ سوى التقوى به سمج * ومن أقام عليه منه أسمجه
ترى الذى اتخذ الدنيا له وطنا * لم يدر ان المنايا سوف تزعجه

قال وهب بن منبه أصبت على قصر غمدان وهو قصر سيف بن ذى يزن بأرض صنعاء اليمن وكان من الملوك الاجلة مكتوبا بالقلم المسندى فترجم بالعربى فاذا هى أبيات جليلة وموعظة عظيمة جميلة وهى هذه الابيات

باتوا على قلل الاجبال تحرسهم * غلب الرجال فلم تنفعهم القلل * واستنزلوا من أعالى عز معقلهم
فأسكنوا حفرة يا بئس ما نزلوا * ناداهم صارخ من بعد ما دفنوا * أين الاسرة والتيجان والحلل
أين الوجوه التى كانت محجبة * وكان من دونها الاستار والكلل * فأفصح القبر عنهم حين ساءلهم
تلك الوجوه عليها الدود يقتتل * قد طالما أكلوا دهرا وما شربوا * فأصبحوا بعد ذاك الاكل قد أكلوا

وروى ان عيسى عليه الصلاة والسلام كان معه صاحب فى بعض سياحاته فأصابهما الجوع وقد انتهيا الى قرية فقال عيسى عليه الصلاة والسلام لصاحبه انطلق فاطلب لنا طعاما من هذه القرية وأعطاه ما يشترى به فذهب الرجل وقام عيسى عليه الصلاة والسلام يصلى فجاء الرجل بثلاثة أرغفة فقعد ينتظر انصراف عيسى من الصلاة فأبطأ عليه فأكل رغيفا وكان عيسى عليه الصلاة والسلام حين رآه جاء ورأى الارغفة ثلاثة فلما انصرف من صلاته لم يجد الارغيفين فقال له أين الرغيف الثالث فقال الرجل ما كانا الا رغيفين فأكلاهما ثم مرا على وجوههما حتى أتيا على ظباء ترعى فدعا عيسى عليه الصلاة والسلام واحدا منها فجاءه فذكاه وأكلا منه فقال له عيسى بالذى أراك هذه الآية من أكل الرغيف الثالث فقال ما كانا الا اثنين ثم مرا على وجوههما حتى جاآ قرية فدعا عيسى ربه أن ينطق له من يخبره عن حال هذه القرية فأنطق الله له لبنة فسألها عيسى فأخبرته بكل ما أراد وصاحبه يتعجب مما رأى فقال له عيسى بحق من أراك هذه الآية من صاحب الرغيف

فلم يشعر بعد أيام الا وقد أحاط به أهل صبية من تلك البلدة وقالوا له أنت ساحر ومن حين ذبحت الديك سلبت صبية عندنا عقلها فلا نفلتك الا الى صاحب المدينة قال فقلت لهم ائتونى بسير من جلد اليحمور وقليل من ماء السذاب ودخلت على الصبية فربطت ابهاميها وقطرت ماء السذاب فى أذنيها فسمعت صوتا يقول آه قتلتنى على نفسى ثم مات من ساعته وشفى الله تلك الشابة واليحمور دابة وحشية لها قرنان طويلان كأنهما منشاران تنشر بهما الشجر وقيل هو كالايل يلقى قرنيه كل سنة وهما صامتان وقال الجوهرى هو الحمار الوحشى (ومن اللطائف) ما حكاه أبو الفرج فى كتاب النساء وابن الكرديوس فى الاكتفاء قالا كانت عند أبى العباس السفاح أم سلمة بنت يعقوب بن عبد الله المخزومى وكان قد أحبها حبا شديدا ووقعت فى قلبه موقعا عظيما فحلف لها أن لا يتخذ عليها سرية ولا يتزوج عليها امرأة فوفى لها بذلك فخلا به خالد بن صفوان يوما وقال له يا أمير المؤمنين فكرت فى أمرك وسعة ملكك وانك قد ملكت نفسك امرأة واقتصرت عليها فاذا مرضت مرضت واذا حاضت حضت وحرمت نفسك التلذذ بالسرارى واستطراف الجوارى ومعرفة اختلاف حالاتهن وأجناس التمتع بما تشتهى منهن فمنهن يا أمير المؤمنين الطويلة الغيداء والعتيقة الادماء والرهيفة السمراء والمولدات المغنيات اللواتى يفتن بحلاوتهن ولو رأيت يا أمير المؤمنين السمراء واللعساء من مولدات البصرة والكوفة وذوات الالسن العذبة

الثالث فقال ماكانا الا اثنين فرّا على وجوههما حتى انتهيا الى نهر عجاج فأخذ عيسى صلوات الله عليه بيد الرجل ومشى به على الماء حتى جاوزا النهر فقال الرجل سبحان الله فقال عيسى عليه الصلاة والسلام بالذى أراك هذه الآية من صاحب الرغيف الثالث فقال ما كانا الا اثنين فرا على وجوههما حتى أتيا قرية عظيمة خربة واذا قريب منها ثلاث لبنات عظام وقيل ثلاثة أكوام من الرمل فقال لها كونى ذهبا باذن الله فكانت فلما رآها الرجل قال هذا مال فقال عيسى نعم واحدة لى وواحدة لك وواحدة لصاحب الرغيف الثالث فقال الرجل أنا صاحب الرغيف الثالث فقال عليه الصلاة والسلام هى لك كلها ثم فارقه عيسى وأقام الرجل ليس معه ما يحملها عليه فمر ثلاثة نفر فقتلوه فقال اثنان منهما للثالث انطلق الى القرية فأتنا بطعام فانطلق فلما غاب قال أحدهما للآخر اذا جاء قتلناه واقتسمنا المال بيننا فقال الآخر نعم وأما الذى ذهب ليشترى الطعام فانه أضمر لصاحبيه السوء وقال أجعل لهما فى الطعام سما فاذا أكلاه ماتا وآخذ المال لنفسى فوضع السم فى الطعام وجاء فقاما اليه فقتلاه وأكلا الطعام فماتا فمر بهم عيسى عليه الصلاة والسلام وهم مصروعون حولها فقال هكذا الدنيا تفعل بأهلها * وقال الهيثم بن عدى وجد غار فى جبل لبنان زمن الوليد بن عبد الملك وفيه رجل مسجى على سرير من الذهب وعند رأسه لوح من الذهب أيضا مكتوب فيه بالرومية أنا سبأ بن نواس خدمت عيصو بن اسحق بن ابراهيم خليل الرب الاكبر وعشت بعده دهرا طويلا ورأيت عجبا كثيرا ولم أر فيما رأيت أعجب من غافل عن الموت وهو يرى مصارع آبائه ويقف على قبور أحبائه ويعلم انه صائر اليهم ثم لا يتوب وقد علمت أن الاجلاف الجفاة يستنزلوننى عن سريرى ويتولونه وذلك حين يتغير الزمان ويكثر الهذيان ويترأس الصبيان فمن أدرك هذا الزمان عاش قليلا ومات ذليلا وعن عمرو بن ميمون انه قال افتتحنا مدينة بفارس فدللنا على مغارة فيها بيت فيه سرير من الذهب عليه رجل عند رأسه لوح مكتوب فيه أنا بهرام ملك فارس كنت أعتاهم بطشا وأقساهم قلبا وأطولهم أملا وأحرصهم على الدنيا قد ملكت البلاد وقتلت الملوك وهزمت الجيوش وأذللت الجبابرة وجمعت من الاموال ما لم يجمعه أحد قبلى ولم أستطع أن أفتدى به من الموت اذ نزل بى ويروى فى الاسرائيليات أن عيسى عليه الصلاة والسلام بينما هو فى سياحته اذ مر بجمجمة نخرة فسأل الله فى أن تتكلم فأنطقها الله له فقالت يانبى الله أنا بلوان بن حفص ملك اليمن عشت ألف سنة ورزقت ألف ولد وافتضضت ألف بكر وهزمت ألف جيش وفتحت ألف مدينة فما كان كل ذلك الا كحلم النائم فمن سمع قصتى فلا يغتر بالدنيا فبكى عيسى عليه الصلاة والسلام بكاء شديدا حتى غشى عليه ووجد مكتوبا على قصر قد خربت أركانه وبادت أهله وأظلمت نواحيه هذه الابيات

هذى منازل أقوام عهدتهم * يوفون بالعهد مذ كانوا وبالذمم
تبكى عليهم ديار كان يطربها * ترنم المجد بين الجود والكرم

(وقيل فى المعنى)

بالله ربك كم قصر مررت به * قد كان أعمر باللذات والطرب
نادى غراب المنايا فى جوانبه * وصاح من بعده بالويل والحرب

(وفيه)

أيها الرافع البناء رويدا * لا يرد المنون عنك البناء

* وحكى * ان رجلين تنازعا فى أرض فأنطق الله تعالى لبنة من جدار تلك الارض فقالت انى كنت ملكا من الملوك ملكت الدنيا ألف سنة ثم صرت رميما ألف سنة ثم أخذنى خزاف وعملنى اناء فاستعملت ألف سنة حتى تكسرت وصرت ترابا فأخذنى طواب وعملنى لبنا وأنا فى هذا الجدار كذا وكذا سنة فلم تتنازعان فى هذه الارض وأنتم عنها زائلون والى غيرها منقلبون والله سبحانه وتعالى أعلم (وروى) أن ملكا بنى قصرا وقال انظروا ان كان فيه عيب فأصلحوه فقال رجل أرى فيه عيبين فقالوا وما هما قال يموت الملك ويخرب القصر قال صدقت ثم أقبل على الله وترك القصر والدنيا * وقيل سئل الخضر عليه السلام عن أعجب شئ رآه فى الدنيا مع طول سياحته وقطعه للقفار والفلوات فقال أعجب شئ رأيته أنى مررت بمدينة لم أر على وجه الارض أحسن منها فسألت بعض أهلها متى بنيت هذه المدينة فقالوا سبحان الله لم يذكر آباؤنا ولا أجدادنا متى بنيت ومازالت كذلك من عهد الطوفان ثم غبت عنها خمسمائة سنة ومررت بها فاذا هى خاوية على عروشها ولم أر أحدا أسأله واذا رعاة غنم فدنوت منهم فقلت أين المدينة التى ههنا فقالوا سبحان الله لم يذكر آباؤنا ولا أجدادنا انه كان ههنا مدينة ثم غبت خمسمائة سنة ومررت بها واذا موضع تلك المدينة بحر واذا غواصون

والقدود المهفهفة والأوساط المخصرة والثدى النواهد المحققة وحسن زيهن وشكلهن لرأيت فتنا ومنظرا حسنا وأين أنت يا أمير المؤمنين من بنات الاحرار والنظر الى ما عندهن من الحياء والتخفر والدلال والتعطر ولم يزل خالد يجيد فى الوصف ويكثر فى الاطناب بحلاوة لفظه وجودة كلامه فلما فرغ قال له أبو العباس ويحك والله ما سلك مسامعى قط كلام أحسن مما سمعته منك فأعده على فأعاده عليه وزاد فيه ثم انصرف خالد وبقى العباس متفكرا مغموما فدخلت عليه أم سلمة وكانت تبره كثيرا وتتحرى مسرته وموافقته فى جميع ما أراده فقالت له مالى أراك مغموما يا أمير المؤمنين فهل حدث أمر تكرهه أو أتاك أمر ارتعت له قال لم يكن شئ من ذلك قالت فما قصتك فجعل يكتم عنها فلم تزل به حتى أخبرها بمقالة خالد قالت فما قلت لابن الفاعلة قال سبحان الله ينصحنى وتشتمينه فخرجت من عنده وأرسلت الى خالد عبيدا وأمرتهم بضربه والتنكيل به قال خالد وانصرفت الى منزلى مسرورا بما رأيت من اصغاء أمير المؤمنين الى كلامى واعجابه بما ألقيت اليه وأنا لا أشك فى الصلة فلم ألبث ان جاء العبيد فلما رأيتهم أقبلوا نحوى أيقنت بالجائزة فوقفوا على وسألوا عنى فعرفتهم نفسى فأهوى الى أحدهم بعمود كان فى يده فبادرت الى الدار وأغلقت الباب ومكثت أياما لا أخرج من منزلى وطلبنى أمير المؤمنين طلبا شديدا فلم أشعر ذات يوم الا بقوم هجموا على فقالوا أجب أمير المؤمنين فأيقنت بالموت وقلت لم أر دم شيخ أضيع من دمى وركبت

يخرجون منه شبه الحلية فقلت للغواصين منذ كم هـذا البحر ههنا فقالوا سبحان الله لم يذكر آباؤنا ولا أجدادنا الا أن هـذا البحر من عهـد الطوفان فغبت خمسمائة سنة وجئت فاذا البحر قد غاض ماؤه واذا مكانه غيضة وصيادون يصيدون فيها السمك فى زوارق صغار فقلت لبعضهم أين البحر الذى كان ههنا فقالوا سبحان الله لم يذكر آباؤنا ولا أجدادنا انه كان ههنا بحر فغبت خمسمائة عام ثم جئت الى ذلك فاذا هو مدينة على الحالة الاولى والحصون والقصور والاسواق قائمة فقلت لبعضهم أين الغيضة التى كانت ههنا ومتى بنيت هذه المدينة فقالوا سبحان الله لم يذكر آباؤنا ولا أجدادنا الا أن هـذه المدينة على حالها من عهـد الطوفان فغبت عنها نحو خمسمائة سنة ثم أتيت اليها فاذا عاليها سافلها وهى تدخن بدخان شديد فلم ارأحدا أسأله ثم أتيت راعيا فسألته أين المدينة قال سبحان الله لم يذكر آباؤنا ولا أجدادنا الا أن هذا المكان هكذا منذ كان فهذا أعجب شئ رأيته فى سياحتى فسبحان مبيد العباد ومفنى البلاد ووارث الارض ومن عليها وباعث من خلق منها بعد رده اليها (ولبعضهم)

قف بالديار فهـذه آثارهـم * تبكى الاحبة حسرة وتشوقا
كم قد وقفت بها أسائل اهلها * عن حالها مترحما أومشفقا
فاجابنى داعى الهـوى فى رسمها * فارقت من تهوى وعز الملتقى

(ولبعضهم)

أيها الربع الذى قد دثرا * كان عينا ثم أضحى أثرا * أين سكانك ماذا فعلوا
خبرن عنهم سقيت المطرا * فلقد نادى منادى دارهم * رحلوا واستودعونى عبرا

وقال عيسى عليه الصلاة والسلام أوحى الله الى الدنيا من خدمنى فاخدميه ومن خدمك فاستخدميه يا دنيا مرى على أوليائى ولا تحلى لهم فتفتنيهم وقال بعض الحكماء الدنيا كالماء المالح كلما ازداد صاحبها شربا ازداد عطشا أو كالكأس من عسل وفى أسفله سم فللذائق منه حلاوة عاجلة وفى أسفله الموت أو كحلم النائم يفرح فى منامه فاذا استيقظ زال فرحه أو كالبرق يضئ قليلا ثم يذهب * ولما بنى المأمون قصره الذى ضرب به المثل نام فيه فسمع قائلا يقول

أتبنى بناء الخالدين وانما * بقاؤك فيها ان عقلت قليل
لقد كان فى ظل الاراك كفاية * لمن كل يوم يقتضيه رحيل

قال فلم يلبث بعدها الا قليلا ومات وقال

ومن يأمن الدنيا يكن مثل قابض * على الماء خانته فروج الاصابع

(ووجد مكتوبا على قصر باد أهله)

هـذى منازل أقوام عهـدتهم * فى خفض عيش نفيس ماله خطر
صاحت بهم نائبات الدهر فانقلبوا * الى القبور فلا عـين ولا أثر

ولو قيل للدنيا صفى نفسك ماعدت ماوصفها به أبونواس بقوله

وما الناس الا هالك وابن هالك * وذونسب فى الهالكين عريق
اذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت * له عن عدو فى ثياب صديق

(وروى) أن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه لما رجع من صفين ودخل أوائل الكوفة رأى قبرا فقال قبر من هـذا فقالوا قبر خباب بن الارت فوقف عليه وقال رحم الله خبابا أسلم راغبا وهاجر طائعا وعاش مجاهدا وابتلى فى جسمه آخرا ألا وان الله لا يضيع أجر من أحسن عملا ثم مشى فاذا هو بقبور فجاء حتى وقف عليها وقال السلام عليكم اهل الديار الموحشة والمحال المقفرة أنتم لنا سلف ونحن لكم تبع وبكم عما قليل لاحقون اللهم اغفر لنا ولهم وتجاوز عنا وعنهـم طوبى لمن ذكر المعاد وعمل ليوم الحساب وقنع بالكفاف ورضى عن الله تعالى ثم قال يا أهل القبور أما الازواج فقـد نكحت وأما الديار فقـد سكنت وأما الاموال فقـد قسمت وهذا ما عندنا فما عندكم ثم التفت الى أصحابه وقال أما انهم لو تكلموا لقالوا وجدنا خير الزاد التقوى والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿الباب الرابع والثمانون فيما جاء فى فضل الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو آخر الابواب وبه يختم الكتاب﴾

﴿ولنذكر أربعين حديثا فى فضل الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم﴾

﴿الحديث الأول﴾ عن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى على صلت عليه الملائكة ومن صلت عليه الملائكة صلى الله عليه ومن صلى الله عليه لم يبق شئ فى السموات ولا فى

فلم أصل الى الدار حتى استقبلنى عدة رسل فدخلت على أمير المؤمنين فوجدته جالسا فأومأ الى بالجلوس فثاب الى عقلى وفى المجلس باب عليه ستور وقد أرخيت وخلفه حركة فقال لى ياخالد منذ ثلاث لم أرك قلت كنت عليلا يا أمير المؤمنين قال أنت وصفت فى آخر خلة لى من أمر النساء والجوارى مالم يطرق سمعى قط كلام أحسن منه فاعده على قلت نعم يا أمير المؤمنين أعلمتك ان العرب انما اشتقت اسم الضرة من الضرروان أحدا لم يكن عنده امرأتان الا كان فى ضرروتنغيص قال ويحك لم يك[illegible] نعم يا أمير [illegible] النساء كا[illegible] وان الار[illegible] يمرضنه و[illegible] أبكار الا[illegible] لهن قال [illegible] قرابتى من رسول الله صلى الله عليه وسلم ماسمعت منك من هذا شيأ قط قال خالد بلى والله يا أمير المؤمنين وعرفتك ان بنى مخزوم ريحانة قريش وان عندك ريحانة الرياحين وأنت تطمح بعينك الى الاماء والسرارى قال خالد فقال لى أبو العباس ويحك أتكذبنى قلت أفتقتلنى يا أمير المؤمنين قال فسمعت ضحكا من وراء الستر وقائلا يقول صدقت والله يا عماه هذا الذى حدثته ولكنه بدل وغير ونطق على لسانك بما لم تنطق به قال خالد فقمت عنهما وتركتهما يتراودان فى أمرهما فما شعرت الا برسل أم سلمة معهم المال وتخوت ثياب فقالوا الى تقول لك أم سلمة اذا حدثت أمير المؤمنين فحدثه بمثل حديثك هذا انتهى ﴿ومن

الارض الاصلى عليه ﴿ الحديث الثانى ﴾ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى على صلاة واحدة أمر
الله حافظيه أن لا يكتبا عليه ذنبا ثلاثة أيام ﴿ الحديث الثالث ﴾ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى
على مرة خلق الله من قوله ملكا له جناحان جناح بالمشرق وجناح بالمغرب رأسه وعنقه تحت العرش وهو يقول
اللهم صل على عبدك مادام يصلى على نبيك ﴿ الحديث الرابع ﴾ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى
على مرة صلى الله عليه بها عشرا ومن صلى على عشرا صلى الله عليه بها مائة ومن صلى على مائة صلى الله عليه بها
ألفا ومن صلى على الفا لم يعذبه الله بالنار ﴿ الحديث الخامس ﴾ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى
على مرة كتب الله له عشر حسنات ومحا عنه عشر سيآت ورفع له عشر درجات ﴿ الحديث السادس ﴾ قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم أتانى جبريل يوما وقال يا محمد جئتك ببشارة لم آت بها أحدا قبلك وهى ان الله
تعالى يقول لك من صلى عليك من أمتك ثلاث مرات غفر الله له ان كان قائما قبل أن يقعد وان كان قاعدا
غفر له قبل أن يقوم فعند ذلك خر ساجدا لله شاكرا ﴿ الحديث السابع ﴾ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من صلى على فى صباح عشرا محيت عنه ذنوب أربعين سنة ﴿ الحديث الثامن ﴾ قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من صلى على ليلة الجمعة أو يوم الجمعة مائة مرة غفر الله له خطيئة ثمانين سنة ﴿ الحديث التاسع ﴾
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى على ليلة الجمعة أو يوم الجمعة مائة مرة قضى الله له مائة حاجة ووكل
الله به ملكا حين يدفن فى قبره يبشره كما يدخل أحدكم على أخيه بالهدية ﴿ الحديث العاشر ﴾ قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من صلى على فى يوم مائة مرة قضيت له فى ذلك اليوم مائة حاجة ﴿ الحديث الحادى عشر ﴾
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقربكم منى مجلسا أكثركم على صلاة ﴿ الحديث الثانى عشر ﴾ قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى على ألف مرة بشر بالجنة قبل موته ﴿ الحديث الثالث عشر ﴾ قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءنى جبريل عليه السلام وقال لى يا رسول الله لا يصلى عليك احد الا و يصلى
عليه سبعون ألفا من الملائكة ﴿ الحديث الرابع عشر ﴾ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدعاء بعد
الصلاة على لا يرد ﴿ الحديث الخامس عشر ﴾ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة على نور على الصراط
وقال عليه الصلاة والسلام لا يلج النار من يصلى على ﴿ الحديث السادس عشر ﴾ قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من جعل عبادته الصلاة على قضى الله له حاجة الدنيا والآخرة ﴿ الحديث السابع عشر ﴾ قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من نسى الصلاة على أخطأ طريق الجنة ﴿ الحديث الثامن عشر ﴾ قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله ملائكة فى الهواء بأيديهم قراطيس من نور لا يكتبون الا الصلاة على وعلى
أهل بيتى ﴿ الحديث التاسع عشر ﴾ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو أن عبدا جاء يوم القيامة بحسنات
أهل الدنيا ولم يكن فيها الصلاة على ردت عليه ولم تقبل منه ﴿ الحديث العشرون ﴾ قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم أولى الناس بى أكثرهم على صلاة ﴿ الحديث الحادى والعشرون ﴾ قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من صلى على فى كتاب لم تزل الملائكة تصلى عليه مادام اسمى فى ذلك الكتاب ﴿ الحديث
الثانى والعشرون ﴾ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله ملائكة سياحين فى الارض يبلغونى الصلاة
على من أمتى فأستغفر لهم ﴿ الحديث الثالث والعشرون ﴾ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى على
كنت شفيعه يوم القيامة ومن لم يصل على فأنا برىء منه ﴿ الحديث الرابع والعشرون ﴾ قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم يؤمر بقوم الى الجنة فيخطئون الطريق قالوا يا رسول الله ولم ذلك قال سمعوا اسمى ولم يصلوا على
﴿ الحديث الخامس والعشرون ﴾ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤمر برجل الى النار فأقول ردوه الى
الميزان فأضع له شيأ كالانملة معى فى ميزانه وهو الصلاة على فترجح ميزانه وينادى سعد فلان ﴿ الحديث
السادس والعشرون ﴾ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اجتمع قوم فى مجلس ولم يصل على فيه الا تفرقوا
كقوم تفرقوا عن ميت ولم يغسلوه ﴿ الحديث السابع والعشرون ﴾ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
الله تعالى وكل بقبرى ملكا أعطاه أسماء الخلائق كلها فلا يصلى على أحد الى يوم القيامة الا بلغنى اسمه وقال
يا رسول الله ان فلان بن فلانة صلى عليك ﴿ الحديث الثامن والعشرون ﴾ عن أبى بكر الصديق رضى الله
تعالى عنه أنه قال الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم أمحى للذنوب من الماء لسواد اللوح ﴿ الحديث التاسع
والعشرون ﴾ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى اوحى الى موسى عليه السلام ان أردت أن

البدائع ﴿ ماحكى ان السلطان
الملك الكامل أصبح متمرضا فأشار
عليه الاطباء باستعمال شراب
ليمون شتوى فأمر بعض الخدام
باحضاره فمضى الخادم وأحضر
شراب ليمون سائل فقال الطبيب
ماطلبت الا شتويا وهذا سائل
رده فقال الأمير صلاح الدين والله
ما من عادة مولانا السلطان أن يرد
سائلا فقال السلطان والله ما أرد
سائلا هاتوه أحسنت والله يا صلاح
الدين فأكله وكان الشفاء فيه
(ونظير ذلك) ماحكى أنه كان
بالقاهرة شاب حسن الوجه يسمى
بركن الدين وله معلم اسمه ابراهيم
وكان مغرما به وكان بعض
الادباء يميل الى هذا الصبى وله فيه
غزل حسن قال الناقل فركبت
يوما مع الأمير صلاح الدين فمررنا
على باب ذلك الصبى فوجدت ذلك
الاديب قريبا من الباب فقلت له
أى شئ تصنع ههنا فقال أطوف
بالبيت فلعلى أستلم الركن أو أصل
الى مقام ابراهيم فاستحسنت ذلك
منه وسألنى الامير صلاح الدين
عامعنى ذلك فغالطته فى الجواب
فأقسم أن لابد أن أخبره فأخبرته
فاستحسن ذلك منه وأمر باحضاره
الى مجلسه ونال منه راحة (ذكر ابن
الجوزى فى كتاب تلقيح فهوم الادباء)
عن محمد بن عثمان بن أبى خيثمة
السلمى عن أبيه عن جده قال
بينما عمر بن الخطاب رضى الله
تعالى عنه يطوف ذات ليلة فى سكك
المدينة اذ سمع امرأة تقول
هل من سبيل الى خمر فأشربها
أم من سبيل الى نصر بن حجاج
الى فتى ماجد الاعراق مقتبل
سهل المحيا كريم غير ملجاج

أكون اليك أقرب من كلامك الى لسانك ومن روحك لجسدك فأكثر الصلاة على النبي الأمي صلى الله عليه وسلم ﴿الحديث الثلاثون﴾ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ملكا أمره الله تعالى باقتلاع مدينة غضب عليها فرحمها ذلك الملك ولم يبادر الى اقتلاعها فغضب الله عليه وكسر أجنحته فمر به جبريل عليه السلام فشكا له حاله فسأل الله فيه فأمره أن يصلى على النبي صلى الله عليه وسلم فصلى عليه فغفر الله له ورد عليه أجنحته ببركة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ﴿الحديث الحادى والثلاثون﴾ عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت من صلى على رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر مرات وصلى ركعتين ودعا الله تعالى تقبل صلاته وتقضى حاجته ودعاؤه مقبول غير مردود ﴿الحديث الثانى والثلاثون﴾ عن زيد بن حارثة قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصلاة عليه فقال صلى الله عليه وسلم صلوا على واجتهدوا فى الدعاء وقولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ﴿الحديث الثالث والثلاثون﴾ عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صلوا على فان صلاتكم على زكاة لكم واسألوا الله لى الوسيلة ﴿الحديث الرابع والثلاثون﴾ عن سهل بن سعد الساعدى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لا صلاة لمن لم يصل على نبيه صلى الله عليه وسلم ﴿الحديث الخامس والثلاثون﴾ عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل على ﴿الحديث السادس والثلاثون﴾ عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال جزى الله عنا محمدا خيرا وجزى الله نبينا محمدا بما هو أهله فقد أتعب كاتبيه ﴿الحديث السابع والثلاثون﴾ عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تجعلوا بيوتكم قبورا وصلوا على فان صلاتكم تبلغنى حيثما كنتم ﴿الحديث الثامن والثلاثون﴾ عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من أحد يصلى على الا رد الله على روحى حتى أرد عليه ﴿الحديث التاسع والثلاثون﴾ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أقربكم منى منزلا يوم القيامة أكثركم على صلاة ﴿الحديث الاربعون﴾ نقل الشيخ كمال الدين الدميرى رحمه الله تعالى عن شفاء الصدور لابن سبع أن النبى صلى الله عليه وسلم قال من سره أن يلقى الله وهو عليه راض فليكثر من الصلاة على فانه من صلى على فى كل يوم خمسمائة مرة لم يفتقر أبدا وهدمت ذنوبه ومحيت خطاياه ودام سروره واستجيب دعاؤه وأعطى أمله وأعين على عدوه وعلى أسباب الخير وكان ممن يرافق نبيه فى الجنان اللهم صل على سيد المرسلين وخاتم النبيين ورسول رب العالمين الذى أنزل عليه فى محكم الكتاب العزيز تعظيماله وتوقيرا يا أيها النبى انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا فهذا خطاب خاص الخاص ولم يخاطب الله أحدا من المرسلين ولا من الانبياء بالرسالة ولا بالنبوة الا سيد خلقه محمدا صلى الله عليه وسلم فان الله تعالى نادى أبا البشر يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة ويا نوح اهبط بسلام منا ويا ابراهيم أعرض عن هذا ويا داود انا جعلناك خليفة فى الارض ويا عيسى اذكر نعمتى وقال لمحمد صلى الله عليه وسلم يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك يا أيها الرسول لا يحزنك يا أيها النبى حسبك الله يا أيها النبى حرض المؤمنين على القتال يا أيها النبى جاهد الكفار والمنافقين يا أيها النبى اذا طلقتم النساء يا أيها النبى لم تحرم يا أيها النبى اتق الله يا أيها النبى انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا وما ناداه باسمه يا محمد كغيره الا فى أربع مواضع اقتضت الحكمة أن يذكر هناك باسمه محمد صلى الله عليه وسلم * الاول قوله عز وجل وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل لأن سبب انزالها أن الشيطان صاح يوم أحد قد قتل محمد وكان ما كان فأنزل الله تعالى هذه الآية ولو قال وما رسولى لقال الاعداء ليس هو محمدا فذكره باسمه لانهم ما كانوا ينكرون أن اسمه محمد * الثانى قوله عز وجل ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين * الثالث قوله عز وجل الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد فلو قال وآمنوا بما نزل على رسولى لقال الاعداء ليس هو فعرفه باسمه محمد صلى الله عليه وسلم * الرابع قوله عز وجل محمد رسول الله والحكمة فى ذكره هنا باسمه أنه سبحانه وتعالى قال قبلها هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله فكان من الاعداء من يقول من هو رسوله الذى أرسله فعرفه باسمه فقال محمد رسول الله وسماه تعالى باسمه أحمد فى موضع واحد وله حكمة وهى ان الله تعالى لما أرسل عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام قال لقومه

تنبيه أعراق صدق حين تنسبه
أخى وفاء عن المكروب فراج

فقال عمر رضى الله تعالى عنه لا أدرى معى بالمدينة رجلا تهتف به العواتق فى خدورهن على بنصر بن حجاج فلما أصبح أتى بنصر بن حجاج فاذا هو من أحسن الناس وجها وأحسنهم شعرا فقال عمر عزيمة من أمير المؤمنين لتأخذن من شعرك فأخذ من شعره فخرج من عنده وله وجنتان كأنهما شقتا قمر فقال له اعتم فاعتم فافتتن الناس بعينيه فقال له عمر والله لا تساكننى فى بلدة أنا فيها فقال يا أمير المؤمنين ماذنبى قال هو ما أقول لك [illegible] الى البصرة [illegible] سمع منها [illegible] الهاشمى [illegible]

قل للامام الذى تخشى [illegible]
مالى وللخمر أو [illegible] بن حجاج
لا تجعل الظن حقا أن [illegible]
ان السبيل سبيل الخائف الراجى
ان الهوى زم بالتقوى لتحبسه
حتى يقر بالجام واسراج

قال فبكى عمر رضى الله تعالى عنه وقال الحمد لله الذى زم الهوى بالتقوى قال وطال مكث نصر بن حجاج بالبصرة فخرجت أمه يوما بين الاذان والاقامة متعرضة لعمر فاذا هو قد خرج فى ازار ورداء وبيده الدرة فقالت يا أمير المؤمنين والله لأقفن أنا وأنت بين يدى الله تعالى وليحاسبنك الله أيبيتن عبد الله وعاصم الى جنبيك وبينى وبين ابنى الفيافى والاودية فقال لها ان ابنى لم تهتف بهما العواتق فى خدورهن ثم أرسل عمر الى البصرة بريدا الى عتبة فقال عتبة من أراد أن يكتب الى أمير المؤمنين فليكتب فان البريد خارج فكتب نصر بن حجاج بسم

من بنى اسرائيل يابنى اسرائيل انى رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة التى أنزلت على موسى ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد لانهم كانوا يعرفونه فى التوراة أحمد فناداه سبحانه وتعالى باسمه محمد ولا أحمد وانما ذكر ذلك اعلاما به وتعريفا له وما ناداه الا بالنبوة والرسالة فقال يا أيها النبى انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا أى شاهدا بالايمان للمؤمنين ومبشرا لاهل التمجيد ونذيرا لاهل التجحيد وقيل شاهدا لاهل القرآن ومبشرا لهم بالغفران ونذيرا لاهل الكفر والعصيان وقيل شاهدا لامتك ومبشرا بشفاعتك ونذيرا لمن ارتكب مخالفتك وقيل شاهدا بالمنة ومبشرا بالجنة وقوله وداعيا الى الله باذنه أى يدعو الناس بأمر الله تعالى الى لا اله الا الله قال تعالى وأنه لما قام عبد الله يدعوه وسمى رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه داعيا فقال أنا الداعى الى الله وقوله تعالى وسراجا منيرا أى يهتدى به كما يهتدى بالسراج فى ظلمة الليل (فان قلت) ما الحكمة فى قوله تعالى وسراجا منيرا ولم يقل قمرا منيرا فالجواب عن ذلك أن السراج أعم من القمر لان المراد بالسراج هنا الشمس قال تعالى وجعل الشمس سراجا والشمس أعم نفعا ونورا من القمر وقيل المراد بقوله تعالى وسراجا منيرا السراج الذى يقتبس منه لان القمر لا تصل اليه الايدى حتى يقتبس منه والسراج اذا كان فى بلد علا ذلك البلد نورا لان كل من جاء يقتبس منه والقمر ليس كذلك ولهذا كانت الدنيا قبل ولادته صلى الله عليه وسلم ظلاما فلما ولد ظهر سراج دينه بمكة فكان أول من اقتبس من الرجال أبو بكر ومن النساء خديجة ومن الشباب على ومن الموالى زيد ومن العبيد بلال رضى الله تعالى عنهم أجمعين وجاء سلمان من أرض فارس فاقتبس وصهيب من الروم وبلال من الحبشة ووفد الوفود واقتبسوا وأبو لهب الى جانب البيت ولم يقتبس واقتبس الناس من مشارق الارض ومغاربها حتى امتلأت الارض من نور سراجه فهو صلى الله عليه وسلم أعظم الانبياء وأكرم المرسلين وسيد الخلق أجمعين لم يخلق الله أحسن ولا أجمل ولا أكمل ولا أفضل ولا أفصح ولا أرجح ولا أسمح ولا أصبح ولا أجل ولا أعظم ولا أسخى ولا أكرم ولا أبهى ولا أنصف ولا أعدل منه صلى الله عليه وسلم فلو أن البحار مداد والنبات أقلام وجميع الخلق تكتب معجزاته صلى الله عليه وسلم لعجزوا عن وصف نزر النزر من معجزاته صلى الله عليه وسلم اللهم اجعلنا من خالص أمته واحشرنا فى زمرته وأمتنا على محبته ولا تخالف بنا عن ملته ولا عما جاء به برحمتك يا أرحم الراحمين آمين وصلى الله على سيدنا محمد النبى الامى عدد ما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون

نحمدك يا من هيأت لكسب الآداب جميع المعدات وفتحت للتحلى بأنوار آياتك سبل الخيرات ونصلى ونسلم على من كملت آدابه ورشحت بكمال البيان واعجاز التبيان جنابه سيدنا محمد القائل ان من البيان لسحرا وعلى آله وصحبه ما أطلعت حدائق الاتباع زهرا * أما بعد فقد تم بحمده تعالى طبع كتاب المستطرف فى كل فن مستظرف تأليف العلامة الفاضل واللوذعى الكامل الشيخ شهاب الدين أحمد الابشيهى رحمه الله وأعلى منزله فى دار رضاه وقد حليت طرر الجزء الأول منه بكتاب ثمرات الأوراق فى المحاضرات لمن اسمه يكفى عن التنويه بشانه ومحاسن مؤلفاته أكبر شاهد على تفرده فى بيانه العلامة تقى الدين أبو بكر بن على المعروف بابن حجة الحموى تغمده الله برحمته وأسكنه فراديس جنته ووشيت غرر الجزء الثانى منه ببقية الكتاب المذكور ثم ذيلت هذه البقية بكتابين فى الأدب حويا من هذا الشأن لمسرح النظر فيهما كل طرب أحدهما يسمى طراز الأدب لعلامة زمانه وفريد أوانه الامام تقى الدين بن حجة المذكور ضاعف الله له الاجور وثانيهما للفهامة الاديب واللوذعى الاريب الفاضل الشيخ ابراهيم ابن الاحدب عامله الله من احسانه بكل ما يحب فجاء هذا الكتاب حاويا من أساليب البلاغة كل طريف وتالد جامعا من أسرار الآداب كل معنى على انفراد فى بابه شاهد وذلك على ذمة ملتزميه صاحبى السجايا المرضية والخلق الشريف * الشيخ محمد المليجى وأخيه * الكتبيين بجوار الأزهر المنيف بالمطبعة العامرة العثمانيه الثابت محل ادارتها بحارة سوق الزلط بقسم باب الشعريه ادارة مديرها ومنشئها الهمام الفائق حضرة المحترم الشيخ عثمان عبد الرازق وقد انتهى هذا الطبع الميمون بمعونة من يقول للشئ كن فيكون فى أواسط رجب الفرد من سنة ١٣١٥ هجريه على صاحبها أكمل صلاة وأشرف تحيه

الله الرحمن الرحيم سلام عليك يا أمير المؤمنين أما بعد فاسمع منى هذه الابيات

لعمرى لئن سيرتنى أو حرمتنى
وما نلت من عرضى عليك حرام

فأصبحت منفيا ملوما كأننى
وبعض أمانى النساء غرام

ظننت بى الظن الذى ليس بعده
بقاء ومالى جرمة فألام

فيمنعنى مما تقول تكرمى
وآباء صدق سالفون كرام

ويمنعها مما تقول صلاتها
وحال لها فى قومها وصيام

فهاتان حالانا فهل أنت راجعى
فقد جب منى كاهل وسنام

قال فلما قرأ عمر رضى الله تعالى عنه هذه الابيات قال أما ولى السلطان فلا وأقطعه دارا بالبصرة فى سوقها فلما مات عمر ركب راحلته وتوجه نحو المدينة اه (قيل) دخل بعض الشعراء على الاديب جمال الدين ابن نباتة فرأى فى نواحى منزله نملا كثيرا فأنشد يقول

مالى أرى منزل المولى الاديب به
نمل تجمع فى أرجائه زمرا

(فأجابه ابن نباتة بقوله)

لا تعجبن اذن من نمل منزلنا
فالنمل من شأنها أن تتبع الشعرا

* هذا آخر ما أردت ايراده فى هذا الذيل مما وقفت عليه من المستطرف والنكات المتخيرة والزند الوارى والتالد والطريف وغير ذلك والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

THE
ASIATIC SOCIETY OF BOMBAY
Town Hall, Bombay.

00051332

Kitab Al-Mustatraf
By
Muhammed ibn Ahmad
al-Ibsh

A miscellany in prose
[illegible]

2 vols.
Cairo - 1860

(accompanied on the margin by
a collection of historical [illegible]
poems and epistles entitled
Thimar-al-awrat compiled
by Abu Bakr ibn Ali Ibn
al-Hamawi

OR!
N 892.78
Ibs/kit
51332

Digitized with financial assistance from the
Government of Maharashtra
on 23 March, 2016